صاحب الفهم الجديد للإسلام ...
محمود محمد طه
والمثقفون
قراءة في المواقف
وتزوير التاريخ
عبدالله الفكي البشير

إنّ حِرْصِي على تَكْريم الفِكْر إنّما يَسْتَمِدُّ أَسْبَابَهُ مِنْ اقْتِنَاعٍ تام، بأَنّ لَيْلَ الجَهْلِ قد أَخَذَ يَنْجَابُ، وأَنّ نُورَ الفِكْرِ قد أَخَذَ يَنْشُرُ أَجْنِحَتَهُ المُشْرِقَةَ على هذه الأَرْضِ الحَزِينَةِ، ومن وَرَائِهَا، على هذا الكَوْكَبِ الحَائِر..

مَحْمُود مُحَمّد طَهَ

كتاب: **أسئلة و أجوبة. الكتاب الأول.** ١٩٧٠م.

صاحب الفهم الجديد للإسلام ...

قراءة في المواقف وتزوير التاريخ

عبد الله الفكي البشير

الكتابُ الذي بين أيدينا كتابٌ عظيمٌ وجليلٌ وخطيرٌ.. وهو كتابٌ يقف بنا في مفترق الطرق، ويؤرخ لمرحلة جديدة وفريدة في كتابة وصناعة التاريخ... إنّ الكتاب الذي بين أيدينا هو صناعةٌ للتاريخ وهو أيضاً كتابةٌ له. ولقد صنع المؤلف التاريخ عبر كتابته التي سعت وعملت من أجل إخراج الأستاذ محمُود محمّد طه من سجُون التشويه والتّحامُل والتجاهل والتّغييب عن الذاكرة الجمعيّة، والعزل عن ميدان البحث العلمي، والتّضليل المنظّم والمُجمع عليه، مُصادماً بذلك القديم وجَحافل الأكاديميين المُتقاعسين عن مسئولياتهم، والفُقهاء الذين نصّبُوا أنفسهم أوْصياء على العقُول، والسّلفيين والطّائفيين والمؤرّخين المزوّرين،...

عالج الكتابُ مؤامرات الشؤون الدينية، و**المعهد العلمي**، و**الجامعة الإسلامية**، و**الأزْهر**، و**رابطة العالم الإسلامي**، وجماعات الهَوس الدّيني المحلية والإقليمية، والموقف من جمال عبدالناصر ودعوة القومية العربية، والخطابات التي أرسلت إليه (وبعضها كان مجهولاً حتى الآن). كما عالج الكتاب محكمة الردة الأولى (١٩٦٨)، والثانية (١٩٨٥) والتي أدت إلى منصة الإعدام التي منها تسنّم الأستاذ محمُود محمّد طه ذروة المجد والتاريخ المشرّف النظيف محقّقاً فرديته التي انماز بها عن أفراد القطيع وافتتح بها عهد الإنسانية.

إن هذا الكتاب ذو طبيعة موسُوعية غطت ما أهمله المؤرخون، عمداً أو سهواً، وما أخفاه – أو تخطاه – الأكاديميون والباحثُون جهلاً أو خوفاً أو حسداً.

لقد خرج الأستاذ محمود محمد طه من خلوته، بمدينة رفاعة، عام ١٩٥١م، بمشروعه الجديد "الفهم الجديد للإسلام"، وظل يعيشه ويبشر به وينشره حتى دخل "الخلوة الكُبرى" التي أعقبت تنفيذ الإعدام عام ١٩٨٥م. ويخرج الأستاذ محمود محمد طه من خلوته الثانية هذه بهذا السفر العظيم، الذي يجسد مواقفه الصّامدة الخالدة وحياته الملهمة.

إن هذا الكتاب كبير، حسّاً ومعنىً، وخطير، حالاً ومآلاً. وخطورته تشفع لكبره... وقد جاء على قدر وميقات، ومن ثم؛ يرجى له أن يشعل ثورة فكرية تسهم في إحداث الثورة الثّقافية التي تحدث عنها الأستاذ محمُود محمّد طه وبشّر بها في كتابه: **الثورة الثقافية**.

لقد نجح المؤلفُ - مُستعيناً بكل هذه الأدوات- التنقيب في المصادر الأولية، وجمع وحشد الوثائق النادرة والمهملة مع استنطاقها، وإعادة النظر في الكثير من المسلمات، ومناطحة ومصادمة قوى القديم والتخلف – نجح في قرع الأجراس القُدسية التي تبشّر بميلاد فجر يقظة الأمة السُودانية، ومن ورائها - بإذن الله - الإنسانيّة جمعاء.

عصَام عبدالرّحمن البُوشي

عبدالله الفكي البشير؛ باحثٌ وكاتبٌ سوداني، وُلد بقرية كرِيْمَاتْ شرق مدينة تمبُول بالسُّودان. نال درجة البكالوريوس (مرتبة الشرف) عام "١٩٩٩م" من كلية الآداب، **جامعة الخرطوم**، بالسودان. وكذلك درجة الماجستير عام "٢٠٠٥م"، ويعد حالياً أطروحة الدكتوراه فيها. يعمل منذ ١٩٩٩م بوزارة الخارجية بدولة قطر. شارك في بعض المُؤتمرات وقدم العديد من الأوراقِ العلميّة، ونشر المقالات الصحفية. له ثلاثة كُتب تحت الإعداد. تجئ كتاباته ضمن مشروع بحثي ينطلق من رؤية نقديّة للإرثِ السّياسي والفِكْري في السُّودان - بشكلٍ خاص - وفي المحيط الإفريقي والعَربي والإسْلامي - بشكلٍ عام. ويدعُو المشرُوع - في تأمُّلاته لتاريخ وواقع السُّودان ومُتطلبات الدُّخول في المستقبل - إلى القفز من نقد السِّياسات والنتائج إلى نقد التّصوُّرات وتفكيك الافْتراضات. كما يسعى المشروع -في إطار انشغاله بـ "ما بعد التاريخ المعلن"، وضمن إعادة قراءته للتاريخ المعلن- إلى المساهمة في تصميم عنَاوين، وبناء مفاهيم جديدة، وإعادة تَوصيف العناوين واللافتات السِّياسية والفكرية والثّقافية.

للتواصل مع المؤلف:
abdallaelbashir@gmail.com
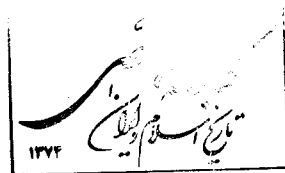
صاحب الفهم الجديد للإسلام

مَحْمُود مُحَمَّد طه والمثقفون

قِرَاءة في المواقِف، وتزوير التأريخ

صاحب الفهم الجديد للإسلام

مَحمُود مُحمّد طه والمثقفون

قِراءة في المواقِف، وتزوير التأريخ

عبد الله الفكي البشير
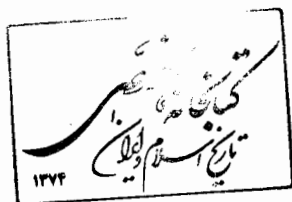
للنشر والتوزيع

2013

الكتاب : **صاحب الفهم الجديد للإسلام، مَحْمُود مُحَمَّد طه والمثقفون**
تأليـــف: **عبد الله الفكي البشير**
المدير المسؤول : **رضا عـوض**
رؤية للنشر والتوزيع
القاهرة : 012/23529628
8 ش البطل أحمد عبدالعزيز - عابدين
تقاطع ش شريع مع رشدى
Email: Roueya@hotmail.com
فاكس : 25754123 (202) +
هاتف : 23953150 (202) +
الإخراج الداخلى : **حسين جبيل**
جمع وتنفيذ : **القسم الفنى بالدار**
تصميم وخط الغلاف : **تاج السر حسن سيد أحمد**
الطبعة الأولى : 2013
رقم الإيداع : 2013/15981
الترقيم الدولى : 978-977-499-111-5

المحتويات

الموضوع | الصفحة

الباب الأول

لمحات من السيرة والإنتاج الفكري وقراءة فى الدراسات السابقة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الباب الثانى

الدور الوطنى والسودان فى مشروع الأستاذ محمود

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الباب الرابع

الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية

التهميش والبتر للمعارف والعزل عن ميدان البحث العلمي

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الصفحة	الموضوع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الصفحة	الموضوع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مدخل

ونحن لا نستغرب سوء الفهم، وسوء النية، من أى إنسان بقدر ما نستغربهما مِمَنْ يحملون الأقلام، ويتصدون لتوجيه الرأى العام، ويجدون المداد، والورق، موفوراً لديهم، لأن الشعب يثق فيهم، ويقبل على ما يكتبون -يدفع ثمنه من حر ماله، ويقبل عليه يقرأه، ويستظهره- من مثل هؤلاء يستغرب سوء الفهم، ويستغرب سوء النية.. بل من مثل هؤلاء قد لا يقبل صرف ولا عدل.. لأن فى عملهم خيانة لأمانة الثقافة، وخيانة لرسالة القلم، وخيانة لأمانة الثقة.. الثقة الغالية التى أودعها الشعب فى حملة الأقلام[1].

محمود محمد طه، فى عام 1969

(1) محمود محمد طه، **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**، أمدرمان، 1969م، ص 40 .

الحريـة لنـا ولسوانـا

شعار الأستاذ محمود محمد طه منذ منتصف القرن العشرين

ظل هذا الشعـار شعاراً **للحزب الجمهورى** الذى ترأسه الأسـتاذ محـمود منذ تأسيـسه، وشعاراً لصحيفة الحزب، **صحيفـة الجمهورية**، التى صدر أول أعدادها فى يوم الجمعة 15 يناير 1954. بقى الشـعار مرفـوعاً ومرسـوماً حـتى اليوم باسم الأسـتاذ محـمود وتلامـيذه "الإخوان الجمهوريين" فى سيرتهم الفكرية ومسيرتهم وفى منشوراتهم.

١٣٧٣

الجمهورية

لسان الحزب الجمهورى : الحرية لنا ولسوانا

صحيفة الجمهورية، لسان **الحزب الجمهورى**، رئيس التحرير محمود محمد طه

العدد السادس عشر، السنة الأولى، السبت 11 شوال عام 1373 الموافق 12 يونيه 1954

كثيراً ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمّة النّقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد النّقل غثّا أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النّظر والبصيرة فى الأخبار فَضلُّوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط[1].

ابن خلدون (1332م-1406م)

إن التاريخ فى كل المجتمعات التعددية بما فيها السودان لحقه تزوير كثير، والأجيال الحالية فى السودان لا تعترف بأزمتها بالصورة الحقيقية، والمدارس لا تعلم هذا التاريخ بطريقة علمية وإيجابية. إن هنالك من يطمس هذا التاريخ وما فيه من سلبيات لتحسين صورة الماضى، وهنالك من يزور التاريخ بهدف الدفاع عن عقيدة، وكثيرون من الذين كتبوا فى تاريخ السودان السياسى تجاهلوا تاريخ المجموعات وتاريخ الطوائف الدينية وكانت النتيجة هذه الصورة المشوهة فى كثير من الأحوال لهذا التاريخ[2].

محمد عمر بشير (1926م-1993م)

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة، ط 2 ، دار الفكر، بيروت، 1408/ 1988، ص 13-14.

(2) محمد عمر بشير، **مشروع الدولة السودانية الديمقراطية: قضايا وإشكاليات البناء الوطنى**، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005، ص 8-9.

الإهـداء

إلى الأستاذ محمـود محمد طه.. الذى هزم تجربة الموت.. وطهر وجه الأرض.. وفدى البشرية.. حينما ابتسم على منصة المشنقة صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985.. **إليك لأن فى** قراءة سيرتك تطهيراً للعقل والجسد، وتقويةً للروح على النفس، وترقيةً للفكر والشعور.. إليك لأنك تَلِد قارئك من جديد.

إلى زوجـة الأستـاذ محـمود، (أُمنا)[1] آمنة.. فـقد رافـقتـه برضا منذ عـام 1942[2].. عايشت مـواجهاته للمـستعـمر، وصبرت علـى سنى سجنه وخلوته.. آزرته فى مصـادماته للقديـم والجهل، وظلت تتحـمل الأذى والقسـوة والظلم حتى لحظة شـموخه علـى منصة المشنقة، وحتى يوم الناس هذا.

إلى تلاميذ الأسـتاذ محمـود وتلميذاته..الذين لازموه وناصروه وآزروه، بثبات وثقة.. قادوا باسـمه مواجـهات ضارية من أجل أنـسنة الحياة وكـرامة الإنسان.. فـواجهوا تحـالفاً كوكـبياً واسعـاً قوامه: الجـهل والقديم وكـسل العقـول والسجـال بلا شرف.. فـحُورِبُوا وقُوطِعُـوا وشُرِدُوا، ونُفذ حكـم الإعدام فى أسـتاذهم أمام أعينهم.. برغم ذلك لم يـتسرب الحقد إلى نفوسهم.. لانهم ثمرة أستاذهـم.. فقد شَرَّبهُم سر الحياة وقصة الإنسان، وعَلَمَهُم كيف يخلـقون الجمـال فى أنفسهم، وفـيمـا حولهم من الأحيـاء والأشيـاء، وأوصاهم بأن يكون الفرد منهم المظهر والمصـدر للجمال.. فكانوا فروعاً جمـيلة من أصل أجمل.. إليهم لأنهم قدموا نموذج المثـقف الجميل المحترم.. كـتب الأديب شوقى بدرى قائلاً: "الحقيـقة ما شفنا ولا سمعنا بجمهورى ما جميل تقول بنجروهم من الصندل"[3].

ثم إلى زوجتى الحبيبـة هنادى، وإلى أبنائى رؤى ومحمد ومنتهى.. إن هذا السفر الذى انتزعنى منكم، وأخذ جل وقتكم، وأدخلكم فى اختلاف وتناقض وصراع مع من حولكم، إنه فى مقبل الأيام سيكون موضع فخركم، ومصدر عزكم.. فترقبوا !!!

---

(1) هى آمنة محمد لطفى عبدالله. أمنا آمنة، هكذا ظل تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته ينادونها، ولا يزالون.

(2) مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، الخرطوم، 2011/7/14، الساعة 10:20.

(3) شوقى بدرى، "جـمهورى جـميل ..افتحـوا له الابواب كيفـما يشاء ..ورحـبوا به..". **موقع سـودانيزاون لاين Sudaneseonline**، المنبر العـام، استـرجاع (Retrieved) يوم 27 ديسـمبر 2004، الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com.

نــداءات

نداء أول :

إلى مثقفي السودان وأجيال المستقبل

نداء ثــان:

إلى المفكرين الإسلاميين في السودان وخارجه

نداء ثالث:

إلى شعوب السودان

نداء رابـع:

إلى تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

أحسن شهيد الفكر الظن بمثقفي السودان وهو يستحثهم للدفاع عن حقهم في الحياة، وفي التفكير، وفي الإرادة الحرة الطليقة، فوقفوا - أغلبهم ذاهلين -أمام بدع الجاهلية، وضلالات المهووسين وتقحم المتفيقهين.. وكل ذلك باسم الدين، والدين منهم براء!! ... إن شهيد الفكر سيبقى ضميراً مؤرقاً، ومصباحاً مسرجاً، في هذا الديجور الحالك الذي يعيش فيه أهل السودان؛ سيبقى في غرسه البشري الذي أورق، وفي نبته الفكري الذي اكتهل، وسيبقى في نفوس كثير من السودانيين كنموذج للرجل الذي تجافى مزالق السقوط، وما فتئ يحترم في الناس أغلى ما يملكون -عقولهم-. وسيبقى اسم محمود بعد كل هذا حياً في نفوس الذين لا ينامون على الهوان، بما سيثيرها فيهم من بغض للظلم وإدانة للعدوان واستنكار للهوس، وإنكار للغدر[1].

منصور خالد

(1) منصور خالد، **صحيفة القبس**، 19 يناير 1985، الكويت.

وللأستاذ محمود فى أعناقنا دينٌ مستحقٌ[1].

نجاة محمد على

نـداء أول:

إلى مثقفى السودان وأجيال المستقبل

إن هذا السفر هو دعوة لأنسنة الحياة فى العقل وعلى الأرض.. ولا تكتمل هذه الدعوة إلا بإجراء المراجعات الشجاعة للتاريخ وللإرث السياسى ولمجلد حقوق الإنسان على أرضنا.. وفى هذا، علينا بدءاً التنادى لتطهير أنفسنا وعقولنا وقلوبنا وسوحنا من حق الأستاذ محمود.. علينا أن نقشع الغمام، ونرفع صوتنا بالغناء عالياً مع الشاعر عالم عباس لنقول للأستاذ محمود:

أنتَ الأغلى، والأعلى، والأنبلْ

كنا ندرك أنك تفدى الوطنَ الأجمَلْ.

فلتكن القربانَ إذَنْ حتى يتطهَّرَ وجْهُ الأرضِ،

ويَنْخَسِئَ البُهْتَانْ! [2]

---

(1) نجاة محمد على، ضمن خيط: "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب "الرسالة الثانية"، من **سودانيزأونلاين**، المنبر العام، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 26 أكتوبر 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

(2) عالم عباس محمد نور، "السطور الأخيرة فى دفتر الحلاج الثانى"، (قصيدة إلى روح الشهيد محمود محمد طه، فبراير 1985)، **من شمس المشوق إلى قمر العاشق**، (ديوان شعر)، ط1، منشورات مدارك، 2007، ص 19-58.

نــداء ثـــان:

إلى المفكرين الإسلاميين وإلى المشتغلين بالفكر الإسلامى فى السودان وخارجه

انصفـوا الأستاذ مـحمـود بالصدق فى الخصـومة وبالأمـانة العلمية فى النـقد والنقل.. أعلنوا عن نظراتكم فى فكره ومشروعه بشجاعة وشرف.. أفصحوا عن تعاطيكم الخفى مع أفكاره.. لا تنسبوا أفكاره إليكم دون أن تعترفوا له بالفضل، وتُـثَبِّتُوا اسمه فى ثبت مصادر كتبكم ودراساتكم.. إن تفـعلوا هذا، ترفَّعُـوا مستـوى الجدل وترسِّخـوا شرف السـجال، وتضعوا حداً للتضليل والتغييب، فتدشنوا ثورة فى الفكر والثقافة.. حينها تكتمل أحقيتكم للأفكار وتستـقيم أعـمالكم، وتتفـتح عليكم الحلول للمسـتغلق من قـضايا الحيـاة والحرية فيتدفق الخير والسلام على الأرض..

نداء ثالـــث:

إلى شعوب السودان

انفلتوا من القطيع.. تحرروا من الأوصياء عليكم.. استردوا عقولكم، تستردوا ذاتيتكم.. انتزعـوا فردانيـتكم، واقبلوا عـلى الأستاذ مـحمـود، تدركوا أنه هو قـائدكم الحق بالحق.. انفـتحـوا عليه تجـدوا الفكر الصـافى والشعـور الصـادق، فتـتفـتح عليكم الآفـاق وترتقى حياتكم، فتعيشوا فى سلام مع أنفسكم ومع الآخرين..

نــداء رابـــع:

إلى تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

اكتبوا تجاربكم مع الأستاذ محمود.. وثِّقُوا ما رأيتـموه وما سمعتموه.. أكشفوا الأسرار وسِّلُوها، وأخرِجُوا جـواهر المعانى.. تضعوا حداً للتضليل.. إن الذين سـيقرؤونكم اليوم، هم بالفطرة جمهوريون!!

شکر وعرفان

ما دخلت مؤسسة علمية أو مركـزاً بحثياً أو مكتبة، وما طرقت باباً من الأبواب، وما أرسلت رسالة أو هاتفـت أحداً، وما طلبت إجـراء مقابلـة لأجل هذا الكتاب؛ إلا وتدافع الناس لتـقديم العون ومساعدتى. بل حـيثما ذَكَرتُ اسم الأستاذ محمود مـحمد طه، أثناء رحلة بحثى، وكنت شديـد الحرص على ذكـر اسمـه، اتبع الناس تدافعـهم بعبـارة يا سلام.. يا سـلام!! والحقـوها بعبـارات الاحتـرام، وبعض الناس بكى. فـأيقنت بأن هذا الكتاب جـاء فى أوانه. وأدركت بأن الجدار الضـخم، الذى بُنى بغيـر حق، لحجب مـشروع الأستـاذ محمـود عن شعـوب السودان والإسلام والعالم، فى طريقه إلى الهدم وبالحق، كما تأكدت من أننا نستقبل فجر عهدٍ جديدٍ.

الشكر أولاً للأستاذ عـصام عبدالرحـمن البوشى، مدير **جامعـة ود مدنى الأهلية**، مدينة ود مدنى، السـودان. لقد كان البوشى، وهو الذى رافق الأسـتاذ محمـود وشهد معـه الأحداث منذ منتصـف عقد السـتينيـات من القرن الماضى، فى رحلتـه معى أثناء تأليـفى لهذا الكتـاب، المفكر والعالم المربى الذى لم يغب عنه ورعه العلمى، ولم ينسَ لحظةً حسـه العدلى، ولم يفارقه الحياد المعرفى. فـقد كان شـديد الحرص على الحيـاد ومعيار العـدل والتزام المبدأ الأخـلاقى والأساس العلمى فى النقد ومعالجة القضايا، وتجاه حـقوق الآخرين. وكان يذكرنى بذلك، كلما قرأ فصلاً من الفصول، وكلما أوغلت فى معالجتى للقضـايا التى تناولها هذا الكتاب. ظل البوشى موجهاً لى ومرشـداً فى المنهج والأفكار واللغة والمعلومـات. بل حينما نشـرت الأفكار الأولية، نواة هذا الكتاب فى مقالات عامى 2010 و2011، كنت -وبغرض الإتقان والتدقيـق- حينما يحاصرنى وقت نشر المقـال، أهاتفه لأقـرأ عليه النص، وعلى الفـور يقول لى، برغم كثـرة مشـاغله وتعدد مسـؤولياته وظروفه الصحـية، Go Ahead (أمضِ قدماً). أقرأ عليـه المقال فى نحو 50 دقيقة أو

يزيد، فيصغى بصبر وتؤدة ثم يبدى ملاحظاته القيمة. أيضاً، كنت عندما أحضر للسودان فى عُطلاتى وزياراتى المتكررة خلال العام، أزوره فى منزله بمدينة ود مدنى والتقيه حينما يأتى للخرطوم. ولم يكن هناك غير الإكرام لى، والاحتفاء بى، وإقامة حلقات الحوار بشأن هذا الكتاب بمعية زوجته الأستاذة سلمى مجذوب محمد مجذوب وبناتهما الأستاذة وفاء والدكتورة صفاء والأستاذة ولاء والدكتورة رجاء، والحاضرين من الضيوف. وقد استفدت كثيراً من تلك الحوارات. وفوق ذلك فقد خصنى البوشى بوثائق قيمة ونادرة تضمنت مراسلات خاصة بينه وبين الأستاذ محمود، وبعض مذكرات الأستاذ محمود التى دونها أثناء فترة سجنه خلال الفترة من يونيو 1983 حتى ديسمبر 1984، وصور فوتوغرافية وأهدانى مواضيع لمشاريع مستقبلية. وعلاوة على كل هذا، فقد وشحنى البوشى بهذا التقديم قلادة الشرف والتاج على رأسى.

الشكر الجزيل لتلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته فى شتى بقاع الأرض. لقد كنت وهذا الكتاب، مصباً لعنايتهم ودعمهم، وموضعاً لاهتمامهم ومتابعتهم، فقد آزرونى وملأونى قوة وشجاعة وعزيمة، اجتزت بها صعاباً شتى، حتى استطعت إتمام هذا الكتاب. رفدونى بالوثائق والكتب، وزودونى بالمعلومات وإبداء الملاحظات، كما أجريت المقابلات مع بعضهم فأكرمونى بمساحات زمنية بلا سقوف. ففوق مقابلاتى العديدة معه، ظل الأستاذ عبد اللطيف عمر حسب الله -وهو الذى كان ملازماً للأستاذ محمود منذ يوم 1951/11/30- ظل يفيدنى ويجيب بتفصيل حينما أهاتفه مستفسراً أو سائلاً أو متحققاً من معلومة أو حدث. والشكر للدكتورة بتول مختار محمد طه، وللأستاذ إبراهيم يوسف فضل الله، على ما منحانى له من وقت فى المقابلات، وعلى متابعتهما المستمرة لهذا الكتاب. والشكر للأستاذ خالد الحاج عبد

المحمـود ففوق مقـابلاتى واتصالاتى المستـمرة معـه، ظل يعمل على تيسـير أمر حـصولى على المعلومات والوثائق. فقد قدمنى لأسرة الأسـتاذ سعيد الطيب شايب (1931 - 2002)، والأستاذ جلال الدين الهادى الطيب إدريس (1938 - 2002)، بمدينة ود مدنى، للاطلاع على ما تحتفظ به الأسرة من وثائق ومخطوطات. فالشكر لعميد الأسرة الأستاذ الفاضل الطيب شايب، وابنه الأخ مفيـد، والشكر كذلك إلى ابْنَيّ أُخْتَيّ الأستاذ جـلال الدين، الأخ عبد المجيد سليمـان الحِجزى، والأخ فتح الرحمن خلف الله قرشى. لقد أكرمتنى الأسـرة واحتفت بى أيما احتفاء، يكفى أنهم فتحوا لى مكتبة الأستاذ جلال الدين، التى لم تفتح منذ انتقاله عام 2002، لأحد سواى. وبالفعل استفدت فائدة عظيمة من المكتبة، فقد وجدت فيها وثائق ومخطوطات نادرة، وفى غاية الأهمية.

الشكر الكثيـر للأساتذة الذين أجريت معهـم مقابلات وظلوا يتابعون مـراحل هذا الكتاب: الأسـتاذ مـتوكل مـصطفى الحسـين (1958 - 2012)، والأستـاذ بشيـر بكار (1952 - 2012)، والأستـاذ أحمـد العجب، والأستـاذ الريح أبو إدريس، والأستـاذ عوض لطفى، والأسـتاذ على لطفى، والأستاذ عوض الكريم موسى، والأستـاذ بدرالدين يوسف دفع الله السيمت، والدكتور أحمد دالى بمعية زوجـته الأستاذة سمية محمـود محمد طه، والدكتور عمر القـراي بمعية زوجته الأستاذة عواطف عبد القـادر، والأستاذ أحمد محمد الحسن بمعية زوجتـه الأستاذة هدى عثمان سليمان القـبانى، والأستاذ الهادى نصر الدين فـضل الجليل، والأستاذة سميـة أمين صديق التى مدتنى بالكثيـر من المعلومات، والأستاذة ساميـة حجاز، والأستاذة إحسان الزبيـر والدكتور على أحمد إبراهيم، والأستاذ مـحرم عوض السيد حسن. هذا إلى جانب مقـابلات مع نحو خمسين من تلاميذ الأستـاذ محمود وتلميذاته، يصعب ذكـرهم جميعاً، وهم يستحـقون، فى هذا الحيز، ولكنى ثبت أسـماءهم كلهـا مع تاريخ المقابلة ووقـتهـا فى مواضعـها ضـمن النص، وفى ثبت المصادر والمراجع.

الشكر الوافى للأستاذة أسـماء محمود محـمد طه، مديرة **مركز الأستاذ محـمود محمد طه الثقافى** بأمدرمان، وأسرة المركـز. فبالإضافة لإتاحتـها الفرصة لى لتقديم مـحاضرات فى المركز متناولاً أجزاءً من مـوضوع هذا الكتاب، وعلاوة على اسـتجابتها الفـورية لطلباتى من أجل هذا الكتاب؛ فقـد فتحت لى أسماء عقلهـا وقلبها ودارها وأرشيف الوثائق والصور لأخـذ ما أشاء.

كما ظلت تتابع مراحل هذا الكتاب عن كثب، تجرى المهاتفات لتذلل لى الصعاب، ولتزيح عنى العقبات، وهى تنتظر يوم صدوره. والشكر للدكتور الباقر العفيف، **مدير مركز الخاتم عدلان للاستنارة والتنمية البشرية**، الخرطوم، ولأسرة المركز، فإلى جانب المقابلات التى أجريتها مع الباقر، فقد طلب منى أكثر من مرة، تقديم بعض محاور هذا الكتاب فى محاضرات بالمركز، كان آخرها محاضرة بعنوان: "فى نقد مصادر الدراسات السودانية: الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه وتلاميذه"، بتاريخ 18 يوليو 2012. والشكر للأستاذ عمر هوارى القائم على **موقع الفكرة الجمهورية** على الإنترنت Internet (الشبكة الدولية لتبادل المعلومات "International Network")، والأستاذة بثينة عمر على أحمد تروس وزوجها الأستاذ خالد المهدى، والدكتور ياسر الشريف، والدكتور عبد الله عثمان، الذين ظلوا يمدوننى بالمعلومات والوثائق والدعم المعنوى، وقد ظللت فى اتصال مستمر معهم أطلب منهم المعلومات والبيانات وأحقق بعضها معهم. وفوق ذلك فقد كانت الأستاذة بثينة تتابع عن قرب تفاصيل مراحل هذا الكتاب، وهى تبدى الملاحظات، وتدفع بالمعينات، وتقف على الصعاب وتسعى بهمة وجد لتذليلها. والشكر للأستاذ أسامة عثمان الفكى البيتى الذى أفادنى بملاحظاته، وللأستاذ محمد حامد شداد الذى كان له دور كبير فى المفاوضات والمفاضلات بين خيارات النشر لهذا الكتاب.

الشكر الكثير لأولئك الذين وصلتنى مداخلاتهم وتعليقاتهم وتشجيعهم، حينما تحدثت فى محاضرات وندوات عن بعض أطراف هذا الكتاب، أو عندما نشرت الأفكار الأولية، نواة الكتاب، فى سلسلة مقالات بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه والمثقفون"، (22 حلقة) فى يوم الخميس من كل أسبوع خلال الفترة من 26 أغسطس 2010 إلى 3 فبراير 2011 **بصحيفة الأحداث**، الخرطوم. الشكر لأسرة تحرير الصحيفة، وقد توقفت عن الصدور الآن. والشكر للدكتور النور حمد، فقد اشترك معى فى تقديم ندوة، كما أدار بعض المحاضرات التى قدمت فيها بعض الأفكار الأولية والخطوط العريضة لهذا الكتاب. كما أشكره على المقابلات التى أجريتها معه، وعلى قراءته لمسودة سلسلة المقالات، وإفادتى ببعض الملاحظات وقت نشرها. والشكر لأولئك الذين وصلتنى تعليقاتهم على سلسلة المقالات، وعبروا عن دعمهم لفكرة الكتاب ودفعوا بعونهم بطرق عديدة: الأستاذ على أبو كليوة، والدكتور أحمد مصطفى الحسين وزوجته الأستاذة علوية حسن، والدكتور مصطفى الجيلى، والأستاذة نزيهة محمد الحسن،

والبروفيسور ستيف هاورد، **بجامعة أوهايو** بأمريكا، والبروفيسور حيدر الصافى، والأستاذ بدر الدين عثمان موسى، والدكتور إسماعيل علم المهدى، والأستاذ عماد آدم، والأستاذ محمد مجذوب، والأستاذة أسماء مجذوب، والمهندس أبو بكر بشير، والدكتور الطيب النعيم، والأستاذ عز الدين صديق، والكابتن محمد عبدالباقى، والمهندس صديق دالى، والدكتور عبدالله عابدين، والدكتور عصام الدين الهادى، والأستاذ عبداللّه إيرنس، والكاتب الروائى محمد الحسن بكرى، والأستاذ محمد قسم الله عبد القادر، والأستاذ طارق الجزولى، رئيس تحرير **صحيفة سودانايل الإليكترونية**. إلى جانب آخرين غيرهم ممن لا يسع المجال لذكرهم. كما أشكر أولئك الذين أشاروا إلىّ بضرورة تحويل تلك المقالات إلى كتاب، وظلوا يدعمون الفكرة ويتابعونها. كان أول هؤلاء الدكتور عاصم حامد و الشاعر إلياس فتح الرحمن، صاحب **مدارك للنشر**، والأستاذة الجامعية الدكتورة أسماء محمد عبد الحليم، والأستاذ عادل الباز، رئيس تحرير صحيفتى **الأحداث والخرطوم** سابقاً، ورئيس تحرير صحيفة **الرأى العام** حالياً.

الشكر للأساتذة الذين تحمسوا لفكرة هذا الكتاب، وظلوا يدعمون خطواته، وقد منحنى بعضهم مساحات واسعة من الوقت لمقابلاتهم أو مهاتفتهم: البروفسير عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلى (1930 - 2011)، الذى كان قد قرأ مسودة سلسلة المقالات قبل انتقاله، وعلق بخط يده قائلاً: "الفكر لا يقتل.. الفكر لا يموت"، وغيرها مما سترد الإشارة إليه فى النص. والشكر للدكتور منصور خالد، والبروفيسور عبدالله على إبراهيم، والدكتور حيدر إبراهيم على، والبروفيسور عبد السلام نور الدين، والدكتور عثمان جعفر النصيرى الذى كان سريع الاستجابة لما أطلبه منه، والدكتور الشفيع خضر، والأستاذ كمال الجزولى، والبروفيسور أحمد أبو شوك الذى كثيراً ما كنت أهاتفه مستفسراً عن بعض الأمور، ولم أجد عنده سوى الترحيب والإجابة، والدكتور الوليد مادبو، والدكتورة ناهد محمد الحسن، والدكتور أحمد عثمان عمر والأستاذ السني دفع اللّه. لم يقف الأمر فى حدود المقابلات أو المهاتفات، فقد كان الدكتور حيدر يسأل عن ما ينقصنى من المصادر والمراجع، ثم يمدنى بالنادر منها. وظل البروفيسور عبدالسلام يلفت انتباهى إلى الدراسات المعيْنة ويناقش معى الأفكار ويبدى لى الملاحظات. أما البروفيسور عبدالله فقد فتح لى أبواب مكتبته الخاصة بمنزله بالخرطوم، فأخذت منها العديد من الكتب والوثائق، وظل يتابع مراحل إعداد وطباعة هذا الكتاب بشكل مستمر.

الشكر للذين قرأوا مسودة هذا الكتاب ورفدونى بملاحظاتهم وتعليقاتهم وتصويباتهم وهم: الأستاذ مجذوب محمد مجذوب وكنت قد أجريت معه مقابلة بمعية زوجته فاطمة عباس سليمان (1937 - 2011)، قبل أن يطلع على المسودة. والبروفيسور عبدالله النعيم، فقبل قراءته للمسودة، كنت قد تفاكرت معه بشأن بعض الأفكار ذات الصلة بهذا الكتاب. والشكر كذلك للأساتذة الذين كانوا يقرأون فصول هذا الكتاب أولاً بأول ويبدون الملاحظات والتصويبات: الدكتور الطيب حسن، والدكتور حيدر بدوى صادق، الذى ظل يتابع مراحل هذا الكتاب بشكل دقيق ومستمر، والدكتور محمد صادق جعفر الذى كان مع قراءته للمسودة وإبداء ملاحظاته، قد زودنى بالعديد من المصادر والمراجع، والأستاذ عماد عبداللطيف محمد عبدالهادى، فمع التصويبات، علق عماد تعليقات سترد الإشارة إليها لاحقاً. أما الأستاذ عيسى إبراهيم ففوق قراءته للمسودة، وإعادة القراءة لبعض فصولها، وصبره الجم على تدقيقها وتصحيحها، كان هو الناقد الأول لما أوردته من معلومات وبيانات وأفكار ولما قمت به من معالجات وتحليلات، وقد استفدت كثيراً من ملاحظاته وتعليقاته. كان عيسى إبراهيم -وهو من تلاميذ الأستاذ محمود- طيلة رحلتى معه فى هذا الكتاب، ناقداً لا يسمح لعاطفته أن تتقدم على عقله، فلا غرو فقد وصفه الأستاذ محمود بأنه: "ناقد حصيف". والشكر أجزله للأستاذ تاج السر حسن سيد أحمد الذى قام بتصميم وخط الغلاف. فبرغم كثرة مشاغله وضيق وقته لقد قدم تاج السر العمل فى غلاف هذا الكتاب على كل أولوياته احتراماً وإكباراً للأستاذ محمود محمد طه.

الشكر الخاص لأولئك الذين آنسونى بشدوهم، ورافقونى بعذوبة أصواتهم، فضخوا الجمال من حولى، وأثروا مناخاتى الداخلية، ولطّفوا رحلة سياحتى بين المصادر والمراجع، وعبّقوا فراغات محراب كتابتى، بالإنشاد العرفانى حيث "التقاء الفكر بالواقع ليظهره ويغنيه": إخلاص همد (1960/59 - 2002)، ومحاسن محمد خير، وعبدالكريم على موسى (كرومة)، وعبدالله فضل الله، والناجى محمد أحمد. فقد كتبت جل هذا الكتاب متدثراً بأصواتهم، ومستظلاً بأرواحهم.

الشكر والتقدير والإجلال لزوجتى الحبيبة هنادى إبراهيم أزرق، فقد كانت فوق مساعدتها لى ببعض أعمال الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية لأجل هذا الكتاب، وفوق قراءتها

لمسودة بعض الفصول، وإبدائها للملاحظات، فقد عملت هنادى على تهيئة المناخ لى، إذ تحملت وحدها أعباء المنزل كـاملة إلى جانب كل ما يتعلق بشؤون أبنائنا الثلاثة: رؤى ومـحمد ومنتهى، سواء الشؤون المنزلية أو الدراسـية أو الترفيهية، طيلة سنوات عـملى فى هذا الكتاب. كما أشكر أبنائى الثلاثة فقد كانوا يلتزمون الهدوء من أجل هذا الكتاب قبل أن أطلبه منهم.

والشكر إلى أسرة **دار الوثائق القومية**، الخرطوم، وأسرة **مكتبة السودان**، وأسرة **مكتبة كلية الدراسات العليـا بجامعـة الخرطوم**، وأسرة **دار الكتب والوثائق القومـية**، القاهرة، مـصر، على تعاونهم. والشكر الكثـير لأسرة **دار رؤية للنشـر والتوزيع** ولمديرها الأستـاذ رضا عوض، على تحملهم مسؤولية نشر هذا الكتاب وتوزيعه. إن **دار رؤية** تساهم بقدر عظيم فى الارتقاء بصناعة الكتاب، مع اهتـمام خاص بالكتاب السـودانى. فهى تسعى سـعياً حثـيثاً لبث ثقافـة الإتقان فى صناعـة الكتاب، وقـد لمست هذا من متـابعتى لإصـداراتهم وزياراتى لمكتـبة الدار فى القـاهرة. والشكر موصول إلى أشقائى نهلة ونهى وعبد الرحمن وأحمد وإلى الأخ حسن محمد الطيب، فقد ظلوا متابعين لهذا الكتاب، يساعدوننى فى جمع المصادر والكتب من الخرطوم وإرسالها لى فى الدوحة، كما شهدوا وتابعوا وتحملوا بعض الأذى الاجتماعى بسبب هذا الكتاب.

ختامـاً أقول: لقد سـاعدنى عدد كبـير من الناس فى هذا الكتاب، داخل السـودان وخارجه، وجميع هؤلاء يستحق الذكـر والثناء، فالشكر والتقدير والتبجيل والاجلال لهم جمـيعاً، خاصة من لم أذكر أسمـاءهم، على المساعدة والعون والدعم لهذا الكتـاب. فجميعهم سـاهم بقدر ما، وعلى نحو ما فـى انجاز هذا الكتاب، بيد أنى وحدى الـذى يتحمل المسؤولية كـاملة، عن كل ما ورد فى هذا الكتاب من أحـداث ووقائع وأخبار وأفكار وآراء ومـعلومات وتحليل. وليس هناك جهة أو جـماعة أو تنظيم أو مؤسـسة، مسؤولة عن أى طرف من أطراف هذا الكتـاب. فوحدى أتحمل المسؤوليـة كاملة عما ورد فيه، وعـما خلص إليه من خلاصات ونتـائج. ووحدى كذلك أتحمل المسؤولية كاملة عن كل ما قد يكون جاء فيه من أخطاء وهنَّات.

عبدالله الفكى البشير

تقديـــم

بقلم :
عصام عبدالرحمن البوشي
مدير جامعة ود مدنى الأهلية
السودان

الكتاب الذى بين أيدينا كتـاب عظيم وجليل وخطير.. وهو كتاب يقف بنا فى مـفترق الطرق، ويؤرخ لمرحلة جديـدة وفريدة فى كتابة وصـناعة التاريخ.. يقـول الأستاذ محـمود محمـد طه فى كتابه: **مشكلة الشرق الأوسط**: "إن العبرة البالغـة التى انفرجت عنها أذيال الحرب العالمية الثانية تجد تعبيرها فى الحـقيقة الكبرى وهى أن القافلة البشرية، فى كل صُقْع من أصقاع هذا الكوكب، قد اقتلعت خيـامها، وأخذت فى السير، وهى، فى كل خطوة من خطوات هذا السير، تصنع التـاريخ وتصنعه على هدى جديد، وبعد أن كـان التاريخ يمليه فى أغلب الأحيـان على تلاميذه ومسـجليه، الملوك، والسلاطين، وقواد الجـيوش، ودهاقن السياسة، وأرباب الثروة، وهم يتصرفون فى مصير الإنسان، أصبح يمليه عليهم الآن رجل الشارع العادى، المغمور، وهو يبحث عن كرامة الإنسان حيث وجد الإنسان".

ويجيئ -من حيث لا نحتسب، ومن الصفوف الخلفـية، ومن المتأخرين زماناً والمغمورين مكاناً، هذا الفتى الأديب المؤدب، المـفكر، الملهم، المقدام، والباحث الرصـين الدقيق، المدقق الصبور على وعثاء الكلمة ومـعاناة الكتابة ومسئوليتها- يجئ الأستـاذ عبدالله الفكى البشير الباحث عن كـرامة الإنسان، حـيث وجد الإنسان، ليـؤكد النظرة العمـيقة، التى ذهب إليـها الأستـاذ محمود مـحمد طه، من حـيث صناعة وكتـابة التاريخ، وهى نظرة ينبغى أن يوليـها المؤرخون والأكاديميون والباحثون والدارسون ما تستحقه من اهتمام واحتفاء.

إن الكتاب الذى بين أيـدينا هو صناعة للتاريخ وهو أيضـاً كتابة لـه. ولقد صنع المؤلف

التاريخ عبر كتابته التى سعت وعملت من أجل إخراج الأستاذ محمود محمد طه من سجون التشويه والتحامل والتجاهل والتغييب عن الذاكرة الجمعية، والعزل عن ميدان البحث العلمى والتضليل المنظم والمجمع عليه، مصادماً بذلك القديم وجحافل الأكاديميين المتقاعسين عن مسئولياتهم، والفقهاء الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على العقول، والسلفيين والطائفيين والمؤرخين المزورين، مُؤْثراً ومتجشماً تعب الشك ومشقة البحث، إذ أن الله أكرمه فحرمه من ذلك الكسل العقلى الذى قال عنه الدكتور طه حسين: "هذا الكسل العقلى الذى يحبب إلى الناس أن يأخذوا القديم تجنباً للبحث عن الجديد. ولكن الله لم يرزقنا هذا النوع من الكسل، فنحن نؤثر عليه تعب الشك ومشقة البحث". كذلك تجنب الكاتب، باستعماله للنقد الصارم، والتناول الحصيف والاستعمال الذكى لكل الوثائق والوقائع والحكايات، تجنب المزالق التى أشار إليها ابن خلدون حين قال: "كثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثّاً أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سردوها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلو"..

ولقد وصل الكاتب، من ثم، إلى "يقين تام بأن المستقبل فى صالح الأستاذ محمود محمد طه وتلاميذه ومشروعه.. وأن هناك مراجعات ضخمة ستتم لكل المجلدات فى

السودان مجلد حقوق الإنسان ، والتاريخ ...إلخ". وهو أيضاً "على يقين تام بأن يقظة الأمم تبدأ بتحرير أبطالها من سجون صحائف المؤرخين، ذلك من خلال النقد والتنقيب وإعادة النظر فى الكثير من المسلمات والنقد القوى والشجاع للافتراضات. فمع إعمال الحس النقدى وتجلى الشجاعة العقلية وترفيع مستوى السجال والحوار تبدأ مرحلة جديدة فى حياة كل أمة، ولعل السودان يعيش الآن فى هذه المرحلة".

لقد نجح المؤلف، مستعيناً بكل هذه الأدوات- التنقيب فى المصادر الأولية، وجمع وحشد الوثائق النادرة والمهملة مع استنطاقها، وإعادة النظر فى الكثير من المسلمات، ومناطحة ومصادمة قوى القديم والتخلف - نجح فى قرع الأجراس القدسية التى تبشر بميلاد فجر يقظة الأمة السودانية، ومن ورائها، بإذن الله الإنسانية جمعاء.

إن الكتابة عن تاريخ الأستاذ محمود جدل بين قطبى العسر واليسر، فالعسر مصدره ما أصاب ذلك التاريخ من تعتيم وتشويه وتزوير وإرهاب للمنصفين، وحجب للوثائق وتدميرها، وقمع للباحثين، وتأليب للمهرجين، وسوء استعمال لأجهزة الدولة القضائية والعدلية والإعلامية والدعوية. وقد كان على المؤلف أن يتخطى كل هذه الحواجز والعقبات فى صبر وتريث وأناة ليصل إلى اليسر الذى تهبه وتفيض به وتوفره حياة الأستاذ محمود محمد طه ومواقفه وأفكاره.. فالأستاذ محمود محمد طه نموذج متفرد تتطابق فيه أفكاره وأقواله وأعماله التى كونت حياته الذكية، الزكية، العطرة، الصميمة، المعطاءة..

وفى هذا المقام تحضرنى واقعة حدثت فى سبعينيات القرن العشرين، كنت حينها أعمل **بجامعة الخرطوم**، وكان يعمل معنا محمد على يوسف بشير، أخ الشاعر التجانى يوسف بشير. وفى عصر يوم من الأيام، اصطحبنى فى زيارة إلى الأستاذ محمود محمد طه بمنزله بالحارة الأولى بمدينة المهدية (الثورة) أمدرمان. ولقد احتفى الأستاذ محمود محمد طه بمحمد على يوسف بشير حفاوة كبيرة، وكأنه كان يرى فيه التجانى يوسف بشير. وعبر الأستاذ محمود عن تقديره العميق لعبقرية التجانى يوسف بشير وشعره. وذكر أن التجانى يكفيه بيتاه التاليان:

أنا إن مت فالتمسنى فى شعرى

تجدنـى مدثـراً برقاعهْ

فى يمينى يراع نابغة الفصحى

وكل أمرىء رهين يراعهْ

ثم أعقب قائلاً: إن هذين البيتين يجسدان ويعبران عن المثل السودانى الذى يقول: "سيـد الكلام أمسكوه من لـسانه وسيـد القلم أمسكوه من بـنانه". هذان البيـتان، وهذا المثل، مـحط إعجـاب الأسـتـاذ محمـود محـمد طه، تصـور كثـيراً من حـياته وتاريـخه الفكرى والسيـاسى والاجتماعى والنضـالى.. فكل ما سال، من قلمه الرشـيق الدقيق من مؤلفات وكـتابات، على بنانه، وكل ما جرى، من أحاديث ومـحاضرات وندوات، على لسانه، هى مظان التماس الأستـاذ محمود محمد طـه. وهنا مكمن اليسر للباحث الصادق المقتدر..

لقد تعرض تاريخ الأسـتاذ محمود محمـد طه للتزوير بآليات ووسائط كثيرة ومتنوعة وعديدة. وقد أسـهم فى ذلك، ضمن من أسهم، الأكاديميـا السودانية، والفقهـاء، والقضاة الشرعـيون، والأحزاب الطائفيـة والسلفية، ودوائر التخلف العـالمية، والمنظمات الإسـلامية والحكوميـة والدولية، والقـيادات السيـاسيـة التى وجلت وارتجفت من قـوة حجة الأسـتاذ محـمود مـحمـد طه وطرحـه للآراء والأفكار التى كشـفت ضعـفهـا وعجـزها وتزويرها للتـاريخ. ولقد رجع المؤلف لوثائق كـثيـرة ومتنوعة، يـرجع بعضهـا إلى ثلاثينيـات القرن الماضى عندما كان الأستاذ محمود طالباً **بكلية غردون**..

وإذا أخذنا الرسائل الجامعية والكتب مثلاً، نجد أن المؤلف قد رصد العديد منها واكتفى بدراسة اثنين وثلاثين من أطـروحات الدكتوراة والماجـستيـر وثمانية عـشر كتـاباً من كتب مؤرخى الحـركة الوطنية وكتب أخـرى. ويقف الكاتب عند مقاطعـة الأكاديميا السـودانية للأستاذ محـمود محمد طه ومشروعـه وتهميشه وعزله عن حركـة البحث العلمى وتجاهله وإغفال الإشـارات لكتبه ولأرائه حتى فى مسائل كـان له فيها سبق مـبكر وأصالة ورصانة مثل الفدرالية التى تناولها فى كتابه: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية**

ديمقراطية اشتراكية، الذى صدر عشية الاستقلال، ولو عمل به القوم، لتغيرت مسيرة تاريخ السودان المتحد.

ولقد نتج، عن هذه المقاطعة الشرسة، تغييب الأستاذ محمود محمد طه عن الذاكرة الجمعية وتضليل غمار الناس فيه مما أدى إلى تشويه مسيرته وتاريخه فى مُخَيِلَة العامة. أسهمت هذه المقاطعة فى تجميد حركة التغيير فى السودان، وذلك بتجميد حركة الوعى، بعدم إظهار الحقيقة ونشرها، مما يشكل نكوصاً وتراجعاً وتقاعساً وعدم إلتزام برسالة الأكاديميا الأساسية، ألا وهى إظهار الحقيقة ونشرها. وقد نتج عن ذلك تراكم الغبن والإحساس بالظلم مما أدى إلى تشظى وتفتيت البلاد.. والمؤلف يرى "أن مقدمات التشظى على الأرض تبدأ فى العقول عبر تغييبها وتشويهها وتضليلها فى معرفة الحقيقة ودراسة التاريخ".

ومن هنا يصل الأمر بالمؤلف إلى نتيجة خطيرة ستؤرق مضاجع الأكاديميا السودانية، وترقى إلى حد الطعن فيها وفى لجانها ومبادئها. ويرى المؤلف نفسه محقاً فى الدعوة إلى إجراء المراجعات الشاملة لإرث الأكاديميا السودانية ولنظمها ولمسارها الراهن وفى المستقبل. كما يتساءل أيضاً عن تماهى الأكاديميا مع الفقهاء، وعن استجابتهم لثقافة القطيع، وعن حالة الخوف التى انتابت أكثرهم وأقعدتهم عن مواجهة سلطة المجتمع والسلطة الدينية.

ولعل المؤلف أراد أن يخفف من حدة وحرارة نقده للأكاديميا السودانية فيلتمس بعضاً من العذر لها فى مواقفها من إهمال وتغييب الأستاذ محمود محمد طه عن الذاكرة الجمعية والأبحاث والدراسة الأكاديمية والمؤتمرات العلمية، يلتمس لها العذر فى ضعف التدريب الأكاديمى وعدم إعمال الحس النقدى الناتج من التعليم الاستعمارى الذى كان يهدف إلى تخريج الكتبة والفنيين وليس صناعة قادة المستقبل. ويحار المؤلف ويندهش إلى حد بعيد، من الإجماع على هذا التجاهل غير المتفق عليه وغير المكتوب.

إن المسائل والمواضيع التى كان للأستاذ محمود محمد طه فيها سبق مبكر وأصالة ورصانة وريادة، كموضوع الفدرالية الذى أشرنا إليه، كثيرة ومتنوعة وعديدة. وكذلك فإن

المواقف التى وقفها يصعب تجاوزها دون الوقوف عندها وتأملها ودراستها والتعليق عليها ومواجهتها ورفضها أو مساندتها وقبولها. فهناك رأى الأستاذ محمود فيما يتعلق بقضية المرأة بكل أبعادها الإنسانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية.. فالأستاذ محمود محمد طه حين يتحدث عن المساواة بين الرجال والنساء إنما يصحح فهماً خاطئاً، خطأً أساسياً، فهو يرى: "أن المساواة، بين الرجال والنساء، ليست مساواة الميزان والمسطرة وإنما هى مساواة القيمة، ومعنى ذلك أن المرأة، فى نفسها، كإنسان، وفى المجتمع كمواطنة، ذات قيمة مساوية لقيمة الرجل، فى نفسه، كإنسان، وفى المجتمع كمواطن، وهذه المساواة تقوم وإن وقع الاختلاف فى الخصائص، النفسية، والعضوية، فى بيئة الرجال والنساء، وهى تقوم، وإن اختلفت الوظيفة الاجتماعية، وميدان الخدمة للمجتمع، الذى يتحرك فيه الرجال والنساء" (راجع كتاب **تطوير شريعة الأحوال الشخصية** للأستاذ محمود محمد طه).

وهنا يحدد الأستاذ محمود محمد طه هذه النظرة التقييمية الجديدة التى إذا شاعت وطبقت، "فإن الإنسان سيكون سيد الآلة، وليس خادمها، وستكون المرأة المنتجة فى القمة، هى المرأة التى تنجب الأطفال، وتُعنى بهم، كماً، وكيفاً، وستكون هى أولى بالتكريم من العلماء، والفنيين الذين يعملون فى إنتاج الطائرات والصواريخ. وهى، من ثم، تستحق من المجتمع المكافأة الأدبية، والمادية التى بها تتحقق، وتتوكد، كرامتها".

وقد سعى الأستاذ محمود محمد طه لتطوير المرأة بأن وفر لها فرص الترقى والتطور وذلك واضح فى حركة الأخت الجمهورية فى الشارع، وفى التربية التى تعهد بها الأخوات الجمهوريات، فحملن الفهم الجديد للإسلام فى الأماكن العامة والطرقات والأسواق والجامعات بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الدعوات الدينية أو الفكرية. واستند الأستاذ محمود فى هذا العمل على تطوير التشريع الإسلامى من مستوى آيات الفروع، التى انبنى عليها التشريع المرحلى، إلى مستوى آيات الأصول، التى سينبنى عليها التشريع للمجتمع المعاصر. وأذكر فى هذا المقام تلك الزيارة للأستاذ محمود محمد طه برفقة الشاعر محمد المهدى مجذوب والشاعرة د. سلمى الخضرا الجيوسى (كانت حينها أستاذة **بجامعة الخرطوم**) التى أبدت كبير وكثير إعجابها بحركة الأخوات الجمهوريات، كما

أبدت ارتياحها لفكرة تطوير التشريع من المستوى المدنى إلى المستوى المكى، وقالت إن هذه الفكرة "مريحة للغاية". هذا هو ما رأته د. سلمى الجيوسى الضيفة على السودان، والإعجاب الذى أبدته. ولكن هذه الظاهرة، ظاهرة المرأة الجمهورية تخرج للشارع داعية لتطوير التشريع وممارسة له، بعلم وبثبات وشجاعة، تجاهلها وأهملها حتى الذين كتبوا عن الحركة النسوية السودانية ونشأتها وتياراتها.

ثم هناك حركة الطلاب الجمهوريين المتمثلة فى أركان النقاش والتى انبثقت من **جامعة الخرطوم** فى منتصف ستينيات القرن الماضى، ثم انطلقت منها إلى باقى الجامعات. وقد أسست أركان النقاش، هذه، للحوار الفكرى الرصين وافترعت الضوابط والسلوكيات الرفيعة للسجال الفكرى الذى يتسم برحابة الصدر الذى لا يضيق بالرأى الآخر، وحلاوة الشمائل التى تجعل المحاور يألف ويؤلف من الذين يعارضونه الرأى، وهى بعض سمات المفكر والمبشر العصرى الذى يسهم فى إحداث الثورة الفكرية والثقافية التى يدعو ويبشر بها الأستاذ محمود محمد طه. ورغماً عن ذلك أهمل الأكاديميون والمؤرخون هذه الظاهرة ولم يتأملوها أو يقفوا عندها.

أيضاً وقف المؤلف عند جامعة الخرطوم كنموذج لدراسة موقف الأكاديميا السودانية من مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها. وقد جاء اختياره لجامعة الخرطوم لعراقتها، باعتبارها أول الجامعات السودانية، ولأنها رائدة الدراسات الأكاديمية المنظمة فى السودان، ثم أنها، كما أسلفت، كانت أكثر المؤسسات شهوداً لأفكار الأستاذ محمود محمد طه ومشروعه، وأنها منذ نشأتها لم تأخذ بأية هوية دينية مما أكسبها الحيدة فى رسالتها وتقديم خدماتها البحثية والتنويرية. ولقد ساق المؤلف نموذج طالب الماجستير الذى واجهه الممتحن الخارجى والممتحن الداخلى اللذان أبديا اختلافهما وعدم اتفاقهما مع آراء ومواقف الأستاذ محمود محمد طه واعترضا، من ثم، على الرسالة لأسباب غير أكاديمية وغير مهنية. كذلك اعترضا على إهداء الرسالة للأستاذ محمود محمد طه. وبتوصية من المشرف المتعاطف مع الطالب، تم حذف الأجزاء المعترض عليها، للأسباب الخاطئة، واستبدالها بأجزاء أخرى، ومن ثم منح الطالب درجة الماجستير. كل هذه الأمور تؤكد، بصورة جلية ودامغة، السعى الحثيث والمنظم لإغفال وتغييب الأستاذ محمود محمد طه عن ساحة الباحثين وطلاب الدراسات العليا الجامعية.

وحتى تكتمل الصورة لهذا الإغفال وهذا السعى لتغييب الأستاذ محمود محمد طه، يواصل المؤلف بدراسة نماذج من كتب مؤرخى الحركة الوطنية، ومن بينها مذكرات معاصرى الأستاذ محمود محمد طه باعتبارها مصدراً تاريخياً مهماً، وكذلك دراسة بعض الإصدارات الأكاديمية فى العلوم السياسية والفكر الإسلامى وغيرها من المجالات التى كان للأستاذ محمود محمد طه فيها رأى تليد وعتيد وجديد. كذلك تعرض المؤلف للمعاجم والتراجم وموسوعات الأعلام.

استخلص المؤلف من دراسته لتلك المذكرات خلاصات تؤكد وتدعم رأيه فى السعى الحثيث لتغييب الأستاذ محمود محمد طه، ولحجبه عن الناس، وعن ذاكرتهم الجمعية. فقد خلت تلك المذكرات من الإشارة إليه، وإلى سجنه ونضاله ضد المستعمر، كما أغفلت ذكر نشأة **الحزب الجمهورى**، ولم ترد أية إشارة لمحكمة الردة، رغماً عن أن من بين كتاب المذكرات وزيراً للعدل ورئيساً للوزراء ونائباً لرئيس الوزراء. ويجد المؤلف بعضاً من العزاء فى إجابة المؤرخ محمد سعيد القدال على السؤال الذى طرحه حين درس أحد عشر كتاباً من التراجم الذاتية (درس مؤلفنا منها سبعة). يتساءل القدال: "ما هى قيمة تلك الكتب كمصدر للتاريخ؟"

ويورد القدال ضمن إجابته ما يلى: "إن قيمة غالبية هذه الكتب كمصدر للتاريخ ضعيف، وبعضها لا قيمة له". ولكن، من المؤسف حقاً، أن كثيراً من الباحثين والدارسين والمؤرخين قد اعتمدوا عليها كمصادر فى كتاباتهم رغم هذا الضعف وعدم القيمة التى تتمتع بها كما ذكر القدال.

وإذا جئنا إلى التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام، فالأمر لا يختلف كثيراً هنا. فالصورة العامة هى الاتجاه للتغييب والإهمال. وحيث تم ذكرٌ للأستاذ محمود محمد طه صحبته أخطاء بينة استند عليها باحثون ودارسون فى تأييد ودعم موقفهم المعادى للأستاذ محمود محمد طه. ويتساءل المؤلف لماذا كل هذا السعى لإغفال وتغييب الأستاذ محمود محمد طه عن الذاكرة الجمعية، ويرى أن ذلك يعود للحسد عند طلائع المتعلمين للأستاذ محمود محمد طه لقدراته الفكرية الفذة، ونظراته السياسية الثاقبة وقوته فى مواجهة القوى

الاستعمارية والقوى التقليدية فى المجتمع. كذلك فإن جميع مؤلفى هذه المذكرات كانوا على صلة بالطائفية وقد كان الأستاذ محمود محمد طه قوياً ومصادماً فى مواجهتها باعتبارها قوى متخلفة تعوق حركة التطور فى المجتمع وتجمد حركة الوعى والتغيير. يضاف إلى ذلك نقد الأستاذ محمود محمد طه لموقف طلائع المتعلمين من الاستعمار وسذاجة تعاطيهم مع الأحداث وضعف جهودهم وقلة حيلتهم وضحالة فكرهم وفشلهم فى رسم صورة للمسار المستقبلى للسودان.

لقد أغفلت الأكاديميا السودانية أيضاً دور الأستاذ محمود محمد طه فى الحركة الوطنية، بل كان هناك تعمد للتشويه لهذا الدور عند تناوله. ويبرز هذا بصورة حاسمة فى تناول الأكاديميا لدور الأستاذ فى ثورة رفاعة (الخفاض الفرعونى) وفى تأييده السلبى لثورة مايو. وقد ساق المؤلف الوثائق عن ثورة رفاعة واستنطقها بصورة جلت حقيقتها ووضعتها فى مكان الريادة فى مواجهة ومصادمة الاستعمار بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ السودان. أما موضوع تأييد مايو فقد أطره المؤلف تأطيراً يبين ظروفه وأسبابه وتبريراته ويكشف غرض المنتقدين وعدم حيادهم بصورة واضحة.

وعندما تعرض المؤلف للسودان فى مشروع الأستاذ محمود محمد طه، تناول معالجته لقضايا التنوع الثقافى والحضارى والهوية والفدرالية، كما تناول دعوته إلى الخروج من الجامعة العربية، وسعيه لبناء سلطة المثقف عبر الدفاع عن الديمقراطية. وقد كشف فى بحثه هنا عن وثائق تنشر لأول مرة رغم المعوقات التى واجهها فى سبيل جمعها، وكل المحاولات التى جرت لحجبها. وهنا لابد من الوقوف عند موقف "دار الوثائق السودانية" من **صحيفة الجمهورية** التى أصدرها **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود محمد طه فى الخمسينيات. وقد يُصْعَق القارئ إذا علم أنها غير موجودة أو يُزعَم أنها غير موجودة، رغم أن باحثين وموثقين كباراً ذكروا أنهم رجعوا إليها فى دار الوثائق!!.

فى حقيقة الأمر، لقد عالج الكتاب، الذى بين أيدينا، مجالات شتى ومواضيع مختلفة ومتنوعة ومسائل وقضايا ستُحدث هزة داوية فى حقل ومجال دراسة تاريخ ومواقف ونضال وحياة الأستاذ محمود محمد طه الذى عاش واستشهد، كما يقول عوض الكريم موسى، على:

" صلابة المداومهْ

على بسالة المقاومهْ

بلا مساومهْ".

أيضاً عـالج الكتاب مؤامرات الشـؤون الدينية، و**المعهد العلمى، والجامعة الإسـلامية، والأزهر، ورابطة العالم الإسلامى**، وجماعات الهوس الدينى المحلـية والإقليمية، والموقف من جمال عـبدالناصر ودعوة القوميـة العربية، والخطابات التى أرسلت إليه (وبعضـها كان مجـهولاً حتـى الآن). كما عـالج الكتاب محـكمة الردة الأولى (1968) والثانـية (1985) والتى أدت إلى منصـة الإعـدام التى منها تسنـم الأستـاذ محـمـود محـمد طه ذروة المجـد والتاريخ المشـرِّف النظيف محقـقاً فرديتـه التى انماز بها عن أفراد القطيع وافـتتح بها عـهد الإنسانية، فكان كما قيل:

"الصقر يعلو وَحْدَهُ متسنمـاً أعلى القمـمْ

متفـرداً عـن سِربـهِ وتلوذ بالسرب الرخمْ".

إن هذا الكتاب ذو طبـيعة مـوسوعيـة غطت ما أهمله المؤرخون، عـمداً أو سهـواً، وما أخفـاه أو تخطاه الأكاديميون والبـاحثون جهـلاً أو خوفاً أو حسـداً. وهو بذلك حرِىٌ بأن يكون "المرجع" (المعرف بالألف واللام) لكل من يود الكتابة عن الأستاذ محمود محمد طه منذ اليوم.

إن هذا الكتاب كبير، حساً ومـعنى، وخطير، حالاً ومآلاً. وخطورته تشفع لكبره. يقول كاليماكوس: (Mega biblion mega kakon) وهـى عـين مـا قالـه لسنـج (A big book is a big evil) ويمكن أن تترجم هذه العبارات "كتاب كبيـر شر مستطير". ولكن كما يقولون لكل قاعدة شـواذ. فهنا، فيما يخص كتـابنا، نقول ونحن مطمئنون وواثقون: "كتـاب كبير خير وفير" أو قل:"كتاب عظيم خير عميم" .فـهنا كتاب عظيم وجليل وكبير مستقبله دائماً أمامـه. إن هذا الكتاب المرجـعى قد جـاء على قدر وميقات، ومن ثم، يرجى لـه أن يشعل ثورة فكرية تسهم فى إحـداث الثورة الثقافيـة التى تحدث عنها الأستـاذ محمود مـحمد طه

وبشر بها فى كتابه **الثورة الثقافية** الذى جاء فيه: "هذا كتاب عن الثورة الثقافية، نخرجه للناس ، ونستهدف به إحداث التغيير الجذرى فى حياة الأفراد والجماعات ، وذلك عن طريق إعادة التعليم - إعادة تعليم المتعلمين، وغير المتعلمين. والتغيير الجذرى الذى نعنيه هو تغيير لم يسبق له مثيل، منذ بدء النشأة البشرية. هو تغيير تدخل به البشرية المعاصرة مرتبة الإنسانية. وتلك مرتبة يتطلب دخولها قفزة أكبر من تلك التى حدثت لدى دخول الحيوان مرتبة البشرية. وسيحدث ذلك بفضل الله ثم بفضل الفكر الصافى".

إن كتابنا هذا يقتفى أثر كتاب **الثورة الثقافية** الذى استهدف إحداث التغيير الجذرى عن طريق إعادة التعليم فيعيد تعليم الناس جميعاً، جمهوريين وغير جمهوريين، فيما يخص سيرة الأستاذ محمود محمد طه فيقدمه لهم، ولأول مرة، مُسْتَلاً من غِمْده، فيعيد ويجدد رؤيتنا وفهمنا ومعرفتنا له.

لقد خرج الأستاذ محمود محمد طه من خلوته، برفاعة، عام 1951، بمشروعه الجديد "الفهم الجديد للإسلام"، وظل يعيشه ويبشر به وينشره حتى دخل "الخلوة الكبرى" التى أعقبت تنفيذ الإعدام عام 1985. ويخرج الأستاذ محمود محمد طه من خلوته الثانية هذه بهذا السفر العظيم، الذى يجسد مواقفه الصامدة الخالدة وحياته الملهمة. وكما جزم الشاعر محمد عبدالحى "أن الشعراء لا يموتون" يحق لنا أن نجزم "أن العارفين لا يموتون" وإنما هم مقيمون وعائدون وسيجيئون فى قلوب وعقول وشمائل وأعمال ومؤلفات وكتابات وإضافات "الذين يحيون ويعيشون أفكارهم ويهتدون بسيرتهم ، ويتأسون بشمائلهم، ويظهرون كمالاتهم للناس(وكاتبنا بفضل الله عليه منهم). وقد يطيب هنا أن نورد هذا الاقتباس من كتاب الأستاذ محمود محمد طه: **الإسلام وإنسانية القرن العشرين**، الذى يتحدث فيه عن مشروعه الفكرى والثقافى وكيفية تحقيقه:

"الرسالة الثانية من الإسلام" هى مراد الدين بالأصالة، إن "الرسالة الأولى" قد كانت المراد بالحوالة. ورسول الرسالتين "محمد". راجعوا كتابنا بهذا الاسم: "الرسالة الثانية من الإسلام".

لقد جاء محمد فى العهد المكى بنبوة أحمدية ورسالة أحمدية، فدعا إلى الإسلام، فلم

يستجب له، وذلك لحكم الوقت المتمثل يومئذ فى قصور المجتمع، فأمر بالهجرة، وجاء عهد المدينة، وسحبت "الرسالة الأحمدية"، فاستبدلت "بالرسالة المحمدية" فأصبح محمد ذا "نبوة أحمدية" و "رسالة محمدية" فدعا إلى الإيمان، فاستجيب له. وسيجىء محمد "بنبوة أحمدية" و"رسالة أحمدية" فيدعو إلى "الإسلام" ، كما دعا أول أمره فى العهد المكى، وسيستجاب له، هذه المرة، وذلك لحكم الوقت المتمثل اليوم فى نضج المجتمع، واستوائه، وطاقته الفكرية، والمادية.

وستسأل وكيف يجيئ محمد بنبوة أحمدية ورسالة أحمدية وأجيب بأنه يجىء فى قلوب، وعقول، وشمائل الذين يحيون سنته، ويسيرون سيرته، ويظهرون كمالات أخلاقه للناس، بعد طول العهد وانقطاع الإرشاد. **الإسلام وإنسانية القرن العشرين،** يوليو 1973.

كما جاء فى الإنجيل: "الذى يأتى بعدى يأخذ مقامه قدامى"
"He who comes after me, takes rank before me"

ولقد جاء عبدالله الفكى البشير بعد الكثيرين من السابقين والنابهين. ولكن فضل الله عليه اصطفاه دونهم ليختلى بالأستاذ محمود محمد طه خلوة فكرية وروحية عميقة لا يعين على اجتياز مفازاتها واستكشاف خباياها والصبر على أسرارها واحتمال كنوزها إلا من أعانه الله بقرآن الفجر "إن قرآن الفجر كان مشهوداً". لقد صبر عبدالله الفكى البشير على دقائق الحقائق والوثائق الدفينة والمحجوبة، فاحتلبها واستنطقها، ووسع الله صدره فاتسع وصبر على قراءة الآخرين، الذين يخالفونه الرأى، والذين أسرفوا وأسفُّوا فى حق الأستاذ محمود محمد طه، والذين عجز سلفه عن احتمالهم، فخرج منوراً ومضيئاً بأكثر مما دخل، واحلولت شمائله ففتحت له الأبواب الموصدة ورُتِّج الخزانات المغلقة. فولد على يديه هذا الكتاب المدهش والمرجع الذى سيكون له ما بعده، والذى يشكل برزخاً بين عهدين فى كتابة وصناعة التاريخ، عهد أفل وعهد أشرق بهذا الكتاب.

وبصدور هذا الكتاب تبدأ مسيرة جديدة وراشدة ابتدأها المؤلف، وأسهم بها فى إخراج الأستاذ محمود محمد طه من خلوة الإعدام، التى كان هم وظن مدبريها ومنفذيها أنها

ستقضى على هذا المشروع الإسلامى العظيم بالقضاء على الأستاذ محمود محمد طه، الذى جسد هذا المشروع فى اللحم والدم، ولكن هيهات، فإن مستقبل هذا المشروع الإسلامى العظيم أمامه وإن كفر به هؤلاء، فإن الله قد وكل به قوماً ليسوا به بكافرين.

لقد زين الأستاذ عبدالله الفكى البشير صدرى بإصراره على تقديمى لهذا الكتاب. ولست بالغفلة التى تجعلنى أحسب نفسى أفضل من يقدم هذا الكتاب المرجع. ولكن كما يقول أهلنا "كريم أدى غشيم" وكفى..

لقد تم، بتأليف وصدور هذا الكتاب، تدشين مؤلفه الأستاذ عبدالله الفكى البشير مؤرخاً ومعلماً ومفكراً وثائراً ثقافياً تتألق على صدره قلادة وعقد "الثائر الثقافى"، اللتين أزانه بهما الأستاذ محمود محمد طه الثائر الثقافى الأول. فهنيئاً له وهنيئاً لنا.

عصام عبدالرحمن البوشي

ود مدنى، السودان

14 **أبريل** 2013

قصتي مع هذا الكتاب

*لابد أن تجمع بين المؤرخ وموضوعه صداقة، وإلا فكيف للمؤرخ أن يفهم؟ فحسب عبارة القديس أوغسطين الرائعة: "لا يمكننا معرفة أى أحد **إلا** عبر الصداقة". إن تصوراً من هذا النوع بالتأكيد لا يلغى روح النقد... **فالروح** النقدية والتعاطف ليسا متناقضين بالضرورة، ولكن لا نستطيع القول بأنه **يمكننا** دائماً التوفيق أو الجمع بين هاتين الفضيلتين، أو تساويهما فى ذهن كل باحث/ دارس. بيد أن توصيف التاريخ هو ثمرة لجهد جماعى، فإفراط البعض يُقوِّم تقصير البعض الآخر(1) .*

هنرى مارو (1904 - 1977)

---

(1) Henri I. Marrou, *the Meaning of History*, translation by Robert J. Olsen, Helicon Press Inc, Dublin/Baltimore, 1966, pp 104-105.

فى الأصل نشر الكتاب باللغة الفرنسية، تحت العنوان التالى: Originally published in French (under the title)

De la connaissancehistorique, by Edition du Seuil, Paris, 1959, 4th edition, revised.

لقد وقفت على الكتاب المترجم إلى اللغة الإنجليزية ولم أقف على الأصل باللغة الفرنسية. لهذا فإن ترجمتى **للنص** أعلاه، كانت من الإنجليزية إلى العربية. أدناه النص كما جاء فى الترجمة الإنجليزية للكتاب:

Between the historian and his object a friendship must be formed, or how else can the historian understand? According to St. Augustine's splendid formula, "we cannot know anyone except through friendship"...A conception of this kind certainly does not eliminate the critical spirit. The critical spirit and sympathy are not inherently contradictory. But we cannot say that these virtues can always be easily reconciled or combined, or that they are both equally represented in the mind of every scholar. However, the elaboration of history is the fruit of collective effort: the excesses of the one somehow correct the deficiencies of the other.

تتمحور قصتى مع هذا الكتاب فى إجابتى على أربعة أسئلة هى: هل التقيت فى حياتى بالأستاذ محمـود محمد طه؟ ومتى سمعت به وبتلاميذه، الإخـوان الجمهوريين، أول مرة؟ وما الذى سمعته؟ ثم كيف جاءت ونمت فكرة هذا الكتاب؟

لم التق الأستاذ محمود محمد طه حسياً فى حياتى. فعندما تم تنفيذ حكم الإعدام عليه فى صبيحـة يوم الجمـعة 18 يناير عام 1985 بساحـة سجن كـوبر بالخرطوم بحـرى بمدينة الخرطوم، كنت تلميذاً بالمرحلة المتوسطة (الإعدادية)، أقيم بمعية والدىَّ بقرية كريعات. تقع قـرية كريعـات على بعـد نحو مـائة وثلاثين كـيلومتـراً شرق الخـرطوم. كنت قـبل قصـة الاغتـيال، قد سمـعت بأذن الطفولة، مثل الكـثيرين غيـرى، سمعـوا أينما وجد مسـجد أو زاوية أو مـصلى فى كل بقـاع السودان، سيـلاً من الروايات والقصـص تدور كلها حـول رفض الأستاذ محمود وتلاميذه، وتصب فى النيل منهم، وتنادى بضرورة عزلهم اجتماعياً، وتعـبر عـن خروجـهم عن الملة، وتؤكـد ردتهم عن الإسـلام. كـانت القصـص عبـارة عن أساطير وخرافـات كأنها قادمة من جوف التـاريخ، من شاكلتها، مجرد مـثال فهى أقبح من أن تُروى: "سـمعـتم بالخبـر، إن جمـهورى من تـلاميـذ الأستـاذ محـمود يريد أن يتـزوج شقيـقته"... وهكذا. كانت روايات وقصـصاً لا تنقصها السـذاجة فى النسج، والافراط فى الخيـال المنفتح لحـد الاطلاق على الجـهل والماضى. صـممت لاستهـداف البسطـاء، كانت تخاطب العواطف مع إهمال تام لعقول ووعى سامعـيها. لم أصدق قصة واحدة منها، ولم تتسـرب جملة واحدة منهـا إلى عقلى أو قلبى، وأنا طفل، لم يـبلغ العاشرة من عـمره. بل

كنت مع كل رواية وقصة أسمعها عن الأستاذ محمود وتلاميذه، أشعر بأن ثقتى تتضاعف فى الأستاذ محمود وتلاميذه، وأن الشك ينمو ويتسع فى داخلى تجاه الراوى والرواية، ويزداد احتقارى للرواية ولراويها مهما بلغ من العمر والعلم والمكانة، غير أنى لم أعلن عن ذلك. ظللت أستمع إلى تلك القصص والروايات بتكرار وكثافة حتى عبرت المرحلة الثانوية بمدينتى رفاعة وتندلتى، ووصلت **جامعة الخرطوم** طالباً **بكلية الآداب** فى عام 1990.

لم يكن هناك، من الجهة الأخرى، ما يوازن أو يقابل سماعى لتلك القصص والروايات العدائية تجاه الأستاذ محمود وتلاميذه، أو ما يدعم شكى فيها، أو يعزز موقفى الداخلى منها، إلا أمران. الأمر الأول هو أننى كنت، وأنا طفل، أرى بعض كتب الأستاذ محمود عند أحد أجدادى، اسمه محمد الطيب على فضل الله (1930 - 1993). كان الجد محمد الطيب رجلاً متفرداً بحق فى كل شىء. كان من حكماء القرية والمنطقة وموضع ثقتهم، ومن أصحاب الفضائل والورع، كما ظلت سيرته حتى اليوم، مضرب المثل فى الصدق والأمانة. كان له متجر ومجلس فى القرية. كنت أقضى بعض الوقت جالساً فى مجلسه الذى كان يؤمه الضيوف والأقرباء وبعض أهل القرية. كنت أراه يضع بعض كتب الأستاذ محمود إلى جواره، يقرأ حيناً فيها، ويضعها إلى جنبه حيناً آخر. كنت كثيراً ما أسمع فى مجلسه تعليقات عن تلك الكتب من بعض الحضور، قائلين له: ما هذه الكتب؟ ألا تزال تحتفظ بهذه الكتب؟ ثم يطلبون منه التخلص منها. كان يرد عليهم قائلاً: ما الذى ضايقكم من هذه الكتب؟ هل جاءتكم أم جئتم إليها؟ هل قالت لكم شيئاً؟ هل طلبت منكم طعاماً أو شراباً؟ أنتم الذين أتيتم إليها، شوفوا ليكم شغلة غيرها [انشغلوا بغيرها]. الأمر الثانى الذى كان يقابل تلك القصص والروايات هو أننى رأيت بعين الطفولة، لأول مرة ثلاثة من تلاميذ الأستاذ محمود. الأول هو عوض محمد مصطفى فقيدة، وهو غير مقيم فى القرية وكان يزورها من وقت لآخر بحكم صلته الرحمية بأهل القرية. كنت بحكم صلتى الرحمية به أراه عن قرب، أشاهده وهو يقوم بأعمال إنسانية عظيمة. فقد كان يعمل ممرضاً، فمجرد وصوله القرية، وغالباً ما كان يحمل بعض العلاجات فى شنطة صغيرة، كان يبدأ فى تفقد أحوال المرضى، يطايبهم ويعالج من يحتاج منهم للعلاج. وفى الفترة المسائية كان موعد الحوار والجدل فى مجلس الجد محمد الطيب على فضل الله، أو غيره من المجالس التى

يتجمع فيها الأهل. يبدأ الحوار فيصب الحضور الأسئلة والاستفسارات والاتهامات على عوض. وكان عوض يرد عليهم ويحاورهم بمهل واحترام وسعة. الشخص الثانى هو من القرية أيضاً، واسمه فتح الرحمن عبد القادر، كان معروفاً فى القرية وله صيت بأنه جمهورى ومن النوابغ، فهو أحد أوائل **الشهادة الثانوية السودانية**، رأيته مرتين فى حياتى، ولكن المرتين خلفتا الكثير فى ذاكرتى. والشخص الثالث هو الهادى حمد أبوكليوة رسخت صورته فى ذاكرتى، وهو من قرية الطندب، التى تقع شرق قرية كريعات وعلى بعد نحو عشر كيلو مترات منها، حينما كان يعمل مديراً **لمدرسة كريعات الابتدائية المختلطة**.

كنت أنظر لهؤلاء الثلاثة بإعجاب صامت، وكنت أكن لهم احتراماً خاصاً. لم يقل لى أحد منهم شيئاً عن الأستاذ محمود، ولم تتح لى الفرصة أن أسأل أو أقول لأحدهم شيئاً، غير أنى كنت أفرح بحضورهم وأسعد حينما أراهم. كانت صور هؤلاء الثلاثة، ومشهد كتب الأستاذ محمود لدى الجد محمد الطيب على فضل الله، هو كل ما لقيته إيجابياً نحو الأستاذ محمود، منذ طفولتى وحتى وصولى طالباً **بجامعة الخرطوم**.

عندما وصلت جامعة الخرطوم طالباً بكلية الآداب، كنت أحمل فى داخلى كماً هائلاً من الشكوك فى تلك القصص والروايات التى سمعتها منذ الطفولة، وكنت لا أزال أسمعها عن الأستاذ محمود وتلاميذه. كنت رافضاً لفكرة أن ينوب عنى أحد فى التقويم والاقتناع بما قاله الأستاذ محمود، لهذا لم أصدق ناقداً للأستاذ محمود، ولم تقنعنى أحاديث الوعاظ على كثرتها وتكرارها، ولم تؤثر فىَّ أى خطبة لفقيه أو إمام مسجد، ولم أقتنع بأىِّ نص كتب فى نقد الأستاذ محمود، فكأنى كنت على موعد للتحقق من صحة ما قيل وما كتب من نقد وما سمعته من تلك الروايات والقصص عن الأستاذ محمود وتلاميذه. ففوق ما سمعته فى طفولتى، بدأت خلال فترة دراستى الجامعية فى البحث عن قصص المثقفين ورواياتهم عن الأستاذ محمود وتلاميذه. غير أنى ذهلت حينما وصلت الجامعة، ذلك لأننى لم أسمع شيئاً فى قاعات الدراسة عن الأستاذ محمود وتلاميذه، ولم أجد أثراً لفكر الأستاذ محمود فى المناقشات الفكرية للأساتذة أو إشارة له فى كتبهم أو محاضراتهم، ولم أسمع بالأستاذ محمود وتلاميذه فى مساجلات الطلاب. ما الذى حدث؟ **فجامعة الخرطوم** التى وصلتها طالباً، كانت تعرف جيداً

الأستاذ محمود، فقد بلغها خبره وبلغ كل أركانها وقاعاتها وميادينها وشجرها، عبر أركان النقاش والمناظرات التى كان يقيمها تلاميذه، كما أن طرح الأستاذ محمود الفكرى هز السودان والعالم الإسلامى، وقصة تنفيذ الاعدام عليه لم تمض عليها خمسة أعوام، فأين كل هذا؟ هل نسيت **جامعة الخرطوم** كل هذا الإرث الضخم؟ فجأة كأنما حدث انقطاع تام، فهل تبخر كل شيء؟ ما الذى جرى؟ اهتزت ثقتى **بجامعة الخرطوم**. ثم زادت حيرتى ونمت الشكوك فى داخلى، وأشتد الحاح التساؤلات الفكرية، وأصبح أمر النسيان والانقطاع معطيين جديدين وإضافيين لما كنت أسمعه من خرافات وأساطير منذ طفولتى. فعزمت على القراءة والبحث.

بدأت أثناء فترة دراستى الجامعية فى قراءات أولية عن سيرة الأستاذ محمود ومشروعه، فتجمعت عندى بعض المعلومات والقليل من قصص المثقفين ومواقفهم من الأستاذ محمود. وقبل تخرجى فى الجامعة، ظهرت معالم رغبتى فى المواجهة بشأن الأستاذ محمود. ففى منتصف التسعينيات من القرن الماضى، كنت قد التقيت بمعية صديقين، (سيرد تفصيل اللقاء لاحقاً فى متن الكتاب)، بالأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد (1942 - 2004) صاحب كتاب: **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، لأول مرة بفندق قصر الصداقة فى الخرطوم. فى ذلك اللقاء قلت للأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد: من يقرأ كتابك: **العالمية الإسلامية الثانية**، يرى الأستاذ محمود بين سطوره، ويشتم رائحة مشروعه بين صفحاته. كان ذلك اللقاء هو أول لقاء أذكر فيه اسم الأستاذ محمود وأتحدث عنه أو عن مشروعه. لقد أرخ ذلك اللقاء لبداية مواجهة باكرة، جعلتنى أدرك بأننى بحاجة لمزيد من القراءة، كما أدركت بأننى أقرأ فى مشروع الأستاذ محمود بغرض المعرفة والإجابة عن تساؤلاتى الداخلية إلى جانب الرغبة القوية فى نقد تلك الروايات والقصص التى سمعتها منذ الطفولة، ونقد مواقف وروايات المثقفين والمستنيرين عن الأستاذ محمود، خاصة مواقف المفكرين الإسلاميين، لا سيما محمد أبو القاسم حاج حمد. تطور تأملى فى اللقاء بحاج حمد وتطورت قراءاتى، حتى خصصت لحاج حمد فصلاً فى هذا الكتاب، هو الفصل السابع عشر. ولا يعدو الفصل أن يكون مدخلاً ومقاربة أولية تمهد لدراسات مستقبلية، أقوم بها أو يقوم بها غيرى، عن مدى

استفادة الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد من الأستاذ محمود، ولماذا صمت حاج حمد عن الإشارة للأستاذ محمود فى مصادره؟

بعد لقائى الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد ومع النصف الثانى من تسعينيات القرن الماضى تطورت فى داخلى فكرة البحث والتقصى والتنقيب عن سيرة الأستاذ محمود ومشروعه فى مصادره الأساسية: كتبه ومقالاته وبياناته وندواته... إلخ وفى مصادر الدراسات السودانية **بدار الوثائق القومية** السودانية. كما نمت فى داخلى أيضاً، فكرة التأسى بالأستاذ محمود، قبل الوعى بمشروعه والاطلاع على كل كتبه. ففى يوم 6 مارس عام 1996 سافرت إلى مدينة الدوحة بدولة قطر بحثاً عن فرصة عمل، ومن هناك أرسلت رسالة إلى زميلتى "هنادى إبراهيم" التى سافرت بدورها للعمل بمعيه أسرتها إلى المملكة العربية السعودية، بعد أن تخرجت فى **كلية الآداب بجامعة الخرطوم**، وكنا قد اتفقنا على الزواج، أرسلت لها رسالة وحدثتها عن مشروع الأستاذ محمود، وعن كتابه: **خطوة نحو الزواج فى الإسلام**، وعن ضرورة أن يكون الزواج فرصة للمساهمة فى غربلة المفاهيم الخاطئة فى المجتمع، وحدثتها عن قصة الزواج بجنيه واحد عند الأستاذ محمود. فأرسلت لى هنادى رسالة وأرفقت لى معها مبلغ واحد ريال سعودى. فأرخ ذلك الريال لمعانى كبيرة عندى تجاه هنادى. بعدها تزوجنا وظل الريال السعودى محفوظاً ضمن مقتنياتنا الخاصة حتى تاريخ هذا اليوم.

لم التق ولم أر تلميذاً من تلاميذ الأستاذ محمود منذ أن كحلتُ بعيون الطفولة أولئك الثلاثة: عوض، وفتح الرحمن والهادى، إلا فى مدينة الدوحة بدولة قطر. لقد احتضنت مدينة الدوحة عدداً كبيراً من تلاميذ الأستاذ محمود. فقد بلغنى أن أول من جاء إلى مدينة الدوحة مقيماً من تلاميذ الأستاذ محمود فى نهاية ستينيات القرن الماضى هو هاشم شكاك. كما بلغنى أن الأستاذ محمود كان يراسل هاشم شكاك وهو فى الدوحة، وقد نقل أحمد مصطفى الشايب، الذى جاء للدوحة مقيماً وظل حتى مجيئ، بعضاً من تلك الرسائل. أثناء فترة إقامتى فى الدوحة، ولا أزال مقيماً فيها، التقيت ولأول مرة فى عام 1997 ببعض تلاميذ الأستاذ محمود، وهم: حيدر بدوى صادق وزوجته أسماء مجذوب وأبناؤهما،

وعبـدالرحمن محمـد الحسن وزوجته أسـماء الدروبى، وعبـدالله عابدين وزوجته عـائشة على وبناتهما، وأحمد محمد سليمان (أحـمد جون)، وأحمد مصطفى الشايب وعبدالغنى كرم الله. فـى تلك الفترة سـمعت ولأول مـرة صوت الأسـتاذ محـمود من خـلال أشرطة الكاسيت، فكان حـدثاً عظيماً، تزامنت معـه فرصة تأمل كبيـرة مع توسع فى قراءاتى عنه. مـثّل منزل حيـدر بدوى صادق الملتـقى شبـه اليـومى لهذه المجـموعـة، وكانت تجـمع بيننا حوارات عديدة ومتنوعة وطويلة. أهدانى حيدر مجمـوعة من كتب الأستاذ محمود ونحو أربعـين شريطاً من أشـرطة الكاسيت التى كـانت تتـضمن مـحاضـرات الأسـتـاذ محـمود وأحاديثه مـسجلة بصوته. كان منزل حـيدر أول ساحة تشـهد حواراتى مع تلاميـذ الأستاذ محمود وتلميذاته، وأول مكان يشهد تعرفى عليهم وبناء علاقات معهم.

منذ ذلك الوقت ظللت فى قراءات مستمرة فى مشـروع الأستاذ محمود، وفى حالة جمع للمادة، وبحث دائم فى **دار الوثائق القومية** فى الخرطوم، وفى **مكتبة السودان** والمكتبات فى الخـرطوم، كلما جئت فى إجـازاتى للسـودان. ثم شهـدت سنوات العـقد الأول من القـرن الحالى، تطوراً جـديداً وتوسعاً كبـيراً فى علاقتى بتـلاميذ الأستاذ مـحمود. ففى بدايـة العقد زارنى فى منزلى كل من: أحمد دالى والنور حمد وإسمـاعيل علم المهدى، أثناء زيارة قصيرة لهم لمدينة الدوحـة، قبل أن يأتى دالى والنور، مـقيمـين فى الدوحة. زارنى الثـلاثة فى منزلى وكانوا بمعية أبو بكر القاضى المقيم فى الدوحة. بعـد ذلك شهدت الدوحة قدوم بعض تلاميذ الأسـتـاذ محمود ليـقيموا فـيها من أجل العـمل. جاءوا فى تواريخ مخـتلفة ومتداخلة، كـما تفاوتت فـترات إقامـتهم. بعضـهم أقام فى الدوحة لمدى شـهور والبعض الآخـر ظل مقيـماً لسنوات. تزامنت مع إقـامتهم فى الدوحـة، زيارات متفـرقة لبعض آخـر من تلاميذ الأسـتاذ محـمود. كنت أشعر بأن كل الذين جـاءوا إلى الدوحة سواء مـقيمين أو زائرين من تلامـيذ الأسـتـاذ محـمـود، هم ضـيـوفى وممن ظللت أبحث عنهـم، وما جـاءوا إلا لأمـر يخـصنى ولاستنهاض أمر آت. فقد جاء للإقامة فى الدوحة أحمـد دالى وزوجته سمية محمود محمد طه، وبنتاهمـا آمنة وفاطمة، ثم جـاءت آمنة محمد لطفى عـبدالله (أمنا آمنة)، زوجة الأسـتاذ محمود، وبنتها أسماء محمود محمد طه، ولحق بهما النور حمد زوج أسماء محمود وبنتهما آمنة وابنهـما مـحـمود. ثم وصل الـدوحة أحـمد المصطـفى الحسـين وزوجـته علوية حـسن

وأبناؤهما وبنتهما مريم، وفائز عبدالرحمن عبدالمجيد وزوجته أسماء محمد الحسن، وعبدالله عثمان وزوجته نزيهة محمد الحسن، ولطفى علىٰ لطفى وزوجته وفاء همد وأبناؤهما، وبدر الدين عثمان موسى وزوجته إلهام بابكر فضل وبناتهما، ومحمود أمين صديق. كما قدم إلى الدوحة عادل الطيب وزوجته رجاء أحمد عمر وأبناؤهما، وخالد محمد الحسن وزوجته سعدية عزالدين على مالك وبنتاهما، وصديقة الجمهوريين أسماء عبد الحليم. وفى عام 2005 جاء مصطفى عبدالرحيم ولحقت به زوجته نبوية محمد أحمد وأبناؤهما، وجاء الغالى صديق والنذير رمضان وزوجته ماريا عبدالله الطيب، وإيمان عوض محمد مصطفى فقيدة ولحق بها زوجها عصمت العبيد النور وشقيقها خالد. ثم جاء مؤخراً أسامة عثمان الفكى البيتى وزوجته تيسير عبدالله النعيم وأبناؤهما، وبعدهم صديق دالى وزوجته ليلى محمد الحسن ومحمد عبدالباقى وزوجته سعاد سليمان فعصام الدين الهادى.

كان فى الدوحة قبل وأثناء مجيء أولئك أبو بكر القاضى وزوجته المرحومة شادية عبدالرحيم كمبال وأبناؤهما، وعبدالرحمن أبو شيبة وزوجته سعاد أبو كساوى، ومأمون (عبدالرحمن) أحمد إبراهيم وزوجته فدوى بابكر وبناتهما وابنهما، وعبد المحمود الخضر وزوجته مها ميرغنى وأبناؤهما، وعبدالحميد الشبلى وزوجته أسماء على سيد أحمد، وأمين أحمد إبراهيم وزوجته مواهب سراج الدين، وصلاح الدين أحمد إبراهيم. ومصطفى عوض عبدالفراج وزوجته سهام أحمد وأبناؤهما، ومبارك يس وزوجته زينب البشير آدم وأبناؤهما. ولم يبقَ من مجموعة عام 1997 فى الدوحة سوى عبدالله عابدين وأسرته، وعبدالغنى كرم الله الذى لحقت به زوجته رحاب عثمان مصطفى.

ظلت هذه المجموعة تلتقى فى جلسات شبه راتبة، كل جلسة فى منزل أحدهم وكانت الجلسات أكثر نشاطاً خلال الفترة ما بين عام 2003 - 2008. كانت الجلسات متعددة فى فقراتها، كان فيها الإنشاد العرفانى والحوارات والموضوعات المتنوعة. كان مجيء أى زائر من تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته إلى الدوحة فرصة لإقامة الجلسات المتتابعة والمتتالية. هيأت لى تلك الجلسات واللقاءات منذ عام 1997 المناخ العام للتأمل والتفكير والقراءة فى مشروع الأستاذ محمود وسيرته، واتاحت لى فرصة الحوارات والمناقشات وتلاقح الرؤى

وامتحان الأفكار، كما قدمت لى الإجابات لبعض الأسئلة. فإلى جانب تلك الجلسات فقد ضمتنى لقاءات واسعة وخاصة مع أحمد دالى والنور حمد وأسماء وسمية محمود محمد طه، كما جلست جلسات طويلة مع إبراهيم يوسف فضل الله الذى جاء للدوحة زائراً. وفى يقينى أن كل تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته الذين جاءوا إلى الدوحة سواء مقيمين أو زائرين، ما جاءوا إلا من أجلى ومن أجل هذا الكتاب.

كانت البداية الفعلية لجمع المادة من أجل هذا الكتاب فى عام 1997، والبداية العملية فى الكتابة فى العام 2009. ويمكننى القول أنه لم يحدثنى أحد عن الأستاذ محمود محمد طه، مثلما حدثتنى **دار الوثائق القومية** بالخرطوم. لقد توجهت إلى **دار الوثائق القومية** فى الخرطوم، وأنا فى حالة شك فى كل ما كتب وقيل عن الأستاذ محمود فى السودان وخارجه. فالذين كتبوا عن الأستاذ محمود ونقدوه من الفقهاء والقضاة الشرعيين والسلفيين لم يكونوا أمينين فى نقدهم، ولم يكونوا من أصحاب الورع العلمى والالتزام بالأسس العلمية فى كتاباتهم. لهذا ليس هناك فى كتاباتهم ما يعتد به. فكتبهم كانت بالنسبة لى تشبه تلك الروايات التى سمعتها فى طفولتى، إن لم تكن هى نفس الروايات والقصص. أما الذين يحترمون الأستاذ محمود من تلاميذه وتلميذاته فإن معارضيهم لم يتركوا لهم وقتاً، ولم يعطوهم فرصة ليحدثونا عن الأستاذ محمود، سوى كتابات قليلة جداً. لقد بدأ مؤخراً بعض تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته الكتابة والتبليغ عن معيتهم ومرافقتهم له من خلال كتابة مذكراتهم.

كشفت لى **دار الوثائق القومية** فى الخرطوم عن صورة للأستاذ محمود لم أجدها فى المراجع الأكاديمية ولم أعهدها فى الكتب وفيما سمعته وفيما كُتب عنه من مقالات وأوراق. وجدت حضوراً مدهشاً للأستاذ محمود فى مختلف قضايا السودان وشؤونه ووجدته قد نشر عدداً ضخماً من البيانات والمناشير والآراء فى مقالات فى الدوريات مع حرص مدهش على التوثيق لكل ما يكتب ويقول، بل وتذكير القارئ بكتاباته السابقة بالتواريخ ومكان النشر. وأدركت بأن المنشور من ما هو متداول بين الناس لا يمثل إلا جزءاً يسيراً مما كتبه الأستاذ محمود عن السودان. كما كشفت لى **دار الوثائق القومية** عن

مدى حرص الأستاذ محمود على استخدام أدوات المثقف وسبل الحداثة: كتابة ونشر المقال، والبيان والمنشور والكتاب وتنظيم المحاضرة وعقد الندوة والمناظرة، وبعث الرسائل لرؤساء الدول والمنظمات العالمية والإقليمية، ومراسلة الكتاب والمفكرين... إلخ. فأدركت بأن الناس فى السودان والعالم لم يعرفوا الأستاذ محمود، بل إن الناس حينما يتحدثون عن الأستاذ محمود مدحاً أو قدحاً فإنهم يتحدثون عن شخص متوهم ومتصور وليس بأى حال من الأحوال هو الأستاذ محمود. كما أدركت بأن ما سمعته من قصص وروايات فى طفولتى عن الأستاذ محمود وتلاميذه كانت تعبر تماماً عن أزمة الأخلاق ومستوى السجال السياسى والجدل الفكرى فى القرن الماضى، وحتى اليوم. بدأت البحث والتنقيب عن كتابات الأستاذ محمود منذ عام 1935، حيث نشر لأول مرة فى **مجلة كلية غردون** وهو طالب فى **كلية غردون**، وتتبعت كتاباته حتى وقفت على مئات المقالات والبيانات التى لم ترد الإشارة إليها من قبل حتى فى كتب الإخوان الجمهوريين أو فى أى مصدر آخر.

فى عام 2009 بدأت الكتابة عن موضوع الأستاذ محمود. كنت مشغولاً بأن قضية الأستاذ محمود قد بدأت مع معاصريه من طلائع المتعلمين، ومن ثم الأكاديميين والمؤرخين الذين تماهوا مع مواقف الفقهاء والقضاة الشرعيين. لهذا عندما رأيت نشر أولى مقالاتى عن الأستاذ محمود، وسمتها بـ: "الأستاذ محمود محمد طه والمثقفون". ونُشرت، كما وردت الإشارة، كسلسلة خلال الفترة من 26 أغسطس 2010 إلى 3 فبراير 2011. مثلت هذه المقالات نواة الكتاب وكانت بمثابة الأفكار الأولية والخطوط العريضة له. كان التأمل والأفكار فى توسع وتطور مستمر، تبلورت بعض الأفكار أثناء بحثى وبعضها الآخر أثناء كتابتى للمقالات. لم أدرك أن الكتابة عن الأستاذ محمود، والتأمل والتفكير فى سيرته ومشروعه، سواء بصوت منخفض أو مرتفع، محرمٌ اجتماعياً ومحاربٌ حرباً شعواء حتى وقفت على ذلك ولمسته بنفسى.

ففى أثناء كتابتى لسلسلة المقالات تلك، وبعد أن أعلنت فى آخر حلقاتها عن عزمى تأليف هذا الكتاب، واجهت عدداً كبيراً من الناس الذين سعوا إلى تثبيط همتى ودعونى إلى إلغاء فكرة تأليف الكتاب، وسعى البعض إلى وقف نشر سلسلة المقالات. تبع ذلك

وأثناء تأليفى للكتاب الكثير من الأذى الاجتماعى، غير أنى واجهت كل تلك المحاولات بعناد وشدة مراس وإصرار لا يعرف التراجع أو المساومة. والحق أن اصرارى وعزيمتى وهمتى من أجل هذا الكتاب، ومن قبل فى سلسلة المقالات، كانت كل يوم فى تجدد ومنعة وتصفح وكأنى أسير وفق برنامج تدريبى وإعداد خاص. ففى منتصف عام 2011 هاتفنى مجذوب محمد مجذوب، وهو فى مقام الوالد، ومن الذين رافقوا الأستاذ محمود منذ ستينيات القرن الماضى، وطلب منى أن أكتب تصديراً لمذكراته بالاشتراك مع النور حمد، الموسومة بـ: **بعض أوراق جمهورى، السودان: بلد، وشعب وفكرة**، تحت الطبع حالياً. كتب النور "تصديراً أول" وكتبت أنا "تصديراً ثانياً". كتبت فى ختام تصديرى لكتاب الوالد مجذوب مستدعياً طلبه منى أن أكتب تصديراً لكتابه، قائلاً إنى:

ذُهلت ودُهشت؛ كيف يمكن لشخص مثلى أن يكتب تصديراً لكتاب هو حصاد سنين وناتج تجربة مستحصدة لرجل آزر الأستاذ محمود وناصره، بصدق وعلم، فى وقت لم يكن فى الساحة سوى الأعداء والمتربصين بالأستاذ محمود وبمشروعه من ضحايا الجهل ومتعجلى النتائج. وكيف لى أن أكتب تصديراً لهذا الكتاب، وفى يقينى، أن هذا الكتاب هو سيرة طاهرة وعطرة ومشرقة لرجل هو صاحب تجربة عريضة وصادقة؟ ولكنى بعد أن أفقت من الدهشة والذهول، أدركت بأن الوالد مجذوب منحنى هذا الشرف، لا لشىء سوى ليأخذ بيدى، ويدفع بى نحو التعمق والترقى والبقاء فى فكر الأستاذ محمود ومعارفه. فطلبه منى كتابة تصدير للكتاب يمثل فى حد ذاته، جرعة تربوية، ورحلة تسليكية، ودروساً كبيرة، خرجت منها بمعانى ودلالات جليلة وعظيمة. أما الكتاب فقد طاف بى، وقادنى إلى مجاهل فكرية وعرفانية عميقة، كما أكد لى أشياء، كانت تشغلنى، وعمق عندى معانى، كانت غائبة، وفوق كل ذلك فقد جَددتُ به وثيقة عهدى مع الأستاذ محمود. وهنا المغزى والحكمة.

أتاح لى التصدير الذى شرفنى بكتابته الوالد مجذوب لمذكراته، فرصة القراءة لمذكراته والتأمل فيها، كما أوحت لى بالكثير والكثير من المعانى والدلالات. وبالفعل

كانت قـراءتى لمذكرات الوالد مجـذوب بمثابة رحلة تفكر نحو سـتين عقـداً من الزمان، وكانت كذلك جرعة تربـوية كبيرة وسهماً عظيماً فى إعـدادى وتدريبى للتأمل فى سيرة الأستاذ محمود ومشروعه.

بالمقابل ومنذ أن نشـرت سلسلة مقالاتى عن "الأسـتاذ محمود مـحمد طه والمثـقفون"، وصلنى كم هائل مـن الرسائل والمهـاتفـات من القـراء والكتـاب فى السـودان وخارجـه. وكانت كلها رسائل تعبر عن الاعـجاب بتناولى والدهشة لما قرأوه، وتحضنى على مواصلة الكتابة. من نماذج ما وصلنى، (ومـا وصلنى كان كثيراً) من ذلك تعليق المؤرخ عثـمان سيد أحمـد إسماعـيل البيلى، بعـد أن قرأ سلسلة مقـالاتى، فعلق قـائلاً: "أرجو أن تستـمر فى الكتابة، فمقالاتك هذه عن الأستاذ محمود ستعين الكثيرين على الاعتذار". وأضاف قائلاً: "الأستاذ محمود هو الرجل الذى ظلم فى السودان.. الأستاذ محمود ظلم.. فقد كان رجلاً ديمقـراطياً بحق". كمـا تحدث البيلى فـى ندوة بمدينة الدوحة عقـدتها **الجمـعية السـودانية للثقافة والبيئة بمركز أصدقاء البيئة**، فى مساء يوم الجمعة 14 نوفمبر 2011، قائلاً: "من يقرأ هذه الأيام كتابـات النور حمد وعبدالله الفـكى البشير، يدرك بأن هناك مـدرسة جديدة فى الكتابة قد بدأت فى السودان، وأن أستاذ هذه المدرسة هو الأستاذ محمود محمد طه".

وفى يوم 19 سبتمبر 2010 عبر لى، من خلال الهاتف، أحد أساتذة اللغة العربية والتربية الإسلامية فى إحدى المدارس الثانوية بأمدرمان بالسودان، قائلاً:

يا عبدالـله والله أنت بتعمل فى عمل كـبير جداً.. أنت تعـرف نحن بالفعل كنا مضللين فـى الأستاذ مـحمود.. نحن كنا لا نسـتطيع ذكر اسمـه فى منزلنا وفى مجـالسنا مجـرد ذكر اسـمه.. لأن الأسـتاذ مـحمـود عندنا كافـر ومرتد وغـير مرغوب فيـه تماماً.. الأمر عندى الآن بعد مقالاتك هذه مـختلف تماماً.. يا أخى والله أنت نورتنا بهـذه المقالات تنويراً عظيـماً بهـذا الرجل العظيم.. يا أخى أنا متابع وكذلك أسرتى ومن حولى مـن الزملاء والأصدقاء هذه المقالات بصورة ثابتة كل يوم خمـيس ولا نحتمل غيابـها.. أقرأ المقال ولا تفوتنى فـيه كلمة وأنا مستمـتع من بداية المقال إلى نهايته... تعرف كـان عندنا أستاذ لما كنا طلاب فى

دار العلوم وكـان الأستاذ بدرسنا نـقد.. قال لينا المـقال الذى تقرأه وتنـتهى ولا يرسخ شيء منه فى ذاكرتك مـقال غير جيـد.. المقال المتميـز هو الذى يبقى منه شيء فى الذاكرة.. الشـاهد أنه بعد الفراغ من قراءة مـقالاتك، نكون أنا وابنتى نحفظ الكثير من أجزاء مقالاتك.. يا أخى أنا ما كنت أعرف أن الأستاذ محمود بهذه الـعظمة والقـوة.. لكن الآن عرفت أنو الأسـتاذ مـحمود شـيء آخر شيء مختلف.. شيء عظيم..

وفى يوم 9 أكتوبر عام 2010 وصلتنى رسالة من أحد المتابعـين لسلسلة مقالاتى، كتب لى فى رسالته قائلاً:

الأستاذ عبدالله البشير

... ظللت اطلع على كتـابات الأستاذ مـحمود منذ المرحلة الثـانوية، وكان ذلك فى بداية تسعينات القرن الماضى، وشدتـنى إليه الجرأة وقوة المنطق وبعد الفكرة وأكثـر ما استوقـفتنى فى كتـبه الرسالة الثانيـة، وظنى انها سنام عمله. مـا ذكره الأسـتاذ فى الرسـالة الثانـية ظلت جـميع الأحـزاب والاتجـاهات، علمانيـيهـا وإسلاميـيها وإسلامويـيهـا، تدور حوله إلا أنها لا تستـطيع أن تقول ذات القول وبذات الجرأة والمنطق ... 25 سنة مرت الآن على رحيل شهيد الفكر ولا يوجد من يقول إن الإسـلام بصورته الحالية لا يصـلح لإنسان القرن العشـرين ... وما زال يحكمنا أدنانا فهماً وعقلاً وأخلاقاً.

كما وصلتنى رسالة من أحد الأساتذة، حيث كتب لى قائلاً:

الأستاذ عبد الله البشير

سعيد أن أكتب لك اليوم، وهذه أول مرة أراسلك فـيها... قرأت مقالك، وكان المقال السابع، أرجـو شاكراً التكرم بإرسال المقالات السـابقة فى نفس الموضوع ...تجـدنى من قبـيلة اليسـار السـودانى، وليس العربى، حـتى لا يخـتلط عليك الأمر، وتجدنى من الموقرين لفكر الأستاذ مـحمود محمد طه، وهو رجل ذو باع

فى حقله بلا شك، وأسهم إسهاماً كبيراً فى عودة الوعى إلى كثيرين وفى إزالة جزء من الصورة الشائهة للدين عند آخرين ... وعندى، أن الأستاذ فاق وقته بألف سنة، سيجتهد المسلمون كثيراً ليتأكدوا يوماً أن الأستاذ اتفق مع الديموقراطية والاشتراكية وحقوق المرأة وإصلاح الدين من منظور عقلى.

وفى يوم 18 ديسمبر 2010، جدد أستاذ اللغة العربية والتربية الإسلامية فى إحدى المدارس الثانوية بأمدرمان بالسودان، حديثه لى قائلاً:

يا أستاذ عبدالله أنت تكتب عن روح وليس عن جسد.. الأستاذ محمود روح وليس جسداً.. وضح لى جلياً أن هذا الأستاذ محمود روح روح روح وليس جسداً.. لامقارنة بينه وبين كل القادة الذين نعرف أو الذين حدثنا عنهم التاريخ.. لا مقارنة على الاطلاق.. يا أخى النصوص التى أوردتها للأستاذ محمود فى مقالاتك وأنا لم أقرأ غيرها فى حياتى.. نصوص غير عادية فهى لا تشبه كتابة الكتاب.. إنها نصوص ذات طعم ومعنى مختلف وخاص.. وكل كلمة فى تلك النصوص كتبت لتكون فى محلها تماماً ومحسوبة بعناية فائقة لتعطى المعنى المطلوب دون زيادة أو نقصان.. دى كتابة ليس فيها انشغال إلا بالإنسانية والشأن العام، لا طمع لا دنيا لا ذاتية لا عنتريات ولا تلمح فيها أى نوع من أنواع ادعاء بطولة.. ده كلام عجيب ولا يصدر إلا من الروح.. الأستاذ محمود روح وليس جسداً.

وعندما قرأ أستاذ اللغة العربية والتربية الإسلامية، فيما بعد، مسودة هذا الكتاب علق لي قائلاً: "هذا الكتاب هو الحق لمن كان يعلم بأمر الأستاذ محمود محمد طه وهو الحقيقة لمن كان يجهل بأمر الأستاذ محمود محمد طه".

الشاهد أننى حينما نشرت تلك المقالات، وصلتنى مئات الرسائل والمهاتفات وكلها موثقة عندى باليوم والوقت، وما قدمته هنا من نماذج، ليس سوى جزء يسير وأمثلة تعبر فقط عن مدى تفاعل القراء مع الموضوع. ثم تابعت بتلك الروح الكتابة فى هذا الكتاب.

لقد ظللت أكتب فى هذا الكتاب نحو خمس سنوات، عشت فيها مدثراً بسيرة ومناخات الأستاذ محمود وتلاميذه، والتصقت بكتاباته وأقواله وتشبثت بحياته ومواقفه، فخرج هذا الكتاب، ولم يكن سوى مدخل أولى إلى الأستاذ محمود ورحابه. فبرغم التغييب والتضليل فإن الطرق المؤدية إلى الأستاذ محمود عديدة ومتنوعة، ويمكننى القول بأن طريقى وبوابتى إلى الأستاذ محمود كانت هى **دار الوثائق القومية**. ولهذا، وبعد أن وقفت على الحقائق والوقائع فى مصادرها ومظانها **بدار الوثائق القومية**، فإنى بدون إصدار هذا الكتاب تكون هويتى الإنسانية ناقصة وقاصرة. إن هذا الكتاب ساعدنى على معرفة اليسير جداً عن الأستاذ محمود، فأعاد لى (هذا اليسير) تنظيم نفسى وترتيب معارفى كما أعاد تعليمى. أردت بهذا الكتاب تطهير نفسى وعقلى وجسدى ووددت عبره أن أمثل الطرف الاعتذارى من شعوب السودان للأستاذ محمود ولتلاميذه ولكل محترميه، مما لحقهم من أسى وأذى ومما فعله الآباء والأجداد مع الأستاذ محمود وتلاميذه. إن هذا الكتاب جمعنى بنسبى الفكرى، وأثبت به نسبى فى موقف الصمود على منصة المشنقة كما اكتشفت عبره نسبى الروحى الذى ينتهى عند الأستاذ محمود محمد طه.. قولاً واحداً إن هذا الكتاب ولدنى من جديد!!

عبدالله الفكى البشير

القاهرة / الدوحة

مقدمة

يبدو أن المصريين قد اعتادوا واستمرأوا فكرة أن تكون بلادهم مصدر الإشعاع الفكرى فى العالمين العربى والإسلامى. ذلك أن القليل من مثقفيهم هم الذين يلقون بالاً إلى الثمار الفكرية فى الأقطار المحيطة بقطرهم، أو يقدرون الضرر الذى سينجم حتماً، عن هذه العزلة، وهذا الإغفال. وها قد مضى أكثر من ربع قرن على ظهور كتاب فى السودان، هو كتاب: ***الرسالة الثانية من الإسلام*** *للشهيد محمود محمد طه، الذى أُعدَّه أهم محاولة ينهض بها مسلم معاصر لتطوير التشريع الإسلامى، والتوفيق بين التعاليم الإسلامية ومقتضيات المعاصرة، دون أن يحظى فى مصر (أو فى بلد إسلامى خارج السودان على حد علمى) بالاهتمام الذى هو أهل له، ودون أن نلمس له تأثيراً فى اتجاهات مفكرينا ومثقفينا وجمهور شعبنا، رغم احتوائه على فكرة أساسية ثورية لا شك عندى فى قدرتها متى ما صادفت القبول لدى الرأى العام الإسلامى، على أن توفر الحلول لمعظم المشكلات التى تكتنف موضوع تطبيق الشريعة، فى إطار إسلامى*[1].

حسين أحمد أمين

---

(1) حسين أحمد أمين ضمن تقديمه لكتاب: عبدالله أحمد النعيم، **نحو تطوير التشريع الإسلامى- الحريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولى**، ترجمة حسين أحمد أمين، سيناء للنشر، القاهرة، 1994، ص 7.

إن المثقف عبر عمليـة المعارضة والروح النقدية يمكن أن يزيل النفاق ويكشف الزيف ويهيء الأرض للتغيير [1].

شيلى واليا [2]

(1) شيلـى واليا، **صدام مـا بعد الحـداثة: إدوارد سعـيد وتدوين التـاريخ**، ترجمـة عفـاف عبدالمعطى، رؤية لـلنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 30.

(2) شيلى واليـا ناقد وكاتب أفـغانى يعمل بروفـسيراً للأدب الإنجليـزى والدراسات المقارنة، يدرس نظرية مـا بعد الاستعمار فى جامـعة البنجاب بكاندهار. من إصداراته النقدية: **العالم بين التاريخ والحقيقة**. ورد النص أعلاه ضمن تناول شيلى واليـا لمهمة الناقد عند إدوارد سعيـد. إذ تحدث عن"النقد بمفهومه المُطلق عـند إدوارد سعيد، أى نقد كل الأوضـاع التى تؤرق المثقف، وهو من أهم سـمات إدوارد سعـيد، وهو يمارسـه باعتبـاره الوسيلة الأهم لكشف زيف الواقع، خاصة السـياسى. والنقد بالنسبة لإدوارد سعيـد فعّال متعاطف مع العـالم متضمن فى تمثل مسـاراته ومرتبط بالفكرة المتـخفيـة بأن المثقف عبـر عملية المعـارضة والروح النقدية...إلخ" كـما ورد أعلاه.

إن البحث فى موضوع الأستاذ محمود محمد طه (1909 - 1985) هو بحث فى فشل مشروع الدولة فى السودان، وأزماتها على كافة الأصعدة: أزمة العقل الثقافى السائد وجمود حركة التغيير، ومحنة المثقفين، وعجز القيادات، والفشل فى إدارة التعدد الثقافى،وتزوير التاريخ وانبتات الواقع، والفشل فى إدارة الحوار الوطنى بشأن قضايا الهوية والاتفاق على الثوابت الوطنية، الأمر الذى أدى إلى الفشل فى بناء الأمة، وضخامة سجل انتهاكات حقوق الإنسان، ومن ثم حالة التشظى واللا استقرار واللا سلام. وهو كذلك بحث فى أزمات إفريقيا: أزمة بناء الدولة والتنمية والقيادات والتحرر. فمع تفاقم الصراعات وتطورها، واستمرار تراكم المظالم وطول غياب الحكم الراشد، اهتدت بعض الجماعات فى إفريقيا إلى سيناريو تشظى الوطن كأنجع الحلول وأبسط سبل تحقيق السلام فى ظل الاستعمار الفكرى، فلقد خرج المستعمر من الأرض، وبقى استعمار العقول. ثم إن البحث فى موضوع الأستاذ محمود هو أيضاً، بحث فى أزمة الفكر الإسلامى حيث الرفض للتجديد والتطوير، والطمأنينة للقديم والاستكانة للماضى بدلاً عن الانفتاح على المستقبل. وهو بحث كذلك فى أزمة الأخلاق فى العالم، وأزمة تحقيق السلام على الأرض. لقد تم تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم 18 يناير 1985 فى الخرطوم، عاصمة السودان، بإفريقيا، بعد أن حوكم بموجب ما يسمى بقوانين الشريعة الإسلامية. صدر حكم الاعدام ونُفذ فى ظل صمت عالمى، وبتحالف إسلامى واسع، بعد أن أفتى الفقهاء والقضاة الشرعيون والمؤسسات الإسلامية التقليدية فى السودان ومصر والمملكة العربية السعودية، بردة الأستاذ محمود عن الإسلام. ذلك لأن الأستاذ محمود كما قال حسين العودات: "كان تنويرياً فى فكره، رافضاً تحنيط الإسلام فى تعاليم ونواميس جامدة"[1].

رفض الأستاذ محمود محمد طه الفهم السائد للإسلام، وطرح فى عام 1951 مشروع الفهم الجديد للإسلام، وأتبع طرح المشروع بثورة فى التأليف والنشر خاصة فى عقد الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى، ولم يتوقف عن النشر والتأليف حتى تاريخ اغتياله 18 يناير 1985. فمنذ عقد الخمسينيات من القرن الماضى نشر الكتب والمقالات

(1) حسين العودات، **المثقف العربى والحاكم**، ط 1، دار الساقى، بيروت، 2012، ص 202-203.

والبيانات والمناشير، وسعى للتبليغ لمشروعه عبر المحاضرات والندوات والمناظرات، ليس في العاصمة والمدن الكبرى فى السودان فحسب؛ وإنما قدم المحاضرات وأقام الندوات فى القرى والمدن فى أقاليم السودان.

لما كانت هذه الدراسة تهدف إلى البحث والتقصى فى أبعاد مواقف المثقفين من الأستاذ محمود محمد طه ومن مشروعه، الفهم الجديد للإسلام، ومن الحكم عليه بالردة عن الإسلام، ومن ثم اغتياله، وتسعى كذلك إلى دراسة دور بعض المثقفين فى تزوير التاريخ من خلال التطبيق على نموذج الأستاذ محمود وسيرته ومشروعه وتاريخ أفكاره. أقف أولاً لتقديم تعريفات لبعض المصطحات والمفاهيم التى وردت فى عنوان هذه الدراسة، لتبيين ما أعنيه بها لغرض هذه الدراسة. سأقدم تعريفاً لكلمة "مثقف" وسأبين ما أعنيه بـ "تزوير التاريخ"، وسأقدم قبل ذلك وباختصار لمحة عن بعض مرتكزات "الفهم الجديد للإسلام" كما عبر عنه صاحبه الأستاذ محمود فى كتبه ومقالاته وأحاديثه.

الفهم الجديد للإسلام

الدين لا يتطور، يتطور الإنسان فى فهمه له.. لابد من تطوير الشريعة لمواجهة تحديات العصر ومطالب الإنسان[1].

محمود محمد طه، فى نوفمبر عام 1968

حركتنا لبعث الإسلام ليست اجتهاداً على الإطلاق.. ليست، كما هى مألوف العادة، اجتهاد فى ما ليس فيه نص، وهى أيضاً، ليست اجتهاد فى ما فيه نص؛ وإنما هى فهم جديد للنصوص القديمة المألوفة[2].

محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، "بين الدين والشريعة"، (حوار)، **صحيفة الأيام**، أجرى الحوار بشير محمد سعيد، العدد: 5497، بتاريخ 1968/11/18 .

(2) محمود محمد طه، "الحديث الثانى من سلسلة أحاديثنا فى بعث الإسلام من جديد"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، منزل الأستاذ محمود، المهدية، أمدرمان، بتاريخ 27 أغسطس 1977 الموافق 13 رمضان 1397.

إن الدارس لمشروع الأستاذ محمود، يدرك ومنذ الوهلة الأولى أن الأستاذ محمود منذ أن طرح مشروعه، مشروع الفهم الجديد للإسلام، المذهبية الإسلامية الجديدة، ودعا للبعث الإسلامى فى أكتوبر عام 1951، التزم مبدأ المواجهة فى الإعلان والتبليغ عن مشروعه، وكان حريصاً على استخدام أدوات المثقف، وعلى توظيف سبل الحداثة. ومنذ الوهلة الأولى كذلك يدرك الدارس أن الأستاذ محمود كان حريصاً أشد ما يكون الحرص على الالتزام الصارم بالتوثيق لكل ما يكتب ويقول. لقد أتبع الأستاذ محمود طرح مشروعه بحركة تأليف واسعة ومستمرة، فكانت أمراً جديداً وقتئذ فى السودان، وربما العالم الثالث. فأصدر الكتب ونشر المقالات ووزع البيانات والمناشير وأقام المحاضرات وعقد الندوات. **يقول الأستاذ محمود**: "الدعوة للفكرة الإسلامية الجديدة/ الفهم الجديد للإسلام، ليكون هو منهاج تربية الأعضاء ومنهاج لف الجمهور حول الفكرة.. بس الدعوة لـلمسألة دى.. بعدين كل حادث سياسى يكون عندنا فيه رأى سياسى فى مستواه، يعمل فى منشور، يعمل فى صحيفة، نحاضر، كنا بنحاضر كثير، وكنا بنتكلم من منبر الجامعة ومن المدارس الثانوية العليا وكدة باستمرار.. الخط السياسى الأخدناه هو نشر الوعى بالفكر الإسلامى الجديد.. ليلتفوا الناس حوله ويتربوا[1]. كذلك تضمنت كتب الأستاذ محمود، كما هى واردة فى قائمة المصادر والمراجع، شرحاً وافياً وكافياً لمشروعه. بيد أنى أقدم هنا وباختصار بعض الملامح والمرتكزات لمشروع الفهم الجديد للإسلام. فمن خلال رحلة بحثى فى سيرة الأستاذ محمود ومشروعه وجدت أن من أهم مرتكزات الفهم الجديد للإسلام عند الأستاذ محمود الحرية والاستقلالية كثابتين أساسيين فى حياة الإنسان، والتحرير والتغيير، إلى جانب التطوير الذى هو أهم ثوابت الفهم الجديد للإسلام عند الأستاذ محمود.

اتسم مشروع الفهم الجديد للإسلام للأستاذ محمود بالأصالة والجدة والشمول. فقد تحدث الأستاذ محمود باكراً حينما أصدر عام 1952 كتابه: **قل هذه سبيلى**، عن الحضارة

---

(1) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، السبت 22 نوفمبر 1975 يوافق 18 ذو القعدة 1395، المهدية، الحارة الأولى، أمدرمان، من **موقع الفكرة الجمهورية**، محاضرات، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 27 أكتوبر 2011، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

الغربية واغتراب الإنسان، وقصور الفلسفات المعاصرة، والكتلة الثالثة "الاشتراكية والديمقراطية معاً" ...إلخ(1). وحينما أصدر كتابه: **الإسلام**، فى عام 1960، وصفه قائلاً: "فيه كل ما نريد أن نقول عن الإسلام، فلم يبق أمر مستأنف، إلا أن يكون زيادة شرح، وزيادة توسيع لما جاء فيه موجزاً"(2). وعندما أصدر الأستاذ محمود فى عام 1966 الكتاب الأم لمشروع الفهم الجديد للإسلام، وجاء بعنوان: **الرسالة الثانية من الإسلام**. وعن محوره والأصل فيه، يقول الأستاذ محمود: "فالأصل فى الرسالة الثانية الحيوية، والتطور، والتجدد، وعلى السالك فى مراقيها أن يجدد حياة فكره، وحياة شعوره كل يوم، بل كل لحظة، من كل يوم، وكل ليلة.. مثله الأعلى فى ذلك قول الله تبارك وتعالى فى شأن نفسه (كل يوم هو فى شأن) ثم هو (لا يشغله شأن عن شأن)(3).أقيم له مهرجان فى الخرطوم دارت فيه المحاضرات والندوات. ووجهت الدعوات من أجل المهرجان إلى المثقفين ولرجال الدين ولأساتذة جامعة أمدرمان الإسلامية ، وشملت الدعوات رجال الشؤون الدينية والمشايخ(4). استمر المهرجان أسبوعاً شرح فيه الأستاذ محمود شرحاً وافياً معنى الرسالة الثانية من الإسلام ومعنى الأصول والفروع ومعنى الشريعة والسنة؛ وهى المرتكزات الأساسية لدعوته كما بين الضرورة الملحة لتطوير التشريع الإسلامى ليواكب العصر ويحل مشكلة الإنسان المعاصر. يقول الأستاذ محمود:

من الخطأ الشنيع أن يظن إنسان أن الشريعة الإسلامية فى القرن السابع تصلح، بكل تفاصيلها، للتطبيق فى القرن العشرين، ذلك بأن اختلاف مستوى مجتمع القرن السابع، عن مستوى مجتمع القرن العشرين، أمر لا يقبل المقارنة، ولا يحتاج العارف ليفصل فيه تفصيلاً، وإنما هو يتحدث عن نفسه.. فيصبح الأمر عندنا أمام إحدى خصلتين: إما أن يكون الإسلام، كما جاء به المعصوم بين

---

(1) محمود محمد طه، **قل هذه سبيلى**، أمدرمان، 1952، ص 2-5.

(2) محمود محمد طه، **محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الإسلام**، أمدرمان، 1960، مقدمة الطبعة الثانية.

(3) محمود محمد طه، **الرسالة الثانية من الإسلام**، ط 3، أمدرمان، 1969، ص 202.

(4) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، القاهرة، الشركة العالمية للطباعة والنشر 2012، ص 110-113.

دفتى المصحف، قادراً على استيعاب طاقات مجتمع القرن العشرين فيتولى توجيهه فى مضمار التشريع، وفى مضمار الأخلاق، وإما أن تكون قدرته قد نفدت، وتوقفت عند حد تنظيم مجتمع القرن السابع، والمجتمعات التى تلته مما هى مثله، فيكون على بشرية القرن العشرين أن تخرج عنه، وأن تلتمس حل مشاكلها فى فلسفات أخريات، وهذا ما لا يقول به مسلم .. ومع ذلك فان المسلمين غير واعين بضرورة تطوير الشريعة(1).

ثم فصل الأستاذ محمود أمر تطوير التشريع، وبينه وقدم أطروحات عديدة بشأنه. وكتب عن الرسالة الثانية قائلاً: "إن محمداً رسول الرسالة الأولى، وهو رسول الرسالة الثانية.. وهو قد فصل الرسالة الأولى تفصيلاً، وأجمل الرسالة الثانية إجمالاً، ولا يقتضى تفصيلها إلا فهماً جديداً للقرآن"(2)، وهذا ما بينه الأستاذ محمود فى كتابه: **الرسالة الثانية من الإسلام**، ويمكن للقارىء أن يرجع إليه. من الأطروحات التى جاءت فى كتاب **الرسالة الثانية من الإسلام**: الجهاد ليس أصلاً فى الإسلام. و"الأصل فى الإسلام أن كل إنسان حر، إلى أن يظهر، عملياً، عجزه عن التزام واجب الحرية". فالحرية حق يقابله واجب هو حسن التصرف فيها، وكل من يسيء التصرف تصادر حريته بقانون دستورى. والرق ليس أصلاً فى الإسلام، والرأسمالية ليست أصلاً فى الإسلام، وعدم المساواة بين الرجال والنساء ليست أصلاً فى الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً فى الإسلام، والطلاق ليس أصلاً فى الإسلام، والحجاب ليس أصلاً فى الإسلام. كما تناول فى كتابه موضوعات أخرى كثيرة منها: المدنية والحضارة، والفرد والكون فى التفكير الفلسفى،والفرد والجماعة فى الإسلام، والحرية الفردية المطلقة، والشريعة فى خدمة الحرية الفردية المطلقة، والفرد والكون فى الإسلام، والإرادة، والقرآن والجبر والاختيار، والقرآن والتسيير، والقضاء والقدر، والمساواة الاقتصادية: الاشتراكية، والمساواة السياسية: الديمقراطية، والمساواة الاجتماعية: محو الطبقات والفوارق.

---

(1) محمود محمد طه، **الرسالة الثانية من الإسلام**، ط 1، أمدرمان، 1967، ص (الغلاف الخلفى).

(2) المصدر السابق، ص 13-14.

وفى عام 1969 نشر كتاباً بعنوان : **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**[1]. وكان قد قدم الكتاب من قبل فى محاضرة عامة. وتضمن الكتاب تفصيلاً وتبييناً واضحاً لمقاربته بين مناخ القرن السابع الميلادى وروح العصر وإنسانية القرن العشرين. وحينما أصدر الأستاذ محمود كتابه: **تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، فى عام 1971، وصفه قائلاً: "هذا كتاب نخرجه للناس عن تطوير شريعة الأحوال الشخصية، وهو كتاب جديد فى بابه، ذلك بأنه يتناول الشريعة السلفية بالتطوير، فيرتفع بها من نص كان عمدتها فى القرن السابع، حين نزل القرآن، وشرع التشريع، إلى نص اعتبر يومئذ، مرجأ إلى وقته، لأنه كان أكبر من ذلك الوقت"[2]. وبين دعوته إلى التطوير بالأخذ بآيات الأصول، قائلاً: "إن الآيات المكية هى آيات الأصول، وأن الآيات المدنية هى آيات الفروع.. وقلنا، أن نزول آيات الأصول قد تواتر خلال ثلاث عشرة سنة، أثناء العهد المكى.. فلم يستجب لها الجاهليون.. فظهر ظهوراً عملياً، أنها أكبر من مستواهم.. فنزل إلى مستواهم، بعد الهجرة إلى المدينة، وبعد افتتاح العهد المدنى.. فنزلت آيات الفروع.. واعتبرت صاحبة الوقت، لمناسبتها لمستوى الناس.. ونسخت آيات الفروع، آيات الأصول". وقال: "فآيات الأصول هى قمة الدين.. وكانت تقوم على تقرير كرامة الإنسان –على الحرية– ومن هاهنا كانت آيات إسماح.. ومنعت الإكراه منعاً تاماً.. وهى كثيرة جداً.. ومن أمثالها قوله تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى أحسن.. إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين".. ومنها: "وقل الحق من ربكم!! فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر".. ومنها قوله: "فذكر!! إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر!!".. وعند نهاية الفترة المكية التى بها ظهر القصور العملى عن شأو آيات الأصول، بدأ عهد التحول، ليجىء التنزيل فى مستوى الأمة يومئذ.. وأول ما بدئ به التحول قوله تعالى: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا.. وإن الله على نصرهم لقدير".. هذا إذن، بعد أن لم يكن إذن بالقتال.. بل بعد أن قد كان نهى عنه.. ثم جاء فى طريق التحول بنقلة أخرى، فقال:"وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا.. إن الله لا يحب المعتدين"[3].

---

(1) محمود محمد طه، **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، أمدرمان، 1971، ص6.

(3) المصدر السابق، ص 41-44.

لم تكن دعوة الأستاذ محمود لبعث الإسلام اجتهاداً فيما ليس فيه نص أو فيما فيه نص، كما ورد فى حديثه أعلاه فى صدر هذا المحور. ويبين الأستاذ محمود الأمر قائلاً: "هى ليست اجتهاد لأن الاجتهاد نحت.. وهى فى الحقيقة علم مفاض، بفضل الله ثم بفضل التوجه والتوسل بالوسيلة النبوية لمفاتيح القرآن.. حياة النبى هى مفتاح القرآن، والمتوسل بها فى تقليدها بإتقان يفتح له فى القرآن بفضل الله ثم بفضل هذا العمل وبركات النبى"(1). وعن القاعدة فى فهم النصوص وهل النص غاية أم وسيلة، يقول الأستاذ محمود: "فعملنا هذا ما هو اجتهاد لكن فهم للنصوص. القاعدة ما فى نص فى القرآن أو فى الحديث هو غاية فى حد ذاته.. النصوص وسائل وكل الوسائل مفضية إلى الإنسان.. الإنسان هو المكرم على جميع الخلائق. وما أرسل الرسل وما أنزل القرآن وشرعت الشريعة إلا من أجل الإنسان. على هذا الأساس دعوتنا قائمة على الرسالة الثانية من الإسلام(2).

أيضاً دعا الأستاذ محمود إلى الثورة والتحرير وإحداث التغيير.ورفض الثورة العنيفة، وقدم بشأنها تنظيراً واسعاً ومفصلاً تضمنه كتابه: **الثورة الثقافية**، الذى صدر عام 1972. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "إن الثورة حين تكون عنيفة، إنما تحمل عناصر فنائها فى عنفها لأنها لا تملك، مع العنف، أن تعتدل،... إن التحول، والتغيير، والثورة، التى تتم عن طريق الإقناع، والفكر، هى التغيير المأمون العواقب، الثابت، الذى يطرد كل حين ولا ينتكس.. ولكن محاولة مثل هذه الثورة الفكرية السلمية، إنما هى محاولة مكتوب عليها الفشل، إذا جاءت فى غير أوانها". وعندما طرح الثورة الثقافية، بيّن المقصود منها بتفصيل واف، فهو يقول: "الثورة الثقافية" هى النتيجة المباشرة "للثورة الفكرية".. الثورة الثقافية هى نقطة إلتقاء الفكر بالواقع.. والمقصود هنا بالطبع هو الفكر "الثائر" .. فإذا التقى الفكر الثائر بالواقع فإن التغيير هو دائما النتيجة.. ولايمكن إلا أن يكون التغيير سريعاً، ومع ذلك، فإنه يجب أن يكون تغييراً بغير عنف.. "فالثورة الثقافية"، على هذا هى التغيير السريع للأحسن، من غير عنف.. هى تملك "سرعة" الثورة ، وتبرأ من "عنف" الثورة.. فالثورة

(1) محمود محمد طه، "الحديث الثانى من سلسلة أحاديثنا فى بعث الإسلام من جديد"، مصدر سابق.
(2) المصدر السابق.

الثقافية، بإيجاز، هى علم، وعمل بمقتضى العلم .. وهذا ما به يحصل التغيير"[1]. وعن الفكر الثائر وتغيير الواقع ومن أين يبدأ؟ كتب الأستاذ محمود قائلاً: "ولما كان الفكر الثائر هو الذى يحدث الثورة الثقافية. يحدث تغيير الواقع بصورة سلمية، وثورية فى آن معاً. ولما كان الفكر الثورى فكراً دقيقاً، وأصيلاً، ونفاذاً، وسليماً، فإن تغييره للواقع لا بد أن يبدأ من داخل النفس البشرية"[2].. ثم ينتقل للأفراد المدعوين وتتسع الدائرة حتى تبعث القاعدة (قاعدة الشعب أى شعب) لتتحرك لتحدث هذا التغيير، ثم علل لماذا تكون بداية التغيير من الداخل؟ قائلاً: "ذلك بأن أى تغيير يقتصر على الخارج. على البيئة البشرية، والبيئة الطبيعية- أعنى: المجتمع، الطبيعة، لا يكون تغييراً سليماً، ولا مستقيماً، ذلك بأن التغيير الخارجى، إنما هو صورة للداخل، أعنى للنفس البشرية، فإذا كانت النفس خربة بالأحقاد، والضغائن، والعداوات الرعناء، فى كلمة واحدة، بالجهل، فإن هذا الخراب يطبع بطابعه التغيير الذى يجرى فى المجتمع وفى البيئة[3].

تناول الأستاذ محمود قضايا عديدة منها: قضية الدستور الإسلامى، ونشأة القانون، وتحدث عن الحرية الفردية، فى الإسلام، "فى مستويين: الحرية النسبية، وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، وأن يقول كما يفكر، وأن يعمل كما يقول، على شرط أن يتحمل مسئولية قوله، وعمله، أمام القانون الدستورى"[4]. والحرية المطلقة "وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، على شرط أن يكون فكره، وقوله، وعمله، برا، وخيرا، بالأشياء، والأحياء.. والقانون الدستورى، هو الذى حين يطبق، يحقق، فى آن معا، حاجة الفرد، وحاجة الجماعة.. فلا هو يضحى بالفرد لمصلحة الجماعة، ولا هو يضحى بمصلحة الجماعة فى سبيل الفرد"[5].

لقد دعا الأستاذ محمود إلى التغيير والتحرير والتطوير وبين الطريق والسبيل إلى ذلك

(1) محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، أمدرمان، 1972، ص30.
(2) المصدر السابق، ص 30.
(3) المصدر السابق، ص30.
(4) محمود محمد طه، **الديباجة**، 30 أكتوبر 1984 (آخر نص كتبه الأستاذ محمود فى داخل المعتقل)، ص23.
(5) المصدر السابق، ص23.

بحـجج وبراهين وأدلة قويـة وساطعـة وأطروحات واضـحـة. وما أوردته هنا ليس سـوى إشـارات مختـصـرة وملامح مـوجزة عن مـرتكزات الفـهم الجديد للإسـلام عند الأستـاذ محمـود. ويمكن للقارىء الكريم الاطلاع على طرح الأسـتاذ محمـود كما جاء فى كـتبه وهى مثبتة فى قائمة المصادر والمراجع.

تزويـر التاريـخ

لا تقدم هذه الدراسة تناولاً لنظريات علم التاريخ ومناهجه ومدارسه واتجاهاته ومصادر وطرق كتابته وفلسفتـه، ولا تتبع تطور كتابته وتطور مفهومه. غيـر أنها تسعى عبر النقد إلى المساهمـة فى تقديم نموذج تـطبيقى لتـزوير التاريخ، قـام به حملة الأقـلام، وموجـهو الرأى العام، ومكيفو مناخ الوعى، والقائمون على أمر الخدمة التنويرية من المثقفين خلال تقديمهم لمغالطة الحقائق وتشويه الوقائع وطمس الأحداث بشأن الأستـاذ محمود ومشروعه وسيرته. إن التاريخ فى المجتمعـات التعددية، خاصة فى السودان، لحقه تزوير كثـير، كما ورد آنفاً فى حديث محمـد عمر بشير فى صدر هـذا الكتاب. فهنالك تزوير قد حدث للتاريخ لتـحقيق أغـراض عديدة. إننى أسـعى فى هذا الكتـاب إلى إثبات مـا تم من تزوير لتـاريخ الأستـاذ محمـود وسيرته ومشروعـه. وأعنى بالتزوير: التشويه عـبر البتر الذى تم لنصـوص الأستاذ محـمود التى كتـبها أو قالهـا، والتشويه لكتـاباته وأقواله والتشـويه لسيرته، وعـدم الصدق وضعف التـحرى من الذين نقدوه من خـلال تقديم الغـرض على الوثيقة. وكـذلك السعى لتنميط صـورة الأستـاذ محمـود، والإهمال والتغـييب والطمس لدور الأسـتاذ محـمود فى الحركة الوطنيـة السودانية ونضاله ضد الاسـتعمار من قبل المؤرخـين، والكتاب، إلى جانب تجاهل الأكاديميا السودانية لإسهاماته الفكرية ودوره فى التحولات والتغيير.

إن إعمـال الحس النقدي فى دراسة التـاريخ يخدم تمهيـد الطريق نحو «ما بعـد التاريخ المعلن». إن التـاريخ المعلن فى السودان، لا يخـدم التعايش وتحـقيق الوحـدة وبناء السلام. فالنقـد عبر استنطاق الوثيـقة وإعادة القراءة للوقـائع والأحداث يمثل أهـم خطوات التغـيير لغربلة الموروث وتصحيح المسارات.

المثقـف

الإنسـان الذى لديه المؤهلات الثقـافيـة ويحافظ على كـفاءته الفكرية وقـدراته التـحليلية وتماسكـه الأخلاقى على الرغم من السـجن والمنفى والاضطهـاد هو مثقف يستحق الاحترام[1].

عزمى بشارة

إن استخـدام مفردة مثقف بمفـهومها ودلالاتها وحـمولات معانيهـا فى الخطاب المعاصر، استـخدام حديث. يقول مـحمد عـابد الجابرى (1936-2010): "إن مقـولة "المثقفين" مـقولة حديثــة، لا يكـاد يرجع تاريـخ استـعمالـها فى اللغة العـربية إلى أزيد من نـصف قرن، وفى اللغـات الأوروبية إلى أكثر من قرن- عـلى الأقل بالمعنـى الذى تحمله فى خطابنـا المعاصر"[2]. لم يكن لفظ المثـقف بالعربية مـشتقـاً من مرحلة العصـور الإسلاميـة الماضية وتـاريخ العلماء والفقهاء فى الإسلام، كما يرى عزمى بشارة، برغم أن لفظ ثقف موجود فى قواميس اللغة[3] ليس بمعنى أمسك أو قبض فحسب، بل فى المجـال الدلالى لمعناه المعاصر أيضاً، إلا أنه لم يؤدِ إلى استخدام مفردة مثقف فى العصور الإسلامية الماضية. ويضيف عزمى بشارة قائلاً: "بل هو مـترجم فى عـصرنـا.. المصطلح متـرجم من القـرن التاسع عـشـر الأوروبى، وبالتحـديد من مصطلحات مثل intellectual وscholar وliterati[4]. استعرض إدوارد سعيد (1935-2002) فى كتـابه: **المثقف والسلطة**، أشهـر تعريفـين للمثـقف أو المفكر، وأشـار إلى أنهمـا يتسـمان بالتعـارض الأساسى فى النظر لفـئة المثقـفين من حيث الكثـرة والقلة والانتقـاء. كتب إدوارد سعيـد عن التعريفـين قائلاً: "وهما من أشهـر تعريفات القرن العـشرين، فأنطونيو جـرامشى،

(1) عزمى بشارة، "عن المـثقف والثورة"، **تبيُّن للدراسـات الفكرية والثقافـية**، العدد ٤، المجلد الأول، ربيع 2013، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، ص 128-129.

(2) محـمد عابد الجابرى، "المثـقفون فى الحـضارة العربية الإسـلامية: حـفريات استكشافـية"، **المثقف العـربى: همومه وعطاؤه**، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 19؛ حسين العودات، مرجع سابق، ص 46.

(3) يقول ابن منـظور: ثقف: ثَقِفَ الشىءَ ثَقْفـاً وثقافاً وثُقُـوفةً: حَـذَقَه. والثِّقـافُ: ما تُسَـوَّى به الرِّماحُ وتَثْقِـيفُـها: تَسْوِيَتُها. ثَقِفَ الشىءَ وهو سُرعةُ التعلم. ثَقِفْتُ الشىءَ حَذَقْتُه، وثَقِفْتُه إذا ظَفِرْتَ به. المصدر: ابن منظور، محمد بن مُكَرَّم بن علىّ بن أحمد بن حبـقة الأنصَارى الإفريقى، **معجمَ لسـان العَرب فى اللغة**، دار صادر، بيروت، 1968، مادة (ثقف).

(4) عزمى بشارة، "عن المثقف والثورة"، مرجع سابق، ص 128-129.

المناضل الماركسى الإيطالى، والصحفى والفيلسوف السياسى النابه الذى سجنه موسولينى من عام 1926 إلى 1937، يكتب فيما كتب فى **مذكرات السجن** قائلاً: "إن جميع الناس مفكرون، ومن ثم نستطيع أن نقول: ولكن وظيفة المثقف أو المفكر فى المجتمع لا يقوم بها كل الناس"[1]. وعن التعريف الثانى يقول إدوارد سعيد: "وفى الطرف الآخر نجد التعريف الأشهر والمحتفى به الذى وضعه جوليان بندا للمثقفين باعتبارهم عصبة ضئيلة من الملوك الفلاسفة من ذوى المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية"[2].

معلوم أن هناك أطروحات عديدة حول مفهوم المثقف والمهام المنوطة به. كانت ندوة: "المستقبل العربى: المثقف العربى ومهامه الراهنة"[3] التى عقدت عام 1983، قد تبلور فيها تحديد لمهام ثلاث تتفاعل فيما بينها لتكوين الدور الواجب للمثقف، وهى : إنتاج المعرفة المعمقة، لوصف الواقع وتفسيره، وتعيين الرؤية الصافية لطريق النهوض، أساساً نظرياً للتغيير، ونشر الوعى بالمعرفة والرؤية، مساهمة فى التغيير. ويرى محمد عابد الجابرى: أن مفهوم المثقف بالمعنى العام السوسيولوجى للكلمة قد اتسع ليشمل جميع الذين يشتغلون بالثقافة، إبداعاً وتوزيعاً وتنشيطاً، الثقافة بوصفها عالماً من الرموز يشمل الفن والعلم والدين، والذين يمكن التمييز فيهم بين نواة تتكون من المبدعين والمنتجين من علماء وفنانين وفلاسفة وكتّاب وبعض الصحفيين... يحيط بها أولئك الذين يقومون بنشر ما ينتجه هؤلاء المبدعون، مثل الممارسين لمختلف الفنون ومعظم المعلمين والأساتذة والصحفيين، يليهم ويحيط بهم جماعة تعمل على تطبيق الثقافة من خلال المهنة التى يمارسونها مثل الأطباء والمحامين[4]. والمثقف عند نصر حامد أبو زيد هو: "الإنسان المنخرط -بطريقة أو بأخرى- فى عملية إنتاج الوعى"[5]. بينما يرى برهان غليون: أن مساهمة المثقفين تتوزع فى عملية

---

(1) إدوارد سعيد، **المثقف والسلطة**، ترجمة محمد عنانى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 32.

(2) المرجع السابق، ص 34-35.

(3) ندوة "المستقبل العربى: المثقف والسلطة ومهامه الراهنة"، **المستقبل العربى**، السنة 6، العدد 51 (آيار/ مايو 1983)، ص 110-130؛ ندوة: "**المستقبل العربى**: المثقف والسلطة فى الوطن العربى، **مركز دراسات الوحدة العربية**، المستقبل العربى، القاهرة، 24-25 سبتمبر 1984.

(4) محمد عابد الجابرى، مرجع سابق، ص46.

(5) نصر حامد أبو زيد فى كتابه: **الخطاب والتأويل**، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، 2000، ص15.

إنتاج الحقيقة الاجتماعية كحقيقة مدنية وعامة على مهام عديدة تتعلق بتكوين الوعى وإنتاج الثقافة والعقيدة أو العقائد المتنافسة. لكـن الإضافة الأساسية التى تجعل من المثقفين طرفاً فى السلطة تتجسد فى الدور التوسطى الذى يقومون به على مستويات وفى ميادين متعددة[1]. فى حين نظر هادى العلوى فـى المطابقة بين المثقف والعـالـم، فكتـب قائلاً[2]: المطابقة بين المثقف والعالم نعثر عليها فى نصوص ذات طبيعة خاصة ترتبط غـالباً بأوساط المعارضة أو بالاتجاهات النقدية فى المجتمع . لنقرأ هذين النصين من نهج البلاغة:

1- أخـذ الله على العلمـاء أن لا يقـارّوا على كِظة ظالم ولا سـغب مظلوم. "يقـارّوا: يقروا ويسكتوا. كِظة: تخمة".

2- قـوله فى تصنيف الـناس بحـسب حظوظهم من العلم:الـناس ثلاثة: عـالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق".

وعن مهـام المثقف كتـب إدوارد سعيـد قائلاً: "ومن المهام المنوطة بالمـثقف أو المفكر أن يحاول تحطيم قوالب الأنماط الثابتة والتعميمات "الاختزالية" التى تفرض قيوداً شديدة على الفكر الإنسانى وعلى التواصل ما بين البشر[3].

المثقف عند الأستاذ محمود

لقـد جسـد الأسـتـاذ الشـهيـد تحدياً فكـرياً وأخلاقـياً لكل المتـاجـرين بالشعـار الإسلامى، ولكـل المنحازين لمعسكر السلطان من رجال دين ومـثقفـين، حكم عليه بالردة فى نوفمبر عام 1968، ثم استدعى الحكم مرة أخرى ليصبح المسوغ لحكم الإعدام الذى تم تنفيذه فى 18 يناير 1985[4].

علاء الديب

---

(1) برهان غليون، "تهـميش المثقفين ومـسألة بناء النخبة القـيادية"، المثقف **العربى: همومه وعطاؤه**، مرجع سابق، ص19.

(2) هادى العلوى، **الفكر العـربى- الإسلامى وضـرورة التـجديد المنهـجى**، دار بدايات، دمشـق، سوريا، 2008، ص63.

(3) إدوارد سعيد، **المثقف والسلطة**، مرجع سابق، ص19.

(4) علاء الديب، "إعدام رجل يفكر"، **جريدة المصرى اليوم**، القاهرة، الأحد 2013/2/17.

المثقف عند الأستاذ محمود، هو ذلك الذى يجسد وحدة الفكر والقول والعمل، ويتصل مفهوم المثقف عنده بالأخلاق والاستقامة وتحمل المسئولية حيث المثقف الحر، يقول الأستاذ محمود: لقد كان العرب يعرفون الرجل المثقف بأنه هو الذى يملك محصولاً كبيراً من معرفة تاريخ العرب، وأنسابهم، وعاداتهم، وأشعارهم.. ثم جاء وقت قريب أعتبر فيه المثقف هو الذى يستطيع أن يفهم حين يقرأ الكتاب العلمى، أو المجلة العلمية، والكتاب الفنى أو المجلة الفنية.. ومهما يكن من الأمر فإننا نعيش الآن فى عهد ازدهار العلوم، والفنون، والفلسفات البشرية.. وتخرج المطبعة لنا عشرات الآلاف من الكتب الجديدة، فى صنوف المعارف، كل يوم.. ويعتبر الرجل المثقف عندنا هو الذى يتابع حركة التأليف، والنشر، فى الكتب والمجلات، التى تساير آخر تطور العلوم، والفنون، ثم يكون له فى كل مسألة، من هذه المسائل، رأى عتيد[1]. وآفة الثقافة، بهذا المدلول، (والكلام مايزال للأستاذ محمود) إنما هى أن المثقف قد يحمل شذرات كثيرة من المعارف من غير أن تتأثر بها أخلاقه، تأثيراً كبيراً، ومن غير أن يتحرر بها فكره، تحريراً كبيراً.. ثم أن الثقافة، حتى بهذا المدلول الموسوم بالسطحية، أصبحت تتعرض اليوم لآفة التخصص، الذى هو سمة العصر الحاضر.. ذلك بأن كثرة العلوم، وتشعبها فى كل فن من فنونها، قد أصبحت تستحوذ على نشاط العلماء كله". ثم يضيف الأستاذ محمود قائلاً: "فأنت، من أجل التجويد فى الإنتاج، لا بد لك من أن توقف نشاطك العلمى كله على فرع معين من فروع العلوم، تتخصص فيه، ولا تتعداه لغيره.. وأخذت آفات التخصص تظهر، وتلك هى النظرة الجانبية، التى تتوفر على شئ واحد، يستغرقها، وتحاول إستغراقه، حتى يصبح الإنسان وكأنه آلة مصممة على إنتاج صنف واحد فى صناعة واحدة.."[2]. ثم يستدعى الأستاذ محمود الجذر اللغوى لكلمة مثقف، يقول الأستاذ محمود:

"جاء فى "المنجد" فى اللغة قوله "ثقف الرمح: قومه، وسواه ... وثقف الولد فتثقف: هذبه، وعلمه، فتهذب وعلم.. فهو مثقف، وهى مثقفة.. وهذا مستعار من ثقف الرمح.. والثقاف آلة تثقف بها الرماح" قال شاعرهم[3]:

---

(1) محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، مصدر سابق، ص 30-31.

(2) المصدر السابق، ص 30-31.

(3) المصدر السابق، ص 31.

*إنا إذا عض الثقـــاف برأس صعـدتنا لوينا * نحـمى حـقيـقـتنا وبعض الناس يسـقط بيـن بينا. والصعـدة هى قناة الرمح.. فـإذا قطعت من شـجـرتهـا وبهـا إعوجاج ثقفت بالثـقاف، لتكون مستوية، ومسـتقيمة.. فإذا استـوت، واستقامت فهى قناة مثقفة.. وأراد الشـاعر بقوله: إنا إذا عض الثقـاف برأس صعدتنا لوينا.. أنه هو وقومه شديدو المراس، لا يلينون لتقويم المقومين، لأن فى خلقهم، وعورة، وإباء .. وأبان هذا حين قال: نحمى حقيقتنا وبعض الناس يسقط بين بينا"[1].*

ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "فكلمة "الثقـافة" فى اللغة العربية كلمة طيبة جداً، ذلك بأنها تشـير إلى التقويم، والتـهذيب.. وهذا أمر يشـير إلى الأخلاق .. فلكأن "الثقـافة" فى اللغة العربية هى "الثـقافة" فى الدين الإسلامى، "التقويم" و"التـهذيب"، فإنه، فى الإسلام، قـد قال المعصـوم: "الدين المعـاملة" وقـال: "إنما بعـثت لأتمم مكارم الأخـلاق" .. ومكارم الأخلاق هى: حسن التـصرف فى الحرية الفردية المطلقة.. والحـرية الفردية المطلقة هى حظ الرجل، ذى الفكر الثـائر.. الرجل الذى يفكر كمـا يريد، ويقـول كما يفـكر، ويعمل كـما يقول.. ثم يتحمل مسئولية قوله وعـمله، وفق قانون دستورى". وعن حسن التصرف يقول الأسـتاذ مـحمـود: "وحـسن التصـرف فى الحـرية، إذا كانت فى قـاعدتـها الحـرية المقيـدة بالقانون،أو فى قمـتها، الحرية المقيـدة بالأخلاق، لا يتأتى إلا إذا تهذب الداخل، واسـتقام، فسلم القلب من مذام الأخلاق، وصفـا العقل من أوضار الأباطيل، والخرافات .. هذه هى الثقافـة .. سلامة القلب ، وصفاء الفكر.. وإنما يتـم ذلك بتثقيف الباطن.. ومن الممـتع حقاً أن نلاحظ أن القامة البشرية تشبه صعدة الرمح ـ قناة الرمح ـ هى تشبهها فى ظاهرها، وفى باطنها، فى ظاهرها "الجسم"، وفى باطنها "النفس"، ولـذلك فإن العرب تقول: فلان صلب القناة، يريدون أنه صعب المراس، قوى الشكيمة، شديد الأسر[2].

يقـول الأسـتـاذ محـمـود: الرجال عندنا ثلاثة: الرجـل الذى لا يقول، ولا يعـمل، لأنه يخاف مـن مسئـولية قـوله، وعمله، وهذا هو العـبد.. والرجل الذى يحـب أن يقول، وأن

---

(1) المصدر السابق، ص 32.

(2) المصدر السابق، ص 32-33.

يعمل، ولكنه يحاول أن يهرب تحت الظلام، فلا يواجه مسئولية قوله، ولا عمله.. وهذا هو الفـوضوى.. والرجـل الذى يحب أن يفكر، وأن يقـول، وأن يعمل، وهـو مسـتـعد دائمـاً لتحمل مسئـولية قوله، وعمله.. وهذا هو الرجل الحر"[1]. وعن الرجل الحر يقول الأستاذ محـمـود: "الرجل الحر هو الثـمرة الطيـبة للثـورة الفكرية، وللثـورة الثقـافيـة.. وهو الابن الشرعى للمجـتمع الكامل.. ... المجتمع أكـبر إختراع إختـرعه الإنسان.. بيد أن مختـرعه مجـهول، ووقت اختـراعـه أيضاً مـجهـول.. وذلك لأنه إنما نشـأ بغيـر عمل إرادى مـوجه لإنشائه.. ونشـأ فى الماضى السحـيق الممعن فى السـحق.. هو فى نشأته أقـرب إلى العمل التلقـائى العفوى، منـه على العمل المرسـوم الموجه"[2]. وأضاف الأسـتاذ مـحمـود قائلاً: "ولكن الذكاء البشرى قد أخذ يتدخل فى توجيهه منذ زمن قريب.. فقد جاء كبار الرجال، وطلائع أحـرار البـشـرية، دائمـاً بأفـكار التـغـيـيـر.. فـأثروا فى تفكيـر، وأخـلاق، أفـراد المجـتمـعات.. وأحـدثوا، من ثم، من تغـييـر الأفراد، تغـييـراً كـبيـراً واسعـاً، وشامـلاً فى المجتمعات.. وما نعرف، فى التاريخ المعاصـر، ولا فى التاريخ القديم، تغييراً هو فى سرعة، وعمق، وشـمول، التغـيير الـذى جرى للمجـتمع الجاهلى، فى الجـزيرة العربيـة، فى القرن السابع، على يدى رسول الإسلام"[3].

إن الأطروحات بشأن تعـريف المثقف لغوياً ومفهـومياً وتاريخياً، وبشأن مـهامه ودوره، أطروحات عديدة وقد مـرت بتطورات، ولاتزال فى تطور. فهناك "المثقف" و"الإنتلجنسى" و"المثـقف العضـوى" و"المثقف الـعمـومى" و"المثقف الكونـى"... إلخ. بيد أن المثـقف عند الأستـاذ محـمود، كـما ورد آنفـاً، فوق وحـدة الفكر والقول والـعمل، وشـروط الأخلاق والاستقـامة وتحمل المسئـولية يكون فى مواجهة الامـتحان الأكبـر امتحان تجسـيد المعارف والأقوال. فالمثقف الحـر عنده لا يكتمل تعريفه ودوره إلا بتجسـيد المعارف. وقد تجلى هذا قولاً وعملاً عـند الأستاذ محمود يوم أن نعى نفسـه لتلاميذه وللحاضـرين فى مساء الرابع من يناير عام 1985 قبل تنفيذ حكم الإعدام عليه باسبوعين. قال سعيد الطيب شايب، وهو

---

(1) المصدر السابق، ص 32-33 .

(2) المصدر السابق، ص 32-33 .

(3) المصدر السابق، ص 32-34.

من أبكار[1] تلاميذ الأستاذ محمود، عن الأستاذ محمود: "ونعى نفسه لتلاميذه وللحاضرين فى الليلة السابقة لاعتقاله الأخير، حيث تحدث فى ختام مؤتمر احتفاله بعيد الاستقلال وفى الطريق العام عن ضرورة الفداء للشعب"[2]. فى ذلك اليوم قال الأستاذ محمود لتلاميذه وللحاضرين: "جاء الوقت لتجسيد معارفنا"[3]. ليس هناك على المثقف أو المفكر أصعب من تجسيد معارفه وأقواله. كتب إدوارد سعيد فى كتابه: السلطة والمثقف، والذى صدر فى طبعته الأولى عام 1994، قائلاً: "أصعب جانب من جوانب حياة المثقف أو المفكر هو تجسيد ما يقوله فى عمله وتدخلاته"[4].

الشاهد أننى أعرف المثقف، نسجاً مما ورد أعلاه، ولغرض هذه الدراسة بأنه هو الإنسان الحامل للمعرفة أو منتجها أو ناشرها، والمساهم فى مجمل الحركة الإجتماعية وتكييف الرأى العام، بورع علمى ومعيار أخلاقى. يدخل فى هذا الأكاديمى والمؤرخ والسياسى والطبيب والاعلامى والفقيه والواعظ وإمام المسجد والقاضى والمحامى وشيخ القبيلة وشيخ الطريقة... إلخ.

إن الأستاذ محمود محمد طه حينما طرح مشروعه، مشروع الفهم الجديد للإسلام، فى النصف الثانى من القرن العشرين، كان أول المعترضين عليه وأول الذين دشنوا حملة العداء والتشويه والتزوير لمشروعه ولسيرته هم الفقهاء والوعاظ... إلخ من رجال الدين.

---

(1) يقول ابن منظور: الأَبْكارُ: التى يتعجَّل إدراك ثمرها فى أول النخل، مأخوذ من الباكُورة من الفاكهة، وهى التى تتقدَّم كل شىء. المصدر: ابن منظور، محمد بن مُكرَّم بن علىّ بن أحمد بن حبقة الأنصارى الإفريقى، **معجم لسان العرب فى اللغة**، دار صادر، بيروت، 1968، مادة أبكار.

(2) سعيد الطيب شايب، "حوار مع الأستاذ سعيد شايب عن الفكر الجمهورى"، أجرى الحوار: عيدروس عبدالعزيز، **صحيفة الأيام**، 6 يناير 1986 الموافق 25 ربيع الثانى 1406، نص الحوار منشور فى موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: www.alfikra.org

(3) محمود محمد طه، "ختام المؤتمر الذى أقيم بمناسبة عيد الاستقلال فى مساء الجمعة يوم 1985/1/4"، (مخطوطة)، تتكون المخطوطة من ثلاث صفحات، وقد ختمت المخطوطة بقول الأستاذ محمود: "بالصورة دى يكون ختام مؤتمرنا". حصلت على نسخة من المخطوطة من أسماء محمود محمد مقابلة فى الخرطوم 2011/7/9، الساعة 18:00.

(4) إدوارد سعيد، **المثقف والسلطة**، مرجع سابق، ص 197.

الفقهاء والكسل العقلى وعدم الصدق

نحن لا نلوم الفقهاء على عدم الفهم، ولكننا نلومهم على عدم الصدق[1].

محمود محمد طه

استهل الفقهاء والقضاة الشرعيون والمشايخ النقد للأستاذ محمود. كان ذلك فى عام 1957 انطلاقاً من المعهد العلمى بأمدرمان "أزهر السودان"، **جامعة أمدرمان الإسلامية** لاحقاً، ومن هيئة علماء السودان لاحقاً. من واقع ما أطلعت عليه، وما وقفت عليه من كتابات كتبها الفقهاء والعلماء والقضاة الشرعيون من كتب ومقالات، إلى جانب ما نشرته هيئاتهم، من بيانات فى معارضة الأستاذ محمود، ومن واقع ما أطلعت عليه، فإننى أزعم أن الأستاذ محمود لم يواجه نقداً إلا من معارضين يعبرون عن اختلافاتهم بالعاطفة وعدم الصدق فى المعارضة. فقد انبروا للكتابة ضده وتكشف كتاباتهم عن أنهم لم يقرأوه، بل زوروا ما قاله وما كتبه بتراً وتحريفاً. لقد طرح الأستاذ محمود مشروعاً كوكبياً للتغيير، واستخدم فى التبليغ والدفاع عنه أدوات المثقف: المقال والكتاب والمنشور والبيان ...إلخ وسبل الحداثة، والمنطق والعلم والعقل والعقلانية ولم يستخدم الوعظ أو العاطفة الدينية. فى المقابل واجه فقهاءً يأخذون بالوعظ وتوظيف العاطفة الدينية، وكانوا من خلال ما وقفت عليه من كتاباتهم، خفيضى السقف المعرفى، لا يأبهون بالأخلاق والورع فى نقدهم للأستاذ محمود، وينقصهم الصدق فى التعبير عن مواقفهم. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "إننا بالتجربة الطويلة فى ممارسة حمل الدعوة، لم نجد خصومنا فى الرأى يعارضون محتوى ما نقول.. على النقيض من ذلك هم يعارضون آراءً توهموا أننا قد قلناها، ولو أنهم قد استأنوا قليلاً لكان لهم موقف آخر، فإن علم الله واسع، وإن كلماته لا تنفد"[2]. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "إن فى هذا الكتيب الموجز فرصة جديدة ليسمعوا منا،

---

(1) محمود محمد طه، **بيننا وبين محكمة الردة، السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة**، ط١، شركة الطابع السودانى، الخرطوم، 1968، ص (خاتمة).

(2) محمود محمد طه، **من دقائق حقائق الدين**، ط 2، أمدرمان، 1976، ص 2-3 .

بعد أن ظلوا.. طول وقتهم يسمعون عنا.. ولقد انكرنا عليهم هذا الوضع فى عديد المناسبات، ونحن إذ نجدد الدعوة الآن بهذا القول اللين، فاننا نطمع ان هذا يجعلهم يتقون، أو يحدث لهم ذكراً.. هذا.. وعند الله نلتمس العون أولاً، وآخراً"[1]. كانت الدراسات التى أعدها هؤلاء تفتقر للأسس العلمية، والمعايير الأخلاقية. قدمت نماذج عديدة من هذه الدراسات بعضها كتب ومقالات وبعضها الآخر رسائل جامعية، كان قد أعدها مشايخ المعهد العلمى بأمدرمان والفقهاء والقضاة الشرعيون من السودان، ومنهم من هو من مصر. وكانت كتاباتهم وبياناتهم تضج بعدم الصدق. كان أوضح نماذج عدم الصدق بيانات علماء السودان، وكتابات الشيخ محمد نجيب المطيعى، وهو مصرى الجنسية، وعمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية. نشر المطيعى مقالاً بعنوان: "النبأ الأثيم أو الهوس اللادينى الذميم"، وكتاباً بعنوان: **حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة**.

كان من أبشع نماذج الدراسات الجامعية العليا التى قدمتها فى متن هذا الكتاب، أطروحة دكتوراة بعنوان: **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**. قدم الأطروحة الطالب آنئذ شوقى بشير عبدالمجيد لنيل درجة الدكتوراة فى العقيدة، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، **جامعة أم القرى**، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، وهو مبتعث من **جامعة أمدرمان الإسلامية إلى جامعة أم القرى** بالمملكة العربية السعودية. حينما درست هذه الأطروحة، وتكاد تكون هى من أوائل الدراسات الجامعية التى أعدت فى نقد الأستاذ محمود والإخوان الجمهوريين، لم تكن هذه الأطروحة فاقدة للأسس العلمية فحسب؛ وإنما كانت تضج بالجهل والسذاجة والعبث. كانت المعلومات فيها غير دقيقة وبعضها غير صحيح البتة ليس على مستوى الفكرة الجمهورية والأستاذ محمود فقط، بل على مستوى تاريخ السودان ومساره السياسى. لقد أحاط الجهل بأول مائة صفحة منها، للحد الذى يصعب على قارىء مطلع ملم -دعك من متخصص- أن يكمل قراءتها. وللأسف فقد أعتمدت على هذه الأطروحة

(1) المصدر السابق، ص 2-3 .

العديد من المؤسسات فى تصميم مناهجها الدراسية، وأخذت الكثير من الدراسات بما جاء فيها باعتبارها أهم المراجع عن الفكرة الجمهورية. ومثل هذه الأطروحة لا تزيد الناس إلا ظلاماً ولا تزيد الأرض إلا إظلاماً وظلماً. الأمر الذى يعكس مستوى الأكاديميين فى العالم الإسلامى والعربى وفى السودان، ويعكس كذلك مستوى المؤسسات الأكاديمية فى السودان وفى العالمين الإسلامى والعربى. وتكشف هذه الأطروحة بشكل جلى أسباب الإنحطاط والتدهور فى السودان وفى العالمين الإسلامى والعربى. سيجد القارىء الكريم كل ما ذهبت إليه مثبتاً ومبرهناً عنه فى الموضع الذى تناولت فيه هذه الأطروحة وغيرها من الدراسات ضمن الفصل الثانى: "قراءة فى الدراسات السابقة، مرحلة الفقهاء: تعطيل الطاقات الحيوية وتجميد حركة التغيير والتحرير".

الشراكة فى الاغتيال

إن الأستاذ محمود محمد طه أول مفكر يحاكم ويعدم بسبب أفكاره فى عصرنا الحديث، لم يحمل سلاحاً ولم يجند جنوداً ولم يمارس إرهاباً، فقط مارس حريته كإنسان- الحرية التى منحها الله لنا جميعاً- فى أن نفكر وأن نطالب بإصلاح ما يمكن إصلاحه من شؤون ديننا ودنيانا (1).

عطيات الأبنودى

أزعم فى هذه الدراسة أن اغتيال الأستاذ محمود تم بشراكة واسعة وعبر تحالف إسلامى عريض. فقد مثل الجهل والعقل القديم والانتماء للماضى، حلفاً فى مواجهة الجديد والانتماء للمستقبل. كان قوام التحالف الإسلامى الفقهاء والقضاة الشرعيين والحركات السلفية، والمؤسسات الإسلامية والدوائر الدينية الإسلامية التقليدية التى أفتت بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وتبنت معارضته ورفضت مشروعه، فى السودان، حيث القيادات الحزبية والفكرية الإسلامية التقليدية، وهيئة علماء السودان، و**المعهد العلمى بأمدرمان** (أزهر السودان). وفى مصر حيث **الأزهر** وبعض مشايخه وخريجيه. وفى المملكة

(1) عطيات الأبنودى، "النص الكامل لمحاكمة وإعدام زعيم إسلامى فى السودان"، **القاهرة**، يناير 1994، ص 47.

العربية السعودية حيث **الندوة العالمية للشباب الإسلامى، ورابطة العالم الإسلامى**، وغيرها من أطراف الحلف. وتزعم الدراسة أيضاً، أن بداية العداء المنظم ضد الأستاذ محمود، وشرارة الحرب الأولى ضد مشروعه، والتى رمت إلى وصمه بالردة عن الإسلام، لم تنطلق من تفكير ورسم محلى فى السودان فقط، بقدر ما كانت شراكة ونتاجاً للنفوذ السياسى الخارجى، خاصة النفوذ المصرى الرسمى الذى اعتمد فى أدواته على حلفائه المحليين من طلائع المتعلمين، ومباركة الطائفية عبر صمتها، حينما كانت محكمة الردة عام 1968. وتزعم هذه الدراسة كذلك، أن اللبنة العدائية ضد الأستاذ محمود التى وضعها النفوذ السياسى المصرى عبر أدواته وحلفائه من طلائع المتعلمين، هى التى أسست للمواقف العدائية اللاحقة من مختلف الأطراف الإسلامية فى السودان.فقد صدر الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام مرتين الأولى عام 1968 والثانية عام 1985. وبناء على المحاكمة فى المرة الثانية والتى استدعت الحكم الصادر فى المرة الأولى يوم 18 نوفمبر 1968، نُفذ الاغتيال فى يوم 18 يناير 1985، بدور واضح لرجالات الدولة وأجهزة الأمن والاستخبارات فى السودان وفى محيطه الإسلامى، وفى ظل صمت عالمى. من المهم الإشارة، كما ورد بشىء من التفصيل فى المتن، إلى أن المحكمة العليا - الدائرة الدستورية فى السودان قد نقضت الحُكم فى حق الأستاذ محمود وأبطلته فى يوم 1986/11/18، بموجب القضية نمرة: م/ع/ق/ د/ 1406[1].

ولإثبات صحة زعمى سعت الدراسة إلى استنطاق الوثائق، من خلال التحليل ومقارنة القرائن لتقديم الأدلة والبراهين. فخصصت الدراسة فصلاً لدراسة موقف **المعهد العلمى بأمدرمان** (أزهر السودان) من الأستاذ محمود، وكذلك فصلاً عن الأستاذ محمود ومصر برئاسة الرئيس جمال عبدالناصر(1918-1970)، ومحاور ضمن الفصل الذى تناول سنوات حكم ثورة مايو (1969-1985) والشراكة فى الاغتيال. تناولت المحاور مواقف القوى الإسلامية والقيادات السياسية والفكرية والإسلامية التقليدية فى السودان من

(1) للاطلاع على التفاصيل أنظر القضية نمرة م ع/ ق د/ 1406/2، أسماء محمود محمد طه وعبداللطيف عمر حسب الله ضد حكومة جمهورية السودان، **الموسوعة السودانية للأحكام والسوابق القانونية**، العدد 1986، السلطة القضائية http://www.sjsudan.org

محكمة الردة الأولى عام 1968، خلال فترة دكتاتورية الفقهاء (1965-1969)، حقبة العبث بالدستور والكبوات الكبرى التى كانت عقب ثورة أكتوبر المجيدة 21 أكتوبر 1965. إلى جانب معالجات جاءت ضمن الفصول الأخرى.

وتزعم هذه الدراسة كذلك، أن قضية الأستاذ محمود بدأت مع أنداده من طلائع المتعلمين، حينما ترسم هو طريق المواجهة والمناطحة والمصادمة للقوى الاستعمارية ولمراكز السلطة فى المجتمع، الدينية والتقليدية، ودعا أنداده إلى السير من أجل تحقيق الاستقلال الحقيقى وإحداث التغيير، إلا أنهم آثروا طريق المهادنة والتسوية والتصالح والتحالف مع القوى التقليدية والاستعمارية. سار الأستاذ محمود فى طريق المواجهة والمصادمة بجسارة وشدة مراس فبدأت حروب المكائد والدسائس ضده، كما تبع ذلك نمو اتجاه الحسد نحوه. ويزعم هذا البحث أيضاً، أن جهود تضليل الرأى العام فى الموقف من الأستاذ محمود، ومساعى تغييبه عن الذاكرة الجمعية، بدأت مع طلائع المتعلمين أيضاً، ومن شواهد ذلك إغفال جلهم لذكر الأستاذ محمود فى مذكراتهم وسيرهم الذاتية، ومن ثم أخذ التضليل والتغييب طريقه إلى صحائف المؤرخين السودانيين، وإلى الأرشيف القومى السودانى، وإلى الأكاديميا السودانية. وللتدليل والبرهان على ذلك، فقد خصصت الدراسة فصلاً لدراسة الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه، وقدمت فى الفصل سبعة نماذج من نماذج مذكرات طلائع المتعلمين من معاصرى الأستاذ محمود.

وتزعم هذه الدراسة أيضاً، أن الأكاديميا السودانية، فى موقفها من الأستاذ محمود ومشروعه، قد رسبت فى امتحان القيام بواجباتها فى خدمة المجتمع، وفى الكشف عن الحقيقة. وتبدت فى موقفها من الأستاذ محمود كما هو حالها فى الكثير من الشؤون السودانية وقضاياه، بلا ورع علمى وبلا هيبة معرفية، بل بترت المعارف فى العقول الأمر الذى ترتب عليه بتر الأراضى فى السودان وتفشى حالة التشظى، وضياع إرث التقاليد والأخلاق الأكاديمية. ففى موقفها من الأستاذ محمود تحالفت الأكاديميا السودانية، تحالفاً غير معلنٍ أو مكتوبٍ، بل تماهت مع السلطة السياسية وسلطة المجتمع وسلطة الفقهاء. فهى حتى تاريخ اليوم لم تنظم أى مؤسسة من مؤسساتها مؤتمراً

واحداً عن موضوع الأستاذ محمود، سواء لبحث دوره فى الحركة الوطنية أو دراسة مشروعه أو قراءة أبعاد إغتياله بسبب الفكر، وظلال ذلك الاغتيال على المسار السياسى والفكرى. بل ظلت الأكاديميا السودانية مقاطعة للأستاذ محمود ولمشروعه، وعازلة له عن حركة البحث العلمى، أكثر من ذلك، فهى فى واقع الأمر تعمل على تزوير تاريخه وسيرته بتغييبه من الذاكرة الجمعية وتضليل غمار الناس فيه. لإثبات هذا الحكم القاسى والطعن فى مخرجات الأكاديميا السودانية والإدانة بقوة لأخلاقياتها، فقد خصصت فصلين لذلك إلى جانب ماورد فى الفصول الأخرى. فقد تناول الفصل الثالث عشر الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية، ودرس الفصل الرابع عشر الأستاذ محمود فى كتب تاريخ الحركة الوطنية، وكتب أخرى فى مجال العلوم السياسية والفكر الإسلامى. ففى حالة الفصل الرابع عشر درست تسعة عشر كتاباً من كتب تاريخ الحركة الوطنية والفكر الإسلامى، والعلوم السياسية والحركة النسوية ودراسات المرأة. أما بالنسبة للفصل الثالث عشر والذى تناول الأكاديميا السودانية، فقد اخترت **جامعة الخرطوم** لتكون نموذجاً لدراستى لقراءة موقف الأكاديميا السودانية من الأستاذ محمود من خلال الرسائل الجامعية "الدكتوراة والماجستير". ويرجع اختيارى **لجامعة الخرطوم** لعدة أسباب منها: أنها تعد أعرق الجامعات السودانية فقد افتتحت نواتها، **كلية غردون التذكارية** عام 1902. كما كانت من أكثر الهيئات الأكاديمية وكذلك أكاديميوها وطلابها كانوا شهوداً على مشروع الأستاذ محمود، من خلال ما شهدته ساحاتها من طرح وحوار بشأن الأستاذ محمود ومشروعه، وقد قاد ذلك النشاط والحوار تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته. إلى جانب أسباب أخرى بينتها فى موضعها فى الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب.

اخترت عشوائياً واحداً وثلاثين نموذجاً من رسائل الدكتوراة والماجستير فى أربعة مجالات، جميعها مثبت فى قائمة المصادر والمراجع، ونال بها مقدموها الدرجات العلمية تحت مظلة كلية الدراسات العليا من **جامعة الخرطوم**. لقد اخترت المجالات الأربعة بعينها إذ كان للأستاذ محمود فيها مساهمات باكرة وأصيلة ومنشورة على طبعات متعددة منذ الأربعينيات والخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضى. كانت الأطروحات

والرسائل التى اخترتها فى كليات: الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، والآداب، فى أقسام: التاريخ والفلسفة والدراسات الإسلامية، والمجالات هى:

* التاريخ: تاريخ الحركة الوطنية.

* العلوم السياسية: التطور السياسى فى السودان، وتطور الفدرالية فى السودان.

* الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامى والفلسفة.

* العلوم الاجتماعية: الحركة النسوية والدراسات بشأن المرأة.

عالج هذا الكتاب موضوعه من خلال تناوله لقضايا عديدة ومتداخلة، وبتقاطعات لمجالات مختلفه منها: التاريخى والفكرى والثقافى والسياسى والاجتماعى ...إلخ، لهذا فقد داخل الكتاب فى معالجته بين مناهج بحثية مختلفة: المنهج التاريخى، ومنهج مقارنة القرائن، والمنهج الوصفى، وكذلك المنهج الوصفى التحليلى، سواء كان تحليل النص فى داخله، أو تحليل النص عبر مقارنته بنصوص أخرى، أو عبر مقارنته بالوقائع، مع الحرص على الالتزام بالمنهج التوثيقى، حيث توثيق الاقتباسات والنصوص وتثبيت مصادرها. ولأجل جمع البيانات والبينات والمعلومات، سعيت إلى الاطلاع على المصادر الأولية: كتب الأستاذ محمود محمد طه، ومقالاته وبياناته ومناشيره فى مصادرها الأولية وهى الدوريات منذ العام 1935، إلى جانب جلساته مع تلاميذه، ومحاضراته العامة وندواته المسجلة بصوته أو تلك التى نشرت ملخصاتها فى الدوريات، إذ كان التلخيص هو النظام المتبع قبل بداية دخول التسجيل الصوتى عام 1963 لنشاطات الإخوان الجمهوريين. كما سعيت للاطلاع على أكبر قدر ممكن من التقارير والوثائق والندوات إلى جانب الكتابات النقدية لمشروع الأستاذ محمود، سواء كانت لأفراد أو مؤسسات: الكتب والرسائل الجامعية والأوراق العلمية والمقالات والبيانات، ...إلخ والتى بدأ نشرها منذ ستينات القرن العشرين وحتى يومنا هذا. وقفت على بعض هذه المصادر والوثائق فى **دار الوثائق القومية** فى الخرطوم، وفى **دار الكتب والوثائق القومية**، فى القاهرة، مصر. الشاهد أننى ولأجل هذا الكتاب استشرت نحو ألف مصدر ومرجع، وحرصت حرصاً شديداً على أن أطلع بنفسى على أى مصدر أو

مرجع استعنت به، وقد استبعدت أى مصدر أو مرجع لم أطلع عليه، والمصادر والمراجع كلها مثبتة فى قائمة المصادر والمراجع. وقد صنفتها على النحو التالى:

*** قائمة مؤلفات الأستاذ محمود محمد طه:**

1- الكتب

2- بعض البيانات والخطابات والمخطوطات والمحاضرات والندوات.

*** الكتب العربية.**

*** الكتب الأجنبية.**

*** الدوريات العربية.**

*** الدوريات الأجنبية.**

*** المحاضرات والندوات والجلسات وحلقات النقاش.**

*** الرسائل الجامعية.**

*** المراسلات والخطابات الخاصة.**

*** المقابلات** *Interviews*.

*** المواقع على شبكة الإنترنت** *Websites*.

وعمدت بعد ذلك عبر التحليل للوقائع والأحداث والتفسير والتعليل والمقارنة إلى استخلاص الحقائق وتدوين النتائج.

فى رحلة بحثى وتنقيبى فى **دار الوثائق القومية** فى الخرطوم، وقفت على بعض المصادر من الكتب والبيانات والمقالات فى الدوريات، التى لم ترد الإشارة إليها من قبل، لا فى كتب الإخوان الجمهوريين أو فى غيرها. وقد أثبتها كلها فى قائمة المصادر والمراجع وبعضها فى قائمة الملاحق. فقد وقفت على مقالين نشرهما الأستاذ محمود **بمجلة كلية غردون** عام 1935، أحدهما وردت الإشارة إليه من قبل. ووقفت على بيان أصدره الأستاذ محمود يطالب فيه بانسحاب السودان فوراً من **جامعة**

الدول العربية، وبين فيه أسباب الانسحاب. صدر البيان فى يوم 1958/8/23 بعنوان: "**الحزب الجمهورى** يقدم دعائم الميثاق القومى". ووقفت كذلك على مقالات كتبها الأستاذ محمود، عن مياه النيل، منها مقال جاء بعنوان: الأزمة بين السودان ومصر: إتفاقية مياه النيل سنة 1929، ونشر فى يوم 25 أكتوبر عام 1958، كان مقالاً مطولاً ولأهميته فقد أفردت له مع مقالات وبيانات أخرى محوراً ضمن الفصل السادس. كما وقفت على بيان أصدره محمود محمد طه، رئيس **الحزب الجمهورى**، تناول سعى بعض الأحزاب السودانية لإقامة التحالفات والشراكة فى النضال مع **الحزب الجمهورى**. صدر البيان فى يوم الأربعاء 19 مارس سنة 1952، وكان بعنوان: "فشل المسعى لالتقاء **الحزب الاشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى** لاختلاف المبادئ والوسائل". كما وقفت على استقراء أعده الأستاذ محمود عام 1958 عن الحركة الوطنية فى السودان، وقدم فيه نقداً للمثقفين وأشار فيه إلى أنه أصدر سفراً يتناول فيه هذا الموضوع وكان السفر بعنوان: **خيانة المثقفين**. وتحدث الأستاذ محمود فى استقرائه عن حقوق بعض أهل الأطراف لا سيما مؤتمر البجة. ووقفت كذلك على وثيقة تُبين أن **المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف** (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) بالسودان، قام باستكتاب الأساتذة ليردوا على فكر الأستاذ محمود. لم يكن واضحاً ما إذا كان هؤلاء الأساتذة الذين تم استكتابهم، من داخل السودان أم من خارجه، ولكنى وقفت على بعض الدراسات التى كتبها المشايخ، ووقفت كذلك على تقويم المحكمين لبعض الدراسات التى كتبت فى الرد على الأستاذ محمود استجابة لنداء الاستكتاب الذى أطلقه **المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف**. هذه مجرد نماذج فقط، فقد وقفت على العديد من البيانات والمقالات التى كتبها الأستاذ محمود ونشرها فى الدوريات، ولم يرد ذكرها من قبل فى أى مصدر أو مرجع من المراجع.

كما أتيحت لى فرصة البحث فى بعض المكتبات الخاصة فوقفت على وثائق وبيانات ومنشورات ومخطوطات نادرة ومراسلات كثيرة كانت بين الأستاذ محمود واثنين من "أبكار" تلاميذه: سعيد الطيب شايب وجلال الدين الهادى الطيب إدريس، وقد اطلعت

عليهـا بمكتبة جلال الدين الهـادى الخاصة بمنزل الأسرة بمـدينة ود مدنـى وسـط السـودان. هذا إلى جانب أننى وقفت على بعض الأعداد من **صحيفـة الجمهورية**، لسان حال **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود محـمد طه، والتى صدرت فى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى، وقد خلت **دار الوثائق القومية** فى السودان، من أى عدد من أعدادها. على الرغم من أننى وجدت الإشارة عند بعض الباحثين لوجودها **بدار الوثائق القومية**، بيد أنى حينمـا بحثت فى الدار عنهـا لم أجدها، فخـاطبت إدارة الدار فأكدت خلـو الدار منها، مما يتناقض مع مـا ورد فى كتـابات الباحـثين، وتأكيـدهم لى بأنهم اطلعـوا عليها بالـدار، لقد خصصت محوراً لتبيين هذا الأمر. يضـاف إلى ذلك أننى قمت بمقابلات مع ستين شخصاً من المعاصرين والمشـاركين فى صناعة الأحداث. كمـا وقفت كذلك على بعض الخطابات التى بعث بها الأستاذ مـحمود لمفكرين وقادة ومثقفين فى مخـتلف أنحاء العالم إلى جانب الخطابات الخاصة لتلاميذه وأصدقائه. وكذلك المراسلات التى كانت موجهة من مؤسسات إسلامية إلى رئاسة الجمـهورية فى السودان أو إلى وزير الشؤون الدينية والأوقاف، المجلس الأعلى للشـؤون الدينية والأوقـاف، وهى تتعلق بموضـوع الأستـاذ محـمود. وغيـرها من المصادر والمراجع.

من المهم الإشارة إلى أن انتقاء المقابلات لم يكن مـقصوداً إلا فى حالة أبكار تلاميذ الأستاذ محمود وتـلميذاته، الذين لازموه منذ عقد الخمسينيات أو عـقد الستينيات من القـرن الماضى، فـيمـا عدا ذلـك فإن الانـتـقـاء تحكمت فـيـه ويسـرته ظروف وفـرص ومناسبات أكثر من كونه انتقاءً قـائماً على نوع الصلة بالأستاذ محمود أو حجم الدور أو الترتيب أوالعطاء فى حركـة الإخوان الجمهوريين فى حـالة تلاميذ الأستاذ مـحمود وتلميذاته، أو بناءً على نوع وحجم الإسهامات النقـدية المنشورة بشأن مشروع الأستاذ محمود فى حالة المثقفين السودانيين الآخـرين. جدير بالذكر أن للأستاذ محمود تلاميذ من غير السودانيين فى مـصر، وأمريكا، وأستراليا وغيرها، وقـد تتلمذوا عليه قبل عام 1985. كـذلك الحال فى الكتـابات فـإننى لم أعمـد إلى الانتـقاء من كـتـابات تلاميـذ الأستاذ محمود أو من كـتابات المثقفين من غير تلاميذ الأستاذ محـمود وتلميذاته. فقد تعاطيت مع ما توفر لى من الكتب والرسائل الجامعية، والأوراق والمقالات، للمثقفين،

وأطلعت على من لقيته فى دور الكتب والوثائق، وسعيت لاقتناء بعضها، وطلبت كتباً ورسائل جامعية وأوراقاً علمية ...إلخ من من تعرفت عليه، أو وصلت إليه من خلال اطلاعى لكتابات آخرين، أو ممن دلنى عليه آخرون.

بالطبع لم يغطِ هذا الكتاب كل مواقف المثقفين من الأستاذ محمود، كأفراد أو جماعات أو تنظيمات أو تجمعات. فهو لم يشمل (وهذا طبيعى ومتوقع فى دراسة عدد صفحاتها فى حدود الألف صفحة)، كتابات كل المثقفين من المتفقين مع الأستاذ محمود فى الرأى أو المنادين بحقه فى حرية الفكر أو من المناصرين والمؤازرين أو حلفائه وشركائه من دعاة أنسنة الحياة وكرامة الإنسان. وبالطبع لم يشمل كذلك كتابات كل المثقفين من المعارضين للأستاذ محمود والمختلفين معه فى الرأى والرؤية. لقد قدم الكتاب نقداً لنقد أولئك الذين نقدوا الأستاذ محمود، واستعرض الكتاب فى هذا نماذج عديدة من داخل السودان وخارجه. أما بالنسبة للمثقفين الذين ظلوا يحتفون بالأستاذ محمود وبمواقفه، وظلوا يناصرونه، سواء كانوا من المتفقين معه فى الرأى أو منطلق إيمانهم ونضالهم من أجل كرامة الإنسان وحقوقه الديمقراطية وحقوقه فى الحرية الفكرية، فإننى أخذت برمزية إيراد جزء من كلماتهم وبعض كتاباتهم كقلادات فى صدر أبواب وفصول ومحاور هذا الكتاب، إحتفاء بهم وتثبيتاً لمواقفهم الإنسانية وإعلاءً لقيم العدل وفضائل الحق. كما أوردت كتابات البعض الآخر ممن كتبوا الشهادات فى حق الأستاذ محمود سواء اولئك الذين عرفوه فى الحياة أو التقوه فى السجون أو ممن فاضت إنسانيتهم يوم المحكمة أو يوم الاغتيال، فعبروا عن ذلك فى كتابة كتاب أو إهداء كتاب أو كتابة مقال أو من خلال إحدى الفنون الإنسانية: الشعر، المسرح، الكاركاتير، اللحن لبعض كلمات الأستاذ محمود، ...إلخ.

يقينى أن هناك الكثير من المثقفين ممن بكوا الأستاذ محمود بكاءً حاراً، ولا يزالون، وهناك من ظل محترماً ومحباً ومناصراً ومؤازراً للأستاذ محمود، وقد عبر بعضهم بالصمت البليغ الفصيح، وبعضهم الآخر عبر بالكتابات بمختلف ألوانها، غير أنه لم ترد إشارة إليهم، ولم ترد كتابات بعضهم فى هذا الكتاب، سواء كان ذلك بسبب أننى لم أقف

على تلك الكتابات، أو بسبب ضيق المساحة، وليس هناك سبب آخر قط. فلهؤلاء جميعاً اعتذاري، وعزائي أنهم سيجدون فى هذا الكتاب نصوصاً وشهادات وشواهد لآخرين تعبر عن مواقفهم ووجهة نظرهم فى احترام الأستاذ محمود واحترام مواقفه والاعتزاز بها والتبجيل له.

وفى سعيه للمحاولة على الإجابة لهذه الأسئلة، وإثبات مزاعمى، تناول الكتاب قضايا عديدة، ودرس موضوعات مختلفة، فى التاريخ وكتابته وكاتبيه ومصادره، وفى السياسة والاجتماع والفكر، وأزمة الفكر الإسلامى، وأزمة القيادات فى السودان، والاستعمار ودوره فى التغييب واغتراب السودان عن ذاته، وانفصاله عن جذوره، والأكاديميا السودانية ونشأتها العرجاء ودورها فى بتر المعارف فى العقول ومن ثم بتر الأراضى وتقسيم السودان. وغيرها من القضايا. ولمعالجة هذه القضايا العديدة الكبيرة بالغة التداخل، تهيكل الكتاب فى خمسة أبواب، وتكونت الأبواب الخمسة من ثمانية عشر فصلاً، إلى جانب المقدمات والخاتمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع وفهرس الأعلام والأماكن.

سعى الفصل الأول إلى تقديم لمحات من سيرة الأستاذ محمود وإنتاجه الفكرى. ميلاده والمعطيات المحلية والإقليمية، ونشأته ما بين القرية والمدينة، وسنوات دراسته، والوظيفة الحكومية والاستقالة منها. كما قدم لمحات من إنتاجه الفكرى وطبيعته، وتعريفاً لبعض العناصر الأولية Primary Elements فى نضاله ضد المستعمر وفى عطائه، من حيث التزامه مبدأ المواجهة، واستخدامه لأدوات المثقف وتوظيف سبل الحداثة، وحرصه الواضح وبجلاء على حفظ نسب الأفكار والمعلومات والأحداث من خلال التزامه الصارم للمنهج التوثيقى.

قدم الفصل الثانى قراءة فى الدراسات النقدية السابقة، التى قام بها الفقهاء. قدم الفصل إضاءات بشأن الحوارات التى كانت مع الأستاذ محمود فى عقد الخمسينيات من القرن الماضى، وسبقت دراسات وحورارت الفقهاء. ثم قدم الفصل قراءة فى الدراسات النقدية للفقهاء من خلال نماذج للدراسات النقدية التى نشرها الفقهاء والقضاة الشرعيون

والدعاة والوعاظ. كما قدم الفصل قراءة فى تكوين وطبيعة التحالف الإسلامى الذى واجهه الأستاذ محمود، إلى جانب دور ذلك التحالف فى قضية الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام عام 1968.

وقف الفصل الثالث على الدراسات النقدية التى جاءت بعد مرحلة الفقهاء، وكانت متأخرة إذ جاءت فى أغلبها فى أو بعد النصف الأول من عقد الثمانينيات من القرن الماضى، واستمرت فى التوسع. وقف الفصل على توسعها ودورها فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة مع تراجع دراسات الفقهاء وفى ظل الانفجار المعلوماتى وظهور شبكة الإنترنت وتوسع التعلم الذاتى وظهور المثقفين الرقميين كمعطى جديد فى تقديم الخدمات التنويرية. قدم الفصل وصفاً لحجم هذه الدراسات وطبيعتها وأنواعها.

تناول الفصل الرابع دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية السودانية. موقفه من الاستعمار وموقفه من منهج المثقفين وأدواتهم فى النضال ضد الاستعمار. وتناول موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين، مظلة النضال الوطنى والتى تأسست عام 1938، وموقفه من القيادات الدينية والطائفية والأحزاب السياسية. وتناول الفصل نشأة الحزب **الجمهورى** عام 1945، ومواجهته للاستعمار وما نتج عنها من سجن لرئيسه الأستاذ محمود. كما تحدث الفصل عن دور الأستاذ محمود وشراكته مع طلائع المتعلمين فى بعض الجبهات واللجان لاسيما لجنة الدستور القومى عام 1956. وتحدث الفصل كذلك عن صدور **صحيفة الجمهورية**، لسان حال **الحزب الجمهورى**.

درس الفصل الخامس ثورة رفاعة (الخفاض الفرعونى)- سبتمبر 1946. درس الفصل دور الأستاذ محمود فى الثورة، وكيف أنه كقائد للثورة اتخذ منها فرصة لتفكيك المعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge ومقاومة الاستعمار وكشف ادعاءاته فى سعيه لتحرير الشعوب من العادات السيئة. درس الفصل محاكمة الأستاذ محمود قائد ثورة رفاعة ومرافعته أمام المحكمة، ومحاكمة الثوار. درس الفصل موقف الدراسات من ثورة رفاعة، وقدم نماذج من الدراسات الجديدة التى ترسمت منهج

مدرسة دراسات ما بعد الاستعمار، وجاءت جلها متفقة فى خلاصاتها مع موقف الأستاذ محمود فى ثورة رفاعة.

ركز الفصل السادس على السودان فى مشروع الأستاذ محمود. فوقف على بناء الذاتية السودانية عند الأستاذ محمود، واعلانه الباكر لاحترام التنوع من أجل زيادة حيوية الأمة السودانية، ورؤيته لمستقبل الثقافة العربية والسودان، ودعوته عام 1958 لانسحاب السودان من جامعة الدول العربية. تحدث الفصل عن دعوة الأستاذ محمود للاتحادات الفدرالية، وقدم الفصل قراءة لمواقف الأستاذ محمود من مسار الحركة الوطنية بعد الاستقلال، ومن مشكلة جنوب السودان، ومشكلة الشمال، ومؤتمر البجة. وقدم الفصل تعريفاً موجزاً لرؤية الأستاذ محمود لدستور السودان. كما وقف الفصل على خلط المؤرخين والكتاب بين الأحزاب الجمهورية، ووقف كذلك على الأستاذ محمود فى إرشيف السودان القومى: **صحيفة الجمهورية فى دار الوثائق القومية**. كما قدم الفصل مدخلاً أولياً لرؤية الأستاذ محمود فى ممارسة السياسة والصحافة.

سعى الفصل السابع إلى الوقوف على طرح الأستاذ محمود لمشروع الفهم الجديد للإسلام، الفكرة الإسلامية الجيدة، والتعريف بالمسار الجديد **للحزب الجمهورى**. تحدث الفصل عن طرح المشروع عام 1951 واستعداد الأستاذ محمود للنتائج، وموقف المثقفين من المشروع. كما وقف الفصل عند رفقاء الأستاذ محمود وبداية مرحلة التتلمذ على يدى الأستاذ محمود. كما قدم الفصل ملامح أولية لدور تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، الذين عرفوا بالإخوان الجمهوريين. تحدث الفصل عن مصادر تمويل حركة الإخوان الجمهوريين، وقواعد التمويل وأسسه.

تتبع الفصل الثامن مواقف التحالف الإسلامى من الفهم الجديد للإسلام، وشراكة الساسة والفقهاء فى نقل السجال الفكرى من السوح الفكرية إلى الصعيد الرسمى. تحدث الفصل عن محكمة الردة الأولى عام 1968، وموقف المثقفين منها، والمؤامرة والتحالف غير المعلن والصمت عن المحكمة. تحدث الفصل عن المواجهة بين المفكر والفقهاء، وأساليب الدسائس وإرث العداء للمبادرات الخلاقة.

أما الفصل التاسع فدرس علاقة الأستاذ محمود **بالمعهد العلمى بأمدرمان** (أزهر السودان)، درس نشأة المعهد منذ أن كان فكرة، وتتبع تطوره حتى تحوله إلى **جامعة أمدرمان الإسلامية**. درس الفصل التعليم الدينى قبل إنشاء المعهد، ووقف على علاقة **الأزهر** بمصر بأزهر السودان، **المعهد العلمى بأمدرمان**. تناول الفصل دور المعهد فى تغذية الخيال الجمعى بالفكر الوافد وبث ثقافة التكفير ودوره كذلك فى تشكيل العقل الثقافى السائد. كما درس الفصل مواقف المعهد من الفحولة الفكرية، وتناول سوابقه التكفيرية وقدم نماذج لها. درس الفصل مواجهة الأستاذ محمود لمشيخة المعهد منذ بدايتها الأولى، وتطور تلك المواجهة حتى محكمة الردة عام 1968، وتناول الفصل استمرار تلك المواجهة باعتبارها صداماً بين الوعى والجديد مع القديم والجهل الذى يمثله مشايخ **المعهد العلمى** وحلفاؤهم من القضاة الشرعيين والفقهاء وحلفاؤهم خارج السودان فى المؤسسات الإسلامية فى القاهرة، مصر، وفى مكة، المملكة العربية السعودية.

عالج الفصل العاشر موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952، وموقفه من مصر برئاسة جمال عبدالناصر. تناول الفصل المواجهة التى قادها الأستاذ محمود ضد خطاب عبدالناصر وسياساته ودعوته الباطلة والعنصرية للقومية العربية، وانحراف الثورة عن مسارها، ورأى الأستاذ محمود فى مشكلة الشرق الأوسط وزعامة عبدالناصر للعرب. قدم الفصل تعريفاً بالاقتراح الذى طرحه الأستاذ محمود عام 1967 لحل مشكلة الشرق الأوسط، مع إشارة للمبادرة السعودية والتى تبنتها **جامعة الدول العربية** فى قمة بيروت عام 2002. تحدث الفصل عن تربص مخابرات عبدالناصر بالأستاذ محمود، وتناول تشكيل محكمة الشعب فى القاهرة عام 1954، وما تبع ذلك من خلق لمناخات الخيانة للوطن والردة عن الإسلام. ثم تحدث الفصل عن التصميم الأجنبى لسيناريو محكمة الردة والتنفيذ عبر الأدوات المحلية من الفقهاء والحلفاء.

درس الفصل الحادى عشر سنوات حكم نميرى، والشراكة فى الاغتيال يوم 18 يناير 1985. وقف الفصل أولاً على المناخ العام قبل سنوات حكم نميرى، فدرس فترة دكتاتورية الفقهاء، وما يسمى بالحكم الديمقراطى (1965-1969) حيث العبث بالدستور والكبوات

الكبرى: حل **الحزب الشيوعى السودانى** وطرد نوابه المنتخبين من البرلمان عام 1965، وانعقاد محكمة الردة، فى ظل حكم ديمقراطى، والحكم من محكمة غير مختصة، على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام عام 1968، والسعى للأخذ بما يسمى بالدستور الإسلامى. وقف الفصل عند إجهاض ثورة أكتوبر وغياب المحتوى الديمقراطى ومبررات قيام ثورة مايو، والحاجة للتغيير.

تناول الفصل موقف الجمهوريين من مايو والتقاء مايو بالجمهوريين على خط درء خطر الطائفية ورفض فرض الوصايا الدينية، وتحدث عن تعدد الأثواب السياسية لثورة مايو. وقف الفصل عند القاعدة الشعبية كأولوية فى التغيير عند الأستاذ محمود، وليس السلطة السياسية. ودرس الفصل المصالحة الوطنية عام 1977 ودورها فى العودة لمربع الفقهاء والهوس الدينى وتجدد المواجهات. تناول الفصل مواجهة الأستاذ محمود للطائفية والسلفيين والإخوان المسلمين وجماعات الهوس الدينى، ثم وقف الفصل عند انتقال الأستاذ محمود بالمواجهة إلى مرحلة تجسيد المعارف فى مدارك العبودية. وتناول الفصل المؤامرة وأبعادها والشراكة فى الاغتيال يوم 18 يناير 1985، ثم قيام سابقة محكمة الاستتابة والانحدار إلى درك العصور الوسطى. كما وقف الفصل عند نقض المحكمة العليا - الدائرة الدستورية، لحكم الردة وإبطاله. ثم تحدث الفصل عن التحالف الإسلامى وغياب الورع العلمى واستمرار التشويه لسيرة الأستاذ محمود ومشروعه، فقدم **الندوة العالمية للشباب الإسلامى** نموذجاً.

أبرز الفصل الثانى عشر بعض الشهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسامة على منصة الاعدام. تضمن الفصل ست عشرة شهادة. منهم من كان مع الأستاذ محمود فى السجن قبل الإعدام، ومنهم حارس زنزانته (غرفة الحبس الانفرادى) فى السجن، ومدير السجن آنئذ، والعامل الذى يعمل على المشنقة مُنفذ حكم الإعدام، وقائد الطائرة الذى حمل الجثمان بطائرته بعد تنفيذ الاعدام. وشهادة اثنين من الضباط اللذين كانا يعملان فى جهاز الأمن آنئذ، وعدد من الذين شهدوا تنفيذ الإعدام. إلى جانب شهادات كان التعبير فيها بالشعر وبالكاركاتير.

عالج الفصل الثالث عشر موضوع الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية. قدم الفصل تعريفاً للأكاديميا وإضاءة بشأن مبادئها، وتناول نشأة الأكاديميا السودانية وبداية الدراسات الأكاديمية فى السودان. تناول الفصل موقف الأكاديميا السودانية من الأستاذ محمود، خاصة فى المجالات التى كان للأستاذ محمود فيها دراسات منشورة وباكرة. فتناول الفصل موقف الأكاديميا من خلال الدراسة لاثنين وثلاثين رسالة جامعية من الرسائل فوق الجامعية، ثم تناول الفصل تجليات رسوب الأكاديميا السودانية فى امتحان الأستاذ محمود، وتخليها عن أهم المبادىء الأكاديمية وهى البحث عن الحقيقة وإظهارها ونشرها، ودورها فى تزوير التاريخ. كما تناول الفصل دور الأكاديميا السودانية فى بتر المعارف فى العقول ومن ثم بتر الأراضى وتبديل الثوب الجغرافى للسودان، وتغذية الخيال الجمعى من خلال البتر والهضم لحقوق وتاريخ الآخرين.

قدم الفصل الرابع عشر قراءة فى كتب تاريخ الحركة الوطنية وكتب فى مجال العلوم السياسية، ومقاومة الاستعمار، وتطور السودان السياسى، والحركة النسوية، ودراسات المرأة والفلسفة والدستور والتشريع. كانت النماذج ثمانية عشر نموذجاً من المراجع التى ألفها أكاديميون وكتاب وباحثون سودانيون. درس الفصل تعاطيهم مع الأستاذ محمود وكتاباته ومواقفه. كما تناول الفصل نشأة المدرسة التأريخية السودانية، ودورها فى التضليل والتغييب، وعدم قدرتها فى التحرر من المناهج الاستعمارية ومن النعوت الاستعمارية للتاريخ والأحداث والوقائع والتحقيب. وتناول الفصل دور المدرسة التاريخية السودانية فى صناعة التاريخ وطمسه وبتر المعارف وتعزيز حالة الانفصال الحضارى والوجدانى.

تقصى الفصل الخامس عشر سيرة الأستاذ محمود فى التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية. فدرس نشأة صناعة التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام فى السودان، ووقف على طبيعة تعاطيها مع الأستاذ محمود، ودرس ما تضمنته من تشويه وطمس للحقائق وتغييب للمواقف والتجزئة والبتر للمعلومات، إلى جانب أن الفصل وقف على حجم الإهمال والإغفال الذى واجهه الأستاذ محمود. كما تناول الفصل يقظة الأمم

وشرط تحرير التاريخ من حب المؤرخ.

بحث الفصل السادس عشر عن سيرة الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه. ووقف على كتابة المذكرات وأمانة التبليغ وأداء الشهادة، وتغذية الذاكرة الجماعية، والعظماء فى سجلات أممهم. ثم درس الفصل سبعة نماذج من المذكرات التى كتبها معاصرو الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين فى السودان. درس الفصل معالجة أصحاب المذكرات لموضوع الأستاذ محمود، ووقف على حجم التجاهل والتغييب للأستاذ محمود. ثم خلص الفصل متناولاً دلالات إغفال الأستاذ محمود فى المذكرات، وأثر ذلك التجاهل، ثم وقف الفصل على مدى أهمية وقيمة تلك المذكرات كمصدر لدراسة التاريخ؟

تناول الفصل السابع عشر، الأستاذ محمود والمفكرين الإسلاميين: محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً. قدم الفصل إضاءات لبعض ملامح تأثير الأستاذ محمود فى المفكرين الإسلاميين، وتراجع ومراجعة بعض المفكرين والمثقفين لمواقفهم من الأستاذ محمود. كما تناول اعتذار رئيس القضاء الأسبق، وتأرجح وتقلبات مواقف المفكرين الإسلاميين، من خلال نموذجين، من الأستاذ محمود وتنفيذ حكم الإعدام، فى ظل نمو الوعى ومجىء الرأى العام الجديد والمطالبة بجرد السجلات وإعادة القراءة للمواقف وفقاً للمعايير الأخلاقية. تناول الفصل محمد أبو القاسم حاج حمد صاحب "العالمية الإسلامية الثانية" نموذجاً للمفكرين الإسلاميين الذى استفادوا من مشروع الأستاذ محمود مع عدم الإشارة إليه أو الاعتراف به. تناول الفصل المواقف السياسية لحاج حمد من الأستاذ محمود قبل المواقف الفكرية، وسعى الفصل لتفكيك الرموز التى تحيط بتلك المواقف، وعلاقة تلك المواقف بمواقف طلائع المتعلمين، ولم يكن حاج حمد من حيث السن من طلائع المتعلمين.

سعى الفصل الثامن عشر (وهو الفصل الأخير) إلى تقديم مقاربة أولية بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، من خلال وسم كان هو: الأستاذ محمود والروحانيون، فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية، الأستاذ محمود والمهاتما غاندى (مقاربة أولية). وقف الفصل على وصوف المثقفين للأستاذ محمود بغاندى السودان وغاندى إفريقيا، وتناول

المهاتما غـاندى فى الذاكرة الكوكبـية، والصلات التـاريخية بيـن السودان والهند. ثم درس الفصل حضـور المهاتما غاندى فى مخيلة المثقـفين السودانيين، واستـلافهم للفكر التنظيمى من الهند وليس فكر المـقاومـة. درس الفصـل المقاومـة السلمـية عند المهـاتما غـاندى وعند الأستاذ محمود وأسلحة المقاومـة، فوقف عند الصيام ودوره عند كليهما، ثم درس الفصل عناصر التشـابه والمشترك بينهمـا، وإلى أى مدى مثلت رغبـة الأستاذ محمـود الشديدة فى دراسة القانون عنصراً من عناصر التشابه مع غاندى المحامى ودارس القانون. درس الفصل التغييـر ومفهومه والحاجة إليـه كما هو عند غاندى وكما هو عند الأستـاذ محمود، وتناول الفصل موقف كل منهما من الحضارة الغربية.

أمـا خـاتمة الكتـاب فـجـاءت بعنـوان: "الثـورات لا تُرى بالعيـن The Invisibility of Revolutions"، فى رمزية تشير إلى أن مشروع الأستـاذ محمود ثورة فكرية مدخرة كانت ، وهى تتسرب فى العقول والفهوم ، والآن قد قطعت شوطاً كبيراً. تناولت الخاتمة خلاصات الكتاب. فقد اسـتطاع الفقهاء والقضاة الشرعـيون ومشائخ **المعهد العلمى بأمدرمان** (أزهر السـودان)، منذ خـمسـينيـات القرن الماضى، وبـتحـالف إسـلامى واسع قوامـه **الأزهر** فى القاهـرة والمنظمات الإسلامـية فى مكة، المـلكة العربيـة السعودية، والـقوى التقليـدية من طائفيين وإسلاميين سلفيين فى السودان أن يقيموا جداراً عازلاً، بغير حق، لحجب مشروع الأستاذ محمود عن شعوب السودان والإسلام والعالم. عبر ذلك الجدار من وقت باكر عن تقسيم لحالـة صدام ومواجهة، بدأ الآن ذلك التقسـيم وتلك الحالة الصدامية تـتضـح معالمها وتظهر بشكل جلى فى العالم، وأكثر وضوحاً فى العالم الإسلامى، وأشد وأنصع وضوحاً فى السودان. فالتقسيم يقوم على أن الوعى والجديد والمستقبل يمثل طرفاً، والجهل والقديم والماضى يمثل الطرف الآخـر. والصدام مستمـر وكل يوم يشهد توسعاً ولاعـبين جدداً فى صالح الوعى والجديد والمستقبل.

لخصـت الخاتمة الدور الخطيـر الذى تقوم به الأكـاديميـا السودانيـة فى بتر المعـارف فى العقول ومن ثم بتر الأراضى وتشظى السودان. لـم تكن الأكاديمـيا السودانية سوى آلية من آليات التضليل والتزوير للتاريخ، فى ظل توفر القابليـة لتزوير التاريخ حيث التعدد الثقافى

فى السودان وإرث التعليم الذى لا يقوم على اعمال الحس النقدى، من الصراعات، ونموها وتوسعها مع استمرار الدور الأعرج والمختل للأكاديميا السودانية. وفصلت الخاتمة من واقع الدراسة فى هذا الكتاب بأن متطلبات الدخول فى المستقبل، وتحقيق شروط البناء الجماعى للسودان، تتطلب أول ما تتطلب فتح الملفات، وإعادة قراءة السجلات، سجلات حقوق الإنسان، وحقوق الجماعات والثقافات. تحدثت الخاتمة عن إرتفاع الواقع لمشروع الأستاذ محمود ورؤيته، وتنبأت -بيقين تام- بأن المستقبل فى صالح مشروع الأستاذ محمود، ولا مستقبل للسودان وللسلام والبشرية جمعاء بدون مشروع الأستاذ محمود، وقدمت الخاتمة فى ذلك بعض التفصيل والتبيين.

من المهم الإشارة لبعض الملاحظات والتوضيحات، إلى جانب الخطوات التى اتبعتها فى هذه الدراسة:

أولاً: إن بعض كتب الأستاذ محمود وكذلك كتب الإخوان الجمهوريين، كانت خالية من الإشارة لدار النشر، ذلك لأنها كانت تطبع بالآلة الكاتبة أو تكتب بخط اليد ومن ثم تنسخ بماكينة الرونيو. ولم تُنشر من قبل دار نشر سوى القليل جدا منها وقد أشرت لها فى المواضع التى وردت الإشارة إليها، وفى قائمة المصادر والمراجع.

ثانياً: لقد استخدمت علامة المعكوفتين مع ثلاث نقاط بهذا الشكل [...] للدلالة على أن هناك كلمة أو كلمات لم أتمكن من قراءتها فى المصدر أو المرجع، أو أننى أدخلت كلمة (مثل اسم شخص أو اسم مكان... إلخ) لم تكن موجودة فى النص وذلك لتوضيح وتحديد تدخلى فى النص الذى اقتضته ضرورة السياق.

ثالثاً: من المهم لفت انتباه القارىء الكريم إلى أن هناك بعض التكرار لبعض الجزئيات قد اقتضته الضرورة، إلى جانب أننى سعيت، ما أمكننى ذلك، أن أجعل كل فصل من الفصول ينهض بموضوعه، حتى أقلل من حاجة القارئ إلى الرجوع إلى الفصول السابقة.

جدير بالذكر أننى أقدم نفسى فى هذا الكتاب بوصفى باحثاً مستقلاً، يسعى إلى التنقيب والفحص والتمحيص وإعمال الحس النقدى من أجل إجلاء الحقائق وكشف

الوهم وزيف الواقع وفقاً للأسس العلمية والمعايير الأخلاقية. لهذا فإننى أسعى بهذا الكتاب إلى المساهمة فى الحوار بما يحقق التحرر من سلطة القطيع فى قراءة الأستاذ محمود، والمساهمة فى نقل التعاطى مع الأستاذ محمود وسجال المثقفين والمفكرين الإسلاميين والأكاديميين الباحثين وغمار الناس معه، من وضع العداء الجماعى الموروث للأستاذ محمود والمؤسس بالوكالة الفقهية، والمستمد من الوصاية على العقول، إلى وضع اتخاذ الموقف الفردى بعد قراءة الأستاذ محمود ومن ثم اتخاذ الموقف المناسب بعلم وصدق وشجاعة سواء كان الموقف احتراماً أو اختلافاً. أيضاً، من المهم الإشارة إلى أنه ليس غرضى من هذا الكتاب الانتصار للأستاذ محمود البتة، فالانتصار قد تم يوم الشموخ على المشنقة. وهذا هو الانتصار المستمر المتجدد والذى يتنسب له الناس فى كل يوم جديد، فالانتساب ليوم الصمود على المشنقة هو انتساب للكرامة والعزة والشهامة وانتساب للإنسانية. وليس من أغراض هذا الكتاب المحاكمة أو التجريم أو المساءلة؛ وإنما المراجعات وفتح الملفات للنقد وتصحيح المسار. فهذا الكتاب ليس سوى مدخل لدراسة مشروع الأستاذ محمود. فالمشروع لم يدرس بعد، بل هو قدم للقراء مشوهاً، كما أن سيرة الأستاذ محمود هى كذلك قدمت مشوهة. فالمثقفون فى السودان لم يرتقوا بالحوار بشأنه، بل لم يأتوا لدراسته إلا مؤخراً. فقد قام بالنقد الفقهاء والقضاة الشرعيون والمشايخ، وفى سبيل تسجيل انتصاراتهم، سعوا للتشويه عبر بتر النصوص وتفسيرهم لها وفقاً لمستوى سقوفهم المعرفية ودرجة ورعهم العلمى المتدنى ومعايير الأخلاق عندهم.

برغم كل هذا العبث والفوضى واللا أخلاق واللا علمية، التى صاحبت النقد لمشروع الأستاذ محمود ومعارضته ومن ثم اغتياله، فإننى لستُ ميالاً فى دراسة التاريخ، وفى استنطاق الوقائع والأحداث، وفى دراسة مصير المبادرات الخلاقة ومصيرها، والمواقف العدائية منها، أياً كانت، أن أضع أصحاب تلك المواقف العدائية فى موضع الحقد والضغينة. فقد قال الأستاذ محمود: "الحياد مهم وعدم المرارة فى النقد... فى نقدنا ما بننقد بمرارة لأن الناس المنتقدين هم غايتنا"[1].

(1) محمود محمد طه، "مقابلة أمنا آمنة والأخت أسماء للأستاذ محمود فى المعتقل"، بتاريخ 1984/6/16.

إن الإنسان، من حيث هو إنسان، هو نتاج لمكونات ثقافية وفكرية، وخلاصة لمنظومة تعليمية ونسق قيم سائد فى المجتمع. فالمكونات الثقافية والفكرية تمثّل الإطار المرجعى، والجذور المكوِّنة لمركبات الواقع، والمُحَدِدَة لاتجاهات المجتمع. كما أن الثقافة والمجتمع يصوغان الأفراد ويبلوران أفكارهم وتصوراتهم واتجاهاتهم. وفى هذا فإن الكثير من قادة السودان ومثقفيه وعامته، كانوا فى مواقفهم تجاه الأستاذ محمود، وفى الكثير من قضايا السودان، ضحايا لمكوناتهم الثقافية والفكرية. ولهذا، فإن المهم عندى هو اعمال الحاسة النقدية، فالنقد يكشف الزيف ويقشع الغمام فيهىء الأرض للتغيير، كما أشار شيلى واليا. والمهم عندى كذلك استنطاق الأحداث، وقراءتها بما يسهم فى دراسة المكونات الفكرية والثقافية، وتحليل الظروف المحيطة التى تشكِّل الوعى، وتُبلور المفاهيم والقيم والتصورات، وتُملِّك المعايير، وتُحدد شكل المواقف. والمهم، عندى أيضاً، هو أن يكون استنطاق الأحداث حافزاً لمراجعة المواقف ومحاسبة النفس، والمساهمة فى بث فضائل الاعتراف والاعتذار.

الجولة الثانية: نحو حوار جديد

لا ينفعُ العقلُ بغير ورعٍ[1].

عبدالله بن المُقَفَّع (724-759)

ختاماً أستميح القارىء الكريم عذراً، بأن أقدم هذه الدعوة والنداء من أجل انطلاق حوار جديد. لقد اتسم الحوار الفكرى والنقد فى السودان فى القرن الماضى، خاصة مع الأستاذ محمود محمد طه، بسمات العاطفة والخطابة والوعظ. فقد اختطف الفقهاء والوعاظ منابر الحوار وسوح السجال، وسيطروا عليها فى السودان وكذلك العالم الإسلامى، وقد تجلى ذلك بوضوح، كما يبينه هذا الكتاب، فى الحوار الذى تم مع الأستاذ محمود محمد طه. فكان إرث الحوار فى السودان، وديار الإسلام كذلك، إرثاً

(1) عبدالله بن المُقَفَّع، **الأدب الصغير والأدب الكبير**، تحقيق ودراسة إنعام فوال، دار الكتاب العربى، بيروت، 2008، ص 50-51.

فظاً، غابت عنه الحكمة، وحرية الفكر، وانتفت فيه حسن الإدارة، فنتج عنه بتر المعارف وتشويه العقول وإظلامها. فمن واقع تاريخ وخبرة السوح الفكرية الإسلامية والسوح السياسية والثقافية فى السودان، وكما هو الحال كلما التقى الجديد بالقديم، فإن الحوار والسجال فى حاجة إلى التطوير والضبط والتقنين بالعلم والأخلاق. لهذا فإننى أذكر نفسى أولاً، والآخرين ثانياً فأقول: أرجو من النقاد والمختلفين فى الرأى والرؤية معى، فى السودان وفى غيره، وبالمثل أطالب نفسى، ومن أجل إثراء الحوار الفكرى أن يكونوا فى هذه الجولة (وفى تقديرى أن هذا الكتاب يدشن الجولة الثانية من الحوار بشأن مشروع الأستاذ محمود) علميين فى نقدهم وفى التعبير عن اختلافهم وفى دحضهم الحجج وتفنيدهم لما أتيت به. كما أرجو منهم، ومثلما سعيت فى كتابى هذا، وأرجو أن أكون قد وفقت، إلى أن ألتزم التزاماً صارماً بالمنهج التوثيقى، أن يكونوا هم كذلك. أن يتحدثوا بالوثائق والأدلة والبراهين العلمية، وبلغة العقل لا لغة الخطابة والعاطفة. لنستهل جولة جديدة من الحوار الجديد.

كان الذين حاوروا الأستاذ محمود فى الجولة الأولى التى بدأت عام 1957 واستمرت حتى عام 1985، وظلت حتى يوم الناس هذا، وقد خاضها الأستاذ محمود وحده بمعية تلاميذه، فى مواجهتهم ومواجهة التحالف المحلى والإقليمى ضده. كان الذين حاوروا الأستاذ محمود ونقدوه، من الفقهاء والقضاة الشرعيين والمشايخ، يقومون بالحوار وهم أصحاب السلطة الدينية، وهم الأوصياء على عقول الناس. كانوا فى حواراتهم ونقدهم للأستاذ محمود بعيدين كل البعد عن المنهج العلمى فى التوثيق والتحليل والاستنتاج السليم، وبعيدين كل البعد عن العقلانية واحترام وجهة نظر الآخر ل وبعيدين عن الأخلاق أيضاً. اليوم تلاشى مبدأ الأوصياء على العقول، وتكاسر دور الفقيه الذى يحاور نيابة عن آخرين وتجلى عجزه فى مواجهة الفكر، وضمر دور المه ن على العقول، وتراجع دور السلطة الدينية، واتسعت قاعات المراقبة والمتابعة للمناظرات وا حال، وتمدد الوعى وغدت الأخلاق والعلم شروطاً أساسية للحوار، أو فى طريقها لتغدو كذلك، فى النقد وتبيين المواقف وفى الدعوة للأفكار. لهذا كله فإننا فى حاجة إلى حوار جديد، يقوم على احترام الآخر والالتزام بالأسس العلمية والمعايير

الأخلاقيـة، وتقديم الوثيقة على الغـرض والأخذ بالدليل العقلى على الخطبة العـاطفية. فـإن نجحنا فى التـأسيس لهـذا الحوار الجـديد، نكون قـد أسهـمنا فى أنسنة الحيـاة عبـر الارتقاء بالذوق والمعنـى الإنسانى وتنميـة الحس العدلى وترسيخ المـعانى الديمقـراطية، وتسييل المعارف وترفيع مستوى الخدمة التنويرية.

عبدالله الفكى البشير

الباب الأول

لمحات من السيرة والإنتاج الفكرى وقراءة فى الدراسات السابقة

حينما صعد محمود محمد طه المشنقة؛ كنا نحن الذين عليها؛ وكان هو نحن.. ولو لم يستقبل الأستاذ الشهيد الموت بتلك الابتسامة الخالدة، وبرباطة الجأش المتناهية، التى أبداها، لخذل فينا اعتزازاً يضرب عمقاً، ورسوخاً فى كياننا القومى، ولسخرت منا تربيتنا التليدة (حقى المشنقة والمدفع أب ثكلى) [1].

الشاعر صلاح أحمد إبراهيم (1933-1993) [2]

وهم يريدون بعد هذا أن نؤمن ونطمئن إلى كل ما يتحدث به القدماء... نعم نستطيع أن نؤمن وأن نطمئن لو أن الله قد رزقنا هذا الكسل العقلى الذى يحبب إلى الناس أن يأخذوا بالقديم تجنباً للبحث عن الجديد. ولكن الله لم يرزقنا هذا النوع من الكسل، فنحن نؤثر عليه تعب الشك ومشقة البحث [3].

طه حسين (1889-1979)

---

(1) صلاح أحمد إبراهيم، "بين محمود محمد طه وود حبوبة .. والشفيع ..."، **صحيفة الصحافة**، الخرطوم، 1985/6/25.

(2) تخرج فى كلية الآداب بجامعة الخرطوم، عمل بوزارة المالية ثم سفيراً بوزارة الخارجية. عاش آخر حياته بالجزائر وفرنسا. من رواد الشعر السودانى الحديث أصدر عدداً من الدواوين الشعرية منها: **غابة الأبنوس وغضبة الهبباى ومحاكمة الشاعر للسلطان الجائر**. كتب القصة القصيرة منها: **وهكذا يا أستاذ** واشترك مع صديقه على الملك فى اصدار كتاب البرجوازية الصغيرة، فضلاً عن أنه ، كتب عدداً كبيراً من المقالات الصحفية وترجم: الأرض الآثمة، للمناضل الأفريقى باتريك فان روزنبرج. المصدر: عون الشريف قاسم، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الثالث**، ط 1، شركة آفروقراف للطباعة والتغليف، 1996، ص 1336؛ مكى أبو قرجة، **أصوات فى الثقافة السودانية**، إدارة الطباعة والتوزيع/ مؤسسة الإمارات للإعلام، أبو ظبى، 2005، ص 62-64.

(3) طه حسين، **فى الشعر الجاهلى**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط2، 1998، ص 155 ، 156.

الفصل الأول

لمحات من السيرة والإنتاج الفكرى

إن تاريخ الأستاذ محمود أهدر بين قطبي القدح والمدح فأسرف المادحون وأسفَّ القادحون، كما تحدَّر بين قطبي التدليس والتقديس فضاعت حقيقة إنسانية ما كان أجدرها أن تلهم وتعلم وتسهم في القفز بالبشرية إلى مراقي الإنسانية ولكن لكل أجل كتاب[1].

عصام عبدالرحمن أحمد البوشي

(1) عصام عبدالرحمن أحمد البوشي، ضمن رسالة خاصة إلى المؤلف. وصلتني الرسالة من البوشي في يوم الجمعة 31 ديسمبر 2010، تعليقاً على مقال كنت قد نشرته في يوم الخميس 30 ديسمبر 2010 ضمن سلسلة مقالات بعنوان: الأستاذ محمود محمد طه والمثقفون، وقد وردت الإشارة إلى السلسلة آنفاً في محور "قصتي مع هذا الكتاب" وفي المقدمة. كان ترتيب المقال في السلسلة هو رقم (19)، وعنوانه: "الأستاذ محمود في التراجم والمعاجم وموسوعات الاعلام السودانية (19)". علّق البوشي على المقال قائلاً: "الأخ عبدالله.. تحياتي وأشواقي.. الحلقة 19 لها نكهة خاصة وتثير في النفس حزناً وأسى عميقين، بل إنها لتشعر الإنسان بتقصير الإنسان في حق الأستاذ محمود ومن ثم في حق أنفسنا.إن تاريخ الأستاذ محمود أهدر... إلخ".

أنا عاصرت الأستاذ محمود فى كلية غردون. كنا نحن معاصريه حاسين بأن الأستاذ محمود يختلف عننا.. ومنطوى على سر.. وكنا نريد أن نكتشف هذا السر... محمود كان رجل Distinguished متميز ومتفرد[1].

عبدالكريم ميرغنى (؟؟؟م- 1995)[2]

نقلاً عن بدرالدين السيمت وأحمد محمد الحسن

(1) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، الخرطوم، 2012/1/6، الساعة الثالثة عصراً. وصف لى أحمد اللقاء مع عبدالكريم قائلاً: (أنا وبتول مختار وبدر الدين السيمت ذهبنا إلى عبدالكريم ميرغنى فى منزله بعد أن ترك عمله فى الوزارة كان هذا فى نحو عام 1973-1974، ضمن حملات الدعوة الخاصة. دخلنا عليه وقت الغروب فرحب بنا ترحيباً كبيراً، وقال أنا مسرور جداً جداً لهذه المقابلة وجيتونى فى الوقت المناسب... إلخ)؛ مقابلة مع بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، رافق الأستاذ محمود مع الأخوان الجمهوريين خلال الفترة (1968-1982). تمت المقابلة عبر الهاتف والبريد الإليكترونى، وبدر الدين بمملكة البحرين، والمؤلف فى الدوحة، 2012/12/8، الساعة 20:30 وحتى الساعة 23:00.

(2) هو عبد الكريم ميرغنى محمد من مواليد مدينة أمدرمان. التحق بكلية غردون التذكارية، وبعد تخرجه عمل فى سلك التعليم بالسودان ثم التحق بوزارة الخارجية السودانية وابتعث إلى المملكة المتحدة لدراسة علم الاقتصاد بجامعة برستول. وبعد اكمال دراسته ونيل السودان لاستقلاله عمل فى السفارة السودانية بالمملكة المتحدة وكان من مؤسسيها. عمل سفيراً للسودان فى عدد من الدول. تم اختياره وزيراً للتجارة السودانية بعد ثورة أكتوبر 1964. ثم وزيراً للتخطيط فى بداية ثورة مايو 1969 ثم أُقيل من منصبه وزج به فى السجن. بعد خروجه من المعتقل اعتزل العمل السياسى وانكب على دراسة علم الاعشاب والتداوى به وتفسير القران الكريم والتصوف فأصبح مجلسه بحى ود أرو بأمدرمان عامراً بالعلماء والأطباء والسياسيين.

الميلاد والمعطيات المحلية والإقليمية والكوكبية

وُلد محمود[1] محمد طه مالك الفضل، في نهاية العقد الأول[2] من القرن العشرين، بمدينة رفاعة الواقعة على الشاطيء الشرقي للنيل الأزرق بوسط السودان. كان السودان وقتئذ يرزح تحت إدارة الحكم الثنائي الإنجليزي/ المصري بموجب إتفاقية الحكم الثنائي المبرمة في 19 يناير 1899، بعد القضاء على الثورة المهدية عام 1898. اندلعت الثورة عام 1881 بقيادة الإمام محمد أحمد بن عبدالله المهدي (1844-1885)، واستطاعت طرد الحكم التركي/ المصري (1821-1885)، بعد أن حررت العاصمة الخرطوم في يوم 1885/1/26، وقامت مجموعة من

---

(1) كان والده محمد طه مالك يريد له اسم (علي) ولكن تغلَّب اسم والدته (محمود) وهو اسم جده لأمه. **المصدر**: جلال الدين الهادي الطيب إدريس، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، ص 1. حصل المؤلف على هذه المخطوطة من مكتبة الأستاذ جلال الدين الهادي الخاصة بمدينة مدني وسط السودان. وفي رواية أخرى جاءت في مذكرات بتول مختار محمد طه، قالت بتول حدثني الأستاذ محمود قائلاً: (والدتي فاطمة محمود حسين توفيت عام 1915، ... كانت لها الرغبة أن تسميني محمود على والدها محمود حسين، وكان والدي يريد أن يسميني (علي)، على شقيقه الذي مات مبكراً، ولقد كان والدي رجلاً قوياً وصعباً، ولكن والدتي سبقته باختيار الاسم ولذلك اسمتني محموداً وانتصرت عليه). **المصدر**: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، ط1، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة، 2012، ص23 ، 39-40 .

(2) وردت روايات عديدة عن سنة ميلاد الأستاذ محمود، بيد أني ولغرض هذه الدراسة أخذت بعام 1909. فقد وقفت على روايات بتول مختار محمد طه، كما وقفت على ملف خدمة الأستاذ محمود كموظف بسكك حديد السودان. كتبت بتول مختار محمد طه، ابنة شقيق الأستاذ محمود في مذكراتها قائلة: "وردت افتراضات عن ميلاد الأستاذ محمود منها: 1909، 1910، 1911. وقالت أن الراجح 1911 لأن والدتهم [الأبناء والبنات] فاطمة محمود حسين توفيت عام 1915 بداء السحائي وهذا تاريخ مؤكد لأنه نفس العام الذي توفي فيه الشيخ طه وقد أنجبت فيه فاطمة أحمد المصطفى 1915 وقياساً على هذا فإن تاريخ ميلاد مختار 1913 ومحمود 1911، فقد قال الأستاذ محمود ذات مرة: إن الناس يولدون ولا أحد يهتم لميلادهم ولكن عندما يصبحون عظماء يبحث الناس عن تاريخ ميلادهم". **المصدر**: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص27. أيضاً، وجدت في ملف خدمة الأستاذ محمود صورة من شهادة تقدير عمر ضمن شهادة كشف طبي تفيد بأن تاريخ ميلاده هو 1916/1/1. المصدر: شهادة كشف طبي ضمن محمود محمد طه، ملف الخدمه، نمرة الوظيفة (11837)، موظف نمرة: 559، سكك حديد السودان، عطبرة. ورد أيضاً، "إن التاريخ المعتمد لميلاد الأستاذ محمود هو 1909 ذلك بأن تصحيحاً جاء من إحدى أقارب الأستاذ محمود من النساء كانت قد أخبرته بمعلومة تفيد أن شخصاً معيناً مولود معه في نفس السنة وأن ذلك الشخص لديه شهادة ميلاد محددة بـ 1909 ومنذ ذلك اليوم تم التصحيح، وهو أيضا تقريبي إذ أن اليوم والشهر غير محدد". المصدر: محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبي معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية"، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

أنصـارها بقتل الجنرال تشـارلز جورج غـوردون[1] (1833-1885) .Charles George Gordon كان غردون قـد عُين حاكمـاً عاماً لكل السودان فى فـبراير 1877 من قبل الخديوى إسـماعيل باشـا[2] (1830-1895).فى هذا المناخ خـضع السـودان للحـكم الثنائى الإنجليـزى/ المصـرى، وكانت إفريقيا والدول العربية كلهـا تخضع للاستعمار الأوروبى. جاء التكالب الأوروبى على إفريقـيا بعد أن شـهدت أوروبا عـصر النهضـة متزامناً مع حـركة الاصلاح الدينـى فى القرنين الخامس والسـادس عشر، ثم قـيام الثورة الصناعـية فى النصف الثـانى من القرن الثامن عـشر ، وازدهار النظام الرأسـمالى. عاشت أوروبا تحـولات وتغيـيرات واسعـة فى مخـتلف المجالات الاقتـصادية- الاجتـماعيـة والثقافـية والفكرية[3]. لا تنفصل تلك التـحولات والتغيـيرات فى تقاطعاتها مع آثار الثورة الفرنسية التى اندلعت عام 1789، ونشوب الحرب العالمية الأولى ما بين 1914-1918 . كان من أهم نتـائج الحرب نهاية الامبـراطوريات القديمة. فـقد تمت تصفيـة تركة الدولة العثمانية فى اتفاقـية سيفر عام 1920 بتجريد تركيا من كل توابعـها الإقليمية وانتهت إلى دولة صغيرة تحدها اليونان وأرمينيا. ومن نتائج الحرب العالمية الأولى كذلك قيام الثورة البلشفية فى روسيـا القيـصرية وظهـور الاتحاد السـوفيـتى عام 1917[4]. لم تقف آثار تلك التـحولات والتغييرات والأحداث الجسام عند حدود أوروبا الجغرافية وجوارها أو الإمبراطوريات المنافسة، بل تعدت ذلك وألـقت بظلالها ونتائجـها على كل شـعوب الأرض. لقد خـضعت الشـعوب المستعمَرة فى كل مناحى حياتها إلى سيـاسات الدول المُستعمِرة. ولم تك تلك السياسات سوى نتائج لتفاعلات الواقع الأوروبى على مختلف أصعدتـه: الدينية والفكرية والثقافية والاقتصادية مرهوناً بالصراعات والمنافسة من أجل السيطرة على الأرض والشعوب والعقول.

---

(1) محـمد سـعيـد القدّال، **الإمام المهـدى محـمد أحـمد بن عبـدالله** (1844-1885) **لوحة لثـائر سودانى**، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2003، ص147.

(2) روبرت أو. كولينز، **تاريخ السودان الحديث**، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، دار العين للنشر والمركز القومى للترجمة، القاهرة، 2010، ص40.

(3) حيدر إبراهيم، **العلمانيـة: المفهوم والقـضايا**، سلسلة الثقـافة السياسـية (5)، وحدة السودان أولاً، ط1، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، 2005، ص12.

(4) حيدر إبراهيـم، "على عبدالرازق... معاصـراً"، (تقديم)، **الإسلام وأصول الحكم: بحث فى الخـلافة والحكومة فى الإسلام**، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2011، ص17. صدر هذا الكتاب بقلم على عبدالرازق فى طبعته الأولى عام 1925 عن مطبعة مصر.

فى هذا المناخ الكوكبى وُلد الأستاذ محمود فى السودان. كان السودان، وهو يحبو نحو الحداثة، ويبحث عن مرتكزه الحضارى، ولايزال، كان يدور فى فلك العالم العربى والإسلامى منفصلاً عن إرثه الحضارى ومغيباً عن ذاتيته الضارب جذرها فى القدم، وقد تضافرت عوامل شتى لخلق هذه الوضعية الهشة، فقد شهد العالم العربى والإسلامى انطلاق الحركات الإصلاحية داخل الأمبراطورية العثمانية وولاياتها خلال القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وكان شعار تلك الحركات التغيير والتجديد، والإسهام فى الحضارة الحديثة، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية[1]. وقد اتخذت هذه الحركات توجهات وتيارات مختلفة منها ذات النزعة السلفية، ومنها العقلانية الليبرالية المتفتحة[2]، وكانت هناك الدعوة الوهابية بقيادة محمد بن عبد الوهاب (1703-1791)، فى شبه جزيرة العرب، التى دعت إلى اتباع السلف فى أمور العقيدة، والحركة السنوسية بقيادة محمد بن السنوسى (1787-1809)، بليبيا، والتى جمعت بين النزوع الوهابى فى الإصلاح الدينى، والنزوع الصوفى، ومعاداة الاستعمار[3]. أما الحركة المهدية فى السودان بقيادة محمد أحمد بن عبدالله المهدى فقد تبنت الجهاد ضد المستعمر، ودعت إلى الرجوع إلى الدين الحق وإلغاء المذاهب الأربعة. كذلك برز عدد من المصلحين منهم: جمال الدين الأفغانى (1839-1897)، الذى رفع شعار الوحدة/ الجامعة الإسلامية القائمة على قيم الإسلام الأصيلة المؤدية إلى اكتساب القوة والعقل والفضيلة[4]، والإمام محمد عبده (1849-1905)، الذى حاول التواصل والتجاوز فى مسيرة الاصلاح، وحاول تعريف الإسلام الحقيقى وربط ذلك بمعطيات المجتمع الحديث، ليصل إلى أن الإسلام صالح لأن يكون أساساً للحياة المعاصرة[5]. أما عبد الرحمن الكواكبى (1848-1902)، فقد انفتح على علم الاجتماع الإنسانى، وسلط جام غضبه على الحكم المطلق ودعا للمطالبة

---

(1) عباس أرحيلة، "حركات الإصلاح فى العالم الإسلامى"، **مجلة المنهل**، العدد 528 ، العام (21)، شعبان 1416 / ديسمبر 1995، ص 22-31 .

(2) المرجع السابق، ص 22-31.

(3) عباس أرحيلة، مرجع سابق، ص 22-31 .

(4) حيدر إبراهيم، "على عبدالرازق... معاصراً"، (تقديم)، مرجع سابق، ص 16-17.

(5) المرجع السابق، ص 16-17.

بالحقوق، وشخص أمراض المسلمين[1]. وواجه رفاعة الطهطاوى (1801-1873)، وخير الدين التونسى (1810-1890)، سؤال التوفيق بين الحضارة الغربية المتفوقة والمبهرة، وبين حضارتهم الراكدة والغافلة[2]. وكان أيضاً، محمد رشيد رضا (1865-1935)، الذى أصدر "مجلة المنار" وقد حلت محل "العروة الوُثقى" فى التجديد الدينى، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية. حاول بدوره تصحيح العقيدة والدفاع عن الإسلام، وإصلاح نظام التربية والتعليم، والانفتاح على تدريس العلوم العصرية[3]. هذه بايجاز بعض معالم أطروحات الاصلاح والتغيير والتجديد التى شهدها العالم الإسلامى، حينما وُلد الأستاذ محمود، وعبَّرت عنها الحركات الإصلاحية وهى التى تقرأ على أنها حالة يقظة وأشواق للتغيير والدخول فى الحداثة وعصر التحديث.

ما بين المدينة والقرية ورضاعة البادية

إن كل إنسان يجب أن يجلس مرة ليراجع كل أحداث حياته السابقة (يقرأ الأيام).. فإذا استطاع أى فرد منا أن يعيد الزمن لوجد أن ما حدث له فى الماضى، ما كان يمكن أن يحدث أحسن منه[4].

الأستاذ محمود محمد طه
نقلاً عن بتول مختار محمد طه

لم يفصل بين وفاة والدىّ الأستاذ محمود سوى بضع من السنوات وهو دون سن الثانية عشرة من عمره. فقد توفيت والدته، فاطمة بنت محمود حسين[5]،

(1) عباس أرحيلة، مرجع سابق، ص 22-31 .
(2) حيدر إبراهيم، "على عبدالرازق... معاصراً"، مرجع سابق، ص17.
(3) عباس أرحيلة، "مرجع سابق، ص 22-31.
(4) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان**: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص39.
(5) التقى محمد طه زوجته فاطمة بنت محمود فى منزل ابنة خالتها فاطمة بنت ضرار زوجة عبدالله الغول فى مدينة أمدرمان حى بيت المال، وقد جاءت فاطمة مع أسرتها لحضور حفل زواج فى الأسرة وكان محمد طه يقرب لرب الأسرة عبدالله الغول. وبعد تلك المناسبة ذهب محمد طه إلى أهلها بقرية (صفيتة) من القرى المحيطة بمدينة رفاعة ، وتقدم لخطبتها وتم الزواج ورحل بها حيث استقرت معه فى منزله على شاطئ النيل الأزرق فى مدينة رفاعة فى حى صغير يقع غرب المدينة يعرف باسم الديم الغربى وقد كانت معهم جدتهم زينب بنت حمزة والدة فاطمة. بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص26 .

عام 1915[1]. وفور وفاتها[2]خرج زوجها الوالد محمد طه مالك بأطفاله[3] من مدينة رفاعة إلى قرية الهجيليج التى تتكىء على الضفة الشرقية من النيل الأزرق، على بعد نحو خمسة عشر كيلو متراً عن مدينة رفاعة. صوَّر الأستاذ محمود مشهد ذلك الخروج من المدينة إلى القرية لبنت شقيقه بتول مختار محمد طه، قائلاً: "خرج محمد طه بأطفاله من المدينة، أربعة أطفال (بنتين وولدين) فى هودج على ظهر جمل، فى يوم ممطر يعبرون الأراضى الواسعة ليواجهوا حياة جديدة فى مكان جديد"[4]. كان المكان الجديد هو قرية الهجيليج، وقد عبر الأستاذ محمود عن أثر قرية الهجيليج فى تنشئته قائلاً: "أنا أعتقد أن الهجيليج لها أثر كبير على تنشئتى، وكان من المعروف فى ذلك الزمان أن يأخذ الناس أبناءهم إلى البادية.. يرضعوا البادية.. يتنفسوا الهواء هناك.. يكبروا ويمارسوا نوع الحياة هناك.. وإن لتنشئتى ونشأتى فى البادية أثراً كبيراً..."[5].

---

(1) لما توفيت الوالدة فاطمة، كان الأبناء والبنات صغاراً، فقامت برعايتهم جدتهم لوالدتهم زينب بنت حمزة مع مربيتيهم ربى جود، وزايد المال. كانت جدته زينب تسميه "درّاج"، قال الأستاذ محمود: "إن جدتى لوالدتى زينب بت حمزة كانت تسمينى درّاج، ومعنى درّاج هو الشخص الذى يأخذ بيد الضعفاء يقويهم ويساعدهم بالتدرج"، "وكانت أمى ربى جود أيضاً تنادينى بدرّاج، فقد سمعت تلك العبارة من جدتى زينب بت حمزة". **المصدر**: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 28، 40. كانت "ربى جود"، فى ذلك الوقت فى مقتبل عمرها وقد وهبتهم سنى شبابها ورفضت كل من تقدم لزواجها واستمرت مع الأستاذ محمود حتى توفيت بمنزله بالثورة عام 1982. أما زينب حمزة فقد توفيت عام 1948. حضر الأستاذ محمود وفاتها وأشرف على دفنها. المصدر: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 37؛ جلال الدين الهادى، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 1.

(2) انجب محمد طه وفاطمة خمسة من الأبناء والبنات وكانوا على التوالى بتول 1907، وكلتوم 1909، وجاء بعدهُن الأستاذ محمود 1911 (1909)، ثم مختار 1913 وأخيراً أحمد المصطفى 1915. توفى أحمد المصطفى بعد ولادته، وقد أصيبت الوالدة فاطمة بداء السحائى (الحمى النخاعية) وتوفيت فى ذلك العام ودفنت فى قرية صفيتة مقر أسرتها. **المصدر**: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص27.

(3) حدثنى على لطفى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود وشقيق زوجة الأستاذ محمود، بأن للأستاذ محمود أخاً من الرضاعة وهو محمد عمر عبدالمحسن، والدته زهرة عبدالله قوى شقيقة لطفى عبدالله قوى. المصدر: مقابلة مع على لطفى، يوم الاثنين 2011/7/25، أمدرمان. وللأستاذ محمود أيضاً أخ من أبيه، اسمه أحمد البر. **المصدر**: على لطفى، مصدر سابق؛ جلال الدين الهادى، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 2.

(4) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص30.

(5) المصدر السابق، ص41.

بدأ الاستاذ محمود تعليمه وهو فى سن السابعة بالدراسة فى الخلوة بقرية الهجيليج[1]، وكان قد تدرب على المساعدة فى الزراعة وأمور الأسرة على يدى والده، فما لبث أن توفى الوالد فى عام 1920[2]. عاش الأستاذ محمود بعد وفاة والديه وهو دون سن الثانية عشرة، حياة لخص وصفها لبتول مختار محمد طه قائلاً: "حياتى كلها يُتْم"[3]. وعن تفسيره لهذه العبارة، كتبت بتول فى مذكراتها وهى تشعر بالألم لأنها تنظر "لليُتم من ناحية تثير الحزن والعطف"، كتبت قائلة: "وهو ينظر لليُتم من ناحية اختيار إلهى ليقويه، ويحقق به درجات من التوفيق والنجاح، ليس من السهل أن تتحقق وسط الوالدين. ولذلك كان يقول كثيراً: إن اليتم أحياناً يساعد الإنسان على شق طريقه فى الحياة، والنجاح نحو الهدف الذى يحدده"[4].

بعد وفاة الوالد محمد طه، كان الأستاذ محمود قد بلغ سن الدخول للمدرسة، ولما لم تكن هناك مدارس فى القرية وقتئذ عادت الأسرة إلى مدينة رفاعة واستقرت فى منزلها القديم الذى وُلد فيه الأبناء والبنات. وفى مدينة رفاعة التحق الأستاذ محمود وشقيقه مختار[5] بكُتَاب رفاعة عام 1924[6]، ومن ثم المرحلة الوسطى. وكانا

---

(1) بوفاة والدتهم وكذلك والدهم عام 1920، وهم صغاراً لم يكن أكبرهم قد تجاوز سن الرابعة عشرة، نشأوا نشأة وصفها الأستاذ محمود قائلاً: "وكانت نشأتنا زى البروس". جلال الدين الهادى، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص2. البَروس هو النبت الذى ينمو دون زارع، وبرس الأرض سهلها، والبُرس القطن. **المصدر**: عون الشريف قاسم، **قاموس اللهجة العامية فى السودان**، ط3، الدار السودانية للكتب، 2002، ص90.

(2) كان محمد طه تاجراً يعمل فى تجارة العطور وفى نفس الوقت يعمل فى الزراعة يزرع الخضروات والذرة فى مزرعته بقرية الهجيليج. وعندما توفى دفن بقرية الهجيليج. المصدر: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص28 . وأورد جلال الدين الهادى قائلاً: والد الأستاذ محمود هو محمد طه وكان يعمل بالزراعة فى منطقة الهجيليج وبتجارة الجمال وبالمراكب على النيل الأزرق. جلال الدين الهادى، منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية، مصدر سابق، ص1.

(3) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص44.

(4) المصدر السابق، ص44.

(5) انتقلت الأسرة إلى رفاعة بعد أن أصرت عمته بت المكى أن يذهب هو وشقيقه مختار إلى المدرسة. بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص42.

(6) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"،جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

يعودان لقرية الهجيليج للزراعة فى موسم الخريف، ليزرعا ويحصدا من الذرة والخضروات ما يكفى حاجتهم لمدة عام كامل. هذه المهمة كانت تتسبب فى غياب الأستاذ محمود وشقيقه مختار عن المدرسة لبعض الوقت، إلا أن إدارة المدرسة كانت متفهمة ومدركة لظروفهما، فلم تخضعهما للمساءلة. أضافت بتول مختار محمد طه فى مذكراتها، قائلة بأن الأستاذ محمود قال لها: "عندما كنا صغاراً لم نكن منعمين مثلكم، فقد كنا أيتاماً.. كنا نعمل فى سن مبكرة لنجمع قوتنا إذ لم يكن لنا أعمام ولا أخوال ولا شخص يشرف على تربيتنا"(1). أكمل الأستاذ محمود تعليمه الاوّلى بمدينة رفاعة وبنهاية عام 1931 أتم المرحلة الوسطى، فانتقل إلى الخرطوم، للالتحاق **بكلية غردون**.

كانت الخرطوم فى بواكير القرن العشرين قد شهدت قيام مؤسسات التعليم الحديث: كلية تدريب المعلمين والقضاة بأمدرمان عام 1900، ومدرسة الصناعة بأمدرمان، و**كلية غردون التذكارية** عام 1902 "Gordon Memorial College" (حالياً جامعة الخرطوم)، تخليداً لذكرى الجنرال البريطانى تشارلز جورج غوردون، والمدرسة الحربية (مدرسة الخرطوم الحربية) عام 1905، وافتتحت **مدرسة كتشنر الطبية** عام 1924. كما أنشىء **المعهد العلمى بأمدرمان** سنة 1912 على غرار **الأزهر** من حيث المناهج واللوائح، وجُعلت مدة الدراسة فيه اثنتى عشرة سنة كمدة الدراسة فى **الأزهر**(2). كان الحاكم العام قد أنشأ عام 1902، مجلساً للعلماء(3). أطلق عليه "لجنة العلماء" ينظم التدريس فى الجامع الكبير بأمدرمان ويمهد لإنشاء **المعهد العلمى**(4). كان لهذه المؤسسات دور عظيم فى تاريخ السودان، كما لعب **المعهد العلمى** بشكل خاص دوراً

(1) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص38.

(2) عزالدين الأمين، **نقد الشعر فى السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية**، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1999، ص 17، 22.

(3) محمد عمر بشير، **التعليم فى السودان فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين** (1820-1956)، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005، ص10.

(4) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل (جدلية التركيب)**، المجلد الأول، ط2، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص185.

خطيراً فى حياة الأستاذ محمود ووقف موقفاً عدائياً تجاه مشروعه، واستمر ذلك التأثير حتى تاريخ اليوم. وسيأتى الحديث عن: "الأستاذ محمود والمعهد العلمى بأمدرمان" لاحقاً. رفدت تلك المؤسسات التعليمية الحديثة واقع الحياة السودانية فى مطلع القرن العشرين بالطلائع الأولى للمتعلمين، بجانب أولئك الذين سافروا للدراسة فى مصر ولبنان. وكان التعليم قبل ذلك تعليماً دينياً، أساسه العلوم الشرعية واللغة العربية، وقوامه الكُتاب والخلوة والمسجد ومجالس العلماء والأزهر(1).

سنوات الدراسة فى كلية غردون (1932-1936)

زاملت فى الدراسة بكلية غردون جمال محمد أحمد، وبابكر عوض الله، وحسن الطاهر زروق،وصلاح الدين عبد الله والدرديرى عثمان، ونصر الدين السيد، ومحمود محمد طه، والأخير كان أكثرنا طهراً وشجاعة وجدية، لدرجة أننا لم نكن نستطيع التفوه بأى عبارات غير لائقة فى حضوره(2).

عبد الرحمن عبد الله(3)

التحق الأستاذ محمود بقسم المهندسين **بكلية غردون**، وكان ينوى دراسة القانون،

---

(1) عزالدين الأمين، **مرجع سابق**، ص 17-22.

(2) عبدالرحمن عبدالله، "المربى عبد الرحمن عبد الله يروى قصصاً من كفاح جيل".(حوار صحفى)، حاوره: علاء الدين بشير، **صحيفة الصحافة**، العدد رقم: 4835 بتاريخ 26 نوفمبر 2006، الخرطوم.

(3) عبدالرحمن عبدالله هو أحد خريجى **كلية غردون** عام 1936، وهو نفس العام الذى تخرج فيه الأستاذ محمود. هو عبد الرحمن عبد الله عبد العال، ولد بمدينة دنقلا فى يوم 1915/9/15، ودرس الاوليه بدنقلا، والوسطى ببربر، ثم دخل **كلية غردون** ليدرس الهندسة ولكن وبسبب ضعف نظره تحوّل إلى دراسة الرياضيات التى تخصص فيها الى جانب اللغة الانجليزيه. ابتعث إلى انجلترا لنيل دبلوم فى التربية من **جامعة ليستر** لمدة سنتين، ثم عاد ليعمل أستاذاً للرياضيات والانجليزى **بكلية غردون** فزامل أستاذه إسماعيل الأزهرى فى التدريس. استقال من **كلية غردون** بنصيحة من الأستاذ محمود ليصبح مديراً **لمدرسة القولد الاهليه الوسطى** وهى أول مدرسة وسطى فى كل السودان الشمالى من حلفا إلى بربر. عمل نائباً لناظر **مدرسة رمبيك الثانويه**، ومديراً **للمدرسة عطبرة الثانوية** فى منتصف الخمسينيات، وبعد سودنة الوظائف أصبح اول سودانى يشغل منصب الناظر **لمدرسة أمدرمان الثانوية بنات**. كما عمل مساعداً لوكيل المعارف للمدارس غير الحكومية، وتبوأ منصب نائب وكيل **وزارة التربية والتعليم** فى ستينيات القرن الماضى. من طلابه: البروفيسور الراحل عبد الله الطيب، والبروفيسور صلاح الدين أحمد محمد، ومولانا ابيل الير والبروفيسور ريتشارد حسن الذى صار طبيبا ثم مديراً **لجامعة جوبا**، والبروفيسور أحمد على قنيف، وغيرهم. المصدر: عبدالرحمن عبدالله، مصدر سابق.

ولكن تم الاختيار لقسم المهندسين[1]. وعلى الرغم من تخرجه فى قسم المهندسين إلا أن الأستاذ محمود سعى بعد ذلك لدراسة القانون وقدم خطاباً أرفق معه طلباً للالتحاق **بكلية السودان** للقانون the Sudan School of Law، وعلل فى خطابه السبب والهدف من دراسته للقانون. (سيأتى تفصيل ذلك لاحقاً). التحق الأستاذ محمود بقسم المهندسين **بكلية غردون** فى أوائل عام 1932 وهو العام التالى لإضراب الطلبة، طلبة **كلية غردون**، والعام الثالث من انفجار الأزمة الاقتصادية عام 1929. كان إضراب الطلبة فى يوم 24 أكتوبر عام 1931، أكبر حدث سياسى يشهده السودان منذ فشل ثورة 1924. يقول الأستاذ محمود: "يلاحظ أنه فى الأزمة بتاعة سنة 29 و 30 و 31 نشأ أول إضراب معروف عندنا فى السودان العاصرناه وهو إضراب كلية غردون..."[2]. وقد ترتبت على الإضراب الكثير من الآثار على الحركة السياسية. أحيا الإضراب الروح الوطنية كما أنه مثَّل نقطة البداية لنشاط الطائفية الاستقطابى. يقول محمد سعيد القدَّال (1935-2008):

لقد كانت للإضراب آثاره السلبية والإيجابية، التى ألقت بظلالها على الحركة السياسية. فقد فتح منفذاً محدوداً كشف عن قدرات الجيل الجديد الصاعد للمصادمة. وحفز المتعلمين للتصدى لبعض مشكلاتهم. فتكونت لجنة من عشرة منهم، ظلوا يتداولون لمدى شهر، بسبب التيارات المختلفة بينهم. وخرجوا فى النهاية بمذكرة عكست التنازلات التى قدمها كل فريق، وصاغوها وقدموها للحاكم العام... ولكن الحكومة أغفلت المذكرة وأصدرت أمراً بحل اللجنة. وتمثل الجانب السلبى فى تدخل القيادات الطائفية، الذى أدى إلى إنهاء الإضراب[3].

---

(1) بدلاً عن كلية الهندسة، وقد توافق ما أوردته مع ما كتبه الأستاذ محمود بخط يده، فقد كتب: "... وفى أوائل عام 1932 دخلت مرحلة الثانوى (كلية غردون) قسم المهندسين...إلخ". **المصدر**: محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، تتكون المخطوطة من ثمانى صفحات، وقد كتبها الأستاذ محمود بخط يده، وكتب التاريخ أعلى صدرها هكذا: أمدرمان 1972/2/26، وقد اطلعت على هذه المخطوطة، وحصلت على نسخة منها من الأستاذة أسماء محمود محمد طه، ص 1.

(2) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(3) محمد سعيد القدال، **تاريخ السودان الحديث** 1820-1955، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2002، ص 460.

كان السبب المباشر للإضراب هو تخفيض مرتبات الخريجين من ثمانية جنيهات فى الشهر إلى خمسة جنيهات ونصف[1]. يقول محمد عمر بشير: "وأقسموا [أى الطلاب] على المصحف بألا يعودوا للدراسة ما لم يتم إلغاء القرار الصادر من الحكومة بتخفيض المرتب الشهرى للخريج..."[2]. ويذهب مكى المنا (1908-1987) أحد قادة الإضراب فى روايته **لصحيفة الرأى العام** عام 1946[3]، أن للإضراب مقدمات تتصل بسياسة البطش والتنكيل والتضييق التى اتبعتها الإدارة الاستعمارية بعد ثورة 1924 فى القطر كله وبشكل أشد فى **كلية غردون**، يقول مكى المنا: "وحتى أصبح من المألوف أن ترى (قطيعاً) منهم يحملون التراب فى عملية تعذيبية منكرة ووراءهم صف من رؤسائهم الطلاب الكبار يضربونهم بالعصى فى غير تورع أو شفقة ومن غير ما ذنب جنوه والويل لمن تحدثه نفسه أن يسأل لماذا يضرب"[4]. استمر الحال هكذا حتى تغير الأمر بعودة بعض الذين كانوا يدرسون فى بيروت. يقول مكى المنا: "عاد الأساتذة عبيد النور وعبدالفتاح المغربى من دراستهم **بالجامعة الأمريكية** ببيروت وهالهما ما رأيا من فارق عظيم بين معهد ومعهد، وبين طالب وطالب وقام الأستاذ عبيد بحركة هائلة أراد منها أن يرفع الارهاب والإذلال عن كل الطلبة ويشعرهم أن الدراسة العليا يجب أن تهدف إلى خلق القوة والإرادة للتغلب على متاعب الحياة إلى جانب تحصيل العلم"[5]. هذه الحركة بتعاليمها الجيدة قادت إلى تغيير الوضع بين الطلبة. فالمقدمات إلى جانب الأزمة الاقتصادية مع تخفيض رواتب الخريجين أدت لإضراب. قاد التعاطى مع الإضراب إلى انقسام حاد وصفه محمد أحمد المحجوب (1908-1976)، وعبدالحليم محمد (1910-2009) قائلين: "وانقسم البلد بلدين، ودق المسمار الأول فى نعش وحدتنا..."[6]. كانت الفئة التى تزعمها الشيخ أحمد السيد

---

(1) المرجع السابق، ص459.

(2) محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان** (1900-1969)، ترجمة هنرى رياض وآخرين، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (ب. ت. ن.)، ص 153.

(3) "أول إضراب للطلبة فى السودان كما يرويه أحد قادة الإضراب (مكى المنا)"، **صحيفة الرأى العام**، 31 مارس 1956، الخرطوم.

(4) "المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

(6) محمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد، **موت دنيا**، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1946، ص 109.

الفيل(1878-1951) رئيس لجنة العشرة، قد أيدت استمرار الطلاب فى إضرابهم، وقد عرفوا بـ (الفيلست) وكان يقف خلفها السيد على الميرغنى (1880/79/73-1968). أما الفئة الأخرى التى أدانت الإضراب خشية قيام الحكومة بقفل الكلية فقد كانت خلف السيد محمد على شوقى (1894-1960) الذى كان رئيساً لنادى الخريجين وقد عرفت بفئة (الشوقست) وكان خلفها السيد عبدالرحمن المهدى (1885-1959)[1]. كان شوقى قد تقدم باقتراح إلى الحكومة برفع راتب الخريج إلى ستة جنيهات ونصف كحل وسط، فقبلت الحكومة والطلبة اقتراحه. وتدخل السيد عبدالرحمن المهدى، الذى كان ابنه الصديق أحد قادة الإضراب، وكان من ضمن ما قاله للطلبة أنه من الضرورى أن تظل أبواب الكلية مفتوحة لكى تخرج جيلاً من المتعلمين لخدمة القضية الوطنية. وأكد للطلاب أنه وفقاً لاحكام الشريعة الإسلامية فإن التحلل من القسم يمكن أن يتحقق لدى القيام بعمل من أعمال البر أو العبادة. وإنه على استعداد لأداء ذلك نيابة عنهم بإطعام الفقراء والمساكين[2]. كان الأخذ باقتراح شوقى انتصاراً للسيد عبدالرحمن وللشوقيين، مما أثار حفيظة السيد على وجماعته الفيليين[3]. بعد ذلك زاد السيد عبدالرحمن من اهتمامه بالخريجين. فاخذ يتبرع لهم بسخاء لجمعياتهم الخيرية، ويساعد غير المقتدرين على مواصلة دراستهم، ويستضيف البعض فى داره... مما جعل المخابرات تصفه عام 1934 بأنه الزعيم السياسى "لطبقة الخريجين"[4]. فى ظل هذا المناخ المفعم بالصراعات والمشحون بحالة الاستقطاب الطائفى التحق الأستاذ محمود بقسم المهندسين بكلية غردون.يقول الأستاذ محمود: "لمن [عندما] حصل إضراب الطلبة فى كلية غردون كان سنة 31، نحن جينا عقبه طوالى للكلية،..."[5]. وعن الجانب الإيجابى لإضراب **كلية غردون** فى الحركة

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان المأزق التاريخى وآفاق المستقبل (جدلية التركيب)**، مج1،مرجع سابق، ص 350-351.

(2) محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان** (1900-1969)، مرجع سابق، ص 153.

(3) محمد سعيد القدال، **تاريخ السودان الحديث** 1955 - 1820، مرجع سابق، ص 460.

(4) المرجع السابق، ص 460 ، 461.

(5) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"،جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

الوطنية، يقـول الأستاذ محمـود: "فكان الإضراب دا أحيا روح وطـنية كان وسيط تعـبيرها الأدب، نثر ونص، ما كنت تكاد تلقى قطعة نثرية أو قصـيدة الا وهى متجهة لإحياء الروح الوطنى فى الناس.. وكـان فعـلاً الأدب وسيط للتـعبـير عـن الروح الوطنية اللى هى منهـا نشأت الأحزاب السياسية فيما بعد، بعد نشأة مؤتمر الخريجين"[1].

الكتابة فى مجلة كلية غردون[2] عام 1935 وشهادات الزملاء

أنا درَّست الأستاذ محـمود... ويمكننى أن أشـهد وأنا أستاذ لعـدد كبـير من الطلاب، بأنه أفضل من يجيد اللغة العربية والإنجليزية فى السودان[3].

الدرديرى محمد عثمان (1896-1977)[4]

نقلاً عن أحمد محمد الحسن

---

(1) المصدر السابق.

(2) صدرت **مجلة كلية غردون** التذكارية فى مطلع الثلاثينيات كأول مجلة جامعية وكانت نصف سنوية. واشترك فى تحريرها الأساتذة والطلاب وتغير عنوانها حسب المتغيرات التى صاحبت تطور **جامعة الخرطوم** طوال نصف قرن. فقد تغير عنوانها إلى مجلة الكلية، وكانت سنوية ثم نصف سنوية تصدرها **كلية الخرطوم الجامعية** (1952-1955). ثم تغير عنوانها إلى الجامعة، وكانت سنوية تصدرها **جامعة الخرطوم**، المصدر: قاسم عثمان نور، **دليل الدوريات السودانية: الصحف** (1903-1998)- **المجلات** (1931-1998)، المجلس القومى للصحافة والمطبوعات بالتعاون مع مركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، 1999، ص 42؛ قاسم عثمان نور (جمع واعداد وتصنيف)، **مصادر الدراسات السودانية بالمجلات والدوريات السودانية** (1931-1967)، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1970، ص19.

(3) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، مصدر سابق. حدثنى أحمد أن هذه الرواية سمعها من أستاذ سعيد الطيب شايب، فى مجلس الأستاذ محمود، وكان أستاذ سعيد ينقل للأستاذ محمود ما دار بشأن زيارته للأستاذ الدرديرى محمد عثمان.

(4) وُلد فى مدينة أمدرمان. تخرج فى **كلية غردون** عام 1914. عمل بالتدريس ثم انتخب نائباً لمأمور كسلا عام 1921. وفى عام 1925 نقل إلى جبال النوبة بجنوب كردفان ثم صار مأموراً فمحاضراً للقانون فى مدرسة البوليس. نقل إلى السلك القضائى فى منصب قاضى جزئى ثم مسؤولاً عن قلم الترجمة بمكتب السكرتير القضائى وترقى حتى منصب قاضى محكمة عليا كأول منصب تقلده سودانى. وفى عام 1952 تفرغ للعمل السياسى واختير سكرتيراً للجبهة الوطنية. من مؤسسى نادى الخريجين بأمدرمان عام 1918، ومن مؤسسى مؤتمر الخريجين. فى عام 1954 اختير عضواً فى لجنة الحاكم العام (مجلس السيادة) ممثلاً للحزب الوطنى الاتحادى لتتولى اللجنة مهام السيادة فى فترة الحكم الذاتى. كان عضواً فى مجلس رأس الدولة. ينتمى إلى طائفة الختمية وكان من المقربين إلى السيد على. نشر مذكراته عام 1961. المصدر: المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2009، ص 181-182.

أثناء فترة الدراسة بكلية غردون شارك الأستاذ محمود فى الجمعيات الأدبية والنشاطات الرياضية: العدو والسباحة[1] وفلاحة البساتين وكتابة المقالات. لقد وقفت على بعض كتابات الأستاذ محمود فى **مجلة كلية غردون بدار الوثائق القومية**، الخرطوم. فمن خلال تلك الكتابات، وشهادات رصفائه، يمكن القول بأن فترة دراسة الأستاذ محمود فى **كلية غردون** اتسمت فى علاقاته مع زملائه وأصدقائه بروابط إنسانية رفيعة، وكان يحظى باحترام كبير بين زملائه وأصدقائه، وكانت لشخصيته هيبة لفتت انتباه بعضهم، وكان مؤثراً فى الكثيرين منهم. تجلت تلك الرابطة الإنسانية الرفيعة فى مواقف عديدة منها حينما كتب راثياً أحد أصدقائه[2]. فى ذلك الرثاء عبرَّ الأستاذ محمود بعاطفة جياشة عن حزن وأسى عميقين، ووصف صديقه وصفاً دقيقاً نفذ منه إلى ما رآه فيه وما ينشده من مثل ومعانى إنسانية لا سيما دماثة الخلق والحكمة والتجربة والصلابة ورباطة الجأش. نُشر المقال[3] فى **مجلة كلية غردون**، وهو فى السنة الدراسية قبل الأخيرة. كان المقال بعنوان: "فقد صديق"[4]، جاء فى مدخل المقال (أنظر ملحق رقم: "1"):

لين فى الجانب، ودماثة فى الأخلاق، وقسط موفور من الوفاء، وحفظ الوداد إلى رباطة جأش، وصلابة عود وحسن مبدأ، كل هذه الصفات كانت تطالعنى من صديقى أبى طالب. فكنت أجد فيها المتعة والهناءة وكانت تدفع بنفسى دفعاً إلى مصادقته وإنمائه وتملك على إعجابى به وتقديرى له حتى أشعر من أعماق نفسى أنى أنشد فيه المثل وأرى فيه بريق الرجولة الجبارة.

ختم الأستاذ محمود رثاءه بقوله:

فقد غادر نفوساً تشجى دموعاً وأسى وألسنة تبلبل وأكباداً تتفطر وحشاشات تذوب من فرط الحزن وزفرات تتصاعد من الأسى وأناساً هم أحوج ما يكونون

---

(1) جلال الدين الهادى الطيب إدريس، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص2.

(2) اسم الصديق محمد أبو طالب، وقد وصلت لهذا الاسم عبر الاستنتاج من المقال، فقد وردت الإشارة فى بداية المقال لأبى طالب وفى الخاتمة لمحمد.

(3) محمود محمد طه، "فقد صديق"، **مجلة كلية غردون**، العدد 3، المجلد 4 ، 8 مارس 1935.

(4) من خلال رحلة بحثى فى سيرة الأستاذ محمود ومشروعه، والتى لم تنته بعد، يمكننى القول- مع الاحتراز- بأن هذا المقال هو أول مقال نشره الأستاذ محمود.

إليـه. نعم إن يكن قد أودى فـقد ترك فى نفـوس أصدقـائه ذكرى تشـوبها التـجلة والاكبار والشفقة والحنان وليت شعرى هل فى مكنة أحد أن يقف أمام هذه الكارثة غير موقفنا هذا من الحزن والأسى ألا رحم الله محمـداً فقد كان قوى النفس طيبها ماضى العزيمة نافذها وألهم آله حسن العزاء ما يكفل لهم حسنة الدنيا والآخرة .

كذلك تفيدنا الكتابات فى **مجلة كلية غردون** أثناء فترة الدراسة، بأن الأسـتاذ محمود كـان متـفاعـلاً مع الفعـاليـات والأنشطة التى تنظمـها الكليـة. فـقد كـتب مقـالاً بعنوان: "المهندسون فى رحلتهم"[1]، جاء فى مدخله، (أنظر ملحق رقم: "2"):

أسبـوع ولا كالأسابيع ذلك الذى أمضيناه فى نجـاد كررى فى مـعية أسـتاذنا الهـمام إبراهيم أفندى أحمد[2] فكان فى حياتنا المدرسية هذه كالحلقة الذهبية فى السلسلة الفولاذية أم كان كذلك وأصـفى أديما وأشـد بريقاً من ذلك. اسـبوع أمـضينـاه بمعزل من ضـوضاء المدن وتأنق المدنيـين وتكلفهم ذينك اللذين يجعلان هذه الحياه أشد تعقيداً وأكثر تحرجاً مما هى فى حقيقة أمرها...

شهد الأستاذ الدرديرى محمد عثمان، وهو من الذين درّسوا الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، وأضاف الأستاذ الدرديرى عن الأستاذ محمود قـائلاً: "فقد كان طالباً متميزاً جداً"[3].

---

(1) مـحـمـود مـحـمد طه، "المهندسـون فى رحلتـهم"، **مـجلة كليـة غـردون**، العـدد الثـانى، المجلد الثـانى، 21 ديسمبر1935، الخرطوم، ص 18-19.

(2) ولـد إبراهيم أحمـد عام 1898 فى حلفا (دغيـم) بشمـال السـودان. تخرج فى قـسم المهندسين **بكلية غردون** عام 1920، وعين فور تخرجه أستاذاً بالكلية وفى عام 1925 صار كبير الأساتذة السودانيين بمدرسة الهندسة. أوفد فى بعثة إلى المملكة المتحدة فى عام 1938، فعين مراقـباً لشؤون الطلبة بالكلية ثم نائبـاً لمدير الكلية حتى تقاعده ثم اختـير أول رئيس لمجلس **جامعـة الخرطوم**. من مؤسسى مـؤتمر الخريجين انتخب عـضواً فى اللجنة التنفيذية لمؤتمر الخـريجين فى دورات عديدة. انتخب رئيسـاً لمؤتمر الخريجين فى الدورتين الخامسـة والسادسة، وفى عهـد رئاسته للدورة الخـامسة تقـدم المؤتمر بمذكرته الشهـيرة مطالبـاً بحق تقرير المصير بعد انتهـاء الحرب مباشرة. قـاطع عضوية المجلس الاستشارى لشـمال السودان تنفيذاً لقرار المؤتمر بالمقـاطعة. من مؤسسى **حزب الأمـة** وصـار ممثـلاً للاسـتقـلاليـين فى لجنـة الحاكـم العـام فى أول فتـرة الحكم الذاتى. اختـير وزيراً للمـالية 1957-1958 وظل فى منصبه حتى نهايـة العهـد الديمقـراطى فى 17 نوفمبر 1958. من مؤسـسى **البنك التجارى** عام 1960 وصار مديراً له حتى تأميمه عام 1970. **المصدر**:المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مرجع سابق، ص 54 - 43.

(3) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، مصدر سابق. حدثنى أحمد أن هذه الرواية سمعها من أستاذ سعيد شايب فى مجلس الأستاذ محمود، وكان أستاذ سعيد ينقل للأستاذ محمود ما دار بشأن زيارته للأستاذ الدرديرى محمد عثمان.

كانت شهادات زملاء الأستاذ محمود ومعاصريه فى كلية غردون بما يشبه الاجماع على أن الأستاذ محمود كان كثير التأمل، وتميز بالزهد والبساطة فى حياته. وكان يُحظى باحترام كبير بين رصفائه، وكان موضع ثقة، وله تأثير كبير عليهم بصفاته وسلوكه. اتسمت شخصيته بالهيبة والوقار والجدية والزهد والبساطة . فقد عبر ابن دفعته فى الدراسة بالكلية جمال محمد أحمد (1915-1986)[1]، عن بعض تلك المعانى قائلاً:

الذين أعدموا محمود أظن أنهم غير مقتنعين بل أتوا ببراهين عجيبة وفسروا الآيات بما يشتهون فضلاً عن أنهم لا يعرفون قيمة محمود... محمود كان نموذجاً لرجل الدين الذى يؤثر فى الآخرين بصفاته وسلوكه. محمود كان بسيطاً حتى فى إعدامه والزهد الذى عاشه، زهد رجل نذر نفسه لرسالة، ومحمود أدى هذه الرسالة بأسلوب جديد على الإسلام فى هذه الأزمان الخائبة. ولذا لم يكن غريباً أن يُعدم محمود.أنا عاطفى جداً فيما يتعلق بمحمود لأننا "أولاد دفعة" فى كلية غردون وبعدها كنت أقابله من حين لآخر[2].

(1) أديب، ودبلوماسى، وكاتب. وُلد فى عام 1915 بقرية سرة شرق بمنطقة وادى حلفا وقد غمرتها مياه السد العالى.. تخرج فى قسم المدرسين **بكلية غردون** (1932-1936) سافر فى بعثة دراسية إلى إنجلترا التحق **بكلية أكستر** خلال الفترة مابين (1943-1946)، حيث نال دبلوما فى التربية والتعليم. ثم التحق **بجامعة أوكسفورد** للدراسات العليافى الفترة مابين (1952-1954) حيث نال شهادة فى الآداب. عمل بالتدريس فى **بخت الرضا** ثم مراقباً لشؤون الطلاب **بكلية غردون** (1949-1952). التحق بالسلك الدبلوماسى السودانى منذ نشأته عام 1956 وتدرج فيه وأصبح سفيراً فى عدد من الدول ثم وكيلاً لوزارة الخارجية (1968-1970) ثم وزيراً للخارجية (1973-1974). عمل رئيساً لمجلس إدارة عدد من الصحف السودانية. عمل مديراً **لمعهد الخرطوم للغة العربية لغير الناطقين** بها التابع **لجامعة الدول العربية** (1977-1987). كتب عدداً من الكتب والمسرحيات وأعد بعض الترجمات منها: كتاب **وجدان إفريقيا**، وترجم كتاب: **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، لمؤلفه بازل ديفيدسون، وكتب **عرب وأفارقة**، وغيرها. المصدر: المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مرجع سابق، ص 138-139، جمال محمد أحمد، "مؤهلات الزعامة بين العشائر والأمم"، **مجلة كلية غردون**، العدد الثانى، المجلد الثانى. 21 ديسمبر1935، الخرطوم، ص 7.

(2) على عثمان محمد صالح والبشير سهل جمعة سهل (إعداد)، "الصحافة تحاور جمال محمد أحمد"، (حوار بتاريخ 28/11/1985)، أجرى الحوار: محمد الشيخ حسين، **فى سيرة جمال كاتب "سرة شرق"** ، ط1، اللجنة القومية لتخليد ذكرى الكاتب جمال محمد أحمد، سلسلة دراسات فى الثقافة والدبلوماسية وأدب الأطفال، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1988، ص170.

إن ما نقله الأستاذ جمال محمد أحمد، بشأن تأثير الأستاذ محمود فى الآخرين، قد عبر عنه المربى عبدالرحمن عبدالله عبدالعال بموقف ناصع وفصيح. فقد حكى المربى عبدالرحمن كيف أن الأستاذ محمود غيرّ مسار حياته عندما نصحه بأن يستقيل من العمل فى **كلية غردون**، وشجعه بأن يذهب ليعلم أهله من خلال قبوله لوظيفة مدير **لمدرسة القولد الأهلية الوسطى** التى قرر مؤتمر الخريجين تأسيسها بعد إنشاء **مدرسة أمدرمان الأهلية**، حكى عبدالرحمن قائلاً:

عندما تقرر تأسيس المدرسة شجعنى الأستاذ محمود محمد طه لأذهب مديراً لها وقال لى اذهب وعلم أهلك. وبالفعل استقلت من كلية غردون وذهبت مديراً لمدرسة القولد الأهلية الوسطى فى أوائل الأربعينيات من القرن الماضى. وقد شاركت فى تشييدها من حجر أساسها وكنت أحمل مع الطلاب والأساتذة والأهالى ما يتبرعون به من الحديد والأخشاب وجريد النخل والحجر والطوب والمونة... لقد كانت مدرسة القولد أول مدرسة وسطى فى كل السودان الشمالى من حلفا إلى بربر. وكانت فى كل السودان فى ذلك الوقت عشر مدارس وسطى فقط.

حكى جرجس عياد إسكندر(1)، وهو من زملاء الأستاذ محمود فى **كلية غردون**، عن الاحترام الذى كان يحظى به الأستاذ محمود بين رصفائه، وعن الهيبة التى كانت تتمتع بها شخصيته، حكى إسكندر قائلاً: "كان يُحظى باحترام كبير وكانت له شخصية ذات هيبة"(2). وعن وصفه لطبع وشخصية الأستاذ محمود وحياته بين زملائه فى كلية غردون يقول إسكندر: "كان شخصاً صغيراً مهذباً هادئ الطبع. وقد نكون حينئذ أصغر منه، مخلصين لواجباتنا اليومية. كان بعد اليوم الدراسى لا تجده إلا يصلى أو يدرس على سجادة الصلاة. لم أسمعه قط يضحك أو يثير أى ضجيج... وبالنسبة للطالب العادى فإنه

---

(1) زميل الأستاذ محمود فى **كلية غردون**، وهو طبيب عاش فى كوستى وأسس أول عيادة خاصة فيها. كتب الأب القمص: فيلوثاوس فرج تعريفاً لجرجس عياد إسكندر وهو يتحدث عن مدينة كوستى، قائلاً: "... وأول عيادة خاصة أسسها القبطى جرجس عياد وهو نفسه الذى أنشأ أول مزرعة للأبقار، ووزع هذا الطبيب إنتاجها من الألبان المبسترة والتى كانت معبأة فى زجاجات أنيقة، وكان ذلك فى الخمسينيات، ويعد جرجس عياد أول من أدخل قشارة الأرز فى كوستى، حيث كان يزرع الأرز بواسطة الفلاتة فى منطقة الجروف فى شريط موازى لخط السكة الحديد بعد كوبرى كوستى القديم". **المصدر**: فيلوثاوس فرج، **أقباط السودان**، ج1، مطبعة الحياة الجديدة، 2008، ص 505.

(2) Edward Thomas, *Islam's Perfect Stranger: The life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim Reformer of Sudan*, I. B. Tauris & Co. Ltd, New York, 2010, p 47.

كان صارماً نوعاً ما، فليس هناك أى شىء خارج نطاق الجدية"[1].

وعن أسباب اختلاف الأستاذ محمود عن الآخرين، وعن العوامل التى أثرت فى شخصيته، يقول جرجس عياد إسكندر: "من الصعوبة بمكان معرفة ما الذى أثر على محمود محمد طه فقد كان عميق التدين بأكثر من الآخرين مع ميل إلى القومية (السودانية) with a dash of Nationalism" [2]. لم يكن الأستاذ محمود فى نظر معاصريه فى **كلية غردون** شخصاً مختلفاً فحسب، بل كانوا ينظرون إليه بأنه شخص ينطوى على سر، كما ورد آنفاً فى قول عبدالكريم ميرغنى عن الأستاذ محمود محدثاً بعض تلاميذ الأستاذ محمود يوم أن زاروه فى داره بمدينة أمدرمان. وأضاف عبدالكريم ميرغنى لتلاميذ الأستاذ محمود فى تلك المقابلة: ولما كنا دايرين نكتشف هذا السر.. فجيتكم دى كأنها جاءت لتكشف لى سر ما كان ينطوى عليه الأستاذ محمود"[3].

كذلك لاحظ العديد من زملاء الأستاذ محمود فى كلية غردون وكذلك بعض رفقائه فى العمل الوطنى، بأنه كان كثير التأمل. فقد قال زميله فى الدراسة جمال محمد أحمد: "محمود... كان رجلاً كثير التأمل بالشكل الذى يجعلك تثق فى كل كلمة يقولها"[4]. ووصفه كذلك يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011)[5]، وقد كان عضواً فى **الحزب**

---

(1) Ibid, p 47.
(2) Ibid, p 54.

(3) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، مصدر سابق.
(4) على عثمان محمد صالح والبشير سهل جمعة سهل (إعداد)، مرجع سابق، ص 170.
(5) يحيى محمد عبد القادر من طلائع المتعلمين السودانيين، ومن الرعيل الأول للصحفيين. وُلد فى مدينة شندى فى شمال السودان. جاء إلى الخرطوم عام 1935، فاشترك فى تأسيس أول صحيفة يومية فى السودان، هى جريدة النيل، لسان حال آل المهدى. كتب فى بداية الثلاثينيات فى مجلة "روز اليوسف"، وعمل محرراً فى جريدة "النيل"، ومراسلاً لصحيفة "الأهرام" المصرية ومديراً لمكاتبها فى الخرطوم (1936-1952). أصدر عدداً من الصحف منها: صحيفة "المستقبل" الأسبوعية وصحيفة "السودانى" اليومية خلال الفترة من عام 1949 إلى عام 1952، وصحيفة "أنباء السودان" اليومية (1953-1969). كما نشر ثلاثة كتب هى: **الديمقراطية والديكتاتورية**، وكتاب: **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، (ثلاثة أجزاء)، إلى جانب مذكراته التى صدرت بعنوان: **على هامش الأحداث فى السودان**. كان يحيى من مؤسسى الحزب الجمهورى، الذى ترأسه الأستاذ محمود محد طه، ثم تركه وشارك فى تأسيس الحزب الوطنى برعاية الخليفة الشريف عبدالرحمن الهندى (???-1964). تولى سكرتارية الحزب الوطنى حتى اندماجه فى الحزب الوطنى الاتحادى الذى نشأ برئاسة السيد إسماعيل الأزهرى (1900-1969)، بعد التوقيع على وثيقة الأحزاب المؤتلفة عام 1953 فى القاهرة. وكان الأستاذ يحيى من ضمن الموقعين على الوثيقة.

الجمهورى خلال النصف الثانى من أربعينيات القرن الماضى، وصف يحيى الأستاذ محمود قائلاً: "محمود محمد طه مفكّر عميق التفكير كثير التأمّل..."[1].

الوظيفة الحكومية والاستقالة منها

يا ابنى الأستاذ محمود جوهرة مما شفتوا [منذ أن رأيته].[2]

ميرغنى حمزة على (1911-2010)[3]

نقلاً عن عبدالله عثمان

تخرج الأستاذ محمود فى قسم المهندسين **بكلية غردون** فى عام 1936، وهو العام الذى شهد توقيع اتفاقية عام 1936 بين بريطانيا ومصر، والتى أتاحت توافد المصريين على السودان. وقبل ذلك بعامين وفى عام 1934 كان سير ستيوارت سايمز قد جاء حاكماً عاماً للسودان، ولحق به سير دوقلاس نيوبولد سكرتيراً إدارياً عام 1939، وهما من الداعمين للتعامل مع المتعلمين. يقول صبحى فانوس إن سياسة سير ستيوارت الليبرالية: "تمتاز بكثير من التسامح والمهادنة مع الخريجين السودانيين. ولعل مرد ذلك هو الخشية من تأثير الألمان والإيطاليين المتزايد فى إفريقيا، وكذلك توقيع اتفاقية عام 1936 بين بريطانيا ومصر، والتى أزاحت العوائق أمام تدفق المصريين نحو السودان". وأضاف فانوس قائلاً: "كان البريطانيون يخشون إن هم لم يبدوا استجابة لمطالب المتعلمين السودانيين، أن يلجأ هؤلاء للمصريين القادمين، وأن يتحدوا معهم ضدهم. لكل ذلك تم السماح بقيام مؤتمر

---

(1) يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**،ج3، ط2، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، 1987، ص 144-146.

(2) ميرغنى حمزة على، حديث تم مع عبدالله عثمان أحد تلاميذ الأستاذ محمود. **المصدر**: مقابلة مع عبدالله عثمان، تمت المقابلة بالهاتف، عبدالله عثمان فى مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف فى الدوحة، قطر، بتاريخ 2012/10/28، الساعة 12:10صباحاً.

(3) ولد ميرغنى حمزة على بقرية أم بكول ريفى مروى شمال السودان، ونزحت أسرته إلى مدينة الكوة وسط السودان. تخرج فى **كلية غردون**، وابتعث إلى إنجلترا ثم عاد وعمل **بمدرسة بورتسودان الثانوية** بمدينة بورتسودان. ثم نقل إلى مدينة عطبرة. وعندما جاء الأستاذ محمود للعمل بعطبرة كأول محطة عمل له بعد تخرجه، كانت دار ميرغنى حمزة على منزلته. تقاعد ميرغنى حمزة عن العمل فى عام 1963، وعمل مديراً **لمدرسة الأحفاد الثانوية**. المصدر: مقابلة مع عبدالله عثمان، المؤلف فى الدوحة، وعبدالله فى مسقط، سلطنة عمان، 4 أكتوبر 2012، الساعة 20:30. (ميرغنى حمزة فى النص أعلاه كان يتحدث إلى عبدالله عثمان).

الخريجين فى عام 1938"[1].

دخل الأستاذ محمود الشارع العام والخدمة المدنية، قبل قيام مؤتمر الخريجين بعامين، مهندساً برئاسة **مصلحة سكك حديد السودان**، بمدينة عطبرة وتم تعيينه بتاريخ1936/2/2 [2]. ومنذ الوهلة الأولى قاد الأستاذ محمود المواجهة لتصحيح أوضاع **نادى عطبرة**، مكان النشاطات الثقافية والأدبية، واستطاع أن يثرى الحركة الثقافية والسياسية بالمدينة من خلال نشاط **نادى عطبرة**، يقول الأستاذ محمود: "ماكان اسمه نادى الخريجين كان اسمه **نادى السكة الحديد- نادى موظفى السكة حديد السودانيين**"[3]. وعن تبعية النادى وإدارته يقول الأستاذ محمود: "النادى كان كأنه تابع للمصلحة.. رئيس المصلحة - مدير مصلحة السكة الحديد كان رئيس الشرف ليهو .. وكان كبار الموظفين فى حكم البيعينوا فى مناصب النادى"[4]. رافق الأستاذ محمود فى ذلك الوقت كل من ميرغنى حمزة على الذى جاء إلى عطبرة منقولاً من بورتسودان[5]، وأمين صديق (1911-1980)[6] الذى كان يعمل محاسباً بمدينة الدامر ويزور مدينة عطبرة من

(1) صفوت فانوس: "دور بريطانيا فى قيام وتطور الأحزاب السياسية فى السودان (2)" ترجمة: بدرالدين حامد الهاشمى، **صحيفة الأحداث**، العدد 1068، 21 مايو 2010.

(2) محمود محمد طه، ملف الخدمة، نمرة الوظيفة (11837)، نمرة الموظف (559)، سكك حديد السودان، عطبرة.

(3) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(4) المصدر السابق.

(5) مقابلة مع عبدالله عثمان، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، عبدالله عثمان فى مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف فى الدوحة، قطر، بتاريخ 2012/10/28، الساعة 12:10. حدثنى عبدالله بأن ميرغنى حمزة على حكى له بنفسه عن ذلك.

(6) هو أمين محمد صديق محمد بادى، المعروف بأمين صديق، ووالدته زينب سلمان محمد خالد. هاجر والده من شمال السودان (القرير) واستقر بمدينة القطينة، درس أمين الكُتّاب بالقطينة، والإبتدائى برفاعة ثم التحق بكلية غردون قسم الشريعة (والتى لم يطب له البقاء بها وكان يرى التناقض بين ما يدرس لهم وبين ما عرف من سماحة الدين) فتحول لقسم الحسابات **بكلية غردون**، وتخرج فيه عام 1936. عمل فى بداية حياته بقسم الحسابات بالبوستة ثم وزارة الاشغال ثم عمل بوزارة المعارف كمراقب مالى وادارى. ثم عمل بوزارة المالية بالخرطوم وتنقل ما بين شندى والدامر وعطبرة ومدنى وترقى فى وظيفتة بوزارة المالية حتى وصل لوظيفة المراقب المالى بالمديرية (مديرية النيل الأزرق) . ثم نُقل مترقياً للعمل بوزارة الرى وشغل منصب وكيل الشؤون المالية والإدارية حتى تقاعده للمعاش عام 1960. بعد ذلك عمل بالقطاع الخاص بمطاحن النيل =

وقت لآخر[1]. يقول الأستاذ محمود: "نحن أحدثنا فيهو سنة 36 و37 ثورة أدبية كبيرة جداً اقتضت أنه اللجنة تكون منتخبة وأنه السكة الحديد ما يكون عندها إشراف على النادى وقلبنا الأوضاع فيه.. الناس اللى كانت بتعين السكة الحديد كضباط يشرفوا على إدارة النادى كأنه مصلحة من المصالح غيرناهم"[2]. قُلبت الأوضاع فى النادى وتمت الانتخابات وتم اختيار ميرغنى حمزة على رئيساً للجنة النادى بعطبرة، والأستاذ محمود سكرتيرها فتجددت حركة النادى تماماً. يقول مصطفى أبو شرف (1919-2008):

المهندس محمود محمد طه رحمة الله عليه وزملاؤه ناس خليل نور ودقيل ومحمد سعيد نديم هم الذين حركوا الجمعية الأدبية مما كان له الأثر فى تحريك العمال.. وبدأ العمال يحضروا إلى النادى السودانى.. رغم أن الإنجليز كانوا يعملون بقانون فرق تسد... عملوا فى عطبرة مسلم قبطى.. وفى المسلمين عامل وأفندى.. وكانت ظاهرة رائحتها كريهة.. وأتى المؤتمر ووحد هذه الفصائل.. والعمال هم لب

= الأزرق (بمدينة واد مدنى) وتدرج أمين صديق حتى وصل منصب المدير وظل بهذا المنصب حتى العام 1978. لقد انضم أمين صديق إلى الحزب الجمهورى عام 1945، وذلك فور الإعلان عن تأسيس الحزب الجمهورى. وقد حكى لابنته سمية قصة انضمامه فقال لها: "كنت مشغولاً بأمر السودان وبأمر الوجود البريطانى به وكنت دائم البحث عن مجموعة أو تنظيم أو حزب مُقنعاً لى حتى انضم له للنضال من أجل السودان ومحاربة الوجود البريطانى، وفى إحدى إجازاتى بالخرطوم قادماً من الدامر وأثناء بحثى علمت بقيام حزب جديد اسمه الحزب الجمهورى فلم أتردد لحظة فى الانضمام له وذلك عندما علمت بأن الأستاذ محمود على رأس هذا الحزب الجديد وذلك لما عرفت عن الأستاذ منذ عهد الطلب". حضر الاجتماع الثانى للحزب الجمهورى وهو أحد أعضاء الحزب ثم أصبح سكرتيراً للحزب الجمهورى وظل بهذا الموقع ولم يعرف الحزب سكرتيراً غيره. قام أمين صديق بجهود ضخمه فى الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود، وقاد مواجهة ضارية مع كل الجبهات التى واجهها الحزب الجمهورى. أهدى الأستاذ محمود مجلداً يحوى أربعة من كتبه الأساسية لأمين صديق وكان ذلك قبل وفاة أمين بستة أشهر، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "أخى أمين !!، أنت من هذا الذى أضعه بين يديك الآن.. كنت، ولاتزال، ولن تنفك.. لقد أفنيت عمرك فى تحقيقه، ثم فى إحقاقه- فلئن أُهديه اليك اليوم فى القراطيس فلاعجب فقد كنته فى الدم، و اللحم، صدق مواجهة، وصراحة قصد، ووترية فكر .. حفظك الله وحفظ عليك، وأمتعك بعافية البدن وعافية العقل، وعافية القلب. أخوك محمود، أمدرمان فى السبت 15 شهر ديسمبر عام 1979 يوافق 25 من شهر الله المحرم من أول القرن الخامس عشر الهجرى. توفى أمين صديق فى يوم الاثنين 23 يونيو من عام 1980. **المصدر**: سمية أمين محمد صديق، مقابلة عبر مراسلات بالبريد الإليكترونى، بتاريخ 8 - 4 نوفمبر 2012.

(1) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان**: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص51.

(2) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

الوطنية.. وهـم الجنود المخلصون ومنهم سليـمان موسى الذى حـاكمـه الإنجليز.. والطيب حسن ومحمد إدريس عبدالكريم وأحـمد الفكى وخيرى عبدالمجيد وهذه بعض الأسماء التى تحـضر فى الذاكرة وعثـمان داؤود أخ الفنان عبدالعزيز مـحمد داؤود وهو رجل زعيم وحوكم أيام الجـمعية التشريعيـة وسجن وأذكر أن المهندس محمود محمد طه قد نقل إلى جبيت ولكن الحركة استمرت[1].

وبعد أن نشأ مؤتمر الخريجين سنة 1938، استطاعوا أن يغيروا اسم النادى، نادى السكة الحديد- **نادى مـوظفى السكة حـديد السودانيـين** إلى **نادى الخـريجين بعطبـرة**[2]، وفُتح النادى لكل مواطـنى عطبرة[3]. أقلق هذا النشـاط الانجليـز، فقـرروا نقله، يقـول الأستـاذ محمـود: "فدا اقتضى أنه السكة حـديد تنقلنى من عطبرة إلى كسلا .. والنقـل كنت بشعر بأنه كيدى .. فيـما بعد كانت الخلافات بتكون بينى وبين الموظفين الإنجليـز كتيرة"[4]. نُقل الأستاذ محمود إلى مدينة كسلا فى شرق السودان، يقول الأستاذ محمود:

مشـيت تلاتة أربعة سنين بعدها وفـعلاً كنت زى بشعـر كأنه فى محـاولة إبعاد لى.. نقلونى لعطبـرة لخلاف نشـأ بينى وبين كبـير المهندسـين فى كسـلا بعدين ودونى لخط جديد لأمده مع الناس البمـدوه لجهة "تسنى" فى أثناء الحرب ثم لما انتهـيت منه انتدبت لأمـد خط من حلفا لفرس ثم لما انتـهيت منه انتـدبت لأمد خط من ربك للجبلين وفى دا اعترضت وكان الخلاف ومنه استقلت[5].

جاءت الاسـتقالة مع خلافـات مستمـرة مع الموظفين الإنجليز، وبعـد تكرار لمحاولات إبعاد الأستـاذ محمود عبر نقله إلى المناطـق النائية، فى المرة الأخيرة رفض الأستاذ مـحمود تنفيذ النقل. تقـول بتول مختار محمـد طه: "فرفض الأستاذ محمود النـقل وقال للخواجة:

---

(1) مصطفى أبو شـرف، "الشاعر المعلم مصطفى أبو شـرف فى ضيافة الصـحافة"، (حوار)، أجرى الطـاهر حسين الطاهر، **صحيفة الصحافة**، السبت 26 أغسطس 2000.

(2) المصدر السابق.

(3) جلال الدين الهادى، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص3.

(4) محمـود محمد طه، "لقـاء الأستاذ محـمود بمندوبى معهـد الدراسات الإفريقيـة والآسيوية"، جامـعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(5) المصدر السابق.

"لن أُنفذ هذا النقل"[1]. ... ب الخواجة لهذا الرفض، ورد على الأستاذ محمود بقوله[2]: (Who do you think yourself to pick and choose?)[3] غير أنّ الاستاذمحمود تقدم باستقالته من العمل فى أواخر عام 1941. وفى أواسط عام 1944 بدأ الأعمال الحرة كمهندس ومقاول. ... أرجع الأستاذ التجانى عامر (1908-1987)[4]، استقالة الأستاذ محمود من وظيفته إلى ما اتسم به "سلوك محمود الصارم فى القضايا العامة وشجاعته العنيفة التى دفعته إلى التخلى عن الوظيفة..."[5]. الشاهد أن الأستاذ محمود لم يكن متعاوناً مع رؤسائه فى العمل، وكان مستقلاً ومصادماً وصارماً مع زهد واضح فى العمل وعدم حرص عليه. فقد تضمنت بعض التقارير بملف خدمته بسكك حديد السودان ملاحظات رؤسائه فى العمل فقد وصفوا الأستاذ محمود بأنه مستقل بطبعه وصاحب شخصية صارمة، كما أنه لا يعطى انطباعاً بحرصه على الاستمرار فى العمل، وله طريقة متعمدة فى أن لا يعطى انطباعاً جيداً. (أنظر ملحق رقم: "3")،تقرير الموظفين Staff Report، محمود محمد طه، بتاريخ 1941/8/26. مكث الأستاذ محمود فى وظيفته **بسكك حديد السودان** ست سنوات[6]. وفى مرحلة لاحقة هى ما بين عامى 1952-1954، عمل الأستاذ محمود فى شركة حكومية، وعن طبيعة عمله عبر قائلاً: "إنه بين عامى 1952-1954، كنت أعمل بالراتب الشهرى كمهندس مدنى بشركة النور والطاقة

---

(1) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص51.

(2) المصدرالسابق، ص 51.

(3) ترجمة النص: "من أنت حتى تعطى لنفسك حق الانتقاء والاختيار". ترجمة غير رسمية من مؤلف هذا الكتاب.

(4) ولد بأمدرمان تخرج فى المدارس العليا والتحق **بمعهد الصحة الملكى** بلندن وتخرج بدبلوم الصحة وعمل ضابطاً للصحة وتدرج حتى أصبح نائب كبير مفتشى الصحة. اهتم بالدراسات التاريخية والاجتماعية والأدبية عامة وكتب فى الصحف والمجلات وأخرج **مجلة العاصمة الأدبية** (1966-1967). وكان شاعراً أصدر عدداً من الكتب منها: **السلالات العربية السودانية بالنيل الأبيض، والنيل الأبيض قديماً وحديثاً، خلفيات تاريخية لجنوب السودان، ودراويش وفرسان، والسودان تحت الحكم الثنائى**، ديوان جد ... ل، وغيرها. **المصدر**: عون الشريف قاسم، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن**، الجزء الأول (أ- ج)، مرجع سابق، ص 370.

(5) التجانى عامر، "ذكريات: من مذكرات التجانى عامر"، **صحيفة الصحافة**، العدد 4772، 1975/4/16.

(6) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، ص7. تتكون المخطوطة من ثمانى صفحات، وقد كتبها الأستاذ محمود بخط يده بمدينة أمدرمان بتاريخ 1972/2/26، وقد اطلعت على المخطوطة، وحصلت على نسخة منها من أسماء محمود محمد طه.

الكهربائية، الآن (الإدارة المركزية)"[1]. ومنذ عام 1954 أخذ الأستاذ محمود بالعمل كمهندس رى فى المشاريع الخصوصية فهو يقول[2]:

منذ عام 1954 قد أخذت فى العمل الموسمى كمهندس رى فى المشاريع الخصوصية بمنطقة كوستى-مشاريع الطلمبات- أعمل كمقاول وأقوم بالجانب الفنى فى المساحة وتصميم القنوات والتنفيذ على الطبيعة- الجانب الفنى فقط- وأما العمال والمقاولون فإنه يدفع عنهم أصحاب هذه المشاريع.

بعد وقت قصير من استقالته من الوظيفة وفى عام 1942 [3] تزوج الأستاذ محمود من زوجته آمنة محمد لطفى عبدالله، وأنجبا ثلاثة أطفال هم[4]: محمد (1944-1954) وفاطمة (أسماء)[5] وسمية[6]. توفى ابنه محمد غرقاً فى النيل الأزرق بمدينة رفاعة، وهو فى العاشرة من عمره، وقد حزن الأستاذ محمود لفقده ولكنه كان راضياً بقضاء الله وقدره، فقد قال لمن جاء لتعزيته: "إن ابنى قد ذهب إلى أبٍ أرحم"[7].

كانت استقالة الأستاذ محمود من وظيفته مع نذر الحرب العالمية الثانية 1939-1945، وكان "مؤتمر الخريجين" الذى تأسس فى فبراير 1938، قد قطع شوطاً فى دوراته،بيد أن الأستاذ محمود لم يشترك فيه، ولم ينتسب أو يكن عضواً فى أىّ هيئة من هيئاته أو لجنة من لجانه فى كل دوراته الانتخابية. بلغ عدد الدورات الانتخابية (خمس عشرة دورة منذ تأسيس المؤتمر وحتى حله واندماجه فى **الحزب الوطنى الاتحادى** فى فبراير 1952)[8]. سيأتى الحديث لاحقاً عن: "موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين". الشاهد أنه فى منتصف أربعينيات القرن الماضى،والحرب العالمية تضع أوزارها عام 1945، بدأ (مهرجان تكوين

---

(1) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 7.
(2) المصدر السابق، ص6-7.
(3) مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، الخرطوم، 2011/7/14، الساعة 10:20.
(4) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 52.
(5) تزوجها النور محمد حمد، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، فى يونيو عام 1986 وأنجبا آمنة ومحمود.
(6) زوجها أحمد المصطفى دالى، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، فى يوليو عام 1986، وأنجبا آمنة وفاطمة.
(7) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 50.
(8) المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مرجع سابق، ص 35.

الأحزاب السودانية)[1]، وقد تبلورت الحركـة السياسية فى طـرحى الوحدوية (الوحدة مع مصر) والاستقلالـية (الاستقلال فى تحالف مع التاج البريطانى). حضر الأسـتاذ محمود مع بعض رفاقه فى مهـرجان تكوين الأحزاب السودانية معلـناً فى يوم الجمعة 26 أكتوبر 1945 عن إنشاء **الحزب الجمهورى**. سيأتى الحديث لاحقاً عن **الحزب الجمهورى**.بإعلان تأسيس **الحزب الجمهورى** بدأت مرحلة جديدة فى حـياة الأستاذ محـمود قوامها المواجـهة واتساع دائرتهـا والنضـال بمختلف أدوات المثـقف من أجل اسـتـقلال السـودان. تبع ذلك السـجن فالاعتكاف والخلوة بمدينة رفاعة، ثم الخروج من الخلوة فى أكتوبر عام 1951 وطرح مشروع التجديد الإسلامى. وسيأتى تفصيل كل ذلك لاحقاً.

الرغبة والهدف من دراسة القانون

دراسة القانون أرقى الدراسات[2].

My sole aim is the search for a possible source of increased enlightenment(3)

"إن هدفى الوحيد [من دراسة القانون] هو البحث عن مصـدر ممكن للاستنارة المتزايدة" (4).

محمود محمد طه

وردت الإشارة إلى أن الأستـاذ محمود كان ينوى دراسـة القانون. فبرغم رغبـته الشديدة فى دراسة القانون، أكمل دراسته وتخرج فى قسم المهندسين **بكلية غردون**، بيد أنه لم يحبس تلك النية والرغبـة القوية بعد الانتهاء من دراسـة الهندسة، فقد تقدم أثناء فـترة عمله **بسكك حديد الـسودان**، بطلب للالتـحاق **بمدرسة الســودان للقانون** the Sudan School of Law.

(1) جملة مهرجان تكوين الأحزاب فى السودان تعود فى نحتها وأصلها إلى المؤرخ محمد سعيد القدَّال.

(2) مقابلة مع عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، تمت المقابلة بالهاتف، البوشى فى مدينة مدنى فى السودان والمؤلف فى مدينة الدوحة، قطر، الأربعاء 24 أكتوبر 2012، الساعة 6:50 دقيقة صباحاً.

(3) من خطاب الأستاذ محمود الذى أرفق معه طلب التحـاقه لدراسة القانون بمدرسة السـودان للقانون، بتاريخ 3 أبريل 1939.

(4) فى الأصل النص باللغة الإنجليزية.

وقد ظل يلاحق طلب التحاقه لدراسة القانون برغم العراقيل والصعوبات. فقد قدم الأستاذ محمود طلب التحاقه بتاريخ 3 أبريل 1939، وأرفقه مع خطاب[1] موجه إلى رئيس المهندسين **بسكك حديد السودان** بعطبرة، راجياً منه تمرير طلبه إلى السكرتير القضائى Legal Secretary حتى يتمكن بدوره من وضع الطلب ضمن طلبات المتقدمين لدراسة القانون، ومن ثم إخطاره بالموعد المطلوب فيه حضوره لأداء امتحان القبول. (أنظر ملحق رقم: "4"،خطاب من محمود محمد طه يتضمن رغبته وأسباب دراسته للقانون). وقد تضمن خطاب الأستاذ محمود توضيحاً لهدفه الوحيد من دراسة القانون فكتب قائلاً:

My sole aim is the search for a possible source of increased enlightenment.

الترجمة إلى اللغة العربية: "إن هدفى الوحيد [من دراسة القانون] هو البحث عن مصدر ممكن للاستنارة المتزايدة".

تابع الأستاذ محمود ملاحقة طلب التحاقه لدراسة القانون باهتمام وحرص يعكس مدى رغبته فى دراسة القانون، ويبدو أن الأستاذ محمود تلقى رداً وردت فيه إشارة إلى صغر سنه (وفقاً لشهادة تقدير العمر المودعة فى ملف خدمته فإن الأستاذ محمود مولود بتاريخ 1916/1/1)، لم أقف على ذلك الرد، إلا أن الإشارة إلى صغر السن وردت فى خطاب الأستاذ محمود اللاحق. فقد كتب الأستاذ محمود خطاباً بتاريخ 1939/4/25 موجهاً إلى رئيس المهندسين مستفسراً عن موعد امتحان المنافسة للقبول بمدرسة القانون، وأشار إلى أنه نما إلى علمه بأن المدرسة ستفتح أبوابها عام 1942 أو بعده. فإذا ما كان ذلك صحيحاً فإننى عندها لن أكون صغيراً If such is right, I shall not be too young by then ثم أضاف قائلاً:

I, however, want you to kindly pass my letter to the legal secretary for inclusion and if, at the ripe time for opening the school, I am condemned as underagedI shall at the very least stand foremost for the next chance.

---

(1) وجدت الخطاب ضمن ملف خدمة الأستاذ محمود محمد طه، مصدر سابق.

الترجمة: "مع ذلك، أرجو منك عطفاً تمرير هذا الخطاب إلى السكرتير القضائى Legal Secretary لتضمينه طلب الالتحاق، فإذا ما حان وقت فتح المدرسة لأبوابها، وحكم على بصغر السن، فإننى على أقل تقدير أستحق أول فرصة قادمة. (أنظر ملحق رقم: "5"). تلقى الأستاذ محمود رداً على خطابه هذا، غير أنى لم أستطع الوقوف عليه ضمن ملف خدمته، ولكن من الواضح أن الرد، لم يكن مقنعاً للأستاذ محمود، فكتب خطاباً بتاريخ 1939/5/20، أشار فيه إلى أنه استلم رداً على خطابه المؤرخ بتاريخ 1939/4/25، ثم كتب قائلاً: I very much regret to have to be so argumentative الترجمة: "يؤسفنى جداً أن أكون مجادلاً لهذا الحد"، ثم وضَّح الأستاذ محمود ما تضمنه خطابه السابق، وفصَّل ما قاله على وجه التحديد (أنظر ملحق رقم: "6").فاستلم الأستاذ محمود رداً بتاريخ 1939/6/14 يوضح له بأن طلب التحاقه **بمدرسة القانون** سيتم تحويله لمدير التعليم لإجراء اللازم (will be passed to the Director of Education for action) .. (أنظر ملحق رقم: "7"). تلاحقت الخطابات من الأستاذ محمود والردود عليها، ولكن الأستاذ محمود لم يتلق رداً واضحاً على طلبه. ففى يوم 25/10/1939 كتب خطاباً بخط اليد (فالخطابات الأخرى التى وقفت عليها ضمن المراسلات بشأن دراسة القانون كانت مطبوعة على الآلة الكاتبة) موجهاً إلى رئيس المهندسين Chief Engineer. أوضح الأستاذ محمود فى خطابه أنه لم يتلق رداً واضحاً على طلبه الذى قدمه إلى السكرتير القضائى Legal Secretary وطلب راجياً من مكتب رئيس المهندسين الاستفسار أو التذكير بشأن طلبه May your office kindly inquire or remind?(أنظر ملحق رقم: "8"). فى يوم 8 نوفمبر 1939 تلقى الأستاذ محمود رداً من السكرتير القضائى Legal Secretary يوضح بأن اختيار المتقدمين لم يتم بعد: The selection of candidates has not yet been made.

الشاهد أن المراسلات تتالت وتوالت، وظل الأستاذ محمود حريصاً على تحقيق رغبته فى دراسة القانون، إلا أنه لم يدرس القانون. والذى لا شك فيه أن مواجهة الأستاذ محمود ومصادمته للإدارة الاستعمارية فى عطبرة لا تشفع له أمام رؤسائه فى تحقيق رغبته، بل من المؤكد أنها كانت سبباً فى عدم تحقيق رغبته لدراسة القانون. لقد كان الأستاذ محمود فى

معارك ومواجهات مستمرة مع رؤسائه أثناء فترة عمله في مدينة عطبرة، والأجهزة الأمنية تراقب والتقارير ترفع، فهو سكرتير نادى الخريجين بمدينة عطبرة الذى قاد النشاط ضد الاستعمار وأثرى الحركة الثقافية والسياسية فى المدينة وفتح نادى الخريجين مع ميرغنى حمزة على، رئيس النادى، ليكون متاحاً للمواطنين.

تكشف هذه المراسلات العديدة التى دفع بها الأستاذ محمود إلى **مدرسة السودان للقانون** the Sudan School of Law وإلى السكرتير القضائى Legal Secretary عبر رؤسائه، خلال الفترة ما بين 1939/4/3 وحتى تركه وظيفته **بسكك حديد السودان**، تكشف هذه المراسلات عن الكثير من الدلالات والمضامين، فهى تعبر بفصاحة عن الرغبة القوية والحرص الشديد لدى الأستاذ محمود لدراسة القانون، كما تبين لنا مدى اهتمام الأستاذ محمود بالقانون ومدى أهمية القانون بالنسبة له فى الحياة. الأمر يدفع بسؤالين أساسيين لساحة الحوار، الأول هو: هل كان يمكن أن يتغير شىء فى حياته ومشروعه، إذا ما درس الأستاذ محمود القانون؟ والسؤال الثانى: هل تجلى اهتمام الأستاذ محمود بالقانون فى حياته وفى إنتاجه الفكرى؟ استميح القارىء عذراً فى أننى أعطى نفسى الحق فى الإجابة عن هذين السؤالين من معرفتى القليلة التى كنزتها من واقع بحثى وتنقيبى ومن واقع الصلة العميقة التى جمعتنى بسيرة الأستاذ محمود وبمشروعه. ففى تقديرى، أن السؤالين متداخلين وإجابتى ستكون واحدة على السؤالين، محصورة فى إنتاجه الفكرى. فى الواقع على الرغم من دراسة الأستاذ محمود للهندسة، إلا أنه برز فى كل مواقفه وكتاباته رجل قانون بالرغم من أنه رجل هندسة. وهو القائل: "والحق أن القانون نفسه طرف من الأخلاق"[1]. لقد كان الأستاذ محمود ينظر للقانون بأنه أرقى الدراسات كما حدثنى عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، بما سمعه منه، وقد وضعت نص القول ليكون قلادة فى صدر هذا المحور. إن الدارس لكتابات الأستاذ محمود يدرك بأنه من النادر أن يكون هناك كتاب من الكتب التى كتبها الأستاذ محمود يخلو من حديث عن القانون، ليس حديث العارف المتخصص فى القانون فحسب؛ وإنما حديث المنظر والدارس للقانون وتطوره

(1) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، **الكتاب الثانى من سلسلة رسائل ومقالات، ط1، أمدرمان**، 1973، ص 7-10.

بمداخل مختلفة، تاريخية، وثقافية، واجتماعية، وفكرية، ودينية، منذ نشأة المجتمع والعرف. ففى عام 1955 أصدر الأستاذ كتاباً بعنوان: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، الذى قدم فى ديسمبر** 1955، والكتاب كله، كما يبيِّن عنوانه حديث عن القانون. فقد قال فى صدر فصله السادس: "الهيئة التشريعية"، "وإنما القانون عندنا شىء قائم بذاته، ومستقل بوجوده عن وجود العقل البشرى، وما القوانين الوضعية إلا محاولة لمضاهاة هذا القانون المتسق". وعندما أصدر كتابه: **الإسلام**، عام 1960 خصص محوراً بعنوان: "نشأة المجتمع والقانون ونشأة الإسلام". وتحدث عن القانون بتوسع فى كتابه: **مشكلة الشرق الأوسط**، وكتب قائلاً[1]:

"هناك ثلاثة أمور لابد من استيقانها: أولها أنّ حكم الوقت يقضى على هذه البشرية، التى تعمر هذا الكوكب، فى هذا العصر، أن تتوحّد. وثانيها أن هذه البشرية، لكى تتوحد، لا بد لها من السلام. وثالثها أنها، من أجل السلام، لا بدّ لها من المدنية التى تنشر حكم القانون العادل".

لقد كتب الأستاذ محمود كثيراً عن القانون والفرد والجماعة، فقد كتب عام 1968 قائلاً: "وهذا القانون إنما هو تنسيق بين الغاية، التى هى الفرد، والوسيلة التى هى الجماعة، وهو لذلك حين يصادر حرية الفرد إنما يصادرها مؤقتاً، وإنما يجعل عقوبة المصادرة علاجاً لقصور الفرد فى حسن التصرف فى الحرية، لاتشفِّيا منه، وهو بهذه المصادرة إنما يعده ليقبل على ممارسة حريته بطاقة أكبر، وكفاءة أكفأ مما كان عليه قبل وقوع المصادرة عليه.."[2]. وفى كتابه: **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**[3]، تحدث عن القانون وتكلم عن قانون الغابة وقانون الإنسان، والقانون والمساواة بين الرجال والنساء، والقانون بين الفرد والمجتمع...إلخ. وتضمن كتابه: **الثورة الثقافية**، حديثاً عن نشأة المجتمع البشرى فى الغابة، وكيف أن قانونه كان قانون الغابة، وعن قانون الغابة كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وقانون الغابة إنما يعطى الحق للقوة .. و فيه القوة تصنع الحق، و تتقاضاه.. فهى لا تحتاج إلى قانون ينص على حقها.. و لا تحتاج

---

(1) محمود محمد طه، **مشكلة الشرق الأوسط**، ط1، أمدرمان، 1967، ص 5-6.
(2) محمود محمد طه، **الدستور الإسلامى؟ نعم.. ولا!!**، ط1، أمدرمان، 1968، ص 41-44.
(3) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 81-82.

إلى قضاة يقضون لـها بذلك الحق .. و إنما هى، فى حد ذاتهـا، القانون والقـضاء..."[1]. وفى توطئة البحث ضمن مقدمته لكتاب: **زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان:** 1. **الثقافة الغربية**2. **الإسلام**،استعرض الأستاذ محمود آراء فقهاء القانون ومنظريه وأطروحات الفلاسفة والمفكرين العالميين والمسلمين ثم كتب قائلاً:

ولقد أحببنا بهذا أن نعرض عليكم كيف أن فقهاء الدستور وحتى كبارهم، ينخدعون لمزيفى الديمقراطية، فيضعون خبرتهم، ودراستهم، وتخصصهم فى خدمتهم، ومن ثم ضد مصالح الشعوب.. والحق أن كثيراً من فقهاء القانون المدنى كانوا دائماً ولا يزالون يضعون أنفسهم فى خدمة السلطة، يفتونها بما تريد، وكيفما تكن تلك الإرادة .. وذلك رغبا منهم أو رهبا، شأنهم فى ذلك شأن فقهاء الدين، فى جميع حقب التاريخ، حين ينحط الدين فى صدور الرجال والنساء[2].

الشاهد أن الأستاذ محمود، وهو صاحب المشروع، له رؤية حول القانون وحول تناسقه مع الطبيعة. فقد ظل ناقداً وبقوة للسائد والمألوف من القوانين وناقداً للأسس التى قامت وتقوم عليها القوانين ليس فى محيط ثقافى بعينه وإنما على المستوى الكوكبى. أنفق الأستاذ محمود جل وقته يحض الناس بالكلام وبالمواقف وبالكتابات على مواجهة المحاكم وتعريتها، وتعليم الجرأة فى انتزاع الحقوق، والقدرة على الدفاع عن حق الحياة وحرية الفكر. وظل ينادى بضرورة إقامة العدل وتسييله فى حياة الناس. وفوق كل ذلك فقد كان الأستاذ محمود هو محامى نفسه بنفسه فى كل المحاكمات التى تعرض لها وفى كل مساجلاته مع المحاكم والقضاة المدنيين والشرعيين. الشاهد أن القانون لدى صاحب المشروع ليس كما الحال عند المتخصص فى القانون. فهل كان الأستاذ محمود محامياً ناجحاً؟ وهل كان يدافع عن نفسه حينما يواجه المحاكم والجهل من أجل حرية الفكر وكرامة الإنسان؟ أسئلة سيتولى المستقبل القريب الإجابة عليها، وقد بدأت معالم الإجابات من خلال الاهتمام الواسع بالأستاذ محمود وبالكتابة عنه، بيد أن الذى لاشك

(1) محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، مصدر سابق، ص2.

(2) محمود محمد طه، **زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان:** 1. **الثقافة الغربية** 2. **الإسلام**، أمدرمان، 1968. ص 4-7.

فيه أن الأستاذ محمود بمواقفه الشامخة، وبمواجهته المستمرة لتحالف كوكبى قوامه الجهل القديم وكسل العقول والسجال بلا شرف، وبرؤيته المتصلة بالمستقبل أكثر من اتصالها بالراهن آنئذ، قد تحكَّم بالماضى و (إن من يتحكم بالماضى يمسك بالمستقبل) وفقاً لعبارة جورج أورويل (1903-1950)، وقد قرأتها عند فرانسو دوس الذى نقلها وضمنها صدر أحد فصول كتابه الموسوم بـ: **التاريخ المفتَّت: من الحوليَّات إلى التاريخ الجديد**[1].

لمحات من منهج الحياة والإنتاج الفكرى

قد لا أكون أعلم كل شىء ولكن بالتأكيد كل [ما أعلمه أعمله][2].

محمود محمد طه، نقلاً عن بتول مختار محمد طه

قدم الأستاذ محمود عطاءً فكرياً ضخماً، تميز بالأصالة والجدة والتنوع والاستمرار والشمول والاتساق. فقد بذل الأستاذ محمود حياته من أجل قضايا السودان والإسلام والإنسان والسلام. وفى سبيل تلك القضايا سعى لإحداث التنوير والتحرير والتغيير، سواءً من حيث الإنتاج الفكرى الباكر الضخم، أو باستخدامه لأدوات المثقف وتوظيفها بمسؤولية وأخلاق، أو عبر المواقف الصلبة والصامدة التى خلدها، وكان آخرها موقف ابتسامته على منصة المشنقة. اتسمت رؤية الأستاذ محمود بالكلية والكوكبية فى النظرة للقضايا ومعالجتها، وسعى للدفع بالإنسانوية لتكون هى الهوية الأرحب. ومن أجل ذلك سعى لأنسنة الحياة عبر التنوير وتحرير العقول والقلوب وإلى إحداث التغيير، ودعا إلى الإنشغال بالإنسانية كهوية وكوحدة مصير. ففى يوم 18 أكتوبر 1958 نشر الأستاذ محمود، فى صحيفة **أنباء السودان** مقالة، بمناسبة محاضرة قدمها أحد الأساتذة المصريين المبعوثين من **الأزهر الشريف** للتدريس فى **المعهد العلمى بأمدرمان**، حضر الأستاذ محمود تلك المحاضرة، فكتب مقالاً وأهداها لطلبة وأساتذة **المعهد العلمى بأمدرمان** ونشره فى صحيفة أنباء السودان، وقد وقفت عليه فى الصحيفة. فكتب الأستاذ محمود قائلاً: "كل حديث، منذ اليوم، عن مستقبل أى قطر على

---

(1) فرانسو دوس، **التاريخ المفتَّت: من الحوليَّات إلى التاريخ الجديد**، ترجمة محمد الطاهر المنصورى، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص25.

(2) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 14.

هذا الكوكب يجب ألا ينحصر فى الحدود الجغرافية لذلك القطر، ذلك لأن الوضع قد تغير عن ذى قبل، وأخذ عالمنا يستقبل عهداً جديداً، كل الجدة، من وحدة المصالح، ووحدة المصير، ووحدة الشعور.."[1].وعن الحواجز بين البشر كتب الأستاذ محمود فى مقاله آنف الذكر قائلاً: "والحق، الذى لا مراء فيه، أن الحواجز التى كانت تفصل بين البشر، فى الماضى، لم تعد قادرة على الحيلولة بينهم، منذ اليوم، بعد أن قهرت سبل المواصلات، وسبل الإتصال الحديث، الزمان، والمكان قهراً يكاد يكون تاماً.. بفضل الله، ثم بفضل هذه الكشوف"..[2].

تبع تلك الحضارة التكنولوجية التى قهرت الزمان والمكان، نتائج ترتبت عليها تحديات ومتطلبات، وعن تلك التحديات ومتطلباتها يقول الأستاذ محمود:

إن التحدى الكبير الذى تواجه به حضارة "التكنولوجية" العظيمة الذين يتلخص، جميعه، فى كلمة "السلام"..فإن الأرض بهذه الحضارة قد توحدت، كما أسلفنا القول.. وهذا الوطن الموحد يطلب إلى سكانه أن يتوحدوا، بصرف النظر عن مللهم، وعن ألسنتهم، وعن ألوان بشرتهم.. ولا يتم هذا التوحيد إلا بتنمية، وبتحرير، المواهب المشتركة بين جميع البشر.. وما المواهب المشتركة بينهم جميعاً إلا موهبة القلب، والعقل[3].

لم يكن بعض معاصرى الأستاذ محمود بعيدين من التقاط رؤيته هذه، فقد كتب الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011) ، فى وصفه للأستاذ محمود قائلاً: "محمود محمد طه...، يؤمن بالإنسانية وحدة لا تتجزأ... ولعل خير ما يقال عنه أنه أخلص القادة للقضية وللسودان.. بل وللعالم الواسع"[4]. ولهذا فإن وحدة الكوكب كمصير مشترك ووحدة الإنسانية كهوية جامعة، تتطلب التوحيد عبر التحرير والتنمية، وهما من المحاور الأساسية فى الانتاج الفكرى للأستاذ محمود.

---

(1) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدرمان"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 164، التاريخ 1958/10/18، الخرطوم.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، مصدر سابق.

(3) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 81-82.

(4) يحيى محمد عبدالقادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مصدر سابق ، ص 146-147.

تجدر الإشـارة إلى أنى أعد حالياً بحثاً بعنوان: **محـمود محمـد طه: دراسة ببليومـترية وثائقيـة تحليلية**. وهوبحث يسعى لدراسـة الإنتاج الفكرى للأستـاذ محمـود من حيث الكم والنوع، بغرض الرصد والحصر والوصف لخصائص ذلـك الإنتاج وتحليله ودراسة طبيعته، وآمل أن أنتهى من إنجـاز هذه الدراسة قريباً وأدفع بـها إلى المطبعة. بيـد أننى ولغرض هذه الدراسة لابد أن أقدم جـرداً مجملاً للإنتاج الفكرى للأسـتاذ محمود، مع إشـارات سريعة للعناصر الأولية التى تتسم بها مواقفه وانتاجه الفكرى ومنهج حياته ووسائل دعوته.

بعض العناصر الأولية Primary Elements

من الملاحظات الأوليـة التى يجب تسـجيلهـا هنا، أن منهج الأسـتاذ مـحمـود الحيـاتى ورحلة نضـاله وانتاجه الـفكرى وأساليب دعـوته لمشروعـه تميزت بعناصـر أولية Primary Elements ظلت تتـسم بالاتسـاق consistency والاسـتمـرارية continuity عـبر الزمـان والمكان. وهى عناصر لا تخطئُهـا عين الدارس لسيرة الأسـتاذ محمود ومشروعـه، إذ تقفز تلك العناصر بسـبب قوة حضورها فى كل مـواقف الأستاذ محـمود، قفزاً لتـتصدر تاريخ الأستاذ مـحمود وسيرته وقصـة مشروعه التى لم تبدأ بعـد . ففى يقينى أن أجيال المسـتقبل ستبدأ فى البـحث عن الاجابة لأسئلتها المتصلة بالإسـلام والسودان والسلام والإنسان، فى مشروع الأستاذ محمود، وسيحدث هذا قريباً جداً.

من خلال رحلة بحثى فـى سيرة الأستاذ محـمود ومشروعه فـإن من أهم تلك العناصر الأولية والتى تمثل بعض المبـادئ والمرتكزات هى: مبدأ المواجـهة واستخـدام أدوات المثقف والتوثيق والتطوير والنداء المستمر للحرية والاستقلاليـة كثابتين أساسيين فى حياة الإنسان. سأقف هنا على مبـدأ المواجهة واستخـدام أدوات المثقف والتوثيق، وسيأتى الحـديث لاحقاً عن التطوير[1] والحرية والاستقلالية.

---

(1) لفت نظرى الأستاذ عـوض الكريم موسى -وهو أحد تلاميذ الأستـاذ محمود، ورائد شعر الإنشـاد العرفانى- لفت نظرى ضمن مقابلـة أجريتها معه، إلى أن التطوير من ثوابت الفكرة الجمهورية. وعلى ضوء ذلك ذهبت وبحثت فانجلى لى الأمر بشكل كبير.

مبدأ المواجهة ومنهج المقاومة

إن أول ما يسترعى الانتباه فى شخصه ذلك الجمع بين ألطف صور التواضع، وبين قوة لا تلين[1].

هنرى كودريه[2]

كشف الأستاذ محمود باكراً عن أهم مبادئه، وهو مبدأ المواجهة، ولم يحد عنه قط، منذ التحاقه بالخدمة المدنية مهندسًا برئاسة **مصلحة السكك الحديد**، ودخوله الشارع العام رئيساً **للحزب الجمهورى**. كان **الحزب الجمهورى** فى سبيل تسييل مبدأ المواجهة وتعزيز خطه الثورى فى مجابهة المستعمر، يطبع المنشورات فى مطبعة سرية ويوزعها ليحض الشعب على الثورة ضد المستعمر، وهو أول حزب يستخدم المطبعة السرية. وعن المواجهة وطبيعتها عند الجمهوريين، جاء فى خلاصات قرارات مؤتمر الفكر السياسى، الذى عقده **الحزب الجمهورى** بداره بمدنى، خلال أيام عيد الفطر المبارك فى يوم 20 ديسمبر 1968: "والحديث عن المواجهة هو حديث عن ماضى **الحزب الجمهورى** وحاضره، ذلك أن **الحزب الجمهورى** قد كان مواجهاً- فى الحيز السياسى- مواجهاً للإنجليز مواجهة ملهمة لا خور فيها ولا ضعف. فقد عرف الجمهوريون بصلابتهم ورفضهم لكل ما يؤثر على حرية البلاد وعلى حرية الأفراد. ومن جراء ذلك شُرِّد الجمهوريون وسجنوا ..."[3]. فقد سجن الأستاذ

---

(1) هنرى كودريه، "محمود محمد طه كما عرفته"، ترجمه من الفرنسية: بشير بكار، من **موقع الفكرة الجمهورية**، مقالات، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 19 أكتوبر 2012، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(2) أورد المترجم بشير بكار (1952-2012)، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، أورد فى هامش ترجمته للمقال المشار لمصدره أعلاه، تعريفاً عن هنرى كودريه، فكتب بكار فى الرابع عشر من أكتوبر 1985 من أنجمينا قائلاً: هنرى كودريه يعمل الآن (وقت نشر المقالة 22 مايو 1985، فى مجلة جون أفريك Jeune Afrique) فى أبيدجان (ساحل العاج) والذى كان قبلها مدرّساً للغة العربية فى تشاد، كان يتردد كثيراً على محمود محمد طه فى الفترة ما بين يونيو 1973 ويناير 1974، عندما كان يقيم فى الخرطوم متفرغاً لبحث حول التيارات الدينية فى الإسلام السودانى. وبهذه الصفة كان محمود محمد طه يستقبله فى مرات عديدة، حيث يجد دائماً بابه مفتوحاً فى المنزل "المتواضع جداً" الذى كان يسكن فيه "غاندى السودانى" فى حى الثورة بأمدرمان. احتفظ هنرى كودريه بذكرى مثيرة لتلك اللحظات. والسطور المنشورة هنا مقتطفات من نص كُتب لنشرة " اللقاء الإسلامى المسيحى " (التى تصدر فى أبيدجان)، عدد أبريل - مايو 1985.

(3) الحزب الجمهورى، **المواجهة طرف من الجهاد الأكبر**، خلاصات قرارات مؤتمر الحزب بمدنى عيد الفطر عام 1388هـ الموافق 20 ديسمبر 1968.

محمود مرتين بسبب مواجهته للاستعمار البريطانى، كما سجن بعض أعضاء **الحزب الجمهورى**، وسيأتى الحديث عن ذلك لاحقاً. وعن ثبات الجمهوريين على المبادىء، وتحمل المسؤولية، كتبت جريدة الرأى العام فى يوم 28 أكتوبر سنة 1946 تحت عنوان: "مجاهدون"، فى الصفحة الأولى قائلة: "فإننا نرجو أن لاتحجب معارضتنا وعدم موافقتنا لبعض رسائله إعجابنا بهذا المثل الحسن الذى يضربه الجمهوريون فى الثبات على المبدأ والدفاع وعدم تهربهم فى المسؤولية التى اضطلعوا بها مختارين"[1]. وعن مواجهته لمثقفى الحركة الوطنية ومهاجمة أحزابها بالحقائق، وعن التنبؤ بمصير السودان إذا ما سارت الحركة الوطنية وأحزابها بلا برامج إصلاحية مدروسة ومذهبية فى الحكم محددة، كتب الأستاذ محمود فى معرض استعراضه لطابع الحركة الوطنية فى يوم 1 نوفمبر 1958، قائلاً:

وحين كان الجمهوريون فى مناشيرهم وكتيباتهم يهاجمون الحركة الوطنية بنفس القدر الذى يهاجمون به الاستعمار الإنجليزى وينعون عليها جهلها ووصوليتها كانوا أيضاً يتنبؤون بمصير الاستقلال الذى لا تتولاه أحزاب واعية ذات برامج اصلاحية مدروسة ومذهبية فى الحكم محددة: وكنا نقول إنه ما ينبغى أن يكون قصارانا محاربة الاستعمار وبكل سبيل كما كان الشعار الشائع فى ذلك الوقت وكنا نقول إن الإنجليز قد يجلون غداً ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين لأن الاستقلال والحرية لاتجئ إلا نتيجة للحكم الواعى الرشيد وذلك أمر لا يتفق اتفاقاً وإنما يجئ عن تعمد وتوخ ودراسة واعية وكانت صيحاتنا تذهب ادراج الرياح[2].

أخذت المواجهة أبعاداً ودوائر أوسع بعد أن طرح الأستاذ محمود مشروع التجديد الإسلامى عام 1951،واستمرت دائرة المواجهة فى اتساع مستمر حتى مواجهة المشنقة صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. ففى واقع الأمر "بدأت مواجهة الجمهوريين للاستعمار وللطائفية

---

(1) "مجاهدون"، خواطر، **الرأى العام**، السنة الثانية، العدد 479، الاثنين 3 ذو الحجة 1365- 28 أكتوبر سنة 1946، الخرطوم.

(2) محمود محمد طه، "بيانات الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، **صحيفة أنباء السودان**، الخرطوم، العدد 166، تاريخ 1958/11/1.

ولأحزابها السلفية ولمن يسمون "برجال الدين" منذ عام 1945 عندما نشأ **الحزب الجمهورى** لأول مرة .. فهو موقف مبدئى من هؤلاء جميعاً..."[1]. أيضاً، عندما صدر العدد الاول من **صحيفة الجمهورية** فى يوم الاثنين الخامس عشر من يناير 1954، جاء فى كلمة **صحيفة الجمهورية** وصفاً للجمهوريين ولما ينبغى أن تكون عليه صحيفتهم: "فهم يقولون مايريدون بأوجز أداء، ويعنون ما يقولون من الألف إلى الياء ..و(الجمهورية) تطمح فى أن تخلق تقليداً فى الصحافة فى معنى ما يخلق الجمهوريون من تقليد جديد فى السياسة"[2].

واجه الأستاذ محمود العقل الثقافى السائد فى السودان والعالم الإسلامى بقطاعاته الواسعة سواء كانت تلك القطاعات مؤسسات أو سلطات: سلطة سياسية، أو سلطة دينية، أو سلطة مجتمع... إلخ. فقد واجه الطائفية، والأفندية ورجال الطرق الصوفية، وحكام مصر وقادة ثورة يوليو 1952، ومؤسسات العالم الإسلامى لا سيما **الأزهر الشريف** ومراكز تجمعات الفقهاء والعلماء من العالم الإسلامى (وسيأتى الحديث عن ذلك لاحقاً). الشاهد أن المواجهة كانت تمثل مبدأ أساسياً له فلسفته ومفهومه عند الأستاذ محمود.

فما هى المواجهة عند الأستاذ محمود؟

عرَّف الأستاذ محمود المواجهة قائلاً: "المواجهة هى معرفة، وسلوك بمقتضى المعرفة. معرفة يهتدى بها الفرد تجعله يميز بين دقائق الأمور.. وقمة المعرفة تجعل الفرد ملزماً أن يسير خلف الله، وذلك باتباع رضوان الله هو الرضا به، فينا وحولنا.."[3]. وعن المواجهة فى نظر الجمهوريين: "للمواجهة فى نظر الجمهوريين وجه آخر، هو الالتزام الفردى فأنت لتقود المواجهة لا بد أن تبدأ بنفسك.. فإن فاقد الشيء لا يعطيه"[4].

وعن مستويات المواجهة ودرجاتها ورد فى وثائق الجمهوريين أن المواجهة فى الحيز

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين**، ط2، أمدرمان، 1975، ص 4.

(2) "كلمة الجمهورية"، **صحيفة الجمهورية**، السنة الأولى، العدد الأول، الجمعة 15 يناير 1954.

(3) الحزب الجمهورى، **المواجهة طرف من الجهاد الأكبر**، مصدر سابق.

(4) المصدر السابق.

العملى تقع على درجات ثلاث[1]:

1- مواجهة فى القمة: وهى العمل بالفكرة بلسان الحال، ولسان المقال ونشرها بين الناس بلسان رطب صادق يتحمل فى ذلك الأذى، ولا يرد الأذى . ولا يحسبن أحد أن هذا السلوك يمكن للفرد أن يستوحيه فى لحظة المواجهة، فإنه لا يمكن أن يتيسر لك أن تعمل إلا [وفق] ما أنت عليه.. فالمواجهة سيرة، وتربية طويلة، فإن احتمال الأذى من الناس، وكف الأذى عنهم، لا يكون إلا بمعرفة الحكمة من ذلك.. فالمواجه لا يرى أعداءه فى الخارج، وإنما يستدل بما فى الخارج على أعدائه فى داخله.

2- مواجهة أقل من ذلك.. يعمل جاهداً على نشر الفكرة بسمته وقوله.. ويحاول أن يحتمل الأذى، وقد يرتد فيرد الأذى، دون تدبير منه مبيت، ثم هو غير راض عن نفسه بعد ذلك.

3- مواجهة أقل الدرجات.. يحاول جهده نشر الفكرة، وحين يعجز عن المواجهة لاعتبارات عنده هو.. فهو إن كان فى مجلس، أو اجتماع أثير فيه هذا الموضوع لا يملك إلا أن ينصرف، لأنه لا يملك أن يفعل أكثر من ذلك، وهو بعد غير راض عن نفسه، ولا حاله.

ومع مبدأ المواجهة فإن الفكرة الجمهورية رفضت أى سلوك يتنافى مع الجد، وأعلنت أنها منه براء، جاء تفصيل ذلك فى القول: "هناك سلوك الفكرة الجمهورية منه براء، وهو سلوك من يجعل من الفكرة موضوعاً للأنس وتزجية الفراغ، بروح من الهزار، والمداعبة.. فهو إن طعن فى الفكرة، بروح الهزار والنكتة، هذا السلوك، الفكرة منه براء"[2].وجاء عن فهم الجمهوريين للسياسة "الجمهوريون حزب سياسى ولكنهم لا يفهمون السياسة على أنها اللف والدوران .. وإنما يفهمونها على أنها تدبير أمر الناس بالحق وبميزان"[3]. الشاهد أن أمر الجد كان من أهم المبادئ عند الأستاذ محمود وظل كذلك حتى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. وقد شهدت جريدة الرأى العام فى يوم 28 أكتوبر سنة 1946، كما ورد آنفاً، وأضافت قائلة: "ثم أن الجمهوريين حين يقررون أمراً أو يقومون بدعوة يُظهرون من

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) "كلمة الجمهورية"، **صحيفة الجمهورية**، مصدر سابق.

الجد والحزم والبلاء الحسن ما يشرفهم كل التشريف"[1]. الشاهد أن مبدأ المواجهة كان ثابتاً من ثوابت الفكرة الجمهورية. فمنذ الوهلة الأولى، رفض الأستاذ محمود طرق المهادنة والتسوية والتصالح، فترسم المواجهة فى نضاله ضد القوى الاستعمارية من أجل استقلال السودان، ومجابهته للقوى التقليدية فى المجتمع ولمراكز السلطات الدينية والمجتمعية وغيرها.

استخدام أدوات المثقف وتوظيف سبل الحداثة

...و لا مندوحة من العودة لمشهد النساء الواقفات فى الأسواق يبعن بضاعة الحداثة السودانية فى شكل متفجرات فكرية مكنونة فى مؤلفات هذا "الباشمهندس" المشاتر[2] العظيم الذى بذل عمره فى هندسة العقيدة على هدى معانى المساواة و الديموقراطية[3].

حسن موسى

سطع اسم الأستاذ محمود فى سماء الخرطوم، وفى السوح الفكرية والثقافية والسياسية والدينية، منذ الوهلة الأولى مستخدماً أدوات المثقف بكثافة واستمرار من أجل التحرير والتغيير والتطوير، سواء كان ذلك فى مرحلة نضاله ضد المستعمر أو فى مرحلة طرحه لمشروع التجديد الإسلامى وما تبع ذلك من مواجهات داخلية وخارجية. تقدم الأستاذ محمود مثقفاً بناءً ومجدداً ومصلحاً وقائداً[4] وصاحب مشروع ورؤية ومنتجاً للمعرفة وساعياً للتغيير عبر التطوير ومستخدماً أدوات المثقف الحداثى بأقصى ما يمكن الاستخدام، ولم يأخذ بغيرها قط إلا بالدعوة من خلال النموذج الذى يجب أن يحتذى. يقول الأستاذ

---

(1) "مجاهدون"، خواطر، **الرأى العام**، مصدر سابق.

(2) المشاتر: تعنى المخالف. **المصدر**: عون الشريف قاسم، **قاموس اللهجة العامية فى السودان**، مرجع سابق، ص 510.

(3) حسن موسى معلقاً على بعض أقوال الأستاذ محمود عن قضية المرأة ووضعها فى الإسلام، وموجهاً تعليقه إلى ياسر الشريف، أحد تلاميذ الأستاذ محمود. **المصدر**: حسن موسى، "بالصورة والصوت... إلى المرأة"، خيط افترعه ياسر الشريف، من **سودان للجميع** (Sudan for all)، الجمعية السودانية للدراسات والبحوث فى الآداب والفنون والعلوم، منبر الحوار الديمقراطى، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 29 مارس 2012، الموقع على الإنترنت: www.sudan-forall.org .

(4) فى إشارة لتقسيمات برهان غليون. المصدر: برهان غليون، "تهميش المثقفين ومسألة بناء النخبة القيادية"، **المثقف العربى: همومه وعطاؤه**، مرجع سابق، ص 90-95.

محمود: "**والحزب الجمهورى** ماض فى دعوته ينشرها بالوسائل الميسرة لديه، من محاضرات فى مدن السودان المختلفة، ومن نشر فيما يتيسر من الجرائد ومن منشورات، وكتب، ثم بالنماذج التى خرّجها، والتى تعكس، بسيرتها بين الناس مثلاً للدعوة الجمهورية"[1]. فقد كتب ونشر البيان والمنشور والمقال والكتاب وأصدر الصحيفة "صحيفة الجمهورية" عام 1954 (أنظر ملاحق رقم: "25-28")، واعتمد أُسلوب المحاضرة والمناظرة والندوة وإقامة المؤتمر وتنظيم الجلسات مثل جلسات الانطباعات وجلسات الإنشاد العرفانى...إلخ، فى منزله لتلاميذه ولزواره سواء بغرض التعليم والتنوير أو بغرض الحوار والمناظرة. واعتمد كذلك منابر الحوار بأشكالها المختلفة بما فى ذلك أركان النقاش التى أبتدعها تلاميذه لاحقاً، وأقاموها فى الجامعات والطرقات العامة والميادين والحدائق ودور العلم والأحياء.

أدار الأستاذ محمود كل عمليات دعوته وسجالاته وجدالاته مع مخالفيه الرأى عبر استخدام أدوات المثقف، بأخلاق ومسؤولية. كانت الأخلاق والاستقامة والمسؤولية من المبادىء الاساسية عند الأستاذ محمود، وفى هذا ينطلق الأستاذ محمود من كون أزمة الأخلاق هى أزمة البشرية، يقول الأستاذ محمود: "إن (أزمة) أمتنا الحاضرة هى (أزمة أخلاق) .. و تلك هى أزمة البشرية جمعاء، على عصرنا الحاضر..."[2]. أما الاستقامة وهى من ثوابت حياته ومرتكزات دعوته، فعند الأستاذ محمود: "هى الاستواء على الوسط بين طرفين، كليهما، إذا أخذ بمفرده، خطأ"[3]. وعما يجب أن تكون عليه الخدمة التنويرية للشعب خاصة تلك التى تقوم بها الصحف، كتب الأستاذ محمود فى الكلمة الافتتاحية فى العدد الأول من **صحيفة الجمهورية**، التى صدرت فى يوم الخامس من يناير 1945، كتب قائلاً: "وللجمهورية فى الصحافة رأى، وهو أنها يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل .. يجب أن تسير أمام الشعب لا أن تسير فى زمرته تتسقط رضاه، وتجارى هواه، وتقدم له من ألوان القول ما يلذه ولا يؤذيه.."[4].

حسم الأستاذ محمود ومنذ الوهلة الأولى موقفه وموقف مشروعه من كل مظاهر

---

(1) الحزب الجمهورى، **المواجهة طرف من الجهاد الأكبر**، مصدر سابق.
(2) محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، مصدر سابق، ص 41.
(3) محمود محمد طه، **القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى**، ط1، أمدرمان، 1971، ص 27.
(4) "كلمة الجمهورية"، **صحيفة الجمهورية**، مصدر سابق.

التصوف التقليدى. من المعلوم أن البيئة السودانية، حيث انطلق مشروع الأستاذ محمود، ظلت موطناً للتصوف، إذ انتشر التصوف الإسلامى فيها انتشاراً واسعاً منذ قيام سلطنة الفونج (1504-1821)، وظلت الصوفية مكوناً جوهرياً فى المجتمع والثقافة. وتجمع بين الجمهوريين والصوفية روابط أرض مشتركة وامتدادات وروابط وراثة وتمايز . يقول جلال الدين الهادى الطيب إدريس، وهو ، كما وردت الإشارة آنفاً، من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود:

> *الصوفية هم أتباع السنة المحمدية، والجمهوريون هم امتداد للصوفية وتطور عليهم حسب حكم الوقت بذهن مفتوح يمايز بين الوسائل والغايات. والأرض المشتركة بين الصوفية والجمهوريين هى المعرفة التى هى نتيجة العمل.. العلم الذى هو نتيجة التقوى، واتقوا الله ويعلمكم الله*[1].

وعن روابط الوراثة والتمايز بين الجمهوريون والصوفية، أشارت أسماء محمود محمد طه فى إحدى جلسات الإنشاد العرفانى بمنزل الأستاذ محمود وبحضوره، أشارت أسماء قائلة:

> *وكما هو معلوم فإن الفكرة الجمهورية هى الوريث الشرعى لما أتى به السادة الصوفية، وفى مقدمتهم إمامهم الشيخ عبدالقادر الجيلانى، من فهم فى الدعوة لبعث الإسلام فى مستوى إحياء السنة النبوية وقد نمّى الإخوان الجمهوريون هذا الفهم وطوروه بدعوتهم لتطوير التشريع كما هو مفصل فى كتبنا الأساسية*[2].

الشاهد أنه على الرغم من كل ذلك فقد حسم الأستاذ محمود ومنذ الوهلة الأولى موقفه وموقف مشروعه من أى منهج متبع، وأتى بمنهج جديد فى العلاقة بينه وبين الآخرين. لقد أراد لعلاقته بالناس، وهو القائد والمصلح الدينى، أن تكون قائمة (على الاحترام لا على التقديس)[3]،

---

(1) جلال الدين الهادى (تقديم)، **جلسة حلقة إنشاد عرفانى**، إنشاد بصوت عبدالله فضل الله، منزل الأستاذ محمود محمد طه، مدينة المهدية، أمدرمان، الاثنين 30 رجب 1399 الموافق 25 يونيو 1979، الساعة 6:30 صباحاً.

(2) أسماء محمود محمد طه (تقديم)، **جلسة إنشاد عرفانى**، إنشاد بصوت مجموعة من الأخوات الجمهوريات: أسماء محمود، رشيدة محمد فضل، إخلاص همت ومحاسن محمد خير، منزل الأستاذ محمود محمد طه، الثورة، الحارة الأولى، أمدرمان، تسجيل جمعة حسن، الثلاثاء 1980/9/2 الموافق 23 شوال 1400، الساعة 7:00 صباحاً.

(3) مقابلة مع عصام البوشى، مصدر سابق.

فاتباعه سموا بالتلاميذ وليسوا بالمريدين أو الحواريين أو أى شىء آخر. كذلك لم يناده تلاميذه بالشيخ وإنما الأستاذ، بل رفض بحسم كل مظاهر سلوك الأتباع لشيوخهم، مثل رفضه لتقبيل اليد وغيرها. كتب حمد النيل عبدالله العركى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود قائلاً: "كنت فى أوضة (غرفة) الأستاذ محمود فدخل رجل وخلع عمامته وسلّم على الأستاذ محمود فى يده، فلم يقْبَلْ الأستاذ محمود وقال له: دى تعملها عند المشايخ"[(1)]. كذلك لم يأخذ الأستاذ محمود بمنهج الكرامات[(2)] فى الدعوة، كما أنه لم يتخذ منها وسيلة للاقناع، ولم يدع الكرامات. كتب عمر القراى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كتب القراى قائلاً: "فالرجل قد عرف بالزهد فى الألقاب الدنيوية والدينية ولم يدع الكرامات ولم يسم نفسه (الشيخ) أو (الإمام)"[(3)].

وفى سبيل تحقيق السلام العالمى ومناصرة شعوب الأرض، ومن أجل إيصال صوته وتسييل فكره ومشروعه، ودفعاً لتعارف العقول والتواصل الكوكبى وتوسيع دائرة الحوار

---

(1) حمد النيل عبدالله العركى، **جواهر المعانى فى حضرة الأستاذ محمود محمّد طه**، (مخطوطة). ص 39.

(2) الكرامات جمع كرامة، والكرامة ارتبطت بالأولياء، جمع ولى. والأولياء يعتقد بأنهم أشخاص يحميهم الله ويكرمهم ويخصهم بفضله. وأن هؤلاء الأولياء يمتلكون البركة. ومن خلال امتلاكهم البركة يقوم هؤلاء الأولياء بالأعمال الخارقة ولهم الكرامات والأفعال المعجزة التى يحترمها الناس، وتعتبر هذه الأفعال كرماً من الله على أوليائه. والبركة هى القدرة على أداء أعمال خارقة عن المألوف، ومستمدة من العناية الإلهية المقدسة، لتحقيق الرخاء فى الحياة المادية والسعادة بالنسبة للحياة الروحية. فبفضل البركة يكون للولى المسلم تأثيره ونفوذه يسنده الله سبحانه وتعالى، كما له قدرة أيضاً على الإتيان بالكرامات، غير أن كرامات الأولياء تختلف عن معجزات الأنبياء. فالمعجزات عند الأنبياء دوماً تتبعها الدعوة إلى دين جديد، وهى قليلة العدد. والولى ويقابله فى اللغة الإنجليزية لفظ Saint، فى الثقافة الإسلامية السودانية، كما فى أى مكان آخر من العالم الإسلامى هو شخص -حياً كان أو ميتاً- ولكنه دوماً القدوة والمثل. ولا يحتاج الولى لانتظار الموت لكسب التوقير والتقديس فى قلوب الناس، بل يحدث هذا أثناء فترة حياته بواسطة أتباعه وحيرانه الذين يطيعونه كمرشدهم الزمانى بلا جدال ولا خلاف. يرى شرف الدين الأمين عبد السلام: أن مفهوم الولى فى الإسلام أقرب إلى مفهومه فى اليهودية من مفهومه فى المسيحية. فمفهوم الشهيد فى المسيحية ليس له ما يشابهه فى الإسلام. فالكرامات هى بمثابة المركز أو القلب لقصص الأولياء من المسلمين، بينما تشكِّل المعجزات قلب أو مركز قصص القديسين من المسيحيين. **المصدر**: شرف الدين الأمين عبدالسلام، **كرامات الأولياء: دراسة فى سياقها الاجتماعى والثقافى**، ترجمة يوسف حسن مدنى ومحمد المهدى بشرى، تحرير: الأمين أبو منقة محمد، دراسات فى التراث الشعبى السودانى (40)، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 2007، ص 20، 21، 54، 55؛ ب. م. هولت، **الأولياء والصالحون والإسلام فى السودان**، ترجمة هنرى رياض والجنيد على أحمد، ط2، مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1971، ص 6.

(3) عمر القراى، "أنصاف الحقائق أم أنصاف المثقفين"، **أجراس الحرية**، بتاريخ 3 ديسمبر 2002.

بين العقول والثقافات، أخذ الأستاذ محمود بمبدأ كتابة الرسائل وتوجيه الخطابات. فقد وجه الرسائل والخطابات إلى بعض رؤساء الدول وبعض مديرى المنظمات الإقليمية والعالمية، وإلى عدد من المفكرين فى دول العالم، سترد الإشارة إليهم لاحقاً. الشاهد أن الأستاذ محمود أخذ فى دعوته وفى نضاله باستخدام أدوات المثقف وبتقديم النموذج الذى يحتذى، وظل على هذا الحال حتى صبيحة يوم 18 يناير 1985.

التوثيق وحفظ النسب للأفكار والمعلومات والأحداث

تأمل فقط فكرة أن الاستاذ محمود ترك معظم فكره محفوظاً فى كتب ستقرأها الاجيال القادمة وتفيد منها ما ستصلح به دينها وتقوى به عزائمها نحو المجد والسؤدد و البطولات النادرة(1).

طه جعفر

من الملاحظات التى تدفع بنفسها دفعاً بليغاً، بما تحمله من دلالات تتصل بالمستقبل وإقامة الحجة، أمام ناظرىّ الدارس لسيرة الأستاذ محمود ومشروعه، التوثيق Documentation. ففى استخدامه لأدوات المثقف بكل أشكالها، تميز إنتاج الأستاذ محمود فوق الكثافة والاستمرار والاتساق، بالتوثيق الدقيق والمفصل، وهى ميزة علمية تكتسب قيمتها مع مرور كل يوم. الشاهد أن كل تراث الجمهوريين المكتوب والمسموع تميز بالتوثيق. فقد لاحظت من واقع بحثى فى كتابات الأستاذ محمود فى مختلف أوعية ووسائل النشر المودعة **بدار الوثائق القومية** بالخرطوم، ففوق الإشارة للتواريخ، فإن الأستاذ محمود يربط كتاباته وموضوعات مساجلاته والقضايا التى يتناولها بتسلسل تاريخى مشيراً فيه إلى تورايخ الدوريات السابقات وأعدادها الأمر الذى يجعل مهمة الباحث فى منتهى السهولة وهو يرجع إلى الأعداد السابقة أو إلى المصدر المحال إليه. ولاحظت كذلك أن تراث الجمهوريين المسموع والمسجل سواء الجلسات فى منزل الأستاذ محمود أو المؤتمرات التى تم تنظيمها أو جلسات الإنشاد العرفانى...إلخ فإن التوثيق كان أحد ثوابت المادة

(1) طه جعفر، "جبار الكسور"، **من موقع صحيفة الراكوبة الإلكترونية**، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 28 نوفمبر 2012، الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-11298.htm

المسجلة، إذ تجلت عناصر التوثيق فى ذكر مناسبة التسجيل، واسم المناسبة، وتحديد مكان التسجيل، وتاريخ التسجيل: اليوم والشهر والسنة والساعة. من المهم الإشارة إلى أن الأستاذ محمود اتخذ من الكتابة لتكون وسيلة التوثيق، سواءً كتابة الكتب، أوالمقالات فى الصحف ونشر البيانات والمنشورات، أو كتابة الملخصات للأحاديث فى الندوات والمحاضرات والجلسات، وظل الحال كذلك حتى عام 1963. فى ذلك العام دخل التسجيل الصوتى[1] عبر جهاز مسجل للصوت أحضره[2] محمد فضل الصديق (1919-1982)، فمثل جهاز التسجيل معطىً جديداً فى نشاطات الحركة الجمهورية. بدأ تسجيل المحاضرات والندوات والجلسات والمؤتمرات، الأمر الذى حفظ لنا الكثير جداً من هذا الإنتاج الفكرى الضخم. من المعروف أن الانتاج الفكرى للأستاذ محمود وتراث الجمهوريين قد تعرض للمصادرة بغرض الإبادة من قبل السلطة السياسية بعد صدور قرار محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم الصادر فى 1985/1/15 بتأييد حكم إعدام محمود محمد طه وأتباعه. إذ نص قرار المحكمة فى بنده الرابع على: "مصادرة كل كتب ومطبوعات محمود محمد طه وكتب الجمهوريين من جميع المكتبات بغرض إبادتها مع منع تداولها وطبعها فى كافة المطابع"[3]. على الرغم من ذلك فإن ما حفظ من الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود ومن تراث الجمهوريين، بواسطة تلاميذ الأستاذ محمود وبواسطة بعض الأفراد، فإنه يحتاج لمئات الباحثين لسبر أغواره.

لا شك أن الاهتمام بالتوثيق يعكس الحرص على توصيل المعلومات، والرغبة فى الالتزام بالعلمية فى التناول، ويحمل كذلك دلالات عظيمة تتمثل فى القدرة العالية على التنظيم والحضور فى السوح والحرص على ترفيع مستوى السجال. والتوثيق هو من أهم

---

(1) مقابلة مع الأستاذ عبداللطيف عمر حسب الله، من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود منذ يوم 1951/11/30، وكان حينها عمره سبعة عشر عاماً. تمت المقابلة فى أمدرمان يوم 2001/7/30، الساعة 11:00 وحتى الساعة 13:30.

(2) أفادنى الأستاذ عبداللطيف عمر حسب الله، فى المقابلة، مصدر سابق، أفادنى عبداللطيف بأن جهاز التسجيل (المسجل) وهو الأول من نوعه، أحضره الأستاذ محمد فضل (1919-1982) حينما سافر إلى أمريكا وعاد ومعه ذلك الجهاز.

(3) المكاشفى طه الكباشى، **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، دار الفكر، الخرطوم، 1987، ص 190، 205.

خصائص البحث العلمى ومناهجه، يقول منصور خالد: "المنهج التوثيقى أشد لزوماً عند تناولنا للقضايا الاجتماعية المعقدة التى لا ينبغى أن يبتنى الناس أحكامهم فيها على افتراضات وساوس، وشوائع ملهوجة، وثوابت مزعومة ولا ثوابت فى التاريخ الاجتماعى إلا عند الذين يتذرعون بيقين جاهل، أو الراغبين فى الهروب من التفسير البرهانى لـ "المسلمات" الاجتماعية"(1). وفى تقديرى، فإنه فوق علمية المنهج، فإن الأستاذ محمود فى اهتمامه بالتوثيق كان يتعاطى مع المستقبل بنفس القدر ، إن لم يكن أكثر من تعاطيه مع الراهن. فالتوثيق يحفظ نسب الأفكار والمعلومات والأحداث والوقائع، ويعمق الأمانة العلمية، ويعين على قراءة التاريخ، ويساعد فى الوصول للنتائج الصحيحة وبهذا فهو يعين على الدخو ل المتماسك والسليم إلى المستقبل.

لمحات من الانتاج الفكرى

هذا العارف الذى ضوأ حياتنا ومضى بشرف وشجاعة نادرة بينما بقى فكره وذكراه العطرة(2).

بشرى الفاضل

لقد أشرت آنفاً بأننى بصدد إعداد دراسة بعنوان: **محمود محمد طه: دراسة ببليومترية وثائقية تحليلية**.وهى دراسة تسعى لدراسة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود من حيث الاتجاهات العددية والنوعية، وبغرض الرصد والحصروالوصف لخصائص ذلك الإنتاج وتحليله ودراسة طبيعته، ولهذا فإن ما يأتى هنا هو مجرد جرد مجمل للانتاج الفكرى للأستاذ محمود لغرض هذه الدراسة. وبالطبع يتبع هذا الجرد تفصيل أثناء الحديث فى صفحات فصول هذا الكتاب بما يقتضيه الحال، وغنى عن القول أن كل كتابات وأقوال وأفعال الأستاذ محمود هى من مصادر هذا الكتاب. ومن المهم الإشارة إلى أن الفترة منذ أكتوبر 1945 إلى سبتمبر 1948 كانت عند الأستاذ محمود هى مرحلة ملء فراغ الحماس،

(1) منصور خالد، **جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى**، دار تراث للنشر، لندن، 2000، ص 7.

(2) بشرى الفاضل، ضمن رسالة خاصة وصلتنى منه يوم 5 مارس 2012.

وقد شهدت تصعيد المواجهة والنضال من أجل الاستقلال. أما الفترة من سبتمبر/ أكتوبر 1948 وحتى أكتوبر عام 1951 فكانت عند الأستاذ محمود فترة الاعتكاف والخلوة بمدينة رفاعة. وبعد خروجه من الخلوة فى أكتوبر 1951 بدأت مرحلة جديدة سماها الأستاذ محمود بمرحلة ملء فراغ الفكر وقد استمرت حتى لحظة شموخه مبتسماً على منصة المشنقة فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985.

بدءاً منذ العام 1945[1] وحتى اغتياله فى يناير 1985، ظل الأستاذ محمود يعمل بجد نادر المثيل يكتب ويتحدث ويناظر فى سبيل قضايا السودان والإسلام والإنسان والسلام. كانت جل كتاباته وأحاديثه باللغة العربية، وقليل منها باللغة الإنجليزية. فقد كتب ستة وثلاثين كتاباً، هذا ما وصل إلينا، فقد فقدت بعض الكتب، منها مثلاً كتاب كتبه الأستاذ محمود بعنوان: **خيانة المثقفين**[2].كما أشرف على تأليف نحو ثلاثمائة كتاب صدرت باسم تلاميذه، الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات. فقد أخذت بقائمة كتب كتبها الأستاذ محمود بخط يده، وضمنتها قائمة المصادر والمراجع فى هذا الكتاب حتى لا يكون هناك تكرار إذا ما وضعتها فى قائمة الملاحق. كانت القائمة التى كتبها الأستاذ محمود بخط يده تغطى الفترة ما بين عام 1945 وحتى عام 1981، وتضمنت إشارة إلى أن هذه القائمة تمثل أهم كتب الدعوة الإسلامية الجديدة، وقد بلغت 224 كتاباً[3]. ثم هناك الكتب التى صدرت بعد عام 1981 وحتى يناير 1985. كذلك نشر الأستاذ محمود

---

(1) أوردت الإشارة إلى أن الأستاذ محمود كتب ونشر قبل عام 1945. فقد ورد الحديث عن كتاباته فى مجلة **كلية غردون** عام 1935، وكتب مقالة كذلك فى **صحيفة سودان إستار** الإنجليزية Sudan Star تلك المقالة بلورت وحددت فكرة **الحزب الجمهورى** التى أتى بها أمين مصطفى التنى، وسيأتى تفصيل ذلك لاحقاً عن الحديث عن **الحزب الجمهورى**.

(2) هناك كتب من ما كتب الأستاذ محمود قد ضاعت. فقد وردت الإشارة لبعضها فى مقالات الأستاذ محمود ولكنى لم أجد لها أثراً، بيد أنى لا أزال أبحث عن تلك التى قابلتنى الإشارة إليها. مثال: أشار الأستاذ محمود ضمن بيان نشره عام 1958 إلى أنه أصدر سفراً بعنوان: **خيانة المثقفين**، ولم أجد هذا السفر. **المصدر**: محمود محمد طه، "بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، **صحيفة أنباء السودان**، الخرطوم، العدد 166، تاريخ 1958/11/1.

(3) زودنى بهذه القائمة حيدر إبراهيم على. وقد أفادنى بأنه حصل على نسخة منها من مكتبة الكونغرس بالولايات المتحدة الأمريكية. **المصدر**: مقابلة مع حيدر إبراهيم على، يوم 2012/5/28، الساعة 7:30 صباحاً- 9:00 صباحاً، مدينة الدوحة، دولة قطر. =

نحو مـائتى مقال فى الدوريات (صـحف ومجلات)، منهـا (أثبت هنا ما وقـفت عليه بدار الوثائق القـومية بـالخرطوم) فهـى: (مجلة كليـة غردون، Sudan Star، و"صحيـفة النيل"، و"الرأى العام"، و"السودان الجديد"، و"صحيفة الأمـة"، و"صحيفة الشعـب"، و"الصراحة"، و"صـحيـفـة الاستـقـلال"، و"أنباء الـسودان"، و"الزمـان"، و"كل الناس"، و"التلغـراف"، و"صوت السودان"، و"الصحافة"، و"الأيام"). كما أصدر ووزع أكثر من مائة وخمسين بياناً ومنشوراً منذ عام 1945، وقدم مئـات المحاضرات فى العاصمة الخـرطوم وفى مدن وقرى السودان المختلفة[1]، لقد ورد آنفاً أن التسجيل الصوتى لنشاطات الفكرة الجمهورية بدأ عام 1963. وكان المتـبع قبل ذلك تـلخيص المحاضـرات ونشرها فى الـصحف المحليـة. كذلك شارك الأستاذ مـحمود فى نحو عشرين ندوة ومناظـرة مسموعة أو مكتوبة، واستـقبل نحو العشـرين من المحاورين من الصـحفـيين والكتـاب، من داخل السودان ومن خـارجه (من بلدان عربية وغربية)، أداروا معه حوارات ونشروها فى الدوريات[2]. إلى جانب ذلك فقد بعث الأستاذ محمود بنحو ثلاثين رسالة إلـى رؤساء دول ومنظمات إقليمية وعالمية، وإلى

= تتكون القائمـة من سبع صفـحات، وهى تتضمن الكتب التـى أصدرها الأستاذ مـحمود وتلاميـذه منذ عام 1945 وحتـى عام 1981، وقد بـلغ مجـموعهـا فى القائـمة 224 كتـاباً. من جانبى فـقد أضـفـت الكتب التى صدرت بعد عام 1981. كان عنوان القائـمة قد كتب فى أعلى الصفـحة الأولى: الدعوة الإسلامـية الجديدة: قائمة المطبوعات 1945-1981. وقد كُتب فى أدنى الصفحة الأولى باللغة الإنجليزية:

Written by Ustaz Mahmoud Mohammed Taha personally. The most important of his books.

الترجمة: كتبها الأستاذ محمود محمد طه شخصياً. من أهم كتبه.

(1) عددت بتول مختـار محمد طه فى مذكراتها القرى والمدن الـسودانية التى حاضر فيها الأستاذ مـحمود، فقالت: "مركز نشاطه الأساسى كان أمدرمان، والخرطوم، والخرطوم بحرى، فى اطار هذه المدن حاضر فى توتى، وأبروف، حى العمـدة، ودرملى، وادى سيدنا، الجـيلى، العيلفون، الحـاج يوسف، عد حسـين، كما طاف على المدن التـالية: مدنى، رفاعة، الحصاحيصا، الهلالية، المندرة، المسلمية، حنتوب، ود المجذوب، الشيخ الطيب، أربجى، خور طقت، أبو حـراز، المدينة عرب، الحـاج عبـدالله، سنار التقـاطع، سنار المدينة، سنجـة، الرصيـرص، الدمازين، الـسوكى، القـضارف، حلـفا الجـديدة، الشـوك، الحواتة، خـشم القـربة، كـسلا، جبـيت، هيا، سـواكن، سنكات، طوكـر، بورتسودان، شندى، الدامر، عطبرة، بربر، الباوقة، العبيدية، كوستى، تندلتى، ربك، كنانة، الرنك، الرهد، أم روابة، ودعشانة، الدويم، القطينة، الكوة، الأبيض، رشاد، أبو جبيهة، كلوقى، تلودى، الدلنج، العباسية، تقلى، وكادقلى".
المصدر: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصـدر سابق، 397-398.

(2) تجدر الإشـارة إلى أنه منذ عام 1945 وحتى تاريخ تنفـيذ الإعدام 18 يناير 1985، لم تتم مع الأستاذ مـحمود محـمّد طه، أى مـقابلة تلفـزيونية أو إذاعيـة سوى مـقابلة إذاعيـة واحدة أذيعت مـساء الخـميس 1975/4/10 =

مفكرين مسلمين وغير مسلمين. كما سعى لنشر دعوته خارج السودان، ففى إجابته على سؤال السيدة هودجكنز: "هل حاولت أن تنشر دعوتك خارج السودان؟". رد الأستاذ محمود قائلاً: "نعم أرسلنا بعض الكتب إلى مصر و السعودية و تونس و إلى فرنسا وإنجلترا و بعض الدول الأخرى و لكن ليس على أساس تجارى .. ونحن لا نعتبر دعوتنا إقليمية وإنما هى دعوة عالمية و ذلك يتوقف على نجاحها فى السودان"[1]. كذلك أصدر الأستاذ محمود **صحيفة الجمهورية** فى يوم الجمعة 15 يناير 1954 لتكون لسان حال **الحزب الجمهورى**، حتى توقفت[2] عند قيام الانقلاب العسكرى فى 17 نوفمبر 1958 بقيادة الفريق إبراهيم عبود (1900/1897-1983). (**أنظر ملاحق رقم: "25-28"**).

كتب الأستاذ محمود عشرات الرسائل الموجهة إلى تلاميذه وتلميذاته بشكل

= فى برنامج "لقاء الخميس"، تقديم الفاتح على مختار، **الإذاعة السودانية، أمدرمان**. المصدر: الإخوان الجمهوريون، **لقاء إذاعى مع الأستاذ محمود محمد طه، حول: (1) الأصول والفروع، (2) الخير والشر، (3)، التحرّر من الخوف، (4) الحكمة وراء العذاب**، ط1، أمدرمان، 1975، صفحة المقدمة. كما تم تسجيل للإنشاد العرفانى فى **إذاعة أمدرمان**، الإذاعة السودانية إنشاد بصوت المنشد عبدالكريم على موسى، أعد الحلقة الشاعر عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، الأستاذ **بجامعة الخرطوم** آنئذ، وقدمها سعد الدين جلال البدرى. جاءت الحلقة بمناسبة ذكرى ميلاد النبى الكريم (صلى الله عليه وسلم). **مصدر**: حلقة الإنشاد العرفانى الإذاعية: موقع الفكرة الجمهورية، قرآن وإنشاد، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 27 سبتمبر 2012، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(1) محجوب كرار، "محمود محمد طه فى حوار صوفى مع مسز هودجكنز"، (حوار)، **صحيفة الصحافة**، السبت 1972/12/16.

(2) أوردت بعض المصادر أن صحيفة الجمهورية قد عاودت الصدور بعد توقفها فى الخمسينيات من القرن الماضى. من هذه المصادر: قاسم عثمان نور، **دليل الدوريات السودانية: الصحف** (1903-1998)- **المجلات** (1931-1998)، مرجع سابق، ص21. فقد أشار قاسم عثمان نور إلى أن الجمهورية صدرت فى مرتين الأولى عام 1954 والمرة الثانية عام 1969. بيد أن الجمهورية لم تصدر ثانية كصحيفة، وإنما صدرت كمجلة داخلية شهرية للحزب الجمهورى، وقد صدر العدد الأول منها فى يوم الخميس 17 أبريل 1969. وقد جاء فى صدر العدد الأول أن: **الجمهورية**، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، تصدر شهرية، شعارها: "الحرية لنا ولسوانا"، رئيس التحرير سعيد الطيب شايب، وقد وقفت على العدد الأول منها، وقد تضمن الموضوعات الآتية: الافتتاحية، ومشكلة التعليم- الحل الجذرى لها، بقلم ميرغنى حمزة. والصلاة عند الترابى مجرد حركات، بقلم بتول مختار. والمحكمة تدين الفقيه المصرى شاهين، والأستاذ محمود محمد طه وإسماعيل الأزهرى عام 1954، والهجرة النبوية معلم عرفانى، والتدخل المصرى فى السودان هل هذا أوان مواجهته؟ بقلم عوض الكريم موسى. وحاجة البشرية للرسالة الثانية من الإسلام، بقلم عبدالرحيم الريح، من خواطر الطواف، وقلنا فقالوا ونقول، وندوة الجمهورية. إلى جانب أخبار الحزب الجمهورى.

جماعي[1]، في مناسبات مختلفة، وهي رسائل تحمل المعاني الفكرية والجرعات التربوية والوصايا والتوجيهات والإرشادات. كان منها عدة رسائل أثناء فترة أطول اعتقال للأستاذ محمود (1983/6/9-1984/12/19)[2]، وكان آخر تلك الرسائل بتاريخ الخميس 16 فبراير 1984. وكتب كذلك مئات الرسائل إلى تلاميذه وتلميذاته ذات الطابع الشخصي والخاص، واستقبل كذلك مئات الرسائل منهم[3]. وأشرف الأستاذ محمود على عشرات المؤتمرات التي نظمها الجمهوريون. كان أول مؤتمر جامع للجمهوريين قد نُظم بمدينة ود مدني بوسط السودان عام 1968، وأُطلق عليه اسم مؤتمر "أم بارونا"[4]. وتوالى عقد المؤتمرات عند الجمهوريين في أعياد الفطر والأضحى وبمناسبة عيد الاستقلال بغرض تدارس الشؤون الداخلية والمعطيات السياسية والفكرية، وتقييم الانتاج ومدى الالتزام بالواجب الإنساني والوطني، إلى جانب تقديم النقد الذاتي للمسار والعطاء في الحركة. وكان آخر مؤتمر عقده الجمهوريون في شهر يناير من عام 1985 بمناسبة عيد الاستقلال. قال الأستاذ محمود في ختام ذلك المؤتمر في مساء يوم الجمعة 4 يناير 1985، وهو يتحدث إلى تلاميذه وتلميذاته في تلك الأمسية التي سبقت تنفيذ حكم الإعدام بأربعة عشر يوماً، قال الأستاذ محمود[5]:

افتكر مؤتمرنا دا لابد أن يؤرخ تحول عملي في موقف الجمهوريين، زي ما قلنا قبل

---

(1) أورد إبراهيم يوسف بعض تلك الرسائل في مذكراته: إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهوري**، الخرطوم، 2011، ص 107-126.

(2) مقابلة مع ياسر الشريف المليح، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، المقابلة كانت بالهاتف هو في ألمانيا، والمؤلف في الدوحة، في يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 9:30 ليلاً.

(3) أطلعت على نماذج كثيرة من هذه الرسائل الخاصة، وحصلت على نسخ منها من أسماء محمود محمد طه. بعضها رسائل خاصة، وبعضها الآخر يجمع ما بين الشأن الخاص والتقرير عن الحركة الجمهورية ونشاطاتها. ومن نماذجها، رسائل إلى ومن: سعيد الطيب الشايب، وأسماء محمود محمد طه، وسمية محمود محمد طه، ومبارك الطيب البشير، وعماد عبدالرحمن البوشي، وبكري الحاج عبدالله، وغيرهم. كما أهداني عصام عبدالرحمن البوشي نسخاً من بعض رسائله الخاصة التي وصلته من الأستاذ محمود أثناء فترة دراسته الجامعية في لندن، وبعض تلك التي أرسلها هو إلى الأستاذ محمود.

(4) مقابلة مع الريح أبو إدريس، أحد تلاميذ الأستاذ محمود منذ عام 1954. تمت المقابلة في الخرطوم يوم 2011/7/17، الساعة 16:00 وحتى الساعة 20:30 أفادني أبو إدريس بأن "أم بارونا" هو اسم لحديقة، وكان المؤتمر بمثابة جلسة مفتوحة في تلك الحديقة، قدم فيه الأستاذ محمود دراسة تُعتبر نواة الرسالة الثانية من الإسلام. خرج من هذه الدراسة كتاب الإسلام عام 1960.

(5) حديث الأستاذ محمود محمد طه في ختام المؤتمر الذي أقيم بمناسبة عيد الاستقلال في مساء الجمعة يوم 1985/1/4، مصدر سابق.

كذا.. الناس سمعوا مننا كثير.. الكلمة المقروءة والمكتوبة.. نحن عشنا زمن كثير فى مجالات عاطفية.. الإنشاد، والقرآن، والألحان الطيبة.. جاء الوقت لتجسيد معارفنا، وأن نضع أنفسنا فى المحك ونسمو فى مدارج العبودية سمو جديد.. الصوفية سلفنا.. ونحن خلفهم.. وورثتهم.. كانوا بيفدوا الناس.. الوباء يقع، يأخذ الشيخ الكبير، الصوفى الكبير، وينتهى الوباء دى صورة غيركم انتو ما يعقلها كتير. انتو هسع لا بد تفدوا الشعب السودانى.. الذل والمهانة الواقعه عليهو والجلد...

كما عقد الأستاذ محمود آلاف الجلسات والحوارات الفكرية والتربوية لتلاميذه وتلميذاته، ولمن حضر من الضيوف والمهتمين. وأشرف كذلك على الآلاف من أركان النقاش التى كان يقيمها تلاميذه فى الجامعات والمعاهد العليا السودانية وفى الطرقات والأسواق السودانية وفى الحدائق العامة. وأقام بعض تلاميذه أركان نقاش فى ساحة (الهايد بارك) فى لندن بالمملكة المتحدة. كان الأستاذ محمود يقرأ ويستمع لكل التقارير التى تقدم من تلاميذه عن نشاطاتهم المختلفة ويناقش أصحابها ويستمع لآراء تلاميذه وتلميذاته حول خلاصاتها وعن ما أثارته من جدل[1]. وأشرف الأستاذ محمود على عشرات المعارض التى كان يقيمها تلاميذه وتلميذاته عن الفكرة الجمهورية فى الأندية والجامعات والمعاهد العليا، واطلع على مئات الصحف الحائطية التى كانت تصدر باسم الفكرة الجمهورية[2]. كما وجه الأستاذ محمود وأشرف على المئات من حملات الدعوة الخاصة[3] التى قام بها تلاميذه إلى المتعلمين من الفنانين والساسة والأكاديميين، والشعراء والكتاب المبدعين وقادة الرأى العام، فى المكاتب الحكومية وفى المكاتب بالقطاع الخاص وفى منازلهم[4]. وقبل الدعوات الخاصة كان هناك ما يعرف بحملة الريف إلى زعماء

---

(1) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى، أحد تلاميذ الأستاذ محمود منذ عام 1970، وكان أحد المتحدثين فى أركان النقاش. تمت المقابلة فى مدينة الدوحة، بدولة قطر، يوم 2011/6/25، الساعة 19:00 وحتى الساعة 23:00.

(2) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى، مصدر سابق.

(3) مقابلة مع بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، رافق الأستاذ محمود مع الأخوان الجمهوريين خلال الفترة (1968-1982). تمت المقابلة مع بدرالدين وهو فى المنامة بمملكة البحرين، والمؤلف فى مدينة الدوحة، بدولة قطر، يوم 2012/12/8، وكانت ما بين الساعة 20:30 وحتى الساعة 23:30.

(4) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، تمت المقابلة فى الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 15:30 وحتى الساعة 19:30.

الطرق الصوفية[1]. كذلك أشرف الأستاذ محمود على مئات الحملات الدعوية إلى المساجد وأماكن التجمع للصلوات والتعليم الدينى فى العاصمة والأقاليم. كما أشرف على الآلاف من حملات الكتب والدعوة والتنوير التى كان يقوم بها تلاميذه وتلميذاته فى المكاتب والأسواق والشوارع والأحياء فى العاصمة والأقاليم. وقد أصبحت على هامش حملات الكتب تقام أركان للنقاش وحوارات ونقاشات مع المعارضين[2]. فى كل هذه النشاطات كان الأستاذ محمود يقرأ كل التقارير المكتوبة، ويستمع لكل التقارير الشفوية حول تلك الحملات الدعوية والتنويرية[3]. أيضاً، كانت هناك الندوات الاسبوعية، التى استمرت على مدى سنين وعقود. وهناك جلسات الإنشاد العرفانى، وهى جلسات يشارك فيها جميع الجمهوريين بالإنشاد والألحان وعمل الكورس من الرجال والنساء والأطفال[4]. وكانت هناك "جلسات الانطباعات"[5]، وهى جلسات يشارك فيها كل الإخوان الجموريين والأخوات الجمهوريات، وتنظم بشكل مستمر بغرض إبداء الملاحظات والتعليقات وطرح ما يقابل الجمهوريين[6]، ونقل الانطباعات عما يلاقيه الجمهوريون والجمهوريات وما تواجهه الدعوة الجمهورية فى الشارع فكانت بمثابة التغذية الراجعة Feed Back [7]. فيما يبدو أن جلسات الانطباعات كانت تمثل ما يشبه قياس الرأى.

وصف الأستاذ محمود تلك الحملات الدعوية والتنويرية، التى كان يقوم بها تلاميذه

---

(1) مقابلة مع بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، مصدر سابق.

(2) مقابلة مع ياسر الشريف المليح، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، المقابلة كانت بالهاتف هو فى ألمانيا، والمؤلف فى الدوحة، فى يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 9:30 ليلاً.

(3) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى، مصدر سابق.

(4) محمد عثمان الحسن (تقديم)، **جلسة إنشاد عرفانى**، الإنشاد بصوت عبدالكريم على موسى، منزل الأستاذ محمود محمد طه، المهدية، الحارة الأولى، أمدرمان، تسجيل جمعة حسن، 18 نوفمبر 1979 الموافق 28 ذو الحجة 1399، الساعة 6:30 صباحاً. وقد ورد كما هو معروف عند الجمهوريين بأن رائد شعر الإنشاد العرفانى هو عوض الكريم موسى، وأن عبدالكريم على موسى (كرومة)، هو من الرواد فى الإنشاد العرفانى. إلى جانب أن هناك عدداً كبيراً من المنشدين الجمهوريين كما برز عدد من الشعراء الجمهوريين.

(5) إفادة من الطيب حسن أثناء اطلاعه على مخطوطة هذا الكتاب.

(6) مقابلة مع ياسر الشريف المليح، مصدر سابق.

(7) مقابلة مع عيسى إبراهيم، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كانت المقابلة بالهاتف، عيسى فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 10:30 صباحاً.

وتلميذاته إلى مدن وقرى السودان المختلفة، مركزاً على دور المرأة فى المناقشة فى المنابر ونهوضها بحجتها، وهو يتحدث بحزن عن فَقْد أحد تلاميذه، وهو إبراهيم الزبير (1954-1981)[1]، الذى توفى إثر حادث حركة، أثناء سفره فى إحدى تلك الحملات، وصف الأستاذ محمود تلك الحملات التنويرية قائلاً: "عزانا إنو مات فى أشرف ساحة وفى أشرف حركة فى أشرف سفرة، كان هو رافع راية الإرشاد الدينى الواعى وراية تنوير الشعب ليكون فى القامة البيستحق بيها الحكم الديمقراطى، الحكم البشاركوا فيه الناس فى السلطة البتبرم أمورهم وهم كرام وهم واعين"[2].

وعن نوع العمل الذى يقوم به الجمهوريون وقيمته وأهميته، تحدث الأستاذ محمود مستعرضاً دور المرأة وما بلغته من مستوى متقدم فى نهوضها بحجتها وقوة عارضتها، مذكراً بأن هذا العمل عمل جديد لم يشهده التاريخ من قبل تحدث الأستاذ محمود قائلاً:

العمل ده اللى نحن قايمين بيه فى الحقيقة عمل فريد ما حصل فى التاريخ إطلاقاً حتى بين الرجال ما حصل خلى عنك لمن يدخلن فيه النساء ليقومن بالمنابر فى المدن الواحدة تقيف فى وسط الحلقة وتناقش الناس بعلم فى الدين فى السياسة فى الاقتصاد، وتنهض بحجتها وقوة عارضتها وبيانها حتى يهرب

---

(1) هو إبراهيم الزبير إبراهيم إدريس، ووالدته حواء محمد حامد. ولد بمدينة السوكى التى تقع شرق النيل الأزرق على بعد نحو خمسين كيلومتر من خزان سنار. تلقى تعليمه الابتدائى بالسوكى والمتوسط بمدينة الدندر والثانوى بمدرسة حنتوب الثانوية، وفيها التزم الفكرة الجمهورية بمعية شقيقه محمد عثمان. بعد اكماله المرحلة الثانوية، وقد كان من أوائل الشهادة الثانوية السودانية، التحق إبراهيم بجامعة الخرطوم، وتخرج عام 1979 فى قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة. توفى والده وهو فى السنة الدراسية الأخيرة بالجامعة. التحق بعد تخرجه بوزارة الرى بمدينة السوكى ثم انتقل للعمل بمدينة ود مدنى. قبل الحادث كان إبراهيم ينوى السفر إلى ألمانيا لنيل الدراسات العليا. وقع الحادث الذى انتقل فيه إبراهيم فى يوم 17 يونيو من عام 1981 بالقرب من قرية (أم غنين) بالنيل الأبيض، وهو ضمن وفد دعوى ضم بعض الإخوان الجمهوريين فى طريقهم إلى مدينة الدويم. من المفيد الإشارة إلى أن الشهيد أحمد القرشى والذى استشهد فى ثورة 21 أكتوبر عام 1964، وإبراهيم من أسرة واحدة. فأم القرشى، عائشة إبراهيم إدريس إبراهيم، هى عمة إبراهيم الزبير إبراهيم إدريس. المصدر: مقابلة مع إحسان الزبير إبراهيم إدريس. تمت المقابلة عبر الإسكايب، إحسان بمدينة مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف بمدينة الدوحة، السبت 27 أبريل 2013، الساعة 16:30 .

(2) محمود محمد طه، "تعلموا كيف تجهزون موتاكم (1)"، (ندوة تسجيل صوتى)، الجلسة الأولى من جلسات مأتم إبراهيم الزبير، الخميس 18 يونيو 1981، الموافق 15 شعبان 1401.

الرجال من مواجـهتها يهربوا إلى الشغب فى وشـها (وجهها) عشـان (حتى) ما تُبيِّن ما يكشـف جهلهم هم. فالمنابر دى ما حصلت فـى التاريخ، والحقيقـة بيها بهذا العمل التاريخ بيكتب، التاريخ فى هذه الأيام بيكتب من جديد فى مستوى ما كتب بيه فى الماضى إطلاقاً[1].

إلى جانب ذلك، كـانت هناك العديد من مـشاريع الكتب التى لم يكمل الأسـتاذ محـمود كتابتـها. فقد كـان الأستاذ محمـود كثيراً ما يـردد عبارة: (نحن المعارضين مـا خلونا نقول كل شيء)[2]، فى إشارة إلى أن المعارضين أضاعوا الكثير من وقت الأستاذ محمود فى معارضتهم ومجادلاتهـم. إن بعض هذه الكتب التى لم يكملها الأسـتـاذ محمود وردت الإشارة إلـيها فى بعض كتـبه التى نشرها، كـما احتـفظ بعض تلاميـذه ببعض المخطوطات التى كتـبها الأسـتاذ محـمود بخط يده. من نماذج مشاريع الكتب الـتى لم يُكمل الأستاذ محـمود كتابتـها، وظلت مخطوطة لكتاب غير مكتمل، كتاب بعنوان: **تعلموا كيف تتعاملون**. فقد كتب الأستاذ محمود بخط يده بعض الصفحات من هذا الكتاب. وظلت تلك الصفحات مخطوطة حتى تاريخ هذا اليوم[3]. كتب الأستاذ محمود فى صدر مقدمة مسودة الكتاب قائلاً:

*هذا كتاب: **تعلموا كيف تتعاملون** .. وهو الكتاب الثانى من سلسلة: "تعلموا كيف*[4]*"*

---

(1) محمود محمد طه، **"تعلموا كيف تجهزون موتاكم** (1)"، مصدر سابق.

(2) مقابلة مع النور حمد، أحد تلاميذ الأسـتاذ محمود، تمت المقابلة فى الخرطوم يوم 2011/7/14، الساعة 10:20 حتى الساعة 11:30.

(3) محمود محمد طه، **تعلموا كيف تتعاملون**، (مخطوطة)، صفحة المقدمة. اطلعت على هذه المخطوطة فى منزل عصام عـبدالرحمن البـوشى بمدينة ود مدنى، السودان، وهى بحـالة جيدة. المخطوطة مكتوبة بخط يـد الأستاذ محمـود وهى مشروع كتـاب لم تكتمل كتـابته بعدُ، قمت بموافـقة البوشى بنسخ ثمانـى صفحات من مـقدمة المخطوطة.

(4) كان أول كـتاب صدر من سلسلة "تـعلموا كيف" هو كـتاب: محـمود محـمد طه، **تعلموا كـيف تصلون**، من سلسلة الثورة الثقـافية، اربجى، مايو 1972.ثم صدر كتاب: **تعلموا كيف تجـهزون موتاكم**، عام 1978 باسم الأخوات الجمهوريات. وقبل ذلك فقد نظمت العديد من الندوات الاسبوعية تحت "تعلموا كيف" منها (مجرد أمثلة): "تعلموا كيف تسلكون"، الثلاثاء 9 مايو 1972 المهدية؛ وندوة: "تعلموا كيف تصدقون"، الأربعاء 10 مايو 1972 – المهدية، الخميس 11 مايو 1972 – المهدية؛ وندوة: "تعلموا كيف تتعلمون"، 11-18 مايو 1972 – المهديـة؛ وندوة: "تعلموا كـيف تجهزون مـوتاكم (3-1)"، الجلسة الأولـى من جلسات مأتم إبراهيـم الزبير، الخميس 18 يونيو 1981- يوافق 15 شعبان 1401. وغيرها.

*التى أفترعت بكتاب: **تعلموا كيف تصلون**، وكنا قد أشرنا يومئذ إلى أن هذه السلسلة (سيتواصل/ سيتوالى) صدورها حتى تكتمل صورة "الثورة الثقافية" التى ترمى إليها، والتى أخرجنا، فى تقديمها للقراء الكرام، كتاباً باسم: الثورة الثقافية، فى شهر مايو من هذا العام*(1).

عدَّ الأستاذ محمود هذا الكتاب من أهم كتب تلك السلسلة، فقد كتب قائلاً: "هذا الكتاب: **تعلموا كيف تتعاملون**، هو أهم كتب هذه السلسلة على إطلاقها، وذلك لأنه هو الخلاصة العملية لكل علم نظرى يجرى تحصيله خلال "الثورة الفكرية" وخلال "الثورة الثقافية" على السودان". وقد تضمنت المقدمة إشارات لمخطط الكتاب، ووردت بعض العناوين الجانبية التى تبين منهج الكتاب، ومن تلك العناوين الجانبية، الحكمة وقد عرَّفها الأستاذ محمود فى مخطوطة كتابه قائلاً: "الحكمة هى نهاية العلم ونهاية الرحمة"(2).

آخر نص كتبه الأستاذ محمود

إن حياة الأستاذ محمود وأفكاره واستشهاده تشبه ما يمثل "الإنفجار الكبير" فى عالم الفكر الإسلامى خصوصاً والدينى والإنسانى عموماً.. ذلك الانفجار الذى ستظل آثاره متعاظمة كلما تقدم الزمن(3).

بشير بكار(*2012-1952*)

لا نص يعلو فوق نص المشنقة. ذلك النص الذى نحته الأستاذ محمود فى مجلد تاريخ البشرية كآخر ثمن من أثمان تطورها منذ القرون الوسطى وهى تنشد الترقى فى سلم الإنسانية، فأودعه سجل شعوب السودان يوم أن جسد المعارف بمشهد ابتسامته على منصة

---

(1) الإشارة إلى إخراج كتاب: **الثورة الثقافية**، فى شهر مايو من هذا العام، تفيد بأن مقدمة المخطوطة كتبت عام 1972 وهو العام الذى نُشر فيه كتاب: محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، أربجى، 1972.

(2) محمود محمد طه، **تعلموا كيف تتعاملون**، (مخطوطة)، مصدر سابق.

(3) بشير بكار، ضمن خيط "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب **الرسالة الثانية**"، من المنبر العام، موقع **سودانيز أونلاين**، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 22 أبريل 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

المشنقة فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985 بساحة سجن كوبر بمدينة الخرطوم بحرى، بالخرطوم عاصمة السودان. نص المشنقة هو النص الخالد.

كانت مخطوطة **الديباجة**[1] هى آخر نص كتبه الأستاذ محمود. لقد كتب الأستاذ محمود نص **الديباجة** أثناء فترة اعتقاله الأخير (1983/6/9-1984/12/19)، وأرخ لكتابته بتاريخ 30 أكتوبر 1984. كان الأستاذ محمود فى أواخر أيام اعتقاله قد طلب من الجمهوريين أن يكتبوا عن الدستور، وكانت تصله كتاباتهم، وكان قبلها بقليل قد بدأ بكتابة مقدمة أو **ديباجة** لكتاب: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، الذى صدر فى ديسمبر** 1955. كان نص **الديباجة** غير المكتمل قيد المراجعة المستمرة من قبل الأستاذ محمود، وقد نشر بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه كما تركه الأستاذ محمود بآخر شكل[2]. الرسالة أدناه كانت من الأستاذ محمود وهو فى المعتقل إلى تلاميذه وتلميذاته. وتكمن أهمية الرسالة فى أنها تؤرخ لقصة آخر نص كتبه الأستاذ محمود **الديباجة** وتبين مراحل وتطور كتابته. وتوضح الرسالة كذلك أن النص لم يكن مكتملاً، وأن الأستاذ محمود أرسل هذه الرسالة وأرفق معها النص (26 صفحة)[3] وطلب من تلاميذه وتلميذاته تدارسه وإفادته بآرائهم. وأضاف بأن هناك بقية سيوافيهم بها. يقول الأستاذ محمود فى رسالة:

أبنائى المحبوبين سعيد، وجلال، وإخوانهما فى القسمين

لكم جميعاً تحيتى وإعزازى وعظيم محبتى

تصلنى أعمالكم فتسرنى كثيراً.. عملكم فى الدستور عظيم.. بيد أن ديباجة 1955 حيث يجىء القول: "المشاكل الراهنة لأى بلد من البلاد، هى، فى

---

(1) حصلت على نسخة من الديباجة من لطفى على لطفى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود.

(2) مقابلة مع ياسر الشريف المليح، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، المقابلة كانت بالهاتف هو فى ألمانيا، والمؤلف فى الدوحة، فى يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 9:30 ليلاً.

(3) كانت بتول مختار طه تستلم صفحات الرسالة من الأستاذ محمود، وكان محمد صادق جعفر يقوم بطباعة الصفحات أولاً بأول بمكتبه. وكان محمد صادق جعفر وقتئذ يعمل بمكتبة جامعة الخرطوم. **المصدر**: محمد صادق جعفر، ضمن مقابلات عديدة عبر الهاتف والبريد الإلكترونى خلال الفترة ما بين 4 - 2012/11/14 - مارس 2013. وقد أفادنى بذلك أثناء اطلاعه على مخطوطة هذا الكتاب.

حقيقتها، صورة لمشاكل الجنس البشرى برمته، وهى، فى أسها مشكلة السلام على هذا الكوكب الذى نعيش فيه إلخ إلخ" تحتاج إلى تفصيل، وإلا فإنها تكون أشبه بالإنشاء، منها بالكلام ذى المحتوى العلمى المفصل.. إن المشكلة التى أعجزت الفلسفات الاجتماعيات، فى الماضى والحاضر، إنما هى مشكلة علاقة الفرد بالمجتمع، وعلاقة الفرد بالكون، وذلك بأن الفرد إذا لم يتحرر من الخوف الذى رسبه فى صدره الجهل بهاتين العلاقتين، فلن يكون فى سلام، لا مع نفسه، ولا مع الآخرين.. ونحن بصدد كتابة الدستور الإسلامى ـ الإنسانى ـ وهاتان العلاقتان عتيدتان فى القرآن.. وليس لهما وجود فى غيره، ولذلك فإن علينا استخراجهما وتفصيلهما للبشرية.. هذه محاولة أرسلها لكم لتدارسوها وتفيدونى برأيكم من صفحة 1 إلى صفحة 26، وهناك بقية سأوافيكم بها إن شاء الله.حفظكم الله وحفظ عليكم،

والدكم محمود، 1984/12/8

رسالة من الأستاذ محمود وهو فى المعتقل

لقد تناولت **الديباجة** قضايا عديدة منها: الديمقراطية وتطور مدلولها مقروناً بتطور مدلول كلمة الشعب التى "كانت تضيق، على عهد اليونان، فلا تشمل النساء، ولا العبيد... ثم أخذ معناها يتسع، على مر الزمان...".وتناولت مجىء الحكم النيابى، ونشأة الأحزاب السياسية. ووقفت عند ابتلاء السودانيين بأسوأ ألوان الحكم النيابى، فى بداية الحكم الوطنى، وبعد ثورة أكتوبر 1964، إذ "كانت أحزابنا السياسية طائفية الولاء، طائفية الممارسة، فهى لم تكن تملك مذهبية فى الحكم... والطائفية نقيض الديمقراطية.. ففى حين تقوم الديمقراطية على توسيع وعى المواطنين، تقوم الطائفية على تجميد وعيهم".وتحدثت **الديباجة** عن الدستور والحكم العسكرى والثورات الشعبية فى السودان. تناولت حل **الحزب الشيوعى** وطرد نوابه من الجمعية التأسيسية، وما تبع ذلك من تبعات منها أن القضاء السودانى تعرض لصورة من التحقير لم يتعرض لها فى تاريخه قط. وتحدثت الديباجة عن فشل التجربة الديمقراطية النيابية فى أمريكا. وتناولت التعليم، والعلم

التجريبى، والاشتراكية، والثورة التكنولوجية، وتحدثت عن الحضارة العلمانية، المادية الآلية الحاضرة. وتضمنت حديثاً عن مرحلة الجسد والعقل المتنازعين (مرحلة البشرية- مرحلة الكبت)، ومرحلة الجسد والعقل المتسقين، (مرحلة الإنسانية)، وعقلى المعاش والمعاد والحرية الفردية النسبية والمطلقة. وتناولت الخير والشر والخوف وتوسعت فى الحديث عن الكبت والسماوات السبع والكواكب والذرة والأجرام، وغيرها من الموضوعات والقضايا.

المنزل: مكان النشاط وقاعدة انطلاقه

فالكتابة والحديث عن الأستاذ حلو، لا ينقطع مذاقه تماماً كما القراءة والاستماع عنه، فكيف إذن هو الجلوس إليه؟ [1].

مرتضى جعفر

كان جل نشاط الجمهوريين ينطلق من منزل[2] الأستاذ محمود. منزل[3] رقم (242)، الثورة (المهدية) الحارة الأولى، وهو منزل متواضع بُنى من المواد المحلية (الجالوص)،ومساحته 300 متر مربع[4]، ويقع بأحد الأحياء الشعبية[5]، هو حى الثورة (المهدية) فى مدينة أمدرمان، الخرطوم. وقبل ذلك كان الأستاذ محمود يقوم بكل نشاطاته الفكرية والسياسية بالتزامن مع عمله المهنى فى مجال الهندسة. فقد كان مكتبه

(1) مرتضى جعفر، ضمن خيط عبدالله عثمان: "الأستاذ محمود محمد طه: إلى سبانا الشريف: سيروا الى الله عرج ومكاسير"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/31، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

(2) فى فترة الخمسينيات كانت للحزب الجمهورى دار بحى السجانة فى الخرطوم حتى قيام ثورة 17 نوفمبر 1958. ثم افتتح داراً بحى الموردة بمدينة أمدرمان بعد ثورة أكتوبر 1964. كما افتتح داراً بمدينة ود مدنى فى عام 1956. **المصدر**: مقابلة مع الريح أبو إدريس، أحد أبكار تلاميذ الأستاذ محمود، تمت المقابلة فى الخرطوم يوم 2011/7/17، الساعة 16:00 وحتى الساعة 20:30.

(3) وهو المنزل الوحيد الذى امتلكه الأستاذ محمود، وقد انتقل إليه عام 1963/1962. **المصدر**: مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، الخرطوم، 2011/7/14، الساعة 10:20.

(4) كان المخطط الأول لكتابى هذا يتضمن فصلاً بعنوان: "تاريخ ودور منزل الأستاذ محمود بأمدرمان"، ولكن وبعد نصيحة من بعض الأصدقاء الباحثين والكتاب، رأيت كما أشاروا علىّ بأن أفصل ذلك النصل، لأنشره فى كتاب مستقل، وقد اخترت له العنوان التالى: **منزل الأستاذ محمود بمدينة أمدرمان: التاريخ والدور**. وآمل أن أدفع به للمطبعة قريباً.

(5) سكن الأستاذ محمود وأسرته قبل ذلك فى أحياء: الملازمين، والموردة، وبيت المال وكلها أحياء بمدينة أمدرمان.

الذى افتتحه فى شهر يناير عام 1952 بعمارة ابن عوف[1] جنوبى الجامع الكبير وسط الخرطوم، هو أيضاً، مكتب **للحزب الجمهورى**، وقد أوردت صحف الخرطوم خبر افتتاح المكتب آنئذ[2].أيضاً، افتتح **الحزب الجمهورى** داراً بمدينة ود مدنى فى عام 1956، وكانت له دار فى الخرطوم بحى السجانة وظلت حتى قيام انقلاب 17 نوفمبر 1958. وبعد قيام ثورة أكتوبر 1964 افتتح **الحزب الجمهورى** داراً بحى الموردة بمدينة أمدرمان. وفى عام 1965 بدأت مرحلة التأليف الجادة، وبحلول عام 1966 ترك الأستاذ محمود العمل فى مجال الهندسة نهائياً، وتفرغ تماماً للتأليف ولنشر الفكرة الجمهورية[3]، فزادت كثافة النشاط، وزادت حركة التأليف والنشر، وزادت الحملات الدعوية والتنويرية، ولم يقتصر ذلك النشاط الواسع والمتنوع على العاصمة الخرطوم، بل شمل كذلك مدن وقرى السودان. وظل منزل الأستاذ محمود بحى الثورة، بأمدرمان هو مكان ومنطلق كل نشاطات الفكرة الجمهورية.

أيام السجون والمعتقلات فى فترتى الاستعمار والحكم الوطنى

ألا ما أيسر خديعة الشعوب! [4]

أحمد خير المحامى (1905/3-1995)

يضاف إلى كل هذا النشاط الضخم أن الأستاذ محمود قضى فى السجون والمعتقلات،

---

(1) يقول الأستاذ محمود: (عمارة ابنعوف سليمان هى العمارة اللى كان فيها مكتب الحزب الجمهورى بعد سنة 51.. عندنا مكتب فى الدور التانى فيها.. مكتب بسيط ومتواضع، أجرته كانت 5 جنيه فى الشهر استمرت لغاية مجيء ثورة مايو دى، المكتب دا كان عندنا). **المصدر**: محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"،جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(2) "مكتب الحزب الجمهورى"، (خبر صحفى)، **صحيفة الرأى العام**، العدد 2024، بتاريخ 1959/1/12.

(3) محمود محمد طه، مخطوطة، تتكون المخطوطة من ثمانى صفحات، وقد كتبها الأستاذ محمود بخط يده بمدينة أمدرمان بتاريخ 1972/2/26، وتضمنت المخطوطة مراحل تعليمه وطبيعة عمله والأماكن التى عمل فيها ...إلخ. وقد اطلعت على هذه المخطوطة، وحصلت على نسخة منها من أسماء محمود محمد طه؛ إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، مصدر سابق، ص 127-129.

(4) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2002، ص 96.

(1380) يوماً[1] ما بين عام 1946 وحتى يوم اغتياله 18 يناير 1985. قضى منها (779)[2] يوماً في سجون المستعمر البريطاني[3]، وهو يناضل من أجل استقلال السودان وحرية شعوبه، ومنها (601) يوماً في معتقلات وسجون الدولة الوطنية بعد الاستقلال. إلى جانب ذلك، فقد واجه الأستاذ محمود وتلاميذه العديد من المحاكم. كانت كل محكمة من هذه المحاكم عبارة عن سلسلة من التحقيقات والجلسات والمرافعات. وفي كل المحاكم التي جرت لتلاميذ الأستاذ محمود، كان الأستاذ محمود لا يقبل إلا أن يتقدم هو تلاميذه وتلميذاته في أيّ مواجهة كانت سواء مع رجال الشرطة والأمن أو مع الدوائر الحكومية الأخرى والمحاكم[4]، وكان يقول: "أنه مسؤول من كل عمل الجمهوريين"[5]. حينما

---

(1) كانت فترات سجن الأستاذ محمود، على النحو التالي: في فترة الاستعمار، فترتين الأولى (50 يوم) كانت من يوم الأحد 2 يونيو 1946 وحتى يوم 22 يوليو 1946، والفترة الثانية كانت لمدة ستين (24 شهراً)، بدأت في يوم 1946/10/16 وانتهت يوم 1948/9/20، وكان الاعتقال قبل المحاكمة في يوم 23 سبتمبر 1946. وفي عهد الحكم الوطني، كانت فترات سجن الأستاذ محمود على النحو التالي: مدة شهر خلال شهري ديسمبر 1976 ويناير 1977، ومن يوم 9 يونيو 1983 وحتى يوم 19 ديسمبر 1984، ومن يوم 5 يناير 1985 حتى يوم تنفيذ حكم الإعدام في يوم 18 يناير 1985. **المصدر**: **صحيفة الرأي العام**، أعداد مختلفة خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 1946؛ **صحيفة السودان الجديد**، العدد 594، الاثنين 20 سبتمبر 1948، إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهوري**، مصدر سابق، ص 130-101؛ مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، الخرطوم، 2011/7/14، الساعة 10:20.

(2) هذا مجموع فترة سجنين، السجن الأول كان لمدة (50) يوماً، والسجن الثاني كان لمدة ستين. من المعروف أن السجن ستان تعني 18 شهراً، إلا أن الأستاذ محمود حرم من الثلاثة شهور للسنة الأولى والثانية كذلك بسبب مخالفته لأوامر السجن. يقول الأستاذ محمود: (السجن سنتين معناه 18 شهر، لأنه هم في العادة بيعفو ربع المدة، يعني سنة السجن تسعة شهور.. لكن حصلت بعض المخالفات لأوامرهم وحصل أنو مسجون من مساجين الدرجة التالتة، وكانوا بجوني كتير، لعله بياخدوا الأكل البيجي بالنهار، لأنو أنا كنت صايم طوالي، باكل العشاء بس، الفطور والغداء هم بياخدوهو والشاي، فواحد منهم ممن نشأت بيني وبينه علاقة وبيجي ينضف الأوضة الأنا فيها وبياكل البتاع دا، حصل ليهو سوء معاملة معينة من السجانين أنا ناصرته بأن كتبت لرئيس القضاء برة.. فمدير السجن استاء -مدير عام السجون- من الحكاية دي وبرضو نوّه لي عن عملي دا، أنه مابجيب نتيجة، لكن انت لازم تعرف إنك انت مسجون درجة تانية، مسجون عادي وبتخالف أوامر السجن.. بكرة إذا ما أطعت أوامر السجن أنا باخد منك ربع المدة في السنة الأولانية - تلاتة شهور.. وطبعا ما كانت في طاعة للأوامر فأخد تلاتة شهور من المدة بقت السنتين يعني 21 شهر.. بعد شوية كتبت تاني مذكرة لرئيس القضاء لأنو ما رد على ديك وتمشى بواسطة السجن بطبيعة الحال فناداني تاني مرة، وقال لي: بكرة اذا ما أطعت الأوامر أنا باخد التلاتة شهور التانية.. فالشاهد أنو السنتين بقن 24 شهر تماما)، المصدر: محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبي معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"،جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(3) "رئيس الحزب الجمهوري في السجن"، **الرأي العام**، 1946/6/3؛ "محمود محمد طه، يغادر السجن بعد عامين، **السودان الجديد**، الاثنين 1948/9/20، العدد 594، الخرطوم.

(4) مقابلة مع أحمد مصطفى دالي، أحد تلاميذ الأستاذ محمود منذ عام1970 ، وأحد المتحدثين في أركان النقاش. تمت المقابلة في مدينة الدوحة، بدولة قطر، يوم 2011/6/25، الساعة 19:00 وحتى الساعة 23:00.

(5) إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهوري**، مصدر سابق، ص 130.

اعتقل الأستاذ محمود فى يوم 1983/6/9 واعتقل معه نحو الأربعين من الإخوان الجمهوريين، وكان منهم أربع من الأخوات الجمهوريات، وعندما قررت سلطات الأمن أن تطلق سراح الأستاذ محمود، رفض الأستاذ محمود ثم (... أخبرهم... بأنه مسئول عن أُولئك المعتقلين ولذلك لن يخرج ويتركهم...)[1]، ثم (وبعد مدة قرروا إطلاق سراح الأخوات فبارك الأستاذ ذلك وخرجن)[2]. ولم يخرج الأستاذ محمود من المعتقل إلا مع خروج تلاميذه، وبالفعل (... تم إطلاق السراح يوم 1984/12/19 [3] فخرج المعتقلون مع الأستاذ محمود...)[4].

خاتمـــة

إن ما تقدم من جرد مجمل لنشاطات الأستاذ محمود وتلاميذه، لا يمثل سوى إشارات ومعالم موجزة لعمل ضخم ودؤوب، كان يقدم بشكل يومى ومستمر وبكثافة على مدى سنين وعقود: رحلات الأستاذ محمود إلى مدن وقرى السودان المختلفة لتقديم المحاضرات، الجلسات التربوية، حملات بيع الكتب، جلسات الانطباعات، أركان النقاش، وفود الجمهوريين إلى مدن وقرى السودان، حملات الخاصة، ندوات أُسبوعية، وجلسات الإنشاد العرفانى...إلخ. إن كل نشاط من هذه النشاطات يحتاج لدراسات وبحوث مستفيضة. فكل نشاط ينطوى على معانى ومنهج فى تطوير الذات وخطط عمل وفلسفة حياة وقيم أخلاقية وجرعات تربوية ودلالات حداثية وعلمية وروحية وخبرات حياتية. من المهم الإشارة إلى أن ما ورد فى هذا الفصل من نشاطات ما هو إلا جرد مجمل وتلخيص مختصر لأعمال ونشاطات مكثفة قد استمرت لعقود. الشاهد أن الأستاذ محمود قدم إنتاجاً فكرياً ضخماً، ووقف مواقف ستبقى راسخة وخالدة وملهمة. فقد ظل الأستاذ محمود يكتب وينشر بكثافة واستمرار حتى تاريخ إعدامه.

---

(1) المصدر السابق، ص 102.

(2) المصدر السابق، ص 102.

(3) المصدر السابق، ص 102.

(4) لفت نظرى عيسى إبراهيم، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، أن يوم 12/19 الذى أطلق فيه سراح الأستاذ محمود مع تلاميذه هو تاريخ إعلان استقلال السودان من داخل البرلمان.

كتب بشـرى الفاضل متنبـئاً بأن كتب الأستـاذ محمود سـتترجم إلى كل لغـات العالم الحية، كـتب بشرى قائلاً: "حين تجيء الديمـقراطية الحقة فـستتم ترجمة كل كـتب الأستاذ محمـود بكل لغات العالم الحية. هذا سيـتم لا محالة"[1]. لقد تضمنت كلمته من دلالات ومضامـين قوية بتعبيـر سهل ولكن ببعد نظر عـابر للزمان والمكان ناحية المسـتقبل والآتى. ذلك لأن إنتاج الأسـتاذ مـحمود تمحـور كله حول السـودان والإنسان والإسـلام والسلام، الأمر الذى يجـعله موضع اهتـمام لدى جل الناطـقين بلغات الـعالم المختلفـة. وبرغم كل هذا، لم يحظَ الأستاذ محمود ومشـروعه ومواقفه إلا بالقليل من الدراسات. بل لـم ترد فى معظم دراسات المثـقفين وحواراتهم حـول قضايا السودان والإسـلام والإنسان، والتى كان للأستاذ محـمود فيها إسهـامات أصيلة وجديدة، لم ترد حتى مجـرد إشارة له أو لكتبه؛ إلا لدى قلة قليلة جداً منهم. وهذا بعض ما ينهض به هذا الكتاب ليكشفه ويبينه وفقاً للأسس العلميـة التى تتقدم فيـها الوثيقـة والعقل على الشفاهى والعـاطفى، وتلتزم فيـه بالكلمات المسؤولة والمنضبطة فى توضيح المعانى والتزام الحق.

(1) بشرى الفاضل، ضـمن خيط "ترجمة لتـقديم سمير أمـين للترجمة الفرنسـية لكتاب الرسالة الثـانية"، من المنبر العام، **موقع سودانيز أونلاين**، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 22 أبريل 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

الفصل الثانى

2

قراءة فى الدراسات السابقة: مرحلة الفقهاء

تعطيل الطاقات الحيوية وتجميد حركة التغيير والتحرير

إن السبب الحقيقى لهذا التخلف هو الجهل بالدين، والانحراف به إلى قضايا فقهية متحجِّرة، تُكبِّل العقل، الذى يتخذها منهاجاً لدراسته، ولا تحرره[1].

محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، ط3، أمدرمان، 1979، ص 9-10.

هل تعلن أعمال محمود محمد طه عن مولد لاهوت تحرير إسلامى؟... إن قناعته العميقة كمسلم،ومعرفته المتبحرة بالدين، وقوة حجته فى سبيل تفسير جذرى جديد للإسلام، يؤسس لقطيعة تامة مع تيار التعصب الدينى المحافظ الرسمىّ المسيطّر، لهى شاهدٌ على أهمية مساهمته فى تجديد إسلامى يذكِّرنا، فى كثير من أوجهه، بالتجديد الذى جاء به لاهوت التحرير المسيحى[(1)].

إن المحاوَلة الوحيدة لقراءة الإسلام فى اتجاه التحرر كانت تلك الخاصة بالمفكر الإسلامى السودانى محمود طه. ولم تحاول أية حركة إسلامية، لا "راديكالية" ولا "معتدلة" أن تتبنى أفكار محمود طه الذى أعدمه نظام النميرى فى الخرطوم بعد اتهامه بالردة. كذلك لم يدافع عنه أى من المثقفين الذين ينادون "بالنهضة الإسلامية" أو الذين يعبرون عن الرغبة فى التحاور مع هذه الحركات[(2)].

سمير أمين

---

(1) نجاة محمد على، "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب الرسالة الثانية"، من **سودانيز أونلاين**، المنبر العام، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 13 أبريل 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com
أوردت مترجمة التقديم نجاة محمد على، فى خيطها المشار إليه أعلاه، معلومات باللغة العربية عن التقديم وكاتبه وعن مترجمى الكتاب وتاريخ ومكان نشر الكتاب بعد الترجمة... إلخ. فقمت من جانبى بنسج تلك المعلومات التى أوردتها نجاة محمد على، لتقرأ هكذا:
سمير أمين، "نحو لاهوت تحرير إسلامى؟" تقديم باللغة الفرنسية للترجمة الفرنسية لكتاب: **الرسالة الثانية من الإسلام** للأستاذ محمود محمد طه، الذى أصدره عام 1967. قامت نجاة محمد على بترجمة تقديم سمير أمين من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. أما ترجمة كتاب: **الرسالة الثانية من الإسلام**، من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية فقد قام بها كل من: محمد البارودى وكارولين باى. وصدر الكتاب المترجم من دار لارماتان للنشر، باريس، 2002.
Mahmoud Mohamed Taha, Un Islam à vocation libératrice, Traduit par Mohamed El Baroudi & Caroline Pailhe, L'Harmathan, Paris , 2002

(2) سمير أمين، **ما بعد الرأسمالية المتهالكة**، ترجمة فهيمة شرف الدين وسناء أبو شقرا، دار الفارابى، بيروت، ط1، 2003، ص 253-254.

هناك نقدان للفكر الجمهورى، أحدهما ينطلق من أرضيات مختلفة للهوس الدينى والتحريض والمهاترة. والثانى حوارى نقدى همه الارتقاء بالعقل السودانى وإثراء الفكر من خلال الاختلاف والتعدد[1].

حيدر إبراهيم على

(1) حيدر إبراهيم على، "الجمهوريون.. آخر المثقفين المحترمين"، **صحيفة الراكوبة**، صفحة المقالات، مكتبة كتاب المقالات، استرجاع (Retrieved) يوم 30 مارس 2011، الموقع على الإنترنت: http://www.alrakoba.net

الدراسات النقدية لمشروع الأستاذ محمود

اتسمت الدراسات التى تناولت الأستاذ محمود ومشروعه بالقلة، برغم ضخامة مشروعه وحيويته، وبرغم عظمة موقفه يوم المشنقة، إذ لم تشهد البشرية ربما، منذ القرون الوسطى، موقفاً بسبب الفكر مثله. كان الأستاذ محمود قد أعلن فى أكتوبر من عام 1951 عن المرحلة الجديدة **للحزب الجمهورى**، وأسماها مرحلة ملء فراغ الفكر. جاء الإعلان بعد خروجه من اعتكافه بمدينة رفاعة، والذى دام ثلاثة أعوام. يقول عنها الأستاذ محمود: "واصلت فيها تحنثى واتضحت فى ذهنى معالم فكرة التجديد"(1). وبحلول عام 1952، أصدر الأستاذ محمود كتاب: **قل هذه سبيلى**، وقد وصفه قائلاً: "وهو أول كتاب يتناول الدعوة بالتفصيل والتحديد"(2). ثم توالت المنشورات والمحاضرات والندوات فى موضوع بعث الإسلام من جديد(3). ففى ديسمبر 1955 صدر كتاب: أسس **دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**. وفى مارس 1960، صدر كتاب: **الإسلام**. وهو الكتاب (الأم) كما وصفه الأستاذ محمود(4). ومع عام 1965 بدأت مرحلة التأليف الجادة، وبحلول عام 1966 تفرغ الأستاذ محمود تفرغاً تاماً للتأليف ونشر الفكرة الجمهورية"(5). وقد بلغت المؤلفات كما ورد آنفاً، ستة وثلاثين كتاباً للأستاذ محمود، ونحو ثلاثمائة كتاب صدرت باسم تلاميذه، الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، إلى جانب المقالات والمحاضرات والبيانات والمنشورات والرسائل إلى رؤساء الدول والمفكرين والعلماء.

بدأ شيوخ **المعهد العلمى بأمدرمان**(6)، والفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء

---

(1) محمود محمد طه، "تعريف بمحمود محمد طه"، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 5.

(2) محمود محمد طه، **قل هذه سبيلى**، أمدرمان، 1952، مقدمة الطبعة الثالثة.

(3) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص5.

(4) عرف بكتاب الإسلام بينما كان عنوانه: **محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الإسلام**، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثانية.

(5) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 6-7.

(6) سيأتى الحديث لاحقاً عن المعهد، فقد نشأ عام 1912. كانت نواته مجلس العلماء. وتحولّ **المعهد العلمى بأمدرمان** إلى **جامعة أمدرمان الإسلامية** بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم 390 بتاريخ 8 يونيو 1965، وأصبح كامل الباقر (1918-1995) مديراً للجامعة فى أغسطس 1965. **المصدر**: المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، ط1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2007، ص 109-111.

السودان"، وموظفو الشؤون الدينية النقد للأستاذ محمود ولمشروعه فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى، ولم يكن، كما سنرى لاحقاً، نقداً علمياً بقدر ما هو نقداً عدائياً. وما لبثوا أن شكَّلوا تحالفاً اسلامياً واسعاً وبامتدادات خارجية فى مصر والمملكة العربية السعودية، واستمروا فى نقدهم خلال عقد الستينيات، وزاد النقد قبيل وبعد محكمة الردة عام 1968، وتوسع فى السبعينيات، وتكثف فى النصف الأول من الثمانينيات، ثم انحسر، ولكنه لم يتوقف، فى النصف الثانى من الثمانينيات وما بعدها. ظهر النقد فى شكل كتب وأوراق علمية ومقالات صحفية، وفى منابر المساجد، إلى جانب الأطروحات الجامعية التى قدمها سودانيون داخل السودان بجامعة أمدرمان الإسلامية، وخارج السودان بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية. اتسمت هذه الدراسات بغياب الورع العلمى، وتأخير الوثيقة وتقديم الغرض، وبالنقل فيما بينها، ونحت إلى التشهير والتضليل، فمثلت أنصع صورة للصدام بين الجديد والقديم، وهذا ما سأقف عليه من خلال تناولى لهذا النوع من الدراسات النقدية ضمن هذا الفصل تحت عنوان: "نقد مرحلة الفقهاء: صدام الجديد مع القديم". سأحاول فى تناولى الإجابة على التساؤلات التالية: إلى أى مدى كان التأثير الخارجى متحكماً فى طبيعة الحوار بين الأستاذ محمود وعلماء السودان وفقهائه؟ هل كان علماء السودان وفقهاؤه أصلاء فى نقدهم للأستاذ محمود؟ هل استنجد علماء السودان وفقهاؤه بعلماء الأمة الإسلامية وشكَّلوا معهم تحالفاً إسلامياً واسعاً ضد الأستاذ محمود؟ إن كان ذلك كذلك، ما هى آثار وظلال ذلك التحالف على المناخ العام فى السودان آنئذ ومستقبلاً واليوم؟ كيف نقل "علماء السودان" معاركهم مع الأستاذ محمود إلى مساجد السودان؟ وما دور الوعاظ والأئمة وخطباء المساجد فى بناء التحالف الداخلى المتصل بالتحالف الخارجى ضد الأستاذ محمود ومشروعه وتلاميذه؟ وفى مشهد الفشل فى مساجلة الأستاذ محمود ومع حالة العجز فى مواجهته فكرياً، هل سعى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) إلى استكتاب الأساتذة للرد على الأستاذ محمود؟

أما الدراسات النقدية ذات الطبيعة غير الفقهية، فقد اتسمت فى أغلبها بالموضوعية والتزمت بالشروط العلمية، وكان همها كما ورد فى نص حيدر إبراهيم على، أعلاه،"الارتقاء بالعقل السودانى وإثراء الفكر من خلال الاختلاف والتعدد". وجاء هذا

النوع فى مرحلتين: الأولى كانت قبل مرحلة الفقهاء، وهى فترة قصيرة نوعاً ما، وسأتناولها بإيجاز ضمن هذا الفصل فى محور بعنوان:"مرحلة ماقبل الفقهاء". أما المرحلة الثانية من الدراسات النقدية ذات الطبيعة غير الفقهية، فكانت بعد مرحلة الفقهاء،وهى فى تقديرى، جاءت متأخرة. فقد بدأ هذا النوع من الدراسات فى النصف الثانى من ثمانينيات القرن الماضى، وتوسعت مع خواتيم القرن العشرين، وزادت مع بداية هذا القرن، ولا تزال، فى نشاط وتوسع. صدر هذا النوع من الدراسات فى كتب وأوراق علمية ومقالات وأطروحات جامعية أعدها سودانيون داخل السودان **بجامعة الخرطوم**، وخارجه فى جامعات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب الحوارات على المنابر العامة على الإنترنت. سأتناول هذا النوع من الدراسات النقدية فى الفصل التالى من هذا الكتاب تحت عنوان: "نقد مرحلة ما بعد الفقهاء". سأحاول الإجابة على التساؤلات التالية: لماذا تأخر نقد المثقفين من غير الفقهاء للأستاذ محمود ولمشروعه؟ هل أرهب علماء السودان وفقهاؤه المثقفين السودانيين؟ هل تماهى المثقفون السودانيون مع الفقهاء؟ لماذا كان الأستاذ محمود وحده مع تلاميذه فى ميدان المعركة؟

إلى جانب ذلك فإننى سأشير إلى نماذج من الدراسات التى تناولت الأستاذ محمود ومشروعه فى ظل بروز خطاب نقد آثار الاستعمار الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتفكيك الذاكرة الاستعمارية، متزامناً مع أطروحات فكر ما بعد الحداثة. وقد تمظهر هذا الخطاب فى مدرستى دراسات الاستعمار، ودراسات ما بعد الاستعمار. يضاف إلى ذلك فأننى سأشير إلى نماذج من الكتابات الإبداعية مثل: الشعر والمسرح... إلخ، والتى عبر أصحابها من خلال نصوصها عن موقفهم من الأستاذ محمود ومن مشروعه. وسأتناول كذلك إهداءات الكتب. فقد سكب عدد كبير من المبدعين والمثقفين السودانيين ذواتهم وأودعوها فى نصوص إهداءات كتبهم ودراساتهم[1]، معبرين فيها عن احترامهم للأستاذ محمود واحتفائهم به وتخليداً لذكراه وذكرى مواقفه. كما أننى سأعطى لمحة مختصرة عن المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى كتابى هذا، ولم ترد الإشارة إليها ضمن هذا الفصل: "قراءة فى الدراسات السابقة".

(1) بعض هذه الكتب والدراسات والأطروحات الجامعية لم يكن موضوعها الأستاذ محمود أو مشروعه.

غنى عن القول أن بعض هذه الدراسات قد خضع لظروف ومعطيات محلية وأقليمية وعالمية، فهى بطبيعة الحال لا تنفصل عن الفضاء الثقافى الذى كان يدور فيه السودان، ولا يزال، حيث تأثير **الأزهر الشريف** بمصر، وعلماء المسلمين والمؤسسات الإسلامية، مثل **رابطة العالم الإسلامى** بالمملكة العربية السعودية، وغيرها. وغنى عن القول أيضاً أنه يصعب تغطية كل هذه الدراسات فى مساحة هذا الفصل، ولهذا فأننى سأتناول نماذج منها، كما أننى سأشير لمعظم تلك التى لم أتناولها من خلال إيراد الخطوط العريضة والمعالم. تجدر الإشارة إلى أننى بصدد إعداد دراسة بعنوان[1]: **محمود محمد طه: دراسة بيليوجرافية وثائقية تحليلية**. وهى دراسة تسعى لرصد وحصر ما نشر عن الأستاذ محمود وعن مشروعه وتلاميذه من حيث الكم والنوع، وبغرض وصف خصائصها وتحليلها ودراسة طبيعتها. وهذه الدراسة غير الدراسة الببليومترية التى تسعى لدراسة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود من حيث الكم والنوع. وقد ردت الإشارة لذلك آنفاً.

حوارات مرحلة ما قبل نقد الفقهاء[2]

الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على: مقاربة أولية

أخى محمود محمد طه... أنا أعرف منذ أمد بعيد، حبك للإنسانية، واهتمامك بمصيرها، واخلاصك فى هذا الحب، وشجاعتك فى الإفضاء بما تراه صواباً وخيراً[3].

---

(1) أثناء إعدادى لهذا الفصل اتضح أن حجمه سيكون كبيراً، فاقترح علىّ عصام عبدالرحمن أحمد البوشى أن أضمن هذا الفصل جزءاً مختصراً من المادة التى أعددتها، على أن أنشر المادة كلها فيما بعد فى كتاب منفصل. أخذت باقتراح البوشى فاختصرت مادة الفصل، ولاحقاً سأنشر المادة فى كتاب بالعنوان المشار إليه أعلاه، وهو عنوان مبدئى.

(2) سأقدم فى هذا المحور مجرد إضاءات وإشارات مختصرة ومقاربات أولية، ذلك لأن الحوارات التى تمت فى هذه المرحلة مع الأستاذ محمود، من الأهمية بمكان أن يخصص لها كتاب قائم بذاته، فقد تمت حوارات كبيرة بين الأستاذ محمود ومثقفين عديدين وفى موضوعات متنوعة كما سترد الإشارة إليها، خاصة الحوار الذى جرى بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، فهو حوار جدير بالدراسة، وربما توفر له فى يوم ما أحد الباحثين.

(3) محمد محمد على، "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"، **محاولات فى النقد**، المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون، مطبعة الثقافة والاعلام، الخرطوم، 1958، ص 17-21. تصويب: ورد فى هامش هذا الكتاب أن مقال "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"، نشر فى **صحيفة الجمهورية** فى يوم 1956/5/3،=

آراء الأستاذ محمود مهما كان موضوعها تستحق المناقشة وإمعان النظر[1].

الشاعر محمد محمد على (1922-1970)

شهدت فتـرة الخمسينيات من القرن الماضى، حوارات ومساجلات كبيـرة بين الأستاذ محمود وبعـض المثقفين من الأدباء والكتاب، ونشرت آنئـذ فى الصحف المحلية. تمت هذه الحوارات قـبل أن تتمكن سلطة الفقـهاء وتتجلى سـيطرتهم وهيمنتهـم فى اختطاف منابر الحوار وسـوح السجال بلا إمكـانيات فكرية وبلا قدرات جـدالية فى عقـد الستـينيات من القرن الماضى. فقد تجلت هيـمنة الفقه والفقهاء فى الكثيـر من الوقائع والأحداث، كان من أوضحها تكفير ثلاثة من طلبة **المعهد العلمى** من تلاميذ الأستاذ محمود عام 1960، وتطور **معهـد أمدرمان العلمى** وتحويله إلى جامـعة عام 1965، وحل **الحزب الشيـوعى السودانى** وطرد نوابه من البرلمان، ثم اصدار محكمة غير مختـصة، حكماً جائراً بردة الأستاذ محمود عن الإسلام عام 1968، وغيـرها، وسيأتى تفصـيل هذه الأحداث والوقائع لاحـقاً. بدأت المساجلات مع الأستـاذ محمود فى النصف الأول من عقد الخمـسينيات من القرن الماضى، وهو العقد الذى شهد، فى تقديرى، حـضوراً قوياً للمثقف بأدواته وبرؤاه النقدية فى الفكر والسـيـاسـة والثـقـافة والـدين...إلخ، ولم يكن الفـقـهـاء طرفـاً فى بادئ الأمـر. تناولت المساجلات والحوارات مع الأستاذ محمود مـوضوعات شتى منها: الأدب والجنس والثقافة والفلسفـة والدين، وكان من قادتهـا الشاعر مـحمد محـمد على (1922-1970) والعلامة عبـدالله الطيب (1921-2003)، ومـحمـد خيـر عـثمـان (1928-???)، ومحـمد المهدى المجذوب، ومحـمد محمـد الدسوقى النويهى (1917-1980) وغيـرهم. نشرت بعض هذه المساجلات فـى صحيفة الجـمهورية، وصحـيفة صوت السـودان، ونشر جلها فى صحـيفة السـودان الجديد، فى باب "نظرات فى الثـقافـة". كان بعض هذه الحـوارات والمسـاجلات

= وهذا غير صحيح، ذلك لأن مقال الأستاذ محمود الذى عقب فيه على مقال محمد محمد على نشر فى **صحيفة الجـمهـورية** فى العدد الرابع بتـاريخ 5 فـبراير 1954 (أنظر ملحق رقم: "28"، حيث العـدد الرابع من **صحـيفـة الجمهورية** الذى تضمن تعقيب الأستـاذ محمود على الشاعر محمد محـمد على)، ولما كان من الطبيعى أن يكون مقال محـمد محمد على قبل تـعقيب الأستاذ محمـود عليه، فإنه فى الغالب أن يكون قد نشـر فى العدد الثانى أو الثالث من **صحيفة الجمهورية** عام 1954 وليس عام 1956 كما ورد فى كتاب محمد محمد على.

(1) محمد محمد على، "الأدب والدين"، **محاولات فى النقد**، مصدر سابق، ص 115-123.

يتكئ على ندوة عبدالله حـامد الأمين (1934-1976)، وعلى ما يدور فيهـا من حوار. كما كانت هناك حوارات بشأن القومية العربية نشرت في **صحيفة السودان الجديد**. شارك فيها بالإضافة للأستاذ مـحمود، عبداللطيف عمر حسب الله، وأحمـد بدران (جامعة القاهرة)، وسعيد ميرغني حمور.

ندوة عبدالله حامد الأمين[1] وتغذية سوح الحوار والسجال

إن قدرات طه، في أن ينقـل رسالة مهـمة عبر الحوار، وأن يلهم السودانيين، فى كل مـستـويات المجتـمع، تشكل لوحـة لمعلم عظيم من العالم الثالث.

ستيف هاورد

Taha's abilities to impart an important message through dialogue and inspire Sudanese at every level of society frame a portrait of a significant Third World teacher[2].

Steve Howard

شهدت أمدرمـان والخرطوم وعدد من مدن السودان، العديد من المنتديات والجـمعيات والجماعات والدور والمجالس والصالونات الأدبيـة والحوارية، وكان من بينها ندوة عبدالله حامد الأمين بأمدرمان. لقد اتكأت بعض المساجلات التى تمت بين الأستاذ محمود وبعض المثقفين على الحوارات التى كانت تتم فى هذه الندوة، والتى كـان يؤمها الكثير من الكتاب والأدباء. كتب الأستـاذ محمود فى صدر مـقال له نُشر **بصحيفـة السودان الجديد**، بعنوان: "الأدب والدين"[3]، قائلاً: "فى الأسـبوع المنصرم كنت فى بـعض زيارتى للأستاذ عـبدالله

---

(1) عبدالله حامد الأمين العمرابى، وُلد بأمـدرمان، انقطع عن الدراسة وهو فى السنة الثانية بالمرحلة الثانوية بسبب مرض ضمور الأعصـاب، ولكنه لم يستسلم وواصل تثقيف نفسه بنفسـه وأنشأ الندوة الأدبية بمنزله عام 1953 وانضم إليها عدد كبير من الأدباء والمثقفين وكبار الأساتذة أمـثال: عبدالمجيد عايدين، وإحسان عباس، ومحمد النويهى، وكمـال شانتـير وجيلى عـبدالرحمن وغـيرهم. كان نائبـاً لرئيس اتحاد كـتاب آسـيا وإفريقيـا. أصدر مجموعة قـصص قصيرة بعنوان: **تحت الشمس من جديد**، تغنى له عثمان حسين ومـحمد الحويج "كلمة منك حلوة"، تزوج فتاة مصرية وانجب منهـا ثلاث بنات. المصدر: عون الشريف قاسم، **موسوعة القـبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والاماكن**، ج4، مرجع سابق، ص 1459-1460.

(2) Steve Howard, “Mahmoud Mohamed Taha: a remarkable teacher in Sudan”, *Northeast African Studies*, 1989, v. 10 #1.

(3) محمود محمد طه، "الأدب والدين"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3867، الأربعاء 1959/12/9.

حامد الأمين حيث شهدت عنده ندوة أدبية احتشد لها عدد كبير من كبار الأدباء في طليعتهم الأستاذ الدكتور إحسان عباس والأستاذ جيلي عبدالرحمن وكمال شانتير وحامد حمداي ومحمد المهدي مجذوب وغيرهم". ثم تناول الأستاذ محمود موضوع الندوة قائلاً: "وكان موضوع الندوة الشعر الحديث يقدمه الأستاذ جيلي عبدالرحمن على مرحلتين يذكر في أولاهما نماذج من شعره وتشعب النقاش وكان ممتعاً.. وحين قرأ علينا الأستاذ جيلي قصيدته الأخيرة اعترض الأستاذ حمداي على موسيقاها فدافع عنها الدكتور إحسان عباس واشترك في الدفاع الأستاذان عبدالله حامد الأمين وكمال شانتير". واستمر الأستاذ محمود في استعراض النقاش الذي دار في الندوة، حتى قال: "ثم لم يلبث الأستاذ كمال شانتير أن ذكر أن الشعر يجب ألا يكون فكراً وإنما شعوراً يعكس (عفوية الشاعر).. فقامت تلك البادرة في ذهني فاستأذنت الأستاذ عبدالله حامد في الحديث فأذن لي فقلت: إن القصيدة الأخيرة تسوق صوراً غريبة وكثيرة ومتنافرة وقد ذكرنا الدكتور إحسان عباس أن الشاعر كأنما يقص علينا حلماً ثم ذكرنا الأستاذ شانتير أن الشعر يجب ألا يكون فكراً وإنما شعوراً يعكس داخلية الشاعر على هيئتها.. فهل يخطئ بعد كل هذا من يرى أن الشعر الحديث وسيلة لإعطاء العقل الباطن فرصة التعبير عن نفسه من غير أن يشوش عليه؟ فكانت هناك شبه موافقة من الدكتور إحسان والأستاذ شانتير فقلت: إذن يتبع هذا أمر خطير هو أن الشعر الحديث انبعث من حالة القلق والاضطراب الذي نعيش فيه، وجرى على إثر ذلك حديث ممتع من الدكتور إحسان عباس عن العقل الواعي والعقل الباطن وأثرهما في الشعر الحديث. وقال محمد المهدي المجذوب أنه لا يعتقد أن الشعر الحديث سيزول لأن القلق سيظل قائماً...". واستمر الأستاذ محمود في إيراد المداخلات وتعليقاته عليها في الندوة، وفي الرد عن آخر ما قاله في الندوة كتب الأستاذ محمود قائلاً: "فرد الأستاذ شانتير بما لا يخرج عن حديثه الأول، ولم أشأ أن أثقل على المنتدين.. لا سيما وأنا عليهم ضيف".

لقد ساهمت ندوة عبدالله حامد الأمين في تغذية سوح السجال والحوار في دوائر المثقفين، وخرجت منها حوارات واسعة وكبيرة. ولم تكن تلك الحوارات ذات طبيعة فقهية بأي حال من الأحوال. لم تكن كل الحوارات مع الأستاذ محمود، بالطبع، نابعة من ندوة

عبدالله حامد الأمين، فهناك حوارات كانت بعيدة عن الندوة. فقد تمت مراسلات بين الأستاذ محمود ومحمد النويهى، فقد كتب الأستاذ محمود فى 6 سبتمبر 1952 تعقيباً على تعليق كتبه محمد النويهى على كتاب للجمهوريين، كتب الأستاذ محمود فى تعقيبه قائلاً[1]: عزيزى الدكتور محمد النويهى، حفظه الله، نشكر لك، أجزل الشكر، جوابك الممتع حقاً فى التعليق على كتيب الجمهوريين. ومما لا شك فيه، أن ملاحظاتك عليه قيمة، تستحق المناقشة، والتعقيب. وقولك عما ورد فى مبدأ الجمهوريين عن الحرية الفردية المطلقة". ثم أورد الأستاذ محمود قول النويهى الذى قال: "ولست أدرى أتعنون الحرية الفردية المطلقة أم أنساق القلم انسياقاً انشائياً- فإننى لا أومن بالحرية المطلقة للفرد فى أى مجتمع منظم ولا أصدق بإمكان تحقيقها- ولو تحققت لاستحال المجتمع إلى فوضى تامة وتهدم فى زمن وجيز". ثم كتب الأستاذ محمود فى تعقيبه على النويهى قائلاً: "نحن نعنى الحرية الفردية المطلقة، والتعليل يسير، ذلك أن كل فرد من أفراد المجموعة يختلف عن كل فرد آخر، تمام الاختلاف. وكمال كل فرد هو أن يكون نفسه، هو أن يحقق فرديته التى تميز بها عن سائر أفراد القطيع البشرى.. وهذا يقتضى تحرير الفرد تحريراً كاملاً عن كل الاعتبارات الخارجية، فلا يتقيد إلا بقيود مداركه، وفهمه، وشعوره، وليست الحرية الفردية المطلقة متناقضة مع قوانين الجماعة، وإنما هى امتداد لها.. ولا ينالها الفرد إلا بفضل المعرفة التى تجعله فوق القوانين.. لأنه قد ترفع أن يأتى من الأعمال ما يؤذى صالح الجماعة.. بل أنه قد وظف نفسه لصالح الجماعة بل أنه ليترك مالا بأس به، خوف ما به بأس... إلخ.

كان هناك سجال رفيع تم بين الأستاذ محمود ومحمد خير عثمان. كما نشر الأستاذ محمود ضمن سجاله مع محمد خير عثمان تعليقاً على قصيدة محمد المهدى المجذوب. كان ميدان هذا السجال **صحيفة السودان الجديد**، وكان موضوعه الأدب والجنس. فقد نشر محمد خير عثمان مقالاً فى ثلاث حلقات بعنوان: **الأدب والجنس**[2]. كانت حلقات محمد خير عثمان طويلة، وكل واحدة منها أكثر من صفحة من صفحات الصحيفة،

---

(1) محمود محمد طه، "تعقيب على تعليق الدكتور محمد النويهى"، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، أمدرمان، 1973، ص 24.

(2) محمد خير عثمان، "الأدب والجنس"، (ثلاث حلقات)، **صحيفة السودان الجديد**، الأعداد: 3803، 3809، 3815، فى أيام: 16، 23، 30 سبتمبر 1959.

وتناول فى حلقاته الثلاث موضوعات عديدة منها: أوصاف الأدب المكشوف وأدب الجنس، ومدى أهميته كتعبير عن الحياة الاجتماعية، وتناول آراء فرويد عن الجنس، والغريزة الجنسية، وغاية الجنس، ووقف عند كيف أن الناس عبيد للجنس. وتحدث عن الأدب والرسالة، والأديب والرسالة، والتحيز للجمال والمستقبل وللإنسان على أعداء الإنسان. وأشار إلى الديانات السماوية وغير السماوية وطقوس الزواج والغريزة الجنسية ومراحل تطورها وقابليتها للتطور. وتحدث عن العقل الباطن والهيمنة والإسكات للثورة فى النفوس، وتناول الأخلاق والضمير، وتعبير الإنسان عن الشهوات، والجنس والجسد والفوضى والفرد. وتحدث عن الأدب والفن والجنس، والأدباء والمجتمع والغايات السامية، والأدب والحب وقصة الإنسان، والأدب الذى يقوم على نداء الجسد... إلخ. كما جاء نشر محمد المهدى المجذوب لقصيدته متزامناً مع الحلقة الثالثة من مقال محمد خير عثمان فى ذات الصحيفة، كانت القصيدة بعنوان: "فى الوحول العفنات ينبت الزهر"، يقول المجذوب فى مطلعها:

يزور أسرتى السقم..

فأسقم..

وأجرع الهموم والغموم والكدر

وأدمن السهر

وكيف نسلم..

وملء دارنا الذباب والتراب والقذر

وحول دارنا عفونة الوحل..

بريحها يختق الأجل!

■●■

وحول دارنا جداول ركود..

سلاسل من طحلب يفور،

كأنه صديد..!!

تغثى له النفوس

وحيُنا في عفن حبيس..
بلسعة الناموس
لا الدهن يحمينا ولا البخور..
ولا تمائم الفقير..
ولا صياح الناس يا لطيف يا خبير

كتب الأستاذ محمود مقالاً علق فيه على حلقات محمد خير عثمان، وقصيدة محمد المهدى المجذوب تعليقاً مطولاً، وذلك في يوم 28 أكتوبر 1959. كتب الأستاذ محمود في مدخل مبيناً مناسبة كتابة مقاله، فقال: "أكتب لأن كلمتين أثارتاني إلى الكتابة... أولهما للأستاذ محمد خير عثمان بعنوان: "الأدب والجنس" وآخرهما للشاعر محمد المهدى المجذوب بعنوان: "في الوحول العفنات ينبت الزهر"، وقد ظهرتا كلتاهما **بصحيفة السودان الجديد** الغراء بعدد الأربعاء 30 سبتمبر"[1]. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "أما كلمة الأستاذ محمد خير عثمان فهي القسط الثالث من بحث منجم عقده الأستاذ الفاضل حول هذا الموضوع الدقيق ولقد اهتممت بها منذ الوهلة الأولى وإن لم يقم ببالي يومئذ أني سأتعرض لها بالنقاش". ثم أورد الأستاذ محمود جزءاً من حديث محمد خير عثمان، ثم كتب قائلاً: "هذا جميعه حديث الأستاذ محمد خير عثمان وهو حديث طريف ولا ريب ويحتاج إلى نظر، وأول ما يطالعك منه العناية بالجماعة وإهمال الفرد بوصفه فرداً".
ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً:

والأستاذ محمد خير يواصل حديثه فيقول: وكل الأدب الذى يتحدث عن الحب إنما هو في الحقيقة يتحدث عن قصة واحدة، قصة خالدة، ألا وهي قصة بقاء النوع.. يتحدث عنها لا كما يتحدث علم النفس أو علم الأحياء ولكن كما يتحدث الفن والشعر والأدب، إنها قصة الإنسان في الحياة وإن تلخصت جميعها في كلمات معدودة لقاء فحب فزواج فإنجاب! قصة واحدة وإن تحدث عنها كل أديب بطريقته وعلى مذهبة وفلسفته وحسب موهبته ومقدرته الفنية.

(1) محمود محمد طه، "حول الأدب والجنس"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3832، الأربعاء 1959/10/28.

وبقاء النوع غاية اجتماعية عليا، بل لعلها الدافع اللاشعورى القوى الذى من أجله قام التزاوج ونشأت الأسرة وتكونت المجتمعات.

ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "هكذا يحدثنا الأستاذ محمد خير عثمان وفى حديثه هذا يبرز المجتمع ويختفى الفرد بوصفه فرداً اختفاءً يكاد يكون تاماً ولقد كنت حرياً أن أدع هذا الحديث يمر لما به لولا أمران أولهما أننا نبنى فى الوقت الحاضر مجتمعنا السودانى وأحب لبنائنا أن يكون على هدى مستبصر وثانيهما أننا نعيش فى زمن طغت فيها الجماعية على الفردية طغياناً موبقاً ولست أخشى على الإنسانية شيئاً ما أخشى عليها مغبة هذا الطغيان الآثم". ثم نبه الأستاذ محمود فى تعليقه على كلام محمد خير قائلاً: "وأول ما يجب التنبيه إليه هو أن "الدافع اللاشعورى القوى الذى من أجله قام التزاوج ونشأت الأسرة وتكونت المجتمعات" ليس هو بقاء النوع وإنما هو على التحقيق بقاء الفرد وقد جاء بقاء النوع تابعاً لا متبوعاً". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "وثانى ما يجب التنبيه إليه هو الخطأ فى قول الأستاذ الفاضل "والجوع مثلاً بصورته البدائية الأولى لا يصلح للفن وأى فن فى قصة شخص جاع فأكل". ووجه الخطأ أن الجوع بصورته البدائية الأولى لا يصلح للفن فحسب وإنما هو فى ذاته تعبير فنى بليغ وأس الخطأ فى تفكيرنا المعاصر هو ميلنا إلى تقسيم الغرائز إلى أقسام شتى. فإنما هى الحياة تسعى للاستزادة بطاقات شتى فى مستويات شتى وأدنى مراتب الحى المستزيد من الحياة حفاظه على حياته، ولذلك فقد أصبح سعى الحى طلباً للذة وفراراً من الألم وهذا ما يجعل الجوع بصورته البدائية الأولى تعبيراً فنياً بليغاً". واستمر الأستاذ محمود فى تعليقه على مقالات محمد خير عثمان مستعرضاً ومبيناً نقاط الاختلاف فتحدث الأستاذ محمود عن الفرد الغاية والجماعة الوسيلة، وتقديم البعض للجماعة على الفرد فينتج عن ذلك هزيمة الوسيلة للغاية. وتناول الأستاذ محمود الكبت والغرائز والإرادة والأدب المكشوف والاختلاط والسفور...إلخ.

انتقل الأستاذ محمود فى نفس المقال إلى الحديث عن قصيدة الشاعر المجذوب، فكتب الأستاذ محمود قائلاً: "والأدب المكشوف يسوقنى بقرينة إلى كلمة الشاعر محمد المهدى مجذوب وهى قصيدة من الشعر المنثور المقفى، إن صح هذا التعبير، وهى واقعية بشكل مزعج وفيها جمال يحسه المرء ويحار فى مصدره أهو فى بساطتها واطراحها التكلف أم

فى صدق واقعيتها أم فى تفانيها المتصوف فى تأدية رسالتها الإصلاحية". ثم أضاف الأستاذ محمود وهو يتحدث عن قصيدة المجذوب فكتب قائلاً: "ولولا أن هذه الكلمة قد طالت لسقت للقارئ طرفاً منها ولكنى أيضاً أفضل له أن يرجع إليها لأن طرفاً منها لا يغنى عن سائرها ولقد قرأتها غير مرة وقلت لأحد أصدقائى لو كنت أملك من سلطة الإصلاح أمراً لسألت الشاعر عن الحى الذى يسكنه فزرته وقمت بشىء ما من أجله ومن أجل ما يشاكله من الأحياء.. فإن لم يكن ذلك باسم حب الاصلاح فباسم محاربة القبح". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "إن الصدق من شمائل التصوف وهو دائماً يعين على البر.. ووصف الأمور وصفاً موضوعياً دقيقاً صادقاً يخرج عن الأدب ويلحق بالعلم ويدفع إلى الإصلاح وحين يظفر الجنس بشرح موضوعى صادق دقيق سيصبح التعليم كاملاً والإصلاح مفروغاً منه والصلاح حظاً مشاعاً بين سائر الناس". وختم الأستاذ محمود قائلاً: "ومحاولات كتاب الجنس الذين أزرى عليهم الأستاذ محمد خير عثمان محاولات قاصرات وهم من ذلك عندى فى عذر مديد.. وستكتمل محاولاتهم حين تصبح علماً، علم نفس أعنى ويومئذ ينفتح الطريق إلى الخلاص من عيوب السلوك جميعها وفى كل صورها غليظها ودقيقها... ما ظهر منها وما بطن. هذا وللأستاذين منى عاطر التحيات".

حوارات بشأن القومية العربية

إن الفهم ينبع من الاختلاف[1].

جان كلود شميث

شهدت **صحيفة السودان الجديد** حوارات واسعة عن القومية العربية، قامت على محاضرات الأستاذ محمود وكتاباته عن القومية العربية. كان الأستاذ محمود يعتبر الدعوة للقومية العربية دجلاً، وأنها دعوة باطلة وضيقة وعنصرية. سيرد لاحقاً الحديث عن موقف الأستاذ محمود من الدعوة القومية العربية، ومواجهته لقادة ثورة 23 يوليو 1952 فى مصر، من خلال رسائله إلى الرئيس جمال عبدالناصر. فقد أرسل أولى رسائله إلى عبدالناصر

(1) جان كلود شميث، "تاريخ الهامشيين"، ضمن جاك لوغوف، **التاريخ الجديد**، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصورى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، 438.

فى يوم 3 سبتمبر 1955 (أنظر ملحق رقم: "32")[1]. وكانت الرسالة الثانية فى يوم 18 أغسطس 1958 (أنظر ملحق رقم: "33").كما أصدر بياناً فى يوم 1958/8/23 مطالباً فيه بانسحاب السودان فوراً من جامعة الدول العربية، (أنظر ملحق رقم: "34").كما نُشر تحت عنوان: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"[2].وهذا ما سيتم تناوله فى الفصول القادمة من هذا الكتاب.

كان الأستاذ محمود قد قدم فى مساء يوم الجمعة 31 يناير 1958 محاضرة بمدنية ود مدنى وتحدث فيها عن القومية العربية حديثاً موسعاً، ووصف القومية العربية قائلاً: "إن القومية العربية تكتل عنصرى"[3]. ونشرت المحاضرة فى الصحف المحلية. كتب أحمد بدران "جامعة القاهرة" معلقاً على محاضرة الأستاذ محمود عن القومية العربية، بمقال بعنوان: "محمود محمد طه والقومية العربية"[4]. رفض قبول رأى الأستاذ محمود عن القومية العربية، وقال بدران: "كان من الممكن أن يقبل فى القرون الماضية وليس فى عصرنا الحاضر". كتب عبد اللطيف عمر حسب الله معقباً على ما كتبه أحمد بدران بمقال جاء بعنوان: "حول محمود محمد طه والقومية العربية"[5]. وقال عبداللطيف: "إن الأستاذ أحمد بدران لو كان قد وهب الشذرات التى نقلت عن المحاضرة قليلاً من التفكير لوفر كثيراً مما رمى به الأستاذ محمود". وأضاف عبداللطيف قائلاً: "العالم كما قال الأستاذ محمود توحد جغرافياً وصار الصراع فيه مذهبياً لا عنصرياً". لم يتوقف الجدل عن آراء الأستاذ محمود عن القومية العربية ففى يوم 1958/3/6 كتب سعيد ميرغنى حمور مقالاً بعنوان: "حول القومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية". عبر عن اختلافه فى الرأى مع

---

(1) محمود محمد طه، "**من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر**"، **صحيفة الاستقلال**، العدد: 81، السنة الأولى، بتاريخ 1955/9/3.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدرمان"، **صحيفة أنباء السودان**، 18 أكتوبر 1958.

(3) "السيد محمود محمد طه يقول فى واد مدنى إن القومية العربية تكتل عنصرى"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 2325، بتاريخ 1958/2/6.

(4) أحمد بدران، "محمود محمد طه والقومية العربية"، **صحيفة السودان الجديد**، الثلاثاء 1958/2/18.

(5) عبداللطيف عمر حسب الله، "حول محمود محمد طه والقومية العربية"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3337،الثلاثاء 1958/2/20.

الأستاذ محمود بشأن القومية العربية. عقب الأستاذ محمود على مقال حمور بمقال جاء بعنوان: "حول القومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية"[1]. قال الأستاذ محمود فى صدر تعقيبه على حمور: "يبدو أنى وإياك نحلم نفس الحلم ولكنا نأوله تأويلاً مختلفاً". ثم تابع الأستاذ تعقيبه على حمور. وفى يوم 1958/3/6 كتب سعيد ميرغنى حمور معقباً على تعقيب الأستاذ محمود، بمقال جاء بعنوان: "حول القومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية"[2]. قال حمور فى صدر مقاله: " أولاً أود أن أشكر الأستاذ محمود محمد طه على رده الكريم واهتمامه البالغ لمثل هذا الموضوع الذى أصبح محور النقاش فى العالم العربى". وتابع حديثه. الشاهد أن الحوار استمر طويلاً عن القومية العربية، ولكنه اتسم باللطف والأسس العلمية والروح الإنسانية.

الحوار بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على : مقاربة أولية

يعتبر نقاش الأستاذين محمود محمد طه ومحمد محمد على، من أرقى الحوارات السودانية[3].

حيدر إبراهيم على

كان الحوار بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على فى عقد الخمسينيات من القرن الماضى، حواراً كبيراً، فهو كما وصفه حيدر إبراهيم على "من أرقى الحوارات السودانية"، فهو كذلك، ويستحق أن يكون موضوع دراسة تُنشر فى كتاب قائم بذاته، بيد أنى سأقدم فى هذا المحور، إضاءات وإشارات مختصرة كمدخل لمقاربة أولية. لابد من تقديم لمحة تعريفية عن الشاعر محمد محمد على، فقد ولد بحلفاية الملوك، وتلقى تعليمه الأولى بمدينة رفاعة وحلفاية الملوك. تزوج من ابنة خاله ثريا محمد جماع، شقيقة صديقه

---

(1) محمود محمد طه، "حول محمود محمد طه والقومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3345، الخميس 1958/3/2.

(2) سعيد ميرغنى حمور، "حول محمود محمد طه والقومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3349، الخميس1958/3/6.

(3) حيدر إبراهيم على، "التجديد والمغايرة عند محمد محمد على: فى الذكرى الاربعين"، (حلقتان)، **صحيفة الصحافة**، الخرطوم، 19/18 أكتوبر 2010.

الشاعر إدريس جماع (1922-1980).تخرج فى المعهد العلمى بأمدرمان عام 1945. نال ليسانس العلوم، دار العلوم، **جامعة القاهرة**، كما نال دبلوم معهد التربية من **جامعة إبراهيم** عام 1951. وفى عام 1968 نال درجة الماجستير من كلية دار العلوم **بجامعة القاهرة**، وكان موضوع رسالته: **الشعر السودانى فى المعارك السياسية** (1821-1924). عزم على إنجاز الدكتوراة فسافر عام 1969 إلى مصر وأكمل إجراءات تسجيله معتزماً تتبع الموضوع الذى درسه فى الماجستير من سنة 1924 إلى طلائع الاستقلال، وعندما عاد إلى السودان اشتد عليه المرض فتوفى فى يوم 28 سبتمبر 1970 [1]. عمل بالصحافة السودانية خلال الفترة من عام 1946/1945، ومدرساً للغة العربية وآدابها بالمدارس الثانوية، ورئيساً لشعبة اللغة العربية **بمدرسة وادى سيدنا الثانوية**، ومحاضراً **بمعهد المعلمين العالى بأمدرمان**. من مؤلفاته: **من جيل إلى جيل**[2]، **محاولات فى النقد**[3]، **ألحان وأشجان** [4] **(ديوان شعر)**، **الشعر السودانى فى المعارك السياسية** (1821-1924)[5]، **وظلال شاردة**[6] (ديوان شعر).

من المهم الإشارة إلى أن العلاقة بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على كانت علاقة صداقة، فهما أصدقاء. وقد وسم كل منهما العلاقة بينهما بالصداقة. يقول أحمد محمد الحسن، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، وكان قد التقى بالشاعر محمد محمد على عام 1970، فى مكتب استقبال الإذاعة السودانية بأمدرمان، وكان أحمد يقوم بتوزيع كتب الفكرة الجمهورية فى الإذاعة، ضمن ما يعرف بحملة الكتاب التى كان يقوم بها تلاميذ الأستاذ محمود، يقول أحمد: "كنت أجلس فى مكتب الاستقبال وكان يجلس قبالتى رجل خمسينى تقريباً ويلبس جلابية وعمه بسيطة، فقال لى: شايل شنو [ماذا تحمل] يا ولدى؟ فقلت له: دى مؤلفات الأستاذ محمود محمد طه. فقال الشاعر محمد محمد على:

---

(1) فاطمة القاسم شداد، **محمد محمد على شاعراً: دراسة تحليلية نقدية**، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2009، ص 64.

(2) محمد محمد على، **من جيل إلى جيل**، شركة الأيام، الخرطوم، 1945.

(3) محمد محمد على، **محاولات فى النقد** ، مصدر سابق.

(4) محمد محمد على، **ألحان وأشجان**، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1960.

(5) محمد محمد على، **الشعر السودانى فى المعارك السياسية** (1821-1924)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1969.

(6) محمد محمد على، **ظلال شاردة**، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1971.

"يا سلام الأستاذ محمود ده حبيبنا وصديقنا، بتقدر تقابلوا اليوم يا ولدى؟ فقلت له: نعم. فقال لى: تقول له صديقك وحبيبك الشاعر محمد محمد على فى أشد الشوق إليك، وما منعنى من زيارتك إلا المرض"[1]. يقول أحمد محمد الحسن نقلت عبارة الشاعر محمد محمد على إلى الأستاذ محمود، فقال الأستاذ محمود: "نعم الشاعر محمد محمد على صديقنا، كيف حاله وكيف وجدته"، ثم أثنى عليه[2].

كانت الحوارات بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، فى موضوعات وقضايا عديدة منها: قضايا الدين والفكر والفلسفة والاجتماع والأدب والتعليم والسياسة والتجديد ...إلخ، وجاءت تحت عناوين مختلفة، وكلها منشورة فى الصحف اليومية. وبعضها أعيد نشره فى إصدارات كل منهما. بدأ الحوار بتعليق من الشاعر محمد محمد على، على خطاب كان الأستاذ محمود قد أرسله إلى الدكتور توريز بوديت مدير عام **منظمة اليونسكو**، كان الخطاب بعنوان: "إعداد الإنسان الحر: الدكتور توريز بوديت مدير عام منظمة اليونسكو"[3] . استهل الأستاذ محمود خطابه إلى مدير عام منظمة اليونسكو قائلاً:

ثلاثة أمور وردت فى تقريركم، لست أبالى إن لم يرد فيه غيرها.. فهى حسبى، وحسب كل مفكر... ثلاثة أمور، وسيلتان، وغاية: أما الغاية فهى "إعداد إنسان حر يعيش فى مجتمع عالمى".. وأما الوسيلتان فإحداهما: "التعليم الجديد"، فى قولكم: "وغير أن ذلك يفرض على البشر أن يدركوا مسئوليتهم فى عالم تلتحم فيه العلاقات الدولية، فتلقى على الأفراد واجبات عديدة، لا يعدهم للقيام بها إلا نوع جديد من التعليم"، وثانيتهما النظام العالمى الذى أشرت إليه إشارة بعيدة بعبارة: "خطة مشتركة" فى قولك: "إن البشر يعيشون فى عالم قلق، لا يكفى فيه أن توفر الحكومات أسباب التربية، والعلوم، والفنون، والآداب،

(1) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، تمت المقابلة فى الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 15:30 وحتى الساعة 19:30.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: الدكتور توريز بوديت مدير عام منظمة اليونسكو"، **جريدة صوت السودان**، 1953؛ محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: الدكتور توريز بوديت مدير عام منظمة اليونسكو"، **صحيفة الجمهورية**، العدد الأول، الاثنين 1954/1/15؛ محمود محمد طه، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، مصدر سابق، ص 30-37.

فى نطاق قومى، بل أن تضع خطة مشتركة تضمن إمداد التقدم الإقتصادى، والإجتماعى، فى العالم دون أن تنال من سيادة أمة، أو من خصائصها الثقافية.. فهى بذلك تستوحى المبادئ العالمية، وتقيم صرح السلام على أسس مستقرة قويمة".

ثم أضاف الأستاذ محمود فى خطابه لمدير عام **اليونسكو** قائلاً: "فأنت تريد أن تنجب الإنسان الحر، الذى يعيش فى مجتمع عالمى.. وأنت، لكى تحقق ذلك، تريد نظاماً، دولياً، مشتركاً، وإن شئت فسمه حكومة عالمية.. وتريد، إلى ذلك، نوعاً جديداً من التعليم.. هذا ما تريد.. ولا عبرة عندى بهذا الحذر الذى تبديه، عند الحديث عن الحكومة العالمية، بقولك: "دون أن تنال من سيادة أمة"، فإنه حذر دوافعه يمكن أن تلتمس فى هذا الحرص الشديد الذى يطالعك فى تمسك كل أمة بسيادتها الداخلية - وإلا فإنك تعلم، كما أعلم، أن الحكومة العالمية لا تقوم إلا على الحد من سيادات الأمم". ثم تناول الأستاذ محمود وقدم آراءه فى العديد من القضايا فى خطابه منها: الثورة فى الفكر، والوحدة الجغرافية، والحكومة العالمية، والتعليم الجديد، والتحرر من الخوف، والقرآن للجميع. ثم ختم الأستاذ محمود خطابه قائلاً: "إن الفرد هو مدار الوجود.. وكل شيء مسخر له، بما فى ذلك النظام الاجتماعى.. فما ينبغى أن يؤخذ من حريته إلا بالقدر الضرورى لصيانة ذلك النظام، الذى، بدونه، لا يتيسر للفرد الجو الملائم لتحرير مواهبه.. هذا ما عن لى أن أقوله، لك وللإنسانية جمعاء، وهو قول أريد أن أقدم به إلى الإنسانية الكتاب- كتاب الخلود- القرآن".

علّق الشاعر محمد محمد على، على خطاب الأستاذ محمود بمقال جاء بعنوان: "تكرموا بانزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"[1]. استهل محمد محمد على مقاله قائلاً: "أخى محمود محمد طه، تحيتى واحترامى، وبعد.. فقد قرأت العدد الأول من صحيفتكم الغراء **الجمهورية**، فسرنى حسن تنسيقها وحيوية الأبواب التى جعلتم منها مسرحاً للآراء ومضرباً للأفكار، وقد استوقف نظرى بصفة خاصة من بين المباحث التى اشتمل عليها العدد هذا الخطاب الضافى الذى أرسلتموه إلى **منظمة اليونسكو**، واعتبرتموه ممثلاً لدعائم **الحزب الجمهورى** وأسسه فى العقيدة والرأى". ثم تحدث عن معرفته لحب الأستاذ محمود

(1) محمد محمد على، "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"، **محاولات فى النقد**، مصدر سابق، ص 17-21.

للإنسانية، على نحو ما ورد فى نص قـوله فى صدر هذا المحور، ثم أضاف قائلاً: "وأعرف أن نزعة فلسفية صوفية تشد أفكارك إلى السـماء شداً عنيفاً، وتلوِّنها بلون مثالى لا تراه إلا عند أصـحاب "اليـوتوبيات" ولا أذكـر أنى قـرأت لك أو اجتـمعت بك وغـاب عن ذهنى أفلاطون والفارابى". ثم أشار بأنه لن يناقش كل ما ورد فى خـطاب الأستاذ محمود، الذى وصفه بالمثالى. وكتب قائلاً: "فسأتجاوز الحكومـة العالمية لأننى اعتقد أن الحكومة العالمية إذا قدِّر لهـا أن تقوم، فسيكون قـيامها نتـيجة لحسم المـشكلات والقضاء على المظالـم. ستـقوم حين يقبر الاستعمار والاسـتغلال، وتسود الناس روح المودة والعطف فينظر المرء إلى أخيه بعين الإنسان لا بعين الذئب. فـالتفكير فيها الآن وثوب إلى النتيجـة قبل إحكام المقدمات، وإعداد الوسـائل". وأضاف قائلاً: "سـأتجاوز الحكومة العـالمية إلى "التعليم الجـديد" فأنت ترى "أن التعليم الحالى مضلل كل التضليل، وتضليله نتيجة منطقية للنظرة المعاصرة للحياة وغاياتها. إننا نعيش الآن فى عصر آلى يتـغلغل أثر الآلة فى جميع وجوه نشاطه، حتى تعلَّم الإنسان أن يحـترم القواعد الآليـة، وأن يتمثل الآلة فى إنتـاجه الأدبى والفنى، وأن يستـمد مثـله العليا من دقـة الآلة، ومن قوتهـا، ومن صوتـها الموقع الموزون. وتبع كل ذلك نظامـه التعـليمى فهـو يحاول أن يخلـق نفسه بالـتعليم وبالمرانة آلة آدمـية شـديدة الدقة، مـوفورة الكفاءة كثيرة الإنتاج. وكذلك أصبح التعليم مهنياً فى أكثر أساليبه".

ثم دفع الشاعر محمد محمد على بنقده لرؤية الأستاذ محمود قائلاً: "أنت ترى أن هذه هى حال التـعليم اليوم، وإذا صحَّ ما ترى وكانت فكرتك مـستقاة من اسـتقصاء لا مـبالغة فيـه، فإن حـالة التعليم الحـاضرة سـيئة من غـير شك. ولكن مـا رأيك إذا قلت لك إن هذا اللون من العادات الفكرية والملـكات النفسية هو مـا نحتاج إليـه نحن الشرقيين، ليـحد من أطراف حريتنا المثاليـة الحالمة الهائمة وجـبريتنا الصوفية". ثم عـبر عن عدم موافقـة للأستاذ مـحمـود قائلاً: "على أننـى لا أوافقك (مع اعـترافي بنقـص وسوء مناهجـه) على أن هذه صورة صادقة للـتعليم والإنتاج فى وقتنا الحاضر. لأن مـعين العطف والشوق والنزوع إلى حيـاة أفضل وأكـرم من الحيـاة الماثلة لـم ينضب فى نفـوس البشر. فـالناس مذ كـانوا أبناء حاضرهم ورواد مـستقبلهم. وعندمـا كان عماد الحيـاة الحيوان، فإن إنتـاج الناس فى الحياة المادية والفكرية كان مـتأثراً بالحيوان ونشـاطه، مستشـرفاً إلى حياة أرقى وأكـمل". ثم أشار

إلى أن الصورة التى رسمها الأستاذ محمود للتعليم والإنتاج تحمل الشىء الكثير من أعراض التشاؤم. وهو يرى أن المؤثر القوى فى منهج التعليم وغاياته والإنتاج الفكرى ليس الآلة ودقتها، بل هو نوع الحياة الاقتصادية والاجتماعية الذى تخضع له الشعوب. ثم أضاف قائلاً: "وإذا سلَّمنا جدلاً بفساد التعليم والإنتاج فى صوره ومناطقه، وسلّمنا بأن الآلة هى العامل القوى فى توجيهه هذه الوجهة المادية الميكانيكية، فإن نوع التعليم الذى تدعو إليه فى خطابك شىء غير مفهوم. فأنت تقول: "إن غاية التعليم أن يحرر الإنسان من الخوف"، وتحريره يكون "بتصحيح تلك الصورة الخاطئة الشائهة التى قامت فى خلده عن الحياة وعن قانونها"". ثم قال: "وللقارئ الحق أن يفهم أنك تدعو إلى التربية العلمية، وإلى سيادة العلوم الطبيعية. فالعلم وحده هو الذى يستطيع بقدر ما وصل إليه من كشف، أن يعطى صورة صحيحة عن أصل الحياة وقوانينها، وأن يقصى عن أذهاننا الصورة الأسطورية الشائهة. وهذا ما حدث بالنسبة إلى الطبيعة، فإن خوف الإنسان منها قد زال بسبب تقدم العلم، وتصحيحه لكثير من أوضاع التفكير وأساليب البحث. ولم يعد للخوف من الطبيعة أثر إلا فى نفوس البدائيين".

وأضاف محمد محمد على قائلاً: "غير أن القارئ لا يستطيع أن ينعم بهذا الفهم، ويسير على الأرض مطمئناً يصغى إليك، ويفهم منك، بل يرى نفسه بالرغم من إرادته يبتعد عن الأرض ويدنو من السماء، محمولاً على جناحك الصوفى إلى عالم المثل الأفلاطونية. فيصبح الخوف شيئاً غير الخوف الذى يعرفه ويصبح التعليم ضرباً من الخواطر الصوفية الممعنة فى الخفاء". ثم طرح سؤالاً وأجاب عنه وفقاً لرؤيته قائلاً: "وأحب أن أسأل ما الذى يخيفنا اليوم؟ أما جوابى أنا فهو أننا نخاف العوز ونخاف المرض ونخاف العدوان على أنفسنا وعلى أرزاقنا. فإذا زالت أسباب الخوف بالرخاء والعدل والمساواة بين البشر فى الحقوق والواجبات، أمنا ورضينا بقسطنا من الحياة الحاضرة، وزاد تشوقنا إلى حياة أقرب إلى الكمال، وتطلّع المؤمنون إلى رضوان الله وكرامته فى حياتهم الأخرى". وتناول الخوف قائلاً: "ولكن الخوف الذى تتحدث عنه فى خطابك شىء موروث، كامن فى أعماق النفس راسب فى العقل الباطن، محجب بستار كثيف لا ينفذ منه العقل الواعى... وهذا الضرب من الخوف لا يعنينا فى مشكلة التعليم. وهو إذا كان معتدلاً أمر

لابد منه لحفظ ذواتنا من الكوارث، وليس من الخير أن نستأصله استئصالاً. فالخوف من الميكروب والخوف من الحريق... الخ، أمر مهم وسلاح لابد لنا من حمله". ثم تناول العلم وجوهر النفس وتحدث عن الأوهام والمخاوف الموروثة، وهنا أشار إلى بروز أفلاطون برؤيته صريحاً يتحدث فى خطاب الأستاذ محمود. وأشار إلى أن أرسطو قد قضى قضاءً مبرماً على علم النفس الأفلاطونى وهدم عالم المثل الصوفى بمنهجه العلمى.

ثم طرح الشاعر محمد سؤالاً على الأستاذ محمود قائلاً: أتظن أن مدير منظمة اليونسكو فهم عن القرآن شيئاً!؟ ثم أضاف قائلاً: "أما أنا فلا أرى مانعاً من الشعر، وقد سرتنى العبارة وأخذت بشاعريتها المجنحة وجوها الحالم، فنسيت التعليم والمخاوف ومنظمة اليونسكو، ولكنى سألت نفسى هذا السؤال: لو فرضنا أن وصفك الشعرى ينطبق على القرآن ألا يمكن أن ينطبق على جميع الكتب الدينية وعلى الفنون وعلى الميثولوجيا أيضاً؟ فلم أجد مانعاً من الإجابة بنعم".ثم ختم محمد محمد على مقاله موجهاً حديثه للأستاذ محمود فكتب قائلاً: "وخلاصة ما أحببت أن أفضى به إليك هو أنى أضن بنشاطك الذهنى ومقدرتك الفائقة أن يذهب فى هذه المجارى التى لا تعدو حدود التأملات الفردية، والفروض المثيرة لعاصفة من الجدل الذى لا ينتهى إلى غاية خصبة منتجة. أحب أن تعطى الواقع قسطاً كبيراً من احترامك، وأن تنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض. فنحن فى أشد الحاجة إلى رجل مثلك قد عُرف عند الناس بالإخلاص وحب الحق والشجاعة فى الجهر به".

عقب الأستاذ محمود على الشاعر محمد محمد على، بمقال جاء بعنوان: "أو ما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء؟"[1] (أنظر ملحق رقم: "28"). استهل الأستاذ محمود تعقيبه بالحديث عن العنوان فكتب قائلاً: أخى محمد.. تحيتى واحترامى.. وبعد، فقد قرأت لك كتابك القيم، الذى تعرضت فيه لمناقشة خطابنا إلى رئيس **منظمة اليونسكو**، ولقد طابت لك نفسك أن تسوق كتابك الضافى تحت عنوان طريف: "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"، وهو عنوان بارع يدل، من الوهلة الأولى، على ما ينتظر

(1) محمود محمد طه، "أو ما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء؟"، **صحيفة الجمهورية**، العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5 فبراير 1954.

القـارئ من نظرة علميـة وواقـعيـة". ثم أضاف قـائلاً: "ولست أريد أن أطيل وقـوفى هنا، ولكنى لا أحب أن أزايل مقـامى هذا قبل أن أؤكد لك أن الأرض فى تفكيرى قـد التحقت بأسبـاب السمـاء.. فلست أرى أرضاً، ولا سـماء، وإنما وحـدة اتسقت فـيها العـوالم، من الدرارى، إلى الذرارى، فى غـير تفـاوت نوع، وأكـاد أقول: ولا تفـاوت مقـدار، وإنما هو التعـاون المتضـافر على الدلالة على وحدة المـعانى، القائمـة وراء تعدد الشـخوص، وتلك دلالة يستوى فيها جبـريل، وإبليس، فى البلاغة، والتبليغ.. فإذا انحط النظر عن ذلك، فإنما هو اللمح الذى يرى أوائل الأشـياء وأواخـرها، ثم يسلسل، فى تنسيق مـتحـد، مقـدمات النتائج المبتغاة، تسلسلاً دقيقاً، لا يسبق فيه فاضلاً مفضول، وإنما هو القسط، والعدل".

ثم بدأ الأستاذ مـحمود التعـقيب على النقاط وفقاً للتـرتيب الذى أورده محمد مـحمد على، ولكنى أقدم هنا بعض النقاط وليس كلها. كتب الأسـتاذ محمود قائلاً: "وأما قولك: "ولست أريد اليـوم أن أناقش كل ما ورد فى خطابك المثـالى، فسأتجـاوز الحكومة العـالمية، لأنى أعتـقد أن الحكومـة العالميـة -إذا قدر لهـا أن تقوم- فـسيكون قـيامـها نتـيجـة لحسم المشكلات، والقضـاء على المظالم.. ستـقوم حين يقـبر الاسـتعمـار، والاستغـلال، وتسود الناس روح المودة، والعطف، فيـنظر المرء إلى أخيه بعـين الإنسان، لا بعين الذئب"، فـقول حـصيف، ولكنه لا يـقال لمثلى، لأنك تعلـم أنى أرى نفس الرأى، وأعمل لـه، فى متـقلبى ومثـواى". ثم أضاف قائلاً: "وأما قـولك، من نفس الفقرة، المتـقدمة: "فـالتفكير فيـها الآن وثوب إلى النتيجة قبل إحكام المقدمات، وإعداد الوسائل"، فقول ضحل، وما أحب لك أن تتورط فيه.. وإلا فإنك تعلم، كـما أعلم، أنك، إن لم تفكر فى النتائج، لا تحكم المقدمات، ولا تحـسن التوسل، وإنما تسير ونظرك تحـت قدميك، إما لهـذا، وإما لذا". وعن حـديث الشاعر محمد عن الشرقيين والقيم الروحية، عقب الأستاذ محمود قائلاً:

وأما قـولك عما عبـته أنا عن أثر الآلة على التعليم ومناهجـه: "ولكن ما رأيك إذا قلت لك أن هذا اللون من العـادات الفكرية، والملكات النفـسيـة، هو مالا نحـتاج إليه، نحن الشـرقيين، ليـحد من أطراف حريتنا المثاليـة الحالمة، فهـو، على ما به من قتـام، وآلية، ثمرة، مـهما يكن طعـمها، من ثمـرات العلم، والنظرة الموضوعـية..

وهو، وإن لم يكن المثل الأعلى للحياة، فإنه أقرب إليه من أحلامنا الهائمة، وجبريتنا الصوفية"، فقول حسن، ولكنى أحب لك، وللشرقيين، أحسن منه حين أدعو إلى النهج الذى: "يؤلف بين القيم الروحية، وطبائع الوجود المادى، تأليفاً متناسقاً، مبرأ، على السواء، من تفريط المادية الغربية التى جعلت سعى الإنسانية موكلاً بمطالب المعدة، والجسد، ومن إفراط الروحانية الشرقية التى أقامت فلسفتها على التحقير من كل مجهود يرمى إلى تحسين الوجود المادى بين الأحياء..".

وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "وأما قولك: "وعندما كان عماد الحياة الحيوان فإن إنتاج الناس، فى الحياة المادية، والفكرية، كان متأثراً بالحيوان ونشاطه، مستشرفاً إلى حياة أرقى، وأكمل.."، إلى قولك "وقد حلت الآلة اليوم محل الحيوان، فهى لابد مؤثرة فى إنتاج المنتجين، وهى لابد عاجزة، كما عجز الحيوان، من قبل، عن السيطرة على جميع الدوافع النفسية، والحواجز التى تدفع بركب البشرية إلى الأمام"، فقول يعجبنى، ويسرنى، ولكنى لا أجده رداً على". وعن التشاؤم، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "قولك عنى: "فالصورة التى رسمتها للتعليم، والإنتاج، تحمل الشىء الكثير من أعراض التشاؤم" قول مردود.. فإن أملى فى مستقبل البشرية لا يدع مجالاً للتشاؤم.. وهو أمل لا يقوم على الظن، وإنما يقوم على يقين لا أرتاب فيه، وعندما بدا لك، فى خطابى شىء منه يسير، ظننته أنت مما يدخل فى باب "اليوتوبيات"". وعن زعم الشاعر محمد عن عدم الفهم، يعقب الأستاذ محمود قائلاً: "وأنت تزعم أن نوع التعليم الذى أدعو إليه فى خطابى غير مفهوم.. وأرى من حقك على أن أكون مفهوماً.. "فغاية التعليم عندى أن يحرر الإنسان من الخوف.. وتحريره إنما يكون بتصحيح تلك الصورة الخاطئة، الشائهة، التى قامت فى خلده عن الحياة، وعن قانونها".. وهذا قول تقرنى أنت عليه". ثم يضيف الأستاذ محمود قائلاً: "ولكنك تقول:

""وللقارئ الحق فى أن يفهم أنك تدعو إلى التربية الطبيعية، وإلى سيادة العلوم الطبيعية.. فالعلم وحده هو الذى يستطيع، بقدر ما وصل إليه من كشف، أن يعطينا صورة صحيحة عن أصل الحياة، وقوانينها، وأن يقصى عن أذهاننا، الصورة الأسطورية الشائهة".. وأنا فعلا أدعو إلى التربية العملية، وإلى سيادة العلوم الطبيعية". ثم يلفت الأستاذ محمود انتباه الشاعر محمد إلى كتاب صدر

للجمهوريين قائلاً: "ولقد فصلنا رأينا عن هذا التعليم، وعن تعليم العلم التجريبى، فى كتيب الجمهوريين: "قل هذه سبيلى"، الذى صدر منذ حين، تفصيلاً يغنينا عن الإسهاب هنا.. فأرجو أن ترجع إليه لتعلم مبلغ الخطأ فى قولك: "وهذا الضرب من الخوف لا يعنينا فى مشكلة التعليم.. وهو، إذا كان معتدلاً، أمر لا بد منه لحفظ الذات من الكوارث، وليس من الخير أن نستأصله استئصالاً، فالخوف من المكروب، والخوف من الحريق، إلخ مهم، وسلاح لا بد من حمله".

وعن إشارات الشاعر محمد لأفلاطون وأرسطو عقب الأستاذ محمود قائلاً: "وأما قولك: "والعلم عندك كامن فى النفس أيضاً، بل هو جوهر النفس، مغلف بطبقة كثيفة، مظلمة، من الأوهام، والخرافات، والمخاوف، الموروثة.. وهنا يبرز أفلاطون صريحاً يتحدث إلينا فى خطابك"، فهو قول مؤسف حقاً.. فأنت شاب مثقف، مسلم، ولا تعرف هذا القول الذى تنكره إلا عن طريق أفلاطون.. ليت شعرى!! فأين يذهب بك عن قول الله تعالى: "كلا!! بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.."؟؟ وعن قوله تعالى: "لقد كنت فى غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد.."؟؟". وعن أرسطو يقول الأستاذ محمود: "وأنت تورد قول أفلاطون: "إن العلم تذكر النسيان" وتزعم أن أرسطو قد قضى، قضاء مبرماً، على علم النفس الأفلاطونى.. فما رأيك فى قول القرآن: "ولقد يسرنا القرآن للذكر.. فهل من مدكر؟؟"؟؟ هل قضى عليه أرسطو أيضا، قضاء مبرماً، أم أنت لا ترى منه ما أراه؟؟". وعن تساؤلات الشاعر محمد عقب الأستاذ محمود قائلاً: "وتسألنى: "فماذا فهم الرجل، وربك، من هذه القصة ذات القشرة، ومن المادة التى صنعت منها الأحلام، وصنع القرآن؟؟" وأجيبك: إن هذا لا يعنينى، بقدر ما يعنينى أن أسجل ما أراه الحق، وأن أدعو إليه.. وسيهتدى به أناس، وسيضل به آخرون". ويضيف قائلاً: "وتسألنى: "لو فرضنا أن وصفك الشعرى ينطبق على القرآن، ألا يمكن أن ينطبق على جميع الكتب الدينية، وعلى الفنون، وعلى الميثلوجيا، أيضا؟؟" والجواب قريب، وهو أن الكتب الدينية جميعاً والفنون، والميثلوجيا، كل أولئك معارج من معارج الحق، على تفاوت بينها، فى القرب والبعد، وكل ما هناك أن القرآن مهيمن عليها جميعاً وجامع لما تفرق فيها، من أشتات الحقائق، فهو أعلاها مرتبة، وأقربها إفضاء إليه فما ينطبق عليه ينطبق عليها، على تفاوت بينها، فى الشمول والقصور".

وعن قول الشاعر محمد محمد على "إنى أضن بنشاطك الذهنى ومقدرتك الفائقة أن يذهب فى هذه المجارى التى لا تعدو حدود التأملات الفردية"، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "أما بعد، فإنى أشكر لك خطابك الممتع حقا.. وأؤكد لك أن نشاطى الذهنى لا يذهب فى المجارى التى لا تعدو حدود التأملات الفردية، ولا الفروض المثيرة للجدل العقيم، وإنما أنا طالب حق أبتغيه فى مظانه، ثم لا أمارى فيه، إلا مراء ظاهراً.. وأنا موقن، كل الإيقان، أن هذا الوجود قائم على الحق، وأن الباطل فيه عارض من عوارض النقص، فلا يلبث أن يزول.. وأن هذه الأرض قد التحقت بأسباب السماء، فلا يصلحها، منذ اليوم، إلا تشريع يقوم على الحق الذى لا مراء فيه". ثم ختم الأستاذ محمود قائلاً: وتسألنى ما الحق الذى لا مراء فيه؟؟وأجيب: إنه الإرادة المتوحدة، التى انفردت بالهيمنة على الظواهر الطبيعية، فى الأرض، كما فى السماء، وهدت الحياة سبيلها، فى النور كما فى الظلمات، ثم استعصمت بخفاء لا يعين على استجلائه غير قرآن الفجر.. "إن قرآن الفجر كان مشهودا".

لم تقف الحوارات عند هذا الحد بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على. فقد دار حوار طويل أيضاً بشأن الأدب والدين والحقيقة، وجاء تحت عنوان: " الأدب والدين"[1]. نشر الشاعر محمد محمد على تحت هذا العنوان مقالين فى **صحيفة السودان الجديد**، خلال شهر نوفمبر 1955. وحينما نشر المقال الأول وأشار فيه إلى رأى الأستاذ محمود قائلاً: "ومجمل رأى الأستاذ محمود أن الأدب وسيلة ناقصة ومعيبة للبحث عن الحقيقة. والحقيقة هى معرفة الله. لذلك فالأدب لا يستحق أن نشتغل به، وننفق حياتنا فى تحصيله وتنميته، والأجدر بنا أن نشتغل بالدين". وتحدث عن الدين والحقيقة والأدب وناقش آراء الأستاذ محمود بتوسع. رد الأستاذ محمود على مقال محمد محمد على، وكتب محمد محمد على فى رده على رد الأستاذ محمود قائلاً: "أنكر صديقنا الأستاذ الفاضل محمود محمد طه فى رده علىّ وضع هذا العنوان على رأس كلمتى وإدارة الحديث عليه، واعتبر ذلك صرفاً للحديث عن وجهه، وفضل أن يكون مدار الحديث "الأدب والحقيقة". ودخل فى هذا الحوار العلامة عبدالله الطيب. وتمت مساجلات الأستاذ محمود والشاعر محمد والعلامة عبدالله الطيب، وهذا باب واسع يصعب تغطيته فى هذه الصفحات، وإنما أكتفى بهذه الإضاءات والإشارات المختصرة.

(1) محمد محمد على، "الأدب والدين"، **محاولات فى النقد**، مصدر سابق، ص 115-123.

الشاهد أن الحوار الذى تم بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، اتسم بالعمق وتنوع الموضوعات والاحترام المتبادل، وتميز بالرقى كما وصفه حيدر إبراهيم على، بأنه كان "من أرقى الحوارات السودانية". برغم أهمية هذه الحورات ورقيها إلا أننى لم أجد لها أثراً فى رسالة الماجستير التى قدمتها فاطمة القاسم شداد (1950-1995) تحت عنوان: **محمد محمد على شاعراً: دراسة تحليلية نقدية، فى جامعة الخرطوم** عام 1976 [1]، بإشراف عون الشريف قاسم وصلاح الدين الهادى[2]، ونشرت الدراسة لاحقاً فى كتاب. خلت الدراسة من الإشارة لتلك الحوارات بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، برغم أن فاطمة شداد قد أوردت حوارات الشاعر محمد محمد على مع محمد النويهى وآخرين والتى تقع مع حوارات الأستاذ محمود فى مصدر واحد هو كتاب الشاعر محمد والموسوم بـ **محاولات فى النقد**. من واقع المساجلات يمكن القول أن الشاعر محمد محمد على لم يكن على اتفاق فى الرأى فى معظم القضايا التى تحاور بشأنها مع الأستاذ محمود. ففى بعض الموضوعات لم يستمر الحوار بينهما ووصل إلى طريق مغلق، بسبب اختلاف المنطلقات كما أشار حيدر إبراهيم على وهو يتحدث عن السجال بشأن: "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء الى الارض"، وفقاً لعنوان الشاعر محمد، و "أوما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء؟"، وفقاً لعنوان الأستاذ محمود، كتب حيدر قائلاً: "لم يواصل الأستاذان نقاش هذا الموضوع لأنه يبدو أن الانطلاقة كانت من خطين متوازيين"[3]. إلى جانب ذلك، ففى تقديرى أنه لابد من الوقوف عند بعض المعطيات والتأمل فى المرجعيات التى تعين فى التحليل والقراءة للمساجلات التى تمت بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، وتعين كذلك فى دراسة ما تنطوى عليه مواقف الشاعر محمد محمد على من الأستاذ محمود، فكثير من المعطيات تتحكم فى المواقف، ومن ذلك:

أولاً: تخرج الشاعر محمد محمد على فى المعهد العلمى بأمدرمان وقد دخله مرغماً،

---

(1) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 1-11.

(2) صلاح الدين الهادى من مصر. وكان المشرف فى البداية هو عزالدين الأمين، وخلفه الاثنان بعد أن سافر منتدباً إلى نيجيريا.

(3) حيدر إبراهيم على، "التجديد والمغايرة عند محمد محمد على: فى الذكرى الاربعين (2-2)"، مرجع سابق.

وكان ثائراً عليه ونظم قصيدة بعنوان: "الثورة"، جرد فيها المعهد من أى حسنة من حسناته، وأعلن فيها رفضه التام لذلك النوع من التعليم يقول فى مطلعها[1]:

كرهت جلوسى أمام الشيوخ أودع عاماً وأسلك عام

كرهت المجاز ولغو النحاة وسخف الفقيه وعلم الكلام

فيم العناء وهذا البلاء وقرع الصفاة وطول السقام

لم يستمر الشاعر محمد فى موقفه من المعهد على هذه الثورة، فما لبث أن عاد وغير موقفه وأصبح يتحدث عن حسنات المعهد العلمى وما يسديه للمجتمع من نفع. فقد قال: "مما يوجبه الإنصاف ووضع الأمور فى مواضعها أن نشيد أبلغ الإشادة بكفاح المعهد العلمى وجهاده فى سبيل الحفاظ على التراث العربى الإسلامى، ونشره فى ربوع هذا البلد، وفى شموخه كالجبل الأشم ورسوخه أمام معاول الطغاة الذين خصهم أن يقوضوا دعائم أمتنا المجيدة ليصنعوا منها مسخاً ليس له ماض يلتفت إليه يستمد منه العزم والمضاء فى جهاده لبناء مستقبله"[2]. وعن الاستعمار والمعهد العلمى يقول الشاعر محمد محمد على: "حارب الاستعمار المعهد العلمى بالعوز، ففرض عليه المتربة وقتّر عليه رزقه، وسد عليه جميع المنافذ التى تهب منها نسمة مبللة، فعاش علماؤه على ما هو دون الكفاف، صابرين مرابطين يستعذبون الألم فى أداء رسالتهم... والحقيقة التى مراء فيها هى أننى لم أعرف فئة من فئات أمتنا حوربت فى رزقها ما حورب علماء المعهد، وطلابه، والمتخرجون فيه"[3].

فى مقابل هذا التحول الذى حدث للشاعر محمد محمد على فى موقفه تجاه المعهد العلمى من ثائر عليه إلى مناصر ومدافع عنه، نجد أن موقف الأستاذ محمود من المعهد العلمى ظل على الدوام رافضاً لفكرة التعليم الدينى ومناهضاً لفكرة المعهد ودوره ونشاطاته، وكان يرى أن المعهد العلمى ما هو إلا ميدان للظلام والرمى بالتكفير والعجز عن المواكبة وتقديم سبل الرشاد وأن ما يقدمه من إسلام صورة خالية من المحتوى والروح.

(1) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 61.
(2) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 31-32.
(3) المرجع السابق، ص 61.

فقد بدأ شيوخ المعهد العداء مع الأستاذ محمود منذ العام 1957 بسبب رفضهم للجديد، كما كفر المعهد تلاميذ الأستاذ محمود عام 1959-1960. لقد خصصت الفصل التاسع من هذا الكتاب لتناول موضوع: "الأستاذ محمود و**المعهد العلمي بأمدرمان** (أزهر السودان)". هنا تباين واضح في المواقف بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد علي.

ثانياً: كحال الكثير من بني جيله، كان الشاعر محمد محمد علي مصري الهوى والمزاج، تلمح ذلك في شعره، وفي مواقفه والتي ستأتي الإشارة إليها، وفي الاحتفاء المصري باصداراته، وفي المقدمة التي كتبها لرسالته لدرجة الماجستير[1]. فقد وصفته فاطمة شداد في دراستها للماجستير عنه، قائلة: "حب الشاعر لمصر يجري في دمه". ثم أوردت ما كتبه صالح جودت عن الشاعر محمد قائلاً: "كان محمد محمد علي من أشد أبناء السودان تعصباً لمصر، وإيماناً بالوحدة، وتشبثاً بالناصرية"[2]. وأضافت فاطمة قائلة: "وقد كان يتطلع إليها منذ عهد الصبا الباكر بعين حالمة تراها الحلم، والأمل والسلوى، وقد كانت فرحته كبيرة بتحقيق هذا الحلم بذهابه مبعوثاً إليها"[3]. عبر الشاعر عن تلك الفرحة قائلاً:

فيا مصر أنت الحبيب المفدى ويا مصر أنت الهوى المصطخب

كفاحك نبع المنى في فؤادي إذا غاض نبع المنى أو نضب

ومن راحتيك شربت الضياء ومن وجنتيك جنيت الأدب

كما كتب العديد من القصائد في مدح مصر ومناصرتها عند العدوان الثلاثي عام 1956، وفي مواقف عديدة، من قصائد: "مصر الباسلة" وغيرها. وفي مصر كان الشاعر محمد قد عرف بحرصه على حضور ندوة العقاد التي كان يقيمها في بيته وكان العقاد يخصه بوده وحفاوته. وتورد فاطمة شداد حديث صديقه الشاعر منير صالح قائلاً: وقد شهدت بنفسي كيف استقبل ديوان ألحان وأشجان في مصر وكيف أحتفت به الهيئات الأدبية، ونوقش وعُرض في الندوات واجتمع حوله من الإذاعة عدد من الأساتذة

(1) محمد محمد علي، **الشعر السوداني في المعارك السياسية** (1821-1924)، مرجع سابق، ص (المقدمة).
(2) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 175.
(3) المرجع السابق، ص 171.

والشعراء[1]. بينما كانت مواقف الأستاذ محمود منذ عام 1945 وهو رئيساً **للحزب الجمهورى**، من الناحية السياسية فإن مصر مستعمر وطامع فى السودان، وكان على الدوام رافضاً للتدخل المصرى بكل أشكاله فى السودان. ومن الناحية الدينية، حيث **الأزهر** هو مصدر للجهل الدينى، وكان على الدوام فى مواجهة مع ساستها وقادتها وشيوخ **الأزهر**. تناول الفصل العاشر من هذا الكتاب موضوع: "الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبدالناصر ومحكمة الردة 1968". هنا أيضاً تباين واضح بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على فى المواقف السياسية من مصر.

ثالثاً: كان الشاعر محمد محمد على معجباً إعجاباً شديداً بالرئيس جمال عبدالناصر، ومعجباً بفكره، ويرى أن لديه قدرات كامنة على تطويع الصخور، وهدم صرح الظلم، وحمل راية الثورة، وهو الذى بعث العرب من مرقدهم باعثاً فيهم النعرة العربية. كتب الشاعر محمد قصيدة حيا فيها مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الخرطوم بعد النكسة 1967 قائلاً[2]:

إنى شغفت بما سمعت وما أرى ... من قمة حفلت بآساد الشرى

وبنهر نور كلما شاهدته ... أهدى إلى عينى فجراً مسفرا

من ذروة العليا من اجتماعنا ... فاضت منابعه هنا فتحدرا

بالشمس فى الخرطوم حين تزينت ... وتسنمت فيها العروبة منبرا

بجمالها البطل المجير أخى النهى ... من طوع صخر الصليب فنورا

ويقول فى "إشراقة العيد"[3]:

مرحى بناصرنا العزيز ومرحباً ... بجنانه الحر الأبى الصافى

من طوع الغرب اللئيم ومن غدا ... للجلة الأحرار خير مصافى

(1) المرجع السابق، ص 66-67.
(2) المرجع السابق، ص 174.
(3) المرجع السابق، ص 174-175.

من أيقظ العرب النيام بصيحة بعثتهم من مرقد الأسلاف

أهـلاً إمـام الثائريـن ومرحبـاً بالعبقرى موطىء الأكناف

هناك اختـلاف كلى بين الشاعر مـحمد والأسـتاذ محـمود. فعـبد الناصر عند الأسـتاذ مـحمـود هو سبب هزيمـة العرب، وخطبـه تضليل للشـعوب، وتدخل فى شـؤون الدول بالاستـخبارات وبالشراء والرشـاوى ...إلخ. وقد كتب الأستـاذ محمود رسـالتين للرئيس جمـال عبدالناصـر (أنظر ملاحق رقم: "32" و"33")، واجهـه فيهـما مواجـهة ربما لم تصل عبدالناصر مـثلها من أحد، أو مؤسسة أو دولة فى العـالم. كل هذا قد تم تناوله بتوسع فى الفصل العاشر من هذا الكتاب. أما موقف الإستاذ محمود من مؤتمر اللاءات الثلاث الذى عقد فى الخرطوم خـلال الفترة من 1967/8/29 وحتى 1967/9/1، فقـد كـان مـوقفـاً ناقداً، استـقبله بالمواجـهة والنقد لمواقف عـبدالناصـر من خلال إصداره لكتـابين الأول فى يوم 5 سبتمـبر عام 1967 وكان بعنوان: **التحدى الذى يواجه العرب**[1]، والكتاب الثانى نشر فى أكتـوبر من عام 1967 بعنوان: **مُشكلة الشَّرق الأوسط، تحليل سيـاسى، استـقراء تاريخى، حل علمى**[2].

فى تقديرى أن المـناخ الذى ساد فى فتـرة الثلاثينيـات والأربعينيات والخـمسـينيات من القرن الماضى، وما صاحبه من تحزب يقوم على الحركـتين الاستقلالية (بريطانيا) والاتحادية (الاتحاد مع مـصر) قد أضر ضـرراً بليغاً ليس بالصـحة السياسـية السودانية فـحسب؛ وإنما بتطور الحركة الفكرية وبمواقف المثقفين من بعـضهم بعضاً وبالتالى ضعف توظيف أدواتهم وتكلس الحوارات بـينهم، ومن ثمَّ اختطاف الفـقهاء لمنابر الحـوار والسجال. لـقد تحكمت مصر وتحـديداً "سياسة صلاح سـالم" وعبقريته فى إدارة شـؤون السودان، بالمال والرقص، كما يقول الرئيس مـحمد نجيب (1901-1984) فدمر صلاح سـالم بذلك الكثير من المعانى وغرس الكثيـر من السيئات والمضايقـات لحياة ونشاطات المثـقفين والعلاقات فـيما بينهم،

(1) محمود محمد طه، **التحدى الذى يواجه العرب**، ط1، أمدرمان، 1967؛ محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة، 2009.

(2) محمود محمد طه، **مُشكلة الشَّرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

سيرد تفصيل ذلك ضمن الفصل العاشر من هذا الكتاب. كان حلفاء مصر تكبلهم صلتهم بها، بل كانت مواقف الكثيرين منهم تناصر مصر حتى ولو خالفت قناعاتهم. الشاهد أن مصر تحكمت فى المناخ العام طيلة النصف الأول من القرن العشرين وحتى الربع الثالث منه، وربما حتى الآن لم يتم التحرر تماماً. لم يكن الشاعر محمد محمد على بعيداً عن كل هذا وهو المحب لمصر ولعبدالناصر وصاحب الصلات الواسعة بساستها وأدبائها ومؤسساتها. ولا أحسب أن عند الشاعر محمد محمد على، مثل الكثيرين، فرصة ليتفق مع الأستاذ محمود فى جل آرائه. وفى تقديرى أن ارتباط الشاعر محمد محمد على بمصر عطل من ملكاته الفكرية وكلس معارفه الفلسفية وحجم قابليته للعطاء الفكرى، كما عمق صلته بالشعر والأدب العربى على حساب مستقبل شاعر ضخم كشف عن قابلية باكرة فى العطاء الفكرى، ويمتلك الرؤية والخيال الواسع لتقديم المساهمات الفكرية الكبيرة.وكما قال حيدر إبراهيم: "وقد كان الشعر والأدب عند جيل الاستاذ بالفعل "ذريعة للهروب من أجداب الحياة وفراغها ودمامتها" . والأهم أنه تقية للتعبير عن الأفكار الجديدة والخطرة. فقد كان النقد والاحتجاج بالأدب هو الخط غير المستقيم للوصول الى نقد المجتمع، لأن رفض التقليد والجمود فى الشعر هو معادل رفض هذه القيم فى الحياة والمجتمع"[1].

من ما يمكن أن يلاحظه الدارس فى الشاعر محمد محمد على، وقد لاحظته بوضوح فى حواراته مع الأستاذ محمود، أنه أحياناً لم يكن موضوعياً بل تلمح فيه العناد والاصرار فى غير محله، ولا يعبر عن اتفاقه فى أى نقطة أو جزئية من الجزئيات أثناء الحوار، عكس الأستاذ محمود فقد كان يعبر عن اتفاقه واستحسانه لبعض النقاط... إلخ. كنت أدرس الشاعر محمد وفى ذهنى هذه الخلاصات وكنت منزعجاً من أننى قد أكون قد استنتجت استنتاجاً غير موضوعى، حتى تنفست الصعداء يوم وجدت فاطمة شداد قد أوردت شهادات بعض أصدقائه. وكيف أنه عرف بينهم بأنه لايقبل الهزيمة فى المعارك النقدية، كما أنه لا يترفق فى نقده. تقول فاطمة شداد على لسان صديقه الشاعر منير صالح: "إن محمد كان لا يقبل أن يهزم فى المعارك النقدية قط، يستعمل فى ذلك شتى السبل لإظهار

(1) حيدر إبراهيم على، "التجديد والمغايرة عند محمد محمد على: فى الذكرى الاربعين (1-2)"، مرجع سابق.

خصمه بمظهـر الضعيف الجاهل ويلاحق خصمـه بالنقد العنيف فى كل مجلس يحل به مما كان يجعله مـرهوباً مهاباً وهذا إنما يرجع إلى اعتـداده بنفسه وثقته بمعـرفته"[1]. أما الشاعر محمـد المهدى المجذوب فقال عن الشـاعر محمد مـحمد على: "تراه لأول مرة فتـشعر بأنه فنان ناقد بصـير بالكلام، لا يترفـق فى نقده الذى تسمع، ضِـحك السخرية وتَرفُّع المعـرفة، خـبيـر بالناس يسـخط كـثيـراً ولا يرضى إلا قـليـلاً على حـبـه للناس وتعلـقه العـجـيب بأصدقـائه"[2]. الشاهـد أننا اليوم ومع مـرور الوقت، وحينمـا نعود لقراءة تـلك الحوارات ودراسة الآراء الواردة فيـها نجد أن الكثير من الآراء التى دفع بهـا الأستاذ محمـود، وخالفه فيـها الشاعـر محمـد محمـد على، قد صـدقها الواقع ويكاد ينطق بـصحة الكثـير من آراء الأستـاذ محمود، لا سـيما خطابه إلى مـدير عام **اليونسكو** بعنوان: "إعداد الإنسـان الحر"، والتى ناقش فيها موضوع التعليم الجديد والذى اختلف فـيه الشاعر محمد محمد على مع الأستـاذ محـمود. الشـاهد أن التعليم الجـديد اليوم، بل كل المحـاور التى تضمنهـا خطاب الأستاذ محمود إلى مدير عام **اليونسكو**، والذى لم يتفق فيه الشاعر محمد محمد على فى أى جزء من أجـزائه مع الأستاذ محـمود، أصبحـت اليوم كل تلك المحاور موضع اهتـمام وانشغال معظم مجـتمعات العالم ودوله. كما أن العالم اليوم يشـهد تبلور الحكومة العالمية وقـد بدأت تتجلى مـلامحـها الأوليـة فى تصمـيم القـوانين ذات الطبيـعة الدوليـة، وقيـام المؤسسـات الأممية مثـل محكمة العـدل الدولية وقوات حـفظ السلام... إلخ. وغـيرها من الموضوعات التى جاءت فى خطاب الأستاذ محمود.

نقد مرحلة الفقهاء: صدام الجديد مع القديم

اختطاف الفقهاء لمنابر الحوار وسوح السجال بلا إمكانية فكرية

فغداً.. تجلى للزمان حقائق

الفكر الجميل

(1) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 76.
(2) المرجع السابق، ص 78-79.

إذا ابتدا

نحروك كبش فداء

لما سألت عن الحقيقة قهقهوا

وفدوا ذنوب العالمين

وغادروا نحو العراء

الله.. حين بدأت ترسم لوحة الاكمال

فى دنيا النقيصة

■●■

هم لا محالة ذات يوم يدركون..

من خلف وعى الجهل حتماً

من تكون(1)

أبو عبيدة حسن

كشف شيوخ المعهد العلمى بأمدرمان، منذ الوهلة الأولى، عن عداء شديد ومعارضة قوية للأستاذ محمود ولمشروعه. كان البون شاسعاً بين الأستاذ محمود االمفكر ومشيخة المعهد العلمى حيث الفقه والفقهاء، وقد تجلى ذلك باكراً من خلال المساجلات والمداخلات التى كانت تتم فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى فى المحاضرات والندوات التى كان يقيمها المعهد العلمى فى مناسبات مختلفة، وكان يحضرها الأستاذ محمود، وأحياناً يشارك فيها كمتحدث. هناك فصل ضمن هذا الكتاب خصصته لتناول موضوع: "الأستاذ محمود والمعهد العلمى بأمدرمان (أزهر السودان)". إن أوضح حدث يمكن أن يؤرخ لبداية عداء مشيخة المعهد العلمى للأستاذ محمود، وقد تبعه أول تشويه للفكرة الجمهورية، هو حادث فصل تلاميذ الأستاذ محمود من **المعهد العلمى**. فقد عرف

---

(1) أبو عبيدة حسن، "الرسالة الأخيرة"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، **صحيفة الأضواء**، الخميس 18 يناير 2007.

الحدث بفصل الطلبة- (الطلاب الثلاثة)[1]، بينما أطلق عليه الأستاذ محمود فى يوم 31 يناير 1960، "نكبة المعهد العلمى المؤسفة"[2]. قامت على ضوء هذا الحدث مساجلات صحفية بين الأستاذ محمود وشيخ المعهد العلمى بأمدرمان، شيخ العلماء محمد المبارك عبدالله (1905-1990) ومعه مشايخ المعهد العلمى. كان ميدان المساجلات **صحيفة السودان الجديد**. (سيأتى تفصيل ذلك لاحقاً ضمن فصل: "الأستاذ محمود والمعهد العلمى بأمدرمان"). على إثر نكبة فصل الطلبة وما تم من مساجلات صحفية حولها، وعلى إثر ما تم سابقاً من مجادلات مع الأستاذ محمود فى محاضرات وندوات متفرقة، دخل الفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء السودان" إلى حلبة النقد وبعداء ظاهر للأستاذ محمود. كان الأستاذ محمود قد أصدر عقب نكبة فصل الطلبة وما تبعها من تشويه للفكرة الجمهورية، كتاب: **الإسلام**. يقول الأستاذ محمود:

*ولقد خرج هذا الكتاب عقيب حادث فصل الطلبة الجمهوريين الثلاثة من المعهد العلمى، وما صحب ذلك الفصل من تشويه شديد للفكرة الجمهورية. ولقد حاولنا تصحيح ذلك التشويه فلم يتيسر لنا النشر، ولقد مُنعنا المحاضرات فى الأندية، وفى دور العلم المختلفة. خرج هذا الكتاب فى طبعته الأولى مركزاً، شديد التركيز، مضغوطاً، كأشد ما يكون الضغط، ومع ذلك، فهو الكتاب (الأم) بالنسبة **للحزب الجمهورى**.. فيه كل ما نريد أن نقول عن الإسلام، فلم يبق أمر مستأنف، إلا أن يكون زيادة شرح، وزيادة توسيع لما جاء فيه موجزاً*[3].

---

(1) "بيان من إدارة المعهد العلمى عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، البحث والمناظرة، **السودان الجديد**، العدد: 3909، التاريخ: 1960/1/28. جاء فى البيان أن مشيخة المعهد قد أصرت على فصل الطلاب الثلاثة. كان اثنان منهم من الذين التحقوا بمعهد أمدرمان هذا العام فى السنة الأولى بقسم الشريعة من طلاب المعاهد الحاصلين على الشهادة الأهلية وهما: 1. إبراهيم يوسف، من معهد مدنى ومن بلدة سعادة من ضواحى مدنى. 2. محمد خير على محيسى (فى الأصل وردت مخير المحيسى، والصحيح ما أوردته) من معهد النهود التحق به بعد أن درس إلى السنة السابعة بمعهد مدنى وهو من أهالى تنقسى. أما الطالب الثالث فقد التحق بالمعهد هذا العام فى السنة الأولى بالقسم الثانوى من طلاب العاصمة الحاصلين على الشهادة الابتدائية وهو: أحمد عبدالرحمن العجب من معهد عبدالمنعم ومن بلدة اللعوتة القضيضيم مركز مدنى.

(2) محمودمحمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمى"، البحث والمناظرة، **السودان الجديد**، العدد: 3911، التاريخ: 1960/1/31.

(3) محمود محمد طه، **محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الإسلام**، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثانية.

بعـد صـدور كتـاب: **الإسلام**، ظهـر أول كتـاب فى نقده وكـان بعنوان: مع نبى آخـر الزمان[1]، أعـده محـمد على يـوسف. يعد الكتـاب من أوائل المحـاولات النقدية. أخـذ الكتاب بأسلوب التهكم وسلك مسلك السخرية، كما أفادنا مؤلفه، الأمر الذى انتفت معه العلمية والموضوعية. وصف محـمد على يوسف كتابه قائلاً: "هذا نقاش يدور حول بعض الأوهام والأباطيل التى جاءت فى كتاب صغير لمحمود محمد طه أسماه الإسلام"[2]. وعن غرضه من نشـر الكتاب وعن أسلوبه الذى سلكه فى الرد كتب قـائلاً: "... آثرت أن أكتب هذا الكتاب، وأن أنشره، ... وغرضى من كل ذلك هو إبراز عقلية محمود وعقيدته بشكل واضح... والأسلوب الذى سلكته فى الرد هـو الأسلوب الوحيد الذى لا يجدى غـيره بل لا يتأتى سواه فى مثل هذه الحالة... وهل ثم غير السـخرية والتهكم... أم ترد عليه باعتباره خليطاً (فذاً) عجيباً، جامعاً بين الكفر والإيمان"[3]. صدر الكتاب بدون تاريخ نشر، ولكن الراجح فى تقـديرى، أنه صـدر فى بداية النصف الأول من سـتينـيات القـرن الماضى، لأن كتـاب **الإسلام** صدر فى مـارس من عام 1960. توالت بعد ذلك المقـالات والإصدارات ولكنها تكثفت بـشكل كبير قبـيل وبعد محكمة الردة فى نوفمـبر عام 1968. فهذا حـسين محمد زكى، وهو المدعى الثانى أمـام محكمة الردة التى كانت فى عام 1968، أصدر كتاباً بعنوان: **القول الفصل فى الرد على: محـمود محمد طه**[4]. تضمن الكتاب أربعة تعـقيبات لأربعة أساتذة بجامعـة أمدرمان الإسلامية جاءت فى صدر الكتـاب، فأصبحت جزءاً منه. والأساتذة هم كما جاء وصفهم فى الكتاب[5]: الأستاذ الكبير الدكتور سليمان دنيا، أستاذ علم الفلسفة الإسلامية **بجامعة أمدرمان الإسلامية**، والأستاذ الكبير الدكتور محمد السيد ندا، أستاذ علم الحـديث الشريف **بجامـعة أمدرمان الإسـلامية**، والأستاذ الكبـير الدكتور الحسينى هـاشم، المحاضر **بجامـعة أمدرمان الإسـلامية** وأستاذ علم التـصوف الإسلامى، الأستـاذ العلامة الشـيخ محمـد محمـود شاهين مبـعوث **الأزهر الشريف لمعهـد أمدرمان**

(1) محمد على يوسف، **مع نبى آخر الزمان**، ط1، (بدون تاريخ ومكان نشر).
(2) المرجع السبق، ص 3.
(3) المرجع السابق، ص 4.
(4) حسين محمد زكى، **القول الفصل فى الرد على: محمود محمد طه**، (بدون تاريخ ومكان نشر).
(5) المرجع السابق، ص 42.

الثانوى. جاء فى ذيل تعقيبات بعض هؤلاء الأساتذة تاريخ كتابة التعقيب، فقد ورد ديسمبر 1968، وكذلك ورد يناير 1969 الأمر الذى يعطى فكرة تقريبية عن تاريخ نشر الكتاب. أيضاً، أصدر النور محمد أحمد، **الفكر الجمهورى تحت المجهر**[1]. كذلك ألف الأمين داؤد محمد، عدداً من الكتب فى نقد الأستاذ محمود. كان الأمين داؤد، المدعى الأول أمام محكمة الردة عام 1968، وهو المحاضر الأول (آنذاك)، وأستاذ الشريعة المساعد (فيما بعد) **بجامعة أمدرمان الإسلامية**، منها: **نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه**[2]، وكتاب:**دجال السودان**[3]،وكتاب: **الاختلاط فى مذاهب مسيلمة الثانى الكذاب**[4].

دخلت **وزارة الشؤون الدينية والأوقاف** بالسودان فى الجدل المكتوب فأصدرت عام 1977 كتاباً بعنوان: **الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين**[5]. تهيكل الكتاب فى مقدمة (3 صفحات) وعدد من الدراسات والوثائق. كانت هناك دراسة كتبها محمد أحمد عارف بعنوان: "نقد الأسس العامة للفكر الجمهورى" (50 صفحة). وتضمن الكتاب تقريراً أعده أحمد البيلى بعنوان: "تقرير مبدئى حول أفكار الأستاذ محمود محمد طه" (14 صفحة)، جدير بالذكر أن تقرير البيلى كان قد نشر من قبل، فى يوليو عام 1974)، كان أحمد البيلى مديراً للدراسات الدينية **بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف** آنئذ. تضمن الكتاب أيضاً مذكرة كتبها السيد/ وزير الشؤون الدينية والأوقاف، عون الشريف قاسم (1933-2006): بعنوان: "مذكرة حول جماعة محمود محمد طه" (5 صفحات)، وتضمنت الصفحات العشر الأخرى ثلاث وثائق هى: خطاب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية **بالأزهر**، وقرار **رابطة العالم الإسلامى** بمكة المكرمة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وصورة الحكم الصادر من محكمة الخرطوم الشرعية العليا. كان الإخوان

(1) النور محمد أحمد، الفكر الجمهورى تحت المجهر، بدون تاريخ ومكان نشر.

(2) الأمين داؤد، **نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه**، ط2، المطبعة الحكومية، الخرطوم، 1974.

(3) الأمين داؤد محمد، **دجال السودان**، 1978.

(4) الأمين داؤد، **الإختلاط فى مذاهب مسيلمة الثانى الكذاب**، 1977.

(5) **الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الخرطوم، 1977.

الجمهوريون قد ردوا على تقرير أحمد البيلى، مدير مصلحة الدراسات الدينية، بالأمانة العامة للشؤون الدينية حينما وقع فى أيديهم فى شهر يوليو من عام 1974. إذ نشروا كتاباً قالوا فى مقدمته: "هذه مقدمة كتابنا الذى اخترنا له اسم: **الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية والأوقاف**، هادفين من ورائه الى كشف الاتجاهات الرجعية التى بدأت تسيطر على بعض الأجهزة الرسمية فى بلادنا"[1]. وعن قصة الكتاب كتبوا قائلين:

وقع فى أيدينا، قبل أيام قليلة، منشور من عدة صفحات، كتبه السيد أحمد البيلى، مدير مصلحة الدراسات الدينية، بالأمانة العامة للشؤون الدينية، فى شهر يوليو من هذا العام.. ولقد استهدف المنشور، على حد زعم كاتبه "تقويم وتقييم" الفكرة الجمهورية التى اطلع على تسع وثائق من كتبها.. وبكل الأسف جاء ذلك المنشور خالياً تماماً من الفكرة الجمهورية، وحاوياً لاتهامات جاهلة، ومغرضة، ما كان يمكن أن تقوم عند كاتب الشؤون الدينية لو قد اطلع على كتب "الدعوة الاسلامية الجديدة" التى زعم أن منها وثائق بين يديه، اللهم إلا إذا قلنا أن غرضه المبيت للنيل من هذه الدعوة أعماه عن الفهم، وعن المسئولية، ليمكننا الله منه، ومن أمانته العامة التى كلفته بمهمة هذا التقرير.."[2].

أضاف الإخوان الجمهوريون فى خاتمة كتابهم قائلين: "ونحن نعلم أن السيد مدير مصلحة الدراسات الدينية، وأضرابه من الفقهاء، والوعاظ، وعامة السلفيين الذين تستخدمهم الشؤون الدينية، ضحايا تفكير دينى خاطئ، وتعليم دينى متخلف، عطل ملكاتهم، وجمد فكرهم، وعزلهم عن تيار الحياة الجديدة"[3]. الشاهد أن هذه مجرد إشارات ويمكن للقارئ أن يطلع على الكتابين. فالكتابان متوفران.

أيضاً، أصدر عبدالجبار المبارك موسى، كتاباً بعنوان: **الكتاب الأول من: الفكرة الجمهورية فى الميزان**[4]، يقع الكتاب فى (127) صفحة من القطع المتوسط. فالنسخة التى

(1) بتول مختار وآخرون، **الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، أمدرمان، 1974، ص1.

(2) المصدر السابق، ص1.

(3) بتول مختار وآخرون، **الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، مصدر سابق، ص95.

(4) عبدالجبار المبارك موسى، **الكتاب الأول من: الفكرة الجمهورية فى الميزان**، مطبعة دار الطابع العربى، الخرطوم، (د. ت. ن.).

بحوزتى بدون تاريخ نشـر ولكن هناك إشارات لبعض الوقائع بتـاريخها تفيـد بأن الكتاب صـدر بعـد عـام 1975. أشـار الكاتب إلـى أن هذا الكتـاب هو الأول من سلـسلة ينوى إصدارها بعنوان: **الفكرة الجمهـورية فى الميزان**، وتتكون من ستة كـتب، ويبدو أن الكاتب لم يتـمكـن، على حـد علمى، من إصـدار سـوى الكتـاب الأول من سلسلتـه. فى بداية الثمـانينيات ظهرت مخطوطة كـتاب بعنوان: **رسالة فى الرد على: مـحمود محـمد طه**[1]، تأليف عـبدالباقى يوسف نـعمة. وقـد أطلعت على المخطوطة فى مكـتبة **جامـعة أمـدرمان الإسلامـية** بأمدرمـان. تقع المخطوطة فى (182) صفـحة من القطع الكبـير، بالإضـافة إلى ملاحق فى (14) صفحة. كانت الملاحق عبارة عن ثلاث رسائل موجهة إلى رئيس المجلس الأعلى للشـؤون الدينيـة والأوقـاف (وزارة الشـؤون الدينيـة والأوقاف). كـانت الرسـالة الأولى باسم أم سلمة عبـدالباقى، جامعة أمـدرمان الإسلامية، والرسـالتان الأخريان باسم سر الختم الحسن عمـر إحداهما كانت بتاريخ 20 نوفمبر 1984. كانت الرسائل عبارة عن إبداء رأى وتحكيم لمخطوطة الكتاب. كشفت الرسـائل فى ثناياها عن أن مخطوطة الكتاب تقع ضـمن الدراسـات التـى جـاءت بناءً على سـعى المجلس الأعلـى للشـؤون الدينيـة والأوقاف بالسـودان (وزارة الشؤون الدينية والأوقـاف)، لاستكتاب الأسـاتذة ليردوا على الأستـاذ محمـود. (سيـأتى تفصيل ذلك فـى الصفحـات القادمة). يبـدو أنه وفى ظل هذا الاستكتاب ظهرت العديد من الدراسات ضد الأسـتاذ محمود، هذا إلى جانب المؤسسات الإسلامية التى مولت نشر بعض الدراسات، وسيأتى تفصيل ذلك.

الشاهد أن **جامعـة أمدرمان الإسلامـية** انتقلت بعـد ذلك إلى مرحلة جديدة فى موقـفها من الأستاذ محمود، إذ ابتعثت أحد الطلاب لـنيل درجة الدكتوراة من المملكة العربية السعودية، فنال الطالـب (آنذاك) شـوقى بشيـر عبدالمجيـد درجـة الدكتـوراة عام (1404/1403 - 1984/1983م)، وكانت رسالته بعنوان: **فرقة الجـمهوريين بالسودان ومـوقف الإسلام منها**[2]. أتبع شوقى نيله

---

(1) عبـدالباقى يوسف نعـمة، **رسالة فى الرد على: مـحمود محـمد طه**، (بحث مطبوع)، اطلعـت على البحث فى مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية، المكتبة المركزية، تحت رقم التسجيل (92844)، أمدرمان.

(2) شوقى بشير عبـدالمجيد، **فرقة الجمهـوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، (رسالة دكتوراه مـقدمة لنيل درجة الدكتوراة فى العـقيدة)، كلية الشـريعة والدراسات الإسلامـية، قسم الدراسات العليا الشـرعية، فرع العـقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1404 هـ[1983 م].

للدكتوراة بنشر العديد من الكتب والأوراق، منها كتابان الأول بعنوان:**موقف الجمهوريين من السنة النبوية**[1]، والكتاب الثانى بعنوان: **منهج الجمهوريين فى تحريف القرآن**[2]. وعدد من الدراسات منها: "التأويل الباطنى عند فرقة الجمهوريين بالسودان"[3]، و"الجمهوريين[4] ومشايخ الصوفية"[5]، و"فرقة الجمهوريين فى السودان"[6]. كما ساهمت أطروحة شوقى فى تصميم المقرر الدراسى **بجامعة أم القرى** عن الجمهوريين كواحدة من الفرق المعاصرة[7]. أيضاً، قُدمت رسالة ماجستير بعنوان: **نقض نظرية الإنسان الكامل عند الجمهوريين**[8]، من إعداد الطالب: الباقر عمر السيد، **بجامعة أمدرمان الإسلامية**. كذلك، أصدر محمد نجيب المطيعى، وهو من مصر، وقد عمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث **بجامعة أمدرمان الإسلامية**، أصدر كتاباً بعنوان: **حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة**[9]، وكان قبل ذلك أعد تقريراً بعنوان: "النبأ الأثيم أو الهوس اللادينى الذميم"، وقدمه عام 1983 لمدير **جامعة أمدرمان الإسلامية**. نشر المطيعى تقريره ضمن كتابه هذا، ونُشر التقرير كذلك ضمن كتاب صنفه أساتذة جامعة أمدرمان الإسلامية

---

(1) شوقى بشير عبدالمجيد، **موقف الجمهوريين من السنة النبوية**، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامى، 1987.

(2) شوقى بشير عبدالمجيد، **منهج الجمهوريين فى تحريف القرآن**، دار الفكر، الخرطوم، 1989.

(3) شوقى بشير عبدالمجيد، "التأويل الباطنى عند فرقة الجمهوريين بالسودان"، **دراسات دعوية**، مركز الدعوة وتنمية المجتمع، جامعة إفريقيا العالمية، العدد (9)، يناير 2005، الخرطوم؛ **شبكة المشكاة الإسلامية**، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 18 أغسطس 2011، الموقع على شبكة الإنترنت:
http://www.meshkat.net/index.php/meshkat/index/5/5111/content

(4) الصواب الجمهوريون، ولكن وردت فى المصدر الجمهوريين.

(5) شوقى بشير عبدالمجيد، "الجمهوريين ومشايخ الصوفية "، **صحيفة المحرر**،تاريخ الاسترجاع(Retrieved) 17 يوليو 2011، الموقع على شبكة الإنترنت: http://almuharrir.com.sd/print/1631

(6) شوقى بشير عبدالمجيد، "فرقة الجمهوريين فى السودان"، **الراصد**، سلسلة الكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 17 ديسمبر 2011، الموقع على شبكة الإنترنت:
http://alrased.net/site/topics/view/85

(7) "المبحث الأول: التسمية والنشأة"، **المقررات الدراسية: الباب الثانى، الفرق المعاصرة، الفصل الرابع: الجمهوريون**، من موقع **جامعة أم القرى**، الاسترجاع (Retrieved) 13 يونيو 2011، الموقع على الإنترنت:
http://uqu.edu.sa/page/ar/185820

(8) الباقر عمر السيد، **نقض نظرية الإنسان الكامل عند الجمهوريين**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير (1415/1414 - 1994/1993)، إشراف الدكتور شوقى بشير عبد المجيد، قسم الدراسات العليا، كلية أصول الدين، جامعة أمدرمان الإسلامية، أمدرمان السودان.

(9) محمد نجيب المطيعى، **حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة**، 1986، (د. م. ن).

عن الجمهوريين، سترد الإشارة إليه لاحقاً. كما نشر المكاشفى طه الكباشى، كتاب بعنوان: **تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان بين الحقيقة والإثارة**[1]، وكتاب آخر بعنوان: **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**[2]، أيضاً، نشر محمد حسان كسبه، كتابين ضمن سلسلة الفكر الباطنى، كان الكتاب الأول بعنوان: **الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين**[3]، والكتاب الثانى بعنوان: **موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين**[4]. وقد نشرتهما الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة، مصر. لقد ذكر كسبه أنه زار السودان قبل تأليفه للكتابين. سترد الإشارة لكتابيه لاحقاً.

كانت محكمة الردة 1968، محطة فاصلة فى معارك الأستاذ محمود مع "علماء السودان" والفقهاء والقضاة الشرعيين. فقد تبعها كما ورد آنفاً إصدار عدد كبير من الدراسات. كما هيَّأ صدور الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام لقيام تحالف إسلامى واسع ضده، وتأليب عامة الناس فى السودان عليه وعلى تلاميذه، إلى جانب استجابة أئمة مساجد السودان والوعاظ والخطباء للدعوة والمناشدة التى قدمها لهم "علماء السودان" للوقوف ضد الأستاذ محمود وتلاميذه. أشتدت المواجهة بعد محكمة الردة. ففى أول منشور أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة نوفمبر 1968، برز أشد صلابة واستعداداً لاستمرار المواجهة، فأعلن موقفه من الحكم، ومن أمر المحكمة له بالتوبة، وبيَّن رأيه بقوة فى قضاة المحكمة وفى القضاة الشرعيين، قال الأستاذ محمود (أنظر ملحق رقم: "39"):

لقد كنت أول وأصلب من قاوم الإرهاب الاستعمارى فى هذه البلاد.. وقد فعلت ذلك حين كان القضاة الشرعيون يلعقون جزم الإنجليز، وحين كانوا فى المناسبات التى يزهو فيها الاستعماريون يشاركونهم زهوهم ويتزينون لهم بالجبب

---

(1) المكاشفى طه الكباشى، **تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان بين الحقيقة والإثارة**، ط2، الزهراء للاعلام العربى، القاهرة، 1986.

(2) المكاشفى طه الكباشى **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، مرجع سابق.

(3) محمد حسان كسبه، **الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين**، سلسة الفكر الباطنى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة، المنصورة، 1986.

(4) محمد حسان كسبه، **موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين**، سلسلة الفكر الباطنى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة، المنصورة، 1986.

المقصبة المزركشة التى أسماها لهم الاستعمار (كسوة الشرف) وتوهموها هم كذلك، فرفلوا فيها واختالوا بها، وما علموا أنها كسوة عدم الشرف ولكن هل ينتظر منهم أن يعلموا؟ سنحاول تعليمهم.. والأيام بيننا.. أما أمركم لى بالتوبة عن جميع أقوالى فإنكم أذل وأخس من أن تطمعوا فىَّ.. وأما إعلانكم ردتى عن الإسلام فما أعلنتم به غير جهلكم الشنيع بالإسلام، وسيرى الشعب ذلك مفصلاً فى حينه ، هل تريدون الحق أيها القضاة الشرعيون؟ إنكم آخر من يتحدث عن الإسلام فقد أفنيتم شبابكم فى التمسح بأعتاب السلطة من الحكام الإنجليز والحكام العسكريين، فأريحوا الإسلام، وأريحوا الناس من هذه الغثاثة[1].

استمر الأستاذ محمود فى المواجهة فنشر وكذلك تلاميذه، الإخوان الجمهوريون، عدداً من الكتب والبيانات التى تدحض دعاوى القضاة الشرعيين وعلماء السودان، وتفنِّد ما ورد فى الكتب والدراسات التى صدرت، وتكشف ضعف الحجج وزيف الشهادات أمام محكمة الردة عام 1968. فالكتب كثيرة جداً ويمكن الاطلاع عليها فى قائمة الملاحق، فقط هنا سأقدم نماذج منها. علماً بأن الأستاذ محمود وتلاميذه قد بذلوا جهداً ضخماً فى تبيين موقفهم ودحض حجج معارضيهم. فقد أصدر الأستاذ محمود وتلاميذه سلسلة كانت بعنوان: **بيننا وبين محكمة الردة**[2]، تضمنت هذه السلسلة، عدداً من الكتب والمحاضرات[3]. كما صدرت العديد من الكتب منها كتاب: **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين**[4]، وكتاب: **الدين ورجال الدين عبر السنين**[5]، وكتاب: **بيننا وبين الشؤون**

---

(1) محمود محمد طه، "بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين"، أمدرمان فى 1968/11/19، أول بيان أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة عام 1968.

(2) محمود محمد طه، **بيننا وبين محكمة الردة**، أمدرمان، 1969.

(3) كانت هناك محاضرات عديدة منها على سبيل المثال: محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (**محاضرة**)، مُسجلة بصوته، وقد نُظمت بمدينة عطبرة، عام 1969.، ويمكن الاطلاع عليها بموقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: www.alfikra.org

(4) الإخوان الجمهوريون، **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين**، مصدر سابق.

(5) الإخوان الجمهوريون، **الدين ورجال الدين عبر السنين**، أمدرمان، 1975.

الدينية وأساتذتها من أزهريين وسعوديين[1]، وكتاب: **اسمهم الوهابية وليس اسمهم أنصار السنة**[2]، وكتاب: **ليسوا علماء السودان وإنما علماء آخر الزمان**[3]، وكتابا: **التهافت**[4]، **وماذا بعد التهافت؟**[5]، وكتابا: **علماء بزعمهم- الكتاب الأول**[6]، **وعلماء بزعمهم الكتاب الثانى**[7]. كتب الإخوان الجمهوريون كثيراً فى نقد الأزهر وفى نقد فقهاء مصر ونقد مواقفهم من الأحداث فى السودان، فقد نشر الإخوان الجمهوريون كتاباً بعنوان: **مقترحات الأزهر للدستور الإسلامى جهالة لا تمثل الدين**[8]، وكتاب بعنوان: **هذا هو الشيخ محمد متولى الشعراوى**[9]، وغيرها من الكتب والمنشورات والبيانات. كما ظل الإخوان الجمهوريون يصدرون بشكل مستمر الكتب والبيانات كلما حلت ذكرى محكمة الردة 18 نوفمبر 1968. وقد تضمنت معظم هذه الكتب إشارات للمدعيين أمام محكمة الردة، الشيخ الأمين داؤد، وحسين محمد زكى بدحض حججهم والردود على كتاباتهم وشهاداتهم فى المحكمة. تبع ذلك أن رفع الإخوان الجمهوريون قضية جنائية ضد الأمين داؤود، تحت المادتين (435) و (441) من قانون عقوبات السودان "الكذب الضار والسب". كذلك حينما أصدر الأمين داؤد كتاب: **دجال السودان**[10]،رد الإخوان الجمهوريون على كتاب الأمين داؤد، ضمن سلسلة من الكتب كانت بعنوان: **وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد- الكتاب الأول**[11]، فالكتاب الثانى حتى الكتاب الخامس، وقد صدرت جميعها فى الفترة ما بين يناير 1978- أبريل 1978. ثم جاء الكتاب السادس، وهو عبارة عن رد

(1) الإخوان الجمهوريون، **بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين وسعوديين**، أمدرمان، 1975.
(2) الإخوان الجمهوريون، **اسمهم الوهابية وليس اسمهم أنصار السنة**، أمدرمان، 1976.
(3) الإخوان الجمهوريون، **ليسوا علماء السودان وإنما علماء آخر الزمان**، أمدرمان، 1976.
(4) الإخوان الجمهوريون، **التهافت**، أمدرمان، 1976.
(5) الإخوان الجمهوريون، **ماذا بعد التهافت؟**، أمدرمان، 1976.
(6) الإخوان الجمهويون، **علماء بزعمهم- الكتاب الأول**، أمدرمان، 1976.
(7) الإخوان الجمهويون، **علماء بزعمهم- الكتاب الثانى**، أمدرمان، 1976.
(8) الإخوان الجمهوريون، **مقترحات الأزهر للدستور الإسلامى جهالة لا تمثل الدين**، ط1، أمدرمان، 1979.
(9) الإخوان الجمهوريون، **هذا هو الشيخ محمد متولى الشعراوى**، ط١، أمدرمان، 1981.
(10) الأمين داؤد، **دجال السودان**، مصدر سابق.
(11) الإخوان الجمهوريون، **وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد، الكتاب الأول**، أمدرمان، 1978. وهناك الكتاب الثانى والثالث والرابع والخامس، وقد صدرت كلها فى عام 1978.

مفصل علـى كتاب: **دجال السودان**، مع تفنيد دقـيق لكتابات الأمـين داؤد بدءاً بصحيـفة دعوة الحسبة التى رفعها مع حسين محمد زكى، إلى صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان ضد محمود محمد طه فى يوم الثلاثاء 9 نوفمبر 1968 [1]، مروراً بوقائع محكمة الردة، وحتى كتابه الأخير: **دجال السودان**. تضمن كتاب: **هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": إقرأوا واحكموا**[2]، ردوداً مفصلة على الأمين داؤد، كما وضح الأسس التى قامت عليها معارضة الأمين داؤد للأستاذ محمود ولخصها الكتاب فى الآتى[3]:

1- ينسب إلى الأستاذ محمود محمد طه أقوالاً لم يقلها فى أى من كتبه، بل هى على النقيض، تماماً، من محتوى دعوته.

2- ينسب إلى الأستاذ محمود محمد طه أقوالاً سماعية يبدو فيها، واضحاً، التلفيق، أو سوء النقل.

3- يورد للأستاذ محمود أقوالاً مبتورة من كتبه، مغفلاً السياق السابق لها، واللاحق بها، بصورة تشوه النص المنقول، وتخل بمعناه تمام الإخلال.

4- ينتهى إلى تخريجات خاطئة لأقوال الأستاذ محمود لا يمكن أن تكون هى المعانى المقصودة، لأنها تتناقض حتى مع ما يورده هو للأستاذ محمود من أقوال مبتورة.

5- يغفل المعنى الواضح الذى تؤدى إليه بعض أقوال الأستاذ محمود، والمتسق مع سائر أقواله الأخرى، ثم يذهب ليدعى أن الأستاذ محمود قد قصد بها إلى خداع الناس عن أصل دعوته.

6- يشفع هذا التشويه المنكر لدعوة الأستاذ محمود بالسباب، والإقذاع، والهذاء، كما

---

(1) الأمين داؤود وحسين محمد زكى، **دعوة حسبة لله تعالى، مقدمة إلى السيد صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان ضد محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى بالسودان**، الثلاثاء 15 شعبان 1388 الموافق 9 نوفمبر 1968.

(2) الإخوان الجمهوريون، **هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": إقرأوا واحكموا**، ط1، أمدرمان، 1978.

(3) المصدر السابق، ص 6-7.

يبدو من عنوان كتابه الأخير. (المقصود كتاب: **دجال السودان**، وقد أصدره الشيخ الأمين داؤد عام 1978).

7- يعتمد على فتاوى الأزهريين والسعوديين ونشرات وعرائض "علماء السودان" المزعومين، ومحكمة الردة، مغفلاً، إغفالاً تاماً، رد الجمهوريين المفصل عليها، جميعاً.

فى واقع الأمر أن معظم الدراسات ذات الطبيعة الفقهية، والتى صدرت فى نقد الأستاذ محمود ومشروعه، مما وقفت عليه، اتسمت بهذه الأسس المشار إليها أعلاه. قدم كتاب: **هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": إقرأوا وأحكموا**، نموذجاً مثالياً لهذه الأسس، والتى قامت عليها كتابات الشيخ الأمين داؤد وصحبه. ومن نماذج ردود الأستاذ محمود وتلاميذه على تلك الأسس التى قامت عليها كتابات الأمين داؤد، ما جاء فى الكتاب المشار إليه أعلاه:

واستهل الشيخ الأمين داؤد كتابه[1] *بمقدمة جاء فيها: "فإن دعوة محمود محمد طه دعوة خطيرة تستهدف دين الإسلام عقيدته وشريعته، وخطورة هذه الدعوة تكمن فى أنها تتوارى خلف لافتات كاذبة وعناوين خادعة وهى "الإسلام الجديد فى مستواه العلمى"...". وفرق كبير بين القول "بالإسلام الجديد" والقول بالدعوة "الإسلامية الجديدة"، وقد بيَّن هذا الفرق الأستاذ محمود فى كتابه:* ***الدعوة الإسلامية الجديدة****، فقال فى مقدمته فى صفحة (2): "عبارة الدعوة الإسلامية الجديدة أساء فهمها.. المعارضون، عن غرض حيناً، وعن قصور فهم، فى كثير من الأحيان، أثاروا حولها كثيراً من التشويه فزعموها تعنى: الإسلام الجديد.. وواضح من سياق النص نفسه، أن كلمة "الجديدة" إنما تقع صفة "للدعوة" وليست "للإسلام"*[2].

ففى تلك الوجهة، وجهة التشويه لعبارة: الدعوة الإسلامية الجديدة، على أنها الإسلام الجديد، فى تلك الوجهة ذهب أيضاً، محمد حسان كسبه فى كتابيه آنفى الذكر، فقد

(1) المقصود كتاب الأمين داؤد: **دجال السودان**.

(2) الإخوان الجمهوريون، هذا هو الشيخ الأمين **داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان"**: إقرأوا واحكموا، ط1، مصدر سابق، ص 8-9.

استهل كتابه الأول: **الباطنية وفكر الإخـوان الجمهوريين**[1]، بعد المقدمة بعنوان فصل أفرد له صفحة كاملة قال فيها: "الإسـلام الجديد كما يعرضه رسوله الدعى". ومن النماذج التى وردت فى إبراز التحـريف والتـشـويه والدحض لحجج الأمـين داؤد، المدعى الأول فى محكمة الردة، وحسين محمـد زكى، المدعى الثانى، سواء فى أقوالهم أمام محكمة الردة أو فى كتاباتهم، يقول الأستاذ محمود:

أما المدعى الثانى فأمره عجب فهو ينغمس فى مستويات من التشويه والتضليل تجلب العار لأقل الرجال احتفالاً بأمر الأخلاق... وهو يقول عنى: يقول السيد محمود محمد طه فى كتابه "الرسالة الثانية من الإسلام" صفحة 87 النص الاتى: "وما من نفس إلا خارجة من العذاب فى النار وداخلة الجنة حين تـستوفى كتـابها من النار، وقد يطول هذا الكـتاب وقد يقصـر حسب حاجـة كل نفس الى التجـربة ، ولكن لكل قدر أجل ولكل أجل نفـاد والخطأ كل الخطأ ، ظن من ظنّ ان العقاب فى النار لا ينتهى إطلاقاً فجعل بذلك الشر أصلاً من أصول الوجود وما هو بذلك وحين يصـبح العقاب سرمديـاً يصبح انتقام نفس حـاقـدة") ويقـف عنـد هذا الحد من النقل من كتاب "الرسالة الثانية من الإسلام" من صفحة 87 ثم يذهب ليقول عنى: "فهو بذلك يصف الله تعـالى بالحقد" ولو كـان هذا الرجل أميناً أبسط أنواع الأمـانة لوفر على نفسه هذه الهلكة التى تورط فـيها الى أذنيـه: ان النص يقول: "والخطأ كل الخطأ، ظن من ظنّ أن العـقاب فى النار لا ينتـهى اطلاقاً فـجعل بـذلك الشر أصـلاً من أصول الوجـود وما هو بذلك وحـين يصبح العقاب سـرمدياً يصبح انتقام نفس حاقدة لا مكان فيـها للحكمة، وعن ذلك تعالى الله علواً كبيراً". أنظر **الرسالة الثانية من الإسلام**، صفحتى 78 ، 88 الطبعة الثانية"[2].

من نماذج التحريف وعـدم الأمانة العلمية عـبر بتر الشواهد، وإيرادها مبـتورة، ما أورده الأمين داؤد فى كتابه: **نقض مفتـريات محمود مـحمد طه وبيان موقـف القضاء منه**،كتب الأمين داؤد قائلاً:

---

(1) محمد حسان كسبه، **الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين**، مرجع سابق، ص 7.

(2) محمود مـحمد طه، **بيننا وبين محكمة الردة**، ط1، أمدرمان، 1969، ص 5-9؛ الإخوان الجمـهوريون، **مهزلة محكمـة الردة مكيدة سياسية، الخلفـية التاريخـية لمواقف أ. السيـاسيين التـقليديين ب. رجال الدين والقـضاة الشرعيين**، مصدر سابق، ص 7.

فى صحيفة الرأى العام بتاريخ 1965/1/17 يعترض محمود محمد طه على ربنا اعتراضاً جريئاً بأنه -سبحانه- ليس بعادل، وهذا الاعتراض لم ينشر فى صحيفة الرأى العام وحدها، بل كرر نشره كثيراً فى عدة صحف وفى كتبه وفى النشرات التى يوزعها على الناس من وقت لآخر. يقول بالحرف"نجد أن حظ المرأة فى تشريع الاسلام الذى بين أيدينا الآن، حظ مبخوس. فهى على النصف من الرجل فى الشهادة، وعلى النصف منه فى الميراث، وعلى الربع منه فى الزواج، وهى دونه فى سائر الإمور الدينية والدنيوية فلماذا؟؟" [1]. ويقف الأمين داؤد عند هذا الحد من النقل من منشور الجمهوريين.. مع أن النص يبدأ هكذا: "وحين نجد أن حظ المرأة فى القرآن، من المسئولية الفردية، مساوياً لحظ الرجل مساواة مطلقة".. ولكنه يتركه وراءه ليبدأ من "نجد أن حظها فى التشريع الإسلامى الذى بين أيدينا الآن، حظ مبخوس .. الخ .".

الشاهد أن هذه الكتب متوفرة ويمكن للقارئ أن يطلع عليها، ليقف بنفسه على هذه الفوضى العلمية، والعبث الفكرى، دون أن يكون هناك وصى على عقله. ففى تقديرى هذه الكتب ستكون ميداناً لجولة سجال قادمة، فهى فى واقع الأمر تحتاج لإعادة قراءة وإعادة تحليل.

مثلت محكمة الردة فى نوفمبر عام 1968، لحظة تشكيل التحالف الإسلامى الواسع ضد الأستاذ محمود، إذ توالت الخطابات من خارج السودان من المؤسسات الإسلامية وعلمائها موجهة إلى وزير الشؤون الدينة والأوقاف، وهى تحمل التأييد لحكم الردة، وتحمل الفتوى بردة الأستاذ محمود عن الإسلام. حيث جاءت الخطابات من رابطة العالم الإسلامى، ومن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف[2]. تبع قيام التحالف الإسلامى إصدار العديد من الكتب والدراسات لعلماء من داخل السودان وخارجه. كما تم ابتعاث الطلاب كذلك

---

(1) الأمين داؤد، **نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه**، ط2، المطبعة الحكومة، الخرطوم، 1974، ص 26.

(2) خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، **الأزهر الشريف**، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5. ضمن مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة، النشرة اليومية (سونا)، **وكالة السودان للأنباء**، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405.

إلى الخارج لنيل الدرجات الجامعية العليا فى دراسة الفكرة الجمهورية.

التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وتلاميذه

ستبقى ذكرى الاستاذ محمود محمد طه قيمة نضالية تمجد الصمود وتدين ممارسة التكفير فى وجه التفكير(1).

آمال عباس

بحكم نشأة **المعهد العلمى بأمدرمان** على غرار **الأزهر الشريف** فى القاهرة، وبحكم الحضور الكثيف والمستمر للأساتذة المبتعثين من **الأزهر الشريف** إلى المعهد منذ نشأته، وبحكم نفوذ "علماء السودان" والفقهاء والقضاة الشرعيين وعضوية بعضهم فى المؤسسات الإسلامية، مثل **رابطة العالم الإسلامى** وغيرها، كان من السهل قيام التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود. لقد قام التحالف الإسلامى وأدى دوراً خطيراً ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، وضد السودان ومستقبله لاسيما فى موضوع الدراسات، وهى موضع اهتمامى فى هذا الفصل، مع أنها متداخلة مع دور التحالف فى محكمة الردة الأولى 1968 والثانية 1985، وتنفيذ حكم الاعدام فى 18 يناير 1985، إلا أن الحديث عن دور التحالف الإسلامى فى الردة سيأتى لاحقاً. لقد تجلى قيام التحالف الإسلامى وبرز نشاطه ودوره من خلال العديد من المواقف والأحداث، نقدم بعضاً منها بإيجاز:

1- صدر قرار من **رابطة العالم الإسلامى** بمكة المكرمة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وتم نقل القرار عبر خطاب إلى وزير الشؤون الدينية السودانية، واعتبرت الوزارة أن ما جاء فى خطاب الرابطة قراراً(2). جاء فى خطاب **رابطة العالم الإسلامى** إلى وزير الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان الدكتور عون الشريف قاسم: "من ضمن القضايا الإسلامية التى ناقشها المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى دورته السادسة عشرة

(1) آمال عباس، "معاً لنبذ العنف والدعوة للحوار"، من **موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/1/27، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(2) **الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الخرطوم، 1977، ص 78.

قضية (محمـود محمد طه) السوداني"[1]، وبعد "مناقشة الموضوع من جميع جوانبه **أصدر المجلس حكمه بالإجماع بارتداد المذكور عن الإسلام** تأييداً لما حكمت به المحكمة الشرعية العليـا بالخرطوم"[2]. كمـا طالب قائلاً: "**يجب على المسلمـين أن يعاملوه معـاملة المرتدين كما يجب مصادرة كتبه أينما وجدت ومنع طبعها**"[3]. (أنظر ملحق رقم: "44").

2- بتواتر الأخبار حكم الشيخ عبدالعـزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسى **لرابطة العالم الإسلامى**، بأن ما يقوم به الأسـتاذ محـمود هو من الفساد العـظيم والإلحاد. وبناء على ما تواتر خـاطب الشيخ عبدالـعزيز رئيس جمهـورية السودان الديمقراطيـة. جاء فى خطاب الشيخ عبـدالعزيز ، وهو خطاب كما ورد فى صدره (سرى وخاص)، (أنظر ملحق رقم: "42") يقول بن باز[4]:

"من عبدالعزيز عبـدالله بن باز إلى حضرة الأخ الكريم فخامة جعـفر بن محمد النميرى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية... أود أن اعرض على فخامتكم ***أنه قد تواترت أخبار عما يقوم به المدعو مـحمود محمد طه سودانى الجنسية من الفساد العظيم والإلحاد*** *والتشريعات عن الإسـلام ما لم يأذن به الله ولا رسوله وأن له اتباعـاً على باطله. ولا شك أنه يترتب على تـركه والاعراض عنه فـساد كبير إضافة إلى السمعة السيئة لفخامتكم داخل المجتمع السودانى المسلم خاصة والشعوب الإسلامية عامة".*

(1) خطاب من الأمـين العـام، **رابطة العـالم الإسـلامى**، الأمـانة العـامـة، مكة المكرمـة إلى وزير الشـؤون الدينيـة والأوقاف بالسودان، الرقم: 2631/17/5 التاريخ: 5 ربيع أول 1395، ضمن مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضـد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة، النشرة اليومية (سونا)، **وكالة السودان للأنباء**، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405.

(2) المصدر السابق..

(3) المصدر السابق.

(4) خطاب من عبـد العزيز عبدالله بن باز، الـرئيس العام، لإدارات البحوث العلمـية والافتاء والدعـوة والإرشاد، ورئيس المجلس التـأسيـسى **لرابطة العـالم الإسلامى**، مكتب الرئيس، المملكـة العربيـة السعـودية، إلى رئيس جـمهـورية السودان الديـمقـراطية، التـاريخ: 1395/5/4 هـ، ضـمن مجـموعـة من الوثائق التى قـدمت من المؤسسات الإسـلامية والعلماء داخـل البلاد وخارجها ضـد المرتد محمود مـحمد طه ودعوته البـاطلة، النشرة اليومية (سونا)، **وكالة السودان للأنباء**، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405.

3- فتوى من **الأزهر الشريف** بالكفر الصراح، و الفكر الملحد. كانت الخطابات فى تبادل مستمر بين وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ومجمع البحوث الإسلامية **بالأزهر** الشريف حيث جاء فى أحد خطابات المجمع أنه: "فقد وقع تحت يدى لجنة الفتوى **بالأزهر** الشريف كتاب الرسالة الثانية من الإسلام تأليف محمود محمد طه"[1]، وبعد إشارات لما جاء فى الكتاب، ورد: "وبما أن هذا كفر صراح ولا يصح السكوت عليه فالرجاء التكرم باتخاذ ما ترونه من مصادرة لهذا الفكر الملحد والعمل على إيقاف هذا النشاط الهدام خاصة فى بلدكم الإسلامى العريق"[2]. (أنظر ملحق رقم: "43").

4- ابتعاث جامعة **أمدرمان الإسلامية** لأحد الطلاب لنيل درجة الدكتوراة من **جامعة أم القرى** بالمملكة العربية السعودية، وكان موضوع دراسته: **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**. لعبت هذه الأطروحة، باعتبارها مرجعاً علمياً، دوراً خطيراً فى الموقف من مشروع الأستاذ محمود، سواء داخل السودان أو خارجه. وسيأتى توضيح ذلك.

5- قام **المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف** بالسودان (وزراة الشؤون الدينية والأوقاف)، باستكتاب الأساتذة ليردوا على الأستاذ محمود. لم يكن واضحاً ما إذا كان هؤلاء الأساتذة الذين تم استكتابهم، من داخل السودان أم من خارجه، أم كان السعى للاستكتاب يشمل الأساتذة من مختلف أنحاء العالم الإسلامى. فقد ورد فى خطاب كتبه سر الختم الحسن عمر، وهو أحد الذين طُلب منهم إبداء الرأى حول دراسة تم إعدادها فى الرد على الأستاذ محمود، وقُدمت الدراسة إلى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف، فأصدر المكتب التنفيذى توجيهاً للسيد سر الختم الحسن عمر نيبدى رأيه حول الدراسة. كتب سر الختم ضمن الخطاب الموجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية

---

(1) خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، **الأزهر الشريف**، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5. ضمن مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة، النشرة اليومية (سونا)، **وكالة السودان للأنباء**، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405.

(2) خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، **الأزهر الشريف**، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، مصدر سابق.

والأوقاف، بتاريخ 20 نوفمبر 1984، كتب قائلاً[1]:

"فيما يتعلق بإبداء الرأى حول كتاب: **رسالة فى الرد على محمود محمد طه**، فإنى أوضح الآتى:

1- إن المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف يسعى لأن يستكتب أساتذة يردون على فكر محمود محمد طه وبطلانه الواضح، ولكن هذا لا يعنى أن يقبل أى شىء، يقدم إليه دون فحص أو تدقيق فيما يقدم إليه".

لقد وقفت على الكتاب موضوع تبادل الرسائل، فالكتاب لايزال مخطوطة بعنوان: **رسالة فى الرد على محمود محمد طه**، فى مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية، بأمدرمان. فالمؤلف هو عبدالباقى يوسف نعمة، وكتب تحت اسمه أنه خريج الأزهر الشريف. تقع المخطوطة فى (182) صفحة من القطع الكبير. لن أذهب بعيداً فى الحديث عن ضعفها وغياب التوثيق فيها، إلى جانب الركاكة الفكرية والفوضى فى منهج التناول، لن أذهب بعيداً وسآخذ ببعض ما قاله المحكم سر الختم الحسن عمر، وهو أحد المحكمين، وقد ضمن رأيه فى رسالتين ألحقتا بالمخطوطة، يقول سر الختم فى خطابه[2]:

السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)

تحية طيبة وبعد،

الموضوع: رسالة فى الرد على محمود محمد طه، للشيخ عبدالباقى يوسف نعمة

إشارة إلى التوجيه الصادر من سيادتكم بواسطة موظفى المكتب التنفيذى بإبداء الرأى حول الكتاب المذكور أفيد بالآتى:

1- لقد قرأت الكتاب كله وكان همى أن أجد فى الكتاب ما يدحض فكرة محمود محمد طه الباطلة حتى يخلد اسم الشيخ عبدالباقى يوسف نعمة الذى خلد بتدريس العلم والقرآن

---

(1) سر الختم الحسن عمر، "خطاب موجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف"، ضمن: عبدالباقى يوسف نعمة، **رسالة فى الرد على: محمود محمد طه، مرجع سابق**، ص الملاحق.

(2) المرجع السابق، ص الملاحق.

لأبناء السودان الذين يترحمون عليه آناء اليل وأطراف النهار ، فاللهم اغفر له وارحمه.

2- ...

3- النصوص التى استشهد بها من كتب محمود محمد طه وغيره من المتصوفه لم يشر إلى الكتاب والصفحة والطبعة، وهو أمر مهم فى توثيق النص وفى مثل هذا العمل الذى يرد به على فكرة باطلة. فالنص المستشهد به لابد من توثيقه بتحديد كتابه المنقول منه وصفحته ومكان الطبع. وقد بدأت توثيق بعض النصوص ويمكن أن تكمل البقية بسهولة.

4- الكتاب فيه هجوم عنيف على الصوفية بجميع اتجاهاتهم المعتدلة والمتطرفة أكثر من الهجوم على محمود ذاته، وهذا أمر يحتاج إلى تمحيص، فهناك جماعة معتدلة لا تدين بما يقول به أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

5- الشيخ (رحمه الله) يبنى رأيه فى كتابه على أن ضلال محمود نتج عن تتلمذه للمتصوفة. ولذلك نجد الكتاب من ص 84 إلى ص 150 خرج عن الموضوع ونسى محموداً واتجه بكليته نحو التصوف والهجوم عليه بصورة تجعلنا لا نقف على اسم محمود أو فكره إلا نادراً. (انتهى النص المقتبس من خطاب سر الختم الحسن عمر).

6- قيام المؤسسات الإسلامية بتمويل نشر الدراسات والكتب التى تنتقد الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية، مثل رابطة العالم الإسلامى. فقد "كتب الشيخ محمد أمان بن على الجامى كتاباً طبع على نفقة رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة تحت عنوان: **المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية**"[1]. والكتاب هو عبارة عن محاضرة ألقاها محمد أمان بن على الجامى الأستاذ بكلية الشريعة **بالجامعة الإسلامية** بالمدينة المنورة دفاعاً عن السنة المحمدية وتعقيباً ورداً على النقاط التى استمع إليها محمد أمان فى عطبرة فى صيف عام 1383هـ عندما كان فى زيارة إلى السودان مع بعض الشبيبة من طلاب **الجامعة الإسلامية** بالمدينة المنورة"[2]. أيضاً، كتب الأساتذة **بجامعة أمدرمان الإسلامية** فى عام 1983 كتاباً [3] عن فرقة

---

(1) شوقى بشير عبدالمجيد، **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، مرجع سابق، ص 135.

(2) المرجع السابق، ص 135.

(3) ورد أن "هذا الكتاب ما زال مخطوطاً- وهو الآن تحت الطبع". المصدر: شوقى بشير عبدالمجيد، **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، مرجع سابق، ص 136.

الجمهوريين، وقد صنف هؤلاء الأساتذة هذا الكتاب استجابة لدعوة كريمة من المرحوم محمد على الحركان، عندما كان رئيساً لرابطة العالم الإسلامى[1]. وعن ما يحتويه الكتاب كتب شوقى قائلاً: "ويحتوى على مجموعة مقالات قيمة"[2]. وهى خمسة مقالات[3]:

المقالة الأولى: "الحركة الجمهورية وصلتها بالحركات الباطنية فى القديم والحديث، للأستاذ الدكتور محمد أحمد الحاج، مدير سابق **لجامعة أمدرمان الإسلامية**.

المقالة الثانية: "الإسلام دين وشريعة كُلٌ لا يتجزأ"، للأستاذ الدكتور محمد محى الدين عوض، مصرى الجنسية، أستاذ الفقه المقارن **بجامعة أمدرمان الإسلامية**.

المقالة الثالثة: "النبأ الأثيم أو الهوس اللادينى الذميم"، للشيخ محمد نجيب المطيعى. مصرى الجنسية، عمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث **بجامعة أمدرمان الإسلامية**.

المقالة الرابعة: "لماذا دعوة إسلامية جديدة تبشر برسالة ثانية من الإسلام"، الأستاذ الدكتور كمال دسوقى. مصرى الجنسية، أستاذ اجتماع وعلم نفس وصحة عقلية، رئيس قسم التربية **بجامعة أمدرمان الإسلامية**.

المقالة الخامسة: "انهيار الفكر الجمهورى المناوىء للشريعة الإسلامية الغراء" للدكتور محمد شتا أبو سعد. أستاذ مساعد للقانون المدنى **بجامعة أمدرمان الإسلامية**، ومستشار بالمحاكم المصرية سابقاً.

تمثلت كذلك جهود المؤسسات الإسلامية فى نشر الدراسات التى أُعدت ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، مثلما وصية الشيخ عبدالعزيز بن باز بطباعة كتاب أعده شوقى بشير عبدالمجيد، فطبعته **رابطة العالم الإسلامى**. يقول شوقى بشير عبدالمجيد، "... كتابى **موقف الجمهوريين من السنة النبوية**، (الذى طبعته سلسلة دعوة الحق- برابطة العالم الإسلامى- 1987 بتوصية من الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – أيام الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الله عمر النصيف"[4].

(1) شوقى بشير عبدالمجيد، **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، مرجع سابق، ص 136.
(2) المرجع السابق، ص 135.
(3) المرجع السابق، ص 136-137.
(4) شوقى بشير عبدالمجيد، "الجمهوريين ومشايخ الصوفية"، مرجع سابق.

7- يضاف إلى ذلك أن هناك مؤسسات إسلامية قامت فيما بعد، بإصدارات (موسوعات، كتب ...إلخ) ضمنتها تعريفاً **بالحزب الجمهورى** وتعريفاً بالأستاذ محمود، لم يكن التعريف علمياً بل كان تشويهاً وجافى الالتزام بالأسس العلمية. كان أوضح نموذج هو: **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**(1)، والتى أصدرتها **الندوة العالمية للشباب الإسلامى**. وسيأتى الحديث لاحقاً عن ذلك، فقد خصصت محوراً ضمن الفصل الحادى عشر، بعنوان: "التحالف الإسلامى وغياب الورع العلمى واستمرار التشويه: الندوة العالمية للشباب الإسلامى نموذجاً".

الشاهد أن هذه التحركات والمراسلات بين أطراف التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، القت بظلالها على الدراسات التى صدرت فى النقد من حيث النوع والعدد. فقد اتسمت الدراسات النقدية التى صدرت بالعاطفة والمفارقة للأسس الأكاديمية بما فى ذلك الأطروحات الجامعية، كما لازمها غياب الورع العلمى، ويبدو أنها لم تجد رادعاً أخلاقياً يتصل بالمسؤولية والصدق، دعك من سوء الفهم والعلم. فسعت فى أغلبها إلى التضليل والمهاترة والتشهير. إن بعضاً مما ورد فى تلك الدراسات لا يستحق اليوم النظر فيه لسبب بسيط وهو أن الواقع قد تجاوزه ونطق فى بعض القضايا بصحة آراء الأستاذ محمود، مثل ما ورد فى كتاب الأمين داؤد: **الاختلاط فى مذاهب مسيلمة الثانى الكذاب**، وغيره كثير، ويمكن للقارىء الرجوع لتلك الكتب والتأمل فى ما أتت به. كذلك كان كثير مما ورد فى تلك الدراسات مجافياً للحقيقة ولا يلتزم بالصدق والأسس العلمية. سأقف على نماذج من هذه الدراسات، وهى غير الدراسات التى وردت ردود عليها فى كتب الإخوان الجمهوريين باعتبار أن تلك الردود متوفرة، ولهذا فإننى سأقف على بعض هذه الدراسات من خلال ثلاثة نماذج عبر ما تتسم به من السمات والملامح التالية:

- نقل النصوص وتجليات الكسل العقلى عند الفقهاء.
- انخفاض السقف المعرفى وانعدام الورع العلمى .
- العبث الفكرى والإفلاس الأخلاقى والسجال بلا شرف.

---

(1) **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الرياض، ط2، 1989، ص 183-190.

نقل النصوص وتجليات الكسل العقلى عند الفقهاء: كتاب المكاشفى نموذجاً

كثير من الذين تصدوا لأفكار الراحل ابتنوا معرفتهم لأفكاره على السماع لم يروموا من ذلك غير غرض واحد هو التشهير. ومن بين أولئك طائفةٌ من المتربصين سارعت إلى قراءة ما بين السطور، قبل قراءة السطور، ناهيك عن التمعن فيها، ومن ثَم ذهبت تلك الطائفة إلى اختراص المعانى التى يريدون عبر تلك القراءة الزائفة حتى يُقَدِّروا عليها الأحكام بالظن، وبعضُ الظن إثم[1].

منصور خالد

السمة الأوضح والغالبة على الدراسات التى كتبها الفقهاء والعلماء والقضاة فى نقد الأستاذ محمود هى انعدام الورع العلمى، وانخفاض السقف المعرفى، واللا التزام بالأسس العلمية. وفوق كل ذلك عدم الصدق وعدم الالتزام بالمعيار الأخلاقى، إلى جانب النقل، نقل النصوص من بعضهم بعضاً. لقد كانت هناك شبكة واسعة من النقل فيما بينهم، مع الإشارة للمصدر أحياناً، ولعل النقل بالمستوى الذى سنقف عليه، يكشف عن مدى الكسل العقلى وحالة العجز فى السجال الفكرى، ومن ثم الدفع بالسجال بلا شرف ناحية الفقه، وتلك ناحية لا تسعف فى ترفيع السجال وتصاهل الأفكار. كان من أوضح النماذج فى النقل، مع الإشارة لذلك، هو كتاب أعده المكاشفى طه الكباشى.

نموذج كتاب المكاشفى طه الكباشى

وانـنا لنعتقد ان سجل الدكتور الكباشى فى التخلّص من خصومه الفكريين وإرهابهم حتى يلفظوا عقائدهم لا يؤهله لعضوية أى هيئة تدريس فمن الصعب أن نتوّقع من الدكتور الكباشى، الذى لا يحتمل خصومة الرأى، أن يقبل من طلابه اعتناق آراء غير التى يعتقدها هو ناهيك عن مكافأتهم على مثل هذه الجسارة الفكرية. وبناء عليه فالدكتور

(1) منصور خالد، "محمود الذى عرفت"، (محاضرة)، بمناسبة مئوية الأستاذ محمود محمد طه، (1909-2009)، فى الذكرى الرابعة والعشرين لاستشهاده عام 1985، **مركز الخاتم عدلان للاستنارة والتنمية البشرية، الخرطوم**، 22 يناير 2009.

الكباشى قاصر عن كل مطلوب فى المعلّم والباحث[1].

عبدالله على إبراهيم

كان أوضح النماذج، فيما اطلعت عليه، التى أخذت بأسلوب النقل فى نقد آراء الأستاذ محمود، هو كتاب المكاشفى طه الكباشى: **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان.** المكاشفى يحمل درجة الدكتوراة، كما ورد فى صدر كتابه أمام اسمه (دكتور)، وهو قاضى المحكمة العليا سابقاً، وأستاذ الشريعة الإسلامية المساعد **بجامعة الملك سعود** بالرياض، كما كان رئيساً لمحكمة الاستئناف الجنائية، بالعاصمة القومية، وهى المحكمة التى أصدرت قرارها بتأييد حكم اعدام الأستاذ محمود وأتباعه بتاريخ 15 يناير 1985. كان حكم الإعدام قد أصدرته المحكمة الجنائية رقم (4) بأمدرمان، برئاسة القاضى حسن إبراهيم المهلاوى بتاريخ 8 يناير 1985. أورد المكاشفى وصفاً لتنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985 فى كتابه[2]، وهو وصف يتناقض تماماً مع وصف الذين شهدوا بابتسامة الأستاذ محمود، وهو على منصة المشنقة[3]. الشاهد أن وصف المكاشفى لتنفيذ حكم الإعدام، ليس هو موضع اهتمام عندى، لهذا لن أقف عنده، لأن الذى يهمنى فى هذا المقام هو التناول العلمى لكتابه. يقع كتاب المكاشفى فى (309) صفحات من القطع المتوسط. والكتاب كما كتب مؤلفه "عبارة عن بحث" تناول فيه:

جريمة الردة وعقوبتها فى الفقه الإسلامى بإيجاز مع بيان التطبيقات العملية لحد الردة عبر التاريخ الإسلامى، والرد على الشبهات التى أثيرت حول عقوبة الردة. ثم أتناول قضية محمود محمد طه بالتفصيل **متناولاً أفكاره وآراءه وموقفها من الإسلام**، مع بيان آراء أهل العلم والفقه فى اعتقاداته وأفكاره، ثم تناول محاكمات الردة بالتفصيل مع بيان الطعون حولها..[4].

---

(1) عبدالله على إبراهيم، مذكرة عبد الله على إبراهيم إلى الناخبين الخريجين فى العاصمة القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة فى القانون الجنائى، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفى طه الكباشى، قاضى محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالمملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب ايذائه لمخالفيه فى الرأى. (أنظر ملحق رقم: "49").

(2) المكاشفى طه الكباشى، **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، مرجع سابق، ص 205-206.

(3) المرجع السابق، ص 205-206.

(4) المرجع السابق، ص 9.

قبل كل شيء أبدأ بالأسئلة التالية: هل يعد نقل الفصول والمباحث كاملة من دراسات الآخرين وجمعها فى كتاب، ومن ثم نشره، هل يعد هذا عملاً علمياً يثرى الفكر ويرتقى بالعقل ويخدم النقد أو إحقاق الحق؟ وهل نقل المباحث من دراسات الآخرين وجمعها فى كتاب يضيف شيئاً للمكتبة الإنسانية، أو يضيف للمكتبة التى كتب الكتاب بلسانها؟ الشاهد أن المكاشفى نقل فى كتابه مباحث وفصولاً بكاملها من كتب لآخرين، وقد أشار إلى نقله لتلك المباحث، وبرر النقل بأنها مباحث مهمة. لهذا، فإن كتاب المكاشفى هو عبارة عن كتاب ضعيف لمجموعة مؤلفين لا تصمد كتبهم مجتمعة أمام النقد المتساهل دعك من المعايير الأكاديمية وأسس الورع العلمى، والمسؤولية الأخلاقية. إن الذين نقدوا الأستاذ محمود فى القرن الماضى لم يقدموا للمستقبل، الذى هو اليوم وغداً، شيئاً سوى دراسات وكتب تتسم بالضعف والركاكة، وهدر لطاقات الباحثين ومضيعة لأوقاتهم، كما حدث معى. ليس فى كتاب المكاشفى جديد يذكر. فالكتاب عبارة عن وثيقة دفاعية تبريرية لدوره فى محكمة الردة، فالوثيقة هى عبارة عن استنجاد واستدعاء فقد كانت فى جلها عبارة عن مباحث منقولة من دراسات لآخرين، أكثر من كونها مساجلة فكرية أو نقداً لآراء الأستاذ محمود وأفكاره بالتفصيل كما أشار المكاشفى لذلك. ولتأكيد صحة ما ذهبت إليه فأننى أبدأ بتبيين ما نقله المكاشفى من الآخرين وضمنه كتابه: **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، ويحمد للمكاشفى أن أشار لهذا النقل ولمصادره.

نقل المكاشفى مبحثاً بكامله[1] من كتاب محمد نجيب المطيعى، الصفحات: من 85 إلى 125.

نقل المكاشفى مبحثاً اختاره[2] من كتاب النور محمد أحمد، الصفحات: من 126 إلى 134.

نقل المكاشفى مقدمة وخاتمة رسالة دكتوراة[3]، الصفحات: من 135 إلى 157.

نقل المكاشفى مبحثاً بعنوان: "الطاهوية"[4] من كتاب[5] عبدالله حسن زروق، الصفحات: 157-165.

(1) المرجع السابق، ص 85.
(2) المرجع السابق، ص 126.
(3) المرجع السابق ، ص 135.
(4) المرجع السابق، ص 157.
(5) عبدالله حسن زروق، "الطاهوية"، **قضايا التصوف الإسلامى**، ط2، هيئة الأعمال الفكرية، الخرطوم، 2006، الصفحات (159-170).

نقل المكاشفى عريضة الدعوى الأولى، محكمة الردة الأولى، تفاصيل المحاكمة، الصفحات: من 168إلى 186.

نقل المكاشفى وقائع محكمة الردة الثانية قرار المحكمة الجنائية رقم (4) بأمدرمان، الصفحات: من 187-241.

الصفحة رقم: 243 كانت صفحة بيضاء.

الصفحات: من 243 إلى 289 نقل لقرار المحكمة العليا الدائرة الدستورية.

الصفحات: من 301 إلى 309 المراجع والمحتويات.

أما الصفحات المتبقية من كتاب المكاشفى فقد كانت على النحو التالى:

الصفحات: من 1 إلى 4 العنوان وآيات من القرآن الكريم.

الصفحات: من 5 إلى 10 مقدمة.

الصفحات: من 11 إلى 84 الباب الأول: جريمة الردة وعقوبتها فى الفقه الإسلامى.

الصفحات: من 165 إلى 166 نقل للفتاوى: **رابطة العالم الإسلامى**، وفتوى **الأزهر الشريف**.

كانت هناك (204) صفحات نقلها المكاشفى من دراسات وكتب لآخرين، فماذا بقى من كتابه حتى يتناول آراء الأستاذ محمود وأفكاره؟ لم يبقَ شيءٌ. لقد أشار المكاشفى للنقل ولمصادره. هل يقدم كتاب المكاشفى نقداً لآراء الأستاذ محمود؟ هل يمكننى كباحث التعاطى مع كتاب المكاشفى هذا كدراسة علمية؟ علماً بأن كاتب الكتاب، كما ورد آنفاً، يحمل درجة من أرفع الدرجات العلمية، الدكتوراة، وأستاذ جامعى، وفوق كل ذلك فهو من كبار القضاة والعلماء فى السودان وفى العالم الإسلامى. وهو رئيس محكمة الاستئناف الجنائية، التى أصدرت قرارها الخطير بتأييد حكم إعدام الأستاذ محمود. إن أكثر ما يمكن أن يقدمه لنا كتاب المكاشفى هو أننا نستطيع من خلاله أن نتصور نوع الحوار والسجال الذى واجهه الأستاذ محمود، ومن خلال كتابه نستطيع أن نتخيل المستوى لساجلى الأستاذ محمود ولمحاوريه. لقد تناول المكاشفى آراء الأستاذ محمود من خلال

نقله لآراء الآخـرين، ولكن يحمـد له أنه أشار لكل هذا النقل ولمصـادره. وعلى الرغم من أننى على قناعة تامة بأن مناقـشة كتاب مثل هذا، ما هى إلا مضـيعة للوقت، مع ذلك فإننى سـأعطى الكتاب مـسـحاً سـريعاً لتـفـصيل بعض مما أوردته مـجـملاً بشـأن النقل. وليت المكاشفى نقل من مصادر أو مراجع تتسم بالرصانة العلمية والمسؤولية الأخلاقية، فمصادر المكاشفى كانت ركيكة وضعيفة وغاب عنها الورع العلمى. لقد تهيكل كتاب المكاشفى فى مقدمـة وبابين، اشتمل البـاب الأول على فصلين، والثانى على ثلاثة فصـول. تناول الباب الأول جريمـة الردة وعقوبتهـا فى الفقه الإسلامـى. وفى تقديرى إن هذا الباب القصـير لا ينهض بموضـوعه فى ظل معطيـات العصـر والاستفـهامـات الفكرية المطروحة اليـوم، لقد تجاوز الواقع الفكرى والسـياسى ما ذهب إليه المكاشـفى.وسيأتى تناول ذلك لاحـقاً ضمن فصل يتناول محكمة الردة الأولى 1968 وآخر يتناول محكمة الردة الثانية عام 1985.

أما الباب الثـانى من كتابه فقد خصـصه المكاشفى لمحاكمـة الأستاذ محمود مـحمد طه بالردة فى السودان ولنقض أفكار الأسـتاذ محمـود ودحض آرائه بالتفصيل كـما أشار. لم يقدم المكاشـفى فى هذا الباب تناولاً لأفكار الأسـتاذ محمود وآرائه بالتـفصيل كمـا أشار؛ وإنما نقل مباحث من كـتب آخرين، كما وردت الإشارة فقـد نقل من: الأمين داؤد وشوقى بشير عبـدالمجيد، ومحمد نجيب المطيعى، وعبدالله حسن زروق. والنور محـمد أحمد،... إلخ. عندما نقل مقدمة أطروحـة الدكتوراة للطالب شوقى بشير عبدالمجيـد وخاتمتها، كتب المكاشفى عن بحث شوقى قائلاً: "كتب شوقى بشير بحثاً قيماً... نال به درجة الدكتوراة... وسنختار من هذا البحث مقـدمة البحث وخاتمته"(1) فأورد المقدمة والخـاتمة بما تضمنتاه من أخطاء علميـة فادحة، لا تليق بمستوى الدرجـة العلمية التى نالها الطـالب وهى الدكتوراة، ولا تليق بالذى استند عليها كمرجع وهو حامل لدرجة الدكتوراة "سيأتى تناولى لأطروحة الدكتـوراة هذه، بشىء من التفـصيل لاحقـاً". ثم نسخ المكاشفى مبحثـاً كاملاً من كـتاب محمد نجيب المطيعى (خمساً وخمسـين صفحة كانت فى كتاب المطيعى من الصفحة رقم: 157 إلى الصفحة رقم: 212)(2)، كتب المكاشفى عن المطيعى وكتابه قائلاً:

(1) المكاشفى طه الكباشى، **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، مرجع سابق، ص 135.
(2) محمد نجيب المطيعى، **حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة**، ط1، 1986، (د. م. ن)، ص 157-212.

*ألف الشيخ محمد نجيب المطيعى صاحب تكملة المجموع وخادم السنة النبوية كتاباً فى نقض مفتريات محمود طه وأباطيله بعنوان: **حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة**، ولقد أخذت من هذا الكتاب أحد مباحثه الهامة والتى كانت عبارة عن بحث قدمه الشيخ المطيعى لمدير جامعة أمدرمان الإسلامية آنذاك الدكتور محمد أحمد الحاج عليه رحمة الله تعالى. وهذا هو المبحث بكامله تحت عنوان: "النبأ الأثيم أو الهوس اللادينى الذميم". ثم أورد النص[1].*

ونسخ المكاشفى حيثيات وعريضة ووقائع محكمتى الردة الأولى 1968 والثانية 1985، وتنفيذ حكم الإعدام واستتابة تلاميذ الأستاذ محمود وضمنها كتابه فى الصفحات (168-242). أما الصفحات من (243-289) فقد نسخ فيها قرار المحكمة العليا (الدائرة الدستورية) كما جاء فى القضية الدستورية رقم ق د /1406/2 المحكمة العليا الخرطوم. وفى ثمانى صفحات (290-300) قدم ما أسماه ملاحظات حول الطعن الدستورى. ماذا بقى من كتاب المكاشفى بعد أن نزيح ما نقله وما نسخه من الآخرين؟ لم يبق شيءٌ سوى الغرض. الشاهد أن كتاب المكاشفى طه الكباشى هو عبارة عن وثيقة غاب فيها وعنها كاتبها، فهى تكرار ونسخ لنصوص منتقاة لما قاله آخرون، ومع ذلك فهى لا تفيد فى نقد الآراء الفكرية للأستاذ محمود، كما أشار المكاشفى فى كتابه، ومع ذلك فهى هشة أمام النقد، وغير متماسكة فى دفوعها ومسوغاتها بشأن محكمة الردة. كما أنها بعيدة كلية عن الفكر وعن مناقشة آراء الأستاذ محمود والرد عليها بتفصيل كما أشار فى كتابه. إن الكتب التى اعتمد عليها المكاشفى، كما ورد آنفاً، لا ترقى لتقديم سجال شريف وعلمى وأمين. استند المكاشفى فى تفنيد آراء الأستاذ محمود وأفكاره، على مرجع وصفه المكاشفى بالبحث القيم، وهو أطروحة دكتوراة عنوانها: **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**[2]، التى نال بها أحد الطلاب السودانيين درجة الدكتوراة من **جامعة أم القرى** بالمملكة العربية السعودية. وهى النموذج التالى الذى سأقف عنده.

---

(1) المكاشفى طه الكباشى، **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، مرجع سابق، ص 85.

(2) شوقى بشير عبدالمجيد، **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، مرجع سابق.

نماذج انخفاض السقف المعرفى وانعدام الورع العلمى

فمع محمود محمد طه كانت الحرية هى القاعدة التى ينهض فيها الإسلام، وكان العقل -لا الوجدان فحسب- مصدراً للحصول على المعرفة لا يقل أهمية (1).

أحمد ضحية

إن أنصع نموذج لانعدام الورع العلمى، فيما اطلعت عليه من دراسات وكتب فى نقد الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية، هو رسالة الدكتوراة الموسومة بـ:**فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، والتى قام بإعدادها الطالب (آنذاك) شوقى بشير عبدالمجيد. فقد نال بها درجة الدكتوراة عام 1404هـ (1983/1984 تقريباً) فى العقيدة من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، **بجامعة أم القرى**، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، وهو مبتعث من **جامعة أمدرمان الإسلامية**، أمدرمان، السودان. لقد وقفت على أطروحة الدكتوراة هذه. والدكتوراة كما هو معلوم، من أرفع الدرجات العلمية، لقد درست هذه الأطروحة وخرجت من دراستها بأنها تمثل أنصع النماذج لمستوى السجال والجدل الذى جابهه وواجهه الأستاذ محمودفى السوح السياسية والفكرية، والذى كان يقوم على تقديم الغرض على الوثيقة. فالأطروحة لا تصمد ولا تتماسك أمام نقد النقد، ليس لأنها لم تنهض بموضوعها بشكل كاف فحسب، وإنما لأنها كشفت عن مدى الضعف العلمى والجهل بالتاريخ، والجرأة فى النيل من الجمهوريين بلا وازع معرفى أو ورع أكاديمى. الأمر الذى ينتفى معه سلامة التحليل وصحة الاستنتاجات والخلاصات. فقد اشتملت الأطروحة على خلط للحقائق وأخطاء علمية، تؤهلها بكل بساطة لتصنف فى خانة الدراسات المشوهة للتاريخ وللحقائق. إننى سأتوسع قليلاً فى قراءتى لهذه الأطروحة، دون غيرها من الدراسات، وذلك للأسباب التالية:

---

(1) أحمد ضحية، "حول أزمة المثقف والسلطة ووحدة قوى السودان الجديد"، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 17 مايو 2011، من **سودان للجميع**، الجمعية السودانية للدراسات والبحوث فى الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، الموقع على شبكة الإنترنت :

http://www.sudan-forall.org

1- كانت من أوائل الرسائل الجامعية عن الجمهوريين إن لم تكن الأولى.

2- مثَّلت، بحكم صبغتها الأكـاديمية، أهم المراجع للدراسات التى تمت بعد عام 1983 فى نقد الأستاذ محمود ومشروعه.

3- اعتـمدت عـليهـا الكثيـر من الدراسات التى تمت خـارج السودان وداخلـه، وأخذ البعض بما جاء فيها، بحكم صبغتها الأكاديمية، بثقة تامة.

4- كانت الأطروحة حاضرة ضمن المقررات الدراسية **بجامعة أم القرى** بمكة المكرمة التى يدرسهـا الطلاب عن الفرق المعاصرة، ومن بيـنها فرقة الجـمهوريين. وقد اسـتند المقرر على أطروحة الدكتوراة التى قدمها الطالب شوقى بشيـر عبدالمجيد، وعلى دراساته التى استلها منها لاحقاً أو تـلك التى قام بها وهى متـصلة بأطروحته للدكتـوراة. كان حضور أطروحـة شوقى واضحاً فى المقررات الدراسية عن الجمهوريين لا سيما: التسمية والنشأة، حيث جاء:

وقـد بين الدكتـور شوقى بشيــر عبد المجيـد حقيـقة هذه الفرقـة الضالة بقوله: " فـرقة الجمهـوريين بالسودان فرقة باطنية، وذلك لأن مـؤسسها وأتباعه ينـسبون لكل ظاهر باطناً، ويمكن أن نطلق ألقـاب الباطـنية وأسـماءها على هذه الفـرقـة، فهم باطنيـة، وهم إباحيـة يدعون إلى انتـقال التحـريـم من الأعيان المحـسوسة إلى صـور السلوك المعنوية وهم بذلك يستحلون ما حـرم الله، وهم خرمية؛ لأن حاصل مذهبهم هو حاصل مـذهب الخرمية وهو القول بسقوط التكاليف، ومذهب الجمهوريين فى حقيقته مذهب تلفيقى جمع بين الأفكار المناوئة للإسلام[1].

5- بعد أن نال شوقى الدكتوراة، استل ونشر عدداً من الكتب والدراسات معتمداً على مـا جاء فى أطروحـته أو علـى مناخهـا، ومما نشره كـتـابان وردت الإشارة إليـهمـا، الأول بعنوان: **موقف الجمهوريين من السنة النبوية**، والكتاب الثانى بعنوان: **منهج الجمهوريين فى تحريف القرآن**. كما نشر عدداً من الأوراق بعضها فى أكثر من دورية منها: "التأويل الباطنى

(1) "المبحث الأول: التسمـية والنشـأة"، **المقـررات الدراسـية: البـاب الثـانى، الفـرق المعاصـرة، الفـصل الرابع: الجمهوريون**، جامعة أم القرى، الموقع على الإنترنت: http://uqu.edu.sa/page/ar/185820

عند فرقة الجمهوريين بالسودان"، و "الجمهوريين ومشايخ الصوفية "، و"فرقة الجمهوريين فى السودان"... إلخ.

6- لاحقاً وبعد أن نال شوقى الدكتوراة بأطروحته المشار إليها، ترقى فى السلم الأكاديمى **بجامعة أمدرمان الإسلامية**، فأصبح يشرف على طلاب الدراسات العليا، لا سيما تلك التى درست الجمهوريين، ومن الأمثلة على ذلك إشرافه على رسالة ماجستير بعنوان: **نقض نظرية الإنسان الكامل عند الجمهوريين**[1]، إعداد الطالب: الباقر عمر السيد.

لهذه الأسباب مجتمعة سأقف قليلاً عند أطروحة الدكتوراة التى نال بها شوقى بشير عبد المجيد درجة الدكتوراة من **جامعة أم القرى** بالمملكة العربية السعودية. ولكن يصعب تغطية كل الأطروحة فى هذه المساحة، فإلى جانب ضيق المساحة فى هذا الفصل، فهناك ثلاثة أسباب أخرى تجعل الأمر أكثر صعوبة: الأول أن الأطروحة تنضح بالمغالطات وخلط الحقائق، ولم تتوفر فيها الشروط الأكاديمية اللازمة، وتعانى الأطروحة كذلك من غياب الورع العلمى سواء فيما ورد فيها من معلومات وحقائق أو فيما خلصت إليه من نتائج وخلاصات. والسبب الثانى أن الأطروحة ضخمة جداً فهى تقع فى (1431) صفحة، ومقسمة على مجلدين، الأول من الصفحة (1) إلى الصفحة (692)، والمجلد الثانى من الصفحة 693 إلى 1431. والسبب الثالث إن ما حمله الباب الأول من أخطاء علمية ومغالطات تاريخية يقدم لنا تصوراً كافياً لما يمكن أن يكون عليه ما تبقى من الأطروحة. لهذا سأقف على بعض الجوانب التى تبين صحة زعمى بغياب الورع العلمى بخلط الحقائق والمغالطات والأخطاء التاريخية الفادحة. تهيكلت الأطروحة فى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وقائمة للملاحق. تناول الباب الأول من خلال أربعة فصول: "الجمهوريون وتاريخهم ومنشؤهم وأساليبهم فى الدعوة"، والباب الثانى وقف من خلال أربعة فصول على: "آراء الجمهوريين الاعتقادية وموقف الإسلام منها". أما الباب الثالث فتناول من خلال خمسة فصول: "آراء الجمهوريين التشريعية وموقف الإسلام منها". لم ينس الطالب أن يشير إلى موقف الجمهوريين من المؤسسات الإسلامية ومن **رابطة العالم الإسلامى**،

---

(1) الباقر عمر السيد، مرجع سابق.

وهى الرابطة التى أصدرت قراراً بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وقد وردت الإشارة لذلك، وهذه إشارة مفيدة تدعم صحة قيام التحالف الإسلامى الواسع ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، يقول الطالب فى الصفحة (ج) وهو يتحدث عن الجمهوريين:

كما هاجموا **رابطة العالم الإسلامى** والبنوك الإسلامية وشركات الاستثمار الإسلامية، وقادوا حملات التشكيك فى المؤسسات الإسلامية، وفى القيم الإسلامية الثابتة، لذلك رأينا أنه لابد من دراسة عقائد هذه الفرقة لقياسها على الكتاب والسنة لبيان زيفها حتى لا ينخدع الناس بها لما يبدو فى مظهرها من آثار إسلامية، وكشف الستر عن حقيقة الجمهوريين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىّ عن بينة".

يقول الطالب إن الجمهوريين قادوا حملات التشكيك فى المؤسسات الإسلامية، وفى القيم الإسلامية الثابتة، هنا سؤال مهم يدفع بنفسه وهو: ما هى العلاقة بين رابطة العالم الإسلامى والبنوك الإسلامية وشركات الاستثمار الإسلامية، والقيم الإسلامية الثابتة؟ فتلك مؤسسات إسلامية وهذه قيم إسلامية. وعن منهج البحث، كتب الطالب قائلاً: "سلكت فى هذا البحث منهجاً أذكر أهم معالمه فيما يلى:أولاً: قمت بإحصاء دقيق لكل ما كتبت هذه الجماعة أو ما كتب عنها فكانت بين يدى مادة ضخمة"[1]. ثم عدَّد الطالب ستة معالم لمنهجه. الشاهد أن الطالب لم يُبين منهج بحثه وإنما أشار لأهم معالمه ومع ذلك لم يوف تلك المعالم الحد الأدنى من استحقاقها العلمى. ففى أولى صفحات أطروحته، بل فى الصفحة الثانية من مقدمته، انتفى أول معالم منهجه، وظهر أن الطالب لم يحص بدقة، كما أشار، كل ما كتب عن الجماعة، بل ظهر أنه يعانى نقصاً فى معرفته بالتطور السياسى للسودان، وأن معلوماته حول الجمهوريين يشوبها خلط تاريخى كبير. فالطالب يتحدث فى معظم صفحات أطروحته عن **الحزب الجمهورى الاشتراكى** على أساس أنه هو النواة الأولى لفرقة الجمهوريين (كما سماها) وهو يقصد **الحزب الجمهورى** الذى ترأسه الأستاذ محمود منذ نشأته فى يوم 26 أكتوبر 1945. والخلط ليس فى اسم حزب فقط وإنما فى المعلومات التى أوردها حول ظروف نشأة الحزب وفلسفته ومبادئه...إلخ إلى جانب

---

(1) شوقى بشير عبدالمجيد، **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، مرجع سابق، ص (س ضمن المقدمة).

التحليلات والاستنتاجات العرجاء. إن إشاراته وحديثه بتفصيل مخجل عن **الحزب الجمهوري الاشتراكي** وهو يقصد **الحزب الجمهوري** في عشرات الصفحات، أدى إلى اختلال الباب الأول من الأطروحة، والذي خصصه الطالب للحديث عن الجمهوريين وتاريخهم ومنشئهم، اختلالاً كبيراً في الناحية العلمية منه يصعب معها قبول الباب الأول كبحث علمي، وبالتالي يتعذر قبول الأطروحة (التي تتكوّن من ثلاثة أبواب) في أي جامعة تراعي الأسس العلمية والمسؤولية الأخلاقية وتحرص على الصرامة الأكاديمية. كتب الطالب في صفحة (ب) وهو يشير لنشأة نواة فرقة الجمهوريين قائلاً: "نشأ **الحزب الجمهوري الاشتراكي** علماني الاتجاه منذ اللحظة الأولى..."، وفي صفحة (15) يقول:

> *إن بعض الأحزاب لم تعتمد على السند الديني في قيامها فقد نشأت علمانية منذ اللحظة الأولى، بل أن بعضها لم ينشأ اعتماداً على سند شعبي بل نشأت مبنية على أفكار اشتراكية مستوردة حاولوا تطبيقها على أمة يدين معظمها بالإسلام ومن هذه الأحزاب **الحزب الجمهوري** -في بداية نشأته- وقبل اعتماده على الفكر الباطني -فاتجاه الحزب كان واضحاً منذ البداية، فهو حزب علماني، يدعو إلى النهضة بأي سبيل ويدعو إلى وضع الدين نفسه في منضدة البحث الفكري فليس الدين نفسه في رأيهم- بمفلت من التشكيك.*

وفي صفحة (17) يقول: "و**الحزب الجمهوري الاشتراكي** الذي بحث له عن قاعدة دينية صوفية أو باطنية يعتمد عليها بعد شعوره بأن عدم الاعتماد على السند الديني أو القبلي يؤدي بالحزب إلى نهايته..."، وفي صفحة (42) يقول: "كما أن **الحزب الجمهوري الاشتراكي** قد نشأ -منذ اللحظة الأولى- داعياً إلى الحفاظ على المؤسسات الموجودة والتي خلفها الاستعمار عاملاً على إبعاد الدين من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منادياً بإقصاء الدين حتى عن دوائر الأحوال الشخصية". الشاهد أن ما ذهب إليه الباحث في حديثه عن نشأة **الحزب الجمهوري الإشتراكي، لا** صلة له البتة بالإخوان الجمهوريين. فنواة الإخوان الجمهوريين التي أشار إليها الطالب هي **الحزب الجمهوري** الذي نشأ يوم 26 أكتوبر 1945 وليس **الحزب الجمهوري الاشتراكي** الذي نشأ عام 1951، ودعا إلى استقلال السودان، وقيام جمهورية اشتراكية مستقلة، وكان إبراهيم بدري (1897-1962) أمينه العام،

ومكى عباس (1909-1979)، أحد مفكريه ومنظريه، إلى جانب آخرين[1]. لقد ظل هذا الخلط ملازماً للطالب فى جل صفحات أطروحته، بل تجرأ فى صفحة (53) وكتب بلا ورع علمى أو وازع أكاديمى قائلاً:

لابد لنا من الحديث عن الحالة الاقتصادية حتى تتضح لنا صورة نشأة فرقة الجمهوريين كاملة وإن كنا نرى أن الحالة الاقتصادية فى السودان ليست ذات أثر واضح فى نشأة هذه الفرقة أو غيرها من الأحزاب السياسية الموجودة، وإن كان لها أثر فأثرها منحصر فى الشعارات التى يرفعها حزب من الأحزاب للكسب السياسى أو فى التسمية التى اختارها **الحزب الجمهورى الاشتراكى** فى بداية نشأته، فقد اختار الجمهوريون هذه التسمية فى البداية إشارة إلى أنهم سيطرحون فى برامجهم الانتخابية بعض ملامح الفكر الاشتراكى الاقتصادى، وأنهم سيعتمدون على الحلول الاشتراكية فى أحيان كثيرة. وبالفعل طرح محمود محمد طه -بعد الاستقلال- مبدأ المساواة الاقتصادية كطريق لتحقيق العدالة الاجتماعية التى يراها...

وفى صفحة (57) أضاف الطالب لاسم الحزب مفردة "السودانى"، إذ كتب قائلاً: "إن أول نواة لفرقة الجمهوريين، هم مجموعة من السودانيين الذين انتموا إلى **الحزب الجمهورى الاشتراكى** السودانى، للمساهمة والاشتراك فى الحياة السياسية قبل استقلال السودان... وكانت بداية نشأة **الحزب الجمهورى الاشتراكى** فى آخر أكتوبر 1945 بزعامة محمود محد طه". ليس هذا فحسب، فقد شطح الطالب بخياله، شطحاً تسنده التصورات المسبقة، أكثر من الوثيقة التاريخية أو المعلومة الدقيقة، فذهب بعيداً فى تحليلاته واستنتاجاته المُخجلة والفاسدة علمياً ومنهجياً بسبب غياب الحد الأدنى من المعلومات الصحيحة، ففى صفحة (66) كتب قائلاً:

ولقد أطلق الجمهوريون على أنفسهم اسم (الجمهوريين) للملابسات التى نشأ

---

(1) أنظر، على عبدالرحمن الأمين، **الديمقراطية والاشتراكية فى السودان**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1970؛ خضر حمد، **مذكرات خضر حمد: الحركة الوطنية السودانية: الاستقلال وما بعده**، ط1، مكتبة الشرق والغرب بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1980؛ محمد عامر بشير، **الجلاء والاستقلال**، الدار السودانية للكتب، ط1، الخرطوم، 1975؛ محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان** (1900-1969)، مرجع سابق؛محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: **المأزق التاريخى وآفاق المستقبل**، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980؛ محمد خير البدوى، **قطار العمر، فى أدب المؤانسة والمجالسة**، دار النهار للإنتاج الإعلامى، الخرطوم، 2008.

*فيها **الحزب الجمهورى الاشتراكى**، وللاتجاه العام للحزب فقد هدفوا منذ البداية إلى تمييز أنفسهم من بقية الاتجاهات السياسية الموجودة وهدفوا إلى الدعاية السياسية فسموا أنفسهم بهذا الاسم إشارة إلى أنهم هم الذين ينادون بنظام جمهورى اشتراكى يسير عليه نظام الحكم فى السودان بعد أن ينال استقلاله، ويكون الاتجاه المميز للحكم أيضاً الاتجاه الاشتراكى، والغريب فى الأمر أن الجمهوريين عندما يتحدثون عن حزبهم الآن لا يذكرون كلمة (الاشتراكى) هذه.*

الغريب حقاً، هو أن الفقرة أعلاه ليس فيها كلمة واحدة صحيحة، كما أن كل الاستنتاجات التى خرج بها الطالب من تحليلاته فى هذه الفقرة، كانت استنتاجات فاسدة وضالة ومضللة. ومحاججتى هنا ليست بما يقوله الجمهوريون عن أنفسهم، وإنما بما هو ثابت فى المصادر والمراجع الأكثر شهرة ووفرة فى السودان[1]. فاسم الجمهوريين لا صلة له بملابسات نشأة **الحزب الجمهورى الاشتراكى**. فى واقع الأمر كان الاقتراح بتسمية الحزب **بالحزب الجمهورى** من أمين مصطفى التّنى، اشارة لمطالبتهم بقيام جمهورية سودانية مستقلة عن دولتى الحكم الثنائى، ولم تأت التسمية من الأستاذ محمود الذى أُختير رئيساً للحزب. والشواهد على ذلك كثيرة ومتوفرة ومنها المصادر التى أشرت إليها سابقاً، كما ورد الخبر فى صحف عديدة[2] فى شهر نوفمبر1945. يقول الأستاذ محمود فى حوار تم معه فى يوم السبت 22 نوفمبر 1975:

*قبل ما ينشأ **الحزب الجمهورى** أنا كانت عندى مقالات فى الصحف .. منها صدر*

---

(1) أنظر، أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 95-96؛ يحيى محمد عبد القادر، على هامش الأحداث فى السودان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، بدون تاريخ نشر، ص 95؛ يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**،ج 3، مصدر سابق، ص 147/146؛ محمد المهدى المجذوب، **نار المجاذيب**، (ديوان شعر)، وزارة الإعلام والشؤون الاجتماعية، الخرطوم، 1969، ص 189-192؛ محمد المهدى المجذوب، **الشرافة والهجرة**، دار الجيل، بيروت، ط2، 1982؛ على عبدالرحمن الأمين،مصدر سابق؛ التجانى عامر، "ذكريات: من مذكرات التجانى عامر"، **صحيفة الصحافة**، العدد 4772، 1975/4/16.. هذه مجرد أمثلة لمصادر ومراجع نُشرت قبل تاريخ نيل الطالب لدرجة الدكتوراة، وقائمة المصادر والمراجع فى هذا الشأن طويلة ولكن أكتفى بهذه النماذج، خاصة وأننى سأتناول الحزب الجمهورى فى محور منفصل وحينها ستتم الإشارة لمصادر ومراجع عديدة.

(2) منها: **صحيفة الرأى العام وصحيفة السودان الجديد**، وصحيفة النيل بتاريخ 4 نوفمبر 1945، وغيرها.

مقال زى يقول: لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟ المقال دا لعله، وبعض النشاط الأدبى فى الصحف المحلية، لفت نظر بعض الإخوان المهتمين برضو بالسياسة، الواحد يذكر منهم أمين مصطفى التنى .. فى يوم زارنى أمين مصطفى التنى وقال لى نحن لفيف من الشبان فكرنا فى إنشاء حزب جمهورى ووقع الاختيار عليك أن تكون معانا.. الفكرة جات من هنا .. أنا ما كانت عندى، لكنها جات من أمين مصطفى التنى .. بعدين مشينا فى الدعوة الوجهوها لينا ، كنا قليلين.. اجتمعنا أول اجتماع فى المقرن .. الناس الأوائل فيهو ، فيهو بجانب أمين مصطفى التنى ، عبد القادر المرضى ومنصور عبد الحميد -ديل موجودين هسه- بعدين واحد من الإخوان زى مدة طويلة ما شفته ، محمود المغربى ، اسماعيل محمد بخيت حبة، موجود هسه، افتكر هم ديل الإجتمعوا أول اجتماع فى المقرن .. أنا كنت بسكن فى الموردة ، قرروا الاجتماع التانى يكون فى بيتى أنا .. بعدين اجتمعنا الاجتماع التانى فوزعوا المناصب واختارونى أنا كرئيس واختاروا عبد القادر المرضى سكرتير ... دى بداية نشأة الحزب والملابسات القامت حوله - حول نشأته .. ومن وقتها مشى ليتجه فى نفس الروح بتاع "لماذا مصر ولماذا بريطانيا"[1].

لم يكن البحث والتدقيق من ضمن ما اتسمت به الكتب التى صدرت فى نقد الأستاذ محمود ومشروعه، فقد أفرد محمد حسان كسبه، فى كتابيه: **الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين**[2]، والكتاب الثانى بعنوان: **موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين**[3]. مساحة لمسألة التسمية، وتحت عنوان: الموقف الأول: فى التسمية ودلالتها[4]، وذهب كسبه مشرعاً ومنظراً تنظيراً لا صلة له البتة بأصل التسمية كما ورد. يقول كسبه: "ويهمنا هنا أن نتوقف أمام تعبيره "الإخوان الجمهوريين" لنحلل هذه الألفاظ ونفهم معانيها وندرك ما

---

(1) على الرغم من أن هناك نصاً مشابهاً في الفصل السابق، إلا أن هذا النص حمل أخباراً إضافية عن سابقه، لهذا التكرار أفاد ببعض المعلومات. المصدر: لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) محمد حسان كسبه، **الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين**، مرجع سابق.

(3) محمد حسان كسبه، **موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين**، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق، 29.

ترمز إليه. ومن خلال ذلك نعرف السر فى اختيارها كإطار يتجمع فى داخله أتباعه"[1].

ويضيف كسبه وهو يتحدث عن التسمية "الجمهوريون"، يضيف قائلاً:

أما محمود طه فلما كان هدفه ليس الإسلام والغيرة عليه كما يدعى، وإنما هدمه، والانسلاخ منه، وإن تظاهر بغير ذلك، أو تحدث بغير ذلك. فمن أجل ذلك استخدم كلمة الجمهوريين- والجمهور لفظ إذا استخدم انصرف إلى مجموع الناس بصرف النظر عن عقائدهم الخاصة وأصبح يستخدم فى العصر الحديث بمدلول معين ذى مغزى سياسى على تفاوت[2].

أعود للطالب شوقى فى أطروحته للدكتوراة، وهو يتحدث عن مسألة أن الجمهوريين عندما يتحدثون عن حزبهم، لا يذكرون كلمة (الاشتراكى)، فالسبب فى تقديرى بسيط وهو أنهم لم يكونوا ضمن **الحزب الجمهورى الاشتراكى**، وهذا أمر ثابت وليس فيه غرابة. لقد تجرأ الطالب فى تحليلاته واستنتاجاته، جرأة بلا علم وهى لا تتناسب مع طالب دكتوراة، ينبغى أن يكون قد تلبسه بعض الورع العلمى والأمانة الأكاديمية والقدرة على البحث والتنقيب.

على الرغم من أن الطالب أورد فى المقدمة ستة معالم كانت، كما أشار، هى أهم معالم منهج بحثه، وكتب عن أحدها قائلاً: "ثالثاً: رجعت إلى كتب تاريخ السودان الحديث لمعرفة الأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية التى أسهمت فى نشأة هذه الفرقة"، على الرغم من هذا، فإن كثرة الأخطاء الفادحة وتكرارها فى الأطروحة تجعلها من الضعف بمكان، يصعب معه قبول فكرة أن الطالب بالفعل رجع للكتب والمراجع. ففى ص (68) أتى الطالب بنماذج من الأخطاء الفادحة والتى يمكن قياساً عليها الاستغناء عن متابعة القراءة لأطروحته بسبب ضعفها وركاكة ما ورد فيها، فقد كتب قائلاً: "وقد اشترك **الحزب الجمهورى الاشتراكى** مع بقية الأحزاب السودانية فى إعداد الاتفاق الذى سجلت بعده الأحزاب السودانية جميعها **وثيقة خطيرة** يتم على أساسها التفاوض مع مصر، وكان ذلك بعد أن أعدت مصر مذكرة فى 2 نوفمبر 1952 بعثت بها إلى الحكومة البريطانية...". فالذى لا يعرفه الطالب، وكان يمكن أن يعرفه إذا ما أنفق بعض الوقت

(1) المرجع السابق، 1986، 29.
(2) المرجع السابق، 1986، 32.

فى دار الوثائق القومية فى الخرطوم، ليطلع على المصادر والمراجع والوثائق والدوريات، **لأدرك** أن **الحزب الجمهورى** الذى ترأسه الأستاذ محمود، لم يشترك منذ نشأته فى إعداد أى وثيقة من الوثائق مع الأحزاب السودانية، سواء كانت الوثيقة خطيرة أو لم تكن خطيرة، بل كان على الدوام له آراء ناقدة وموقف مبدئى رافض لنهج الأحزاب السودانية فى السعى لنيل الاستقلال. كان هذا ديدنه منذ أول وثيقة صيغت ووقعت بين الأحزاب السودانية وعُرفت بوثيقة الأحزاب، وهى الأحزاب المكوِّنة لوفد السودان الذى سافر إلى مصر فى مارس عام 1946[1]. نصت الوثيقة على قيام سودان مستقل فى اتحاد مع مصر وتحالف مع بريطانيا[2]. كتب الأستاذ محمود قائلاً:

*إن **الحزب الجمهورى** قد اعترض فى فجر الحركة الوطنية على ما سموه بوثيقة الأحزاب... فى منشور أخرجناه بالرونيو ووزعناه فى أواخر عام 1946 فى شوارع العاصمة وكان عنوانه (لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟؟)... ولما كان الفريق الأول يتمسك بالإنجليز والفريق الثانى يتمسك بالمصريين... ولقد نقدهم **الحزب الجمهورى** نقداً مراً قوياً فى ذلك المنشور ونعى عليهم جهلهم وغفلتهم ثم واصل الحملة ضد جهل الحركة الوطنية ولا يزال يفعل إلى يومنا هذا كلما وجد إلى ذلك سبيلاً..*[3].

الشاهد أن **الحزب الجمهورى** لم يشترك فى أىٍّ وثيقة،سواء بالاتفاق أو التوقيع، مع الأحزاب السودانية، منذ نشأته حتى يوم اغتيال الأستاذ محمود فى يوم 18 يناير 1985، عدا مشاركته لبعض الوقت فى الجبهة الاستقلالية الأولى 1946، والجبهة الاستقلالية الثانية 1955، اللتين ضمتا الأحزاب الاستقلالية، واللجنة القومية للدستور التى شُكلت فى سبتمبر سنة 1956، وهى لجنة قومية تكونت من 46 عضواً لوضع الدستور الدائم للبلاد[4]. وما لبث أن انسحب **الحزب الجمهورى** من الجبهتين ومن اللجنة القومية بإعلانات

---

(1) محمود محمد طه، "بيانات الجزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 166، بتاريخ 1958/11/1.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) إبراهيم محمد حاج موسى، **التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم فى السودان**، (أطروحة دكتوراة منشورة) جامعة القاهرة، 1970، ص 71؛ فيصل عبد الرحمن على طه، **السودان على مشارف الاستقلال الثانى** (1954-1956)، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2010 ص351.

وخطابات منشورة مع تفصيل لأسباب الانسحاب.

يمعن الطالب شوقى فى تشويه التاريخ وخلط الحقائق فيكتب فى ص (68) قائلاً: "**ولقد اشترك الحزب الجمهورى الاشتراكى** فى أول برلمان سودانى، وقد كان ذلك بعد **أن بدأ** السودان ينعم بثمرة اتفاقية السودان التى أبرمت بين مصر وإنجلترا بعد نهاية المفاوضات بينهما فى 12 نوفمبر 1953"، وبتأكيد واطمئنان تام، يذهب الطالب شوقى مستخدماً حقيقة خاطئة، ليستنتج منها خلاصة أبشع خطأً، وهو يدلل على ضعف حضور الجمهوريين وضعف قبول حزبهم، إذ كتب فى صفحة (68) قائلاً: "وقد نال **الحزب الجمهورى الاشتراكى** فى انتخابات أول برلمان سودانى ثلاثة مقاعد وهى أقل نسبة نالها حزب فى الانتخابات". وفى صفحة (69) يضيف الطالب قائلاً: "وجاءت انتخابات مجلس الشيوخ مؤيدة الأغلبية التى نالتها بعض الأحزاب فى مجلس النواب، أما أعضاء مجلس الشيوخ (السودانى) المعينون وعددهم عشرون فقد وزعهم الحاكم العام بموافقة لجنته بحيث نال **الحزب الوطنى الاتحادى** عشرة **وحزب الأمة** أربعة **والحزب الجمهورى الاشتراكى** واحداً والمستقلون اثنين والجنوبيون ثلاثة. ويبدو أن **الحزب الجمهورى** لم ينل ثقة الشعب السودانى بعد ذلك...". الشاهد، أن كل ما ورد فى نص الطالب أعلاه، ليس فيه كلمة واحدة يمكن أن تنطبق على **الحزب الجمهورى** الذى ترأسه الأستاذ محمود. فالطالب هنا يتحدث عن حزب لا صلة له مطلقاً بالإخوان الجمهوريين. الشاهد هنا، وكعادة جل الذين نقدوا الأستاذ محمود، يتقدم الغرض على الوثيقة، وهذا من أخطر أنواع التزوير للتاريخ. إننا بقليل من الجهد فى سبيل استيفاء الشروط والمتطلبات العلمية للدراسات، والتزاما بالمسؤولية الأخلاقية عند تقديم الخدمة التنويرية، ومن أجل الحد الأدنى من الصدق فى الخصومة، إن كان ذلك هو أحد مرتكزات السجال والجدل، كان يمكن أن ندرك أن **الحزب الجمهورى** شىء **والحزب الجمهورى الاشتراكى** شىء آخر. المؤسف أنه شاع هذا الخطأ الفادح بكل استنتاجاته العرجاء وخلاصاته البكماء، فى معظم الدراسات التى اعتمدت على أطروحة الطالب شوقى، وهى دراسات كثيرة، لا سيما المقررات الدراسية الجامعية. إلى جانب أن هناك دراسات أخرى ورد فيها هذا الخلط **أيضاً**، بين الأحزاب الجمهورية. بيد أن شوقى فى أطروحته، فوق الخلط، يستنتج ويبنى الخلاصات ويلقى بالاتهامات جزافاً. وهذا يكشف الكثير من المعضلات التى تعانى منها الدراسات فى

السودان، إذ أن الكثير من الدراسات والبحوث تتسم بالسطحية فى التناول، وتفتقر للورع العلمى، ويتميز بعضها بالجرأة فى الاستنتاج وتقدم الغرض على الوثيقة التاريخية فى دراسة الحدث أو الواقعة التاريخية.

إن السودان شهد قيام العديد من الأحزاب الجمهورية. فهناك **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود، **وحزب الاستقلال الجمهورى، وحزب الأحرار الجمهورى، والحزب الجمهورى الاشتراكى**. الشاهد أن الكثير من الكُتاب السودانيين يخلطون بين الأحزاب الجمهورية، بل كان لمعظم الذين نقدوا الأستاذ محمود فى القرن الماضى، مذهب خاص فى ذلك الخلط، كحالة أطروحة الطالب شوقى، والدراسات التى استندت عليها كمرجع، إذ كثيراً ما تُسحب الاخفاقات والأخطاء التاريخية، إن كانت ثمة أخطاء واخفاقات، للأحزاب الجمهورية ويلقى بها فى ساحة الأستاذ محمود، على أنها من إخفاقاته وأخطائه، والأستاذ محمود منها براء. إن الذين انبروا لنقد الأستاذ محمود ونقد مشروعه، اتسموا بكسل العقول وكانوا مشغولين بالغرض أكثر من انشغالهم بالتوثيق واستنطاق الوثيقة، جاءوا بسقف معرفى منخفض وبانعدام للورع العلمى. فقد تحدثت مصادر عديدة لا حصر لها، صدرت فى منتصف أربعينيات وخمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن الماضى عن الأحزاب الجمهورية. فقد تحدث أحمد خير المحامى فى كتابه: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، وهو من أوائل الكتب التى تناولت نشأة الأحزاب السودانية وصدر الكتاب فى طبعته الأولى عام 1948.أفرد أحمد خير المحامى فى كتابه عنواناً جانبياً للحديث عن **الحزب الجمهورى** وتحدث عن نشأته وعن رئيسه الأستاذ محمود وعن أعضائه، كما أشار إلى نشأة **حزب الأحرار** عام 1944، وانشقاقه فى أبريل 1954[1]. أما الأحزاب الجمهورية الأخرى فلم ترد إشارة لها فى كتاب أحمد خير المحامى، إذ أنها نشأت بعد تاريخ صدور كتابه. وقد وردت الإشارة إلى كل الأحزاب الجمهورية فى كتاب محمد عامر بشير "فوراوى"(1908-1978): **الجلاء والاستقلال**[2]، وهويتحدث عن الاجتماعات والمداولات حول الحكومة القومية لتحقيق الاستقلال، فقد أورد مداولات الاجتماع الخامس يوم الاربعاء

---

(1) أحمد خير المحامى، **تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**: كفاح جيل، مصدر سابق، ص 88، 96.
(2) محمد عامر بشير (فوراوى)، **الجلاء والاستقلال**، مصدر سابق، ص 49.

14 ديسمبر 1955 بغرفة اللجان بمجلس الشيوخ، وبالطبع لم يكن من بينها **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود، وذلك لسبب بسيط وهو أن **الحزب الجمهورى** لم يكن له فى أىٍ يوم من الأيام عضوٌ نائبٌ بالبرلمان، ولم يتقدم فى أى يوم من الأيام لخوض الانتخابات فى السودان منذ بداية الخمسينيات وحتى اغتيال الأستاذ محمود صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. هذا خلاف ما أتى به الطالب شوقى فى أطروحته، كما ورد آنفاً.

الشاهد، ان الخلط بين الأحزاب الجمهورية، أمرٌ شائعٌ بين الكُتاب السودانيين. فقد لا ينشغل الباحث كثيراً بهذا الخلط، ولكن يصبح الخلط أمراً واجب التصحيح، حينما تبنى عليه تحليلات ويقود إلى استنتاجات عرجاء، وخلاصات خاطئة لحد التضليل والتزوير فى الحقائق كما هو الحال مع الأستاذ محمود ومع **الحزب الجمهورى** الذى كان رئيساً له. ولهذا، فإننى أفردت فى الفصل الرابع من هذا الكتاب، والذى موضوعه: "السودان فى مشروع الأستاذ محمود"، محوراً للحديث عن "الخلط بين الأحزاب الجمهورية والجرأة فى الاستنتاجات العرجاء". إن الباب الأول من أطروحة شوقى يغنى عن متابعة دراسة البابين التاليين. فالأطروحة أضعف مما يضيع فيها الباحث وقته ووقت القراء. الشاهد أن الدراسات الضعيفة فى نقد الأستاذ محمود، قد ساهمت بقوة فى توطين سابقة محكمة الردة، والاغتيال بسبب الفكر، كما أنها حجبت شعوب السودان عن الأستاذ محمود، وبنت جداراً سميكاً عازلاً بين الأستاذ محمود وشعوب السودان، ولما كان الجدار قد بنىَّ بغير حق فإنه سيهدم بالحق لا ريب فى ذلك. وها هى معاول الهدم قادمة لا تنقصها الشجاعة ولا أدوات التنقيب والبحث، إنهم أهل العقول الجديدة، أهل الحق فى المستقبل وأصحاب المصلحة فى المستقبل.

نماذج للعبث الفكرى والإفلاس الأخلاقى والسجال بلا شرف

من الضرورى لصالح مستقبل السودان وضع حد للحصانة وتحقيق كشف عادل ونزيه للماضى[1].

يوهانس أجاوين

---

(1) ألكس دوفال وعبدالسلام حسن (تحرير) "انتهاكات حقوق الإنسان والعدالة فى الفترة الانتقالية"، ورقة كتبت على ضوء بحث أعده يوهانس أجاوين، **المشروع المدنى فى السودان: قضايا الانتقال إلى الديمقراطية والسلام**، (مؤتمر 8-12 فبراير 1999)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ص 40.

يبدو أن القرن الماضى، خاصة النصف الثانى منه، كان فى السودان، وربما العالم، قرناً للخطابة وتحريك العواطف، أكثر من كونه قرناً للخطاب العقلانى والقراءة والتدقيق والحوار. لقد جابه الأستاذ محمود وتلاميذه نقداً تعوزه شروط الصدق والعلم ويحفل بالجهل وكسل العقول والسجال بلا شرف. كان من أنصع النماذج للعبث والإفلاس والفوضى الفكرية هى الإسهامات التى قدمها الشيخ محمد نجيب المطيعى، فى نقد الأستاذ محمود. جاءت إسهامات المطيعى النقدية من خلال الأحاديث التلفزيونية وتقديم المحاضرات والندوات وخطب الجمعة فى مساجد الخرطوم ودروس الجمعة بمسجد جامعة الخرطوم، ثم ألف كتاباً بعنوان: **حقيقة محمود محمد طه**، أو **الرسالة الكاذبة**[1]. كان المطيعى قبل الكتاب، قد كتب تقريراً عن الفكرة الجمهورية بطلب من مدير **جامعة أمدرمان الإسلامية**، جاء التقرير بعنوان: "النبأ الأثيم أو الهوس اللادينى الذميم"، وكتب المطيعى فى صدر تقريره:

نص التقرير الذى طلبه منى مدير جامعة أم دمان الإسلامية: نقض لما ضلل به المهندس محمود طه (تاها) بعض حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام من أبناء الوطن الغالى الذين غدر بهم وزج بهم فى طريق فيه صريح الخيانة والعمالة وخدمة مقاصد أعداء الإسلام والمتربصين. بقلم رجل هزه هزاً عنيفاً حتى أوصله إلى نهايته ولله الحمد والمنة هو: محمد نجيب المطيعى، خادم السنة بالإجازات المتصلة، والأسانيد العالية، ورئيس قسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية، وصاحب تكملة المجموع شرح المهذب أكبر المطولات الفقهية فى الإسلام[2].

قدم المطيعى تقريره هذا إلى مدير **جامعة أمدرمان الإسلامية**، وتم تضمين التقرير فى كتاب أعده أساتذة جامعة أمدرمان الإسلامية فى عام 1983 عن فرقة الجمهوريين، استجابة لدعوة من محمد على الحركان، عندما كان رئيساً **لرابطة العالم الإسلامى**[3]. هذا التقرير نقله أيضاً، المكاشفى وضمنه كمبحث فى كتابه كما ورد آنفاً، وقد أشار المكاشفى للنقل وبرر النقل بقيمة المبحث. ثم ضمن المطيعى تقريره فى كتابه موضع دراستنا. يقع كتاب المطيعى

(1) محمد نجيب المطيعى، **حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة**، مرجع سابق، ص 15-16.
(2) المرجع السابق، ص 157.
(3) شوقى بشير عبدالمجيد، **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، مرجع سابق، ص 136.

فى (361) صفحة. وقبل الدخول فى نص الكتاب نقف قليلاً عند هيكلة الكتاب وتكوينه. يبدو أن الأستاذ محمود وتلاميذه قد واجهوا أناساً بارعين فى النسخ والنقل أكثر من كونهم علماء نشطاء فى عقولهم، وقادرين على إعمال الفكر، ليقدموا الأدلة والبراهين الذكية المقنعة الساطعة على نقدهم وحججهم. فمن الـ (361) صفحة وهى جملة صفحات كتاب المطيعى، كانت هناك (76) صفحة هى عبارة عن الفهرست، علماً بأن نفس الموضوعات المفهرسة موجودة فى متن الكتاب، وكانت هناك (69) صفحة هى نقل، وقد أشار المطيعى إليه وذكر مصدره، لنص حيثيات الحكم الذى أصدرته محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم ضد الأستاذ محمود وتلاميذه الأربعة. ونقل لنص محضر لقاء إعلان التوبة لتلاميذ الأستاذ محمود الأربعة الذين حكم عليهم بالإعدام مع منحهم مهلة مدتها ثلاثة أيام. عقد اللقاء فى سجن كوبر المركزى فى اليوم التالى لتنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى يوم السبت 19 يناير 1985[1]. ثم (55) صفحة هى عبارة عن تقريره الذى وردت الإشاره إليه. ثم (20) صفحة هى عبارة عن صفحات لعناوين كتب الأستاذ محمود وتلاميذه.

لم يواجه الأستاذ محمود وتلاميذه علماء وأهل فكر وأصحاب عقول كبيرة وقيم أخلاقية عالية، أنهم واجهوا أوصياء على الشعوب السودانية بلا حق ولا أهلية، لا سيما العلماء والفقهاء القادمين من مصر. فالمطيعى مصرى الجنسية، وهذا يؤكد ويتصل بتدليلى على أن علماء السودان وفقهاءه لم يكونوا أصلاء فى نقدهم الأستاذ محمود، وقد كان المطيعى أحد أولئك الذين أثروا تأثيراً كبيراً فيهم وفى الساحة السودانية، إذ تجد الإشارة إلى محاضرات المطيعى وإلى أحاديثه وكتاباته عند معظم الذين نقدوا الأستاذ محمود من السودانيين. وسم المطيعى الأستاذ محمود (بتاها)، والفكرة الجمهورية بالتاهوية وهى كما قال ترقيق للطاء فى الطاهوية، فهو يقول: "مثل محمود محمد طه الذى اسميته (تاها) بترقيق الطاء حتى يتطابق معنى الاسم على مسماه الذى يخوض فيه هذا الضال خوضاً"[2]. وظل يشير إلى الفكرة الجمهورية بالتاهوية وأحياناً بالطاهوية. وقد أخذ بعض الأساتذة بهذه التسمية، مثلاً أعد عبدالله حسن زروق وهو أستاذ بقسم الفلسفة **بجامعة**

(1) محمد نجيب المطيعى، **حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة**، مرجع سابق، ص 215-282.
(2) المرجع السابق، ص 8.

الخرطوم دراسة وسمها بالطاهوية[1].

استخدم الصادق المهدى أيضاً، "الطاهوية" فى دراسة كانت بعنوان:"مستقبل الإسلام فى السودان"، ومع الطاهوية أطلق السيد الصادق اسم آخر وهو النسخية، كتب الصادق المهدى وهو يتحدث عن "الخريطة الإسلامية فى السودان"،كتب قائلاً: "إلى جانب هذه الأنشطة والهيئات فإن الساحة الإسلامية فى السودان شهدت منذ الأربعينيات ظهور فكرة قال بها مهندس سودانى هو السيد محمود محمد طه..." وبعد أن تناول معالم الفكرة وفحواها كتب السيد الصادق قائلاً: "هذه هى معالم فكرته التى عرفت باسم الجمهورية واسميها النسخية نحتاً من أهم فكرة فيها، وهى نسخ القرآن المدنى، أو الطاهوية نحتاً من اسم مؤسسها. لقد كانت الطاهوية محدودة الأثر ولكن وزنها ازداد فى السبعينيات لأن الصراع بين النظام السياسى القائم فى البلاد وبين الحركات الإسلامية أتاح للطاهوية مجالاً فنشطت نشاطاً ملحوظاً"[2]. هنا سؤال يدفع بنفسه لساحة السجال، فإذا كانت هناك جماعة أطلقت على نفسها اسماً، لماذا الإتيان باسم جديد عند تناول الدارسين لهذه الجماعة؟ ولماذا لا تدرس تلك الجماعة تحت اللافتة التى اختارتها الجماعة ووسمت بها نفسها؟ لماذا يتم تجريد تلك الجماعة من الاسم الذى اختارته لنفسها؟ ما هو الغرض من الإتيان باسم آخر؟ فاسم الطاهوية تستدعى وتبعث بالمطيعى للحضور، فقوله بالتاهوية سابق لهؤلاء. فالأصالة فى النقد مطلوبة. السبب الآخر الذى جعلنى أتناول المطيعى وهو من مصر، هو أن المطيعى عمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية، وكان فى نشاط دائم فى نقده، وقد أشار بنفسه إلى أنه استمر فى أحاديثه ودروسه ضد دعوة الأستاذ محمود حتى أهتز المجتمع السودانى كله، كتب المطيعى قائلاً:

وعندما أتيحت لى فرصة التحدث فى تلفزيون السودان، وكنت رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية، ثم دعيت لقسم الشريعة

---

(1) عبدالله حسن زروق، "الطاهوية"، **قضايا التصوف الإسلامى**، مرجع سابق، ص 159-170.

(2) الصادق المهدى، "مستقبل الإسلام فى السودان"، **مؤتمر جماعة الفكر والثقافة الإسلامية**، أمدرمان، محرم 1403- أكتوبر 1982، ص 5.

الإسلامية بجامعة الخرطوم وكذلك للمركز الإسلامى الإفريقى حيث دبلوم الدعوة لضباط القوات المسلحة وكلية القرآن الكريم التابعة للمجلس القومى للتعليم العالى وخطبة الجمعة بمسجد امتداد ناصر وأحياناً بمسجد التقوى الذى يصلى فيه اللواء عمر محمد الطيب وهو الذى شيده، ودروس الجمعة بمسجد جامعة الخرطوم. أجل انتهزت فرصة هذه المواقع كلها فجعلت حلقات تلفزيونية عن التيارات الهدامة فى السودان، وكذلك فعلت فى كل ما ذكرت من مجالات، حتى اهتز المجتمع السودانى كله ليتنبه لخطورة هذه الدعوة التى تطفح بالعمالة والخيانة ومساوىء الأخلاق، وأحط ألوان الشقاق والنفاق. الأمر الذى أقض مضجع ذلك المخرق الزنديق فأراد أن يدافع عن نفسه، ويدفع ما أحيط به من عناصر اتهام بل إدانة[1].

على الرغم من تأثير المطيعى الكبير فى الساحة، إلا أن نقده للأستاذ محمود لم يكن سوى عبث وفوضى فكرية، لا تمت لسجال الشرف أو الصدق فى الخصومة بصلة. بل تجرأ المطيعى وأتى فى نقده بأمور لا تمت للواقع أو الوقائع السودانية بأدنى صلة، ولم تكن تلك الأمور إلا تصورات فى خياله. كان أوضح نموذج لهذا العبث والمهاترة، ذلك الكتاب الذى نشره المطيعى بعد جولات طويلة من الخطب والدروس والأحاديث التلفزيونية.

أخذ المطيعى فى كتابه: **حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة**[2]، على الأستاذ محمود عشرة مآخذ. وعلى الرغم من أن مآخذ المطيعى لا تستحق حتى إعادة قراءتها ولكن لا مناص من ذكر بعضها. يقول المطيعى:

أخذت عليه دعوته إلى الحرية المطلقة للتفلت من قيود الدين والفضيلة، ونوازع الفطرة الإنسانية المتجاوبة مع (الحلال بين والحرام بين) واجتياح هذه الأسوار التى تحول بين الشاب وبين إشباع غرائزه، مما جعل جميع المحيطين به من الشبان والشابات يشتركون مختلطين فى توزيع المنشورات وبيع الكتيبات وعقد الاجتماعات والسفر

---

(1) محمد نجيب المطيعى، **حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة**، مرجع سابق، ص 15-16.
(2) المرجع السابق، ص 18.

كل فتاة مع فتى إلى الأقـاليم النائية وقطع المسافات فى فيافى السودان وقـفاره بين فتاة بضة ناهد شـبه عارية فى ملبسـها حيث ***نزعن الثوب السـودانى الجميل واستـبللن به المينى والميكرو والكات وما إلى ذلك من مهيجات قرم الشهوة*** *عند الشاب*[1].

هذا عبث، لا يستحق حتى الوقـوف عنده، ذلك لأن أشد الناس عداءً للأستاذ محمود من أهل السودان، وهم أكثر معرفة وقرباً للأستاذ محمود وتلميذاته، من المطيعى، لم يقل أحد منهم بأن تلميذات الأستاذ محمود تركن الثوب ولبسن المينى والميكرو والكات. هذا كذب لا يليق بساحات السجال الفكرى والنقد العلمى. وفى واقع الأمر هذا نوع من النقد يستند على تصورات الشيخ المطيعى وخياله وبيئته أكثر من استناده على واقع السودان وقتئذ. فالمينى والميكرو والكات من أوهام المطيعى وانشغالات خياله أكثر من كونها واقعاً وحقائق فى الشارع السودانى، هذا عبث وفوضى فى دنيا الفكر وإحقاق الحق من علماء ظلوا أوصياء على عقول الناس، وعملوا رؤساء لأقسام بالجامعات، ولا يزالون. أيضاً، أتى المطيعى بما لم يأتِ به أحد من قبله سواء من مصر أو السعودية أو السودان، فهو يقول:

أخذت عليه فراره من المواجهة والفرار من مجالس أهل العلم، وإذا ذهب إلى مكان ليلقى فيه ما يسميه محاضرة ليقىء فى آذان الناس ضلالاته وخياناته وعمالته، وتصدى أحد للرد عليه ممن أوتوا بعض المعرفة ممن يرون الباطل يتجسد فى كل حرف يقذف من لهاته، إذا بمجموعة مسلحة بالعصى والخناجر من الصعاليك والأوشاب الذين يتبعوه، ولعلهم يأخذون ويأخذن نظير تفرغهم وتفرغهن أجوراً لنصرته والاعتداء على من يكابره أو يقاطعه عندما يشعر المسلم أن السيل بلغ الزبى وأن الزندقة طف صاعها حتى ما يطاق السكون عليها..[2].

أعتقد أن المطيعى يتحدث عن شخص آخر وليس عن الأستاذ محمود. ذلك لأن المواجهة عند الأستاذ محمود مبدأ أساس لم يحد عنه قط، إذ ظل عليه حتى لحظة صعوده على منصة المشنقة. وقد تحدثت عن هذا المبدأ فى الفصل الأول من هذا الكتاب. أما مسألة المجموعة المسلحة بالعصى والخناجر من الصعاليك والأوشاب الذين يتبعون الأستاذ

(1) المرجع السابق، ص 18.
(2) المرجع السابق، ص 18.

محمود، فهذا كذب وافتراء، لم يقل به ألد أعداء الأستاذ محمود، ولا يقول به من قرأ كتابات الأستاذ محمود ودرس فكره وتعرف على حياته قبل الدخول فى نقده. فإن كان ثمة شخص فى العالم، على حد علمى، طبق مبدأ المقاومة السلمية حتى لحظة صعوده إلى المشنقة، ونظَّر للمقاومة السلمية وفكرها ونظر للحكمة منها فى الكتب والمقالات لكان هو الأستاذ محمود. وقد أشرت لهذا الأمر بتوسع ضمن محور وسمته بـ "فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية من جديد: الأستاذ محمود والمهاتما غاندى: مقاربة أولية". يبدو أن الشيخ المطيعى فى نقده للأستاذ محمود وتلاميذه يستخدم الخيال والكذب، ويقدم لأجيال المستقبل عبثاً فكرياً. فهو يقول ساخراً ومتهكماً على حديث الأستاذ محمود بشأن فضيلة الشعور بالمشكلة لدى الإنسان، يقول المطيعى: "يا فضيلة الشعور بالمشكلة أما وجدت لك مكاناً فى الحارة الرابعة حتى تقطعى -يا لهف قلبى على ما عانيت- الفيافى والقفار والبحار والأقطار بل والقارات حتى ألقيت- أيتها الفضيلة- عصاك واستقر بك النوى عند السفاح وعصابته من القتلة ودعار الجنس وفجار الشذوذ"[1]. هذه أوصاف تجافى الحقيقة، وفى واقع الأمر لم يقدم أحد على مثل هذه الوصوف قبل المطيعى. فى واقع الأمر هذا عبث ما بعده عبث، وفوضى تعبر تماماً عن مدى الاستهتار والبوار الأخلاقى، فتقديم النقد والخدمة التنويرية يتطلب أول ما يتطلب المسؤولية والورع العلمى والالتزام بالصدق.

كان المطيعى فى نقده مثل صحبه من الفقهاء و"علماء السودان" الذين وردت الإشارة إلى بعضهم وسترد لبعضهم الآخر، حيث السمة المشتركة والغالبة هى عدم التوثيق والنقل المخل وانعدام الورع العلمى. لقد اكتفى المطيعى بإيراد أغلفة عناوين كتب الأستاذ محمود ضمن صفحات كتابه، وبالإضافة لعدم التوثيق وعدم الذكر لأرقام الصفحات أو المعلومات عن الكتاب، كان المطيعى يأتى بالنص من الأستاذ محمود ثم يتدخل فيه ليبين للقارئ قصد الأستاذ محمود. فإذا ورد فى نص للأستاذ محمود كلمة "السلفيون"، فالمطيعى يتدخل للقارئ ويقول فى جملة اعتراضية بعد كلمة "السلفيون" يقصد المسلمين. وقد اتبع هذا المنهج فى عدد كبير جداً من صفحات كتابه. مثلاً أورد المطيعى نصاً للأستاذ

(1) المرجع السابق، ص 23.

محمـود قائلاً: "وحين يدعو السلفيـون -يقصد المسلمين- اليوم لتحكيم الشريعة ..."[1] جملة "يقصـد المسلمين" كانت من إضافـات المطيعى. مثال آخر لتـدخل المطيعى فى النص لتبيين قـصد الأستاذ محمود، كتب مـعلقاً على إهداء الأستاذ محمود لأحد كـتبه، أضاف المطيـعى جملة اعـتراضـية وهى "يقـصد نفـسـه" لنص الأهداء: "... وتحيـة للرجل -يعني نفسـه- وهو يمتخـض اليوم، فى أحشـائها، وقد اشـتد به الطلق (فى الأصل عند الأسـتاذ محمود وقد أشـتد بها الطلق)، وتنفس صبح الميلاد"[2]. جملة "يعنى نفسه" جـملة أضافها المطيعى. مـثال ثالث أورد المطيعى نصـاً للاستاذ مـحمود مع تدخل منه بجـملة اعتراضـية: "ولكن هل تحسبون أن قضاة الأحوال الشخصية يتغيرون أو يتطورون؟ كلا!! فإن القصور والجهل بالحياة والقانون- يقصد القـانون الوضعى- الذى كافحت البشرية من أجل صنعه لإثبات حريـتها هما أمران مـلازمان لهم"[3]. جملة "يقـصد القانون الوضعى" إضـافة من المطيعى. الشاهد فى الأمر أن المطيعى لا يقوم بتـضليل القارىء فحسب؛ وإنما يقوم بتشويه النص وتزويره، وهذا أمر فى غاية الخطورة وعدم الأخـلاق، فما بالك إذا ما جاء من رئيس قسم السنة وعلوم الحـديث بجامعـة أمدرمان الإسلامـية؟ هل يمكننا أن نتوقع صـدقاً فى الخصومة وسـجالاً شريفاً من المطيعى؟ هل يمكننا أن نثق فى مـا أتى به؟ وتجد التزوير عند المطيعى قد أخذ أشكالاً مختلفة. كتب المطيعى قائلاً: "ولكن ماذا تقول لمن قسم القرآن إلى أصيل وغـير أصـيل، وقرآن دين وقرآن شـرع، ثم يمضى فى حـقده الأسـود على الإسلام وتعالـيمه وأحكـامه"[4]. ومن المعـروف أن الأسـتـاذ محـمـود قال بآيات الأصـول وآيات الفروع. والاخـتلاف كبيـر جداً بين ما قاله الأسـتاذ محـمود وما أتى به المطيعى. خـلاصة الأمر كـتاب المطيعى نوع من أنواع العبـث والفوضى الفكرية، ولا أحـسب أن كتاباً يسـير بهذا النهج يستحق الوقوف عنده، أكثر مما بينت.

(1) المرجع السابق، ص 11.
(2) المرجع السابق، ص 27.
(3) المرجع السابق، ص 14.
(4) المرجع السابق، ص 13-14.

الشؤون الدينية و"علماء السودان" والتحالف الإسلامي

فلتعلم، إذن، الشؤون الدينية، ومن خلفها وعاظها، وأئمتها، الذين يقبضون مرتباتهم، عند آخر كل شهر، لإمامة المصلين، ولحماية الدين!! إن تلك الجولة ليست الأخيرة، بيننا وبينهم.. فموعدنا معهم الصبح.. أليس الصبح بقريب!! (1).

الإخوان الجمهوريون، ضمن كتاب لهم، صدر عام 1974

لقد واجه الأستاذ محمود وتلاميذه تحالفاً إسلامياً واسعاً، قوامه وأطرافه: شيوخ المعهد العلمي بأمدرمان، لاحقاً جامعة أمدرمان الإسلامية، و"علماء السودان"، والقضاة الشرعيون والفقهاء وموظفو الشؤون الدينية بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف والوعاظ والأئمة والخطباء بالسودان، وشيوخ الأزهر الشريف فى القاهرة، والمؤسسات الإسلامية فى المملكة العربية السعودية. قدمت بعض أطراف هذا التحالف التمويل لنشر الدراسات وإقامة النشاطات ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، وتبرعت أطراف أخرى بتقديم الأكاذيب والعلل القاصرة الناقصة. فحدث حراك واسع امتد منذ بداية الستينيات وحتى عام 1985. فى تلك العقود، وهى عقود الصحو واليقظة العالمية، إلى حد ما، بيد أنها كانت فى السودان عقود لهيمنة أطراف التحالف الإسلامى على حوار فكرى وسجال لم يمتلكوا أدواته. فكانوا طرفاً أصيلاً فى الهبوط به، وهو الحراك الفكرى السامى والرفيع، الذى قاده الأستاذ محمود بأسس تلمحها فى كل كتاباته وهى أنه يسعى لسجال يكون العقل أداته والتغيير مطلبه، والمستقبل هدفه. لقد سعى الأستاذ محمود سعياً حثيثاً لتوسعة ذلك الحوار والسجال، فراسل العلماء والمفكرين فى العالم، ودعاهم للمساجلة والحوار، بيد أن أطراف التحالف الإسلامى خرجوا بالسجال عن مساره. فإذا ما قاد أطراف التحالف الإسلامى مع الأستاذ محمود حواراً جاداً وحراكاً علمياً وسجالاً فكرياً شريفاً، وبأخلاق مثل ما كان ديدنه معهم ومع غيرهم، لأضاف السودان لمجلد الحضارة الإنسانية إرثاً فكرياً إسلامياً يخاطب العقول ويستبدل الجدل بالعمل ويوقظ الهمم ناحية التغيير والتحرير، بيد أن أطراف التحالف الإسلامى حطُّوا

(1) بتول مختار وآخرون، **الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، أمدرمان، 1974، ص 3-4.

من قـدر ذلك الحوار والسـجـال فأهـدروا الطاقات وقـتـها، وسـيـهدرونهـا الآن، وفى المستقبل. فنحـن نبحث وننقب الآن فى غثاء لا يجدى نفعاً، ولـكن لا مناص من كشفه وجرده وبيـانه كمحطة مـهمة من المحطات الـفكرية التى عاشهـا السودان، وهو ضحـية للأوصياء عليه من الفقهاء فى الأزهر الشريف وفى المملكة العربية السعودية. هنا بعض الأسئلة تدفع بنفسهـا: أين الأحزاب السودانية وما هو دورها؟ ما هو دور جبـهة الميثاق، الإخوان المسلمين، الجبهـة الإسلامية القومية؟ هناك محاور ستـأتى لاحقاً متناولة موقف الأستاذ محمود من الطائفية، وعلاقة الأستاذ محمود بالإخوان المسلمين، وعلاقة الأستاذ محمود بالشيوعيين.

لقد ضللت أطراف ذلك التحالف الإسلامى شعـوب السودان وشعوب الإسلام حينما قامت بتـمويل نشر الـدراسات والكتابات والأطروحـات الجامعـية ضد الأسـتاذ محـمود وتلاميـذه. وهى دراسات كـما بينا، لا ينقـصها انعـدام الورع العلمى، والسخـف المعرفى، فكانت عبارة عن عبث فكرى وفوضى لـم تجد رادعاً أخلاقياً يُذكِّرها بالمسؤولية وبالصدق، دعك من التـريث حـتى لا يقع سـوء الفـهم والغـرض. لقـد سـعت تلك الدراسـات إلى التضليل والمهاترة والتـشهير، وهى تعانى النقص فى اسـتيفاء الشروط العلمـية. الشاهد أن هذه الدراسات التى تمت فى ظل ذلـك التحالف الإسلامى الواسـع تكشف عن العديد من القضايا. فهى تكشف عن علل العـقل الثقافى السائد فى السودان، حيث استـجابته وقبوله للأوصـياء عليـه بدرجة كـبيـرة، وتكشف كذلك عن مـدى تمكن السلطة الدينيـة، التابعـة للمـراكز الإسلامـية فى الخـارج أكثـر من اتساقـها مع الداخل. وتكشف تلـك الدراسات كذلك، من خلال شـبكة النقل فيما بينها، والتـى تسعى دراستى هذه لتفكيكها، عن طبـيعة وحجم التحالف الإسلامى والتآمر المكتوب وغير المكتـوب ضد الأستاذ محمود ومشروعه وضـد تلاميـذه، والذى بدوره يعبـر عن موقف الـعقل الإسـلامى السائد ومـؤسسـاته من التجديد والتحرير. كذلك، تحمل تلك الدراسات فى تاريخها وبين سطورها، سمة الكسل العـقلى الذى يحبب إلى الناس أن يأخـذوا بالقـديم، كمـا ورد آنفاً عند طه حـسين، تجنبـاً للبـحث عن الجديـد، وتلك علة ظلت تلازم الفكر والمفكرين الإسـلامـيين، وخـصلة ظل يتسم بها الفقهاء أينما كانوا حتى تاريخ اليوم.

بناء الجدار العازل لحجب الأستاذ محمود عن شعوب السودان والإسلام والعالم

ذهبت الى الاستاذ محمود محمد طه فى منزله بالثورة.. لأجرى معه هذا الحديث، لم يذهلنى المنزل البسيط الذى يسكن فيه، إذ أن البساطة شيء عرف به محمود أصلاً، كما لم يذهلنى مظهره البسيط ومجلسه بين من معه.. يخدمهم ويصب لهم الشاى دون أدنى تكلف.. فكل ذلك من صميم صفات الرجل[1].

عبدالله جلاب- الاثنين 1972/12/11

نتج عن قيام ذلك التحالف الإسلامى وما صنعه من أساطير وقصص ساذجه وحوارات هشة، نتج عنه بناء جدار عازل يفصل بين الأستاذ محمود وتلاميذه ومشروعه من جهة وبين شعوب السودان وأهل الإسلام من الجهة الأخرى. لقد بُنى هذا الجدار العازل داخل السودان وخارجه بلا حق، وإنى على يقين تام فى أنه سيهدم قريباً وبالحق. لقد تفاوت دور الناس فى بناء الحاجز، فمنهم من وضع طوبة واحدة، ومنهم من وضع (مدماكاً) ومنهم من وضع مداميك وهكذا. فقد رفد التحالف الإسلامى الساحات الإسلامية خارج السودان بالدراسات التى نشرها أو ساهم فى نشرها أو شجع على نشرها، كما وردت الإشارة آنفاً، وقد حملت ما حملت من العبث العلمى والإفلاس الفكرى والكذب الصراح. أما فى داخل السودان فإن نشاط الفقهاء و"علماء السودان" كان نشاطاً ضخماً، ولم يكن ينقصه الكذب والعبث واللعب بعقول البسْطاء. فقد ظل "علماء السودان" والفقهاء يقدمون أنفسهم على أنهم أوصياء على شعوب السودان، وليتهم التزموا الصدق والمسؤولية فى هذه الوصاية العرجاء والتى هى بلا استحقاق. لم يلتزموا بالصدق والأمانة فعمدوا إلى تضليل شعوب السودان بشأن الأستاذ محمود وتلاميذه، تضليلاً لم تفق منه شعوب السودان حتى يومنا هذا، ليس على مستوى عامة الناس فحسب؛ وإنما على مستوى المثقفين السودانيين، ولم ينجُ منهم إلا القلة القليلة. ظلت الأكاديميا السودانية مقاطعة للأستاذ محمود حتى تاريخ اليوم، لا تدرسه ولا تدرس مشروعه ولا توجه

(1) عبدالله جلاب- "تحقيق مع الأستاذ محمود محمد طه"، (حوار)، الاثنين 1972/12/11. المصدر: **موقع الفكرة الجمهورية**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/10، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

الطلاب بدراسته، ولا تقيم حوله الندوات والملتقيات.

الشاهد أننى خصصت فصلاً لدراسة هذا الأمر وهو بعنوان: "الأستاذ محمود وموقف الأكاديميا السودانية". كذلك ظل المؤرخون السودانيون يتجاهلون الأستاذ محمود ودوره فى الحركة الوطنية، وقد خصصت أيضاً، فصلاً لمناقشة ذلك. ولم يختلف عن الأكاديميين والمؤرخين، المفكرون الإسلاميون، بل استحل المفكرون الإسلاميون أفكار الأستاذ محمود، وأخذوا منها دون حتى الإشارة إليه، أيضاً، خصصت فصلاً لتسليط الضوء على ذلك. لقد تأثر كل هؤلاء فى داخل السودان بالنشاط الذى قام به "علماء السودان" والشؤون الدينية. لقد أصدر "علماء السودان" وثائق عديدة، وبيانات كثيرة، ضد الأستاذ محمود وتلاميذه. كانت تنشر وتوزع (الوثائق والبيانات) داخل السودان على وزراء الوزارات ووكلائها، والجامعات وقاضى القضاة ومحافظ الخرطوم وعلى أئمة المساجد والوعاظ والخطباء...إلخ، وخارج السودان. كان بعض تلك البيانات توجه إلى الأئمة والوعاظ والخطباء ليقوموا بدورهم على منابر المساجد ضد الأستاذ محمود وتلاميذه ومشروعه، الأمر الذى ألقى بظلاله على عامة الناس فى قرى ومدن السودان، ولايزال الناس يعيشون تحت ذلك التأثير، لم يخرجوا منه، بل امتنعوا عن قراءته أو دراسته.

تضمنت إحدى النشرات اليومية لوكالة السودان للأنباء (سونا) مجموعة كتابات وسمتها بـ: "**مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة**"، وقد كان من بينها، البيان رقم (4): بتاريخ: 15 ربيع الآخر 1397، الموافق: 4 أبريل 1972، وهو من علماء السودان إلى جميع إخوانهم أئمة المساجد والوعاظ فى أنحاء جمهورية السودان[1]. جاء فى البيان: وبعدُ، فإن الدجال الكبير والعميل الخطير محمود محمد طه. يعمل على حرب العقيدة والشريعة الإسلامية ونشر الكفر والضلال بطريقة خبيثة شيطانية أملاها عليه سادته أعداء الإسلام"[2]. ثم يضيف البيان وهو يخاطب ضمنياً المثقفين والكتاب وأهل القانون قائلاً:

(1) "النشرة اليومية"، وكالة السودان للأنباء (سونا)، "مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة"، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405 الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405، ص 11.

(2) المصدر السابق، ص 11.

"وقد سبق وأن وضحنا فى البيان رقم (3) السابق. أن الذين يؤيدون محمود محمد طه ويناصرونه سواء أكان التأييد بالكتابة فى الصحف أو بجلب المواد القانونية الوضعية التى تؤيده وإبعاد المواد التى تدينه أو غير ذلك من أنواع التأييد ليعلم هؤلاء الناس أنهم مثل محمود محمد طه فى الردة والخروج من الإسلام سواء بسواء"[1]. ويضيف البيان وهو يحمل إرهاباً للمثقفين بالردة عن الإسلام إن ناصروا الأستاذ محمود، يقول البيان: "فلا يجوز لأى قاض ولا لأى محام ولا لأى وزير ولا لأى إنسان كبير أو صغير فى موقع مسؤولية، أن يدافع عن هذا الفاجر. ونحن نبين الحكم الشرعى للناس بأن هؤلاء القضاة والمحامين وغيرهم من الكبار الذين يوالون ذلك الكافر بالمجاملة والتأييد أو إخفاء حقيقة كفره وخطورة آرائه يعتبرون مرتدين عن شريعة الإسلام"[2]. ثم يستشهد البيان ويستنجد بفتوى الأزهر الشريف بردة الأستاذ محمود، ويستشهد كذلك بالحكم الصادر عن رابطة العالم الإسلامى فى المملكة العربية السعودية "بأن محمود محمد طه كافر ويعمل على نشر الكفر بين المسلمين"[3]. ثم يوجه البيان خطابه إلى الأئمة والوعاظ فى أنحاء السودان قائلاً: "لهذا يجب عليكم أيها الإخوان الأئمة والوعاظ أن تقرأوا هذا الكلام على الناس وتبينوا حقيقة هذا الفاجر على المنابر وفى الدروس اليومية مع تكرار قراءة هذا البيان"[4]. بل يذهب البيان أبعد من ذلك، إذ يحض الناس على الفتنة، فهو يقول: "وأن تدعو الناس إلى مقاومته ومقاومة هؤلاء السفهاء من أتباعه بوسائل المقاومة المذكورة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[5]. ثم يختم البيان مذكراً بالمنكر ووجوب تغييره بلا رأفة ولا لين، ودعوة وحض على القتل، يقول البيان[6]: "وليس منكراً أشد من هذا المنكر الذى يدعو إليه محمود محمد طه وأتباعه لهذا فقد وجب عل كل مسلم أن يعمل على

(1) المصدر السابق، ص 12-13.
(2) المصدر السابق، ص 13.
(3) المصدر السابق، ص 13-14.
(4) المصدر السابق، ص 14.
(5) المصدر السابق، ص 14.
(6) المصدر السابق، ص 14.

تغيير هذا المنكر بكل ما استطاع لا تأخذه فى ذلك رأفة ولا لين"[1]. ثم وقع عن علماء السودان، واحد وعشرون عالماً[2].

وفى نفس النشرة اليومية **لوكالة السودان للأنباء** (سونا)، جاء ضمن مذكرة رفعت للسيد رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، جاء فيه: "نحن علماء السودان نرفع لسيادتكم المذكرة الآتية ضد محمود محمد طه للأسباب الآتية". وعددت المذكرة تسعة أسباب، كلها مكررة ومتصلة بفتوى **الأزهر** و **رابطة العالم الإسلامى** وحكم محكمة الردة الأولى ...إلخ. وتضمنت مغالطات لا حد لها، وجهل بالأستاذ محمود وبحياته وطبيعة دعوته، إضافة إلى سوء الفهم وعدم الصدق، مثلاً يقول علماء السودان فى مذكرتهم، وذاكرين الأسباب التى دعتهم لرفعها:

ثامناً: نريد أن نذكر فى هذه النقطة أموراً هى[3]:

1- ثبت بما لا شك فيه أن محمود محمد طه له صلات أجنبية.

2- يهاجم الإسلام بعنف ويزعم أن رسالته الثانية منه.

3- محاباته وعطفه لأهل الكتاب بعيدة المدى يبدو ذلك مما تقدم فى إثارته للتفريق وللجزية.

4- نفقاته كثيرة وباهظة على الكتب التى ينشرها وعلى الأتباع الذين ينفق عليهم بسخاء ويغريهم ليتركوا دينهم إلى رسالته الجديدة.

تضيف المذكرة بعد أربعة الأمور هذه قائلة: هذه الأمور الأربعة المجتمعة تفضح عن سر ورائها"[4]. فى واقع الأمر لا يختلف اثنان على بساطة حياة الأستاذ محمود وبساطة منزله

---

(1) المصدر السابق، ص 14.

(2) علماء السودان عنهم: مجذوب مدثر الحجاز، الأمين داؤد، محمد الخليفة الهادى، يوسف الترابى، محمد العبيد وقيع الله، عبدالوهاب عبدالمجيد السراج، أحمد الفكى مهدى، زين العابدين العبد محمد نور، عثمان الحسن صلاح، سليمان محمد أحمد، حسن محمد أبو أذنين، على محمد وقيع الله، أحمد الختم عبدالله، الطيب محمد حامد، محمد بيلو أحمد، الخضر عبد الرحيم أحمد، الأمين محمد المحيسى، أحمد عباس البدوى، البشير عبدالله، عبدالرحمن الحاج محمد المبروك، حسين محمد ذكى.

(3) "النشرة اليومية"، **وكالة السودان للأنباء (سونا)**، مصدر سابق، ص 21.

(4) المصدر السابق، ص 21.

وزهده فى رغد العيش، وقد أوردت آنفاً شهادات بعض رصفاء الأستاذ محمود وبعض من عرفوه وعملوا معه أو عايشوه. الشاهد أن المذكرة بعد أن عددت الأسباب التسعة، تضيف داعية لقتل الأستاذ محمود، وهدر دمه تقول المذكرة: "لما سبق فإننا نطالب بما يأتى[1]:

1- معاقبة محمود محمد طه حتى يقف عن تلك الأباطيل واستغلال السذج من الشباب وبما أن الشريعة تقضى بموجب قتله فى الحال وتعتبر دمه هدراً أى لا شيء على قاتله شرعاً لأذيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم باتهامه له بالخيانة وعدم التبليغ بأحكام القرآن وأصوله كما يزعم هذا الجاهل... فحكم الشريعة فيه أنه واجب قتله فى الحال حفاظاً على الإسلام ولأذيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وبما أن الشريعة الإسلامية لم تطبق قوانينها فإننا نطالب بسجنه سجناً مؤبداً إبعاداً له عن الجماهير لئلا يضلهم ويفسد عليهم دينهم.

2- مصادرة كتبه واحراقها ومعاقبة من توجد لديه هذه الكتب واغلاق منازله التى أجرها لإيواء الشباب لخطورة دعوته على المجتمع الإسلامى.

3- لا يسمح له ولا لأحد من أتباعه أن يتحدث باسم الدين أو يفسر آية من كتاب الله لجهلهم بمعانى القرآن الكريم وللحكم بردته عن الإسلام. نقدم هذه لسيادتكم لتفادى حصول مالا تحمد عقباه فى هذا البلد والله الهادى إلى سواء السبيل.

ثم وقع عن علماء السودان ثمانية وثلاثون عالماً[2].

أيضاً، خاطب علماء السودان رئيس وأعضاء مجلس الشعب عبر الوثيقة رقم (6)،

---

(1) المصدر السابق، ص 21.

(2) علماء السودان عنهم: مجذوب مدثر الحجاز، محمد الفاتح قريب الله، الأمين داؤد، يوسف إبراهيم النور، يوسف الترابى، محمد العبيد وقيع الله، عثمان أحمد عبد الرازق، محمد عبدالله العمرابى، السيد قمر الأنبياء محمد عوض، بابكر أحمد أبو شيبة، محمد مالك القاضى، محمد مصطفى رملى، عبدالسلام عبدالقادر الجعلى، أحمد الحاج على الأزرق، سليمان محمد أحمد، عبدالحميد محمد عبدالحميد، محمد إدريس موسى، مبارك أحمد رحمة، حسن محمد أبو دنين، الضيف محمد أحمد، عثمان محمد سر الختم، محمد على الفكى، بشير عباس مصطفى، أحمد محمد الفكى، عبدالوهاب عبدالمجيد السراج، حبيب الله عبدالله حبيب الله، [.....] أحمد [.....]، الطاهر [.....] عثمان، إبراهيم عثمان، الأمين محمد المحيسى، محمد الحافظ المرزوق، أحمد الختم عبدالله، عبدالله يوسف أبو سن، بابكر الأمين الدرديرى، سليمان محمد كرم، خالد حامد خوجلى، إبراهيم زين العابدين، حسين محمد ذكى (فى الأصل حسن).

وقد جاءت الوثيقة ضمن النشرة اليومية لوكالة السودان للأنباء (سونا)، آنفة الذكر. وثيقة رقم (6)، عن الإخوان الجمهوريين وزعيمهم محمود محمد طه[1].

السيد رئيس مجلس الشعب والسادة الأعضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،،، "فنقدم هذه الوثيقة إلى السيد رئيس مجلس الشعب والسادة الأعضاء. مبينين هذه الظاهرة الشاذة التى ظهرت فى السودان والتى تعمل على التخريب والإفساد مستترة بالأساليب الخادعة والعناوين الكاذبة وقد ذكرنا كثيراً أن وراء دعوة محمود محمد طه [جهات - أيادى] أجنبية تحركها وتمولها"[2].

"أولاً: ....

ثانياً: وهذه الامكانات الضخمة الواسعة من المطابع والأوراق والنساخين والعمال والمنازل المؤجرة والعربات التى تنقل الاتباع والعانسات إلى جميع عواصم السودان لبيعن الكتب وتكاليفها وتلك المساعدات المالية الضخمة التى يقدمها للناس والموائد الدائمة والشراب من أين يأتيه؟... ولا نتصور أن له اتباعاً يمدونه بهذه الأموال فقد رأينا وجوههم الكالحة التى ارتسم عليها الفقر والحرمان فوق ما يجلوها من قتام الكفر وسيما الخزى والضلال فهؤلاء يأخذون ولا يعطون، حتى ولا يمكن لكتبه غيرالرائجة أن تفى بعشر أعشار تكاليفها لو راجت[3].

وفى هذه المرة وقع عن علماء السودان، خمسون عالماً[4].

---

(1) "النشرة اليومية"، **وكالة السودان للأنباء (سونا)**، مصدر سابق، ص 28.

(2) المصدر السابق، ص 28.

(3) المصدر السابق، ص 28-29.

(4) علماء السودان عنهم: مجذوب مدثر الحجاز، محمد الفاتح قريب الله، الأمين داؤد، يوسف إبراهيم النور، [...]، يوسف الترابى، محمد العبيد وقيع الله، عبدالوهاب عبدالمجيد السراج، أحمد محمد الفكى، زين العبد محمد النور، عثمان الحسن صلاح، بابكر أحمد أبو شيبة، الصديق محمد أحمد، على أحمد محمد، محمد الفكى عثمان، الخضر عبدالرحيم أحمد، بابكر الأمين الدرديرى، هاشم [...]، خالد آدم ابن الخياط، رحمة جبارة، الحاج عبدالله الحاج، محمد عبدالرحمن أحمد، كمال مهدى حسن جميل، عبدالله ميرغنى محمد، محمد أحمد عثمان، أحمد الختم عبدالله، حبيب الله محى الدين أبو كساوى، محمد [...]الحاج، حسن محمد أحمد عمر، محمد أحمد محجوب، الحاج أحمد سمساعة، عبدالباقى حمودة، [...]حاج أحمد، =

الفحولة الفكرية ومعيار الفقهاء: ضياع أربعة عقود من فرص التغيير والتحرير

غير أن الشواهد من الأفكار والأقوال والأعمال، والتى يمكن اخضاعها للاختبارات الاجتماعية "الإكلينيكية" تكاد لا تحصى ولا يتسع لها المقال، وتفضى جميعها الى حقيقة وحيدة.. إنه كان استثنائياً واصيلاً!! [1]

نزار أحمد أيوب (???-2010)

كتب الأستاذ محمود، كما جاء فى صدر هذا الفصل، كتب قائلاً: "إن السبب الحقيقى لهذا التخلف هو الجهل بالدين، والانحراف به إلى قضايا فقهية متحجِّرة، تُكبِّل العقل، الذى يتخذها منهاجاً لدراسته، ولا تحرره"[2] . انحرف الفقهاء والعلماء بالسجال مع الأستاذ محمود إلى القضايا الفقهية، فكان السجال من جانب الفقهاء سجالاً فقهياً، ومن جانب الأستاذ محمود سجالاً فكرياً من أجل التغيير والتحرير، وشتان ما بين الرؤيتين. لقد أضاع الفقهاء نحو أربعة عقود (1957-1985)، كانت خصماً من فرص التغيير والتحرير وخصماً من عمر تاريخ السودان وشعوبه ومن شعوب الأرض، فى سجال بلا شرف وحجج لا تبارح مكانها من ضعفها وكذبها، ولم يقدموا سوى عبث فكرى وفوضى أخلاقية وفجور فى الخصومة، وكذب فى حق الأستاذ محمود يقدمونه عبر منابر الخدمات التنويرية. قابلوا الفحولة الفكرية بالهراء والكذب ولكن الكذب لا ينطلى على أجيال اليوم. فبقليل من البحث والتنقيب ومقارنة القرائن نخلص إلى عكس ما ذهب إليه علماء السودان. هذا الحديث يؤذى قارئيه من الذين زاروا الأستاذ محمود من المثقفين وعامة الناس، وهم كثر. فقد أوردت آنفاً شهادة أحد الأكاديميين والمثقفين السودانيين عبدالله

= سيف الدولة أحمد حسن، يحيى فضل المولى صالح، إلياس على الشيخ، الطيب محمد أحمد، على محمد وقيع الله، حبيب الله عبدالله حسن، يوسف عثمان جبريل، عثمان أحمد جاد الرب، سعد عبد الرسول، أحمد إبراهيم أبو [...]، محمد إدريس مرسى، خالد حامد خوجلى، سليمان محمد أحمد، حسن محمد أبو ذنين، أحمد محمد جلى، [...] فيصل محمد سليمان، [...] سيد أحمد، محمد صالح محى الدين، عمر سعيد حمد، حسين محمد ذكى.

(1) نزار أحمد أيوب، "الأستاذ والمقصلة والأراجوز"، **من موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع(Retrieved) 18 يناير 2013، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(2) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 9-10.

جلاب الذى أجرى حواراً صحفياً مع الأستاذ محمود فى يوم الاثنين 1972/12/11، وقد أجرى مقابلة معه قبل ذلك فى عام 1968. وصف عبدالله جلاب بساطة الاستاذ محمود محمد طه وبساطة منزله وحياته وكيف أن البساطة هى أصلاً من صميم حياته.أما وقع حديث علماء السودان على تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، فإنى على يقين تام بأنهم حينما يعيدون قراءة هذا النص يكونون فى حالة إشفاق وعطف ما بعده عطف على "علماء السودان"، لأنهم عاشوا مع الأستاذ محمود حياة الكفاف ويعرفون حق المعرفة نوع موائده، وهى موائد من هم يعيشون تحت خط الفقر برضا. فالأستاذ محمود هو القائل مقولته الشهيرة:"ساووا السودانيين فى الفقر إلى أن يتساووا فى الغنى"[1]. أما حديث علماء السودان فى وثيقتهم عن: "الإمكانات الضخمة الواسعة من المطابع والأوراق والنساخين والعمال والمنازل المؤجرة والعربات..."، سيأتى تناولى له لاحقاً، ضمن محور عنوانه: "تمويل حركة الإخوان الجمهوريين". يبدو أننا قوم لا نعرف الإحسان والاحترام لأصحاب العقول الكبيرة، ولا نعترف لأهل الفضل بفضلهم، وقد جبلنا على العداء والحسد لأصحاب المبادرات الخلاقة. يقول منصور خالد وهو يتحدث عن علاقته بالجمهوريين وطبيعة فكرهم ونهجهم فى الحياة، يقول منصور خالد: "الجمهوريون قادتنى اليهم فحولة فكرية، وخصائل شخصية. كثيرون كانوا يقدرون فى الجمهوريين تلك الفحولة دون أن يشاركوهم الراى ناهيك عن الانضواء تحت لواء تنظيمهم. من بين الخصال التى حببتهم الى نفسى، أدب الخطاب وتجويد الكتاب والتوافق المبهج بين السر والعلانية[2].

الشاهد أن التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وضد مشروعه وتلاميذه، كان تحالفاً واسعاً وقوياً امتد نحو ثلاثة عقود(1957-1985)، ولا يزال. لقد قام بنشاطات كثيفه،

---

(1) سمية محمود محمد طه، **دور النساء المعيلات للأسر فى تقليل حدة الفقر**، دراسة حالة دار السلام شمال بأمدرمان، بحث لنيل درجة ماجستير الآداب فى الدراسات السودانية (اجتماع)، مارس 2012، إشراف: الهام عبد الرحمن عثمان، كلية الدراسات العليا، جامعة الزعيم الأزهرى، الخرطوم بحرى، السودان، (بحث غير منشور)، ص الإهداء.

(2) منصور خالد، "الدكتور منصور خالد يفتح صندوق الذكريات الخاصة والعامة"، (حوار)، حوار كمال حسن بخيت، **البيان الإماراتية**، العدد: 196، الأربعاء 6 أغسطس 2003.

داخل السودان وخارجه، إذ نمط صورة الأستاذ محمود فى الأذهان، تنميطاً سلبياً، كما قدم معطيات لصنع مناخات فكرية متخلفة، تتصل بالماضى أكثر من اتصالها بالراهن والمستقبل فساهم فى تجميد الحياة، وتحجيم العقول وتكليس حركة التغيير. برغم ذلك فإن الدراسات والكتب التى تولى إصدارها التحالف الإسلامى بكل أطرافه خلال النصف الثانى من القرن العشرين فى نقد الأستاذ محمود وفى مهاجمة مشروعه وتلاميذه، بعضها فقد قيمته، إذ لم تعد تغذى الخيال أو تضيف شيئاً أمام تطورات الحياة ونهوض الواقع، وبعضها الآخر تبخر. بينما توسعت، من الناحية الأخرى، الدراسات عن الأستاذ محمود وعن مشروعه، توسعاً دائماً ومستمراً داخل السودان وخارجه وفى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. فقد صدرت كتب وأوراق علمية ومقالات وأطروحات جامعية بلغات عديدة، وتُرجمت بعض كتاباته إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية وغيرها. وهذا ما سأتناوله فى الفصل القادم تحت عنوان: "قراءة فى الدراسات السابقة: مرحلة ما بعد الفقهاء".

الفصل الثالـــث

3

قراءة أولية فى الدراسات السابقة: مرحلة ما بعد الفقهاء

بداية إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود في المخيلة[1] السودانية

(1) مفردة المخيلة تستدعى كتاب: منصور خالد، **جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى**، مرجع سابق. فهى مستلفة منه.

إننى أزعم أن الأستاذ محمود هو بين المفكرين الإسلاميين المجددين المعاصرين أكثرهم وأعمقهم إدراكاً لمأزق الفكر الإسلامى السلفى فى مواجهة متغيرات الواقع المعاصر وما تطرحه من إشكاليات متواترة ومعقدة. ولقد كان عميق الإدراك بنفس القدر لقصور محاولات الكثيرين من دعاة التجديد و"بؤس" مفاهيمهم وقراءاتهم (بتأهيلهم واستعدادهم أصلاً، وليس المقصود بالطبع تأهيلهم المعرفى الأكاديمى أو مواهبهم الشخصية) عن التصدى لمثل هذه المسئولية الجسيمة[1].

عبدالله بولا

بكيت الاستاذ محمود كما لم أبك زعيماً من قبل، ولا أظننى سأبكى آخر من بعد...

أين الذين نصبوا له المشانق؟ دفنوا فى صحارى النسيان أحياءً، والشيخ الذى قبروه فى صحراء العتمور لا يزال حياً يوقد فكره المنابر[2].

عادل الباز

---

(1) عبدالله بولا، "محاولة للتعريف بمساهمة الأستاذ محمود محمد طه فى حركة التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر"، **من سودان للجميع** Sudan for all، استرجاع Retrieved بتاريخ 17 مايو 2009، الموقع على الإنترنت: http://www.sudan-forall.org؛ عبد الله بولا، "محاولة للتعريف بمساهمة الأستاذ محمود محمد طه فى حركة التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر"، **مجلة رواق عربى**، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، العدد الرابع، أكتوبر 1996.

(2) عادل الباز، "صحارى النسيان"، **صحيفة الصحافة**، 18 يناير 2007، الخرطوم.

ظل الأستاذ محمود وتلاميذه فى مواجهة واسعة ومستمرة مع الفقهاء والقضاة الشرعيين و"علماء السودان" نحو ثلاثة عقود امتدت منذ عام 1957 وحتى يوم تنفيذ حكم الإعدام عليه صبيحة يوم الجمعة 18 يناير عام 1985. سعى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) خلال تلك الفترة لاستكتاب الأساتذة ليردوا على الأستاذ محمود، كما بينت فى الفصل السابق. السؤال أين المثقفون؟ لقد بدأت دراسات المثقفين من غير الفقهاء والقضاة الشرعيين عن الأستاذ محمود ومشروعه فى النصف الثانى من عقد الثمانينيات. وكما أشرت آنفاً بأن فترة الخمسينيات من القرن الماضى قد شهدت مساجلات وحوارات كبيرة بين الأستاذ محمود وبعض المثقفين منهم: الشاعر محمد محمد على ومحمد خير عثمان وغيرهم، وكان بعضها يتكىء على ندوة عبدالله حامد الأمين. اختطف بعد ذلك الفقهاء منابر الحوار فى عقد الستينيات وتأخر مجىء المثقفين. فلماذا تأخر المثقفون فى الحضور للكتابة عن الأستاذ محمود ومشروعه؟ هل كان موقف المثقفين، لا سيما طلائع المتعلمين رصفاء الأستاذ محمود، يمثل ردة فعل للنقد الذى كان يقدمه الأستاذ محمود وباستمرار لمواقف طلائع المتعلمين من الاستعمار ومن التسوية مع الطائفية وآليات أداء الواجب الوطنى؟ هل كان المثقفون فى تحالف غير معلن مع الفقهاء ضد الأستاذ محمود خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضى؟ إن التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وضد مشروعه وتلاميذه، والذى وقفت عليه فى الفصل السابق، كان تحالفاً واسعاً وقوياً امتد نحو ثلاثة عقود (1957-1985)، مع تفاوت فى مراحله وتمدداته، ولا يزال، مع الانكماش المستمر فى دوره. السؤال لماذا لم يكن فى الساحة سوى الأستاذ محمود وتلاميذه فى مواجهة ذلك التحالف؟

لا يفوتنا أن هناك نماذج من المثقفين وقفت بقوة مع الأستاذ محمود وتلاميذه منذ ستينيات القرن الماضى، وظلت مناصرة لمواقف الأستاذ محمود ومنافحة عنه وعن مواقفه. لقد أخذ "علماء السودان" فى مناشيرهم وبياناتهم بمنهج تهديد وتخويف المثقفين، كما بينت فى الفصل السابق، فهل أثر ذلك على التعاطى مع مشروع الأستاذ محمود؟ لقد أراد التحالف الإسلامى بما اشتمل عليه من علماء من خارج السودان ومن داخل السودان من الفقهاء والقضاة الشرعيين "وعلماء السودان"، أرادوا جميعهم أن يقبروا الأستاذ محمود ويقبروا مشروعه، هل نجحوا فى ذلك؟ الشاهد أن ذلك التحالف قام، وتوسع متكئاً على مناخ محكمة الردة التى انعقدت ضد الأستاذ محمود محمد طه، رئيس **الحزب الجمهورى**، فى يوم الاثنين 18 نوفمبر 1968 قام بنشاطات مكثفة، داخل السودان وخارجه، إذ نمط صورة الأستاذ محمود فى الأذهان، تنميطاً سلبياً، كما قدم معطيات لصنع مناخات فكرية متخلفة، تتصل بالماضى أكثر من اتصالها بالراهن والمستقبل فساهم فى تجميد الحياة، وتحجيم العقول، وتكليس حركة التغيير. كان دوره مع آثار محكمة الردة دوراً خطيراً فى سلبيته على الفضاء المعرفى السودانى. لقد هبط بمستوى الحوار، وحجب الناس، والكثير من المثقفين خاصة، عن الأستاذ محمود، فقاطعوا كتبه ومحاضراته ومشروعه ونبذوا تلاميذه، وأغمضوا أعينهم عن ما طرحه من حلول ناجعة للكثير من القضايا المحلية والإقليمية. فانصرف الكثير من المثقفين وعامة الناس من قراءة الإنتاج المعرفى للأستاذ محمود، وعاشوا فى حالة تضليل وتغييب. واكتفى الكثير من الناس بأن ينوب عنهم بعض المثقفين فى قراءة الإنتاج المعرفى للأستاذ محمود ومن ثم معيرته وتقييمه، وإبداء الرأى حوله.

تكلُّس حقبة السكوت وتراجع حظ الأوصياء على العقول

عندما يموت الضمير وتسوء الأخلاق ...- عندما يعم وباء السكوت والتغاضى تعلو طحالب الباطل وتبين عما ران فى القلوب من غشاوة السطحية والغرض كأنها الشُّم الرواسى- تنقلب المقاييس وتضطرب الموازين وتنهار القيم ويعيش الإنسان فى متاهات لا متناهية وليست لها حدود، فى مثل هذه الحالة يتسلق الذرائعيون وذوو الأغراض قمم التوجيه والإرشاد ويتحولون إلى قديسين وأطهار وأبطال ويتحولون بقدرة مثل هذا الواقع إلى

موزعين لأقدار الخلق وإلى أوصياء عليهم وأولياء على الحياة نفسها- ...- وهى الحالة التى يصبح فيها الخير شراً والعدل ظلماً والجمال قبحاً والحكمة ضرباً من ضروب الغباء[1].

عمر على أحمد (1942-2008)، عام 1968[2]

نتج عن سكوت المثقفين وعدم استخدامهم لأدواتهم، غيابهم، ولا شيء أخطر على المجتمعات من غياب مثقفيها. إن غياب المثقفين أو حضورهم بلا أدواتهم، تغييب لمعانى الخير والحق والأخلاق، وتمدد للظلمات وتفشى للتضليل والتغييب، وأعظم فرصة لتقدم الجهلاء ومتوسطى المقدرات والمعارف ليتولوا أمر الحوار والسجال وقيادة المجتمع وتوجيهه. لقد صمت المثقفون نحو ثلاثة عقود، بالطبع لم يصمتوا كلهم سأتعرض لذلك فى مواقع متفرقة من هذا الكتاب، فساهم صمتهم فى أن تولى الفقهاء والقضاة الشرعيون وعلماء السودان قيادة السجال والحوار، فوضح أنهم لا يملكون الحد الأدنى من مقومات الورع العلمى فى موقفهم من الأستاذ محمود. من الملاحظات الجديرة بالذكر أن معظم الذين كتبوا عن الأستاذ محمود وفى نقد مشروعه، فى مرحلة الفقهاء، كانوا قد استخاروا الله، كتب شوقى بشير عبدالمجيد فى أطروحة الدكتوراة قائلاً: "لهذا كله أستخرت الله وأقبلت على هذا الموضوع متوكلاً عليه"[3]. كذلك كتب المكاشفى طه الكباشى قائلاً: "ولذلك رأيت بعد أن استخرت الله سبحانه وتعالى أن أكتب بحثاً..."[4]. برغم ذلك لم تلتزم هذه الكتابات بالأسس الأخلاقية والعلمية وغاب الورع العلمى فيها. كذلك غاب الورع العلمى فى منشورات "علماء السودان" ضد الأستاذ محمود والتى افتقرت للأسس

---

(1) عمر على أحمد، "عندما يعم وباء السكوت تعلو طحالب الباطل"، **صحيفة السودان الجديد**، 1968/12/17 الخرطوم.

(2) ولد بمدينة كبوشية شمال الخرطوم. تخرج فى كلية القانون بجامعة القاهرة الفرع- الخرطوم. اشتغل بالتدريس منذ ان كان طالباً بالجامعة فعمل بمدرسة النهضة المتوسطة بأمدرمان، وبحلفاية الملوك بمدينة الخرطوم بحرى ومدرسة بخت الرضا بمدنى ثم متنقلاً عبر مدارس مديرية الجزيرة (أم تربيات، دردق، أبو عشر) ثم امتهن مهنة الصحافة فى اثناء جلوسه للمعادلة فعمل بجريدة القوات المسلحة وصحيفة الصحافة والايام!! ثم عمل بعد تخرجه من الجامعة بالمحاماة وكان مكتبه فى عمارة الحرية غرب سينما أمدرمان. ظل جمهورياً منذ ستينيات القرن الماضى.

(3) شوقى بشير عبدالمجيد، **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، مرجع سابق، ص (ح).

(4) المكاشفى طه الكباشى، **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، مرجع سابق، ص 9.

الأخلاقـية، وما كـان يجب أن يلتصق غـياب الورع العلمى واللا أخلاق بالعـلم والعلماء. الشاهد أن غياب المثقـفين كانت نتائجه وخيمة وخطيرة آنئذ واليـوم. لقد ظلت معرفة الناس بالأستاذ محمود معرفة سماعية. وكانت مصادر تلك المعرفة لعامة الناس تأتى من أناس غير موثوقين فى نقل الأمانة العلمية وفى نقل الرأى وفى مناقشة القضايا، لسبب بسيط وهو أنهم أناس لا يقـرؤون. وقد أثبتُ ذلك فى الفـصل السابق. فى الواقع كـان الذين قرأوا الأسـتاذ محمـود قليلين. كان علماء السـودان يوجهون الأئمة والوعـاظ والخطباء فى المساجـد، كما ورد تفصيل ذلك فى الفصل السابق، قام الكثير من الأئمة بالمهمة دون أن يكونوا على اطلاع بما كتبه الأستاذ محمود، وبعضهم لم يسمعه. كتب عمر على أحمد، وهو يتحدث عن كيف كان علماء الإسلام وفقهاؤه يتصيدون أخبار الأستاذ محمود، كتب قائلاً:

يفضل علمـاء الإسلام ودعاته وحماة عـقيدته والحادبون على عـقائد الناس من التصـدع أن يتصـيدوا أخـبار مـحمود وآراءه من أفـواه من لا يؤخذ عنـهم وقد يكون منهم من لم ير مـحمـود البتـة (محـمود لا يصلى لأن الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومحـمود منته.. ومحمود قال لجماعة كـذا، ومحمود قال فى البـلاد الكذا كـذا... إلخ". بمثل هذه الأقـاويل كانت تـتكون كثـيـر من خطب الجمـعة فى المساجد والزوايا وتـنتقل إلى الناس باعتـبار أنها أفكار محـمود مع تذييلها بالحث والتوصية مما تجود به قريحة العالم[1].

لم يقف الأمر عند الأئمة والوعاظ والخطباء، بل توسع الحلف وشمل قطاعات واسعة، منها بعض المعلمين، ومثقفين فى مجالات أخـرى. كان بعض المعلمين فى المدارس يمنعون التلاميذ من حضور محـاضرات الأستاذ محمـود. حكى لى بشير بكار قائلاً: "إننا حينمـا كنا تلاميذ فى المدارس، وكان الأستاذ محـمود يأتى لمدينة رفاعة ليقدم المحاضـرات، كان المعلمون يمنعوننا أن نذهب لنستمع للأسـتاذ محمود، فى حين كان حـينما يأتى حسن عبدالله الترابى ليـحاضر، كان هؤلاء المدرسون يحثوننا على الذهاب للاستماع للترابى"[2]. كذلك روى لى عماد عبداللطيف

(1) عمر على أحمد، "عندما يعم وباء السكوت تعلو طحالب الباطل"، **صحيفة السودان الجديد**، 1968/12/17، الخرطوم.
(2) مقابلة مع بـشير بكار، وهو أحد تلاميـذ الأستاذ محـمود، الخرطوم، 2012/1/6، الساعة الثالثـة عصراً، كانت المقابلة بمنزل أحمد محمد الحسن.

محـمد، وهو يعلق على سلسلة مـقالاتي: "الأستـاذ محمـود والمثقفـون"، التى نشرتها سـابقاً، وعماد يعمل مـعلماً فى المرحلة الثانوية، وهو متخصص فى الأدب والـنقد العربى والدراسات الإسلامية، روى لى عماد عبر مهاتفتي قائلاً: نحن فعلاً كنا مضللين فى الأستاذ محمود تضليلاً شديداً.. ما كنا نستطيع ذكر اسمه فى المجالس، لأن الشـائع أنه كافر...إلخ، اكتشفنا أن الأستاذ محمود هو غير الذى حدثونا عنه.. أنا ما كنت أعرف أن الأستاذ محمود بهذه العظمة والقوة.. لكن الآن عرفت أنو الأستاذ محـمود شئ آخر شئ مختلف"[1]. ثم أضاف عماد مـتحدثاً عن كتابة الأستاذ محمود ومقدما رؤية تجلت فيها خبرته وتخصصه وهو أستاذ للنقد، أضاف قائلاً: "عندى ملاحظة مهمة وهى أنو نـصوص الأستاذ محمود التى تستشـهد بها فى مقالاتك.. هذه نصوص عجيبـة، كتابة ليس فيها انشغال إلا بالإنسانيـة والشأن العام، لا طمع لا دنيا لا ذاتية لا عنتريات ولا تلمـح فيها أى نـوع من أنواع ادعاء بطولة..". يعتـرف عماد قـائلاً: "أنا لأول مرة أقرأ نـصاً كـتبـه الأستـاذ محـمود، وهذا فى حـد ذاته تقصـير، أنا خـريج دار العلوم فى مـصر ودرست أدب عربى ومـعلم أدب ونقد.. إن نصوص الأستـاذ محمود التى أوردتهـا، نصوص يفـشل فى كـتابتـهـا كبـار الأدباء.. الرجل ده أين نضـعـه هل نقول مـفكر؟.. من أوليـاء الله الصالحين، أم أديب، لا... لا أكبر من كده.. أكبر من كده بكثير بكثير جداً جداً"[2].

الشاهد أن التضليل بشأن الأستاذ محمود والتشويه لمشروعه كان كبيراً، والسكوت كان كبيراً أيضاً، سكوت المثقفين أهل القلم وأهل الثقافة وأهل الواجب المباشر فى التنوير وبناء العقـول. لكن العزاء أن الناس فى الشـارع لم تعد تثق كـثيراً فى تـسليم عقولهـا للفقـهاء والقضـاة الشرعيـين، وبدأ الناس مع الانفجـار المعلوماتي وتوفر سـبل التعلم الذاتى أكـثر قدرة على البـحث والتنقيب والوصول للحقـائق. بدأ المثقفون فى السـودان مع بداية القرن الحادى والعـشرين إعادة النظر فى الكثـير من القضايـا أهمها دورهم واستـخدام أدواتهم. ويمكن للباحث أن يقف على تلك البـداية فى كتابات المثقفـين وفى حواراتهم ومن خلال الشجاعـة فى اعترافاتهم أيضاً. لقـد جمعت مجموعـة من الاعترافات الشجـاعة بما يخدم

(1) عمـاد عبداللطيف محـمد، مهاتفـة تلفونية من الخـرطوم مع المؤلف فى الدوحة، 19 سبتـمبر، 29 أكتوبر، 18 ديسمبر 2010.
(2) المصدر السابق.

التنوير والخدمة التنويرية. كذلك يمكن القول بأنه قد بدأت مرحلة انتزاع الميدان والسوح من طبقة الفقهاء ومن لف لفهم حين بدأ المثقف استخدامه لأدواته والقيام بدوره. لقد بدأت الآن مرحلة نقد جريئة وقوية وواسعة، للإرث السياسى والفكرى، وبرغم أن المرحلة فى بداياتها، ولم تأخذ وضعها العلمى، لكنها فى توسع، ومع توسعها تبدأ عمليات التحرر من القطيع.

فك الحصار والانفكاك من القطيع

لا أنكر أننى وحتى فترة قصيرة لم أجرؤ أن أقرأ كتب الأستاذ محمود لتهيبى (الخوض فى الفتنة)، أى فتنة أشد من تقييد العقل بالوجدان، كما يقول صديقى المهندس الأديب محمد عبد اللطيف هارون (شيخ طويل)؟" (1).

الوليد موسى مادبو

كانت الحملة ضد الأستاذ محمود، عنيفة وبلا أخلاق، وكان تأثيرها كبيراً ونافذاً. استغلت الحملة بساطة السودانيين وثقتهم فى المتحدثين من أبنائهم فى المنابر باسم الإسلام، فظن الناس أن مثقفيهم الذين يتحدثون على المنابر باسم الفقه والشرع موضع ثقة، وأنهم أمينون فى ما ينقلونه إليهم عن الأستاذ محمود، ولم يدركوا أن جل المتحدثين لم يقرأ للأستاذ محمود بل كانوا يرددون دون علم أو هدى أو رشاد. قام العداء للأستاذ محمود بلا وعى وبلا معرفة وبلا استقلال وفردية فى القدرة على الوقوف على الحقائق. تعاطى الناس فى السودان مع الأستاذ محمود بمبدأ الإنابة ومفهوم فرض الكفاية، قام البعض بإنابة الناس فى موضوع الأستاذ محمود. فغيب الناس وضللت السوح والفضاءات المعرفية. ولكن بدأ الناس يكتشفون الأمر وبدأت الأجيال تدخل برؤى نقدية للسائد والمألوف. كتب **ياسر عَبيدى بَرْدَويل**، تحت اسم "طناش"، بالمنبر العام بموقع سودانيز أونلاين، يتحدث عن كتب الجمهوريين لدى والده الذى ينتمى **للحزب الوطنى الاتحادى**، كتب ياسر قائلاً: لم أقترب من تلك الكتيبات التى قد تكون مازالت موجودة فيما خلفه الوالد من كتب، اذ كنت أنظر اليها من زاوية عينى شذراً مذراً، و ذلك من كثرة ما شنف به "عبد الجبار المبارك" آذاننا بفتاويه التلفزيونية ضد الأستاذ العظيم، فقد كنت

(1) الوليد موسى مادبو، "حرية الضمير"، **صحيفة السودانى**، 3 أغسطس 2007، الخرطوم.

حينها أمر بنوبة تدين عاصفة"[1]. لقد انقذه والده من تلك الحالة، وبدأ رحلة البحث بعيداً عن التضليل كتب ياسر قائلاً:

كم سأظل مديناً و مقدراً له مجهوده ذلك.. وبفضل انقاذه إياى، طفقت مثله أحاول معرفة كل شىء و لا أكون رأيا تجاه أى شىء حتى أعرفه جيداً، وساعدنى ذلك فى التخلص من كل آرائى المسبقة. و فى أواخر المرحلة الجامعية تعرفت لأول مرة على كثير من أفكار الأستاذ المفكر "محمود محمد طه"، و كم ندمت لعدم تعرفى عليها إبان صرعة تدينى تلك "الطالبانية!" لكنت سلمت الوالد من ما أصابه من عقوق و سلمت نفسى من ما أصابها من عنت دينى، ولكنت منذ حينها و حتى الآن "جمهورياً!! [2].

برغم ما قام به التحالف الإسلامى الذى قوامه الفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء السودان" بامتداداته الخارجية فى **الأزهر بجمهورية مصر العربية** وفى **المملكة العربية السعودية**، فإن حقبة السكوت قد انتهت، وحقبة التضليل على وشك الانتهاء. روى على آداب المعروف بـ"Degna" بالمنبر العام **بموقع سودانيز أونلاين**، قصة مؤثرة ومعبرة، عام 2009، روى قائلاً:

دعنى أحكى لك ولكم جميعاً هذه القصة الصغيره وهى واقعية وليها أقل من 5 سنه. مرة ذهبت كعادتى لابن عم لى، زيارة عادية، وهو أكبر منى سناً، وأبناؤه فى مثل سنى وأكبر. وفجاة تذكرت الأستاذ محمود وحينها لم أكن أعرف الأستاذ محمود معرفة شديدة، ولم اقرأ له أى كتاب. وسألته ما هو رأيك فى الأستاذ محمود محمد طه؟ ولم يتردد قال لى: أعوذ بالله منُو. ده زول خارج من الملة الإسلامية. وقال لى: وإنت سمعت بيهو وين؟ لأنو عندما أغتيل الأستاذ محمود، عمرى لم يتجاوز الثلاث سنوات، فقلت له: أنا بسألك ساى بس سمعت بيهو

(1) طناش (ياسر عبيدى بردويل)، "كيف تغير موقفى تجاه الفكر الجمهورى"، ضمن خيط بعنوان: **بين (نيروز) الحلاج ... و (نيروز) الأستاذ محمود محمد طه**، من موقع **سودانيز أونلاين**، استرجاع (Retrieved) 22 يناير 2004، الموقع على الإنترنت:
http://www.sudaneseonline.com

(2) طناش (ياسر عبيدى بردويل)، مرجع سابق.

*حبيت أعرف رأيك بس. ولكن بعد 3 سنوات من هذا الكلام مع ابن عمى، وبعد تعرفى على كتب ومؤلفات الأستاذ محمود خرجت برأى مغاير تماماً لكثير من الكلام الذى كنت أسمعه عن الاستاذ محمود. وفى يوم من الأيام ذهبت إليه وهذه المرة معى 4 أوراق أو وريقات من كتاب الأستاذ محمود **طريق محمد** وقرأته له وفجأة قام ابن عمى وقال لى: هذا كلام كبير، وكلام عارفين كبار، وسألنى من هذا الشيخ؟ وقلت له: هذا هو محمود محمد طه انتفض مجدداً من جلوسه، واعتدل فى الجلسة وصمت فجأة ثم بكى وقال لى: كم ظلمت هذا الرجل لأننى صدقت كلامهم دون ان أتبين أو أقرأ له أو أسمع منه مباشرة" [1].*

أيضاً، كتب الوليد موسى مادبو، وهو من المثقفين الشباب، قائلاً: "لا ننسى اغتيال النميرى للأستاذ محمود محمد طه الأمر الذى أنكرناه سياسياً لمجرد رفضنا للظلم وللحقارة، لكننا لم نستطع أن ننبذه (أى أغتيال نميرى للأستاذ محمود) دينياً لسيطرة الغبش على قلوبنا ومعتقداتنا. إن التقاطع بين هاتين الحريتين: حرية الممارسة السياسية وحرية الاعتقاد الدينى هو سبب الإشكالية النفسية التى نعيشها"[2]. ثم أعترف الوليد مادبو اعتراف الشجعان قائلاً: "لا أنكر أننى وحتى فترة قصيرة لم أجرؤ أن أقرأ كتب الأستاذ لتهيبى (الخوض فى الفتنة)"[3]. ثم يتبع ذلك الاعتراف بإبداء رأى وموقف يستند على الفردية، وهى مطلب اليوم ومدخل المستقبل، ومبنى كذلك على الوعى وعمق المعرفة، وهى بعض شروط الورع العلمى. كتب الوليد قائلاً: "أى فتنة أشد من تقييد العقل بالوجدان، كما يقول صديقى المهندس الأديب محمد عبد اللطيف هارون (شيخ طويل)؟[4] إن جل الشواهد التاريخية تبرهن على أن الدين حتى وفق النظرة النصوصية بقى بعيداً عن المقاصدية (لأن النصوص لم تكن بالوفرة) فلم يكن مسؤولاً عن قتل شهداء الفكر فى عالمنا الإسلامى، لكننا يجب أن نعترف بأن صيرورة

(1) على آداب، ورد ضمن خيط افترعه عبدالله عثمان بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه: قالوا ولم نقل!!!"، **موقع سودانيز اونلاين** Sudaneseonline، المنبر العام، استرجاع (Retrieved) يوم 2009/11/5، الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com

(2) الوليد موسى مادبو، "حرية الضمير"، مرجع سابق، الخرطوم.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

الحدث التاريخى قد شكلت الوجدان سلباً مما جعله على أحسن الفروض لا يجرؤ على الإنكار، إنما الإقرار السلبى- السكوت[1]. إننى ما أن أرى صورة الأستاذ عبدالخالق محجوب إلا وأحس بوخز فى ضميرى كأننى ساهمت فى قتله لأننا وبالسكوت الجماعى قبلنا (لطيش الفصل) أن يوارى سوأته- الغيرة الشخصية- باغتيال (أول الفصل) متهماً إياه بالعمالة تارة وبالزندقة تارة أخرى، إذ كان يقول ملء فاه (عبدالخالق الذى لا يعرف الخالق)[2]. إن الحيلة ذاتها قد انطلت علينا ولو إلى حين، حين قبلنا من (عربيد نذر حياته للرذيلة) أن يتطاول على راهب (مهر أيامه بالدعوة إلى الفضيلة) ويصفه بالزندقة وبالكفر. إن النميرى ليلة اغتيال محمود محمد طه سمع هتافاً من أحد سائقى التاكسى وهو مار بكبرى بحرى يقول له (نصرت الدين يا ريس!!). هذا هو الوجدان السودانى الذى تشكل وفق مقتضيات البداوة وجلافتها وآفات التزمت ومأساته. يا ترى هل كانت الانتفاضة تكفيراً لسيئة لم نبرح حتى عاودنا ارتكابها بقبولنا لزمرة المستشار الرجوع إلى القصر مرة ثانية وباسم الإسلام؟[3].

وفى نموذج آخر من الاعترافات الشجاعة والتى تتصل بالحوارات والنقاشات التى كان يجريها تلاميذ الأستاذ محمود فى الجامعات عن قضايا كبرى ومركزية مثل قضية المساواة بين الرجل والمرأة، كتب على عبدالله حسن قائلاً: أتذكر أول مداخلة لى فى ركن نقاش الجمهوريين عندما كنت "برلوماً" جديداً فى الجامعة، وكان مدير الركن آنذاك العملاق الدكتور عمر القراى، وموضوع النقاش المساواة بين الرجل والمرأة. تحدث عمر القراى عن النصوص والتشريعات الخاصة بالمرأة فى الإسلام وأن المرأة فى الجاهلية كانت أمية وضعيفة وفى حاجة للرجل للدفاع عنها... إلخ ثم فتح الفرصة للنقاش وعلى الفور رفعت أصبعى وأعطانى الفرصة للرد فقلت وأنا أتحدث بكل حماس وبشىء من التشنج والانفعال: "الله سبحانه وتعالى لم يساو بين الرجل والمرأة تجو إنتو الجمهوريين تساووا بين الرجل والمرأة؟ يقول الله تعالى "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى" ويقول تعالى "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم"..ويقول تعالى "فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون

(1) المرجع السابق.
(2) المرجع السابق.
(3) المرجع السابق.

من الشهـداء أن تضل إحداهما فـتذكر إحـداهما الأخرى". تقـول لى علم المرأة والمرأة فى زمن الجاهلية؟ الله سبحانه وتعالى لم يقل ذلك فـى كتابه الكريم بل وضع أحكاماً صالحة لكل زمان ومكان"..وكنت واثقاً من نفسى بهزيمة عمر القـراى فآيات القرآن واضحة فى عدم المساواة بين الرجل والمرأة وقلت فى نفسى "سوف أحاصره بهـذه الآيات فأين له من مخرج اليوم؟".. ولكن هل لكم أن تتصوروا إنه مع تسلحى بهذه الآيات وبأحاديث صحـيحة فإن عمر القراى استطاع أن يهزمنى هزيمة نكراء وفى خلال دقائق معدودة؟ بل جعلنى أضحوكة أمام الطلاب الحضور. ومنذ ذلك اليوم قررت عـدم مناقشة عمـر القراى أو أحمد دالى فى ركن نقـاش عام. وهزيمتى فى ذلك الركن بدأت عندما وجه إلى عمر القراى السؤال التالى: أيهما أفضل عائشة أم المؤمنين أم أبوجـهل؟ وطبعـاً حاولت أن أزوغ من هذا السـؤال لأننى أعـرف تماماً أن الإجـابة على هذا السؤال معناها الـهزيمة. ولكن مع أى محاولة للزوغـان كان عمر القراى يـصر على السؤال: يا أخى جاوب على سـؤالى أيهما أفضل عـائشة أم المؤمنين أم أبو جهل؟ وأمام إصـراره وضحك الحضـور أجبت: نعم عائشـة أم المؤمنين أفضل من أبو جـهل. فسألنى مـرة أخرى: لماذا؟ قلت: بسبب الإيمان. ثم السؤال قاصمة الظهر: وعائشة امرأة وأبوجهل رجل؟[1].

المثقف بأدواته غذاء لمنابت الخير وتجفيف لمنابت الظلم والجهل

*نحن المثـقفين قـصرنا، وأنا من المـقصرين، فـى موقفنا مـن الكتابة عن **الأسـتاذ** محمود.. وأنا أرى إنى عوقبـت على ذلك، وعقوبتى أننى لم أستطع **أن أكتب**، كأن مـعينى جف أو نضب[2]. إن عدم كـتابتى عن الأسـتاذ مـحمـود، **أمر** لن أغفره لنفسى[3].*

الطيب صالح، نقلاً عن أحمد محمد الحسن والباقر العفيف

---

(1) على عبـدالله حسن، "فى ذكرى إعدام الأسـتاذ محـمود محمـد طه.. وذكريات تلك الأيام"، **من موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved) 19 يناير2013، الموقع على الإنترنت: . www.alfikra.org

(2) مقابلة مـع أحمد محمـد الحسن، وهو أحد تلاميـذ الأستاذ محـمود، الخرطوم، 2012/1/6، الساعة الثـالثة **عصراً**. حدثنـى أحمد بأن الـطيب صالح قـال هذا فى المغرب. وقـد رواه لأحمد صـديقه صـديق على يحيى (صـديق ابن عربى)، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، الذى كان مُبتعثاً من المجلس القومى للبحوث، لدراسة الماجستير **هناك**. قال أحمد قـال صديق على يحيى: كنت فى المغـرب فى عام 1988. وحلت ذكرى 18 يناير فتم تنظيم جلسـة **لإحياء** الذكرى. تحدثت فيها أنا باعتبارى جمهورياً، وتحدث الطيب صالح الذى كان من بين الحضور، وقال ما ورد **عاليه**.

(3) هذا ما قاله الطيب صالح للباقر العفيف. المصدر: مقابلة مع الباقر العفيف، الخرطوم، 28 يوليو 2012، الساعة **11:30**.

بدأ المثقفون من غير الفقهاء ومن لف لف الفقهاء، الكتابة عن الأستاذ محمود وعن مشروعه، فى النصف الثانى من ثمانينيات القرن الماضى، على الرغم من وجود متفرقات قبل ذلك (سترد إشارات للمتفرقات فى أماكن مختلفة من هذا الكتاب). وتوسع هذا النوع من الدراسات مع خواتيم القرن العشرين، وزاد نشاطه مع بداية هذا القرن، ولا يزال، فى نشاط وتوسع. صدر هذا النوع من الدراسات فى كتب وأوراق علمية ومقالات وأطروحات جامعية أعدها سودانيون وغير سودانيين داخل السودان وخارجه فى جامعات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب الحوارات على المنابر العامة على الـ Internet (الشبكة الدولية لتبادل المعلومات International Network) برغم تأخر المثقفين بأدواتهم فى الحضور لسوح السجال والحوار بشأن الأستاذ محمود ومشروعه، إلا أن مجيئهم كان حتمياً لا شك فى ذلك. فمشروع الأستاذ محمود حمل فى داخله حيوية وقوة واتصالاً بالمستقبل تجلت كلما تقدمت الحياة وظهرت متغيرات الواقع المعاصر بما تطرحه من إشكاليات كما أشار لذلك عبدالله بولا فى دراسة له، استللت منها قوله الذى تصدر هذا الفصل، أشار عبدالله بولا إلى أن الأستاذ محمود بين المفكرين الإسلاميين المجددين المعاصرين "أكثرهم وأعمقهم إدراكاً لمأزق الفكر الإسلامى السلفى فى مواجهة متغيرات الواقع المعاصر وما تطرحه من إشكاليات متواترة ومعقدة".

كان لابد من حضور المثقفين لتنقية المناخات المعرفية والسوح الفكرية والثقافية، بكنس آثار سبعة وثلاثين عاماً من الهراء والعبث الفكرى والإفلاس الأخلاقى فى كتابات الحقبة الماضية (1957-1985)، وقد وقفت على كتابات تلك الحقبة بالتفصيل فى الفصل السابق. أيضاً، كان لابد من مجىء المثقفين لأن الظلم لا يقهر إلا بنمو حاسة العدل عبر الوعى وبتفعيل أدوات المثقف، كما أن الظلام المصنوع لا يمكن له أن يستمر فى حجب النور، فمجىء المثقف بأدواته يغذى منابت الخير والحق والأخلاق ويجفف منابت الظلم والجهل ويحاصر القديم. كما أن مشروع الأستاذ محمود يتسم بالثراء، والثراء فى أى مشروع لا تكتمل عناصره إلا إذا كان المشروع قادراً بالنهوض بأطروحاته وأركانه فى سوح السجال الكوكبى، ومن ثم مثل إضافة حقيقية لمجلد البشرية. كذلك، كان حضور المثقفين حتمياً لأن مواقف الشموخ والصمود على منصة المشنقة فى سبيل حرية الفكر وكرامة الإنسان، تهم المثقفين فى المقام الأول وتخاطب

المشروع الأهم عندهم وهو التغيير. إن مواقف الصمود على المشنقة لا تموت ولا تقبر وإن حاولت حجبها جهود المؤرخين والمغرضين والأعداء. فموقف الصمود على المشنقة هو قصة نسب وعرق وخلاصة الكبرياء والشموخ لشعوب تاريخها موغل فى القدم. والنسب فى مثل هذه المواقف لا ينقطع بل يبعث فى صباح كل يوم جديد.

الدراسات النقدية وإعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة

ولقد تمنيت أن لو عاش المجذوب (الشاعر محمد المهدى المجذوب) ليشهد الاحتفال الضخم الذى أقمناه عبر أسبوع كامل بنادى الأساتذة (جامعة الخرطوم)، تخليداً لذكرى الشهيد محمود محمد طه، وكان احتفالاً ذا طابع "سنابى" إذ قدم متحدثيه د. عدلان الحاردلو أبوسن، وكنت أنا أول المتحدثين. وقد شعر كلانا بانتماء محمود الكامل إلينا، وانتمائنا إليه، فكراً وروحاً وبلداً وتقاليداً، فقد كان الشهيد يلبس الثوب، كأهلنا[1].

على أبو سن (???-2004)

ما أن بدأت تتدفق دراسات المثقفين السودانيين من غير الفقهاء والقضاة الشرعيين، عن الأستاذ محمود ومشروعه، حتى بدأت عملية إعادة توصيف لصورة الأستاذ محمود فى الشارع والمخيلة السودانية. عبرت هذه الدراسات، والتى جاءت باللغة العربية والإنجليزية، من خلال رصانتها العلمية عن ترفيع مستوى السجال والحوار بشأن مشروع الأستاذ محمود، عن ما كان عليه فى حقبة سجال الفقهاء. لقد اتسمت هذه الدراسات، كما أشرت آنفاً، فى أغلبها بالموضوعية والتزمت الشروط العلمية، وكان همها "الارتقاء بالعقل السودانى وإثراء الفكر من خلال الاختلاف والتعدد". تعاطت جل هذه الدراسات مع الأستاذ محمود على أساس إيجابى يلمحه القارىء فى الوصف الذى كان يطلق على الأستاذ محمود فى هذه الدراسات، وبعضها جمع بين الوصوف (هذه بعض الوصوف التى وقفت عليها) منها: الشهيد، البطل، المفكر، المفكر الإسلامى، مجدد الفكر الدينى فى السودان، القائد، المرشد، الرائد، المصلح، غاندى السودان، وغاندى إفريقيا. إن أقوى ملاحظة برزت لى أثناء دراستى لهذا الفصل، أن

---

(1) على أبوسن، **المجذوب والذكريات: أحاديث الأدب والسياسة بين الخرطوم، ولندن، والقاهرة، وباريس**، ج2، بدون تاريخ ومكان نشر، ص 230.

الدراسات العلمية للمثقفين والتى أنا بصددها الآن، قد خلت فى جلها من الاعتماد على كتابات الفقهاء والقضاة الشرعيين التى كتبت خلال حقبة الظلام (1957-1985)، كمصادر ومراجع لها. أيضاً، لم تهتم دراسات المثقفين فى موضوعاتها بما اهتمت به كتابات تلك الحقبة من قضايا وموضوعات. فكتابات تلك الحقبة، ذات الخطاب العاطفى، بعضها تبخر من ذاته وبعضها الآخر دفنته تطورات الحياة وقبرته دراسات المثقفين الحداثيين أصحاب الخطاب العقلى. إن الدارس حينما يدرس كتابات المثقفين التى بدأت مؤخراً، وهى موضوع دراستى الآن، مقارنة بما كتب فى حقبة الظلام (1957-1985) يدرك منذ الوهلة الأولى أننا أمام دراسات نقدية تقوم على الأسس العلمية والأخلاقية وتسعى لإثراء الحوار وترفيع شرف السجال. ولعل هذا ما سيلمسه القارئ لهذا الكتاب من خلال تناولى لكتابات تلك الحقبة فى الفصل السابق، ومن خلال الإضاءات التى سأقدمها هنا عن دراسات المثقفين.

إن دراسات المثقفين، وهى فى تقديرى لا تزال فى بداياتها مقارنة بحجم المشروع، تناولت مجالات عديدة فى مشروع الأستاذ محمود، قضايا المرأة والفكر والسياسة والحرية والأخلاق والفنون... إلخ. قام بالدراسات سودانيون وأجانب، وجاءت فى شكل كتب وأوراق علمية، إلى جانب أطروحات جامعية قدمت فى داخل السودان **بجامعة الخرطوم**، وخارجه فى جامعات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب الحوارات على المنابر العامة على الـ Internet (الشبكة الدولية لتبادل المعلومات "International Network") وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يتناول المثقفين السودانيين، إلا أننى أشرت لدراسات الأجانب الذين تناولوا مشروع الأستاذ محمود، لكون أصحابها يمثلون وجهة نظر من خارج الثقافة الإسلامية والعربية والسودانية، إلى جانب أنها صدرت فى الدوائر الأكاديمية، ومثلت مراجع للعديد من الدراسات خارج السودان وداخله.

فى هذا الفصل سأقدم نماذج فقط من الدراسات التى تناولت الأستاذ محمود فى مجالات متنوعة، وبمنهج وصفى. ذلك لأنه يصعب حصر ورصد وتحليل كل الدراسات التى تناولت الأستاذ محمود ومشروعه فى هذه المساحة المخصصة لهذا الفصل، فالدراسات تناولت قضايا عديدة فى الفكرة الجمهورية منها: المرأة والتاريخ والصلاة والهوية والإنسان والوجود والكون والمجتمع والشريعة والعقاب والحجاب والرق والجهاد والفردية، والتغيير

والتطوير ونشأة **الحزب الجمهوري**، وأشارت إلى محكمة الردة الأولى والثانية، والمشاركة في فترة مايو... إلخ. لهذا سيكون تناولي لهذه الدراسات بالإشارة إليها مقسمة في ثلاثة أنواع: الكتب، والأوراق العلمية والأطروحات الجامعية (دبلوم، ماجستير أو دكتوراه)، ولن أقف كثيراً عند المقالات الصحفية. كذلك، أنني في هذا الفصل أسعى إلى تقديم نقد مختصر لهذه الدراسات عبر تسليط الضوء عليها، سواء من حيث الموضوعات التي تناولتها أو المناهج التي اتبعتها، والوقوف عند أهم القضايا التي أثارتها. ويأتي نقدي لبعضها بالمقارنة في ما بينها وفي ما وصلت إليه من نتائج وفي ما اتبعته من مناهج في معالجتها، في أماكن متفرقة من هذا الكتاب، مثلاً بعض هذه الدراسات تناولت موضوع "ثورة رفاعة- الخفاض الفرعوني"، وبعضها الآخر وقف على "مشاركة الجمهوريين في ثورة مايو" ...إلخ، ففي هذه الحالة سيجد القارئ أنني أحيله لمكان المحور المعني. كذلك، أود الإشارة إلى أنني سأقف باختصار على مذكرات تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته التي صدرت مؤخراً وعددها خمس مذكرات، وذلك لأهميتها وقيمتها كمصدر تاريخي مهم. أيضاً، بالإضافة لذلك فإنني سأخصص مساحة للإشارة لإهداءات الكتب والأطروحات الجامعية والروايات ودواوين الشعر... إلخ التي أهديت من مثقفين سودانيين للأستاذ محمود. كذلك سأخصص مساحة أشير فيها للفنانين: المسرح، اللحن، والكاركاتير، وكذلك إشارة للشعراء السودانيين الذين رثوا الأستاذ محمود وخلدوا مواقفه وحياته شعراً.

الكتب

الفكرة الجمهورية رتبت في داخلي الكثير من المعارف[1].

بدر الدين الأمير

لابد من الإشارة إلى أن عبدالله أحمد النعيم، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، قد قدم إسهامات كبيرة في التعريف بالأستاذ محمود وبمشروعه في مختلف أنحاء العالم. فقد نشر النعيم ضمن إسهاماته في التعريف بالفكرة الجمهورية عدداً كبيراً من الأوراق العلمية،

---

(1) بدر الدين الأمير، "رفاعة عبقرية المكان وإلهام التجديد الخلاق أبوسن وبابكر بدري ومحمود محمد طه، من **موقع سودانيزأونلاين**، استرجاع (Retrieved) 26 فبراير 2007 الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com

والكتب، وكان جلهـا، إن لم يك كلها باللغة الإنجليـزية. كذلك ترجم النعيم كتـاب: الرسالة الثانية من الإسلام[1]، إلى اللغة الإنجليزية، كما يقفز كتاب النعيم الذى صدرت نسخته العربية عام 1994 بعنوان: **نحو تطوير التشريع الإسلامى- الحـريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولى**[2]، وكان الكتـاب قد صـدر أول مره باللغة الإنكليـزية بعنوان: *Toward an Islamic Reformation: Civil Liberties, Human Rights, and International Law*[3]. ولا شك أن الكتاب يذكر بمرتكز من أهم مرتكزات مشروع الأستاذ محمود، وهو التطوير. لقد نشر النعيم فى مجالات عديدة منها: القانون الإسلامى والجنائى، والدستـور، وحقوق الإنسان بتقاطعاتها ومرجعيـاتها الثقافية المخـتلفة، والدين، والفكر الإسلامى، وشؤون الحكم والسيـاسة والمجتمع مع التـركيـز على الدول والمجتـمعـات الإسلامـية والإفـريقيـة، إلى جانب إدارته للعـديد من المشاريع البـحثية التى تركـز على استراتيجـيات الدعوة للإصلاح والتـغيير من خـلال التحول الثقافى الداخلى، ...إلخ. وقد ترجمت بعض أعمال النعيم (معظم كتابات النعيم بالإنجليزية) إلى لغات عديدة منها: العربية والأندونيسية والروسية والفارسية. إن منشورات النعيم، لا تعد حديثاً باسم الأستاذ مـحمود أو باسم تلاميذه (الإخوان الجمهـوريين)، وإنما أصالة عن نفسه، كما ظل يؤكـد، فالمنشورات على تنوعهـا وتعددها فى تقديرى، تأتى فى اطار مـشروع النعيم الخاص، بيد أن المشروع على خصوصيته وتعدد معالمه، لا جدال فى أنه ينتهى فى نسبه الفكرى عند الأستاذ محمود. يمكن للقارىء أن يقف على منشورات النعيم وعلى مشاريعه البحثية على صفـحته الخـاصة على مـوقع جامعـة إيمورى Emory University, Atlanta, U.S.A على شبكة الإنترنت، وفق الاشار ة إليها فى الهامش[4].

---

(1) Mahmoud Mohamed Taha. *The Second Message of Islam*, Translated by Abdullahi Ahmed An-na'im (into English with Introduction). Syracuse NY; Syracuse University Press, 1987.

محمود مـحمد طه، **الرسالة الثانية من الإسلام**، ترجمه عبـد الله أحمد النعيم إلى اللغة الإنجليـزية، دار جامعة سيراكيوز للنشر، سيراكيوز، 1987.

(2) عبـدالله أحمـد النعيم، **نحو تطوير الـتشريع الإسـلامى- الحريات المدنية وحـقوق الإنسـان والقانون الدولى**، ترجمة: حسين أحمد أمين، دار سينا، القاهرة، 1994.

(3) Abdullahi Ahmed An-Na'im, *Toward an Islamic Reformation: Civil Liberties, Human Rights, and International Law*, Syracuse University Press, Syracuse,1996

(4) http://www.law.emory.edu/aannaim

من المهم أيضاً، الإشارة إلى أنه حتى تاريخ اليوم، حسب علمى، لم تتقدم أىّ مؤسسة سودانية سواء أكانت أكاديمية أو مركزاً للدراسات والبحوث لتنظيم مؤتمر علمى أو عقد ندوة أو حلقة نقاش أو إصدار دراسة حول مشروع الأستاذ محمود أو سيرة حياته أو عطائه الوطنى والإنسانى، بل لا تجد اسم الأستاذ محمود فى قائمة مصادر ومراجع إصدارات معظم المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحوث والدراسات السودانية، إلا بعض الجهود التى قامت بها مؤسسات قليلة، منها: **اتحاد الكتاب السودانيين، ومركز الدراسات السودانية، ومركز الخاتم عدلان للاستنارة والتنمية البشرية، ومركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، ومكتبة البشير الريح**،ونشاطات لمثقفين شهدها **نادى أساتذة جامعة الخرطوم**، ومؤسسات أخرى سترد الإشارة لذلك ضمن فصل بعنوان: "الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية".

لقد أصدر **مركز الدراسات السودانية** العديد من الدراسات بشأن الأستاذ محمود، منها (نماذج فقط): كتاب بعنوان: **محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان**[1]، الذى صدر عام 1992. شارك فى الكتاب ستة من الأساتذة والباحثين. قام حيدر إبراهيم على إلى جانب إعداده لورقة علمية، بالإشراف والتحرير. تضمن الكتاب فى قسمه الأول خمس أوراق. هى حسب ترتيب نشرها فى الكتاب كما يلى: كتب حيدر إبراهيم على ورقة بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه: الإنسان والمواقف والأفكار"، وعبدالله أحمد النعيم ورقة بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد فى القانون الإسلامى"، وعلم الدين عمر ورقة بعنوان: "الفكر الجمهورى فى السودان"، ومحمد أحمد محمود ورقة بعنوان: "فى ذكرى الأستاذ محمود محمد طه، حرية الفكر: بين السياق الإسلامى والسياق المعاصر"، كما تضمن الكتاب جزءاً من رسالة للماجستير للباحث يورجن روجالسكى، قام محرر الكتاب حيدر إبراهيم على بترجمة ذلك الجزء، وأشار فى الهامش إلى أن يورجن روجالسكى قدم رسالة الماجستير فى **جامعة برلين الحرة** عام 1990. كذلك، كان طه إبراهيم من المشاركين. وتضمن القسم الثانى من الكتاب مختارات من الفكر الجمهورى، وملحق اشتمل على وثائق محاكمة الجمهوريين. كما نشر **مركز الدراسات**

(1) حيدر إبراهيم على (تحرير وإشراف)، **محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان**، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

السودانية فى كتابه غير الدورى، **كتابات سودانية**، مقتطفاً من السفر الأول: أول كتاب صدر للجمهوريين بتاريخ 26 أكتوبر1945[1]. هذا إلى جانب إصدارات أخرى بشأن الأستاذ محمود، مع إشارات عديدة للأستاذ محمود فى إصدارات المركز الأخرى مثال: **المشروع المدنى فى السودان: قضايا الانتقال إلى الديمقراطية والسلام**، (مؤتمر 8-12 فبراير 1999)[2]. وغيره. كذلك تجد الإشارة للأستاذ محمود فى معظم دراسات حيدر إبراهيم على، أمثلة فقط: **الدين والثورة: لاهوت التحرير فى العالم الثالث**[3].

منذ العام 1995، بدأت تظهر إسهامات عمر القراى المكتوبة، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود. كانت كل إسهامات القراى تستند وتنطلق من مشروع الأستاذ محمود. ففوق نشر المقالات الصحفية بشكل مستمر، نشر القرّاى فى عام 1995 كتاباً بعنوان: **الجهاد أم حرية الاعتقاد**[4]. وفى عام 1997م كتاباً بعنوان: **الفكر الاسلامى وقضية المرأة**[5]، وكانت الطبعة الثانية من الكتاب فى عام 2007. كما نشر القرّاى فى عام 2007 كتاباً بعنوان: **الصادق المهدى الانكفائية ودعاوى التجديد**[6]. كذلك أفادنى القرّاى بأنه فرغ من تأليف كتاب بعنوان: **الدين والتطور**[7]، ودفع به للناشر والآن الكتاب تحت الطبع[8]. أيضاً نشر القراى دراسة علمية بعنوان: "الحركة الجمهورية السودانية: المؤسس والمواقف"، جاءت ضمن كتاب المسبار الثامن والأربعين الذى هو بعنوان: **الإسلاميون فى السودان: من التأسيس إلى الانفصال**[9]، عام 2010.

---

(1) محمود محمد طه، "السفر الأول"، **كتابات سودانية**، العدد الرابع عشر، ديسمبر 2000،مركز الدراسات السودانية، القاهرة.

(2) ألكس دوفال وعبدالسلام حسن (تحرير) **المشروع المدنى فى السودان: قضايا الانتقال إلى الديمقراطية والسلام**، مرجع سابق.

(3) حيدر إبراهيم على، **الدين والثورة: لاهوت التحرير فى العالم الثالث**، ط2، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1999.

(4) عمر القراى،**الجهاد أم حرية الاعتقاد؟**، القاهرة، 1995.

(5) عمر القراى، **الفكر الاسلامى وقضية المرأة**، ط2، دار عزة للنشر بالخرطوم فى 2007.

(6) عمر القراى، **الصادق المهدى الانكفائية ودعاوى التجديد**، ط1، دار عزة للنشر، الخرطوم 2007.

(7) عمر القراى، **الدين والتطور، (تحت الطبع)**، دار النهضة العربية بالقاهرة.

(8) أفادة من عمر القراى عبر رسالة كانت فى يوم 27 يناير 2013.

(9) عمر القرّاى، "الحركة الجمهورية السودانية: المؤسس والمواقف"، **الإسلاميون فى السودان: من التأسيس إلى الانفصال**، كتاب المسبار الثامن والأربعون، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبى، ديسمبر 2010.

فى عام 1988 نشر مختار عجوبة محوراً بعنوان: "قتل فقير بخراب أمير"، ضمن كتابه: **قادة السودان... وآفة النسيان**[1]،كان مختار عجوبة قد نشر المحور من قبل كمقالة صحفية. وفى عام 2004 صدر كتاب بعنوان: **التأويل الصوفى للحداثة فى الإسلام: عرض ونقد فكر وفلسفة الجمهوريين فى السودان**[2]، لبكرى خليل. وكتاب بكرى يعد من أوائل الكتب، إن لم يك أولها، التى صدرت فى نقد الفكرة الجمهورية، فيما أسميته، دراسات مرحلة ما بعد الفقهاء. يقع الكتاب فى (258) صفحة من القطع المتوسط. وسعى الكتاب كما أشار مؤلفه فى المقدمة قائلاً: "إن هذا الكتاب يستهدف إزاحة الستار عن المشهد العام لمساهمتهم فى معالجة مشكلات الكون والإنسان والمجتمع واستخلاص العناصر الفلسفية والمبادىء الاجتماعية والسياسية من فكرهم وذلك لتكوين صورة مجملة عن رؤيتهم وأبعادها". وعبر المؤلف فى مقدمته عن ما يعنيه قائلاً: "والذى يعنينا فى هذا الكتاب هو تقديم قراءة نقدية لأحد أبرز تيارات الفكر المعاصر فى السودان الذى سعى فى جرأة ووضوح لأن يسمع صوته ويعرف باجتهاده فى أهم قضايا العلاقة بين الدين والحياة"[3]. تناول الكتاب الفكرة الجمهورية من خلال خمسة فصول ومقدمة وتمهيد عن نشأة الجمهوريين وتطورهم الفكرى. تناول الفصل الأول نظرية المعرفة ومنهج التفسير، والفصل الثانى فلسفة الوجود والطبيعة. تحدث الفصل الثالث عن فلسفة الحرية والأخلاق والجمال، والفصل الرابع الفلسفة السياسية والاجتماعية عند الجمهوريين. وقدم الفصل الخامس تقويماً للفكر الجمهورى.

وفى عام 2006 نشر عبدالله على إبراهيم كتاباً بعنوان: **الشريعة والحداثة: جدل الأصل والعصر**[4]. كما نشر عبدالله عام 2008 *Manichaean Delirium: Decolonizing the Judiciary and Islamic Renewal in Sudan, 1898-1985,*[5] وقد أشار الكتابان إلى

---

(1) مختار عجوبة، **قادة السودان... وآفة النسيان: (إليك يا بلدى السلام)، مجموعة مقالات نُشرت بالصحافة السودانية** (1977-1988)، 1988، (بدون مكان نشر) ص 101-107.

(2) بكرى خليل، **التأويل الصوفى للحداثة فى الإسلام**: عرض ونقد فكر وفلسفة الجمهوريين فى السودان، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004.

(3) المرجع السابق، ص6.

(4) عبدالله على إبراهيم، الشريعة والحداثة: جدل الأصل والعصر، مركز البحوث العربية والإفريقية، القاهرة، 2006.

(5) Abdullahi Ali Ibrahim, *Manichaean Delirium: Decolonizing the Judiciary and Islamic Renewal in Sudan, 1898-1985*, Printed in the Netherlands,LEIDEN - BOSTON, 2008.

الأستاذ محمـود، خاصة فى علاقة الأستاذ محـمود بالفقهاء والقضاة الشرعـيين. بشأن دراسة عـبدالله على إبراهيـم لا بد من الإشارة إلى أن عـبدالله كان أول أكـاديمى سودانى، حـسب علمى، يستخدم منهج مدرسة ما بعد الاستعمار فى دراسته للأستاذ محمود ومشروعه، خاصة فى موضـوع "ثورة رفاعة/ الخـفاض الفرعـونى"، الذى درسه فى اطار الحـداثة الاستعـمارية، وسيأتى الحديث عن ذلك لاحقاً. استخدم عبدالله على إبراهيم منهج مدرسة ما بعد الاستعمار فى دراسـته الـتى نشرت بالـلغة الإنجليـزية عـام 2008 بعنوان: *Keep These Women Quiet: Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom*[1]. وترجمـته: "يا نسوان كفى: الحداثة الاستعمارية، والـقومية، وختان النساء البربرى"[2]. خلص عبدالله فى دراسته متفقـاً مع موقف الأستاذ محمود وأقواله بشأن ثورة رفاعة وقضـية الخفاض الفرعونى. وبهذا كان عبدالله على ابراهيم من أوائل الأكاديميين السودانيين، حسب علمى، الذين وصلوا لتلك النتائج، وهذا ما سأتناوله لاحقاً، ضمن محـور: "ثورة رفاعة/ الخفاض الفرعونى". كما نشر محمود شعرانى العديد من الإصدارات التى تنطلق وتتكئ على فكر الأستاذ محمود منها: **هذه كلمتى فى السيـاسة والحقوق**[3] وقد تضمن الكتـاب فى أحد محاوره بعنوان: "مـحمود محمد طه: المشكل الثقافى والرؤية السياسية": هذه هى الخطوط العريضة لفكر الأستاذ محمود وجهـده التجديدى". وكتب الشـعرانى كذلك كـتاباً بعنوان: **الأزمة الأخلاقيـة العالمية**[4]، كان نسب الأفكار والمعانى والخلاصـات فيه، تنتهى فى مشـروع الأستاذ محمـود. تضمن الكتاب تعقيـبات لثلاثة من المثقـفين السودانيين كانوا قـد عقبوا على البحـث الذى قدمه المؤلف، وهو أصل الكتاب، فى المركز السودانى لدراسات حـقوق الإنسان المقارنة، والثلاثة هم: الطيب زين العابدين، وحـيدر إبراهيم على، ونصرى مرقـس يعقوب. يرى المؤلف أن الكتاب يمـثل دعوة

---

(1) Abdullahi Ali Ibrahim, “Keep These Women Quiet”: Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom, *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World 9*, 2011, PP. 97-151

(2) تمت ترجمة العنوان بالتشاور مع كاتب الورقة عبدالله على إبراهيم، وتم اعـتماد العنوان أعلاه بعد التفاكر معه فى الوصول لهذه الصيغة.

(3) محـمود شـعرانى، **هذه كلمـتى فى السيـاسة والحـقوق**، المركز السـودانى لدراسات حـقوق الإنسـان المقارنة، أمدرمان، 2002.

(4) محمود شعرانى، **الأزمة الأخلاقيـة العالمية**، ط1، المركز السودانى لدراسات حقـوق الإنسان المقارنة، الخرطوم، 2009، صفحة الإهداء.

لاستمرار المنابر الحرة التى كان رائدها الأستاذ محمود، كتب المؤلف قائلاً: "الحوار يعنى التسامح بحيث تتجلى الحقيقة أمام القارئ بوسيلة إشاعة مثل هذه المنابر الحرة والتى كان رائدها الأول فى السودان شهيد الفكر والحرية الأستاذ محمود محمد طه وذلك منذ أربعينيات القرن الماضى، ونحن هنا نحاول العمل على استمرار هذه المنابر الحرة"[1].

نشر محمد أحمد محمود العديد من الدراسات التى تناولت مشروع الأستاذ محمود، فبالإضافة للدراسة التى وردت الإشارة إليها ضمن الكتاب الذى أصدره مركز الدراسات السودانية، فقد نشر محمد دراسة كانت بعنوان: "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement"[2]. أيضاً نشر محمد أحمد محمود كتاباً باللغة الإنجليزية بعنوان: *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*[3]، يقع الكتاب فى (296) صفحة من القطع المتوسط. كان كتاب محمد أحمد محمود أكثر الكتب التى أحدثت حراكاً وسجالاً فى السوح الفكرية والثقافية فى السودان. لم يترجم الكتاب إلى العربية، ولكن أخذت الأوساط الفكرية والثقافية بما يشبه الاجماع بترجمة العنوان على النحو التالى: **السعى وراء الألوهة: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه**. فالكتاب يُعد أول دراسة نقدية شاملة لفكر الأستاذ محمود، تصل إلينا من مثقف سودانى أكاديمى له خبرة طويلة فى الأكاديميا الغربية والعربية والسودانية ونشر العديد من الدراسات النقدية فى المجال الفكرى والاجتماعى والأدب المقارن وفى مقارنة الأديان. ففوق المنهج العلمى الصارم الذى التزمه محمد أحمد محمود، فإن أهمية دراسته تأتى أيضاً من كونه كان على معرفة بالفكرة وبالمجتمع الجمهورى من الداخل إذ التقى الأستاذ محمود وقضى بعض الوقت فى معيته، وكان لفترة وجيزة من بين تلاميذ الأستاذ محمود[4]، إلا أنه لم ترد إشارة

(1) المرجع السابق، ص 1.

(2) Mohamed Ahmed Mahmoud, "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement", *New Political Science* 23 (1), 2001:pp 65- 88

(3) Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007, P 12

(4) مقابلة مع عصام عبدالرحمن البوشى، 17 ديسمبر، 2009، مدنى؛ مقابلة مع النور حمد، 22 نوفمبر 2009، الدوحة.

لذلك فى الكتاب. يقع الكتاب فى (310) صفحات، وتهيكل الكتاب فى ستة فصول ومقدمة وخلاصة وخلفية قدمت تعريفاً عن الإسلام فى السودان. تناول الفصل الاول عالم الأستاذ محمود وعوامل التشكيل الروحية والفكرية والتعليم والتعلم الذاتى...إلخ تحت عنوان: السياق والرجل والحركة. ووقف الفصل الثانى على نظرية الصلاة: العبادة والفردية والأصالة، أما الفصل الثالث فقد تناول القرآن وتأويل الألفاظ. ودرس الفصل الرابع الحتمية وحرية الإرادة والعقاب الإلهى. وتناول الفصل الخامس: من الرسالة الأولى إلى الرسالة الثانية من الإسلام، أما الفصل الأخير فقد وقف عند التطور والشريعة والفن ثم الخلاصة. تعرض الكتاب إلى قضايا عديدة منها: التاريخ والصلاة والهوية والإنسان والوجود والكون والرق والجهاد والفردية والجندر، وأشار إلى محكمة الردة الأولى والثانية، وفترة مايو... إلخ.

فى تقديرى، أن هذه القضايا الكبيرة والكثيرة التى تناولها محمد أحمد محمود فى كتابه، دفعت بالكتاب إلى الاختزال والاختصار، فهى قطعاً موضوعات تحتاج لأكثر من كتاب حتى تتم الاحاطة بها، بمنحها ما تستحق من مساحة. لقد تداخل فى تناول تلك القضايا الفلسفى والتاريخى والسياسى والاجتماعى والأيديولوجى، وعبّر التناول بفصاحة عن أن الكتاب ينتمى كلية إلى حقبة الحداثة، سواء من حيث الموضوعات التى تناولها أو فى منهج المعالجة. لقد مثل مشروع الحداثة بأسئلته الفكرية المركزية للكتاب، ولم يك واضحاً الاستعانة بمنهج مدرسة ما بعد الاستعمار فى معالجة الكثير من القضايا التى تتصل بالأستاذ محمود. إن ما خَلُص إليه محمد فى موضوع الخفاض الفرعونى مثلاً، وشاركه الرأى عدد من المثقفين مثل خالد المبارك وغيره، نجده يتناقض تماماً مع ما خلصت إليه الدراسات التى تناولت نفس الموضوع بمنهج مدرسة ما بعد الاستعمار، حيث اتفقت هذه الدراسات كلية مع رؤية الأستاذ محمود. كان من بين هذه الدراسات دراسة جينس بودى Janice Boddy :[1]*Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*، ودراسة عبدالله على إبراهيم "Keep These Women Quiet: Colonial Modernity,

(1) Janice Boddy, *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*, Princeton University Press, Princeton and Oxford, 2007.

"Keep These Women Quiet": Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom"[1]، "يا نسوان كفى: الحداثة الاستعمارية، والقومية، وختان النساء البربرى"[2]. ودراسة أسماء محمد عبدالحليم Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture[3]، *المرأة السودانية فى الولايات المتحدة: مشكلات النوع والثقافة*[4]. ودراسة ألين قرونبوم بعنوان: "الاقتصاد السياسى للخفاض الفرعونى"[5]، وغيرهم. وهذا ما سأقف عنده فى محور: "ثورة رفاعة"، بإبراز الرؤيتين واختلافهما من حيث منهج المعالجة والنتائج. إلى جانب أننى سأشير لموضوعات عديدة مستأنساً برأى محمد وآخرين، وموضوعات عديدة منها: محكمتا الردة 1968 و1985 وثورة مايو، وسترد الإشارة لهذه الموضوعات فى مواضعها. أيضاً أشارت رقية مصطفى أبو شرف فى العديد من دراساتها إلى ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعونى وهى تدرس شؤون المرأة والحداثة والآثار الاستعمارية فى السودان الشمالى، وخلصت بدورها إلى اتفاقها مع موقف الأستاذ محمود وآرائه بشأن ثورة رفاعة والخفاض الفرعونى. ومن أهم دراسات رقية فى هذا الشأن دراسة بعنوان: "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in NorthernSudan,[6]. وقد ترجمت هذا العنوان على النحو التالى: "لقد تجرعنا من كأس الأهوال": نحو فهم لعاطفة المستعمر وردود الفعل البريطانية على ختان الإناث فى السودان الشمالى"[7].

---

(1) Abdullahi Ali Ibrahim, "Keep These Women Quiet:" Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom, *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World 9*, 2011, PP. 97-151 .

(2) هذه ترجمة كاتب الورقة عبدالله على إبراهيم، لعنوان ورقته.

(3) Asma M. Abdel Halim, *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture*, the Edwin Mellen Press, New York/ Queenstown, 2006.

(4) وصلتنى ترجمة عنوان الكتاب من المؤلفة أسماء محمد عبدالحليم.

(5) ألين قرونبوم، "الإقتصاد السياسى للخفاض الفرعونى"، مجلة **الدراسات السودانية**، مج 11، الخرطوم، عدد عام 1990.

(6) Rogaia Mustafa Abusharaf, "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan, *History and Anthropology*, Vol. 17, No. 3, September 2006, pp. 209-228.

(7) قمت بترجمة العنوان بالتشاور مع المؤلفة رقية أبو شرف، وبعد موافقتها عليه.

قدم خالد الحاج عبد المحمود مساهمات كبيرة في دراسة الفكرة الجمهورية . لقد صدرت مساهماته في شكل كتب وأوراق علمية ومقالات صحفية، وكان منها (نماذج فقط): في عام 2007 أصدر خالد الحاج كتاباً بعنوان: **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**[1]، يقع الكتاب في (500) صفحة من القطع المتوسط. ونشر في عام 2008 وكتاب: **العصر الذهبي للإسلام أمامنا**[2]، ويقع الكتاب في (233) صفحة من القطع المتوسط. وفي عام 2009، أصدر كتاب **المعرفة وطبيعة الوجود**[3]، (293) صفحة من القطع المتوسط، كما أصدر كتاب: **الإسلام ديمقراطي اشتراكي**[4]، ويقع الكتاب في (485) صفحة من القطع المتوسط. لا تعبر إصدارات خالد عن مشروع خاص به، وإنما تعلن منذ الوهلة الأولى، ليس ضمناً وإنما صراحة في صدور الكتب ومقدماتها، بأن هذه الكتب لا تخرج من كونها امتداداً لمشروع الأستاذ محمود، تسعى لتسييل فكره والتعريف بمشروعه. ففي كتاب: **العصر الذهبي للإسلام أمامنا**، كتب خالد قائلاً: "**العصر الذهبي للإسلام أمامنا**، كتاب وعد الأستاذ محمود محمد طه بإصداره، ونحن نعمل على إصداره وفاءً بذلك الوعد"[5].

وعن كتابه: **المعرفة وطبيعة الوجود**، كتب خالد قائلاً: "هذه دراسة حول نظرية المعرفة، في الإسلام، عند الأستاذ محمود محمد طه.. وقد أخترنا لها اسم (المعرفة وطبيعة الوجود)، لأنه يناسب المحتوى بصورة كبيرة"[6]. وعن كتاب: **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، كتب خالد قائلاً: "الأستاذ محمود محمد طه صاحب دعوة للإسلام متفردة.. وبنفس القدر هو صاحب دعوة للسلام متفردة.. وعنده الإسلام والسلام لا يفترقان فهما لابد أن يقوما معاً إذ أنهما يمثلان وجهين لعملة واحدة، وهذا في حد ذاته وجه من وجوه التفرد الهامة"[7]. ثم يبين خالد موقع ومنهج وغرض كتابه قائلاً: "ونحن هنا سنورد بعض النصوص من كتابات الأستاذ محمود محمد طه لعكس وضوح الرؤية

---

(1) خالد الحاج، **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007.
(2) خالد الحاج عبدالمحمود، العصر **الذهبي للإسلام أمامنا**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008.
(3) خالد الحاج عبدالمحمود، **المعرفة وطبيعة الوجود**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2009.
(4) خالد الحاج عبدالمحمود، **الإسلام ديمقراطي اشتراكي**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2011.
(5) خالد الحاج عبد المحمود، **العصر الذهبي للإسلام أمامنا**، مرجع سابق، ص 1.
(6) خالد الحاج عبد المحمود، **المعرفة وطبيعة الوجود**، مرجع سابق، ص 1.
(7) خالد الحاج، **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، مرجع سابق، ص 11.

ودقة الفكر، وتبيين الارتباط بين الإسلام والسلام عنده،..."[1]. وعن كتاب: **الإسلام ديمقراطى اشتراكى**، يقول خالد أنه: "من الكتب التى وعد بها الأستاذ محمود محمد طه، ضمن الكتب التى تشرحُ دعوته لبعث الإسلام.. وقد كلفنى بإعداد الجزء الخاص بالديمقراطية، فقمتُ بإعداده، بالفعل، وعرضته عليه، وكان، حينها، معتقلاً، فى معتقلات جعفر نميرى.. بعد الاطلاع على مسودة الكتاب، أرجعه إلىّ، وطلب منى أن أحتفظ به، إلى حيث الوقت المناسب لنشره.. وقد مر وقت طويل، منذ ذلك التاريخ، وأنا أشعر بأننى قد تأخرت، فى العمل على إصدار الكتاب.. والآن، تهيأت الظروف لهذا العمل، فأرجو الله أن يتقبله، ويغفر لى ما جرى من تأخير وتقصير"[2].

فى عام 2007 جاء للمكتبات كتاب بعنوان: **السِّرَّانيَّة: مقال فى عقيدة الباطن**[3]، لمؤلفه ميرغنى أبشر، وقد أورد المؤلف فى كتابه بعض الإشارات للأستاذ محمود.

نشر بدر الدين يوسف دفع اللَّه السيمت، عدداً من الكتب والدراسات التى تتكىء وتنطلق من فهم خاص للفكرة الجمهورية، منها كتاب وسمه بدر الدين بـ: **شذا زهرة الحياة العليا**[4]، وكتاب آخر بعنوان: علامات فى طريق غير مطروق[5]. وكتاب ثالث هو: **ما وراء الكلمات... على شواطئ الأبدية**[6]، وكتاب رابع جمع ما بين السيرة الذاتية ومشاهدة المؤلف للأحداث التاريخية، كما يقول، فى اللحظة الراهنة، مشاهدة حية. جاء الكتاب بعنوان: **وذكرهم بأيام الله**[7]، وكتب المؤلف فى مقدمته قائلاً: "تلقى المقالات التى احتوى عليها هذا السفر بعض الأضواء على لمحات من حياة الاستاذ الجليل محمود محمد طه، وما أحدثته من تغيير جذرى، فى قلوب وعقول الذين أحبوه وعرفوه، بل إن شيئاً من

---

(1) المرجع السابق، ص 17.

(2) خالد الحاج عبدالمحمود، **الإسلام ديمقراطى اشتراكى**، مرجع سابق، ص 7.

(3) ميرغنى أبشر، كتاب: **السِّرَّانيَّة: مقال فى عقيدة الباطن**، كاف نون للنشر، القاهرة، 2007.

(4) بدر الدين يوسف دفع اللَّه السيمت، **شذا زهرة الحياة العليا**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

(5) بدر الدين يوسف دفع اللَّه السيمت، **علامات فى طريق غير مطروق**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

(6) بدر الدين يوسف دفع اللَّه السيمت، **ما وراء الكلمات... على شواطئ الأبدية**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

(7) بدر الدين يوسف دفع اللَّه السيمت، **وذكرهم بأيام الله**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

ذلك التغيير، قد لمس بأجنحته النورانية، كل من اتصل بهذا الرجل الغريب، من قريب أو بعيد". ثم نبه بدر الدين القارئ قائلاً: "ومع ذلك فإن هذا السفر ليس كتاب تاريخ، وإنما هو مشاهدة لتلك الأحداث التاريخية، فى اللحظة الحاضرة، مشاهدة حية ماثلة، تروى الأحداث كما وقعت، فى صدق وتجرد، لم ينل منهما، ولم يلتو بهما، الشوق العظيم والمحبة الدفينة البادية فى رواية كل حدث". ثم أشار بدر الدين للمساحة الزمنية التى يتحرك فيها الكتاب، وهى فترة مرافقته للأستاذ محمود(1)، كتب بدر الدين قائلاً: "وسيجد القراء الكرام، فى هذا السفر، ومضات من حياة الأستاذ الجليل محمود محمد طه الخصبة العامرة، المملوءة براً وإحسانا، وإيماناً وإسلاماً، مبسوطة، فى سرد نرجو أن يكون شيقاً وممتعاً، لوقائع وأحداث تاريخية عاشها وشاهدها الكاتب، أثناء مرافقته، مرافقة متصلة للأستاذ الجليل محمود محمد طه، خلال الفترة ما بين 1968 و1982 من القرن الماضى".

الشاهد أن كتابات بدر الدين السيمت قد نحت منحىً مختلفاً عن كتابات تلاميذ الأستاذ محمود الآخرين ممن وردت الإشارة إليهم، وممن سترد إليهم الإشارة لاحقاً. فقد نحا بدر الدين فى كتاباته منحىً روحياً، وهو عنده يمثل اتجاهاً مختلفاً لفهم الأستاذ محمود، وهو فهم، كما يرى بدرالدين، يتحقق من خلال المعرفة الروحية الخاصة التى يدعو لها بدرالدين. إن كتابات بدرالدين تعبر عن طرح مشروع خاص، إذ تبدى لى من خلال قراءتى الأولية لكتابات بدرالدين أنه يقدم نفسه كصاحب مشروع، يقوم مشروعه على معرفة روحية خاصة، وقد ترسم بدرالدين طريقه ووضع مرتكزاته التى تنطلق من

(1) وضح بدرالدين فترة مرافقته للأستاذ محمود، وبين أسباب مفارقته فى مقدمة كتابه تحت عنوان فرعى وسمه بـ"كاتب هذا السفر ليس من الجمهوريين"، كتب بدرالدين قائلاً: "بادئ ذى بدء، أحب أن الفت نظر القراء الكرام، إلى أن كاتب هذا السفر ليس من الإخوان الجمهوريين، فهو قد فارق الفكرة الجمهورية منذ عام1982، ولم يعد عضواً مع الإخوان الجمهوريين، فى أثناء حياة الأستاذ الجليل، ووجوده وجوداً حسياً ... وقد تم الخروج بعد حوار لطيف مع الأستاذ الجليل، والإخوة الجمهوريين الأجلاء، فى مسائل عرفانية، تتعلق بالأصالة والفردية، يجدها القراء مبسوطة فى موضعها من هذا السفر. ومهما يكن من أمر، فإننا كنا وما زلنا، ولن ننفك نحفظ للأستاذ الجليل قدره الأسنى، ونعرف له فضله الأسمى، ومقامه الباذخ الشامخ، كما أننا لا نزال نحفظ الود القديم لكل الأخوات والإخوان الذين ينسبون أنفسهم للفكرة للجمهورية. ومن ما لا شك فيه، أن الخلاف فى مثل هذه الدقائق العرفانية، أمر محمود ومطلوب، وهو دليل بذرة الفردية، فقد علم كل أناس مشربهم، وما يعقلها إلا العالمون... أكثر من ذلك، فإنه اذا لم يقيض الله ذلك الخلاف، ويستعملنا فيه استعمالاً حسناً، فإن الفكرة الجمهورية، ستذهب فى التاريخ -شأنها شأن بقية الحركات الدينية- كحركة تقليدية، يقودها أصيل واحد، ويتبعه مقلدون كثيرون، وعن ذلك تعالت الفكرة الجمهورية علواً كبيراً.

إرث البشرية فى البعد الروحى والنقطة الأسمى فى النسب، نسب الروح وعرقها. تمثل هذه المعرفة الروحية الخاصة ببدرالدين المدخل السليم لفهم الأستاذ محمود وفهم أنفسنا وفهم الكون والديانات... إلخ، بيد أنى أعتقد، اعتقاداً خاصاً ويقوم على قراءة أولية لكتابات بدرالدين، أن مشروع بدرالدين مهما كانت ملامحه ومآلاته ووجهته وغاياته ومهما تجلى نفاذ بصيرته وسمات أصالته فهو مشروع ينتهى عرقه الفكرى ونسبه الروحى عند الأستاذ محمود محمد طه.

الأوراق العلمية عن الأستاذ محمود ومشروعه

رجاء دعوا الاستاذ محمود يمشى بين الناس بقيادة حملة شعبية تصحيحية أو تعريفية بأفكار الأستاذ محمود محمد طه وتبسيطها حتى توافق لغتهم وعقلهم، فما احوج مجتمعنا بشوارعه ومدارسه وجامعاته وجوامعه لفكره الاصلاحى الاجتماعى الثقافى الدينى[1].

أمل هبانى

كتب منصور خالد باكراً مناصراً ومنافحاً عن الأستاذ محمود، فقد كتب أوراقاً ومقالات عديدة، وقدم شهادته فى حق الأستاذ محمود، فى مناسبات وأوقات مختلفة. كما أن منصور قد سكب ذاته فى إهدائه كتبه للأستاذ محمود، كما سترد الإشارة لذلك لاحقاً. لقد نشر منصور فى يناير 1985 مقالة قوية وباكرة، ولأهميتها فقد استشهدت بمقتطفات منها فى مفتتح بعض فصول هذا الكتاب. كذلك كثيراً ما تجد فى كتب منصور الإشارات للأستاذ محمود، عبر الاستشهاد بكتبه ومواقفه، والتذكير بآراء وأقوال الأستاذ محمود فى قضايا عديدة وكبيرة. يكاد لا يخلو كتاب من كتب منصور من ذكر الأستاذ محمود ومن الاستشهاد بكتبه وبمواقفه. ويكاد كذلك لا يخلو أى حوار إذاعى أو تلفزيونى أو صحفى من إشارة للأستاذ محمود، كأنما انطبع فى ذهن الناس أن منصور هو أحق الناس بالسؤال عن الأستاذ محمود. قدم منصور محاضرات عديدة عن الأستاذ محمود،

---

(1) أمل هبانى، "الأستاذ يمشى بين الناس"، **صحيفة الراكوبة الإلكترونية**، استرجاع(Retrieved) بتاريخ 19 يناير 2013، الموقع على الإنترنت: http://www.alrakoba.net

منها محاضرة كـانت بعنوان: "محمود الذى عرفت"[1]، قدم فيها منصـور شهادته للأجيال عن الأستاذ محـمود، وقدم نظرات فى فكر الأستاذ محـمود لم يكن غائباً فيهـا وعنها شمول التناول وتجسير التواصل من مفكرى الغرب والشرق. وقد نشرت المحاضرة فى مواقع عديدة.

كتب عـبدالله بولا دراسـة علميـة كان عنوانهـا: "محاولة للتـعريف بمسـاهمة الأسـتاذ محمـود محمد طه فى حـركة التجديد فى الفكر الإسـلامى المعاصر"[2]. ونشرت الدراسة فى **مجلة رواق عربى، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان**، عام 1996 إلى جانب بعض المواقع على الشبكة الدولية لتبادل المعلومات (Internet). عدّ عبدالله بولا "مساهمة المفكر الإسلامى السودانـى الشهيد الأستـاذ محمود مـحمد طه (1909-1985) نموذجاً أصيلاً من عدة وجـوه"، ثم عرّف بها انطلاقـاً من سؤالين جـوهريين طرحهمـا فى صدر دراستـه بعد المدخل، قال بولا: ولنذهب مباشـرة إلى موضوعنا الرئيس. ما الجديد فى مسـاهمة الأستاذ محمـود محمد طه؟ وفـيم هو هام وجذرى إلى هذا الحد الذى زعمـته له؟ أجاب بولا عن سؤاليه وأشـار لقضايا عديدة فى فكر الأستـاذ محمود. التزم بولا فى دراسـته بمنهج علمى صارم، وختم دراسته بعبارة أشد صرامة فى التزامه الإنسانى تجاه الأستاذ محمود. فقد ختم بولا دراسته باحـتراز العلماء وأدب العارفـين قائلاً: "أقول هذا وأنا جد قلق مـستوحش[3] من أن أكون قد أسأتُ الوقوف فى حضرة هذا (الشيخ) الجليل"[4].

فى عام 1997 نشر Gerhard Lichtenthäler دراسة بعنوان:

National issues, political styles and Islamic responses in the Sudan 1956-1985: the case of Mahmud MuhammadTaha and the Republican Brothers[5].

---

(1) منصور خالد، "محمود الذى عرفت"، مصدر سابق.

(2) عبدالله بولا، مرجع سابق.

(3) وضّح عبدالله بولا معنى اسـتوحش فى هامش دراسته فكتب قائلاً: استوحش من عـبارة "الوحيد الممكن" ولم أجد من حل مناسب سوى وضعها بين مزدوجتين. ثم لا أزال منزعجاً منه فمعذرة.

(4) المرجع السابق.

(5) Lichtenthäler, G, National issues, political styles and Islamic responses in the Sudan 1956-1985: the case of Mahmud MuhammadTaha and the Republican Brothers. *Seeking an open society: inter-faith relations and dialogue in Sudan today* (ed. by S. Brown), Paulines Publications Africa, Nairobi, 1997, pp. 37-60.

أيضاً نشر إستيف هاورد Steve Howard العديد من الأوراق العلمية عن الأستاذ محمود وعن الإخوان الجمهوريين، ففى عام 2002 نشر ورقة علمية بعنوان: "Mahmoud Mohammed Taha[1]"، وفى عام 2003 نشر ورقة بعنوان : "Transforming Islamic Society[2]: Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Brotherhood," وفى عام 2006، نشر كذلك ورقة بعنوان: Mahmoud Mohammed Taha and the Repuplicant Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan[3], وغيرها. يمكن الوقوف على أوراق إستيف هاورد فى موقع **جامعة أوهايو**، بالولايات المتحدة الأميركية على شبكة الإنترنت[4].

كذلك نشرت ناهد محمد الحسن بعض الأوراق العلمية التى اتخذت فيها الأستاذ محمود نموذجاً لدراساتها منها ورقة بعنوان: "المرأة فى الخطاب الفكرى الإسلامى"[5]، نشرت عام 2003، وقد كان موضوع المرأة عند الأستاذ محمود أحد نماذج دراستها. جاءت كذلك ناهد بورقة علمية بعنوان: مآزق الفكر الإسلامى ..المواطنة نموذجاً..تعقيباً على ورقة المواطنة فى فكر الحركات الإسلامية الحديثة لعبدالله على ابراهيم، نُشرت ضمن **المصالحة الوطنية وإبراء الجراح**[6]. كتب حسن موسى العديد من المداخلات وبعض الدراسات النقدية عن مشروع الأستاذ محمود، منها دراسة بعنوان: "ماذا نفعل بـ "مشكلة الشرق الأوسط؟"[7]. وعما يعنيه بمشكلة الشرق الأوسط كتب حسن قائلاً: "أعنى

---

(1) Howard, W.S., "Mahmoud Mohammed Taha," in Lobban, et. al. eds., Historical Dictionary of the Sudan. Scarecrow Press, 2002, pp 287-288.

(2) Howard, W.S., "Transforming Islamic Society: Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Brotherhood," Fall 2003, Journal for IslamicStudies.

(3) Howard, W. Stephen, Mahmoud Mohammed Taha and the Repuplicant Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan, *Ahfad Journal*, Vol. 23, No. 2, December 2006, Omdurman.

(4) http://www. mediaschool.ohio.edu/w-stephen-howard

(5) حيدر ابراهيم على(محرر)، **المرأة السودانية فى الحياة العامة**، وقائع ندوة مهرجان المرأة الأول، الخرطوم 11-8 مارس 2003، مركز الدراسات السودانية. الخرطوم، ص107.

(6) شمس الدين الأمين ضوالبيت (محرر)، **المصالحة الوطنية وابراء الجراح**، مؤسسة فردريش ايبرت-السودان، ط1، 2008.

(7) حسن موسى،"ماذا نفعل بـ "مشكلة الشرق الأوسط؟"، من **سودان للجميع** Sudan for all، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/1/28، موقع على الإنترنت: http://www.sudan-forall.org

بـ (مشكلة الشرق الأوسط) ذلك الكتاب الذى أصدره "**الحزب الجمهورى**" فى السودان عقب حـرب يونيو 1967". ثم وصف حـسن الكتاب قـائلاً: "وأظنه من أول -ومن أهم- الكتب التى صـدرت فى السـودان حـول مشكـلة الشرق الأوسط بـعد حـرب 67. صفـة الأهمية تتأتى من كـونه كتاباً صادراً من جهة سودانية منظمـة سياسياً (**الحزب الجمهورى**) تحاول أن تقف على مسافـة نقدية من مجموعة من المسلمات والمفـاهيم السائدة فى المجتمع العربـى عن العلاقة مع الآخـرين فى مشـهد الواقع الذى شكـلته الحرب البـاردة". ثم نظر حسن إلى مركـز ثقل الكتاب فكتب قائلاً: "ورغم أن الكتاب يعالج أسـئلة الصراع العربى الإسرائيلى وقضايا التـحالفات السياسيـة ضمن ملابسات التحرر من الاستـعمار والحرب الباردة إلا أن مركز الثقل الفكرى فيه يتبلور عند سؤال الهوية"[1].

نشر قصى همروركذلك، بعض الدراسـات والأوراق العلمية التى كانت تتكئ وتنطلق من مشـروع الأستاذ مـحمود، من تـلك الدراسات:"من أجل **الاشتـراكيـة: الماركسـية فى** السودان بين زمنين"[2]،وقد نبه قصى فى ختام دراسته قائلاً: "وكما هو واضح فإن من أهم مـا توجـهنا إليـه فى هذه الورقـة هو لفت النظر لمـنجز فكرى أصـيل ومـتـمـيـز من تراثنا السودانى، لم يوله يسـاريونا حقه من الانتـباه والاعتـبار، وهو المتمـثل فى المدرسة الفكرية الجمهورية، برائـدها الأستاذ محمود محـمد طه". كما نشر قصى دراسـة بعنوان:"التسامح الدينى.. ضرورة لا بديل عنها"[3]، ودراسة أخرى بعنوان: "بيـن الإيمان والعقيدة: مـشهد من الفكرة الجمهورية"[4]، وغيرها. ونشر محـمد وقيع الله،ورقة بعنوان:"**دراسة عن فكر محمود محمد طه: مسـتقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام**"[5]، وسأتناول هذه الدراسة لاحقاً. كما نشر محمد المهدى بشرى، ورقة علمية كانت بعنوان: "المثقف والسلطة: مصائر

---

(1) حسن موسى، المرجع السابق.

(2) قصى همرور، "من أجل الاشتراكية: الماركسية فى السودان بين زمنين"، **من موقع الفكرة الجمهورية**، مقالات، استرجاع (Retrieved)، 2013/11/23، الموقع على الإنترنت: http://www.alfikra.org/article

(3) قصى همـرور، "التسامح الدينى.. ضـرورة لا بديل عنها"، **من موقع الفكرة الجـمهورية**، مقالات، اسـترجاع (Retrieved)، 2012/11/23، الموقع على الإنترنت: http://www.alfikra.org/article

(4) المرجع السابق.

(5) مـحمـد وقـيع الله، "دراسة عـن فكر محـمـود محـمـد طه: مسـتـقبل دعـوى الرسـالة الثـانية من الإسـلام"، **من موقع سودانيز أونلاين**، استرجاع (Retrieved) 2011/8/17 ، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

فاجعة"[1]، سعى محمد المهدى فى ورقته لدراسة "مآلات ومصائر بعض المثقفين فى مراحل تاريخنا المعاصر" فتناول أربعة نماذج من المثقفين، كان من بينهم الأستاذ محمود محمد طه. وكما الحال عند بعض المثقفين لم يقبل محمد المهدى موقف الأستاذ محمود من ثورة مايو (1969-1985)، وهذا ما سأتعرض له فى محور: "الأستاذ محمود وثورة مايو (1969-1985)".

قدم أحمد صادق أحمد عرضاً لكتاب: **البحث عن الألوهية: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه** "[2]، آنف الذكر، فى مجلة كرامة، التى يصدرها اتحاد الكتّاب السودانيين، لم يكتفِ أحمد بالعرض باللغة العربية لكتاب صدر باللغة الإنجليزية وإنما قدم بعض التأملات النقدية بحكم أواصر المحبة التى ربطته بالفكر الجمهورى، كما أشار لذلك، وقدم توصيفاً للدور التاريخى لما أسماه (الكتابة الجمهورية) "التى حملت هم تاريخ السودان والدين والثقافة واليومى والمعيشى". تأتى قيمة العرض للكتاب بأنه بالإضافة للتعريف بالأفكار الأساسية والمنطلقات النقدية التى اتصلت بشكل مباشر بمشروع الحداثة وأسئلتها، وأزمة الإسلام والمسلمين والرأسمالية والرق والاسترقاق والجندر ...إلخ فإن العرض أتاح لقراء العربية، خاصة فى السودان، فرصة التواصل مع مؤلف الكتاب، وفرصة المتابعة لما أحدثه الكتاب من سجال، فقد اتكأت على الكتاب العديد من الندوات والحلقات النقاشية والكتابات، منها ندوة[3] عقدت لمناقشة كتاب **السعى وراء الألوهة: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه**، وشارك فيها كل من: فاروق محمد إبراهيم، وعمر القراى، وإدريس سالم، والباقر العفيف، وغيرها. كما نشر المنصور جعفر ورقة بعنوان: "الإخوان الجمهوريون ... شكل دينى لما بعد الحداثة"[4].ونشر قيصر موسى الزين، دراسة علمية

---

(1) محمد المهدى بشرى، ورقة علمية كانت بعنوان: "المثقف والسلطة: مصائر فاجعة"، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2007.

(2) أحمد صادق أحمد، "عرض كتاب: **البحث عن الألوهية**"، **مجلة كرامة**، اتحاد الكتّاب السودانيين، العدد الثالث، ديسمبر 2011، ص489-493 .

(3) فاروق محمد إبراهيم، "مناقشة كتاب: **السعى وراء الألوهة: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه**"، مركز الخاتم عدلان للاستنارة والتنمية البشرية، بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على مولد المفكر الاسلامى الشهيد محمود محمد طه 1909-2009، الخرطوم، السبت 10 يناير 2009.

(4) المنصور جعفر، "الإخوان الجمهوريون ... شكل دينى لما بعد الحداثة"، الرأى الآخر، **مجلة الديمقراطى**، =

بعنوان: "حركة الإخوان الجمهوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات"[1]. وفى عام 2010 نشر حيدر بدوى صادق وهالة أبوقوتة دراسة كانت متكئة على فكر الأستاذ محمود، وجاءت بعنوان: "Peace Communication in Sudan: Toward Infusing a New Islamic Perspective",[2]. كما نشر حيدر فى عام 2010 دراسة بعنوان: "Ustadh Mahmoud Mohamed Taha and Islamic Reform: Embodying and Communicating Absolute Individual Freedom"[3]

الأطروحات الجامعية

فى تقديرى أن القيمة الفكرية والإنسانية والسودانوية للأستاذ محمود محمد طه ليست فى صحة تفسيراته للدين من حيث أنه مر إسلامياً بمرحلتين "مكى ومدنى" أو فى رباطة جأشه حين ثبّت موقفه البطولى كمفكر إزاء بطش ديكتاتور جاهل، أو فى صحة المنهج الذى اتبعه فى التحرّك من البعد السودانوى. إن خطورته بالنسبة لى - على الأقل- أنه فتح المجال للباحثين السودانيين، والمسلمين، والعرب، لرؤية التراث العربى الإسلامى من زاوية الناقد لا المتلقى الذاعن لقضه وقضيضه[4].

صلاح شعيب

= مجلة التحالف الديمقراطى بالمملكة المتحدة، استرجاع (Retrieved) 9 نوفمبر2010، الموقع على الإنترنت: http://www.d-a.org.uk

(1) قيصر موسى الزين، دراسة علمية بعنوان: "حركة الإخوان الجمهوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات"، من **مركز التنوير المعرفى**، مقالات وأوراق بحثية، استرجاع (Retrieved) 18 ديسمبر2010، الموقع على الإنترنت: www.tanweer.sd

(2) Haydar Badawi Sadig and Hala Asmina Guta, "Peace Communication in Sudan: Toward Infusing a New Islamic Perspective", *the Handbook of Global Communication and Media Ethics*, edited by Robert S. Fortner and P. Mark Fackler, Blackwell Publishing Ltd, 2011.

(3) Haydar Badawi Sadig, ?Ustadh Mahmoud Mohamed Taha and Islamic Reform: Embodying and Communicating Absolute Individual Freedom,? in M. Fackler and R. Fortner (eds.) *Ethics and Evil in the Public Sphere*: Media, Universal Values and Global Development. Cresskill, NJ: Hampton Press, 2010.

(4) صلاح شعيب، "(السودانوية): محمود محمد طه!!"، **صحيفة الصحافة**، الخرطوم، بتاريخ 10/11/2007.

كان الطيب حسن محمد الطيب، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، من أوائل الطلاب، إن لم يكن أولهم، الذين قدموا أطروحة جامعية تناولت الفكرة الجمهورية، **بجامعة الخرطوم**، السودان. قدم الطيب بحثاً تكميلياً لنيل درجة البكالريوس مرتبة الشرف فى قسم الفلسفة، **جامعة الخرطوم** عام 1983، بعنوان: **وحدة الوجود فى الفكرة الجمهورية**[1]. ثم جاء حيدر بدوى صادق، وهو من أصغر تلاميذ الأستاذ محمود سناً، إن لم يكن أصغرهم[2] وقتئذ،جاء حيدر فى عام 1985 فأعد بحثاً تكميلياً لنيل درجة البكلاريوس بمرتبة الشرف بكلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، **جامعة الخرطوم**، بعنوان: *Aspects of Female Participation in Religious Organizations in Sudan: The Case of the Republican Sisters,*[3]، اتبع حيدر هذا البحث فى نفس الكلية بتقديم أطروحة لنيل درجة ماجستير فى عام 1988، كانت بعنوان[4]: *The Republican Brothers : A Religio-political Movement in Sudan .* فى عام 1990 قدم يورجن روجالسكى رسالة

---

(1) الطيب حسن محمد الطيب، **وحدة الوجود فى الفكرة الجمهورية**، بحث تكميلى لنيل درجة البكالريوس مرتبة الشرف، إشراف د. كمال حامد شداد، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1983، (غير منشور).

(2) حكى لى حيدر بدوى صادق، بأنه حينما جاء للأستاذ محمود فى عام 1977 ليلتزم الفكرة الجمهورية، وكان عمره وقتئذ ستة عشر عاماً، دخل حيدر، على الأستاذ محمود فقدمه أحمد محمد الحسن، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، للأستاذ محمود قائلاً: الأخ حيدر جاء ليلتزم بالفكرة الجمهورية، فرد الأستاذ محمود قائلاً: "لكن ما صغير". **المصدر**: مقابلة مع حيدر بدوى صادق، الدوحة، قطر، بتاريخ 18 يونيو 2012، الساعة 18:30.

(3) Sadig, HaydarBadawi, Aspects of Female Participation in Religious Organizations in Sudan: The Case of the Republican Sisters, 1985, An unpublished Honour's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

بإشراف: زينب بشير البكرى. أفادنى حيدر بدوى صادق أنه يرجع الفضل فى إنجاز هذا المشروع إلى زينب البكرى. فحينما زهد حيدر فى إكمال درجة الشرف بعد تنفيذ حكم الاعدام على الأستاذ محمود، تصدت زينب لزهد حيدر قائلة له: إنك إن لم تنجز هذا المشروع فلا أحد غيرك يمكن أن ينجزه، ثم عبرت عن استعدادها للتعاون معه لأقصى حد ممكن. قبل حيدر وأنجز المشروع. ثم نال لاحقاً درجة الماجستير بإشراف زينب وكانت رسالته بعنوان: The Republican Brothers :A Religio-political Movement in Sudan أنجز حيدر رسالته للماجستير ونال بها درجة الماجستير بعد المناقشة (الامتحان). وكان الممتحن الخارجى حيدر إبراهيم على. المصدر: مقابلة مع حيدر بدوى صادق، المقابلة كانت بالهاتف، المؤلف فى مدينة الدوحة، وحيدر فى المملكة العربية السعودية، 18 يناير 2013، الساعة 12:35.

(4) Sadig, HaydarBadawi, The Republican Brothers: A Religio-political Movement in Sudan, 1988, An unpublished Master's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan. بإشراف: زينب بشير البكرى

ماجستير فى جامعة برلين الحرة عام 1990، بعنوان: **الإخوان الجمهوريون فى السودان: مساهمة فى تاريخ الأيدولوجيا الإسلامية المعاصرة**، وقد وردت الإشاره آنفاً لترجمة حيدر إبراهيم على، لجزء من هذه الرسالة ونشرها ضمن إصدارة المركز عام 1992. أيضاً، قدم الطيب حسن محمد الطيب أطروحة دكتوراة فى عام 1995، بعنوان: **الرسالة الثانية من الإسلام** The Second Message of Islam **بجامعة مانشستر** بالمملكة المتحدة[1]. فى عام 1995 قدم Gerhard Lichtenthäler رسالة ماجستير **بمعهد الدراسات الآسيوية والإفريقية** (SOAS) **بجامعة لندن**. وقد نشر Gerhard Lichtenthäler ملخصاً لرسالته فى دورية Sahara Islam et Societes au Sud du كانت الرسالة بعنوان:

Muslih, mystic and martyr, The vision of Mahmud Muhammad Taha and the Republican Brothers in the Sudan: towards an Islamic reformation[2]

فى عام 2001 نشر محمد سعيد الطيب كتاباً باللغة الإنجليزية، كان هو الأطروحة التى نال بها درجة الدكتوراة فى القانون الدولى لحقوق الإنسان، من **جامعة أوترخت**، بهولندا بعنوان: A Human Rights Approach to Combating Religious Persecution: Cases from Pakistan, Saudi Arabia and Sudan[3]، **منظور حقوق الإنسان نحو مناهضة الاضطهاد الدينى حالات من: باكستان، والمملكة العربية السعودية، السودان**، الأحمدية/ باكستان، والشيعة/ السعودية، والإخوان الجمهوريين/ السودان[4]. وقد تناول الإخوان الجمهوريين، نموذج دراسته، فى الفصل الخامس[5]، الذى جاء بعنوان: Sudan and the

(1) Eltayeb H. M. Eltayeb, *The Second Message of Islam*, An unpublished PhD thesis, Middle Eastern Studies, University of Manchester, Manchester, UK, 1995.

(2) Lichtenthäler, G., Muslih, mystic and martyr, The vision of Mahmud Muhammad Taha and the Republican Brothers in the Sudan: towards an Islamic reformation? Islam et Societes au Sud du Sahara, 9, 1995, pp. 57-81.

(3) Mohamed S. M. Eltayeb, *A Human Rights Approach to Combating Religious Persecution*: Cases from Pakistan, Saudi Arabia and Sudan, Antwerp/ Groningen/ Oxford: International- Hart Publishers, 2001

(4) قمت بترجمة عنوان الأطروحة بالتشاور مع المؤلف، الذى وافق على ترجمة العنوان.

(5) Mohamed S. M. Eltayeb, *A Human Rights Approach to Combating Religious Persecution*: Cases from Pakistan, Saudi Arabia and Sudan, Antwerp/ Groningen/ Oxford: International- Hart Publishers, 2001, PP 135-183.

"Persecution of the Republican Brotherhood، "السـودان واضطهـاد الإخـوان الجمهـوريين". فى عام 2010 نشر Edward Thoma1s أطروحته لـلدكتوراة[1] فى كتاب كـان عـنوانه: *Islam's Perfect Stranger: The life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim Reformer of Sudan*

الشـاهد أن هذا مجـرد جـرد مجـمل، وإشـارة لبعـض نماذج الدراسات (كـتب، أوراق علمية، وأطروحات جـامعية)، التى نشرت عن الأستـاذ محمود ومشروعه، فى فـترة ما بعد مرحلة الفقهـاء. أما بالنسبة للمقالات الصـحفية فهى كثيرة جـداً ويمكن الاطلاع عليها فى بعض الموقع على الشـبكة التى سـترد الإشـارة إليهـا فى مـحور لاحق فى هذا الفـصل. من الملاحظ أن هذه الدراسـات سعت فى نقـدها الأستـاذ محـمود ومـشروعه إلى إثـراء الحوار وتلاقح الرؤى وتزاوج الأفكار، وقد اخـتلفت كلية عن دراسات مـرحلة الفقهـاء سواء من حيث الالتـزام بالأسس العلمية والأخـلاقية أو من حـيث الموضوعات ومنهج المعـالجة وفى التوصيات والنتائج التى خلصت إليها. فقد درست دراسـات مرحلة ما بعد الفقهاء الأستاذ محمود ومشروعه بمقارنة مع الأطروحات العـالمية والأسئلة التى يطرحها واقع اليوم، وبعيداً عن أى هوس دينى أو خـطاب عـاطفى أو رؤية فـقــهـيـة. من الملاحظـات أيضـاً، أن هذه الدراسات نجحت إلى حد كبيـر فى ترفيع مستوى السجال بشأن الأستاذ مـحمود ومشروعه وبالتالى ساهمت فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود وتلاميذه فى الشارع وفى المخيلة السودانية، وإلى حد ما فـى السوح العالمية والإقليمية الإسلاميـة والعربية. من الملاحظ أيضاً أن هذه الدراسات لم تعـتمـد فى مصادرها ومـراجعهـا على الدراسات التى نشـرت خلال الفترة من 1957 إلى 1985، مما يعنى أن هناك حداً فـاصلاً قد وقع بين دراسـات المرحلتين. ولا صلة البتة بينهما. ففى الوقـت الذى تبخرت فيه كتابات مرحلة الفقهاء وفقـدت قيمتها، ولـم تعد تغـذى الخيال أو تضـيف شيئاً أمـام تطورات الحياة ونهـوض الواقع، توسعت، من الناحية الأخرى دراسـات مرحلة ما بعد الفقهاء، توسـعاً واضحاً ومستمـراً باللغات العربية والأجنبية، داخل السودان وخـارجه، خاصة فى أوروبا والولايات المتحدة الأمـريكية وآسيا.

---

(1) Edward Thomas, Islam's Perfect Stranger: *The life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim Reformer of Sudan*, I. B. Tauris & Co. Ltd, New York, 2010.

كـذلك حملت هـذه الكتابات إعـلانات ضـمنية، فـإلى جـانب هجرهـا لدراسات مـرحلة الفقهاء، فإنها أعلنت عن فك الحصار على مشـروع الأستاذ محمود وإنهاء حقبة السكوت، وحقبة الأوصياء على العقول. الشاهد أن السوح الفكرية والثـقافية السودانية الآن ومستقبلاً ستكون أمام معطيات جديدة حيث كل مثقف قادر على استخدام أدواته وقادر على الحضور فى السوح الفكرية والثقافية ليتولى دوره الطبيعى فى إنتاج المعرفة وتقديم الخدمات التنويرية ومن ثم خلق مناخ عام جديد، وإطار معرفى يستند على العقل.

برغم كل هذا، تظل الدراسات عن الأستاذ محمـود ومشروعه فى بداياتها، وأن الحوار لايزال ضعيفاً، وإن الإصدارات قليلة. كذلك لاتزال الأكاديمـيا السودانية مقاطعة للأستاذ محمـود ولإنتاجه الفكرى، وحتى لم يقبل الطلاب علـى دراسة مشروع الأستاذ مـحمود، ولم يبـدأ أساتذة الجـامعـات بتوجـيه طلابهم إلـى البحث والتنقـيب فى مشـروع الأستـاذ محـمود. أيضـاً؛ من واقع هذه الدراسات نلاحـظ أن الموضوعات التـى يضج بها مـشروع الأسـتاذ مـحمـود لم تجد حظهـا الكافى من التناول. فـأغلب هذه الدراسات وقـفت على قضايا عـديدة يصعب معالجتهـا فى كتاب واحد أو دراسة واحـدة، الأمر الذى جعل هناك خللاً يلازمها ناتجاً من تقـديم رؤوس موضوعات وليس دراسات عميقـة ومحيطة وشاملة لأى موضوع من الموضوعـات. فيصعب على دراسة واحدة تنشر فى كتب صـفحاتها دون الخمسمائة، أن تعالج مشروعاً ضخماً يستحق كل موضوع فيه كتباً أو كتاباً على أقل تقدير .فهناك، المرأة، والأخـلاق، والحرية، التاريخ والـصلاة والهوية والإنسـان والوجود والكون والرق والجـهاد والفـردية والمجتـمع، والجندر، ومـحاكم ردة ومـواقف سيـاسيـة، ...إلخ. الشاهد إن تناول مشـروع مثل هذا فى كتاب واحد يدخل مؤلف الكتـاب فى ضرورة اتباع منهج الاخـتـصار والاخـتـزال، ومن الناحـيـة الثـانية يقـلل من فرصـة الاحـاطة الشـاملة بالموضوع. أيضاً، كان لغياب المؤسسات الأكاديميـة ومراكز البحوث وإحجامها عن تنظيم المؤتمرات وعقـد الندوات والحلقات النقـاشية بشـأن الأستاذ مـحمـود ومشروعـه، العامل الأساس فى ضعـف الحوار حوله والتنوير بشأنه، الأمـر الذى جعل التغيـيب والتضليل فى حالة استمرار، ولكنه تغييب وتضليل إلى حـين، كما تنبئنا الدراسات التى تعد عن الأستاذ محمود ومشروعه وهى فى استمرار وتوسع صباح كل يوم جديد.

إهداءات الكتب والدراسات إلى الأستاذ محمود سكب الذات وإعلان النسب فى موقف المشنقة

أقيموا للاستاذ محمود تمثالاً فى قلب الخرطوم لنقول للأجيال القادمة أننا قوم نحترم الفكر الحر ونضع مكانة خاصة لمفكرينا حتى وإن خالفناهم الرأى[1].

فتحى الضَّو

إن الإهداء الذى يتصدر الكتب أو الدراسات فى صفحاتها الأول، ويسكب فيه المبدع ذاته و"يودعه عصارة علاقته بالمُهدَى إليه"[2] ، هو فعل أخلاقى فى غاية العظمة، ومن أَجَلِّ الأفعال التى يمارسها المبدع، وهو تعبير من أصدق التعابير عن المواقف الإنسانية. فالإهداء هو رسالة حب وامتنان، وهو تعبير عن مودة واحترام. والانسان لا يهدى إلى أحد شيئاً إلا إذا كان على علاقة خاصة به، "والإهداء فى كثير من حالاته هو نوع من التجريد العقلى والفلسفى"[3]. بهذا، المفهوم للإهداء ودلالاته الإنسانية، يمكن أن نتأمل إهداءات الكتب والدراسات إلى الأستاذ محمود. فقد سكب عدد كبير من المبدعين والمثقفين السودانيين ذواتهم فى إهداءات كتبهم ودراساتهم، وأودعوها عصارة علاقتهم بالأستاذ محمود. معبرين بذلك عن احترامهم وإكبارهم للأستاذ محمود واحتفائهم وتخليدهم لمواقفه. بل عَبْر تلك الإهداءات بثوا الفضائل الإنسانية، وقاوموا ضعف الإحساس بالتاريخ، وناهضوا جهود التغييب وكشفوا بعضاً من عبثيات تزوير التاريخ، وفوق كل ذلك فإنهم ثبتوا المبدأ الذى يجب أن تكون عليه سير العظماء فى سجلات أممهم. إن هذه الإهداءات تكشف عن الانهيار الجزئى للجدار العازل بين الأستاذ محمود من جهة وجل المثقفين وعامة الناس من الجهة الأخرى، والذى وضع أساسه الفقهاء والقضاة الشرعيون وعلماء السودان عبر تحالف إسلامى واسع، وبعد وضع الأساس، تم البناء بجهود قطاع واسع من الساسة

---

(1) فتحى الضَّو، "أيُها المبعُوث فينا"، **صحيفة الأحداث**، 2010/1/17.

(2) فاطمة الوهيبى، "إهداءات الكُتب"، **مجلة الجزيرة الثقافية**، فضاءات، العدد 187، 2007/2/9 القاهرة، 2009، النسخة الإليكترونية، استرجاع (Retrieved)، 2012/5/13، الموقع على الإنترنت: http://www.al-jazirah.com.sa

(3) حمدى عبدالعليم البدوى، **إهداءات الكتب**، سلسلة دنيا الكتب والمكتبات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص 20-23.

والمثـقفين. تكشف هذه الإهداءات عن الانهيـار الجزئى للجـدار، فـأصبح التـواصل مع الأستاذ محمود مباشراً وفى توسع وتجـدد واستمرار . فقد لاحظت من خلال رصدى لهذه الإهداءات أنهـا فى زيادة وبإيقاع سـريع سواء فى الأطروحـات الجامـعية داخـل السودان وخـارجـه بـشكل أوسع، أو فى الإصـدارات الجـديدة من الكتب والـروايات ودواوين الشـعر... إلخ. ولاحظت أيضـاً، أن هذه الإهداءات أكثـر حضـوراً فى الكتب التى تتناول الشأن السياسى والقـانونى وفى الروايات. من الملاحظات أيضاً أن بعض الإهداءات اقترن فـيهـا اسمـا الأسـتاذ مـحمـود والعـقيـد جون قـرنق (1945-2005). أيضاً، حـملت هذه الإهداءات دلالات ومضامين كبيرة، فمـن خلالها نخلص إلى أننا أمام رؤية مغايرة تماماً لما كان سائداً فى النصف الثـانى من القرن الماضى ضد الأستاذ محـمود وتلاميذه، من ردة عن الإسلام، وتشـويه لسيـرته وصورته ومـشروعه. فـقد حـملت هذه الإهداءات تعابيـر قوية بالفخر والاعتزاز بمواقف الأستاذ محمود وبشخصه وصموده على منصة المشنقة.

الشاهد أن الإهداءات التى قمت برصـدها كثيرة، يصعب إيرادها كلهـا فى هذا الحيز، وإنما سأورد نماذج منها، حسب ترتيب تواريخ صـدورها. لقد جاءت الإهداءات فى صدر كتب فى مخـتلف المجالات، وفى صـدر دواوين الشعـر والروايات، والأطروحات الجـامعيـة (الدبلوم، الماجسـتيـر والدكتوراة). أيضـاً، وأود أن ألفت نظر القارئ إلى أن جل هـذه الإهداءات كانت لمثـقفين غـير جـمهوريين، إلـى جانب أننى أوردت نماذج من إهداءات بعض تلامـيذ الأسـتاذ محمود وقد أشرت لذلك فى موضعه. أدناه نصوص الإهداءات مرتبة حسب تاريخ نشرها.

أهدى حيـدر بدوى صادق بحـثه لنيل درجـة الشرف بالسنة الخـامسة بكليـة الاقتـصاد والعلوم الاجتماعية **بجامعة الخرطوم** قائلاً[1]:

Dedication:

To Him, who offered his life, energy and effort to Sudan.

To Him, who sacrificed his life for others? humanity and dignity.

To Him, who fought against oppression and humiliation of people by fanatics.

---

(1) Sadig, HaydarBadawi, *Aspects of Female Participation in Religious Organizations in Sudan: The Case of the Republican Sisters*, 1985, An unpublished Honor's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

To Him, who gifted his soul willingly to purify Islam from fanaticism and finally for this aim stood up facing the gallows smiling.

To Him, who raised the issue of women?s rights to the highest place of honour and gave it utmost priority.

To my godfather and the father of all Republican Brothers and Sisters, Ustaz Mahmoud Mohamed Taha, I dedicate this humble work.

ترجمة الإهـــــــداء

إلى الذى وهب حياته وطاقته وجهده للسودان

إلى الذى ضحى بحياته من أجل إنسانية وكرامة الآخرين

إلى الذى حارب اضطهاد وإذلال المهووسين للناس

إلى الذى أهدى روحه راضياً بهدف تنقية الإسلام من الهوس حتى أقبل على المشنقة مبتسماً

إلى الذى رفع شأن المرأة وحقوقها إلى أعلى مراتب التشريف فجعلها أهم الأولويات

لأبى الروحى وأب جميع الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، الأستاذ محمود محمد طه، أهدى هذا العمل المتواضع

وأهدى حيدر كذلك رسالته لنيل درجة الماجستير من كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية **بجامعة الخرطوم**، قائلاً[1]:

إلى الشعب السودانى "To the Sudanese People",

أهدى عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، أهدى عصام ديوانه إلى الأستاذ محمود، وقد قال فى إهدائه[2]:

---

(1) Sadig, HaydarBadawi, *The Republican Brothers:A Religio-political Movement in Sudan,* 1988, An unpublished Master?s thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

(2) عصام عبدالرحمن أحمد، **الصقر يعلو وحده**، (ديوان شعر)، ط1، 1987، ص الإهداء.

إلى الأستاذ محمود محمد طه:

الصَّقر يَعْلُو وَحْدَهُ   مُتَسَنِّماً أعْلَى القِمَمْ
مُتَفَرِّداً عَـنْ سِـربِهِ   وَتَلوذُ بالسِّربِ "الرَّخم"

كان منصور خالد من أكثر المثقفين السودانيين الذين أهدوا كتبهم إلى الأستاذ محمود. فقد أهدى كتابه: **الفجر الكاذب: نميرى وتحريف الشريعة**، إلى الأستاذ محمود قائلاً:

إلى روح الأستاذ محمود محمد طه الذى ذهب مبغياً عليه فى عهد اللوثة ولسان حاله يقول:

"يا أحبابى فى بلد الأشياء"

"فى بلد المشى على أربع"

"هذا آخر عهدى بوجوهكم السمحة"

"بعقولكم العطشى للإنجاب الفكرى الممنوع"

"فالحكم الصادر، لقضاة مدينتكم فى مجلسه المرموق"

"عاجلنى بالموت"[1]. (من أبيات للشاعر: محمد أبو دومة[2])

كذلك أهدى منصور كتابه: السودان: **أهوال الحرب وطموحات السلام، قصة بلدين** الى إبراهيم بدرى، وستانسلاوس عبدالله بياسما، والأستاذ محمود محمد طه. فكتب فى إهدائه للأستاذ محمود قائلاً:

رجل لم يأسره الحرص إذ غنى عن الدنيا باليأس منها. ومفكر ذو بصر حديد لم يتق غير الله فى التعبير عن فكره. جابه الناس بهذا الفكر ولم يستدبرهم بغيب. فآراؤه

(1) منصور خالد، **الفجر الكاذب: نميرى وتحريف الشريعة**، دار الهلال، بيروت، 1986، ص 4.

(2) محمد أبو دومة، هو شاعر مصرى ولد بمحافظة سوهاج عام 1944. حاصل على الماجستير والدكتوراة فى الأدب المقارن من المجر 1986. له العديد من دواوين الشعر منها: المآذن الواقعة على جبال الحزن 1978، والسفر فى أنهار الظمأ 1980، والوقوف على حد السكين 1983، وأتباعد عنكم فأسافر فيكم 1987، وتباريح أوراد الجوى 1990، والذى قتلته الصبابة والبلاد 1988. ومن مؤلفاته: **علاقة التشابه والتأثر فى الأدب الفلسفى الفارسى، العربى المجرى** (الدكتوراة)، **ونصوص من المسرح المجرى الحديث** (ترجمة) - فن المسرح.

السياسـية التى أجلينا فى هذا الكتاب، منذ مـؤتمر الخريجين، آراء لا يجسـر عليها إلا أولو العزم فى وطن فيه للـباطل سلطان. واجتهاده فى الدين اجتهـاد بديع بريع لا يرفضه إلا من ضاق وعاؤه. ولئن عاد من عاد الى الكثير من تلك الاجتهادات فهو متبع لا مبتدع[1].

أهدى عمر القراى، وهو من تلاميذ الأسـتاذ محمود، كتابه: **الجهاد أم حرية الاعتقاد؟**، قائلاً[2]:

إلى الذى وقف طوال حياته على حدالاستقامة

فكان فى فكره وقوله وعمله على سراط مستقيم !!

حتى بلغ من تجويد العبودية

أن لقى الموت بابتسامة الرضا !!

صاحب الفكر القوى الدقيق

والقلب الحر الطليق

الذى وسع الأحياء والأشياء رحمة وتلطفاً ومحبة !!

من أنزل كمالات الدين من نعماء الغيب

بعد طول العهد وانقطاع الارشاد

فجسدها حية تمشى بين الناس !!

الى أستاذى الأستاذ محمود محمد طه

أهدى هذا العمل المتواضع

على ما به من قصور !!

ويقينى أنه يقبله .. كما كان يفعل دائماً !!

أهدى حيدر الصافى شـبو، وهو أحد تلاميذ الأسـتاذمحمود، رسالته للماجـستير[3]

(1) منصور خالد، **السودان: أهوال الحرب وطموحات السلام، قصة بلدين**، دار تراث، لندن، 2003، ص الإهداء.

(2) عمر القراى، **الجهاد أم حرية الإعتقاد؟**، القاهرة، 1995.

(3) Haidar El Safi Mohamed Ali Shapo, Dedication for M.Sc 1990, *Resource Management*, Edinburgh Universitym.

قائلاً[1]:

To Alustadh Mahmoud Mohamed Taha
Who has taught us how to think!
We put faith on you
We observe the "Day of Presence" with no doubt at all

إلى الأستاذ محمود محمد طه
الذى علمنا كيف نفكر
نؤمن بك
وننتظر عودتك بلا أدنى شك

كما أهدى حيدر كذلك أطروحته للدكتوراة إلى الأستاذ محمود وإلى تلميذيه سعيد الطيب شايب، وجلال الدين الهادى الطيب إدريس وأسماهما بالتوأمين، كتب حيدر فى إهدائه قائلاً:[2]

إلى أبى، ثم إلى ابنيه التوأمين
قد عسعس الليل بغيابكم! وبتنا نترقب الصبح
أليس الصبح بقريب!

أيضاً أهدى خالد حسن عبدالله، أطروحته الجامعية التى قدمها فى كلية علوم الغابات والبيئة، بمعهد إدارة الغابات والاستشعار عن بعد[3]، بمدينة قوتنقن بولاية سكسونيا السفلى بألمانيا، إلى الأستاذ محمود قائلاً[4]:

---

(1) كُتب الإهداء باللغة الإنجليزية، كما هى لغة الرسالة، وقام مؤلف هذا الكتاب بالترجمة، كما هو الحال مع الأطروحات الأخرى.

(2) Haidar El Safi Mohamed Ali Shapo, *Modification of Microclimate in an Alley CroppingSystem in Northern Sudan*, 2002.

(3) Khalid Abdalla Hussein , *Parameter-parsimonious Models for Crown and Stem Profiles*, Georg-August University of Gottingen (Göttingen, right spelling) Germany, June 2001.

(4) حصلت على هذه المعلومات من صاحب الرسالة نفسه، خالد حسن عبدالله، عبر حوار بالبريد الإليكترونى بتاريخ 29 مايو 2012.

This study (work) is dedicated to the soul of الأستاذ Mahmoud Mohamed Taha.

هذه الدراسة مهداة إلى روح الأستاذ محمود محمد طه

أهدى الروائى مروان حامد الرشيد روايته،**مندكورو: برق وهلال**[1]، قائلاً:

إلى روح العارف بالله، الشهيد

محمود محمد طه

الصوت الذى نطق بالحق،

الصوت الذى قال: لا! للحاكم السوء، وقضاته الزبانية، يوم احتقنت ألسن معظم الرجال بالسكوت

الضمير الحى، يوم شبعت ضمائر معظم الرجال استتارا

إلى روح الصنديد محمود بن أبى محمود،أبى أسماء أم محمود،

بشرى وتحية! فالأمة التى نافحت عنها بدمك يمتخض فى أحشائها اليوم إنسان الغد، قد اشتد بها الطلق، وتنفس صبح الميلاد!

أهدى الشاعر السموأل محمد الحسن ديوانه: هل، إلى الأستاذ محمود قائلاً:

فى البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة هى المحبة. الله رمزها فى السماء ورمزها فى الأرض الأم [...] أخص الأستاذ محمود محمد طه الذى أفهمنى أن الله هو الحرية فقلت بدورى للعلم سلاماً[2].

فى عام 2004، نشر الأستاذ إبراهيم يوسف، كتاباً عن ثورة رفاعة، وهى الثورة التى قادها الأستاذ محمود فى مدينة رفاعة عام 1946. وسم إبراهيم كتابه بـ: **ثورة رفاعة المجهولة: لوحة مشرفة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار**، وكتب فى الإهداء قائلاً[3]:

---

(1) مروان حامد الرشيد، **مندكورو: برق وهلال**، (رواية)،الدار الثقافية للنشر،القاهرة،2001، ص (**الإهداء**).

(2) السموأل محمد الحسن، **هل**، (ديوان شعر).

(3) إبراهيم يوسف، **ثورة رفاعة المجهولة: لوحة مشرفة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار**، **2004**، (بدون مكان نشر)، ص 1.

إلى الشعب السودانى العملاق صانع الثورات...

إلى شعب رفاعة الذى كانت ثورته الشعبية صفحة فخار مجهولة، ولضرورة التعريف بها صدر هذا الكتاب ويكفى أنها كانت غرة نضالنا الوطنى إذ ناجزنا فيها الاستعمار وجهاً لوجه فحققنا ما أردنا.. وبذلك وضعت الحركة الوطنية موضع الجد فى مواجهة الاستعمار، كما أنها فدت الشعب من ذل الاستعمار وكانت هى طليعة ثورة أكتوبر الخالدة. فهنيئاً لثورة رفاعة بقائمة شرف بنيها الثوار الأحرار.. وحقاً كان شعب رفاعة يومها يكثر عند الفزع ويقل عند الطمع.

أصدر أحمد مصطفى الحسين ديوان شعر، فكتب فى الإهداء قائلاً:

إلى أبى وأستاذى محمود محمد طه،

وإلى أبنائه "الجمهوريين" حيث كانوا وكيف كانوا"[1].

أهدى فتحى الضو محمد كتابه: **سقوط الأقنعة**، إلى الأستاذ محمود محمد طه، وعبدالعزيز النور خلف الله، والتاية أبو عاقلة، وإلى جلاديكم جميعاً. كتب فى إهدائه للأستاذ محمود قائلاً:

إلى الأستاذ محمود محمد طه.. شهيد الفكر الحر، الذى أنذرنا بقدوم الطوفان، ولم نستبن النصح إلا ضحى الغد..!!

واجه الموت معتدلاً بابتسامة وضيئة، هزمت ترهات الظلاميين

لم يدركوا بأنه ليس فى الجبة إلا كلمة حق فى وجه سلطان جائر[2].

أهدى خالد الحاج عبد المحمود، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كتابه: **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، إلى الأستاذ محمود قائلاً[3]:

---

(1) أحمد مصطفى الحسين، **الإنسان قادم إلى المدينة**، (ديوان شعر)، 2004، بدون مكان نشر، ص 2.

(2) فتحى الضو محمد، **السودان: سقوط الأقنعة: سنوات الخيبة والأمل**، شركة سوتير (طابعون)، دار آفاق جديدة ومركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2006، صفحة الأهداء.

(3) خالد الحاج عبد المحمود، **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، مرجع سابق، ص 5.

إلى الأستاذ محمود محمد طه....

إليك، سيدى، نهدى بعض ما علّمتنا،

فالأمر منك.. وإليك...

ونحن إذ نقدم هذا العمل، نرجو به،

أن نغسل من الأوصاب،

وأن نكون من أهل الفضل..

ومن طلائع من تفتح لهم الأبواب،

ويخصون بالخطاب:

"ادخلوها بسلام آمنين"

هنا، فى هذه الدار.. وفى دار المآب...

وبكم، سيدى، نرجو أن نكون،

بهذا العمل، من هداة الحياة، وحداتها إلى سبل السلام

أهدى الباقر العفيف، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كتابه: **وجوه خلف الحرب: الهوية والنزاعات الأهلية فى السودان**، إلى الأستاذ محمود ومنصور خالد، فكتب قائلاً[1]:

● إلى شهيد الفكر الأستاذ محمود محمد طه، الذى علّمنا أن الفرد الحر هو الذى يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، ثم إنه على استعداد دائم لتحمل مسؤولية فكره وقوله وعمله أمام قانون دستورى.

● وإلى الدكتور منصور خالد الذى لم تتوقف محاولات اغتياله معنوياً بترويج شائعات سخيفة. إن لك فى الأستاذ محمود أسوة وعزاء. أسوة، لأنك مثله صاحب نعمة، هى العقل الصافى والقلب السليم، ومثله أيضاً أنت محسود عليها. وعزاء، لأنه قال عنك أنك "ذكى وأن الله غيور على الأذكياء".

(1) الباقر العفيف، **وجوه خلف الحرب: الهوية والنزاعات الأهلية فى السودان**، مركز الخاتم عدلان للاستنارة والتنمية البشرية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم 2007، ص 3.

كتب محمود شعرانى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، فى إهدائه لكتابه: **الأزمة الأخلاقية العالمية**[1]، قائلاً:

إلى روح أبى وأستاذى وصديقى الذى هو أكثر من صديق.. على حد قوله لى...

إلى روح الأستاذ محمود محمد طه

أهدى هذه الدراسة المتواضعة

أهدى عبدالماجد بوب كتابه: **جنوب السودان جدلية الوحدة والانفصال**[2]، إلى الأستاذ محمود، وجوزيف قرنق، وجون قرنق دى مبيور. كتب فى إهدائه للأستاذ محمود قائلاً:

إلى منارات الوطنية السودانية...

إلى الأستاذ الشيخ الجليل محمود محمد طه لأنه الأول الذى صاغ برنامجاً رائداً وواقعياً للفدرالية والتعايش عند منتصف القرن الماضى

إلى جوزيف قرنق لأنه نبه مبكراً إلى أن الديمقراطية والتنمية المتوازنة هما الأساس لبناء الدولة الوطنية.

إلى الدكتور جون قرنق دى مبيور مهندس طريق السودان الجديد ومسيرة السلام والتحول الديمقراطى.

أهدى إبراهيم يوسف فضل الله، وهو من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود، مذكراته الموسومة بـ: **ذكريات جمهورى**(3)، قائلاً:

إلى المثقفين السودانيين.. إن الفكرة الجمهورية بأصالتها هى شرفكم... وهى قدركم إذ تحترم عقولكم وحقوقكم الإنسانية العصرية. فأنصفوها وادرسوا كتبها بعقول مبرأة من أوضار الجهالات.. تهبكم عظمة الفكر ومكانة الريادة.

---

(1) محمود شعرانى، **الأزمة الأخلاقية العالمية**، مرجع سابق، صفحة الإهداء.

(2) عبد الماجد بوب كتابه: **جنوب السودان جدلية الوحدة والانفصال**، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 2009.

(3) إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، الخرطوم، 2001.

كتبت سمية محمود محمد طه، فى إهدائها لرسالة الماجستير التى نالت بها درجة الماجستير[1] كتبت سمية قائلة:

إلى أبى الذى نادى بـ:

"ساووا السودانيين فى الفقر إلى أن يتساووا فى الغنى"

ثم إلى أمى.. وكفى..

كتبت بتول مختار محمد طه، وهى من تلميذات الأستاذ محمود، وابنة شقيقه، ظلت مرافقة له ولصيقة به طوال حياتها،كتبت فى إهدائها لمذكراتها: محمود الإنسان: قراءة الأيام[2] ، قائلة:

إلى روح أبى محمود المقدسة..

أرفع هذا العمل المتواضع..

فى سجل حياتك الطاهرة..

وهو بداية لكثير قد تواعدنا عليه..

أرجو أن أتمكن من إكماله تحت رعايتك..

وحبك العظيم..

أهدى مجذوب محمد مجذوب، وهو من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود، مذكراته الموسومة بـ: **السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى**[3]. وهى الآن تحت الطبع، فقد اطلعت عليها، وشرّفنى مؤلفها مجذوب بأن أكتب تصديراً لها بالشراكة مع النور حمد، فكتب النور تصديراً أول، وكتبت أنا تصديراً ثانياً. كتب مجذوب فى إهدائه لمذكراته قائلاً:

إلى الشعب السودانى عامة - نساءً ورجالاً.. وإلى جيل أبنائنا وبناتنا منه

(1) سمية محمود محمد طه، مرجع سابق، ص الإهداء.

(2) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، القاهرة، الشركة العالمية للطباعة والنشر 2012، ص الإهداء.

(3) مجذوب محمد مجذوب، بعض **أوراق جمهورى، السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى**، دار رؤية للنشر، القاهرة، (تحت الطبع).

بصورة خاصة.. وإلى جيل الحفيدات والأحفاد بصورة أخص.. حملة المشعل والمشغل، ... أمل الغد وبناة المجد.. رجاء أن يكونوا على قدر المسئولية.. بأن يكونوا جمهوريين، فمن لم يستطع، فلا أقل من أن يبقى على سودانيته.. فإن لكم فى الحالين معزة ومفخرة ..غير أن التشابى للتسامى أعز وأفخر.. فالفكرة الجمهورية هى منكم ولكم.. سودانية 100% ... أدام الله على السودان والسودانيين عادته فى الحفظ.. ودمتم والله معكم ولن يَترِكم أعمالكم..

الشاهد أن هذه بعض الإهداءات وهناك كثيرون مِنْ مَنْ أهدوا كتبهم للأستاذ محمود، ولكن يصعب استعراض كل ذلك الكم. لقد سكب المثقفون ذواتهم فى إهداءاتهم، فكانت الإهداءات كلها تعبيراً عن الاحترام والحب للأستاذ محمود، والإجلال والإكبار لمواقفه، وبعض الإهداءات كانت اعتذاراً وتعبيراً عن الأسف والتبرؤ.

الشاعر يخلد البطل المهمش عند المؤرخ

إن الأوضاع التاريخية تُسلِّم نفسها بطريقة أفضل، من خلال عمل أدبى مهم[1].

ريجيس دوبريه

لقد بكى الكثير من مثقفى السودان ورثوا بشعرهم الأستاذ محمود بعد وقفته على منصة المشنقة. كانت قصائدهم تعبيراً عن المناصرة والاعتداد بالأستاذ محمود وبموقفه. كما حكت قصائدهم بأن لدى شعوب السودان فى صمود الأستاذ محمود على المشنقة نسباً وحسباً. قدمت قصائد شعراء السودان فى رثاء الأستاذ محمود وفى إحياء ذكراه فى شهر يناير من كل عام، وستظل تقدم شهادة تاريخية ناصعة ووثائق إنسانية ساطعة أمام فعل المؤرخ. كان الشعراء يؤرخون للذات السودانية عبر تحرير البطل من سجن المؤرخ. كان الشاعر محرراً وكان المؤرخ سجاناً. الشاهد أن الشعراء الذين رثوا الأستاذ محمود كان عددهم كبيراً ويصعب تناولهم جميعهم، ولكن يمكن للقارئ أن يطلع على قصائدهم

---

(1) ريجيس دوبريه، "حوار مع ريجيس دوبريه"، أجرى الحوار محمد برادة، **مجلة الدوحة**، مجلة ثقافية شهرية، العدد 19، مايو 2009، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ص 54.

فهى مثبتة فى موقع الفكرة الجمهورية على شبكة الإنترنت[1]، إلى جانب كتب الشعراء أنفسهم ومنشوراتهم. إن الشعر (كما كتب محمد المهدي المجذوب، وورد آنفاً) قاض وشاهد، وكما ورد كذلك فى قول ريجيس دوبريه أعلاه أن الأوضاع التاريخية تُسلِّم نفسها بطريقة أفضل، من خلال عمل أدبى مهم. كتب المجذوب قائلاً:

وأكتبُ شِعراً ليْسَ للشعرِ غايةٌ   سِوَى أنّهُ قَاضٍ عريقٌ وشَاهِدُ

فى يقينى، أن موقف صمود الأستاذ محمود على منصة المشنقة ليس هو تنفيذاً لحكم إعدام نقرؤه فى حدود الشجاعة والفراسة والثبات على المبدأ فحسب؛ وإنما هو لوحة وآبدة من أوابد الدهور ستظل رمزاً للكرامة والعزة والكبرياء تنتهى عندها أنساب الأحرار والشرفاء وأعراقهم، وهنا معنىً أرحب وأكبر ومفهوم جديد للنسب والعرق.

الفنان يخلد البطل المهمش عند المؤرخ
المسرح واللحن والكاركاتير

أنا بعتبر الأستاذ محمود محمد طه أبوى الروحى، أنا الوحيد الكنت بشترى كتبو فى دار الفنانين[2].

الفنان محمد عثمان وردى (1932-2012)، نقلاً عن عبدالله عثمان

لقد قام الفنان بما عجز عنه المؤرخ، ففى الوقت الذى ظل فيه المؤرخ متجاهلاً للأستاذ محمود، وهو فى حالة تماهى مع الفقيه وسير مع القطيع وخشية من سلطة المجتمع، كما سيأتى تبيين ذلك لاحقاً، كان الفنان يسعى لتخليد الأستاذ محمود. يقول معاوية محمد نور(1909-1941): "الفنان المجيد خادم الحكمة الإلهية ومستودع الشعلة الخالدة"[3]. فالفنان هو

---

(1) يمكن الوقوف على الشعراء وقصائدهم التى كتبوها فى تمجيد مواقف الأستاذ محمود، فى **موقع الفكرة الجمهورية** على شبكة الإنترنت: http://www.alfikra.org

(2) عبدالله عثمان، "الأستاذ محمود محمد طه: الىٰ سبانا الشريف: سيروا الى الله عرج ومكاسير"، مرجع سابق.

(3) معاوية محمد نور، **الأعمال الأدبية لمعاوية محمد نور: دراسات فى الأدب والنقد وقصص وخواطر**، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الخرطوم، 1994، ص 40.

الذى يجب أن يكون خارجاً عن التشابه، وهو الذى يبعث بالأسئلة من أجل التغيير والتحرير، يقول الشاعر محمد المهدى المجذوب (1918-1982): "الإنسان المسؤول لا تنفعه المواعظ وإنما يبعثه الفن على التساؤل"[1]. لهذا فمن المتوقع أن يكون الفنان حليفاً للأستاذ محمود فى السعى والمواجهة من أجل الحرية وكرامة الإنسان وأنسنة الحياة وتحريرها من القديم والجهل. لا غرابة فى هذا التحالف، إذ إن للأستاذ محمود رأياً كبيراً بشأن الفن، يقول الأستاذ محمود:

إن الفن هو وسيلة التعبير عن ملكة التعبير... إن ملكة التعبير إنما هى الحياة.. والحياة تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة، فى مستويات مختلفة... فهى تعبر عن نفسها بالحركة، وتعبر عن نفسها بالغذاء، وتعبر عن نفسها بالتناسل، كما تعبر عن نفسها بالشعر، وبالنثر، وبالغناء، وبالرقص، وبالنحت، وبالرسم، وبالتصوير، وبالتمثيل، وبالموسيقى، وبغيرها من ضروب الطاقة الفكرية، والجسدية، التى تفيض وتنبجس" [2].

وعن الفن والتعبير عن القيمة الحياتية يقول الأستاذ محمود: "إننا لا نسمى أساليب الحياة، فى التعبير عن نفسها، فناً، بالمعنى المخصص لهذه الكلمة، إلا إذا ما دخلت هذه الأساليب على مستوى التعبير عن القيمة -القيمة فى الحياة- **وأعلى قيم الحياة الحرية**"[3]. وعن دور الطاقة العقلية فى إدخال القيمة فى الحياة، يقول الأستاذ محمود: "هناك الطاقة الحياتية، وهناك الطاقة العقلية، وإنما بالطاقة العقلية دخلت القيمة فى الحياة.. فالفن إنما هو تعبير الطاقة الحياتية عن نفسها من خلال مصافى العقول المرتاضة، الصافية، القوية الإدراك"[4]. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "الفن هو التعبير عن حياة الفكر وحياة الشعور، فى آن معاً.. والطاقة الحياتية إنما هى أصل الحياة، فى سذاجة، وبساطة، وهى لا تفلسف، ولا تتأنق، ولا تحتفل، حين تعبر عن نفسها"[5].

---

(1) حوار مع محمد المهدى المجذوب، **كتابات سودانية**، العدد 30، مركز الدراسات السودانية، ديسمبر 2004، الخرطوم، ص 158.

(2) محمود محمد طه، **الإسلام والفنون**، أمدرمان، 1974، ص 2-3.

(3) المصدر السابق، ص 2-3.

(4) المصدر السابق، ص 2-3.

(5) المصدر السابق، ص 2-3.

المســرح

حينما كتبت مسرحية محمود، كنت فقط أود أن أقول إن حياة محمود يلزم أن تبقى أبد الدهر مثلما يلزم أن يموت القتلة كل يوم[1].

عثمان جعفر النصيرى[2]

كتب عثمان جعفر النصيرى مسرحية بعنوان: **محمود**. لم يكن النصيرى، كما أفاد، يحلم بأن يتم عرض المسرحية فى لندن، يقول النصيرى: "عندما كتبت مسرحية **محمود** ما كنت أحلم بإمكانية عرضها فى لندن. لقد كنت أرمى الى تقديمها كقراءة شعرية فقط"[3]. غير أن المسرحية عرضت فى لندن، وكان العرض بإشراف عثمان النصيرى وبإخراجه فى يوم الجمعة 18 يناير 2002، إذ قدمتها جماعة السودان لفنون الأداء Sudan Performance Art Group فى عرض مسرحى بقاعة (فينشر سنترVenture Centre)، بوورنينغتون رود Wornington Road بمنطقة لادبروك غروف غرب لندن، فى ذكرى مقتل الأستاذ محمود محمد طه[4]، (وهى الذكرى السابعة عشرة). يضيف النصيرى قائلاً: "لو كنت أعتقد

(1) مقابلة مع عثمان جعفر النصيرى، كانت أكثر من مقابلة بالهاتف وتبعتها مراسلات بالبريد الإليكترونى، المؤلف فى الدوحة والنصيرى فى لندن، كانت المقابلات فى يومى 25 أبريل و 29 مايو 2012، وكانت المراسلات فى أيام: 25 أبريل، و29 مايو، و 12 أغسطس، و25 أغسطس و5 سبتمبر.

(2) عثمان جعفر النصيرى، هو كاتب ومخرج مسرحى سودانى. كتب المسرحيات باللغتين العربية والإنجليزية. كتب النصيرى وأخرج العديد من الأعمال المسرحية، كما نشر كتاب بعنوان: **المسرح فى السودان 1905-1915**، إلى جانب أعمال مختلفة فى الترجمة فى محيط اللغتين العربية والإنجليزية. غادر النصيرى السودان عام 1972 واستقر فى بريطانيا. من المهم الإشارة إلى أن النصيرى كان عضواً فى **تجمع الكُتّاب والفنانين التقدميين** "أبادماك"، وهو التجمع الذى أصدر فى أول اجتماع له فى يوم 1969/1/10، بياناً استنكر محكمة الردة الأولى التى حكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام فى يوم 18 نوفمبر عام 1968، كما أدان البيان وقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود أمام القضاء الشرعى. حدثنى عصام عبدالرحمن البوشى قائلاً: إن عثمان النصيرى كان أمامنا فى الدراسة بعام، وكان النصيرى كالنحلة لا يعرف غير العمل الدؤوب، كان لا ينام وهو المطارد والملاحق باستمرار، كان يشبه الأخ جمعة حسن محمد، الذى كان يعمل كالنحلة أيضاً فى الفكرة الجمهورية وبين الإخوان الجمهوريين. الشاهد أن جمعة حسن محمد، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، والذى أشار إليه البوشى كان فى بادئ أمره أيضاً شيوعياً، قال عنه يونس الدسوقى، وهو من قادة الحزب الشيوعى السودانى بمدينة كوستى، قال عن جمعة: "كان طاقة عجيبة، يمكن يساوى عشرة من زملاهو"، وسأورد قول الدسوقى مفصلاً لاحقاً.

(3) مقابلة مع عثمان جعفر النصيرى، مصدر سابق.

(4) "محمود: مسرحية سودانية فى لندن"، **جريدة الشرق الأوسط**، العدد: 8453، بتاريخ 19 يناير 2002.

بإمكانية عرض **محمود** كمسرحية فى لندن لكنت كتبتها بالاعتماد على عدد أقل من الممثلين توفيراً لجهدهم. كنت أتطلع إلى قراءة مسرحية لا أكثر، بيد أن صبر المجموعة وهمتها العالية دفعا بهذا العرض الطموح إلى الخشبة"[1]. اشترك فى التمثيل كل من: سلمى بابكر الريح فى دورالمنادية، وعزالدين طه فى دور الأمين داؤود وفى دور حسن حامد أيضاً، ومحمد المهدى عبدالوهاب فى دور المكاشفى طه الكباشى، وإسماعيل التاج فى دور ثلاثة أشخاص هم: توفيق أحمد صديق، وحسن إبراهيم المهلاوى، وعبدالجبار المبارك. كما قام محمد عثمان عبدالحميد بدور شخصيتين هما: محمد سالم بعشر وتاج الدين عبدالرازق، وقدم معتز أحمد الفكى دور خالد بابكر حمزة، وسيف الدين محمد عبدالرحيم فى دور محجوب حاج نور، وعاصم نورين فى دور عبداللطيف عمر حسب الله. وتكونت الجوقة من: عاصم نورين قائد الجوقة، وانشراح أحمد، ومواهب ميرغنى، وعادل محمد طه، ومعتز أحمد الفكى، وسيف الدين محمد عبدالرحيم، وعزالدين طه، وإسماعيل التاج، ومحمد عثمان عبدالحميد، ومحمد المهدى عبدالوهاب. وقدمت السيدة نبيلة أديب عبدالله إسهامات فى سبيل إعداد العرض[2]. وقام بالتصوير والإخراج التلفزيونى الفنان التشكيلى سامى الملك. خصصت مجموعة اداء النصيرى عائدات المسرحية والتى بلغت ألف وسبعمائة وسبعة وتسعين جنيهاً ونصف جنيه إسترلينى (1797.50) لدعم مشروع يتصل بتأهيل أطفال الشوارع، وقد تم ذلك عبر مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى بأمدرمان[3].

لقد كتب عثمان النصيرى مسرحية محمود وهو لم يلتق الأستاذ محمود. يقول النصيرى: "لم التق محمود قط"[4]. بيد أن هناك ثلاثة أمور فى تقديرى قد دفعت بنص مسرحية **محمود** إلى حيز الوجود. الأمر الأول يتصل بما ترسب عن الأستاذ محمود فى ذاكرة النصيرى منذ طفولته فى مدينة رفاعة بوسط السودان، وقد استرجع النصيرى ذلك قائلاً: "لقد كان لى وعي وأنا فى مدرسة المسرح اللندنية قبل نحو أربعين عاماً بكتابة شئ

(1) ورد ذلك فى المطوية (البروشور) التعريفية بالمسرحية.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.
(4) المصدر السابق.

عن طفولتى فى محاولة لقراءة عالم المسرحيات التى ندرسها بعيون الطفولة ومفرداتها.من ذلك أن عدت بالذاكرة الى حادثة قلت أنها وقعت فى بلدتى رفاعة. لا أحسب أن تلك كانت ذاكرة زائفة متوهمة". ثم يصور النصيرى المشهد قائلاً:

المكان ساحة المولد. هناك لمة من الناس لم أعد أذكر أن كان فيهم أحد الأهل أو المعارف. كل ما أذكره هو أننى جريت من ساحة المولد وقابلت امرأة لا أدرى من هدانى إلى أنها ذات صلة بالأمر ولا أذكر إن كنت اعرفها شخصياً أم لا. قلت لها: ولدك البدرى كتلوه [قتلوه]. البدرى هو مساعد سائق السيارة الذى أصيب خلال هبة أهالى رفاعة (ثورة رفاعة / 1946 الخفاض الفرعونى، خصص هذا الكتاب فصلاً عنها) ولم يقتله أحد وقتها- أحسب أنه أصيب فى رجله. ظلت تلك الحادثة فى ذاكرتى وهى كل ما ترسب فى ما له صلة بالأستاذ محمود فى فترة الطفولة[1].

الأمر الثانى وقد لخصه النصيرى قائلاً:"إننى ظللت أحمل فى صباى وفى شبابى وداً واحتراماً عظيمين لشباب الجمهوريين من بين أصدقائى فى رفاعة.كان يأخذنى صدقهم واستقامتهم ونكران ذاتهم واعتبرهم بمثابة أبناء العم لنا كشيوعيين"[2]. أما الأمر الثالث فهو فى تقديرى، أن مسرحية **محمود** موقف أخلاقى. إن مسرحية **محمود** تكتسب قيمتها وأهميتها ليس من كونها العمل المسرحى الوحيد الذى تناول الأستاذ محمود ووثق فنياً لمحاكمته وتنفيذ حكم الإعدام عليه فحسب؛ وإنما لأنها من الأعمال الفنية ذات الهوية الأخلاقية، وما من كلمة أو عمل أو موقف ذو هوية أخلاقية إلا وبُعث بأنصع مما انطوى عليه من دلالات ومضامين، وسيظل بعثه مستمراً عبر الزمان كلما تمدد الوعى بما يخدم الحرية وتسييل الأفكار ونمو الحس العدلى فى داخل الإنسان.

---

(1) مقابلة مع عثمان جعفر النصيرى، مصدر سابق.
(2) المصدر السابق.

الألحـــان

أنا أعلنت مراراً رأيى

أن "قوانين سبتمبر" ترجع بالإسلام دهور

أعلنت مراراً

أن بضاعتكم شوّهت الإسلام وسوف تبور

هذا من حيث التنظير

أما من حيث التطبيق

فإن الطوق اليوم يضيق

وإن الفتنة سوف تفيق

وإن دماراً سوف يحيق(1)

معتصم سيد أحمد القاضى

قام طارق الأمين بتلحين نص كلمة الأستاذ محمود أمام المحكمة يوم الاثنين 17 يناير 1985، التى حكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، وتبع ذلك تنفيذ حكم الاعدام عليه يوم 18 يناير. ظلت كلمة الأستاذ محمود هذه بما حملته من قوة ورصانة تُبعث على الدوام وفى مستويات مختلفة، تبعث فى دوائر القانونيين، ولدى الدارسين للفكر الإسلامى وعند الباحثين فى حقوق الإنسان... إلخ. ثم جاء لحن طارق، وما لبث أن شاع ذلك اللحن، كأنما الناس كانوا فى انتظاره، فأصبحت تلك الكلمة بذلك اللحن الاستهلال والمدخل لمعظم اللقاءات التى تأتى احتفاءً بالأستاذ محمود، خاصة ذكرى 18 يناير، فى مختلف أنحاء العالم وبأصوات عديدة لفئات عمرية مختلفة، مع تفاعل خاص للأطفال. لقد غدت كلمة الأستاذ محمود بما حملته من قوة ووضوح رؤية، من أشهر النصوص، ومن أكثر النصوص تأملاً فى قصة النص، كما غدت الكلمة موضعاً للشراكة الوجدانية بين الفئات العمرية المختلفة فى الأداء والاستماع. قال الأستاذ محمود فى كلمته تلك أمام المحكمة:

أنا أعلنت رأيى مراراً فى قوانين سبتمبر 83 من أنها مخالفة للشريعة، وللإسلام..

---

(1) معتصم سيد أحمد القاضى، "أعلنت مراراً"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، تحتوى القصيدة على عبارات مقتبسة من كلمة الأستاذ محمود محمد طه أمام محكمة المهلاوى.

أكثر من ذلك، فـانها شوهت الشريعة، وشوهت الإسـلام ونفرت عنه.. يضاف إلى ذلك، أنها وضـعت واستغلت لإرهاب الـشعب وسوقـه إلى الأستكانة عن طريق إذلاله.. ثم انهـا هددت وحدة البـلاد.. هذا من حـيث التنظير. وأمـا من حيث التطبـيق، فإن القـضاة الذين يتولون المحـاكمة تحـتها غـير مؤهـلين فنياً.. وضعـفوا أخلاقياً عن أن يمتنعوا عن أن يضـعوا أنفسـهم تحت سيطرة السلطة التنفيذية تستعملهم لإضـاعة الحقوق، وإذلال الشعـب، وإهانة الفكر والمفكرين، وإذلال المعارضين السـياسيين.. ومن أجل ذلك، فإنى غـير مستعـد للتعاون مع أى محكمة تنكرت لحـرمة القضاء المسـتقل، ورضيت أن تكون أداة من أدوات إذلال الشعـب، وإهانة الفكر الحر والتنكيل بالمعارضين السياسيين.

الكاركاتـير

لم يكن الكاركاتيـر بعيداً عن التـعبير، قـدحاً فى الفكرة، أو مدحاً فى مناصـرة ومؤازرة الأستاذ محمـود. فقد وقفت على عدد من الكاركاتيرات التى قام بنشـرها عز الدين عثمان، خاصة فى شهـر نوفمبر 1968 أيام محكمة الردة الأولى، وفى تواريخ غيرها. كـما نشر عمر دفع الله العديد من الكاركـاتيرات التى تعبـر عن التحالف والمناصرة للأسـتاذ محمـود. وقد اخترت واحداً من تلك الكاركاتيرات التى نشرها عمر دفع الله باعتباره تعبيراً عن شهادة فى حق الأستاذ محمود، وأوردته ضمن الفـصل الثانى عشر والذى جاء بعنوان: "شهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسامة على منصة الإعدام". هذه مجرد نماذج فقط، فهناك آخرون عبروا عن مواقفهم من المتخصصين فى الكاركاتير، غير عمر وعزالدين.

ترجمة كتب الأستاذ محمود

لقد استهل عصام عبدالرحمن أحمد البوشى[1] الترجمة لأعمال الأستاذ محمود باكراً،

---

(1) أيضاً استهل عصام عبدالرحمن البوشى كتابة الكتب باسم الإخوان الجمهوريين باللغة الإنجليزية، فقد كتب عصام فى عام 1972 كتاب بعنوان: An Introduction to the second Message of Islam . كانت بعض كتب الإخـوان الجمـهوريين تكتـب بواسطة لجان وبعـضهـا الآخـر يكتب من قبل أحـد تلاميـذ الأسـتاذ محـمـود، =

فقـد ترجم إلى الإنجليزية كـتاب: **الإسلام** (مع آخرين) **ورسالة الصـلاة وطريق محـمد والثورة الثقافية** وخطاب التعليم. والآن عادت التـرجمة لأعمال الأستاذ مـحمود من اللغة العـربية إلى اللـغات الأخـرى، وعلى الرغم من أن التـرجمـة لا تزال فى بدايتـها إلا أنهـا أتاحت الفرصة لبـعض الدوائر الأكاديمية الناطقـة بغير اللغة العربيـة بالاطلاع على أعمال الأستاذ محمود، الأمر الذى وسع من الحوار والاهتمام بشـأن مشروع الأستاذ محمود.فقد قام عبدالله أحمد النعيم بجهود كبيرة فى الترجمة منها، ترجمته لكتاب: **الرسالة الثانية من الإسلام**[1]، إلى اللغة الإنجـليزية[2]، وجاء بعنوان *The Second Message of Islam* كمـا كتب النعـيم مقدمة وافـية صدر بهـا الكتاب. قام كذلـك محمد البـارودى وكارولين باى بترجمـة نفـس الكتاب فى 2002 مـن اللغة العـربية إلى اللغة الفـرنسـية وجـاء بعنوان:[3] *Un Islam à vocation libératrice* . وكتـب سمير أمين مقدمة للنسخة المترجمة وصدرت النسخة بـاللغة الفرنسيـة من دار لارماتان للنشر، باريس.قامت نجـاة محمد على، بتـرجمة

= وفى كل الأحوال كان نشـرها يتم بعد مراجعة الأستـاذ محمود. فهناك كتب عـديدة صدرت باسم الإخوان الجمهوريين وكان قد كتـبها أحد تلاميذ الأستاذ محمود أو إحدى تلميـذاته. حدثنى عصام قائلاً: "فى مرة قال لى الاستاذ محمود: لو استقبلـت من أمرى ما استدبرت لكتبت اسم كل أخ أو أخت على غلاف الكتاب الذى ألفه". كذلك كـان عصام قد قام بصيـاغة كتاب: **خطوة نحو الزواج فى الإسلام**، ط1، أمدرمان، يناير 1971، وقد كتب الأستـاذ محمود الإهداء. المصدر: مقابلة مع عـصام عبدالرحمن البوشى، تمت المقـابلة عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة وعصام بمدينة مدنى، السودان، 24 مايو 2013، الساعة 14:30.

(1) أفادتنى سمـية أمين صديق بأن أول من قـام بترجمة كـتاب الأستاذ مـحمود: **الرسالة الثـانية من الإسلام**، هو الأستاذ الدرديرى عثـمان الصايم (1912/11-1980). وأضافت سـمية قائلة: "وقـد أعجب الأستاذ مـحمود بترجمة الدرديـرى وأشاد بها. لقد كان الدرديرى زميلاً لـلأستاذ محمود ولوالدى أمين صـديق بكلية غردون، وقد تخصص فى اللغة الإنجليزية وعمل مدرساً بوادى سيـدنا الثانوية وقبلها بدار النشر بوزارة التربية والتعليم. فالدرديرى من أسرتنا ووالدى عمه، كما كان صديقاً محـبوباً للأستاذ محمود، أذكر حينما توفى الدرديرى عام 1980، كنت بغرفة الأسـتاذ محمـود، فجاء شقيـقى محمد وأبلغ الأستـاذ محمود بخبر وفاة الدرديرى والتى كانت قـبل ثلاثة أيام، فلام الأستاذ مـحمود، شقـيقى محمـد وقال له: "كان تبلغنا لنحضـر، إنت مش عارف الدرديرى عزيز لدينا؟" الشاهد أن ترجمة الدرديرى لكتاب: **الرسالة الثانية من الإسلام**، والتى وجدت خبرها عند سمية أمين صديق، طُبعت منها نسخ قليلة ومحدودة، كما أبلغتنى سمية، بيد أنى لم أعثر على نسخة منها. (**المصدر** سمية أمين صديق، مقابلة عبر المراسلات بالبريد الإلكترونى، خلال الفترة 4-8 مايو 2013).

(2) Mahmoud Mohamed Taha. *The Second Message of Islam*, Translated by Abdullahi Ahmed An-na-im(into English with Introduction). Syracuse NY: Syracuse University Press, 1987.

(3) نجاة محمد على، "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب **الرسالة الثانية**"، مرجع سابق.

تقديم سمير أمين من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، كما ورد آنفاً. هذه مجرد إشارات مختصرة ولكن جهود الترجمة لكتابات الأستاذ محمود فى توسع مع صباح كل يوم جديد.

مذكرات تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

كتب خمسة من تلاميذ الأستاذ محمود مذكراتهم. نشر ثلاثة منهم مذكراته وهم: إبراهيم يوسف فضل الله وعوض لطفى عبدالله، وبتول مختار محمد طه. كما دفع مجذوب محمد مجذوب بمذكراته للمطبعة، وهؤلاء من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود. أما بتول، فهى ابنة شقيق الأستاذ محمود وتلميذته، وقد ظلت أكثر الناس التصاقاً به. أيضاً، جمع حمد النيل عبدالله العركى ودوّن ما سمعه من أحاديث الأستاذ محمود فى مخطوطة. مثّل ما جمعه العركى من أحاديث وبما قدمه من شرح وتصوير للمناخ العام حول الحديث، مشروع مذكرات على نمط جديد فى التدوين وتسجيل المشاهدات وجمع الأحاديث وتوثيقها فى السودان وربما العالم، مع الاحتراز. إن المذكرات الخمس قدمت شهادات قوية فى حق الأستاذ محمود وحول مشروعه وعن طبيعة مساجلاته وعن تاريخ الحركة الجمهورية وتطورها. كان كُتابها الخمسة من الملازمين للأستاذ محمود ومن الشاهدين والمعاصرين للأحداث والمشاركين فى صنعها، ولهذا فإن مذكراتهم ذات قيمة تاريخية عالية فهى تمثل أول مصدر تاريخى وصلنا من تلاميذ الأستاذ محمود، يحمل تجربة كل منهم الذاتية. ولهذا فإنى أستميح القارى الكريم عذراً فى أن أقدم له لمحةً مختصرة عن كل منها، باعتبارها أول مذكرات تصدر من تلاميذ الأستاذ محمود، وباعتبار أن ما حوته من معلومات وأحداث تتيح الفرصة للمقارنة بتقديم قرائن جديدة لمقارنتها مع ما هو متوفر لدينا من معلومات حول الأحداث والوقائع التاريخية. سأستعرض باختصار كل مذكرة من المذكرات الخمس، مرتبة وفقاً لتاريخ الصدور.

مذكرات عوض لطفى عبدالله

نشر عوض لطفى كتاباً بعنوان: **زمان الوصل: محطات وسندات**[1]، تضمن الكتاب،

---

(1) عوض لطفى عبدالله، **زمان الوصل: محطات وسندات**، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2011.

كما أشار مؤلفه، بعض ما يذكره من ذكرياته. ففى الأصل، كانت نواة الكتاب محاضرة قدمها عوض فى مدينة أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، يوم 28 يونيو 2002، استجابة لدعوة الجمعية السودانية لخدمات المجتمع بالمدينة. أعجب بعض الحضور بالمحاضرة، فطلبوا منه الموافقة على تسجيل تاريخ حياته منذ ميلاده عام 1920[1] وحتى تاريخ مجيئه لأمريكا. وافق عوض لطفى، فتم التسجيل، ثم تم تفريغ المادة وإعدادها للنشر، وصدر الكتاب. تهيكل الكتاب فى مقدمة وأربعة أبواب، إلى جانب فصل فى آخرها بعنوان: "شخصيات يجب معرفتها". يقع الكتاب فى 134 صفحة من القطع المتوسط. أشار عوض لطفى إلى الأستاذ محمود خاصة فى الباب الثالث، وقدم معلومات عن النضال الوطنى للأستاذ محمود فى النصف الثانى من أربعينيات القرن الماضى. تحدث عوض حديثاً مهماً عن ثورة رفاعة.

تعود أهمية مذكرات عوض لطفى إلى أنه شاهد عيان، عايش الأحداث بل شارك فى بعضها، خاصة ثورة رفاعة، إذ كان عمره وقتئذ ستة وعشرين عاماً، وكذلك عايش خروج الأستاذ محمود من اعتكافه بمدينة رفاعة ورافقه فى أول جولة له خارجها. هنا ربما كان عوض لطفى هو المصدر الوحيد الذى على قيد الحياة مِنْ مَنْ عايش ثورة رفاعة وخروج الأستاذ محمود من اعتكافه. قدم لنا عوض معلومات نادرة وفى غاية الأهمية. إن صلة عوض لطفى بالأستاذ محمود، صلة كبيرة وباكرة، فهو شقيق "أمنا" آمنة زوجة الأستاذ محمود، كما أنه من تلاميذه الأبكار. فقد رافق عوض لطفى الأستاذ محمود وزوجته آمنة لطفى، فى أول جولة بعد خروج الأستاذ محمود من اعتكافه بمدينة رفاعة فى أكتوبر عام 1951. فعندما أراد الأستاذ محمود أن يخرج من خلوته أخبر شيخ لطفى، الذى بدوره أرسل فى طلب ابنه عوض، الذى كان يعمل بمصلحة الغابات بالدندر، وطلب منه الحضور فوراً إلى مدينة رفاعة، لمرافقة الأستاذ محمود وشقيقته آمنة زوجة الأستاذ محمود فى جولة لبعض المدن. حضر عوض لطفى ورافق الأستاذ محمود وشقيقته آمنة، زوجة الأستاذ محمود فى جولة انطلقت من مدينة رفاعة، وبدأت بمدينة أمدرمان ثم مدينة عطبرة،

---

(1) مقابلة مع عوض لطفى عبدالله، بالهاتف، هو فى مدينة الفتيحاب، أمدرمان، والمؤلف بمدينة الدوحة، قطر، بتاريخ 2011/10/4.

وبورتوسودان وكسلا والقضارف. كان الأستاذ محمود كلما وصل إلى مدينة أقام المحاضرات وحدث الناس فى شؤون السودان والإسلام. ومن مدينة القضارف رجع عوض إلى رفاعة، وواصل الأستاذ محمود جولته بمعية زوجته إلى مدينتى كوستى والأبيض[1].

مذكرات إبراهيم يوسف فضل الله

فرغ إبراهيم يوسف فضل الله من كتابة مذكراته عام 2008، ونشرها عام 2011 فى كتاب وسمه بـ: **ذكريات جمهورى**[2]. تكمن أهمية مذكرات إبراهيم فى أن كاتبها ظل منذ أن التقى الأستاذ محمود بمكتبه بعمارة أبنعوف بوسط الخرطوم عام 1954، ملازماً له ومؤمناً بأفكاره حتى تاريخ هذا اليوم[3]. وكما يفهم من عنوان الكتاب فإن إبراهيم يوسف جعل موضوع الكتاب ومحوره هو الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية والتتلمذ على الأستاذ محمود، ولم يخرج عن هذا إلا فى صفحة ونصف تحدث فيها بإيجاز شديد عن نشأته.يقع الكتاب فى 213 صفحة من القطع المتوسط، تحدث إبراهيم فيها تحت أربعة وتسعين عنواناً بالإضافة إلى الإهداء ومقدمة وخاتمة.

قدم إبراهيم فى مذكراته شهادات ناصعة وكشف عن أحداث ووثق لوقائع كبيرة ومهمة. تحدث عن مقابلته للجمهوريين وعن أول لقاء جمعه بالأستاذ محمود وفصَّل فى ما دار فى ذلك اللقاء من تساؤلات وإجابات من الأستاذ محمود. وثَّق الكثير من الوقائع والأحداث منها: فصله مع اثنين من زملائه الجمهوريين[4] من المعهد العلمى عام 1960، وتناول أسباب الفصل وما تبعه من نتائج. أشار إبراهيم من خلال الأحداث إلى علاقة الأستاذ محمود بمدينة الأبيض، ومدينة رفاعة ومدنى وعطبرة وكوستى وتندلتى. تناول منهج الأستاذ محمود فى المواجهة، وتحدث عن موقف الأستاذ محمود من الطائفية والصوفية، والشيوعية والوهابية والقوى السلفية، وفصَّل فى موضوع الأستاذ محمود

(1) المصدر السابق.

(2) إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، مصدر سابق.

(3) مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، مدينة الدوحة، دولة قطر، فى يوم 2011/8/31، الساعة 22:00.

(4) الذين فصلوا هم ثلاثة من تلاميذ الأستاذ محمود: محمد خير على محيسى، وإبراهيم يوسف فضل الله، وأحمد عبدالرحمن العجب.

وثورة أكتوبر. تحدث عن استهداف **الحزب الجمهورى**، وبيّن موقف الأستاذ محمود من مشكلة الشرق الأوسط والاعتراف بإسرائيل. تناول معارضة الأستاذ محمود للدستور الإسلامى المزيف فى نهاية ستينيات القرن الماضى، وتحدث عن محكمة الردة عام 1968 وموقف المثقفين من المحاكمة وتجريم الفكر. تحدث عن لوثة سبتمبر 1983، وتناول بيان "هذا... أو الطوفان!!" الذى أصدره الأستاذ محمود، وما تبعه من نتائج واعتقالات. تحدث إبراهيم عن حديث الفداء وقدم لمحات من حياة الأستاذ محمود، ثم تحدث عن اعتقال الوداع، وليلة وضحى تنفيذ الإعدام. وقف عند حكم المحكمة العليا الدستورية ببطلان الحكم على الأستاذ محمود والجمهوريين. كما صوّر للقراء ابتسامة فرح الأستاذ محمود بالله يوم التنفيذ، وحكى لهم عن ذلك المشهد تحت عنوان: "تعلموا كيف تموتون". تعرّض إبراهيم لاستتابة الجمهوريين وصدى تنفيذ الاغتيال. ثم ختم مذكراته ببعض الوثائق وخاتمة.

مذكرات بتول مختار محمد طه

نشرت بتول مختار محمد طه كتاباً بعنوان: **محمود الإنسان (قراءة الأيام)**، ووسمته فى مقدمتها بأنه عبارة عن مذكرات. وأوضحت بأنها لا تدعى كثير معرفة بحياة الأستاذ محمود، وإنما كتبت مذكراتها عن القدر الذى عايشته وعرفته جيداً. كتبت بتول قائلة:

للأستاذ محمود حياة واسعة مليئة بالفكر والحيوية والعمل الدؤوب.. ولهذه الحياة أيضاً خاصيتها وأسرارها، وهذا ما لا أدعى فيه كثير معرفة... أنا لا أدعى فهماً شاملاً لحياته، كما أنى لا أحصيها فى هذه الصفحات وإنما أكتب مذكرات عن القدر الذى عايشته وعرفته جيداً وذلك بإلقاء الضوء على الأحداث حسب ترتيبها الزمنى.. [1]

ظلت بتول، ولا تزال، مؤمنة بأفكار الأستاذ محمود، فهى تقول: "فقد صدقته بإيمان فى كل أفكاره وأقواله وأعماله، فهو نافذتى على عالم "اللامحدود" وقد وضعنى على قمة قيادة الأخوات الجمهوريات..."[2]. وعن أسباب عزمها الكتابة عن الأستاذ محمود، أوضحت بتول قائلة: "عزمى على الكتابة عنه يرجع لأسباب عدة أولها أنى قد أخذت بتلك الحياة الخصبة

---

(1) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص13.

(2) المصدر السابق، ص 14.

الخلاقة العامرة بالمحبة لله وللناس.. ثانياً أريد لحياته أن تُسجل وتُحفظ بنقائها وطُهرها فهى نموذج أصيل للرجال والنساء الأحرار..."[1]. كانت بتول، كما حكت فى المقدمة، قد بدأت الكتابة فى مذكراتها **بجامعة درم** ببريطانيا عام 1991، حينما قدمت إليها فى منحة عن طريق جامعة الخرطوم، لمتابعة بحثها فى رسالة الدكتوراة. أنهت بتول عملها فى رسالة الدكتوراة، ثم شرعت فيما تبقى لها من وقت فى كتابة مذكراتها، بعد أن أبدت الجامعة موافقتها على ذلك. أنجزت بتول بعضاً من مذكراتها هناك، وأكملت بعضها الآخر فى السودان، ثم دفعت بها إلى المطبعة لتصل إلينا عام 2013/2012 فى 436 صفحة من القطع المتوسط.

تهيكلت مذكرات بتول فى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة للمصادر والمراجع. غطى الفصل الأول تاريخ الأسرة (640-1910) ونهج حياتها، وعمل والدهم محمد طه، وتقييم الأستاذ محمود لحياته الباكرة، والمراحل الدراسية وبداية الحياة العلمية. أما الفصل الثانى فتتبع نشأة **الحزب الجمهورى** ومواجهة الاستعمار وفترتى السجن، وفترة الاعتكاف برفاعة، ولجنة الدستور القومية، والعمل فى المشاريع الزراعية، وفترة الحكم العسكرى الأول وثورة أكتوبر، ورعاية الأسرة، واستمرار الحركة والوفود، والرحيل إلى مدينة الثورة بأمدرمان 1964. تناول الفصل الثالث ثورة أكتوبر ودور الأستاذ محمود فيها، وبداية المرحلة الجديدة من التأليف، وفتنة معهد المعلمين وحل **الحزب الشيوعى**، وزيارة الأستاذ محمود لأضرحة الأولياء، وإقامة دار **الحزب الجمهورى بأمدرمان** حى الموردة، ثم تناول الفصل الأطروحات التى قدمها الأستاذ محمود باعتبارها ليست أصلاً فى الإسلام وهى: الجهاد والرق والرأسمالية وعدم المساواة بين الرجال والنساء، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه، وتعدد الزوجات، والطلاق. ثم تناول الفصل دور الأستاذ محمود فى السياسة العربية والعالمية، والتفرغ وتصعيد العمل الفكرى. ووقف الفصل الرابع على محكمة الردة 1968، والطواف والوفود الكبيرة إلى الأقاليم، والاعتداء على الأستاذ محمود بمدينة الأبيض، وزيارة أبو حراز ومواقع السادة العركيين ومناطق أخرى، وتدهور صحة مربيته ربى جود فى عام 1973، والدعوة للثورة الثقافية وأهدافها، وقضية بورتسودان ومواجهة القضاء الشرعى 1974، وحريق معرض الفكر الجمهورى بمدينة ود مدنى،

(1) المصدر السابق، ص 14.

ومحاصرة النشاط الجمهورى وتحول الندوات إلى المنازل، ومواجهة المعارضة فى مدينة كوستى 1975، ومؤتمر فتح العاصمة 1976، والاعتقال بسبب الوهابية 1967، وتبسيط الدعوة، وقضية الأستاذ محمود ضد الشيخ الأمين داؤد، ومراجعة منازل الإخوان الجمهوريين. أما الفصل الخامس فقد تمحور حول الأخوات الجمهوريات ونشر الفكر الجمهورى، ووضع المرأة فى الشرق الأوسط، ومجتمع الأخوات الجمهوريات، والاختلاط داخل المجتمع الجمهورى، والعقبات التى كانت تواجه قيام مجتمع للنساء الجمهوريات. أما الفصل السادس فقد ركَّز على طابع حياة الأستاذ محمود وبرنامجه اليومى، والأطفال فى عالمه، ومواقيت نومه، ولبسه، وطابع حياته، وصيامه وقيامه، وطعامه والتزامه النباتية، والتسامح، والوفاء، وتأليف الكتب منذ نشأة الفكرة الجمهورية وحتى 1984، والجلسات الصباحية، والحوار داخل المجتمع الجمهورى، ووفاة مربيته. اشتمل الفصل السابع على الحديث عن قوانين سبتمبر 1983، وصلة الأستاذ بالمجتمع الجمهورى أثناء فترة الاعتقال، وإطلاق سراح الأخوات الجمهوريات، والمواضيع التى كان يتحدث عنها الأستاذ محمود وهو فى السجن 1984، والمؤامرة (الأيام الأخيرة 19 ديسمبر 1984- 18 يناير 1985)، وصدور المنشور "هذا... أو الطوفان!!"، واجتماع مساء الجمعة 1985/1/4، والاعتقال الثانى 1985/1/5، والأوضاع داخل الحراسة، وعصر الخميس 1985/1/17، وخلاصة حوادث الأيام الأخيرة، وردود الفعل العالمية بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ محمود.

الشاهد أن أهمية مذكرات بتول تكمن فى أمرين، الأول: أن بتول عاشت منذ طفولتها الباكرة لصيقة بالأستاذ محمود ومرافقة له طوال حياتها حتى يوم 17 يناير 1985، كتبت قائلة:

... أنا ابنة شقيقه الأصغر مختار محمد طه، وقد قام الأستاذ محمود بمهمة رعايتنا وتربيتنا وتعليمنا جميعاً أنا وإخوتى بعد وفاة والدنا مختار فى بداية الخمسينيات وقد كنا وقتها صغاراً دون مستوى المدارس.. كنت الخامسة بين تسعة أطفال ولكنى كنت دائماً قريبة منه منذ طفولتى فقد أحسست بغربته منذ وقت مبكر، فعشت لصيقة به ورافقته منذ طفولتى الباكرة طوال حياتى حتى يناير 1985 فهو والدى، وأستاذى، وصديقى، كان دائماً يقول لى: "أنا راضى

عنك تمام الرضا"[1].

روت بتول أن الأستاذ محمود حكى لهـا، وفى أوقات مختلفة وعلى مدى سنوات طوال، قصة حياة أسرته وطفولته. شكَّلت تلك الحكاوى مصدر المذكرات الأساس. تحدثت بتول عن مصادر معلوماتها وشرحت الكيفية التى نحتت بها وسم مذكراتها، كتبت بتول قائلة:

مصادرى للمعلومات للفترة من 1910 وما قبلها (تشمل حياة والديه) إلى 1960 هو ما كان يقصه علىّ، فقد كان فى مناسبـات مختلفة يحكى لى لمحات من حياة أسرته وفى إحدى زياراتى له فـى فترة اعـتقاله الأخـير 1984، وعلى مدى سـاعات طوال حكى لى قصـة حيـاة أسرته وطفولتـه بما أسماه (قـراءة الأيام) وإن كان قـد ذكر لى بعض جوانب منهـا، فى أوقات كثيرة متفرقة على مـدى سنوات طوال.. وستكون قراءة الأيام هذه هى مـركزية ما سأكـتب عن حياته والمصـدر الذى يلى ذلك، هو ما قـرأته من كـتـابات وأمـا الفـتـرة من 1960 وحـتى 17 يناير 1985 فـهى من إلمامى ومتابعتى الخاصة لأحداث تلك الفترة، ثم من أقواله المتواصلة لى ومن كتاباته أيضاً.

الأمر الثـانى الذى ترجع إليه أهمـية مذكـرات بتول هو أنها، مـن أوائل المذكرات التي تصل إلينا من المثقـفات السودانيات، على حـد علمى، وهذا فى حد ذاته أمر يحمل الـكثير من الدلالات والمضامـين. فقد درجت قلة من المثقـفين الرجال على كتابة مـذكراتهم، ولم تُقدِم أىٍّ مثقفة سودانية على كتابة مذكـراتها، حتى دشنت إحدى تلميذات الأستاذ محمود مجال كتابة مذكرات المثقفات السودانيات. وبهذا تكون مذكرات بتول أول مذكرات لمثقفة سودانية تستقبلها المكتبة السودانية، وتعتد كاتبتها فيها بالانتماء للأستاذ محمود وتحتفى به.

مذكرات مجذوب محمد مجذوب

أنجز مجذوب مـحمد مجذوب كتـابة مذكراته فى أبريل 2011، ووسمها بـ: **السودان: بلد وشـعب وفكرة، بعض أوراق جـمهـورى**[2]. ودفع بهـا إلى المطبـعة (فـهى الآن تحت

(1) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 13-14.

(2) مجذوب محمد مجذوب، **السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى**، مصدر سابق.

الطبع- 204 صفحات من حجم الـ A4).

تتسم تجربة مجذوب محمد مجذوب بالتفرد. فمنذ بداية الخمسينيات من القرن الماضى، أصبح مجذوب من اوائل المؤسسين، إن لم يكن أولهم، لتنظيم الإخوان المسلمين فى مدينة عطبرة والمناطق المجاورة. ظل مجذوب داعية من دعاة تنظيم الإخوان المسلمين حتى السادس من ديسمبر عام 1964. فى ذلك اليوم أصدر مجذوب منشوراً، أعلن فيه انتهاء انتمائه لتنظيم الإخوان المسلمين، والتحاقه بالأستاذ محمود وبالجمهوريين. بدأ مجذوب معارضاً للأستاذ محمود، وكان أول لقاء جمعه بالأستاذ محمود فى نهاية عام 1959 فى مكتبه بعمارة ابنعوف، وسط الخرطوم[1]. خرج مجذوب من ذلك اللقاء، وهو مصمم على أحد أمرين، إما أن ينضم الأستاذ محمود لحركة الإخوان المسلمين أو ينضم هو إلى الأستاذ محمود. تأثر مجذوب بهذا اللقاء على النحو الذى وصفه، كما كان متأثراً بعبارة سابقة قالها له محمد يوسف محمد (1932-2010)، وهو أحد مؤسسى حركة الإخوان المسلمين فى السودان. قال محمد يوسف لمجذوب، واصفاً الأستاذ محمود: "أنه أصلح من يقود الحركة الإسلامية لولا موضوعه فى الصلاة". ذهب مجذوب بعد ذلك اللقاء ولقاءات لاحقة مع الأستاذ محمود، إلى أبعد من المعارضة الشفوية، فقد أصدر مجذوب كتيباً بعنوان: **سويا إلى الله- مع محمود محمد طه**، طبع فى يونيو 1960. كان هدف مجذوب من إخراج ذلك الكتيب: **سويا إلى الله**، هو الإعلان عن موقفه المعارض، ودعوته للأستاذ محمود "لينضم إلى القطيع فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية...". الشاهد، أن إخراج ذلك الكتيب، بما حمله من معارضة، لم يكن سبباً فى نهاية العلاقة بالأستاذ محمود. فقد واصل مجذوب لقاءاته بالأستاذ محمود، يتفهمه على مكث وروية. حتى وصل لقناعة تامة بآراء الأستاذ محمود، وظل ملازماً للأستاذ محمود ومؤمناً بأفكاره حتى تاريخ هذا اليوم.

تهيكل كتاب مجذوب فى مقدمة وأربعة فصول، وملحق هو عبارة عن دراسة لواقع السودان السياسى، عنوانها: "الأزمة السودانية والمعادلة الصعبة - ما المخرج؟ - ما الحل؟"، هذا إلى جانب "تصدير أول" كتبه النور حمد، و"تصدير ثان" تشرفت بكتابته، كما ورد

(1) مقابلة مع مجذوب محمد مجذوب، الجنيد البيارة، ولاية الجزيرة، يوم 21 يوليو 2011، الساعة: 16:00.

آنفاً. تناول الفصل الأول: "قراءة الأيام"، ميلاده ونشأته وتعليمه وزواجه وأسرته. كما تحدث عن مساره الفكرى وانتمائه العقائدى، وقصة انتقاله من تنظيم الإخوان المسلمين إلى الإخوان الجمهوريين. وفى الفصل الثانى، تحدث مجذوب عن "وحدة الوجود"، وأشار إلى أن هذا الفصل يتصل بالفصل الأول؛ إذ أن موضوعه يمثل المنطلق والحصاد والنتيجة للمكونات الفكرية للمذهبية التى اتبعها بانتمائه للأستاذ محمود. مثّل الفصلان الأول والثانى التمهيد للفصل الثالث، الذى هو كما أشار مجذوب، العمود الفقرى لكتابه ويُمثل مركزيته. فى هذا الفصل تناول مجذوب بعنوان: "نبأ عظيم"، نبوءة الأستاذ محمود بشأن السودان وأهله، قال مجذوب: قال الأستاذ محمود:

أنا زعيم بأن السودان هو قبلة العالم منذ اليوم وأن القرآن هو قانونه وأن السودان إذ يقدم ذلك القانون فى صورته العملية المحققة للتوفيق بين حاجة الجماعة إلى الأمن وحاجة الفرد للحرية الفردية المطلقة هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب ولا يهولن أحداً هذا القول لكون السودان جاهلاً خاملاً صغيراً فإن عناية الله قد حفظت على أهله من أصايل الطبائع ما يجعلهم نقطة التقاء أسباب الأرض بأسباب السماء.

لدراسة هذه النبوءة، وضع مجذوب إطاراً نظرياً، ضمنه نص النبوءة، وتعريفه لـ "أصايل الطبائع"، باعتبارها النقطة الجوهرية فى النبوة، إلى جانب مقولات الأستاذ محمود وإشاراته المبثوثة فى أعماله. ثم وقف مجذوب على شواهده من الواقع السودانى، باعتباره يُمثل الإطار التطبيقى لدراسته حول نبوءة الأستاذ محمود. انتقى شواهده على أصايل الطبائع بعناية فائقة، فجاءت دامغة ومعبرة وفصيحة ومؤثرة، وزاد من فصاحتها وتأثيرها، السرد القصصى الممتع والشيق. جاءت الشواهد من مختلف أقاليم السودان. ومن ما يحمد فى هذا الفصل أن بعض الشواهد التى أتى بها مجذوب، ربما لأول مرة تجد فرصة التوثيق، والانتشار عبر الكلمة المكتوبة. وفى الفصل الرابع والأخير ذهب مجذوب إلى الإجابة على سؤال جوهرى وكبير، وهو: "كيف نبنى سوداننا". فى هذا الفصل قدم مجذوب، كما أشار، عرضا مقتضبا وخلفية لوضع السودان قبيل الاستقلال وبعيده، ثم احال القارئ الكريم إلى ما أعده الأستاذ محمود من أعمال فكرية لنهضة السودان الحضارية والمدنية.

مخطوطة حمد النيل عبدالله العركى

عكف حمد النيـل عبدالله العركى، على جمع أحـاديث الأستاذ محـمود كما سمـعها منه، ودونّها بـخط يده. أخبرنى العـركى بأنه جمع تلك الأحـاديث على مدى عـامين، ولا يزال مستمراً فى جمع المزيد(1). فرغ العركى من المرحلة الأولى من جمع الأحاديث وكتابة مخطوطته فى يوم 9 أبريل 2009، كما جـاء فى ذيل مقدمته، ووسـم مخطوطته بـ: **جواهر المعانى فى حضـرة الأستاذ محمود مـحمّد طه**. وضع هذا العنوان على صفـحة الغلاف مع رسم لاسم كاتبـها، واسم قـريته أبوحراز الشـيخ يوسف أبو شرا. التـقى العركى الأسـتاذ محمود أول مرة فى يونيو 1974 بنادى الخريجين بمدينة مدنى، وكان وقتئذ جمهورياً مضى عليه نحو عام، وظل جـمهورياً حتى يومنا هذا(2). كتب العركى الأحاديث كلها بخط اليد على صـفحـات مفكرة ثم صـور صفـحات المفكرة على ورق بحـجم الـ A4، فأصـبحت الصفحة تحتوى على صفحتين من صـفحات المفكرة، وبعد تغليف المفكرة وترقيمها أصبح مجموع الصـفحات هو 86 صفحة A4 (3) فقد رقَّم صـفحات الـ A4، وليس صفحات المفكرة. شرح العـركى فى مقدمـة مخطوطته كـيف جمع ما سـمعه من الأسـتاذ محـمود، ووصف الأحاديـث التى جمـعها، وبيَّـن كيفـية جـمعـها، وحـدثنا عن المدى الزمنى الذى استغـرقه جمع الأحاديث، وختم المقـدمة برسم اسمه، وقريتـه أبو حراز الشيخ يوسف أبو شرا، والتاريخ وهو 2009/4/9.

---

(1) أفادنى بذلك حمد النيل عبدالله العركى. لقد التقيت به فى منزله بأبى حراز فى يوم 7 يناير 2012، بعد ترافقنا فى رحلة من الخـرطوم إلى قريتـه. وتحدثت مـعه ثانيـة فى يوم 4 مايو 2012. اقـترحت على العـركى طباعـة مخطوطته فى كتـاب، لأهميتها وقيمتـها العلمية والتاريخية، وذلك بعـد تصنيف الأحاديث وتبويب المخطوطة وكتابة المقدمات الشارحة والموضحة لمنهـجه وطريقة جمعه للأحاديث... إلخ. أفادنى العركى بأنه فكر فى هذا الأمر، أمر الطباعة، وسيسعى فيه.

(2) مقابلة مع حمد النيل عبدالله العركى، المقـابلة عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة، قطر، وحمد النيل فى السودان، بتاريخ 6 مايو 2012، الساعة 20:00.

(3) حمد النيل عـبدالله العركى، **جواهر المعانى فى حضرة الأستـاذ محمود محمّد طه**، (مخطوطة). حصلت على هذه المخطوطة عن طريق الأخ لطفى على لطفى، وهو أحد تلاميذ الأسـتاذ محمود، والذى بدوره حصل عليها من كاتبها. وصلتنى النسخة فى منزلى بمدينة الدوحة، دولة قطر، فى يوم 12 فبراير 2012.

المثقفون الرقميون وتحرير الخدمة التنويرية

دور الإنترنت فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة السودانية

أنا صديق محمود محمد طه، محـمود رجل شجاع.. محمود رجل مفكر .. له أفكار جريئة وهو صديقى [(1)].

عوض إبراهيم عوض

لا جدال فى أن ما شهـدته البشرية من ثورة تكنولوجية وانفجـار معلوماتى فى أخريات القرن الـعشرين، أتـت معه خـيرات كـثيـرة، وأدى إلى دفع الحيـاة إلى الأمام فى وجـهات عديدة. من تلك الخيرات، بدون حصر، أتاحت فرص التعلم الذاتى، والتوثيق والحوار الحر وتحرير النشر من قـبضة الحكومات ومـراكز السطات، سلطة المجتمع أو المؤسـسات الدينية ...إلخ، وأتاحت الفـرصة لممـارسة الرقـابة والمحاسـبة وتوسـيع دائرتهمـا بشكل جمـاعى ومـفتـوح، وأتاحت الفـرصة للجـرد التـاريخى وإعادة بعث المبـادرات والمشـاريع الخلاقـة والخلاقين من الأمم، وقد قبر بعضـها بواسطة الحكومات والمؤرخين والأعداء آنئذ... إلخ. ففى السودان، كـما هو الحال فى كل مجتمـعات العالم، فإن المنابر الحوارية الرقـمية ألقت بظلالها على الكثير من القضايا، لا سيما موضوع الأستاذ محمود ومشروعه وتلاميذه. لقد ساهمت تـلك المواقع من خلال الحوارات فـيهـا ومن خلال ما نـشر فـيـها من كـتابات وبما قدمت فيـها من شهادات سـاهمت فى إعادة توصيف صـورة الأستاذ محمـود فى الشارع والمخيلة السـودانية، فقـد بعثت المواقف وسعت لإعـادة قراءتها، ثم قـامت بدور المحاسب على تلك المواقف، وربمـا تكون قـد ساهمـت فى اعتـذارات الكثـيـرين. هنا تبـرز مـواقع سودانية كثيرة على شبكة الإنترنت. منها:

1- موقع الفكرة الجمهورية http//www.alfikra.org

2- موقع سودانيزأونلاين Sudaneseonline http//www.sudaneseonline.com

3- موقع سودان للـجميع Sudan for all http//www.sudan-forall.org، يتميـز موقع

(1) عوض إبراهيم عوض، "حوار مع عـوض إبراهيم عوض"، برنامج نجم وجمهور، تقديم سـر الختم بشير، **إذاعة ساهرون**، السبت 2009/7/17 الساعة 18:25.

سـودان للجمـيع، **الجـمعـيـة السودانية للـدراسات والبـحـوث فى الآداب والفنون والعلوم الإنسانية**، إلى جانب منبر الحوار الديمقـراطى وهو منبر تفاعلى، بأنه يصدر بعض الدوريات منها: **مجلة احترام**، وتُعنى بثقـافة حقوق الإنسـان وقضايا التعدد الـثقافى، **والمجلة السودانية للفنون والآداب والعلوم الإنســانية**، وهى من الدوريات الرصـينة وتتسم الكتابات فـيهـا بأنها كتابات رفـيعة وحرة فى معالجـتها للقضايا، وظل الأسـتـاذ محمود ومشروعـه يحظى باهتمام كبير فى الدوريتين، وكذلك فى الحوار والسجال فى صفحة منبر الحوار الديمقراطى.

4- موقع الجالية السودانية الأمريكية http://www.sacdo.com

كما تبرز صحف إلكترونية عديدة منها:

1- موقع سودانايل http//www.sudanile.com (Sudanile)

2- صحيفة الراكوبة http://www.alrakoba.net

3- صحيفة حريات http://www.hurriyatsudan.com

تجـدر الإشارة إلى أن مـوقع "الفكرة الجـمهـورية" The Republican Thought، أنشـأه عمـر عبـدالله "هوارى" وهو أحد تلامـيذ الأسـتـاذ محمـود. ظل عمر يدير هذا الموقع ويعـمل على بنائه بالتعـاون مع تلاميذ الأسـتاذ محـمود وتلميذاتـه، حتى تم تدشين الموقع وطرح خـدماته للزوار فى حوالى عام 1998. لقد قام هذا الموقع بدور كـبير فى التعريف بالأسـتاذ محمود وبمشـروعه. وقدم فرصة عظيـمة ليكون وعاءً للنشر والحوار. فـالموقع يقوم بالتوثيق عبر تحـويل الكتب والمحاضرات والندوات ومختلف النشـاطات التى قام بها الأستاذ مـحمود والإخوان الجمـهوريون إلى نصوص رقمية لتكون متاحة على مستوى الكوكـب. كما يقوم الموقع بتوثيق وإضافة المقالات التى تكتب عن الأسـتـاذ محمود والإخـوان الجمهـوريين. يتكون الموقع من عدة صفـحات، فبـالإضافة للصفـحة الرئيسـية والتى تـتـضمن سـيرة الأسـتـاذ محـمود، فهناك صـفـحـة الكتـب، المحاضـرات، لقاءات، مقالات، صور، قرآن وإنشاد، ذكرى 18 يناير، فيديو، وكراسة الزوار. فالموقع فى حالة تطور مستمر من خلال التوثيق للأسـتاذ محمود ولمشـروعه وللإخوان الجمهـوريين. فهو يقدم خدمـاته باللغتين العربية والإنجليـزية. وأصبح مصدراً للمعلومات يعـين الباحثين والقراء، ويتيح لهم فـرصة البحث فيه، إلى جانب تقديم خدمة مباشرة عبر إمكانية توجيه الاستفسارات والأسئلة للقائمين عليه.

هذه فقط نماذج فهناك مواقع أخرى، تساهم بشكل قوى وواضح فى إثراء الحوار وتقديم الخدمات التنويرية، مع اختلافها فى طبيعة تلك الخدمة. فبعضها لا يحتوى على منبر حوارى، إلى جانب اختلافها فى مستوى الحوار وشروط التعاطى فى داخلها وفى ما لديها من أذرع وأفرع، إذ بعضها لديه أفرع تصدر إصدارات علمية وبشكل دورى، مثل سودان للجميع. الشاهد أننى فى هذه السانحة أسعى لتقديم إشارة فقط لهذه المواقع ولا أسعى لدراستها فى هذه المرحلة أو البحث فى كيفية طرحها لموضوع الأستاذ محمود وكيفية معالجة القراء وتعاطيهم مع الموضوع. قصدت من الإشارة القول إلى أننى لا يمكن أن أتحدث عن دراسات المثقفين عن الأستاذ محمود بعد مرحلة الفقهاء، وإسهامهم فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود، دون الإشارة لهذه المواقع والتذكير بدورها الكبير والفعال فى تقديم الخدمة التنويرية وفى إنتاج المعرفة وتبادلها، ودورها فى توفير المواعين والأوعية. لقد أصبح لكل موقع من هذه المواقع مكتبة خاصة بالأستاذ محمود، مثلت مادتها تفاعل القراء وكتابات الكتاب. إن موضوع الأستاذ محمود فى المواقع السودانية على الإنترنت، مربوطٌ بالمثقفين الرقميين والمساهمة فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة السودانية، وهو يمثل مادة جيدة وجديدة للدراسة والبحث. وبرغم أننى لست بصدد الدراسة والتفصيل ولكن يمكن أن أقف على دور هذه المواقع فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى الشارع والمخيلة السودانية من خلال تقديم نموذجين من نماذج الموضوعات التى تتصل بالأستاذ محمود ،وهما موضوعان طُرحا فى المنبر العام لموقع سودانيزأولاين.

الموضوع الأول: ياسر الشريف المليح، "عوض إبراهيم عوض.. وإذاعة خبر مقتل الأستاذ محمود"

جاء الموضوع كخيط للحوار بعنوان: "عوض إبراهيم عوض.. وإذاعة خبر مقتل الأستاذ محمود"[1]. طرح الموضوع للحوار ياسر الشريف المليح فى يوم 2004/1/18، بالمنبر العام لموقع سودانيزأونلاين. كتب ياسر فى مدخل الخيط قائلاً:

(1) ياسر الشريف المليح، "عوض إبراهيم عوض.. وإذاعة خبر مقتل الأستاذ محمود"، من **موقع سودانيزأونلاين**، استرجاع (Retrieved) 9 يونيو 2008، الموقع على الإنترنت:http://www.sudaneseonline.com

هذه الشهادة من الأخ أبو قصى وردت فى بوست الدكتور حسن الجزولى.. رأيت أن أفرد لها بوستاً خاصاً لأهميتها فى التوثيق لتلك الفترة المظلمة..

الأخ حسن الجزولى.. لك التحية ولضيوفك الكرام.. كنت مسئولاً عن الوردية المسائية بقسم الأخبار بالإذاعة السودانية فى ذاك اليوم الحزين ، اتصل بى أحد الأخوة من سونا وذكر لى ان هنالك بياناً عاجلاً سيصلك باليد لاذاعته فى نشرة الخامسة مساء ، بالفعل وصلنى البيان وكان هو بيان إعدام الشهيد محمود محمد طه ، وللأمانه والتاريخ البيان كان مقتضباً جدا فقط أشار إلى أنه تم صباح اليوم تنفيذ حكم الإعدام فى المدعو محمود محمد طه بسجن كوبر وشهادة ندليها للأمانة وللتاريخ أن كل ما ورد فى البيان بعد ذلك مثل عبارات (هكذا اجتث الله رأسا من رؤوس الكفر ، نحمده ونشكره) وما تلى ذلك من إنشاء هى إضافة أضافها المذيع عوض إبراهيم عوض ، أضافها على الهواء بعد أن أخذ النشرة من قسم الأخبار وذهب إلى الاستديو وهناك أضافها بخط يده رغم الحزن الذى خيم على كل الزملاء بالقسم بعد استلامنا للبيان وبعد النشرة مباشرة دخلت معه فى نقاش حاد انتهى كالعادة طبعاً بالتهديد والوعيد لكل من يقف فى وجه دولتهم الدينية .

تبع طرح الموضوع، الإدلاء بالشهادات وتقديم الانطباعات والتحليلات، مما ساهم فى إثراء الحوار وتقديم خدمة تنويرية واسعة، وأتاح الفرصة للاطلاع على شهادات أدلى بها من كانوا يعملون داخل الإذاعة، وممن سمعوا الخبر. بلغ عدد القراء الذين قرأوا الموضوع حتى تاريخ اليوم 16382 قارئاً، وبلغ عدد الذين شاركوا بالتعليق كتابة 88 مشاركاً. بالإضافة للقراء والكتاب فإن الموضوعات التى يتم التداول حولها تتنزل فى الشارع السودانى، ويتم تسييلها بطرق عديدة ومناسبات مختلفة. الشاهد أنه دار حوار طويل حول موضوع إذاعة عوض إبراهيم عوض للخبر، وأتت أسئلة كثيرة فى التخصص مثل: أين الحد الفاصل بين الخبر والرأى الخاص للمذيع؟ وطرحت كذلك أسئلة تتعلق بغياب الطرف الثالث وهو عوض إبراهيم عوض، إلى جانب العديد من الآراء. كتب حيدر بدوى صادق فى نفس الخيط قائلاً:

وليعلم الأخ الكريم الطيب البشير، ومن يطالبوننا بالتحرى، إن أحداً لم يدن عوض إبراهيم عوض لأنه قرأ خبراً.. ولكنى أذكر جيداً بأننى كنت أستمع إليه ملء جوارحى، وأتحسر عليه، (لا على الأستاذ محمود)، لسقوطه الأخلاقى المريع. ما ذكره أبو قصى هنا

صحيح، وإنى أذهب لأبعد منه حين أقول بأن عـوض إبراهيم عوض كان يقرأ الخبر بنشوة وتشوف وتحذلق، وكـأنه كان يريد من أحدهم أن يلحظ ذلك ليعطيه منصـباً كان يتطلع له، أو أى شئ من هذا القبيل. لا أدرى ماذا كانت دوافعـه، فإنى قد التقيت الرجل وأعرف أنه بدا لى مهذباً حين التقيته بصحبة خاله الأستاذ الأمين أحمد نور، الجمهورى القيادى المتميز فى الأبيض، فى أوائل الثمانينيات. وأعرف يقـيناً أنه لم يكن يحمل رأياً مثل الذى بثه على الناس فى يوم استشـهاد الأستاذ. أما لماذا تلك الانتـكاسة؟ فإن هذا ما لن يجيب عليـه غير عوض إبراهيم عوض نفسه.

كان عصام عبـدالرحمن البوشى قد كتب مقالاً، عن خبـر إعلان المحكمة العليا / الدائرة الدستورية عام 1986 لإبطال الحكم الصادر فى حق الأستاذ محمود عام 1985،تحدث فيه عن كيفية إذاعة الخبر. كتب عصام قائلاً: "إن أولئك النفر الذين أوسعوا الجمهوريين شتماً وسباباً كان ينبـغى عليهم، تكفيـراً عن بعض ذنبهم الحرص على إذاعـة الخبر وبنفس تلك الحمـاسة المبالغ فيـها والتى تمثلت فى إبراز خبر الحـكم بالإعدام وتنفيذه وفى إذاعتـه بأصوات تنم عن التشـدق والتنطع والخنوع أمام جـبروت الظالمين.. وقد يقـول قائل لقـد أُرغموا على إذاعـته ولكن هل أُرغموا على الإجـادة والحماسة فى إذاعـته". وأضاف عصام قـائلاً: "أما التلفزيون فلقد أذاع الخبـر بعد أن استنفد كل اخـبار .. قام.. سافـر.. تاه.. سافر فلان.. وحـضر علان وسيعقد مجلس الوزراء اجتـماعه الدورى.. هل هذا بربك خبر؟ إن التطفيف الذى عالج به التلفزيون الخـبر هو إلى حد ما، جـزء من الجهل والتخلف الإعـلامى الذى يتربع على دست المؤسسات الإعلامية عندنا، إذ أن وسائل الإعلام والأقلام عند غير أهلها"[(1)].

بعـد خمس سنوات من طرح هذا الموضـوع، أذكـر أننى سافـرت من مقـر إقامـتى فى الدوحة، بدولة قطر فى عطلة صيفية (شهر يوليو) إلى الخرطوم، وفى أثناء فترة وجودى فى الخرطوم، استـمعت فى أمسية من الأمـاسى وأنا أتجول فى شوارع الخرطوم، استـمعت إلى عوض إبراهيم عوض متحـدثاً فى حوار فى إذاعة ساهرون[(2)]. أذكر أن المذيع سأل عوض

---

(1) عصام عبـدالرحمن البوشى، «لقد أرادوا أن يغتالوا الأسـتاذ مرة أخرى!! ولكن..!»، **صحيـفة الميدان، الثلاثاء** 25 نوفمبر 1985.

(2) عوض إبراهيم عوض، مصدر سابق.

إبراهيم عوض قائلاً:

هل جاءك خبر وفاة الأستاذ محمود قبل دقيقتين من إذاعة نشرة الأخبار؟

فأجاب عوض إبراهيم عوض قائلاً:

نعم صحيح جاءنى الخبر قبل نشرة الأخبار فى التلفزيون ودار لغط كثير حول هذا الموضوع وكتب كثيرون فى الإنترنت وقالوا أنى كنت فرحاناً عند إذاعة الخبر وهذا حديث مغرض أنا لم أرد عليه وقد صدر من أناس يمكن أن أُسميهم جهلاء ولهم غرض. أنا صديق لمحمود محمد طه زرت منزله مع خالى الأمين أحمد وهو جمهورى. محمود رجل شجاع وله أفكار جريئة نتفق معه فى الكثير منها ونختلف معه فى بعضها. تحدث أحد الذين كانوا يعملون معنا أن عوض غير الخبر وعدل فيه وهذا لم يحدث وإذا حدث يفصل المذيع. المذيع لا يغير الخبر. أنا لم أفرح بموته أو قتله أنا بكيت فى يوم من الأيام حينما جاءنى خبر وفاة جهشت بالبكاء فكيف لمن يجهش بالبكاء فى الاستديو على الهواء يفرح لموت إنسان. أنا لم أفرح أنا صديق محمود محمد طه .. محمود رجل شجاع .. محمود رجل مفكر .. له أفكار جريئة وهو صديقى.. الله يرحمه.. أنا لم أرد على أحد ممن كتبوا عنى ووصفونى بأنى كنت فرحاناً ولم أرد بكلمة.. أنا صديق لمحمود والجمهوريون أصدقائى.

الشاهد أن الخيط الذى افترعه ياسر الشريف المليح للحوار فى المنبر العام بسودانيزأولاين أتاح فرصة الحوار حول هذا الموضوع وتفكيكه ودراسته، ومن ثم أتاح فرصة أن يتنزل الموضوع لعامة الناس من خلال طرحه فى الحوار الإذاعى مع عوض إبراهيم عوض، والذى رفض فكرة اتهامه، ثم قدم شهادة فى حق الأستاذ محمود وجاءت فيها أوصاف قطعاً سيسمعها الناس فى الشارع الذين ظلوا فى موضوع الأستاذ محمود ولمدى عقود رهينين لخطاب الإئمة والوعاظ والخطباء والفقهاء و"علماء السودان". هنا، بغض النظر عن موقف عوض إبراهيم عوض فى ذلك الوقت والآن، فإننا أمام شهادة فى حق الأستاذ محمود قوية وجديدة، لم تشهدها مناخات الخرطوم من قبل من عوض إبراهيم عوض، كما لم يكتبها لنا فى مقال أو دراسة. السؤال هل كان يمكننا أن نسمع أو نقرأ شهادة عوض إبراهيم عوض، على هذا النحو الذى أتت به، فى حق الأستاذ محمود

دون أن يفتح ياسر الشريف المليح ذلك الخيط الحوارى فى سودانيزأولاين؟ الشاهد أن الشهادة لم ترد إلا فى يوليو 2009، وحينما جاءت كانت شهادة قوية وناصحة وجميلة وقطعاً ستساهم فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى الشارع والمخيلة السودانية.. فى تقديرى، أن مقولة عوض إبراهيم عوض والتى صدرت بها هذا المحور، وجاءت كالشهادة فى حق الأستاذ محمود، ما كان يمكن أن يسمعها الناس، على الأقل فى هذا الوقت، لولا طرح ياسر الشربف المليح لهذا الموضوع فى سودانيزأولاين، ولولا المداخلات والتبيين للمواقف ومن ثم التوثيق وإجراء المراجعات والتقييم والتحليل للمواقف من الأستاذ محمود، لاسيما موقف إذاعة الخبر الذى كان موضع الدراسة والتحليل فى سودانيزأولاين.

الموضوع الثانى: الصحفى هاشم كرار يروى من قلب صحيفة الأيام أسرار إعدام الشهيد محمود محمد طه

جاء الموضوع كخيط للحوار بعنوان: "أم المفاجآت (الصحفى هاشم كرار يروى من قلب صحيفة الأيام أسرار إعدام الشهيد محمود محمد طه)"[1]. طرح الموضوع للحوار عبدالكريم الأمين أحمد فى يوم 2006/1/17، بالمنبر العام لموقع سودانيزأونلاين. كتب عبدالكريم فى مدخل الخيط قائلاً:

سنقرأ هنا وعبر حلقات أسرار ستنشر لأول مرة بعد عشرين سنة ونيف بقلم الأستاذ الصحفى الكبير هاشم كرار صاحب القلم الرشيق والأداء السلس وأحد الوجوه المتألقة فى الصحافة القطريةوبالتحديد صحيفة الوطن واسعة الانتشار. هاشم كرار فى إفادته للتاريخ يحكى أضابير الأضابير من داخل القصر الجمهورى والصحافة السودانية ولحظات المحاكمة وماذا كان يدور خلف الكواليس وهناك... الكثير.. المثير الخطر نشكر أستاذ هاشم لاختياره هذا المنبر الوطنى الحر لتفجير أم المفجآت لأول مرة.

قدم الصحفى هاشم كرار شهادته، تضمنت الشهادة تفاصيل من داخل القصر الجمهورى،

(1) عبدالكريم الأمين أحمد، "أم المفاجآت (الصحفى هاشم كرار يروى من قلب صحيفة الأيام أسرار إعدام الشهيد محمود محمد طه"، من **موقع سودانيزأونلاين**، استرجاع (Retrieved) 22 يناير 2007، الموقع على الإنترنت http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=9&msg=1178502916&page=0

عن دور بعض الأشخاص، قدم هاشم تفاصيل جديدة لم تنشر من قبل، يمكن للقارئ الوقوف على تلك الشهادة فى ذلك الخيط المشار لرابطه فى الهامش. بلغ عدد القراء لهذا الموضوع حتى تاريخ اليوم 18705، وبلغ عدد الذين شاركوا بالتعليق كتابة 188 مشاركاً. هذه خدمة تنويرية كبيرة وشهادة فى غاية الأهمية، قدمت مادة حوارية جادة وساهمت فى ترفيع مستوى السجال وتسييل المعلومات والقدرة على إبداء الرأى حول موضوع هو فى غاية الأهمية. أيضاً، تفرعت من هذا الموضوع موضوعات أخرى فى مواقع أخرى وكتبت عنه كتابات كثيرة.

لابد من الإشارة إلى أن هناك خيطين فتحا للحوار فى المنبر العام **بسودانيزأونلاين** فكانا من أكثر خيوط **سودانيزأونلاين** تفاعلاً واستمراراً فى الحوار من حيث امتداد المساحة الزمنية ومن حيث عدد القراء والمداخلات المكتوبة. افترع الخيطين، عبدالله عثمان، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كان الخيط الأول بعنوان: "الأستاذ محمود عم يتساءلون؟"[1]، افترع عبدالله الخيط يوم 2008/4/2، وتشير إحصائيات **سودانيزأونلاين** أن قراء الخيط حتى تاريخ اليوم 2012/11/30، بلغوا (31726) قارئاً، وشارك كذلك بالكتابة فى الخيط (980) مشاركاً. أما الخيط الثانى فكان بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه: إلى سبانا الشريف: سيروا إلى الله عرج ومكاسير"[2]، افترعه عبدالله عثمان فى يوم 2011/9/20، وقد بلغ قراء الخيط حتى تاريخ اليوم 2012/11/30، (30805) قارئاً، وشارك فيه بالكتابة (957) مشاركاً.

الشاهد إن مبدأ استمرار الحوار هو فى حد ذاته خطوة فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة السودانية والإسلامية. أما الحوار من حيث المحتوى والكيف فهو ما يتطلب الدراسة. ففى تقديرى أن تناول الأستاذ محمود فى المنابر الحوارية على شبكة الإنترنت، والتداول بشأن مشروعه، يمثل مادة تحتاج للدراسة والبحث والتحليل ذلك لأننا من خلالها نستطيع أن نقف على اتجاهات الرأى لدى شريحة فى غاية الأهمية، وهى شريحة المثقفين الرقميين من الأجيال الجديدة.

---

(1) عبدالله عثمان، "الأستاذ محمود عم يتساءلون؟"،من **موقع سودانيزأونلاين**، استرجاع (Retrieved) 30 نوفمبر 2012، الموقع على الإنترنت:http://www.sudaneseonline.com

(2) عبدالله عثمان، "الأستاذ محمود محمد طه: إلى سبانا الشريف: سيروا إلى الله عرج ومكاسير"،مرجع سابق.

خاتمــة: قيام مركز الأستاذ محمود محمد طه الثقافي

لا جدال فى أن حواراً جديداً عن الأستاذ محـمود ومشروعه قد بدأ، وأن مرتكزات هذا الحوار ومرجـعياته تختلف كـلية عما كان علـيه حوار الأمس، الذى كان خلال الـفترة من 1957 وحتى عام 1985. إن حوار اليوم بدأ بقطيعة تكاد تكون تامة مع حوار الأمس، ونسف معه فكرة مبدأ طبيعى وهو أن المعارف تتراكم وتأخذ من بعـضها بعضا بناءً وبرهاناً، فتعتمد دراسات اليوم على الدراسات السابقة كـمصدر ومرجع. الشاهد أننا، لا نجد، إلا نادراً، هذا المبدأ الطبيعى فى دراسات اليوم عن الأستاذ مـحمود وعن مشروعه. وهذا أمر غريب، وربما كـان جديداً، أن تبـدأ دراسات عن الأسـتـاذ محـمود وعن مـشـروعه دون أن تسـتند على الدراسات السابقة (1957-1985)، وتشطب دراسات هذه الحقبـة شطباً يكاد يكون كليا عن قائمـة مصـادر ومراجع دراسات اليـوم، ونحن فى بداية الحوار الجـديد. هذا مؤشـر يقودنا للكثيـر من المعانى التى ستتكشف فـى مقبل الأيام. إن صورة الأسـتاذ محمـود قد تم إعادة توصيفها فى الشارع السودانى وفـى المخيلة السودانية، ولعل أنصع دليل على ذلك، هو قيام **مركـز الأستاذ مـحمود مـحمد طه الثـقافى**، بنفس الشعار: الحـرية لنا ولسوانا، وفى نفس المدينة، مدينة الخرطوم (أمدرمان الثورة الحارة الأولى)، عاصمة السودان، التى شهدت تنفيذ حكم الاعدام عليـه، وفى نفس منزل "الجالوص" بمدينة الثورة بأمدرمـان مقر إقامـة الأستاذ محـمود، وقـاعدة انطلاق نشـاطاته. فبـعد ربع قـرن من تنفيـذ حكم الاعدام على الأسـتاذ محمود افتتح المركز رسمياً فى ضحى يوم الاثنين 18 يناير 2010. وطرح المركز أهدافه فكان منهـا: إشاعـة الفكر الإنسانـى المتقـدم، والمساهمـة فى ترسيـخ التنوع الثقـافى، والفكرى.. وترسيخ ثقافة السلام، واللاعنف، ومبدأ المسـاواة بين أبناء الوطن الواحد، ونشر ثقافة تنمية وترقية البـيئة، والاهتمام بتنميـة الطفل، والمرأة، والأسرة، ونشر ثقافة الدفاع عن حـقوقهم، والبحث عن وسائل ترقيتهم.. وذلك عبـر وسائل عديدة منها: نشر المؤلفات، والدراسات، وتقديم الـندوات، وورش العمل، وحلقات الـتدريب، والمعارض، ... وكل الوسـائل التى تحـقق أهداف المركـز، على ألا تتـعـارض مع النـظام الأسـاسى وقـانون تنظـيم نشـاطات الجمـاعات الثقافـية. برغم قصـر عمره فإن المركـز قد قطع شوطاً كـبيراً فى تقديم خـدماته التنويرية، وفى تجسيـر التواصل مـع الجمـاهير عـبر تسـييل فكر الأسـتاذ مـحمـود وإقامـة

الحوارات بشأن مشروعه وحول السـودان والإنسان. يمكن للقارئ أن يسجل زيارة للمركز على الأرض أو على موقعة على شبكة الإنترنت: http://www.alustadhcenter.org

الشاهد أن مشروع الأسـتاذ محمود أصبح يكتسب قيمته وتزداد أهميـته مع صباح كل يوم جـديد. بل بدأ الشعـور بالحـاجة إليـه خاصـة مع تطورات الحـياة وطرح الواقع فـيهـا للأسئلة الجديدة فى وجه الفكر الإسلامى وفى دوائر التـفكير من أجل السلام العالمى. فمن خلال الدراسـات التى نشرت عن المشروع، ومـن واقع توسعهـا المستمـر الملحوظ، والذى وردت الإشارة إليها، فإن المشروع فى طريقه ليصبح قريباً موضعاً للدراسات والبحوث فى مجالات عديدة ولقطاع ضخم من الطلاب والباحثين والمؤسسات داخل وخارج السودان. عندها سيقف الناس على حيوية المشروع وثرائه وقدرته على تقديم وصفات ناجعة لقضايا عديدة كلها تتصل بإحـداث التغيير والتحرر والتطوير. وفى يقـينى التام بأنه متى ما تم فك الحصار عن مشروع الأسـتـاذ محمود، وأصبح التعاطى معه أمراً طبيـعياً فإن العالم سيكون أمام غـذاء جديد للخيـال والروح والإلهام لتـبدأ صيـاغة الرؤى الجديدة لإحـداث التغيـير وتحقيق السلام العالمى.

البــاب الثـانـــى

الدور الوطنى والسودان في مشروع الأستاذ محمود

وبإعـادة النظر، نجد أن القـومـيـة السودانيـة قد عـانت من ***حدثين رئيـسين*** *أو تطورين مهمين...* ***بالنسبة للحدث الأول،*** *فإذا ما حدث وتـم إشـراك الجنوبيين بشكل أكبر فى عـمليـة اتخـاذ القـرارات المؤدية إلى الاسـتقـلال، لكان من المـمكن، غالـباً، ضـمـان مساعدتهم فى تطوير الترتيب الذى كان من الممكن أن يكون أكثر عدلاً فى تقبل التنوع داخل الوحدة...* ***الحدث الثانى****: وبنفس القدر، إذا ما قُدر لمحمـود محمد طه أن ينجح فى تحقـيق نظرته للمـسيرة الإسـلاميـة مرشداً للـحركة السـياسـيـة فى البـلاد، لسادت الظروف المساعدة على المساواة بين المواطنين، وشجع احترام الأسس الديمقراطية على خلق رؤية للوطن تجد الاحترام من الشماليـين والجنوبيين على حد سواء. وكان يمكن حـينها أن يكون الإحـسـاس بالهدف الوطنى مـدفـوعاً بتـعاليـم الإسلام، الليـبراليـة، والمتسامحة كـما فسرها "الإخوان الجمهوريون"... أدى كبت فكر محـمود محمد طه، إلى ضياع الفرصـة لتطوير هوية وطنية أكثر شمولاً وتكاملاً. على كلٍ، سـاعد كبته فى الحفاظ على هوية الجنوب كوحدة مختلفة ثقافياً ودينياً*[1].

فرانسيس دينق

---

(1) فرانسيس دينق، **صراع الرؤى: نزاع الهويات فى السودان، ترجـمة عوض حسن**، مركز الدراسـات السودانية، القاهرة، ط2، 2001، ص 121-122.

الفصل الرابـــع

4

دور الأستاذ محمود في الحركة الوطنية السودانية

وواجب الأحرار أن يعملوا على حمل الأمانة فى تنوير شعبهم وصون استقلاله[1].

عبد اللطيف عمر حسب الله[2]

*وكنا من الجهة الأخرى على اتصال **بالحزب الجمهورى** وكان حزباً ثورياً. والجمهوريون هم أول من أصطنع المطبعة السرية لطبع المنشورات ويوزعونها فى المقاهى وغيرها. واذكر لما تظاهرنا فى الوادى فى 1946، جاؤونا بمنشورات وزعناها وسط الطلاب. فأزعجت المنشورات مفتش مركز أمدرمان وتحروا فى كيفية وصولها للوادى من أمدرمان. ولم ينتهوا إلى شيء*[3].

أحمد خوجلى

---

(1) عبداللطيف عمر، "حول: الخطوة التالية لعبد الناصر هى السودان"، (آراء صريحة)، **أنباء السودان**، العدد 164، 1958/10/18.

(2) الأستاذ عبد اللطيف عمر حسب الله هو من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود وقد وردت الإشارة لمعنى أبكار آنفاً. وقد ورد أيضاً فى محور: "شكر وتقدير" أن الأستاذ عبد اللطيف قد ظل ملازماً للأستاذ محمود منذ يوم 1951/11/30.

(3) أحمد خوجلى، ضمن مقابلة تمت معه ومسجلة بصوته. قام بالمقابلة عبدالله على إبراهيم خلال عام 2005 وقد أهدانى هذا الجزء من نص المقابلة فى يوم 3 يوليو 2013 أثناء تفريغه للمقابلة من شريط التسجيل. كان عبدالله متابعاً لتطورات ومراحل إعداد هذا الكتاب فكتب لى يوم أهدانى النص قائلاً: عزيزى عبد الله، أفرغ شريطاً سجلته مع أحمد خوجلى، أستاذ الفيزياء ونائب مدير جامعة الخرطوم فى الستينات وعضو الحلقات الماركسية. الحلقة الأولى عن فترة الطلب بوادى سيدنا 1942-1946. فذكر بداية اتصال الشيوعيين بهم منذ كانت المدرسة الثانوية فى أمدرمان حتى تفرقت إلى جهات منها وادى سيدنا. ما يهمك أنه ذكر أن الجمهوريين اتصلوا بهم فى وادى سيدنا. فهاك النبأ: وكنا من الجهة الأخرى على اتصال بالحزب الجمهورى...إلخ.

لقدضرب الجمهوريون المثل فى الإخلاص للعمل فهل نرى من أحزابنا بعض العناية بأهدافها فإننا لم نسمع، على اتساع دار المؤتمر ودار ***حزب الأمة*** *ودور أندية الخريجين وأعمدة الصحف، بمجهود يذكر لقيادة هذه الأحزاب كأن الخطة التى أجمعوا عليها على اختلاف نزعاتهم هى إيقاف التنفيذ. حيا الله الجمهوريين فقد جاهدوا ما وسعهم الجهد وما هداهم التفكير فإن وفقوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر*[1].

صحيفة الرأى العام، فى الكلمة الافتتاحية، أكتوبر 1946

دخلت شعوب السودان العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين، بمرارة ضمور أراضى وطنها، وتغيير كسائه الجغرافى، وتكلس تنوعه وتعدده الثقافى، يوم أن جاء إعلان انفصال جنوب السودان رسمياً فى التاسع من يوليو عام 2011 . فقد اختارت شعوب جنوب السودان فى الاستفتاء الذى أُعلنت نتيجته فى السابع من فبراير 2011، خيار الانفصال وفضلته على الوحدة. لاشك أن انفصال جنوب السودان، هو المقدمة التى لها ما بعدها، محلياً وإقليمياً، إن لم تعالج القضايا، وهى عديدة ومتراكمة منها المزمن ومنها الناشىء حديثاً، بمخاطبة جذورها لا نتائجها. إذ ليس هناك ضامن لعدم انفصال أقاليم أخرى من السودان. الشاهد أن الانفصال ما هو إلا خلاصة للإرث السياسى الذى ورثناه عن الآباء والجدود، من القادة والحكام الساسة، الذين "عملت المؤسسات الاستعمارية على تعليمهم

(1) "مجاهدون"، خواطر، **الرأى العام**، السنة الثانية، العدد 479، الاثنين 3 ذو الحجة 1365- 28 أكتوبر سنة 1946، الخرطوم.

خدمة لمصالحها. ورثت هذه الصفوة المتعلمة لاحقاً الدولة"[1]، وهم قادة الحركة الوطنية وموجهو مسار السودان السياسى، طلائع المتعلمين واللاحقين من بعدهم وحتى يومنا هذا. لقد فارق السودان المبادرات الخلاقة الحاملة للتشخيص العميق لقضايا السودان وحلولها، منذ أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن الماضى. فالمبادرات الخلاقة التى كانت تعبر عن الانتماء للمستقبل، والتجاوز للقيود وتنشد التحرر وتعتمد المواجهة والبكور فى مواجهة القضايا الموروثة، قد قبرت. إننا وبقراءة سريعة لقضايا السودان وطبيعة التعاطى معها، نجد أن قادة السودان وساسته من قبل قيام الدولة المستقلة، قد جُبلوا على المجئ المتأخر للقضايا العظام، وفُطموا على شن الحرب على من يأتى باكراً بالمبادرات الخلاقة، حتى ولو كان فى إتيانه الخير والمخرج والخبر اليقين.

كان موقف القادة والسياسيين، من قبل استقلال السودان -نحو أصحاب المبادرات الخلاقة فى الشأن السودانى، لا سيما الأستاذ محمود ومشروعه-موقفاً عدائياً، ورافضاً لمبادراته وأطروحاته، وساعياً إلى تضليل شعوب السودان حول المبادرات وأصحابها. فقبل نصف قرن ونيف من السنين، تحدث الأستاذ محمود وقدم أطروحات ورسم سيناريوهات -لاتزال حيّة وناجعة- والتى سترد الإشارة إلى بعضها فى هذا الفصل، لصور البدائل والحلول للمشكلات. لكنه قُوبل بالرفض، والحرب، وحملات التضليل حوله وحول أطروحاته، بل سعى الكثيرون لتغييبه، وتغييب إنتاجه الفكرى والمعرفى من الذاكرة الجمعية. خاطب الأستاذ محمود قضايا اليوم منذ قبل ستة عقود تناول: قضايا الهوية، والتنوع، وبناء الذاتية السودانية، والتهميش والمهمشين، ومشكلة الجنوب، ومشكلة أهل الشرق - مؤتمر البجة عام 1958، وطالب بانسحاب السودان من جامعة الدول العربية عام 1958، وكتب عن أسس الدستور والحكم الفدرالى، وتناول اتفاقية مياه النيل، وغير ذلك. سأحاول أن أقف باختصار فى هذا الفصل، بالإضافة للموضوعات التى وردت الإشارة إليها، على بعض المحاور منها: موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين، وتحرير **الحزب الجمهورى** من تنميط المؤرخ الفقيه، ودور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية من خلال

---

(1) عبدالله جلاب، **مجتمع مدنى مؤجل: قبضة العنف الثلاثية فى السودان**، ترجمة وعرض وتلخيص: بدر الدين حامد الهاشمى، **من سودانايل Sudanile**، منبر الرأى، استرجاع (Retrieved) يوم 26 يونيو 2012، الموقع على الإنترنت: .www.sudanile.com

بعض المحطات والأحداث المهمة فى تاريخ السودان، وسأتناول جبهات المواجهة: الاستعمار، الطائفية، المثقفين، والتشخيص الباكر لقضايا التهميش والمهمشين، والهوية ومستقبل الثقافة العربية فى السودان، ورغبة بعض الأحزاب السودانية وسعيها للتحالف مع **الحزب الجمهورى**، وثورة رفاعة - الخفاض الفرعونى وتباين القراءات: نقاد الحداثة ونقاد مدرسة ما بعد الاستعمار، وغيرها من المحاور.

موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين

*وفى عام 1937 كنا فى جماعة الخريجين الذين أيقظوا عطبرة. كانت سنة 1937 حاسمة فى عطبرة.. وفيها قادة المؤتمر أمثال.. شاعر "صه يا كنار" محمود أبوبكر ومحمود الفضلى.. والشاب المستنير محمود محمد طه الذى أسس **الحزب الجمهورى** وكان الدنمو المحرك وسكرتير النادى السودانى.. وهو الذى أنشأ الجمعية الأدبية فى النادى[1].*

مصطفى أبو شرف (1919-2008)

كان قيام مؤتمر الخريجين فى فبراير عام 1938 من أعظم الأحداث فى السودان منذ بداية التعليم الحديث مع فواتيح القرن العشرين. من المعروف أن مطلع القرن العشرين فى السودان شهد نشأة التعليم الحديث أثناء فترة الحكم الثنائى البريطانى-المصرى (1898-1956)، حيث رفدت مؤسسات التعليم الحديث واقع الحياة السودانية بالطلائع الأولى للمتعلمين، وقد تخرجوا فى **كلية غردون التذكارية** التى افتتحت عام 1902، والمدرسة الحربية (مدرسة الخرطوم الحربية) التى تأسست عام 1905. **والمعهد العلمى بأمدرمان** الذى أُنشىء على غرار **الأزهر** عام 1912. إلى جانب القلة التى درست فى مصر ولبنان فيما بعد، وقد كان التعليم قبل ذلك تعليماً دينياً، محوره العلوم الشرعية واللغة العربية، ومؤسساته الكُتاب والخلوة والمسجد ومجالس العلماء

(1) مصطفى أبو شرف، "الشاعر المعلم مصطفى أبو شرف فى ضيافة الصحافة"، (حوار)، أجرى الحوار الطاهر حسين الطاهر، **صحيفة الصحافة**، السبت 26 أغسطس 2000.

(2) **عبدالله الفكى البشير**، "التنوع الثقافى والأمنية العذراء: خَيْبَة القادة والعقول الراكدة (7 حلقات)"، **صحيفة الأحداث**، كانت تنشر فى يوم الخميس من كل اسبوع خلال الفترة ما بين 2010/4/1 - 2010/5/14.

والأزهر[2]. إن التمهيد لقيام مؤتمر الخريجين عام 1938 فى ظل ثمار التعليم الحديث، قد عبرت عنه مؤشـرات وأحداث كثيرة، يقول محمد سعـيد القدّال: كان إنشاء نادى الخريجـين بأمدرمـان عام 1918، الثمـرة الأولى لنشأة التـعليم الحديث فـى السودان، وكان بمثـابة أول تنظيم يضم المتعلمـين على أساس التـعليم وليس المنطقة أو القـبيلة، ولذلك بدأ نشاطه مهتـماً بنشر التعليم وتوسيعه بالنشاط الثـقافى عامة. على أن تطور النشاط السيـاسى وجد طريقه إلى النادى الثقـافى الاجتماعى وتحول إلى مـنبر للعمل السيـاسى[1]. كـما أثـمر التـعليم الحـديث فى السـودان، بالإضـافة لعـوامل أخـرى خارجية، من أهمها الحركـة الوطنية المصرية، فى قيام ثورة عام 1924، بقيادة الشباب الأفندية. لقد خـضعت ثورة 1924 لتـقييـم من قادة ومؤرخـين كثـر، السؤال مـا هو موقـف الأستاذ مـحمـود من ثورة 1924؟ فى لقـاء الأستـاذ محـمود بمندوبى مـعهـد الدراسات الإفريقـية والآسيوية **بجامعة الخرطوم** يوم السبت 22 نوفمبر 1975، طرح على الأستاذ مـحمود السؤال التـالى: "س: طيب دا بكون محل كويس عـشان نعرف رأيك فى حركـة سنة 24 على اعـتبـار هى بداية للحركـة الوطنية؟"، أجـاب الأستـاذ محمود على السؤال قائلاً:

"فى اعتبارات، فى حركة 24 فى اعتبارات حقها تاخذ وزنها .. نحن على طول المدى كـانت عندنا دعوة لإنـشاء عـلاقة بمصـر، فى مـستـوى من المستـويات.. والأحزاب الاتحـادية كانت هى الأحـزاب الأثرت على مجـرى تاريخ السودان الأخيـر فى نضاله ضد الاستـعمار .. كانت أقـوى من الأحزاب الاستقـلالية.. الصلة دى مع مصر، فيما بعد، بعـد خروج الأحزاب من مؤتمر الخريجين، ظهر أنها وسـيلة لغاية، وأنه الناس اللى بيـدعوا للاتحاد مع مـصر ما غـرضهم إلا أن يسندوا ظهرهم إلى قوة يواجهوا الانجليز من قاعدتها، ليتخلصوا من الإنجليز ثم ليتـخلصوا برضـو من النفوذ المـصرى .. دا كان بطبـيعـة الحال الأمـر الحقـيقى التحت السطح .. فى حـركة 24 الإتجاه دا ما كـان ناضج وواضح، حتى يمكن

(1) محمد سـعيد القدال، **الانتماء والاغتراب، دراسـات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص 122.

أن يقال أنه حركة 24 تكاد تكون دعوة لمصلحة المصريين أكثر مما هى دعوة لوطنية السودانيين"[1].

كان السيد عبدالرحمن المهدى (1885-1959) من جانبه قد قدم تقويماً لثورة 1924، إذ جاء فى مذكراته: **جهاد فى سبيل الاستقلال**:

"كان لانحلال الإمبراطورية العثمانية وتقلص ظل الخلافة أثر فى انبعاث الحركة الوطنية المصرية وقد كان للحوادث الجارية فى مصر منذ بدئها فى عام 1919 صدى فى السودان حرك الوعى السياسى عند الفئة القليلة المتعلمة وسكان المدن وأخذت الصحف المصرية تنادى بوحدة وادى النيل فانساق فى تيار هذه الحركة أكثر المتعلمين فى السودان وكان المظهر المادى لهذه النداءات قيام حركة عام 1924 إذ لم تكن هذه الحركة إلا امتداداً للحركة الوطنية المصرية وإننى وإن كنت أُكبر صفات الرجولة والصبر التى امتاز بها أعضاء جمعية اللواء الأبيض إلا أننى لا اعتبر حركة 1924 ممثلة للمطالب الحقيقية لشعب السودان"[2].

كتب محمد سعيد القدَّال عن تقييم ثورة 1924، مشيراً للتقييم الذى قدمه الشهيد عبدالخالق محجوب (1927-1971) قائلاً: "فقد كان شعار الجمعية والثورة التى فجرتها هو (وحدة وادى النيل) يعبر عن العجز السياسى والاقتصادى للطبقة الوسطى السودانية، أكثر من التعبير عن رغبة الجماهير الشعبية فى الانعتاق من عسف الاستعمار البريطانى. كما أن حركة 1924 كانت خالية من أى برنامج يمكن بمقتضاه تعبئة الجماهير وحملها على الانضمام إليها، إذ أن البرنامج فى مجمله لم يخرج عن ترديد ألفاظ الحرية ووحدة وادى النيل وعاشت مصر، أما المستقبل الذى يمكن أن تلقاه الجماهير من نظم ديمقراطية للحكم وتقدم اقتصادى واجتماعى، فأمور كانت مهملة من جانب تلك الحركة. وكان تنظيم الحركة ضعيفاً وغير متسع فى المستوى المطلوب لمجابهة الاستعمار. كانت به بعض

---

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) عبدالرحمن المهدى، **جهاد فى سبيل الاستقلال**، أشرف على إعداده الصادق المهدى، الخرطوم، 1986، ص 23-25؛ محمد سعيد القدال، **الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 126.

العناصر الخائنة التى اتهمت بنسفه والتآمر على أعضائه"[1].

كذلك حدثت أحداث أخرى قبل قيام مؤتمر الخريجين كانت تعبر عن تجمع الوعى القومى والعمل الوطنى الجماعى منها: قيام **المدرسة الأهلية** عام 1927. قامت المدرسة الأهلية كرد فعل على حادث عابر أخذ ينتشر فى أمدرمان، وهو أن المدرسة الإرسالية الأمريكية تمارس نوعاً من التبشير وسط التلاميذ المسلمين. أثار هذا الأمر سخط الأهالى والمتعلمين، فقرروا جمع التبرعات لبناء مدرسة، وبالفعل جمعوا التبرعات وقامت المدرسة الأهلية، الأمر الذى أكد قدرة الشعب وتضامن قطاعاته المختلفة، مما أعاد الثقة فى قدرته على الإنجاز[2]. وكان هناك كذلك من الأحداث السابقة لقيام مؤتمر الخريجين، إضراب طلبة كلية غردون 1931. كان الأستاذ محمود قد جاء عقبه مباشرة كطالب **بكلية غردون**، كما ورد آنفاً، وقد وصف الأستاذ محمود الإضراب بأنه أحيا الروح الوطنية[3]. وقد ورد حديث موسع عن إضراب الطلبة فى الفصل الأول من هذا الكتاب، ولكن ما يمكن أن أضيفه هنا هو أن الأستاذ محمود اعتبر إضراب الطلبة عام 1931 هو بداية الحركة الوطنية فى السودان. لقد طرح مندوبو **معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية** على الأستاذ محمود السؤال التالى: ماهو فى تقديرك التحديد الزمنى الممكن نحن نعتبرو فعلاً دى بداية الحركة الوطنية فى السودان؟ فأجاب الأستاذ محمود قائلاً: "والله التحديد الزمنى لبداية الحركة الوطنية فى السودان أنا بعتقد إضراب طلبة كلية غردون فى عام 31.. فعلا بعد داك اتداعى العمل طوالى والأدب وجد رواجه، والمجلات الأدبية السياسية، يمكنك أن تقول، أو الوطنية ظهرت، والمقالات الوطنية والسياسية ظهرت.. "[4].

حدث آخر، سبق قيام مؤتمر الخريجين، وكان يعبر عن تجمع الوعى القومى والعمل الوطنى الجماعى هو تأسيس "ملجأ القرش"، وهى فكرة طرحها عبر الصحف الأستاذ

(1) المرجع السابق، ص 126.
(2) المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مرجع سابق، ص 19-20.
(3) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.
(4) المصدر السابق.

عبدالفتاح المغربى المدرس بكلية غردون، بعد عودته من زيارة قام بها إلى ملجأ زاره فى مدينة المنصورة بمصر ورأى فيه الصناعات الوطنية المتقنة، فعبر عن أمله أن ترى الفكرة النور فى بلده. وسرعان ما تبنى جماعة الخريجين الفكرة بتأسيس ملجأ يكون مدرسة صناعية ومهنية لتعليم الأيتام والفقراء، وتكون وحدة التبرع لتأسيسه هى القرش، حتى يستطيع عامة الناس المساهمة فى قيام ذلك الصرح الذى سمى باسم وحدة التبرع (ملجأ القرش)، والذى تم افتتاحه عام 1936[1]. أيضاً سبق قيام مؤتمر الخريجين حدث مهم على الرغم من أنه حدث خارجى، ولكن ظلاله وآثاره كانت قوية داخل السودان، وهو معاهدة عام 1936. أُبرمت المعاهدة بين مصر وبريطانيا ولم يشارك فيها السودان، برغم تناولها لشأن السودان. لم تبدِ المعاهدة اهتماماً بآمال السودانيين فقد كرست الحكم الثنائى القائم على اتفاقية سنة 1899، كما أنها نظرت فى العلاقات بين مصر والسودان فى إطار حقوق مصر ومصالحها فى السودان، ولم تقدم المعاهدة للسودانيين سوى مفردة "الرفاهية". ألهبت هذه المعاهدة المشاعر، واتكأت عليها الكثير من النشاطات، أهمها المحاضرة الشهيرة للأستاذ أحمد خير بعنوان: "واجبنا السياسى، بعد معاهدة 1936"[2]، ونشرتها **مجلة الفجر** فى شهر مايو من عام 1937، وقد وردت فيها الإشارة لفكرة مؤتمر الخريجين.(لاحقاً سأناقش فكرة مؤتمر الخريجين وعلاقتها بالفكر التنظيمى الهندى، وكيف نقل طلائع المتعلمين الفكر التنظيمى الهندى وليس فكر المقاومة الهندى - الغاندى "المهاتما غاندى"؟ وهل مثل المهاتما غاندى نموذجاً إرشادياً لطلائع المتعلمين السودانيين؟ وما دوره وما مدى تأثيره فى طلائع المتعلمين؟ وهل تأثر الأستاذ محمود بفكر المقاومة السلمية لدى المهاتما غاندى؟ وما هى التقاطعات التى كانت بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى والتى عبر عنها البعض من خلال إطلاقه على الأستاذ محمود اسم "غاندى السودان" وعبر عنها البعض الآخر باسم "غاندى إفريقيا"، سأحول الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها فى الفصل

---

(1) المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مرجع سابق، ص 19-21.

(2) أحمد خير المحامى، "واجبنا السياسى: مؤتمر الخريجين"، الفجر، العدد 6، مجلد 3، 16 مايو 1937، ص 181-184؛ أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مرجع سابق، ص 59. فى الأصل كانت المحاضرة بعنوان: "واجبنا السياسى، بعد معاهدة 1936"، وقد عدل الأستاذ أحمد يوسف هاشم (1903-1958)، الذى ترأس تحرير **مجلة الفجر** خلال الفترة من 1937/3/1 إلى 1939/8/6، عنوان المحاضرة ليكون على النحو الذى نشر وشاع"واجبنا السياسى: مؤتمر الخريجين".

الثامن عشر: "الأستاذ محمود والروحانيون: فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية، الأستاذ محمود والمهاتما غاندى: مقاربة أولية").

من المهم الإشارة إلى أنه مع تلك الأحداث التى سبقت قيام مؤتمر الخريجين، لابد من الإشارة إلى أمرين مهمين، الأمر الأول هو دور جماعات القراءة فى الأحياء والجمعيات الأدبية بأندية الخريجين والموظفين، والتى أنشأها المثقفون بعد فشل ثورة 1924، ومارسوا من خلالها نشاطاتهم الأدبية والاجتماعية. كانت "جمعية أبوروف" التى تكونت من خريجى عامى 1924 و1925. و"جماعة الهاشماب" (أولاد الموردة) وقد عرفت فيما بعد بمدرسة الفجر، إشارة إلى **مجلة الفجر**، و"جمعية ود مدنى الأدبية"، و"**جماعة الأشقاء**"[1]، وغيرها. ويشير **سليمان كشة** فى مذكراته إلى جمعية "روضة الشعر بسنار" التى قامت مع بداية العمل فى خزان سنار عام 1914، كانت أول جمعية أدبية فى السودان[2]. والأمر الثانى وهو ما أشار إليه الأستاذ محمود حينما تحدث عن ما تبع إضراب الطلبة عام 1931 من صدور للمجلات الأدبية والسياسية، والمقالات الوطنية والسياسية، فقد كان الأمر الثانى هو صدور مجلتى **النهضة السودانية**، و**الفجر**. فقد صدرت **مجلة النهضة السودانية** لمؤسسها ورئيس تحريرها محمد عباس أبو الريش، وصدر عددها الأول فى 4 أكتوبر 1931، وتوقفت عن الصدور فى شهر ديسمبر عام 1932. وصدرت **مجلة الفجر** فى مجموعتين، الأولى، وكان رئيس تحريرها عرفات محمد عبدالله (1897-1936)، خلال الفترة من يونيو 1924 إلى أكتوبر 1925. أما المجموعة الثانية فكانت خلال الفترة من 1937/3/1 إلى 1939/8/6، وآلت رئاسة التحرير فيها للأستاذ أحمد يوسف هاشم (1906-1958)، بعد أن توفى عرفات محمد عبدالله (1897-1936)[3].

تبلورت فكرة المؤتمر وجاء الاعلان عن قيامه فى فبراير عام 1938. كان الأستاذ محمود، كما وردت الإشارة آنفاً، يعمل مهندساً برئاسة مصلحة سكك حديد السودان فى مدينة عطبرة.

---

(1) قاسم عثمان نور، **أضواء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين 1925-1938**، وزارة الثقافة ومركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، 2004، ص 31-43.

(2) سليمان كشة، **سوق الذكريات**، ج1، مطابع شركة الطبع والنشر، الخرطوم، 1963، ص37.

(3) قاسم عثمان نور، **أضواء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين 1925-1938**، مرجع سابق، ص 31-56.

فقد دعم فكرة مؤتمر الخريجين بقوة، إذ استطاع برفقة ميرغنى حمزة وأمين صديق أن يصححوا أوضاع نادى عطبرة، ويثروا الحركة الثقافية والسياسية بالمدينة. فقد نجحوا فى تحويل اسم النادى من نادى السكة الحديد- نادى موظفى السكة حديد السودانيين، إلى نادى الخريجين، كما انتزعوا إدارته من قبضة كبار موظفى السكة حديد لتكون الإدارة عبر الانتخابات[1]. من الواضح أن الأستاذ محمود كان مرحباً بقيام مؤتمر الخريجين فى بادىء الأمر، إلا أنه ما لبث أن اختلف كلية مع القائمين على المؤتمر ورفض منهج عمله الوطنى ووسائله فى النضال. لقد تحدث الأستاذ محمود بتوسع عن المؤتمر ووصفه بأنه خرج مرموقاً ومرعياً، ودعا لإصلاحات جمة، كتب الأستاذ محمود عن نجاحات المؤتمر ودوره فى الإصلاحات قائلاً:

"فأصاب كثيراً من النجاح، ووفق، بوجه خاص، فى يوم التعليم.. فقد جمع الأموال، وافتتح المدارس فى شتى أنحاء القطر ، أو، إن أردت الدقة، إنه ساعد العاملين من أبناء مدن القطر على إنشاء المدارس الوسطى التى أرادوها، وقد كان، كلما أنشأ مدرسة، أو ساعد على إنشاء مدرسة، تخلى عنها لمصلحة المعارف تسيرها وفق مناهجها، وأولاها ظهره، وتطلع إلى غيرها.. فقد جعل وكده إنشاء المدارس، ولاشىء بعد ذلك ثم أن المؤتمر كان له رأى ونشاط فى الميدان الاقتصادى وفى إصلاح القرية، و إصلاح الفرد، و محاربة الأمية، وتحسين الصحة العامة، إلى آخر ما إلى ذلك.. مما جعل المؤتمر مرجواً" [2].

كان موقف أعضاء المؤتمر إيجابياً ومعتدلاً مع الأستاذ محمود قبل أن يبدأ الأستاذ محمود فى نقد المؤتمر ورفض منهجه والتخلى عن العمل معه، ومن ثم إعلانه بوضوح وصراحة عن رفضه للمؤتمر. مما يوضح إيجابية موقف المؤتمر تجاه الأستاذ محمود، أن وفد السودان حينما أصدر كتاب بعنوان: **مآسى الإنجليز فى السودان**، ورد الحديث عن سجن الأستاذ محمود الأول عام 1946، يقول النص: "واعتقلت هذه الحكومة (الشريفة) دون حكم، المواطن محمود محمد طه لأنه كتب منشوراً يكشف به ألاعيبها ووضع فى سجن كوبر، ومنع عن أداء الصلاة، ووضع فى زنزانة مع بعض المصابين بالسل فى درجات

---

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.
(2) محمود محمد طه، **السفر الأول**، أمدرمان، 1945، ص 1.

المرض الخطيرة. ولم يطلق صراحه إلا بعد تدخل المؤتمر وخشية قيام الاضطرابات من أفراد الشعب"[1]. وما أن أعلن الأستاذ محمود موقفه من المؤتمر وحديثه عن انحراف المؤتمر عن مساره ورفضه التعاون والعمل معه، تغيرت العلاقة تماماً، فأصبح الباحث لا يجد أى إشارة لسجن الأستاذ محمود ونضالاته الوطنية سواء فى إصدارات المؤتمر أو مذكرات الأعضاء فيه من طلائع المتعلمين كما سيرد الحديث لاحقاً فى الفصل السادس عشر والذى سيتناول: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه". أعلن الأستاذ محمود **والحزب الجمهورى** الذى ترأسه فيما بعد، تحفظاته ورفضه لمنهج المؤتمر فى معالجة الكثير من القضايا وقد عبر عن ذلك من المنشورات والبيانات، منها بيان للحزب قال فيه: "إن هذا المؤتمر يسمى رسمياً باسم مؤتمر الخريجين العام، وهذا معناه أن أى عمل ينطوى تحت لوائه إنما يعبر عن آراء وغايات الخريجين لا عن سواهم من المواطنين لأنهم غير أعضاء فيه"[2].ثم بدأ المؤتمر فى الانحراف عن المسار، بمجرد ميلاد الحركة السياسية فيه، بعد مذكرة حق تقرير المصير . كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وقد أحاط المؤتمر هذه المذكرة بتكتم رصين، عاشت فيه، حتى اللجان الفرعية، فى ظلام دامس.. ثم أخذ يتداول مع الحكومة الردود بهذا الشأن بدون أن يعنى بأن يقول للجان الفرعية، بله الشعب، كيف يريد أن يكون هذا المصير الذى يطلب أن يمنح حق تقريره"[3]. تبع ذلك الانقسامات والشيع، يضيف الأستاذ محمود قائلاً:

"ثم انقضت فترة، ومشت فى المؤتمر روح شعبت أتباعه، شيعاً، على أساس الصداقات، وتجانس الميول، بادئ الرأى، ثم إتخذ كل فريق اسماً سياسياً، ... فمنهم من يريد للبلاد اندماجاً مع مصر ، ومنهم من يريد لها اتحاداً، ومنهم من يريد لها شيئاً لا هو بهذا، و لا هو بذاك، و إنما هو يختلف عنها اختلافاً، هو على أقل تقدير، فى أخلاد أصحابه، كاف ليجعل لهم لوناً يميزهم عن هؤلاء، وأولئك.. أنبتت هذه الأحزاب، و تعددت، و اختلفت، فيما يوجب الاختلاف، و فيما لا يوجب الإختلاف.. ولكنها كلها متفقة على الاحتراب على كراسى

(2) وفد السودان، **مآسى الإنجليز فى السودان**، دار الشرق للنشر والطبع، 1946، ص 173.

(2) عبدالقادر المرضى، "موقف الحزب الجمهورى من المؤتمر ومن وثيقة الأحزاب المؤتلفة"، (مخطوطة بيان بتاريخ 1945/11/9)، ضمن: **مقالات تحكى تاريخ الحزب الجمهورى**، (مخطوطة).

(3) محمود محمد طه، **السفر الأول**، مصدر سابق، ص 1-2.

المؤتمر، وعلى الاستمرار فى حرب المذكرات هذه، مع الحكومة" [1].

تبع ذلك كما أشار الأستاذ محمود تبادل المذكرات مع الحكومة ومن ثم "كانت مساومات، و كانت ترضيات.. بين من يريدون الإنجليز ، و بين من يريدون المصريين، وظهرت الوثيقة، (هكذا أسموها هذه المرة) الوثيقة التى تنص على حكومة ديمقراطية حرة، فى اتحاد مع مصر، و تحالف مع بريطانيا"[2].

لقد أعلن **الحزب الجمهورى** موقفه من هذه الوثيقة والتى ائتلفت عليها الأحزاب فى 25 أغسطس 1945، وعرفت بوثيقة الأحزاب المؤتلفة، وتبناها المؤتمر فى أكتوبر. أعلن الحزب موقفه فى بيان جاء بعنوان: "موقف **الحزب الجمهورى** من المؤتمر ومن وثيقة الأحزاب المؤتلفة" ونشر البيان بتوقيع عبدالقادر المرضى السكرتير المؤقت **للحزب الجمهورى** فى يوم 9 نوفمبر 1945، قال الحزب فى بيانه: "وموقفنا إزاء وثيقة الأحزاب يتلخص فى أننا من جانبنا لا نقرها لأنها تختلف فى جوهرها اختلافاً واضحاً عن دستورنا على أننا لا نفهم لماذا تتقيد باتحاد وتحالف فتضع بذلك حق البلاد الطبيعى فى الحرية موضع المساومة بأن ندفع ثمن الحرية اتحاداً مع هذه أو محالفة مع تلك"[3]. لقد تجلى اختلاف الأستاذ محمود الكلى مع المؤتمر ومن ثم مع المثقفين على اختلاف ألوانهم السياسية، فى طرحه لجملة من الأسئلة ومن خلال إجابته على تلك الأسئلة، تساءل الأستاذ محمود قائلاً:

لماذا لم يسر المؤتمر فى التعليم الأهلى على هدى سياسة تعليمية موضوعية، منظور فيها إلى حاجة البلاد كلها، فى المستقبل القريب، و البعيد؟ ولماذا لم يعن المؤتمر بمناهج الدراسة كما عنى بإنشاء المدارس؟ لماذا، عندما ولدت الحركة السياسية فى المؤتمر، اتجهت إلى الحكومة تقدم لها المذكرات تلو المذكرات و لم تتجه إلى الشعب، تجمعه، و تنيره، و تثيره لقضيته؟؟ ولماذا قامت عندنا الأحزاب أولاً، ثم جاءت مبادؤها أخيراً ؟؟ و لماذا جاءت هذه المبادئ، حين جاءت مختلفة فى الوسائل مختلفة فى الغايات؟؟ و لماذا يحدث تحور، و تطور، فى مبادئ بعض هذه الأحزاب،

---

(1) المصدر السابق، ص 2.

(2) المصدر السابق، ص 3.

(3) عبدالقادر المرضى، مصدر سابق.

بكل هذه السرعة؟ ثم لماذا تقبل هذه الأحزاب المساومة، فى مبادئها، مساومة جعلت أمراً كالوثيقة عملاً محتملاً ، و قد وقع واستبشر به بعض الناس؟ [1].

ثم أجاب الأستاذ محمود على الأسئلة التى طرحها قائلاً: "والجواب قريب: هو انعدام الذهن الحر، المفكر، تفكيراً دقيقاً، فى كل هذه الأمور ، فلو كان المؤتمر موجهاً توجيهاً فاهماً لعلم أن ترك العناية بنوع التعليم خطأ موبق، لا يدانيه إلا ترك العناية بالتعليم نفسه.. ولأيقن أن سياسة (سر كما تشاء) هذه المتبعة فى التعليم الأهلى سيكون لها سود العواقب فى مستقبل هذه البلاد"[2]. ويرى الأستاذ محمود أن انعدام الذهن المفكر تفكيراً حراً دقيقاً هو الذى طوع للمؤتمر يوم ولدت فيه الحركة السياسية، وهى قد ولدت ميتة، أن يعتقد أن كتابة مذكرة للحكومة تكفى لكسب الحرية، حتى لكأن الحرية بضاعة تطلب من الخارج، ويعلن بها الزبائن بعد وصولها، حتى تكون مفاجأة، و دهشة.. و لو أن جميع الأحزاب القائمة الآن استطاعت أن تفكر تفكيراً دقيقاً لأقلعت عن هذه الألاعيب الصبيانية التى جعلت الجهاد فى سبيل الحرية ضرباً من العبث المزرى[3]. بتلك الأسئلة وبهذه الإجابة نخلص إلى أن اختلافاً عميقاً نشأ بين الأستاذ محمود وطلائع المتعلمين بمختلف ألوانهم السياسية ومشاربهم الفكرية فى الرؤية السياسية وفى الغايات والوسائل فى السعى للاستقلال وفى البناء المستقبلى للسودان. وعندما نشأ **الحزب الجمهورى** عام 1945، حدد الحزب موقفه من مؤتمر الخريجين وعلاقته به. فقد أعلن الحزب أنه لا يعمل سياسياً تحت لواء المؤتمر لأنه أى **الحزب الجمهورى** فتح عضويته لكل السودانيين بينما المؤتمر لا يعبّر إلا عن آراء وغايات الخريجين دون سواهم من المواطنين. وأوضح الحزب أنه سيعيد النظر فى موقفه من مؤتمر الخريجين عندما يصبح مؤتمر السودان العام ويصبح لكل سودانى حق العضوية فيه[4]. وعن تعاون الحزب مع المؤتمر يقول الحزب: "وأما فى نطاق الإصلاحات الاجتماعية فسوف يتعاون الحزب مع أى هيئة تضطلع بها بدون أن يكون هذا التعاون

---

(1) محمود محمد طه، **السفر الأول**، مصدر سابق، ص 3-4.

(2) المصادر السابق، ص 4.

(3) المصدر السابق، ص 4.

(4) عبدالقادر المرضى، مصدر سابق؛ فيصل عبدالرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، ط2، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2004، ص 230-231.

مقـيداً بضرب من ضـروب التبعـية"[1]. أما عن موقف **الحزب الجمـهورى** من الأحزاب السودانية يـقول الأستاذ محـمود: "موقفنا من الأحـزاب فى الحقيقـة من الأول كان موقف معـارضة.. إن أحـزابنا أحزاب انضوت تحت الطائفية.. هى مـرعيـة من زعماء الـطائفة.. الزعـيم السيـاسى حريص على إرضـاء زعيم الطائفـة، ونحن بنعتـقد آفـة البلد دا كله من الطائفية.."[2]. ويضيف الأسـتاذ محـمود قائلاً: "فنحـن ضد الأحزاب من بداية نشـأتها، ودايمـاً بنتكلم عن دا وبنـقول أنه يـجلو الاسـتعـمـار بكرة ثم لا نجـد أنفـسنا أحـراراً ولا مستقلين وإنما متخبطين فى فـوضى لا قرار لها، لأننا أحزاب بدون فلسفات وبدون مناهج وبدون برامج.. فالجملة دى كانت تقريباً بتمثل موقفنا من الأحزاب"[3].

رفض الأسـتاذ مـحـمود التعـاون فى أى عمل وطنى مـع هذه الأحزاب إلا فى أربعـة مشـاريع، سترد الإشـارة إليهـا لاحقاً، وهى: الجـبهة الاسـتقـلالية الأولى 1946، والجبـهة الاستقلاليـة الثانية 1955، ولجنة الدستور القـومية 1956، ومؤتمر الدفاع عن الديمـقراطية نوفمبر 1965. من المهم الإشارة إلى أن الأستـاذ محمود رئيس **الحزب الجمـهورى** قد ندد **بالمجلس الاستشـارى لشمال السودان**، وظل على الدوام رافضاً له. من المعلوم أن **المجلس الاستشارى لشمال السودان**، قد تم التصديق على قانونه فى 1943، وكان قيامه بناء على توصيـة من لجنة شكلهـا الحاكم العام من أربـعة بريطانيـين، وأصدر بموجب ذلك تشـريعاً يفصل قـانون المجلس الذى اشتمل تكوينه على المديريات الشـمالية ويرأسه الحـاكم العام، ويبلغ عدد أعضـائه ثمانية وعشرين عضـواً معيناً من قبل الإدارة الاستعـمارية، من زعماء العشائر، ورجـال الدين، والوجهاء، ...إلخ.ومن ثم تطور المجلس إلى **الجمعية التـشريعية** (1948-1952).عارض **الحزب الجمـهورى** المجلس الاستـشارى ليس فى طبـيعة الـتشكيل والتركيـبة الجهوية والصفـوية، وخطورة ذلك على وحدة السودان فحـسب؛ وإنما بتعارض

---

(1) عبدالقادر المرضى، مصدر سابق.

(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقـية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاعة المجهولة: لوحة مشرقة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار، مرجع سابق، ص 61.

(3) لقاء الأسـتاذ محمود بمندوبى مـعهد الدراسات الإفريقـية والآسيوية، جـامعة الخرطوم، مصـدر سابق؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاعة المجـهولة: لوحة مشرقة من النـضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمـار، مرجع سابق، ص 61.

قيام المجلس مع رؤية **الحزب الجمهوري** للاستقلال القائمة على المواجهة والنضال لا التسويات والمساومات وتبادل المذكرات وتقديم التوصيات كما ذهب فى هذا المنحى مؤتمر الخريجين. هذا إلى جانب حديث الأستاذ محمود بأن المجلس الاستشاري سيقود لانفصال الجنوب لذلك ظل يناهض ويندد بالمجلس. يقول الأستاذ محمود: "أنو الإنجليز نواياهم مبيتة لفصل الجنوب ولذلك جعلوا المؤتمر (المجلس) الإستشاري لشمال السودان ونواياهم كلها فى أنهم يفصلوه .. فدا كنا بنحمس بيهو الجماهير"[1]. والمجلس الاستشاري لشمال السودان هو الذى أصدر قانون الخفاض الفرعوني، كما سيأتي توضيح ذلك لاحقاً فى الفصل الخامس والذى يعالج: ثورة رفاعة (الخفاض الفرعوني)، سبتمبر 1946. قام **الحزب الجمهوري** بنشاط كبير فى سبيل ذلك، الأمر الذى أدى لسجن بعض أعضائه بسبب تنديدهم ومناهضتهم للمجلس الاستشاري، فقد أوردت **صحيفة الرأى العام**، خبر اعتقال أعضاء **الحزب الجمهوري** وهم يندددون بالمجلس الاستشاري، جاء فى تفصيل الخبر:

"اعتقل بوليس الخرطوم بحري مساء أمس ذا النون جبارة وعبدالمنعم عبدالماجد أعضاء **الحزب الجمهوري** عندما ألقيا خطابين أمام السينما الوطنية بالخرطوم بحري ونددا فيهما بالمجلس الاستشاري وقانون الخفاض وكبت حرية الرأى والخطابة، وباعتقال هذين بلغ عدد المعتقلين من **الحزب الجمهوري** خمسة مازالوا فى السجن"[2].

الشاهد أن نشاط **الحزب الجمهوري** كان نشاطاً كثيفاً فى التنديد بالمجلس الاستشاري والتنبيه على خطورة نتائجه المستقبلية، فقد نشرت صحيفة الرأى العام تحت عنوان: "عضوان من **الحزب الجمهوري** يطلق سراحهما"، وجاء فى تفاصيل الخبر: "اطلق سراح منير أفندي صالح عبدالقادر وعبدالمنعم أفندي عبدالوهاب اللذان قبض عليهما قبل أيام بتهمة القاء خطب تندد بالمجلس الاستشاري... فى مكان عام فى الخرطوم. كان إطلاقهما بلا ضمان"[3].

الشاهد أنه برغم نقد الأستاذ محمود لمؤتمر الخريجين، ودعوته للمثقفين للأخذ بمبدأ

---

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبي معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.
(2) "إضراب رئيس الحزب الجمهوري عن الطعام، والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 453، الخميس 27 سبتمبر 1946.
(3) "عضوان من الحزب الجمهوري يطلق سراحهما"، **صحيفة الرأى العام**، الجمعة 4 أكتوبر 1946.

المواجهة للمستعمر بدلاً عن المساومة ونضال المذكرات، برغم ذلك يبدو أن فكرة مؤتمر الخريجين قد كانت موضع تقدير عند الأستاذ محمود ونظر إليها كنواة للحركة الوطنية. ففى خطاب وجهه الأستاذ محمود فى عام 1979 إلى رئيس نادى الخريجين بمدينة مدنى عندما أغلق النادى (أنظر ملحق رقم: "46"). كتب الأستاذ محمود قائلاً: "لقد خرجت من ناديكم، فى الثلاثينات، الشعلة الاولى التى كانت نواة الحركة الوطنية العظيمة التى انتهت الى إخراج الاستعمار الحسى -حكم الانجليز- من البلاد، فأحرزت بذلك تحريرها"[1]. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "فأرجو أن يكون هذا الحادث البشع نقطة انطلاق لناديكم ولأندية الخريجين فى كل مكان، لتواصل المشوار الذى بدأته فى الثلاثينات فى محاربة الاستعمار الحسى، حتى تقضى على هذا الاستعمار الجاهل الذى يشل العقول باسم الله وباسم الإسلام"[2]. وفى موقع آخر من الخطاب، أطلق الأستاذ محمود على الجهل بالدين اسم الاستعمار المعنوى، حيث كتب الأستاذ محمود وهو يتحدث عن الدور المأمول للنادى بعد دوره فى اخراج المستعمر الإنجليزى ليكون دوره: "إخراج الاستعمار المعنوى ـ الجهل بالدين وتسلط هذا الجهل على عقول أفراد شعبنا ـ من العقول بإذن الله، فيتم بذلك ما بدئ، فى مضمار التحرير، من إحراز الاستقلال الصحيح"[3].

تحرير الحزب الجمهورى من تنميط المؤرخ الفقيه

ومؤسس الحزب (الجمهورى) هو الاستاذ محمود محمد طه الذى كان من أبرز الوجوه الوطنية فى مستهل حركات النضال... ولأن محمود زاهد فى المكاسب وراغب عنها فإن حزبه... لم يكن فيه من إغراءات الطموح السياسى ما يدفع الناس الى عضويته الجافة من ماديات الحياة والتى لا يقبلها الإنسان إلا إذا كان سيفه بيمينه وبطانيته على كتفه ليدخل السجن[4].

التجانى عامر (1908-1987)

(1) محمود محمد طه، "خطاب إلى عبد الرحيم محمود أبو عيسى، رئيس نادى الخريجين بمدنى"، 1979/1/13.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.
(4) التجانى عامر، "ذكريات: من مذكرات التجانى عامر"، مرجع سابق.

حضر الأستاذ محمود فى مهرجان تكوين الأحزاب السودانيةمعلناً فى يوم الجمعة 26 أكتوبر 1945، عن تأسيس **الحزب الجمهورى**. وكان قد اقترح تسمية الحزب **بالحزب الجمهورى**، أمين مصطفى التّنى، اشارة لمطالبتهم بقيام جمهورية سودانية مستقلة عن دولتى الحكم الثنائى. وعن قصة نشأة الحزب يقول الاستاذ محمود: "قبل ما ينشأ **الحزب الجمهورى** أنا كانت عندى مقالات فى الصحف.. منها صدر مقال زى يقول: لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟ المقال دا لعله، وبعض النشاط الأدبى فى الصحف المحلية، لفت نظر بعض الأخوان المهتمين برضو بالسياسة، الواحد يذكر منهم أمين مصطفى التنى"[1].

لفت المقال نظر بعض الشباب، فجاءوا إلى الأستاذ محمود وأخبروه باختيارهم له. سبق وأن أوردت ما قاله الأستاذ محمود بشأن زيارة أمين مصطفى التنى إليه، وإخطاره له بأهم لفيف من الشبان فكروا فى إنشاء حزب جمهورى ووقع اختيارهم على الأستاذ محمود. وكما ورد فى الفصل السابق، عقد اجتماع واختير الأستاذ محمود رئيساً للحزب، وعبدالقادر المرضى سكرتيراً له. وقد كان **الحزب الجمهورى** هو الحزب السياسى الوحيد وقتها الذى كان يطالب بالحكم الجمهورى، وفى المطالبة بالاستقلال التام[2]. فى يوم الجمعة 26 أكتوبر 1945 أصدر الحزب دستوره وأغراضه وسياسته العامة ضمن إصدار وسمه بـ: **السفر الأول**. جاء فى المذكرة التفسيرية لدستور الحزب: "لما كانت الغاية من قيام الحكومات هى أن تهىء للفرد أقصى ما يمكن أن يصل إليه من الرفاهية رأت هذه الجماعة التى تكونت باسم **الحزب الجمهورى** ، أن أنسب نظام يلائم نفسية هذا الشعب، ويتجاوب مع رغائبه، ويخدم أغراضه، ويحمى منافعه، هو قيام حكومة جمهورية ديمقراطية حرة"[3]. وعن النظام الجمهورى تقول المذكرة التفسيرية:

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مرجع سابق.

(2) جاء فى مصادر تاريخية متفرقة أن الأعضاء المؤسسين **للحزب الجمهورى** إلى جانب الأستاذ محمود هم (مع الاحتراز بأن ربما كانت هناك أسماء لم ترد هنا، ولكنى سأظل أبحث وأدقق فى هذه القائمة الأولية، على أمل أن أقدم دراسة لاحقة بشأن التعريف بالأعضاء المؤسسين للحزب الجمهورى): أمين صديق، ميرغنى حمزة، ذا النون جبارة، أمين مصطفى التنى، عوض لطفى، إبراهيم المغربى، أحمد المبارك عيسى، أحمد يوسف قوَى، إسماعيل محمد بخيت، حسن طه، سعد صالح عبد القادر، عبد القادر المرضى، عثمان عتبانى، محمد خير على، محمد صالح التوم، محمود الأزهرى، مكاوى المرضى، منصور عبد الحميد، منير صالح عبدالقادر، مهدى أبوبكر، يحيى محمد عبد القادر.

(3) الحزب الجمهورى، **السفر الأول**، مصدر سابق، 1-4.

"إن هذا الحزب، كما هو ظاهر، يرى أن النظام الجمهورى هو أرقى ما وصل اليه اجتهاد العقل البشرى فى بحثه الطويل عن الحكم المثالى وعلى هذا الأساس وللأسباب المذكورة فضّله". وعن أغراض الحزب جاء فى دستوره[1]:

الاسم: الحزب الجمهورى

المبدأ: الجلاء التام

الغرض:

أ- قيام حكومة سودانية جمهورية ديمقراطية حرة مع المحافظة على السودان بكامل حدوده الجغرافية القائمة الآن.

ب- الوحدة القومية.

ج- ترقية الفرد والعناية بشأن العامل والفلاح.

د- محاربة الجهل.

هـ- الدعاية للسودان.

و- توطيد العلاقات مع البلاد العربية والمجاورة.

العضوية:

1- لكل سودانى بلغ من العمر 18 سنة.

2- لكل مواطن ولد بالسودان أو كانت إقامته فيه لا تقل عن عشر سنوات لم يبارح خلالها السودان.

مال الحزب: يصرف فى الأغراض التى نشأ من أجلها الحزب.

لخصت المذكرة التفسرية لدستور الحزب الأولويات والحوائج التى تستدعى التفاتة خاصةمن الحزب فى الآتى:

1- العناية بالوحدة القومية، ونرمى بذلك إلى خلق سودان يؤمن بذاتية متميزة

(1) المصدر السابق، 3-4.

ومصير واحد وذلك بإزالة الفوارق الوضعية من اجتماعية وسياسية، وربط أجزاء القطر شماله وجنوبه وشرقه وغربه حتى يصبح كتلة سياسية متحدة الأغراض متحدة المنافع متحدة الإحساس.

2- ترقية الفرد من ناحية الإنتاجية والمعيشية حتى يتمكن من استغلال موارد بلاده الزراعية والصناعية بإنشاء جمعيات تعاونية لهذا الغرض وإنشاء نقابات توجه العمال التوجيه الصحيح.

3- تعليم الفرد حتى يصبح عضواً صالحاً فى المجموعة يدرك ما عليه من الواجبات وماله من الحقوق.

4- الدعاية للسودان بشتى الوسائل حتى يتمكن أن يسمع صوته خارج هذا النطاق المحلى الضيق.

5- نحن وإن كنا لا نريد أن نرتبط بشيء ما فى الوقت الحاضر ولكن لا يمكننا أن نتجاهل الأواصر التى تربطنا بدول الشرق العربى بشكل عام، والمنافع التى تربطنا بالأقطار المجاورة بشكل خاص وسوف تتكيف علاقاتنا مع هؤلاء جميعاً على هذا الأساس.

وعن رؤية الحزب للاستقلال جاء فى **السفر الأول**: "إن **الحزب الجمهورى** لا يسعى إلى الاستقلال كغاية فى ذاته، و إنما يطلبه لأنه وسيلة إلى الحرية.. وهى التى ستكفل للفرد الجو الحر الذى يساعده على إظهار المواهب الكمينة فى صدره ورأسه"[1]. طالب **الحزب الجمهورى** بالاستقلال التام، فى الوقت الذى كانت فيه الحركة الوطنية السودانية، بقسميها اللذين يقودهما حزبا الاتحادى والأمة لاينادیان إلا بالاتحاد مع مصر (الاتحاديون) أو بالاستقلال فى تحالف مع التاج البريطانى (الامة).كتب الأستاذ أحمد خير المحامى قائلاً: "ولما وضحت معالم الخلاف واشتد وطيسه بين الاتحاديين والانفصاليين، نشأ **الحزب الجمهورى**، وهو حزب ينادى باستقلال السودان من مصر وانجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية... لقد برهن رجال **الحزب الجمهورى** على صدق عزيمتهم وقوة إيمانهم لذلك يتمتعون باحترام الجميع، كما برهن رئيسهم

(1) الحزب الجمهورى، مصدر سابق، ص 5-6.

[الأستاذ محمود] على إخلاص وصلابة وشدة مراس"[1]. تحدث المؤرخ محمد سعيد القدَّال كثيراً في دراساته مشيراً **للحزب الجمهوري** ودوره في الحياة السياسية في السودان، وتميزه باعتباره أول الأحزاب الداعية للاستقلال، وتحدث القدال عن نشر الحزب لبرنامجه وأهدافه. وانتقاده للتيارين الكبيرين لارتباطهما ببريطانيا ومصر ولانعدام المذهبية في عملهما، ودعا الحزب إلى استقلال السودان عن بريطانيا ومصر وقيام جمهورية سودانية، وفصل القدَّال في ذلك[2].

بإنشاء **الحزب الجمهوري** في أكتوبر 1945، برز رئيسه الأستاذ محمود في الساحة الوطنية، قائداً سياسياً متفرداً في رؤيته وفي صلابة مواقفه. انطلق الحزب في رؤيته السياسية من متطلبات المرحلة، وهي مرحلة النضال من أجل طرد الاستعمار، والتي أطلق عليها مرحلة ملء فراغ الحماس،وتبنى فيها خط المواجهة والصدام مع المستعمر، فسجن الأستاذ محمود رئيس الحزب مرتين قبل نهاية الأربعينات، كما سيرد لاحقاً. ومنذ 30 اكتوبر 1951، والعقود التالية، سطع اسم الأستاذ محمود في سماء الخرطوم، كصاحب مشروع جديد، فانتقل **بالحزب الجمهوري** من مرحلة ملء فراغ الحماس إلى مرحلة ما أسماه ملء فراغ الفكر (المذهبية). طرح الأستاذ محمود مبادرة خلاقة، تمثلت في مشروع فكري إسلامي جديد. ومنذ أن بدأ في طرح الخطوط العريضة لمشروعه، تجلت فيه طاقة فكرية هائلة، وقدرة عالية على الإنتاج المعرفي والاهتمام بالتوثيق. وتُعد حركة التأليف والنشر المستمرين، التي قادها الأستاذ محمود، ثقافة جديدة في الفضاء المعرفي السوداني منذ ظهور طلائع المتعلمين مع بواكير القرن العشرين، كما وردت الإشارة في الفصول السابقة.

فالحزب الجمهوري كان من أوائل الأحزاب الاستقلالية في السودان. وقاد أعضاؤه نضالاً عظيماً ضد الاستعمار. سجن بعضهم بسبب النضال ضد المستعمر. وسجن رئيس الحزب الأستاذ محمود مرتين، الأولى في يونيو عام 1946، والمرة الثانية حينما قاد ثورة رفاعة عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين. كتب الأستاذ يحيى محمد

(1) أحمد خير المحامي، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان**، مصدر سابق، ص95-96.
(2) محمد سعيد القدَّال، **تاريخ السودان الحديث 1820-1955**، مرجع سابق، ص 494-495.

عبدالقادر(1914-2011)، الذى كان عضواً فى **الحزب الجمهورى**، وتركه فيما بعد، كتب يحيى وهو يتحدث عن ثلاثة أطوار مر بها **الحزب الجمهورى**، قائلاً: "الطور الأول وهو هادىء متزن شغل الأعضاء فيه بالاعداد والتجهيز... وقد أخرجوا فى هذا الطور عدة كتيبات ذات طابع دراسى محض تناولوا فيها شؤوناً مختلفة بعضها اجتماعى والآخر سياسى"[1]. وعن الطور الثانى يقول يحيى: "والطور الثانى كان طور العنف والشدّة والاضطراب. فقد خرج أفراد الحزب إلى المجتمعات والجوامع والمقاهى يخطبون ضد الاستعمار والحكم الثنائى... ويوزعون المنشورات السرية المتضمنة هذه المعانى.. وأسفر هذا الطورّ عن سجن رئيس الحزب وبعض أعضائه مدداً مختلفة فى كوبر"[2]. وأضاف يحيى قائلاً: "وكان من أبرز أعمال الحزب خلال هذه الفترة تعاونه مع الجبهة الاستقلالية لمحاربة مشروع اتفاقية صدقى- بيفن التى أقرت وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل.. ثم انسحابه من الجبهة بعد انقشاع هذه المخاوف"[3]. أما عن الطور الثالث كتب يحيى قائلاً: "أما الطور الثالث وهو طور الانحلال فقد بدأ عقب سجن رئيس الحزب للمرة الثانية لمهاجمته على رأس فريق من الجماهير سجن رفاعة وإخراجهم امرأة كانت قد خفضت ابنتها خفاضاً فرعونياً"[4].

كل هذه الأطوار كانت تقع ضمن المرحلة الأولى وهى، كما أسماها الأستاذ محمود، مرحلة ملء فراغ الحماس. وعندما انتقل الحزب للمرحلة الثانية والتى أطلق عليها الأستاذ محمود فى عام 1951 مرحلة ملء فراغ الفكر (المذهبية)، لم يختلف كثيراً دستور الحزب عما كان عليه فى عام 1945. فقد نشر الحزب بياناً بعنوان: **دستور الحزب الجمهورى**، متضمناً مذكرة تفسيرية، جاء فى البيان والمذكرة[5]:

الاسم: الحزب الجمهورى

---

(1) يحيى محمد عبدالقادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، ج3، مصدر سابق، ص 144.

(2) المصدر السابق، ص 144.

(3) المصدر السابق، ص 144.

(4) المصدر السابق، ص 144-145.

(5) الحزب الجمهورى، "مذكرة تفسيرية"، **دستور الحزب الجمهورى**، دار الوثائق القومية، الأحزاب السودانية، 31/1/2، الخرطوم.

الشعار: الحرية لنا ولسوانا

المبدأ: تحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة والحرية الفردية المطلقة

الوسيلة: قيام حكومة سودانية، جمهورية، ديمقراطية، حرة داخل حدود السودان الجغرافية القائمة الى عام 1934 وذلك بالعمل المتصل لـ:

أ- الوحدة القومية

ب- ترقية الفرد من رجل وامرأة

ج- محاربة الخوف

د- الدعاية للسودان بالعمل الصادق والقول المقتصد

و- توطيد العلاقات مع البلاد الإسلامية والبلاد المجاورة بوجه خاص ومع سائر بلاد المعمورة بوجه عام

العضويـــة :

أ. لكل سودانى أو سودانية بلغت من العمر 18 سنة

ب. لكل مواطن ولد بالسودان أو كانت إقامته فيه لا تقل عن عشر سنوات لم يغادر خلالها البلاد

مال الحزب : يصرف مال الحزب فى تحقيق الأغراض التى من أجلها نشأ الحزب

مذكرة تفسيرية (تم إبراز بعض الكلمات ووضع خط تحتها، مثلما جاء إبرازها ووضع الخط تحتها فى أصل البيان)

الحزب الجمهورى دعوة الى مدنية جديدة تخلف المدنية الغربية المادية الحاضرة التى أعلنت إفلاسها بلسان الحديد والنار فى هذه الحروب الطواحن التى محقت الأرزاق وأزهقت الأرواح ثم لم تضع أوزارها إلا وقد انطوت الضلوع على حفائظ تجعل فترة السلام فترة استعداد لمعاودة الصيال من جديد بصورة أكثر بشاعة وأشد تسعيرا ..والفلسفة الاجتماعية التى تقوم عليها تلك المدنية الجديدة **ديمقراطية اشتراكية** تؤلف

بين القيم الروحية وطبائع الوجود المادى تأليفاً متناسقاً مبرأ على السواء من تفريط المادية الغربية التى جعلت سعى الانسانية موكلا بمطالب المعدة والجسد ومن إفراط الروحانية الشرقية التى اقامت فلسفتها على التحقير من كل مجهود يرمى الى تحسين الوجود المادى بين الأحياء، وطلائع هذه المدنية الجديدة أهل **القرآن** الذين قال تعالى فيهم "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" أى وسط بين تفريط الغرب المادى وإفراط الشرق الروحانى ودستور هذه المدنية الجديدة القرآن الذى تقدم بحل المسالة التاريخية التى أعيت حكمة الفلاسفة: مسألة التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة.. وسمة هذه المدنية الجديدة **الإنسانية** فانها ترى أن الأُسرة البشرية وحدة وأن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهى بشرية وأن الحرية والرفاهية حق مقدس طبيعى للأسود والأبيض والأحمر والأصفر. وسيبدأ **الحزب الجمهورى** بتنظيم منزله، ومنزل **الحزب الجمهورى** السودان بكامل حدوده الجغرافية القائمة الى عام 1934 ذلك بأن هذه المدنية الجديدة لا بد لها أن تطبق داخل هذه الحدود قبل أن تسترعى انتباه الانسانية اللاغبة الضاربة فى التيه وأول خطوة فى سبيل تطبيقها إجلاء الاستعمار فى جميع مظاهره اجلاءً تاماً ناجزاً. وسلاحنا فى إجلاء الاستعمار عدم التعاون معه أول الأمر ، نبلغ بعدم التعاون هذه درجة العصيان المدنى آخر الأمر ، فإذا تم ذلك فقد أصبح بقاء الاستعمار ضربا من المحال. وأما سبيلنا إلى تحقيق العصيان المدنى فهو الاستقتال فى سبيل نشر الدعوة حتى تتم لنا الوحدة القومية بخلق سودان يؤمن بذاتية متميزة ومصير واحد يفهم أفراده المسائل العامة على نحو قريب من قريب فتزول بذلك الفوارق الوضعية من اجتماعية وسياسية فترتبط أجزاء القطر من شماله وجنوبه وشرقه وغربه فيصبح كتلة سياسية واجتماعية متحدة المنافع متقاربة الإحساس .

الحزب الجمهورى: يرسم الطريق ويقدم النموذج للأحزاب

*إن **الحزب الجمهورى** بنشر (قل هذه سبيلى) إنما يرسم الطريق ويضرب الأمثال للأحزاب الأخرى التى تخلفت حتى الآن وعجزت عن نشر أهدافها ووسائلها وأغراضها على الناس. وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأدعو جميع الأحزاب أن تحذو حذو **الحزب الجمهورى** فتخرج على الناس أهدافها ومراميها وتتعاون على تربية الشعب تربية سياسية لابد منها إن أردنا للشعب أن يكون له صوت وكلمة فى حكومته[1].*

بشير محمد سعيد (1921-1995)

كان من بين ما يميز **الحزب الجمهورى** أنه ليس لديه ارتباطات طائفية أو قبلية، ولم تكن له ارتباطات أو علاقات مع الساسة فى مصر أو مع الإدارة البريطانية. ولهذا فهو بعيد عن المفاوضات الفوقية فى نضاله من أجل الاستقلال، فى الوقت الذى كانت فيه جهود الاستقلال تقوم على المفاوضات الفوقيه مع دولتى الحكم الثنائى، ولم يخرج السعى إلى الاستقلال من حيز المفاوضات والعمل الفوقى إلى النشاط السياسى العريض، أوالعمل الجماهيرى الواسع. (لقد تناول المؤرخ محمد سعيد القدَّال هذا المعنى فى الكثير من دراساته). الشاهد أن **الحزب الجمهورى** اتجه إلى مخاطبة الجماهير فى المقاهى والأماكن العامة. يقول الأستاذ محمود: "فانصرفت فى عملى الحزبى إلى تصعيد المعارضة للاستعمار البريطانى فى منشورات بالرونيو توزع بالليل وبالنهار على المواطنين..."[2]. عمل **الحزب الجمهورى** بمبدأ المواجهة للمستعمر وسعى لتعزيز خطه الثورى فى مجابهة المستعمر، فظل يطبع المنشورات والبيانات فى مطبعة سرية ويوزعها ليحض الشعب على الثورة ضد المستعمر. وفى هذا كان أول حزب سياسى يستخدم المطبعة السرية، كما شهد بذلك أحمد خوجلى فى حديثه الذى ورد آنفاً. وقد تحدث يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011) بتوسع فى مذكراته الموسومة بـ: "**على**

---

(1) بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد 1630، الأحد 1952/6/8.

(2) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق؛ إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، مصدر سابق، ص 127-129.

هامش الأحداث فى السودان"[1]، كما وردت الإشارة، عن نضال الحزب، وأشار إلى أن الرسائل الواردة للحزب كانت تأتى عن طريق عنوانه بصحيفة النيل. وكان من بين أعضاء **الحزب الجمهورى** أمين صديق، وميرغنى حمزة على، والشاعر منير صالح عبدالقادر (1919-1994) وصديقه الشاعر محمد المهدى المجذوب (1918-1982)، وآخرون سيرد ذكرهم فى معرض التناول. وكانت تربط الشاعر المجذوب علاقة خاصة بالأستاذ محمود، وظل على صلة به حتى وفاته عام 1982. وأيضاً جعفر الشريف عمر السورى، الذى ظل على علاقة بالأستاذ محمود وصاحب صلة به إلى حين وفاته (???-1956)[2].

أخذ **الحزب الجمهورى** بمبدأ المواجهة، وواجه رئيسه السجن مرتين كما سيرد الحديث لاحقاً، وكذلك بعض أعضائه. ظل **الحزب الجمهورى** يقدم النموذج للأحزاب من خلال نشره للكتب والنشرات التى تبين أهدافه ووسائله وتجسِّر التواصل مع الجماهير، فقدم بذلك معطىً جديداً فى الساحة السياسية السودانية. كتب بشير محمد سعيد (1921-1995) فى 8 يونيو 1952 مقال بعنوان" الجمهوريون يرسمون الطريق"، كتب قائلاً: "أصدر **الحزب الجمهورى** الذى يتزعمه الأستاذ محمود محمد

---

(1) يحيى محمد عبدالقادر، **على هامش الأحداث فى السودان**، مصدر سابق.

(2) حكى لى عبداللطيف عمر حسب الله قائلاً: "يكاد جعفر الشريف عمر السورى يكون أول من سمى ابنه "محمود" وكذلك أمين صديق. وأضاف عبداللطيف عمر حسب الله قائلاً: "فى يوم 1951/11/30 أنا أتيت من القضارف فى طريقى إلى عطبرة لمقابلة شقيقى هناك وللعمل فى السكة حديد. وعندما وصلت الخرطوم،وقبل استئناف سفرى إلى عطبرة، ذهبت لزيارة نادى الصبيان، كانت أندية الصبيان فى ذلك الوقت منتشرة، وكان هناك نادى مجاور لنا فى القضارف. عندما دخلت نادى الصبيان فى الخرطوم، وجدت جريدة فقرأتها فوجدت فيها دعوة للحزب الجمهورى، دعوة عامة مفتوحة للجمهور. ذهبت وكان عمرى 17 عاماً، وكانت الدعوة عامة فوجدت من بين الحضور من المشاهير مثل: محمد أحمد المحجوب ود. محمد أحمد آدم، إلى جانب عدد كبير من الحضور. أثناء وجودى فى النادى سمعت أحدهم يقول: من يريد الالتحاق بالحزب الجمهورى فهناك فورمات لتعبئتها. كان هذا هو جعفر الشريف عمر السورى. وهو معلم كان يعمل فى مكتب النشر، وكان قائماً باعمال السكرتارية. ذهبت وملأت الفورم". وزاد عبداللطيف قائلاً: "فى يوم من الأيام نزلنا من مكتب الحزب بعمارة أبنعوف وكنت مع الأستاذ محمود وجعفر السورى. فقال لى جعفر إنت يا عبداللطيف مابتتكلم مالك فقال الأستاذ محمود: "الصغير صمته خير من كلامه". وعن انتقال جعفر الشريف السورى يقول عبداللطيف: "حينما انتقل جعفر الشريف عمر السورى، كان الأستاذ محمود، أرسل برقية قبيل وصوله بيومين، كان نص البرقية يقول: "فقد جعفر جلل، ولكن فى الله عنه عوض". ثم وصل الأستاذ محمود بعد يومين. المصدر: مقابلة مع عبداللطيف عمر حسب الله، أمدرمان، يوم 2011/7/30، الساعة 11:00.

طه كـتيـباً يشـتمل على أهداف الحـزب وعلى مذكـرة تفسـيرية حـول تلك الأهداف، والكتيب فى مظهره متواضع من حيث طبـاعته وورقه، ولكنه من حيث معناه بلا شك فـتح جديد فى دنيـا سيـاستنا المحليـة"[1]. ثم تحـدث عن الحزب السـياسى باعـتبـاره مجموعة من الناس تجـمع بينها مبادئ خاصة وأهداف واضحة لخدمـة المجتمع وخيره، يكتمل تعريفه بنشره لأهدافه ووسائله وأغـراضه ومنهج عمله. ثم قدم نقداً لعدم نشر الأحزاب لأهدافها، كمـا ورد آنفاً فى صدر هذا المحور: "إن **الحزب الجمـهورى** بنشر (**قل هذه سبيلى**) إنما يرسم الطريق ويضرب الأمثال للأحزاب الأخرى ...إلخ[2].كان **الحزب الجمـهورى** قد أصدر فى عام 1952 كتاباً بعنوان: **قل هذه سبيلى: الاقـتصاد، الاجتمـاع، التعليم، المرأة**[3]. وجاء فى إهدائه: "إلى الإنسانيـة التى أزرت بها ضراوة الوحشـية فأفسـدت فى الأرض وقطعت أرحـامها نقـدم المدنية التى تقـوم على العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى".

يبدو أن **الحزب الجمـهورى** قد أتى بتـقاليد وأسس جـديدة فى الساحـة السياسـية وفى الممارسة الحزبيـة، فقد نشرت **صحيفة الزمان** فى عددها الصادر فى يوم الاثنين 1958/6/9، خبر عـقد **الحزب الجمـهورى** لمؤتمره الأول لتدارس فكرة الحـزب وماضيه ومسـتقبله. وفى تقـديرى فإن هذا المؤتمر مـن أوائل المؤتمرات التى ينظمـها حزب سيـاسى على هذا النحـو. كتبت الصحيفة تحت عنوان: "المؤتمر الدراسى الأول **للحزب الجمهورى**"، قائلة:

*"قرر **الحزب الجمهورى** عقد مؤتمر دراسى فى اليوم الخـامس من هذا الشهر يشترك فيه مندوبو الحزب من الخرطوم ومدنى وبورتسودان والروصيرص يقيم فيه الأعضاء سبـعة أيام يتـدارسون فكرة حزبهم ومـاضيـه ومستـقبله. فنرجو أن يـبارك الله هذه الخطوة ويحقق الخيـر منها.. سيكون المحل دار **الحزب الجمهورى** بمدنى وسينصب صيوان للاجتـماع به مع عقد بعض الجلسات بغابة أم بارونة. والحـضور قاصر على أعضاء الحزب ما عدا مساء اليوم الأخير حيث تقام ليلة سياسية عامة"*[4].

---

(1) بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، **قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم**، المرأة، دار الطباعة السودانية، الخرطوم، 1952.

(4) "المؤتمر الدراسى الأول للحزب الجمهورى"، **صحيفة الزمان**، العدد: 97، الاثنين 1958/6/9.

ثم أتبعت **صحيفة الزمان** خبر انعقاد المؤتمر بالبرنامج الذى سيطرحه الحزب على الأعضاء للتداول فى المؤتمر، كتبت الصحيفة قائلة:

"يشتمل البرنامج على الآتى:

فكرة الحزب: يقدمها الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب، يوم الأحد والاثنين وصباح الثلاثاء ومساء الخميس والجمعة.

تاريخ الحزب: يقدمه الأستاذ ذا النون جبارة، مساء الثلاثاء.

اقتصاديات السودان: يقدمها الأستاذ أحمد كرار، الأربعاء.

تنظيم الحزب: يقدمه الأستاذ حسن صادق، صباح السبت.

ليلة سياسية: مساء السبت يتكلم فيها زعماء **الحزب الجمهورى** عن فلسفة الحكم ومستقبل الديمقراطية، ومستقبل الاقتصاد[1].

مواعيد الجلسات: فى الصباح من الساعة السادسة إلى الواحدة ظهراً مع رفع الجلسات من الساعة التاسعة إلى العاشرة والنصف للفطور وفى المساء من الخامسة إلى العاشرة مع رفع الجلسات لصلاة المغرب والعشاء. سكرتارية **الحزب الجمهورى**[2].

الشاهد أنه من خلال رئاسته **للحزب الجمهورى** قدم الأستاذ محمود نموذجاً جديداً للقائد السياسى صاحب الرؤية، والمفكر الكبير صاحب العقل العبقرى والإنتاج المعرفى الوفير. وهذا فى حد ذاته أمر جديد وغير مألوف بين طلائع المتعلمين. ففى تلك الفترة كان معظم طلائع المتعلمين قد دخلوا إلى ساحة العمل العام عبر الشعر العربى والأدب. لقد كان البون شاسعاً بين الأستاذ محمود وأنداده من طلائع المتعلمين، حينما دلفوا إلى ساحة العمل العام. كان هو قائداً سياسياً حراً، ومفكراً كبيراً، بينما كان معظم طلائع المتعلمين يدورون فى نشاطهم السياسى حول حركتى الاستقلالية والاتحادية، كما أن كثيرين منهم دخل إلى ساحة العمل العام عبر بوابة الشعر العربى. كتب محمد سعيد القدال

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.

(1935-2008) قائلاً: "إن الأستاذ محمود يمتلك قدرات فكرية إذا ما قيس بالسياسيين المعاصرين له"[1]. تبنى **الحزب الجمهورى** خط المواجهة والصدام مع المستعمر، فسجن الأستاذ محمود مرتين قبل نهاية الأربعينيات. ولم تكن مواجهة المستعمر من مبادىء الأحزاب الأخرى، يقول الأستاذ محمود: "**الحزب الجمهورى** كان وحده فى الميدان. سنة خمسة وأربعين نحنا كنا وحدنا البنواجه الإنجليز، وقلنا أنه فى فراغين فى الحركة الوطنية: فى فراغ الفكرة، وفى فراغ الحماس فى مواجهة الاستعمار. فراغ الفكرة، نحنا كنا نشعر بأنه الإسلام هو الفكرة، لكننا لم نكن نملك التفاصيل ليها، وكنا نعتقد إننا نستطيع أن نملك مواجهة الإستعمار"[2]. بدأت مرحلة ملء فراغ الفكر مع بداية الخمسينيات. فمنذ يوم 30 اكتوبر 1951، والعقود التالية، سطع اسم الأستاذ محمود فى سماء الخرطوم كمفكر كبير، صاحب مشروع جديد، بعد أن انتقل **بالحزب الجمهورى** من مرحلة ملء فراغ الحماسة إلى مرحلة ما أسماه ملء فراغ الفكر. طرح الأستاذ محمود مبادرة خلاقة، تمثلت فى مشروع فكرى إسلامى جديد، وهذا ما سأتناوله لاحقاً.

جبهات الصدام والمواجهة

قدم الأستاذ محمود نموذجاً جديداً وفريداً للقائد السياسى، فى الرؤية، وفى التطبيق العملى لمتطلبات العمل الوطنى للمثقفين، سواء فى مصادمة المستعمر أو فى مواجهة الطائفية. نادى الأستاذ محمود تحت مظلة **الحزب الجمهورى** باستقلال السودان من مصر وانجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية. كما اتسمت مواقفه بالصدق فى العزيمة،والصلابة فى الموقف ضد المستعمر والطائفية، وضد خيارات المثقفين، التى راهنت على التسوية مع الطائفية، ونهج المساومة والمهادنة والتحالف مع القوى الاستعمارية (مصر وانجلترا). قدم الأستاذ محمود نموذج القائد السياسى الذى يتبع القول بالعمل، وسبق أنداده من طلائع المتعلمين فى الحنكة السياسية، والصلابة فى مواجهة المستعمر. لقد وزع **الحزب الجمهورى** المناشير، وخطب رئيسه وقادته فى الأماكن العامة والمقاهى ضد

(1) محمد سعيد القدال، **تاريخ السودان الحديث** 1820-1955، مرجع سابق، ص495.
(2) محمود محمد طه، "الاستقلال وقضايا الشعب"، (محاضرة)، مصدر سابق.

المستعمر. قال العلامة عبدالله الطيب في قصيدته "مصاب وحزن"[1]، التي رثا بها **الأستاذ** محمود بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه عام 1985، (أبيات متفرقة):

وطنيٌ مجاهد وأديب منشئٌ، في بيانه تجويد

وخطيبٌ مؤثر ولديه سرعة الرّد والذكاء الفريد

وجريئ، وشخصه جذّاب ولدى الجد، فالشجاع النجيد

ذاق سجن المستعمرين قديماً ومضت في الكفاح منه العقود

سبق الناس في السياسة رأياً حين فيها تفكيرهم محدود

الأستاذ محمود وطلائع المتعلمين والطائفية

*الملاحظ أن الأحزاب في السودان على وجه العموم تتمتع بكسل ذهني **لا** حد له وإنها تنتظر التأييد والمساندة دون أن تقوم بأقل مجهود لكسب **التأييد** ونيل الثقة ولولا هؤلاء الأتباع الدينيون الذين هم رهن الإشارة لما حسبنا **أن** مجهود الأحزاب وحدها يكفي لأداء رسالتها على الوجه الأكمل... إعجابنا **بهذا** المثل الحسن الذي يضربه الجمهوريون في الثبات على المبدأ والدفاع وعدم **تهربهم** في [هكذا] المسؤولية التي أضطلعوا بها مختارين.ثم أن **الجمهوريين** حين يقررون أمراً أو يقومون بدعوة يظهرون من الجد والحزم والبلاء الحسن ما يشرفهم كل التشريف[2].*

صحيفة الرأي العام، في الكلمة الافتتاحية، في يوم 28 أكتوبر 1946

عاب الأستاذ محمود على المثقفين من طلائع المتعلمين لهاثهم وراء الطائفية، **ووصف** الطائفية بالبغيضة، وبأنها تجميد لوعي المواطنين، ودعا إلى عزل الطائفية من الحركة الوطنية. ظل الأستاذ محمود على هذا الموقف من الطائفية، وظل يشير في معظم كتاباته منذ إصداره **السفر الأول** عام 1945، وحتى آخر ما كتبه وهو نص **الديباجة**، الذي كتبه في

(1) عبدالله الطيب، "مُصاب وحَزَن"، **صحيفة الصحافة**، العدد: 8096، الأربعاء 1985/6/26، ص 9.

(2) "مجاهدون"، خواطر، **الرأي العام**، السنة الثانية، العدد 479، الاثنين 3 ذو الحجة 1365 - 28 **أكتوبر** سنة 1946، الخرطوم.

المعتقل فى 30 أكتوبر 1984، كتب الأستاذ محمود فى **الديباجة** قائلاً:

أما نحن السودانيين فقد بلونا أسوأ ألوان الحكم النيابى، فى محاولتنا الأولى، فى بدء الحكم الوطنى، وفى محاولتنا الثانية، بعد ثورة أكتوبر 1964. فقد كانت أحزابنا السياسية طائفية الولاء، طائفية الممارسة، فهى لم تكن تملك مذهبية فى الحكم.. والطائفية نقيض الديمقراطية.. ففى حين تقوم الديمقراطية على توسيع وعى المواطنين، تقوم الطائفية على تجميد وعيهم[1]..

نقد الأستاذ محمود ما لاحظه من تراخٍ من الحركة الوطنية فى مواجهة الإنجليز، ونقد أسلوب المذكرات الذى لا يخدم إشراك الشعب فى النضال ضد المستعمر، وإن إشراك الشعب يجعل للاستقلال معنىً، ويحقق فرص البناء الوطنى الجماعى. ولاحظ الأستاذ محمود أيضاً، أن الحركة الوطنية تعيش فى انعزال عن الشعب وقضاياه، وتتبادل المذكرات مع المستعمر بوصاية على الشعب وبدون تنوير له. كما عاب على كل قادة الحركة الوطنية بشقيها: الاستقلالى والاتحادى (جماعة الأشقاء وجماعة الأمة) صراعاتهم وانقساماتهم ونهجهم المساوم ومسلكهم الناعم فى النضال من أجل الاستقلال. ونبه إلى خطورة آثار تلك الانقسامات، وإلى خطورة انعكاسات النهج المساوم والناعم فى النضال. عبر عن كل ذلك فى مناشير وبيانات كانت تُنشر فى مناسبات مختلفة، ولعل من أكثرها قوة ووضوحاً ذلك المنشورالذى أصدره **الحزب الجمهورى** فى يوم 18/2/1946. حينها كانت الحركة الوطنية فى أوج انقساماتها، وهى تتمحور حول حركتى الاستقلال والاتحاد (الاتحاد مع مصر). كما كانت هناك حالة استقطاب حادة للمثقفين من قبل الطائفية بشقيها الاستقلالى والشق الآخر الداعى للاتحاد مع مصر. جاء فيه:

"هذا نذير من النذر الأولى

يا جماعة الأشقاء ويا جماعة الأمة -أيها القاسمون البلاد باسم الخدمة الوطنية- أيها القادحون قادحات الاحن بين أبناء الأمة - أيها المذكون ثائرات الشر والتفرقة والقطيعة، أيها المرددون النغمة المشئومة - نغمة الطائفية البغيضة - إنكم لتوقرون

---

1) محمود محمد طه، **الديباجة**، مصدر سابق، ص3 .

أمتكم وقراً يؤودها.. يا هؤلاء، وهؤلاء، أنتم تلتمسون الحرية بالانتماء إلى المصريين فتتمسكون بأسباب رمام، وأنتم تلتمسون الملك بالبقاء تحت الإنجليز فتتهيؤون لدور الهر الذى يحكى بانتفاخه صولة الضرغام.. أنتم تريدون إبقاء المصريين، وأنتم تريدون إبقاء الإنجليز، فإذا اجتمعت كلمتكم فإنما تجتمع على إبقاء المصريين والإنجليز معاً .. يا هؤلاء، وهؤلاء، أنتم تتمسحون بأعتاب المصريين لأنكم لا تقوون على مواقف الرجال الأشداء، وأنتم تتمسحون بأعتاب الإنجليز لأنكم صورتم المجد فى أخلادكم صورا شوهاء.. أنتم تريدون السلامة، وأنتم تريدون الملك .. أنتم تضيعون البلاد لما تجبنون وأنتم تضيعون البلاد لما تطمعون.. أنتم تستغلون سيداً لايعرف ما تريدون، وأنتم يستغلكم سيد يعرف مايريد، والبلاد بينكم أنتم، وأنتم، على شفا مهواة ومهانة.. فليلطف الله ببلاد لا يخدم نهضتها إلا صغار الموظفين، أو كبار الموظفين، وليتدارك الله دينا باسمه يحيا أناس فى برد العيش، وقرار النعمة، ورخاء الدعة، وباسمه هم لأبنائه يكيدون.. يا هؤلاء، وهؤلاء : إن الله لواحد، وإن الدين لواحد، وإن الوطن لواحد، ففيم تنقسمون على هذا النحوالمزرى. يا هؤلاء، وهؤلاء: كونوا ليوثاً غضاباً، أو فكونوا قردة خاسئين، وارحموا شباب هذا الوادى المسكين، فقد أوسعتموه غثاثة وحقارة وهوانا..ياهؤلاء، وهؤلاء -لأنتم أشأم على هذه البلاد من كل شؤم وشؤم .. أيها السادرون من هؤلاءوهؤلاء، لا تحسبن الكيد لهذه الأمة مأمون العواقب، كلا !! فلتشهدن يوما تجف لبهتة سؤاله أسلات الألسن، يوما يرجف كل قلب، ويرعد كل فريصة .. أما بعد: فهذا نذير بين يدى صاخة، تمزق مسامع من أصمّه الطمع" [1].

جدير بالإشارة أنه على الرغم من موقف الإخوان الجمهوريين المعلن والموثق والمستمر ضد الطائفية منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضى، ودعوته إلى عزلها من أن تصبح المسيطر على الحركة الوطنية،على الرغم من ذلك فقد كان الجمهوريون يقدرون دور رجال الحركة الوطنية، ويُقدرون دور السيد على الميرغني والسيد عبدالرحمن المهدى. فقد جاء فى كتابهم: **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، خلال ثلاثين عاماً،** (1945-1975)- **الكتاب**

(1) الحزب الجمهورى، "هذا نذير من النذر الأولى" (منشور)، بتاريخ 1946/2/18 .

الأول: "ولكن لم يغب عن بالنا، نحن الجمهوريين ،ومايبنغى أن يغيب عن بال أحد، أن رجال الحركة الوطنية الآخرين قد أدوا دوراً مقدراً فى سبيل جلاء الاستعمار، وفى إتمام السودنة، وإقامة أول حكومة سودانية بعد الاستقلال.. فإن الدور الذى قام به رجال مثل: السيد علي الميرغني، والسيد عبدالرحمن المهدي، وأعوانهما من السياسيين، دور كبير"[1].

الأستاذ محمود أول سجين سياسى بعد ثورة 1924 فى السودان

السجن الأول يونيو 1946

فقد عرف الجمهوريون بصلابتهم ورفضهم لكل ما يؤثر على حرية البلاد وعلى حرية الأفراد. ومن جراء ذلك شرد الجمهوريون وسجنوا، فكانوا أول من دخل السجون من السياسيين بعد حركة عام 1924[2].

من خلاصات قرارات مؤتمر ***الحزب الجمهورى*** *يوم 1968/12/20*

عندما اشتد نشاط **الحزب الجمهورى** عبر المناشير، والخطب فى الأماكن العامة ضد المستعمر. تم اعتقال الأستاذ محمود فى يونيو من عام 1946، وتم تقديمه الى المحاكمة، حيث خُيِّر بين السجن لمدة عام، أو إمضاء تعهد بعدم ممارسة العمل السياسى فاختار السجن دون تردد. وما أن دخل الأستاذ محمود السجن إلا وغطت الصحف المحلية فى الخرطوم خبر محاكمة الأستاذ محمود ورفضه توقيع التعهد وتفضيله للسجن. نشرت صحيفة **الرأى العام** تحت عنوان: "رئيس **الحزب الجمهورى** فى السجن"، وجاء فى تفاصيل الخبر:

"مثل الأستاذ محمود محمد طه المهندس أمس أمام قاضى الجنايات المستر مكدوال متهماً من بوليس الخرطوم تحت قانون التحقيق الجنائى لتوزيعه منشورات سياسية من شأنها الإخلال بالأمن العام، وقد أمره القاضى أن يوقع على صك بكفالة شخصية بمبلغ خمسين جنيهاً لمدة عام لايشتغل خلالها

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، خلال ثلاثين عاماً**، (1945-1975)- الكتاب الأول، أمدرمان، 1976، ص 6.

(2) الحزب الجمهورى، **المواجهة طرف من الجهاد الأكبر**، خلاصات قرارات مؤتمر الحزب بمدنى عيد الفطر عام 1388، الموافق 20 ديسمبر 1968، ص 4-5.

بالسياسة ولايوزع منشورات. ويودع السجن لمدة سنة إذا رفض ذلك.. ولكن الأستاذ محمود رفض التوقيع،مفضلاً السجن، وقد اقتيد لتوه إلى سجن كوبر ولم تستغرق هذه الإجراءات كلها غير وقت يقل عن ساعة(1).

كان الاستاذ محمود بذلك أول سجين سياسى بعد ثورة 1924. ولم يكن السجن عند الأستاذ محمود إلا فرصة للاستمرار فى المقاومة للمستعمر من خلال عصيان أوامر إدارة السجن، وعدم تنفيذ أوامر السجن، فى حين واصل رفقاؤه فى الحزب مقاومتهم خارج السجن. ففى داخل السجن ظل الأستاذ محمود يخالف تعاليم السجن ولا ينصاع لقوانينه وأوامره ويرفض القيام لمدير عام السجون عند مروره الروتينى، مما حدا بإدارة السجن أن تضع الأستاذ محمود فى الزنزانة (الحبس الانفرادى)، قبل المرور الروتينى لمدير السجون، يقول الأستاذ محمود:

"فى الزنزانة أنا بصوم ما يسمى بالصيام الصمدى عند الصوفية.. الحركة الوطنية بتاعتنا نحن الجمهوريين فى خارج السجن كانت بتشوشر شوشرة كبيرة وترفع المسألة دى وأنه محمود لسوء المعاملة فى السجن مضرب عن الطعام فحصلت قلاقل شديدة جداً ليهم .. قاموا فكروا فى أنو الموضوع دا ما بنتهى كدة ومافى فايدة فيه وبرضو المديرين بتاعين السجن ذكروا لمدير عام السجون أنو الحكاية البيعملها محمود دى راح تثير بعض المساجين للمعارضة لأنو هو متمرد ونحن كل البنعملو ليهو بنوديهو الزنزانة ودا بزيد عطف الجماعة المساجين فى الدرجة التانية عليه، فأحسن يكون فى إفراج عنه .. بعد الخمسين يوم كان فى اقتراح للحاكم العام أن يفرج عنى كعمل رحمة .. وجاء فعلا الجواب بأن يفرج عنى بعد الخمسين يوم كتدخل من الحاكم العام رحمة منه"(2).

الشاهد أن الأستاذ محمود لم يستخدم سلاح الصيام كأداة احتجاج، فى السجن الأول والسجن الثانى الذى سترد الإشارة إليه، ولم يكن غرضه من الصيام الاحتجاج، ولكن إدارة السجن والناس فى الخارج قد فهموا أن صيام الأستاذ محمود هو إضراب عن الطعام. لقد أوردت **صحيفة الرأى العام**، تحت عنوان: "إضراب رئيس **الحزب الجمهورى** عن الطعام"، وجاء

(1) "رئيس الحزب الجمهورى فى السجن"، **صحيفة الرأى العام**، يوم 1946/6/3.
(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

فى بعض تفاصيل الخبـر: "وعلمنا أن رئيس الحزب الأستاذ محمود محمـد طه المعتقل فى سجن ودمدنى قد أضرب عن الطعام احتجاجاً على اعتقاله بدون محاكمة"[1]. تطورت المواجهة داخل السجن بين الأستاذ محمود وإدارة السجن وتطور الصراع، يقول محمد محمد الأمين:

"من وحى هذا الصراع استشار الحاكم العام السـيد الدرديرى محمد عثمان...، فقال له الدرديرى أنه يعـرف الاستاذ محمود منذ الصبـا فهو لا يتنازل عن رأى يراه الحق حـتى لو أدى ذلك إلى مـوته.. فـأصدر الحـاكم العـام قـراراً باطلاق سراح الاستاذ محمود دون قيد أو شرط بعد خمسين يوماً فقط فلم يكمل العام المقرر فى الحكم الأساسى[2].

أدى نبأ اطلاق سراح الأستاذ محمـود، تماماً كنبأ سجنه، إلى تجاوب واسع من قطاعات الشعب، أظهـرته برقيات التأييـد التى انهمرت على الحـزب من كافة محـافظات السودان. ومن تلك البرقيات النماذج التالية:

إلى سكرتير **الحزب الجمـهورى** - أمدرمـان: "كان سـجن الرئيس درساً وطنيـاً قيـماً لشباب الجـيل فى الإيمان والروح وقد سررنالخروجـه لا شفقة عليه ولكن ليـواصل الجهاد الوطنى". حسن بابكر،القضارف، 1946/7/24.

إلى محمود محمد طه، **الحزب الجمهورى**، أمدرمان:

"تأكل النار الصدأ واللمما وبها يسمو كريم الذهب

ويرى الحر العذاب المؤلما لذة فى الحق ياللعجب

يا سجينا قدره قد عظما وسما حتى جثا فى السحب"

أحمد محمد عثمان - عطبرة 1946/7/29.

إلى الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى**، أمدرمان:"أعضاءجبهة المؤتمر الوطنيـة بالأبيض يرون فى خـروجك من السجن آية واضـحة للايـمان بالوطنيـة الصادقـة

---

(1) "إضراب رئيس الحـزب الجمهورى عن الطعام، والاستمـرار فى إلقاء القبض على أعـضائه"، **صحـيفة الرأى العام**، العدد: 453، الخميس 27 سبتمبر 1946.

(2) محمد محمد الأمين، "فى ذكرى الاستقلال: كيف تمكن الأستاذ محمود محمـد طه من انتزاع حقوق السجين السيـاسى؟، **من مـوقع الفكرة الجـمـهـورية**، استرجـاع (Retrieved) بتـاريخ 2012/12/29، الموقع على الإنترنت: alfikra.org.http/www

ويعدّون جهادكم رمزاً للكرامة السودانية، فبقلوب مفعمة بالغبطة يشاركون إخوانهم الجمهوريين السرور بعودتكم لميدان الجهاد" السكرتارية 1946/7/24.

إلى أمين صديق، البوستة الخرطوم للرئيس: "دخلته رجلاً وغادرته بطلاً وضربته مثلاً"، على عبد الرحمن،الابيض 1946/7/23.

إلى سكرتير **الحزب الجمهورى**، الخرطوم: "إن جميع أعضاء الجبهة الوطنية بسنجه مستبشرون بالافراج عن رئيس حزبكم العظيم وهم جميعا يبتهلون الى الله أن يسدد خطاكم ويتمنون للرئيس العافية وحسن الجهاد".سكرتير عام الجبهة الوطنية، سنجه، 1946/8/2.

إلى محمود محمد طه – أمدرمان: "عرفنا فيك المثل الأعلى منذ عهد الطلب، فسرّنا أن يعرف القاصى والدانى هذا القلب الكبير" صديق الشيخ،كوستى 1946/7/30.

إلى محمود محمد طه، أمدرمان: "أوفيت كرامة السودان وإبائه حقهما – فلتعش رمزاً صادقاً للوطنية الخالصة، لك تقديرنا واعجابنا"، اتحاد طلبة كردفان، الأبيض 1946/7/23.

إلى محمود محمد طه، أمدرمان: "لقد سجلت بعزمك القوى وإيمانك الصادق فخراً للأجيال فلتعش مرفوع الرأس – لك منى التهانى؟"، الطيب حسن، عطبرة 1946/7/24.

هذه مجرد نماذج من البرقيات التى انهمرت على **الحزب الجمهورى** ورئيسه من كافة محافظات وأقاليم السودان. لقد أوضحت هذه البرقيات بجلاء نجابة قول الأستاذ محمود باشراك الشعب فى تحمل مسؤوليته فى استقلاله وها هو إشراك الشعب فى قضاياه قد آتى ثماره.

السجن الثانى سبتمبر 1946

*لقد أصدر **الحزب الجمهورى** النشرات وخطب أعضاؤه وحذروا وأنذروا وأخيراً ذهبوا إلى السجون وفقد بعضهم وظائفه وامتيازاته فى سبيل ما اعتقدوا أنه حق، جدِى أيتها الأحزاب كما يجد الجمهوريون وإن اختلفت معهم فى الوسائل فالذى نطلبه، أن يكون صاحب الدعوة جاداً فيها لا أن يطنطن فى محيطه الضيق ويختار الراحة والنعمة وأمن الوظيفة ونعمة البعد عن مزعجات الليالى*[1].

صحيفة الرأى العام

(1) "مجاهدون"، خواطر، **صحيفة الرأى العام**، مصدر سابق.

بعد إطلاق سراح الاستاذ محمود واصل **الحزب الجمهورى** نضاله ضد الإنجليز، حتى حانت في سبتمبر 1946 فرصة أخرى لتصعيد المقاومة، إذ قامت سلطات الاستعمار بتفعيل قانون منع الخفاض الفرعونى والذى كان قد صدر فى ديسمبر من عام 1945، وبناءً عليه قامت السلطات فى رفاعة بسجن أُم سودانية خفضت بنتها خفاضاً فرعونياً، فنهض الأستاذ محمود إلى التصدى لحادثة الاعتقال هذه، معتبراً أنّ الاستعمار بتفعيله القانون فى مواجهة عادة متأصلة لا يمكن محاربتها بالقوانين، إنما يرمى إلى اضفاء الشرعية على حكمه عن طريق إظهار نفسه محارباً لعادات الشعب السيئة من ناحية، وإظهار السودانيين كشعب غير متحضر مستحق للوصاية من ناحية ثانية. خطب الأستاذ محمود خطبة قوية فى مسجد رفاعة مستنهضاً الشعب للدفاع عن المرأة التى أُقتيدت من بيتها الى ظلمات السجن. فتوحدت المدينة بأكملها خلفه فى ثورة عارمة تصاعدت وأدت إلى أطلاق سراح المرأة، برغم المواجهة العنيفة التى ووجهت بها من قبل السلطات والتى وصلت لحد اطلاق النار على الشعب. تمخضت ثورة رفاعة عن سجن الأستاذ محمود لمدة سنتين، حيثُ سجن فى سجن ودمدنى لبعض الوقت، ثم أتم باقى مدة السجن فى سجن كوبر بمدينة الخرطوم بحرى. ففى السجن الثانى عام 1946 الذى بدأ فى مدينة مدنى ثم انتهى فى سجن كوبر واستمر لمدة سنتين، استخدم الأستاذ محمود أسلوب الصيام للمرة الثانية. يقول الأستاذ محمود: "بديت [بدأت] بطبيعة الحال بنفس الأسلوب بتاعى الذى هو الصيام الصمدى فكان سبعة أيام ما فيها أكل ولا شراب لا بالليل ولا بالنهار"[1]. وكان يخالف القوانين يقول الأستاذ محمود: "لابد أن أحدث حاجة فى داخل السجن هى المخالفة لتعاليم السجن وقوانين السجن وأوامر السجن"[2]. كان الأستاذ محمود يعرف تماماً بأنه سجين سياسى، ففى حواره مع ضباط السجن يحكى لنا الأستاذ محمود قائلاً: "كانوا اثنين إنجليز .. أنا قلت ليهم: أنا ما عندى معاكم انتو حاجة شخصية.. الحكومة ما بتعترف بالمسجون السياسى، لكن [هذا] سجن سياسى بطبيعة حاله.. كونه ما بتعترف بيهو دا ما بغير الحقيقة دى ويبقى حقكم تعرفوها وتحترموها". ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً وهو يتحدث مع ضباط السجن:

---

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.
(2) المصدر السابق.

إذا كان أنا مسجون سياسى وأنا بقول للحاكم العام إنت تخرج من البلد لا يمكن أن أطيع أوامركم وانتو موظفين صغار وإنجليز .. فإنتو ما تعتبروا المسألة دى حاجة بينى وبينكم خاصة.. وفعلا فهموها بالصورة دى .. فلمن يمروا أنا ما بقوم ليهم، أنا بجلس، ودى كبيرة جداً عندهم.. هى عند السودانى برة السجن كبيرة كانت ، كيف وهو مسجون .. ودى كانت بتقتضى أن أعاقب بزنزانة.. وكان عندنا فى كل يوم اتنين يمر مدير عام السجون .. يوم الأحد قبله يمر مدير السجن[1].

كتب الشاعر محمد المهدى المجذوب فى ديباجة قصيدته "المُجاهد" والتى نظمها فى أوائل مارس عام 1947، وكان محورها الأستاذ محمود، وبلغ عدد أبياتها ستة وستين بيتاً، وضمنها ديوانه "نار المجاذيب"، كتب المجذوب فى ديباجة القصيدة قائلاً: "قيلت هذه القصيدة بعد أيام من الزيارة الرسمية لسجن (كوبر) وقد منعت سلطات السجن يومذاك أعضاء **الحزب الجمهورى** من زيارة رئيسهم المجاهد محمود محمد طه". قال فى قصيدته (أبيات متفرقة):

يا صاحبى والسجنُ فرق بيننا ... زمناً على قلبى الوحيد طويلا
ما السجن هل مسخ الرجال أعزة ... والغمدُ هل أكل الحسام صقيلا؟
أسمعت أبطال (الأشقّة) كذبوا ... معنى الجهاد وآثروا التأويلا
وطنى بُليت على الخطوب ولم تجد ... أسفاً يهز لك القلوب دخيلا
قد خاب ظنك فى بنيك أذلة ... أتُراك تدمن وعدهم ممطولا
بات الرجال على الخيانة والخَنَى ... وجعلت قيدَكّ للوفاء مقيلا
قَلَّبْتَ يا وطنى السيوف كثيرةً ... حتى وجدتَ حسامك المأمُولا
أنظرْ حسامُك ذو المضاء مُحَجَّبٌ ... فى السجن يبرقُ حده مصقولا
محمودُ يلمعُ فى عَمَايَةِ كُوبَرِ ... مثل الهلال وضاءةً ونحُولا

محمد المهدى المجذوب (1918-1982)[2]

---

(1) المصدر السابق.

(2) محمد المهدى المجذوب، "المُجاهد" (قصيدة)، **نار المجاذيب**، (ديوان شعر)، وزارة الإعلام والشؤون الاجتماعية، 1969، الخرطوم، ص 189-192.

الشاهد أن النضـال الوطنى للأستاذ محـمود موثق شـعراً وفى الدوريات والوثائق، وظل ساطعاً وواضحاً إلا لدى المؤرخين وفى صحـائفهم، فلم يرد له ذكر، وكذلك لدى معاصرى الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين عندما كتـبوا مذكراتهم وسيرهم الذاتية، فقد أغفلوا ذكر الأستاذ محمود، وحجبوا نضاله وجهاده ضد المستعمر، وسيأتى تفصيل ذلك لاحقاً.

بعد إتمـامه لمدة سجنه فـى العام 1948 خرج الأُسـتاذ مـحمود إلى مـدينة رفاعـة حيث اعـتكف لمدة ثلاث سنوات فى خلوة عن الناس، حـيث أتم ما كـان قد بدأه فى سـجنه من تهيؤ لدعوته الاسلامية. كان **الحزب الجمهورى** طوال فترة اعتكافه قد توقف نشاطه، وكان أفراده ينتظرون خروج قـائدهم من اعتكافه. خرج الاستـاذ محمود من اعتكافـه فى أكتوبر 1951 ودعا **الحزب الجمهورى** الى اجتماع عام عقد فى 30 اكتوبر 1951. فى هذا الاجتماع طرح الأستاذ مـحمود المذهبية الإسـلامية الجديدة، والتى تقوم على الحـرية الفردية المطلقة، والعدالة الاجـتماعيـة الشاملة، ليتـجه **الحزب الجمـهورى** من ملء فراغ الحمـاسة الى ملء فراغ الفكر، ومن ثم الإعـلان عن المشروع الإسلامى التـجديدى. وهذا ما سـأقف عليه فى فصل لاحق.

العضوية فى الجبهة الاستقلالية الأولى 1946

فور الإعلان عن بروتوكول صـدقى- بيفن عام 1946، الذى وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل، بدأ فى الخرطوم الاحتجاج وتوسع ثم تبلور فى نشـأة الجبهة الاستقلالية الأولى، التى ضمت نفراً من المواطنين، ثم لحقت بهم فيمـا بعد بعض الأحزاب والهيئات. كان الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** من المؤسسين لهذه الجبهة، الجبهة الاستقلالية الأولى.جاء فى موقع **حزب الأمة القومى** على شبكة الإنترنت: "بادر **حزب الأمة** بتكوين الجبـهة الاستقـلالية للعمل على إنهـاء الحكم الثنائى والتى تشكلت فى 28 أكتوبر1946فى دار **حزب الأمـة** من: **حزب الأمـة**، **حـزب القومـيين الأحـرار**، **حزب الأحـرار**، **الحزب الجمهورى**، ونفر من المستقلين"[1]. كما أوردت **صحيفة الرأى العام** قائلة: "تجتمع الجبهة

---

(1) عن حزب الأمـة، التاريخ: المراحل السبعـة، "المرحلة الأولى: تكوين الحزب 1945 وحتى انقلاب 1958"، **حزب الأمة القومى**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2010/8/23، الموقع على الإنترنت: http://www.umma.org.

الاستقلالية بدار **حزب الأمة** يومياً الجبهة الاستقلالية الجديدة المؤلفة من **حزب الأمة** والقوميين والجمهوريين وقسم من **حزب الأحرار** لمحاولة إقرار خطة مشتركة للتعاون فى الكفاح بين هذه الأحزاب وتألفت لهذا الغرض لجنة فيها عضو واحد من كل حزب لدراسة التفاصيل المتعلقة بهذا الأمر وعرضها على الجبهة"[1].

كان **الحزب الجمهورى** حاضراً وبقوة، فقد نشرت **صحيفة الرأى العام** تغطية للمذكرة التى رفعتها الجبهة الاستقلالية إلى مكتب السكرتير الإدارى احتجاجاً على مبدأ إقرار السيادة المصرية والمطالبة بإنهاء الحكم الثنائى فوراً وقيام حكومة سودانية ديمقراطية متمتعة بكامل السيادة على البلاد. وأوردت الصحيفة أن الذين وقعوا على المذكرة هم: عن **حزب الأمة** إبراهيم أحمد وعن القوميين الأستاذ محمد حمد النيل وعن الجمهوريين الأستاذ أمين محمد صديق وعن الأحرار الأستاذ إبراهيم قاسم وعن المستقلين الشريف عبدالرحمن الهندى والأستاذ محمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد وعبدالرحيم أفندى الأمين[2]. أيضاً كتب فيصل عبدالرحمن على طه قائلاً: "لقد تعاون **الحزب الجمهورى** مع **حزب الأمة** وأحزاب استقلالية أخرى فى إطار الجبهة الاستقلالية عندما أوقف حزب الأمة التعاون مع حكومة السودان وأعلن الجهاد. وقد عبَّر **الحزب الجمهورى** عن ذلك بقوله: "كانت هناك حواجز بيننا وبين **حزب الأمة**، ولكن عندما أعلن الجهاد ورفض التعاون مع الإنجليز سقطت تلك الحواجز، واشتركنا فى الجبهة الاستقلالية"[3]. كتب يحيى محمد عبدالقادر، وهو يتحدث عن أبرز أعمال **الحزب الجمهورى** فى الطور الثانى، قائلاً: "وكان من أبرز أعمال الحزب خلال هذه الفترة تعاونه مع الجبهة الاستقلالية لمحاربة مشروع اتفاقية صدقى – بيفن التى أقرّت وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل.. ثم انسحابه من الجبهة بعد انقشاع هذه المخاوف"[4]. فقد أوردت **صحيفة الرأى العام** تحت عنوان: "**انسحاب الحزب الجمهورى** من الجبهة الاستقلالية"، قائلة: "أخبرنا اليوم سكرتير **الحزب الجمهورى** الأستاذ

(1) الموقف الداخلى"، صحيفة الرأى العام، العدد: 480، بتاريخ الأربعاء 30 أكتوبر 1946، الخرطوم.
(2) المصدر السابق.
(3) فيصل عبدالرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، مرجع سابق، ص231.
(4) يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مصدر سابق، ص 144-146.

أمين محمد صديق أن **الحزب الجمهورى** انسحب من الجبهة الاستقلالية المكونة من أحزاب الأمة والقوميين وقسم من الأحرار، ويقول أن هذا الانسحاب نتيجة لاختلاف أساسى فى وجهات النظر. وسينشرون قريباً بياناً فى هذا الصدد"[1].

الشاهد، أن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** كان من مؤسسى الجبهة الاستقلالية الأولى، ومشاركاً فى نشاطاتها، وداعماً لمواقفها. لقد درج الأستاذ محمود فى مشاركاته بأن يعلن انسحابه متى ما تحقق الغرض الذى شارك من أجله فى الحدث أو النشاط. وهذا ما تم عند مشاركته فى الجبهة الاستقلالية الثانية فما أن حققت الجبهة أغراضها بإعلان موقفها والتعبئة العامة ضد بروتكول صدقى- بيفن وما أن زالت المخاوف إلا وأعلن انسحابه مبيناً بأن الغرض الذى من أجله نشأت الجبهة قد تحقق.

العضوية فى الجبهة الاستقلالية الثانية 1955

تشكلت الجبهة الاستقلالية مرة ثانية فى يناير 1955، وعرفت بالجبهة الاستقلالية الثانية، وكانت أوسع فى عضويتها من تلك التى تكوّنت عام 1946. وكان **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود عضواً فيها. ففى "الليلة السياسية التى أُقيمت بدار الجبهة المعادية للاستعمار فى 23 يناير 1955 وشارك فيها خطباء من **حزب الأمة** و**حزب الاستقلال** الجمهورى، دعا محمد أحمد المحجوب زعيم المعارضة لتكوين جبهة وطنية للاستقلال واقترح تكوين لجنة تمهيدية لدراسة المشروع. استجابت لدعوة المحجوب أحزاب الأمة والجمهورى والجمهورى الاشتراكى والجبهة المعادية للاستعمار وشخصيات مستقلة وشخصيات عمالية"[2]. وقد تم بعد ذلك تكوين الجبهة الاستقلالية الثانية. وفى أول اجتماع أخذ المجتمعون بالأسس التى اقترحها اتحاد طلاب **كلية الخرطوم الجامعية** وهى: الاستقلال التام، وكفالة الحريات العامة، وعدم ربط البلاد بالأحلاف العسكرية ومعونات الدول الأجنبية التى تؤثر على سيادة البلاد. ومن ثم حددت الجبهة الواجبات العملية التى

---

(1) "انسحاب الحزب الجمهورى من الجبهة الاستقلالية"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 486، بتاريخ السبت 9 نوفمبر 1946، الخرطوم.

(2) فيصل عبد الرحمن على طه، **السودان على مشارف الاستقلال الثانى** (1954-1956)، مرجع سابق،ص205.

ينبغى القيام بها، وتطورت مطالبها. وفى اجتماع عقد فى 5 مارس قررت الجبهة الاستقلالية تقديم اقتراح للبرلمان يدعو للجلاء الفورى للقوات المصرية والبريطانية عن السودان بموجب المادة 9 من اتفاقية عام 1953 بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير للسودان[1]. الشاهد أن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى**، كان عضواً أصيلاً وفاعلاً فى نشاطات الجبهة الاستقلالية. أوردت **صحيفة النيل** تحت عنوان: نشاط الجبهة الاستقلالية فى الأقاليم"، أوردت قائلة:

"سافر إلى كوستى بالسيارات صباح أمس وفد من الجبهة الاستقلالية يضم الأساتذة حسن محجوب وقاسم أمين ومحمود محمد طه ومحمد سعيد معروف وغيرهم تلبية لدعوة من لجنة الجبهة الاستقلالية بكوستى للاشتراك فى ليلة سياسية. وسيعرج هذا الوفد فى طريق عودته إلى العاصمة على الدويم للاشتراك فى ليلة سياسية أخرى تقام بحاضرة النيل الأبيض"[2].

وأوردت **صحيفة النيل** كذلك تحت عنوان: "**الحزب الجمهورى**"، قائلة: "عقدت لجنة **الحزب الجمهورى** الذى يرأسه الأستاذ محمود محمد طه اجتماعاً بمكاتب الحزب بالخرطوم مساء أمس وتضمنت الأجندة النظر فى برنامج رحلة وفد الجبهة الاستقلالية إلى الهند وجاكرتا الذى يشترك فيه عن الحزب عبدالحميد صالح"[3]. كما أوردت **صحيفة النيل** فى صفحتها الأولى تحت عنوان: "وفد الجبهة الاستقلالية لمؤتمر دلهى.. الوفد يسافر إلى جاكرتا لمراقبة الأحوال"، ثم أوردت تشكيلة الوفد وكان بينهم ممثل **الحزب الجمهورى** عبدالحميد صالح إلى جانب عبدالرحمن على طه (1901-1969)، ومحمد سعيد معروف (???-1926)، وقاسم أمين (1924-1980)، وعضو من **حزب الأحرار الجنوبى**[4]. وضمن تغطيتها لأضخم ليلة سياسية تقيمها الجبهة الاستقلالية بحضور آلاف المواطنين، تناولت **صحيفة النيل** المتحدثين من أعضاء الجبهة الاستقلالية فى الليلة

---

(1) المرجع السابق،ص205-209.

(2) "نشاط الجبهة الاستقلالية فى الأقاليم"، **صحيفة النيل**، بتاريخ 1955/3/27.

(3) "الحزب الجمهورى"، **صحيفة النيل**، بتاريخ 1955/3/27.

(4) "وفد الجبهة الاستقلالية لمؤتمر دلهى.. الوفد يسافر إلى جاكرتا لمراقبة الأحوال"، **صحيفة النيل**، بتاريخ 1955/3/28.

السياسية، وعلقت على كلماتهم. وأشارت الصحيفة لكلمة الأستاذ محمود حينما جاء دوره ليخاطب الليلة السياسية، ومتناولة مدى تفاعل الجمهور معه فقالت: "ثم جاء دور ممثل **الحزب الجمهورى** الذى ألهب المشاعر بخطابه الرصين وحماسه المتدفق وكلماته النارية وتوجهاته الوطنية"[1]. ظل الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** عضواً بالجبهة حتى جاء انسحاب الحزب منهافى يونيو 1955، قائلاً إنه انسحب من الجبهة لأنه يرى أن الهدف الأساسى قد تحقق، وقد "أعلن **الحزب الجمهورى** فى منتصف يونيو 1955 انسحابه من الجبهة الاستقلالية لأن الفكرة الاستقلالية قد تركَّزت فى أذهان السودانيين جميعاً"[2].

العضوية فى لجنة الدستور القومية 1956

بعد إعلان الاستقلال فى عام 1956 تم تكوين لجنة قومية لوضع الدستور الدائم. ولقد وجهت الحكومة الدعوة للأحزاب والهيئات لتوفد ممثليها فى اللجنة. وقد تكونت اللجنة بالفعلّ، واشترك الجمهوريون فيها. تشكلت اللجنة باسم لجنة الدستور القومية من 46 عضواً. فقد أوردت **صحيفة أنباء السودان**، قائمة بأسماء أعضاء لجنة الدستور القومية وهيئاتهم، وأوردت الصحيفة أن الأستاذ محمود محمد طه كان عضواً فى اللجنة من **الحزب الجمهورى** وكان الأستاذ صالح محمود إسماعيل عضواً مناوباً[3]. يقول إبراهيم محمد حاج موسى: "شكلت اللجنة القومية للدستور فى سبتمبر سنة 1956 لوضع مشروع للدستور الدائم يعرض على الجمعية التأسيسة عند قيامها"[4]. وأشار إبراهيم إلى أن مشروع الدستور الذى أعدته اللجنة لم يعرض على الجمعية التأسيسية بسبب وقوع الانقلاب العسكرى 17 نوفمبر 1958[5]. ويضيف فيصل عبدالرحمن على طه قائلاً: "... تم تكوين لجنة قومية من 46 عضواً لوضع الدستور الدائم للبلاد"[6]. وفى أول اجتماع

---

(1) "العاصمة تشهد أضخم ليلة سياسية تقيمها الجبهة الاستقلالية بدار المركز العام لحزب الأمة"، **صحيفة النيل**، بتاريخ 5/3/1955.

(2) فيصل عبد الرحمن على طه، **السودان على مشارف الاستقلال الثانى** (1954-1956)، مرجع سابق، ص214، 215.

(3) "أعضاء لجنة الدستور القومية وهيئاتهم"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 43، بتاريخ 1956/9/24.

(4) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 71.

(5) المرجع السابق، ص 71.

(6) فيصل عبد الرحمن على طه، **السودان على مشارف الاستقلال الثانى** (1954-1956)، مرجع سابق، ص351.

فوجيء الأستاذ محمود بأن الحكومة قد حاولت أن تهيمن على اللجنة، وتؤثر على قراراتها.. فقد عيّنت رئيسها، واختارت أعضاءها المعينين المستقلين.. فاعترض الأستاذ محمود على تغوّل الحكومة واعترض على سير عمل اللجنة وطالب بأن تكون اللجنة مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومة. ويمكن الوقوف على ذلك من خلال صورة من المداولات بين اعضاء اللجنة فى جزء من محضر جلسة اللجنة القومية بتاريخ 1956/9/27[1]:

السيد زيادة أرباب وزير العدل: إن واجب اللجنة أن تضع مسودة الدستور وبالطبع ستكون كل مداولاتها مدونة، وسوف تقدم إلى جهة الاختصاص.

السيد محمود محمد طه: هل ستقدم مسودة الدستور التى تضعها هذه اللجنة إلى الجمعية التأسيسية رأساً أم إلى الحكومة؟

السيد زيادة أرباب: لقد عينت الحكومة هذه اللجنة بغرض أن تساعد فى وضع التوصية اللازمة بشأن الدستور للجمعية التأسيسية، ولا يمكن أن تقدم إليها توصيات هذه اللجنة ما لم تكن مصاغة صياغةً قانونية، وعندما تصاغ تلك التوصيات بطريقة لا تخرج عن المعنى الذى تحمله تسلّمها الحكومة للجمعية التأسيسية..

السيد محمود محمد طه: إن موضوع الصياغة هذا لا نقره، لأنه سوف يجعل بيننا وبين الجمعية التأسيسية وسيطاً، ونحن فى الواقع نعتبر أنفسنا هيئة استشارية.. ولهذا فإننا نرفع توصياتنا وقراراتنا للجمعية التأسيسية، ولا نرضى أن يكون للحكومة دخل فى ذلك..

السيد مبارك زروق: أود أن أشير إلى النقطة التى تحدث فيها السيد محمود محمد طه، فيما يختص بجهة الاختصاص: هل هى الحكومة، أم هى اللجنة الوزارية؟ ثم مسألة صياغتها بواسطة المستشار القانونى: فهل هى ستعرض على اللجنة بعد صياغتها؟ لأنها قد تكون بُدِّلت، أو غُيِّرت بسبب الصياغة.. وأن الجهة المختصة فى نظرى هى الجمعية التأسيسية، لا أية جهة أخرى.

السيد عقيل أحمد عقيل: إنه يجب ألا يكون هناك أى شبح رسمى على هذه اللجنة، سواء كان ذلك عن طريق الإيحاء أو الصياغة.

---

(1) الحزب الجمهورى، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية - الكتاب الثانى**، ط1، 1976، أمدرمان، ص 3-7.

السيد عبد الرحيم أحمد: إننى أرى أن حديث السيد محمود محمد طه فى هذه الناحية يجب أن يكون موضع الاعتبار لأن وجودنا فى هذه اللجنة، ومعرفة اختصاصاتها، أهم من هذا التعديل.

السيد مبارك زروق: إننى لا أقر أن الحكومة هى التى عيّنت هذه اللجنة، وإننى كنت أعترض دائماً وخصوصاً عندما فرض مجلس الوزراء نفسه وعيّن رئيساً للجنة. إن اعتراضى ينصب على المبدأ، وليس على شخص السيد الرئيس..

السيد محمود محمد طه: إن الهيئة التى أمثلها قد تعيد النظر فى الاستمرار فى عضوية هذه اللجنة بعد معرفة الاختصاصات، إننا نريد أن نعرف هل نحن أحرار فى كل الخطوات التى نخطوها أم يجب أن نرجع للحكومة فى كل شىء؟

السيد أحمد سليمان: إننى ذكرت فى اقتراحى "الجمعية التأسيسية" وليس "جهة الاختصاص"

السيد الرئيس: فى الواقع إننا رجعنا إلى خطاب الحكومة الذى صدر عند تكوين اللجنة وتصرفنا هذا التصرف بوضع كلمتى "جهة الاختصاص" بدل "الجمعية التأسيسية".

من هذه الصورة المختصرة للمداولات، وما تبعها من مداولات، ظهر للأستاذ محمود التأثير الواضح للحكومة على سير عمل اللجنة، وتصرف رئيس اللجنة فى استبدال عبارة: "الجمعية التأسيسية" التى وردت فى اقتراح أحد الأعضاء، وظهر جلياً أن سلطان الحكومة قد وقع على الرئيس، فى أول وهلة، مما دفعه ليغير كلمات الاقتراح، بصورة أبعدتها كلية عن المقصود منها.. تقدم الأستاذ محمود باقتراح بأن تكون لجنة الدستور مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومة، تعين رئيسها وأعضاءها، وتتخذ ما تشاء، بعيدة عن الحكومة. فسقط الاقتراح. وقد نشرت **صحيفة الرأى العام** ضمن خبر لها عن لجنة الدستور، جاء الخبر بعنوان: "ماذا دار فى لجنة الدستور أمس؟". تحدثت الصحيفة تحت عنوان جانبى هو "استقلال اللجنة عن الحكومة"، قائلة: "وتقدم السيد محمود محمد طه باقتراح أن تكون لجنة الدستور مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومة تعين رئيسها واعضاءها وتتخذ ما تشاء بعيدة عن الحكومة. وقد سقط الاقتراح"(1). بعد سقوط الاقتراح أعلن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** انسحابه من اللجنة، عبر

(1) "ماذا دار فى لجنة الدستور أمس؟"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 3534، بتاريخ 1957/1/19، الخرطوم.

خطاب نشر فى الصحف المحلية، كتب الأستاذ محمود فى خطابه قائلاً[1]:

*"حضرة السيد رئيس لجنة الدستور القومية، والسادة أعضاء اللجنة المحترمين تحية طيبة، وبعد: يؤسفنا أن نبلغكم انسحابنا من اللجنة القومية للدستور، وذلك لانهيار الأساس الذى قبلنا به الاشتراك فيها.. فقد جاءت فكرة تكوين هذه اللجنة عقب رغبة حقيقية أعلنها الرأى العام السودانى، كيما تساعد على إبراز الرأى المعبر عن مُثُل الشعب الإنسانية، ليصاغ منها دستوره، وقامت الحكومة بتنفيذ فكرة تكوين اللجنة باعتبار أنها أصلح من يقوم بمثل هذا العمل.. وما كنا لنبخس الحكومة حقها فى شكرها على أدائها هذا العمل لو سارت فيه السير الصحيح.. ولكن مع الأسف كونت اللجنة بصورة يصدق عليها أن تعتبر لجنة حكومية، وليست قومية، فاستحلّت الحكومة لنفسها أن تعيّن رئيسها، وتعيّن أعضاءها المستقلين، حسبما يروقها، وهذه من أخص حقوق اللجنة التى ما كان للحكومة أن تتغوّل عليها.. وكان أملنا أن تسترد اللجنة حقوقها المسلوبة، ولكن اللجنة نفسها، خذلتنا عندما أسقطت الاقتراح الذى تقدمنا به فى هذا الصدد فارتضت لنفسها بذلك وضعاً مهيناً، لا نشعر بالكرامة فى قبوله، والاستمرار فيه.. وقد قال بعض أعضاء اللجنة، أن اللجنة عينتها الحكومة، وعينت لها اختصاصاتها، وليس من حق أعضائها أن يعيدوا النظر فيما حددته الحكومة، بل لا يتورّع بعض الأعضاء من أن يعلن أن الدستور منحة تمنحها الحكومة للشعب الذي هى ولية أمره فيفصح بذلك عن كفرانه بالشعب أصل الدساتير، كل هذا يقال داخل اللجنة، واللجنة تقبله. وبذلك وضح أن الحكومة تريد أن تجعل هذه اللجنة مخلب قط فى يدها وتتخذ منها أداة لعمل تلبسه ثوب القومية.. وإزاء كل هذا لا يسعنا إلا أن نعلن إنفصالنا من هذه اللجنة.. وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام، **الحزب الجمهورى**".*

أتبع **الحزب الجمهورى** بيان انسحابه من لجنة الدستور بتوضيح حملته **صحيفة الرأى العام**، بعنوان: "**الحزب الجمهورى** يوضح الأسباب التى أبقتهم فى لجنة الدستور حتى

---

(1) محمود محمد طه، "انسحاب الحزب الجمهورى من لجنة الدستور القومية"، **صحيفة الرأى العام**، بتاريخ 1957/1/26، الخرطوم.

تاريخ انسحابهم"[1]. جاء فى توضيح **الحزب الجمهورى**: السيد محرر الرأى العام الغراء: تحية طيبة وبعد، لقد تساءلتم فى تعليقكم على خطاب انفصال **الحزب الجمهورى** من لجنة الدستور القومية عن استمرار الحزب طيلة هذه المدة؟ فنرجو أن تسمحوا لنا بايضاح ذلك بايجاز...إلخ. وبعد أن بيَّن الحزب أسباب الانسحاب، فصل فى الأسباب التى أبقتهم فى اللجنة حتى تاريخ الانسحاب، قائلاً:

"...كان مقدراً أن تجتمع اللجنة بعد الاجتماع الرابع فى خلال ثلاثة أسابيع وكان مفروضاً أن تبحث أقتراحنا آنف الذكر فى أول اجتماع لها ولكن اللجنة لم تجتمع إلا بعد أكثر من ثلاثة أشهر وهو اجتماعها قبل الأخير الذى بحث فيه اقتراحنا واسقطته اللجنة وقررنا على إثره الانسحاب منها من ذلك ترون أن استمرارنا طيلة هذه المدة كان مسببا بأن تبحث اللجنة اقتراحنا وهى إذ لم تفعل ذلك إلا مؤخراً لم يكن أمامنا نحن إلا انتظار النتيجة وأخيراً نشكر الرأى العام على اتاحتها هذه الفرصة لنا لنوضح لمن عسى أن يكون فى حاجة إلى إيضاح[2].

بعض الأحزاب تطلب التحالف مع الحزب الجمهورى

*"إن فى السودان الآن (1952/7/8) نحواً من خمسة عشر حزباً كل منها ينادى بأعلى صوته أنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ هذا الشعب من براثن الاستعمار، وهى تقوم فى معظم الأحوال لا على برامج سياسية واضحة ولكن على استغلال عواطف وعصبيات لا تمت إلى السياسة بصلة... وإنى لأنتهز هذه الفرصة فادعو جميع الأحزاب أن تحذوا حذو **الحزب الجمهورى** فتخرج على الناس أهدافها ومراميها وتتعاون على تربية الشعب تربية سياسية لابد منها إن أردنا للشعب أن يكون له صوت وكلمة فى حكومته"[3].*

بشير محمد سعيد *(1921-1995)*

---

(1) "الحزب الجمهورى يوضح الاسباب التى أبقتهم فى لجنة الدستور حتى تاريخ انسحابهم"، **صحيفة الرأى العام**، بتاريخ 1957/1/29.

(2) المصدر السابق.

(3) بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد 1630، الأحد 1952/6/8.

برز **الحزب الجمهورى** عبر مواقفه المناهضة للاستعمار، ووضوح رؤيته فى العمل الوطنى من خلال نشره لبرنامجه ووسائل عمله، برز كنموذج يحتذى وموضع للإعجاب. فقد كتبت الكثير من المقالات فى الأربعينيات والخمسينيات تشيد **بالحزب الجمهورى** وبجهاده ومنهجه العلمى والعملى فى التعاطى مع الشأن الوطنى. لم يكن **الحزب الجمهورى** موضع إعجاب فحسب، وإنما تقدمت بعض الأحزاب السودانية بطلبات **للحزب الجمهورى** بغرض التحالف وتوحيد المواقف والعمل المشترك، وطلبت بعض الأحزاب إشراكه معها والتعاون معه،يقول الأستاذ محمود، "ولكن **الحزب الجمهورى** ظل بمعزل رغم المحاولات الكثيره التى بذلت لإشراكه"[1]. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "ولم يرفض **الحزب الجمهورى** التعاون مع **حزب الأمة** لسبب لا يرفض من أجله التعاون مع **حزب الشعب الديمقراطى** أو **الحزب الوطنى الإتحادى** والحق أنه ليس هناك فرق جوهرى بين هذه الأحزاب جميعاً"[2]. وقد جاءت الدعوات **للحزب الجمهورى** بالتحالف والتعاون من أحزاب عديدة منها على سبيل المثال، أنه فى يوم الأربعاء 19 مارس 1952، وعلى صدر صفحتها الأولى نشرت صحيفة **السودان الجديد**، بياناً **للحزب الجمهورى** يوضح فيه فشل المسعى لالتقاء **الحزب الجمهورى الاشتراكى** و **الحزب الجمهورى** لاختلاف المبادئ والوسائل. جاء فى بيان **الحزب الجمهورى**:

*"أبدى سكرتير **الحزب الجمهورى الاشتراكى** الرغبة فى الاجتماع بأعضاء **الحزب الجمهورى** لمناقشة مبادىء الحزبين ووسائلهما ومحاولة التوفيق بينهما للعمل معاً للدعوه الجمهورية للسودان وبالرغم من أن **الحزب الجمهورى** يرى استحالة اللقاء نظراً للفروق الكبيره بين الحزبين فقد رحب بالاجتماع وتم ذلك بمكتب **الحزب الجمهورى** بالخرطوم يوم 1952/3/3"[1].*

---

(1) محمود محمد طه، "بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 166، تاريخ 1958/11/1.

(2) المصدر السابق.

(3) الحزب الجمهورى، "فشل المسعى لالتقاء الحزب الإشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى لاختلاف المبادئ والوسائل"، (بيان)، ضمن الموقف الداخلى بالصفحة الأولى، **صحيفة السودان الجديد**، العام التاسع، العدد: 1564، الأربعاء 23 جماد الثانى سنة 1371، الموافق 19 مارس سنة 1952.

الشاهد أن **الحزب الجمهورى** اعترض على دستور **الحزب الجمهورى الاشتراكى** ووسائله فى الكفاح، ومن ثم تم الاتفاق على أن يبعث **الحزب الجمهورى** باعتراضاته **للحزب الجمهورى الاشتراكى** وقد لخصها فى ثلاثة أسئلة، ثم قدم نقداً لما جاء عن الاشتراكية لدى **الحزب الجمهورى الاشتراكى**، كما أضاف بعض الأسئلة حول الاشتراكية. يمكن الوقوف على الاسئلة والتفاصيل وعلى رد **الحزب الجمهورى الاشتراكى** ضمن بيان **الحزب الجمهورى** ضمن قائمة الملاحق، (أنظر ملحق رقم: "25").وختم **الحزب الجمهورى** بيانه قائلاً: "ونحن إذ ننشر هذا البيان على الرأى العام إنما نقصد إلى أن يفهم الشعب الفرق بين **الحزب الجمهورى والحزب الجمهورى الاشتراكى** فى المبادئ والوسائل لنيل الحرية، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين"[1].

أيضاً، كتب يحيى محمد عبدالقادر، قائلاً: "وقد حاول **الحزب الإشتراكى و حزب الشعب** (الكتلة) وكلاهما جمهورى أن يتعاونا معه بحجة وحدة الأهداف الرئيسية بين ثلاثتهما ولكن **الحزب الجمهورى** (فقط) رفض هذا التعاون لاتهامه كلا من الحزبين بممالأة المستعمر"[2]. الشاهد أن **الحزب الجمهورى** كان موضع احترام كبير وليس كما صوره لنا مؤرخو الحركة الوطنية من السودانيين وغير السودانيين.فقد كان الحزب موضع إعجاب وإلا لما تقدم حزبان من الأحزاب السودانية لإقامة الشراكة معه، وسعيا للتحالف معه.

إصدار صحيفة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهورى

وللجمهورية فى الصحافة رأى، وهو أنها يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل.. يجب أن تسير أمام الشعب لا أن تسير فى زمرته تتسقط رضاه، وتجارى هواه، وتقدم له من ألوان القول ما يلذه ولا يؤذيه[3].

محمود محمد طه

واجه الأستاذ محمود اعتذارات متكررة من الصحف لنشر مقالاته وبياناته ومنشوراته،

(1) الحزب الجمهورى، **المواجهة طرف من الجهاد الأكبر**، مصدر سابق.
(2) يحيى محمد عبدالقادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، ج3، مصدر سابق، ص 144-146.
(3) محمود محمد طه، "افتتاحية العدد الأول من صحيفة الجمهورية"، **صحيفة الجمهورية**، الجمعة 15 يناير 1954.

بسبب ما كانت تتضمنه من مواجهات ونصائح تقوم على الدعوة لمواجهة قضايا السودان بالوعى لا بالجهل، وبالشجاعة فى المواقف وبالدراسة الرصينة. ولما تكرر رفض الصحف عزم الأستاذ محمود على إصدار صحيفة. وبالفعل أصدر الأستاذ محمود، العدد الأول من **صحيفة الجمهورية** فى يوم الجمعة 15 يناير 1954 لتكون لسان حال **الحزب الجمهورى**. صدرت الصحيفة كصحيفة أسبوعية. جاء فى افتتاحية العدد الاول من **صحيفة الجمهورية**[1]، الجمعة 15 يناير 1954:

"أيها القارى الكريم: تحية، أما بعد: فهذه صحيفة الجمهوريين يقدمها لك فتية آمنوا بربهم، فهيمن عليهم الإيمان على صريح القصد، فهم يقولون مايريدون بأوجز أداء، ويعنون ما يقولون من الألف إلى الياء .. و(الجمهورية) تطمح فى أن تخلق تقليداً فى الصحافة فى معنى ما يخلق الجمهوريون من تقليد جديد فى السياسة .. والجمهوريون حزب سياسى ولكنهم لا يفهمون السياسة على أنها اللف والدوران .. وإنما يفهمونها على أنها تدبير أمر الناس بالحق وبميزان .. وللجمهورية فى الصحافة رأى، وهو أنها يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل .. يجب أن تسير أمام الشعب لا أن تسير فى زمرته تتسقط رضاه، وتجارى هواه، وتقدم له من ألوان القول ما يلذه ولا يؤذيه .. وقد تعرض الجمهوريون فى نهجهم السياسى للكثير من العنت، والأذى من جراء مضائهم فيما يرونه الحق والعدل .. فهل تتعرض الجمهورية لشئ من الكساد، من جراء ما ستجافى من التقليد التجارى بتقديم ما يقدم فى سوق النفاق؟ إن هذا لا يعنينا بقدر ما يعنينا أن نستقيم على الحق.. فقد أنفقنا عمرنا نبحث عنه، ولا نزال، فإن وجدناه، فإنا سنلقاك به صريحاً غير مشوب بتلطيف، وسيكون عليك أنت أن تختار لنفسك بين وجه الحق ووجه الباطل".

وجاء فى كلمة **الجمهورية** فى العدد الثانى، الجمعة 22 يناير، عن "واجب الحكومة، وواجب المعارضة" (جزء من الكلمة):

---

(1) "كلمة الجمهورية"، **صحيفة الجمهورية**، السنة الأولى، العدد الأول، الجمعة 15 يناير 1954.

"واجب الحكومة وواجب المعارضة واحد فى هذه الفترة وهو واجب بسيط إذا ترفعت النفوس عن غائر الأحقاد. واجبهما أن يعرفا أن الاستعمار لا يزال باقياً وأن حظه من الاستمرار فى البقاء فى هذه البلاد اليوم ليس أقل منه بالأمس وأن مدة الثلاث السنوات المشروطة للجلاء فى الاتفاقية الإنجليزية المصرية مدة طويلة حقاً وهى تقيِّض للاستعمار الفرصة الكافية جداً ليكيد كيده لهذه البلاد إذا لم تكن الحكومة والمعارضة على السواء كالذئب ذلك الذى زعموا أنه لا ينام حين ينام إلا بعين واحدة ولا بأس أن تكون تلك العين هى المعارضة... "إلخ..

كانت كلمة العدد الرابع، الجمعة 5 فبراير 1954، بعنوان: "ساووا السودانيين فى الفقر إلى أن يتساووا فى الغنى". وتضمن العدد الرابع تعليق الأستاذ محمود على مقال الشاعر محمد محمد على والذى كان بعنوان: "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء على الأرض". جاء مقال الشاعر محمد محمد على تعليقاً على خطاب الأستاذ محمود إلى رئيس **منظمة اليونسكو** الذى نشر فى العدد الأول من **صحيفة الجمهورية**. عقب الأستاذ محمود تحت عنوان: "أو ما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء؟ على تعقيب الشاعر محمد محمد على، هذه مجرد إشارة، فقد ورد الحديث آنفاً عن الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على. وجاءت كلمة **الجمهورية** فى العدد السادس عشر ، يوم السبت 12 يونيه 1954، بعنوان: "اسمعونى وعونى! والله لا تتحررون بغير الإسلام".

لقد توقفت **صحيفة الجمهورية** قبل قيام الانقلاب العسكرى فى 17 نوفمبر 1958 بقيادة الفريق إبراهيم عبود (1983-1900/1897)، بسبب الموارد المالية. لقد أوردت بعض المصادر[1] أن **صحيفة الجمهورية** قد عاودت الصدور بعد توقفها فى الخمسينيات من القرن الماضى، وأنها صدرت فى مرتين الأولى عام 1954 والمرة الثانية عام 1969. بيد أن الجمهورية لم تصدر ثانية كصحيفة، وإنما صدرت كمجلة داخلية شهرية **للحزب الجمهورى**، وقد صدر العدد الأول منها فى يوم الخميس 17 أبريل 1969. وقد جاء فى صدر العدد الأول أن: **الجمهورية**، مجلة **الحزب الجمهورى** الداخلية، تصدر شهرية،

(1) قاسم عثمان نور، دليل الدوريات السودانية: الصحف (1903-1998)- المجلات (1931-1998)، مرجع سابق، ص 21.

شعارها: "الحرية لنا ولسوانا"، رئيس التحرير سعيد الطيب شايب، وقد وقفت على العدد الأول منها، وقد تضمن الموضوعات الآتية: الافتتاحية، ومشكلة التعليم- الحل الجذرى لها، بقلم ميرغنى حمزة. والصلاة عند الترابى مجرد حركات، بقلم بتول مختار. والمحكمة تدين الفقيه المصرى شاهين، والأستاذ محمود محمد طه وإسماعيل الأزهرى عام 1954، والهجرة النبوية معلم عرفانى، والتدخل المصرى فى السودان هل هذا أوان مواجهته؟ بقلم عوض الكريم موسى. و"حاجة البشرية للرسالة الثانية من الإسلام"، بقلم عبدالرحيم الريح[1]، وعمود "من خواطر الطواف"، وعمود: "قلنا.. فقالوا.. ونقول" بقلم محمد فضل محمد صديق، و"ندوة الجمهورية". إلى جانب أخبار **الحزب الجمهورى**.

(1) الدكتور عبدالرحيم الريح هو من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود، ومن أوائل الذين قادوا النشاط والحركة والتبشير بالفكرة الجمهورية بجامعة الخرطوم.

الفصل الخامس

5

ثورة رفاعة (الخفاض الفرعونى) - سبتمبر 1946

وسيـــدة فى السجـــن تبكـــى مهيضـــةً   وليـس بقـانـون الخفـاض لهـا خبر
أبايِــعُ مُحْمُــوداً علــى الحَــقِّ بيعــةً   هى الصبرُ والرضوانُ فى عَقْدها بَذْرُ
لك النصــرُ يا محمــودُ والنَورُ بَاقِيــاً   وأعطيتَ ما أعْطَى بصَائِرَنَـا الفَجْـرُ
عرفنـا رِجــالاً قدرهُـُــمْ ليسَ قَـادراً   وغيرُكَ فى السـودانِ لَيْسَ لَـهُ قَـدْرُ
بَسَـطْنَــا لهُـمْ بَرقِيـّـةً مـن رِفَاعَـــة   فأعْشَـى عيـون القَوْمِ بَارِقُهَا الشّـزْرُ
رَفعْـنَـا بهــا فى أولِ الليـــلِ رايـــةً   يظاهـرُهـا الفِكـرُ المقاتِـلُ والجَهْـرُ

الشاعر محمد المهدى المجذوب (1918-1982)[1]

إن عـادة الخفـاض، كعـادة رسخت أقـدامهـا فى بلادنا قروناً وآمـاداً طويلة، لا يمكن أن تزيل آثارها أو تزحزح اعتقادات النسـاء فيها أمثال هذه الزيارات (فى إشارة لزيارات بعـثات الدايات) العـابرة الخاطفـة. والدعاية المثمـرة، هى تعليم مستمر منتظم، بحملات تعليمية ذات برامج منظمة ثابتة تعالج هذه المشكلة فى كل جهات السودان فى سلسلة من الدعاية المنظمة المثـمرة، وتستمر هذه الجهود السنين الطوال حتى نستطيع أن نقـول أن الحكومة قد قطعت شـوطاً كبيراً فى ميدان الدعاية[2].

***صحيفة الرأى العام**، فى يوم الأربعاء 16 أكتوبر 1946*

---

(1) كتب الشاعر محمد المهـدى المجذوب، ثمانى قصائد، كلها كان محورها الأستاذ محمـود. ومنها قصيدة: "سيدة رفاعة" (40 بيتاً مـن الشعر)، وهذه أبيات مـتفرقة منهـا. المصدر: محمـد المهدى المجذوب، **الشرافة والـهجرة**، (ديوان شعر)، ط 2، دار الجيل، بيروت/ شركة المكتبة الأهلية، الخرطوم، 1982، ص 197-199.

(2) "دعوى لا نقرها"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 469، الأربعاء 16 أكتوبر 1946، الخرطوم.

قامت ثورة رفاعة فى سبتمبر 1946، بقيادة الأستاذ محمود على إثر إصدار الإدارة الاستعمارية البريطانية فى السودان لقانون الخفاض الفرعونى فى ديسمبر 1945. ثم اتبعته بإعلان عن تعديل سنة 1946 للقانون والذى نشرته **صحيفة الرأى العام**، تحت عنوان: "الخفاض غير المشروع، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائى، قانون نمرة 3 سنة 1946"[1]. كان حاكم عام السودان قد أصدر تعديل سنة 1946 للقانون فى اليوم العاشر من فبراير سنة 1946. جاء فى تعريف القانون: يسمى هذا القانون، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائى، تعديل سنة 1946". حيث أضيفت مادة جديدة بعد المادة (248)، يقول النص[2]: "الخفاض غير المشروع: 284- (1) كل من يسبب طوعاً أذى لأعضاء المرأة التناسلية الخارجية يكون قد أجرى عملية خفاض غير مشروعة ما عدا فى الأحوال المستثناة فيما يلى: استثناء: لا تعد مخالفة تحت هذه المادة إزالة الجزء السائب الناتىء من البظر فقط. (2) كل من يجرى عملية خفاض غير مشروع يعاقب بالحبس لمدة يجوز امتدادها إلى خمس سنوات أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً"، ثم تبع ذلك تفاصيل وتوضيحات... إلخ ثم جاء الإمضاء من هـ. ج. هدلستون الحاكم العام، وإمضاء آخر من د. م. هـ. ايفنس سكرتير المجلس. من المهم الإشارة إلى أن القانونين الأول والثانى قد صدرا من المجلس الاستشارى لشمال السودان، لهذا نجد إمضاء سكرتير المجلس إلى جوار إمضاء الحاكم العام. كتب أحمد خير المحامي وهو يتحدث عن إنشاء حكومة السودان **للمجلس الاستشارى لشمال السودان**، وعن القوانين التى أصدرها المجلس، كتب أحمد قائلاً

(1) "الخفاض غير المشروع، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائى، قانون نمرة 3 سنة 1946"، **صحيفة الرأى العام**، الثلاثاء 1946/4/30.
(2) المصدر السابق.

عن حكومة السودان: "أصدرت فى سبتمبر 1943 قانوناً بإنشاء المجلس الاستشارى لشمال السودان... ولد المجلس الاستشارى ضعيفاً فى روحه،... والواقع أن المجلس لم يمثل الأمة التى أسس ليقوم على شؤونها أو بعض شؤونها لا فى أقليته أو فى أكثريته. ولم يحاول أن يعبر عن مشاعرها فى أى صورة من الصور"[1]. وعن القوانين التى أصدرها المجلس، يقول أحمد خير المحامى: "فالمسألتان اللتان عرضت فكرتاهما عليه- قانون الخفاض، ولوائح تعاطى الخمور - صدر فيها عن رأى جاء دليلاً قاطعاً على فقدان حرية الرأى فى رحابه. فمن السخرية أن يوافق أعضاؤه على قانون يعلمون علم اليقين أنهم أنفسهم سيخالفونه، لتعارضه مع تقاليد لم تفقد حتى الآن احترامها فى نفوس الكثرة الغالبة"[2]. هذه كانت رؤية الأستاذ أحمد خير المحامى عن القانون وعن مدى تعارضه مع التقاليد. يقول الأستاذ محمود:

والقانون اللى طلعه المجلس الاستشارى لشمال السودان- دا القانون الأخرجه ونحن كنا فى معارضة شديدة ليهو .. النقطتين ديل كانن حساستين واشتغلنا فيهم شغل كتير لكن برضو مهما كان وضع الإنجليز فى التطنش مننا ما استطاعوا أن يحتملوا الموضوع دا .. خرجت مناشير- نحنا كنا بنعمل مناشير فنتج منه السجن الأولانى بعدين حصل إفراج بعد زى خمسين يوم .. السجن التانى كان فى حادث خفاض بنت فى رفاعة - القضية دى مشهورة بين الناس .. دا كان برضو فى أغسطس 46 .. دا استمر سنتين[3]. بالرونيو وبنوزعها على الناس وبنمضاها بأسمنا ، فكان فى واحد اعتبروه دا مثير للأمن واعترضوا عليه .

وعن تاريخ بدء العمل بالقانون يقول النص المنشور فى الصحيفة المشار إليها: "ويعمل به بعد نشره فى غازيتة حكومة السودان"[4]. الشاهد أن الإدارة الاستعمارية أصدرت القانون عام 1945 ومن ثم تم تعديل سنة 1946، وبدأت فى تطبيقه، إذ جاءت الإشارة فى الإعلانين الأول فى ديسمبر 1945، والثانى فى فبراير حيث تم تعديل سنة 1946، إلى العمل به بعد

(1) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 76-78.
(2) المصدر السابق، ص 78.
(3) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.
(4) "الخفاض غير المشروع، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائى، قانون نمرة 3 سنة 1946"، مصدر سابق.

نشره فى **غازيتة حكومة السودان**، دون اعتبار إلى أن عادة الخفاض الفرعونى عادة متأصلة فى المجتمع السودانى، ومن دون أن يسبق تطبيق القانون خطة تنويرية أو نشاط توعوى للناس، وإنما حرصت الإدارة الاستعمارية على تنفيذه. فكانت أولى ضحايا القانون امرأة من مدينة رفاعة حكم عليها بالسجن مدة أربعة أشهر[1]. ومن ثم جاءت ثورة رفاعة.كانت **صحيفة الرأى العام** قد كتبت، فى "حديث المساء" فى صدر صفحتها الأولى تحت عنوان: "أسدلوا الستار على مأساة رفاعة وعالجوا مشاكل الخفاض بحذر"، كتبت منبهة عن الخطر الذى سينجم عن التسرع فى تطبيق القانون، فقالت: "أصبح واجباً لزاماً علينا أن ننبه الحكومة فى أول تجربة لتطبيق هذا القانون إلى الخطر الذى ينجم من التسرع فى تطبيقه وإلى النكبة الاجتماعية الخطيرة التى ستتعرض لها المرأة السودانية عند تطبيق هذا القانون عليها"[2].

ظل موضوع، ثورة رفاعة- الخفاض الفرعونى، من أكثر الموضوعات فى سيرة ومسيرة الأستاذ محمود النضالية، التى غشيها مثقفو السودان، على قلة تناولهم للقضايا الأخرى فى مشروع الأستاذ محمود. لقد صور الاستعمار ثورة رفاعة بأنها ثورة ضد عادة منع الخفاض الفرعونى، فجاز ذلك على بعض المثقفين. يقول إبراهيم يوسف:

إن ثورة رفاعة عام 1946 هى أكبر ثورة أرغمت الاستعمار على تكسير قوانينه. وحين صورها الاستعمار على أنها ثورة ضد منع عادة الخفاض الفرعونى الذميمة جاز ذلك على بعض المثقفين، ولكن الثورة فى حقيقتها وأحداثها كانت ثورة المسجد الشعبية التى قامت لحماية العرض وصون حياء المرأة وللدفاع عن كرامة الأمة السودانية التى حاول الاستعمار أن يهدرها بذلك القانون المذل[3].

قبل الدخول فى معالجتى لثورة رفاعة وأسبابها ونتائجها وتحليل موقف الدارسين منها، وتقويم مدى اتفاقهم واختلافهم مع الأستاذ محمود، لا بد من الوقوف عند موقف الأستاذ محمود من المعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge. فثورة رفاعة لا تسبر أغوارها دون

---

(1) "أول امرأة تسجن تحت قانون منع الخفاض"، **صحيفة الرأى العام**، الأربعاء 11 سبتمبر 1946.

(2) "حديث المساء: أسدلوا الستار على مأساة رفاعة وعالجوا مشاكل الخفاض بحذر"، **جريدة الرأى العام**، العدد: 456، الثلاثاء 1 أكتوبر 1946.

(3) إبراهيم يوسف، **ثورة رفاعة المجهولة: لوحة مشرقة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار**، مرجع سابق، ص 12.

قراءتهـا فى اطار المعرفـة الاستعـمارية والسيـاج أو الاطار المعرفى، الذى سـعى الاستعـمار لخلقه. إن مـواجهة الأستـاذ محمود المسـتمرة للاستـعمار البـريطانى والتى تجلت فى مواقف نضالية عـديدة منها ثورة رفاعة، لم تكن مواجـهة رافضة للسيـاسات الاستعمـارية فحسب، وإنما سعت المواجـهة لتفكيك مـا وراء السياسـات الاستعمـارية، والكشف لخطط المستعـمر بعيدة المدى، ولهذا فهى مواجهة ونضال ضد الاستعمار وضد المعرفة الاستعمارية بما فى ذلك البناء الاستعمارى للمفاهيم والتصورات لطبيعة القضايا وجذورها. من المعلوم أن الدراسات المتـصلة بحقـبة الحـداثة لم تعطِ اعـتبـاراً لدراسة الآثار الثـقافـية والسـياسـية والاقـتصـادية للاستعـمار، على النحو الذي يبرز فى خطاب نقـد الآثار الثقافية والاجـتماعية والاقـتصادية والسـيـاسيـة، والحـاجـة لتـفكيك الذاكـرة الاستـعـمارية، وضـرورة إعادة الـنظر فى البناء الاستعمارى للمفاهيم والتصورات لطبيعة القضايا وجذورها، التى خلفتها مرحلة الاستعمار على الشعـوب والدول التى خضـعـت للاستـعمار، بما فى ذلك نـقد التعليم الاسـتعـمارى، والدعوة للتـحرر من الإرث المعرفى للاستعـمار. لقد برز هذا الخطاب حديـثاً مع أطروحات فكر ما بعد الحداثة. وقد تمظهر الخطاب فى مدرسة دراسات الاستعمار، ومدرسة دراسات ما بعد الاستعمار. لهذا لابد من الوقوف عند الإسهـامات الباكرة للأستاذ محمود فى نقد الآثار الاستعـمارية والتى توافقت مع عناصر الخطاب الكولونيـالى؛ مدرسة دراسات الاستـعمار، وما بعد الكولونيالـية؛ مدرسة ما بعد الاستـعمار. لقد كانت مواقف الأستـاذ محمود وآراؤه متـجاوزة لحـقبة الحـداثة، بما فى ذلك موقـفه من الخـفاض الفرعـونى وقيـادته لثورة رفـاعة، وسنقف على ذلك حـينما نقـيم مواجهـة بين الدراسات التى لم تـتفق مع الأستـاذ محـمود (نموذجين، احـدهما دراسة علميـة رصينة، والدراسة الثانيـة لم تستوفِ الشروط العلمـية فى تقديرى) فى ثورة رفـاعة، ومع الدراسات التى اتفقت مع الأستـاذ محمود (سـبعة نماذج من الدراسات العلمـية الرصيـنة) وأكدت صحـة مواقفه وآرائـه واستطاعت أن تسبـر غور ثورة رفاعة حينما أخذت فى معالجتها لثورة رفاعة بمناهج مدرسة ما بعد الاستعمار.

المعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge وإرث السودان

أما التعليم الحـر الذى نرمى إليه [الحزب الجمـهورى] والتى تقوم مـدنيتنا على دعائمه فـيمكن أن نقول بأن خطوطه العريضـة تستمد من المجـتمع الذى ننشده

ألا وهو إعداد إنسان حر يعيش فى مجتمع عالمى... إن الأسرة البشرية وحدة وإن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهى بشرية، وإن الحرية والرفاهية حق مقدس طبيعى للأسود والأبيض[1].

خوجلى محمد خوجلى

سبق وأن كتبت دراسة بعنوان: "المعرفة الاستعمارية وإرث السودان السياسى قراءة فى إسهامات البروفيسور عثمان البيلى النقدية"[2]، وأشرت فيها مستنداً على العديد من المصادر والمراجع، إلى أنه برز خطاب نقد الآثار الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والحاجة لتفكيك الذاكرة الاستعمارية، وضرورة إعادة النظر فى البناء الاستعمارى للمفاهيم والتصورات لطبيعة القضايا وجذورها، التى خلفتها مرحلة الاستعمار على الشعوب والدول التى خضعت للاستعمار، بما فى ذلك نقد التعليم الاستعمارى، والدعوة للتحرر من الإرث المعرفى للاستعمار، برز هذا الخطاب حديثاً مع أطروحات فكر ما بعد الحداثة. وقد تمظهر الخطاب فى مدرسة دراسات الاستعمار، ومدرسة دراسات ما بعد الاستعمار. كان إدوارد سعيد أحد أهم المنظرين لمدرسة دراسات ما بعد الاستعمار[3]. يقول الباحث والناقد يحيى بن الوليد فى دراسته: "خطاب ما بعد الاستعمار"، مستشهداً بكتاب: الإمبراطورية ترد كتابة، لبيل أشكروفت وآخرين، وكتاب: دوغلاس روبنسون: **الترجمة والإمبراطورية ـ الدراسات ما بعد الكولونيالية**، يقول يحيى بن الوليد:"إن أكثر من ثلثى الشعوب التى تعيش فى عالم اليوم، كانت لهم حياتهم التى شكلتها تجربة الاستعمار. وتشير صفة "ما بعد الكولونيالية" إلى نظرتنا فى أواخر القرن العشرين إلى القوة السياسية والثقافية التى كانت تطبع العلاقات، أما الفترة التاريخية التى تغطيها فهى التاريخ كله"(4). ويضيف يحيى إن مقولة "(ما بعد

(1) خوجلى محمد خوجلى، "التعليم الحر"، **صحيفة الجمهورية**، العدد الثانى، 22 يناير 1954.

(2) عبدالله الفكى البشير، "المعرفة الاستعمارية وإرث السودان السياسى قراءة فى إسهامات البروفيسور عثمان البيلى النقدية"، **جهود أ. د. عثمان البيلى العلمية وعطاءاته الإنسانية** (ندوة علمية)، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، المدينة التعليمية، الدوحة، قطر ، الاثنين 26 مارس 2012، الدوحة، قطر.

(3) إدوارد سعيد، **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة محمد عنانى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006؛ إدوارد سعيد، **الإمبريالية والثقافة**، ترجمة كمال أبو ديب، ط3، دار الآداب، بيروت، 2004؛ إدوارد سعيد، **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة صبحى حديدى، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996.

(4) يحيى بن الوليد، "خطاب ما بعد الاستعمار"، **من موقع الطليعة العربية فى تونس**، استرجاع (Retrieved)بتاريخ 2011/8/23، الموقع على الإنترنت: http://www. http://www.goutaliezzedine.maktoobblog.com

الكولونيالية Post colonialism) التى سيتم جلبها إلى مجال الخطاب النقدى؛ وهى، فى أساسها، "مقولة سياسية" استخدمت أول مرة فى مجال النظرية السياسية فى السنوات الأولى من عقد السبعينيات لوصف المأزق الجديد الذى أخذت تتخبط فيه البلدان التى خرجت من تجارب الاستعمار الذى تعرضت له من قبل الإمبراطوريات الأوروبية. وعلى مستوى آخر عادة ما يتم التمييز بين "دراسات ما بعد الاستعمار" (Postcolonial Studies) و"نظرية ما بعد الاستعمار" أو "نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالى". والغاية من هذا التمييز هى التأكيد على أن دراسات ما بعد الاستعمار، وإن كانت لا تزال متواصلة حتى اليوم، تعود إلى فترة قديمة(1).

وقف يحيى عند قراءات مؤسسى نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالى إلى الطبيب النفسانى الأنتيلى فرانز فانون وكتابه: **معذبو الأرض/ المعذبون فى الأرض**، وتحدث يحيى عن دراسة صبحى حديدى، حول "الخطاب ما بعد الكولونيالى"، والقراءات ما بعد الكولونيالية لفرانز فانون، وأشار إلى أن صبحى كتب قائلاً: "إدوارد سعيد جعل من فانون المدافع عن سرد التحرير المضاد الذى ينتمى إلى حقبة ما بعد الحداثة؛ وهومى بابا نحت من أفكار فانون معماراً نظرياً لعالم ثالث ما بعد بنيوى؛ وعبد الرحمن جان محمد اكتشف فيه منظراً مانوياً للاستعمار والنفى المطلق؛ وبينيتا بارى وجدت فيه برهاناً ساطعاً على النظرة التفاؤلية للأدب والعمل الاجتماعى؛ أما عند سبيفاك فقد ظهر فرانتز فانون فى أصدق صوره وأكثرها بساطة وإقناعاً: الطبيب النفسى الذى خرج من بين أبناء البلد لكى يحلل بعمق ونفاذ ما تعكسه تلك المرآة الرهيبة المعقدة: الامبريالية الثقافية". وأشار يحيى إلى قول إدوارد سعيد بأن فرانز فانون فى كتابه: **المعذبون فى الأرض**، طرح قضايا تقع فى صميم نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالى من مثل "عقدة القابلية للاستعمار" و"عبيد الأزمنة الحديثة" (أى المستعمَرين)، و"فك الاستعمار" من حيث هو "صيرورة تاريخية" و"ظاهرة عنيفة" تستلزم "العنف المطلق" ... إلخ(2). وذهبت آنيا لومبا فى دراستها: فى **نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية**، إلى التساؤل قائلة: يمكننا أن نسأل ليس فقط متى

(1) المرجع السابق.
(2) المرجع السابق.

تبدأ مرحلة ما بعد الاستعمار، ولكن أين يمكن أن نجد ما بعد الاستعمار؟[1]، وقدمت بتوسع تعريفات للاستعمار وما بعد الاستعمار، وأشارت إلى مقاربات ما بعد بنيوية للتاريخ وأن حيوات عدد من الشعوب المقهورة يمكن أن تُكشف فقط بالإصرار على أنه لا يوجد تاريخ واحد بل (تعددية تاريخية). ووقفت عند إرجاع بعض نقاد نظرية ما بعد الاستعمار، السبب إلى الاعتماد الكبير على نظريات ما بعد البنيوية أو ما بعد الحداثة (واللتين غالباً تقرآن على أنهما متماثلتان). إنهم يدّعون أن الاصرار على تعددية التواريخ والتشظى فى داخل هذين المنظارين كان مؤذياً للتفكير حول العملية الكونية للرأسمالية هذه الأيام. فالتشظى المتزايد وقابلية التحرك لدى المجتمعات والشعوب تحتاج أن توضع فى سياقها فيما يتعلق بالطرق الجديدة التى تعمل من خلالها الرأسمالية الكونية[2] . وأضافت آنيا قائلة: "لقد أظهرت دراسات ما بعد الاستعمار أن العملية الاستعمارية غيرت كلاً من "المدينة الحواضرية" و"المستعمرة" بصورة عميقة. وأعيد بناء كليهما وفقاً لذلك أيضاً بواسطة فكفكة الاستعمار.

وفى السودان يُعد عبدالله على إبراهيم، من أوائل الذين دشّنوا هذا النوع من الدراسات النقدية، إذ نشر كتاباً عن التعليم والاستعمار فى عام 2010. قال فى المقدمة: "وتقع هذه الدراسة بصورة أخص فى حيز دراسات الاستعمار والمناهج المدرسية"[4]. أشار عبدالله فى كتابه إلى المفكر إدوارد سعيد، مُطلق عقال مدرسة دراسات ما بعد الاستعمار، وإلى الدكتورة لند سميث، التى دعت شعب الماروى النيوزيلندى للتحرر من الاستعمار كمعرفة تشربها[4]. كما أشار إلى كتاب: **المنهاج الإمبريالى: العقائد العرقية والتعليم فى التجربة الاستعمارية البريطانية**، لمؤلفه ج. أ. ماقمان، الذى قال: "إننا لم ندرس بصورة كافية الجذور العرقية فى التعليم الاستعمارى. فالمدارس حقاً تعلم معارف ومهارات ولكن

---

(1) آنيا لومبا، **فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية**، ترجمة: محمد عبد الغنى غنوم، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007، ص 28.

(2) المرجع السابق، 27-28.

(3) عبدالله على إبراهيم، **بخت الرضا: التعليم والاستعمار**، سلسلة كاتب الشونة، ط1، دار المصورات للنشر، 2010، ص 3.

(4) المصدر السابق، ص 6.

فقط فى صور تضمن الخضوع للأيديولوجية السائدة وطغيان ممارساتها"[1]. كتب عبدالله فى كتابه قائلاً: "خلص الباحثون إلى أن الاستعمار مشروع ثقافى بعيد المدى". وأضاف قائلاً: "فلقد تهافت البرنامج الوطنى لـ "محو آثار الاستعمار" لأننا فهمنا خطأ أن الاستعمار "يتبخر" بالاستقلال[2]،... لقد ظنت الحركات الوطنية أن بوسع الأمة التى تحررت أن تعيد صلتها بتاريخها وثقافتها كأن الاستعمار لم يكن. إن الإحاطة بالاستعمار كإرث ثقافى متين يلزم فى حربه البأس الفكرى الشديد[3]. لقد تحدثت فى دراستى تلك عن أن أمر نقد المعرفة الاستعمارية فى السودان، لم يحظ حتى اليوم بالاهتمام اللازم، على الرغم من أن السودان يسير فى مختلف المجالات وبشكل واضح، وفقاً لتلك المعرفة. وأشرت إلى تجليات المعرفة الاستعمارية (مع ملاحظة أن موضوع الورقة هو: المعرفة الاستعمارية والإرث السياسى) ودورها بشىء من التفصيل فى الجوانب التالية: فى التاريخ، وفى تهيئة مناخ الصفوية وتعميق الانبتات الثقافى، وتخفيض السقف المعرفى وصناعة القادة، وتجميد حركة التغيير، والصراع بين الطوائف والأحزاب وبين النخبة السودانية، والفشل فى تحقيق التسوية الوطنية، وغياب ثقافة البناء الجماعى للوطن وللمستقبل، إلى جانب تفشى ثقافة الثأرات فى الممارسة السياسية السودانية (سياسة التطهير 1969، وسياسة التمكين 1989). إلى جانب ظهور الثنائيات: القضاء الشرعى والقضاء المدنى، التعليم المدنى والتعليم الدينى، السوق العربى والسوق الأفرنجى... إلخ. ولا تزال المعرفة الاستعمارية تهيمن على مسار السودان حتى اليوم".

نقد الأستاذ محمود للمعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge

نحن حتى الآن مستقلون سياسياً، مستعمرون فكرياً.. فكرك، وفكرى، ما عندو غير الثقافة الغربية.. الثقافة [التى تستعمرنا]، وقد أخرجنا مستعمرينا من أرضنا، وهى لا تزال تستعمر عقولنا [4].

محمود محمد طه

---

(1) المصدر السابق ، ص 3.
(2) المصدر السابق ، ص 6-7.
(3) المصدر السابق، ص 7.
(4) محمود محمد طه، **الدعوة الإسلامية الجديدة**، ط1، أمدرمان، 1974، 7-11.

وجه الأستاذ محمود ونشر نقداً باكراً وواسعاً وقوياً للسياج المعرفى الذى أحاط به الاستعمار الشعوب المستعمرة، عبر نوع التعليم والثقافة والاقتصاد...إلخ الذى خلقه فى مناخاتها وسماواتها وفى فضاءاتها المعرفية ومؤسساتها التعليمية، لاسيما فى السودان. كما أن حياة الأستاذ محمود فى حد ذاتها تمثل نقداً للمعرفة الاستعمارية، فهو لم يكن صفوياً فى مزاجه أو سلوكه، ولم يتمثل أياً من النماذج التى تمثلها طلائع المتعلمين، نموذج المثقف الإنجليزى أو نموذج الفقيه الأزهرى. لقد عاش حياة بسيطة وكان منزله فى حى شعبى ومفتوح لعامة الشعب وحريصاً على الالتصاق بالشارع وقضاياه، ويعرف ذلك كل من عاصره أو زاره فى داره. كتب تاج السر حسين قائلاً: "وكنت من المحظوظين الذين التقوا الأستاذ محمود واستمعوا اليه وشربوا شاى الصباح فى بيته المتواضع المبنى من (الجالوص) وهو المهندس المتخرج من كلية غردون! واستمعت للقرآن يتلى والأناشيد العرفانية تردد، وأمور الدين والدنيا تطرح للحوار، وكأن ذلك البيت البسيط إحدى جامعات العالم الأول العريقة، وهو فى الحقيقة أكبر من ذلك كله"[1]. نشر الأستاذ محمود نقده فى المقالات والكتب منذ أربعينيات وخمسينيات القرن الماضى، وذلك قبل بروز خطاب نقد الآثار الاستعمارية، الخطاب الكولونيالى؛ مدرسة دراسات الاستعمار، وما بعد الكولونيالية؛ مدرسة ما بعد الاستعمار.

لم يكن الاستعمار عند الأستاذ محمود يعنى خروج الإنجليز المستعمرين، يقول الأستاذ محمود: "إن الإنجليز قد يجلون غداً ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين، لأن الاستقلال والحرية لا تجيء إلا نتيجة للحكم الواعى الرشيد وذلك أمر لا يتفق اتفاقاً وإنما يجيء عن تعمد وتوخ ودراسة واعية"[2]. كذلك لقد نقد الأستاذ محمود التعليم الاستعمارى بتوسع، وتجلى ذلك النقد فى كتابات عديدة منها (مجرد نماذج): **السفر الأول**، 1945[3]، **وقل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، 1952[4]. **وأسس دستور السودان لقيام حكومة**

---

(1) تاج السر حسين، "محمود محمد طه الذى عرفته.."، **من سودانايل** *Sudanile*، منبر الرأى، استرجاع (Retrieved) يوم 4 يناير 2010، الموقع على الإنترنت: .www.sudanile.com

(2) محمود محمد طه، "بيانات الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 166، بتاريخ 1958/11/1.

(3) محمود محمد طه، **السفر الأول**، مصدر سابق.

(4) الحزب الجمهورى، **قل هذه سبيلى : الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، مصدر سابق.

جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، 1955[1]. وقد كتب الأستاذ محمود خطاباً إلى عميد **معهد بخت الرضا** الأستاذ عثمان محجوب[2]، في يوم 1958/12/24. كما صدرت منشورات وكتب مختلفة عن **التعليم**[3] فى مناسبات عديدة، يمكن الوقوف عليها فى موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت.كما أصدر الأستاذ محمود كتاب: **الثورة الثقافية**، وقدكتب الأستاذ محمود فى مقدمته قائلاً: "هذا كتاب عن الثورة الثقافية، نخرجه للناس، ونستهدف به إحداث التغيير الجذرى ـ فى حياة الأفراد والجماعات، وذلك عن طريق إعادة التعليم ـ إعادة تعليم المتعلمين وغير المتعلمين..."[4]. تكاد معظم كتابات الأستاذ محمود لا تخلو من حديث عن التعليم، وتضمن جزء كبير منها نقداً للتعليم وللمعرفة الاستعمارية. ففى كتابه: **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، تحدث عن دور الاستعمار فى إحداث التناقض عند المثقفين وفى معارفهم. يقول الأستاذ محمود:

"ولقد لاحظنا... أن المثقفين لا يجدون حرجاً من الاعتراف بجهلهم لهذه الشريعة.. فى حين أنهم لا يرضون أن تظهر ثغرات فى ثقافتهم العامة من الفلسفات المعاصرة، ومن الأفكار الاجتماعية التى تسود عالم اليوم.. ولعل بعض السبب فى عدم الاهتمام هذا يعود إلى صنيع الاستعمار البريطانى، الذى صنعه بهذه الشريعة، وبرجال هذه الشريعة" [5].

وتحدث الأستاذ محمود عن دور الاستعمار وتدخله فى الشؤون الدينية وتقسيمه للقضاء، يقول الأستاذ محمود: "عندما دخل الاستعمار البريطانى... أخذ فى تطمين الشعب على عدم التدخل فى دينه، فأعلن عزمه على تسليم أمور دين الشعب إلى زعمائه الدينيين وإلى فقهائه، وإلى قضاته الشرعيين". ويضيف الأستاذ محمود قائلاً:

"فأنشأ المحاكم الشرعية.. وحدد لها اختصاصا لا يتعدى شريعة الأحوال الشخصية.. وجعل تنظيم أحوال الناس المعاشية، فى تعاملهم اليومى، إلى

---

(1) محمود محمد طه، **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، أمدرمان، 1955.
(2) محمود محمد طه، "خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، الخرطوم، 1958/12/24.
(3) الإخوان الجمهوريون، **التعليم**، المنشور الثانى بمناسبة عام الطفل العالمى 1976، ط1، 1976.
(4) محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، مصدر سابق، ص 1.
(5) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 8.

الشريعة الوضعية، وأقام القضاء المدنى بإزاء القضاء الشرعى، وجعله فوقه، وأعطاه السيادة عليه، وجعل تنفيذ أحكام القضاء الشرعى فى يد القضاة المدنيين.. وكانوا، فى الغالب الأعم، بريطانيين" [1].

ثم تناول الأستاذ محمود آثار تلك السياسات قائلاً: "فأوحى هذا الصنيع للشباب الذين أخذوا يتلقون العلم فى المعاهد التى أنشئت حديثاً بالبلاد، على مناهج التعليم الغربى، أوحى إليهم بثانوية الشريعة الإسلامية عامة، وبشريعة الأحوال الشخصية خاصة، إذا ما قورنت إلى القانون المدنى.. وكذلك نشأ عدم الاهتمام بها و الانصراف عن الاطلاع عليها"[2]. وتناول الأستاذ محمود فى كتابه: **الدعوة الإسلامية الجديدة**، كيف أن التحرر فى الأمم الإسلامية كان سياسياً ولم يكن فكرياً، يقول الأستاذ محمود:

"وأى إنسان مراقب لما عليه الأمم الإسلامية، فى الآونة الأخيرة، يعلم أن الأمم الإسلامية كلها نهب للدول المستعمرة، حتى أنه ليس هناك بلد إسلامى حر تماماً.. نحن تحررنا، فى الوقت الحاضر، لكننا نسعى باستمرار لنستكمل استقلالنا، من النواحى الاقتصادية، ومن النواحى الاجتماعية، ومن النواحى الفكرية" [3].

ثم تناول الأستاذ محمود ما وردت الإشارة إليه فى صدر هذا المحور من أننا مستقلون سياسياً، مستعمرون فكرياً.. وأشار إلى البلاد العربية، قائلاً: "البلاد العربية حيث وجدتموها، تعيش على المدنية الغربية.. هى تحارب الاستعمار باللفظ، وتدافع عنه، وتعيشه، فى الواقع" [4].

الشاهد أننى قدمت إشارات مختصرة فى هذا المحور، بيد أن نقد المعرفة الاستعمارية عند الأستاذ محمود، احتل مساحات واسعة فى كتاباته وأحاديثه، ووقف عند جوانب عديدة: التعليم، السياسة، الاقتصاد، الاجتماع، تنمية المرأة، الحداثة، والدين... إلخ. وقد نشر الأستاذ محمود هذه الكتابات فى نقد المعرفة الاستعمارية، فى كتب ومقالات وبيانات...إلخ منذ أربعينيات وخمسينيات القرن الماضى.

---

(1) المصدر السابق، ص 8.
(2) المصدر السابق،ص 8.
(3) محمود محمد طه، **الدعوة الإسلامية الجديدة**، مصدر سابق، ص 7-11.
(4) المصدر السابق، ص 7-11.

وقائع ثورة رفاعة (الخفاض الفرعونى) - سبتمبر 1946

وقد تعرض محمود للسجن الطويل فى خصومات إيجابية مع الإنجليز منها حادث (الطهارة الفرعونية) فى رفاعة وهو حدث اجتماعى رفعه محمود إلى مستوى المساس بالدين والوطن[1].

التجانى عامر (1908-1987)

اتسم التناول لثورة رفاعة - الخفاض الفرعونى، عند الدارسين بعلتين أساسيتين، العلة الأولى: أن المعلومات التاريخية عن الثورة لم تك دقيقة عند بعضهم، ومن الطبيعى أن تختل نتائج الدراسة التى لا تقف على المعلومات وحقائق التاريخ فى مظانها، ولهذا لم يتعاطَ هذا الفريق مع ثورة رفاعة على أساس أنها ثورة ضد المستعمر البريطانى، وذهب هذا الفريق بتفسيره للثورة وأسبابها ونتائجها فى وجهة لا يشوبها التناقض وعدم تماسك الحجج والجهل والبتر للمعلومات فحسب؛ وإنما يكون التناقض أكثر وضوحاً عندما نقف على الدراسات العلمية التى تقوم على الأسس العلمية الرصينة، وتدفع بالحقائق التاريخية، وبمناهج البحث الجديدة لدى المتخصصين. كانت الدراسات التى نظرت فى ثورة رفاعة وصاحبتها علة الخلط فى حقائق التاريخ وعدم الدقة فى المعلومات كثيرة، منها نموذج أشار إليه خالد الحاج عبد المحمود وهو يفند حججه ويدحض آراءه.

كتب خالد الحاج قائلاً: "لقد تعرض د. خالد المبارك، لأحداث ثورة رفاعة 1946 فى حديث له بجريدة الرأى العام ....، هبط فيه بدور المثقفين الى قاع، يصعب أن يجاريه فيه أحد.. فقد جاء حديثه، متحاملاً مغرضاً، يفتقر إلى أبسط قيم الفكر الموضوعى الأمين.. فالموضوعية فى أبسط صورها تقتضى ذكر الحقائق كماهى، ثم مناقشتها، لا تبديلها وعكسها، أو تحريفها"[2]. وكتب طه إسماعيل أبو قرجة (???-2003) فى مقالة من ثلاث حلقات بعنوان: "د. خالد المبارك يكشف عن حقائق مؤسفة، متى يرفع السودانيون أصواتهم استنكاراً لتزييف التاريخ؟"، نشره فى أيام 25، 26، 28 ديسمبر على التوالى من عام 2002، وسبقه بمقال آخر بعنوان: "خالد المبارك يجهل الحقائق ويضلل القراء" نشره بتاريخ 11 ديسمبر 2002،

---

(1) التجانى عامر، "**ذكريات: من مذكرات التجانى عامر**"، مصدر سابق.

(2) خالد الحاج عبدالمحمود، "ثورة رفاعة 1946: التاريخ بين المثقفين المصريين والمثقفين السودانيين"، من **موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved)، 2009/3/14، الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfikra.org

كانت مقالات أبو قرجة رداً على مقال كتبه خالد المبارك بعنوان: "مفكرة سودانية بريطانية.. محمود محمد طه وأنصاف الحقائق"[1]، كتب أبو قرجة فى مقاله الثانى قائلاً:

"قال الدكتور خالد المبارك فى مقاله عن ثورة رفاعة: (قيل لنا أنها مثل إضرابات الطعام فى المدارس وإضرابات زيادة الأجور العمالية، مجرد ظواهر اجتماعية لمضمون سياسى هو رفض الاستعمار..)!! ولابد أن أقول هنا للدكتور أن الكتابة بطريقة "قيل لنا" لا تليق به، خصوصاً فى موضوع بهذه الأهمية والحساسية. وأنا أعفيه من أن يذكر لنا من قال ذلك، ولمن، ومتى، وأين".

كتب خالد المبارك فى نفس المقال فى مغالطة لحقائق التاريخ، تكشف عن خلل التناول، والمجافاة للمصادر والمراجع، بما لا يليق بمن يريد أن يساهم فى الخدمة التنويرية، كتب خالد قائلاً:

لكن الاستاذ محمود محمد طه ارتكب ايضاً عدة أخطاء تقديرية جسيمة. حدثت انتفاضة رفاعة.... احتجاجاً على قرار الإدارة الاستعمارية بمنع الخفاض الفرعونى. قيل للعامة: يريد الإنجليز أن يتدخلوا فى كل شىء حتى (.......) بناتكم! وفعلا ثار الناس حماية للشرف الرفيع وكان على رأسهم الاستاذ محمود. كان موقفه ذلك متخلفاً ورجعياً فى مواجهة قرار «تحديثى» جرىء وسليم. انتفاضة رفاعة المزعومة ليست من مآثرنا فى النضال ضد الاستعمار بل هى من مخازينا. ويقع وزرها على كاهل الاستاذ محمود محمد طه. قيل لنا أنها مثل إضرابات الطعام فى المدارس وإضرابات زيادة الاجور العمالية، مجرد ظواهر اجتماعية لمضمون سياسى هو رفض الاستعمار . وهذا دفاع واه لأن الأستاذ محمود لم يراجع موقفه علناً او يذكر مبرراته بعد نيل الاستقلال.

كتب عبدالله عثمان ناقداً لآراء خالد المبارك ومخاطباً خلل التصور وخلط الحقائق وهو يستدعى دعوة "إعادة تعليم المتعلمين" التى أطلقها الأستاذ محمود، كتب عبدالله فى مقاله الذى جاء بعنوان: "إعادة تعليم المتعلمين"[2]، كتب قائلاً: "عندما طالعت "أنصاف حقائق" الدكتور

---

(1) خالد المبارك، "مفكرة سودانية بريطانية.. محمود محمد طه وأنصاف الحقائق"، **صحيفة الرأى العام**، بتاريخ 18 نوفمبر 2002، الخرطوم.

(2) عبدالله عثمان، "إعادة تعليم المتعلمين"، **صحيفة الرأى العام**، 23 ديسمبر 2002.

خالد المبارك المنشورة بجريدة الرأى العام، 18 نوفمبر 2002، طالعنى أول ما طالعنى دعوة الأستاذ محمود لإعادة تعليم المتعلمين، ذلك أمر نحن أحوج ما نكون له اليوم أكثر من أى وقت مضى، ... لقد ظل الدكتور خالد المبارك يردد أنصاف حقائقه هذه...". ثم ذهب عبدالله فى نقده لخالد المبارك وهو يجمل الأبعاد والدلالات الوطنية فى حادثة رفاعة، وكيف أن الأستاذ محمود وظف الحادثة توظيفاً يصب بروح ثورية فى خانة النضال ضد المستعمر، كتب عبدالله قائلاً:

إن "حادثة رفاعة" المشار إليها، اتخذها الأستاذ محمود سبباً لإذكاء روح النضال ضد المستعمر الإنجليزى، و قد كان رأى الأستاذ محمود أن مثل هذه المسائل الاجتماعية المعقدة لا تتم معالجتها و لا محاربتها عن طريق القانون، و إنما عن طريق التربية و طالب الإنجليز بفتح المدارس للفتيات بدلاً عن سن القوانين. و لم يفت عليه أن الإنجليز إنما رموا لذلك بتصوير الشعب السودانى على أنه شعب متخلف يستحق الوصاية لإطالة أمد إقامتهم بالبلاد[1].

أيضاً، كان هناك نموذج آخر من نماذج الدراسات التى تعانى من نقص المعلومات وضعف الالمام بالحقائق التاريخية، إلى جانب استخدامها مناهج البحث التى لا تعطى اعتباراً للمعرفة الاستعمارية وهى دراسة محمد وقيع الله، وقد وردت الإشارة إليها آنفاً، وهى بعنوان: "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام". يقول محمد وقيع الله: "وقد أصدر الاستعمار قانوناً يمنع عملية الخفاض الفرعونى للصبايا ويعاقب القابلة التى تجرى تلك العملية بخمسة أعوام سجن. كان محمود فى الصف المعارض لمنع الخفاض[2]. ويضيف وقيع الله قائلاً: "وبسبب نشراته المعارضة للخفاض، أرسل إليه مدير الشرطة البريطانى يطلبه،...إلخ". ثم أشار وقيع الله إلى رفض الأستاذ محمود التوقيع على تعهد بحسن السيروالسلوك، والإقلاع عن الانغماس فى العمل السياسى، ومن ثم حكم عليه بالسجن لمدة عام. وقد أطلق سراحه بعد خمسين يوماً، كما وردت الإشارة فى كتابنا هذا آنفاً. يقول وقيع الله: "وبعد شهرين من إطلاقه من السجن

(1) المرجع السابق.

(2) محمد وقيع الله، "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام"، من موقع **سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2006/11/23 ، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

اعتقلت السلطات الاستعمارية إحدى " القابلات " واتهمتها بإجراء عملية الخفاض الفرعونى على الفتيات الصغيرات، وحكم عليها بالسجن مدة أربعة أشهر، فأشعل محمود أهل المنطقة حماسة واضطراماً، وقاد تظاهرة ضخمة اتجهت إلى مركز الشرطة وحاصرته، واقتحمته، وأطلقت سراح السجينة، وعادت ظافرة بها إلى أهلها،وقد أعتقل محمود مجدداً فى إثر ذلك الحادث، وقدم لمحكمة قضت عليه بالسجن مدة عامين[1]. ثم أضاف قائلاً: "وفى عام 1952 أنشأ أول كتبه، وهو الكتاب الموسوم بـ " قل هذه سبيلى " دعا فيه إلى حكومة عالمية، ودافع فيه من جديد عن عادة الخفاض الفرعونى المستهجنة"[2].

أكتفى فيما يتعلق بالدراسات التى تنقصها المعلومات وضعف الإلمام بالحقائق التاريخية بإيراد هذين النموذجين. من المهم الإشارة إلى أن هناك أمثلة عديدة، لنوع الكتابات وكان جلها مقالات صحفية، جاءت حاملة للجهل بالحقائق التاريخية والخلط فى الأحداث والوقائع فى كل مايتصل بثورة رفاعة - الخفاض الفرعونى. كذلك فقد لاحظت أن مثل هذه الدراسات اتسمت بالضعف والسطحية والمهاترة والمجافاة للمصادر والمراجع، الأمر الذى يجعلها لا ترقى لمستوى الدراسة العلمية، وإنما تظاهرة بحثية هتافية فاقدة للأركان العلمية، وينقص أصحابها الورع العلمى والحصافة والكياسة المعرفية، كما أنها تقوم على الروايات السماعية والأخبار الشفاهية غير الدقيقة. وقد عانى السودان عناءً شديداً من مثل هذا النوع من الكتابات والكُتَّاب، فالسودان بلد عميق وعريق وقديم ولكن للأسف تدرس قضاياه بسطحية، وكسل ذهنى منقطع النظير، كما أن دراسات القضايا فيه يرتكز، كما هو حال نموذجينا، على الأخبار السماعية، لا على الأخبار والمعلومات فى مظانها. الشاهد أنه لاحقاً ومن خلال معالجتى لثورة رفاعة سيرى القارىء مدى ضعف المعلومات والجهل بالحقائق التاريخية لهذين النموذجين، كما أن معالجتى تحمل بين طياتها التفنيد لخلاصات ونتائج هذا النوع من الدراسات.

أما العلة الثانية التى عانت منها الدراسات والمقالات التى تناولت ثورة رفاعة، فهى المنهج الذى استخدم من قبل الدارسين فى دراسة ثورة رفاعة. كان المنهج الذى استخدم فى دراسة ثورة رفاعة، قد أدى لنتائج وخلاصات، تجعلنا أمام نوعين من الدراسات. فالنوع الأول: هو

---

(1) المرجع السابق.
(2) المرجع السابق.

تلك الدراسات التى استخدمت المناهج البحثية التى تعبر عن حقبة الحداثة، ونتائج هذا النوع لم تك على وفاق مع موقف الأستاذ محمود وأقواله وتقييمه، وذهب هذا النوع إلى أن ثورة رفاعة، باعتبار سببها الخفاض الفرعونى، هى عمل ضد الحداثة، وضد تحرير المرأة، وهذا النوع من الدراسات كان قليلاً مقارنة مع النوع الثانى، كما سيتضح ذلك. أما النوع الثانى: فهى الدراسات التى استخدمت المناهج البحثية التى تتصل بتفكيك خطاب المعرفة الاستعمارية وتتصل بحقبة ما بعد الحداثة Postmodernism، أكثر من اتصالها بحقبة الحداثة. فهى دراسات استخدمت منهج مدرسة دراسات ما بعد الاستعمار (ما بعد الكولونيالية) Post-Colonialism، ونتائج هذا النوع من الدراسات جاءت متفقةً مع الأستاذ محمود تماماً فى مواقفه بشأن ثورة رفاعة وفى أرائه بشأن قانون الخفاض الفرعونى. كما اتفق هذا النوع من الدراسات مع الأستاذ محمود فى تفسيره للغرض السياسى لمسألة الخفاض الفرعونى، واتفقت مع ما قال به من تقويم وفى نظرته للكيفية التى يجب أن تحارب بها عادة الخفاض الفرعونى. هذا النوع من الدراسات كان أكثر عدداً من النوع الأول، وقد قام بهذه الدراسات، علماء ودارسون سودانيون وغربيون، ومنهم نساء ومنهم رجال. الشاهد أننى قبل الدخول فى التفصيل بشأن النوعين من الدراسات وما خلصت إليه من نتائج، أود أولاً تنوير القارىء بالأبعاد والوقائع التاريخية لثورة رفاعة، مع تقديم تفاصيل للقصة كما روتها وقتئذ دوريات الخرطوم والمصادر فى الأعوام ما بين 1945-1948، حتى يكون الحديث حديثاً علمياً وحتى يكون القارىء فى درجة شعورية متقاربة معى ومع الذين درسوا ثورة رفاعة من النوعين من الدراسات التى سترد تفاصيلها لاحقاً.

ثورة رفاعة والحقائق التاريخية: لقاء الذاكرة بالخيال

والحق أن من يجهل حقائق التاريخ لا يمكنه تقويم ثورة ولا أى حدث تاريخى. وقديماً قال الأستاذ محمود محمد طه: "الفكر هو ثمرة لقاء الذاكرة بالخيال"[1].

طه إسماعيل أبو قرجة

---

(1) طه إسماعيل أبوقرجة، "مقال د. خالد المبارك يكشف عن حقائق مؤسفة (3 من 3)، ثورة رفاعة غيرت وسائل الحركة السياسية وقصّرت أجل الاستعمار"، **من موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved) يوم 12/3/2001، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

لقد لاحظت، أن معظم الدارسين لثورة رفاعة، يخلطون بين الأحداث وبعضهم يجهل بعض الحقائق والوقائع التاريخية، لهذا ولمصلحة السجال ولترفيع الجدل، فإننى استميح القارىء أن أورد هنا تحقيقاً صحفياً قامت به ونشرته صحيفة الرأى العام، فى 25 سبتمبر 1946، وهو من أشمل ما قرأت من تقارير عن ثورة رفاعة، وقد تتبعت بدقة أخبار ثورة رفاعة فى المصادر والمراجع وفى الصحف السودانية منذ أن أصدر المجلس الاستشارى لشمال السودان، قانون الخفاض الفرعونى فى شهرديسمبر 1945، وحتى انتهاء فترة سجن الأستاذ محمود فى يوم 21 سبتمبر 1948. وهى صحف عديدة: الرأى العام، والسودان الجديد، وغيرها. فيما يلى نص التحقيق الصحفى لمندوب **صحيفة الرأى العام** الخاص عن حوادث رفاعة، كما نشر فى يوم 25 سبتمبر 1946، ولم أضف عليه سوى أنى زينت صدره بمقولة الكاتبة الشابة سارة ضيف الله.

نص تحقيق صحيفة الرأى العام عن حوادث رفاعة[1]

واحدة من أهم النساء فى الوسط الفنى،... والتى رسمت لها الاقدار بأن يقترن اسمها "فايزة عمسيب" بالمفكر والمناضل محمود محمد طه، والذى سجن سنتين، بسبب الثورة التى اندلعت بمدينة رفاعة ضد المستعمر على أثر ختان فايزة عمسيب التى كانت حينها طفلة لا تعى معنى الختان ولا الثورة[2].

سارة ضيف الله، فى يوم 12 فبراير 2011

أصـــل الســبـــب

(المنين الحاكم) امرأة من ساكنات رفاعة مات عنها زوجها منذ شهرين تاركاً لها أطفالاً منهم بنت فى السادسة من عمرها.وفى حوالى أول سبتمبر الحالى أجرت المرأة لبنتها المذكورة عملية الخفاض الفرعونى منساقة مع عادة تناهت فى القدم هنا فى السودان وقد وصل خبر خفاض البنت إلى المساعد الطبى برفاعة الذى أبلغه بدوره إلى مفتش مركز

(1) "تحقيق صحفى (لمندوب الرأى العام الخاص) عن حوادث رفاعة"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 451، بتاريخ 25 سبتمبر 1946، الخرطوم.

(2) سارة ضيف الله، "فايزة عمسيب: مُشعلة ثورة رفاعة ضد الختان"، **صحيفة الأحداث**، 12 فبراير 2011.

رفاعة المستر ديك فاستدعى المرأة وحكم عليها بأربعة شهور سجناً لمخالفتها قانون منع الخفاض الفرعونى وكان ذلك فى يوم 1946/9/7.

استياء الجمهور

وعندما علم الجمهور محاكمة المرأة استاء لها كل الاستياء وارسل تلغرافات إلى المفتش ممضاة (أهالى رفاعة) يحتج فيها على هذا العمل الفريد فى نوعه فى تاريخ البلاد ويطلب من المفتش أن يسمح لأربعة من ممثلى الأحزاب لمقابلته غداً 1946/9/8 للتفاوض معه فى هذا الموضوع الدقيق. وفى التاسعة من صباح اليوم المذكور ذهب الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** وحسين كرقلى رئيس لجنة المؤتمر الفرعية وعبدالله لطفى مندوب **حزب الأمة** فقابلوا المفتش وتناقشوا معه فى الأمر وقال لهم أنه يقبل ضماناً يطلق بموجبه سراح المرأة نهاراً على أن تعود الى السجن ليلاً ولكنهم عرفوه أنها امرأة مسكينة وزوجها مات قريباً وأنها لم تكمل عدة الحبس الشرعى، وأنها ذات أطفال لا كافل لهم سواها. وعندئذ قال لهم المفتش انه سيطلق سراحها بضامنين فتقدم محمد المكى ومحمد حامد للضمانةفأمضياهاوانصرف الناس والمرأة .

إعادة قبض المرأة

وفى يوم الخميس 1946/9/19 أمر المفتش بالقبض على المرأة مرة أخرى وأُودعت السجن برفاعة ولم يعلم الجمهور فى نفس اليوم بخبر إعادة قبض المرأة ولكن النبأ انتشر فى اليوم التالى الذى هو الجمعة وتذاكر الناس أمر هذه المرأة فى المسجد عقب الصلاة فذهب فريق منهم يقدر بثلاثمائة الى المركز وطلبوا من نائب المأمور قاسم أفندى محمد الأمين أن يطلق سراح المرأة ويسجنهم جميعاً بدلاً عنها فتناول نائب المأمور التلفون وتكلم مع المفتش الذى كان بالحصاحيصا آنذاك وبعد قليل قال لهم أن المفتش أمر بإطلاق المرأة وسجن الضامنين مكانها ولكن الجمهور رفض وقال إما أن نسجن جميعاً وإما أن نطلق جميعاً.

وازاء هذا الإصرار جاء الأمر من المفتش بإطلاقهم جميعاً وعلى ذلك تفرق الجمهور .

القبض مرة ثالثة

وفى الساعة الثانية عشرة من ليل الجمعة ذهب العمدة محمد عبدالله أبوسن ومعه أحد الخفراء الى منزل المرأة ونادى أخاها (محجوب حاكم) الذى يشتغل بوليساً فى مركز رفاعة وأمره أن يخرج المرأة ليحتفظ بها العمدة فى منزله وأخرج المرأة وهى فى ثياب النوم، رداء دون إزار، واخذها العمدة والخفير الى حيث أعد لها مركباً ينقلها الى الحصاحيصا ومنها الى مدنى .

غضب الجمهور

ولما علم الجمهور بأخذ المرأة ليلاً غضب غضباً شديداً وقدر أن المرأة لابد أن تكون فى الحصاحيصا ولذلك اتجه كل من سمع بالخبر، صوب الحصاحيصا.

وقد استطاع بعضهم فى الصباح الباكر أن يعبر النهر ليقابل المفتش فى الحصاحيصا وتوالى بعد ذلك تدفق الجمهور نحو النهر ولكنه وجد أن المراكب ممنوعة من العبور فذهب أفراده إلى رفاعة واحضروا مراكب عبروا عليها، وقد لقيت طلائعهم الفئة التى عبرت أولاً وقابلت المفتش وعرفتهم انها لم تصل الى نتيجة فاتجهوا جميعاً صوب مركز الحصاحيصا لمقابلة المفتش ولكنهم وجدوا بابه موصداً فاخذوا يقرعونه دون أن يفتح لهم ولما يئسوا أخذوا يقرعون النوافذ والأبواب بالعصى.

وفى تلك الأثناء حضر المستر هوكسويرث نائب مدير الجزيرة وأبدى تذمره من هذا العمل وقال إنه لن يستمع مالم ينسحب الجمهور وفعلاً انسحب الجمهور وخف منهم نحو عشرة أشخاص لمقابلته، ولكنه أخذ يطيل معهم الحديث، وقبل أن ينتهوا الى نتيجة ما، حضرت قوة من بوليس ودمدنى مسلحة بالبنادق والسياط والدرق، وأخذت فى تفريق الجمهور، وكان عددهم نحو ثمانين بوليساً ولكن الجمهور اقتحم نطاق البوليس وأستطاع بعض أفراده أن يقابلوا المستر هوكسويرث مرة اخرى، وقد قال لهم أن المرأة ستسجن فى مدنى ولما سمعوا ذلك ثار ثائرهم وأخذوا يحطمون الأبواب والنوافذ بالعصى والحجارة وأصاب حجر زجاج عربية المفتش فحطمه ولما رأى المستر هوكسويرث هذا الأمر قال لهم

أنه أمر بفك المرأة. وفعلا حضرت بعد وقت قليل عربة من مدنى تقل المرأة فأخذها الجمهور وانصرف بها.

وصول قوات الجيش

ومضى يوم السبت بأكمله هادئاً وكذلك صبيحة يوم الأحد ولكن فى حوالى الساعة الثانية عشرة وصلت رفاعة ست عربات محملة بالجيش أخذت تطوف بالطرقات والسوق بقيادة بكباشى بريطانى وضابطين سودانيين، ولما رأى الناس هذه القوة تجمعوا يدفعهم الفضول لاستطلاع غرضها وكان بعضهم يظن أنها جاءت لاعتقال المرأة وفعلاً ذهب فريق منهم للاطمئنان على المرأة فوجدوها فى منزلها وقد انفصلت عربتان صوب الديم وكان معهما عمدة رفاعة، وبعد قليل احضرتا الأستاذ محمود محمد طه.

وقد اتجه الناس صوب المركز لمعرفة شيء عن ذلك ولكنهم وجدوا الجنود قد سبقوهم إلى المركز وأنشؤوا استحكامات ووضعوا مدفعين رشاشين فى أعلى بناية المركز واحتشد صفان من الجند أمام المركز ووضعوا أربعة من رجال البوليس المدنى فى الطريق.

ولما بلغ الجمهور موقف رجال البوليس انسحب الأخيرون إلى حيث تقف قوات الجيش، ويظهر أن انسحاب البوليس أوحى إلى رجال الجيش أن الجمهور يريد الهجوم عليهم فأطلقوا طلقتين فى الهواء ثم أطلقوا بعدها أسلحتهم فى الهواء.

فوقف الجمهور فى مكانه وأخذ بعض الناس يهدؤون بعضهم واثناء ذلك انفرط إسماعيل على العشرابى وهو صبى فى العاشرة من عمره وتقدم إلى القوة فقبض عليه ولما رأى بعض الشبان ذلك تحفز ثلاثة من الشبان الذين تجاوزت أعمارهم العشرين وتقدموا صوب القوة فاطلق الجند الرصاص فى الارض فوقف الشبان مكانهم ولكن الجندى أخذ يضرب بالرصاص فكسرت رجل البدرى عبدالرحمن واخترق الرصاص عضلة ساق عطية عبد السيد وأصيب اثنان فى أرجلهما وهما حسن العمرابى والجيلى عباس، كما أصيب أحد الناس فى عينه وآخر بخدش بسيط، واخذ الجمهور جرحاه وانسحب وكان ذلك فى الواحدة والنصف بعد الظهر ولم يعالج هؤلاء حتى السادسة مساء حيث جاءت

عربة فأخذتهم إلى حيث ضمدت جراحهم فى المرفق الطبى للقوة وسيق بعضهم إلى أبى عشر للعلاج وقد انصرف الناس فى الثانية والربع.

المعتقلـــون

وقد تم اعتقال بعض الناس من رفاعة والحصاحيصا منهم الأستاذ محمود محمد طه وشقيقه مختار محمد طه فوضعوا فى سجون رفاعة والحصاحيصا ومدنى. ولم يقع بعد ذلك شيء. وما زالت الحالة الآن هادئة وتعسكر القوات خارج رفاعة ومنع الخروج من المدينة إلا بتصريح. (انتهى نص التحقيق الصحفى). هذا هو نص التحقيق الصحفى الذى جاء عن ثورة رفاعة فى **صحيفة الرأى العام** السودانية، دون تدخل منى فى النص، سوى إضافتى لمقولة الكاتبة سارة ضيف الله فى صدر التحقيق.

قائد ثورة رفاعة والتفكيك العملى للمعرفة الاستعمارية

__الحزب الجمهورى__ [ما يدافع] عن الخفاض الفرعونى، ... وكلامنا كان أنه كل شعب عنده عادات حسنة وعادات سيئة. العادات الحسنة بتُنمّى وتزيد بالتعليم، والعادات السيئة بتُحارب بالتعليم والتوعية، موش بالقوانين، موش بالبوليس[1].

محمود محمد طه

لقد أوضح الأستاذ محمود قائد ثورة رفاعة موقفه منذ البداية، مبيناً أن **الحزب الجمهورى** استغل قضية الخفاض الفرعونى ووظفها ليثير الشعب، وفى هذا فإنه لا يدافع عن الخفاض الفرعونى، يقول الأستاذ محمود: "مواجهة الاستعمار استغلينا فيها قضية الخفاض الفرعونى اللى شرّع ليهو المجلس التشريعى، وأخرج سفر بقانونه. هاجمنا السفر دا فى منشور، فكان سجن. السفر لمن طبق فى الحادث بتاع رفاعة المشهور، هاجمناه فكان سجن آخر، ستة وأربعين. ناس كتيرين يقولوا **الحزب الجمهورى** بدافع عن الخفاض الفرعونى، لكن دى لغفلة، ظهرت فى الصحف فى أيام أخيرة"[2]. ففى ديسمبر 1945 حينما صدر قانون الخفاض الفرعونى،

(1) محمود محمد طه، "الاستقلال وقضايا الشعب"، (محاضرة)، **دار الحزب الجمهورى**، أمدرمان، 13 ديسمبر 1968.
(2) المصدر السابق.

أصدر الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** بياناً: "بيان **الحزب الجمهورى** عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى"، (أنظر ملحق رقم: "9"). قال الأستاذ محمود فى ذلك البيان: "لا نريد بكتابنا هذا أن نقف موقف المدافع عن الخفاض الفرعونى ولا نريد أن نتعرض بالتحليل للظروف التى أوحت به لأهل السودان والضرورة التى أبقته بين ظهرانيهم إلى يومنا هذا ولكننا نريد أن نتعرض لمعاملات خاصة وأساليب خاصة وسنناً خاصة سنتها حكومة السودان أو قل ابتدعتها إرغاماً[1]. ثم تساءل الأستاذ محمود فى بيانه بشأن قانون الخفاض الفرعونى، تحت عنوان جانبى: "لماذا أثيرت مسألة الخفاض الفرعونى"، تساءل الأستاذ محمود قائلاً: "للسائل أن يسأل لماذا أثارت الحكومة مسألة الخفاض الفرعونى؟ وله أن يسأل لماذا أثيرت فى هذا الوقت بالذات - وله أن يسأل أيضاً لماذا أثيرت فى البرلمان الإنجليزى- ولماذا تبودلت الرسائل فى شأنها مع[...]؟ ولماذا لجأت الحكومة إلى القانون لإبطالها؟ ولماذا كانت هذه الصرامة فى القانون؟"[2]. ثم تحدث الأستاذ محمود عن الإجابات على هذه الأسئلة وأوضح قائلاً: "نعم للسائل أن يسأل هذه الأسئلة وله أن يقتنع بأى رد يقال له إذا كان على جانب من البساطة والسذاجة وضيق الأفق، ولكن الذين علمتهم التجارب أن يستشفوا الحقائق الكافية وراء كل حركة تقوم بها حكومة السودان، لن يجدوا ما يبرر قبولهم للرد القائل بأن المسألة قد أثيرت إشفاقاً بالمرأة، لانهم لا يجدون أثراً لمثل هذا الإشفاق فى مدى الخمسين عاماً التى مكثتها حكومة السودان، وتقصيرها ظاهر ملموس فى ناحيه المرأة التعليمية والاجتماعية والصحية"[3]. ثم تناول ادعاء الشفقة على المرأة والسعى لتطوير حياتها وتحديثها، وكان الأستاذ محمود يرى أن التطوير والتحديث والتوعية لا تتم بالقانون وإنما بالتعليم. يقول الأستاذ محمود:

أما من الناحية التعليمية فالحكومة قد تجاهلتها وأسقطتها من حسابها ردحاً من الزمان ولم تتبرع فى تعليمها إلا مؤخراً ولأنها لما بدأت تعليمها ضيعته لدرجة مخجلة مزرية وحصرته فى التعليم الأولى وفى معهد واحد آخر يرتفع قليلاً فى مستواه على مستوى المدارس الأولية، اضطرت لإنشائه للحصول على حفنة من المعلمات ليقمن بمهمة التدريس فى تلك المدارس، ولأنها حين وضعت البرنامج

---

(1) **الحزب الجمهورى**، "بيان الحزب الجمهورى عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى" 10 ديسمبر 1945.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.

لهذا القدر من التعليم، لم تراع فيه ما يجب مراعاته فى تعليم بنت مسلمة فى قطر إسلامى، ولم تعدها لتدبير بيت منتظر وتعهد طفولة مرتقبة وسياسة زوج لا يمكن أن يربطه بوكر الزوجية سوى خلق قويم. وأما من الناحية الصحية فلأنها لم توفر طبيباً سودانياً واحداً من أطبائها للتخصص فى أمراض النساء وعلى كثرتها- ولم تلتفت أقل التفات، وعدم اهتمام الحكومة بناحية التعليم والصحة والبقاء هو ما يدعو الحذر للجزم بأن المسألة لم تثر إشفاقاً بالمرأة[1].

أوضح الأستاذ محمود فى البيان الذى أصدره بشأن قانون الخفاض الفرعونى فى ديسمبر 1945، قبل حدوث ثورة رفاعة، أن العادات الموروثة منذ أمد بعيد لا تحارب بالقانون وبالبوليس، وإنما بالتعليم والتنوير والتوعية. وليس بالإعلان عن القانون ثم تطبيقه فوراً على أناس لم يسمعوا به، دعك من شرحه لهم وتنويرهم به. وكما هو معروف فإن عادة الخفاض الفروعونى فى السودان عادة موروثة منذ آلاف السنين. فقد وردت الإشارة لعادة الختان، وليس الخفاض، فقد سميت بالخفاض فى القانون الذى صدر فى ديسمبر 1945، (قانون الخفاض الفرعونى) بينما وردت الإشارات إليها فى المصادر التاريخية بالختان، ومن المعلوم أنها عادة قديمة. فهى بالطبع سابقة للإشارات التى وردت فى كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين[2] الذين زاروا بلاد الحبشة، وديار البجة، وبلاد النوبة، والزغاوة[3]. لقد أشار عدد من الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين إلى عادة

---

(1) المصدر السابق.

(2) **عبدالله الفكى البشير**، "صورة شعوب القرن الإفريقى فى كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة"، مؤتمر: العرب والقرن الإفريقى: جدلية الانتماء والجوار ، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات (معهد الدوحة)، الدوحة، دولة قطر، (27-29 نوفمبر 2011)؛عبدالله الفكى البشير، "النسب الحضارى: قراءة فى عوامل الانبتات والتكييف وتغذية الخيال الجمعى"، (ورقة علمية)، **المؤتمر العام السادس لاتحاد الكتاب السودانيين بعنوان: نسبنا الحضارى**، قاعة ودعة، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، (24-25 مارس 2013).

(3) قال الحميرى: "زغاوة: من بلاد السودان، بينها وبين أنجيمى ستة أيام، وزغاوة مجتمعة الكور كثيرة البشر، شرب أهلها من الآبار، ولهم تجارات يسيرة وبضائع يتعاملون بها، وأكلهم الذرة ولحوم الجمال المقددة والحوت المصبر، والألبان عندهم كثيرة، ولباسهم الجلود المدبوغة يستترون بها، وهم أكثر السودان حزناً، وفى مانان يسكن أمير زغاوة وعاملها. **المصدر**: الحميرى، محمد بن عبد المنعم ، **الروض المعطار فى خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 294.

الختان، فقد تحدث اليعقوبى[1] (حوالى 839/225 - 907/294)عن ختان الإناث عند البجة قائلاً: "وهم بين النيل والبحر، ولهم عدة ممالك،... . فأول مملكة البجة من حد أسوان،...، والمملكة الثانية مملكة بقلين: ...، وهم الذين ينتفون لحاهم، ويقلعون ثناياهم، ويختتنون،..."[2]. وتحدث الإدريسى[3] (1110/493 - 1166/560)عن النوبة قائلاً: "وفى نسائهم جمال فائق وهن مختتنات ولهن أعراق طيبة"[4]. وتحدث الحميرى[5]: (1336/27-000هـ) بتوسع عن الختان من خلال حديثه عن النساء المقورات من نساء النوبة قائلاً: "ومن النوبة النساء المعروفات بالمقورات..."[6]. فالعادة أقدم من إشارات الرحالة

---

(1) هو أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، المعروف باليعقوبى. وهو مؤرخ وجغرافى عربى. نشأ فى بغداد وخرج منها فى سن الشباب متجولاً فى ربوع الدولة الإسلامية، وزار بلداناً عديدة. يُعد أول جغرافى ورحالة عربى وصف الممالك وسجل عنها ملاحظاته. تحدث عن ممالك البجة والنوبة والحبشة، ووصف البلدان فى منطقة القرن الإفريقى. يُعد كتابه **تاريخ اليعقوبى** أقدم كتاب عربى يتضمن التاريخ من آدم حتى ظهور الإسلام وحتى عصر المعتمد على الله العباسى سنة 259هـ. أما **كتاب البلدان** الذى ألفه حوالى سنة 278هـ/891،فيعتبر أقدم ما صنف فى مجاله، وهو كتابه الوحيد فى الجغرافيا. وله مؤلفات أخرى.

(2) اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب، **تاريخ اليعقوبى**، ج1، دار العراق للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص 217-219.

(3) هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموى، الشهير بالإدريسى، ولد فى سبتة. انتقل مع أسرته وهو صغير إلى قرطبة. تلقى العلم فى جامعاتها، ودرس فيها العلوم والرياضيات وكان له اهتمام بدراسة التاريخ والجغرافية. بدأ أسفاره فى سن مبكرة. وفى عام 1138 سافر قاصداً بالرمو عاصمة صقلية تلبية لدعوة ملكها روجر الثانى حيث كلفه بتصنيف كتاب شامل فى وصف مملكته وسائر الأصقاع المعروفة فى ذلك العهد. ظل الإدريسى وثيق الصلة بروجر إلى وفاة الأخير عام 1154، بعد أن أنجز له كتابه الشهير: **نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق**، فى سنة 518هـ/ 1123. كان الكتاب يُنسب إلى أمير البلاد فيقال: كتاب رجار أو الكتاب الرجارى. غادر الإدريسى صقلية فى أيام شيخوخته راجعاً إلى مسقط رأسه سبتة وتوفى فيها. قدم فى كتابه معلومات دقيقة عن نهر النيجر وعن السودان ومنابع نهر النيل. عبد الرحمن حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم** ، (دمشق: دار الفكر، 1995)، ص 388-394.

(4) الإدريسى، أبى عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموى الحسنى، **نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق**، مج1، المكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، "د. ت."). ص 27-31.

(5) هو محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن عبد المنعم، من أهل سبتة. أخذ ببلده عن أبى إسحاق الغافقى، ولازم أبا القاسم ابن الشاط وانتفع به وبغيره من العلماء. قدم غرناطة مع الوفد الذى قدم من أهل سبتة عندما صار إلى إيالة الملوك من بنى نصر لما وصلوا بالبيعة. اشتهر بمعجمه الجغرافى: **الروض المعطار فى خبر الأقطار**. ترتيب معجمه ترتيب هجائى، واهتم بوصف المدن والأقطار والجزر والبحار. نقل الكثير من مادة معجمه من السابقين. وكان يعتمد فى تصنيفه على الكتب. المصدر: محمد بن عبد المنعم الحميرى، مصدر سابق، (مقدمة المحقق).

(6) محمد بن عبد المنعم الحميرى، **الروض المعطار فى خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 58.

والجغرافيين العرب والمسلمين الذين زاروا المنطقة فى القرن التاسع الميلادى والقرون التالية. ولهذا فإن مثل هذه العادات لا تحارب بالقانون ولا يمكن للقانون أن يقضى عليها، كما هو حال قانون الخفاض الفرعونى، قبل التعليم والتوعية والتنوير. ولهذا قال الأستاذ محمود:

لاشك أن مجرد التفكير فى الإلتجاء الى القانون للقضاء على عادة مستأصلة فى النفوس،استئصال الخفاض الفرعونى، دليل قاطع على أن حكومة السودان، إما أن يكون قد رسخ فى ذهنها، أننا شعب تستطيع القوة وحدها أن تثنيه عن كل مبدأ وعقيدة، أو أن تكون قد أرادت أن تقول للعالم الخارجى أن السودانيين قوم متعنتون وان تعنتهم الذى ألجأنا للقانون لاستئصال عادة الخفاض الهمجية، هو التعنت الذى وقف فى سبيلنا وشل أيدينا عن استثمار الأراضى الواسعة الخصبة فى الجنوب والاستفادة من مياه الدندر والرهد والأتبرا والتوسع فى التعليم(1).

جماهير رفاعة تستنجد بقائد لا يخذل

ومشكلة قانون الخفاض، مشكلة توقعها أكثر السودانيين منذ أن صدر ذلك القانون،... وما من شك أن أكثر الفئة المتعلمة تؤمن بخطر هذا الخفاض، ولكن هذه الفئة، عندما صدر قانون الخفاض، كانت تشك إن كان هذا القانون سيثنى الناس عن هذه العادة أم سيخلق تطبيقه مآسى عنيفة(2).

صحيفة الرأى العام، يوم 24 سبتمبر 1946

فى الواقع لم تجد الجماهير فى مدينة رفاعة قائداً تستنجد به سوى الأستاذ محمود. فهى تعرف من هو الأستاذ محمود محمد طه حينما يجد الجد وعند النضال وعند الدفاع عن الحق والوطن. فقد عاش بينهم ودرس فى مدارسهم، وهى تعلم بأنه سجن خمسين يوماً، يوم أن خير بين السجن وإمضاء تعهد بأن لا يمارس السياسة أو يقوم بعمل ضد الحكومة الاستعمارية، رفض الأستاذ محمود التوقيع على التعهد واختار السجن، فسجن خمسين يوماً بسبب مناشيره المناهضة للاستعمار، خاصة منشوره المندد بقانون الخفاض الفرعونى،

(1) **الحزب الجمهورى**، "بيان الحزب الجمهورى عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى"، مصدر سابق.
(2) "حديث المساء: مأساة رفاعة"، **جريدة الرأى العام**، العدد: 450، الثلاثاء 24 سبتمبر سنة 1946.

والذى نادى فيه بأن مثل العادات السيئة لا تحارب بالقانون والبوليس، وقد وردت الإشارة لذلك. نقلت خبر السجن صحف الخرطوم: **الرأى العام والسودان الجديد**، وقد وردت الإشارة لذلك أيضاً. حينما فوجئت جماهير رفاعة بتطبيق قانون لم يسمع به جلهم، أو على الأقل لم تسمع به السيدة التى طبق عليها القانون، (المنين الحاكم، المنين بنت محمد عثمان[1]) كما وصف حالها الشاعر المجذوب كما ورد آنفاً:

وسيدة فى السجن تبكى مهيضةً　　وليس بقانون الخفاض لها خبر

وجدت الجماهير فى مدينة رفاعة نفسها فى مواجهة مع قانون سجن إحدى بناتها، فقد نقلت صحف يوم 11 سبتمبر 1946 فى صدر صفحاتها، تحت عنوان: "أول امرأة تسجن تحت قانون منع الخفاض"، وجاء تفصيل الخبر على النحو التالى: "جاء من رفاعة أن امرأة حكم عليها بأربعة شهور سجناً لأنها خفضت ابنتها خفاضاً فرعونياً وقد أحدثت هذه المحاكمة دوياً كبيراً فى جميع الأوساط هناك حتى اضطرت السلطات إلى إطلاق المرأة مؤقتاً"[2]. فجماهير رفاعة لم ترض بأن تكون أول سجينة بقانون الخفاض من بناتهم، ولم يكونوا على علم بأن عدم الالتزام بهذا القانون يتناقض مع الحداثة أو يتنافى مع حقوق المرأة، بل قد يكونون لا يعلمون أصلاً بصدور القانون نفسه، ولكن قطعاً أخذ بنت من بناتهم وإيداعها السجن هذا أمر غير مقبول، ويجعلهم فى مواجهة مع السلطة والقانون، حتى يحرروا بنتهم. ولكن أين القائد؟ أين القائد الذى يقودهم وهم على استعداد لمواجهة السلطة الاستعمارية فى سبيل تحرير بنتهم؟ فهم حينما فعلوا ذلك لم يكونوا كافرين بالقانون وإنما لجهلم به. فمثل هذه القوانين تحتاج لرحلة طويلة من التمهيد وخطط مدروسة للتنوير والتوعية بها، لأنها قوانين ستطبق على الجماهير، على عامة الناس. لم يك هناك قائد يستنجدون به سوى الأستاذ محمود. وهذا أمر لا يمكن أن يمر بسلام فى بلد، سرب مستعمروها الصراع والمنافسة بين قادتها وزعمائها وبين متعلميها، طلائع المتعلمين، فأصبح الثابت الصراع والمنافسة، والمتحول مزيداً من الصراع والمنافسة. تحدث يحيى محمد عبدالقادر فى مذكراته باستفاضة عن تلك الصراعات والمنافسة،

---

(1) "سجينة الخفاض"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 452 ، بتاريخ الخميس 26 سبتمبر سنة 1946.
(2) "أول إمرأة تسجن تحت قانون منع الخفاض"، **صحيفة الرأى العام**، بتاريخ 11 سبتمبر 1946.

وأشار بصراحة ووضوح وتفصيل إلى الدسائس وطبيعتها، وإلى المؤامرات، وكيفية نسجها، وإلى أن الصراع والمنافسة بين طلائع المتعلمين بلغ مبلغاً جعل بعضهم يستأجر بلطجية ليضرب بعضهم بعضاً، فالمذكرات تعج بالتفصيل فى هذه الصراعات والمنافسة وحالات الحسد والدسائس بين القادة والمتعلمين. لهذا فإن استنجاد أهل رفاعة بالقائد الأستاذ محمود لم يكن موضع ترحيب من القادة فى الساحة آنئذ، ولم يك موضع ترحيب من معاصرى الأستاذ محمود، لهذا فموقفهم من ثورة رفاعة كان عدائياً، وورث اللاحقون وحتى يومنا هذا ذلك العداء. لم ترد حتى مجرد إشارة لثورة رفاعة فى مذكرات معاصرى الأستاذ محمود، وقد تحدثت عن تجاهل الأستاذ محمود والسعى لتغييبه من الذاكرة الجماعية من قبل معاصريه كما سيأتى لاحقاً فى الفصل السادس عشر، وهو بعنوان: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه".

قائد ثورة رفاعة يستمع للجماهير

إن انتفاضة رفاعة حقيقةً قد كانت دفاعاً عن حق السودانيين فى الانعتاق من التخلف والعادات الضارة بإرادتهم وبنتاج التوعية والتعليم لا قهراً بسطوة القانون؟؟ [1].

عبدالمطلب بلة زهران

الشاهد أن جماهير رفاعة كانت تبحث عن قائد لقضيتها، ولم يرد فى ذاكرتهم قائد سوى الأستاذ محمود، فجاءت إليه. لقد حكى الأستاذ محمود قصة ثورة رفاعة، وكيف أن الناس فى مدينة رفاعة جاؤوا إليه مستنجدين به، أثناء زيارته لمدينة رفاعة بغرض مواساة إحدى الأسر فى وفاة أحد أعضائها، حكى الأستاذ محمود قائلاً[2]: "حادث رفاعة، أنا مشيت مشية عابرة لبكاء (لوفاة) هناك.. بعدين الناس طبعاً كانوا اتسامعوا بسجنى الأولانى بمناسبة قانون الخفاض الفرعونى فلما سجنت المرأة، ما بعرفهم أنا، جو فى

(1) عبدالمطلب بلة زهران، "محمود محمد طه.. الحقيقة الكاملة"، من **موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved) يوم 16 سبتمبر 2009، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

الفراش (حيث منزل المتوفى) وسألوا عنى وحكوا لى.. قالوا لى نحن عندنا بتنا أرملة، خرجت من الحبس على زوجها، لتوها، وطهرت بنتها، وفى وشاية مشت للسلطات، والسلطات اعتقلتها وختتها فى السجن.. وكان دا يوم جمعة". بعد أن استمع القائد، الأستاذ محمود، للجماهير بدأ الخطوات العملية والقانونية، قال الأستاذ محمود: "أنا كتبت جواب لمفتش المركز أنه أنا عايز أقابله.. فى بعض الإخوان من رؤساء اللجان الفرعية للأحزاب الموجودين فى رفاعة قالوا أنهم يضموا اسمهم لاسمي في المبادرة.. فقابلنا المفتش وكلمناه بالموضوع دا وكانوا الناس كتيرين فى الأبواب وزاحمين عليه مكتبه، فشوش كدة، وقال هو راح يطلق سراحها لغاية ما تظهر نتيجة الاستئناف لأنه فى استئناف ساير، فأطلقها". لقد أطلق سراحها بعد تلك المفاوضات وهو مدخل سليم وحضارى، بيد أن إطلاق سراح المرأة لم يك سوى خدعة، تحدث الأستاذ محمود عن المفتش قائلاً:

هو تاريهو [يبدو] فى الأثناء هذا بتشاور مع مدير النيل الأزرق بمدنى.. نحن افتكرنا إنو ما برجع ليها.. لكن بعد شوية، نحن قاعدين تلاتة أربعة يوم مضت، افتكر كان يوم خميس - الخميس البعد الجمعة دى، كان زى أعادوها للسجن.. زى مدير النيل الأزرق - اسمه روس بيرز كلم المفتى - المفتش كان اسمه باستر بول قال ليهو ناس رفاعة ديل هراشين ساى ونفاخين أنا افتكر ما بقدرو يعملوا حاجة، أنت اعيد المرأة للسجن، وأعادوا المرأة للسجن.

ما لبثت الجماهير قليلاً حتى أتت قافلة إلى الأستاذ محمود لتخبره بسجن المرأة مرة ثانية، قال الأستاذ محمود: "وجو (جاؤوا) كلمونى، وقلت ليهم فى الجمعة راح يكون فى حديث.. مشينا صلينا الجمعة فى جامع رفاعة وكانت فى خطبة بعد الصلاة"[1]. نقلت صحف الخرطوم خبر خطبة الأستاذ محمود، إذ جاء فى صحيفة **الرأى العام** تحت عنوان: "حوادث رفاعة": "وفى يوم الجمعة الموافق 20 سبتمبر القى محمود محمد طه خطاباً فى جامع رفاعة يقال أنه حرض فيه الحاضرين على إنقاذ المرأة وقد انطلق جمع من الناس إلى المركز والسجن فدخلوه وأطلقوا سراح المرأة وفى تلك الليلة قبض

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

البوليس عليها مرة ثانية دون تشويش ثم نقلت المرأة الى الحصاحيصا"[1]. شرح الأستاذ محمود مرتكزات خطبته فى الجامع، إذ قال: "الموضوع دا بطبيعة الحال حساس ونحن قدرنا نلمسه.. فالناس خرجوا من المسجد، مشوا للسجن طوالى فكوا المرأة، وملوا السجن"[2]. كان المفتش يومئذ وهو مفتش رفاعة والحصاحيصا، فى الحصاحيصا.. كانت المهمة تقع على نائب المأمور الذى اتصل بالمفتش، يقول الأستاذ محمود مشيراً لحديث نائب المأمور للمفتش: "وقال ليهو الجماعة ديل عملوا وعملوا وقال ليهو سيب المرأة وسيبهم يمشو خلاص... دا كان يوم الجمعة العصر .. الناس مشوا". ثم ما لبث أن تم التشاور بين السلطات الاستعمارية (نائب المأمور والمفتش ومدير النيل الأزرق بمدنى)، يقول الأستاذ محمود: "المدير (مدير النيل الأزرق بمدنى) قال ليهو المرأة تاخدوها نص الليل وتعدوها الحصاحيصا وتجيبوها لينا نحن هنا فى مدنى.. فكان ليلة السبت عملو العملية دى... مشو زى السرقوها كدة، طلعوها من جنب بيتها وبعدين العربية دورت ومشت بيها وعدوها فى الليل". لم يكن لجماهير رفاعة قائد يشكون إليه سوى الأستاذ محمود ليتولى قضيتهم ويقودهم. فبمجرد ما تم أخذ المرأة مرة ثانية جاءت الجماهير للأستاذ محمود، يقول الأستاذ محمود:

فى الصباح بدرى جونى الناس فى الديم (أحد أحياء مدينة رفاعة).. قالوا أنو البنت أخدوها فى الليل.. أخدها العمدة بتعليمات من المفتش والمدير .. نحن مشينا للسوق وحركنا المدارس أنهم يمشوا الحصاحيصا وكان الفيضان الشاذ بتاع سنة 46.. المفتش سحب المراكب من البر البقابلنا نحن للبر الغربى اللى بيلى الحصاحيصا.. الناس مشوا المشرع ما لقوا مراكب، جو تلاتة أربعة بى عربية للديم - المحلة النحن قاعدين فيها القلت ضاحية [...] من رفاعة - فى مشرعها فى مراكب، فقاموا الناس طلقوا المراكب دى وخلوها عايمة فى البحر لغاية ماجات فى رفاعة قبضوها الناس العندهم مهارة فى الموضوع دا.. وركبوا فيها الناس وعدوا بى هناك وحاصروا المركز .. فيهو المفتش[3].

(1) "عن حوادث رفاعة"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 454، 1946/9/28، الخرطوم.
(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.
(3) المصدر السابق.

تحدث الأستاذ محمود مصوراً مشهد المواجهة والصدام بين الجماهير والبوليس، يقول الأستاذ محمود: "المفتش كان بتصل بالمدير ، أنو الناس وصلوا ومصرين على أنو المرأة ترجع وفى هياج كبير .. نائب المدير- هو روس بيرز أخد كمندان البوليس وجاء ومعاهم عدد من البوليس بعصيهم والدرق بتاعة السعف دى، بعدين لقوا عدد كبير بالمرة... بعدين الناس حاصروا المركز والمكتب الفيهو المدير والكمندان والمفتش - بقو التلاتة جوه - بعدين نحن جينا ودخلنا عليهم". ثم عبر الأستاذ محمود عن كيف كان المدير والكمندان والمفتش يتجنبون الحديث معه؟، يقول الأستاذ محمود:

"فكان حاولوا يتجنبونى أنا فى الكلام، عارفين الحكاية، حتى يعنى عمى ووالد زوجتى - شيخ لطفى عليه رحمة الله - فروس بيرز قال لى خلى نسيبك يتكلم، قلت ليه سيب المسألة دى - هو كان فى عدد كبير من الشباب، كان بفتكر أنو بقدر يأثّر على الشباب بأنه يرجعوا الناس... نحن بطبيعة الحال شعرنا أنو راح يفشل اجتماع الناس فاتصعد الحماس طوالى بكلمة مننا من هنا وكلمة من هنا.. لمن الساعة اتنين جات وهو كان برضو عندو أمل فى الموضوع دا وكان يطلب موية الموية يحموها اياه -يحجزوها منه- يشربوها الناس، جات جبنة، حموها اياه - شربوها الناس.. بعدين اتوتر، بعد شوية الناس ملخوا فروع الشجر وبدوا يضربوا فى الشبابيك والأبواب والقزاز والدواليب وبقت هيجة عجيبة.. فى اللحظة ديك هو عرف أنو الموضوع دا لازم ينهيهو فاتناول التلفون وكلم السجن، قال لضابط السجن تجيب البنت انت بنفسك وتجى.. زى الساعة اتنين ونص أو تلاتة بعد الضهر جابوا البنت وسلموها لناس رفاعة ورجعوا بيها.. دا كان يوم السبت.. فى الوكت داك هو طلب قوة من الجيش تقوم من الخرطوم، تجى تحيط رفاعة كلها، وقوة من البوليس ليقضى علينا نحن .. حضّر ليهو قايمة من 12.. "

محاكمات أبطال ثورة رفاعة

فى صباح يوم 1946/9/28 نشرت **صحيفة الرأى العام** على صدر صفحتها الأولى قائلة: "الإضرابات فى رفاعة: إرسال فصيلة من قوة دفاع السودان لحفظ الأمن- إطلاق

سراح المرأة- تحطيم أجزاء من مركز الحصاحيصا- إطلاق الرصاص- هدوء الحالة اليوم"[1]، ثم أوردت تفاصيل القوة ولحظة وصولها... إلخ. ونشرت كذلك خبراً آخر على صفحتها الأولى تقول فيه: "وفى يوم الأحد الموافق 22 سبتمبر عبر مفتش المركز مع قوة من البوليس برئاسة القومندان النهر عند الحصاحيصا واتجهوا إلى رفاعة لكى يلقوا القبض على زعماء الفتنة فى الاضطرابات الأخيرة"[2]. وسمت الصحيفة الثوار بـ "زعماء الفتنة فى الاضطرابات الأخيرة"، وهذا الوسم يعبر عن تبنى وجهة نظر الاستعمار، ويعبر عن الموقف العدائى، والذى أشرت له آنفاً، من ثورة رفاعة. وتضيف الصحيفة فى خبرها قائلة:

قبضت دورية من البوليس على محمود محمد طه وعقب ذلك بوقت قصير تجمهر عدد من الناس يقارب عددهم الأربعمائة شخص وكان من بينهم صبية للمرة الثانية ثم أخذوا يتقدمون بحالة عدائية صوب المركز وقد طلب منهم أن يقفوا ولكنهم رفضوا فاطلقت دفعة من الرصاص فوق رؤوسهم ثم لما استمروا فى تقدمهم أطلقت دفعة أخرى من الرصاص على الأرض تحت أرجلهم... أصيب رجل برصاص فى ساقه اليسرى فكسرت الساق وأصيب رجل بجرح لحمى فى ساقه اليمنى وأصيب رجل بجرح سطحى فى فخذه الأيمن[3].

فى هذا الأثناء نشرت **صحيفة الرأى العام** خبراً تحت عنوان: "رئيس القضاء ينظر فى قضية الخفاض برفاعة"، جاء فى الخبر: "وقد علمنا من مكتب الصحافة هذا الصباح أن قضية الخفاض التى سببت كل هذا الشغب هى الآن تحت نظر رئيس القضاء بالمصلحة القضائية وأن التهم الموجهة الى الذين اعتقلوا فى هذه الحوادث لا دخل لها بآرائهم فى موضوع الخفاض ولكنها تتعلق أولاً وأخيراً باستخدام القوة لتحقيق غاية فى الوقت الذى كان الاستئناف مفتوحاً أمام المتظاهرين[4]. وفى يوم 28 سبتمبر أوردت **صحيفة الرأى**

(1) "الإضرابات فى رفاعة: إرسال فصيلة من قوة دفاع السودان لحفظ الأمن- إطلاق سراح المرأة- تحطيم أجزاء من مركز الحصاحيصا- إطلاق الرصاص- هدوء الحالة اليوم"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 449، 1946/9/23، الخرطوم.

(2) "عن حوادث رفاعة"، **صحيفة الرأى العام**، العدد: 454، 1946/9/28، الخرطوم.

(3) "عن حوادث رفاعة"، **صحيفة الرأى العام**، مصدر سابق.

(4) **"رئيس القضاء ينظر فى قضية الخفاض برفاعة"**، صحيفة الرأى العام، العدد: 450، يوم الثلاثاء 24 سبتمبر سنة 1946، الخرطوم.

العام فى صدر صفحتها الأولى خبراً تحت عنوان: عن حوادث رفاعة، قائلة فيه: "ومازال القبض على زعماء الفتنة مستمراً ويوجد الآن عشرة منهم تحت الحراسة فى رفاعة (علاوة على محمود محمد طه) كما أنه قبض على أربعة أشخاص فى الحصاحيصا لاشتراكهم فى الاضطرابات التى حدثت هناك[1]. ضمت قائمة المقبوض عليهم 12 شخصاً.

تحدث الأستاذ محمود مفسراً الاختيار الذى تم لقائمة الـ 12 شخصاً الذين تم قبضهم، وتناول الأستاذ محمود الأحكام التى صدرت بالسجن فى حق بعضهم، يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن قائمة الـ 12 شخصاً، الذين اختارهم المفتش، تحدث الأستاذ محمود قائلاً: "12 كلهم اختارهم من الشبان الصغار ... اتجنب أن يذكر الشباب فى كشفه عشان الناس يقولوا أنهم كلهم أحداث وصغار ومنفعلين ولذلك هم أقرب الى الشغب منهم الى الاحتجاج الرشيد.. تمت الاعتقالات فى صبيحة السبت داك - في أغسطس من عام 46.. بعدين بدت محاكمات[2].

كانت **صحيفة الرأى العام** قد تابعت محاكمات ثوار رفاعة، فنشرت فى 12 أكتوبر 1946 خبر محاكمة لستة عشر من المناضلين، قائلة: "صدرت أحكام بالسجن بمدد تتراوح بين شهر وسنة على كل من عباس المكى وعوض القريض وأحمد الأمين ومحمد إلياس والزبير جاد الرب وعبدالعال حسن وأحمد عثمان وحمد النيل هاشم وعلى مالك ومحمد الحاج على وبابكر وقيع الله وعبدالله حامد الشيخ وحسن أحمودى، ومنصور رجب وعبدون عجيب، وحكم على صبى بالجلد"[3]. وفى يوم 19 أكتوبر 1946 نشرت الصحيفة خبراً عن تفاصيل محاكمة ثلاثة من أعضاء **الحزب الجمهورى**، من ثوار رفاعة، كما تضمنت الخبر إحالة قائد الثورة، الأستاذ محمود محمدطه إلى محكمة كبرى بمدنى. تقول الصحيفة: "أصدرت محكمة الجنايات حكمها على بعض أعضاء **الحزب الجمهورى** المتهمين تحت المادة (105) وكانت الأحكام كالآتى: عثمان عمر العتبانى 3 شهور سجناً، سعد صالح عبدالقادر شهر سجناً، ذو النون جبارة شهر سجناً، وكانت المحكمة برئاسة

---

(1) "عن حوادث رفاعة"، **صحيفة الرأى العام**، مصدر سابق.

(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(3) **صحيفة الراى العام**، 12 أكتوبر 1946؛ إبراهيم يوسف، **ثورة رفاعة المجهولة**، مصدر سابق، ص 16-17، بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 61-66.

استانلى بيكر وعضوية محمد أفندى... مفتش الخرطوم بحرى والعمدة... أما الأستاذ محمود محمد طه فقد أحيل إلى محكمة كبرى بمدنى"[1].

محاكمة قائد ثورة رفاعة والتبنى لوجهة نظر الاستعمار

أوردت **صحيفة الرأى العام** تفاصيل محاكمات ثوار رفاعة، كما تابعت محاكمة قائد الثورة الأستاذ محمود. فقد نشرت فى يوم 12 أكتوبر 1946، قائلة: "علمنا أن الأستاذ محمود محمد طه رفض أن يقبل محامياً للدفاع عنه، وأنه أعلن بأنه لن يدلى بأية أقوال للتحقيق إلا على أساس مناقشة قانون منع الخفاض الفرعونى"[2]. كانت محاكمة الأستاذ محمود، قائد ثورة رفاعة، تتم فى محكمة كبرى بمدنى، وقد حضر من الخرطوم عدد من المحامين للدفاع عن الأستاذ محمود، منهم: الأستاذ أحمد خير المحامى والأستاذ زيادة[3]، والأستاذ مبارك زروق (1914-1965) وآخرون[4]. رفض الأستاذ محمود مبدأ أن يقف له محامياً، وقد شكرهم وأوضح لهم أن تلك القضية سياسية وسوف يتولى الدفاع عن نفسه. عقدت المحاكمة برئاسة القاضى محمد أحمد مصطفى أبورنات (1902-1979)[5]. وقف الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدنى برئاسة أبورنات مدافعاً عن الابرياء وعن الوطن

(1) **صحيفة الراى العام**، 19 **أكتوبر** 1946؛ **إبراهيم يوسف، ثورة رفاعة المجهولة، مصدر سابق، ص** 17-16.

(2) **صحيفة الراى العام**، 12 أكتوبر 1946؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاعة المجهولة، مصدر سابق، ص 17؛ بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 63.

(3) إبراهيم يوسف، **ثورة رفاعة المجهولة**، مصدر سابق، ص 17.

(4) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 64.

(5) ولد بمدينة النهود. أبو رنات هو لقب أسرة شهيرة مقرهم جزيرة أبو رنات بديار الشايقية وهاجروا قديماً إلى النهود وحلفاية الملوك. تخرج أبورنات محاسباً فى **كلية غردون** عام 1922 وعُين مترجماً فى مركز الأبيض ونقل إلى بحر الغزال والرى السودانى. ثم درس القانون فنقل عام 1933 للمصلحة القضائية. فى عام 1935 أختير ليكون طالباً بمدرسة الحقوق، وتخرج فيها عام 1938 حيث عُين قاضياً من الدرجة الثانية. فى عام 1943 انتخب قاضياً من الدرجة الأولى، وكان أول قاضٍ سودانى يرأس محكمة كبرى فى عام 1944. فى نفس العام عُين قاضياً مدنياً من الدرجة الأولى وشغل منصب نائب مساعد السكرتير القضائى ومفتشاً للمحاكم الأهلية، وكان أول سودانى يشغل هذه المناصب. فى عام 1949 أُرسل إلى بعثة فى إنجلترا. عاد من بعثته عام 1950 فعُين قاضياً بالمحكمة العليا وعضواً بمحكمة الاستئناف لمديرية الخرطوم. عند سودنة القضاء عام 1954، أُختير رئيساً للقضاء (1954-1964). **المصدر**: عون الشريف قاسم، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن**، ج 2، مرجع سابق، ص 987.

وعن الحق والحقيقة، فقدم مرافعة جاءت فى أكثر من ألفى كلمة[1]. ما أجدر هذه المرافعة أن تُدرَّس وتُدرَس فى الدوائر العدلية والحقوقية وفى كليات القانون وأقسام العلوم السياسية والتاريخ وتنمية المجتمع بالجامعات السودانية. وفى يقينى انه سيأتى اليوم الذى يتم فيه ذلك، بل سيأتى اليوم الذى تتم فيه الدراسة لكل نص كتبه الأستاذ محمود محمد طه. وقف الأستاذ محمود أمام المحكمة برئاسة القاضى أبو رنات وقدم مرافعة طويلة وقوية (للاطلاع على نص المرافعة كاملاً أنظر ملحق رقم: "18"). قال الأستاذ محمود فى بعض مرافعته:

أهالى رفاعة جميعهم أبرياء.. وزملائى الذين سجنوا أبرياء وأنا برىء والمسألة فى الحقيقة سلسلة أخطاء من الإدارة من أولها إلى آخرها.. كلما أخطأت الإدارة مرة، وتمسك الناس بحقهم اعتبرته مساساً بهيبتها، فاستعلت وأخذتها العزة بالإثم فقفزت فى خطأ آخر هو فى زعمها يعيد لها هيبتها فى نفوس الناس.. وما علمت أن اجتماع الأخطاء، لا ينتج منه ولا صواب واحد. الوضع الصحيح المجمل لهذه المسألة هو أن الإدارة قد ضربت أهالى رفاعة فصاحوا من ألم الضرب بصوت خفيض، ثم ضربتهم فصاحوا، ثم ضربتهم فصاحوا، فاستاءت من أن يصيح المضروب المتألم، فقدمتنا للمحكمة فكانت هذه المحكمة.. ولو كنا نملك ما تملك لقدمناها نحن لهذه المحكمة، ولكنا لا نملك جيشاً ولا بوليساً ولا سجوناً ولا قيوداً، ولو ترك القطا ليلاً لنام[2].

واصل الأستاذ محمود مرافعته قائلاً: "قلت بالأمس إنى وبالمثل أى عضو من أعضاء **الحزب الجمهورى** لا أنكر تهمة الإثارة لمجرد أنها تهمة إثارة، إنما أنكر تهمة الإثارة بالنقد الذى لا يحترم الحقائق وبالتشويش المغرض.. ولقد كان من دواعى الشرف لى ولحزبى (لو صح أنى أنا الذى أثرت أهالى رفاعة)، لأنها من القضايا التى نقدنا فيها الحكومة وسننقدها

---

(1) إبراهيم يوسف، **ثورة رفاعة المجهولة**، مصدر سابق، ص 31.

(2) إبراهيم يوسف، **ثورة رفاعة المجهولة**، مصدر سابق، ص 31-32؛ أشار إبراهيم يوسف إلى أن السيد مكاوى المرضى عضو الحزب الجمهورى هو الذى نقل لنا مرافعة الأستاذ محمود أمام المحكمة وأعدها تحت عنوان: "مرافعة دفاع الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدنى عام 1946". أوردت بتول مختار محمد طه أجزاء من مرافعة الأستاذ محمود فى كتابها. **المصدر**: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 64-66.

إلى أن تقلع عنهـا.. ولكن للأسف فـإن الإدارة قد سـبقـتنى إلى هذا الشرف فـأثارت أهل رفاعة وأثارتنى معهم فلننظر"[1]. وهكذا تولى الأستاذ محمود المرافـعة بنفسه، واستمر فى مواجهة المحكمة. أصدرت المحكمة حكمها ونشرته **صحيفة الرأى العام** فى يوم 17 أكتوبر 1946 قائلة: "حكمت مـحكمة كـبرى بود مدنى برئاسـة القاضى أبو رنات بسنتـين سجناً على الأستاذ محمـود محمد طه، رئيس **الحزب الجمهورى** بتهمة إثارة الـشعب فى رفاعة كما حـكم عليه بوضعه تحت المراقـبة لمدة سنة أخرى بعد إتمام مـدة سجنه"[2]. كان الحكم الذى أصدرته المحكمة حكماً جاهزاً ومعداً سلفاً. يقـول الأستاذ محمود، وهو يتحدث عن الأحكام ومحـاكمات ثورة رفـاعة: "كان واضح عندنا أنـها جاهزة، فكان نصـيبى أنا فيـها سنتين، بعدى أظن سنة، تسعة شهور، ستة شهور فى، لكن أنا كان نصيبى سنتين"[3].

بدأ سجـن الأستاذ محـمـود فى سجن مـدينة ود مدنى ثم تم نقـله، كما ورد آنـفاً، إلى سجن كوبر بمدينة الخرطوم بحرى. كانت فترة السجن من يوم 23 سبتمبر 1946 وحتى يوم 20 سبتـمبر 1948. زار الشاعر محـمد المهدى المجذوب (1918-1982). الأستاذ مـحمود، رئيس **الحزب الجمهورى**، أثناء فترة سجنه بسجن كوبر بالخرطوم بحرى. أخبرنا المجذوب بهذا الخـبر فى ديبـاجة قصـيدته "المُجاهد" التى نظـمها فى أوائل مـارس عام 1947، قائلاً: "قـيلت هذه القصـيدة بعـد أيام من الزيارة الرسـمـيـة لسجـن (كوبر) وقـد منعت سلطات السجن يومذاك أعضاء **الحزب الجمهورى** من زيارة رئيسهم المجاهد محـمود محمد طه". قال المجذوب فى بعض أبيات قصيدته (أبيات متفرقة)[4]:

يـا صاحبـى والسجـنُ فــرق بيننـا ... زمناً على قلبـى الوحيـد طويـلا

ما السجن هل مسخ الرجـال أعـزة ... والغمدُ هل أكل الحسام صقيلا؟

أسمعـت أبطـال (الأشقّـةِ) كذبـوا ... معنـى الجهـاد وآثــروا التأويـلا

---

(1) إبراهيم يوسف، **ثورة رفاعة المجهولة**، مصدر سابق، ص 32؛ بتول مختـار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 64.

(2) **صحيـفة الراى العام**، 17 أكتوبر 1946؛ إبراهيم يوسـف، **ثورة رفاعة المجـهولة**، مصـدر سابق، ص 19؛ بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 63.

(3) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(4) محـمد المهـدى المجذوب، "المجـاهد"، (قصـيدة)، **نار المجاذيب**، (ديوان شـعـر)، ط1، وزارة الإعلام والشـئون الاجتماعية، الخرطوم، 1969، ص 189-192.

وطنى بُليت على الخطوب ولم تجد — أسفاً يهز لك القلوب دخيلا
قد خاب ظنك فى بنيك أذلة — أتُراك تدمن وعدهم ممطولا
بات الرجال على الخيانة والخَنَى — وجعلت قيدَكَ للوفاء مقيلا
قَلَّبْتَ يا وطنى السيوفَ كثيرةً — حتى وجدتَ حسامك المأمُولا
أنظرْ حسامُك ذو المضاء مُحَجَّبٌ — فى السجن يبُرقُ حده مصقولا
محمودُ يلمعُ فى عَمَايَةِ كُوبَرِ — مثل الهلال وضاءَةً ونحُولا

قائد ثورة وطنية أمام محكمة استعمارية برئاسة "أبورنات" قاضى سودانى!

تولى القاضى محمد أحمد مصطفى أبورنات رئاسة المحكمة التى نطقت بالحكم فى حق الأستاذ محمود، قائد ثورة رفاعة. نطق أبورنات بالحكم، وفى واقع الأمر كان الحكم معداً وجاهزاً سلفاً، كما ورد فى حديث الأستاذ محمود آنفاً. لم يكن أبورنات فى هذه المحاكمة من دون غيره من القضاة الآخرين، سوى أداة استعمارية، تم توجيهها وتوظيفها واستخدامها ضد ثائر وطنى. أوردت بتول مختار محمد طه فى مذكراتها قائلة: "والجدير بالذكر أنه قد رفض عدد من القضاة تولى تلك المحاكمة"[1]. رفض القضاة تولى المحاكمة وقبل أبورنات. من الواضح ومن المفهوم ابتداءً أن قبول تولى رئاسة المحكمة فى ظل حكم استعمارى يعنى التبنى لوجهة نظر المستعمر. وتبنى وجهة نظر الإدارة الاستعمارية ليس فى أمر يتصل بالمخالفات الشخصية للقانون أو الأفعال السلوكية المناقضة للقيم أو القانون العام، وإنما فى محاكمة ثائر وطنى مقاوم ومناضل من أجل تحرير وطنه وشعبه.

إننا لا نستطيع أن نفهم موقف أبورنات من قبول تولى محاكمة الأستاذ محمود؛ إلا بقراءة ذلك الموقف مقروناً بدراسة التاريخ اللاحق لأبو رنات وسجل أدائه وهو رئيساً للقضاء منذ السودنة وأثناء فترة الحكم العسكرى الأول (1958-1964) وحتى تطهيره كرئيس للقضاء عندما قامت ثورة أكتوبر عام 1964. قدم عبدالله على إبراهيم فى كتابه: **ربيع ثورة أكتوبر** 1964، ملامح لسجل أبورنات الوطنى والقانونى وهو يتحدث عن التطهير الذى تم بعد ثورة أكتوبر، كتب عبدالله على إبراهيم قائلاً: "فمن بين أوضح من

(1) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 64.

طهرتهم [ثورة أكتوبر] رئيس القضاء السيد محمد أحمد أبورنات (1902-1977). والحق إنه، سياسياً لا بيروقراطياً، لم ينتظر حتى بدء إجراءات التطهير فسقط مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة. فقد كان عضواً فيه من وراء ستار. بل ربما كان عضواً مؤسساً خرق الدستور مع سائر أعضاء ذلك المجلس"[1]. ثم أورد عبدالله على إبراهيم ما جاء فى التحقيق بشأن أبورنات، قائلاً: "فقد جاء فى التحقيق فى ملابسات انقلاب 1958 أن رئيس القضاء هو الذى جاء بالرجل الثانى فى الانقلاب؛ اللواء حسن بشير نصر (1916-???)، صباح الانقلاب إلى دار السيد أحمد خير المحامى... ليعينه فى الصياغات القانونية لأوامر الانقلابيين (الدستورية) التى توالت فى يوم انقلابهم"[2].

أشار عبدالله على إبراهيم لموقف ثوار أكتوبر 1964 من أبو رنات رئيس القضاء قائلاً: "لم يكن رئيس القضاء فى نظر الثائرين سوى مفردة سلطوية. فقد روّع السياسة بقانون دفاع السودان (1958) الذى استنسخته النظم الدكتاتورية اللاحقة: قانون أمن الدولة (1973) فى دولة نميرى، وقانون الأمن الوطنى (1991) الحالى. فأبطل قانون دفاع السودان الحقوق المدنية والدستورية للمواطنين بالجملة: عطل حرية التعبير والتنظيم وحرية الانتقال، وأرسى ممارسات مجافية للعدالة ما تزال معنا. فقد أقحم المحاكم العسكرية فى التقاضى، فنظرت فى قضايا تطالها قوانين السودان السارية ومحاكمه العادية"[3]. وذهب عبدالله على إبراهيم مفصلاً فى سيئات أبورنات الوطنية واعتداءاته على الديمقراطية قائلاً: "كما أنه قنن الاعتقال التحفظى، واعتدى على الديمقراطية من جهة أخرى، بقيادته للجنة وضعت تشريع المجلس المركزى البرلمانى، الذى دمج دمجاً عقيماً بين مجالس الحكم المحلى والبرلمان، وزخر بالتعيينات، فضلاً عن قيام انتخاباته فى ظل قانون دفاع السودان"[4]. وأشار عبدالله على إبراهيم إلى ظل كل ذلك على جامعة الخرطوم قائلاً: "أما فى الجامعة فقد عطّل النظام قانون الجامعة لسنة 1956 الذى أراد أن ينتقل بها من شبه

---

(1) عبدالله على إبراهيم، **ربيع ثورة أكتوبر** 1964، الأعمال الكاملة (3)، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، الخرطوم، 2013، ص 22.

(2) عبدالله على إبراهيم، **ربيع ثورة أكتوبر** 1964، مرجع سابق، ص 22.

(3) المرجع السابق، ص 22-23.

(4) المرجع السابق، ص 23.

مصلحة حكومية، فى ظل الإنجليز، إلى جامعة وطنية مستقلة فى رحاب الاستقلال. ولسنا نفصِّل فى ذلك. فيكفى أن النظام عدّل قانونها فى 1960 ليجعل تعيين مديرها من سلطات راعيها، وهو الفريق عبود، رئيس الدولة، فى حين عقد قانون 56 هذه المسؤولية على عاتق مجلس الجامعة الديمقراطىِّ التكوين. وقِس على ذلك بقية القانون ولواحقه"(1).

ثورة رفاعة والحداثة ودراسات ما بعد الاستعمار

إن المساواة، بين الرجال والنساء، ليست مساواة الميزان، والمسطرة.. وإنما هى مساواة القيمة.. ومعنى ذلك أن المرأة، فى نفسها، كإنسان، وفى المجتمع، كمواطنة، ذات قيمة مساوية لقيمة الرجل، فى نفسه، كإنسان، وفى المجتمع، كمواطن.. وهذه المساواة تقوم وإن وقع الاختلاف فى الخصائص، النفسية، والعضوية، فى بنية الرجال والنساء.. وهى تقوم، وإن اختلفت الوظيفة الاجتماعية، وميدان الخدمة للمجتمع، الذى يتحرك فيه الرجال والنساء. إن النظرة المادية للأمور، هذه النظرة التى هى سمة المدنية الغربية الحاضرة، هى التى طوعت لهذا الخطأ المؤسف أن يتركز فى أذهان الناس(2).

محمود محمد طه

إن الدارس فى مشروع الأستاذ محمود وفى قصة نضاله ومواقفه وأقواله، يدرك بأن مناهج البحث التى تنتسب إلى حقبة الحداثة تظل عاجزة عن سبر أغوار أى طرف من أطراف مشروع الأستاذ محمود. والشواهد على ذلك عديدة، فالكثير من أقوال الأستاذ محمود ينطق بها واقع اليوم، كما أن الكثير من آرائه كانت تتصل بالمستقبل أكثر من اتصالها بالواقع آنئذ، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً، سواء على مستوى السودان خاصة فى قضايا الهوية ودعوته الباكرة لانسحاب السودان من جامعة الدول العربية، أو حديثه عن مستقبل الثقافة العربية فى السودان، أو كتاباته عن الفدرالية وأسس دستور السودان بما يتناسب ومجتمع التعدد والتنوع الثقافى...إلخ. ولعل أنصع الأدلة على عجز مناهج البحث التى تنتسب لحقبة الحداثة عن سبر أغوار مشروع الأستاذ محمود وإسهاماته، هو

(1) المرجع السابق، ص 23.

(2) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 8.

الدراسات التى صدرت عن ثورة رفاعة وموضوع الخفاض الفرعونى. أقصد هنا الدراسات العلمية الرصينة، وليست الدراسات التى تعانى نقص المعلومات والجهل بحقائق التاريخ؛ كالنموذجين اللذين ورد ذكرهما آنفاً. فالأستاذ محمود فى أقواله وفى كتاباته وفى مواقفه لم يقرأ ولم يدرس ولم يسمع منه، بعد، لا سيما ثورة رفاعة. كتب صلاح أحمد إبراهيم قائلاً[1]:

نشرت جريدة خليجية تهجماً لقاضٍ آخر يدعى بأن محمود ليس غاندى إفريقيا، كما وصفه الإعلام فى الخارج، ولكنه غلام ميرزا السودان. رددت عليه وما نُشر ردى فكثير من صحفنا العربية تتصف بالجبن والمجاملة على حساب الحق، وكان بعض ما أخذته عليه سوء فهمه لموقف محمود من قضية رفاعة، وليس قضية الخفاض الفرعونى فى إطلاقها، وأوردت له شهادة سودانى أمين حوكم مع محمود فى نفس القضية، ولكنه قدم لنا شرحاً وطنياً وإسلامياً لدوافع محمود، وهو شاعرنا محمد المهدى المجذوب، حيث وصف محموداً بما هو أهل له والقصيدة مثبتة فى ديوان المجذوب:

أقالُوا دفعْنا عن أمورٍ قديمةٍ؟ وأمسُوا، لهمْ فى كلِّ كارثةٍ عذرُ؟
نحطّم أظفارَ الأعادى وهمُّهمْ حمايتُها، والغدرُ يمنعُه الغدْرُ
أُبايعُ محموداً على الحقِّ بيعةً هى الصبرُ والرضوانُ فى عقدها بدْرُ
أبى اللهُ أنْ تلقى هواناً مصونةٌ وما ذنبُها، إلا العَفافةُ والطُّهرُ
حماها أبيٌّ الدينِ والعقلِ ثائرُله منبرٌ ما فيه خوفٌ ولا سترُ
تخطَّى إليها السِّجنَ والنّارُ دونَه ولمْ يُجدِ إنذارُ المفّتشِ والزأرُ
لك النصرُ يا محمودُ والنورُ باقياً وأُعطيتَ، ما أعْطى بصائرَنا الفجرُ
عَرفْنا رجالاً قدرُهمْ ليسَ قادِراً وغيرُكَ فى السودانِ ليسَ لهُ قدرُ
سلاماً نزيل السجن لا عن خيانةٍ ولكنما يخشى عقيدته الكفر

(1) صلاح أحمد إبراهيم، "بين محمود محمد طه وود حبوبة .. والشفيع ..."، مرجع سابق.

ويضيف صلاح أحمد إبراهيم قائلاً: ثم يصف [محمد المهدى المجذوب] القاضى ولكأنما يصف قاضى الأمس أيضاً:

يسائلنى قاضٍ عن الحزبِ عابساً ومن محنتى هذا الدَّعى له أجر
عجبت له لم يلق أذناً سميعة تتيهُ به النفس الحقيرة والذعر
يقلب وجهاً ذا بريقٍ يذمه حذاء وهل ومض الحذاء به كبر

وختم صلاح قائلاً: "ما أشبه الليلة بالبارحة، الحكم جاهز ، قبل المحاكمة، الحق سجين، والقاضى هو الخصم والحكم..تحية لمحمود فى عليائه ، تحية لمحمود وهو فينا ، تحية لمحمود وهو نحن ، ولا نامت أعين الجبناء" .

الشاهد أن عدم القراءة المتكاملة لفكر الرجل، الأستاذ محمود، كما أشار لذلك صلاح أحمد إبراهيم، تعد من أهم السمات لجل الدراسات التى تناولت الأستاذ محمود ومشروعه. فالدراسات التى تناولت ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعونى، انقسمت فى خلاصاتها ونتائجها إلى فريقين. فريق رأى أن موقف الأستاذ محمود من قضية الخفاض الفرعونى، وفى سبيل كسب المعركة باسم شرف المرأة السودانية، ساهم بدون قصد، فى وقوع الضرر برفاهية المرأة السودانية وتحريرها.ويضيف هذا الفريق أن موقف الأستاذ محمود المعارض لمحاربة الخفاض الفرعونى كان موقفاً لا يتماشى مع الحداثة. ولعل أوضح الدراسات العلمية التى تمثل هذا الفريق هى دراسات محمد أحمد محمود، ومنها دراسته التى جاءت بعنوان: "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement"[1]، وكتابه الذى صدر بعنوان: *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*[2] . وقد وردت الإشارة للدراستين آنفاً.

---

(1) Mohamed Ahmed Mahmoud, "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement", *New Political Science* 23 (1), 2001:pp 65- 88

(2) Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007, P 12

أما الفريق الثانـى من الدراسات التى تناولت ثورة رفاعة وموضوع الخـفاض الفرعونى فقد خلصت إلى الاتفاق مع الأستاذ محمود فى الرأى والمواقف، وأكدت صحة آرائه. فقد أشارت إلى أن الخفـاض الفرعونى كعادة مـتأصلة ومتجذره لا تحـارب بالقانون والبوليس وإنما بالتعـليم والتنوير والوعى. كمـا أن دعوة الإدارة الاستـعمارية إلى مـحاربة الخـفاض الفـرعونـى بالطريقـة التى تمت بهـا ما هى إلا دعـوة استـعـمـارية تفـسر فى إطـار المعرفـة الاستعمـارية وفى اطار تحقيق الأغراض وخدمة الـسياسات والمصالح الاستـعمارية. وماذا قدم المستـعمر لرفاهيـة المرأة وتحريرها حتى يتلهف إلى تطبـيق قانون الخفاض الفـرعونى؟ وكـيف للقـانون يعلن وينفـذ ويطبق قـبل وضع الترتـيبـات اللازمـة من الخطط الصـحيـة والتنويرية والتـعريفـية لعـامة الناس؟ إن قـانون الخفـاض الفرعـونى يفسـر فى اطار الآثار الاستعـمارية، وهذه ما خلصت إليه الدراسـات التى استخدمت منهج دراسات مـدرسة ما بعد الاستعمـار، فى تحليلها ومعالجتها لثورة رفاعة والخـفاض الفرعونى. بعض الدراسات قدمت نقـداً لدراسات محمـد أحمد محـمود، ومن ذلك دراسة أسمـاء محمد عـبدالحليم *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture* **المرأة السودانية فى الولايات المتحـدة: مشكـلات النـوع والثقافـة**[1].فقد أوردت أسماء حديث محمد أحمد محمود الذى كتب قائلاً:

In winning this battle in the name of the "honor" of Sudanese women, Taha had inadvertently contributed the single greatest damage to the welfare of the Sudanese women. Circumcision had never been a "Sudanese" tradition in the sense that all Sudanese practiced it, Taha's opposition served the interests of those sections of the population who adamantly clung to the practice, refusing to see its harm and brutality[2].

قدمت أسمـاء نقداً لمحمد أحمد مـحمود، وقالت أنه أعطى الأمر وزناً أكـثر من ما يستحق. وقالت إن مـحمود محمد طه كـان من القلائل فى ذلك الوقت الذين هم ضد

(1) وصلتنى ترجمة عنوان الكتاب من المؤلفة أسماء محمد عبدالحليم.

(2) Mohamed Ahmed Mahmoud, "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement", *New Political Science* 23 (1), 2001:pp 65- 88.

التقاليد البالية، ولهذا فهو لا يعد مناصراً لعادة بالية وضارة، وإنما كان الأستاذ محمود يرى طريقاً آخر، وهو الطريق الأمثل لمحاربة العادة. وأشارت أسماء أن غرض المستعمر كان هو تحقير الناس وإعادة تشكيل حياتهم وهو لم يكن شريكاً فى تقاسيم تلك الحياة. استشهدت أسماء عبدالحليم بدراسة لستيف هاورد وهى تشير إلى أن التقدمية لا تعنى الانضمام الى جانب الإدارة الاستعمارية البريطانية فى موقف "التقدمية" ضد ختان الإناث. ولا يعد الأستاذ محمود فى موقفه معارضاً لمحاربة هذه العادة الضارة، فالأستاذ محمود كان من المنادين بالمساواة الاجتماعية بل المساواة بين الرجل والمرأة، وظل يعمل بوسائل مختلفة لتوفير تلك المساواة، سواء من خلال السعى لإزالة العقبات التى تعترض مواصلة المرأة والفتاة فى التعليم، أو الدفع بها للمساهمة فى الخدمة التنويرية لتكون شريكاً أصيلاً فى التنمية والتغيير الاجتماعى. وظلت الفكرة الجمهورية ورسالة الجمهورى على الدوام تتمحور حول التغيير الاجتماعى، والإنسان فى هذا هو وسيلة التغيير وغايته. عبرت أسماء عبدالحليم عن ذلك وهى تشير إلى ستيف هاورد قائلة:

Dr. Mahmoud gave the incident undue weight. Taha was not acting within a community that was ambivalent about FC. Actually he was among the very few who were against the tradition at that time. He did not demonstrate in support of FC but rather in contempt of reshaping the lives of the people by a colonizer who was not participating in or sharing that life. Further, it does not take practice by a whole nation to make an act a tradition. Sudan was not and still is not a homogeneous nation. FC is a tradition within the communities that practiced it and those communities constitute over 70% of the country's population (Stephen Howard 2001)[(1)].

أشارت أسماء عبدالحليم لدراسة ستيف هاورد ولم تكن الدراسة قد نشرت فى ذلك الوقت، وقد نشر ستيف دراسته بنفس العنوان فى مجلة الأحفاد:

(1) Asma M. Abdel Halim, *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture*, the Edwin Mellen Press, New York/ Queenstown, 2006.

"Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan"[1], تحدث ستيف هاورد فى دراسته باستفاضة عن أن من انشغل بحقوق المرأة وتحريرها وضرورة مساواتها بالرجل، حال الأستاذ محمود، لا يمكن أن يوصف بأنه وقف ضد الحداثة فيما يتعلق بالخفاض الفرعونى.أيضاً أشارت رقية مصطفى أبو شرف فى بعض دراساتها إلى ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعونى وهى تدرس شؤون المرأة والحداثة والآثار الاستعمارية فى السودان الشمالى. خلصت رقية أبو شرف بدورها إلى اتفاقها مع موقف الأستاذ محمود و آرائه بشأن ثورة رفاعة والخفاض الفرعونى. ومن أهم دراسات رقية فى هذا الشأن دراسة كانت بعنوان: "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan[2]، وقد ترجمت هذا العنوان على النحو التالى:"لقد تجرعنا من كأس الأهوال": نحو فهم لعاطفة المستعمر وردود الفعل البريطانية على ختان الإناث فى السودان الشمالى"[3].

تحدثت رقية أبو شرف عن ختان الإناث وأشارت إلى أنه كعادة لها تاريخ وقامت حولها قصص وتحيط بها ثقافة وطقوس لا يمكن أن تحارب بقانون يدفع به للتطبيق دون السعى لدراسة التقاطعات الثقافية والتاريخية لهذه العادة. وأكدت رقية أبو شرف على صحة موقف الأستاذ محمود وسلامة آرائه فى ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعونى. ومن الدراسات المهمة التى أشارت إلى قضية الخفاض الفرعونى دراسة جينس بودي التى صدرت فى كتاب بعنوان:[4] *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*

(1) Howard, W. Stephen, Mahmoud Mohammed Taha and the Repuplicant Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan, *Ahfad Journal*, Vol. 23, No. 2, December 2006, Omdurman.

(2) Rogaia Mustafa Abusharaf, "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan, *History and Anthropology*, Vol. 17, No. 3, September 2006, pp. 209?228

(3) قمت بالترجمة للعنوان بالتشاور مع المؤلفة رقية أبو شرف، وبعد موافقتها.

(4) Janice Boddy, *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*, Princeton University Press, Princeton and Oxford, 2007.

أيضاً، درس عبدالله على إبراهيم ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعونى فى دراسته التى نشرت باللغة الإنجليزية عام 2008 بعنوان: Keep *These Women Quiet*:" Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom[1]، وترجمة العنوان على النحو التالى: "يا نسوان كفى: الحداثة الاستعمارية، والقومية، وختان النساء البربرى". استخدم عبدالله على إبراهيم فى دراسته منهج دراسات مدرسة ما بعد الاستعمار. لا بد من الإشارة إلى أن عبدالله كان أول أكاديمى سودانى، حسب علمى، يستخدم منهج مدرسة ما بعد الاستعمار فى دراساته بشأن التعليم كما وردت الإشارة سابقاً لكتابه: بخت الرضا: التعليم والاستعمار، وكذلك فى دراسته لثورة رفاعة والخفاض الفرعونى. خلص عبدالله فى دراسته باتفاق تام مع موقف الأستاذ محمود وأقواله بشأن ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعونى. كان عبدالله على إبراهيم قد أشار فى كتابه: **الثقافة والديمقراطية فى السودان**[2] إلى دراسة ألن قرونبوم التى نشرت **بمجلة الدراسات السودانية**، وكانت بعنوان: "الاقتصاد السياسى للخفاض الفرعونى"[3]، قال عبدالله على إبراهيم: "بعض البحث القائم فى الثقافة السودانية الآن يصل الغبن بتحليل القوة التى تؤطر لعمليات التفاعل بين مفردات التباين الثقافى المختلفة. فقد جرى وصف الخفاض الفرعونى طويلاً بالجراح التى تبرأ لمبضع الثقافة العربية الإسلامية؛ لأنها شديدة الخوف من تفريط النساء بعفتهن كجنس خسيس، ولذا وضع الخفاض فى أجندة التهذيب العالمية لتتناصر على محوه قوى التحضر والنباهة"[4]. ثم أشار إلى ألن قرونبوم قائلاً: "وكانت هذه النظرة واحدة من المنطلقات التى فضلت الباحثة ألن قرونبوم أن تبدأ منها النظر إلى موضوع الخفاض، واختارت أن تنظر إليه فى سياقات القوة الفعلية والرمزية للمجتمع. فالخفاض

---

(1) Abdullahi Ali Ibrahim, “Keep These Women Quiet:" Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom, *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World 9*, 2011, PP. 97-151.

(2) عبدالله على إبراهيم، **الثقافة والديمقراطية فى السودان**، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996، ص 45-46.

(3) ألين قرونبوم، "الاقتصاد السياسى للخفاض الفرعونى"، **مجلة الدراسات السودانية**، مج 11، الخرطوم، عدد عام 1990.

(4) عبدالله على إبراهيم، **الثقافة والديمقراطية فى السودان**، مرجع سابق، ص 45.

عند قرنبوم مرتبط بمفهوم العذرية، فحواه أن القابلية للزواج تنشأ من السمعة الحسنة للفتاة، وهى سمعة لا يمكن ضمانها إلا بالخفاض". ثم قدم عبدالله على إبراهيم خلاصة لتقدير قرونبوم قائلاً: "ولذا قدرت قرونبوم أن الوعى بمخاطر عملية الخفاض، الذى هو هدف حملات التهذيب والمقاومة، قد لا يؤدى إلى إلغاء العملية؛ لأنه لم يتفق بعد للمجتمع صورة بديلة للأنوثة لا يرتبط فيها الصون بالخفاض"[(1)].

خاتمة

رفع الأستاذ محمود قيود الوصاية داخل الأسرة وخارجها عن المرأة محيلاً إياها والرجل إلى القانون الدستورى... وساواها بالرجل[(2)].

ناهد محمد الحسن

الشاهد أن قيادة الأستاذ محمود لثورة رفاعة وموقفه من قضية الخفاض الفرعونى حينما أُخضعا للدراسة والبحث بمناهج دراسات مدرسة الاستعمار ومدرسة ما بعد الاستعمار، خلص الباحثون إلى نفس ما قاله الأستاذ محمود فى بياناته واتفقت نتائج الدراسات مع موقف الأستاذ محمود وأكدت صحة رأيه بأن الخفاض الفرعونى عادة سيئة وموروثة منذ تاريخ بعيد، والعادات السيئة لا تحارب بالقانون والبوليس، وإنما بالتعليم والتوعية. كما أن الإدارة الاستعمارية أرادت بإعلانها قانون الخاض الفرعونى إلى إبراز الشعب السودانى كشعب متخلف وتسعى هى كسلطة استعمارية لإخراج هذا الشعب من تخلفه إلى الحداثة والرفاهية. وتساءل الأستاذ محمود عمًّا قدمت الإدارة الاستعمارية من قبل لرفاهية وتطوير وتحرير المرأة؟ ولهذا فإنه يرى فى موقف الإدارة الاستعمارية تحقيراً للشعب ومحاولة للسيطرة عليه والاستحواذ على خياراته من خلال إطالة فترة البقاء بحجة الواجب الإنسانى والتنموى. كما أن الإدارة الاستعمارية لم تلتفت من قبل إلى تعليم المرأة أو الاهتمام بشؤونها الصحية، ولهذا دعا للحذر والجزم فى أن المسألة لم تُثر إشفاقاً بالمرأة.

---

(1) المرجع السابق، ص 46.

(2) ناهد محمد الحسن، "ورقة المرأة فى الخطاب الفكرى الإسلامى"، **المرأة السودانية فى الحياة العامة**، وقائع ندوة مهرجان المرأة الأول، مركز الدراسات السودانية. الخرطوم 8-11 مارس 2003.

وقد اتفقت مع مواقف الأستاذ محمود وآرائه معظم آراء الباحثين والباحثات من العلماء وأهل الاختصاص فى شؤون المرأة والأنثربولوجيا والتاريخ والتنمية والدراسات الثقافية والسياسية والقانونية... إلخ، ومن هؤلاء: أسماء محمد عبدالحليم، ورقية مصطفى أبو شرف،وعبدالله على إبراهيم، وستيف هوارد، وألن قرونبوم، وجينس بودى. وغيرهم. فى يقينى أن هذا يؤكد بأن سبر أغوار مواقف وأقوال الأستاذ محمود وكتاباته، يعتمد على عنصر أساسى وهو عنصر الوقت، فكلما تقدم الوقت كنا أقرب إلى فهم تلك المواقف والأقوال والكتابات.

الفصل
السادس

6

السودان فى مشروع الأستاذ محمود (حب السودان من حب الله)(1)

وكون السودان قطراً شاسعاً وفيه من اختلاف اللهجات والعنصريات والعادات ما فيه إنما هو من دواعى التفاؤل بمستقبل هذا البلد وليس من دواعى اليأس أو التخوف- هو من دواعى التفاؤل لأن خصائص كل عنصرية من هذه العنصريات إذا نمت وهذبت وتفتقت طاقاتها الأصيلة ***فستزيد من حيوية الأمة السودانية فى مجموعها وتخصب شخصيتها وتزيد من وزنها وزناً ومن قيمتها قيمة*** (2).

محمود محمد طه، عام *1964*

(1) محمود محمد طه ضمن شهادة كتبها: تاج السر حسين، "محمود محمد طه الذى عرفته.."، **من سودانايل** *Sudanile*، منبر الرأى، استرجاع (Retrieved) يوم 4 يناير 2010، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com.

(2) محمود محمد طه، "مشكلة الجنوب"، (بيان)، **دار الوثائق القومية**، الأحزاب السودانية 27/1/2، الخرطوم.

كنت من المحظوظين الذين التقوا الأستاذ محمود واستمعوا اليه... ومن أكثر ما علق بالذاكرة حديثه الذى خصنى به والذى قال فيه: (حب السودان من حب الله)! [1].

تاج السر حسين

ظلِ الأستاذ محمود مسكوناً بحب السودان، ومهموماً بمستقبل شعوبه وأراضيه، تلمس ذلك فى كتاباته وفى محاضراته ووصاياه لتلاميذه وتلميذاته. كان موضوع حب السودان ومستقبل مساره، من أهم محاور كتاباته ومحاضراته، وأحاديثه فى مجلسه. وتلمس من ذلك أن الأستاذ محمود كان صاحب نظر بعيد، وصاحب منظار شامل ومتكامل. يُمعير الأمور والأحداث بمعيار العارف المفكر الكبير، المتأمل للصورة الكلية والمشهد المتكامل، لا بمعيار السياسى، الذى يتمحور حول المكسب. ذكر منصور خالد فى كلمة كتبها فى يناير عام1985، ونُشرت بجريدة السياسة الكويتية، قائلاً: "ويا ليت حاكم السودان كان يملك الحس من المسئولية الوطنية التى تجعله يقول ما كان يقوله

(1) تاج السر حسين، مرجع سابق.

شهيد الحرية الأستاذ محمود أيام الحرب فى جنوب السودان، وحينما تأتى أخبار الموت والانتصارات، كان الأستاذ محمود يقول: "تقول الحكومة راح منا عشرون وقضينا على ستمائة من المتمردين" أما نحن فنقول "لقد راح ستمائة وعشرون مواطناً سودانياً".

تحدث الأستاذ محمود قبل ستة عقود ونصف من الزمان، بلسان المستقبل، وهو يقدم الأطروحات عن حل مشاكل السودان وتحقيق السلام فيه وهو البلد المتنوع ثقافياً، كتب الأستاذ محمود عام 1955 فى الفصل السادس من كتابه: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، كتب قائلاً:

لقد قلنا إن المشاكل الراهنة لأى بلد هى فى حقيقتها صورة مصغرة لمشاكل الجنس البشرى جميعه، وهى فى أسها، مشكلة السلام على هذا الكوكب، وعندنا أنه من قصر النظر أن نحاول حل مشاكل مجتمعنا السودانى داخل حدودنا الجغرافية، من غير أن نعبأ بالمسألة الإنسانية العالمية، ذلك بأن هذا الكوكب الصغير الذى نعيش فيه قد أصبح وحدة ربط تقدم المواصلات الحديثة السريعة بين أطرافه ربطاً يكاد يلغى الزمان والمكان إلغاء تاماً، فالحادث البسيط الذى يجرى فى أى جزء من اجزائه تتجاوب له فى مدى ساعات معدودات

جميع الأجزاء الأخرى، يضاف إلى هذا أن هذا الكوكب الصغير الموحد جغرافياً، إن صح هذا التعبير، تعمره إنسانية واحدة، متساوية فى أصل الفطرة، وإن تفاوتت فى الحظوظ المكتسبة من التحصيل والتمدين. فلا يصح عقلاً أن تنجب قمتها الإنسان الحر، إذا كانت قاعدتها لا تزال تتمرغ فى أوحال الذل والاستعباد، أو قل، على أيسر تقدير، إنه لا يمكن أن يفوز جزء منه بمغنم السلام والرخاء إذا كانت بعض أجزائه تتضرم بالحروب، وتتضور بالمجاعات.

وتحدث الأستاذ محمود منذ عام 1945، عن ضرورة العناية بالوحدة القومية، وإزالة الفوارق، تحدث الأستاذ محمود قائلاً: "نرمى بذلك إلى خلق سودان يؤمن بذاتية متميزة ومصير واحد وذلك بإزالة الفوارق الوضعية من اجتماعية وسياسية، وربط أجزاء القطر شماله وجنوبه وشرقه وغربه حتى يصبح كتلة سياسية متحدة الأغراض متحدة المنافع متحدة الإحساس"[1].

دعوة الأستاذ محمود لاحترام التنوع من أجل زيادة حيوية الأمة السودانية

نادى الأستاذ محمود باحترام التنوع الإثنى والدينى وحسن إدارته قبل أن تنادى بذلك الحركة الشعبية لتحرير السودان[2].

أتيم قرنق

لقد التفت الأستاذ محمود إلى تنوع السودان من وقت باكر، وظل يتحدث عن التنوع ودعا فى بياناته[3] ومقالاته وكتبه إلى حمايته وصيانته والمحافظة عليه بالدستور

(1) الحزب الجمهورى، "دستور الحزب الجمهورى"، 26 أكتوبر من عام 1945.

(2) أتيم قرنق، "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، رصد علاء الدين بشير، اللجنة القومية للاحتفال بالذكرى الثانية والعشرين لاغتيال الاستاذ محمود محمد طه ويوم حقوق الانسان السودانى، بالتعاون مع سكرتارية الشباب والطلاب بالحركة الشعبية قطاع الشمال، اليوم المفتوح بدار الحركة بالمقرن، **صحيفة الصحافة**، 19 يناير 2007، الخرطوم.

(3) محمود محمد طه، "بيان من الحزب الجمهورى عن حوادث الجنوب"، **صحيفة الاستقلال**، العدد: 87، السبت 1955/9/10، الخرطوم. ملاحظة: جاء تاريخ صدور الصحيفة فى كل صفحاتها كما هو وارد يوم 1955/9/10، عدا فى صفحة 3، وهى الصفحة التى جاء فيها البيان المشار إليه، حيث جاء التاريخ يوم 1955/9/9.

وبالحكم الفدرالى. وكما ورد آنفاً فى المذكرة التفسيرية لدستور **الحزب الجمهورى** فإن: "**الحزب الجمهورى** دعوة الى مدنية جديدة... والفلسفة الاجتماعية التى تقوم عليها تلك المدنية الجديدة ديمقراطية اشتراكية... وسمة هذه المدنية الجديدة الانسانية فإنها ترى أن الاسرة البشرية وحدة **وأن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهى بشرية وأن الحرية والرفاهية حق مقدس طبيعى للأسود والأبيض والأحمر والأصفر**"[1]. لم ير الأستاذ محمود فى تنوع السودان واختلاف عنصرياته إلا عاملاً لزيادة حيوية الأمة السودانية، وداعياً من دواعى التفاؤل لمستقبل السودان، كما جاء آنفاً فى حديثه الذى أوردته فى صدر هذا الفصل.

ربط الأستاذ محمود التنوع ببعث دواعى التفاؤل بالمستقبل وبزيادة حيوية الأمة السودانية، ذلك لأن نمو وتفتق خصائص كل عنصرية من العنصريات هو رصيد فى التخصيب وزيادة فى القيمة. كذلك رهن الأستاذ محمود حماية التنوع والمحافظة عليه بالحرية والتعليم وتحقيق الرخاء. أيضاً، شبه الأستاذ محمود -فى سبيل تقريب المعنى- الناس بالنبات يقول الأستاذ محمود: والناس كالنبات خصائصهم تتأثر بالتربة والمناخ إلى حد كبير ومع أنهم قادرون على أن يتأقلموا حيث وجدوا إلا أن استجابتهم لعوامل التهذيب والتدين أسرع إذا هيئت لهم الفرصة فى تربتهم التى فيها نشأوا"[2]. وعن ماهية فرص التهذيب والتدين وشروط تحقيقها، يقول الأستاذ محمود: "وفرص التهذيب والتدين هى الحرية والرخاء والتعليم ولا تتيسر الحرية للناس إلا بممارستها فى جميع أطوارها من البداية، ولا يتحقق الرخاء والتعليم للناس إلا إذا عملوا لأنفسهم من غير اتكال على أحد"[3].ويرى الأستاذ محمود أن السودان يمكن أن يضيف للبشرية، وقد أشار إلى هذا المعنى كثيراً وفى كتابات متفرقة. كتب الأستاذ محمود فى السفر الأول الذى صدر عام 1945، كتب قائلاً: "ويعتقد **الحزب الجمهورى** أن الشرق، عامة، والسودان، خاصة،

(1) الحزب الجمهورى، "مذكرة تفسيرية"، **دستور الحزب الجمهورى**، **دار الوثائق القومية**، الأحزاب السودانية، 31/1/2، الخرطوم.
(2) محمود محمد طه، "**مشكلة الجنوب**"، (بيان)، مصدر سابق.
(3) المصدر السابق.

يمكنهما أن يضيفا عنصراً إلى المدنية الغربية هى فى أمس الحاجة إليه، و ذلك هو العنصر الروحى" .

قضايا الهوية ودعوة الأستاذ محمود للانسحاب من جامعة الدول العربية عام 1958

الانسحاب فوراً من الجامعة العربية وذلك لسببين أولهما أننا أمة أفريقية، وثانيهما أن الجامعة العربية أصبحت تابعة لوزارة الخارجية المصرية ولم تعد تمثل دولاً مستقلة (1).

محمود محمد طه، فى 28 أغسطس 1958

منذ فجر الاستقلال ظل الأستاذ محمود يشخص فى قضايا السودان على ضوء حقيقة التنوع والتعدد الثقافى، ويكتب عنها المقالات وينشر فى البيانات والمناشير والكتب، مع التنبيه لمثقفى السودان ودعوتهم للتأمل فى تلك القضايا والسعى لتقديم الحلول الباكرة لها. ولكن كما ردد الأستاذ محمود فى بعض بياناته ومقالاته: "ولكن من لنا بأن يفهم قبل فوات الأوان"(2). فات الأوان وداهمت القضايا أهل السودان، وظلت تحاصر سماءه وأرضه من الجهات الأربع. والآن يعيش فى مرحلة التشظى والتفتيت. الشاهد أنه عقب نيل السودان استقلاله وفور انتمائه لجامعة الدول العربية، نظر الأستاذ محمود فى تنوع السودان، وفى المكاسب التى تحققها شعوبه من الانتماء لجامعة الدول العربية، وفى المستقبل، فخرج منادياً بانسحاب السودان من **جامعة الدول العربية**. دعا للانسحاب وعلل أسباب الانسحاب. جاء ذلك ضمن بيان تضمن خمس نقاط ليقوم عليها الميثاق القومى، منها، كما ورد آنفاً: "الانسحاب فوراً من الجامعة العربية وذلك لسببين أولهما أننا أمة إفريقية وثانيهما أن الجامعة العربية أصبحت تابعة لوزارة الخارجية المصرية ولم تعد تمثل دولاً مستقلة". ثم التذكير بإفريقية السودان فى مواقفه مع دول الجوار وتعاطيه مع الدولة العربية، يقول الأستاذ محمود: "الموقف الواضح كدولة

(1) محمود محمد طه، "بيانات... الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 154، السبت 1958/8/23.

(2) المصدر السابق.

إفريقيـة ترعى حسن الجوار مع جميع الـدول المجاورة وتتعاون مع جمـيع الدول العربية والبعيدة لحفظ السلام ولتدعيم هيئة الأمم وتشجيع الاحتكام إليها والرضا بقراراتها"[1]. لبقـية النقـاط أنظر ملحق رقم: "34" وكذلك ملحق رقم: "35".لم تكن دعوة الأسـتاذ محـمود لانسحـاب السودان من **جامعـة الدول العربية**، دعوة عابرة، وإنمـا كانت دعوة تقوم على رأى مؤسـس، ومعلن فى بيانات ومقالات عـديدة، كتب الأستاذ مـحمود فى بيان أصـدره بعد نحـو شهرين ونصف من بيـانه الذى دعا فيـه لانسحـاب السودان من جامعة الدول العربية قائلاً:

*رأى **الحزب الجمـهورى** فيـما يتعلق بعـضوية السودان فى الجـامعة العـربية واضح ومعـروف ويتلخص فى أنهـا مؤسسـة أقليمـية ضـيقة لا تقـوم على مذهبيـة فكرية تجعلها أداة خلاقة تخـدم مصالح أعضائهـا وتسير فى الوقت ذاته فى اتجاه سليم يخدم قضية الإنسانية فى السلام العالمى. إنما هى عنصرية ضيقة هذا وتسـيطر عليها دولة واحدة تسيرها وفق أهوائها وتطوعـها لخدمة أغراضها*[2].

ثم تناول الأسـتاذ مـحـمود الخـدمة التى يـقدمـها السـودان لنفـسه، ولدول الجـوار ولقضايا الأحرار وقضـية السلام العالمى، وهو خارج اطار **جامعة الدول العربية**، يقول الأستاذ محمود: "ونحن كشعب إفريقى فتى له مكانته فى القارة الأفريقية، ممكن نخدم أنفسنا ونخـدم الشعـوب المجاورة بل ويمكن أن نقدم خـدمات أكـبر لقضـايا الأحرار وقضية السلام العالمى بأوسع وأيسر مما يمكن أن نفعل ونحن داخل إطار جامعة الدول العربـية"[3]. لمزيد من التفـاصيل أنظر ملحق رقم: "34"ورقم: "35"). جدير بـالإشارة إلى أن الأستاذ محمود كانت له رؤية خاصة بشأن مستقبل الثقافة العربية فى السودان.

(1) المصدر السابق.
(2) محمود محمد طه، "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 164، 1958/10/18.
(3) المصدر السابق.

رؤية الأستاذ محمود لمستقبل الثقافة العربية في السودان

الأستاذ محمود محمد طه هو أبوي[1].

أبكر آدم إسماعيل

ويا له من ألم ممعن ذلك الذى يجتاح النفس كلما تذكّر الواحد منا أنه ذهب عن دنيانا اللئيمة إنسان نتيجة مؤامرة دنيئة رخيصة دبرتها جحافل الظلام والإظلام التى يزعجها ويغشى عيونها أى نور وضاء مثل هذا يسطع ويشع فى سماء الفكر فى بلادنا[2].

عبدالرحمن بلاص

أقدم هنا إشارة مختصرة، دون تكرار لما ورد آنفاً لما كتبه الأستاذ محمود بشأن "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"[3]. فقد حضر الأستاذ محمود محاضرة فى الخمسينيات من القرن الماضى، قدمها أستاذ مصرى، كان مبعوثاً من الأزهر للتدريس فى **المعهد العلمى**، لأساتذة **المعهد العلمى** وطلبته. ففى الوقت الذى كانت فيه كل مؤسسات التنوير، خاصة تلك التى لها صلة مباشرة بالقاهرة، مثل **المعهد العلمى**، ومعظم القادة والساسة تدفع فى وجهة عروبة السودان، الأمر الذى عقّد أمر السودان وعكر مستقبله بالقضايا المؤجلة لا سيما، قضايا الهوية، فى ذلك الوقت كان الأستاذ محمود يحمل رؤية خاصة لمستقبل الثقافة العربية فى السودان، رؤية تتصل بالمستقبل أكثر من اتصالها بالراهن، كتب الأستاذ محمود ضمن مقاله قائلاً: "كل حديث، منذ اليوم، عن مستقبل أى قطر على هذا الكوكب يجب ألا ينحصر فى الحدود الجغرافية لذلك القطر، ذلك لأن الوضع قد تغير عن ذى قبل،

---

(1) أبكر آدم إسماعيل، ضمن جلسة خاصة بمنزل بدر الدين الأمير، الدوحة، قطر، 26 سبتمبر 2012، الساعة 24:15.

(2) عبدالرحمن بلاص، "عندما غنيت بمنزل الأستاذ محمود محمد طه"، الخميس 23 فبراير 1989، ضمن خيط عبدالله عثمان، "شيخ فوق السبعين والمقصلة"، **من سودانيزأونلاين**، استرجاع (Retrieved) يوم 2001/4/7، الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com؛ عبدالرحمن بلاص، "عندما غنيت بمنزل الأستاذ محمود محمد طه"، الخميس 16 رجب 1409 / 23 فبراير 1989 / 14 امشير 1705 ق. (وقفت على النص فى الصحيفة التى نشر فيها ولكن اسم الصحيفة لم يكن واضحاً فى النسخة التى حصلت عليها).

(3) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، مصدر سابق.

وأخذعالمنا يستقبل عـهداً جديداً، كل الجدة، من وحـدة المصالح، ووحدة المصيـر، ووحدة الشعور.."[1]. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً:

والحق، الذى لا مراء فيه، أن الحواجـز التى كانت تفصل بين البشر،فى الماضى، لم تعد قـادرة على الحيلولة بينهم، منذ اليـوم، بعد أن قهرت سـبل المواصلات، وسبل الاتصال الحديث، الزمان، والمكان قـهراً يكاد يكون تاماً.. بفضل الله، ثم بفضل هذه الكشـوف، أصبحت الإنسانيـة تعيش فى بيئة طبـيعيةجديـدة.. بيئة صغـيرة، مـوحدة.. ولكى توائم الإنسـانية بين مـذاهبها الاجـتمـاعية،وبيـئتـها الطبيعية هذه الموحدة، أصبح لزاماً أن تبرز، إلى حيـز الوجود، مذهبيةاجتماعية، عالميـة، موحـدة، أيضاً، عندها تلتـقى الإنسانيـة جمعـاء، التقاءأصـالة، بدوافع الجبلـة المركوزة فى كل نفس بشـرية، من حيث أنهـا بشرية، بصـرف النظر عن اختلاف اللون، واللسان، والموطن.

وبعـد أن توسع الأسـتاذ مـحـمود فى الحـديث عن عنصـرى الزمـان والمكان فى ظل المعطيـات الجديدة، وعن الثـقافـة واللغـة العربيـة، وبعد أن عـرج ناقداً لحـديث المحاضـر المبعوث من الأزهر ، ختم الأستاذ محمود مقالته قائلاً:

أما بعد، فـإن يكن لا بد من التحدث عن مستـقبل (الثقافةالعـربية) فى السودان فإنى أقول أن مستقبلها هو مستـقبل نشر الفكرة الإسلامية فى بساطتها، بالعودة بالناس جمـيعـاً إلى الشعار المبـسط بقولك: "أشـهد ألا إله إلاالله، وأشـهد أن محمـدا رسول الله".. إلا أنه سيقـولها أقوام ليسوا عـرباً، ولايكادون يحسنون نطقهـا، كما قالهـا، من قبل، بلال الحبشى، وقلب شـينها سينا،وقال المـعصوم: (سين) بلال عند الله (شـين) ثم لم يضره ذلك شيـئاً، فبلغ فى الإسـلام المبالغ، ونزل منه منازل التـشريف.. ومـسـتقـبل نشر الفكـرة الإسلامـية،فى بسـاطتهـا الأولى، فى السودان، مستقبل مرموق بعون الله، وبتوفيقه[2].

---

(1) المصدر السابق.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"، مصدر سابق.

الأستاذ محمود والاستقراء لطابع الحركة الوطنية ومسارها عام 1958

وكانت الحركة الوطنية بين هؤلاء [دعاة التحالف مع بريطانيا] وهؤلاء [دعاة الاتحاد مع مصر] لا تجد فرصة للدرس والتفكير والنضوج: بل لا تجد فرصة حتى لإشاعة روح الزمالة والثقة المتبادلة والشعور بوحدة المصير (1).

محمود محمد طه

يقيني، أن أقل ما يمكن إن يخرج به الدارس في مشروع الأستاذ محمود، بأنه مشروع ضخم وجديد وأصيل، تناول بعمق قضايا عديدة ومتنوعة، واتسم بالثراء والغنى والشمول والإحاطة. كما يمكن القول بأن المشروع في بعض أركانه، وهي أركان عديدة، ينطلق من رؤية نقدية للسائد والمألوف والطريق المطروق سواء بشأن الإسلام أو السودان أو الإنسانية، مع تقديم التشخيص للقضايا وطرح البدائل العلمية والعملية الشاملة والجديدة لمسيرة البشرية، ولما ينبغي أن يكون عليه إنسان اليوم في سيره غداً في المستقبل. وفي هذا قدم الأستاذ محمود تشخيصاً باكراً لقضايا السودان، وقدم أطروحات لما يجب أن يكون عليه حال ومسار السودان. اتسم تشخيص الأستاذ محمود لقضايا السودان بالإحاطة والنظرة الكلية، فهو تشخيص يأخذ في الاعتبار الحقائق والأسباب الجوهرية ومعطيات التفاعل في السيرورة التاريخية وفي الواقع، وتحدث عن النتائج المتوقعة في المستقبل. فإلى جانب ما وردت الإشارة إلى بعضه، مثل قضايا الهوية والتنوع الثقافي والآثار الاستعمارية وغياب المذهبية عند الأحزاب السودانية ذات النشأة الخطأ والرؤية القاصرة، قدم كذلك أسس دستور السودان والحكم الفدرالي، وبناء الذاتية السودانية، والطائفية ودورها في تجميد حركة الوعي وتحجيم حركة التغيير، ... إلخ، إلى جانب ذلك فإن الأستاذ محمود أفرد مساحات واسعة في كتاباته وأحاديثه لتقديم النقد للقادة والمثقفين وللساسة وللأحزاب السودانية. وجاء النقد في العديد من البيانات والمناشير والمحاضرات والمقالات والكتب. ولعل الدارس لهذا النقد الذي قدمه الأستاذ محمود، يشعر بأن هذا النقد بما حمله من حيوية وعمق، كأنما كتب صباح اليوم. ولتأكيد ما ذهبت إليه، أقدم نموذجاً واحداً من النماذج التي قدمها الأستاذ

---

(1) محمود محمد طه، بيانات.... الحزب الجمهوري على الموقف الداخلي، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 166، تاريخ 1958/11/1.

محمود فى نقد المثقفين والحركة الوطنية والأحزاب السودانية، وباختصار شديد.

النموذج الذى سأقف عليه بالتحليل والقراءة المختصرة هو استقراء قدمه الأستاذ محمود لطابع الحركة الوطنية السودانية[1]، فى غرة نوفمبر 1958. تضمن الاستقراء نقداً للمثقفين؛ نقداً لوعى الحركة الوطنية، ونقداً للقادة وللأحزاب السودانية. نُشر الاستقراء فى **صحيفة أنباء السودان**، وجاء الاستقراء كبيان ضمن سلسلة البيانات على الموقف الداخلى، التى ظل يصدرها الأستاذ محمود باسم **الحزب الجمهورى**، وجاء وسم البيان بالاستقراء لطابع الحركة الوطنية من الأستاذ محمود، لم يرد ذلك فى العنوان وإنما فى سياق النص، يقول الأستاذ محمود: "والآن وبعد هذا الاستقراء القصير لطابع الحركة الوطنية عندنا فإن الموقف الحاضر ليس شيئاً غير متوقع إلا عند الغافلين". لقد تناول الاستقراء قضايا عديدة لكنى سأركز على بعضها. وتعود أسباب اختيارى لهذا النموذج لأهميته فى كونه يبرز حقيقة أن بدايات الدولة السودانية بعد الاستقلال شابها الكثير من الأخطاء الفادحة، وأن القادة كانت تنقصهم الرؤية، وأن الصراع كان يتحكم فى تفكيرهم وفى سلوكهم، والاستقلال تم بخروج الإنجليز ولكنه ظل (أى الاستعمار) قابعاً فى العقول. ويفيد النموذج كذلك بأن أصحاب الرؤية السياسية لم يكونوا جزءاً من تحديد مسار السودان، وأن التهميش للأفكار والأفراد والثقافات قد نشأ باكراً. هذا بالإضافة إلى أن النموذج يلامس واقع اليوم فى السودان، إلى جانب بعض الأسباب التى ستتبدى للقارىء، القارئة، من خلال قراءته/ قراءتها للاستقراء.

استهل الأستاذ محمود حديثه بالتعاون الذى كان يتم بين الأحزاب فى قضايا ومواقف مختلفة، سواء فى تكوين الحكومة أو المعارضة أو الجبهات التى نشأت، الجبهة الاستقلالية الأولى والثانية، وغيرها. وتحدث عن موقف **الحزب الجمهورى** من المحاولات لإشراكه والتعاون معه، ورفضه لتلك العروض، كما ورد آنفاً. ثم أشار الأستاذ محمود لموقف **الحزب الجمهورى** واعتراضه منذ فجر الحركة الوطنية "على ما سموه بوثيقة الأحزاب التى كانت تنص على قيام سودان مستقل فى اتحاد مع مصر

---

(1) المصدر السابق.

وتحالف مع بريطانيا". يقول الأستاذ محمود إن **الحزب الجمهوري** أعلن موقفه واعتراضه في منشور: "أخرجناه بالرونيو ووزعناه في أواخر عام 1946 في شوارع العاصمة وكان عنوانه (لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟؟)". ثم ذكَّر الأستاذ محمود بوثيقة الأحزاب، قائلاً: "ووثيقة الاحزاب هذه لمن لا يذكرها كانت وثيقة ارتبطت بها الأحزاب المكونة لوفد السودان الذي سافر إلى مصر في مارس من عام 1946 وكان يحوي الأحزاب الاستقلالية وعلى رأسها **حزب الأمة** (اقرأ الأنصار) والأحزاب الاتحادية وعلى رأسها **حزب الأشقاء** (إقرأ الختميه)". ثم طرح الأستاذ محمود سؤالاً جوهرياً وباكراً عن الحركة الوطنية، وهو يقدم تقويماً لما جرى بين الفريقين، إذ كان الفريق الأول يتمسك بالإنجليز والفريق الثاني يتمسك بالمصريين، يقول الأستاذ محمود: "ولكي تكون الوثيقة مرضية للطرفين فقد نصوا فيها على قيام السودان الجديد على شرط أن يكون في اتحاد مع مصر حتى يرضى الفريق الداعي لمصر وتحالف مع بريطانيا حتى يرضى الفريق الداعي لبريطانيا.. فهل سمع الناس بحركة وطنية في مثل هذا الوعي؟". ثم أشار الأستاذ محمود لموقف **الحزب الجمهوري** من ذلك الجهل قائلاً: "ولقد نقدهم **الحزب الجمهوري** نقداً مراً قوياً في ذلك المنشور ونعى عليهم جهلهم وغفلتهم ثم واصل الحملة ضد جهل الحركة الوطنية ولا يزال يفعل إلى يومنا هذا كلما وجد الى ذلك سبيلاً ولقد أخرج في ذلك سفراً بعنوان: **خيانة المثقفين**[1]".

كان الأستاذ محمود كثيراً ما يشير في كتاباته وأحاديثه إلى خيانة المثقفين. وقد شرح في إحدى ندواته: **ندوة المثقفين**، ما يعنيه بخيانة المثقفين وهو يتحدث (بلغة الكلام) قائلاً:

> خيانة المثقفين بنعني بيها أنو المثقف في بلدنا ما علمو أبوه، ما علمو بيتو، وإنما علمو هذا الشعب، من عهد الإنجليز وإلى اليوم.. ميزانية وزارة التربية، ميزانية مصلحة المعارف في الماضي، كانت بتجبى من الشعب.. نحن جميعاً تعلمنا على حساب هذا الشعب.. والثقافة تلقي علينا واجب أن نعيش من أجل هذا

(1) وردت الإشارة لاصدار الأستاذ محمود لهذا السفر: **خيانة المثقفين**، ضمن حديثه في هذا المقال، وقد بحثت عنه في **دار الوثائق القومية** السودانية في الخرطوم، وسألت عدداً كبيراً من تلاميذ الأستاذ محمود، ولم أصل إلى شيء، ولا أزال أبحث عنه.

الشعب، إلى جانب أن نعيش من أجل أنفسنا.. لكن لا يكون كل نشاطنا وكل عملنا هو أن نبنى ذواتنا ونطور أنفسنا كما يقول كثير من الناس.. نحن علينا دين نحو شعبنا، ثقفنا، فيجب أن نرد له هذا الدين بإدراكنا لحاجته هو للتغيير، للنلفو ونشعروا بحاجته للتغيير، نلفوا حول حاجتو ونشعروا [ونُشعره] بيها وننوروا [ننوره] فى طريقوا، ولذلك المثقفين فى بلدنا حقهم يكونوا إيجابيين إلى حد بعيد[1].

عاب الأستاذ محمود على رجال الحركة الوطنية، وهو يستقرأ طابع ومسار الحركة الوطنية، عاب عليهم "جهلهم وانصرافهم إلى التهريج الرخيص وتملقهم للجماهير واسترضائهم رجال الطائفية ليضمنوا السند الشعبى الطائفى الذى يحملهم على أكتافه إلى كراسى الحكم... الخ". ثم عبر الأستاذ محمود عن مصير ذلك النقد وتلك الصيحات قائلاً: "ولكن صيحاتنا كانت تذهب أدراج الرياح وكانت الصحف تنصرف عن الدعوة الرصينة للدراسة التى نطالب بها نحن لتسير فى ركاب الحركة الوطنية غير الواعية التى يتصدرها سياسيو اليوم". ومتابعة لقوله السابق بأن "لا فرق جوهرى بين هذه الأحزاب جميعاً"، يقول الأستاذ محمود: "إن الأخطاء الداخلية والأخطاء الخارجية متشابهة بين الأحزاب الكبرى اليوم، وأمس وفى جميع أطوار تاريخها". ثم يفصل الأستاذ محمود قائلاً:

فأما فى الداخل فهى جميعها طائفية.. تفكر تفكيراً طائفياً فتضلل الناس وتستغلهم وتهمل مصالحهم وتجعل حكومتها سيدة الشعب لا خادمته وتهمل الدراسة وتحتقر العقول وتزيف القيم، ولا تتحدث عن الديمقراطية إلا كوسيلة إلى الكراسى ثم تنسى غداة فوزها وعودها للناخبين، وتذهب فى حكمهم إما مذهب التضليل أو مذهب الكبت أو كليهما.

ثم تناول الأستاذ محمود موقف الأحزاب السودانية بشقيها (دعاة التحالف مع

(1) محمود محمد طه، **ندوة المثقفين**، (ندوة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، منزل محمد فضل الصديق، الموردة، أمدرمان، الأحد 30 مايو 1976، الموافق غرة جمادى الآخرى 1396.

بريطانيا، ودعاة الاتحاد مع مصر) فى الخارج، يقول الأستاذ محمود:

*وأما فى الخارج فهى جميعاً تدعو لغير السودان سواء شعرت أم لم تشعر .. فالاتحاديون بكل صورهم ما كانوا يرون للحركة الوطنية سبيلاً غير الوحدة مع مصر تحت التاج المصرى وكانوا يفكرون بمخاوفهم ويرون أن **حزب الأمة** يتآمر مع الإنجليز لخلق تاج محلى .. و**حزب الأمة** ما كان يرى للحركة الوطنية سبيلاً غير التحالف مع بريطانيا وكان قادته يفكرون بشكوكهم ويتهمون الاتحاديين بالتآمر مع مصر لفرض التاج المصرى على السودان.. وكانت الحركة الوطنية بين هؤلاء وهؤلاء لا تجد فرصة للدرس والتفكير والنضوج: بل لا تجد فرصة حتى لإشاعة روح الزمالة والثقة المتبادلة والشعور بوحدة المصير.*

ثم تحدث الأستاذ محمود عن أسباب مهاجمة **الحزب الجمهورى** للحركة الوطنية بنفس القدر الذى كان يهاجم به الاستعمار البريطانى، يقول الأستاذ محمود:

وحين كان الجمهوريون فى مناشيرهم وكتيباتهم يهاجمون الحركة الوطنية بنفس القدر الذى يهاجمون به الاستعمار الإنجليزى وينعون عليها جهلها ووصوليتها كانوا أيضاً يتنبؤون بمصير الاستقلال الذى لا تتولاه أحزاب واعية ذات برامج إصلاحية مدروسة ومذهبية فى الحكم محددة وكنا نقول أنه ما ينبغى أن يكون قصارانا محاربة الاستعمار وبكل سبيل كما كان الشعار الشائع فى ذلك الوقت وكنا نقول أن الإنجليز قد يجلون غداً ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين لأن الاستقلال والحرية لاتجئ إلا نتيجة للحكم الواعى الرشيد وذلك أمر لا يتفق اتفاقاً وإنما يجئ عن تعمد وتوخ ودراسة واعية وكانت صيحاتنا تذهب أدراج الرياح.

لم يكن هنا فرق بين الأحزاب لا فى تكوينها ولا فى أغراضها، لا فى الداخل ولا الخارج، يقول الأستاذ محمود: "فأنتم ترون إذن أن هذه الأحزاب التى تتولى الحكومة والتى تتولى المعارضة لا فرق بينها لا فى الداخل ولا فى الخارج وأنها فى الحقيقة فى مركب واحد .. فإن يكن هناك فرق فهو سوء حظ **حزب الأمة**!! فإنه لا يستطيع أن يحدث الناس عن الإنجليز أو الأمريكان بنفس الحرارة التى يستطيع بها الاتحاديون أن

يحدثونا عن مصر أو روسيا".

ثم تناول الأستاذ محمود موقف المعارضة (الاتحادية)، قائلاً: "ومن عجب أن المعارضة أخذت تستغل الحالة السيئة الحاضرة استغلالاً خلواً من كل أمانة محاولة من وراء ذلك العودة إلى الكراسى من جديد ونحن نعلم أنها متهمة فى نقدها مغرضة فى هجومها وهى إن عادت للحكم فلن تفلح فى حل المشاكل الحاضرة". ثم يبين الأستاذ محمود لماذا قال بأنها لن تفلح؟، يقول الأستاذ محمود: "ونحن لا نقول هذا لمجرد معرفتنا بحقيقة قيادتها وتفكيرها وإنما نقوله بعد أن جربناها فى الحكم زمنا بلوناها فيه وبلونا المر من غبائها ... هى إن عادت لن تفلح فى حل المشاكل الحاضرة ولكنها ستحيل حلها على مصر وتسلمها هذه البلاد برمتها باسم السير مع (الحركة العربية التحررية) وباسم (القومية العربية) وقد ينتظر أزهرى لقب (المواطن العربى الثانى)". ثم تناول الأستاذ محمود تحت عنوان جانبى هو: "من لنا بأن يفهم"، تناول بتوسع الخطر المصرى والخطر الغربى وكيف أن الخطر المصرى هو مخلب قط للشيوعية الدولية، ووقف عند الملايين من الجنيهات التى تدفعها الشيوعية الدولية لمصر "والتدليل الذى تتلقى به جمال عبدالناصر وأصحابه ليست هى الثمن الذى باع به جمال مصر بيع السوام. وإنما هى ثمن العرب جميعاً حين يستطيع جمال بقامته الجديدة التى تنشئها له الشيوعية الدولية أن يضطرهم إلى الإذعان والانقياد له بوسائل الدعاية ووسائل الرشوة ووسائل الإرهاب أيضاً". ثم كتب الأستاذ محمود قائلاً: "من لنا بأن يفهم قومنا قبل فوات الأوان أن مصر نفسها فى حاجة إلى من ينقذها مما ورطها فيه جمال عبدالناصر قبل أن تحرق مراكبها وتقطع أرحامها". ثم توسع الأستاذ محمود فى تحليل الواقع آنئذ محلياً واقليمياً ودولياً. ثم ختم استقراءه مجيباً على السؤال التالى ما الذى ينقصنا؟ فأجاب من خلال عنوان جانبى وسمه بـ: "ما ينقصنا"، قائلاً:

*إن الذى ينقصنا ليس أن يحكمنا **الحزب الوطنى الاتحادى** متعاوناً مع الجبهة المعادية للاستعمار بدل **حزب الأمة** مثلاً وإنما الذى ينقصنا أن يكون حكامنا مثقفين وواعين مخلصين وأن تكون معارضتنا الرسمية وغير الرسمية هيئات وصحافة مثقفة واعية مخلصة: للسودان والسودان وحده (وبعد الله سبحانه وتعالى).*

ثم تحدث الأستاذ محمود عن نوع القيادات التى يحتاجها ويستحقها الشعب السودانى، كتب قـائلاً: "أما بعد فـإن الشعب السودانى يسـتحق قيـادة أفضل مما تعطيـه هذه الحكومة العيية الصامتة المنعزلة عن الناس التى لا يتـرك لها العمل على (تقوية الائتلاف) والاحتيال المضحك على وضع (رأس الدولة) فى الدسـتور الجديد وقتـاً تتفرغ فيه للاتصـال بالشعب ورعـاية مصـالحه وحـمايتـه من التضليـل". وأضاف الأسـتاذ مـحمـود وهو يتحـدث عن القيادات قائلاً: "وقيادة أفضل مما تعطيه هذه المعارضة التى احترفت السياسة حتى أصبحت كراسى الحكم بالنسبة لهـا مسألة (حياة أو موت) فهى إن ظفرت بها تصـرفت فيها تصرف المالك فى ملكه، وإن فقدتها احـتالت صنوف الحيل لاستردادها". ثم قال الأسـتاذ محمود: "إن هذا الشعب العظيم يستحق قيادة أفضل من كل أولئك".

ثم ختم الأستاذ مـحمود مقدماً تسعـة مقترحات لتعين عـلى الوحدة الداخلية والخروج من المأزق آنئـذ، وهو يستشـعر شـراً مسـتطيراً يهـدد استقـلال البلاد، خـاصة وأن الأسـتاذ مـحمـود نشر اسـتقـراءه هذا فى غرة نوفـمبـر 1958، قـبل أسبـوعين من قـيام الانقـلاب العسكرى فى 17 نوفمبر 1958 بقيادة الفريق إبراهيم عبود (1897/1900-1983). فقد كتب الأستـاذ محمود قـائلاً: "إننا ننصح هذه الحكومة أن تحفظ اتزانهـا فلا يحملهـا النقد الذى ينصب عليـها الآن على ارتـكاب حمـاقة ضـد النظام الديمـقراطى فى البـلاد". ثم يوضح الأستاذ محمود أسباب قوله هذا، فكتب قائلاً:

"نقول قولنا هذا بعد أن اطَّلعنا على "تصـريح فى الصحف منسوب للسيد رئيس الوزراء وقـد كان التـصريح غـير حكيم فـيمـا نرى فهـو يحمل تهـديداً ونذيراً ويذكر أن هذه البلاد تتـمتع بحرية ديمقـراطية واسعه وأن بعض الناس يسـيئون استعمالهـا .. فإن يكن ذلك فإن واجب الحكومة أن تقدم من يسيئـون استعمال الحرية إلى المحاكمة لا أن تهدد الشعب بعمل ضد الديمقراطية".

كان الأستاذ مـحمود قد طالب منذ منتصف أربعينيات الـقرن الماضى أن يتصل النضال ضد المستـعمر بالشعب، وأن تكون الجـماهير طرفاً أصيـلاً فى مواجهة الاسـتـعمار وطرده. وطالب بقوة أن لا يكون النضال نضالاً فوقياً، وأن يكون العـمل الوطنى عملاً شعبياً، حتى تكون الحركة الوطنية ملتصقة بالشعب بعـيداً عن الصفوية والفوقية. ونادى باشراك النساء

وسكان القرى فى الحركة الوطنية عبر الإنتاج والعمل لا الهتاف. كتب الأستاذ محمود فى عام 1952 مقالاً بعنوان: "الحركة الوطنية كما أريدها"[1]، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "ثلاث فئات من المواطنين يجب أن تشترك فى الحركة الوطنية اشتراك العمل المنتج. النساء وسكان القرى والأغنياء. ولإشراك هؤلاء اشتراك العمل المنتج يجب أن تكون الحركة الوطنية نفسها حركة عمل منتج لا حركة تهريج وهتاف بسقوط الاستعمار ليس إلا".

الأستاذ محمود والقراءة الباكرة لاتفاقيات مياه النيل والحدود مع مصر

لفت نظرى[2] حوار تلفزيونى[3] مع سلمان محمد أحمد سلمان وهو خبير وباحث فى قوانين وسياسات المياه. تحدث سلمان عن اتفاقية مياه النيل التى وقعت بين السودان ومصر فى يوم 8 نوفمبر عام 1959، كيف تمت الاتفاقية؟ وما هى خبايا وأسرار الاتفاقية؟ وما هى أبعاد ما قدمه المفاوض السودانى من تنازلات كبيرة لمصر؟ خاصة وأن التنازلات بدأت فى سبتمبر 1954، والتنازل الرئيسى فى أبريل 1955، وتوالت التنازلات حتى توقيع الاتفاقية فى يوم 8 نوفمبر 1959. وكيف قابلت القوى السياسية الاتفاقية؟ وما هو موقف النخب والأفراد من الاتفاقية؟ تحدث عن تفاصيل كثيرة عن الاتفاقية. وفى رده على سؤال

---

(1) محمود محمد طه، "الحركة الوطنية كما أريدها"، 1952/12/18، **المصدر**: جلال الدين الهادى الطيب إدريس، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 12.

(2) هاتفنى حيدر بدوى صادق، حينما استمع لحديث سلمان محمد أحمد سلمان فى الحوار التلفزيونى، خاصة قول سلمان بأن كل القوى السياسية قد أيدت اتفاقية عام 1959 تأييداً مطلقاً، ولم يعترض أحدٌ لا من القوى السياسية أو الأفراد سوى ميرغنى حمزة الذى أبدى بعض الملاحظات. كنت أستمع للحوار مع سلمان محمد أحمد، حينما هاتفنى حيدر ليسألنى عن موقف الأستاذ محمود من الاتفاقية، وهو على يقين من أن الأستاذ محمود قد قال أو كتب شيئاً، بل يكاد حيدر أن يجزم بأن الأستاذ محمود لا يمكن أن يكون قد مرر موضوع الاتفاقية دون أن يكون قد قال أو كتب شيئاً. وبالفعل أكدت لحيدر بأن الأستاذ محمود ظل يتحدث فى المحاضرات وينشر المقالات عن اتفاقية مياه النيل وعلاقتها بالحدود مع مصرقبل أن توقع الاتفاقية فى يوم 8 نوفمبر 1958. أوحت لى مهاتفة حيدر مقرونة بحديث سلمان محمد أحمد سلمان بأن أدفع بهذا المحور ليكون من ضمن هذا الكتاب، لأهمية التاريخية وقيمته العلمية، والذى لولا حديث سلمان محمد أحمد سلمان لما كان من ضمن محاور هذا الكتاب.

(3) سلمان محمد أحمد سلمان، "برنامج مراجعات: الحلقة 3-4"، (سلسلة حوارات)، أجرى الحوار الطاهر حسن التوم، **قناة النيل الأزرق**، الخرطوم، 10 مايو 2013، الساعة 16:30.

(4) خبير وباحث فى قوانين وسياسات المياه.

المحاور: كيف قابلت القوى السياسية فى المقابل فى الخرطوم اتفاقية عام 1959؟ أجاب سلمان قائلاً: السؤال عظيم والإجابة عليه مدهشة، غاية من الدهشة القوى السياسية قابلت الاتفاقية بالترحيب والتأييد، تأييد مطلق بدون أى شروط وبدون أى ضوابط. ثم أشار لأول تأييد من السيد على الميرغنى راعى **حزب الشعب الديمقراطى**. كما أيد الاتفاقية عبدالله خليل ببرقية من لندن. كما أيد الاتفاقية السيد الصديق المهدى والسيد إسماعيل الأزهرى والسيد عبدالله الفاضل المهدى، واتحاد مزارعى الجزيرة والمناقل أيد الاتفاقية، والصحف السودانية أيدت الاتفاقية... إلخ. ثم تدخل المحاور قائلاً: يعنى بالاجماع قابلت القوى السياسية الاتفاقية، ما كان هناك أى صوت معترض؟ فأجاب سلمان قائلاً: لم يكن هناك صوت معترض، ولكن يجب أن أوضح شيئين، بحثت فى الوثائق السودانية والأمريكية والبريطانية عن موقف **الحزب الشيوعى السودانى** والحركة الإسلامية. ولم أجد أى شيء من **الحزب الشيوعى السودانى** أو الحركة الإسلامية. اتصلت بمجموعة من الإخوة فى المنظمتين وسألت إذا كان هناك أى بيان صدر يوضح رأيكم فى الاتفاقية، فقال بعضهم أنهم ضد الاتفاقية، ولكنى قلت لهم أنا أكاديمى وموثق وأريد شيئاً موثقاً صدر فى عام 1959 يوضح رأيكم وموقفكم من الاتفاقية. ولكنى لم أجد شيئاً موثقاً سواء من **الحزب الشيوعى السودانى** أو من الحركة الإسلامية يبين موقفهما من الإتفاقية. ثم سأل المحاور قائلاً وماذا عن الأفراد والنخب ما فى أى زول قال حاجة؟ فأجاب سلمان قائلاً: السيد ميرغنى حمزة هو الشخص الوحيد الذى أبدى بعض التحفظات. ثم تحدث سلمان عن مسألة الربط بين اتفاقية مياه النيل والحدود.

الأستاذ محمود ومقاومة اتفاقية مياه النيل

يبدو أن سلمان محمد أحمد سلمان، وهو يبحث عن مواقف القوى السياسية والمثقفين من اتفاقية مياه النيل عام 1959، لم تتح له فرصة الاطلاع على ما كتبه الأستاذ محمود محمد طه، برغم أنه تحدث بقوة وثقة عن اطلاعه على الوثائق السودانية والأمريكية والبريطانية. الشاهد أن الأمر عند الأستاذ محمود لم يكن فى حدود إعلان موقفه من اتفاقية مياه النيل بعد توقيعها فى يوم 8 نوفمبر عام 1959، وهى المواقف التى كان يبحث

عنهـا سلمان كـما وردت الإشارة، فـالأمر عند الأسـتاذ مـحمـود أمر مـقاومـة للاتفاقـية. فالأسـتاذ محمـود لم يكن رافضاً لاتفاقـية مياه النيل ومعترضـاً عليها فحـسب؛ وإنما كان مقاومـاً لها، قبل أن يتم توقيعـها، بل منذ النصف الأول من خمسـينيات القرن الماضى. بل كان الأسـتاذ مـحمـود يطالب، كمـا سيـرد قوله لاحـقاً، بضـرورة إشراك الرأى العـام فى السودان وتنويره بـسير المفـاوضات وطبيـعة أبعاد الاتفـاقيـة ومآلاتها. كـما عاب الأسـتاذ محمود، على الحكومـة تقصيرها فى عدم تنوير الرأى العام بإزاء شأن يتحكم فـى مستقبل العلاقات بين البلدين. كما طالب الحكومـة بترك العواطف الرخوة عندما يكون الكلام عن أمر جـاد وهو اتفاقـية ميـاه النيل. ودعا إلى ضـرورة التسويـة العادلة لمياه النيـل بما يضمن المصالح المستقبلية. ونبه إلى أن أمر اتفاقية مياه النيل، هو أمر يتوقف عليه مستقبل العلاقات بين البلدين، السودان ومصر.

بدأ الأستاذ محمود نشاطه باكراً من أجل مـقاومة الاتفاقية، ولكن كثف من نشاطه منذ شهر فبراير عام 1958. لقد كتب الأستاذ محمود فى مقاومته لتوقيع اتفاقية مياه النيل الكثير من المقالات، وأصـدر عدداً من البيـانات وأقام المحاضرات. كـتب محذراً ومنبـهاً لخطورة المسألة على راهن ومـستقبل العـلاقات بين البلدين، ودعا لضـرورة الربط بين اتفاقية مـياه النيل والحـدود. ففى يوم 26 فبـراير عام 1958 نشر الأسـتاذ خوجلـى محمـد خوجلى[1]، عضو الحزب الجمهورى، تلخيصاً لمحاضرة[2] قدمها الأستاذ محمود عن "الموقف السياسى الحاضر" بدار الحزب الجمهورى بمدينة ود مدنى وتحدث فيها بتوسع عن الحدود مع مصر.

---

(1) خوجلى مـحمد خـوجلى من أبكار الجمهـوريين. ولد عام 1932 بمدينة دنقـلا العرضى، تلقى تعليـمه الأولى بدنقلا والمتوسط بالقولد ضمن أول دفـعة تلتحق بأول مدرسة أهلية فى القولد كانت قـد فتحت أبوابها فى عام 1944. ثم التحق بمدرسة التـجارة/ أمدرمان الثانويـة الصغرى وزامل فيـها عام 1947 الأستاذ سعـيد شايب. تخرج فى مدرسة التجارة واجتاز امـتحان الخدمـة المدنية الـ "C.S" فعين بمـصلحة المعارف محـاسباً بمدرسة حنتوب الثانوية عام 1950. نقل فى عام 1959 إلى وزارة المالية وفى عام 1961 نُقل للعمل بوزارة الخارجية. أثناء عمله بوزارة الخارجـية عمل بنيجيـريا ثم عاد للعمل بديوان المراجع العام. نقل إلى إثيـوبيا للعمل بمنظمة الوحدة الإفريقية ليكون أول سودانى يعمل بها. المصدر: وصلتنى هذه المعلومات من إبراهيم عيسى، الذى كان قد أجرى حواراً توثيقياً مع خوجلى محمد خوجلى.

(2) محمود محمد طه، "الموقف السـياسى الحاضر"، (محاضرة)، دار الحزب الجمهورى، مدينة ود مدنى، مساء يوم السبت 22 فبراير 1958. وقد نشر خوجلى محمد خـوجلى ملخصاً للمحاضرة فى صحيفة أنباء السودان فى يوم 26 فبراير عام 1958.

كتب خوجلى محمد خوجلى قائلاً: "استهل الأستاذ محمود حديثه بأنه كان يود أن يكون حديثه عن الانتخابات ولكن الأزمة التى نشبت بين السودان ومصر فى مشكلة الحدود تجعل الحديث عن الانتخابات مختصراً". وأضاف خوجلى بأن الأستاذ محمود بعد أن تحدث حديثاً مختصراً عن الانتخابات تناول مشكلة الحدود، قائلاً: "إن السودانيين ستكون خسارتهم كبيرة جداً لو لم يأخذوا الدرس الكافى من هذه الأزمة التى خلقتها حكومة مصر". ثم تناول الأستاذ خوجلى حديث الأستاذ محمود عن الأزمة المصرية السودانية، وإشاراته لسوء تصرف مصر، وتحليلاته لتصرفات مصر والتى مثلت امتهاناً لكرامة الشعب السودانى. وأضاف الأستاذ خوجلى قائلاً بأن الأستاذ محمود تناول أبعاد الأزمة وأطماع جمال عبدالناصر التوسعية، فتحدث قائلاً: "إننا نجهل البواعث الحقيقية لمثل هذا الحادث الخاسر الذى لن تجنى منه مصر شيئاً ولكنا نستطيع أن نخمن فنقول إما أن عبدالناصر غافل جداً وليس له من ينصحه، وإما أن الزهو والغرور قد أملى على دكتاتور مصر أن يوسع رقعته وذلك بالزحف على الجنوب وكل ذلك ينهض دليلاً لمسألة أصيلة فى سوء الحكم المصرى، وما سوء القياس بمسألة جميلا إلا دليلاً قاطعاً على وجود الغفلة، وثمة شىء آخر هو أن الحكومة المصرية دائماً تفكر من ناحية واحدة وتتجاهل مشاعر الآخرين، وما الكيفية التى تمت بها طريقة تأميم القنال إلا دليلاً على ذلك ومسألة تجاهل المشاعر تتجسم فى تجاهل حكومة مصر للعواطف والمشاعر الإنسانية التى ربطت سكان تلك المنطقة بالسودان حقبة كبيرة من الزمن فكيف يراد لها بين عشية وضحاها أن تنسى كل ذلك". ختم خوجلى قائلاً: "هذا وفى نهاية النقاش اتخذ الحاضرون قراراً بارسال برقية لاتحاد الصحافة يستنكرون فيه تجاهل حكومة مصر لحكومة السودان، ويعتبرون أن المسألة غير منتهية حتى تفعل حكومة مصر ذلك. ويطالبون الذين استرضتهم حكومة مصر أن يرفضوا استرضاءها".

وفى يوم الأحد 14 سبتمبر 1958 نشر الأستاذ محمود مقالاً بعنوان: "مشكلة مياه النيل"[1]. يكشف المقال عن المتابعة الدقيقة للأستاذ محمود لسير المراسلات بين الحكومتين السودانية والمصرية، وحرصه على نقد التعاطى من قبل الدولتين مع ملف المياه ونقده بشكل أشد لمواقف حكومة السودان. كتب الأستاذ محمود فى مستهل مقاله قائلاً: "لقد جاء فى رد

(1) محمود محمد طه، "مشكلة مياه النيل"، **صحيفة أنباء السودان**، بتاريخ الأحد 14 سبتمبر 1958.

مصر على مذكرتى جمهورية السودان الخاصتين بمشكلة مياه النيل المؤرختين 19 أغسطس و25 أغسطس من هذه السنة ما يأتى: "نود أن نسترعى النظر إلى ما بين هاتين المذكرتين من اختلاف فى الأسلوب والاتجاه، إذ ترحب المذكرة الثانية بفتح باب المفاوضات حرصاً على ما بين الشقيقتين من علاقة فى حين أن المذكرة الأولى بإعلانها عدم الاعتراف باتفاقية سنة 1929 من جانب واحد لم تهيئ جو الثقة المتبادل الواجب توافره فى أية مفاوضات). هذا ومن الواضح بالطبع، (والكلام للأستاذ محمود) أنه ليس هناك تناقض فى جوهر الأمر وإنما جاء التناقض فى ظاهر الصياغة وذلك للحرص التقليدى الذى يصاحب كل حديث نقوله نحن السودانيين عن مصر (الشقيقة) وإنى لأرجو أن يقلع على الأقل المسئولون عن مثل هذا المظهر المهين". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "هذا وإنى لألاحظ بارتياح تام أن حكومة السودان قد ردت على مذكرة مصر التى تشترط الاعتراف باتفاقية سنة 1929 كأساس للدخول فى المفاوضات بأن جمهورية السودان تجدد تمسكها بعدم الاعتراف باتفاقية مياه النيل المبرمة بين دولتى الحكم الثنائى سنة 1929 وذكر الرد إلى جانب ذلك رغبة جمهورية السودان فى الدخول فى مفاوضات لتسوية المشاكل المعلقة بما فيها مياه النيل".

كذلك أولى رجال **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود اهتماماً واسعاً ومستمراً بالتدخل المصرى فى شؤون السودان، وأثر ذلك التدخل على مشكلة مياه النيل ومسألة الحدود. ففى يوم 18 أكتوبر 1958 كتب الأستاذ عبداللطيف عمر مقالاً[1] تعرض فيه لمياه النيل، وهو يتحدث عن التدخل المصرى فى الشؤون الداخلية، منبهاً لأطماعه فى مياه النيل وأراضى السودان. ربط عبداللطيف بين مشكلة مياه النيل ومسألة الحدود، فكتب قائلاً: "التدخل المصرى مستمر بالإذاعة والصحافة لتأليب الشعوب العربية والشعب السودانى ضد حكوماتهم حتى لكأن هذه الحكومات حكومات أجنبية مفروضة على هذه الشعوب فجعل عبد الناصر ولى أمر وقيماً عليها. ومن الأمثال الواضحة حادث الحدود ومشكلة مياه النيل ففى كليهما وقف عبد الناصر موقف المتجبر، فهو ذو أطماع كبيرة فى السودان: فى مياهه الوافرة وأراضيه الواسعة".

---

(1) عبداللطيف عمر، "حول الخطوة التالية لعبد الناصر هى السودان"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 164، بتاريخ 18 أكتوبر 1958.

وفى إطار مقاومته لاتفاقية مياه النيل، نشر الأستاذ محمود فى يوم 25 أكتوبر 1958 مقالاً طويلاً عن اتفاقية مياه النيل[1]. جاء المقال بعنوان: "الأزمة بين السودان ومصر: اتفاقية مياه النيل سنة 1929". تناول الأستاذ محمود فى مقاله هذا، قصة مياه النيل، فوقف عند اتفاقية عام 1929 وتاريخها وتتبع جلسات مباحثاتها واجتماعات لجانها منذ أن كانت الاتفاقية فكرة أولية عند البريطانيين ونمت فى إطار الأهداف الاستعمارية والعلاقات مع مصر. وتحدث فى مقاله عن بداية التفكير فى اقامة مشروع لزراعة القطن فى أرض الجزيرة وتناول تطور الفكرة ووضوحها فى الأذهان حتى تقرر رى مساحة مائة ألف فدان وتطورت المساحة إلى ثلاثمائة ألف فدان. تناول الأستاذ محمود فى مقاله تعهدات بريطانيا لحكومة مصر بألا تزيد المساحة من مشروع الجزيرة بدون التشاور مع حكومة مصر. ثم وقف على مقتل السردار السير لى أستاك وأثره على التطورات بشأن اتفاقيات مياه النيل، وما تبع ذلك من إنذار بريطانيا لمصر بأنها تخلت عن مبدأ التشاور معها بشأن زيادة المساحة الزراعية، وأن الزيادة فى المساحة المزروعة فى السودان ستتم دون التشاور مع مصر. رفض رئيس الوزراء سعد زغلول باشا ذلك، الأمر الذى أدى لتدخل الملك فؤاد الأول ومن ثم استقالة رئيس الوزراء. ثم قدم الأستاذ محمود تفصيلاً عن اللجان والتقارير والمراسلات التى تمت بين بريطانيا ومصر خلال الفترة ما بين 22 نوفمبر 1924 و26 يناير 1925. أشار الأستاذ محمود فى مقاله إلى تمسك مصر على الدوام بوجهة نظرها، فى المفاوضات والمراسلات بشأن مياه النيل. فقد تمسكت مصر بأن مسألة تطوير الرى فى السودان يجب بأى حال من الأحوال ألا تكون بصورة تضر بالرى فى مصر أو تعوق مشاريع التوسع المرتقبة فيها والضرورية لتفى بحاجة السكان المتزايدين بسرعة شديدة.

ظل الأستاذ محمود على الدوام مشغولاً بمسألة مياه النيل، وداعياً لإقامة العلاقات مع مصر على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل. إن الدارس والباحث يلاحظ أن الأستاذ محمود كثف من نشر مقالاته وإصدار بياناته وإقامة محاضراته العامة، عن مياه النيل فى فترة الخمسينيات من القرن الماضى، وهو عقد الحراك بشأن اتفاقية مياه النيل التى وقعت فى 8 نوفمبر 1959. ففى يوم السبت 1958/8/23 نشر **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ

---

(1) محمود محمد طه، "الأزمة بين السودان ومصر: اتفاقية مياه النيل سنة 1929"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 165، بتاريخ 25 أكتوبر 1958.

محمود بياناً عن دعـائم الميثاق القومى، (أنظر ملحق رقم: "34"). تناول البيان رؤية الحزب للعلاقة مع مـصر، ومواقفه من مـياه النيل، يقول البيـان: "لتحسين العلاقـة مع مصر يجب تصفيـة المسائل المعلقة معهـا فوراً، مثل مياه النيل ومـستعمرات الرى المصـرى فى الشجرة والجبل وملكال وذلك بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم ويجب ألا نترك هذه المسائل معلقة هكذا لأى فترة من الزمن بعد اليوم لأنها هى سـبب سوء التفاهم المستمر فإذا ما تمت هذه التسوية فإن علاقتنا بمصر ستقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل".

أتبع الأستاذ محمود اهتمامه الشديد بمياه النيل بنقده للقادة والوزراء ومتخذى القرار. ففى يوم السبت 1958/9/6 نشر مقالاً بعنوان: "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، (أنظر ملحق رقم "36"). كتب الأستاذ محمود فى مقـاله قائلاً: "أبادر فأقرر هنا أن خطاب السيد وزير الداخلية الذى قرأه على الصحفيين فى مؤتمره الصحفى فيما يخص مشكلة مياه النيل مع مصر لم يكن خطاباً لبقـاً ولا كان موفـقاً وليس الكيس من يأبى أن يقدم الوعـيد والتهـديد بين يدى الرجاء بالتـعاون.. ثم أنه مـا ينبغـى أن يغيب عن بال رجل مـسئول أن الشعـب بجميـع طبقـاته بله الصحفـيين غيور علـى حريته حريص على صـيانتها.. ومـا جدوى الاستقلال إذا مـا أمست الحريات سليـبة؟" ثم أضاف الأسـتـاذ محمـود فى نقده لوزير الداخلية الذى تحـدث فى مؤتمر صحفى عن مياه النـيل، أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "هل قرأتم مـا جاء عن المؤتمر الصحفى الذى عقده وزير الداخلية عـن مشكلة مياه النيل؟ لقد طلب الوزير من الصحـفيين ألا ينشروا عن مشكلة مياه النيل من خبر إلا ما يستـقى من الحكومة ولا من تعليق إلا ما يتوخى فيه توفير الجو الودى الذى يجب أن يسـبق المفاوضات ليزيد فـرص نجاحها وعند ذلك توجـه إليه أحد الصحفيين بسـؤال فحواه "هل طلبت مصر من صحافتـها مثل هذا الطلب؟" فلم يجد الوزير بداً من أن يجـيب "سنتوجه إلى مـصر برجـاء أن تطلب من صحـافتهـا مثله" والآن فـإن لهذا السؤال دلالة كـبيرة. فـهو يدل على أن بعض صـحفيـينا لا يعرفـون فرقاً بين صـحافة مـصر وصحافة السودان ولا يقدرون مبلغ التفـاوت فى الحرية بينهما مع أن كل من يعرف شيئاً ولو يسيرا عن الحياة فى مصر يعلم أن صحافة مصر لا تكتب شيئاً إلا ما تمليه حكومة مصر إملاءً. فإن لم يكن إمـلاءً فهو لا يخـرج عن ما اختـطته الحكومة فى روح سياستـها من غيـر نقد أو تساؤل. وهو يدل أيضاً على أن صحـفيينا (بعضهم) حين يدافع عن حرية الصـحافة لا يعرف

حقيقة ما يريد وهو ليس لديه مانع من أن يعيش فى حرية صحفية (كالحرية) التى تعيش تحتها الصحافة المصرية هل استعدى الحكومة على حرية بعض الصحف بقولى هذا ؟ كلا ؛ والحق لو إنى كنت مقتنعاً بأن حكومتنا رشيدة ذات فلسفة فى الحكم ومذهب فى التربية لطلبت إليها أن تجعل للحرية ثمناً هو حسن التصرف فيها أو تحمل مسؤولية سوء التصرف. فالناس أحرار ليفكروا كما يشاءون وان يقولوا كما يفكرون وان يعملوا كما يقولون على شريطة أن يقولوا صواباً وألا يعملوا عملاً يخل بحريات الأخرين". ثم ختم مقاله قائلاً: "فكم من صحفنا تقول الصواب؟ أم كم من صحفنا تعرف الصواب؟ حقاً ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟؟"

الأستاذ محمود والربط الباكر بين مياه النيل والحدود

ربط الأستاذ محمود باكراً بين اتفاقية مياه النيل والحدود. وقد ورد هذا الربط فى المحاضرات العامة التى عقدها وفى المقالات التى نشرها. فبالإضافة لما وردت الإشارة إليه آنفاً، فقد قدم الأستاذ محمود محاضرة[1] فى مساء يوم 1958/7/23، ونشرت المحاضرة بتاريخ 7 أغسطس 1958 بعنوان: "الحكومة القومية خطرة وستضيع على السودان مياه النيل والحدود". تحدث الأستاذ محمود فى تلك المحاضرة قائلاً: "الحكومة القومية خطيرة وستضيع على السودان مياه النيل والحدود.. فالحكومة القومية... خطرة لأنها ستأتى بأغلبية الموالين لمصر من الأحزاب وبالتالى تضيع المشاكل المعلقة بيننا ومصر وهى مياه النيل والحدود ولذلك يحبذ أن تكون فى هذا الوقت حكومة حازمة من جهة مصر حتى تحل هذه المشاكل".

تناول الأستاذ محمود مسألة الحدود مع مصر ومشكلة مياه النيل، والمشاكل المعلقة مع مصر فى مقال[2] نشره فى يوم 3 مايو 1958 بعنوان: "نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية". كتب الأستاذ محمود فى مقاله وتحت محور وسمه بـ "بيننا وبين مصر" قائلاً: "بلغنا أن حكومة السودان قد استعدت بالوثائق التى تؤيد حقها فى نزاع الحدود ولكنها لا تنوى أن تثير المسألة

---

(1) محمود محمد طه، "الموقف الدولى الراهن"، (محاضرة)، مدينة ود مدنى، مساء يوم 23 يوليو 1958؛ نشرت المحاضرة فى **صحيفة أنباء السودان**، "الحكومة القومية خطرة وستضيع على السودان مياه النيل والحدود"، بتاريخ 7 أغسطس 1958.

(2) محمود محمد طه، "نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 149، بتاريخ 3 مايو 1958.

من جانبها وإنما تترك البدء لمصر ولقد تردد هنا أن مصر أيضاً لا تريد أن تبدأ بإثارة المشكلة من جانبها على الأقل فى الوقت الحاضر". ثم أضاف الأستاذ محمود رابطاً بين نزاع الحدود ومشكلة مياه النيل فكتب قائلاً: "ولما كانت المسائل المعلقة بيننا وبين مصر لا تقف على مسألة الحدود فقط وإنما تتعداها إلى ما هو أهم منها مثل مشكلة مياه النيل التى لابد من حلها حلاً نهائياً حتى نستطيع ان نمعن فى استغلال حصتنا من المياه". ثم أضاف الأستاذ محمود وهو يتحدث عن المسائل المعلقة مع مصر قائلاً: "ومنها مشكلة المستعمرات المصرية داخل بلادنا مثل ملكال وجبل أولياء وشجرة غردون ولعل المصريين لا يريدون إثارة مشكلة فى الوقت الحاضر حتى يتمكنوا بمرور الزمن من استمالة سكان تلك المناطق بمختلف صنوف الدعاية والإغراء والرشوة، ذلك بأن الأخبار تردنا من منطقة حلايب بما يدل على أن أموراً من هذا تمارس هناك علانية وجهاراً". ثم نبه الأستاذ محمود حكومة السودان قائلاً: "والحزم يقضى على حكومة السودان بأن تثير هذه المسائل المعلقة منذ اليوم... ليس هذا فحسب بل إن حل هذه المسائل لا يجب أن يتعثر ويتعرض للتسويف كسابق عهده، ذلك بأنه من مصلحة مصر كما هو من مصلحة السودان أن تبنى علائقنا على [أسس] واضحة حتى ولو اقتضى ذلك اللجوء إلى هيئة الأمم لتشكل بيننا لجنة تحكيم يكون حكمها مرضياً من كلينا سلفاً"... إلخ. وكان الأستاذ محمود قد تحدث فى بيان **للحزب الجمهورى**[1]، صدر فى يوم 10 نوفمبر 1955 بعنوان: "حول السياسة الاقتصادية الرسمية". تناول البيان، وهو بيان طويل، استغلال مصر والسودان لمياه النيل، وتحدث البيان عن ضرورة أن تولى الحكومة جل اهتمامها بالتوسع الزراعى وإقامة المشاريع الزراعية فى مختلف أنحاء السودان. كما تحدث البيان عن "إن مصر استغلت كل ما تملك من أراضى زراعية فى حين أن السودان لم يستغل عشر أراضيه الخصبة".

ظل الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى**، ورجال الحزب كذلك منشغلين باتفاقية مياه النيل وبكل القضايا المعلقة مع مصر. ففى يوم 18 أكتوبر 1958، كتب الأستاذ أحمد إبراهيم مدنى، عضو **الحزب الجمهورى**، مقالاً[2] أشار فيه لمياه النيل. استهل الأستاذ أحمد إبراهيم مدنى

---

(1) محمود محمد طه، "حول السياسة الاقتصادية الرسمية"، (بيان)، صدر البيان بتاريخ 10 نوفمبر 1955، ونشر **بصحيفة الاستقلال**، بتاريخ 17 نوفمبر 1955.

(2) أحمد إبراهيم مدنى، "فى الميدان السياسى: إنكار مصر لعرضها يشكل سابقة خطيرة فى تاريخ العلاقات الدولية"، **صحيفة أنباء السودان**، بتاريخ يوم 18 أكتوبر 1958.

قائلاً: "بعد أن درس مجلس الوزراء السودانى العرض الذى تقدمت به الجمهورية العربية المتحدة حول مياه النيل، وبدأ فى إعداد رده عليه، أبلغ سفير الجمهورية العربية لدى الخرطوم حكومتنا أن مصر لم تقدم أى عرض رسمى ...". ثم تابع الأستاذ أحمد إبراهيم مدنى حديثه شارحاً طبيعة عرض الحكومة المصرية بشأن مياه النيل، والذى نقله القائم بأعمال السفارة السودانية فى القاهرة، الوزير المفوض السيد عباس الدابى. كما تناول الأستاذ أحمد إبراهيم مدنى الكيفية التى قدم بها العرض وإذاعة راديو القاهرة للعرض، ثم إنكار القاهرة للعرض. وأشار الأستاذ أحمد قائلاً: "وأغلب الظن أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة سلكت هذا المسلك عندما شعرت باتجاه مجلس الوزراء لرفض هذا العرض الذى ربما قد يتمسك به السودان كحد أدنى مستقبلاً". وختم الأستاذ أحمد مقاله قائلاً: "فإنكار مصر لعرضها الرسمى الأخير فيه إحراج للدبلوماسى ومحاولة لزعزعة الثقة به، ويشكل سابقة خطيرة فى تاريخ العلاقات الدولية. إن القول بأن الحكومة اعتبرت المسألة منتهية عند هذا الحد قولاً لا يمكن أن تأخذ به دولة من أول واجباتها حماية ممثليها بالخارج من الافتراءات والتعرض لتحطيم مجهوداتهم ونشاطهم الدبلوماسى".

المطالبة بتنوير الرأى العام وتربية الشعب على الديمقراطية

فى سعيه المستمر لتربية الشعب على الديمقراطية من خلال إشراكه فى شؤونه ومصالحه الآنية والمستقبلية، طالب الأستاذ محمود منذ عام 1958 بتنوير الرأى العام بشأن اتفاقية مياه النيل وسير مفاوضاتها. ودعا الأستاذ محمود الحكومة إلى تمليك الشعب الحقائق بشأن كل القضايا المعلقة مع مصر لا سيما مياه النيل. كما طالب الحكومة باتخاذ المواقف الصلبة بإزاء مصر بمساندة الرأى العام. ففى مقاله الذى نشر فى يوم الأحد 14 سبتمبر 1958 بعنوان: "مشكلة مياه النيل"[1]، كتب الأستاذ محمود قائلاً: " يجب أن نترك العواطف الرخوة عندما نتكلم على الأقل فى مسائل جاده على تسويتها العادلة يتوقف مستقبل العلاقات بين مصر والسودان... وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "أحب أن أذكر أن الموقف الصلب من جمهورية السودان بإزاء مصر سيكون لمصلحة مستقبل العلاقات بين البلدين وإنى لأرجو للحكومة حسن التوفيق إذ لا تجد مساندة من الرأى العام على المواقف

(1) محمود محمد طه، "مشكلة مياه النيل"، مصدر سابق.

الصلبة بإزاء مصر". وعن تقصير الحكومة فى إشراك الرأى العام كتب الأستاذ محمود قائلاً: "والحديث عن الرأى العام يسوقنى مرة أخرى إلى تقصير الحكومة فى تنويره حتى انتهبته مصر وحولته بإذاعتها وصحافتها إلى قوة تعمل لمصلحتها أكثر مما تعمل لمصلحة هذه البلاد". كان إشراك الرأى العام وتنوير الشعب بقضاياه وبمصالحه المستقبلية من أهم الأمور عند الأستاذ محمود. ففى مقاله هذا طالب الأستاذ محمود الحكومة بضرورة تنوير الشعب فى كل المسائل المعلقة بين مصر والسودان، ولقد طلب إلى حكومتنا فى كلمته الماضية أن تعيد النظر فى أمر تنوير الشعب وتعميق الأفكار الأصيلة عن المسائل المعلقة بيننا وبين مصر فى ذهنه وذلك بنشر الأسس الأصيلة التى عليها ينهض حقنا فى جميع هذه المسائل ولقد أوردت مثلاً من أمثال التضليل الذى تباشره الصحف المصرية ولقد كان ذلك المثل مقالاً طويلاً فى روز اليوسف حشوه الخطأ والتضليل".

ظل الأستاذ محمود حريصاً على الوضوح مع الشعب وضرورة تنويره. ففى يوم السبت 30 أغسطس 1958، نشر الأستاذ محمود مقالاً بعنوان: "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"(1).

وتناول المقال محورين، الأول "هيئة الأمم" والمحور الثانى "مياه النيل". وقد خصص الأستاذ محمود جل المقال للمحور الثانى، وهو مياه النيل. يكشف المقال عن انشغال الأستاذ محمود بضرورة الوضوح مع الشعب فى شؤونه، كما يكشف المقال، كما هو ديدنه مثلما ورد فى الحلقة السابقة، عن المتابعة الدقيقة للأستاذ محمود لسير المراسلات بين حكومتى السودان ومصر. ويكشف المقال كذلك عن حرص الأستاذ محمود، على نقد التعاطى من قبل الدولتين مع ملف مياه النيل، ونقده بشكل أخص لمواقف حكومة السودان. كتب الأستاذ محمود وهو يتحدث عن الحكومة قائلاً: "إن مصلحة العلاقات بيننا وبين مصر تقضى بأن نترك هذه العبارات الجوفاء، عبارات العواطف النواضب، وأن نبنى علائقنا معها على العدل والحق والرعاية المنصفة للمصالح المشتركة وهذا المسلك هو الذى يحفظ على الإخوان ودهم وإخاءهم... ولتكن واضحة مع الشعب تبين له الحقائق

(1) محمود محمد طه، "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 155، بتاريخ السبت 30 أغسطس 1958.

فإذا اقتضى الأمر الخروج بمشكلة مياه النيل إلى المحافل الدولية فلتمض الحكومة راشدة ولتحط الدول الأخرى علماً بتفاصيل المشكلة بلا إبهام ولا غموض. ثم لتمض الحكومة لحل جميع المشاكل المعلقة مع مصر وبكل الوسائل.. وسائل التحكيم إن لم تنجح وسائل المفاوضات".

الشاهد أن الأستاذ محمود أولى اتفاقية مياه النيل والحدود مع مصر اهتماماً كبيراً وباكراً، وكذلك رجال **الحزب الجمهورى،** لاسيما الأستاذ عبداللطيف عمر وخوجلى محمد خوجلى وأحمد إبراهيم مدنى. كما لفت الأستاذ محمود الانتباه وبرؤية سياسية ثاقبة إلى ضرورة الربط بين اتفاقيات مياه النيل وقضية الحدود مع مصر. وكثيراً ما نوه إلى أن تشكيل الحكومة السودانية بأغلبية موالية لمصر، مثل تشكيل الحكومة القومية التى نادت بها بعض الأصوات فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى، أمر خطير على اتفاقية مياه النيل وخطير كذلك على الحدود مع مصر. وكل ذلك موثق فى الدوريات السودانية التى وقفت عليها بدار الوثائق القومية، وقد أوردت هنا بعضاً منها. ويلاحظ الباحث أن الأستاذ محمود اهتم اهتماماً بالغاً بمياه النيل، واستمر هذه الاهتمام حتى فى آخر نص كتبه قبل تنفيذ الإعدام عليه فى يوم 18 يناير 1985. ففى آخر نص خطه يراع الأستاذ محمود أثناء فترة اعتقاله الأخير (1984/12/19 - 1983/6/9)، وأرخ لكتابته النص بتاريخ 30 أكتوبر 1984، ووسمه بـ (الديباجة)، تحدث الأستاذ محمود عن أخطاء الحكم النيابى فى السودان. وفى حديثه عن الأخطاء حلل العوامل والمعطيات التى تحكمت فى مساره وأحدثت الضرر فى أرثه، كما أشار إلى ظلال تلك الأخطاء على اتفاقيات مياه النيل. كتب الأستاذ محمود فى الديباجة[1] صفحة (3)، وهو يتحدث عن فترة الحكم النيابى الأول مشيراً إلى **صحيفة أنباء السودان** بتاريخ 1958/11/14، **وصحيفة الرأى العام** بتاريخ 1958/11/9، فكتب قائلاً: "فقد كانت الحكومة ائتلافية بين **حزب الأمة، وحزب الشعب** - حزبى الطائفتين ذواتى الخصومة التقليدية، طائفة الأنصار، وطائفة الختمية.. ودخلت البلاد فى أزمة سياسية من جراء عدم الانسجام فى الوزارة، وبروز الاتجاه للالتقاء بين **الحزب الوطنى الاتحادى،** الذى كان فى المعارضة، **وحزب الشعب،** عن طريق وساطة مصر.. فسافر رئيسا الحزبين، السيد إسماعيل الأزهرى، والسيد على عبد

(1) محمود محمد طه، **الديباجة**، مصدر سابق، ص 3.

الرحـمن، إلى مصـر، لهذا الغـرض.. ولقد نسب لرئيس الوطنى الاتحـادى تصريح ، بمـصر، يعتـرف فيـه باتفاقـية 1929، التى كانـت حكومة السودان الشـرعيـة قــد ألغتـها..) - وهى الاتفاقية التى أُبرمت فى الماضى بين دولتى الحكم الثنائى، بريطانيا، ومصر، بينما كان السودان غائبا، تحت الاستعمار، فأعطت السودان نصيبا مـجحفاً من مياه النيل، بالنسبة لنصيب مصر.. وكان ذلك الاعتراف بالاتفاقية بمثابة مساومة مع مصر لتعين الحزب على العودة للحكم.. كما صـرح رئيس **حـزب الشـعب**، بمصـر، بأن حـزبه يـقف فى المعـارضـة!! (**أنبـاء السـودان** 1958/11/15، **الرأى العام** 1958/11/9)" وأضـاف الأستـاذ مـحـمود قـائلاً: "فى هــذا الجـو السيـاسى الذى يهـدد استقـلال البـلاد، وسيادتـها، بالتـدخـل الأجنبى، سلم السيد عـبد الله خليل رئيس الـوزراء، الحكــم للجيش)".. المصدر كـما أشار إليـه الأستـاذ محمـود: أقوال الفـريق عـبود فى الـتحـقـيق الجنائى حـول الانقـــلاب بعد ثورة أكـتـوبر 1964. "التـجـربة الديمقراطية، وتطور الحكم فى السودان، للدكتور إبراهيم محمد حاج").

فى تقديرى أن سلمان محمد أحمد سلمان ليس بالرجل المتـهم فى احترامه للأستاذ محمود أو فى عدم تقديره لجهود الآخرين أو يمكن أن يكون متهماً بالسعى لتغييب الأستاذ محمود عن الذاكرة الجمعية. فالدكتور سلمان رجل أكاديمى ويعرف جيداً المبادئ والأسس الأكاديمية وهو رجل متمكن وعالم بل حجة فى سيـاسات وقوانين المياه، وصاحب باع وخبرة طويلة فى المنابر الأكاديمية والبحثية وفى المؤسســات العالمية. لهذا فإننى أرجو منه أن يتدارك ما أطلقه من أحكام على موقف القوى السياسيــة والمثقفين من اتفاقية مياه النيل، بأن التأييد للاتفـاقية كان بالإجماع المطلق، خاصة بعـد أن علم بأن موقف الأستاذ مـحمود لم يكن مؤيداً بل مـقاوماً لاتفاقيـة مياه النيل. لهذا يصعب قبول قول سلمان بأن تأييد القوى السـياسية للإتفاقية كان بالإجماع المطلق. هنا نحن أمام خلاصة محددة وهى إما أن يكون لدى سلمان مـا يؤكد زعمه بشأن تأييد الأستاذ محمود **والحزب الجمهورى** للاتفاقية مثلما استعرض بيانات التأييد من قبل قادة الأحزاب أو أنه لم يسعى لمعـرفة موقف الأستاذ مـحمود و**الحزب الجمـهورى**. يضاف إلى ذلك فإنه حتى ولو سعى لمعرفة موقف **الحزب الجمهورى** فإنه لم يورد ذلك فى حديثه الـتلفزيونى، وقد أشار إلى سعيه لمعرفة موقف الإخوان المسلمين **والحزب الشيوعى السودانى** من الاتفاقية. أكثر من ذلك، فإن سلمان تحدث عن جـولات المفاوضات والتى بدأت قبل سنوات من توقيع الاتفاقـية فأشار

إلى الجولة الرابعة التى كانت فى عام 1957 والجولة الخامسة فى يناير 1958 والتى توقفت بسبب مشكلة حلايب، وخلال كل هذه الفترة كان الأستاذ محمود حاضراً بالندوات وبكتابة المقالات فى الصحف عن سير المفاوضات وما ينبغى أن تكون عليه وما ينبغى أن يكون عليه موقف الحكومة، وربما لا نجد مواقف مثل هذه المواقف من القوى السياسية الأخرى. أبلغ من ذلك فإن الأستاذ محمود طالب الحكومة بضرورة إشراك الرأى العام فى سير المفاوضات وتمليكه الحقائق بشأن الإتفاقية، لأن الاتفاقية شأن يتصل بمصالح ومستقبل الشعوب.

إنني آمل أن يعيد سلمان النظر ويصحح هذا الأمر بأن يعطى هذه الجهود الضخمة التى بذلها الأستاذ محمود، وقد أشرت إلى نماذج منها وباختصار، فى مقاومة اتفاقية مياه النيل عام 1959، حقها من التقدير والاعتبار ويرصدها فى حججه وخبرته. كما أذكر الباحثين والأكاديميين والمتخصصين الذين يقومون بالدراسات والبحوث أو أولئك الذين يودون إجراء مراجعات، تلفزيونية، أو إذاعية أو منشورة كتابة، عن الإرث الفكرى والسياسى والثقافى أن يضعوا الأستاذ محمود ضمن مراجعهم ومصادرهم. فآراء الأستاذ محمود فى قضايا السودان والإسلام والإنسان والسلام والمستقبل، منشورة فى كتبه وموثقة، وقد كان شديد الحرص على التوثيق، فى مقالاته وبياناته ومناشيره وفى الدوريات السودانية منذ أربعينيات القرن الماضى، وقد وقفت على كم ضخم منها **بدار الوثائق القومية** بالخرطوم.

جدير بالذكر أننى عزمت على اصدار ما جمعته من مادة بشأن مقاومة الأستاذ محمود لإتفاقية مياه النيل عام 1959، وقد قدمت هنا بعض من تلك المادة(1)، إلى جانب ما جمعته من بيانات وآراء للأستاذ محمود عن مسألة الحدود وتطورات مشكلة مياه النيل وتأثيرهما على مستقبل العلاقات بين مصر والسودان، عزمت على اصدار كتاب بعنوان: **الأستاذ محمود محمد طه واتفاقيات مياه النيل والحدود**. وآمل أن أدفع به إلى المطبعة قريباً.

---

(1) نشرت بعض هذه المادة فى مقال من ثلاث حلقات بعنوان: "مراجعة لمراجعات سلمان والطاهر حسن التوم: لا يا سلمان!! التأييد لاتفاقية مياه النيل لم يكن بالإجماع المطلق!!"، **بصحيفة الصحافة بالخرطوم** فى أيام 18، 20 و31 يوليو 2013، وكذلك فى **صحيفة التغيير الإليكترونية، وصحيفة سودانايل الإليكترونية، وصحيفة حريات الإليكترونية**، ومواقع إليكترونية أخرى. كما عقب سلمان محمد أحمد سلمان بمقال: «الحزب الجمهورى واتفاقية مياه النيل تعقيب على الأستاذ عبدالله الفكى البشير»، نشر فى حلقتين **بصحيفة الصحافة** فى يومى 3 و6 أغسطس 2013م.

بناء الذاتية السودانية وإزالة الفوارق واتحاد الأغراض والمنافع

تظل مكانة الجمهوريين فى الساحة السودانية شاغرة لم يملأها أى تيار سياسى أو فكرى. كم رغبنا أن يساهم الجمهوريون فى تبصير الناس بحقائق الإسلام السمحة. إن بلادنا شهدت حرباً طويلة نتيجة للانسداد فى البصائر (1).

ياسر عرمان

استشعر الأستاذ محمود منذ وقت باكر قضايا السودان، وخاطب جذورها وأسبابها، وتنبأ بما ستكون عليه أحوال السودان، والتى نعيشها اليوم، من صراعات وانقسامات وتشظ. لقد سعى الأستاذ محمود، منذ أربعينيات القرن الماضى، بقوة لدرء خطر التهميش، ومحاصرة الفوارق وتذليل أسباب الانعزال بين أقاليم السودان المختلفة، ودعا لتحقيق الوحدة عبر إزالة الفوراق واتحاد الأغراض والمنافع والإحساس بين أجزاء السودان. استخدم الأستاذ محمود فى تبليغ رؤيته السياسية، أدوات المثقف الحداثى، فكتب المقال ونشر البيان والكتاب ونظم المحاضرات فى العاصمة الخرطوم وفى أقاليم السودان المختلفة. قدم الأستاذ محمود نموذج المثقف المواجه الحر صاحب الرؤية السياسية الثاقبة، وبثوابت أخلاقية تجاوزت حقبة الحداثة لتلتقى مع أسئلة اليوم، أسئلة حقبة ما بعد الحداثة، وأهمها سؤال الأخلاق. نظر الأستاذ محمود فى واقع السودان وما انطوى عليه من تنوع وتعقيدات استعمارية وتداخلات فى سيرورته التاريخية، فشخص القضايا وحلل المعطيات، وطرح الحلول والمعالجات الناجعة. وفى كل ذلك كان يرمى، كما أوضح، إلى بناء الذاتية السودانية وتأسيس الوحدة على أسس العدل التنموى بإزالة الفوارق. ولما كان التوثيق أحد أهم مرتكزات مشروع الأستاذ محمود، فإنه عكف على كتابة أطروحاته فى معالجة القضايا وظل ينشرها فى الصحف اليومية وفى الكتب منذ عام 1945 وحتى 18 يناير 1985. ففى دستور **الحزب الجمهورى** الذى ترأسه الأستاذ محمود منذ نشأته، والذى نشر فى يوم 26 أكتوبر من عام 1945، وفى الحديث عن الذاتية السودانية وضرورة العناية بالوحدة القومية، جاء فى دستور الحزب: "نرمى بذلك إلى خلق سودان يؤمن بذاتية متميزة ومصير واحد وذلك بإزالة الفوارق

---

(1) ياسر عرمان، "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، رصد علاء الدين بشير، اللجنة القومية للاحتفال بالذكرى الثانية والعشرين لاغتيال الاستاذ محمود محمد طه ويوم حقوق الانسان السودانى، بالتعاون مع سكرتارية الشباب والطلاب بالحركة الشعبية قطاع الشمال، اليوم المفتوح بدار الحركة بالمقرن، **صحيفة الصحافة**، 19 يناير 2007، الخرطوم.

الوضعية من اجتماعية وسياسية، وربط أجزاء القطر شماله وجنوبه وشرقه وغربه حتى يصبح كتلة سياسية متحدة الأغراض متحدة المنافع متحدة الإحساس"[1]. ثم يتحدث الأستاذ محمود عن الفرد وعن أهمية إشراكه فى حكم نفسه، وخدمة نفسه ومجتمعه، وكيف أنه بهذا الصنيع يجد الناس فرص التحرر والترقى. يقول الأستاذ محمود:

إن اهتمامنا بالفرد يجعلنا نتجه، من الوهلة الأولى، إلى إشراكه فى حكم نفسه بكل وسيلة، وإلى تمكينه من أن يخدم نفسه ومجموعته فى جميع المرافق، التشريعية والتنفيذية والقضائية وذلك بتشجيع الحكم الذاتى، والنظام التعاونى ولما كان السودان قطراً شاسعاً وبدائياً فإن إدارته من مركزية واحدة غير ميسورة، هذا بالاضافة إلى ما تفوته المركزية على الأفراد من فرص التحرر والترقى والتقدم، بخدمة أنفسهم ومجموعتهم[2].

ظل الأستاذ محمود مشغولاً بأهل الأقاليم وقضاياهم، كان لا يكتفى بتقديم المحاضرات فى العاصمة الخرطوم، وإنما كان على الدوام يذهب إلى مدن وقرى السودان المختلفة متحدثاً عن السودان والإسلام والسلام والإنسان. كما كتب من وقت باكر عن قضايا أهل الأطراف. وظل يراهن على أن السودان هو ذخر الإنسانية، يقول الأستاذ محمود: "ويؤمن **الحزب الجمهورى** ايماناً لا حد له بالسودان ويعتقد أنه سيصبح من الروافد التى تضيف إلى ذخر الإنسانية ألواناً شهية من غذاء الروح وغذاء الفكر إذا آمن به ابناؤه فلم يضيعوا خصائصه الأصيلة ومقوماته بالاهطاع نحو الغرب ونحو المدنية الغربية فى غير رويّة ولا تفكير[3].

الأستاذ محمود والدعوة للاتحادات الفدرالية وقراءة فى مؤتمر البجة

أنا من الداعين للاتحادات الفدرالية لجميع مناطق السودان لأن الحكم المركزى لن يستطيع أن يطور هذه المناطق بالسرعة اللازمة ولأن اختلاف هذه المناطق يجعل التشريع المركزى الموحد غير صالح لإدارتها[4].

محمود محمد طه

(1) الحزب الجمهورى، "مذكرة تفسيرية"، **السفر الأول**، مصدر سابق، ص 1-2.
(2) محمود محمد طه، **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، مصدر سابق، ص 6.
(3) محمود محمد طه، **السفر الأول**، مصدر سابق، ص 6.
(4) محمود محمد طه، "نظرات فى السياسة الداخليةوالخارجية"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 164، 18 أكتوبر 1958.

وقف الأستاذ محمود باكراً على قضية أهل شرق السودان. ففى مقال نشره فى يوم 18 أكتوبر 1958، تضمن نظرات فى السياسة الداخلية والخارجية، خصص الأستاذ محمود مساحة للحديث عن مشكلة أهل الشرق تحت عنوان: "مؤتمر البجة"[1]. لم يقف الأستاذ محمود عند تسليط الضوء فحسب، وإنما قدم أطروحات للحلول ولفت الانتباه إلى القضية، ودعا إلى الأخذ بنظام الاتحادات الفدرالية لجميع مناطق السودان. كتب الأستاذ محمود قائلاً بأنه: "من الداعين للاتحادات الفدرالية لجميع مناطق السودان لأن الحكم المركزى لن يستطيع أن يطور هذه المناطق بالسرعة اللازمة ولأن اختلاف هذه المناطق يجعل التشريع المركزى الموحد غير صالح لإدارتها". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "إن الحكم الفدرالى لأي منطقة لا يجئ بالتمنى وإنما يجئ بالاستعداد للوفاء بالتزاماته فهو يحتاج الى كفاية إدارية، وكفاية فنية، وكفاية اقتصادية". واتبع قائلاً: "ولست أزعم أن هذه الأمور لا يمكن أن تتوفر فى أى وقت من الأوقات حتى لأشد المناطق تخلفاً ولكنى أزعم انها تأخذ وقتاً وما يجب أن يمضى هذا الوقت ونحن نسير على هدى حكم مركزى بدعوى أننا بهذا الحكم المركزى نوجد احتياجات الحكم الفدرالى للولايات السودانية ثم بعد ذلك نعطيها إياه لأن هذا رأى أفل"[2]. ثم تحدث عن أن الناس لا يمكن أن يتعلموا المسؤولية إلا بمباشرتها، ولا يمكن أن يتعلموا الحرية إلا بممارستها، وأن الحكومة يجب أن تعينهم لا أن تتولى عنهم حل مشاكلهم، يقول الأستاذ محمود: "إن الناس لا يمكن أن يتعلموا المسئولية إلا بمباشرة المسئولية ولا يمكن أن يتعلموا الحرية إلا بممارسة الحرية ويجب لذلك أن تضع الحكومة الناس مباشرة أمام مشاكلهم وتحاول أن تعينهم على حلها لا أن تتولاها عنهم"[3]. ثم أشار الأستاذ محمود إلى ما يجب أن يُعطى من مسؤوليات، فكتب قائلاً: "غير أنه يجب ألا تعطيهم من هذه المسؤوليات إلا ما هم مليون بالاضطلاع به". وقدم مثالاً لشرح الفكرة فقال: "فمثلاً الحكم الذاتى الداخلى للولايات يمكن أن يبتدئ من أول السلم وقد تكون السلطات الممنوحة لأجهزه الولايات فى هذه المرحلة لا تزيد عن السلطات الممنوحة للحكومات المحلية ولكن يكون واضحاً من البداية أن السير سيطرد فى طريق الحكم الذاتى الداخلى لا طريق الحكومات المحلية"[4].. ثم أضاف محيلاً

---

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.
(4) المصدر السابق.

القارىء إلى كتاب أصدره عام 1955، قائلاً: "ولقد فصل **الحزب الجمهورى** هذه المسألة فى الكتيب الذى أخرجه للناس عن أسس دستور السودان فى أواخر عام 1955".

لقد لفت الأستاذ محمود الانتباه باكراً إلى أن أقاليم السودان المختلفة فى الشرق والغرب والشمال تحمل بعض سمات الاختلاف. فقد دعا لضرورة تصور الأبعاد الحقيقية لمشكلة الجنوب ومواجهتها بشجاعة، فالجنوب الذى يحمل اختلافاً فى اللغة والعقيدة والعنصر والجغرافيا، ليس بدعاً فى هذا الاختلاف، كتب الأستاذ محمود ضمن بيان بعنوان: **مشكلة الجنوب**، قائلاً: "وفى الحق أن الجنوب ليس بدعاً فى هذا الاختلاف وإنما هناك سمات من هذا الاختلاف فى شرق السودان وفى غربه وفى شماله عن وسطه وكل ما يقال عن الجنوب أن الاختلاف فيه أشد توكيداً وأبلغ ظهوراً من ما هو فى بقية الأجزاء[1].

جنوب السودان: المشكلة والحل[2]

إن الاستعلاء بالإيمان عند الأستاذ محمود هو الخلفية الفكرية التى يستند عليها الاستعلاء العرقى والذى ناضل الأستاذ محمود من أجل نشر الوعى المضاد له[3].

أسماء محمود محمد طه

لقد أولى الأستاذ محمود قضية الجنوب عناية خاصة. كتب عنها الكتب والمقالات ونشر المناشير والبيانات، منوراً بها ومشخصاً أسبابها ومقدماً المقترحات بشأن حلها، وهى عنده النموذج المصغر لمشاكل الإنسانية المعاصرة. وفى هذا المحور سأقدم إضاءة مختصرة، مع الإشارة لبعض المصادر والمراجع لمن يرغب فى المزيد من التوسع. كتب الأستاذ محمود فى **السفر الأول** الذى صدر فى أكتوبر عام 1945، قائلاً: "والمكان الأول من هذه العناية سينصرف لمواطنينا سكان الجنوب الذين قضت عليهم مدنية القرن العشرين أن يعيشوا حفاة عراة جياعاً

---

(1) محمود محمد طه، **مشكلة الجنوب**، (بيان)، مصدر سابق.

(2) فى إشارة لكتاب: الإخوان الجمهوريين، **جنوب السودان: المشكلة والحل**، أمدرمان، 1982، ص 48.

(3) أسماء محمود محمد طه، "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، رصد علاء الدين بشير، مرجع سابق.

مراضاً بمعزل عنا"[1]. ولعل القارىء حينما يقرأ أطروحات الأستاذ محمود ورؤيته السياسية عن قضية جنوب السودان أو أطراف البلاد الأخرى، والتى عبر عنها منذ الأربعينيات والخمسينيات، يشعر كأنها قد كتبت صباح اليوم. لقد جاء فى كتاب الإخوان الجمهوريين: **جنوب السودان: المشكلة والحل**[2]، فى محور: "موقف الجمهوريين من مشكلة الجنوب"،قولهم: "هنا سنبين الموقف السياسى والفكرى للجمهوريين من مشكلة الجنوب، ويهمنا، بصورة خاصة، أن نبرز الحل الحضارى الذى يقدمه الجمهوريون لهذه المشكلة.. هذا الحل الذى هو الحل النهائى لها، وهو، فى نفس الوقت، الحل الذى يقدمه الجمهوريون لمشاكل الانسانية المعاصرة، والتى ما مشكلة الجنوب الا صورة مصغرة لها"[3].وفى هذا المعنى، يقول الأستاذ محمود:

إن المشاكل الراهنة لأى بلد هى فى حقيقتها صورة مصغرة لمشاكل الجنس البشرى جميعه، وهى فى أسها، مشكلة السلام على هذا الكوكب، وعندنا أنه من قصر النظر أن نحاول حل مشاكل مجتمعنا السودانى داخل حدودنا الجغرافية، من غير أن نعبأ بالمسألة الإنسانية العالمية، ذلك بأن هذا الكوكب الصغير الذى نعيش فيه قد أصبح وحدة ربط تقدم المواصلات الحديثة السريعة بين أطرافه ربطاً يكاد يلغى الزمان والمكان إلغاء تاماً، فالحادث البسيط الذى يجرى فى أى جزء من اجزائه تتجاوب له فى مدى ساعات معدودات جميع الأجزاء الأخرى، يضاف إلى هذا أن هذا الكوكب الصغير الموحد جغرافياً، إن صح هذا التعبير، تعمره إنسانية واحدة، متساوية فى أصل الفطرة، وأن تفاوتت فى الحظوظ المكتسبة من التحصيل والتمدين. فلا يصح عقلاً أن تنجب قمتها الإنسان الحر، إذا كانت قاعدتها لا تزال تتمرغ فى أوحال الذل والاستعباد، أو قل، على أيسر تقدير، انه لا يمكن أن يفوز جزء منه بمغنم السلام والرخاء إذا كانت بعض أجزائه تتضرم بالحروب، وتتضور بالمجاعات[4].

لقد تحدث الأستاذ محمود قبل ستة عقود ونصف من الزمان، بلسان المستقبل، وببصيرة العارف، وحكمة الحكيم الذى أوتى الخير الكثير. دعا باكراً إلى الحاجة لتنمية الوعى بالذاتية

---

(1) محمود محمد طه، **السفر الأول**، مصدر سابق، ص 9.

(2) الإخوان الجمهوريين، **جنوب السودان: المشكلة والحل**، أمدرمان، 1982، ص 48.

(3) المصدر السابق، ص 48.

(4) المصدر السابق، ص 48.

السودانية. ونادى بإقامة المشاريع التنموية فى مختلف أجزاء القطر، لإزالة الفوارق بين المجموعات البشرية. وحثّ على ضرورة العمل منذ ذلك الوقت على ربط أجزاء القطر بسبل النقل والمواصلات حتى تتحقق وحدة المنافع والإحساس. كتب الإخوان الجمهوريون قائلين: "إن حل مشكلة الجنوب فى حل مشكلةالشمال.. فالشمال والجنوب لا تحل مشكلتهما إلا بالمذهبية التى توحد، مشاعر الشعب وتوحد أفكاره.. ولقد اقترحنا الحكم اللامركزى الفدرالى ليس للجنوب فحسب بل لأقاليم السودان الخمسة وجاء هذا فى كتابنا **أسس دستور السودان** بتاريخ 1955، وقد قابله الناس فى ذلك الوقت بالاستغراب وعدّوه تفتيتاً للقطر وفصلاً للجنوب"[1]. وحول هذا المعنى تحدث منصور خالد فى محاضرة له قائلاً:

"فى أخريات الأيام أخذنا نتدفق على الفدرالية وكأنا قد اكتشفنا الوجه الآخر للقمر؛ الدعوة للفيدرالية جاهر بها فى الشمال قبل نصف قرن (ديسمبر 1955) الأستاذ محمود محمد طه فى كتاب عنوانه: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية.** ففى شمال السودان، إذن، لم تكن الفيدرالية كشفاً "انقاذياً" ولا ابتداعاً جيبوتياً. ولا غضاضة فى أن يتعلم الناس من أخطائهم، كلنا يتعلم من أخطائه ويعترف بها ويدين بالشكر لمن أعانه على تدبر الصواب؛ المنقصة تكون عندما يدفع الرضا بالنفس بعض الناس لعدم الاعتراف بأخطائهم الماضية بل ولتجاهل من سبقهم إلى الحق، ثم الادعاء بأنهم أهل الكشف المبين"[2].

كان الأستاذ محمود صاحب نظر بعيد، وصاحب منظار شامل ومتكامل. يُمعير الأمور والأحداث بمعيار العارف المفكر الكبير، المتأمل للصورة الكلية والمشهد المتكامل، لا بمعيار السياسى، قصير النظر، ناقص النضج، يافع الخبرة والتكوين.

ظل الأستاذ محمود مسكوناً بحب السودان، ومهموماً بمستقبل شعوبه وأراضيه، إلى الحد الذى يجعلك تشعر بأنه كان مهموماً بالمستقبل أكثر من الحاضر، ويُعَوّل على الأجيال الجديدة واللاحقة، ويُراهن عليها فى إحداث التغيير، وفى القدرة على استيعاب اطروحاته. تلمس ذلك فى كتبه وفى محاضراته. كان موضوع حب السودان ومستقبل مساره، من أهم محاور كتاباته ومحاضراته،

(1) الإخوان الجمهوريون، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية**، الكتاب الثانى، 1976، أمدرمان، ص 12-15.
(2) منصور خالد، **جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى**، مرجع سابق، ص 330.

وأحاديثه فى مجلسه. وقد صدرت هذا المحور بكلمات كتبها تاج السر حسين بتاريخ 27 يناير 2007 ضمن مقال عنوانه: "محمود محمد طه الذى عرفته.." ثم أشار تاج السر كما ورد أعلاه، بأن أكثر ما علق بذاكرة تاج السر من حديث الأستاذ محمود قوله: "حب السودان من حب الله"!.

رؤية الأستاذ محمود لدستور السودان

إن السودانيين يعيشون فى ظلام منذ الاستقلال وحتى اليوم، إذا كنا نريد النور لما قتلنا الأستاذ محمود محمد طه. إن الأستاذ محمود فكر من داخل الفضاء الإسلامى ولكن رؤاه استوعبت غير المسلمين لأنها غير منحازة للعروبة ولا للدين بشكل متعصب وإنما كانت للمواطن السودانى من حيث أنه سودانى[1].

أتيم قرنق، يناير 2007

ارتبط وضع الدستور الدائم فى تاريخ السودان بالتغيير السياسى. فكلما بدأ الحديث عن وضع الدستور الدائم، جاء الجدل حول الدستور الإسلامى، فيتبعه تغيير سياسى. حدث ذلك أيام لجنة الدستور القومية عام 1956. فمشروع الدستور الذى أعدته اللجنة لم يعرض على الجمعية التأسيسية حتى وقع الانقلاب العسكرى يوم 17 نوفمبر 1958[2]. وحدث ذلك فى عام 1969، يقول عبدالماجد أبو حسبو (1919-1985): "عندما وضعت اللجنة مشروع الدستور الدائم كنت وزيراً للعدل وكانت وزارة العدل بحكم وظيفتها مسئولة عن الصياغة وعن مشروعات القوانين... عرض الدستور على الجمعية التأسيسة لدراسته ومناقشته وإقراره وتمت بالفعل القراءة الأولى والثانية وأجيزتا، وقبل القراءة الثالثة والأخيرة وقع انقلاب 25 مايو سنة 1969"[3]. أيضاً، على إثر قوانين سبتمبر عام 1983، انهارت اتفاقية أديس أبابا الموقعة عام 1972، ومع تداخل عوامل أخرى جلها يتصل بقوانين سبتمبر حدث التغيير السياسى عام 1985. ثم كان دستور جمهورية السودان الانتقالى لسنة 2005 الذى أجازه المجلس الوطنى فى السادس من يوليو 2005، وارتبط بتوقيع **اتفاقية السلام الشامل** فى

---

(1) أتيم قرنق، مصدر سابق.

(2) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 68-72.

(3) عبد الماجد أبو حسبو، **مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان**، ج 1، دار صنب للنشر والتوزيع، الخرطوم، 1987، ص 267-268.

ينايـر 2005، وأحدث تغـييراً سيـاسياً تمثل فى مشـاركة **الحركة الشـعبية لتـحرير السودان** فى الحكم وفقـاً لنسب متفق عليـها، إلى أن اختارت شـعوب جنوب السودان الانفـصال وأعلن الانفصال رسميـاً فى التاسع من يوليو عام 2011. واليوم فى السودان يجرى الحديث والجدل بشأن وضع الدستـور الدائم. فهل يا ترى هذه المرة ستكون كسـابقاتها، بأن يحدث تغـيير قبل اعتمـاد الدستور الدائم؟ أم أن هناك معطيـات ومتغيـرات تسير بالأمر فى وجهـة تختلف عن وقائع التـاريخ فى السودان، والتى تقول بفـصاحة وبالوثيـقة وبالسوابق، أن دسـتوراً دائماً فى السودان يعنى تغـييراً سياسـياً. وفى تقديرى أن هذا أمر يعـود إلى طبيعة بيـئات ومجتـمعات التنوع والتعـدد الثقـافى، فوضع الدسـتور الدائم لشعوب مـثل شعوب الـسودان، ظل التنوع والتعدد الثقافى حقيقة تاريخيـة وواقعاً، لا يمكن أن يمر بسلام إلا إذا أخذ فى الاعتبار طموح وآمال هذه الشعوب على النحو الذى طرحه وأسس له الأستاذ محمود من وقت باكر.

الدستور صياغة لأمل الأمة

إن خطر رجال الدين فى بلدنا يأتى فى الدعوة إلى الدستور الإسلامى ولابد أنه إذا طبق الدستور الإسـلامى كمـا يريدون فإنهم سـيكونون أصحـاب السـيادة وحماة الدستور، ويومها أي جهل وأي ظلام سيطبق على بلادنا (1).

عبدالرحيم الريح

برغم التنوع الـدينى فى السـودان. فـإن السـودان منذ اسـتـقـلاله لم تغب عن سـمـائه الدعوات للدستور الإسلامى وتطبيق الشريعة الإسلامية على المستوى الرسمى للدولة، عدا فترة توقيع اتفاقية أديس أبابا (1972-1983)، والتى انهارت بسبب قوانين سبتمبر 1983 (ما سمى بتطبيق الشريعة الإسلامـية). ففى فترة الحكم العسكرى الأول (1958-1964) أُعلنت سيـاسة نحو الجنوب تقـوم على فرض الإسلام واللغـة العربية وإصـدار قانون الجمعـيات التبـشيـرية عام 1962 وطرد المبشـرين بدعوى تدخلهـم فى شؤون السودان الداخـلية وفى إذكاء الحـرب الأهلية والصـراعات الدينيـة بين المسلمين والمسـيحـيين(2). وفى عام 1965

(1) عبـدالرحيم الريح، "حاجـة البشرية إلـي الرسالة الثانيـة من الإسلام"، **الجمـهورية**، مجلة الحـزب الجمـهورى الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 17 ابريل 1969، ص 13.

(2) محمد عمر بشير، **مشروع الدولة السودانية الديمقراطية: قضايا وإشكاليات البناء الوطنى**، مرجع سابق، ص 26.

طُرح مشروع للدستور الإسلامى، وتم حل **الحزب الشيوعى** بقرار من البرلمان بحجة أنه يدعو إلى الإلحاد وأنه مناهض للإسلام. وفى عام 1968 ناقشت الجمعية التأسيسية مسودة الدستور الإسلامى، وقبل إجازته وقع انقلاب مايو عام 1969. وفى عام 1983 صدرت قوانين سبتمبر التى فجّرت الحرب الأهلية مرة أخرى فى جنوب السودان. وخلفت جراحاً وآثاراً يصعب علاجها على المدى القريب.

الشاهد أن الدعوة للدستور الإسلامى كانت موضع تأييد من كل الأحزاب الطائفية وجبهة الميثاق (الإخوان المسلمين). بينما كان الأستاذ محمود على الدوام ضد الدستور الإسلامى الذى طرح، ووسمه بالدستور الإسلامى المزيف، وناهضه بقوة. كانت للأستاذ محمود رؤية خاصة وباكرة لدستور السودان، جاءت فى كتابه: أسس **دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، الذى نشر عام 1955، وقد وردت الإشارة إليه آنفاً، كما يمكن للقارئ أن يطلع عليه على موقع الفكرة الجمهورية على شبكة الإنترنت[1]. يضاف إلى ذلك فإن الأستاذ محمود كتب كثيراً عن الدستور فى مجتمعات التنوع والتعدد الثقافى، وتحدث عن مفهومه والأسس والملامح التى ينبغى أن يكون عليها دستور السودان. ففى محاضرة قدمها عام 1969، وهى مسجلة بصوته، قال الأستاذ محمود[2]:

الدستور عبارة عن صياغة أمل الأمة... وهو أمل كل الشعب، أقليته وأغلبيته... الكلام عن أن الدستور الإسلامى يعطى الأقليات حرية العبادة، هذا كلام ليس له قيمة بالمرة. لأنك حينما تتكلم عن الدستور أنت تتكلم عن الديمقراطية، والديمقراطية هى فرص التساوى بين المواطنين من حيث هم مواطنون.

وعن الرأى السائد بأن الدستور يجب أن يستمد من مذهب الأغلبية أو دين الأغلبية، قال الأستاذ محمود:

هذا خطأ بحقيقة الدستور. الدستور يجب أن يستمد من الفكرة التى توحد الشعب كله. الدستور ليس فيه أغلبية أو أقلية، لكن فى الإدارة والتنفيذ تأتى

---

(1) موقع الفكرة الجمهورية على شبكة الانترنت: www.alfikra.org

(2) محمود محمد طه، "الدستور الإسلامى المزيف"، (محاضرة)، دار الحزب الجمهورى، أمدرمان، 1969. منشورة بموقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: http://www.alfikra.org

الأغلبية والأقلية. في الوضع الديمقراطي الدستور يجب أن يكون حق كل الناس وأمل كل الناس وتطلع كل الناس... بمعنى أن رئيس الدولة يمكن أن يترشح من أي جهة من الأقلية المسيحية أو الأقلية الوثنية أو أي جهة، حسب الديمقراطية هذا هو الوضع. هؤلاء الأغلبية يستطيعون أن يفوِّزوا مرشحهم، لكن أولئك لا يمكن أن يحرموا دستورياً من هذا الحق على اعتبار أنهم هم أقلية [1].

وعن أسس دستور السودان الدائم قال الأستاذ محمود: "إن أسس دستور السودان الدائم يجب أن تقوم على الأصول التي يلتقي فيها الناس وهي أصول الإنسانية..." [2]. الشاهد، أنه على الرغم من المساهمة والإنتاج الفكري الكبير للأستاذ محمود، وهو إنتاج جديد ونوعي في السودان، ظل موقف معظم القادة والمثقفين - ولا يزال - مقاطعاً للأستاذ محمود، وظلت المؤسسات الأكاديمية مهمشة لإنتاجه المعرفي، ومهملة لآرائه الفكرية والسياسية. بل لا يجرؤ أحد من المثقفين، حتى يومنا هذا، (ما عدا أصحاب العقل الحر والفكر المستنير، وهم قليل)، على الاستشهاد بأقوال الأستاذ محمود، أو آرائه، وإن نطق الواقع بصحة أقواله، وأفصحت الأحداث عن عبقرية آرائه وسلامتها. لقد ظل الجميع يجردون الأستاذ محمود من حقوقه الفكرية والمعرفية، وهي موثقة ومكتوبة، وباخلين بأن ينسبوا إليه صواب الرأي وحكمته، حتى حين أتضح ذلك بعد نصف قرن من الزمان.

الشاهد أن الدعوة لدستور إسلامي في بلد يعيش كِظة التنوع والتعدد الثقافي، لا سيما التنوع الديني، ويبحث عن سبل التعايش بين مجموعاته وثقافاته، هي ليست دعوة قاسية وظالمة في حق غير المسلمين فحسب؛ وإنما في حق المسلمين أنفسهم. فالمسلمون أنفسهم جماعات وفرق ولكل منهم رؤيته وفلسفته ومدرسته الخاصة في فهم الإسلام، وهذا في حد ذاته يُغني عن الحديث عن وضع غير المسلمين أمام الدستور الإسلامي. وخلاصة الأمر أنه ليس هناك فرصة في مجتمعات التنوع الثقافي كحال السودان سوى اعتماد الدولة المدنية على أساس المواطنة، بتساوي جميع المواطنين من حيث هم مواطنون.

---

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.

نحو بناء سلطة للمثقف: مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية 1965

التعليم يجب أن يكون هدفه تحقيق الحياة الكريمة للفرد بتحقيق حريته الفردية، عن طريق مجتمع الديمقراطية والاشتراكية... والتربية... حق لجميع المواطنين، فهى السبيل لتحرير عقولهم وقلوبهم، وفك الحصار المضروب حولهم بسبب الجهل والخرافة والتضليل. ومن جانب آخر فهى السبيل لربطهم ببيئتهم وتدريبهم على العيش فيها وتطويرها وتنميتها(1).

ميرغنى حمزة على (1911-2010)

كان تأسيس "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" عام 1965، على إثر الأزمة العنيفة التى تفجرت بحل **الحزب الشيوعى السودانى** وطرد نوابه من البرلمان، وأثرت تلك الأزمة بشكل سافر على مسار السودان السياسى، وعلى التجربة الديمقراطية فيه. قامت الأزمة بسبب حادثة ندوة معهد المعلمين العالى بأمدرمان، التى نظمتها جبهة الميثاق الإسلامى (الإخوان المسلمون) مساء يوم الاثنين 1965/11/9. ودار نقاش حول موضوع البغاء. فنهض طالب (ورد فى بعض المصادر بأن اسمه شوقى) أعلن أنه ماركسى، وخاض فى حديث الإفك. ففجر حديثه مشاعر غضب وسط جمهور الطلبة، وأصدرت تنظيماتهم بيانات تدين الطالب وتطالب بمعاقبته. كما أصدرت رابطة الطلبة الشيوعيين بياناً وضحت فيه أن الطالب ليس عضواً فى **الحزب الشيوعى**، بل هو يصدر صحيفة حائطية يهاجم فيها الحزب. أما الإخوان المسلمون فحولوا المعركة نحو **الحزب الشيوعى** مصرين على أن الطالب عضو فيه، واتهموا الحزب بالكفر والإلحاد(2). وتطور الأمر بعد ذلك، وصف محمد سعيد القدَّال ذلك التطور قائلاً: "ويبدو أن الأحزاب السياسية قررت استغلال الحادثة لتصفية حساباتها مع **الحزب الشيوعى**. فدفعت بأعداد من مؤيديها لمهاجمة دُور الحزب بالأسلحة وبأسلوب همجى أطلق عليه عبدالخالق "عنف البادية"(3). وما لبث أن

(1) ميرغنى حمزة، "مشكلة التعليم"، **الجمهورية**، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 1969/4/17، ص 2-3.

(2) محمد سعيد القدال، **معالم فى تاريخ الحزب الشيوعى السودانى**، دار الفارابى، بيروت، ط1، دار كوش للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 1999، ص 153.

(3) المرجع السابق، ص 153.

أذيع قرار الجمعية التأسيسية (البرلمان) بحل **الحزب الشيوعى السودانى** وطرد نوابه من البرلمان، وفور إذاعة الخبر جاء نداء من **اتحاد طلاب جامعة الخرطوم** لعقد مؤتمر بدار الاتحاد العام لطلاب **جامعة الخرطوم** لكافة المنظمات الديمقراطية تحت شعار "الدفاع عن الديمقراطية"، كان **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود من بين الحضور. كتب محمد أبو القاسم حاج حمد، وهو من قادة **حزب الشعب الديمقراطى** آنئذ، قائلاً:

*لم يكن **الحزب الشيوعى** وحده فى المعركة ضد حكومة "محمد أحمد المحجوب" القائمة على تحالف **حزبى "الأمة" و"الوطنى الاتحادى"** والمدعومة بالإخوان المسلمين... كما لم يكن عبدالخالق محجوب وحده بقوة **الحزب الشيوعى**... استجاب **حزب الشعب الديمقراطى** على نحو فورى للنداء الذى وجهه اتحاد طلاب جامعة الخرطوم من أجل عقد مؤتمر بدار الاتحاد العام لطلاب جامعة الخرطوم لكافة المنظمات الديمقراطية ينعقد تحت شعار "الدفاع عن الديمقراطية". وهكذا وُلد فى شهر نوفمبر 1965 "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" والذى ضم (32) تنظيماً من بينهم **حزب الشعب الديمقراطى والحزب الشيوعى السودانى** ومنظمات الاشتراكيين العرب **والحزب الجمهورى** الذى يقوده محمود محمد طه*[1].

كان **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود حاضراً فى ذلك التجمع، مع التنظيمات الأخرى، مناصراً ومدافعاً عن الحق الديمقراطى **للحزب الشيوعى السودانى**. كان الأستاذ محمود فى موضوع الحرية وفى مناصرة المثقفين فى حقوقهم لا يتأخر قط. بل كان يسير فى وجهة الحق ولا يعطى بالاً للقطيع. كتب مجذوب محمد مجذوب قائلاً: كنت من الممثلين مع الأستاذ محمود **للحزب الجمهورى** فى مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية أذكر أنه فى أحد الاجتماعات قال الأستاذ محمد ابراهيم نقد (1930-2012) سكرتير **الحزب الشيوعى** عندما طرح الأستاذ محمود مشروعه الرامى إلى سحب البساط من تحت ارجل الطائفية المستغلة للشعب بالإسلام المزيف وذلك بتقديم البديل بالإسلام الواعى وذكَّر (وكثيراً ما ذكر الماركسيين) بأن من مبادئهم أو تكتيكاتهم"أن تقاتل عدوك بسلاحه" فرد نقد: "إن الواحد منا لا ينكر أثر

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل** 1956-1996، مرجع سابق، ص 318-320.

الثقافة الاسلامية فى الشعب السودانى وإن أى دستور لا يرى فيه الشعب ذاتيته لن يستجيب له" ...، رد عليه الأستاذ محمود بأن الإسلام فى حياة الشعب ليس أثراً وانما هو كل حياته.. وإنما فقط يحتاج إلى إحياء وتفعيل.. ولن يتأتى ذلك إلا بتبنى الخط الذى يقدمه الجمهوريون"[1].

حكى الشاعر محمد المكى إبراهيم مشيراً إلى حديث الأستاذ محمود وموقفه فى ندوة شارك فيها الأستاذ محمود مع متحدثين من الأحزاب السياسية. على أثر تداعيات حديث الطالب شوقى الذى تحدث فى ندوة معهد المعلمين العالى مساء يوم الاثنين 1965/11/9، وقاد حديث الطالب شوقى إلى تلك الأزمة التى تمثلت فى حلّ **الحزب الشيوعى**، وسابقة طرد نوابه من البرلمان. قال المكى: "كان المتحدث الوحيد الذى وقف فى صف شوقى هو الأستاذ محمود.. الأستاذ قال للناس ما معناه "أرفقوا بالرجل فهو ومهما كان فعله، فإنه فى النهاية إنسان.." أعجبنى موقف الأستاذ فى تلك اللحظة أدركت أن هذا هو الإنسان الحقيقى، وتقدمت إليه.. مددت يدى إليه وقلت له "أبايعك يا أستاذ" أحيى رجلاً عظيماً وأرفع يدىً محيياً"[2].

الخلط بين الأحزاب الجمهورية والجرأة فى الاستنتاجات العرجاء

*ولما وضحت معالم الخلاف واشتد وطيسه بين الاتحاديين والانفصاليين، نشأ **الحزب الجمهورى**، وهو حزب ينادى باستقلال السودان من مصر وانجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية*[3].

أحمد خير المحامى

إن الخلط بين الأحزاب الجمهورية، أمر شائع بين الكُتاب السودانيين، قد لا ينشغل الباحث كثيراً بهذا الخلط، ولكن يصبح الخلط أمراً واجب التصحيح، حينما تبنى عليه تحليلات ويقود إلى استنتاجات عرجاء، وخلاصات بكماء تقود إلى التضليل والتزوير فى الحقائق كما هو الحال عند شوقى بشير عبدالمجيد فى رسالته للدكتوراة، وورقة محمد وقيع

---

(1) مجذوب محمد مجذوب، **بعض أوراق جمهورى، السودان: بلد وشعب وفكرة**، مصدر سابق.

(2) محمد المكى إبراهيم، "كلمة بمناسبة احياء الذكرى السنوية لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه"، **احتفال احياء الذكرى الثالثة والعشرين لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه، مدينة مونترى**، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، بتاريخ يومى 19-20 يناير 2007.

(3) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 95 ، 96.

الله، وقد وردت الإشارة ة آنفاً لهما. فقد لاحظت أن بعض الباحثين يلقون بالإخفاقات والأخطاء التاريخية، إن كانت هناك ثمة أخطاء وإخفاقات، للأحزاب الجمهورية يلقون بها في ساحة الأستاذ محمود، **والحزب الجمهوري**، على أنها من إخفاقات الأستاذ محمود وأخطائه، وهو منها براء. والمؤسف أن استنتاجات شوقي عبدالمجيد بما فيها من أخطاء شاعت في معظم الدراسات التي اعتمدت على أطروحته (أطروحة الدكتوراة للطالب شوقي - آنئذٍ)، وهي دراسات كثيرة، لا سيما المقررات الدراسية الجامعية. هذا من حيث الخلط الذي تبنى عليها الاستنتاجات والخلاصات. بينما هناك خلط بين الأحزاب الجمهورية لدى بعض المؤرخين والكتاب دون أن تبنى عليه نتائج، وإنما خلط عفوي، لا يذهب مذهب شوقي عبدالمجيد، ومن نماذج ذلك الخلط العفوي ما ورد في كتاب المؤرخ محمد إبراهيم أبوسليم (1927-2004): **بحوث في تاريخ السودان: الأراضي- العلماء- الخلافة- بربر- على الميرغني**، كتب أبو سليم قائلاً: "ولجأ السيد "على" إلى المواجهة البطيئة وتقدم وهو يتحسس طريقه، قدم السيد ميرغني وخلف الله وجماعة **الحزب الجمهوري** فأسسوا **الحزب الجمهوري**، وظل الجمهور ينتظر ليرى هل يقف السيد على مع الجماعة أم لا، وفي وسط هذه الدوامة مات الحزب لفقدان السند الشعبي"[1]. من الواضح أن المؤرخ أبو سليم، يقصد **حزب الاستقلال الجمهوري**. فالحزب الذي حُظي بتأييد السيد على الميرغني، هو **حزب الاستقلال الجمهوري**. الذي كونّه كل من ميرغني حمزة[2] (1895-1973)، وخلف الله خالد، وأحمد حلبي، عام 1955، بعد أن استقالوا من **الحزب الوطني الاتحادي** بزعامة إسماعيل الأزهري. وقد تم حل **حزب الاستقلال الجمهوري** عام 1956. ثم نشأ **حزب الشعب الديمقراطي** الذي قام على سند طائفة الختمية، برئاسة الشيخ على عبدالرحمن الأمين (1906-1983). ثم اندمج **حزب الشعب الديمقراطي** مع **الحزب الوطني الاتحادي** في عام 1965، وتم تكوين **الحزب الاتحادي الديمقراطي**، برئاسة إسماعيل الأزهري، وأصبح الشيخ على عبدالرحمن الأمين نائباً للرئيس[3]. أيضاً، كتب عبد المحمود نور الدائم الكرنكي في

(1) محمد إبراهيم أبوسليم، **بحوث في تاريخ السودان: الأراضي - العلماء - الخلافة - بربر - على الميرغني**، دار الجيل، بيروت، عام 1992، ص 188.

(2) هو غير ميرغني حمزة على (1911-2010) الذي كان من رفقاء الأستاذ محمود، وقد سبقت الإشارة لذلك آنفاً.

(3) محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969)**، مرجع سابق، ص 240.

عموده اليومى بصحيفة **ألوان**، مقالاً بعنوان: "أنا عيسى بن مريم!" قال فيه: "التقيت الدكتور الراحل أحمد صفى الدين عوض فى مكتبه بكلية الاقتصاد **بجامعة الخرطوم**، ليحدثنى عن تاريخ الحركة الإسلامية فى السودان... الدكتور أحمد صفى الدين متزوج من بنت السيد مختار محمد طه، الشقيق الأكبر لـ (محمود محمد طه) مؤسس **الحزب الجمهورى** الاشتراكى. كان من زملائه عند تأسيس الحزب فى الأربعينات الشاعر محمد المهدى المجذوب..."[1]. من الواضح أن عبد المحمود نور الدائم الكرنكى يقصد **الحزب الجمهورى**، وليس **الحزب الجمهورى الاشتراكى**. **فالحزب الجمهورى الاشتراكى** نشأ عام 1951، ودعا إلى استقلال السودان، وقيام جمهورية اشتراكية مستقلة[2]، وكان إبراهيم بدرى (1897-1962) أمينه العام، ومكى عباس (1909-1979)، أحد مفكريه ومنظريه، إلى جانب آخرين.

الشاهد، أن السودان شهد قيام العديد من الأحزاب الجمهورية، كما تبين الوثائق بدار الوثائق القومية والمصادر التاريخية، فقد أفرد أحمد خير المحامى فى كتابه: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، عنواناً جانبياً للحديث عن **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود وعن أعضائه[3]. أما الأحزاب الجمهورية الأخرى فقد وردت الإشارة إليها فى كتاب محمد عمر بشير: **الجلاء والاستقلال**[4]، وهو يتحدث عن الاجتماعات والمداولات حول الحكومة القومية لتحقيق الاستقلال، فقد أورد مداولات الاجتماع الخامس يوم الاربعاء 14 ديسمبر 1995 بغرفة اللجان بمجلس الشيوخ، وبالطبع لم يكن من بينها **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود، وذلك لسبب بسيط وهو أن **الحزب الجمهورى** لم يكن له فى أىٍّ يوم من الأيام عضوٌ نائبٌ بالبرلمان، ولم يتقدم فى أى يوم من الأيام لخوض الانتخابات فى السودان منذ بداية الخمسينيات وحتى تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. كان **الحزب الجمهورى** أول الأحزاب التى نادت بالجمهورية، وكانت الأحزاب الجمهورية الأخرى

---

(1) عبد المحمود نور الدائم الكرنكى، "أنا عيسى بن مريم!"، **صحيفة ألوان**، العدد رقم: 4340، يوم 2010/9/13.

(2) محمد خير البدوى، قطار العمر، **فى أدب المؤانسة والمجالسة، دار النهار للإنتاج الإعلامى**، الخرطوم، 2008، ص 247-257.

(3) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 88، 96.

(4) محمد عامر بشير (فوراوى)، **الجلاء والاستقلال**، الدار السودانية للكتب، مصدر سابق، ص 49.

والتى وقفت عليها فى المصادر السودانية التى اطلعت عليها هى:

1- **الحزب الجمهورى**، الذى ترأسه الأستاذ محمود ونشأ فى 26 أكتوبر 1945.

2- **الحزب الجمهورى الاشتراكى**، الذى نشأ فى السادس من ديسمبر 1951.

3- **حزب الاستقلال الجمهورى**، يناير 1955[1].

4- **حزب الاحرار الجمهورى**، الذى نشأ بعد انقسام **حزب الأحرار**.

الأستاذ محمود فى إرشيف السودان القومى - دار الوثائق القومية

صحيفة الجمهورية فى دار الوثائق القومية

الآن إن زار احدكم مكتب بعثة حكومة الجنوب (جنوب السودان) فى العاصمة الأمريكية واشنطن سوف يرى صورة للأستاذ الشهيد محمود محمد طه تزين المكان. وحسنا فعل القائمون على أمر المكتب لشيخ ضحى بجسده حفظاً لدمائنا نحن[2].

عبد الفتاح عرمان، عام 2010

لقد وردت الإشارة فى الفصل السابق إلى أن النواة الأولى **لدار الوثائق القومية** تعود إلى عام 1916، حيث خصصت الإدارة البريطانية مكتباً لجمع الأوراق المالية والقضائية ثم تطور الأمر فى عام 1948 إلى تأسيس **مكتب محفوظات السودان**، والذى تولى إدارته فيما بعد البريطانى بيتر مالكوم هولت Peter Malcolm Holt (1918-2006). يقول على صالح كرار، الأمين العام الأسبق **لدار الوثائق القومية**: "دار الوثائق هى ذاكرة السودان ومستودع تراثه الوثائقى، وتعد من أقدم وأعرق دور الوثائق القومية بالعالمين العربى والإفريقى إذ تحتل من حيث الأقدمية المرتبة الثانية بعد دار الوثائق القومية المصرية، وتعود جذورها التأريخية إلى عام 1916"[3]. وعن تأسيس **مكتب محفوظات السودان** يقول على صالح

(1) حزب الاستقلال الجمهورى، **دستور ولوائح**، الخرطوم، يناير 1955.

(2) عبدالفتاح عرمان، "وحدة السودان.. ونبوءة محمود محمد طه"، **من موقع سودانايل**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 16 سبتمبر 2010، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

(3) على صالح كرار، "الخدمة الأرشيفية بين النظام اليدوى والآلى فى السودان بإشارة خاصة **لدار الوثائق القومية**"، (المؤتمر العام الأول) **المكتبات السودانية وتحديات القرن الحادى والعشرين**، قاعة الشهيد ،الخرطوم 17-18أكتوبر 1998.

كرار: "أسندت مهمة إدارته إلى لجنة سميت لجنة محفوظات السودان وقد عنى هذا المكتب بجانب جمع الوثائق الرسمية بكافة أنواعها وموضوعاتها، بجمع الوثائق والمعلومات الخاصة التى كانت بحوزة بعض الأسر والأفراد والبيوتات الدينية بالبلاد[1]. تولى هولت إدارة المكتب وساعده فى مهمته محمد إبراهيم أبوسليم (1927-2004)وكان وقتها خريجاً يافعاً من **كلية الخرطوم** الجامعية ثم آلت إليه حين سودنت الوظائف مهام الإشراف على وثائق السودان[2]. وبعد الاستقلال تشعبت مهام مكتب المحفوظات، ونمت لتواكب إعادة هيكلة مؤسسات دولة السودان الحر المستقل، وتساير تصاعد الوعى الفكرى حول أهمية الوثيقة،الأمر الذى أدى لبروز شخصية الدار الاعتبارية بصدور قانون **دار الوثائق المركزية** لسنة 1965، الذى بموجبه عُدل اسم **مكتب محفوظات السودان** إلى **دار الوثائق المركزية**، وحُددت مهام الدار واختصاصاتها، والضوابط التنظيمية التى تحكم حركة الوثائق فيها، وتوضح مصادر اقتنائها، وكيفية الحصول عليها من المؤسسات الحكومية والأكاديمية والأفراد[3]. وفى عام 1982 عُدلت مفردات القانون، وبموجب ذلك التعديل أضحت الدار هيئة ذات شخصية اعتبارية تُعرف بدار الوثائق القومية، وتُدار بمجلس قومى يرأسه الوزير الذى يسميه رئيس الجمهورية (أو رئيس الوزراء)، وجهاز تنفيذى يتصدره الأمين العام ونائبه ومساعدوه فى الإدارات التالية: إدارة الوثائق الحكومية، وإدارة المحفوظات، وإدارة البحوث، وإدارة الشؤون الفنية (الصيانة والترميم)، وإدارة العلاقات العامة والتدريب، وإدارة الشؤون المالية والإدارية[4]. منذ سودنة الوظائف خلف محمد إبراهيم أبو سليم هولت، وظل فى خدمة وثائق السودان جمعاً وحفظاً وبحثاً وتنقيباً وتحقيقاً وترجمةً ونشراً حتى بلوغه سن التقاعد فى عام 1995[5]. فخلفه على صالح كرار. واليوم يتولى كبشور كوكو قمبيل منصب الأمين العام **لدار الوثائق القومية**.

(1) المرجع السابق.
(2) المرجع السابق.
(3) أحمد أبو شوك، "دار الوثائق القومية السودانية: إرث تليد... ومقر جديد"، **السلطة والتراث**، ط1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2007، ص 155.
(4) المرجع السابق، ص 156.
(5) على صالح كرار، مرجع سابق.

حرصت فى كتابى هذا، كما وردت الإشارة فى المقدمة، على الاطلاع على المعلومات والوثائق والوقوف على الأحداث والوقائع فى مظانها وفى مصادرها، وليس هناك مؤسسة أمثل لهذه المهمة من **دار الوثائق القومية** بالخرطوم. ظللت على مدى سنين فى زيارات مستمرة **لدار الوثائق القومية**، وفى كل مرة كنت أجد كل ترحيب وعون من العاملين والعاملات فيها بقاعة الباحثين وبمختلف الأقسام والإدارات، كما كان السيد الأمين العام، حينما التقيته مرتين، فى غاية اللطف والعون وكذلك كان العاملون والعاملات فى مكتبه. من واقع بحثى فى **دار الوثائق القومية** عن الأستاذ محمود لاحظت جملة من الملاحظات الجديرة بالاهتمام والمناقشة. وهى ملاحظات تتصل بمنشورات الأستاذ محمود ومنشورات تلاميذه من كتب وبيانات وصور فوتوغرافية وملف خدمته. بيد أنى سأؤجل الحديث عن كل تلك الملاحظات، حتى يتسنى لى مزيد من الاطلاع والبحث والتنقيب، ما عدا حديثى عن **صحيفة الجمهورية**. كما وردت الإشارة آنفاً، فقد صدرت **صحيفة الجمهورية**، لسان حال **الحزب الجمهورى**، فى أول أعدادها فى يوم الجمعة 15 يناير 1954، وكان الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى**، رئيس تحريرها، وكان شعارها هو شعار **الحزب الجمهورى** القائل: "الحرية لنا ولسوانا"، (أنظر الملاحق رقم: 25-28).

صحيفة "الجمهورية" فى دار الوثائق القومية

إذا كانت ابتسامة الحرية مى الشرط الجوهرى والحاسم للنهوض وإذا كانت ابتسامة الموناليزا، عنوان لحساسية جمالية جديدة، عنوان لنهضة أوروبا فإن ابتسامة الشهيد الأستاذ محمود محمد طه ستظل عنواناً لنهضة أهل السودان عنواناً لحرية الفكر والضمير [1].

الحاج وارق

بعد سؤال مستمر عن **صحيفة الجمهورية** فى قاعة اطلاع الباحثين **بدار الوثائق القومية**، وفى كل مرة كانت الإجابة بأن الصحيفة غير موجودة. بدأت فى إجراء بعض المقابلات من المختصين

(1) الحاج وراق، "كلمة حركة القوى الجديدة الديمقراطية"، جمعية التنوير الثقافى تحتفى بذكرى محمود محمد طه، تحرير بكرى المدنى، (إحياء ذكرى، الرحيل والميلاد 1-2)، **صحيفة الوفاق**، الخرطوم، الأحد 2001/1/21.

فى مجال الوثائق والباحثين، خاصة وأننى كنت أعلم بأن بعض الباحثين قد أشاروا إلى الصحيفة فى كتبهم لا سيما قاسم عثمان نور. أكد لى المختصون والباحثون بأنهم اطلعوا على الصحيفة فى **دار الوثائق القومية**. بعد ذلك قمت فى يوم 2012/8/23 بتوجيه خطاب إلى السيد الأمين العام **لدار الوثائق القومية** (أنظر ملحق رقم: "55")، قلت فيه مخاطباً السيد الأمين العام[1]:

*أود إفادتكم بأننى سبق وأن طلبت فى قاعة الباحثين بدار الوثائق الاطلاع على جريدة الجمهورية المشار إلى فترة صدورها أعلاه، وجاءنى الرد شفهياً بأنها غير موجودة. وفيما بعد لاحظت أن هناك إشارة لها فى كتابىّ البروفيسور قاسم نور، الأول: **مصادر الدراسات السودانية**، (4 أجزاء)، والكتاب الثانى: **معجم المؤلفين السودانيين**، (3 أجزاء)، الذى صدر عام 2012، فاتصلت بالبروفيسور قاسم مستفسراً عن المصدر الذى اعتمد عليه فى إشارته لجريدة الجمهورية، فأكد لى بأنه قد اطلع عليها فى دار الوثائق القومية. الأمر الذى جعلنى أرجح أن تكون الجريدة موجودة بدار الوثائق، ولكن وبسبب صغر حجم مجلدها نسبة لقصر فترة صدورها، قد تكون غابت عن الأعين فى مستودع الدوريات.*

جاءنى رد السيد الأمين العام ضمن خطاب موجه إليه من السيد مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإنابة عليه، (أنظر ملحق "56")، قال السيد مدير إدارة الحفظ فى خطابه للسيد الأمين العام[2]:

أرجو أن أوضح أن الباحث عبد الله الفكى البشير طلب الصحيفة المذكورة ورجعنا للصحف المسجلة لدينا حتى السبعينات ولم نجدها ووجهناه لارشيف الصحف بمكتبة السودان جامعة الخرطوم. وهو ما نرجح أن البروفيسور قاسم عثمان نور أطلع عليها هناك ومن ثم أخبره بأنه أطلع عليها بدار الوثائق. أما الجمهورية الصادرة فى نهاية التسعينات فهى موجودة لدينا. وعليه نأسف لعدم

(1) عبدالله الفكى البشير، "خطاب إلى السيد الأمين العام لدار الوثائق القومية"، الخرطوم، بتاريخ 2012/8/23.
(2) البشير التجانى عثمان (مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإنابة)، "خطاب إلى السيد الأمين العام لدار الوثائق القومية"، بتاريخ 2012/8/26، يتضمن الخطاب تعليق الأمين العام بخط يده رداً على المؤلف، بتاريخ 2012/8/28، الخرطوم.

تمكننا من تلبية طلب الباحث هذا ما لزم توضيحه.

ثم علّق السيد الأمين العام بخط اليد على خطاب مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإنابة عليه، قائلاً:

الأخ الباحث عبدالله الفكى البشير

1- هذا ما انتهت إليه جهودنا فى البحث.

2- سنواصل البحث فى مقتنياتنا على الأعداد المفقودة من الجمهورية.

لم أجد نفسى مقتنعاً بما جاء فى الرد على خطابى. فالقول بأن: "ورجعنا للصحف المسجلة لدينا حتى السبعينات ولم نجدها". ففى تقديرى، أن أى صحيفة صدرت فى تلك الفترة، فترة الخمسينيات، حيث صدرت **صحيفة الجمهورية** فى عام 1954، أرجح وبقوة أن تكون من ضمن موجودات دار الوثائق، وأرجح وبقوة أنها من ضمن الصحف المسجلة بدار الوثائق القومية. أذكر فى يوم من الأيام كنت بقاعة الباحثين وسألت عن تواريخ نشرها، وجاءنى أحد العاملين بتواريخ نشرها كما جاءت فى كتب قاسم عثمان نور، الذى سترد الإشارة إليه. أيضاً فى تلك الفترة، فترة الخمسينيات كانت الخدمة المدنية متميزة وكانت **دار الوثائق، مكتب محفوظات السودان**، فى فترة الشباب ولم تكن الوثائق بكثافة اليوم، ولم تكن الصحف كذلك بالكثرة مثل ما هى عليه فى الستينيات وما بعدها. الشاهد أننى لم أقف عند هذا الحد، بل بحثت عن الصحف التى صدرت فى نفس تلك الفترة وكانت فترة صدورها قصيرة، وبالتالى كانت أعدادها قليلة وبعضها أقل من أعداد **صحيفة الجمهورية**. فوجدتها كلها موجودة ومنها: **صحيفة الاستقلال**، لسان حال **حزب الاستقلال** الجمهورى، وقد صدرت لشهور قليلة فى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى، وغيرها.

أما قول السيد مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإنابة: "ووجهناه لأرشيف الصحف بمكتبة السودان جامعة الخرطوم وهو ما نرجح أن قاسم عثمان نور أطلع عليها هناك ومن ثم أخبره بأنه أطلع عليها بدار الوثائق"، صحيح وجهنى السيد البشير مدير إدارة الحفظ لارشيف الصحف **بمكتبة السودان**، وذهبت إلى هناك ولم أجد للصحيفة أثراً، بل أفادنى أهل مكتبة السودان بأن أذهب لدار الوثائق. أما الترجيح بأن قاسم عثمان نور قد اطلع على الصحيفة

بمكتبة السودان، فهو ترجيح غير مقنع. فقاسم قال لى بوضوح أنه أطلع على الصحيفة **بدار الوثائق**، وهو رجل مرجع فى مجال الوثائق، وكان يعمل بمكتبة جامعة الخرطوم ومكتبة السودان، خاصة حينما أعد كتابه الذى وردت الإشارة فيه لصحيفة الجمهورية: **مصادر الدراسات السودانية**، أربعة أجزاء. لا أعتقد أن هناك مجالاً للترجيح. أيضاً، ففى أحد الأيام، كما أشرت، بأننى سألت عن الصحيفة **بدار الوثائق** جاءنى أحد العاملين وأفادنى بأنها غير موجودة، وجاءنى بتواريخ صدورها وكانت هى نفس التواريخ التى جاءت لدى قاسم بأنها صدرت عام 1954، وتوقفت عن الصدور ثم عاودته فى عام 1969، وقد جاء ذلك فى كتابه الموسوم بـ: **مصادر الدراسات السودانية**، (4 أجزاء)، وفى كتابه: **دليل الدوريات السودانية: الصحف** (1903-1989)- **المجلات** (1931-1998)[1]،وغيرهما. كانت **الجمهورية** فى المرة الثانية عام 1969، مجلة، ولم تكن صحيفة. كانت مجلة داخلية شهرية **للحزب الجمهورى**، وقد صدر العدد الأول منها فى يوم الخميس 17 أبريل 1969. وقد جاء فى صدر العدد الأول أن: **الجمهورية**، مجلة **الحزب الجمهورى** الداخلية، تصدر شهرية، شعارها: "الحرية لنا ولسوانا"، رئيس التحرير سعيد الطيب شايب[2].

الشاهد أننى كنت فى خطابى الذى وجهته للأمين العام قد رجحت بأن تكون **صحيفة الجمهورية** موجودة بدار الوثائق، ولكن وبسبب صغر حجم مجلدها نسبة لقصر فترة صدورها، قد تكون غابت عن الأعين فى مستودع الدوريات، وأضيف الآن أيضاً أن عملية انتقال الدار من مبنى إلى مبنى ربما تبعته بعض أعمال الضياع أو التلف غير المقصود. ولكن ما جاء فى الرد على خطابى بأن الصحيفة لم تكن ضمن الصحف المسجلة أصلاً بدار الوثائق حتى السبعينيات حيث جاء النص: "ورجعنا للصحف المسجلة لدينا حتى السبعينات ولم نجدها"، هذا القول مقروناً بالمقابلات التى أجريتها، والإفادات التى بلغتنى بأن جميع صحف تلك الفترة كانت مكتملة فى **دار الوثائق**، إلى جانب الإشارات التى وردت عن الصحيفة فى كتب قاسم وإفادته بأنه أطلع عليها فى **دار الوثائق**، والتورايخ التى

(1) قاسم عثمان نور، **دليل الدوريات السودانية: الصحف** (1903-1998)- **للمجلات** (1931-1998)، مرجع سابق، ص 21.

(2) عوض الكريم موسى، "الافتتاحية"، **الجمهورية**، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 1969/4/17، ص 1.

مدنا بها أحـد العاملين فى **دار الوثائق**، كل ذلك يجعلنى أرفـع الصوت بالنداء من أجل دار الوثائق القوميـة، فدار الوثائق هى ذاكرة السودان ومـستودع تراثه الوثائقى، ولهذا فـإن أهمية هذه المحاججة، تكمن فى أنها ترى ضرورة فتح البـاب للحديث والحوار بشأن حركة الوثيقة وتداولها فى السـودان، وتفتح الحوار بشأن القوانيـن التى تحكم الوثيقة وحفظهـا، خاصة وأن **دار الوثائق**، إدارة المحفـوظات، هى الجهة المعنيـة بحفظ الوثائق المودعة بـالدار بكل أشكالها وفقـاً للمواصفـات العلمية. فـإلى أى مدى ظلت دار الوثائق القـومية، وهى ذاكـرة السودان ومسـتودع تراثه الوثائقى، فى أمن وأمـان وحفظ وفـقاً للقانون والأهداف والاخـتصـاصات والسلطات التى وردت فى قانون دار الوثائق القـومية لسنة 1982[1]؟ ووفقاً للسـياسات التى يضعها مجلس إدارة الدار الذى نص عليـه قانون دار الوثائق القومية لسنة 1982، قائلاً:"ينشأ مـجلس لإدارة الدار بقـرار من مجلـس الوزراء بناءً على توصـية الوزير من رئـيس وعشـرة أعضاء من ذوى الخبرة والمؤهلات المناسبة"[2]. وهو مجلس يختص بوضع السيـاسة القومية للوثائق والإشـراف العام عـلى الدار ومراجـعة تقـارير أداء وعـمل الدار وإصدار القـرارات اللازمة لتنظيم جميع شؤون الهيئة، وغيرها من الاختصاصات.

مدخل أولى لرؤية الأستاذ محمود فى ممارسة السياسة والصحافة

وأنا واثق كل الثـقة إنو الديمـاجوجـيين البـهرجـوا [الذين يهرجـون] البكذبوا [الذين يكذبون] وبغشوا [الذين يغشون] الناس باسم السياسة سينتهى عهدهم، وسيشرق على البلاد عهد المعرفة والنور والوعى[3].

محمود محمد طه

أراد الأستاذ محمود من خلال **الحزب الجمهورى** وعبر إصـداره **صحيفة الجمهورية**

---

(1) "قـانون دار الوثائق لسنة 1982"، من **موقع المجلس الوطنى**، جمـهورية السـودان، استـرجاع (Retrieved)، 2013/2/2، الموقع على الإنترنت:http://www.parliament.gov.sd

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "مشكلة الشرق الأوسط"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، **نادى السكة الحديد بالأبيض**، 22 مايو 1969.

أن يخلق تقليداً جديداً فى السياسة وفى الصحافة. يقول الأستاذ محمود: "و(الجمهورية) تطمح فى أن تخلق تقليداً فى الصحافة فى معنى ما يخلق الجمهوريون من تقليد جديد فى السياسة"[1]. فالسياسة عند الأستاذ محمود علم، يجب أن يكون واضح المعالم حتى لا يدخله الذين لا يحسنونه. والصحافة عنده يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل. فعن السياسة وممارستها يقول الأستاذ محمود: "السياسة لسوء حظها بتورطوا فيها الناس الأقل خبرة من كثير من الناس البنصرفوا عنها.. الساسة المحترفين أقرب إلى الجهل منهم إلى العلم.. والسياسة أخذت فى أذهاننا أنها صورة من الشطارة والكذب واللف والدوران والخداع والمقالب"[2]. ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "السياسة أشرف من هذا. السياسة فى الحقيقة علم، يكفى أن تعلم إنو كلو ما يؤثر عليك فى بيتك من معيشتك من حريتك من تربيتك من أخلاقك كلو بيتأثر بالسياسة.. فالسياسة أمر هام ويجب أن يُولى من الاهتمام ما يستحقوا وأنا أحب أن نتجه إلى أنو السياسة علم وأنو هذا العلم يجب أن يكون واضح المعالم حتى لا يستطيع أن يدخِّل فيه الذين لا يحسنونه"[3]. وعن **الحزب الجمهورى** وفهم الجمهوريين للسياسة يقول الأستاذ محمود: "والجمهوريون حزب سياسى ولكنهم لا يفهمون السياسة على أنها اللف والدوران.. وإنما يفهمونها على أنها تدبير أمر الناس بالحق وبميزان(4). وعن علاقة السياسة بالفكر، ومشكلة السياسة، يقول الأستاذ محمود: "السياسة هى مشكلتنا نحن الداخلية ومشكلة الشرق الأوسط اللهى مشكلتنا الخارجية بتمارس بنوع من عدم الفكر"[5].

إن ممارسة السياسة بلا فكر لا يقابلها عند الأستاذ محمود ممارسة السياسة بالعاطفة، فالعواطف أمر آخر عنده، يقول الأستاذ محمود: "نحن أحياناً بنقول العواطف.. وأنا أعتقد أنو العواطف مظلومة فى أن ننسب ليها هذا النوع من التخبط الذى يمارسه السياسيون.. السياسة عندنا نحن الشرقيين بصورة خاصة بتمارس بنوع من التمنى..

(1) محمود محمد طه، "افتتاحية العدد الأول من **صحيفة الجمهورية**"، **صحيفة الجمهورية**، الجمعة 15 يناير 1954.
(2) محمود محمد طه، "مشكلة الشرق الأوسط"، (محاضرة)، مصدر سابق.
(3) المصدر السابق.
(4) محمود محمد طه، "افتتاحية العدد الأول من **صحيفة الجمهورية**"، مصدر سابق.
(5) محمود محمد طه، "مشكلة الشرق الأوسط"، (محاضرة)، مصدر سابق.

التفكير المعوج بالتمنى"[1]. ثم تحدث الأستاذ محمود عن السمات الطفولية للتفكير المعوج بالتمنى يقول الأستاذ محمود: "والتفكير المعوج بالتمنى من سمات الطفولة.. الأطفال يتمنون ولا يفكرون.. والعاطفة أشرف من أن ينسب ليها هذا العمل.. لأن العاطفة فى الحقيقة هى وقود الفكر، العاطفة تتسامى بالفكر، والفكر يطهرها وينقيها ويجعلها إنسانية"[2]. ثم يصحح الأستاذ محمود مفرقاً بين العاطفة والتمنى والأحلام من جهة، وبين التمنى والأحلام والتفكير والدراسة من الجهة الأخرى، يقول الأستاذ محمود: "فنحن كثيراً ما نقول ده كلام عاطفى وده حل عاطفى فى مسألة الشرق الأوسط بصورة خاصة.. وأنا أحب أن نصحح وضعنا دا هى أنو المسائل أقرب إلى التمنى وإلى الأحلام منها إلى التفكير والدراسة"[3].

أما بشأن الصحافة، فقد كتب الأستاذ محمود،وكما ورد آنفاً، فى افتتاحية **صحيفة الجمهورية** قائلاً: "فهذه صحيفة الجمهوريين يقدمها لك فتية آمنوا بربهم، فهيمن عليهم الإيمان على صريح القصد، فهم يقولون مايريدون بأوجز أداء، ويعنون ما يقولون من الألف إلى الياء"[4].وعن رأى **صحيفة الجمهورية** فى الصحافة يقول الأستاذ محمود: "وللجمهورية فى الصحافة رأى، وهو أنها يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل.. يجب أن تسير أمام الشعب لا أن تسير فى زمرته تتسقط رضاه، وتجارى هواه، وتقدم له من ألوان القول ما يلذه ولا يؤذيه"[5]. الشاهد أن الأستاذ محمود بعد أن توقفت **صحيفة الجمهورية**، ظل يكتب وينشر المقالات الصحفية والبيانات بشكل مستمر، مبيناً رؤيته لما ينبغى أن تكون عليه الصحافة ولما ينبغى أن يكون عليه دور الصحفيين فى تقديم الخدمة الصحفية، وكان يحث الصحفيين ويدعوهم لدراسة الحركة الوطنية وتقويم مسارها، بما يسهم فى رفع الوعى والتنوير. وعلى هدى تلك الرؤية وفى سبيلها ظل يقدم النقد للصحافة والصحفيين. كتب الأستاذ محمود فى

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.
(4) محمود محمد طه، "افتتاحية العدد الأول من صحيفة الجمهورية"، مصدر سابق..
(5) المصدر السابق.

نوفمبر عام 1958 عن الصحف، قائلاً: "وكانت الصحف تنصرف عن الدعوة الرصينة للدراسة التى نطالب بها نحن لتسير فى ركاب الحركة الوطنية غير الواعية التى يتصدرها سياسيو اليوم"[1].

تحدث الأستاذ محمود عن تخبط الصحف ودورها فى تلبيس أصل قضية الشعب، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "والحق إن صحفنا [....] تتخبط بغير وعى وتلبس على الشعب أصل قضيته وتغريه بالجرى وراء السراب وتخيله له ماء فراتا غمراً دانياً"[2]. ووصف الأستاذ محمود بعض محررى الصحف قائلاً: "إن بعض محررى الصحف السودانية فقراء الجيوب والنفوس"[3]. وفى مقال بعنوان: "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"[4]، نشر فى يوم السبت 1958/9/6، (أنظر ملحق رقم "36").فى هذا المقال ناقش الأستاذ محمود ما فعله الصحفيون بحريتهم. يقول الأستاذ محمود: "ولكن ليس من العدل أن نتساءل ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟ فإن صحفيينا أحرار فى أن ينقدوا من شاءوا، من حكام ومواطنين وأن يشتموا من شاءوا أيضاً.. والأول حق كفلته الديمقراطية لجميع الصحفيين والثانى (حق) استباحه لأنفسهم بعض الصحفيين وهو يجىء من قبيل إساءة ممارسة الحق الأول[5]". ثم يضيف الأستاذ محمود قائلاً: "وليس غريباً أن تكون ممارسة الحرية مصحوبة بإساءة استعمالها.. ولكن ما ينبغى أن نخدع عن حقيقة واضحة وهى أن إساءة استعمال الحرية يتم عن قلة النضوج والمراهقة الفكرية"[6]. ثم يتناول قبول الرشوة؛ كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وبعض صحفنا تملك حرية أن ترتشى أو قل إن كنت مِنْ مَنْ يؤثرون (التلطف) إنهم يملكون حرية أن يقبلوا الهدية من بعض الدول الخارجية فى شكل (معونات) مالية تساعدهم على أداء (رسالتهم) وهذه أيضاً (حرية) لا تكفلها الديمقراطية وإنما جاءت من قبيل إساءة ممارسة الحق الديمقراطى فى الحرية"[7]. ثم تحدث الأستاذ

(1) محمود محمد طه، بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى، مصدر سابق.
(2) المصدر السابق.
(3) يحيى محمد عبد القادر، **على هامش الأحداث فى السودان**، مصدر سابق، ص 261.
(4) محمود محمد طه، "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 157، السبت 1958/9/6.
(5) المصدر السابق.
(6) المصدر السابق.
(7) المصدر السابق.

محمود عن حرية التفكير قائلاً: "فالناس أحرار ليفكروا كما يشاءون وأن يقولوا كما يفكرون وأن يعملوا كما يقولون على شريطة أن يقولوا صواباً وألا يعملوا عملاً يخل بحريات الآخرين"(1). ثم ختم الأستاذ محمود متسائلاً: "فكم من صحفنا تقول الصواب؟ أم كم من صحفنا تعرف الصواب؟ حقاً ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"[2].

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.

الفصل السابـــع

7

طرح مشروع الفهم الجديد للإسلام-
الفكرة الإسلامية الجديدة

فالشريعة الجماعية ليست أصلاً، وإنما الأصل الشريعة الفردية، ذلك، وبنفس القدر الذى به الجماعة ليست أصلاً، وإنما الأصل الفرد.. ولكن الناس لكثرة ما ألفوا المعيشة فى الجماعة، ولشدة أثر غريزة القطيع عليهم، ظنوا الأمر بعكس ذلك. فأنت تراهم يستغربون، ويستوحشون عندما تكلمهم عن الشرائع الفردية. ولأمر آخر أيضاً، فإن الشريعة الفردية مرتبة رجولة ، ومرتبة مسئولية. والناس لا يزالون أطفالاً، يحبون أن يحمل غيرهم عنهم مسئوليتهم، ويطيب لهم أن يظلوا غير مسئولين.. أو هم إن احتملوا المسئولية فإنما يحتملونها فى القطيع ، وعلى الطريق المطروق. أما أن يكون المسئول وتراً، وأن يطرق طريقاً بكراً، فإنه أمر مخيف، ولا يجد فى النفوس استعداداً، ولا ميلاً[1].

محمود محمد طه

إن المشكلة التى أعجزت الفلسفات الاجتماعيات، فى الماضى، والحاضر، إنما هى مشكلة علاقة الفرد بالمجتمع، وعلاقة الفرد بالكون، وذلك بأن الفرد إذا لم يتحرر من الخوف الذى رسبه فى صدره الجهل بهاتين العلاقتين، فلن يكون فى سلام، لا مع نفسه، ولا مع الآخرين..[2]

محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، **الرسالة الثانية من الإسلام**، ط3، أمدرمان، 1969، ص 200-201.

(2) محمود محمد طه، "إلى أبنائى المحبوبين سعيد، وجلال، وإخوانهما فى القسمين.."، (رسالة)، 8 ديسمبر 1984، من سجن كوبر، الخرطوم بحرى، الخرطوم.

في أول مؤتمر جامع للجمهوريين عام 1958، قدم الأستاذ محمود دراسة، تعد نواة الرسالة الثانية من الإسلام، وقال لنا: حينما كنت أكتب في هذه الدراسة كنت أشعر كأني أسير في وادي مقدس [1].

الريح أبو إدريس

مثَّل العام 1951 من القرن الماضي، تحولاً كبيراً، ليس لأنه كان نقطة فارقة في مسار **الحزب الجمهوري** وطبيعة نشاطه فحسب؛ وإنما كان تحولاً كبيراً على مستوى السودان والإنسان والإسلام والإنسانية، فبعض ملامح هذا التحول قد ظهرت وتجلت بشكل جزئي في سماء السودان وفي التطور الفكري والسياسي، وبعضها الآخر سيظهر بعد فك الحصار وهدم الجدار العازل بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام ومن ثم فتح الحوار الواسع والمتعمق عن الأستاذ محمود وعن مشروعه، ويقيني بأن هذا سيحدث وقريباً جداً. ففي عام 1951 خرج الأستاذ محمود من اعتكافه بمدينة رفاعة، والذي دام ثلاثة أعوام، وأعلن عن مشروعه: الدعوة للفكرة الإسلامية الجديدة - الفهم الجديد للإسلام. كما شهد العام 1951 بداية مرحلة التتلمذ على يدي الأستاذ محمود، وشهد كذلك تخلي بعض رفقاء الأستاذ محمود عن عضويتهم في **الحزب الجمهوري** حينما بدأ مسار جديد للحزب قوامه ملء فراغ الفكر. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن بلورة الفكر الجمهوري: "بقى هو الحقيقة دى فيها تحول كبير جداً كان.. **الحزب الجمهوري** لمن كان متحمس في مواجهة الاستعمار، لعله يقول الواحد أنه متطرف في مواجهة الاستعمار.. كسب أرضية كبيرة جداً وكانت في عضوية من ناس كبار في السلك الوظيفي... في المرحلة السياسية - نحن بنسميها المرحلة السياسية-

(1) مقابلة مع الريح أبو إدريس، الخرطوم، 17 يوليو 2011، الساعة 16:00.

لأنه لمن كان ملء فراغ الحماس كان عمل سياسى"[1]. ثم تحدث الأستاذ محمود عن تخلى بعض الأعضاء عن **الحزب الجمهورى** بعد ما انبعث فى مستوى الفكرة الدينية قائلاً: "بعدين لمن انبعث تانى، انبعث فى مستوى الفكرة الدينية، اتخلوا عنه كثير من أعضاؤه اللى كانوا بيفتكروا أنه نحن حقوا نكون حزب سياسى، وكحزب سياسى محترمين ومشهورين بنضافة شديدة جداً ويمكن إذا أن نجمع عضوية حولنا وأن نصل لمناصب فى الحكم"[2]. لقد أدى طرح المشروع بمرتكزاته الجديدة إلى إحداث تحول كبير وخلق واقع جديد.

طرح المشروع وإعلان المسار الجديد للحزب الجمهورى

برغم قناعتى الشخصية بأن ما جاء به محمود محمد طه مؤسس الفكر الجمهورى السودانى بأنه لا يمت للإسلام المعروف لدى المشايخ أو فى الكتب والتراث بصلة، إلا أننى ما زلت اعتقد بأن هذا الرجل هو أعظم مفكر بحق ظهر على أرض السودان على الإطلاق حتى اليوم[3].

شجن شداد

كان **الحزب الجمهورى** قد توقف نشاطه، كما ورد آنفاً، منذ سجن الأستاذ محمود عام 1946، واعتكافه عام 1948. خرج الأستاذ محمود من اعتكافه، ودعا أعضاء **الحزب الجمهورى** إلى اجتماع عام عقد فى يوم 30 اكتوبر 1951، وألقى عليهم بياناً[4].كان البيان إيذاناً بأمرين: الأول: أن عهداً جديداً فى مسار **الحزب الجمهورى** قد بدأ. والثانى: أن مشروعاً كبيراً وخطيراً قد انبثق. قال الأستاذ محمود لأعضاء الحزب فى بيانه: "**الحزب الجمهورى** ليس حزباً يقوم على التهريج، كما هى العادة المألوفة لدى الأحزاب التى نراها، ونسمع عنها، وإنما هو دعوة إلى فكرة، أولاً، وقبل كل شىء...". ثم تحدث عن الديمقراطية الشعبية، وقدم تعريفاً لها، وقال إنها: "تتلخص فى نظام يكفل العدالة الاجتماعية، والحرية الفردية، فى ميزان لا يجور -نظام يعمل الشعب فيه بنفسه

---

(1) محمود محمد طه، لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) شجن شداد، "العلمانية، الدين السياسى ونقد الفكر الدينى"، **الحوار المتمدن**، العدد: 3822، بتاريخ 2012/8/17، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2012/8/23، الموقع على الإنترنت: http://www.ahewar.org

(4) يمكن الاطلاع على البيان الذى ألقاه الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** فى الاجتماع العام للحزب فى الخرطوم يوم 1951/10/30، يمكن الاطلاع عليه فى **موقع الفكرة الجمهورية** على الانترنت: www.alfikra.org

لنفســه، على هدى المعرفة- فى هذا النظام المنشود تكون الحكومة خادمة الشعب، لا سـيدته.. فى هذا النظام تفهم الحكومة نفسها، ويفهمها كل فرد، كما فهمها أبوالعلاء المعرى حين يقول:

ملّ المقـام فكم أعـاشـر أمـة أمـرت بغـير صـلاحـهـا أمـراؤها

ظلموا الرعية واستباحوا كـيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

"فالحاكم أجير لى، ولك وهو، أصلح ما يكون، خادماً لى، ولك، وليس سيداً، متسلطاً على الرقـاب...) وبيّن أن الديمقراطية الشـعبية لم تتحـقق حتى اليوم، ولا نجاة للإنسانية إلا بتحقيقهاوقال: "...وأن أياً من الديمقراطيتين -الرأسمالية والشيوعية- لا يمكن أن تحققها، البتة.. وأنه لابد -لتحقيق الديمقراطية الشعبية من الإسلام- لأنه الفلسفـة الاجتماعية الوحيـدة، فى هذا العالم، التى حاولت، وأفلحت، فى الجمع بين الروح والمادة، على هدى، وبصيرة، والجمع المستبصر، بين الروح والمادة، هو وحـده الذى يمكن أن يـحقق الحـرية الفـردية، والعـدالة الاجتماعية، فى نظام متكافل للجميع...".

أعلن الأسـتاذ محـمود فى ذلك الاجـتمـاع عن المسار الجديـد، وهو الدعوة إلى المذهبـية الإسلامية الجـديدة، التى تقوم على بعث الدين، والحرية الفردية المطلقة، والعدالة الاجتـماعية الشاملة، ليتجه **الحزب الجمهورى** من ملء فراغ الحماس فى مواجهة المستعمر، إلى ملء فراغ الفكر. وجاء طرح الفكرة، المذهبيـة الإسلامية الجديدة، بمنهاج وبلائحـة داخلية جديدة، يقول الأستاذ محمود: "فى المستوى دا الفكرة عندها مـنهاجها، ما يمكن بعض الإخوان أن يسموه، اللائحة الداخليـة كانوا بسمـوه، اللى هو طريق محمد - التـزام طريق محمـد.. نحن عايزين نبعـث الديـن، لازم نطبقه فى أنفسنا.. نبعثه فى أنفـسنا قبل ما ندعو الآخرين لبعثه"[1]. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن تـطبيق البعث على أنفسهم: "الموضوع دا شق على الإخوان الكانوا قدام فى الأمر دا وكان عندهم مواقف سياسية ومطامع فى مناصب سياسية.. فـالحزب زى اتشل وفقـد كثيـر من سمعـته الحسنة ديك، واتهـم بأنه دخل فى مرحلة صوفـية غامـضة فأصبح ما مفهوم"[2]. كان هذا إيذاناً بطرح مشروع كبيـر وخطير، تبع ذلك دخول الكثير من

---

(1) محمود محمد طه، لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

الشبان الجدد، وخروج بعض رفقاء الأستاذ محمود من عضوية **الحزب الجمهورى**. تبع ذلك التطبيق للمنهج التربوى الذى أصبح معه الجمهوريون كأنهم مجتمع قائم ذاته، يقول الأستاذ محمود: "جات الممارسة التانية اللى فيها التزام شديد وتطبيق، ودا فعلا فيها مرحلة تربية جعلت الجمهوريين كأنهم مجتمع داخل المجتمع السودانى[1].

خطورة المشروع والاستعداد للنتائج (كتابة الوصية)

الفكرة الجمهورية هى خلاصة الأديان السماوية كلها.. لأنها تدعو إلى قمة القرآن وقمة الإسلام.. فهى تدعو إلى الآيات المكية التى هى الأصول فى القرآن، وهذه الدعوة هى رسالة النبى صلى الله عليه وسلم الثانية التى عاشها فى خاصة نفسه، هى سنته بينما كانت رسالته الأولى من فروع القرآن، الآيات المدنية للمؤمنين[2].

جلال الدين الهادى الطيب إدريس

إن أنصع الأدلة على أن مشروعاً كبيراً قد انبثق، وأن أمراً خطيراً قد لاح فى الأفق، هو ما أبداه الأستاذ محمود من استعداد لتحمل النتائج المتوقعة من طرح هذا المشروع. ولعل أوضح برهان على هذا الاستعداد، هو كتابته لوصيته قبل خروجه من الاعتكاف. كتب الأستاذ محمود وصيته فى يوم السبت 13 شعبان 1370 موافق 19 مايو 1951. وضمنها ثمانية عناصر مرقمة من 1 إلى 8. استهل الأستاذ محمود وصيته قائلاً: "*بسم الله الرحمن الرحيم، هذه وصيتى، ووكيلى على تنفيذها زوجتى بعد الله*". ثم عدد سبعاً من عناصر الوصية، ثم قال فى العنصر الثامن والأخير من وصيته: "*لا يُفرش علىّ ولا يتصدق، ولا أكفن فى جديد، ولا يناح علىّ، ولا تجعل على قبرى أىّ علامة، ويباشر غسلى زوجتى*". (أنظر ملحق رقم: "23"). تُعبر الوصية[3] عن حالة الاستعداد المبكر لصاحبها وتحسبه

---

(1) المصدر السابق.

(2) جلال الدين الهادى (تقديم)، **جلسة على حلقة إنشاد عرفانى**، إنشاد بصوت عبدالله فضل الله، منزل الأستاذ محمود محمد طه، مدينة المهدية، أمدرمان، الاثنين 30 رجب 1399 الموافق 25 يونيو 1979، الساعة 6:30 صباحاً.

(3) أول من لفت نظرى لهذه الوصية هو عبدالله عثمان، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود. زودنى عبدالله بنسخة من الوصية ثم سعيت للحصول على النسخة الأصلية، فوجدتها لدى الأستاذة أسماء ابنة الأستاذ محمود. وقد احتفظت بالنسخة الأصلية بخط كاتبها، الأستاذ محمود، ضمن ما سلم من الانتاج المعرفى والفكرى =

للنتائج المتوقعة[1]. لقد كان المشروع جديداً وغريباً -ولا يزال-، يحتاج النظر فيه، دعك من الاقتناع به، إلى نشاط العقول وحيويتها، فى وقت ساد فيه -ولا يزال- كسل العقول، والاستكانة للسائد والمألوف، والشعور بالطمأنينة مع القديم. وكما قال طه حسين (1889-1973)، كما ورد آنفاً: "... الكسل العقلى يحبب إلى الناس أن يأخذوا بالقديم تجنباً للبحث عن الجديد..."[2]. إن وصية الأستاذ محمود تحمل دلالات كثيرة وعظيمة. تجدر الإشارة إلى أن الأهمية التاريخية لهذه الوصية، وعظمة دلالاتها ومضامينها، دفعتنى إلى أن أعكف على دراستها وتحليلها، وقد فرغت فى عام 2011 من كتابة المسودة الأولى، بيد أنى أجلت نشر الدراسة لما بعد نشر كتابى هذا. لقد وسمت الدراسة عن الوصية بعنوان أولى هو: **وصية الأستاذ محمود محمد طه: قراءة وتحليل**.

= والرسائل التى كتبها الأستاذ محمود. وعلى الرغم من أن الوصية كوثيقة عمرها الآن أكثر من ستين عاماً، ولم تخضع لنظم الحفظ العلمية المتبعه فى دور الوثائق، وحفظت بجهود فردية من قبل تلاميذ كاتبها، إلا أنها لاتزال بحالة جيدة، من حيث الورقة التى كتبت عليها، ومن حيث وضوح الكلمات. من المعروف أن الانتاج المعرفى والفكرى للأستاذ محمود تعرض للمصادرة، والإتلاف، من قبل السلطات السودانية، فقد صادرت السلطات السودانية الكثير من كتابات الأستاذ محمود بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه عام 1985 . برغم ذلك فقد تمكن تلاميذ الأستاذ محمود، وبجهود فردية، من الاحتفاظ والحفظ لعدد ضخم من كتابات الأستاذ محمود: كتب، ومناشير ورسائل ومقالات مكتوبة، ومحاضرات مسجلة، ومؤتمرات كان الأخوان الجمهوريون يعقدونها بشكل دورى بحضور الأستاذ محمود وجلسات إنشاد عرفانى هى مسجلة وغيرها من النشاطات. الآن وبفضل ثورة المعلومات والاتصالات، وكما وردت فى آنفاً، فقد نُقل معظم ذلك الإنتاج الفكرى والمعرفى ليحفظ رقمياً فى موقع خاص باسم موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت تحت العنوان: www.alfikra.org، أنشأه تلاميذ الأستاذ محمود. ولا يزال العمل جارياً لنقل المتبقى، وتفريغ ما هو مسجل بالصوت، ليُنشر رقمياً فى ذلك الموقع.

(1) إن تنفيذ الوصية خاصة الجزء المتعلق بالديون وتصفية الحسابات تم من قبل كاتب الوصية، إذ أنه بقى على قيد الحياة حتى عام 1985، وهذا ما يؤكده حرص صاحب الوصية الذى نلمسه فى الوصية نفسها، أما الجزء الآخر من الوصية فقد نفذ دون أن تكون هناك حاجة لوكيل، فهو لم يفرش عليه ولم يكفن ولم تجعل على قبره علامة، ولم توضع على قبره علامة، إذ أنه بعد تنفيذ حكم الإعدام قامت السلطات السودانية بحمل جثمانه بطائرة هيلوكوبتر من ساحة الإعدام لمكان غير معلوم لا يعرفه أحد سوى طاقم الطائرة التى حملت الجثمان، والجهة التى وجهت بذلك الفعل. ظل الأمر على هذا الحال حتى خرج قائد الطيارة التى حملت الجثمان، وأفاد بأن الجثمان دفن فى خلاء غرب أمدرمان، قال العميد طيار فيصل مدنى مختار فى شهادته **لمجلة الدستور**: "نعم حملت جثمانه بطائرتى، ... ضباط السجون وآخرون اصطحبوا الجثمان أمروه بالتوجه إلى خلاء غرب أمدرمان ونتيجة للتراشق الذى دار بينه وبين المجموعة هبط بطائرته فى الموقع الذى حددوه ثم طار ثانية على أن يعود إليهم بعد الدفن". المصدر: فيصل مدنى مختار، "العميد طيار فيصل مدنى مختار يدلى بإفادات مثيرة حول جثمان محمود محمد طه"، **مجلة الدستور**، العدد: (27)، بتاريخ: 24-30 يونيو 2000، ص 6.

(2) طه حسين، **فى الشعر الجاهلى**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط2، 1998، ص 155-156.

كتب الأستاذ محمود وصيته، وهى وصية تدل فى الحد الأدنى من دلالاتها بأن ثمن النقد للمألوف، والمفارقة للسائد، والدعوة إلى الفهم الجديد للإسلام، فى ظل الكسل العقلى وانخفاض السقف المعرفى لدعاة الإسلام، بأن ثمن ذلك هو الحرب والموت لا ريب فى ذلك. كانت الوصية تنطق بفصاحة عن الاستعداد لدفع الثمن، والقدرة على هزيمة تجربة الموت، وهذا ما سنقف عليه لاحقاً. الشاهد أنه بعد ان أعلن الأستاذ محمود عن المسار الجديد **للحزب الجمهورى** بدأ التبشير بالمرحلة الجديدة فى الصحف. لقد جاء فى الصفحة الأولى من **صحيفة السودان الجديد** عام 1952[1]: "قررت هيئة **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود محمد طه فى جلستها الأخيرة أن تحتفل كل لجنة فى الأقاليم بالعيد فى إقليمها وتباشر نشاطها هناك". وأضافت الصحيفة: "وعلم مندوبنا من سكرتارية الحزب أن الحزب قد بعث إلى لجانه الفرعية التى بلغ تعدادها حتى الآن 22 لجنة برسالة يطلب إليها إقامة ليالى سياسية إذا توفرت لديها أو لدى بعضها الإمكانات". وعن عضوية الحزب والفكرة الجمهورية، تقول الصحيفة: "وسأل مندوبنا مسؤولاً فى سكرتارية الحزب عما إذا كانت العضوية فى الحزب ماضية فى ازدياد فأجابنا المسؤول بأن العضوية تسير فى تقدم بيد أن الحزب يهتم بنشر الفكرة أكثر من اهتمامه برصد الأعضاء"[2]. كذلك أتبع الأستاذ محمود الإعلان عن مشروعه وملامحه بالتأليف والنشر، ففى عام 1952، أصدر الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً كتاب: **قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، وقد وصفه قائلاً: "وهو أول كتاب يتناول الدعوة بالتفصيل والتحديد"[3]. ثم توالت المنشورات والمحاضرات والندوات فى موضوع بعث الإسلام من جديد[4]. ففى ديسمبر 1955 صدر كتاب: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**. وفى مارس 1960، صدر كتاب: الإسلام. وهو الكتاب (الأم) كما وصفه الأستاذ محمود[1]. ثم توالت المؤلفات حتى بلغت كما ورد آنفاً، ستة وثلاثين كتاباً

---

(1) "الموقف الداخلى: الحزب الجمهورى يستعيد نشاطه السياسى"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 1640، بتاريخ 19 يونية 1952.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، قل **هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم**، المرأة، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثالثة.

(4) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 5.

(5) عرف بكتاب **الإسلام** بينما كان عنوانه: **محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الإسلام**، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثانية.

للأستاذ محمود، ونحو ثلاثمائة كتاب صدرت باسم تلاميذه: الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، بإشرافه، إلى جانب المقالات والمحاضرات والبيانات والمنشورات.

رُفقاء الأستاذ محمود

نحن الفكرة الدينية عندنا هى الأصل بدت [بدأت] تظهر بعد سنة 51 [1951] اتمسكنا بيها [تمسكنا بها] واتخلو عننا [وتخلوا عنا] كثير جداً من أعضانا [أعضائنا] القدام ونشأت عضوية جديدة من شبان جدد جو [جاءوا] على أساس الفكرة البدت [التى بدأت] تنشر تفاصيلها قليل قليل [1].

محمود محمد طه

رُفقاء الأستاذ محمود، غير تلاميذه. فهم أولئك النفر الذين كانوا معه فى المرحلة السياسية، كما ورد آنفاً، وهى الفترة ما بين 1945-1951. كان جلهم من طلائع المتعلمين. أسس معهم **الحزب الجمهورى**، كما ورد آنفاً، فى أكتوبر عام 1945، واختاروه رئيساً للحزب، وعملوا معه تحت مظلة الحزب، قائدين النضال ضد المستعمر. قام الحزب كما جاء فى دستوره، وكما ورد آنفاً، على مبدأ الجلاء التام،ونادى بقيام حكومة سودانية جمهورية ديمقراطية حرة مع المحافظة على السودان بكامل حدوده الجغرافية القائمة آنئذ. تميز الحزب بأنه لم تكن له ارتباطات طائفية أو قبلية، ولم تربطه علاقات مع الساسة فى مصر أو مع الإدارة البريطانية. فى الوقت الذى كانت فيه جهود الاستقلال تقوم على المفاوضات الفوقيه مع دولتى الحكم الثنائى، ولم يخرج السعى إلى الاستقلال من حيز المفاوضات والعمل الفوقى إلى النشاط السياسى العريض، أو العمل الجماهيرى الواسع، اتجه الحزب إلى مخاطبة الجماهير فى المقاهى والأماكن العامة[2]. كان من رفقاء الأستاذ محمود الأوائل فى مرحلة تأسيس **الحزب الجمهورى**: عبد القادر المرضى، ومنصور عبد الحميد، أمين مصطفى التنى، ومحمود المغربى، وإسماعيل محمد بخيت حبّة[1]. وما لبث أن لحق بهم آخرون منهم: أمين صديق، ومحمد المهدى المجذوب،

---

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية (جامعة الخرطوم)، مصدر سابق.
(2) تضمنت معظم كتب المؤرخ محمد سعيد القدال (1935-2008) إشارات إلى ذلك.

ومنير صالح (1919-1994)، ويحيى محمد عبدالقادر (1916-2011)، وغيرهم. لقد ذكر يحيى محمد عبدالقادر (1916-2011)، فى مذكراته أنه كان عضواً فى **الحزب الجمهورى**، وأن الرسائل الواردة للحزب كانت تأتى عن طريق عنوانه بصحيفة "النيل"[2]. أيضاً، لحق بالحزب أعضاء آخرون يكشف عنهم ما ورد فى الصحف من أخبار، سواء خبر السجن لبعضهم أو الإشارة لأسماء أولئك الذين سيروا المواكب الاحتجاجية. فبعد يومين من صدور الحكم بالسجن على الأستاذ محمود فى يوم 1946/10/17، وهو السجن الثانى، أوردت **صحيفة الرأى العام**، الصادرة فى يوم 1946/10/19، أسماء ثلاثة من أعضاء **الحزب الجمهورى**، وقد صدرت فى حقهم أحكاماً بالسجن، يقول الخبر: "أصدرت محكمة الجنايات حكمها على بعض أعضاء **الحزب الجمهورى** المتهمين تحت المادة 105 وكانت الأحكام كالآتى: عثمان عمر العتبانى 3 شهور سجنا، سعد صالح عبد القادر، شهر سجناً، ذا النون جباره شهرسجناً وكانت المحكمة برئاسة استانلى بيكر، وعضوية محمد أفندى محمود الشايقى مفتش الخرطوم بحرى، والعمدة عمر كويس"[3].

أيضاً، كان الشاعر محمد المهدى المجذوب (1918-1982)، عضواً فى **الحزب الجمهورى**. وكانت تربطه علاقة خاصة بالأستاذ محمود، وظل على صلة به حتى وفاته عام 1982. كتب المجذوب ثمانى قصائد، كلها كان محورها الأستاذ محمود وتوثيق نضاله الوطنى وإسهاماته الفكرية والإنسانية. قال المجذوب فى قصيدة عنوانها: "سيدة رفاعة"، وقد ضمَّنها ديوانه: الشرافة والهجرة[4]:

أبايعُ مَحْمُوداً على الحَقِّ بيعةً هى الصبرُ والرضوانُ فى عَقْدِها بَدْرُ

وقال عام 1946 فى قصيدة عنوانها "الجمهورى"، وضمَّنها ديوانه: منابر:

شَفى النفسَ رأىٌ لقيتُه وبايعتُ فكرَ العبقرى المسددِ

فتى لم يقل هاتوا زكاةً ولم يرد بإسلامه ديناً سوى دين أحمدِ

---

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) يحيى محمد عبدالقادر، **على هامش الأحداث فى السودان**،مصدر سابق، ص 162.

(3) **صحيفة الرأى العام**، بتاريخ 1946/10/19.

(4) محمد المهدى المجذوب، **الشرافة والهجرة**، (ديوان شعر)، دار الجيل، بيروت، ط2، 1982، ص 197.

يُصاولُ كُهان الدياجى بمنطقٍ يَدكُ عليهم كلَ زَورٍ مشيدِ

وقال عام 1964، فى قصيدة عنوانها "الفيضان"، وضمّنها ديوانه: منابر:

خذ هبة الثورةِ عن محمودِ إقدامه وفكرِه الجديدِ

مواثباً لخصمك اللدود منتزعاً من بأسها الحديدى

ثأرَ جدودٍ وعُلا جدود

كما أشار فى قصيدة "سيدة رفاعة"، إلى بعض أعضاء **الحزب الجمهورى**، قائلاً: (أبيات متفرقة):

لك النصرُ يا محمودُ والنورُ بَاقياً وأعطيتَ ما أعْطَى بصَائِرَنَا الفَجْرُ

عرفنا رِجالاً قدرُهُمْ ليسَ قَادِراً وغيرُكَ فى السودانِ لَيْسَ لَهُ قَدْرُ

سَعينا إلى النّادِى فطارُوا وأبْلَسُوا عصافيرَ أهْوَى بينَ أعْشَاشِهَا نَسْرُ

بَسَطْنَا لهُمْ بَرقيّةً من رِفَاعَةٍ فأعْشَى عيون القَوْمِ بَارِقُهَا الشّزْرُ

رَفَعْنَا بها فى أولِ الليلِ رايَةً يظاهرُها الفكرُ المقاتِلُ والجَهْرُ

(أمينٌ) و(منصورٌ) و(فَضْلٌ) وصاحِبى (مُنيرٌ) (وما يُلْوى بأخلاقنَا الزَّجْرُ)

عبابٌ ونفسِى فى الجَماهِير قَطْرَةٌ هى البرقُ والرَّعْدُ المُفَجّرُ والبَحْرُ

ذكر المجذوب فى قصيدته أربعة من أعضاء **الحزب الجمهورى** وهم: أمين محمد صديق، ومنصور عبد الحميد، وهو من خريجى **كلية غردون**، ومحمد فضل الصديق، والشاعر منير صالح عبدالقادر (1919-1994). كان الشاعر منير عضواً فى **الحزب الجمهورى**، وظل على علاقة مستمرة بالأستاذ محمود. كان بعض أفراد أسرته يمضون أوقاتاً فى منزل الأستاذ محمود، وكان يزور الأستاذ محمود حين يعود فى إجازاته السنوية، إذ كان يعمل مستشاراً ثقافياً بالمجمع الثقافى فى أبوظبى بدولة الأمارات العربية المتحدة لسنوات طويلة حتى وافته المنية[1]. وحينما تم تنفيذ حكم الإعدام فى حق الأستاذ محمود عام 1985، رثاه الشاعر منير، بقصيدة عنوانها: (النشيد الأول) وقد أوردت أبيات متفرقة

(1) مقابلة مع النور حمد، بتاريخ 10 أغسطس 2010، الساعة 20:30، مدينة الدوحة، قطر.

منها فى صدرالفصل الخامس عشر، الذى جاء بعنوان: "الأستاذ محمود فى كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية". يقول منير فى مطلع القصيدة "أحسبت هاتيك المشانق تقوى على طمس الحقائق".

رجال الحزب الجمهورى: صدق العزيمة والثقة فى القائد

والله أنا ما بعرف العوم لكن والله لو الأستاذ محمود قال لى نقطع بحر رفاعة ده خوض لتبعته[1].

أمين صديق (1911-1980)

عُرف رجال **الحزب الجمهورى** بصدق العزيمة. وكان رئيس الحزب، الأستاذ محمود، يتمتع بقدرات قيادية نادرة وفريدة، وشهد له الكثيرون بالصلابة ورباطة الجأش، وقوة المراس. ومن هؤلاء الذين شهدوا بذلك الأستاذ أحمد خير المحامى، كما ورد آنفاً، فقد وصف رجال **الحزب الجمهورى** ورئيسه قائلاً: "لقد برهن رجال **الحزب الجمهورى** على صدق عزيمتهم وقوة إيمانهم لذلك يتمتعون باحترام الجميع، كما برهن رئيسهم على إخلاص وصلابة وشدة مراس"[2]. الشاهد، أن الأستاذ محمود رافقه بعض طلائع المتعلمين، وبعض من غير طلائع المتعلمين، فى درب النضال، وعرفوه عن قرب، فظل الأستاذ محمود عندهم موضع ثقة وإعجاب. وهناك بعض آخر جمعته بهم صلات أخويه وإنسانية طيبة، وشهدوا له بالاستقامة الشديدة، وسمو الأخلاق. أيضاً، كان زملاؤه المهندسون، من خريجى كلية غردون، وأعضاء نقابة المهندسين لاحقاً، يكنون له التقدير والاحترام والإكبار. ومن هؤلاء المهندس حسن بابكر الحاج على الحسين (1908-1975)[3]، الذى كان له موقف قوى وفريد أيام محكمة الردة الأولى عام 1968، سأتعرض له لاحقاً. لقد ظل الأستاذ محمود عند بعض طلائع المتعلمين موضع احترام وإعجاب وإكبار. وظل

---

(1) إفادة من سمية أمين محمد صديق، عبر البريد الإلكترونى بتاريخ 4 نوفمبر 2012.

(2) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 95، 95.

(3) المهندس حسن هو من خريجى **كلية غردون** عام 1932. عمل مهندساً بالسكة حديد، ثم استقال منها عام 1944. كان صديقاً للأستاذ محمود ولم يكن عضواً فى **الحزب الجمهورى**.

عند الكثيرين منهم، ولأسباب عديدة، موضع حسد، وحرب، وهذا ما سأتناوله لاحقاً.

تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

إن تربية واحد من الإخوان أعود بالخير والبركة وأدل على صدق الدعوة من عشرات المؤلفات العرفانية ***فالحياة أصدق من العلم***[1].

محمود محمد طه

كانت مرحلة التتلمذ على الأستاذ محمود، هى الفرصة التى أتاحت للأجيال الجديدة آنذاك، اللقاء به، والأخذ من معينه المعرفى والفكرى. إن تلاميذ الأستاذ محمود هم حواريوه. جاؤوا إليه، ولازموه وناصروه وآزروه. كانوا ينادونه بالأستاذ، وكان يناديهم بأبنائى وبناتى. اختاروا لأنفسهم اسم الإخوان الجمهوريين، والأخوات الجمهوريات. تكوَّن الاسم من مفردتين: الإخوان، والجمهوريين، فالإخوان مفردة تجد تأصيلها الإسلامى وجذرها الفكرى فى دعوة الأستاذ محمود. أما مفردة الجمهوريين، فترجع إلى اسم **الحزب الجمهورى** الذى أنشأه الأستاذ محمود مع ثلة من رفاقه عام 1945. ومنذ منتصف الخمسينيات عُرف تلاميذ الأستاذ محمود بين الناس بالإخوان الجمهوريين، والأخوات الجمهوريات. انداح تلاميذ الأستاذ محمود فى الفضاء المعرفى السودانى، وقادوا سجالاً عظيماً فى السوح الفكرية والسياسية. عانوا عناءً شديداً، من جراء ذلك السجال، لكنهم ظلوا ثابتين على مبادئ أستاذهم، ومتصالحين مع ذلك السجال، لأنهم كانوا يدركون أبعاد المشاكل وجذورها فى قصة حياة الإنسان. أنسنوا الحياة، وتركوا آثاراً ضخمة، ومعانى ناصعة، تُروى وتُحكى. قدموا نماذج مشرقة فى اخلاقها وسلوكها، وجمال سيرتها، بشهادة معاصريهم وأندادهم، وقد أوردت آنفاً، العديد من هذه الشهادات. فمتى ظهر اسم

---

(1) جاء هذا النص فى رسالة خاصة بعث بها الأستاذ محمود فى 1970/1/18 من مدينة أمدرمان إلى تلميذه عصام البوشى، الذى كان يدرس وقتئذ فى **جامعة لندن** ببريطانيا. استهل الأستاذ محمود رسالته تلك قائلاً: (ابنى المبارك عصام عصم الله خاطره وفكره ولسانه ويده.. تحية طيبة يبارك الله لك ويبارك عليك...). حصل المؤلف على هذه الرسالة ضمن رسائل ووثائق أخرى نادرة وقيمة من الأستاذ عصام البوشى. كانت الوثائق بحالة ممتازة فقد احتفظ بها البوشى بمنزله بمدينة ود مدنى بعناية فائقة. (ملاحظة: كتب الأستاذ محمود رسالته هذه فى يوم 18 يناير، وهو يوم له معانى ودلالات كبيرة، وكما هو معلوم، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً، أنه فى يوم 18 يناير 1985 تم تنفيذ حكم الأعدام فى الأستاذ محمود).

الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات؟ ومتى كانت بداية مرحلة التتلمذ على يدى الأستاذ محمود؟ ومن هو الجمهورى عند الأستاذ محمود؟

بداية مرحلة التتلمذ على يدى الأستاذ محمود

أعظم كتاب كتبته الفكرة الجمهورية سعيد شايب[1].

محمود محمد طه

يمكن التأريخ لمرحلة التتلمذ على يدىّ الأستاذ محمود بمقالة كتبها الأستاذ سعيد الطيب شايب (1931-2002) ونشرها فى **جريدة الشعب** بتاريخ السبت 1951/1/13، يتساءل فيها عن الأستاذ محمود الذى لمع نجمه عقب ثورة رفاعة ولكنه سرعان ما اختفى بسبب السجن ثم بسبب اعتكافه فى رفاعة. كتب سعيد شايب فى مقالته قائلاً: "لفتت نظرى "قفشة"[2] وردت فى عددكم الثالث منسوبة الى المجاهد "محمود محمد طه" فإنها قد أعادت لنفسى أملاً كاد أن يفلت، لما اكتنفنى من شكوك وأوهام؛ وعلى الأقل أعادت لنفسى بأن هناك صحافة حريصة على أعمال المجاهدين"[3]. ثم أضاف سعيد شايب قائلاً:

إن اسم "محمود" قد اختفى منذ حين، وكأنه لم يفعل شيئاً، بل كأنه لم يكن فى عالم الوجود! ولكنى أخرق ذلك الصمت وأقول، أليس محمود ذلك الرجل الذى آمن بقضية شعبه وعمل لها ما وسعه العمل رغم العراقيل التى وضعت فى سبيله؟ أليس هو ذلك الرجل الذى يقوم ولا يتردد ولا يتنازل مهما قابلته الصعاب من بطش ومعارضة حكومية وحزبية- كل ذلك لأنه يؤمن بأن الشعب الذى يريد الحرية ويسعى لها، يجب أن يكون فى

---

(1) حمد النيل عبدالله العركى، **جواهر المعانى فى حضرة الأستاذ محمود محمّد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 6.

(2) لقد وقفت بدورى على هذه القفشة فقد جاءت فى **جريدة الشعب** فى باب طرائف تحت عنوان: سليمان، كتبت الصحيفة: "من طرائف الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** القفشة الآتية: كان الحديث يدور حول الإنجليز واستعمارهم والأحزاب السودانية فقال الأستاذ محمود: إن الإنجليز قد أصبحوا كسيدنا سليمان مات متكئاً على عصاه ولم يعرف ذلك حتى تآكلت العصا.. فهل يفهم الناس أن سليمان الذى يستعمر هذا البلد ميت مرتكز على عصا!!!". المصدر: "سليمان"، **جريدة الشعب**، العدد: 3، السبت 1950/12/23.

(3) سعيد الطيب شايب، "محمود محمد طه"، **جريدة الشعب**، العدد: 6، يوم السبت 1951/1/13.

كفاحه صلباً لا يتزحزح وقوياً لا يلين وثابتاً لا يتنازل[1].

وأضاف سعيد فى تساؤله عن الأستاذ محمود قائلاً: "وأليس هو الذى سجن مرات دون أن يحرك الزعماء ساكناً للدفاع عنه والوقوف بجانبه؟ وأليس هو الذى وقف وقفة الرجل المؤمن بحقه يوم حادث رفاعة - يوم مشكلة الخفاض- التى تمخضت عن سجنه عامين؟ وهل هو غير ذلك الرجل الذى رفض المنصب والجاه فى سبيل حرية رأيه؟"[2]. وتساءل سعيد شايب أيضاً، عن الأستاذ محمود قائلاً: "وهل هو غير ذلك الرجل الذى أراد أن نكون فى هذا الظرف العصيب مكافحين قبل أن نكون ساسة وعاملين على أخذ حريتنا دفعة واحدة وحالاً، ونكفر بتقسيط الحرية وسياسة التطور؟"[3]. (للاطلاع على كلمة سعيد شايب كاملة، أنظر ملحق رقم: "21").

كان الأستاذ محمود معتكفاً فى مدينة رفاعة، حينما نشر سعيد شايب كلمته. أطلع الأستاذ محمود على كلمة سعيد شايب ورد بمقال جاء فى **جريدة الشعب**، يوم السبت 1951/1/27، بعنوان: "سعيد يتساءل"[4]. قال الأستاذ محمود فى مقاله: "حضرة صاحب جريدة الشعب، تحية، وبعد: فقد اطلعت، بعددكم السادس، على كلمة من الأخ سعيديتساءل فيها عنى، وقد أعلم أن كثيراً من الإخوان يتساءلون، كما تساءل، فلزمنى لهمحق الشكر، ولزمنى لهم حق الإيضاح...". ثم تحدث الأستاذ محمود عن نشأة **الحزب الجمهورى**، ومعارضته للحكومة، وتناول مدلول كلمة الإسلام، وطبيعة نظرته إلى موضوع الدعوة إلى الإسلام، قائلاً: "فأنت، إذا أردت أن تدعو إلى الإسلام، فإن عليك لأن ترده إلى المعين المصفى الذى منه استقى محمد، وأبوبكر، وعمر .. وإلا فإن الدعوة جعجعة لا طائل تحتها .. ولم تطب نفسى بأن أجعجع..."[5]. ثم طرح فى مقاله السؤال التالى: فهل حبسنى ابتغاء المعرفة؟؟ وأجاب عن السؤال مبيناً أسباب انقطاعه، وحبسه لنفسه فقال: "لا والله!! ولا كرامة .. وإنما حبسنى العمل لغاية هى أشرف من المعرفة.. غاية ما المعرفة إلا

(1) المصدر السابق.
(2) سعيد الطيب شايب، "محمود محمد طه"، مصدر سابق.
(3) المصدر السابق.
(4) محمود محمد طه، "سعيد يتساءل"، **جريدة الشعب**، السبت 1957/1/27.
(5) المصدر السابق.

وسيلة إليها.. تلك الغاية هى نفسى التى فقدتها بين ركام الأوهام، والأباطيل.. فإن علىّ لأن أبحث عنها على هدى القرآن، أريد أن أجدها.. وأريد أن أنشرها.. وأريد أن أكون فى سلام معها، قبل أن أدعو غيرى إلى الإسلام.."[1]. ثم أضاف قائلاً: "ذلك أمر لا معدى عنه.. فإن فاقد الشيء لا يعطيه.. فهل تريدون أن تعلموا أين أنا من ذلكم الآن؟؟ إذن فاعلموا: أنى أشرفت على تلك الغاية، ويوشك أن يستقيم لى أمرى على خير ما أحب.."[2]. (للاطلاع على مقال الأستاذ محمود كاملاً أنظر ملحق رقم:"22").

مثَّل فى تقديرى تساؤل سعيد شايب عن الأستاذ محمود، ورد الأستاذ محمود عليه، النواة الأولى لمرحلة التتلمذ على الأستاذ محمود، والبداية الفعلية للتواصل بين الأستاذ محمود والأجيال الجديدة (آنذاك). وعندما طرح الأستاذ محمود عام 1951 ملامح مشروعه، ثم أخذ يُبين ملامحه، ويُفصل فيه، جاء الأستاذ سعيد الطيب شايب ليكون بذلك من أوائل تلاميذ الأستاذ محمود. ثم جاء محمد يوسف عبادى، وخوجلى محمد خوجلى، والأستاذ جلال الدين الهادى الطيب إدريس، والأستاذ عبداللطيف عمر، وعبد الباقى إسماعيل، وقسم الله عبيد فضل[3].وكان قد سار مع الأستاذ محمود فى المسار الجديد بعض رفقائه من أعضاء **الحزب الجمهورى** القدامى. وكان من هؤلاء: أمين محمد صديق(1911-1980)، ومحمد فضل الصديق (1919-1982)، وميرغنى حمزة على (1911-2010)، ومهدى أبو بكر، والتوم عبد الجليل، وتاج السر الحورانى، وذو النون جبارة (1918-1974)، وعبدالرحمن البوشى (1918-1978)، الذى كان معاصراً للأستاذ محمود فى قسم الهندسة **بكلية غردون**، وتخرج فيها عام 1938، وكان ذلك بعد تخرج الأستاذ محمود بعامين وغيرهم.ومن أوائل الجمهوريات اللائى التحقن بالأستاذ محمود الحاجة كلتوم محمد طه، والحاجة كلتوم حسين (???-1984) زوجة محمد فضل الصديق، وبتول مختار محمد طه (ابنة أخيه)، ونوال محمد فضل[4].

---

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) مقابلة مع عصام عبدالرحمن البوشى، مدينة مدنى، السودان، بتاريخ 13 يوليو 2010، الساعة 16:00.
(4) المصدر السابق.

ومنذ نهاية الخمسينيات من القرن الماضى بدأ اعتناق الطلاب لفكر الأستاذ محمود بطلاب المعهد العلمى بأمدرمان الذين كان منهم إبراهيم يوسف، وأحمد عبد الرحمن العجب، ومحمد خير محيسى، وعبدالرحيم سفيان، والريح أبو إدريس. ومنذ بداية عقد الستينيات بدأ الشباب من طلاب الجامعات والمعاهد العليا فى التدفق على الأستاذ محمود، وزاد عددهم فى السبعينيات والثمانينيات بشكل كبير. لقد تحاشيت تقديم نماذج من أسماء التلاميذ والتلميذات الذين توافدوا منذ بداية الستينيات من القرن الماضى، وكان يمكننى أن أقدم مئات الأسماء، إلا أنه يصعب حصر الأسماء بما يحفظ الحقوق. خاصة وأننى من المؤمنين بأن تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته قدموا جهوداً وعطاءً، سواء على المستوى الفردى من خلال تقديم النموذج الإرشادى أو على المستوى الجماعى، قدموا تجربة حياتية فريدة، وتركوا للبشرية تراثاً ضخماً فى مجالات علمية مختلفة وضروب حياتية شتى. وعلى الرغم من أن هذا التراث الضخم قد أقيم بينه وبين شعوب السودان والإسلام جدار عازل سميك، وواجه حصاراً عنيفاً ولا يزال مستمراً، على الرغم من ذلك فإنى على يقين تام بأنه قريباً جداً سيكشف عن هذا التراث الضخم، وسيبدأ الحوار عنه، حينها سيحدث حيوية لم تكن من قبل، وسيغذى الخيال الجمعى للبشرية وسيلهمها بالمعانى الجديدة. وفى تقديرى سيتم ذلك حينما تتحرر الأكاديميا السودانية من القديم والجهل ومن التماهى مع الفقهاء، حينما يحدث التحرر سيكون هذا التراث الضخم ميداناً ومادة للبحث والدراسة، ووقتها ستخرج علينا مئات الرسائل الجامعية من دكتوراة وماجستير ودبلومات... إلخ، ومع كل ذلك فإن يقينى بأنه سيبدأ حوار حر ومناخ جديد ليأتى بالواقع المختلف. ولهذا فإنى لم أقدم حصراً للأسماء ولكنى عزمت منذ وقت على إصدار معجم عن تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، ووسمت المشروع[1] مبدئياً بـ : **معجم تلاميذ الأستاذ محمود محمد طه وتلميذاته** (1951-1985).

وعن الأخ الجمهورى عند الأستاذ محمود، يقول منصور خالد: "هناك درس تعلمته من الأستاذ محمود محمود طه، وكنت أسعى إليه دوماً للحوار معه حول بعض آرائه فى القضايا

(1) بالفعل شرعت فى الخطوات الأولى لإعداد المعجم فقد قمت بتصميم استمارة معلومات/ بيانات، ومن ثم وجهت رسالة لتلاميذ الأستاذ محمود بخصوص هذا المعجم وأرفقت مع الرسالة الاستمارة. والآن وصلتنى مجموعة مقدرة من الاستمارات معبأة ولا تزال تصلنى. والحق أنى عازم على إنجاز هذا المشروع برغم ضخامته من حيث المعنى ومن حيث الحجم.

العامـة، سألته يوماً عـن أسس اصطفائه للأخ الجمهـورى". ثم أورد منصور خالد رد الأسـتاذ محمود الذى جاء فيه عن الأخ الجمـهورى: "أن يكون متمكناً من مهنته لأن الذى لا يفلح فى مهنته لن يفلـح فى إقناع الآخرين بأى شىء آخر، وأن يجيد التـعبير عن نفـسه ويملك القدرة على ضبط النفس وحسن الاستماع للآخر، لا يستفِز ولا يُستفز. أهم من هذا أن لا يفعل فى السر ما يستحى من فعله فى العلانية، هذا ما أعنيه بالصدق مع النفس والطمأنينة الداخلية"[1].

ملامح أولية لدور تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

يا بوى صباح الخير

يا بوى صباح الخير

من آخر الأعماق

أنا حالى غيرك غير

فى منتهى الأشواق

■●■

إنت بتروّح وين

يا مستبد يا عاق

من غضبة الطوفان

من شعبنا العملاق

يوم تشخص الأبصار

يلتف ساق بى ساق

بيناتنا يبقى الحق

ومكارم الأخلاق[2] *..!*

أزهرى محمد على

---

(1) منصور خالد، "الدكتور منصـور خالد يفتح صندوق الذكريات الخاصة والعامة"، (حـوار)، حوار كمال حسن بخيت، **البيان الإماراتية**، العدد: 196، الأربعاء 6 أغسطس 2003.

(2) أزهرى محمد على، "يا بوى صباح الخير"، (قصيـدة، أبيات متفرقة)، نشرت القصيدة فى **موقع الفكرة الجمهورية** على الإنترنت، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/2/5، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

إن تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، بجانب مناصرة الأستاذ محمود، ومؤازرته، قاموا بدور كبير وعظيم. وقد تناولت هذا الدور آنفاً فى الفصل الأول. ولكن بجرد مجمل يمكن القول إن التلاميذ والتلميذات قادوا مع أستاذهم، الأستاذ محمود، المواجهة، ومهمة التعريف بمشروعه، تحدثوا مع الناس فى الطرقات، وأقاموا لاحقاً أركان النقاش فى الجامعات والمعاهد، وفى الشوارع والحدائق العامة. اضطلعوا بمهام حملات بيع الكتب، التى تعرِّف بالفكرة الجمهورية، وسعوا لبيعها فى مدن وقرى أقاليم السودان المختلفة. أيضاً، كان الأستاذ محمود حريصاً على توصيل دعوته إلى المثقفين والفنانين والساسة والأكاديميين، والشعراء والكتاب. فقاد تلاميذه اللقاءات بهم أفراداً وجماعات، حدثوهم عن مشروع الأستاذ محمود، وقادوا معهم الحوار والمناظرة لاحقاً. استمعت إلى تسجيل للجلسة الختامية لمؤتمر عيد الفطر للأخوان الجمهوريين، الذى نُظم يوم 9 نوفمبر عام 1972، بمدينة أمبدة، بأمدرمان، وفيه قدم بعض تلاميذ الأستاذ محمود تقارير حول نتائج لقاءاتهم بالمثقفين[1]. الأمر الذى يعكس مدى اهتمام الأستاذ محمود بتوصيل دعوته إلى المثقفين. لقد مر دور تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته فى مناصرة الأستاذ محمود، وفى التعريف بمشروعه، وفى الدفاع عن ما لحق به، وبمشروعه من التضليل والتحريف لأطروحاته، مر دورهم بمراحل مختلفه: ففى البدء كانوا تلاميذ، وليسوا دعاة، ثم سمح لهم الأستاذ محمود فيما بعد، بأن يدعوا ويبشروا بالمشروع، يقول إبراهيم يوسف: "فى عام 1960 رفض البوليس إقامة ندوة فى النادى فنقلها أستاذ أمين صديق لمنزله. فعلق مدير البوليس قائلاً: "أيه الفائدة نحن نمنع الندوات من الأندية وأمين ينقلها إلى منزل الحكومة.. فقال أمين: دعوه يسألنى حتى أبين له أن بيوت الحكومة تداس فيها الفضيلة"[2]. ثم أضاف إبراهيم يوسف قائلاً: "على إثر ذلك قال الأستاذ محمود: "آن للدعوة أن يكون لها أكثر من داعية"[3]. علق إبراهيم يوسف على كلمة الأستاذ محمود قائلاً: "كأنما أذن الأستاذ محمود لتلاميذه بالحديث"[4]. ولاحقاً، سمح الأستاذ محمود لتلاميذة بكتابة الكتب تحت إشرافه المباشر. صدر أول كتاب باسم الإخوان الجمهوريين عام 1973، وكان عنوانه: **أضواء**

---

(1) من **موقع الفكرة الجمهورية** على الإنترنت، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 12 نوفمبر 2009، الموقع على الإنترنت: http://www.alfikra.org

(2) مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، بتاريخ الثلاثاء 2011/8/31، الساعة 20:00، الدوحة، دولة قطر.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

على شـريعـة الأحوال الشـخـصيـة. وصـدر أول كتـاب مـشـترك بيـن الأخوات والإخـوان الجمهوريين عام 1974[1]، وكان عنوانه: **الميزان: بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، وكتبه كل من: بتول مختار وإبراهيم مكى، وأسماء محمود محمد طه وعصام البوشى وعوض الكريم موسى. وكتبوا فى المقدمة عن هدفهم من الكتاب قائلين: "هذه مقـدمة كتابنا الذى اخترنا له اسم: **الميزان: بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، هادفين من ورائه إلى كـشف الاتجاهات الرجـعيـة التى بدأت تسـيطر على بعض الأجـهزة الرسـميـة فى بلادنا..."[2]. وتحت عنوان: "قصة هذا الكتاب"، كتبوا قائلين:

"وقع فى أيدينا،قـبل أيام قليلة، منشور من عـدة صفـحات، كتـبه السـيد أحـمد البيلى، مدير مصلحة الدراسات الدينية، بالأمـانة العامة للشؤون الدينية، فى شهر يوليو من هذا العـام (عام 1974).. ولقد استـهدف المنشور، على حد زعـم كاتبه "تقويم وتقـييم" الفكرة الجمهـورية التى اطلع على تسع وثائق من كتبـها.. وبكل الأسف جاء ذلك المنشـور خالياً تمامـاً من الفكرة الجمـهورية، وحاوياً لاتهـامات جاهلة، ومـغرضة، ما كان يمـكن أن تقوم عند كاتب الشؤون الدينيـة لو قد اطلع على كتب "الدعـوة الإسلاميـة الجديدة" التى زعم أن منهـا وثائق بين يديه، اللهم إلا إذا قلنا أن غـرضـه المـبيت للنيل من هذه الدعـوة أعـمـاه عن الفـهم، وعن المسئولية، ليمكننا الله منه، ومن أمانته العامة التى كلفته بمهمة هذا التقرير".

وفى عام 1978 أصدر الأستاذ سعيـد الطيب شايب كتاباً، كان بعنوان: **قضايا كوستى: هدية لشعبنا لكيلا يُخدع عن حقيـقة من يتصدون لتعليمه دينه**[3]. تناول فيه الأستاذ سعيد اعتـداء بعض الناس على مـحاضرة أقـامهـا الإخوان الجـمهـوريون فى دار رابطة الفنانين بكوستى. ثم توالى صدور الكتب، بعـضها فى مناسبات بعينها، وبعـضها على أثر أحداث ومواقف. ومن الكتب التى صـدرت بمناسبة وقصـة كتاب: **تعلموا كيف تجـهزون موتاكم**

(1) مقابلة مع عصام البوشى، 14 يوليو 2010، الخرطوم، الساعة 11:30 صباحاً.
(2) بتول مختار (وآخرون)، **الميزان: بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، مصدر سابق، ص 1.
(3) سعيـد الطيب شايب، **قضـايا كوستى: هدية لشعـبنا لكيلا يُخدع عن حـقيقة مـن يتصدون لتعليـمه دينه**، ط1، أمدرمان، 1978.

الذى صدر باسم **الإخوان** الجمهوريين عام 1978. تعود قصة الكتاب[1] إلى أن الأخوات الجمهوريات كن قد شاركن فى تشييع جثمان المهندس عبدالرحمن البوشى فى أبريل عام 1978، بمدينة ود مدنى، وكان ذلك بناءً على اقتراح تقدمت به بنتاه علوية وعطيات إلى الأستاذ محمود. أحدثت مشاركة الأخوات الجمهوريات فى التشييع ضجة كبيرة، وجدلاً واسعاً، تُوج بإصدار كتاب، ودخلت به الأخت الجمهورية عهداً جديداً من المواجهة[2].

كانت حياة وأوقات تلاميذ الأستاذ محمود، كلها مواجهات، وصراعات مع العقل الثقافى ونسق القيم السائدين. إننا بمراجعات أمينة للتطور الفكرى والسياسى فى السودان بعد تحرير عقولنا وقلوبنا من العداء للأستاذ محمود ولمشروعه وتلاميذه، نجد أن هناك طاقات عقلية ضخمة، وقدرات فكرية جبارة قد ضاعت، وبددت بسبب الصراع العقيم، وتبع ذلك تهميشها، وعزلها عن الحراك السياسى والفكرى فى السودان. كتب الأستاذ فتحى الضو قائلاً:

ولولا إننا قوم جُبلنا على الجحود ونكران الجميل لأعطينا الجمهوريين حقهم فى صدقةجارية، فقد ساهموا فى إرساء دعامة كبرى نحتاجها فى حياتنا وهى دعامة الحوار، وكلنا يعلم أن غيابها تسبب فى الكوارث السياسية والفكرية والاجتماعية التى ابتلينا بها،واستطيع أن أقول إن شوارع العاصمة المثلثة افتقدت حوارات الجمهوريين عنواناً للتسامح الدينى والفكرى والسياسى، وأستطيع أن أقول أيضاً وبنفس الروح أن شوارع العاصمة المثلثة تلك، تمدد فيها العنف وسالت فيها الدماء وفتحت جهنم أبوابها منذ أن غاب عنها الجمهوريون أنفسهم! [3].

من الملاحظة المهمة والتى لا تخطئها عين الدارس والمتفحص أن الأستاذ محمود منذ طرح مشروعه عام 1951، ظل يتحمل وبشكل مباشر المسئولية عن كل عمل أو نشاط. كان فى السابق وتحت مظلة **الحزب الجمهورى** يكتب حينما ينشر كتاباً أو بياناً، **الحزب الجمهورى** يقدم، ولكن منذ طرحه لمشروعه الكبير الخطير، درج على كتابة محمود محمد طه يقدم. تجد ذلك فى جل عناوين كتبه، وفى صدر البيانات، والمناشير التى تم توزيعها. كان أيضاً يتقدم تلاميذه حال

---

(1) مقابلة مع عصام البوشى، 14 يوليو 2010، الخرطوم، الساعة 11:30 صباحاً.
(2) المصدر السابق.
(3) فتحى الضو، "ويلٌ لأمة لا تعرف قدر مُفكِّريها!"، **صحيفة الأحداث**، الخرطوم، 2009/1/18.

حدوث أىّ اتهام لهم من قبل الشرطة أو المحاكم، كان يأتى ويطلب تسجيل اسمه باعتباره المتهم الأول، والمسؤول المباشر عن كل أعمال تلاميذه ونشاطاتهم. حدث ذلك فى محكمة بورتسودان عام 1975، وحدث مثله فى كل المواقف والأحداث التى واجهها تلاميذه، وهى كثيرة(1).

مصادر تمويل حركة الإخوان الجمهوريين

الإسلاميون يضللوننا بأن الأستاذ محمود تموله الـ CIA، هل يعقل أن أمريكا تمول ثلاث قُلَلْ وبرشين؟ (2)

عبدالمنعم بشير إمام، نقلاً عن على أحمد إبراهيم

قدم الأستاذ محمود وتلاميذه وتلميذاته، الإخوان الجمهوريون والأخوات الجمهوريات فى السودان، تجربة فريدة وضخمة ومدهشة، ليس من حيث حجم العمل وضخامة الإنتاج وحيوية النشاط فحسب؛ وإنما من حيث التوظيف للإمكانات المحلية والتفجير للطاقات البشرية والروحية مع الانضباط التام والمحاسبة الدائمة والجرد المستمر للأداء والانجازات. فمع الانشغال بالتبشير بالدعوة عبر كتابة الكتب والمقالات والبيانات والمناشير وإقامة أركان النقاش والمحاضرات والندوات، كان الأستاذ محمود وتلاميذه مواجهين بالرد على المعارضين ومواجهين بضرورة التبصير والتوضيح لما يقوم به أعداء الأستاذ محمود وتلاميذه من تضليل وكذب. وفى الوقت الذى كانت إمكانيات الأستاذ

---

(1) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى، الدوحة، دولة قطر، 13 فبراير 2011، الساعة 18:30 .

(2) كان عبدالمنعم بشير إمام قد زار الأستاذ محمود فى منزله بمعية على أحمد إبراهيم، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، فى نحو عام 1975، ووقف على حال منزل الأستاذ محمود من الداخل، ولم يرَ فيه سوى ثلاث قلل وبرشين. خاصة وأنه قد نشرت إشاعات فى ذلك الوقت بأن الأستاذ محمود تموله جهات أجنبية. بعد ما وقف على الواقع علق عبدالمنعم وهو واقف أمام منزل الأستاذ محمود مع على أحمد إبراهيم، فقال الشهادة أعلاه.
الـ CIA اختصار لاسم Central Intelligence Agency وهى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية.
برشين مثنى برش، والبرش: حصير مخصوف. المصدر: عون الشريف قاسم، **قاموس اللهجة العامية فى السودان**، مرجع سابق، ص 84. والقلل جمع قلة، والقلة كما جاء فى معظم معاجم اللغة العربية بأنها: إنَاء من الفُخَّار يُشْرَب منْهَ.
المصدر: مقابلة مع علـى أحمد إبراهيم رحمة (شيخ على)، كانت المقابلة فى رحلة (المؤلف وعلى) بسيارة ما بين الخرطوم ومدنى، يوم 2012/1/7، بدأت الرحلة الساعة 11:00 صباحاً وتخللتها نشاطات أخرى وانتهت عند الساعة 15:30.

محمود وتلاميذه إمكانيات محدودة وتعتمد على توظيف الأدوات البسيطة سواء بالطباعة على ماكينة الرونيو أو بالنسخ اليدوى للكتب والبيانات الذى كان يقوم به الفنانون وأصحاب المهارات الفنية، أو بالتسجيل الذى جاء لاحقاً. تقول بتول مختار محمد طه كان: "الإخوان يعملون ليل نهار فى ماكينة الرونيو صانعة المعجزات"[1]. فى هذا الوقت كانت إمكانات الأعداء ضخمة ومدعومة من الدولة، بل كانت الدولة ممثلة وقتئذ فى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف بالسودان (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) عدوة للأستاذ محمود. لم يقف الأمر عند الدولة بل الدعم يقوم به تحالف إسلامى عريض فى العالم الإسلامى. وقد وردت الإشارة لذلك فى الفصل الثانى من هذا الكتاب، وقد بينت كيف أن **المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف** بالسودان (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)، قام باستكتاب الأساتذة ليردوا على الأستاذ محمود، وكيف أن أحد المحكمين لهذه الردود وهو سر الختم الحسن عمر، والذى طُلب منه إبداء الرأى حول دراسة تم إعدادها فى الرد على الأستاذ محمود، وقُدمت الدراسة إلى **المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف**، فأصدر المكتب التنفيذى توجيهاً للسيد سر الختم الحسن عمر ليبدى رأيه حول الدراسة. كتب سر الختم ضمن الخطاب الموجه إلى السيد رئيس **المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف**، بتاريخ 20 نوفمبر 1984، كتب قائلاً: "فيما يتعلق بإبداء الرأى حول كتاب: رسالة فى الرد على محمود محمد طه، فإنى أوضح الآتى: إن المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف يسعى لأن يستكتب أساتذة يردون على فكر محمود محمد طه وبطلانه الواضح، ولكن هذا لا يعنى أن يقبل أى شىء، يقدم إليه دون فحص أو تدقيق فيما يقدم إليه"[2]. كان يواجه الأستاذ محمود وتلاميذه الأعداء المدعومين من الدولة.

الشاهد أن ما قدمه الأستاذ محمود وتلاميذه من نشاط عقلى وحيوية، أدهش القائمين على أمر السودان والإسلام، فذهبوا يفسرون الأمر فى وجهة التمويل الأجنبى... إلخ. كان

(1) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الايام**، مصدر سابق، ص 288.

(2) سر الختم الحسن عمر، "خطاب موجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف"، ضمن: عبدالباقى يوسف نعمة، **رسالة فى الرد على: محمود محمد طه**، مرجع سابق، ص الملاحق.

على رأس هؤلاء المندهشين للأمر "علماء السودان"، كما ورد آنفاً، فقد خاطب علماء السودان رئيس وأعضاء مجلس الشعب عبر الوثيقة رقم (6)، قائلين: عن الإخوان الجمهوريين وزعيمهم محمود محمد طه[1]. السيد رئيس مجلس الشعب والسادة الأعضاء... إن وراء دعوة محمود محمد طه (جهات - أيادى) أجنبية تحركها وتمولها"[2]. ثم أضاف علماء السودان قائلين فى وثيقتهم: "وهذه الإمكانات الضخمة الواسعة من المطابع والأوراق والنساخين والعمال والمنازل المؤجرة والعربات التى تنقل الأتباع والعانسات إلى جميع عواصم السودان ليبعن الكتب وتكاليفها وتلك المساعدات المالية الضخمة التى يقدمها للناس والموائد الدائمة والشراب من أين يأتيه؟". ثم يعبرون عن تصورهم قائلين: "ولا نتصور أن له اتباعاً يمدونه بهذه الأموال فقد رأينا وجوههم الكالحة التى ارتسم عليها الفقر والحرمان فوق ما يجلوها من قتام الكفر وسيما الخزى والضلال فهؤلاء يأخذون ولا يعطون، حتى ولا يمكن لكتبه غير الرائجة أن تفى بعشر أعشار تكاليفها لو راجت"[3]. وفى واقع الأمر لم يكن هناك سوى جد وعزيمة ونكران ذات. لقد شهد بعض المثقفين السودانيين لتلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته بخصائص نادرة فى النشاط والحيوية والعطاء والعمل. مثلاً كان "المرحوم"جمعة حسن (1947 (تقريباً)- 2002)، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، الذين يقومون بأعمال متعددة منها: الطباعة والتسجيل والتصوير قد شهد فى حقه أحد المثقفين السودانيين الكبار هو يونس الدسوقى القطب الشيوعى المعروف. كتب عمر القراى قائلاً:

عندما زرت عم يونس الدسوقى، فى الفندق الصغير، الذى كان يقيم فيه بالقرب من ميدان رمسيس، فى وسط القاهرة، فى منتصف التسعينات، وعرفته بنفسى بادرنى قائلاً: وين جمعة حسن؟! أخبرته أنه فى أمدرمان. فقال: جمعة دا كان طالب فى المدرسة الصناعية، فى كوستى لما دخل معانا فى ***الحزب الشيوعى****.. وكان طاقة عجيبة، يمكن يساوى عشرة من زملاهو.. قام غاب عننا زى سنة كدا، لقيتو شايل كتب*

(1) "النشرة اليومية"، **وكالة السودان للأنباء (سونا)**، مصدر سابق، ص 28.

(2) المصدر السابق، ص 28.

(3) المصدر السابق، ص 28-29.

الجمهوريين يبيع فيها!! قلت ليهو: ياجمعة الحكاية شنو؟ مالك خليتنا وبقيت مع الجمهوريين؟! قال لي: يا عم يونس أنا والله بحترمكم.. لكن اليقين الشفتو في عيون الأستاذ محمود، ما شفتو في غيرو.. قلت ليهو: والله صدقت ياولدي، صدقت!! [1].

التمويل والموارد: القواعد والأسس

والله.. أنا من المأثورين به [الأستاذ محمود]. أنا كنت أعرفه وأتردد على منزله في ذلك الوقت. وكنا كشباب في الثانويات نجد عنده (اللقمة) نتعشى معه وكنا نتعجب أن الشخص الذي يشغل الساحة الفكرية شخص بسيط زاهد ومتواضع، وكان الفكر الوحيد المطروحة كتبه في السوق. .. أنا.. بفتكر أن محمود محمد طه -جرعة كبيرة لا نستطيع أن نتحملها.. الناس ما قادرين يتحملوا حسن مكي - بيتحملوا محمود محمد طه؟؟! [2]

حسن مكي

من المرتكزات الأولية والقواعد الأساسية التي وضعها الأستاذ محمود في تمويل الحركة الجمهورية ونشاط الإخوان الجمهوريين، أن لا تُقبل أي تبرعات أو مساهمات مهما كانت عينية أو غيرها، من أي جماعة أو جهة رسمية أو غير رسمية أو أي شخص من خارج عضوية الحركة الجمهورية[3]. كان الأستاذ محمود في عام 1966 قد ترك العمل في مجال الهندسة نهائياً، وتفرغ تماماً للتأليف ولنشر الفكرة الجمهورية[4].

كان التمويل للحركة والنشاط يتم من المصادر التالية:

1- العائد الذي يأتي من بيع الكتب التي كان يؤلفها الأستاذ محمود أو الكتب التي يكتبها تلاميذه بإشرافه وخرجت باسم الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات. وكانت كل حملة من حملات بيع الكتب تقدم تقريراً عن حجم المبيعات والعائدات، سواء

(1) عمر القراي، "في ذكرى الأستاذ محمود: سلام على يونس الدسوقي في العالمين!!"، **من سودانايل**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/1، الموقع على الإنترنت: http://www.sudanile.com

(2) حسن مكي، ضمن حوار مع حسن مكي، **صحيفة الوفاق**، السبت 5 ديسمبر 1998، الخرطوم.

(3) مقابلة مع علي أحمد إبرهيم (شيخ علي)، مصدر سابق.

(4) محمود محمد طه، **مخطوطة**، مصدر سابق، ص 7؛ إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهوري**، مصدر سابق، ص 127-129.

فى العاصمة أو الأقاليم (أنظر ملحق رقم: "38" فهو نموذج من نماذج التقارير التى تبين العائدات المالية من بيع كتب).

2- مساهمات الأعضاء كل حسب طاقته وحسب ظروفه، ولا تقبل أى مساهمة من أى شخص من خارج العضوية فى حركة الإخوان الجمهوريين، مهما كانت صلة قرابته أو درجة صداقته. ويذكر على أحمد إبراهيم قائلاً: "إن المرة الوحيدة التى قبلت فيها عينية، كانت من أحد الأصدقاء حيث حضر جلسة للإخوان الجمهوريين فى صالون الأستاذ محمود، فى صيف غائظ ولاحظ الصديق عدم وجود مراوح فأعلن عن تبرعه بمروحتين، فقبلتا منه، وظلتا فى الصالون. أما غرفة الأستاذ محمود فلم تكن فيها مروحة، وكان يقول: "العارف مناخو داخلى"[1].

أما الصرف على منزل الأستاذ محمود فكان يتم من العائد المالى من بيع الكتب فقط، وليس من مساهمات العضوية. كان الأستاذ محمود حينما سأل عن مهنته فى محاكمة بورتسودان الشهيرة عام 1975، أجاب بأن مهنته مؤلف[2]. وحتى الأموال العائدة من تأليف الكتب لم تكن لأسرة الأستاذ محمود وتلاميذه وإنما هناك أطراف أخرى. فأموال الكتب كما تقول بتول مختار: "كل أموال الكتب كانت تصرف مساعدات للفقراء وقليل منها لمنزله"[3]. كانت هناك خزينة لمال بيع الكتب، وخرينة أخرى لمساهمات الأعضاء، ولا يجمع بين الخزينتين[4]. تقول بتول مختار محمد طه: "كان يطلب منى أن أسجل يومياً احتياجات المنزل بعد التشاور مع من تقوم بالعمل فى ذلك اليوم.. وكنت أحصل من مسئول المال على المبلغ الذى قد عرضته عليه"[5].وتضيف بتول قائلة: "أحياناً يتعدى الصرف المبلغ المحدد وذلك لكثرة الضيوف الذين يأتون من غير سابق ميعاد، ومع ذلك كان يشدد على أن لا أسرف فى الصرف على الطعام ويقول لى: "إن أموال الكتب هذه ليست ملكنا وحدنا ويجب أن نكون أقل الناس صرفاً منها"[6]. وتبين بتول قائلة: "ولذلك

(1) مقابلة مع على أحمد إبرهيم (شيخ على)، مصدر سابق.
(2) مقابلة مع ياسر الشريف، تمت المقابلة عبر الهاتف، المؤلف فى قطر وياسر فى المانيا، بتاريخ 22 أكتوبر 2012، الساعة 20:00.
(3) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الايام**، مصدر سابق، ص 428.
(4) مقابلة مع على أحمد إبرهيم (شيخ على)، مصدر سابق.
(5) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 122.
(6) المصدر السابق، ص 122.

كان صرفنا دائماً يقف فى الحد الأدنى، حينما كان الصرف أكثر على المحتاجين والفقراء الذين يؤمون منزله كثيراً، كان له أسلوب معين فى تقديم المساعدة للمحتاجين، لا يعطى من يسأله أمام الناس بل ينهض ليودعه خارج المنزل، وفى الطريق يقدم له ظرفاً بداخله المبلغ الذى يريد أن يعطيه إياه"[1]. وحينما تفرغ خزينة الكتب كما حدث فى إحدى المرات، فإن الأستاذ محمود يعلن التقشف فى المنزل، حكى لى على أحمد إبراهيم قائلاً: "إنه فى مرة من المرات، طلب الأستاذ محمود من خزينة الكتب، مبلغ خمسة جنيهات لمصاريف المنزل، فرد محمد سالم بعشر وكان وقتها هو أمين مال الكتب، بأن الخزينة خاوية، فأعلن الأستاذ محمود حالة التقشف، وأوقف الشاى كلية"[2].

الشاهد أن ضخامة نشاط الإخوان الجمهوريين، وتفرد تجربتهم، وضخامة حجم عملهم وإنتاجهم، أدهش الأعداء فسعوا لتشويه الفكرة وتاريخها وسيرة صاحبها، وهذا ديدن أصحاب الكسل الذهنى فإنهم يقابلون النشاط والحيوية بالتقليل من الشأن والتشويه للنشاط. بيد أن الحقيقة والواقع إن تجربة الإخوان الجمهوريين، تجربة متفردة، وهى لم تدرس بعد، وحينما تدرس سيستخلص منها الناس عبراً ودروساً، وسينهل الناس منها من جديد علماً جديداً ومعارف لم تقل من قبل، مثلما نهل منها تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته من قبل ولا يزالون ينهلون. يقول خلف الله عبود: "قد نهلنا من علم لايمكن أن نجده فى غير بيت الأستاذ محمود المصنوع من الجالوص فى ذلك الوقت... الغريب أن الأستاذ الصلحى هو أول من نبهنا للأستاذ محمود بقوله ذات يوم ونحن نجلس فى أستوديو التلوين: " فى أمدرمان فى بيوت الجالوص، فى ناس عندهم علم وتحقيق لايمكنكم أن تتخيلوه... فى الأستاذ محمود محمد طه وإبراهيم قرنى قاعد يمشى هناك"[3].

(1) **المصدر** السابق، ص 122.

(2) **مقابلة** مع على أحمد إبرهيم (شيخ على)، مصدر سابق.

(3) **خلف** الله عبود، ضمن خيط أحمد سيد أحمد، "كلية الفنون وشريط الذكريات"، من **موقع سودان للجميع**، **استرجاع** (Retrieved) بتاريخ 2013/1/27، الموقع على الإنترنت: www://sudan-forall.org

البــاب
الثـالــث

الفهم الجديد للإسلام ومؤامرات التحالف الإسلامى ومحكمة الردة والشراكة فى الاغتيال

وهناك ميزة لا تجارى فى الإسلام وإن كانت هذه الميزة مجهولة من كثيرين، بل إن أكثر الناس يعرف للإسلام عكسها تماماً.. تلك الميزة هى حرية الفكر..إنه لا يجارى فى هذا المضمار.. وشعار الإسلام وهو شهادة "لا إله إلا الله" لا تعنى شيئاً أكثر من هذا، فإنها تقول أن ليس فى جميع العوالم شىء هو حق مائة فى المائة إلا الله، ومن ثم فإن التعصب لأى رأى أو معتقد أو عادة تعصباً يمنع التفكير فى احتمال غيرها هو جهل وغباء، وهذا هو السر فى صياغة الشهادة بصورة تجمع بين النفى والإثبات "لا إله إلا الله"، فكأن كل ما عدا الله يحوى الحق والباطل فى إطار واحد.. ففى كل حق نسبة من الباطل وفى كل باطل نسبة من الحق مما يجعل الرجل العاقل يفكر مرات ومرات قبل أن يجزم بصحة ما يرى هو جزماً يجعله يزرى بمعتقدات غيره وهو مطمئن كل الاطمئنان..

محمود محمد طه، أمدرمان، الثلاثاء 21 اكتوبر 1958

الفصل الثامــن

8

محكمة الردة الأولى 1968 والعجز الفكرى

تحالف الساسة والفقهاء والانتقال بالمواجهة من سوح الحوار الفكرى إلى الصعيد الرسمى

وقصة احتراف الدين، قد ظهرت بظهور طبقة (رجال الدين).. وذلك أمر منيت به كل الأديان وأكتوت بناره كل الشعوب.. وقد أسهم عندنا هنا فى السودان بنصيب وافر فى تعطيل الطاقات الحيوية من أبناء هذه البلاد، الذين فقدوا ثقتهم فى الدين والتمسوا هداهم عند سواه، حين حكموا عليه بأقوال وأعمال (رجال الدين) الذين طوعوه سبباً من أسباب الرزق، يلتمسون به هوى الحكام ورضاء الأغنياء... لسنا بصدد اجترار ذكريات الماضى أو تسجيل التاريخ، وإنما نحن فى الحقيقة بسبيل من مواجهة صور ذلك الماضى البغيض التى لا نزال نحمل أثقالها، وقد تجسدت أمامنا فى هيكل الشؤون الدينية، كأكبر عقبة أمام حركة التغيير الاجتماعى الذى نحن بسبيله، وقد جمعت بقدرة قادر -كما يقولون- بين فقهاء الطائفية وأنصار السنة والإخوان المسلمين[1].

سعيد الطيب شايب

(1) سعيد الطيب شايب، **قضايا كوستى: هدية لشعبنا لكيلا يخدع عن حقيقة من يتصدون لتعليمه دينه**، مصدر سابق، ص 7-6.

إن الحرج الذى تعرض له العقل والوجدان بوقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود محمد طه أمام القضاء الشرعى لهو حرج فى أفئدة كل الذين يريدون لبلادنا أن تستظل بالحوار وأن تسترشد بالحجة والبيان وأن يصان العقل من الاستعلاء والاستعداء(1).

تجمع الكُتاب والفنانين التقدميين "أبادماك"، 1969

لقد واجه الأستاذ محمود، على المستوى الرسمى، الحكم بالردة عن الإسلام مرتين. المرة الأولى كانت فى يوم 18 نوفمبر 1968، والمرة الثانية فى يناير 1985. فى المرة الثانية تبع صدور الحكم بالردة عن الإسلام، تنفيذ الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. وبرغم المساحة الزمنية التى تفصل بين المحكمتين، وهى ستة عشر عاماً، إلا أن محكمة يناير 1985 استدعت فى رحلة حكمها، الحكم الصادر من محكمة الردة الأولى نوفمبر 1968. فالمحكمة الأولى مثلت السابقة التى بُنيت عليها المحكمة الثانية عام 1985، والتى سيأتى الحديث عنها لاحقاً. الشاهد فى الأمر أن حقائق أولية تقفز، وأسئلة عديدة تبرز، بمجرد ذكر محكمة الردة الأولى التى حكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام فى يوم 18 نوفمبر 1968. فمن الحقائق الأولية أن المحاكمة تمت فى ظل حكم نظام ديمقراطى نيابى تعددى، جاء بعد ثورة 21 أكتوبر الشعبية، التى أطاحت بنظام حكم عسكرى فى السودان عام 1964. كما أن المحاكمة تمت فى بلد يتميز بتعدد ثقافى

(1) من نص بيان تجمع الكُتاب والفنانين التقدميين "أبادماك". صدر البيان بتوقيع واحد وسبعين كاتباً نشر بالصحف اليومية السودانية ومجلة بيروتية. أنظر ملحق رقم (36): نص قرار **تجمع الكُتاب والفنانين التقدميين** "أبادماك".

ويتمتع بتنوع دينى قـوامه: الإسلام والمسيحيـة وكريم المعتقدات الإفريقـية، ويتسم كل دين من هذه الأديان بتنوع فى داخله من حيث معتنقيه ومـعتقداته ومدارسه الفكرية. أيضاً تمت المحاكـمة فى بلد شـهد تمدد التصـوف الإسلامى على أراضـيه منذ خمـسة قـرون، وتجذّر التصـوف فى المزاج الدينى وفى التكوين الفكرى والوجدانى لشـعوبه، حتى "أن التـصوف وتصوف (الـفقرا) بوجـه أخص كاد يقـوم مقـام الدين نفسـه فى الفتـرة السنارية، ومن ثم يشكل المزاج الدينى للسودانيين"[1]. يضاف إلى ذلك أن هذه المحاكمة مثلت سابقة خطيرة فى تاريخ السودان، ومن ثم تحكمت فى مساره ومستقبله.

أما الأسئلة التى تقفز بمـجرد ذكر محاكمة الأستاذ مـحمود بالردة عن الإسلام فى عام 1968، فهى عديدة منهـا: ما هى قصة محكمة الـردة الأولى؟ وما هو المناخ العام الداخلى والخارجى الذى سـاهم فى عقـدها؟ وما هى أسبـابها ودوافـعها؟ ولماذا كـانت المحاكـمة أصلاً، والأستاذ محمود كان يرفـع بسلام راية الحوار الفكرى والسجال الدينى؟ هل تعبر المحكمة عن أزمة يعيشها الفكر الإسلامى ودعاته ووعاظه ومفكروه؟ هل كانت المحاكمة محاكمة دينية أم محاكمة سياسية؟ وهل كانت الدوافع السياسية للمحاكمة دوافع داخلية أم هناك دوافع خارجية؟ وهل كان **للمعهد العلمى بأمدرمان - جامعة أمدرمان الإسلامية** لاحقاً، دور فى المحـاكمة؟ هل كان فـقهاء السودان أصـلاء فى نقدهم للأستاذ مـحمود؟ وهل كانوا أصلاء فى فكرة دفعهم للمـواجهة مع الأستاذ محمود لتكون مواجـهة رسمية عبر المحكمة بدلاً عن مواجهة فكرية؟ ما هو دور الوعاظ والفقهاء المصريين؟ هل للأزهر صلة ودور فى المحاكـمة؟ هل هناك صلة بين محكمة الـردة وموقف الأستاذ محـمود من ثورة 23 يوليو 1952 فى مصـر؟ هل هناك صلة بين محكمة الـردة ورأى الأستاذ محـمود فى مـشكلة الشـرق الأوسط (الصـراع مع إسـرائيل)؟ هل هناك صلة بين مـحكمـة الردة وموقف الأستـاذ محمود من خطاب الرئيس جمال عـبدالناصر ودعوته للقوميـة العربية؟ هل كانت مـصر الرسميـة تتربص بالأستـاذ محمود؟ هل تمت المحـاكمة عبـر تحالف بين الفقهاء والسلطة السياسية؟ هل كـان لمصر دور فى المحكمة؟ هل استجاب الشعب لحكم

(1) محمد الواثق، **الشعر السـودانى فى القرن العشرين، آراء وقصائد مـختاره**، مطبعة جامـعة الخرطوم، الخرطوم، 2009، ص 15.

القضاء بردة الأستاذ محمود عن الإسلام؟ هل كان القضاة يتوقعون أن يقوم الشعب السودانى بتنفيذ الحكم بمجرد نطقهم بالردة عن الإسلام؟. الأسئلة كثيرة وهناك غيرها، إذ أن أمر محكمة الردة الأولى كان أمراً جللاً وترتبت عليه الكثير من التبعات بل تحكم فى مسار السودان وفى مستقبله.

سأحاول الإجابة على هذه الأسئلة، بيد أنى أبادر وأقرر هنا، بأنه لايمكن دراسة محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام فى عام 1968 بمعزل عن دور **المعهد العلمى بأمدرمان،** (أزهر السودان) وموقف مشايخه من الأستاذ محمود، ومن كل مبادرة خلاقة، ومن ثم لا يمكن دراستها بمعزل عن دور **الأزهر** وشيوخه المقيمين فى السودان والمبتعثين إليه. كذلك لا يمكن دراسة محكمة الردة بمعزل عن أزمة الفكر الإسلامى، وبمعزل عن هيمنة الفقهاء وتمكن سلطتهم فى السودان، وتحالفهم مع الأحزاب التقليدية والسلفيين فى سعيهم للإتيان بالدستور الإسلامى. ولا يمكن أن تدرس محكمة الردة بمعزل عن دور مصر الرسمية برئاسة جمال عبدالناصر. ومع ذلك فإنه لا يمكن دراسة محكمة الردة بمعزل عن موقف الطائفية من الأستاذ محمود وكذلك المثقفين فى السودان، ولا يمكن دراستها كذلك بمعزل عن واقعة حل **الحزب الشيوعى السودانى** وطرد نوابه من البرلمان عام 1965. لهذا فإننى سأستصحب معى كل هذه المعطيات فى محاولتى للإجابة على الأسئلة آنفة الذكر. ستكون معالجتى، بالإضافة لهذا الفصل، من خلال ثلاثة فصول، هى:

الفصل التاسع: "الأستاذ محمود ومعهد أمدرمان العلمى (أزهر السودان)".

الفصل العاشر: "الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبد الناصر ومحكمة الردة 1968"

الفصل الحادى عشر: "سنوات حكم نميرى، والشراكة فى الاغتيال يوم 18 يناير عام 1985"

يوم الفزع الفكرى وإظلام الأرض وتضليل العقول

محكمة الردة لم تكن إلا بداية المواجهة بيننا وبين الفقهاء. وطويلة المسألة وكان فيها مواجهة فى محاضرات ومواجهة فى الصحف. وكان دعوتنا ليهم دائماً أن

*تكون فى لقاءات لنصل لحقيقة ما هم ونحن بصدده. لم يتفق هذا الأمر **إلا** فى أوقات قليلة ثم انقطع الاتصال*(1).

محمود محمد طه

فى نهار يوم الاثنين 18 نوفمبر 1968، شهدت سماء الخرطوم ولأول مرة فى **تاريخ** السودان، صدور حكم شرعى بردة مفكر إسلامى عن دين الإسلام. صدر الحكم الشرعى من محكمة الخرطوم العليا الشرعية، برئاسة القاضى توفيق أحمد صديق، عضو محكمة الاستئناف العليا الشرعية المنتدب للنظر والفصل فى الدعوى - القضية رقم 1968/1035- **المقدمة** من الأمين داؤد محمد وحسين محمد زكى ضد الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** بطلب ردة المدعى عليه عن دين الإسلام. حكمت المحكمة بالحكم الشرعى:

*حكمنا غيابياً للمدعيين حسبة الأستاذين الأمين داؤد محمد هذا وحسين **محمد** زكى/ على/ المدعى عليه الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** الغائب عن هذا المجلس بأنه مرتد عن الإسلام وأمرناه بالتوبة عن جميع **الأقوال** والأفعال التى أدت إلى ردته. كما قررنا صرف النظر عن البنود من نمرة 2 **إلى** 6 من العريضة وهى من الأمور التى تتعلق وتترتب على الحكم بالردة **وفهم** الحاضران ذلك*(2).

كانت البنود التى صرفت المحكمة النظر عنها، من نمرة 2 إلى 6 من العريضة، هى: حل حزبه لخطورة دعوته، وإغلاق دار حزبه، وتطليق زوجته المسلمة، وإعلان بيان ردته **للناس**، وألا يتحدث باسم الدين، ومؤاخذة من يأخذ بمذهبه، والصفح عن من تاب **وأناب** من أتباعه(3). ويفيد خطاب صادر من رئاسة إدارة المحاكم بالخرطوم تحت النمرة: م أ ع/ 10/ ق. تمييز/ 1969 وموجهاً إلى السيد وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، كتبت **إدارة** المحاكم إلى السيد الوكيل قائلة: "ونفيدكم بأن هذا الحكم قد طلب تمييزه **من قبل**

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة)، مصدر سابق.
(2) "النشرة اليومية"، **وكالة السودان للأنباء (سونا)**، مصدر سابق ، ص 2.
(3) "خبر اليوم: المحكمة الشرعية تصدر حكماً غيابياً بردة الأستاذ محمود محمد طه عن الإسلام"، **صحيفة الأيام**، العدد: 5498، بتاريخ 1968/11/19.

الأستاذين المذكورين أمام محكمة التميز ثم شطب التمييز بتاريخ 1969/1/1 وأصبح الحكم الابتدائى قائماً"[1].

رفض المثول أمام المحكمة وصلاحيات التكفير

ولكن الكبد ينفطر وتنشق الضلوع أسًى وحسرة إذ تجيء المحكمة الشرعية العليا بحكم أبعد ما يكون عن اختصاصها.. بل كان حرياً أن تحكم بعدم الاختصاص فى مسألة هى اعلم من غيرها بإسلامية محمود محمد طه ولكن يقينى الذى لا شك فيه ولا ريب ان الحكم جاء متعجلاً وقد فاته البحث والتدقيق وخامره سوء النية والتصور من جانب المدعين على المدعى عليه فجاء الحكم فطيراً قاصراً فى أمر هذه القضية ومجافياً لأبسط قواعد الاسلام[2].

حلمى عبد الله

نشرت **صحيفة الأيام** فى صدر صفحتها الأولى فى يوم الأحد 17 نوفمبر 1968، أى قبل يوم من انعقاد المحكمة والنطق بالحكم، نشرت قائلة: "قال الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** للأيام أنه رفض أن يوقع على طلب محكمة الخرطوم الشرعية العليا له ليمثل أمامها يوم غد الاثنين"[3]. وأضافت الصحيفة قائلة: "وقال إن القضاة السودانيين لا يملكون أية صلاحيات لتكفير أى إنسان أو إعلان ردته عن الإسلام. وقال الأستاذ محمود إن ما يدعون إليه الآن هو الشريعة المرحلية للإسلام وأن موقفهم نفسه يوضح أن مثل هذا الفهم لا يصلح لإنسانية القرن العشرين"[4]. وفى عدد اليوم الثانى الاثنين 1968/11/18، كتب بشير محمد سعيد (1926-1993) فى مدخل حوار أجراه مع الأستاذ محمود، كتب بشير قائلاً: "رد (الأستاذ محمود) الموظف الذى جاءه رداً (مهذباً) وقاطعاً.. حدثه أنه يرفض المثول أمام المحكمة"[5].

---

(1) "النشرة اليومية"، **وكالة السودان للأنباء (سونا)**، مصدر سابق ، ص 2.

(2) حلمى عبدالله، **السودان الجديد**، 1968/11/21.

(3) "محمود محمد طه يرفض المثول أمام المحكمة للرد على دعوى ردته عن الإسلام"، **صحيفة الأيام**، العدد: 5496، بتاريخ 1968/11/17.

(4) "محمود محمد طه يرفض المثول أمام المحكمة للرد على دعوى ردته عن الإسلام"، مصدر سابق.

(5) بشير محمد سعيد، "بين الدين والشريعة"، (حوار مع الأستاذ محمود محمد طه)، مصدر سابق.

بعد صدور حكم المحكمة صرح **لصحيفة الأيام**، قاضى المحكمة، الشيخ توفيق أحمد صديق، عضو محكمة الاستئناف الشرعية العليا ورئيس المحكمة قائلاً: إن المحكمة ستقوم بإعلان الحكم للأستاذ محمود محمد طه وله الحق فى المعارضة على الحكم فى 15 يوماً من إعلانه كما له أيضاً حق الاستئناف لمحكمة الاستئناف الشرعية العليا فى ظرف 30 يوماً[1]. وأضافت الصحيفة قائلة وقال القاضى فى حيثياته "إن المحكمة استمعت إلى أقوال المدعيين وقد جاءا بشهود أثبتوا ما يفيد بردة المدعى عليه... وقدما كتابين من كتبه. وقال القاضى أيضاً: وبما أن المدعى عليه عاقل وراشد وهو يلقى المحاضرات الواحدة تلو الأخرى فإن أقواله لا يقرها ما أجمع عليه المسلمون من سالف الزمان من عهد النبى وعهد الصحابة"[2].

يقول الإخوان الجمهوريون: قبل انعقاد محكمة الردة بأسبوعين اتصل المدعى الأول فى القضية (الأمين داؤود بأعضاء مجلس السيادة فى شأن هذه القضية وقد حصل من أحدهم، وهو (الفاضل البشرى) على خطاب بتاريخ 1968/11/3 وقد جاء فى ذلك الخطاب من العبارات المبتذلة ما لا يجوز إيراده هنا وقد ختمه بقوله وهو يعنى الأستاذ محمود: "أرجو أن يتخذ الإجراء الرادع ضده". كما اتصل هذا المدعى بقاضى القضاة (عبد الماجد أبو قصيصة) وبقاضى محكمة الردة (توفيق أحمد صديق) ووجد منهما قبولاً وموافقة على رفع قضيته، جاء كل هذا فى صفحة 45 الطبعة الثانية من كتاب المدعى الأول الذى اكتظ مهاترة وسباً للجمهوريين فكان عنواناً لإهدار القيم وامتهاناً لأمانة العلم. فى هذا الجو، ووسط هذا التحرك السلفى الطائفى قامت (مهزلة محكمة الردة)[3]. ويضيف الإخوان الجمهوريون قائلين: وفى يوم الاثنين 18 نوفمبر 1968 انعقدت مهزلة محكمة الردة واستمعت الى المدعيين الأمين داؤود، وحسين محمد زكى وإلى شهودهما عطية محمد سعيد (أخ مسلم)، والزبير عبد المحمود (وهابى)، وعلى طالب الله (مرشد سابق للأخوان

---

(1) توفيق أحمد صديق، "خبر اليوم: المحكمة الشرعية تصدر حكماً غيابياً بردة الأستاذ محمود محمد طه عن الإسلام"، **صحيفة الأيام**، العدد: 5498، بتاريخ الثلاثاء 1968/11/19، الخرطوم.

(2) المصدر السابق.

(3) الإخوان الجمهوريون، **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية: الخلفية التاريخية لمواقف: أ. السياسيين التقليديين ب.** رجال الدين والقضاة الشرعيين، مصدر سابق، ص 6-11.

المسلمين)، وشوقى الأسد (فقيه)، واستغرقت أقوال المدعين وشهودهما ثلاث ساعات ثم رفعت المحكمة جلستها لمدة ثلث ساعة فقط عادت بعده لتقرأ حيثيات حكمها التى لا تكفى مدة الثلث ساعة حتى لكتابتها، مما يدل على أن الحكم كان جاهزاً ومعداً مسبقاً! ![1].

أكبر قضايا القرن العشرين تحسم فى أقل من الزمن الذى تحسم فيه أصغر القضايا

محمود محمد طه لوثر القرن العشرين، ثورته الحقة تُفزع السلفيين: رأيى فى أفكار محمود أنها تُمثل ثورة دينية حقة ومن هنا كان خطرها على الهيئات الدينية الحاضرة سواء كانت رسمية أو اجتماعية... وأفكار محمود تهدف إلى نبذ الوصاية حتى لا يلغى عقل الإنسان ويساق بالإشارة فتنمحى شخصيته ويذوب كيانه [2].

محمد زاكى

أثار الحكم الجائر الذى صدر ضد الأستاذ محمود ردود أفعال واسعة، فقد جاء فى **صحيفة الأيام** بتاريخ 19 نوفمبر 1968، أن قضية شرعية سترفع اليوم باسم السيد محمود جاد كريم وعدد من المحامين يطالبون بإلغاء الحكم الذى صدر[3]. وقال محمد إبراهيم خليل المحاسى: "إن المحكمة الشرعية العليا ليس من اختصاصها إصدار حكم بردة أى إنسان من الإسلام"[4]. وأضاف محمد إبراهيم خليل المحامى قائلاً: "إن المحاكم الشرعية تأسست تحت قانون محاكم السودان الشرعية لسنة 1902 وأن اختصاصات هذه المحاكم منصوص عنها فى المادة السادسة من القانون المذكور وهى: مواضيع الزواج والطلاق والحضانة والوصاية والوقف والهبة وما إلى ذلك من هذه المسائل التى تتعلق بالأحوال الشخصية"[5]. وأضاف محمد إبراهيم خليل المحامى للصحيفة قائلاً: أما فيما عدا ذلك فإن المحاكم الشرعية يمكنها أن تنظر فى أى نزاع غير

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية: الخلفية التاريخية لمواقف: أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين**، مصدر سابق، ص 7-11.

(2) محمد زاكى، "محمود محمد طه لوثر القرن العشرين"، **صحيفة السودان الجديد**، بتاريخ 1968/12/31.

(3) "محام كبير يقول: ليس هذا اختصاصها والحزب يرفع دعوى دستورية"، **صحيفة الأيام**، العدد: 5499، بتاريخ الأربعاء 1968/11/20، الخرطوم.

(4) محمد إبراهيم خليل، مصدر سابق.

(5) المصدر السابق.

هذه الأشياء المنصوص عنها صراحة فى القانون على شريطة أن يتقدم الطرفان بطلب كتابى ممهور بامضائهما إلى المحكمة طالبين منها أن تقضى فى النزاع الناشىء بينهما وأن يعلنا فى هذا الطلب التزامهما بحكم الشريعة الإسلامية[1]. وكتب حلمى عبد الله بالإضافة لما ورد فى صدر هذا المحور، كتب حلمى قائلاً: "أما أن تعرض وقائع القضية ثم بعد ذلك ترفع الجلسة لمدة عشرين دقيقة يتلى بعدها الحكم بردة مواطن مسلم فهذا لعمرى أمر استنكره ويستنكره كل حادب على أمر ديننا الحنيف"[2].

الفقهاء والانتقال بالمواجهة من مواجهة فكرية إلى مواجهة رسمية

*ولن يؤثر هذا الحكم على شخص محمود وآرائه التى تدعو إلى الحرية والرجوع إلى الإسلام وتنقيته من الشوائب التى لحقت به ممن يسمون أنفسهم رجال الدين... **اللهم إن كان محمود مرتداً فأنا ثانى المرتدين، وإن كان المرتدون غيره فأنت أولى بهم**[3].*

حسن بابكر الحاج على الحسين(1908-1975)

كشف الحكم الصادر عن محكمة الخرطوم العليا الشرعية، بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، بجلاء عن حالة العجز الفكرى للفقهاء ورجال الدين الإسلامى، وأفصح بوضوح عن ما ينطوى عليه مستقبل دولة ما بعد الاستقلال فى السودان، كما مثّل الحكم نسفاً باكراً وعلى المستوى الرسمى لقيمة التسامح الموروثة فى بلد لا شىء يميزه عن غيره من بلدان العالم، سوى التعدد والتنوع الثقافى. ذلك لأن الحكم عبّر عن لحظة انتقال الفقهاء بالمواجهة مع الأستاذ محمود، من المواجهة الفكرية حيث السجال والغربلة للأفكار إلى المواجهة الرسمية حيث السلطة وإقامة التحالفات بين رجال الدين والسياسة. يقول الأستاذ محمود: "عندما جاءت محكمة الردة بطبيعة الحال ما كانت مواجهة فى المستوى الذى كنا نريده، كنا نريد أن تكون هناك مواجهة فكرية لغربلة الأفكار ولنقاش المسائل

---

(1) المصدر السابق.

(2) حلمى عبدالله، **السودان الجديد**، 1968/11/21.

(3) حسن بابكر الحاج على الحسين، "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين"، **صحيفة الأيام**، العدد: 5517، بتاريخ 1968/12/11، الخرطوم.

الهامة فى الدين حتى يظهر الحق على الباطل"[1]. كان لجوء الفقهاء إلى المحكمة تعبيراً قوياً عن عجزهم فى مواجهة الأستاذ محمود فكرياً فذهبوا بالمواجهة إلى الصعيد الرسمى، يقول الأستاذ محمود: "ومسألة محكمة الردة كانت مواجهة فى الصعيد الرسمى لتسكت صوت **الحزب الجمهورى**، ولكن الأمر جاء بعكس ما أراد الرجال الرسميون بتمثيلهم فى محكمة الردة"[2]. بعض الرسميين كان تفكيرهم مثل تفكير القضاة، أرادوا القضاء على **الحزب الجمهورى**، وأرادوا تضليل الشعب، واستغلال حبه للدين، ومن ثم الإيحاء للشعب بتنفيذ الحكم الصادر من المحكمة. يقول الأستاذ محمود: "فى ناس تفكيرهم وتفكير القضاة حاجة واحدة وهم مسرورين جداً لمسألة محكمة الردة، وبفتكروا إنو محكمة الردة بتقضى على **الحزب الجمهورى**، لكن دى جهالة كبيرة منهم"[3]. ثم يبين الأستاذ محمود مصدر هذه الجهالة، قائلاً: "الجهالة جاءت من القضاة. القضاة كانوا بيفتكروا إنو لما يصدر الحكم ده، الشعب بيكفيهم مهمة التنفيذ. هم كانوا بيفتكروا كدا. العكس حصل. دا لأنو هم ما عايشين مع الشعب وما بعرفوا حقائق أنفسهم بيفتكروا أنهم مطاعين"[4]. كان دور الرسميين واضحاً، وكذلك الأحزاب الطائفية التى كانت تشكل الحكومة الديمقراطية آنئذ، يقول حيدر إبراهيم على: "شجع المؤسسة الدينية الذهاب فى اتجاه الارهاب الفكرى، وجود حكومة طائفية على سدة الحكم. إذ قبل سنوات قليلة أعلن مصطفى حامد الأمين خروجه من الإسلام واعتناقه البوذية. ولم يحاكم، ليس لغياب الحمية الدينية ولكن الأجواء كانت متسامحة"[5]. لقد كان الإعداد والترتيب للمحكمة قبل انعقادها، فقد تحدث الإخوان الجمهوريون[6] عن الكيد والمؤامرات التى كانت تتم فى الخفاء، فأوردوا خبراً نشر فى **جريدة الرأى العام** بتاريخ 1968/11/14، تقول الصحيفة:

---

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

(5) حيدر ابراهيم على، " **الخفاض الفرعونى لعقل المثقف السودانى**"، صحيفة الراكوبة على الإنترنت، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2012/6/22، الموقع على الإنترنت: http://www.alrakoba.net

(6) الإخوان الجمهوريون، **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية: الخلفية التاريخية لمواقف: أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين**، مصدر سابق، ص 8-11.

جاءنا من القصر الجمهورى أن السيد الرئيس إسماعيل الأزهرى ينفى جملة وتفصيلاً أنه تدخل فى موضوع محاضرة الاستاذ محمود محمد طه بمعهد المعلمين العالى ويؤكد أنه ليست له علاقة لا من قريب ولا من بعيد بهذا الامر وأنه لم يسمع بالمحاضرة إلا من الخبر الذى أوردته (صحيفة الرأى العام امس).. "وفى نفس الوقت جاءنا من وزارة التربية والتعليم أن السيد رئيس مجلس السيادة لم يصدر أى تعليمات لمنع المحاضرة المذكورة وكل الذى حدث هو أن فضيلة مولانا قاضى قضاة السودان بعث بخطاب الى السادة رئيس وأعضاء مجلس السيادة بصورة لوزارة التربية والتعليم وسلطات الأمن ينصح فيها بعدم تقديم المحاضرة خشية أن يكون فيها ما يثير المسلمين".. "وتقول الوزارة أنها اتصلت من جانبها دون إيعاز من مجلس السيادة الموقر بالسيد عميد معهد المعلمين العالى لإبلاغ الطلاب مقدمى الندوة باحتمال إثارة الأمن". وتمضى [الراى العام] فتقول بعد هذا: "ونود أن نؤكد أن العميد بالإنابة قد اجتمع بالطلاب وابلغهم اعتراض الرئيس الأزهرى على المحاضرة - وطلب منهم إلغاءها وأنهم قد أصروا على تقديمها، وقدموها بالفعل...

مهزلة محكمة الردة واستمرار المواجهة

*التقيت أمس بالسيد محمود محمد طه، رئيس **الحزب الجمهورى**، وهو من كبار رجالات الفكر والعلم والأخلاق فى بلادنا. التقيت به على إثر الأمر الذى وجهته له محكمة الخرطوم الشرعية العليا للمثول أمامها لمواجهة أبشع اتهام يوجه لمسلم، الردة، وكان محمود كعهدنا به أكبر من أن يهزه مثل هذا الموقف وهذا التصرف تجاهه*(1).

بشير محمد سعيد *(1921-1995)*

فور صدور حكم المحكمة، وفى اليوم الثانى من المحاكمة 1968/11/19 أصدر الأستاذ محمود البيان نمرة (1)، وسم الأستاذ المحكمة بالمهزلة، مهزلة القضاة الشرعيين، ومهزلة محكمة الردة، قال فى بيانه،وقد وردت الإشارة للبيان آنفاً، قال الأستاذ محمود: "ولكن لا

---

(1) بشير محمد سعيد، "بين الدين والشريعة"، (حوار مع محمود محمد طه)، **صحيفة الأيام**، العدد: 5497، بتاريخ 1968/11/18.

بأس، فإن من جَهِلَ العزيز لا يُعِزَّه!! ومتى عرف القضاة الشرعيون رجولة الرجال، وعزة الأحرار، وصمود أصحاب الأفكار؟؟ إن القضاة الشرعيين لا يعرفون حقيقة أنفسهم..."[1]. وعن موقفه من حكم المحكمة يقول الأستاذ محمود: "والآن فإني، بكل كرامة، أرفض هذه المهانة التي لا تليق بي، ولا يمكن أن توجه إليّ ولا يمكن أن تعنيني بحال.. فقد كنت أول، وأصلب، من قاوم الإرهاب الاستعماري في هذه البلاد.. وقد فعلت ذلك حين كان القضاة الشرعيون يلعقون جزم الإنجليز..."، (أنظر ملحق رقم: "39"، بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين). بعد ذلك قاد الأستاذ محمود وتلاميذه مواجهة واسعة ومستمرة، مع الفقهاء السودانيين والساسة والفقهاء المصريين عبر المحاضرات ونشر المقالات والكتب، وستأتي الإشارة لذلك. يقول الأستاذ محمود في إحدى محاضراته بعد المحكمة، كانت بعنوان: "بيننا وبين محكمة الردة"، يقول الأستاذ محمود: "عنوان المحاضرة: بيننا وبين محكمة الردة، وده هو عنوان سلسلة من الكتيبات، صدر منها السفر الأول وفي النية متابعة إصدار بقاياها"[2].

استمرت المواجهة، بكثافة وتوسع، وجعل الإخوان الجمهوريون من مرور ذكرى محكمة الردة 18 نوفمبر من كل عام، فرصة لاستمرار المواجهة الفكرية، وفرصة لتنوير الشعب وتنوير المثقفين بخطورة المنحى التكفيري في مسار الفكر الإنساني. كما ظل الإخوان الجمهوريون يقدمون المعلومات عن المحكمة وتاريخها ودور الطائفية والأحزاب السلفية في تدبيرها، وأطلقوا على المحكمة، مهزلة محكمة الردة، يقول الإخوان الجمهوريون في واحد من سلسلة كتبهم عن محكمة الردة الأولى: "لقد أسمينا تلك المحكمة:(مهزلة محكمة الردة) ذلك أنها لم تقم إلا على الكذب والجهل والنفاق وهي قد سارت في التأريخ سبة يلاحق عارها كل من أسهم فيها في التخطيط أو التنفيذ". وأضافوا عن ملاحقة عار المحكمة قائلين: "بل إن عارها ليعلق حتى بالذين صمتوا عن إدانتها وكشفها. فهي لم تكن مشرفة قط لأي أحد ينتسب للدين والثقافة في هذا القرن العشرين

---

(1) المصدر: محمود محمد طه، "بيان نمرة (1)، "مهزلة القضاة الشرعيين"، **دار الوثائق القومية**، أحزاب 41/112، الخرطوم.

(2) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، مصدر سابق.

الذى خلف وراءه ظلام القرون الوسطى وما كان يصيب الفكر والمفكرين من المهانة ومن التقتيل"[1]. ثم تحدث الإخوان الجمهوريون عن أن المحكمة لم تنشأ من فراغ وإنما لها تاريخ طويل: "إن تلك المهزلة لم تنشأ فى فراغ ولا هى قامت بعفوية وإنما وراء قيامها تأريخ طويل من مواجهة الفكر الجمهورى للطائفية وللأحزاب السلفية التى دبرت قيام تلك المحكمة لتسكت بها صوت الجمهوريين ولتتخلص من مواجهتهم لها وكشفهم لزيفها وتضليلها لشعبنا"[2]. ثم تحدث كتاب الإخوان الجمهوريين عن استغلال الطائفية والأحزاب السلفية للقضاة الشرعيين، قائلاً: "فاستغلت القضاة الشرعيين لتنفيذ هذه المكيدة السياسية الرخيصة. ولقد كان الفقهاء والقضاة الشرعيون عبر التاريخ وفى كل البلاد الإسلامية مطمعاً للحكام لإفتائهم بما تهوى أنفسهم وكانوا مطايا لهم لتحقيق أغراضهم السياسية ومصالحهم الدنيوية"[3]. ثم تناول الكتاب محكمة الخرطوم الشرعية العليا، ودور قاضيها ورئيس القضاء والمفتى قائلاً: "فلم تكن إذن محكمة الخرطوم الشرعية العليا ولم يكن قاضيها ولا رئيس القضاة ولا المفتى بدعاً وإنما هم قد قاموا بدورهم الطبيعى الذى أهلهم وأعدهم له وضعهم التاريخى وحظهم الضحل من ثقافة العصر ومن العلم بحقائق الدين .. وقد بدأت مواجهة الجمهوريين للاستعمار وللطائفية ولأحزابها السلفية ولمن يسمون (برجال الدين) منذ عام1945 عندما نشأ **الحزب الجمهورى**.. فهو موقف مبدئى من هؤلاء جميعاً"(4).

الأستاذ محمود والطائفية وطلائع المتعلمين

محمودُ بَرأكَ العليمُ من الهوى وأحقَّ فيك على الحياةِ دليلا

الفجرُ أنت على النفوس ولم يكن بسواك نورُ هدَايةٍ مكفولا

أنت الغِيَاثُ لموطنٍ أبنَاؤه تَركَوهُ بَينَ عُيونِهم مخذُولا

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية: الخلفية التاريخية لمواقف: أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين**، مصدر سابق، ص 6-4.

(2) المصدر السابق، ص 5-7.

(3) المصدر السابق، ص 5-7.

(4) المصدر السابق، ص 5-7، ص 4-6.

أنْبَتَّ فى النَّهرِ البطولةَ إنَّه كالنهر فى خلَدِ القرون الأُولَى[1]

الشاعر محمد المهدى المجذوب (1918-1982)

أوردت فى الفصول السابقة، خاصة فى الفصلين الرابع والخامس من الباب الثانى، أوردت بشيء من التفصيل موقف الأستاذ محمود من الطائفية، ومن المثقفين من طلائع المتعلمين، ومن مؤتمر الخريجين، ومن الحركة الوطنية ومن الأحزاب السياسية. لقد كان للأستاذ محمود موقف واضح من الطائفية. فقد وصفها بالبغيضة، وأشار إلى أنها جمدت حركة التغيير، ودعا إلى عزلها من الحركة الوطنية، واستمر هذا الموقف دون تغيير أو تهدئة فى النقد منذ عام 1945. كما عاب الأستاذ محمود على المثقفين من طلائع المتعلمين، لهاثهم وراء الطائفية، كما نقد وبشده تحالفهم مع الطائفية. كما رفض منهج مؤتمر الخريجين فى النضال ضد المستعمر، ورفض تراخى الحركة الوطنية فى مواجهة الإنجليز، وعاب على المثقفين أسلوب المذكرات الذى أخذوا به، ووصفه بأنهلا يخدم إشراك الشعب فى النضال ضد المستعمر، وإن إشراك الشعب يجعل للاستقلال معنىً، ويحقق فرص البناء الوطنى الجماعى. نقد الأستاذ محمود المثقفين، ونشر سفراً بعنوان: **خيانة المثقفين**، كما ورد آنفاً، عاب فيه على رجال الحركة الوطنية "جهلهم وانصرافهم إلى التهريج الرخيص وتملُّقهم للجماهير واسترضاءهم رجال الطائفية ليضمنوا السند الشعبى الطائفى الذى يحملهم على أكتافه إلى كراسى الحكم... الخ". كذلك نقد الأستاذ محمود الحركة الوطنية بشدة ووصفها بأنها تعيش فى انعزال عن الشعب وقضاياه، وتتبادل المذكرات مع المستعمر بوصاية على الشعب وبدون تنوير له. ووصف الأحزاب بأنها: "جميعها طائفية.. تفكر تفكيراً طائفياً فتضلل الناس وتستغلهم وتهمل مصالحهم وتجعل حكومتها سيدة للشعب لا خادمته، وتهمل الدراسة وتحتقر العقول وتزيف القيم ,ولا تتحدث عن الديمقراطية إلا كوسيلة إلى الكراسى ثم تنسى غداة فوزها وعودها للناخبين، وتذهب فى حكمهم إما مذهب التضليل أو مذهب الكبت أو كليهما". كما اعترض **الحزب الجمهورى** على ما سموه بوثيقة الأحزاب... ووزع منشوراً فى أواخر عام 1946 كان عنوانه "لماذا مصر ولماذا

---

(1) محمد المهدى المجذوب، "المجاهد"، (قصيدة)، **نار المجاذيب**، (ديوان شعر)، مصدر سابق، ص 189-192. (أبيات متفرقة).

بريطانيا؟؟". وقال الأستاذ محمود: "ولقد نقدهم **الحزب الجمهوري** نقداً مراً قوياً في ذلك المنشور ونعى عليهم جهلهم وغفلتهم ثم واصل الحملة ضد جهل الحركة الوطنية ولا يزال يفعل إلى يومنا هذا كلما وجد إلى ذلك سبيلاً".

عاب الأستاذ محمود على كل قادة الحركة الوطنية بشقيها: الاستقلالي والوحدوي (جماعة الأشقاء وجماعة الأمة) صراعاتهم وانقساماتهم ونهجهم المساوم ومسلكهم الناعم في النضال من أجل الاستقلال. ونبه إلى خطورة آثار تلك الانقسامات، وإلى خطورة انعكاسات النهج المساوم والناعم في النضال. عبر عن كل ذلك في مناشير وبيانات كانت تُنشر في مناسبات مختلفة، ولعل من أكثرها قوة ووضوحاً البيان الذي نشر في يوم 1946/2/18، وقد وردت الإشارة إليه أيضاً سابقاً، يقول الأستاذ محمود في بعض البيان: "يا جماعة الأشقاء ويا جماعة الأمة - أيها القاسمون البلاد باسم الخدمة الوطنية -أيها القادحون قادحات الإحن بين أبناء الأمة - أيها المذكون ثائرات الشر والتفرقة والقطيعة، أيها المرددون النغمة المشئومة - نغمة الطائفية البغيضة - إنكم لتوقرون أمتكم وقراً يؤودها". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "ياهؤلاء، وهؤلاء، أنتم تلتمسون الحرية بالانتماء إلى المصريين فتتمسكون بأسباب رمام، وأنتم تلتمسون الملك بالبقاء تحت الإنجليز فتتهيأون لدور الهر الذي يحكي بانتفاخه صولة الضرغام.. أنتم تريدون إبقاء المصريين، وأنتم تريدون إبقاء الانجليز، فإذا اجتمعت كلمتكم فإنما تجتمع على إبقاء المصريين والإنجليز معا". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "ياهؤلاء، وهؤلاء، أنتم تتمسحون بأعتاب المصريين لأنكم لاتقوون على مواقف الرجال الأشداء، وأنتم تتمسحون بأعتاب الإنجليز لأنكم صورتم المجد في أخلادكم صورا شوهاء.. أنتم تريدون السلامة، وأنتم تريدون الملك.. أنتم تضيعون البلاد لما تجبنون وأنتم تضيعون البلاد لما تطمعون.. أنتم تستغلون سيداً لايعرف ماتريدون، وأنتم يستغلكم سيد يعرف مايريد، والبلاد بينكم أنتم، وأنتم، على شفا مهواة ومهانة... ياهؤلاء، وهؤلاء - لأنتم أشأم على هذه البلاد من كل شؤم وشؤم". هذا إلى جانب نقد واسع ومستمر يمكن الوقوف عليه في الفصلين الرابع والسادس، إلى جانب الفصول الأخرى.

الشاهد أن الأستاذ محمود كان ينشر نقده بقوة وباستمرار في الصحف وفي البيانات

والكتب. كان الأستاذ محمود فى نقده لا ينطلق من ردة أفعال وإنما ينطلق من موضوعية محكومة بمواقف مبدئية من أجل السودان والإنسان، والحق أن جل ما حذر منه الأستاذ محمود، ونقده فى مسلك المثقفين والأحزاب قد وقع. واليوم فإن المتتبع لشأن السودان والدارس لمشروع الأستاذ محمود يدرك أن ما قال به الأستاذ محمود فى الأربعينيات والخمسينيات والستينيات، وما حذر منه قد وقع وحدث بالفعل. يمكن للقارىء الوقوف على هذه الحقائق من خلال التأمل فى الفصول: الثانى والرابع والخامس والسادس من هذا الكتاب، وكذلك الإشارات المتفرقة فى الفصول الأخرى. لم يكن أمر النقد كذلك عند طلائع المتعلمين، فقد عبروا عن موقفهم العدائى الجماعى من الأستاذ محمود، من خلال تجاهلهم له فى مذكراتهم، ومن خلال مواقفهم يوم محكمة الردة الأولى عام 1968. لهذا لا يمكن أن تقرأ محكمة الردة الأولى بمعزل عن حالة العداء الناتجة عن النقد الذى قدمه الأستاذ محمود، ولا يمكن أن تدرس محكمة الردة بمعزل عن مواقف الأستاذ محمود من الطائفية والمثقفين من طلائع المتعلمين وأحزابهم. ففى يوم انعقاد المحكمة فى يوم 18 نوفمبر 1968، كان هؤلاء المثقفون من طلائع المتعلمين، هم حكام السودان، وكانوا يتربعون على عرش نظام الحكم، وهو نظام ديمقراطى تعددى نيابى جاؤوا إلى قبة برلمانه من خلال تلك الأحزاب، التى نقدها الأستاذ محمود، ممثلين للشعب. من هذا الباب، وهناك أبواب أخرى تتقاطع فى مداخلها مع بعضها البعض، سأستعرضها بالطبع فى الصفحات القادمات، من هذا الباب فإن محكمة الردة الأولى كانت تصفية حسابات مع الأستاذ محمود، استخدم فيها الساسة والفقهاء الدوائر الرسمية، لأغراض سياسية، أكثر من كونها محاكمة دينية، بل ليست لها صلة بالدين أصلاً. لقد تحالف الساسة المثقفون من طلائع المتعلمين مع الفقهاء والقضاة الشرعيين، وما دروا أن فى تحالفهم من أجل محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، نسفاً لقيم التسامح والتعايش، وحكماً على السودان بالقعود، ومن ثم قدموا سابقة تم استدعاؤها عام 1985 وبهذا فإنهم خربوا واقع السودان آنذاك، ودمروا مستقبله، كما تجلى فى يوم 18 يناير 1985، وكما يتجلى الآن.

مُفكــر وفقهــاء

وبدا كأنما القلم المتميز الوحيد الذى دأب على الانطلاق مـن موقع الالتزام هو قلم محمود محمد طه... (1)

حسن مكى

منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضى، والعقود التالية، كما ورد فى الفصول السابقة، ظل الأستاذ محمود يطرح آراءه وأفكاره، من خلال حركة إنتاج معرفى واسعة وفريدة وجديدة. قوامها تأليف الكتب ونشرها، وتوزيع البيانات والمناشير، وإرسال الخطابات، وتقديم المحاضرات. فى ذلك الوقت كان تأليف الكتب فى السودان فى قضايا الفكر والثقافة والحضارة أمراً نادراً حتى بين طلائع المتعلمين. صاحب حركة تأليف الكتب نشاط مكثف من الأستاذ محمود فى كتابة البيانات والمناشير وتوزيعها، وتوجيه الخطابات والرسائل إلى الحكام ورؤساء الدول، وإلى قادة المؤسسات المحلية والإقليمية والعالمية. ضمَّن الأستاذ محمود تلك البيانات والخطابات آراءه ومواقفه من القضايا والمشكلات المحلية والإقليمية والعالمية. اتسمت موضوعات كتب الأستاذ محمود بالتنوع والجدة والجرأة فى طرح القضايا إلى جانب العمق فى تناولها. وتناول فى كتبه ومحاضراته قضايا عديدة منها: الإسلام كمذهبية تبشّر بتحقيق إنسانية الإنسان، قضايا الفكر،والحرية، والديمقراطية، والاشتراكية، والشيوعية،والقومية العربية، والمساواة الاجتماعية، والتغيير الاجتماعى، وتطور المجتمعات، والاقتصاد، والتعليم، والمرأة، والموسيقى، والفنون. وقدم فى كتبه ومحاضراته تحليلات علمية عميقة ووافرة لقضايا السودان، ومأزق الحضارة الغربية، وواقع المسلمين، ورجال الدين عبر العصور. ونادى فى كتبه بضرورة تقليد النبى محمد صلى الله عليه وسلم كمنهاج للسلوك الدينى، ودعا إلى تطوير التشريع الإسلامى.

طرح الاستاذ محمود مشروعه فى آفاقه الفكرية، والسياسية، والمعرفية، بعلمٍ واسعٍ، وحجةٍ قوية، وبيان ناصعٍ، وصبرٍ على سوء الفهم والتخريج والقصد وانخفاض السقف المعرفى لدى

(1) حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان** 1969-1985: **تاريخها وخطابها السياسى**، الدار السودانية للكتب، 1999 ص 175-176.

معارضيه. لقد أحدث الاستاذ محمود من خلال حركة التأليف والنشر، ومنابر الحوار وأركان النقاش التى أقامها تلاميذه لاحقاً، فى الجامعات والطرقات العامة والميادين والحدائق ودور العلم والأحياء، ثورةً فكريةً نادرة الشبيه! من حيث وسائلها الجماهيرية وغزارة إنتاجها الفكرى. ففى كتابه: **الحركة الإسلامية فى السودان** 1969-1985: **تاريخها وخطابها السياسى**[1]، تحدث البروفسير حسن مكى عن التطور الفكرى والثقافى للحركة الإسلامية السودانية. وأشار إلى أن خطابها قد أثر بعمق على حركة المجتمع السودانى، إلا أن حصيلتها الثقافية ظلت ضئيلة نشراً وإنتاجاً.. وأرجع ذلك إلى طبيعة السودانيين الذين لم يشتهروا فى تاريخهم ولا حتى فى حاضرهم بتسويد الصفحات وكتابة المصنفات.. وأن إسهامات السودانيين بقيت محصورة فى مجال البحث العلمى المرتبط بنيل شهادة علمية أو درجة جامعية.. ولم يعرف فى تاريخ السودان المعاصر من كَتَبَ فى مجالات الفكر والثقافة والحضارة إلا صفوة الصفوة مثل: "جمال محمد أحمد، محمد أحمد المحجوب، منصور خالد، محمد عمر بشير، أبو القاسم حاج حمد..."[2]. حيث طغت روح الفكر العلمانى على توجهات هذا النفر وانعدمت محاولات التأصيل وضاعت الكينونة والهوية الإسلامية... كما نبغ عدد من السودانيين فى مجالات القصة والأدب والشعر "محمد المهدى مجذوب، الطيب صالح، مصطفى سند...إلخ"[3].. وقد اهتمت طائفة من الكتاب السودانيين بدراسة جوانب الحضارة الإسلامية فى السودان "د. يوسف فضل، د. محمد إبراهيم أبوسليم، د. عبدالله الطيب، د. عون الشريف قاسم، د. مدثر عبدالرحيم"، إلا أن التجويد الأكاديمى طغى على كتاباتهم كما تحاشوا الكتابة من موقع الدعوة والالتزام، ثم اتبع مكى كل ذلك بشهادته عن قلم الأستاذ محمود والتى جاءت فى صدر هذا المحور.

الشاهد أن البون كان شاسعاً بين الأستاذ محمود وأنداده من طلائع المتعلمين، حينما دلفوا إلى ساحة العمل العام. لقد تمثل جل طلائع المتعلمين أحد نموذجين من النماذج الإرشادية، إما نموذج الرجل الإنجليزى بما ينطوى عليه من مسلك ومظهر وأشواق وآمال...إلخ، وإما

(1) حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان** 1969-1985: **تاريخها وخطابها السياسى**، مرجع سابق، ص 175-176.
(2) المرجع السابق.
(3) المرجع السابق.

نموذج الفقيه الأزهرى (الأزهر/ القاهرة) بما ينطوى عليه من مسلك ومظهر وأشواق وآمال ...إلخ. بينما كان الأستاذ محمود نموذج نفسه، بل ظل ينقد بشده النموذجين وينسف مكوناتهما الفكرية والحضارية سواء فى مكونات الحضارة الإنجليزية، الغربية، أو نسف المكونات والتكوين الفكرى والمعرفى لفقهاء الأزهر وفقهاء الإسلام بشكل عام. كان الأستاذ محمود قائداً سياسياً حراً، ومفكراً كبيراً، بينما كان معظم طلائع المتعلمين يدورون فى نشاطهم السياسى حول حركتى الاستقلالية والوحدوية، وأن كثيرين منهم دخل إلى ساحة العمل العام عبر بوابة الشعر العربى. وفوق تلك الميزات التى تميز بها الأستاذ محمود عن أنداده، كانت مواقفه وصلابته فى المواجهة. كان لا يساوم، ولا يهادن، ولا يقبل بالتسويات، أو أنصاف الحلول، منطلقاً فى ذلك، من رؤيته لإحداث التغيير وتحرير الإنسان. كما كان نشره للعدد الضخم من الكتب والمقالات، قد ميزه عن معاصريه بقدرات فائقة وإمكانات فكرية ضخمة. كتب محمد سعيد القدّال قائلاً: "إن الأستاذ محمود يمتلك قدرات فكرية إذا ما قيس بالسياسيين المعاصرين له"[1]. كان الأستاذ محمود مفكراً يمتلك عقلاً كبيراً ومذهلاً، فى نشاطه وحيويته، وقد تجلى ذلك فى إنتاجه المعرفى الهائل كماً وكيفاً. كتب معاوية نور (1909-1941) عام 1929، وهو يستعرض كتاب "فن التفكير" الذى وضعه باللغة الإنجليزية الكاتب الفرنسى "أرنست دمنت"، عن ما هو المفكر؟ قائلاً: المفكر هو الذى "يرى حيثما لا يرى الآخرون، والذى لا تقع عينه على خلاف ما تقع عليه الأعين، غير أنه يرى فيها ما لا يراه بقية الناظرين"[2]. شهد العلامة عبدالله الطيب (1921-2003)، كما ورد آنفاً، للأستاذ محمود بأن له ذكاءً فريداً، وكان مفكراً صنديداً، وشجاعاً نجيداً، وأديباً مُجوِّداً، وخطيباً مؤثراً ومفوهاً. جاء ذلك فى قصيدته "مُصاب وحَزَن"، التى بكى بها الأستاذ محمود بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه عام 1985. وتحدث فى قصيدته عن سبق الأستاذ محمود للناس فى الآراء السياسية قائلاً:

واثقاً كان فى الخصومة بالفكر لو الفكر وحده المنشودُ

سبق الناس فى السياسة رأياً حين فيها تفكيرهم محدودُ

---

(1) محمد سعيد القدال، **تاريخ السودان الحديث 1820-1955**، مرجع سابق، ص495.

(2) معاوية محمد نور، **الأعمال الأدبية لمعاوية محمد نور: دراسات فى الأدب والنقد وقصص وخواطر**، مرجع سابق، ص 289-300.

الحسد والدسائس وإرث العداء للمبادرات الخلاقة

وويل لأمة أوقفت نشاطها على حرب الأشخاص لا على حرب أعمالهم[1].

جمال محمد أحمد (1915-1986)، فى عام 1935

ظل الأستاذ محمود محاصراً، حصاراً عنيفاً، ومحارباً حرباً قاسية، تأذى من ذلك هو، وتلاميذه فيما بعد، ومشروعه، والسودان، والبشرية جمعاء. بدأ أنداد الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين حصاره والحرب عليه بدوافع عديدة. حسدوه فقادوا عليه حرباً شعواء. يتضح ذلك فى مواقفهم تجاهه، ومن إغفالهم لذكره فى مذكراتهم وسيرهم الذاتية، كما ورد فى الفصل السادس عشر، والذى تناول: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه". فى الواقع أن العداء للمبادرات الخلاقة، وثقافة الدسائس والمكائد والأحقاد ومظاهر وسلوك الحسد بين المثقفين وفى دوائرهم، ومجالات نشاطاتهم، السياسية وغير السياسية، أمور لها تاريخ فى السوح الفكرية والسياسية فى السودان. وهى كذلك أمور لها إرث متراكم وتركة ضخمة لا تزال تتراكم وتتمدد ولا تزال سارية المفعول. كما أنها كانت موضع شكوى الكبار والمتميزين من أصحاب المبادرات الخلاقة، كما كتب عنها الكثير من المهتمين.

أرجع محمد عمر بشير تفشى ظاهرة الحسد بين طلائع المتعلمين، إلى نوع التعليم الذى خضعوا له. وأشار إلى أن نمو اتجاه الحسد عندهم كان من مخلفات نوع التعليم الذى تلقوه، كتب محمد عمر بشير قائلاً: "والتعليم الذى حظى به المتعلمون لم يستطع أن يطور ملكاتهم النقدية. إذ خَلَّفَ اتجاهاً عقلياً يبلغ فى دركه الأسفل الحسد. وفى أحسن صوره إحساساً بالانحراف صوب السفسطة والرومانسية"[2]..كتب الأستاذ فتحى الضو مقالاً فى حلقتين، بعنوان: "الحسد فى السياسة السودانية"[3]. سعى الضو إلى تقصى ظاهرة الحسد فى الممارسة السياسية السودانية، وطرح فيهما تساؤلات كثيرة، منها: هل ظاهرة الحسد فى السودان حِكراً على السياسة والسياسيين؟، أم أنها طغت وتجبَّرت وشملت جوانب أخرى

---

(1) جمال محمد أحمد، "مؤهلات الزعامة بين العشائر والأمم"، **مجلة كلية غردون**، العدد الثانى، المجلد الثانى، 21 ديسمبر 1935، الخرطوم، ص 6.

(2) محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان** (1900-1969)، مرجع سابق، ص 143-165.

(3) فتحى الضو، "الحسد فى السياسة السودانية"، (حلقتان)، **صحيفة الأحداث**، يومى 8 و15 فبراير 2009.

فى حياتنا؟ وهل يمكن أن نتحدث عن الحسد الرياضى أو الثقافى أو الفنى أو الأكاديمى أو الصحفى، وهلمُ جراً؟ وتحدث الأستاذ فتحى الضو أيضاً، عن ظاهرة الحسد باعتبارها إحدى ظواهر التخلف والانحطاط الأخلاقى، وأنها بعد أن نهشت حياتنا الاجتماعية بدأت تستشرى فى جسدنا السياسى. فما الذى جعلها تستفحل وتستشرى، كما النار فى الهشيم؟ وبنفس القدر كيف يمكن أن تنكمش إن عزَّ اجتثاثها من جذورها؟ وذكر أن الحسد كظاهرة دائماً ما يتوفر لها المناخ الحاضن فى ظل الأنظمة الديكتاتورية والشمولية، ذلك لأنه تحت إبط هذه الأنظمة دائماً ما تختل موازين العدالة الاجتماعية. وأيضاً فى ظل تقلص الحريات، تنحسر مساحات الرأى والرأى الآخر مما يصعِّب ويعقِّد الكشف عن الفساد والمفسدين، فلا مناص من أن يقود العجز إلى تغطية الفراغ بتمدد ظاهرة الحسد وتكاثر الحاسدين، وتتعقد المسألة أكثر فى ظل أنظمة القهر والمحسوبية أيضاً عندما تتلاشى قيم الحق والعدل والمساواة وتحتل مكانها ظواهر الغش والنفاق والكذب والخداع والتدليس...وفى مناخ كهذا يتنافس الحسد والحاسدون معاً!.

إن أساليب الدسائس والمؤامرات وثقافة الشلليات والطموحات الشخصية، ومظاهر الحقد والحسد قد خيمت على دوائر المثقفين، منذ بواكير القرن العشرين، وتمكنت فيها، ومن ثم تحكمت فى مسارات الحياة السودانية. أرجع محمد إبراهيم أبوسليم (1927-2004) إخفاق طلائع المتعلمين فى قيادة السودان المستقل إلى عدة أسباب منها: طبيعة العمل السياسى الذى أصبح محصلة للشللية والطموحات الشخصية وعراك القوى والمناورات، إلى جانب أسباب تتعلق بضعف أجهزته السياسية، وطغيان الطائفية، والتدخلات الخارجية، وفقدان الاتجاه[1]. أيضاً، تحدث الأستاذ يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011)، فى مذكراته عن الحسد لدى المتعلمين وكيدهم لبعضهم بعضاً، وأشار إلى مواقف بعينها، وتناول الجفوة فى العلاقات بين المتعلمين، والتنافس المحموم فيما بينهم، وحكى الكثير من القصص فى الدسائس والمكائد والمؤامرات والأحقاد التى كانت تتم بين طلائع المتعلمين، وأفاض فى ذلك بتفصيل ودقة. ومن بين القصص التى حكاها[2] يحيى

(1) محمد إبراهيم أبو سليم، **أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان**، دار الجيل، بيروت، 1991، ص 25.
(2) يحيى محمد عبدالقادر، : **على هامش الأحداث فى السودان**، مصدر سابق، ص 43-156.

فى كتابه آنف الذكر، قصته مع الفرسان الثلاثة: محمد أحمد المحجوب، وصالح عبدالقادر (1897-1968)، وأحمد يوسف هاشم (1903-1958). والفرسان الثلاثة هو وصف أطلق على ثلاثتهم يوم ذاك بعد استقالتهم من الجمعية التشريعية، وكونوا مع آخرين فى أوائل عام 1950، ما سمى بهيئة تحرير السودان. وزعت الهيئة مذكرة على بعض أعضائها، وتمكنت جريدة (المستقبل) التى كان يصدرها الأستاذ يحيى من الحصول على نسخة من الوثيقة، وقامت بنشرها. أحدث نشر الوثيقة ضجة كبرى، وعلقت عليها معظم الصحف. ويروى الأستاذ يحيى قائلاً: يرجع أساس الضجة إلى أن الفرسان الثلاثة، زعماء الهيئة، كانوا يعيشون تحت ظلال السيد عبدالرحمن المهدى (1885-1959)، ويعتبرون من أدواته، فى حين أنهم فى هذه الوثيقة يعملون ضده بطريقة غير محترمة وغير كريمة وغير أخلاقية.. لقد لعبوا دوراً مزدوجاً بغيضاً، وعضوا اليد التى أحسنت إليهم. ويمضى الأستاذ يحيى قائلاً أما الوثيقة فقد جاء فيها ما يلى[1]:

1- تجنيد الكتاب وخاصة الشباب منهم للكتابة والخطابة ضد الطائفية وإبراز عيوبها، والاستعانة بأنصار السنة.

2- الاستعانة بالنظار والعمد المرفوتين ضد الحاليين والاستعانة بالموتورين من أبناء البيوتات الكبيرة ضد أقاربهم (الاعتماد على فحل فى الجزيرة).

3- الاستفادة من أخطاء الجبهة الاتحادية واستعانتها بالأجنبى.

4- إثارة الفتن بين الطوائف وخاصة الطائفتين الكبيرتين.. تبحث الوسائل. كل منطقة حسب ظروفها.

5- استغلال حالة الجوع فى الشمال والشرق والعطش فى الغرب، والجهل فى الجنوب.

6- الاستفادة من العمال فى الحركة السياسية.

ويضيف الأستاذ يحيى قائلاً: ولم يكد يصدر عدد جريدة المستقبل مشتملاً على هذه الوثيقة حتى اتصل بى المرحوم أحمد يوسف هاشم تلفونياً وشتمنى شتماً قبيحاً.. وقال لى

(1) المصدر السابق، ص 43-156.

لن أنسى لك هذه الإساءة.. إننى أعرف من أوعز إليك بنشر الوثيقة وهو السيد عبدالله خليل إنه يريد إبعاد محمد أحمد المحجوب عن الأنصار ليخلو له الجو.. وهيهات..![1]. وذكر يحيى أن أحمد يوسف هاشم أضاف له قائلاً: إن الكيد لنا نحن الثلاثة بهذا الأسلوب القذر لن يجديك.. وأنا وصالح باقيان ومكاننا محفوظان.. ولن يتخلى عنا السيد عبدالرحمن.. أما أنت أيتها الحشرة السامة فتقبل العزاء منذ الآن فى صحيفتك (المستقبل)[2]. ويمضى الأستاذ يحيى قائلاً: لم أعن بغضبة المرحوم أحمد يوسف هاشم عناية كبيرة.. فقد تعود أن يسئ إلىّ وتعودت أن أسكت. ولن يضيرنى المزيد من نفثات صدره المحموم غير أننى اضطررت فيما بعد إلى العناية بكل كلمة قالها "فتقبل العزاء منذ الآن فى صحيفتك (المستقبل)". بالفعل فقد جاءنى خطاب من مصلحة السكرتير الإدارى يخطرنى بإلغاء رخصة صحيفتى (المستقبل)، لعدم انتظامها. ولما كان الأستاذ أحمد يوسف هاشم هو ممثل الصحافة فى لجنة الترخيص بالصحف فى تلك المصلحة فقد علمت أن أحمد كان جاداً فى تهديده وإنه انتقم منى شر انتقام. وقد تألمت كثيراً من تصرف أحمد.. فإنه فى سبيل أحقاده- عليه الرحمة- لم يتورع من إلغاء رخصة صحيفتى (المستقبل) فحسب،وإنما وضع نصاً رديئاً فى لائحة قانون الصحافة يلغى الرخصة لمجرد عدم الانتظام فى الصدور.. ويعلق الأستاذ يحيى قائلاً: إن لائحة الصحافة قد أصبحت فى أيدى المستعمرين وأعوانهم ألعوبة وفسرت نصوصها بما يتفق مع البواعث الشخصية والسياسية... كان ينبغى أن تعان الصحف غير المنتظمة فى الصدور على شق طريقها وتركيز نفسها لا أن توأد فى المهد.. ولكن ماذا نفعل بأولئك الذين استعبدتهم غرائزهم وفقدوا روح العدالة واهتزت فى نفوسهم القيم؟[3].

نشر يحيى هذه الواقعة فى صحيفته **أنباء السودان**، عام 1958 بعد وفاة الأستاذ أحمد يوسف هاشم. ففى الأصل كانت مذكرات يحيى الموسومة بـ: **على هامش الأحداث فى السودان**، والمشار إليها أعلاه، عبارة عن سلسلة مقالات، نشرها أول مرة فى صحيفته **أنباء السودان**، ثم جمعها لاحقاً فى كتاب. وفى الحلقة التى تضمنت الواقعة أعلاه، وكان طرفها

(1) المصدر السابق، ص 43-156.

(2) المصدر السابق، ص 43-156.

(3) المصدرالسابق، ص 43-156.

قد توفى، جاء تعليق ليحيى محمد عبدالقادر من يحيى الفضلى، وكان التعليق عبارة عن بيت شعر واحد، من نظم أبى العلاء المعرى، وهو:

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى إنى أخاف عليكم أن تلتقوا

نشر يحيى محمد عبد القادر بيت الشعر فى نفس المكان بصحيفته، **أنباء السودان**، ثم علق على بيت الشعر الذى أرسله يحيى الفضلى، ورد قائلاً: "لن نلتقى".

الشاهد أن الكثير من المتميزين والناجحين وأصحاب المبادرات الخلاقة والعطاء الجاد فى السودان قد شكوا من الحسد وكيد الحاسدين. شكا المربى بابكر بدرى (1861-1954)، من كيد الحاسدين والحاقدين، وهو يسعى جاهداً فى بناء وتطوير مبادرته التعليمية الخلاقة، مدرسة الأحفاد ونقلها من مدينة رفاعة إلى أمدرمان. وتحدث فى مذكراته: **تاريخ حياتى**، خاصة فى الجزء الثالث، عن ما واجهه من حسد وكيد وحقد، ومؤامرات ضد مشروعه. كما أضاف بأنه حينما بدأت تجربة مدرسة الأحفاد فى النجاح والتوسع والتطور، تحرك الحساد والحاقدون من طلائع المتعلمين، وسعوا سعياً حثيثاً لتدمير المشروع، وتحجيمه. أيضاً، شكا العلامة عبدالله الطيب (1921-2003) كثيراً من الحسد، ووثق لذلك فى بعض أشعاره. لقد ذكر الشاعر والناقد الأستاذ محمد الواثق فى بحثه: "محمد أحمد المحجوب وشعراء جيله"[1]، مارس 2002"، قائلاً: "رجع عبدالله الطيب للسودان بعد فترة الدراسة فى لندن ثم صار علماً من أعلام التعليم فى السودان، ووجه بمكائد (أبناء اللكيعات) فكاد يشله الإحباط.. يلوذ عبدالله الطيب فى كل دواوينه بالرسول صلى الله عليه، وكان آخر دواوينه صوفى المنهج: **برق المدد بعدد وبلا عدد**، وتزخر دواوينه: **أغانى الأصيل، وبانات رامه** بذكر أهله فى الدامر وطبيعتها حيث يكثر ذكر شجر الأراك والطندب والسلم وكثيراً ما يعرج على ذكر أهله من متصوفة المجاذيب وسنار". لعل وصف العلامة عبدالله الطيب لحساده والكائدين له بـ (أبناء اللكيعات)، وصف لا يخلو من القسوة والبذاءة، ولكنه يعكس حجم عناء العلامة عبدالله الطيب والمعاناة التى وجدها من المكائد والحساد، كما يعكس مدى الظلم الذى وقع عليه.

(1) محمد الواثق، "محمد أحمد المحجوب وشعراء جيله"، مارس 2002".

لقد حدثنى بعض تلاميذ الأستاذ محمود[1]، قائلين بأنهم: كثيراً ما سمعوا الأستاذ محمود يردد بيتين من أبيات شعر بن الفارض (576-632 / 1181-1235) المعروف بسلطان العاشقين، والبيتان هما:

وعن مذهبِى، لَمّا استَحَبُّوا العمَى على الـــ ـهُدى، حَسداً من عَنْد أنفسهم، ضَلُّوا
فهُمْ فى السُّرى، لمْ يَبْرَحُوا من مَكانِهم وما ظَعَنُوا فى السَّير عنه، وقد كلُّوا

على الرغم من أن ظواهر الحقد والحسد، وأساليب المكائد والدسائس والمؤامرات، فى أى بيئة من البيئات، تتداخل فيها عوامل مختلفة وتدرس بمداخل عديدة: نفسية واجتماعية وتاريخية واقتصادية...إلخ؛ إلا أننا نلحظ أن هذه الظواهر قد تمكنت فى الواقع السودانى، وتمددت بشكل واضح فى الحياة اليومية. وكما وردت الإشارة إلى أن هذه الظواهر، ظواهر موروثة منذ طلائع المتعلمين، فقد نمت وتوسعت فى دوائرهم بسبب نوع التعليم، ونشوء ثقافة الشلليات، والدوافع الذاتية والطموحات الشخصية والسعى لتحقيق الذات بشتى الأساليب، إلى جانب المنافسة المحمومة التى زرعتها الإدارة الاستعمارية. ولا شك أن هذه المظاهر ملازمة للإنسان، ولكن يختلف الناس فى قدرتهم على غربلة دواخلهم ومكوناتهم، وفى مدى مقدرتهم على إدارة ذواتهم وتهذيبها وتشذيبها، وفى هذا أيضاً، يدخل نوع التعليم كعنصر أساسى فى ذلك. فالتعليم فى بعض معانيه ما هو إلا تغيير السلوك. أيضاً، إن هذه المظاهر كانت موجودة فى المجتمع السودانى قبل ظهور طلائع المتعلمين. ولعل بيئة السودان بلونيتها الصوفية، والمزاج الصوفى، لها دور كبير فى تنمية هذا الاتجاه. فعلى الرغم من جمال البيئة الصوفية، بما تحمله من خصال وقيم إنسانية رفيعة وسامية، مثل: التسامح، والتواضع ...إلخ؛ إلا أنها تمثل بيئة صالحة وخصبة لنمو بعض الاتجاهات والمظاهر، ومن بينها اتجاهات الحسد والغيرة. والشواهد على ذلك كثيرة.

روى يوسف ميخائيل فى مذكراته الموسومة بـ "**مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائى فى السودان**"[2]: أنه عندما نظر أحمد بك دفع الله أن إلياس أخذ

(1) مقابلة مع النور حمد، 2009/10/26، الدوحة، قطر، الساعة 20:30؛ عصام عبدالرحمن البوشى، 5 أكتوبر 2010، عبر الهاتف، عصام بمدينة مدنى، السودان، والمؤلف فى الدوحة، قطر، الساعة 21:00.

(2) يوسف ميخائيل، **مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائى فى السودان**، تحقيق أحمد أبو شوك، نشرها مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى بأمدرمان، عام 2004، ص 10-18.

وظيفة باشا وصار هو الحاكم على مديرية كردفان حصل له غيظ عظيم، وكمد الدم على القيح، وصار يدبر فى الأمر الذى يوقع به الياس باشا. عندما جوّل أفكاره قال: ليس لها إلا على كنونه، شيخ قبيلة الغديات هو سلطان الفرشة. عند ذلك أرسل له أحمد بك دفع الله كونه عندهم صحبه مع بعضهم ومودة كبيرة من قديم الزمان. بعد حضوره عنده قال له: "يا شيخ علـى كنونة هل وافقك بأن يكون إلياس باشا ماسك زمام الحكم وأنت موجود، ومن أهل الفونج أهل السلطنة الزرقاء ملوك سنار؟ وكان جدهم الكبير حضر من البحر وسكن الصعيد بجبل ولد البقا، وبنا فيه حوش بمرقت البقر، واتره (أثره) للآن موجود، والشيخ كنونه من نسله، وابن عمه الشيخ إسماعيل الأمين الدلندوك، جده سكن فى علوبة، وهما أولاد عم". وصار أحمد بك دفع الله وأولاد عمه وأخيه عبدالله يحرضون الشيخ على كنونة، لأجل ما يشق عصا الطاعة على الحكومة ويقول: "أنت اسمك مانجل، ولك نحاس وتخشى منك كافة العربان". وما زال أحمد بك يحضروا عنده أولاد عمه، ويحرضوا الشيخ على كنونة بهذا الكلام، وقام من عندهم على نية القتال، وتزود من أحمد بك دفع الله بالسلاح والجبخانة، وسافر من عندهم على هذه النية. وقد وصل إلى بلاده وجمع كافة مشايخ داره وأولاده، وأتباعه وعموم العربان والقبائل المجاورة له، ومشائخ الحوازمة، واستعد للحرب والقتال. وعمل لهم وليمة كبيرة، ومن بعد ما أكلوا الطعام قال لهم: "تانى لا أحد منكم يدفع طلبه للحكومة ما دام إلياس أم برير مدير المديرية". وبوقته قتل المأمور والعساكر والصراف حمد أبوعبيدة، وأخذ أموال الحكومة وفرقها على رؤوس القبايل. وقال: "تانى لا ندفع طلبه وأنا حى فى دارى ما دام الجعلى يكون علينا حاكم. من بعد بيع الشطة والملح صار فى ثروه كبيرة، وأخذ وظيفة باشا، ويحكم علينا الجلابى ما بينى وبينه إلا الحرب والقتال... ويضيف يوسف ميخائيل قائلاً: وعندما بلغ أحمد بك دفع الله أن الشيخ على كنونة قتل المأمور والعساكر والصراف، وأخذ أموال الحكومة صار مبسوط وازداد فرحه، وعلم أنه نال مقصوده بالحيلة التى دبرها والفتنة التى أوقعها، وقال لأخيه عبدالله وعموم أهله: "أنا ما قلت ليكم ليس يوجد رجل فيه الكفاية إلا الشيخ على كنونة. فالآن أنا صرت مسرور وانظروا يا أخوانى فشل إلياس أم برير فـ[يـ]ما بعد".

أيضاً، روى سلاطين باشا فى مذكراته بعض القصص عن الحسد والتحاسد، فقد كتب

واصفاً لأحد المواقف فى التحاسد قائلاً: "وقد عين غردون التاجر السودانى الثرى إلياس ومنحه رتبة باشا فكان لهذا التعيين أثر سيء فى نفوس الأهالى. وهذا القول ينطبق على تعيين قريبه وهو تاجر ثرى أيضاً يدعى عبدالرحمن بن نجا. وكان كلاهما على كفاءة يعرف حالة البلاد وكيفية حكم الأهالى ولكنهما كانا يشتغلان لمصلحتهما. ونتج عن تعيينهما أن انتشرت روح التحاسد بين كبار السودانيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أهلاً لمثل وظيفة إلياس وقريبه عبد الرحمن"[1].

الشاهد أن العداء للمبادرات الخلاقة، لم يكن بعيداً من أسباب محكمة الردة، وأن الحسد كان معطًى من معطيات المناخ العدائى تجاه الأستاذ محمود، بيد أن هناك أسباباً أخرى كثيرة. فبالإضافة لما وردت الإشارة إليه، كان هناك الموقف العدائى للمعهد العلمى بأمدرمان، جامعة أمدرمان الإسلامية من الأستاذ محمود، وكذلك موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952 فى مصر، وموقفه من خطاب عبدالناصر العروبى القومى، وموقفه كذلك من مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل). وهذا ما سأتناوله فى الفصول الثلاثة القادمة.

(1) سلاطين باشا، **السيف والنار فى السودان**، دار البلد، الخرطوم، 1999، ص 70-71.

الفصل التاسع

9

الأستاذ محمود والمعهد العلمي بأمدرمان (أزهر السودان)

المواجهة لمشيخة أزهر السودان
والمشائخ المبتعثين إليه من أزهر مصر

ويجب الحذر، كل الحذر، من فصل التعليم إلى، تعليم دينى، وتعليم مدنى، ينتظر فيه من رجال الدين، من استقامة الخلق، ما لا ينتظر من رجال التعليم المدنى.. إن الأخلاق، فى حقيقتها، هى حسن التصرف فى الحرية الفردية، وهى بذلك حق على كل فرد.. ويجب علينا جميعاً أن نعين بعضنا بعضاً على تحصيلها وذلك لأهميتها الفردية والجماعية.. ولما كان الدين عامة، والإسلام خاصة، أكبر أسلوب يعين على تحصيل الأخلاق، بوصاياه، وبقرآنه، وبعبادته، وبسيرة نبيه، وأصحابه، وجب علينا أن نولى الدين اهتماما خاصا، لنحقق به التربية الخلقية.. على أنا يجب أن نميز بين القضايا الفقهية التى تلقن فى المعاهد الدينية الحاضرة، وبين (روح الدين) فإن روح الدين البسيطة، المنبعثة من القول البسيط (لا إله إلا الله)، هى شعار التربية لأنها تدعو إلى الحرية، وترسم الطريق إلى الخلق الذى يليق بالأحرار، وهو ما عنيناه بحسن التصرف فى الحرية الفردية.

وأما تعلم القضايا الفقهية، على نحو ما يمارس فى المعاهد الآن، فهو مهنة، كسائر المهن، ولا يحتاجه المجتمع الذى ندعو إليه.. نعم!! سنحتاج إلى رجال قانون، ولكنهم لن يكونوا بالصورة الحاضرة، لأننا لن نعمل على قيام محاكم شرعية، ومحاكم جزئية، وإنما سيكون التشريع موحداً أيضاً..سيكون التشريع مبنياً على القيم الإنسانية الرفيعة، وهى القيم التى نعلمها فى معاهدنا، ومنازلنا، ونطلبها من كل مواطن مهما كان دينه، ومهما كانت مهنته، بغير تمييز فى ذلك[1].

محمود محمد طه

(1) محمود محد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، 1958/12/24، الخرطوم.

*لقد طوع لبعض الناس كسلهم الذهنى مواجهتنا ببعض الحجج التى يلتقطونها من المتخصصين فى ترويج الشبهات حول الفكر الجمهورى... قلنا بتطوير التشريع الإسلامى حتى يواكب تطور البشرية. فقالوا هذا خطأ، لأن الناقص هو الذى يتطور والشريعة جاءت من عند الله، ولا يمكن أن يكون تشريع الله ناقصاً. ويسوقون لنا الآية الكريمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا). ونقول **أولاً**: إن الله لم يشرع فى مستوى كمالاته، وإنما شرع فى مستوى نقائصنا، حتى يدخلنا على مكث وتدريج من نقائصنا فى كمالاته. **وثانياً**: فإن التشريع الحكيم هو الذى يلبى حاجة المجتمع فى الزمان والمكان المعينين. والمجتمع ومن البداهة المعاشة إنما هو فى مقاس طفل السابع من الملابس لا يصلح له وهو فى سن العشرين. والمطلوب هو المقاس الجديد ولكن من نفس خاصة القماش. وخلود الشريعة هو فى نموها وتطورها لا فى جمودها وتحجرها. **ثالثاً**: فإن معنى الآية الكريمة ان الدين قد كمل تنزيله ولم يكمل تبيينه، وذلك لأن الدين أوله فى أرض الناس وآخره عند الله فى عليائه. وإننا لم نقل بتطوير الدين، وإنما قلنا بتطورنا فى فهم الدين، ومن ثم فإننا نطور تشريعنا فى رحاب الدين عارجين إلى لبابه[1].*

محمد فضل محمد [الصديق]

---

(1) محمد فضل محمد [الصديق]، "قلنا.. فقالوا..ونقول"، **الجمهورية**، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 1969/4/17، ص 11.

إن سبب إعاقة تقدم المسلمين فى العالم وفى ماليزيا، هو ذلك الحاجز الذى قامت ببنائه الدوائر الدينية والعلماء، بينهم وبين المعرفة، والتى يعتبرونها لا علاقة لها بالإسلام قط، بل يجدوها غير مقبولة... إن المسلمين فى فترات تاريخية إسلامية لاحقة تجاهلوا اكتساب المعرفة. لم ينظروا بعين الاعتبار إلا للعلوم الدينية فقط، بل هم تركوا كسب المعرفة فى مجالات أخرى، لأنها لا تسهم فى الحياة الآخرة. وهذه واحدة من المشكلات الأساسية وأسباب التخلف، والفقر فى العالم الإسلامى[1].

مهاتير محمد

لا يمكن دراسة محكمة الردة الأولى التى عقدت فى يوم 18 نوفمبر 1968، وحكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، بمعزل عن الدور الكبير والخطير الذى لعبته المؤسسة الدينية المحافظة ممثلة فى **المعهد العلمى بأمدرمان**، ومشيخته، وهيئة علماء السودان. معلوم أن شيخ **المعهد العلمى** هو شيخ علماء السودان. فالمعهد، وقد تحوَّل إلى **جامعة أمدرمان الإسلامية** فيما بعد، أظهر العداء للأستاذ محمود منذ النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى سواء من خلال مشائخه أو مبتعثى الأزهر إليه أو من خلال المناخ العام الذى خلقه، أو عبر اختطاف فقهائه لمنابر الحوار وسوح السجال بلا إمكانيات فكرية ومقدرات علمية مع اصرار فى الأحقية وفرض الوصاية على المجتمع بأثره. (سيأتى لاحقاً محورٌ بعنوان: "اختطاف الفقهاء لمنابر الحوار وسوح السجال بلا إمكانيات فكرية"). ومهما يكن من أمر المعهد فإنه كمؤسسة لا يمكن دراستها، منذ نشأتها الأولى، بمعزل عن دور الاستعمار البريطانى والتأثير المصرى الذى استمر حتى بعد استقلال السودان عام 1956. كان التأثير منذ قيام نواة المعهد، يوم تكوين **لجنة العلماء** (وتعرف كذلك بهيئة علماء السودان، ومجلس العلماء) واستمر حتى بعد أن تم تحويل المعهد إلى **جامعة أمدرمان الإسلامية** عام 1965. إن المواجهة التى قادها الأستاذ محمود لمشيخة المعهد، كانت فى واقع الأمر مواجهة **للأزهر** بمصر عبر مبتعثيه للمعهد، ومواجهة **لهيئة علماء السودان**،

(1) Somun, Hajrudin, *Mahathir: The Secret of the Malaysian Success*, Translated from the Bosnian into English by Lejla Somun-Krupalija, Pelanduk Publications, Malaysia, 2003, Pp26- 27.

ومواجـهة لخريجى المعـهد من فقهـاء وقضاة شـرعيين، ومواجـهة كذلك للوعـاظ ولأئمة المساجد فى السودان كله. إن الأستاذ محمود قاد مـواجهة شاملة للمؤسسة الدينية المحافظة بامتداداتها خارج السودان.

كان إعـلان تكوين ("لجنة العلماء"/ "هيئـة علماء السودان"/ "مـجلس العلماء")، نواة **المعهد العلمى بأمدرمان**، برعاية الحاكم البريطانى.وكان تحـديد مهامها فى يوم 3 يونيو عام 1901، هو إعلان وتدشين لميـلاد المؤسسة الدينية المحافظـة فى السودان على أسس جديدة. كان أهم ما يمـيز المؤسسة أنها لم تكن تطويراً لما هو مـحلى، فكانت تناقض إرث السودان الحضارى، وتصادم "آركيولوجيته" الثقافية، وتخالف المزاج الدينى وتناطح التركيبة الفكرية والوجدانية لشعوبه. وعندما تطورت هيئة علماء السودان إلى قيام **المعهد العلمى بأمدرمان** عام 1912 برعاية الحاكم البريطانى أيضاً، وعـلى غرار الأزهر، كان تطورها إعلاناً باكراً بما سيكون عليـه مستـقبل السودان من تزمت دينى وتعطيل للطاقـات الحيوية، ومن ثم إعـاقة التقدم وتجميد حركة التغيـير الاجتماعى. لقد كان قيام **المعهد العلمى بأمدرمان** تعبيراً قوياً عن انتقـال السودان من حالة الانفـتاح الموروث منذ آلاف السنين إلى حـالة انغلاق فكرى مسـتمر ومتـوسع. فقد مثَّل قـيام المعهـد، لحظة انتصار للفكر الفـقهى وبشكل أخص على المسـتـوى الرسمى، ومن ثـم سيطرتـه وتمدده على حسـاب الفكر الـصوفى، فـغـدا المعطى الأساس فى تشكيل العقل الثقافى السائد. فالمعهد ومن خـلال جرد متساهل (غير متعمق) لسيرته ومواقفه من عباقرة السودان ومن المبـادرات الخلاقة، فإنه مثًّل حالة إعاقة دائمة لمناخ الحرية ولـفرص التقـدم الفكرى، من خلال تعـطيله للطاقة الابداعـية وانشـغاله بالصـغائر الفكرية والسعى لقبر الابداع والمبدعين.

التعليم الدينى قبل إنشاء المعهد العلمى بأمدرمان

لقد تبع سقوط سنار عـاصمة مملكة الفونج (1504-1821)، أمام الغزو التـركى المصرى (1821-1885)، دخول المؤسسة الفقهية الرسمـية واللغة العربية الفصحى والشريعة والنظم الأزهرية وتحويل القبلة الفكرية والثقافية من المدينة المنورة إلى القاهرة. كان التعليم فى دولة الفونج وفى العـهد التركى المصـرى، تعليماً دينيـاً محوره اللغة العـربية والعلوم الشرعـية،

ومؤسساته الكُتاب والخلوة والمسجد والمسيد ومجالس العلماء والأزهر[1]. ولأن التعليم ارتبط بالتصوف كانت الخلوة هى المكان الوحيد الذى يتم فيه تعليم القرآن[2]. ترجع الخلوة فى إنشائها إلى أواسط القرن الرابع عشر الميلادى عندما قَدُم غلام الله اليمنى إلى دنقلا[3]. يقول محمد عمر بشير: لا جدال فى أن المؤسسة التعليمية الكبرى والمهمة والتى نشأت بجانب المسجد والمسيد هى الخلوة. فالخلوة كان لها مدلول فى السودان غير الذى كان سائداً فى البلدان الإسلامية، حيث الاعتزال عن الناس بقصد الوصول إلى الحقيقة، وتعنى التقرب إلى الله والتأمل فى ذاته. بينما كانت فى السودان تعنى المكان الذى تؤدى فيه وظائف التعليم الدينى من تعلم للكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن ثم دراسة العلوم الدينية من فقه وتوحيد وسائر علوم العربية[4]. حافظ العهد التركى المصرى على التعليم الدينى والخلاوى كمصدر رئيس للتعليم، مع انتشارها فى أجزاء كثيرة من السودان. كما أنشأ الحكم التركى عدداً من المدارس الابتدائيةفى كل من الخرطوم وبربر ودنقلا وكردفان وكسلا وسواكن وسنار وجوبا بغرض تعليم أبناء الأتراك والمصريين العاملين فى الجيش والإدارة، وتخريج عدد قليل من السودانيين للعمل فى دواوين الحكومة فى الوظائف الصغرى... وفى عهد الدولة المهدية استمرت الخلاوى مصدراً رئيسياً لتعليم الصغار والكبار. كما شجعت المهدية تعليم القرآن والحديث وقراءة الراتب من خلال حلقات التدريس والتعليم التى نشأت فى الأحياء المتعددة فى أمدرمان، ومن خلال الخلاوى التى كانت تقوم بتعليم القرآن والكتابة والحساب[5].

الشاهد أن التعليم الدينى كان محوره اللغة العربية والعلوم الشرعية، وكانت مؤسساته الكُتاب والخلوة والمسيد ومجالس العلماء، والزوايا والمساجد[6]. وهناك مساجد كثيرة

---

(1) عزالدين الأمين، **نقد الشعر فى السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية**، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ط1، 1999، ص 21.

(2) خالد حسين عثمان الكد، **الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان**، ترجمة محمد عثمان مكى العجيل، ط1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، 2011، ص 21.

(3) يحيى محمد إبراهيم، **تاريخ التعليم الدينى فى السودان**، ط١، دار الجيل، 1987، ص 79.

(4) محمد عمر بشير، **التعليم فى السودان فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956)**، مرجع سابق، ص 10.

(5) المصدر السابق، ص 22، 26، 27.

(6) المعتصم أحمد الحاج، **الخلاوى فى السودان: نظمها ورسومها (حتى نهاية القرن التاسع عشر)**، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005، ص 53-82.

ومشهورة وكانت تشد إليها الرحال لتلقى العلم. من المساجد العتيقة مسجد المجاذيب بالدامر الذى كثرت الهجرة إليه من جميع نواحى السودان وصار فيما بعد مهداً لتعليم العلوم على اختلاف أنواعها"[1]. وهناك مسجد الكتياب، ومسجد العمراب ومسجد أرباب العقائد فى الخرطوم ومسجد الشيخ خوجلى ومسجد الشيخ إدريس بن الأرباب[2] وغيرها.

أزهر السودان: تغذية الخيال الجمعى بالفكر الوافد وتجفيف النكهة المحلية

الإسلام علم وعمل بمقتضى العلم : وإلا فلا[3].
محمود محمد طه

بدأ الحكم الثنائى البريطانى المصرى عام 1898. ومنذ الوهلة الأولى عمل البريطانيون بعد تجربتهم مع الثورة المهدية، على تقوية علماء الفقه على حساب المتصوفة، وسعوا إلى تقليص نفوذ الطرق والتصوف فعززوا دور الفقهاء والعلماء على حساب المتصوفة. فإلى جانب أنهم أنشأوا المدارس والكليات والمعاهد التعليمية الحديثة: كلية تدريب المعلمين والقضاة بأمدرمان فى عام 1900، ومدرسة الصناعة بأمدرمان، وافتتحت **كلية غردون التذكارية** عام 1902، والمدرسة الحربية (مدرسة الخرطوم الحربية) عام 1905، وافتتحت **مدرسة كتشنر الطبية** عام 1924، إلى جانب هذه المؤسسات فإنهم هيؤوا المناخ لتمدد الفقه على حساب التصوف. فقد أنشأ الحاكم العام فى عام 1901 مجلس العلماء (ويسمى هيئة العلماء - لجنة العلماء)، نواة **المعهد العلمى بأمدرمان**، لينظم التدريس فى الجامع الكبير بأم درمان. تم تشكيل هيئة العلماء[4] برئاسة الشيخ محمد البدوى (1841-1911)[5].

---

(1) مجذوب محمد جلال الدين، "التعليم الدينى فى السودان"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377/ ديسمبر 1957، ص 11-16.

(2) المصدر السابق، ص 16-11.

(3) محمود محمد طه، **الإسلام**، أمدرمان، مصدر سابق، ص 34-44.

(4) العلماء هم: الشيخ النزير خالد، والشيخ عيسى دوليب، والشيخ محمد الأمين الضرير، والشيخ محمد المشهور بولد الجريف، والشيخ محمد عبدالماجد، الشيخ الباقر السيد إسماعيل، الشيخ أحمد محمد نور، الشيخ حاج أحمد المجذوب، الشيخ الجيلى التلب. **المصدر**: الأمين محمد المحيسى، "المعهد بين الماضى والحاضر من سنة 1912- إلى 1957"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377/ ديسمبر 1957، ص 35.

(5) الأمين محمد المحيسى، "المعهد بين الماضى والحاضر من سنة 1912- إلى 1957"، مصدر سابق، ص 35.

وفى يوم 3 يونيو 1901 أصدر الحاكم العـام عدة خطابات إلى الأعضاء المختارين فى لجنة العلماء، وحدد مهامها فى الآتى[1]:

1- مباشرة تدريس العلم الشريف فى جامع أمدرمان.

2- النظر فى تقرير من يصلح للتدريس بهذا الجامع.

3- شؤون الطلبة فى الجامع.

4- تكون اللجنة مـوضع استـشارة الحـاكم العـام فى الشؤون الدينيـة وكل ما يختـص بالعلم والعلماء دون أن تكون مكلفة بأن تبتكر النظر فى أى مـوضوع من تلقاء نفسها، بل حتى إذا عـرض عليها من الحكومـة، أمر من ذا القبيل، كـان عليها أن تحـرر قرارها بما تراه وتقدمه لجهة الاختصاص التى لها الخيار فى العزل بموجب ما تقرره اللجنة.

5- بالإجمال فإن مهمة اللجنة هى كل ما يتعلق بالعلم والعلماء وطلاب العلم.

حـينما توفى الشـيخ مـحمـد البدوى، رئيـس لجنة العلماء، فى عـام 1911، رشحت الحكومة الشيخ أبا القاسم هاشم (1856-1934) خلفاً له فى رئاسة العلماء، وكان إذ ذاك قاضياً شرعياً لمديرية النيل الأزرق بواد مدنى فقبل تحت اشتراطات على الحكومة تختص بتأسيس المعهـد فتم تعيينه[2]. قدم الشيخ أبا القـاسم إلى أمدرمان سنة 1912[3]. وتسلم عـمله فى يناير 1912[4]. كـانت العادة الجـارية يومـئذ أن يقـوم العلمـاء بالتـدريس فى منـازلهم[5]. وقد جـرت "حركة التعليم الدينى فـى عهد الدروس المنزلية للمـشائخ"[6]،

(1) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 67-68.

(2) الأمين محمد المحيسى، "مصدر سابق، ص 35.

(3) أحمد البشـير الطيب هاشم، "نبذة من تاريخ صاحب الفضـيلة الأستاذ الأكبر الشيخ أبى القـاسم أحمد هاشم مؤسس ورئيس المعهد العلمى بأمدرمان وشيخ علماء السودان سابقاً"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الخامس، رجب 1381/ ديسمبر 1961، ص 114.

(4) الأمين محمد المحيسى، مصدر سابق، ص 35،

(5) أحمد البشير الطيب هاشم، مصدر سابق، ص 114.

(6) محمـد المبارك عبدالله، "شـيخ العلماء يسرد التطورات التى مـر بها معهد أمـدرمان الدينى"، **السودان الجديد**، العدد: 3871، بتاريخ 1959/12/14.

فى حـدود "حفظ القرآن وعـلم الفقه والتوحيـد وشيء من التفسير والحـديث والتصوف والنحو"[1]. اجتمع الشيـخ أبا القاسم بكبار العلماء فأقنعهم بضـرورة التدريس بالجامع أسوة بـالبلاد الإسلامـية الأخـرى وذلك باتخاذ المـسجد الجـامع معـهداً للتـدريس[2]... ليكون نواة **أزهر السودان**. فجـمعـهم وتحدث إليهم عن فـكرته هذه فوافقـوه، واستـقر رأيهم على أن تكون الدراسة فى جامع أمدرمان الكبير وكان بناؤه حينذاك (رواكيب من القش) فاجتمع فيه العلماء وطلابهم وأخـذ الشيخ أبو القاسم على نفسه تنظيم التدريس وأحضر لائحة الأزهر ووضع المنهج الدراسى على غرارها وتقررت دراسة جميع العلوم التى تدرس **بالأزهر الشريف** كـما جـعلت المراحل الدراسيـة وشـهاداتهـا كمـا هى فى الأزهر وسلك التدريس من ذلك الوقت طريقـاً مركزاً سار عليه إلى يومنا هذا (ديسـمبر عام 1957) وسميت هذه المؤسسة من ذلك الوقـت (المعهد العلمى بأمدرمان)[3]. لاحقاً تطور الجـامع الكبـير فى سـوق أمـدرمـان وانتقل، بعـد رحلة بناء بطـيئـة، من وضـعيـة الرواكيب من القش إلى وضـعية البنـاء بالطوب، اكتمل البناء، وشـهد يوم 11 يناير عام 1925 الافتتاح الرسمى للجامع[4].

الشـاهد أن فكرة تشكيل **لجنة العلمـاء** لا يمكن أن تدرس بمعـزل عن المقـاومـة التى وجدها البريطانيون من الثورة المهدية، ولا يمـكن أن تدرس بمعزل عن التقييم البريطانى للتصـوف والطرق الصوفيـة، والتى يرون أن منها خرجت الثـورة المهدية. كتب محـمد عمـر بشير عن أهداف المعهـد قائلاً: "وبجانب الهـدف المباشر لتأهيل عـدد من العلماء السودانيين وزيادة فرص التعليم الدينى، فإن الغـرض من إنشاء المعهد كان إيجاد البديل فى السودان **للأزهر الشريف** يتوجه إليه السودانيـون بدلاً من السفر إلى مصر"[5]. بينما يرى محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004): "أن الهدف من إنشاء مجلس العلماء الذى أُطلق عليه اسم "لجنة العلماء" فـى عام 1902 هو الإمعـان فى تقليص نفـوذ قادة

(1) المصدر السابق.
(2) أحمد البشير الطيب هاشم، مصدر سابق، ص 114.
(3) الأمين محمد المحيسى، مصدر سابق، ص 36.
(4) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 87.
(5) المصدر السابق، ص 37.

الطرق الصوفية وتقوية جانب المدرسة الفقهية المنافسة، من خلال تركيز فكر سنى معارض للصوفية وداعم لمركز علماء الفقه والسنة كغطاء دينى للسلطة البريطانية من ناحية، ولموازنة نفوذ الفكر الصوفى من ناحية أخرى"[1]. الشاهد أن تمدد المؤسسة الفقهية فى السودان بدأ بتصالحها مع السلطة البريطانية وظل الفقهاء يجتمعون مع السلطان، وعملت السلطة البريطانية على تذكية الصراع الخفى بين الطوائف والطرق الصوفية، وأظهرت الاحترام لأقطابها، بل جذبوهم لحضور الحفلات الرسمية[2]. كما كتب حيدر إبراهيم على وهو يتحدث عن العوامل التى تضافرت وتآمرت للقيام بعملية ما اسماه (خفاض العقل السودانى)، كتب قائلاً إن أول تلك العوامل: "المؤسسة الدينية المحافظة التى بدأت بهيئة علماء السودان التى رعاها الاستعمار البريطانى". ثم يتناول موقفهم، مستشهداً برسالة منهم للإدارة البريطانية، وأشار لمصدرها وهو صحيفة حضارة السودان، بتاريخ 1921/10/26، كتب حيدر قائلاً[3]:

"ويظهر موقفهم فى رد على نقد وجه للإدارة البريطانية:... فإن جميع الأمة السودانية قد ارتبطت بالحكومة الحاضرة (الانجليزية) الرشيدة ارتباطاً حقيقياً بالقلب والقالب، بصداقة واخلاص، ونقدرها قدرها بحيث لا نبغى بها بدلاً، لما هو شاهد بعين اليقين، من جلب المنافع ودفع المضار، وتعمير البلاد، وتأمين الطرق وعمارة المساجد، وبث العلوم الدينية، ونشر المعارف بترتيب العلماء ومساعدتهم بالمرتبات التى أراحتهم، وتشييد الجوامع والمدارس فى عموم البلاد حتى أن أبناء الوطن صاروا فى تقدم باهر، ونجاح ظاهر، مع اعطاء الحرية التامة لرجال المحاكم الشرعية فى المحاكم والاحكام بالشرع المحمدى. وبالجملة فإنها حكومة رشيدة ساهرة بالسعى فى كل ما يفيد الوطن وأبناءه. فبلسان العموم نقدم الشكر الجزيل لحكومتنا، ونكذب هذه المقالة بجميع اجزائها

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل**، مج ا، مرجع سابق، ص 98-99.

(2) عبده بدوى، **الشعر فى السودان**، عالم المعرفة (41)، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، مايو 1981، الكويت، ص 99.

(3) حيدر ابراهيم على، **" الخفاض الفرعونى لعقل المثقف السودانى"**، مرجع سابق.

تكذيباً تاماً وفى الختام نرفع لسعادتكم لائق التحية والاحترام.

الطيب هاشم، مفتى السودان

إسماعيل الأزهرى، مفتش المحاكم

أبوالقاسم أحمد هاشم، شيخ علماء السودان

نظم الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم المعهد[1]، وأنشأ لائحته وقوانينه على غرار مناهج ونظم الأزهر الشريف[2]. وبقيام المعهد فى عام 1912 أصبح المركز الرئيسى للدراسات العربية والإسلامية وتفرعت عنه معاهد فى أقاليم السودان المختلفة[3]. شهد عام 1920 تخريج أول دفعة من حملة الشهادة الأهلية بعد أن تم امتحانهم أمام لجنة من كبار العلماء، وتم إعلان النتيجة فى احتفال بنهاية العام الدراسى[4]. وبحلول عام 1924 اكتمل **المعهد العلمى** كمؤسسة تعليمية قائمة بذاتها عندما منح طلاب أول دفعة تخرجت فيه الشهادة العالمية التى تعادل الشهادة العالمية التى تمنحها إدارة الأزهر الشريف[5]. كانت أول دفعة تخرجت عام 1924 من حملة الشهادة العالمية مكونة من ثلاثة علماء هم: الشيخ عبدالله الترابى والشيخ إبراهيم أبو النور، والشيخ صالح حاج على[6]. وشهد عام 1932 تأسيس رابطة خريجى **المعهد العلمى** ثم تحولت فى عام 1945 إلى دار خريجى **المعهد العلمى بأمدرمان**[7].

خلف الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، (1912-1932) فى مشيخة المعهد، الشيخ أحمد محمد أبو دقن (1932-1938)، والذى خلفه الشيخ أحمد الهاشم دفع الله منتدباً

(1) عثمان أحمد عبدالرزاق، "بين المعهد والأزهر"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377/ ديسمبر 1957، ص 24.

(2) أحمد البشير الطيب هاشم، مصدر سابق، ص 113.

(3) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 69.

(4) يحيى محمد إبراهيم، **تاريخ التعليم الدينى فى السودان**، مرجع سابق، ص 358.

(5) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 69.

(6) الأمين محمد المحيسى، "مصدر سابق، ص 36.

(7) المصدر السابق، ص 39.

بالنيابة 1938-1943، ثم الشيخ أبو شامة عـبدالمحمود (1943-1951)، فالشيخ هاشم أبو القاسم (1951-1955)[1]. ثم جاء الشـيخ الأمين محـمد الأمين الضـرير، منتدباً شيـخاً للمعهـد بالنيابة قرابة العام، ثم جـاء الشيخ محمد المبـارك عبدالله (1956-1963)، جاء شيخـاً منتدباً من **الأزهر الشريف** وحصل على الشـهادة العالمية النظامـية منه عام 1928 وقد عين مدرساً فى كليـة اللغة العربية سنة 1937 ثم انتدب للعمل بمعـهد أمدرمان سنة 1943 فمكث فيه حتى سنة 1953 ثم أعيد **للأزهر** ثم انتدب للمرة الثانيـة شيخاً للعلماء فى أغسطس 1956 وقد ترقى فى **الأزهر** إلى مفتش للعلوم الدينية والعـربية بعد تسلمه العـمل بمعهـد أمدرمـان وهـو حـاصـل على درجة الأسـتـاذية من قسم تخـصص المادة بالأزهر شعبة التوحـيد والفلسفة[2]. عندما تولى الشيخ محمـد المبارك مهام منصبه وفى نيتـه تحويل المعـهد إلى **جامـعة أزهرية** على نظام التخـصص والكليات، وكتب مـذكرة بذلك الخـصوص إلى مديـر الشؤون الدينيـة. كما طـالب لاحقاً وبعـد زيارته للمـغرب واطلاعه على تجربة جـامعة القرويين، وقـسم تعليم البنات فيها، عـاد من المغرب وكتب إلى مدير الشؤون الدينيـة مطالباً بإنشاء معـهد لتعليم البنات. وفى سبتـمبر 1963 انتهى انتداب الشـيخ محمد المبـارك وعاد إلى مصـر بعد أن ترك الكلية الإسـلامية تسيـر نحو النظام الجـامعى. بعـد ثورة 21 أكتـوبر 1964 بدأ طلاب الكليـة الإسلامـية فى المطالبـة بتطوير الكلية إلى جـامعة إسلامـية. بتاريخ 8 يونيو 1965 تحوّلت الكلية الإسـلامية إلى **جامعة أمدرمان الإسلامية** بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم 390، وأصبح كامل الباقر (1918-1995) مديراً للجامعة فى أغسطس 1965[3].

---

(1) المصدر السابق، ص 40.

(2) المصدر السابق، ص 40.

(3) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمـى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 107-111.

الأزهر والمعهد العلمي: العجز عن المواكبة وركاكة سبل الرشاد

ظل الأزهر هو الحامى والناشر للمعرفة الإسلامية لأكثر من ألف عام. إن قيمته الحقيقية تكمن فى خدمته التاريخية. بيد أنه وفى هذا العصر الحديث -عصر الذرة- حيث الإيقاع السريع للحياة، فإن هذا المعهد الإسلامى يعجز عن المواكبة، فالمجتمعات الإسلامية ذات نمط التفكير الحديث تبحث عن سبل الرشاد فى أماكن أخرى.
إن المعهد العلمى بأمدرمان يملك جميع مثالب الأزهر دون أن يملك أياً من مزاياه.
محمود محمد طه

AL-Azhar has been the custodian and propagator of Muslim learning for over a thousand years. Its real value lies in its historic service. In our present atomic age, when life is moving so fast, this Islamic Institute is losing touch, Islamic communities of modern turn of mind look for guidance elsewhere.
The Islamic Institute in Omdurman has all the demerits of AL-Azhar with none of its merits(1).
Mahmoud Mohammed Taha

عندما نشأ المعهد عام 1912، وقبل ذلك نواته لجنة العلماء عام 1901، كان يتبع للحاكم العام بواسطة السكرتير القضائى(2)، حتى أول مايو عام 1947 إذ تقرر تسليم المعهد إلى مصلحة المعارف، أما معاهد الأقاليم فظلت تحت اشراف المصلحة القضائية(3). وفى 1948/3/27 أعلن مدير مصلحة المعارف تكوين المجلس الأعلى للمعهد من تسعة عشر عضواً، برئاسة الشيخ أحمد الطاهر قاضى قضاة السودان وعضوية شيخ العلماء ووكيل المعهد وممثلين لمصلحة المعارف و**كلية غردون** والتجار والخريجين واتحاد خريجى **المعهد العلمى**(4). أصبح المعهد يتبع لوزير المعارف بواسطة المجلس الأعلى للمعهد، ثم وزير العدل بواسطة مصلحة الشؤون الدينية(5). كانت أول لائحة قد وضعها الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، على

---

(1) Mahmoud Mohammed Taha, "Questions from Mr. John Voll and Answers from Ustadh Mahmoud Mohammed Taha", Khartoum, 17 July 1963. (ترجمة النص إلى اللغة العربية من مؤلف هذا الكتاب)

(2) محمد الخليفة الهادى، "إدارة المعهد قديماً وحديثاً"، **مجلة معهد أمدرمان**، العدد الثانى، 1958، ص 63.

(3) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 100.

(4) المرجع السابق، ص 100.

(5) محمد الخليفة الهادى، "مصدر سابق، ص 63.

غرار الأزهر، "واقتبس له من نظام **الأزهر** القديم المسمى بنظام (الشيخ شاكر)[1]، ثم وضعت لائحة أخرى أوفى فى سنة 1925 واستمر العمل بها حتى وضع المجلس الأعلى للمعهد لائحة النظام الجديد المعمول به سنة 1948[2]. وشهد عام 1948 كذلك إدخال اللغة الإنجليزية[3]. وظلت نظمه ولوائحه تأخذ بما هو فى الأزهر بمصر. كان دور الأزهر كبيراً منذ ميلاد نواة المعهد، لجنة العلماء، ثم ظل الدور والتأثير فى التوسع والاستمرار. كتب المعتصم أحمد الحاج وهو يتحدث عن دور الشيخ أبى القاسم والأثر المصرى فى قيام المعهد، كتب المعتصم قائلاً: "وعلى الرغم من أن الشيخ أبا القاسم كان أول عالم سودانى دعا إلى قيام معهد علمى شبيه **بالأزهر**، فإن الإمام محمد عبده قد سبقه فى الدعوة إلى مثل ذلك المعهد عند زيارته السودان فى عام 1905". ولا يستبعد المعتصم وجود صلة بين هاتين الدعوتين إذا ما استصحبنا، كما أشار، لصلات الشيخ أبى القاسم بالعلماء المصريين من زملاء وتلاميذ الإمام محمد عبده، ودراسته فى **الأزهر** بمصر. كما كانت بينه وبين قاضى قضاة السودان الشيخ محمد شاكر (مصرى الجنسية) صداقة عميقة، واستمرت تلك الصداقة والصلات حتى بعد مغادرة الشيخ محمد شاكر السودان. وعن زيارة محمد عبده إلى السودان يقول المعتصم:

> *زار الأستاذ الإمام محمد عبده السودان فى النصف الثانى من يناير عام 1905. وكان اللورد كرومر وراء هذه الزيارة. وكتب فى تقريره عن مصر والسودان سنة 1905 "بأن **الحزب الإسلامى** الذى كان زعيمه الشيخ محمد عبده، هو الوسط بين الحزب المحافظ على التقاليد العنيفة الذى يحارب المدنية وينبذها وبين حزب المتفرنجين المارقين من الدين، وأنه هو الحزب الذى يرجى أن تنهض به البلاد، لأنه جامع بين الترقى المدنى والمحافظة على الدين" [4].*

تحدث المعتصم عن علاقة الإمام محمد عبده بالبريطانيين بعد أن تحول من ثائر ومجاهد مع جمال الدين الأفغانى إلى مصلح يدعو إلى الاصلاح بالتدرج والترفق، ويرى أن الإنجليز

---

(1) محمد المبارك عبدالله، "شيخ العلماء يسرد التطورات التى مر بها معهد أمدرمان الدينى"، مصدر سابق.
(2) محمد الخليفة الهادى، مصدر سابق، ص 63.
(3) محمد المبارك عبدالله، "شيخ العلماء يسرد التطورات التى مر بها معهد أمدرمان الدينى"، مصدر سابق.
(4) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 71.

خصوم شرفاء معقولون، يمكن التفاهم معهم وأخذ أشياء من أيديهم تدريجياً لمصلحة الأمة، حتى إذا نضجت الأمة أمكنها الحصول على حقوقها كاملة فى حكم نفسها بنفسها. ضمن المعتصم دراسته نقداً لمواقف الإمام محمد عبده ولمدرسته، يقول المعتصم: "وفى الحقيقة أن الإنجليز كانوا أكثر ذكاءً وأبعد نظراً من محمد عبده ومدرسته فيما يتعلق بهذه الأمور"[1]. ثم أشار المعتصم إلى أخطاء الإمام محمد عبده فى اعتقاده بأن الإصلاح بواسطة التربية بديل عن العمل السياسى المباشر ضد سلطة الاحتلال، وفى الآمال التى علقها على الاستفادة من أعماله الإصلاحية من سلطات الاحتلال، يقول المعتصم: "فلم يكن التحرر العقلى والإصلاح التربوى الذى يريده ما يسعد به المحتل ولا مما يرضى به المستعمرون. والأمر الذى حدث أنهم كانوا يظهرون له الرضا والسرور والتشجيع فى الوقت الذى يتركون فيه مشاريعه ومحاولاته تحتضر وتجهض"[2]. وأشار المعتصم إلى أن الاستعمار كسب الكثير من وراء مواقف محمد عبده، بينما لم يجنِ محمد عبده من وراء تأييدهم الشكلى لمشاريعه الإصلاحية سوى القليل. يقول المعتصم: "ولهذه المواقف سعى اللورد كرومر لدعوة الإمام محمد عبده لزيارة السودان حتى يستطيع خلق موقف مماثل للعلماء فيه"[3].

كانت حكومة السودان تعتمد على الشيخ محمد عبده فى اختيار قضاة الشرع له من علماء مصر لا سيما قاضى القضاة، وسائر القضاة الشرعيين وبعض أساتذة كلية غردون من مريديه ومن خواص الأساتذة الشرعيين العصريين المتبعين لطريقته فى الاصلاح. وكان السودان يعمل بآرائه الإصلاحية بغير معارضة عن طريق هؤلاء المشائخ[4]. "وعرف السودان كإحدى كبريات البلاد الإسلامية بتطبيق الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية على أساس التجديد والابتكار بمذهب الاجتهاد الذى كانت تدعو له مدرسة الإمام محمد عبده"[5]. وعندما زار الإمام محمد عبده السودان فى يناير عام 1905، وحينما بلغ الخرطوم. كانت الحكومة قد أعدت السفينة البخارية الخاصة بالحاكم العام لنقل فضيلته. كما ذهب

(1) المرجع السابق، ص 72.
(2) المرجع السابق، ص 73.
(3) المرجع السابق، ص 73.
(4) المرجع السابق، ص 73.
(5) المرجع السابق، ص 74.

السكرتير القضائى المستر بونهام كارتر وسلاطين باشا المفتش العام لحكومة السودان والسيد على الميرغنى زعيم الختمية والشيخ محمد هارون قاضى قضاة السودان (مصرى الجنسية)، والشيخ الطيب هاشم مفتى السودان والشيخ محمد البدوى شيخ العلماء، لاستقبال الإمام من قبل حكومة السودان[1]. وفى زيارته لجامع أمدرمان الكبير فى يوم الجمعة 27 يناير 1905 لاحظ الإمام محمد عبده: "ما عليه هذا المسجد من تهدم، فدعا إلى الاكتتاب لإصلاحه ولإنشاء معهد دينى تدرس فيه العلوم العربية والإسلامية على نحو ما يسير عليه منهج الأزهر الشريف. وافتتح الاكتتاب بمبلغ عشرة جنيهات، ووعد بأن يسعى لدى وزارة الأوقاف بمصر لتقرر مبلغاً من المال لهذا الغرض"[2].

الشاهد أن صلة المعهد **بالأزهر** بدأت منذ مرحلة حضانة الفكرة، والرغبة فى استنساخ أزهر مصر فى السودان. وكما ورد آنفاً، فإن الشيخ أبو القاسم مؤسس المعهد، أخذ بلوائح **الأزهر** ووضع المنهج الدراسى على غرارها وتقررت دراسة جميع العلوم التى تدرس **بالأزهر الشريف** كما جعلت المراحل الدراسية وشهاداتها كما هى فى الأزهر. ثم توسعت وتطورت العلاقة مع الأزهر، وظلت البعثات من **الأزهر** إلى المعهد باستمرار وتوسع، كما ظل إيفاد الطلاب من المعهد إلى **الأزهر** فى توسع واستمرار. كانت البعثات من الأزهر إلى المعهد بأمدرمان تتم بأعداد كبيرة من المشايخ والأئمة والوعاظ. أورد عثمان أحمد عبدالرزاق فى مقال له بعنوان: "بين المعهد والأزهر"، والتى نشرها فى **مجلة معهد أمدرمان**، عام 1957، أورد عدداً من أسماء المشائخ المبتعثين من **الأزهر** وتحدث عن دورهم وآثارهم، ولخص دورهم قائلاً: "وهكذا كان للثقافة الأزهرية أثر واضح فى تثبيت دعائم هذه المؤسسة من نشأتها إلى يومنا هذا (ديسمبر 1957)[3]". كما ذكر عثمان أحمد عبدالرزاق عدداً من أسماء الموفدين من المعهد إلى **الأزهر**، ولخص دورهم قائلاً: "كما أوفد المعهد إلى الأزهر عدداً من البعثات التعليمية نهلوا من منهله ثم عادوا إلى السودان ينشرون ثقافة الأزهر"[4]. كما

(1) المرجع السابق، ص 74.

(2) المرجع السابق، ص 74.

(3) عثمان أحمد عبدالرزاق، "بين المعهد والأزهر"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377/ ديسمبر 1957، ص 25.

(4) المصدر السابق، ص 25.

استقـدم الأزهر عدداً من خريجى المعهد لتلـقى دراسات تربوية. وكانت كذلك مشـيخة المعهـد تحبـذ فى أحاديثـها لطلاب المعـهد وفى نشـراتها الصـحفيـة أن تربط بين **الأزهر والمعهد العلمى**، ففى كلمة شيخ الـعلماء الشيخ محمد المبارك عـبدالله التى القاها على طلبة **المعهد العلمى** عند افتتاح المعهد لعامه الدراسى 1961، قال شيخ العلماء وهو يلقى بنصائح لطلبـة المعهد: "ولقد كـانت لطلاب الأزهر ومعهـد أمدرمان، حين كـان الطلبة طلبة، سنة حـسنة وطريقة نافعة جداً فى تحـصيل العلم وتكوين ملكته يأخـذون أنفسهم بهـا ولا يحـيدون عنهـا إلا فى حـال الضـرورة، وهى أن يذاكروا دروس الـغد قـبل أن يحضروها على أساتذتهم..."[1].

من المهم الإشارة إلى علاقـة المعهد بجامعـة الخرطوم. لقد كانت هناك علاقـات علمية وثقافية ربطت المعهد **بجامعة الخرطوم**. كتب عثمان عبـدالرزاق، والذى كان يعمل مراقباً للقسم الثانوى بالمعهـد، قائلاً: "وتاريخ هذه الصلات يرجع إلى سنة 1950 حيث التحقت أول دفعة من طلبة **المعهد العلمى** بكلية الحقوق قسم الشريعة وذلك على نظام المسابقة التى أجريت لطلبة المعهد وغيرهم من الـراغبين فى الالتحاق بهذا القسم"[2]. تطور التعاون بين الجامعـة والمعهد وتوالت الدفعـات العلمية من طلبة المعـهد للدراسة بجامـعة الخرطوم "من سنة 1953 إلى سنة 1957 حيث اشترطت الجامعة الحصـول على الشهادة الثانوية من معهد أمدرمـان العلمى أو ما يعادلها من الشـهادات"[3]. كمـا ظل المعهد ينتـدب بعض أساتذته لتدريس الشريعة الإسلامية بالجامعة، وقد انتدب عام 1950 الأستاذين الأمين محمد الأمين الضرير، وإبراهيم ناجى، فانتدب لاحقاً الأساتذة: عبدالعـزيز عبيد، ومحمد كرمى عيسى، الأمين داؤود للقيـام بإلقاء المحاضرات فى الشريعة الإسـلامية(4). وتوالت الانتدابات من المعهد إلى الجامعة، وظلت الصلات فى تطور وتوسع.

---

(1) محـمد المبارك عبـدالله، "شيخ العلماء يلقى بـنصائح غالية لطلـبة المعهد العلمى عـند افتتاح عـامه الدراسى"، مصدر سابق.

(2) عثمان عبدالرزاق، "بين المعهد وجامعة الخرطوم"، **مجلة معهد أمدرمان**، العدد الثانى، 1958، ص 69.

(3) المصدر السبق، ص 70.

(4) المصدر السابق، ص 70 -71.

المعهد وثقافة التكفير والإسهام فى تشكيل العقل الثقافى السائد

لنا نحن الجمهوريين، رأى فى التعليم الدينى القائم الآن.. ورأينا فيه رأى سىء. فى مستواه، ومحتواه وأغراضه، وأسلوبه، وأساتيذه[1].

محمود محمد طه

مثَّل **المعهد العلمى بأمدرمان** المعطى الأساس فى تشكيل العقل الثقافى السائد. وهو العقل الذى كوَّن السلطات الدينية والمجتمعية والسياسية والثقافية...إلخ. وهو العقل الذى تحكم فى مسار السودان السياسى فى القرن الماضى ولا يزال يسيطر حتى اليوم. فالمعهد ساهم بقوة فى تشكيل ذلك العقل من خلال رؤيته ونظرة مشائخه وعبر مخرجاته وفى رسالته. فقد استل المعهد سيف التكفير باكراً، فأعاق مناخ الحرية الفطرى فى السودان، وعطل الطاقات الإبداعية والسعى لقبر الإبداع والمبدعين. كان الشيخ محمد المبارك، شيخ المعهد قد نشر فى أول عدد من أعداد **مجلة معهد أمدرمان** رسالة المعهد قائلاً: "وللمعهد رسالة كبرى، هى فى التفصيل ثلاث رسالات: رسالة دينية، ورسالة علمية، ورسالة اجتماعية"[2]. ثم ذهب مفصلاً فى الرسالة فقال:

> *أما الرسالة الدينية فواضحة: تتلخص فى أن يمد الأمة برجال تكون لهم هيبة فى الصدور، وحب فى القلوب، ومنزلة سامية فى النفوس، يتصفون بالأخلاق الإسلامية، ويتحلون بالعزة الإسلامية، والكرامة الإسلامية، يسبقون الناس إلى العمل بما يدعون إليه حتى يكونوا قدوة فى القول والعمل، ويشتركون فى الدنيا وشؤونها على نحو ما يريد الإسلام من أهله، فلا هم بالرهبان المعتزلين للدنيا، ولا بأدعياء السلطة الروحية والوساطة بين الله وعباده، ولا بالذين يجعلون الدنيا كل همهم.. (يكون منهم الأئمة والقضاة والمعلمون والوعاظ، يقومون على تصحيح العقائد الإسلامية، ودعمها بالأدلة التى هدى إليها القرآن)... ويتوفرون على نشر الشريعة الإسلامية السمحاء، وبيان ما فيها من حكم وعدالة وصلاحية لكل زمان*

---

(1) محمود محمد طه، **بيننا وبين محكمة الردة، السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة**، مصدر سابق، (مقدمة الطبعة الثانية).

(2) محمد المبارك عبدالله، "رسالة المعهد"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377/ ديسمبر 1957، ص 5.

ومكان، وينهضون بنشر مكارم الأخلاق الإسلامية[1].

ثم تناول الرسالة العلمية قائلاً: وأما الرسالة العلميـة فهى تجمل فى أن يدرس العقيدة الإسلامية دراسة عميقة مستفيضة، فـيها اجتهاد فى فهم النصوص، وتجديد فى الأدلة،... وأن يدرس الشريعة الإسلامـية، والأخلاق الإسلامـية كذلك، ولا يتم له هذا إلا إذا درس التـاريخ الإسلامى، والعلوم العربية والأدب العربى، والعلوم الكونية"[2]. وفى رسالة المعهد الثالثة، وهى الرسالة الاجتماعية، برز المعهد فيها وكأنه الحارس والمراقب للشعب، وهو يقـتبس من الأمم ويتأثر بحضارتها، ليأخذ بما لها من عادات صالحة وتقاليد نافعة، ويجتنب الضـار الموبق من رذائلها وضلالاتها، حتى يشعر المجتمع أنه فى حاجة إلى خريجيه كحاجته إلى الصناع والمزارعين، والأطباء. يقول الشيخ محمد المبارك:

وأما الرسالة الاجتماعية ففى أدائه هاتين الرسالتين -الدينية والعلمية- على أكمل وجه وأنفـعه، حـتى يكون له أثر واضح فى المجـتمع، وفى النهـوض به وتوجيـهه توجيـهاً حسناً، وطبعـه بالطابع الإسلامى الخالص، والإبقاء على عـادات الشعب وتقاليده الصالحة، ومـراقبته وهو يقتبس من الأمم ويتأثر بحضـارتها، ليأخذ بما لها من عادات صالـحة وتقاليد نافعـة، ويجتنب الضار الموبق من رذائلهـا وضلالاتها، حتى يشـعر المجتمع أنه فى حـاجة إلى خريجيـه كحاجتـه إلى الصناع والمزارعين، والأطباء والجنود الذين يحمون استقلاله ويحافظون على سلامة أراضيه، أو يشعر أنه إليهم أحوج لسمو خدمتهم وعلاقتها بسعادة الدنيا والآخرة[3].

بدأ المعـهـد العلمى باكـراً فى خنق مناخ الحـرية، والتـضيـيق على إبداع المبـدعـين من أصحاب العقول الكبيرة. والشواهد على ذلك كثيرة ومثبتة.

مواقف المعهد من الفحولة الفكرية والعقول الكبيرة: التجانى يوسف بشير (1912-1938)

أواخر عـام 1935 قـدمت إلى الخرطوم... وعـملت فى جـريدة النيل... وذات مسـاء وأنا أعكف على تصحـيح الجريدة... أقـبل شاب شـديد السمـرة، نحيل،

(1) المصدر السابق، ص 5.
(2) المصدر السابق، ص 6.
(3) المصدر السابق، ص 6-7.

ضامر العود، متوسط الطول، خفيف الحركة، ساكن الريح، يلبس جلباباً من الدبلان، وعمامه من (الكرب) ونعلاً من مصنع أمدرمان، وسلم ثم جلس،وأراد أن يشقق الأحاديث ويعرفني بشخصه، ولكنى كنت فى حالة لا تعين على الاستماع، فمضيت أنهى ما أمامى... وسرعان ما وجدت نفسى فى عرض الطريق.. ولم أذكر ذلك الشاب إلا وأنا داخل (سينما كلزيوم) ومضى أسبوع كامل وإذا بالشاب يعود مرة أخرى، وأعرف أننى إزاء التيجانى يوسف بشير..

التيجانى "خرج من المعهد الدينى متهماً بالإلحاد دون أن يستوفى دراسته، ثم سطع كما تسطع الجوهرة بين الأدران... وهو ظاهرة إنسانية فريدة" (1).

يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011)

إن دراسة جمود حركة التغيير، وحالة الخنق للإبداع والمصادرة للحرية الفكرية ومن ثم تعطيل الطاقات الحيوية وحبسها وتغيير مسارها، والتأسيس لثقافة الأحكام بالردة والالحاد فى السودان، لا يمكن فى دراستها إغفال الدور والمناخ العام الذى خلقه **المعهد العلمى بأمدرمان**. فالمعهد تبنى باكراً الهجوم على العقول الكبيرة من أصحاب المشاريع والرؤى التقدمية والمبادرات الخلاقة، بعد تقويمها بمعايير قوامها السقوف المعرفية لمشائخه وللمبتعثين إليه من أزهر مصر. يقول حيدر إبراهيم على: "أطلقت المؤسسة الدينية المحافظة حملتها ضد الفكر الحر والعقل مبكراً، واستلت سيف التكفير منذ عهد الشاعر العظيم التيجانى يوسف بشير"(2). فالشاعر التجانى بعد أن حفظ القرآن بخلوة الكتّابى فى سن مبكرة، التحق بالمعهد العلمى بأمدرمان، فما لبث أن جاء بما هو خارج عن مألوف المعهديين، فاتهم بالإلحاد والكفر وفصل من المعهد. يقول محمد الواثق عن التيجانى: فصل من المعهد بسبب الوساوس(3). ويفصل الواثق قائلاً: "وكانت له آراء خاصة فى قضايا الأدب والفلسفة خرجت عن مألوف المعهديين تسببت فى فصله من المعهد بالكفر والإلحاد، فكّر فى الذهاب إلى مصر لمزيد من الدراسة فلم تتح له ظروفه المالية ذلك"(4). بعد فصله عمل محرراً فى

(1) يحيى محمد عبدالقادر، **على هامش الأحداث فى السودان**، مصدر سابق، ص 60.
(2) حيدر ابراهيم على، " الخفاض الفرعونى لعقل المثقف السودانى"، مرجع سابق.
(3) محمد الواثق، **الشعر السودانى فى القرن العشرين: آراء وقصائد مختارة**، ط 1، إدارة التعريب، مطبعة جامعة الخرطوم، 2009، ص 8.
(4) المرجع السابق، ص89.

بعض الصحف والمجلات منها: جريدة **ملتقى النهرين**، وجريدة **النيل**، و**مجلة أمدرمان**، و**مجلة الفجر**، كما عمل بعض الوقت محصلاً بشركة سنجر للخياطة بأمدرمان[1]. ثم أصيب بداء الصدر فتوفى عام 1938 وهو فى سن الخامسة والعشرين بعد أن ظهر فيها نبوغه، وخلف لنا مجموعة قيمة من الشعر[2]. كان الشاعر التيجانى كبيراً فى صوفيته وفى شعره الصوفى ولا يقاس إلا بكبار الصوفية، يقول محمد الواثق: "قصيدته الصوفى المعذب وما سار مسارها فى شعره هى أقرب إلى أشياء ابن الفارض والحلاج منها إلى متصوفة الأولياء والصالحين فى سنار الذين ذكرهم ود ضيف الله"[3]. قبل أن يتعرف الناس على التيجانى وشعره ويكتشفوا طاقاته الإبداعية كفره مشائخة المعهد ورموه بالإلحاد وفصلوه من المعهد. بينما التيجانى كان عند المصريين أمراً آخر. يقول محمد الواثق: "وأكاد أجزم أن المصريين اكتشفوا شاعرية التيجانى قبل أن يلتفت إليها السودانيون"[4]. لم يتح **المعهد العلمى** ومشائخه الفرصة ليلتفت السودانيون إلى شاعرية التيجانى، فإلصاق تهمة الالحاد والردة تشكل حجاباً وحاجزاً خاصة فى بلد كالسودان، يتسم بثقافة القطيع وقوة السلطة الاجتماعية والسلطة الدينية. الشاهد أن اكتشاف المصريين كان باكراً والشواهد على ذلك كثيرة. كتب محمد محمود جلال فى تقديمه **لديوان إشراقة**: فى سنة 1935، قائلاً:

دعوتُ على صفحات (الرسالة) إلى إشراك الأدب العربى فى إحياء الذكريات العامة لوادى النيل، والأيام الخالدة فى تاريخه، وإبراز شخصيات الرجال... وأهبتُ بخيرة الشعراء والكتاب فى الجنوب والشمال إلى التبارى فى أشرف مضمار وأشمله لحياة الشعب. وقبل أن أنتهى من أول محاولة فى هذا الباب، وفى الفترة التى تكفى لذهاب بريد إلى الجنوب وعودة آخر ظهرت على صفحات الرسالة ذاتها أول استجابة للدعوة فى نثر رقيق وأداء واضح صادرة من أمدرمان بقلم (التيجانى يوسف بشير)،... فقد أملت منذ تلك المكاتبة أن أرى

---

(1) عزالدين الأمين، **نقد الشعر فى السودان، حتى بداية الحرب العالمية الثانية**، مرجع سابق، ص 69.

(2) عبد المجيد عابدين، **التيجانى شاعر الجمال**، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2010، ص 5.

(3) محمد الواثق، **محمد أحمد المحجوب وشعراء جيله**، معهد عبدالله الطيب للغة العربية، جامعة الخرطوم، 2002 (كتاب غير منشور)، ص 8.

(4) المرجع السابق، ص 8.

(التيجانى)... وجاء يناير 42 وقد حقق الله - جلَّ شأنه - أمنيتى... كان أول واجب علىَّ، بل أحب فرصة إلى قلبى أن أصافح يد الشاعر (التيجانى) قبل أى إنسان. ولكن (التيجانى) توفى رحمه الله قبل ذلك بسنتين[1].

وثَّق التيجانى الظلم الذى وقع عليه من المعهد ومشائخه، وشهَّد الأجيال عبر الزمان على ذلك الظلم، فكتب قصيدته الشهيرة: "المعهد العلمى". ودعانا فى تلك القصيدة الشاهدة، أن نقرأها لنقف على تفاصيل ما أصابه من أذى وقتل معنوى. إن أقل ما أصاب التيجانى من جراء اتهامه جزافاً من المعهد العلمى بالإلحاد والكفر، أنه فصل من دراسته وقتل معنوياً، فتغيرت حياته وعطلت طاقاته. كتب التيجانى معزياً نفسه ومعبراً عن ما واجهه من قسوة من المعهد العلمى ومشائخه، كتب التيجانى قائلاً:

هُوَ مَعهَدى وَلَئن حَفظت صَنيعه فَأَنا ابن سَرْحته الَّذى غَنى بِه
فَأَعيذ ناشئة التُقى أن يرجفوا بِفَتى يَمت إِلَيه فى أحسابه
ما زِلت أَكبُر فى الشَباب وَأَغتَدى وَأَروح بَينَ بخ وَيا مَرحى بِه
حتّى رميت وَلَستُ أَول كَوكَب نَفَس الزَمان عَلَيه فَضل شِهابه
قالوا وأرجفت النُفوس وَأوجفت هَلَعاً وَهاجَ وَماجَ قَسور غابه
كفر ابن يوسف مِن شَقى وَأَعتَدى وَبَغى وَلَستُ بِعابِئ أَو آبه
قالو احرقُوه بل اصلبوه بل انسفوا للريح ناجس عظمه وإهابه
وَلَو ان فَوق المَوت مِن مُتلمس لِلمَرء مد إِلَى مِن أَسبابه[2]

لم يكن التيجانى وحده الذى واجه الإرهاب والقتل المعنوى، ولحقه الأذى من المعهد العلمى ومشائخه، فقد أورد حيدر إبراهيم على قائلاً[3]: شاعراً آخر هو محمد عبدالوهاب

(1) محمد محمود جلال، "مقدمة"، **إشراقة**، (ديوان شعر للتيجانى يوسف بشير)، ط1، الدار السودانية للكتب، 2010، ص 5-7.

(2) التيجانى يوسف بشير، "المعهد العلمى"، (قصيدة)، **إشراقة**، (ديوان شعر)، ط1 الدار السودانية للكتب، 2010، ص 106-107.

(3) حيدر ابراهيم على، " الخفاض الفرعوني لعقل المثقف السودانى"، مرجع سابق.

القاضى، والذى يقول عبدالله الشيخ البشير فى مقدمة ديوانه:"خرج من السودان على أثر مشادة بينه وبين شيخ المعهد العلمى عام 1935، لتصديه لقضايا المعهد فحرم من اعطائه الأولية التى كان يستحقها فى امتحان الشهادة التى يستحقها فى امتحان الاهلية، بطريقة تكاد تشبه الطريقة التى أبعدت التيجانى عن المعهد مع اختلاف فى التفاصيل". وقال فيهم:

لقيت من الدنيا ومن ظلم أهله نضيض الافاعى فى سموم العقارب

■●■●■

سأعمل حد السيف فى أم رؤوس خرائب ياويح الرؤوس الخرائب

لهم من يراعى كل سيف مجرب يريهم سريعاً كيف فعل القواضب

كان الشاعر والكاتب محمد عبد الوهاب القاضى الكتيابى، ابن عم التيجانى[1]، وكانت فيما يبدو تربط بينهما حوارات كبيرة. يشير يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011) فى مذكراته لتلك الحوارات قائلاً: " وأذكر أن التيجانى دعانى لزيارته فى أمدرمان فذهبت... وصحبنى التيجانى إلى الأستاذ محمد عبدالوهاب القاضى وهو شاعر وكاتب كان قد اتسع له ذكر وتناولنا طعام الغداء معاً.. وكان محمد واضح الأستاذية علينا وكنت- أنا غير المتحدث الماهر- أنزوى فى مجلسى استخذاء (هكذا فى المصدر)، وزميلاى يشتدان فى الجدل ويغوصان فى المعانى الدقاق"[2]. يقول حيدر إبراهيم على[3]: "واستمر الارهاب الفكرى السرى للمؤسسة الدينية طوال الفترة الممتدة من الثلاثينيات حتى بعد الاستقلال، حين ظهر الامين داؤود وحسين محمد زكى وكتائب القضاة الشرعيين وفقهاء الكلية الإسلامية الذين صاروا يحملون ألقاباً علمية حديثة، ليرفدوا نخبة دينية لقحت فى الأنابيب"[4]، فكانت محكمة الردة الأولى فى يوم 18 نوفمبر 1968 التى حكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام.

---

(1) عزالدين الأمين، مرجع سابق، ص 69.

(2) يحيى محمد عبدالقادر، **على هامش الأحداث فى السودان**، مصدر سابق، ص 60.

(3) حيدر ابراهيم على، "الخفاض الفرعونى لعقل المثقف السودانى"، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق.

الأستاذ محمود والمعهد العلمى بأمدرمان (أزهر السودان)
السعة الفكرية والدعوة للقيم الإنسانية

الإسلام موش [ليس] هو إسلام الأزهر ولا إسلام المعهد العلمى ولا إسلام الفقهاء ولا القضاة الشرعيين، دى صورة خالية من المحتوى، اسم بلا محتوى، الروح ماتت فيه، لابد من البعث [1].

محمود محمد طه

كشف شيوخ **المعهد العلمى بأمدرمان**، منذ الوهلة الأولى، عن عداء شديد ومعارضة قوية للأستاذ محمود ولمشروعه. لقد كان البون شاسعاً بين الأستاذ محمود ومشيخة المعهد العلمى فى كل شيء. لقد تجلى ذلك البون والتناقض باكراً من خلال المساجلات والمداخلات التى كانت تتم فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى فى المحاضرات والندوات التى كان يقيمها المعهد العلمى فى مناسبات مختلفة، وكان يحضرها الأستاذ محمود، وأحياناً يشارك فيها كمتحدث.عندما طرح الأستاذ محمود مشروعه، الفكرة الإسلامية الجديدة دعا إلى الفهم الجديد للإسلام، وسعى لنشر الوعى بالفكر الإسلامى الجديد.. ليلتف الناس حوله ويتربوا[2]. انطلق مشروع الأستاذ محمود من رؤية نقدية شاملة للفكر والعقل الثقافى الإسلامى السائد، وللحضارة الغربية، وبمرتكزات لا تقبل التسوية أو المساومة أو انصاف الحلول من تلك المرتكزات: التطوير والتغيير والتحرر، والدعوة للقيم الإنسانية، ورفض الوصاية على العقول والمجتمعات، لا سيما وصاية رجال الدين. كل هذه المرتكزات تتناقض مع رؤية المعهد العلمى ومشائخه.

كان الأستاذ محمود يرفض أن يكون للدين تخصص يتكسب منه المرء، وكان يرفض فكرة رجال الدين من أساسها، ويدعو لفصل رجال الدين عن الدين. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن رجال الدين فى محاضرة عامة: "لازم يكون فى تميز لازم نفصلهم تماماً عن الدين، لازم أنت وأنت وأنت كلكم، تعرفوا إنك، إنت رجل

---

(1) محمود محمد طه، لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية (جامعة الخرطوم)، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

دين. فى الدين الإسلامى مافى حاجة اسمها رجل دين"[1]. وكان يحذر من التعليم الدينى، فهو يقول كما ورد آنفاً: "ويجب الحذر، كل الحذر، من فصل التعليم إلى، تعليم دينى، وتعليم مدنى، ينتظر فيه من رجال الدين، من استقامة الخلق، ما لا ينتظر من رجال التعليم المدنى"[2]. وكان يدعو للتمييز بين ما يلقن فى المعاهد وروح الدين قائلاً:"يجب أن نميز بين القضايا الفقهية التى تلقن فى المعاهد الدينية الحاضرة، وبين (روح الدين)"[3]. وعن رأيه فى التعليم الدينى القائم يقول الأستاذ محمود: "ورأينا فيه رأى سيء. فى مستواه، ومحتواه وأغراضه، وأسلوبه، وأساتيذه"[4]. كذلك كان الأستاذ محمود يرفض ما تقدمه المعاهد الدينية من تعليم للقضايا الفقهية كمهن، فهو يقول: "وأما تعلم القضايا الفقهية، على نحو ما يمارس فى المعاهد الآن، فهو مهنة، كسائر المهن، ولا يحتاجه المجتمع الذى ندعو إليه"[5]. ثم يضيف الأستاذ محمود موضحاً: "نعم!! سنحتاج إلى رجال قانون، ولكنهم لن يكونوا بالصورة الحاضرة، لأننا لن نعمل على قيام محاكم شرعية، ومحاكم جزئية، وإنما سيكون التشريع موحداً أيضاً..سيكون التشريع مبنياً على القيم الإنسانية الرفيعة، وهى القيم التى نعلمها فى معاهدنا، ومنازلنا، ونطلبها من كل مواطن مهما كان دينه، ومهما كانت مهنته، بغير تمييز فى ذلك"[6]. الشاهد أن مشائخ المعهد لم يكونوا قادرين على الاستماع للأستاذ محمود، ولم يكونوا مهيئين لمناقشة آرائه فى تطوير التشريع الإسلامى ورؤيته بشأن الشريعة وحقوق المرأة. أما آراؤه بشأن الاختلاط والحجاب والجهاد وأنها ليست أصلاً فى الإسلام، فكانت لا تجد حتى مجرد التفكير فيها من قبل مشائخ المعهد.

ظل الأستاذ محمود يدعو الناس ويطلب من المعارضين أن يسمعوا منه لا أن يسمعوا

---

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، 1958/12/24، الخرطوم.

(3) المصدر السابق.

(4) محمود محمد طه، **بيننا وبين محكمة الردة، السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة**، مصدر سابق، (مقدمة الطبعة الثانية).

(5) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، مصدر سابق.

(6) المصدر السابق.

عنه، كتب الأستاذ محمود فى مقدمة كتابه: **من دقائق حقائق الدين**، قائلاً: "إن فى هذا الكتيب الموجز فرصة جديدة ليسمعوا منا، بعد أن ظلوا طوال وقتهم يسمعون عنا.. ولقد أنكرنا عليهم هذا الوضع فى عديد المناسبات، ونحن إذ نجدد الدعوة الآن بهذا القول اللين.. فإننا نطمع أن هذا يجعلهم يتقون، أو يحدث لهم ذكراً"[1]. فى واقع الأمر منذ أن طرح الأستاذ مشروعه عام 1951، ومن ثم بدأ يدعو له بنشر الكتب والمقالات والمناشير وتقديم المحاضرات، فكان كل يوم يمر يزيد الفجوة بينه وبين مشائخ المعهد العلمى بأمدرمان.وظل الأستاذ محمود وتلاميذه فيما بعد، فى مواجهة واسعة ومستمرة مع مشيخة المعهد العلمى وأساتذته والذين من حوله من فقهاء وقضاة شرعيين و"علماء السودان". وكان من خلال هذه المواجهة يواجه مشائخ الأزهر بمصر بحكم العلاقة بين المعهد والأزهر، كما ورد آنفاً، وعبر تلك العلاقة كان هناك عدد كبير من المشائخ الأزهريين المبتعثين إلى المعهد وباستمرار.

صدام الجديد مع القديم وتجليات الكسل العقلى

يجب أن يكون تعليمنا بالقدوة، لا بالكلام.. والدين، من حيث هو، من أكبر وسائل تعليم الخلق الجميل، والدين الإسلامى، بشكل خاص، على ألا يكون تعليمه مستقلاً عن النشاط اليومى، فى التعليم المهنى، أو فى الألعاب أو خلافه، وإنما يكون متلبساً بكل أولئك..يجب أن يعلم الدين بسير الرجال الصالحين، حتى ولو كانوا غير مسلمين، فبإبراز قيم السلوك الإنسانى التى عاشها العظماء، من مسلمين، وغير المسلمين ترسخ فى أذهان الطلاب النماذج البشرية المجدة[2].

محمود محمد طه

استهل شيوخ **المعهد العلمى**، ودوائرهم: الفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء السودان"، وموظفو الشؤون الدينية، النقد للأستاذ محمود ولمشروعه فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى، ولم يكن نقداً علمياً بقدر ما هو نقداً عدائياً. وما لبثوا أن شكّلوا

(1) محمود محمد طه، **من دقائق حقائق الدين**، مصدر سابق، ص 2-3.
(2) محمود محد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، مصدر سابق.

تحالفاً اسلامياً واسعاً وبامتدادات خارجية فى مصر والمملكة العربية السعودية. واستمروا فى نقدهم خلال الستينيات، وزاد النقد قبيل وبعد محكمة الردة عام 1968، وتوسع فى السبعينيات، وتكثف فى النصف الأول من الثمانينيات، ثم انحسر، ولكنه لم يتوقف، فى النصف الثانى من الثمانينيات وما بعدها. ظهر النقد فى شكل كتب وأوراق علمية ومقالات صحفية، وفى منابر المساجد، إلى جانب بعض الدراسات التى قدمها سودانيون داخل السودان بجامعة أمدرمان الإسلامية، وخارج السودان **بجامعة أم القرى** بالمملكة العربية السعودية. اتسمت هذه الدراسات بغياب الورع العلمى، وتأخير الوثيقة وتقديم الغرض، وبالنقل فيما بينها، ونَحَتْ إلى التشهير والتضليل، فمثلت أنصع صورة للصدام بين الجديد والقديم.بدأ اختلاف الآراء ووجهات النظر بين الأستاذ محمود ومشائخ المعهد تظهر فى النصف الثانى من خمسينيات القرن العشرين. وقد تطور الأمر فى عهد الشيخ محمد المبارك عبدالله، شيخ العلماء وشيخ **المعهد العلمى** (1956-1963). كان ميدان السجال هو المقالات الصحفية وعلى هامش المحاضرات التى كان ينظمها المعهد، وكان الأستاذ محمود يحضرها ويشارك ويعلق عليها فى المنابر والصحف. وكانت كتاباته وتعليقاته على أى موضوع من الموضوعات يمثل تناقضاً تاماً لأطروحة مشائخ المعهد. هناك أمثلة عديدة على ذلك ولكنى أقدم نموذجين اثنين. النموذج الأول هو محاضرة قدمها الأستاذ محمود عن الاشتراكية من منطلق إسلامى. والنموذج الثانى هو مقال كتبه الأستاذ محمود تعقيباً على محاضرة قدمها أحد المبتعثين من **الأزهر** للمعهد عن موضوع مستقبل الثقافة العربية فى السودان.

ففى النموذج الأول كان طلبة القسم العالى للدراسات الإسلامية **بالمعهد العلمى بأمدرمان** قد قدموا الأستاذ محمود فى محاضرة وتحدث فيها الأستاذ محمود عن الاشتراكية من منطلق إسلامى. أثناء المحاضرة ثار شيخ العلماء محمد المبارك عبدالله وانتزع الفرصة من السكرتارية وهاجم واعترض على الأستاذ محمود[1]. ثم نقل ذو النون جبارة محتوى ما قاله الأستاذ محمود فى المحاضرة للصحف ليأخذ النقاش حول الاشتراكية الفرصة للأخذ والرد. كتب شيخ العلماء مستنكراً ومهاجماً الأستاذ محمود فى

---

(1) مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، مصدر سابق.

رد مطول. فرد عليه الأستاذ محمود. استمر الحوار مع الأستاذ محمود، وما لبث أن أحجم شيخ العلماء عن الرد والمناقشة[1]. أما النموذج الثانى: فهو يتصل بتقديم أحد المبتعثين من الأزهر لمحاضرة عن: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان". يقول الأستاذ محمود: "كنت قد حضرت محاضرة، فى منتصف الخمسينيات، أُلقيت على طلبة المعهد العلمى عن "مستقبل الثقافة العربية فى السودان" وأعتقد أن أستاذاً مصرياً، كان مبعوثاً من الأزهر للتدريس فى **المعهد العلمى** قد كان يحاضر تلك الليلة، فقام فى بالى توجيه هذا الكلام، وأهديته لطلبة وأساتذة **المعهد العلمى** يومئذ". كان كلام الأستاذ محمود عبارة عن مقال، وقد وقفت على المقال منشوراً بصحيفة أنباء السودان فى يوم 18 أكتوبر 1958، وهو مقال طويل، نُشر تحت عنوان: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة **المعهد العلمى بأمدرمان**"[2]. فى ذلك الوقت كان عبدالمجيد عابدين، قد نشر كتابه: **تاريخ الثقافة العربية فى السودان: منذ نشأتها إلى العصر الحديث، الدين، الاجتماع، الأدب**[3].

كانت **مجلة معهد أمدرمان** تضج أعدادها بالحديث عن مستقبل الثقافة العربية والإسلامية فى السودان، وعن مستقبل اللغة العربية فى السودان. فقد نشر محمد المبارك عبدالله، شيخ العلماء شيخ المعهد، مقالاً بعنوان: "الثقافة الإسلامية والإصلاح السياسى والاجتماعى فى بلادنا"[4]. ونشر كذلك مصطفى محمد مسعد، فى **مجلة معهد أمدرمان**، وهو مدرس (آنئذ) **بجامعة القاهرة فرع الخرطوم**، مقالين الأول بعنوان: "فجر الثقافة العربية فى السودان"[5]، والثانى بعنوان: "مشرق الثقافة العربية فى السودان"[6].

---

(1) المصدر السابق.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"، مصدر سابق.

(3) عبدالمجيد عابدين، **تاريخ الثقافة العربية فى السودان: منذ نشأتها إلى العصر الحديث، الدين، الاجتماع، الأدب**، مرجع سابق.

(4) محمد المبارك عبدالله، "الثقافة الإسلامية والإصلاح السياسى والاجتماعى فى بلادنا"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الثانى، ديسمبر 1958، ص 4-12.

(5) مصطفى محمد مسعد، "فجر الثقافة العربية فى السودان"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الثانى، ديسمبر 1958، ص 25-33.

(6) مصطفى محمد مسعد، "مشرق الثقافة العربية فى السودان"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الثالث، جمادى الآخر 1379/ ديسمبر 1959، ص 20-26.

كما نشر كامل السيد محمد الباقر، نائب مدير مصلحة الشؤون الدينية، ومدير **جامعة أمدرمان الإسلامية** التى تحوَّل إليها المعهد العلمى عام 1965، نشر مقالاً بعنوان: "مستقبل اللغة العربية فى السودان"[1].

فى هذا المناخ، مناخ الانفعال بمستقبل الثقافة العربية والإسلامية فى السودان، وأشواق كُتاب **مجلة معهد أمدرمان العلمى**، ومشائخ المعهد، بأن تسود الثقافة العربية والإسلامية واللغة العربية فى السودان. فى هذا المناخ كتب الأستاذ محمود عام 1958 مقالاً يختلف كلية عن أطروحات **مجلة معهد أمدرمان** بل نقد الشيخ الذى قدم المحاضرة، ونقد المصريين، ومشائخ **الأزهر**، وسمى رؤيتهم بالهوس. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "كل حديث، منذ اليوم، عن مستقبل أى قطر على هذا الكوكب يجب ألا ينحصر فى الحدود الجغرافية لذلك القطر، ذلك لأن الوضع قد تغير عن ذى قبل، وأخذ عالمنا يستقبل عهداً جديداً، كل الجدة، من وحدة المصالح، ووحدة المصير، ووحدة الشعور.."[2]. ثم تناول عنصرى الزمان والمكان فى ظل المعطيات الجديدة، يقول الأستاذ محمود: "والحق، الذى لا مراء فيه، أن الحواجز التى كانت تفصل بين البشر،فى الماضى، لم تعد قادرة على الحيلولة بينهم، منذ اليوم، بعد أن قهرت سبل المواصلات، وسبل الاتصال الحديث، الزمان، والمكان قهراً يكاد يكون تاماً.. بفضل الله، ثم بفضل هذه الكشوف، أصبحت الإنسانية تعيش فى بيئة طبيعية جديدة.. بيئة صغيرة، موحدة"[3]. ثم انتقل يتحدث عن هموم الإنسانية والقيم الإنسانية، يقول الأستاذ محمود: "ولكى تواثم الإنسانية بين مذاهبها الاجتماعية،وبيئتها الطبيعية هذه الموحدة، أصبح لزاماً أن تبرز، إلى حيز الوجود، مذهبيةاجتماعية، عالمية، موحدة، أيضاً، عندها تلتقى الإنسانية جمعاء، التقاءأصالة، بدوافع الجبلة المركوزة فى كل نفس بشرية، من حيث أنها بشرية، بصرف النظر عن اختلاف اللون، واللسان، والموطن"[4].

---

(1) كامل السيد محمد الباقر، "مستقبل اللغة العربية فى السودان"، **مجلة معهد أمدرمان**، مشيخة السودان العلمية، العدد الثالث، جمادى الآخر 1379/ ديسمبر 1959، ص 8-13.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان ، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدرمان"، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

ثم انتقل للحديث عن التفكير الجديد، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وبنفس القدر الذى به، أصبحنا، نعيش فى بيئة جديدة فقد وجب علينا أن نفكر تفكيراً جديداً، تفكيراً يتسم بالإحاطة، وبالشمول، وبالدقة.. ووجب علينا أيضاً أن نعيد النظر فيما تواضع عليه الناس، فى العهود السوابق، من مفاهيم،ومدلولات"[1]. وبعد أن توسع الأستاذ محمود فى الحديث عن الثقافة واللغة العربية، أضاف قائلاً: "ومع أن الإسلام نشر اللغة العربية إلا أن اللغة العربية لن تستطيع أن تنشر الإسلام.. ويجب أن يكون هذا واضحاً، فى أخلاد الذين يتحدثون عن العرب، وعن اللغة العربية،فى هذه البلاد، وفى غير هذه البلاد.. وليس من همى هنا أن أنكر على السودانيين كونهم عرباً، أو كون ألسنتهم شرائح مقدودة من ألسنة العرب.. ولست أذهب مذهب التقليل من شأن اللغة فى مسائل الثقافة.. ولكنى إنما أحب أن أقرر أن اللغةالعربية (تابعة) للإسلام وليست (متبوعة).."[2]. ثم عرج على ما سمعه فى محاضرة مبعوث **الأزهر الشريف**، فكتب الأستاذ محمود قائلاً: "ولقد سمعت فى داركم يومها حديثاً يصرف الناس عن نشر الفكرة الإسلامية إلى نشر (الفكرة العربية) بل لقد قال مبعوث **الأزهر الشريف** حديثاً يجعل الإسلام وسيلة (القومية العربية) .. وذلك هوس زحم به المصريون المعاصرون رؤوس العرب، وأوشكوا أن يوردوهم به موارد الهلاك"[3].

بالطبع لم يقبل مشائخ المعهد العلمى رؤية الأستاذ محمود هذه، وبالتأكيد لم يقبلها المشائخ المبعوثون من **الأزهر الشريف** إلى **المعهد العلمى بأمدرمان**، وكذلك **الأزهر الشريف** فى القاهرة، وهكذا كان كل يوم يمر يعبر عن مزيد من البُعد والبعاد بين الرؤيتين، وظل عداء مشائخ المعهد العلمى للأستاذ محمود مستمراً ومتوسعاً. كان ذلك فى عامى 1957 و 1958، وبعد ذلك تحولت المساجلات إلى عداء سافر، وبدأت المعارك بين الأستاذ محمود ومشائخ **المعهد العلمى بأمدرمان** ومن خلفهم مشائخ **الأزهر** فى القاهرة.

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.

معارك لا تنسى ولن تموت وستبعث فى كل يوم جديد

1- "نكبة المعهد العلمى المؤسفة": الرمى بالكفر والفصل للطلبة الجمهوريين

إننا نصر على أن رمى المشيخة لنا بالكفر لا يستند على دليل وفكرتنا التى لم تعطها إدارة المعهد فرصة لتفهمها هى أن التشريع الاسلامى الذى شرع فى الماضى لا يسع مجتمعنا الإنسانى الحالى الذى تعقدت مشاكله واتسعت عقليته ونمت إمكانياته أضعاف ما كانت عليه البيئة قبل أربعة عشر قرناً وأن الإسلام فى روحه يحمل من التنظيم ما يلائم الوضع الجديد(1).

الطلبة المفصولون، ضمن بيان نشر فى 5 فبراير 1960

أدى التباين الفكرى والاختلاف الشاسع فى الفهم للدين بين الأستاذ محمود ومشائخ المعهد، والذى ظهر بوضوح فى المحاضرات والندوات وما تبعها من مساجلات، لاسيما محاضرة الأستاذ محمود عن الاشتراكية بمنظور إسلامى، ومحاضرة المبعوث الأزهرى عن: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"، وتعقيب الأستاذ محمود عليها بمقال بنفس العنوان: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"، مع اختلاف كلى فى المحتوى ونقد شديد للأزهر، وغيرها من ندوات ومحاضرات، أدى هذا التباين الفكرى والاختلاف فى الفهم للدين إلى تأسيس عداء وضغينة من مشائخ المعهد **والأزهر** تجاه الأستاذ محمود. إن أوضح حدث يمكن أن يؤرخ لبداية ظهور عداء وضغينة مشيخة المعهد العلمى للأستاذ محمود، وقد تبعه أول تشويه للفكرة الجمهورية، هو حادث فصل تلاميذ الأستاذ محمود من المعهد العلمى. والطلاب هم(2): إبراهيم يوسف فضل

---

(1) "بيان من الطلبة المفصولين من المعهد العلمى"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3916، بتاريخ 1960/2/5.

(2) "بيان من إدارة **المعهد العلمى** عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، البحث والمناظرة، **السودان الجديد**، العدد: 3909، التاريخ: 1960/1/28. جاء فى البيان أن مشيخة المعهد قد أصرت على فصل الطلاب الثلاثة. كان اثنان منهم من الذين التحقوا بمعهد أمدرمان هذا العام فى السنة الأولى بقسم الشريعة من طلاب المعاهد الحاصلين على الشهادة الأهلية وهما: 1. إبراهيم يوسف فضل الله، من معهد مدنى ومن بلدة سعادة من ضواحى مدنى. 2. محمد خير على محيسى، من معهد النهود التحق به بعد أن درس إلى السنة السابعة بمعهد مدنى وهو من أهالى تنقسى. أما الطالب الثالث فقد التحق بالمعهد فى نفس العام فى السنة الأولى =

الله، ومحمد خير على محيسى وأحمد عبدالرحمن العجب. فقد عرف الحدث فى بيانات المعهد وفى الصحف بحادثة: فصل الطلبة- (الطلاب الثلاثة)[1]، بينما أطلق الأستاذ محمود على الحدث فى بيان له نشر يوم 31 يناير 1960، أطلق عليه اسم: "نكبة المعهد العلمى المؤسفة"[2]. قامت على ضوء هذا الحدث مساجلات صحفية بين الأستاذ محمود ومشيخة المعهد العلمى بأمدرمان، وشيخ العلماء محمد المبارك عبدالله (1905-1990). كان ميدان المساجلات **صحيفة السودان الجديد**. على إثر نكبة فصل الطلبة وما تم من مساجلات صحفية حولها، وعلى إثر ما تم سابقاً من مجادلات مع الأستاذ محمود فى محاضرات وندوات متفرقة، دخل الفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء السودان" إلى حلبة النقد وبعداء ظاهر للأستاذ محمود. كان الأستاذ محمود قد أصدر عقب نكبة فصل الطلبة وما تبعها من تشويه للفكرة الجمهورية، أصدر كتاب: **الإسلام**. يقول الأستاذ محمود:

> ولقد خرج هذا الكتاب عقيب حادث فصل الطلبة الجمهوريين الثلاثة من المعهد العلمى، وما صحب ذلك الفصل من تشويه شديد للفكرة الجمهورية. ولقد حاولنا تصحيح ذلك التشويه فلم يتيسر لنا النشر، ولقد منعنا المحاضرات فى الأندية، وفى دور العلم المختلفة. خرج هذا الكتاب فى طبعته الأولى مركزاً، شديد التركيز، مضغوطاً، كأشد ما يكون الضغط، ومع ذلك، فهو الكتاب (الأم) بالنسبة **للحزب الجمهورى**.. فيه كل ما نريد أن نقول عن الإسلام، فلم يبق أمر مستأنف، إلا أن يكون زيادة شرح، وزيادة توسيع لما جاء فيه موجزاً[1].

= بالقسم الثانوى من طلاب العاصمة الحاصلين على الشهادة الابتدائية وهو: أحمد عبدالرحمن العجب من معهد عبدالمنعم ومن بلدة اللعوتة القضيضيم مركز مدنى.

(1) "بيان من إدارة المعهد العلمى عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، البحث والمناظرة، **السودان الجديد**، العدد: 3909، التاريخ: 1960/1/28.

(2) محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمى"، البحث والمناظرة، **السودان الجديد**، العدد: 3911، التاريخ: 1960/1/31.

فصــل الطلبــة

أمسك بى الطلاب وأخذونى إلى مكتب شيخ العلماء، كما يسمونه، محمد المبارك عبدالله فى مظاهرة تهتف: نريد تطهير المعهد من الكفرة اتباع محمود محمد طه...

[لاحقاً]... لم يحتمل شيخ العلماء كلامى [يوم فصله من المعهد] فقال لى: أسكت بلاش سفسطة أخرج.. مفصول.. ثم انفعل ويديه ترتجف وأمسك بسماعة التلفون وقال لى: تخرج أم أنادى لك البوليس.. فقلت له يا مولانا عليك الله لو هناك حق وعدل البوليس ينادوه لزول [شخص] هادى زى [مثلى] أم لزول [شخص] يرغى ويزبد زيك كدى [مثلك هكذا].. فقام من كرسيه وأمسك بى ودفعنى بيديه ناحية الباب [2].

أحمد عبدالرحمن العجب

ما هى قصة فصل الطلبة الجمهوريين من المعهد العلمى؟ والتى أطلق عليها الأستاذ محمود "نكبة المعهد العلمى المؤسفة". يروى إبراهيم يوسف فضل الله، وهو أحد الطلاب الجمهوريين المفصولين من المعهد العلمى، فى مذكراته، وفى مقابلة أجريتها معه[3]، يروى إبراهيم قائلاً: كنت قد ناقشت محاضراً حضر حديثاً من **الأزهر**... فلم يعجب ذلك النقاش بعض اتجاهات الطلبة وربما بعض المشائخ. وفى الغد ذهبت مجموعة من الطلبة شاكية للشيخ من وجود جمهوريين بالقسم العالى. وكنا على أبواب إجازة. فقال لهم الشيخ: بعد الإجازة. وكنا لا نرى أن الأمر مشكلة سنتعرض

(1) محمود محمد طه، **محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الإسلام**، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثانية.

(2) أحمد عبدالرحمن العجب، تسجيل وتوثيق لتجربة وحركة وانطباعات أحمد العجب فى الفكرة الجمهورية منذ التزامه فى منتصف خمسينيات القرن الماضى، تم التسجيل بمنزل فائز عبدالرحمن وأسماء محمد الحسن، واشنطن، أمريكا، قام بالتسجيل عبده الحاج، بتاريخ الجمعة 22 فبراير 2008.

(3) مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، مصدر سابق.

لها بسبب انتمائنا"[1]. ذهب الطلاب للإجازة، وروى تلاميذ الأستاذ محمود القصة له. فقال لهم الأستاذ محمود: "المشايخ لابد سيتعرضون لكم وإذا سألوكم عن موضوع الصلاة فقولوا لهم نحن بنصلي وموضوع الصلاة يمكن أن تسألوا عنه الأستاذ محمود"[2]. انتهت الإجازة وعاد الطلاب إلى دراستهم **بالمعهد العلمي**. وبدأ استجواب مشيخة المعهد لتلاميذ الأستاذ محمود الثلاثة. يقول إبراهيم يوسف: "قدم للمشيخة محمد خير على محيسى باعتبار أنه جمهورى قدمه أحد المشايخ فحاول الأخ محمد خير احالتهم للأستاذ محمود ومناقشة الأمر موضوعياً فأبوا إلا استفزاز الأخ محمد خير وحصاره ليستخرجوا منه إدانات للأستاذ بالاسم ولما استفزوه فى ذلك واجههم بقوله لو صلى (مثل صلاتكم) لما اتبعته وفصلوه"[3]. جاء دور الطالب الثانى وهو إبراهيم يوسف، يقول إبراهيم: "حاولت الاستفادة من تجربة الأخ محمد خير ومن أننا نحن فى مرحلة دراسية عليا تدرس فيها مختلف الاتجاهات والشيخ نفسه كان يشاع أنه معتزلي. ولكن كل ذلك لم يغير فى الأمر شيئاً وهو أن يستصدروا منى إدانات للأستاذ محمود بالاسم فامتنعت وفصلت"[4]. أما الطالب الثالث فهو أحمد عبدالرحمن العجب كان طالباً فى الثانوى. يقول إبراهيم يوسف: "قص أحد الشيوخ قصة فصلنا بصورة محرفة فتصدى له الأخ أحمد لتصحيحه فقال للأخ أحمد هل أنت منهم فلما أجابه بـ (نعم) ما كان منه إلا أن أحضره للمشيخة فساروا معه نفس سيرتهم للتجريم فرفض ففصلوه"[5].

الشاهد أن الطلاب الثلاثة خضعوا لمحاكمات فكرية ودينية أمام المشائخ، كانت قصيرة فى مدتها الزمنية، وطالب الطلاب أن يوجه المشائخ أسئلتهم لصاحب الفكرة الأستاذ محمود، فكان الرد بقرارات سريعة ومتعسفة، قالت بفصل الطلبة الثلاثة. استنكرت الصحف والرأى العام فصل الطلبة، يقول إبراهيم يوسف: ولاستنكار الصحف والرأى

(1) إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، مصدر سابق، ص 29.
(2) المصدر السابق، ص 29.
(3) المصدر السابق، ص 29.
(4) المصدر السابق، ص 29.
(5) المصدر السابق، ص 29-30.

العام المستنير أحجمت المشيخة عن فصل طلبة جمهوريين آخرين"[1]. يقول إبراهيم يوسف: "على أثر فصل الطلبة ذهب الاخ عبد اللطيف للمشيخه ليناقش معهم موقفهم ولكن دون جدوى كما ذهبت بالطلبة الأخت حاجة كلتوم للسيد عبدالله خليل مستنكرة"[2]. ثم "حضر الأستاذ محمود من مقر عمله بكوستى وقابل السيد مدير الشؤون الدينية كامل الباقر وطرح عليه مسألة حرمان الطلبة من حقهم فى التعليم وأنا صاحب الفكرة التى فصلوا من أجلها فالحق أن نتحاور أنا وشيخ العلماء عن تلك الفكرة فإن وجدت حقاً يرجع الطلبة لتعليمهم وإن وجدت باطلاً يرجعون عنها"[3].

2- مساجلات وبيانات بشأن "نكبة المعهد العلمى المؤسفة"

بقى سؤال أخير نوجهه للمشيخة الموقرة هو أنهم كدعاة للإسلام يقولون أنهم يريدون الإسلام ليتحقق به الحكم فى المجتمع الإنسانى فهل إذا تم ذلك واتسعت دائرة اختصاصهم خارج المعهد فشملت المجتمع هل يعاملون الناس فيه مثل هذه المعاملة التى عوملنا بها نحن كأن ينفوهم أو يسجنوهم أو يقتلوهم لمجرد أنهم لم يقتنعوا برأى من الآراء أو عقيدة من العقائد.أما نحن فنعتقد أن الإسلام بهذه الصورة لا يناسب مجتمع اليوم ونبرئ الإسلام من التزمت والضيق[4].

الطلبة المفصولون، فى بيان نشر فى 5 فبراير 1960

أصدرت إدارة **المعهد العلمى** بياناً عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد. وقفت على البيان منشوراً فى **صحيفة السودان الجديد**، بتاريخ 28 يناير 1960[5]، وجاء فيه، بعد أن أورد أسماء الطلاب الثلاثة، وعرف بالمستوى الدراسى لكل منهم ومناطقهم فى السودان، جاء فى البيان: "وقد أخذت الشكوى من هؤلاء الطلاب الذين لم يكملوا بالمعهد سنة

---

(1) المصدرالسابق، ص 30.

(2) المصدرالسابق، ص 30.

(3) المصدرالسابق، ص 30.

(4) "بيان من الطلبة المفصولين من المعهد العلمى"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3916، بتاريخ 1960/2/5.

(5) "بيان من ادارة المعهد العلمى عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3909، بتاريخ 1960/1/28.

دراسية واحدة بل لم ينتموا إليه أكثر من سته أشهر تنهال على إدارة المعهد من زملائهم الطلاب ومن مدرسيهم ومن خارج المعهد." ثم لخص البيان الشكوى قائلاً: "وتتلخص هذه الشكوى فى أن لهم خرافة سخيفة تتنافى مع ما علم من الدين بالضرورة من وجوب الصلاة على جميع المكلفين ولا تليق بطالب فى القسم العالى والثانوى وهى أن فلاناً من الناس وصل الى درجة من معرفة الله وتوحيده ارتفعت عنه فيها التكاليف الشرعية وأصبح معصوماً لا ينطق عن الهوى". تحدث البيان عن احتجاج طلاب المعهد واستنكارهم ومجيئهم لمكتب شيخ العلماء قائلاً: "وفى اليوم السابق لإجازة الفترة الثانية 12 من ديسمبر سنة 1959 أقبل الطلاب على مكتب شيخ العلماء يستنكرون هذه الفرية بحالة إجماعية ويبدون أسفهم وتألمهم من أن يسىء هؤلاء الطلاب إلى سمعتهم وسمعة معهدهم". ثم شرح البيان دور المراقب العام وبعض أساتذة المعهد فى جمع المعلومات عن الطلبة الثلاثة، يقول البيان: "وبعد عودة المعهد إلى الدراسة بدأ المراقب العام وبعض أساتذة المعهد يجمعون المعلومات عن هؤلاء الطلاب فثبت لهم بما لا مجال فيه للشك أن هؤلاء الطلاب لا يخفون هذه العقيدة ولا يتسترون عليها فلم يكن بد من أن تنظر المشيخة فى هذا الموضوع". أعدت المشيخة جلسة للنظر فى الموضوع، يقول البيان: "وفى جلسة بمكتب شيخ العلماء حضرها هو ومساعده ومراقب القسم العالى ومراقب القسم الثانوى دعى الطالبان محمد خير المحيسى وإبراهيم يوسف فثبت من مناقشتهما فى وجوب الصلاة وعموم هذا الوجوب وحكم جاحده وحكم تارك الصلاة أنهما يجحدان وجوب الصلاة على الأستاذ محمود محمد طه". ثم قال البيان: "بل قال المحيسى ببلاهة مضحكة: إن محمود محمد طه لو صلى ما اتبعته". وأضاف البيان: "ثم جاء فضيلة الشيخ حسن إسماعيل المدرس بالمعهد شاكياً من الطالب أحمد عبد الرحمن العجب اعتقاده هذه الخرافة فدعاه الشيخ وكان معه المراقب العام والشيخ حسن اسماعيل وبعد المناقشة ثبت عليه ما ثبت على زميليه ففصلوا من المعهد".

ثم علل البيان أسباب إصرار مشيخة المعهد على فصل الطلاب، يقول البيان: "وقد أشارت جميع لوائح الدراسة بالمعهد إلى أن من أهم أهداف المعهد أن يخرج علماء يتصفون بمكارم الاخلاق والنضج الفكرى والوعى العقلى واليقظة وحصافة الرأى،

يقومون على تصحيح العقائد ويحافظون على تعاليـم الشريعة الإسلامية السمحة ويدعون إلى العمل بها ويخـربون الخرافة والدجل". ولهذا "فطبيعى ألا تتـحمل مشيخة المعـهد تبعة تخريج علماء" للفتوى والقضـاء والوعظ والإرشاد وإمامة الناس" من نوع هؤلاء المغفلين الضالين المضلين الذين يجـرون وراء الأوهام والأباطيل المفضوحة وأن تصـر على فصلهم لئلا تكون النتيجة عكس ما يرمى اليه المعـهد فتجىء بذلك على الإسلام والمسلمين". لم تر مشيخة المعهد فى فصل الطلاب حـجراً للرأى أو محاربة لحرية الرأى، يقول البيان: "وليس فى فصل هؤلاء الطلاب محاربة لحـرية الرأى من قبل مشيخة المعهد وليس فـيه قضاء على مستقبـل هؤلاء الطلاب فأمام احـدهم المدارس الثانوية وأمـام زميليه الجـامعـات المدنية". فالفـصل لا يقضى على مـسـتقبل الطلاب "بل هو مجـرد امتناع من أن يضع المعـهد ثقـته وشهاداته لطلاب لا يؤمنون بالمعـارف التى يقوم على تعليمهـا ونشرها بين الناس ويرمون إلى نقيض مـا يرمى اليه المعهد فى اداء رسـالته التعليـمية المحددة، ويعـملون على تقويض الدين من أساسـه". ثم جاء ختام البـيان: "فإن أخـبث من رزئ بهم الإسلام فى الماضى هم الذين انتسبوا إليه وحولوا دلالة آيات القران ونصوص السنة عن الأوضاع العربية؛وحاولوا بذلك هدم الإسلام باسم الإسلام".

فى اليوم الثـالث من نشر بيان إدارة المعهـد عن فصل الطلاب من المعهد، نشـر الأستاذ محمود بياناً، فى نفس الصحيفة، **صحيفة السودان الجديد**، نشرت الصحيفة البيان بعنوان: "محمـود محمد طه يرد على بيان مشـيخة **المعهد العلمى**"[1]. جاء رد الأستاذ مـحمود فى ست نقاط، يقول الأستاذ محمود:

1- فى نكبة المعهـد المؤسفة، جرجر شـيخ العلماء اسمى بين جدران فـصول الدراسة، وشهر بى فـى الصحف، فى بلاغاته، وبيانه الرسـمى، وأساء إلى سمعـتى عند الرأى العام جميعه، بصورة مؤلمة، وأنا أعرف ما لى من حق الرد عليه عند القضاء، ولكن لست بصدده الآن، وانما أنا الآن بصدد مـا لى عليه من حق أدبى يجعل من واجب محـررى الصحف أن يعطوا هذا البـيان نفس الاهتمـام الذى أعطوه لبيـان الشيخ ولقـد كان الطلبـة يسألون عن

---

(1) محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمى"، **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 3911، بتاريخ 1960/1/31.

رأيهم فيّ ويطالبون بإصدار حكم على أنا بالذات ويراد منهم أن يقولوا عنى أمراً لا يرونه فيّ فاذا قالوا أن محمود محمد طه غائب الآن ولا موجب للتحدث عنه ويمكنك أيها الشيخ الجليل أن تسأله فى أى وقت شئت وبأى وسيلة شئت أصر الشيخ على الاجابة المحددة التى يريد.. فإذا ذهب الطلبة ليشرحوا رأيهم فى طريقة الاستجواب لم يمهلوا، وانما أعجلوا إعجالاً واستفزوا استفزازاً واستخرجت منهم فى حالة الاستفزاز والإثارة عبارات بنى عليها الشيخ قراره المؤسف.

2- إن هؤلاء الطلبة الثلاثة منهم اثنان يحملان الشهادة الأهلية وينتميان إلى قسم الشريعة فى القسم العالى وهو آخر مراحل **المعهد العلمى** والشهادة الأهلية فى ذاتها درجة علمية لا تحمل الجمهرة الغالبة من خريجى المعهد العلمى أكثر منها، ومع ذلك يقول الشيخ عنهما وعن زميلهما الذى هو ثالث فرقته "إن لهم خرافة سخيفة تتنافى مع ما علم من الدين بالضرورة" ويقول فى بيانه عن محيسى وهو حامل الشهادة الأهلية، وهى كما قلنا مرتبة علمية يعترف بها المعهد ولا تحمل الجمهرة الغالبة من خريجيه أكثر منها يقول عنه فى بيانه: "بل قد قال محيسى فى بلاهة مضحكة أن محمود محمد طه لو صلى ما اتبعته" ويقول عنهم فى بيانه أيضاً "من نوع هؤلاء المغفلين الضالين الذين يجرون وراء الأوهام والأباطيل المفضوحة".

3- والآن فإن هناك أحد أمرين: إما الأفكار التى يحملها الطلبة الثلاثة "من الأوهام والأباطيل المفضوحة" فيكون طلبة المعهد العلمى حتى بعد أن ينالوا درجته العلمية الأهلية غير قادرين على الاعتصام عن "الأوهام والأباطيل المفضوحة"، وإما أن تكون هذه الأفكار أفكاراً صحيحة قوية لها أصالة فى الدين، فاتت على شيخ العلماء، وشيخ العلماء يعلم أن هذه الأفكار قد قرأها هؤلاء الطلاب فيما يقرأون من مادة خارج المعهد وهو يعلم مصدرها حق المعرفة فما هو واجبه؟ أليس من واجبه نحو طلابه، ونحو دينه أن يناقش هذه الأفكار ويفضحها ويظهر وهمها وباطلها أو يعرف صحتها وسدادها فيدخلها فى المعهد عن بينة، أو يحاربها عن بينة، بدعوى أن للمعهد رسالة محددة، وأن حرية الفكر مكانها المعاهد المدنية لا الدينية؟.

4- والآن إلى الرأى العام جميعه أسوق هذا الحديث التالى: لقد حملت أنا هذه

الأفكار، التى من أجلها رفت شيخ المعهد الطلاب الثلاثة، إلى الدكتور كامل الباقر مراقب مصلحة الشؤون الدينية وأخذت من وقته نحو الساعة أناقشه فيها بعد أن تركتها عنده فى اليوم السابق ليقرأها قبل النقاش وانتهينا من النقاش وقد اقتنع الدكتور الباقر بأننا لو اجتمعنا أنا وشيخ العلماء فى مجلس لعرف عن هذه الأفكار الكثير من ما ينكره الآن فقد كنت أخبرت الدكتور الباقر بأن شيخ العلماء لم يعط نفسه الفرصة ليفهم ما يقوله الطلبة الثلاثة وطلبت منه أن يعمل على ان نجتمع بالشيخ لهذا الغرض فأخبرنى أنه سيعقد هذا الاجتماع إما فى **المعهد العلمى** وإما فى مكاتب مصلحة الشؤون وشعرت انه يميل لأن يكون الاجتماع بالمعهد اعتباراً لمكانة الشيخ فقبلت.

5- كان هذا الحديث بينى وبين الدكتور الباقر صباح يوم الثلاثاء الماضى وفى حوالى الساعة الواحدة والنصف من نفس اليوم اتصل الدكتور مشكوراً وقال إن فضيلة الشيخ قد قبل أن يكون الاجتماع غداً الأربعاء الساعة الرابعة بعد الظهر بمنزله فحاولت أن أحتج على المكان ولكن الدكتور لم ير فى ذلك بأساً وطلب منى الموافقة، فوافقت، وخرجت من مكتبى على ذلك ولكن الشيخ عاد واتصل بالدكتور بعد نصف ساعة ليقول "أعفونى من هذا الاجتماع" ولم يتمكن الدكتور الباقر من الاتصال بى إلا صبيحة الأربعاء ليبلغنى آخر التطورات.

6- والآن فانى أرى أنه من حقى وقد خاض الشيخ فيما خاض فيه من أمرى ومن حق الطلبة المفصولين والباقين ومن حق الرأى العام السودانى ومن حق الإسلام على شيخ العلماء أن يناقشنى فى هذه الأفكار نقاشاً علنياً فى مناظرة يحضرها كل من يحب حتى ينجلى الحق لذى عينين وإنى أعتقد أن من واجب الصحافة أن تعلن طلبى هذا وأن تسانده وأن تسعى لتحقيقه وعلى الله قصد السبيل.

تبع بيان إدارة **المعهد العلمى** بشأن فصل الطلبة من المعهد، ورد الأستاذ محمود وطلبه لعقد مناظرة علنية بينه وبين شيخ العلماء، لمناقشة الأفكار مع صاحبها، من أجل إحقاق الحق، ودعوته للصحافة بحكم واجبها أن تساند هذا الطلب طلب الحوار الحر المفتوح (المناظرة)؛ تبع ذلك بأن أصدر الطلاب المفصولون فى يوم 5 فبراير 1960 بياناً ونشروه بالصحف المحلية. دحض البيان النقاط والوقائع التى وردت فى بيان إدارة المعهد العلمى،

وفند الادعاءات والتهم. يقول الطلبة المفصولون فى بيانهم[1]: "سنتجاوز فى بياننا مشيخة **المعهد العلمى** من ألفاظ لا تصلح فى مجال فكر ونقاش وسندخل فى لب الموضوع الذى استند عليه فى فصلنا". فانتقل البيان فوراً للموضوع، يقول الطلاب: "أولاً القول بأننا جحدنا الصلاة قول مردود ولم تقم عليه مشيخة المعهد دليلاً ولا يكفى فى إلصاق تهمه خطيرة كهذه التعميم فى الحكم. فنحن لنا آراء خاصة بالتشريع وتطويره ونعتقد أن هذه من أصل الدين فإذا خالف هذا الفهم مألوف العلم نُرمى بالكفر ونُفصل به؟ ونحن نؤمن بالله ونفعل ما يأمر به وندع ما ينهى عنه؟". وعن ما أثارته مشيخة المعهد من ما بلغه الأستاذ محمود، يقول الطلبة المفصولون: "وأما القول باعتقادنا فى أن الاستاذ محمود محمد طه بلغ درجة انتهى فيها عن أداء الصلاة بشكلها المعهود، فأمر بنيناه على يقين وفهم، فإذا لم توافقنا مشيخة المعهد فلها ما ترى". وأضاف البيان: "ولكن ليس لها أن تقول أن ذلك كفر وجحود ذلك بأن الكفر والجحود لا يكون إلا بالتكذيب للنبى فى رسالته وهذا من البديهيات التى كنا نحب ألا تغيب عن رجال المعهد والإسلام زاخر بالآراء والاختلافات ومن غير المقبول أن يأتى أحد ويفرض فهماً بعينه على الناس".ثم تناول البيان مبدأ الاختلاف فى المذاهب، وأشار إلى ضرورة أن لا يرهن العدل بالاختلاف، يقول البيان: "أما قول المشيخة بأنها لا تريد أن تعطى شهادتها لأناس لا يؤمنون برسالة المعهد ومعارفه المحدودة فقول غير عادل ولا يصلح حجة فى هذا المقام فمفهوم بالضرورة أن أخذ أحد العلم عن آخر لا يلزمه بالوقوف مع علمه هذا فقط ولو صح هذا لما رأينا مذاهب فى المذهب الواحد يخالف فيها التلامذة أساتذتهم اختلاف رأى حر جرياً وراء الحقيقة وما رأينا أحداً عاب عليهم ذلك، وهو غير عادل لأنا نحفظ للمعهد حرمة ما يدرس فيه ونقدره حق قدره".

تناول الطلاب فى بيانهم رمى مشيخة المعهد لهم بالكفر، وأصروا أن رميهم بالكفر لا يسنده دليل، وتحدث الطلاب عن فهمهم لضرورة تطوير التشريع الإسلامى، لأن روح الإسلام تحمل ما يلائم الوضع الجديد بما يسع المجتمع الإنسانى الحالى، كما ورد فى صدر المحور السابق. وعن التطوير الذى يعتقد به الطلاب، يقول البيان: "ومن التطوير الذى

(1) "بيان من الطلبة المفصولين من المعهد العلمى"، مصدر سابق.

نعتقد أنه لازم فى الوضع الجديد أن العبادة لا يكره عليها الناس كما كان يجرى ذلك فى الماضى لمناسبة الإكراه فى ذلك الزمن ومناسبة الاحكام للأحوال أمر مهم جداً فى الفكرة الدينية وعلى الخصوص الإسلام". وأضاف الطلاب فى بيانهم قائلين: "إننا نرى أن تطوير العبادة يكون فى معنى أن لا يحمل أحد عليها إلا بالإقناع والقدوة الحسنة مستندين فى ذلك الى قوله تعالى "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى" ونرى أن لا طريق لأحد يريد وجه الله إلا بالصلاة وأدائها بإتقان يحقق الغاية منها". ثم أضافوا قائلين: "فإذا قام أحد مقلداً النبى بوعى ودقة وجودة فإنا لا نستبعد أن يحصل بها التحرر، وهو فى الحقيقة لا يكون قد ترك الصلاة وإنما نقل الصلاة وجعلها فى كل أوقاته، وفى هذه الحال اذا طالبناه بالتمسك بالشكل المعهود فى الصلاة نكون بذلك قدحجرنا عليه حريته الشخصية، وفرضنا عليه الانصباب فى قالب، يرى هو أنه لا يناسب شخصيته الجديدة المتميزة، وحجتنا فى ذلك السير الطويل للإنسانية ومصاحبة الأديان لها فى شتى مراحل سيرها فالصلاة لم تنقطع عن الأرض يوماً ولكنها مع ذلك لم تقف فى صورة واحدة". وعن الأستاذ محمود يقول البيان:

وأما أن الأستاذ محمود محمد طه لا ينطق عن الهوى فأقرأوا قول النبى "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" وهذا أقل مراتب الإيمان، والخير لا يصدر عن الهوى بالطبع، وإذا كنا لا ننتظر من الإسلام أن يبلغ بالمسلم مبلغ التحرر من الهوى فماذا ننتظر منه إذن؟ والقرآن يحدثنا عن الربانيين والصديقين أفلا يرى السادة المشائخ أن الربانيين والصديقين لا يصدق عليهم هذا الوصف الجليل إلا إذا كانوا متحررين لا ينطقون عن الهوى؟ فإذا كانوا يوافقوننا فى ذلك هل يعترضون أن يختص الله محمود محمد طه أو غيره مِنْ مَنْ يشاء من عباده بهذه الرحمة؟.

ثم ختم الطلاب بيانهم بسؤال وجهوه إلى مشيخة **المعهد العلمى**، وجاء نص السؤال على النحو الذى ورد فى صدر هذا المحور.

خـاتمـــة

الكلام النحن بنقوله [الذى نقوله نحن] مـؤكد فى الدين لكن موش [ليس] فى الشريـعة.. جمـاعتنا لمن بنازعـوه [عندما ينازعـونه]، بنازعوه [ينازعـونه] لأنو [لأنه] ما عندهـم [ما لديهم] من الشـريعة بيفتكروه الكلمة الأخـيرة.. أنا زى ما بقول، نحن مـا بنلومهم على أنهم ما يفـهمونا، لكن إذا كانوا هم صـادقين فى حيز مـا هم فيهو حـتى لو حكموا بردتنا أو بقتلنا، يكونوا هم مـجاهدين ونحن قد نكون شهـداء، إذا استطاعوا أن يقتلـونا.. لكن اذا كان هم ما صادقـين [غير صادقين] فى حيز مـا عندهم يبقى مسألتهم فى الحقيـقة تـافهـة.. ونحن بنعرف أنهم ما صـادقين [غـير صادقين] فى حـيز ما عندهـم لأنهم عـبر التـاريخ كانوا أدوات فى يد السـلطة [1].

محمود محمد طه

الشاهد أن **المعهد العلمى** فى كل تاريخه وبمختلف مراحل تطوره، **هيئة علماء السودان، المعهد العلمى**، الكلية الإسلامـية، وأخيراً **جامعة أمدرمـان الإسلامية**، كان على الدوام فى موقف عدائى من الأستاذ محمود. وقـد تجلت المواقف العدائية فى محطات عديدة، منها ما وردت الإشارة إليـه، فى هذا الفصل، ومنهـا ما ورد فى الفصل الثـانى. فقـد تناول الفصل الثانى الدراسـات التى قدمها مـشائخ المعهد العلمى ومن بعـدهم أساتذة **جامعـة أمدرمان الإسلامية**، وكيف أنها دراسات اتسمت بالكسل العقلى وقد تجلى ذلك فى نقل النصوص، كـما دللت على أنهـا دراسات تفـتقـر للأسس العلمـية وينقـصهـا الورع العلمى والوازع الأخلاقى. وخلصت إلى أن هذه الدراسـات كانت نتائجهـا عرجاء وتوصياتـها بكماء ولا تفيـد الناس والمناخ المعرفى إلا ظلماً وظلاماً لكاتـبها وقارئهـا. وقد قدمتُ عددا كبـيراً من النماذج يمكن للقـارئ أن يطلع عليها. كمـا بينتُ فى الفصل الثانى أيضاً أن البـيانات التى أصدرتها هيئة علماء السـودان فى نقد الأستاذ محمود، كانت فى حججـها ومسوغاتها فى تحذير الأئمـة والوعاظ من الأسـتاذ مـحمود ومن فكره وتلاميـذه، كـانت تأكيـداً لإلصاق الكذب بدوائر علماء السودان. وما كان ينبـغى لهم أن يلصقوا الكذب بدوائر العلماء، بيد

(1) محمود محمد طه، **الصلاة**، (محاضرة) نادى العباسية، أمدرمان ، 3 ديسمبر 1968.

أن الكسل العقلى ساقهم إلى الكذب يوم اختطافهم لمنابر الحوار وسوح السجال بلا إمكانيات فكرية وبلا مقدرات علمية. برغم كل ذلك، فإن الثابت الوحيد فى هذه المعادلة، كان هو المواجهة المستمرة والمتوسعة والمتجددة التى ظل يقودها الأستاذ محمود وتلاميذه، نيابة عن المثقفين والشعوب فى وجه الفقهاء والقضاة الشرعيين و"علماء السودان" منذ عام 1957 وحتى يوم تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود صبيحة يوم الجمعة 18 من شهر يناير عام 1985.

لم يكن دور **المعهد العلمى بأمدرمان**، ومشائخه، وكذلك **الأزهر** بمصر فى محكمة الردة الأولى فى يوم 18 نوفمبر 1968، بمعزل عن دور مصر برئاسة جمال عبدالناصر. لقد قاد الأستاذ محمود معارضة قوية ومستمرة لثورة 23 يوليو 1952. فمنذ الشهر الأول للثورة، خاطب الأستاذ محمود قادتها، محمد نجيب (1901-1984) وجمال عبدالناصر، بثلاث رسائل، ناقداً وناصحاً لا مادحاً أو مطرياً. كما تبنى خط المواجهة لدعوة القومية العربية، التى أشعل فتيلها الرئيس جمال عبدالناصر. وفى مواجهته طلب الأستاذ محمود من عبدالناصر أن يترك التدخل فى شؤون البلاد العربية،وأن ينفض يده فوراً من الدعوة الباطلة، دعوة القومية العربية، وأن يريح الدول العربية من تدخله فى شؤونها، وأن يريحها من دجل دعوة القومية العربية. ثم نشر الأستاذ محمود آراءه ومواقفه من مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل) فى كتابين الأول: **التحدى الذى يواجه العرب**، عام 1967، والثانى: **مُشكلة الشّرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**،عام 1967، أيام هزيمة إسرائيل للعرب عام 1967، وفى مناخ انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم (8/29 - 1967/9/1)، الذى خرج بما عُرف باللاءات الثلاثة (لا صلح لا اعتراف ولا تفاوض مع إسرائيل). كل هذا والتأثير المصرى فى الواقع السودانى، آنئذ كان قوياً، فقيام الثورة المصرية مثّل تغييراً كبيراً فى موازين القوى، كما أن الثورة المصرية لقيت حماسة كبيرة من طلائع المتعلمين فى السودان، خاصة حلفاء مصر منهم، ودعاة الاتحاد والوحدة معها. فالأحزاب الاتحادية توحّدت فى القاهرة بمنزل محمد نجيب فى نوفمبر عام 1953، وتكوّن منها **الحزب الوطنى الاتحادى**. كما أن اتفاقية القاهرة كانت فى عام 1953.كما أن الثورة بزعامة جمال عبدالناصر بلغت أقصى حالات عنفوانها، وأصبح عبدالناصر

صاحب صـيت قوى وتأثير كـبير. فـهل كان يمكن أن تمر مواقف الأسـتاذ محـمود من الثورة المـصرية ومن خطاب عـبدالناصـر القومى، من دون دفع ثمن؟ وهل كـانت هناك عقوبة سياسية محكمة تنتظر **الحزب الجمهورى**؟ عقوبة مُحْكَمَة من حيث التصميم وقوة النفاذ، ومن حيث القدرة على بناء الجدار العازل بين الأسـتاذ محمود وشعوب السودان والإسلام، والقدرة أيضاً على اخـتراق عقول السودانيين والمسلمين والتأثيـر فيهم لأبعد مدى فى المسـتقبل، إلى جانـب الشراكة الواسعـة فى الإعلان عن تلك العقـوبة. هذا ما سأقف عليه فى الفصل القادم، وهو بعنوان: "الأستاذ محـمود ومصر برئاسة عبد الناصر ومحكمة الردة 1968".

الفصل
العاشـــر

10

الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبدالناصر ومحكمة الردة 1968

الأستاذ محمود ومصر برئاسة
عبدالناصر ومحكمة الردة 1968

*نحن واثقون إنو مسألة محكمة الردة، مسألة سياسية وليست مسألة دينية. والمسألة السياسية وراها [خلفها] إلى حد كبير مصر. ونحن **الحزب الجمهوري** مواجهتنا لمصر بدأت مع الثورة المصرية، يعني سنة 1952 في 23 يوليو...»[1].*

نحن واثقين جداً بأنو محكمة الردة وراها [خلفها] علماء مصريين أزهريين [جاءوا] ليدخلوا في سياستنا الداخلية، اتخذوا مسألة الردة ذريعة ليدخلوا بيها. ونحن [الآن في مواجهة لهم] في مناشيرنا، وبنعرف مواقف معينة مع بعضهم ما غرضهم الدين بالمرة. غرضهم التطوع لخدمة النظام القائم في مصر في تدخلوا في البلاد العربية عامة وفي السودان بصورة معينة. في المرحلة الأخيرة نحن مواجهنهم. هم كانوا وراء مسألة محكمة الردة...»[2].

محمود محمد طه

بإيجاز الإجابة على الأخ عبدالله إنو طرف من كتاب الشرق الأوسط، رأينا في مشكلة الشرق الأوسط فيما يخص زعامة جمال للعرب هو السبب في محكمة الردة[3].

محمود محمد طه، عام *1969*

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة)، مدينة عطبرة، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة)، مصدر سابق.

قاد الأستاذ محمود معارضة قوية ومستمرة لثورة 23 يوليو 1952 التى قادها الجيش المصرى، وأدت إلى خلع الملك فاروق (1920-1965) عن عرشه، وتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية. لقد بدأت معارضة الأستاذ محمود لثورة 23 يوليو منذ الشهر الأول. فما هى طبيعة هذه المعارضة؟ وكيف عبر الأستاذ محمود عن معارضته للثورة؟ وما هو موقف الأستاذ محمود من خطاب عبدالناصر القومى؟ وما هو رأيه فى زعامة عبد الناصر للعرب؟وما هو رأى الأستاذ محمود فى مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل)؟ هل كان يمكن لكل هذه المواقف أن تمر دون دفع ثمن؟ وهل كانت هناك عقوبة سياسية تنتظر **الحزب الجمهورى**؟ وهل كان لمشائخ الأزهر دور فى محكمة الردة؟ما هى طبيعة مواجهة الأستاذ محمود لمشائخ الأزهر؟ سأحاول الإجابة على هذه الأسئلة ومعالجة موضوع هذا الفصل من خلال المحاور التالية:

- موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952
- موقف الأستاذ محمود من الاتفاقيات بشأن السودان بعد ثورة 23 يوليو
- الموقف من جمال عبدالناصر رئيس مصر
  - الرسالة الأولى من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر
  - الرسالة الثانية من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر
- عبدالناصر وانحراف الثورة والدعوة العنصرية الباطلة وتضليل العرب وإثارة الشعوب

■ استمرار مواجهة الأستاذ محمود لمصر برئاسة عبد الناصر

■ المخابرات المصرية تتربص بالأستاذ محمود

■ قمة المواجهة عام 1967 ومحكمة الردة فى عام 1968

رأى الأستاذ محمود فى مشكلة الشرق الأوسط وزعامة عبدالناصر للعرب

■ اقتراح الأستاذ محمود لحل قضية فلسطين عام 1967: الحل على مرحلتين

- الحل العاجل
- الحل الآجل

■ نص مبادرة السلام العربية 2002 (المبادرة السعودية)

■ سيناريو محكمة الردة واتساع التحالف ضد الأستاذ محمود

تشكيل محكمة الشعب فى القاهرة ومناخ الأحكام بالخيانة للوطن والردة عن الإسلام

موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952

إن السودانيين قوم يؤذيهم أن يطمع طامع فيمايحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون(1).

محمود محمد طه

كان أعضاء مجلس القيادة يضعون السودان فى ذيل قائمة اهتماماتهم ومتاعبهم(2).. كما أن عبدالناصر كان يعتبر السودان عبئاً على مصر يحسن إزالته عن كاهلها... إن مشكلة جمال عبد الناصر وصلاح سالم، وباقى مجلس الثورة، مع السودان، هى أنهم لم يعرفوا، ولم يفهموا أهله، ولم يتصوروا أهميته بالنسبة لمصر فتصرفوا وكأنهم سياح وليسوا أبناء واد واحد(3).

الرئيس محمد نجيب

(1) محمود محمد طه، "خطاب إلى اللواء محمد نجيب"، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، مصدر سابق، ص 12.

(2) محمد نجيب، **مذكرات محمد نجيب: كنت رئيساً لمصر**، ط8، المكتب المصرى الحديث، 2003، ص 278.

(3) المصدر السابق، ص 289-290.

عندما قامت ثورة 23 يوليو فى عام 1952 كانت قد مرت سبعة أعوام على مهرجان تكوين الأحزاب السودانية، وقد تبلورت فيه الحركة الوطنية السودانية فى قسميها الاتحادى والاستقلالى. كانت الأحزاب الاستقلالية، ومن بينها **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود، قد خاضت تجربة تعاون ناجحة فى تكوين الجبهة الاستقلالية التى وقفت بقوة ضد بروتوكول صدقى- بيفن. وكانت الإدارة البريطانية قد خطت خطوة حاسمة فى طريق التطورات الدستورية فى السودان وقد تمثلت الخطوة فى قيام الجمعية التشريعية والمجلس التنفيذى فى ديسمبر 1948[1]. وقد قررت الحكومة البريطانية منح نظيرتها المصرية فرصة لمناقشة قانون الجمعية التشريعية والمجلس التنفيذى، وبدأت مباحثات خشبة- كامبل، وكانت مباحثات محكوماً عليها بالفشل حيث أصرت الحكومة المصرية - وهى حكومة أقلية ترأسها محمود فهمى النقراشى- على عدم الاعتراف بالقانون ما لم ينص صراحة على وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى[2]. أيضاً كانت الحكومة البريطانية قد اقترحت على رئيس الوزراء المصرى زيارة السودان للتشاور مع الزعماء السياسيين داخل وخارج الجمعية التشريعية حول مسألة فرض التاج المصرى على السودان. وقبيل ثورة 23 يوليو كانت الحكومة البريطانية قد فرغت من إعداد مقترحات جديدة لحل مسألة السودان. وصبت هذه المقترحات فى قالب قصد منه الحصول على موافقة الحكومة المصرية على مسودة دستور الحكم الذاتى الذى قامت الإدارة البريطانية برفعه إلى دولتى الحكم الثنائى فى 8 مايو 1952 بغية إجازته. وجاء فى هذه المقترحات تكوين لجنة دولية لمراقبة سير الانتخابات التى نص عليها فى مسودة الدستور على أن تتحول إلى لجنة استشارية للحاكم العام عند ممارسته سلطاته التقديرية التى نص عليها الدستور[3].

حينما قامت ثورة 23 يوليو كانت هناك قوات بريطانية فى منطقة قناة السويس فى مصر؛ كما كانت هناك قوات بريطانية فى السودان[4]، وكان اهتمام الولايات المتحدة

---

(1) فدوى عبد الرحمن على طه، **كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953 حول الحكم الذاتى وتقرير المصير**، ط1، شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1997، ص 18.

(2) المرجع السابق، ص 19.

(3) المرجع السابق، ص 24-25.

(4) إبراهيم مواكيبى وآخرون، **ثورة يوليو وإفريقيا مع إشارة خاصة للعلاقات المصرية السودانية**، (ندوة)، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2001، ص 16.

الأمريكية بالشأن السودانى قد بدأ غداة الحرب العالمية الثانية. فقد كانت الحكومة الأمريكية ترى أن الاعتراف بالتاج المصرى الرمزى على السودان هو السبيل الوحيد المتاح لإقناع مصر بقبول الترتيبات الغربية للدفاع عن الشرق الأوسط(1)، والذى بدوره سيؤدى إلى حل المسألة الاستراتيجية(2). بدأت الحكومة الأمريكية مباحثات مع الحكومة البريطانية فى أبريل 1951 هدفت إلى وضع تصور مشترك لكيفية الدفاع عن مصر(3). وبعد حريق القاهرة فى 26 يناير 1952 وتصاعد العمل الفدائى فى منطقة قناة السويس، كثفت الحكومة الأمريكية عبر وزير خارجيتها أشيسون وسفيرها فى القاهرة كافرى من الضغط على الحكومة البريطانية للاتفاق مع الحكومة المصرية على صيغة تمكن من الاعتراف بسيادة مصر الرمزية على السودان وتترك دون تغيير وضع السودانيين وحقهم فى تقرير المصير(4). أخذ الاهتمام الأمريكى بمسألة السودان بعداً آخر تمثل فى إيفاد وزارة الخارجية الأمريكية لوفد أمريكى إلى السودان فى يناير 1952. تكون الوفد من استابلر نائب مدير مكتب شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية وماتسون الوزير المفوض بالسفارة الأمريكية بالقاهرة(5). وترجع بداية الاهتمام الأمريكى بزيارة السودان إلى أواخر عام 1948 عندما زار أحد أعضاء السفارة الأمريكية بالقاهرة السودان واتبعت الزيارة بزيارة هلا سكرتير السفارة الأمريكية بالقاهرة والتقائه بعدد من الشخصيات السودانية. ثم توالت الزيارات الأمريكية على السودان واتخذت طابعاً أكثر جدية فى مايو 1952 عندما أوفدت الحكومة الأمريكية هوسكتر مستشار شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية(6).

قبل نحو تسعة أشهر من قيام ثورة 23 يوليو، أصدر الأستاذ محمود بعد خروجه من

---

(1) فيصل عبدالرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، مرجع سابق، ص 523.

(2) فدوى عبد الرحمن على طه، **كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953 حول الحكم الذاتى وتقرير المصير**، مرجع سابق، ص 30.

(3) المرجع السابق، ص 28.

(4) فيصل عبدالرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، مرجع سابق، ص 523.

(5) فدوى عبد الرحمن على طه، **كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لاتفاقية** 12 **فبراير** 1953 **حول الحكم الذاتى وتقرير المصير**، مرجع سابق، ص 33.

(6) المرجع السابق، ص 30.

اعتكافه، بياناً عن المسار الجديد **للحزب الجمهورى**. وتضمن البيان رؤيته للعلاقة مع مصر. القى الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** بيانه فى اجتماع عام للحزب بتاريخ 30 أكتوبر 1951. وضّح الأستاذ محمود رؤيته بشأن العلاقة مع مصر، قائلاً:

ونحن الآن فى وضع سيئ جداً، ولا يمكن أن نحقق شيئاً من الإصلاح المرتقب، إلا إذا تغير هذا الوضع تغييراً تاماً بجلاء الاستعمار البريطانى عن أرضنا، وحركتنا الوطنية الآن منقسومة على نفسها، ففريق يريد تحرير البلاد بالتعاون مع الاستعمار البريطانى وفريق يريد تحرير البلاد بالتعاون مع مصر.. فأما المتعاونون مع الاستعمارالبريطانى فإنا لا نقرهم على شىء من عملهم البتة، لا فى جملته، ولا فى تفصيله وأما المتعاونون مع مصر فإنا نقرهم على عملهم فى شىء، ونخالفهم فى شىء.. نقرهم على الكفاح ضد الإنجليز، ونخالفهم فى الاتحاد مع مصر، حتي ولو كان الاتحاد فى التاج كرمز فقط[1].

وأضاف الأستاذ محمود فى بيانه قائلاً: "نحن والمصريون طلاب حرية، وزملاء جهاد وعدوُنا واحد، هو الاستعمار البريطانى فينبغى أن نتفق على جهاده، وإجلائه، لنكون نحن أحراراً فى بلادنا، وليكونوا هم أحراراً فى بلادهم .. ويجب أن لا ينسينا اجترار العواطف أن للمصريين مطمعا فى بلادنا.. نريد أن نكون وإياهم زملاء جهاد، لا زملاء وحدة، أو اتحاد"[2].

وفى بيان **الحزب الجمهورى** عن موقفه من ائتلاف الأحزاب السودانية عبر الأستاذ محمود عن موقفه من مصر. جاء فى البيان[3]: "منذ أيام وجهت دعوة كريمة من هيئة الائتلاف وبعثت للحزب بمشروعها الذى أعدته لالتقاء الأحزاب والهيئات السودانية...وقبل **الحزب الجمهورى** الدعوة مبدئياً... وأوفد مندوبين عنه لحضور الاجتماع الذى أعلن عن انعقاده بدار نقابة موظفى حكومة السودان فى الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين 1951/12/24 ولقد انتظر مندوبو الحزب من الساعة المحددة إلى نصف

---

(1) محمود محمد طه، "البيان الذى ألقاه الأستاذ محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى فى الاجتماع العام للحزب عام 1951"، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "موقف الحزب الجمهورى من الائتلاف"، **جريدة الرأى العام**، العدد 2017، 1952/1/2.

ساعة أخرى فلم يحضر سوى أربعة وخرج المندوبون محتجين على عدم تقدير المواعيد، والذى رأى أن يقدمه **الحزب الجمهورى** للمجتمعين هو هذا الذى نقدمه اليوم للرأى السودانى العام". ثم تناول البيان بتفصيل موقف الحزب ووضح رؤيته عن الائتلاف والغاية منه، والسبيل إليه، وتحدث عن دور الشعب فيه، ثم ختم قائلاً: "نحن إذن ندعو الى ائتلاف جميع المثقفين والشعب من ورائهم قوة وسنداً لتحقيق الآتى: 1. إجلاء قوى الاستعمار الإنجليزية والمصرية. 2. تكوين حكومة سودانية جمهورية تعمل على تحقيق الحرية الفردية المطلقة وتحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة"(1). الشاهد أن توصيف الأستاذ محمود لمصر فى علاقتها بالسودان، أنها دولة مستعمرة وطامعة لهذا كان على الدوام يطالب بضرورة خروجها من السودان وأن لا يكون هناك اتحاد معها، وكان هذا موقفاً مبدئياً وثابتاً ولم يتغير.

فور قيام ثورة 23 يوليو، خاطب الأستاذ محمود قادتها، فوجه خطاباً(2) (أنظر ملحق رقم: "27"). إلى قائد الثورة اللواء محمد نجيب، بعد خمسة وعشرين يوماً، وذلك فى يوم 1952/8/18. ففى مناخ برقيات التأييد والمدح والتهانى بقيام الثورة، وجه الأستاذ محمود خطابه ولم يكن فيه مهنئاً أو مادحاً أو مطرياً ولا بجملة واحدة. كتب الأستاذ محمود فى خطابه قائلاً: "الأخ الكريم اللواء محمد نجيب، تحية مباركة.. أما بعد فإن مسألة خلع الملك عن العرش، بالطريقة التى تمت بها، توفيق كبير.. ولكن ينبغى ألا تُحمَّل أكثر مما تحمل من دلائل النجاح، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها مسألة لها ما بعدها.. وسيكون الحكم لها، أو عليها، على ضوء ما يحصل عليه العهدالجديد من نجاح، أو من إخفاق". ثم تحدث الأستاذ محمود عن الفساد فى مصر، قائلاً: "وإنه لحق أن العهد القديم قد بلغ من الفساد حداً يكاد يجعل أى عهد يأتى بعده، مهما كان حظه من الإصلاح ضئيلاً، عهدا مقبولاً.. ولكنه حق أيضاً أن الملك السابق، رغم فساد حكمه، قد كان عامل استقرار ضد الفوضى..وسيكون هذا الانقلاب شراً على مصر إن استجر بها إلى عدم الاستقرار". وتناول الأستاذ محمود فى خطابه عن أسباب الفساد فى مصر والإصلاح وكيفيته، قائلاً:

والفساد فى مصر ليس سببه الملك، وليس سببه الساسة، والأعوان، الذين تعاونوا

---

(1) محمود محمد طه، "موقف الحزب الجمهورى من الائتلاف، **جريدة الرأى العام**، العدد 2017، 1952/1/2.

(2) محمود محمد طه، "خطاب إلى اللواء محمد نجيب"، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، مصدر سابق، ص 10-12.

مع الملك.. بل إن الملك، وأعـوانه، هم، أنفسهم، ضـحايا لا يملكون أن يمـتنعوا عن الفساد، أو أن يدفعوه عنهم.. فإن أردت أن تلتمس أسباب الفساد، فالتمسها فى هذه الحيـاة المصرية، فى جميع طبقاتهـا، وجميع أقاليـمها، تلك الحـياة التى أقامت أخلاقـها، إما على قشـور الإسلام، أو على قشور المدنية الـغربية، أو على مزاج منهـما.. وأنت لن تصلح مـصر، أو تدفع عنهـا الفسـاد، إلا إذا رددتها إلى أصول الأخلاق، حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً..

ثم وجه الأسـتاذ محـمود عدة تسـاؤلات إلى اللواء محـمد نجيب حـول ماهية رسـالته ورؤيته، وذكره بأن التاريخ يترقب الإجـابة على هذه التساؤلات...إلخ. قائلاً: "من أنت؟؟ هل أنت صاحب رسـالة فى الإصلاح فتـسير بشـعب مصر إلى منازل التـشريف؟؟ أم هل أنت رجل حانق، جاء به ظرف عـابر، ليقلب نظاماً فاسداً، ثم يضـرب ذات اليمين، وذات الشمال، حتى ينتهى به المطاف، إما إلى الخير، وإمـا إلى الشر؟؟". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "ذلك هو السـؤال الذى يترقب التـاريخ جوابه.. فانظر حـيث تجعل نفسـك.. فإنك رجل مجازى بالإحسان، مـأخوذ بالاجترام". ثم خـتم الأستاذ محمود خطابه بالحديث عن علاقة مـصر بالسودان قائلاً: "وشىء آخر، نحب أن نشـير إليه، هو علاقة مـصر بالسودان، فإنها قامت، ولا تزال تقوم،عـلى فهم سىء.. فإن أنت استقبلتها بعقـل القوى فتستطيع أن تبـرئها مما تتـسم به الآن من المطمع المسـتخـفى، والعطف المستـعلن، فإن السـودانييـن قوم يؤذيهم أن يطمع طامع فيمايحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون".

موقف الأستاذ محمود من الاتفاقيات بشأن السودان بعد ثورة 23 يوليو

صلاح سـالم سافـر إلى السودان أكـثر من مـرة.. وتصور أنه بالرقص والـنقود يمكن أن يكسب السودانيين.. وكـانت النتيجة أن بعثر النقود.. وبعـثر احترامنا فى السودان[1].

الرئيس محمد نجيب

تبع قـيام ثورة 23 يوليـو حراك كـبير بشـأن السـودان، كمـا تم توقيع عـدد كـبير من

(1) محمد نجيب، مصدر سابق، ص 291.

الاتفاقيات التى كان لها تأثير كبير فى تطور العلاقات السودانية المصرية، وفى تاريخ السودان ومساره المستقبلى. فقد وقعت اتفاقية بين وفد الاستقلاليين ومصر فى 19 أكتوبر 1953. كما وقعت اتفاقية الأحزاب السودانية مع الحكومة المصرية فى 10 يناير 1953، حيث اجتمع ممثلو الأحزاب السودانية وهى **حزب الأمة والحزب الجمهورى الاشتراكى والحزب الوطنى الاتحادى** و**حزب الوطن** والصاغ صلاح سالم الذى عرض عليهم نقاط الخلاف التى ظهرت خلال المباحثات الدائرة بين الحكومتين المصرية والبريطانية، واتفقت كلمتهم جميعاً على الحلول الآتية كحل نهائى لا يمكن الرجوع عنه، وتضمنت الحلول: أولاً: موضوع الجنوب، ثانياً: لجنة الحاكم العام، ثالثاً: السودنة، رابعاً: الانتخابات، خامساً: جلاء القوات الأجنبية[1]. وكانت هناك اتفاقية 12 فبراير 1953، التى كانت بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير. واتفاقية 3 ديسمبر 1955 التى عدلت بموجبها بعض مواد اتفاقية 12 فبراير الخاصة بإجراء تقرير المصير. كما توحّدت الأحزاب الاتحادية فى القاهرة فى نوفمبر عام 1953، وتكوّن منها **الحزب الوطنى الاتحادى**. وهناك غيرها من الاتفاقيات والمباحثات.

الشاهد أن **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود لم يكن طرفاً فى أى اتفاق وقع مع مصر. وكان الموقف الثابت عند الأستاذ محمود هو ضرورة خروج مصر كقوى مستعمرة من السودان، ونادى إلى الحاجة لوضع اتفاقيات عادلة بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم فيما هو عالق من المسائل وما هو مشترك من مصالح بين السودان مصر، مثل مياه النيل ....إلخ. وطالب بإقامة علاقات تتسم بالندية مع مصروتقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل. لم يتغير هذا الموقف من مصر ولم يتبدل منذ عام 1945. ففى البيان الذى أصدره **الحزب الجمهورى** فى نوفمبر عام 1945، عن وثيقة الأحزاب، رفض **الحزب الجمهورى** الاتحاد مع مصر وظل هذا الرفض أمراً مبدئياً لا حياد عنه البتة، يقول البيان عن وثيقة الأحزاب: "هذا وموقفنا إزاء وثيقة الأحزاب يتلخص فى أننا من جانبنا لا نقرها لأنها تختلف فى جوهرها اختلافاً عن دستورنا على أننا لا نفهم لماذا تتقيد باتحاد وتحالف فتضع بذلك ثمن الحرية اتحاداً مع هذه أو محالفة مع تلك"[2].

---

(1) فدوى عبد الرحمن على طه، **كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953 حول الحكم الذاتى وتقرير المصير**، مرجع سابق، ص 350-352.

(2) "موقف الحزب الجمهورى من المؤتمر ومن وثيقة الاحزاب المختلفة"، (بيان)، بتاريخ 1945/11/9، مقالات تحكى تاريخ الحزب الجمهورى، (مخطوطة)، جلال الدين الهادى.

ظل الأستاذ محمود رافضاً للاتحاد مع مصر ورافضاً للاتفاقيات التى توقع مع مصر، حيثما لم تحقق هذه الاتفاقيات الموقعة شرطى الندية والاحترام المتبادل بين البلدين. فبشأن تقرير المصير والذى وقعت من أجله اتفاقية 12 فبراير 1953، وعدلت فيما بعد، بعض مواده بموجب اتفاقية 3 ديسمبر 1955، أصدر **الحزب الجمهورى** بياناً وضح فيه وجهة نظره بشأن تقرير المصير. وقال الحزب فى بيانه: "معركة تقرير المصير تمثل خطراً ذا وجهين على هذه البلاد: الأول: احتمال تأثير المصريين على نتيجة الانتخابات لمصلحتهم بإفساد الذمم وإشاعة الرشوة. الثانى: إثارة الأحقاد بين طبقات الشعب". ثم أضاف البيان قائلاً: "وفى الحقيقة أن مسألة تقرير المصير نفسها خطأ تورطنا فيه لأن حركتنا الوطنية لم تكن واعية ولا رشيدة ولقد أشفق **الحزب الجمهورى** من عواقب هذا الأمر منذ أن بدأ فى الجو التفكير فى المطالبة بحق تقرير المصير". ثم حمل البيان خطة مفصلة من **الحزب الجمهورى**، جاء بين بنودها[1]: "لتفادى الخطر الأول وهو احتمال تأثير المصريين على نتيجة الانتخابات لمصلحتهم يجب أن يعمل السودانيون على تعديل الاتفاقية بحيث يصبح تقرير مصير البلاد بالاستفتاء العام المباشر وتقتصر مهمة الجمعية التأسيسية على وضع دستور البلاد فى طورها المقبل فإن مثل هذا الإجراء خليق أن يفوت على المصريين فرصة إشاعة الرشوة بين المواطنين بغرض التأثير على حرية اختيارهم وأن يجنبنا نحن المغامرة بوضع مصير البلاد فى يد فئة قليلة يسهل أن تتعرض للضغط والإغراء". وتضمنت بنود الخطة أيضاً: "على الحكومة أن تحارب النفوذ المصرى محاربة لا هوادة فيها ولا لين ويجب اتخاذ جميع الوسائل المشروعة للتأكد من أن نفوذ مصر لا يتسرب لإفساد ذمم المواطنين ولقد كان بودنا أن ندعو الحكومة إلى إنزال العملة السودانية تواً إلى السوق حتى يكون الجنيه المصرى غريباً فى هذه الديار لولا أن الوقت ضيق لا يتسع لمثل هذا الإجراء الذى يحتاج الى تدرج وتطوير وئيد فلم يبق لنا أذن إلا أن تشدد الحكومة المراقبة على الحدود التى تأتينا منها الأموال المصرية وعلى الموظفين المصريين المقيمين هنا الذين يحاولون التأثير على المواطنين وعلى السودانيين الذين يتعاونون مع المصريين فى هذا التأثير الأثيم فإن هؤلاء يجب أن يقدموا للمحاكمة إذا ثبت ضدهم تهمة إشاعة الرشوة والفساد وأن يحسبوا خارجين على

---

(1) "الحزب الجمهورى يوضح وجهة نظره بشأن تقرير المصير"، (بيان)، **صحيفة الاستقلال**، بتاريخ 1955/6/23.

إجماع الشعب فى مسألة هى فوق مسألـة الحياه أو الموت". ثم أضاف البيان قائلاً: "فيجب اتخـاذ الخطوات لتفـاديه أو على الأيسـر تخفـيفـه ومن الخطوات التى تتـفاداه هى تعـديل الاتفاقيـة بحيث لا تكون هناك ضرورة لخـوض معركة تقريـر المصير استناداً إلى أن مـصير البلاد مقـرر فى قيام الحكم الجمـهورى الكامل السيادة وذلـك بإجماع الهيئـات عليه". ثم أوضح البيان قـائلاً: "ونحن نحسب أن مصر ستـعارض هذا التعديل ولكن معارضـتها لا تجعله مستـحيلاً ولو فرضنا جدلاً أن معـركة تقرير المصير لايمكن تفاديهـا فإن هناك العمل على تخفيف أثرها" ثم قدم البيان فى ذلك ثلاث خطوات واقتراحات. وهكذا ظل الأستاذ محمـود فى مواجهة مستـمرة مع مصر، ولم يتغيـر هذا الموقف ولم يتبدل، فقد كان مـوقفاً مبدئياً واستراتيجياً.

الموقف من جمال عبدالناصر رئيس مصر

الرسالة الأولى من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر

فالتفكـير الذى يدعو به جمال عـبد الناصر يتغـذى من معينين، معـين الطموح الشخصى فى زعامـة العالم العربى، وهو أمر تغريه دكتاتوريتـه من جهة، وتمنيه به وتخـدعه الشيـوعيـة الدولية من جـهة أخـرى... وكذلك يتـغذى من مـعين الأطمـاع المصرية الـقديمـة فى السـودان فمنذ كـان التـاريخ تطالعنا صـحائفـه بالمحاولات المستمرة من حكام مصر للاستيلاء على السودان وللأسف فإن عبد الناصر لم يفعل شيئاً يقنعنا بأنه مخالف لأسلافه بالرغم من تطور الزمن وتقلب الأحوال بل على النقيض فقد فاقهم بأساليب أكثر التواء ورياء [1].

عبداللطيف عمر حسب الله

فى عام 1954 تولى جمال عـبدالناصر (1918-1970)، رئاسة مصر خلفـاً للواء محمد نجيب، وظل عبد الناصر رئيساً حتى وفاته. وكعادته فى توظيف أدوات المثقف فى المواجهة وتبيين مواقفـه وإبداء آرائه، وجه الأستاذ محمود خطابين إلى جمال عـبدالناصر بعد توليه للرئاسة فى القاهرة. كان الخطاب الأول من الأستاذ محـمود إلى الرئيس جمال عبدالناصر

(1) عبداللطيف عمر، "حول الخطوه التالية لعبد الناصر هى السودان"، (آراء صريحة)، **أنباء السودان**، العدد 164، 1958/10/18.

فى يوم 3 سبتمبر 1955 (أنظر ملحق رقم: "32")، وقد نشرت الصحف المحلية الخطاب تحت عنوان: "من محمود محمد طه إلى جمال عبد الناصر"[1].وكان الخطاب الثانى فى 18 أغسطس 1958[2] (أنظر ملحق رقم: "33"). استهل الأستاذ محمود خطابه الأول قائلاً:"سيادة الأخ الكريم جمال عبد الناصر، تحية طيبة مباركة، أما بعد فلم يسبق لى شرف الكتابة إليك وإنما سبق لى أن كتبت إلى الأخ الكريم محمد نجيب فى مستهل حركتكم هذه وكان الناس يومئذ فى نشوة وفرحة، وكانت الرسائل تردكم بكثرة من كل صوب، وكانت فى غالبيتها برقيات، وكانت تزف التهانى والبشرى وكان أصحابها يتلقون الردود ولكن رسالة **الحزب الجمهورى** كانت من نوع أخر". ثم وقف الأستاذ محمود عند ملامح رسالته للرئيس محمد نجيب قائلاً: "كانت رسالة مطولة بالبريد وكانت متجهمة حذرة تتوجس فى نفسها خيفة وكانت ترجو النصح وتقلل من قيمة طرد الملك فى حد ذاته وتقول إن العبرة بتغيير حياة المصريين وبالسير بهم من مطارح الهوان إلى منازل الشرف ولم يتلق الجمهوريون رداً على رسالتهم هذه كما تلقى الأفراد والهيئات فى سوداننا العزيز". ثم أضاف الأستاذ محمود متناولاً أسباب عدم الرد وأثره، قائلاً: "عزاء بعض إخواننا عدم ردكم إلى أن رسالتنا قد أثقلت عليكم بالنصح وأنتم فى نشوة الظفر ولكننا لم نعر عدم ردكم كبير الاهتمام وإنما انصرفنا نرقب تقلب حركتكم فلم يدهشنا شيء مما اتفق لها". ثم تحدث الأستاذ محمود عن منهجه فى الكتابة قائلاً: "والآن نعود لنكتب إليك أنت وكسابق عهدنا ناصحين ولسنا ندرى هل يثقل عليك نصحنا ولكنا ندرى أن واجبنا يحتم علينا أن ننصح فى هذا الظرف الدقيق وخاصة لأن إعفاء الأخ صلاح سالم من معالجة شؤون السودان يتيح فرصة حسنة لانتهاج أسلوب جديد لمباشرة العلاقات المصرية السودانية بأذهان متفتحة".

أشار الأستاذ محمود فى خطابه إلى علاقة مصر بالسودان، ووقف عند سياسة صلاح سالم فى السودان ووصفها بأنها كانت سياسة سيئة وقاصرة، وتحدث عن أغراض مصر فى السودان...إلخ. ثم طرح الأستاذ محمود تطلعات السودانيين، وطالب بأن تعلن حكومة

(1) محمود محمد طه، "من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر"، **صحيفة الاستقلال**، العدد: 81، السنة الأولى، بتاريخ 1955/9/3.

(2) نشر فى **صحيفة أنباء السودان**، بتاريخ 30 أغسطس 1958، الخرطوم.

مصر من جانبها استقلال السودان فوراً، يقول الأستاذ محمود: "والآن وفى هذا الظرف الذى تنحى فيه الأخ صلاح وباشرت أنت بنفسك توجيه العلاقات المصرية السودانية. يتطلع السودانيون إلى تغيير أساس فى سير الأمور بل أنهم فى الحقيقة ليتطلعون إلى برهان دافع على أن مصر لم يكن يحدوها فى إسداء ما أسدت مطمع ولا مغنم ولا يكون هذا البرهان بأقل من أن تعلن حكومة مصر من جانبها على الفور باستقلال السودان استقلالاً تاماً شاملاً". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "ومن الحق أن نقول إن مصر بإعلانها استقلال السودان لا تزيد على أن تعترف بالأمر الواقع، لا تزيد قيمة عملها هذا على أن توفر على السودانيين المال والوقت والجهد الذى يصرفونه فى إجراء استفتاء نتيجته معلومة سلفاً، وليس المال والوقت والجهد بالأمر اليسير". ثم ختم الأستاذ محمود خطابه قائلاً: "إن العداء بين مصر والسودان أمر غير طبيعى ولا مستساغ ويكاد يجزم بأنه غير ممكن ولأن يكون كل منهما مستقلاً حراً قوياً أجدى على علاقاتهما فى المضمار العالمى من أن يتحدا اتحاد الضعاف فان اتحاد الضعاف ضعف على ضعف".

الرسالة الثانية من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر

عبدالناصر وانحراف الثورة والدعوة العنصرية الباطلة وتضليل العرب وإثارة الشعوب

إلى الأخ جمال عبدالناصر رئيس جمهورية مصر:

ثم إن الثورة لما انحرفت عن رسالة البناء والحرية انحدرت فى سراديب مظلمة لا يحفرها فى شعابها إلا البغض والضغينة والحقد وقديماً قيل أن الشيطان يعطى عملاً للأيدى العاطلة وهو أيضاً يعطى فكراً للرؤوس الفارغة (1).

محمود محمد طه

أرسل الأستاذ محمود خطابه الثانى للرئيس جمال عبدالناصر فى يوم 18 أغسطس 1958. فالخطاب مثل الخطاب الأول، فى غاية الأهمية، كوثيقة تصدر فى منتصف القرن الماضى، وتحمل فى طياتها مواجهة، أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها مواجهة عصية على أن

(1) محمود محمد طه، "عوامل جديدة فى المحيط السياسى: رسالة إلى جمال عبدالناصر"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 155، بتاريخ 1958/8/30.

يقوم بها أو يقدمها رؤساء الأحزاب والمفكرون إلى القادة والرؤساء، وإلى الرئيس عبدالناصر بشكل خاص. فقد بلغ عبدالناصر مبلغاً من الصيت والسمعة كزعيم عربى كبير. والحق كان ينبغى أن يكون هذا الخطاب موضع دراسة فى حقول العلاقات الدولية والعلوم السياسية، ...إلخ، ولكن هيهات!! فمصير الخطاب لا يختلف عن مصير الكثير مما كتبه الأستاذ محمود.

بيد أنى على يقين أن وقت دراسة هذا الخطاب وكتابات الأستاذ محمود، ستأتى قريباً وقريباً جداً. وبرغم أن الخطاب يحتاح منى لتخصيص مساحة وحيز خاص لدراسته وتحليله، غير أنى ولضيق المساحة فى هذا الكتاب، سأقف عليه بتقديم إضاءة سريعة عنه وبتناول مجمل لمحتواه. لقد وجه الأستاذ محمود الخطاب بتاريخ 18 أغسطس 1958، وقد وقفت عليه منشوراً فى **صحيفة أنباء السودان**، بتاريخ 30 أغسطس 1958، وكان بعنوان: "عوامل جديدة فى المحيط السياسى: رسالة إلى جمال عبدالناصر"[1]. يقع الخطاب فى (3018 كلمة)، وتهيكل فى عدد من المحاور والتى جاءت فى شكل عناوين جانبيه، وهى: انحراف الثورة، تأميم قناة السويس، إضعاف الغرب، الأحلاف العسكرية، تضليل العرب، الحياد الإيجابى، إلى جانب أنه تناول قضايا أخرى عديدة منها: قضايا سودانية، وقضايا محلية فى مصر، وقضايا اقليمية مثل القومية العربية... إلخ، وقضايا عالمية مثل الحرب الباردة، والشيوعية ...إلخ. وختم الأستاذ محمود خطابه بتقديم خمسة اقتراحات إلى الرئيس عبدالناصر.

استهل الأستاذ محمود خطابه قائلاً: "سيادة الأخ جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر، تحية مباركة". ثم أشار الأستاذ محمود لقيام الثورة وخطابه الأول للرئيس محمد نجيب، وعدم الرد عليه، قائلاً: "وهو كتاب لم نتلق عليه رداً فى حين أن ردودكم كانت تتوالى على مرسلى برقيات التهنئة ولعل مرد ذلك إلى أن ثورتكم قد كانت من التوفيق والنجاح بحيث لم تدع لكم مجالاً لسماع ما يقال من غير كلمات التهنئة وكلمات الإطراء ولم نكن نحن من هؤلاء المهنئين المطريين وإنما كنا ناصحين مشفقين ناظرين إلى غد الثورة لا إلى يومها". ثم لخص الأستاذ محمود ما جاء فى خطابه للرئيس محمد نجيب، وتحدث

---

(1) المصدر السابق.

قائلاً: "هذا ما قلناه يومئذ وما نرى إلا أن ما توقعناه وخشيناه قد حدث فقد لبثنا نراقب الثورة فى كل ما تأتى وما تدع فنراها تنحرف شيئا فشيئا عن النهج القويم فبدل أن توقظ العقول المصرية والضمائر المصرية بالتربية الرشيدة والفلسفة الإنسانية البانية والحرية الفردية التى تخلق الرجال والنساء أخذت تكبت المصريين كبتاً ألغى عقولهم وأفسد ضمائرهم وساقهم سوق السوام بلا إرادة ولا اختيار ثم ضربت عليهم من الرقابة ما أخرس ألسنتهم وأقامت عليهم من الجاسوسية ما أفسد ذات بينهم وألبسهم لباس الخوف". وتحدث الأستاذ محمود عن انحراف الثورة قائلاً: "إن الثورة لما انحرفت عن رسالة البناء والحرية انحدرت فى سراديب مظلمة لا يحفزها فى شعابها إلا البغض والضغينة والحقد وقديما قيل أن الشيطان يعطى عملاً للأيدى العاطلة وهو أيضا يعطى فكراً للرؤوس الفارغة". وقدم تفصيلاً فى ذلك. ثم تناول موضوع تأميم قناة السويس، وتضمن الخطاب اعتراضاً على التأميم، وعلى الطريقة التى أممت بها، وتحدث عن حاجة الدول الغربية لقناة السويس، وتناول الشيوعية، وأشار إلى قادة الشرق ومؤتمر باندونق ووقف عندإضعاف الغرب، والحرب الباردة...إلخ.

تحدث الأستاذ محمود فى خطابه عن الأحلاف العسكرية، قائلاً: "ومن هذه الشعارات الخادعة الجوفاء (محاربة الأحلاف العسكرية) ونحن نذكرها هنا على سبيل المثال لأنها وثيقة الصلة بما نحن بصدده من انحراف الثورة المصرية". وبعد أن تناول الأحلاف العسكرية بالشرح والتحليل، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "ثم قل لنا بربك أليس من الغفلة وأفن الرأى أن نهاجم نحن فى مصر أو فى السودان بلداً كالباكستان مثلاً لدخولها فى حلف بغداد وهى تعيش بين عداوتين: الشيوعية من الشمال والهند من الجنوب؟ أليس معنى خروجها من حلف بغداد خضوعها للضغط الشيوعى والضغط الهندى؟؟ وما يقال عن الباكستان يقال عن رصيفاتها ايران والعراق وتركيا على تفاوت فى ذلك طفيف". وأضاف قائلاً: "إن هذه الدول وساستها الذين يصمدون أمام زحف الشيوعية الدولية ويضطرون فى سبيل ذلك إلى التعاون مع الغرب اضطراراً لا اختياراً على قاعدة تفضيل أخف الضررين والذين تصفهم أنت ورجالك وإذاعتك وصحافتك بالخيانة والمروق والتبعية للغرب وتحرض عليهم شعوبهم التى أخذت بنصيبك الوافر فى تضليلها". ثم وقف عند الساسة قائلاً: "إن هؤلاء الساسة يا سيدى يعرفون عن حقائق الصراع العالمى

أكثر مما تعرف ويملكون من الشجاعة ما لا تملك ولقد استشهد منهم من استشهد وستلقى الله وفى يديك من دمائهم أغلال وسينصفهم التاريخ ويخلد استقالتهم واستشهادهم فى سبيل الحق وفى مقاومة الفساد والدجل". ثم تحدث عن تضليل عبدالناصر للشعوب قائلاً: "ولئن ذكر التاريخ ضغطهم على شعوبهم وكبتهم لها فسيذكر أنك كنت السبب بإثارتك لتلك الشعوب وتضليلك إياها وتحريضها على الثورة بحكامها والانتفاض عليهم".

ذهب الخطاب متناولاً تلك المحاور المشار إليها، بتفصيل ودقة وقوة فى المواجهة، ثم قبل الختام كتب الأستاذ محمود فى خطابه قائلاً: "ونحب أن نحذرك من التورط فى خطأ كبير تورط فيه كثير من المفكرين الاجتماعيين وهو اعتبار الرخاء المادى بالتوسع الزراعى والصناعى بديلاً عن الحرية الفردية". ثم ختم الأستاذ محمود خطابه بخمسة اقتراحات قائلاً: ثم إنا نرجو أن نقترح عليك الآتى :

1- أن تترك التدخل فى شؤون البلاد العربية -التدخل بجميع صوره- الإذاعة والصحف والرشوة- وذلك لأنه ليس لديك ما تعطيه أيا من هذه الدول وما تزيدها بتدخلك فى شؤونها غير تخسير.

2- أن تنفض يدك فوراً من الدعوة الباطلة -دعوة القومية العربية - وأن ترجع بشعبك إلى الإسلام رجوعاً واعياً وأن تحاول بعث المعانى الإنسانية الرفيعة التى يزخر بها القرآن وأن تصلح بها قومك أولا وهذا ما عنيناه برد قومك إلى أصول الأخلاق حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً.

3- أن تصحح رأيك فى الحياد الإيجابى... فإنك لن تستطيع الحياد إذا أسرفت فى عداوة فريق من الفريقين، فإن الإسراف لا يورث الاعتدال . فأنت لا تجنى من الشوك العنب.. وإنك لن تستطيع أن تكون (إيجابيا) فى حيادك إلا إذا كنت تمتلك الفلسفة الإيجابية وما نرى لك من فلسفة بإزاء الرأسمالية والشيوعية غير الإسلام.

4- فإذا ما أرحت الدول العربية من تدخلك فى شؤونها ومن دجل دعوة القومية العربية فسيكون على كل دولة عربية داخل حدودها -ولا يعنى هذا عدم التعاون المتكافل- أن تبعث الإسلام من جديد وأن تطبق مذهبيتة التى تحقق التوفيق بين الاشتراكية

والديمقراطيـة أى بين العدالة الاجتماعـية والحرية الفردية فـإذا ما استطاعت أى من الدول العربية أن تخلق من نفسـها نموذجاً صالحاً للدولة الإسلاميـة التى تحل مشاكل سكانها على هدى أهدى من الشيوعية ومن الديـمقراطية الرأسمالية فإن الدول العربيـة ستحذو حذوها وسيـتم اتحاد العرب تحت راية القـرآن وسيكونون باتحـادهم ومذهبيـتهم الكتلة الثـالثة التى تنهض بين الشيوعـية والرأسمالية وسـيقلد نموذجهم سائر دول العـالم وهكذا ينفضون من حول الشيوعيـة والرأسمالية وتقوم الحكومة الفدرالية العالميـة على مذهبية تتمم النقص فى الشيوعية والرأسمالية وذلك بتحقيق التوفيق بين العدالة الاجتماعية والحرية الفردية وهكذا يحل فى الأرض السلام والرخاء.

5- ريثما تبرز الكتلة الثالثة فى الحـيز العملى لابد من فترة من السلام، وليس فى طوق الإنسانية فى عهدها الحـاضر تحقيق سلام غير هذا السلام المحموم غـير الطبيعى الذى يقوم على توازن القـوى ولذلك فـلابد من اجـتناب أى عمـل يخل هذا التوازن حـتى ولو كـان عائداً ببعض الكسب المحلى على الدولة التى تمارسه .

وقبل توقيـع الخطاب كتب الأستاذ محـمود آخر جملة فى خطابه قـائلاً: "هذا ما اتسع الوقت لتوجيهه إليك وإنا لنرجـو لنا ولك من الله التوفيق والهداية". لا أحسب أن الرئيس جمال عبدالناصـر رئيس جمهورية مصر قد وصل إليه خطاباً أو سـمع حديثاً من مثقف أو مفكر من إفريقـيا أو العالم العربى أو العالم الثالث، يحـمل مواجهة ونقداً ونصـحاً مثل ما جاء فى خطابات الأستاذ محمـود. وهذا فى حد ذاته منهج جديد فى التعاطى مع الرؤساء والزعمـاء والقضـايا، كما أنـه توظيف رفيع وشجـاع لأدوات المثقف، وهو توظيـف ينشد الاصلاح والتـغيير والتحرير والانشغـال بقضايا الشـعوب عبـر النقد والمساءلة والمواجـهة للحكام والزعماء. وهذا فى حد ذاته نمط جديد من التفكير فى المواجهة فى الشرق الأوسط وربما فى العالم.

استمرار مواجهة الأستاذ محمود لمصر برئاسة عبد الناصر

*إن **الحزب الجمهورى** سيكشف لهذا الشعب الحقائق وسيقف بالمرصاد وبصلابة ضد تغلغل النـفوذ المصرى الذى تتطوع لخـدمته الجـامعة الإسـلامية ومـصلحة*

*الشؤون الدينية من الوعاظ الذين تستجلبهم من مصر. أساتذة مصريون فى الجامعة الإسلامية يتدخلون فى شؤون بلادنا ويعتدون على الحقوق الدستورية لمواطنين سودانيين. أساتذة مصريون أجانب دخلاء على بلادنا يجندون أنفسهم ويتطوعون للتدخل السياسى فى السودان وبلا حياء وعلى صفحات (الرأى العام) متعرضين **للحزب الجمهورى** بأسوأ ما يمكن أن يقال. منهم الدكتور كمال وصفى.. شخص آخر يدعى (محمد محمود شاهين) يزيفون ويكذبون... ودكتور آخر من الجامعة الإسلامية (على عبد الواحد وافى) يقول فى محاضرة عامة أنه قد تأكد لديهم، أن **الحزب الجمهورى** يتلقى معونات من خارج السودان لهدم وتشويه الإسلام.. أى درك من عدم الأخلاق والأمانة تردى فيه هذا الرجل. أما كان عليه أن يتعلم الأمانة قبل أن يعلم أبناء شعبنا المسكين الدين فى الجامعة الإسلامية؟ إن جامعة هذا مستواها لا تشرف هذا الشعب. بل فى الحقيقة أن جامعة أمدرمان الإسلامية هى وليدة عقدة نفسية عند رجال الدين*[1].

الحزب الجمهورى، "أوقفوا المخطط المصرى لغزو السودان"

استمرت مواجهة الأستاذ محمود للمواقف الرسمية لمصر برئاسة جمال عبدالناصر. ففى عام 1958 نشر **الحزب الجمهورى** بياناً تناول فيه دعائم الميثاق القومى، (أنظر ملحق رقم: "34"، وفيما يتعلق برؤية الحزب وموقفه من العلاقة مع مصر، يرى الحزب: "لتحسين العلاقة مع مصر يجب تصفية المسائل المعلقة معها فوراً، مثل مياه النيل ومستعمرات الرى المصرى فى الشجرة والجبل وملكال وذلك بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم ويجب الا نترك هذه المسائل معلقة هكذا لأى فترة من الزمن بعد اليوم لأنها هى سبب سوء التفاهم المستمر فإذا ما تمت هذه التسوية فإن علاقتنا بمصر ستقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل"[2].وفى بيان **للحزب الجمهورى** نشر فى أكتوبر عام 1958، وجاء بعنوان: "عضويتنا فى **جامعة الدول العربية**"[3]، تحدث البيان

---

(1) الحزب الجمهورى، البيان نمرة (19): "أوقفوا المخطط المصرى لغزو السودان"، 1969/3/18.
(2) "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"، مصدر سابق.
(3) محمود محمد طه، "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"، مصدر سابق.

عن سيطرة مصر على **جامعة الدول العربية** وتسييرها للجامعة وفقاً لأهوائها، يقول البيان: "رأى **الحزب الجمهورى** فيما يتعلق بعضوية السودان فى الجامعة العربية واضح ومعروف ويتلخص فى أنها مؤسسة اقليمية ضيقة لا تقوم على مذهبية فكرية تجعلها أداة خلاقة تخدم مصالح أعضائها وتسير فى الوقت ذاته فى اتجاه سليم يخدم قضية الإنسانية فى السلام العالمى. إنما هى عنصرية ضيقة هذا وتسيطر عليها دولة واحدة تسيرها وفق أهوائها وتطوعها لخدمة أغراضها". ثم تناول الحزب الدور المرتجى من السودان إذا ما سار متناغماً مع إفريقيته، يقول البيان: "ونحن كشعب أفريقى فتى له مكانته فى القارة الأفريقية، ممكن نخدم أنفسنا ونخدم الشعوب المجاورة بل ويمكن أن نقدم خدمات أكبر لقضايا الأحرار وقضية السلام العالمى بأوسع وأيسر مما يمكن أن نفعل ونحن داخل اطار جامعة الدول العربية[1].

وفى استقرائه لطابع الحركة الوطنية فى غرة نوفمبر 1958، تحدث الأستاذ محمود عن المعارضة التى أخذت تستغل الحالة السيئة الحاضرة استغلالاً خالياً من كل أمانة محاولة من وراء ذلك العودة إلى الكراسى من جديد، يقول الأستاذ محمود: "وهى إن عادت للحكم فلن تفلح فى حل المشاكل الحاضرة ونحن لا نقول هذا لمجرد معرفتنا بحقيقة قيادتها وتفكيرها وإنما نقوله بعد أن جربناها فى الحكم زمنا بلوناها فيه وبلونا المر من غبائها ... هى إن عادت لن تفلح فى حل المشاكل الحاضرة ولكنها ستحيل حلها على مصر وتسلمها هذه البلاد برمتها باسم السير مع (الحركة العربية التحررية) وباسم (القومية العربية) وقد ينتظر أزهرى لقب (المواطن العربى الثانى)". ثم تناول الأستاذ محمود الخطر المصرى قائلاً: "ولكن من لنا بأن يفهم قبل فوات الأوان أن الخطر المصرى الحاضر أشد علينا من الخطر الغربى بما لا يقاس: لأنه زيادة على أنه طامعاً ومستعمراً فهو أيضاً مخلب قط للشيوعية الدولية فهى تؤيده وتقويه وتسانده لتنتشر به نفوذها علينا نحن أول الأمر ثم على العالم بأسره آخر الأمر؟؟".

أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "من لنا بأن يفهم قومنا قبل فوات الأوان أن هذه الملايين من الجنيهات التى تدفعها الشيوعية الدولية لمصر، هذا التدليل الذى تتلقى به

(1) محمود محمد طه، "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"، مصدر سابق.

جمال عبدالناصر وأصحابه ليست هى الثمن الذى باع به جمال مصر بيع السوام. وإنما هى ثمن العرب جميعا حين يستطيع جمال بقامته الجديدة التى تنشئها له الشيوعية الدولية أن يضطرهم إلى الإذعان والانقياد له بوسائل الدعاية ووسائل الرشوة ووسائل الإرهاب أيضاً؟؟". ثم تحدث الأستاذ محمود عن حاجة مصر لمن ينقذها مما ورطها فيه عبدالناصر، يقول الأستاذ محمود: "من لنا بأن يفهم قومنا قبل فوات الأوان أن مصر نفسها فى حاجة إلى من ينقذها مما ورطها فيه جمال عبدالناصر قبل أن تحرق مراكبها وتقطع أرحامها". ثم ختم الأستاذ محمود بيانه بتسع اقتراحات جاء الاقتراح الثالث متعلقاً بالعلاقة مع مصر، يقول الاقتراح: "يجب أن تباشر الحكومة المعدلة واجبها بصرامة وصراحة فتخبر مصر فوراً أن الاحترام المتبادل هو الذى سيصون حسن العلاقات وأن ركن السودان من القاهرة عمل لا يحترم استقلال السودان وأنه يجب أن يقفل فوراً وفى أثناء ذلك تحرم الحكومة على أى مواطن أن يذيع أو يسجل للإذاعة المصرية أو يراسلها بأحاديث أو أغانى فيما يخص الأمور السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التى تتعلق بالسودان"[1].

المخابرات المصرية تتربص بالأستاذ محمود

إن التدخل المصرى فى السودان ليس بالأمر الجديد، ولكنه فى هذه الأيام الأخيرة بلغ حداً لا يمكن السكوت عليه، ولابد من مواجهته... وهم يتدخلون فى سياسة هذه البلاد تدخلاً مباشراً وغير مباشر... ومن أسوأ مظاهر التدخل المصرى فى السودان التدخل تحت ستار التعليم، وتحت ستار الدين... ومن العجب أننا نستورد من مصر الوعاظ ورجال الدين[2].

الحزب الجمهورى

ما كان يمكن لهذه المعارضة التى قادها الأستاذ محمود فى وجه ثورة 23 يوليو

---

(1) محمود محمد طه، "بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 166، تاريخ 1958/11/1.

(2) **الحزب الجمهورى**، "البيان نمرة (22): التدخل المصرى فى السودان"، 1969/3/26.

1952، منذ قيامها، والمواجهة لقادتها، لا سيما مواجهة الرئيس جمال عبد الناصر، والوقوف بقوة فى مواجهة خطابه القومى، ووصف الدعوة للقومية العربية بأنها دجل، ودعوة عنصرية،وباطلة ومضللة للعرب، ما كان يمكن لهذه المعارضة والمواقف أن تمر دون دفع ثمن. وما كان يمكن لآراء الأستاذ محمود ومواقفه التى عبر عنها فى خطاباته الثلاثة، واحد منها إلى الرئيس محمد نجيب، وخطابين إلى الرئيس جمال عبدالناصر، ونقده للثورة وانحرافها، وكتاباته الناقدة بشكل مستمر لمصر وكتاباته عن الدور السلبى لمصر الرسمية فى العلاقات السودانية المصرية، ما كان يمكن أن تمر دون أن تترتب عليها نتائج وعقوبة سياسية. فقد اتضح خلال شهر أكتوبر من عام 1958 أن المخابرات المصرية تتربص بالأستاذ محمود وتترصده. لقد ظهر ذلك جلياً حينما سافر أحد السودانيين إلى القاهرة وكان اسمه محمد طه الفكى، فتم القاء القبض عليه فى مطار القاهرة على أساس أنه هو محمود محمد طه. قامت قوات الأمن بأخذ الرجل من مطار القاهرة إلى مبانى وزارة الداخلية وتم التحقيق معه، على أساس أنه محمود محمد طه، ولم يطلق سراح الرجل حتى تدخلت السفارة السودانية فى القاهرة، وبعد أن تم فحص أوراقه ومراجعة تاريخ حياته.

ورد الخبر فى صدر الصفحة الأولى **لصحيفة أنباء السودان** فى الخرطوم، فى عددها الصادر يوم 25 أكتوبر 1958. جاء الخبر تحت عنوان: "محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة"[1]. يقول نص الخبر (أنظر ملحق رقم: "37"):

*سافر إلى القاهرة السيد محمد طه الفكى الموظف بمشروع الجزيرة لقضاء إجازة قصيرة مقدارها أسبوعان. ولم يكد يصل إلى العاصمة المصرية حتى ألقى عليه القبض وأخذ إلى وزارة الداخلية وحقق معه على أنه الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** والكاتب الحر الكبير.*

وبعد مراجعة تاريخ حياة السيد محمد طه الفكى وهويته وتدخل السفارة السودانية أطلق سراحه. وقد عاد الآن ليروى هذا الخبر.

(1) "محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 165، السبت 25 اكتوبر 1958، الخرطوم.

يوضح هذا الخبر أن اسم الأستاذ محمود محمد طه كان فى القائمة السوداء لدى الأجهزة الأمنية المصرية، وإنها لن تفوت الفرصة فى إلقاء القبض عليه، كما هو واضح فى حالة الاشتباه التى قبض بموجبها على السيد محمد طه الفكى، وتم التحقيق معه على أساس أنه محمود محمد طه. ومما يدل على أن الأمر يتصل بمواقف الأستاذ محمود السياسية من مصر ومن ثورة 23 يوليو ومن الرئيس عبدالناصر، هو أن الأجهزة الأمنية المصرية تسعى للقبض على الأستاذ محمود برغم أنه ليست لديه أى جنحة أو مخالفة قانونية أو جريمة مدونة فى محاضر الشرطة المصرية أو المحاكم المصرية. ولهذا، وبما أن الأستاذ محمود مطلوب لدى الأجهزة الأمنية المصرية فإن التوقعات بالأسوأ واردة ومتوقعة، خاصة إذا ما علمنا أن الأستاذ محمود استمر فى مواجهته وبقوة للرئيس عبدالناصر ولخطابه القومى. بل بلغت مواجهة الأستاذ محمود للرئيس عبدالناصر قمتها حينما أصدر الأستاذ محمود كتابين أيام انعقاد مؤتمر القمة العربى عام 1967، ضمنهما رأيه فى مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل)، ووصف جمال عبد الناصر بأنه فرض زعامته على العرب بالترغيب وبالترهيب، وأن قيادته قادت العرب من هزيمة إلى هزيمة، وجرت عليهم من العار ما سيبقى على صفحات التاريخ، إلى نهايةالتاريخ. كما قدم الأستاذ محمود تقويماً للمواقف المختلفة من مشكلة الشرق الأوسط، وعارض تأميم قناة السويس. كما وصف خطب جمال عبدالناصر بأنها جرت على العرب الهزيمة العسكرية، والهزيمة السياسية، والهزيمة الدبلوماسية. وكل هذا ما لا يمكن أن يمر دون انتقام. أقف فى المحور القادم عند الكتابين اللذين نشرهما الأستاذ محمود أيام انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم عام 1967، وهو المؤتمر الذى عُرف بمؤتمر اللاءات الثلاثة.

قمة المواجهة فى عام 1967 ومحكمة الردة فى عام 1968

رأى الأستاذ محمود فى مشكلة الشرق الأوسط وزعامة عبدالناصر للعرب

لقد كان الجمهوريون أول من دعا العرب إلى الاصطلاح مع إسرائيل انطلاقاً من تصور حضارى لمشكلة الشرق الأوسط... إن اقتراح الجمهوريين بالحل

السلمى لمشكلة الشرق الأوسط، والذى أُستنكر فى وقته، بدأ يتضح للكثيرين أنه اقتراح عملى[1].

سعد عبدالله أبو نورة[2]

ظل الأستاذ محمود فى نقد دائم وقوى لزعامة الرئيس عبدالناصر للعرب ودعونه

---

(1) سعد عبد الله أبونورة، "مقدمة الطبعة الثانية"، ضمن كتاب: محمود محمد طه، **التحدى الذى يواجه العرب**، ط2، أمدرمان، 1982، ص 8-9. من الملاحظة المهمة أن اثنين من تلاميذ الأستاذ محمود كانا ممن كتب مقدمات لكتبه. المقدمة الأولى كتبها عبدالرحمن عصام البوشى للطبعة الثانية من كتاب: **الثورة الثقافية**، وكانت طبعته الأولى قد صدرت عام 1972. حدثنى عصام البوشى فيما يتعلق بكتابته للمقدمة. أما المقدمة الثانية فقد كتبها سعد عبدالله أبو نورة لكتاب: **التحدى الذى يواجه العرب**، فى طبعته الثانية والتى صدرت فى عام 1982، وكانت الطبعة الأولى قد صدرت عام 1967.

(2) حدثنى سعد عبدالله أبو نورة، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، إنه وراء كتابته لمقدمة الطبعة الثانية من كتاب: **التحدى الذى يواجه العرب**، قصة. قال سعد: "كنت أجلس فى صالون الأستاذ محمود مع آخرين، فى يوم من أيام شهر يوليو من عام 1982، ونحن فى معيته، كان الحضور يتحدثون عن مشكلة الشرق الأوسط، مشكلة فلسطين، وخذلان الاتحاد السوفيتى للعرب. فأدليت برأيى قائلاً: "إن خذلان الاتحاد السوفيتى للعرب، وإن ما رشح عبر الصحافة العربية من أخبار تتصل بهزائم العرب بشأن مشكلة الشرق الأوسط، يؤكد صحة ما جاء فى كتاب **التحدى الذى يواجه العرب**، ويؤكد كذلك صحة ما جاء فى كتاب: **مُشكلة الشّرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**. فأثنى الأستاذ على حديثى، ثم قال لى: "طيب ما نطبع طبعة جديدة من كتاب: **التحدى الذى يواجه العرب**، وتكتب أنت مقدمة لها". قال لى سعد واصفاً حاله: غمرتنى سعادة وأنا استشعر حجم المسؤولية أمام هذا التشريف لشاب لم يتجاوز عمره وقتئذ خمسة وعشرين عاماً.. ذهبت وفى نحو أربعة أيام كتبت المقدمة، وعرضتها على الأستاذ محمود. أطلع الأستاذ محمود على المقدمة وعدل فيها الأخطاء اللغوية فى بعض المفردات ولكنه لم يغير شيئاً من العبارات أو الأفكار. بعدها تم الدفع بالكتاب للطباعة على الآلة الكاتبة وحمل على صدره المقدمة التى كتبتها، وكانت تلك هى الطبعة الثانية من الكتاب، بيد أنها كانت طبعة محدودة. وقد وجدت نسخة من هذه الطبعة لدى الأخ خلف الله عبود حينما وصلت مسقط، سلطنة عمان، للإقامة والعمل. (انتهى حديث سعد عبدالله أبو نورة). المصدر: مقابلات مع سعد عبدالله أبو نورة، تمت المقابلات عبر الهاتف، سعد بمدينة مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف فى الدوحة، 13 مايو 2013، الساعة 20:30؛ 14 مايو 2013، الساعة 19:30.

من المفيد الإشارة إلى أن المقدمة التى كتبها سعد أبونورة تقع فى الصفحات من 3 وحتى 12 صفحة. لقد أطلعت على المقدمة وعلى نسخة من الطبعة الثانية وقد زودنى بها سعد عبدالله أبونورة. كانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد نشرت فى سبتمبر عام 1967، كما وردت الإشارة آنفاً، ثم فى عام 2009 طبعت طبعة أخرى، اعتمدت على نسخة الطبعة الأولى التى نشرت عام 1967، فلم تتضمن مقدمة سعد عبدالله أبو نورة، ولم يكن هناك سبب، كما أفادنى سعد، سوى أن الطبعة الثانية التى تصدرتها مقدمته نشرت ولكن فيما يبدو لم تنشر على نطاق واسع، وبرغم امتلاك البعض لنسخ منها، إلا أن كثير من تلاميذ الأستاذ محمود لم يطلع عليها. الشاهد أن طبعة عام 2009 ضمت كتابين، وجاءت بعنوان: محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق، وتصدرتها مقدمة كتبها بالاشتراك كل من: أسماء محمود محمد طه والنور محمد حمد.

للقومية العربية. ورأى فى خطاب عبدالناصر القومى أن خطبه أسباب هزيمة العرب وهى العار الذى لحق بالعرب. عبر الأستاذ محمود عن نقده ومعارضته بالبيانات والخطابات والمقالات وفى المحاضرات العامة.هذا إلى جانب كتابات تلاميذ الأستاذ محمود، لا سيما تلميذه عبداللطيف عمر حسب الله. لقد كتب عبداللطيف العديد من المقالات المنشورة فى الصحف السودانية من تلك المقالات (مجرد مثال): مقال نشر بتاريخ 1958/10/18 ونشر بصحيفة أنباء السودان، وكان بعنوان: "حول: الخطوة التالية لعبد الناصر هى السودان"[(1)] وغيره. استمر الأستاذ محمود فى كتاباته الناقدة والمعارضة للرئيس عبدالناصر ففى يوم 5 سبتمبر عام 1967 نشر كتاباً بعنوان: **التحدى الذى يواجه العرب**[(2)].وعن التحدى الذى يواجه العرب، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "التحدى الذى يواجه العرب اليوم هو فى الحقيقة نصيبهم من التحدى الذى يواجه البشرية المعاصرة جمعاء.. والتحدى الذى يواجه البشرية هو أن موطنها الذى تعيش فيه اليوم- هذا الكوكب الذى نعيش فيه- قد انكمش وأصبح صغيراً، بفضل الله، ثم بفضل سرعة المواصلات الحاضرة، حتى لقد أصبح الناس -كل الناس- جيراناً، بعضهم لبعض وأصبح مطلوباً اليهم ان يتعايشوا فى حسن خلق، وحسن معاملة، وفى سلام، وإلا فما تطيب حياة لجيران يتشاكسون كل صبح جديد"[(3)].

ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "بإيجاز فإن التحدى الذى يواجه البشرية اليوم هو أن الكوكب الذى نعيش فيه قد اكتملت له الوحدة المكانية، وقد أصبح يتطلب من البشرية التى تعيش فيه أن تحقق الوحدة الفكرية بين أفرادها حتى يستطيعوا أن يتعايشوا فى سلام- إن لم نقل يعيشوا فى سلام- مع اختلاف ألوانهم، ولغاتهم، وعاداتهم، وعقائدهم، فإن هم عجزوا عن ذلك فسيكون مصيرهم مصير كل الأحياء الذين عجزوا عن أن يوائموا بين حياتهم وبين بيئتهم- وقد جرت بذلك سنة الأولين"[(4)]. كما تناول هزيمة العرب العسكرية والدبلوماسية، وحيرة المسئولين فى السودان، والتيه الذى فيه العرب، والتحدى

---

(1) عبداللطيف عمر، "حول: الخطوة التالية لعبد الناصر هى السودان"، (آراء صريحة)، **أنباء السودان**، العدد 164، 1958/10/18.

(2) محمود محمد طه، التحدى الذى يواجه العرب، ط1، أمدرمان، 1967؛ محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص 25.

(4) المصدر السابق، ص 25-26.

الذى يواجه العـرب والبشرية. وتحـدث عن القوميـة العربية ووصـفها بأنهـا دجل، وكتب قائلاً: "فـإن الدجل الحاضر لن يرقى الى طمس الحـقائق العلميـة وهى متوفرة ودامـغة بأن العرب لم يدخلوا التـاريخ فى القرن السابع الميلادى كـعرب وانما دخلوه بعد أن أصـبحوا مسلمين وهم لن يدخلوه فى القـرن العشرين كعرب وإنما سيـدخلونه اذا رجعوا الى ربهم وإلى دينهم، فأصبـحوا مسلمين"[1]. وتناول محوراً بعنوان: يهـود يحاربون يهوداً، وتناول القضيـة الفلسطينية، ثم اقتـرح حلاً للقضيـة الفلسطينية يقوم على مرحلتـين: الحل العاجل والحل الآجل، سيرد الحديث عن الحل بمرحلتيه لاحقاً.

وفى أكتـوبر من عام 1967 نشر الأسـتاذ مـحمـود كتاباً آخـر بعنوان: **مُشكلـة الشَّرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**[2]. نشر الكتابان فى طبعتهما الأولى عام 1967 فى مناخ وأيام انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم (8/29 - 1967/9/1)، الذى ضم إلى جانب رئيس الوزراء السـودانى محمد أحـمد المحجوب، كلاً من الرئـيس جمال عبدالناصـر والملك فيصل بن عبدالعـزيز آل سعود (1906-1975). وقد عُرف المؤتمر بمؤتمر اللاءات الثلاثة (لا صلـح لا اعتراف ولا تفـاوض مع إسرائيل). وقد أعـيد نشـر الكتابين مـرات عديده آخـرها كان فى عـام 2009[3]. تناول الأسـتاذ مـحمـود فى كـتاب الشـرق الأوسط قضـية فلسطين، وتأميم قناة السـويس، والعدوان الثلاثى الأول، والثـانى. وتحدث عن أخطاء الزعـمـاء العـرب، وقلّة حنكـة الزعـماء الـعرب السـيـاسـيـة والدبلومـاسـيـة والعسكرية، وعدم صدقهم. وتحدث عن الشيوعـيين وكيف أنهم ورطوا جمال عبد الناصر فى الأخطاء. وتناول محـوراً بعنوان: البحث عن كـبش الفداء. وتناول خطب عبـدالناصر وكـيف أنها كـانت من أسبـاب هزيمـة العرب. وتحـدث عن غرور الزعـامة، والرضـا عن النفس وتحـقيـر شأن العـدو، وتناول الزعمـاء العـرب وكيف أنهم كـانوا سبـباً فى هزيمـة العرب. وقـدم قراءة تاريخـية شـاملة لليهـود فى التاريخ، وفـتح فلسطين، ومملكة اليـهود،

(1) المصدر السابق، ص 30-31.

(2) محمود محمد طه، **مُشكلة الشَّرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

(3) لقد نشرت الشـركة العالمية للطباعة والنشـر الكتابين فى كتاب واحد، وجاء العنوان وبيـانات النشر على النحو التالى: محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

وإعـادة بناء الهـيكل، وجمـهـورية يهودا. وتحـدث عن العنصـرية الإسـرائيليـة، والحركـة الصهـيونيـة، ومشكلةفلسطين، وتناول الانتـداب وهجرة اليـهود، ومعـارضة وعـد بلفور، وقرار التقسيم ومقاومته. وتـناول مشكلة اللاجئين، وتحدث عن أن الاعتراف بإسرائيل من مصلحة العرب. وتناول دور الروس والأمم المتحدة فى مشكلة الشرق الأوسط.

ودعا الأسـتاذ محمـود إلى الأخذ باقتـراحه بالحل على مرحلتـين: الحل العاجل والحل الآجل. ودعا إلى شجاعة المواجهة والمفاوضات المبـاشرة، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "فإن اعتـراف العرب بإسـرائيل واقعـياً، وعملـياً حاصل، وكل المشـاريع التى تقدم فى المـنظمة العـالمية الآن ترمى إلى تسـجيل هـذا الاعتـراف. لا يختلف فى ذلك أصـدقاء العـرب، أو أصدقـاء إسرائيل. ولعل كل ما هناك من اختـلاف بين الفريقين هو هل يكون الجـلاء قبل تسـجيل هـذا الاعتـراف أم بعـده؟؟ وهناك إصرار إسـرائيل على التـفـاوض المباشـر"[1]. وأضاف الأسـتـاذ محمود قـائلاً: "وأمام هذا الإصرار فان اسـرائيل ستكون مسـتـعدة لتنازل كبيـر، قد لا يكون ممكناً بغير قوة المسـاومة التى يحملها هذا الاعتـراف من جانب العرب، ومن مصلحة الـقضية العربيـة ألا تضيع قوة المساومـة هذه بتمسك العرب بعـدم الاعتراف اللفظى، مع أن الاعـتـراف عـملـيـاً واقع، ومع الزمن، فـإن اسـرائيل سـتـحـصل على هذا الاعتراف، بدون أن تدفع عليه ثمنا كافياً للعرب"[2]. وعن صعوبة الاعتراف على الزعماء العرب يقول الأستاذ محمود: "ونحن نعلم صـعوبة الاعتراف على الزعماء العرب، ولكننا لا نحـترمهـا، ذلك بأنهـا صعوبة تـقوم على الكبـرياء الزائف، وعلى المظهر الفـارغ، وهى تستهدف خـداع الشعوب العربية، ذلك بأن الزعماء قـد ظلوا يحدّثونها، على طول المدى، عن رمى دولة اسرائيل فى البحر"[3]. ثم أشار الأستاذ محمود إلى مؤتمر القمة العربية الذى عقـد فى الخرطوم قـبل نحو شهـر من صدور الكتـاب عام 1967، وقد عُرف كـما وردت الإشارة، بمؤتمر اللاءات الـثلاثة. كتب الأسـتاذ مـحمود قـائلاً: "وحتى فى مـؤتمر الخرطوم الذى التقى فيه هؤلاء الزعماء مؤخـراً لـم ينسوا، تمشياً مع الأوهام القديمة، المزمنة، والمعلنة على الشـعـوب، أن يعلنوا، من جـديد، أنهـم سيعـملون على تحـقـيق انسـحاب القـوات

(1) المصدر السابق، ص 152.
(2) المصدر السابق، ص 152.
(3) المصدر السابق، ص 152.

الإسرائيلية من الأراضى العربية التى احتلتها فى الحرب الأخيرة (وذلك فى نطاق المبادئ الأساسية التى تلتزم بها الدول العربية وهى: عدم الصلح مع اسرائيل، أو الاعتراف بها. وعدم التفاوض معها)"(1).

اقتراح بحل مشكلة الشرق الأوسط قبل نصف قرن من طرح المبادرة السعودية "الشجاعة" بُعد النظر الأسطورى والبصيرة السياسية النافذة: المبادرة الباكرة بالحل العاجل والحل الآجل

وأصاب [الأستاذ محمود] قبل ذلك حينما دعا العرب (ببعد نظر اسطورى وبصيرة سياسية فريدة). للاعتراف بإسرائيل فتجاهلوه أو استهجنوا قوله. اضطروا لقبول رأيه بعد نصف قرن وعرضوا على إسرائيل الاعتراف وحسن الجوار "فى الخطة السعودية التى باركتها سائر الدول العربية" فلم تقبل إسرائيل لأنها صارت قوة نووية تقف على كتف الدولة العظمى الوحيدة ولا يرضى شارونها وأقصى اليمين الأصولى - المتطرف الذى يؤيده بأقل من مصير الهنود الحمر للشعب الفلسطينى (2).

خالد المبارك

قدم الأستاذ محمود فى عام 1967 اقتراحاً لحل قضية فلسطين على مرحلتين: حل عاجل وحل آجل. كتب الأستاذ محمود اقتراحه ونشره فى كتابين من كتبه، الأول: **التحدى الذى يواجه العرب**، والكتاب الثانى: **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، ليقرأه الرؤساء والملوك والزعماء والقادة والمثقفون والناس فى الشارع. هكذا كان منهج الأستاذ محمود فى المواجهة وفى تقديم الخدمات التنويرية، كان يحرص على تمليك الناس فى الشارع المعلومات بل يجعلهم شركاءً وشهوداً على رؤيته وأطروحاته وسجالاته مع الآخرين. يكتب رؤيته وينشرها سواء فى كتاب أو بيان أو منشور أو مقال. نشر الأستاذ محمود اقتراحه قبل مبادرة السلام العربيةبخمسة وثلاثين عاماً. كانت مبادرة السلام العربية فى عام 2002، وهى مبادرة أطلقها الملك عبد الله بن

(1) المصدر السابق، ص 152.
(2) خالد المبارك، "مفكرة سودانية بريطانية.. محمود محمد طه وأنصاف الحقائق"، **صحيفة الرأى العام**، بتاريخ 18 نوفمبر 2002.

عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية. هدفها إنشاء دولة فلسطينية معترف بها دوليًا على حدود 1967 وعودة اللاجئين وانسحاب من هضبة الجولان المحتلة، مقابل اعتراف وتطبيع العلاقات بين الدول العربية مع إسرائيل، وكانت فى عام 2002. وقد تم الإعلان عن مبادرة السلام العربية فى القمة العربية فى بيروت. وقد نالت هذه المبادرة تأييداً عربياً[1]. حينما اقترح الأستاذ محمود فى عام 1967 ما اقترحته المبادرة السعودية عام 2002، وُصف الأستاذ محمود بالعمالة والصهيونية ...إلخ، بينما وسمت المبادرة السعودية بالمبادرة الشجاعة، ووجدت التأييد العربى والتبنى من قبل جامعة الدول العربية. ولأهمية المقاربة بين اقتراح الأستاذ ومبادرة السعودية، وحتى يكون القارئ طرفاً فى التقويم والشهادة، استميحه عذراً بأن أورد اقتراح الأستاذ محمود لحل قضية فلسطين عام 1967 كاملاً، وأورد كذلك المبادرة العربية للسلام عام 2002.

اقتراح الأستاذ محمود عام 1967 لحل قضية فلسطين

الحل على مرحلتين[2]

هل تريدون الحق؟ إذن فأسمعوا!! إن العرب لم يرزأوا فى دينهم، ولا فى دنياهم بمثل ما رزئوا به بدجل القومية العربية[3].

محمود محمد طه

مرحلة عاجلة، ومرحلة آجلة: فأما المرحلة العاجلة فهو حل سياسى، ومرحلى، فى نفس الأمر، وهو حل يقتضيه حل المرحلة الآجلة.. وهذا وحده الحل المستديم السليم.. وبالحل المرحلى، العاجل، يستطيع العرب أن يرجعوا الى نقطة الاعتدال بين الكتلتين:

(1) "النص الحرفى لـ (مبادرة السلام العربية)"، **من موقع إسلام ويب**، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 2013/3/3، الموقع على الإنترنت: http://www.islamweb.net؛ "نص مبادرة السلام العربية (المبادرة السعودية)"، **من موقع المركز الفلسطينى للتوثيق والمعلومات**، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) الموقع على الإنترنت: http://www.malaf.info

(2) محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق، ص 32-34، 158-168.

(3) المصدر السابق.

الكتلة الشرقية، والكتلة الغربية. وهى النقطة التى فيها يقومون مقام الكتلة الثالثة ـ وهى كتلة لا شرقية ولا غربية ـ ومقامها قد قامه قديما أوائلنا، وقاموه من جميع الوجوه، وقد قال الله تبارك وتعالى عنهم، (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً).

وهذا الحل العاجل قد يقضى على العرب أن يدفعوا ثمن أخطائهم السياسية الكثيرة، وهو ثمن سيكلفهم شيئاً من كرامتهم، وشيئاً من مصلحتهم، مؤقتاً، ريثما يستعيدون كرامتهم الحقة، ومصلحتهم الحقة. ثم أنهم بنفس هذا الثمن سيشترون هدنة هم فى أمس الحاجة اليها ليباشروا حل مشكلتهم حلاً، علمياً، شافياً، ونهائياً. وهو ما أسميناه الحل الآجل، ويتمثل فى أدنى منازله فى إعادة بناء الجبهة الداخلية.. فاذا تفطّن العرب الى حقيقة المشكلة فانهم لن يتحدثوا إلا عن الحل السياسى، وبأى ثمن، ذلك بأن الحل العسكرى غير ممكن، على الإطلاق، وذلك لأمر بسيط، وهو أن العرب لا يحاربون دولة اسرائيل، وانما يحاربون، من ورائها، دول أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا الغربية.. وهم قد التزموا بالمحافظة على حدود دولة إسرائيل، حسب ما يعطيها قرار التقسيم الذى اتخذته الأمم المتحدة فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام 1947 ـ التزم بذلك، منذ عام 1950، كل من الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، يضاف إلى هذا الالتزام أن المنطقة قد أصبحت منذ تأميم قناة السويس فى السادس والعشرين من شهر يوليو عام 1956 منطقة نزاع بين الشيوعية الدولية، والاستعمار الغربى، كما سبقت الى ذلك الاشارة فى هذا السفر. ومن أجل ذلك فلن يسمح الغرب للعرب بالانتصار على دولة إسرائيل، لأن هذا الانتصار يمثل عندهم انتصار الشيوعية الدولية عليهم ـ الوضع أصبح يشبه الوضع فى فيتنام.

ثم ان الحالة، المتوترة، الحاضرة، ليست فى مصلحة أحد غير الاتحاد السوفيتى. وهى حالة كلما طالت وجدت الشيوعية الفرصة لتضليل الشعوب العربية. وذلك عمل يباعد بين هذه الشعوب وبين دينها، وهو، من ثم، يتهددها بأخطار أكبر مما تتهددها بها دولة اسرائيل.

الحـل العـاجـل

إن على العرب ان يعلنوا للعالم على الفور أنهم، إيثاراً منهم لعافية الدول، وتضحية منهم فى سبيل السلام العالمى، وإبقاء منهم على المنظمة العالمية العظيمة، ورعاية منهم لصالحهم هم انفسهم، يقبلون التفاوض مع دولة إسرائيل، تحت إشراف الامم المتحدة، (ومجلس الامن بشكل خاص) وعلى أن يكون التفاوض على أساس قرارى الامم المتحدة، المتخذين فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام 1947 (قرارالتقسيم)، وفى الحادى عشر من ديسمبر عام 1948 (قرار إعادة اللاجئين). وهما القراران اللذان التزمت بهما دولة اسرائيل لدى دخولها هيئة الامم، وقد وردت إلى ذلك الالتزام الاشارة فى القرار الذى اتخذته الجمعية العامة فى الحادى عشر من شهر مايو عام 1949، وهو القرار الذى يقضى بقبولها فى الهيئة، وينص" فى ديباجته" على أن إسرائيل قد تعهدت باحترام التزاماتها تجاه ميثاق الأمم المتحدة منذ قيامها، أى فى الرابع عشر من آيار (مايو) عام 1948، كما ينص على التذكير بقرارى 29 تشرين الثانى (نوفمبر) عام 1947 (قرار التقسيم)، والحادى عشر من كانون الأول (ديسمبر) عام 1948"قرارإعادة اللاجئين"). عن كتاب (قضايانا فى الأمم المتحدة)..
وسيكون هدف المفاوضة المباشرة مع اسرائيل تحت اشراف مجلس الأمن، الآتى:

1- إنهاء حالة الحرب التى ظلت قائمة بين العرب وإسرائيل، والاعتراف لإسرائيل بحق البقاء فى سلام، وأمن. واحترام لسيادتها على أراضيها.

2- احترام حق اسرائيل فى المرور البرىء بالممرات المائية- خليج العقبة، وقناة السويس.

3- انسحاب القوات الاسرائيلية، والسلطات الاسرائيلية، من الأراضى العربية التى احتلتها اسرائيل على التوالى: فى حروب 15 مايو عام 1948، و29 أكتوبر عام 1956، و5 يونيو عام 1967.

4- إرجاع اللاجئين العرب الذين أخرجوا من ديارهم، أثناء هذه الحروب، أو بعدها، وتعويضهم عن جميع ما تعرضوا له من خسائر. وتوطين من لا يرغبون منهم فى العودة إلى داخل الحدود الإسرائيلية، فى الأرض الفلسطينية، التى خصصها مشروع التقسيم

الأصلى للعرب، مع تعويضهم أيضاً.. وهذا يعنى تنفيذ مشروع التقسيم الأصلى.

5- ضمان مجلس الأمن (الامم المتحدة) لحدود الدولة العربية الجديدة، التى تنشأ نتيجة لتنفيذ مشروع التقسيم الأصلى، ولتأكيد هذا الضمان توقف، على الفور، الهجرة اليهودية إلى دولة إسرائيل، وذلك لأن زيادة السكان الناتجة عن استمرار الهجرة ستجعل اسرائيل مضطرة إلى التوسع، وقد تصبح مهددة بذلك لأمن جيرانها، وسلامة أراضيهم.

6- تأخذ هيئة الامم على دولة إسرائيل تعهداً بألا تحاول أى توسع فى أرض أى من الدول العربية المجاورة لها. فإذا جرت منها أية محاولة فإن مسئولية إيقافها عند حدها تقع على عاتق المنظمة الدولية، مجلس الأمن والجمعية العامة.

فإذا ملك الزعماء العرب هذه الشجاعة، وهى شجاعة سيحتاجونها لمواجهة شعوبهم، (وذلك، على كل حال، أفضل من التضليل الذى يمارسونه الآن) فإن موقف إسرائيل سيصبح ضعيفاً.. ولكنها أمام إغراء اعتراف العرب بها، وأمام الرأى العام العالمى، فى المنظمة وخارجها، لن تجد بداً من الموافقة. فاذا ما أبرم الحل العاجل بصورة مرضية فقد أصبح على العرب أن يباشروا الحل الآجل.

الحل الآجل

أول ماتجب الاشارة اليه هو أن العرب اليوم يواجهون تحدياً حاسماً، وليس هذا التحدى هو قيام دولة إسرائيل فى أرض فلسطين، بعد أن اقتطعتها، وشردت أهلها، واعانها، على كل أولئك، قوم آخرون، فى طليعتهم الشيوعية الدولية التى تدعى صداقة العرب اليوم، وتتباكى على مأساتهم.. بل إن النظر العميق فى حقيقة هذا التحدى ليظهر دولة إسرائيل وكأنها صديق فى ثياب عدو.. أو انها نعمة فى ثوب نقمة.

واما التحدى الحاسم الذى يواجه العرب فإنه يتمثل فى أن منطق تطور الحياة البشرية المعاصرة فى هذا الكوكب يقول للعرب أن عليكم، منذ اليوم، أن تدخلوا التاريخ فى القرن العشرين، كما دخله أوائلكم فى القرن السابع، فأشرقت بدخولهم على عالم يومئذ شمس مدنية جديدة.. أو أن تخرجوا عن التاريخ، لبقية التاريخ..

وفحوى هذا التحدى الحاسم هو أن العرب اليوم لا يعيشون حاضرهم، ولا يعيشون ماضيهم. فأما حاضرهم فهو عصر الحضارة الغربية، العلمية الآلية، الذى، وإن تأخرت فيه الأخلاق، وانحطت القيم، فقد بلغ فيه التقدم التكنولوجى مبلغاً فاق أحلام أصحاب الأحلام، وبلغ فيه تطور الآلة وتطويعها لخدمة الإنسان مبلغاً غير وجه الحياة.. ولكن العرب لا يعيشون إلا على هامشه.. فهم لا يصممون الآلة.. ولا يصنعونها، ولا يحسنون حتى صيانتها، ولا استعمالها.

وأما ماضيهم فقد كان عهد التقوى، والإيمان، والقيم الرفيعة، والسيرة المستقيمة، والخلق العبق، السجيح، والنجدة، والرجولة، والتضحية، والإيثار، والصدق! الصدق! الصدق!.

ولكن العرب اليوم لا يعيشون إلا على هامشه، أيضاً، فهم قد تشربوا أخلاق المدنية الغربية، وجاروا أهلها فى مباذلهم، فأفقدتهم أصالة دينهم، ولم يبلغوا من أصالتها هى طائلا. فأصبحوا يعيشون على قشور من الإسلام، وعلى قشور من المدنية الغربية.. أو قل، إن أردت الدقة، انهم لا يعيشون، وإنما تقوقعوا، وتحجروا، وأصبحت حركتهم لا تنبعث منهم، وإنما تنبعث عن عوامل خارجة عن محيطهم، وعن إرادتهم.. أن العرب اليوم لا يوجهون التاريخ، ولا هم يسهمون فى توجيهه وانما ينساقون خلفه ويعيشون على هامشه..

ويزيد فى حسم التحدى الحاسم الذى يواجه العرب عدة أمور: منها أولا، أن المدنية، الغربية، الآلية، الحاضرة قد أعلنت إفلاسها، ووصلت الى نهاية مقدرتها التطورية، وعجزت عن استيعاب طاقة بشرية اليوم، وتطلعها الى تحقيق الاشتراكية والديمقراطية فى جهاز حكومى واحد.. لأن الانسان المعاصر يريد الحرية، ويرى أن الاشتراكية حق طبيعى له، ووسيلة لازمة لتحقيق هذه الحرية. ومن خطل الرأى عنده، أن يطلب إليه، ان يتنازل عن حريته لقاءِ تمتعه بالحقوق التى تكفلها له الاشتراكية، كما تريد له الشيوعية الماركسية أن يفعل، أو أن يطلب إليه أن يحقق حريته الديمقراطية فى ظل نظام اقتصادى رأسمالى لا تتوفر له فيه حاجة المعدة والجسد، إلا بشق الأنفس، كما تريد له الرأسمالية الغربية. وقد عمّق إفلاس هذه المدنية، وعجزها، شعور البشرية المعاصرة بالحاجة الى بزوغ

شمس مدنية جديدة، تلّقح الحضارة الغربية الآلية الحاضرة، وتنفخ فيها روحاً جديداً به يتسق التناسق بين التقدم التكنولوجى، والتقدم الخلقى، وبذلك تصبح المدنية الغربية الحاضرة قادرة على التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة.

ومنها ثانياً، أن العرب يعيشون فى منطقة هى سرة العالم، وعندها تلتقى القارات الثلاث: أوروبا، وآسيا، وأفريقيا، وهى منطقة صنع فيها التاريخ، ومنذ فجر التاريخ، ولا يزال يصنع، ولقد نشأت فيها، وعلى صلة بها، والتقت على أرضها جميع المدنيات، وبخاصة تلك التى تجمع بين المادة والروح ـ بين الإشتراكية والديمقراطية ـ وتطلب للإنسان الرغيف لأنه لا يعيش بدونه، وتطلب له، وراء الرغيف، الحرية لأنه لا يعيش بالرغيف وحده: (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من الله) كما يقول المسيح، أو (الدنيا مطية الآخرة) كما يقول النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

ومنها، ثالثاً، أن العرب ـ دون سائر الناس ـ هم أهل الكتاب، هم أهل القرآن، والقرآن هو روح الله الذى اذا نفخ فى هيكل الحضارة الغربية، الآلية، العملاقة الحاضرة عادت اليه الحياة، واستقامت فيه موازين القيم، وملك القدرة على ان يسير بالبشرية إلى منازل السلام..

ومنها، رابعاً، إن الزمان قد أستدار استدارة كاملة، وأصبحنا نعيش اليوم فى فترة تؤرخ نهاية عهد وبداية عهد.. وأصبحت منطقة العرب مسرحاً لصراع حضارى جديد، هو الصراع بين الحضارة الغربية الآلية كما يمثلها اليهود، فيحسنون تمثيلها، كل الإحسان، وبين المدنية الإسلامية (الروحية ـ المادية) كما يمثلها العرب، فيسيئون تمثيلها، كل الإساءة.. وستكون نتيجة هذا الصراع الحضارى، مولد المدنية الجديدة المرتقبة، إن شاء الله، ولكن على العرب أن يهبوا، وأن ينهضوا، وأن يحسنوا تمثيل المدنية الإسلامية فى كفاءة، وكفاية، حتى يتم التزاوج والتلاقح. ولو أن العرب كانوا فى مستوى كاف من الكفاءة والكفاية، لما نشأت بينهم دولة إسرائيل، بالصورة التى بها نشأت.. ولكنهم احتاجوا إلى نشأة اسرائيل، بينهم لتوقظهم من غفلتهم، ولتنبههم الى تقصيرهم فى حق ربهم، وفى حق أنفسهم، وفى حق البشرية عامة!.

النص الحرفى لـ(مبادرة السلام العربية)[1]

تبنت القمة العربية الرابعة عشرة التى انعقدت فى بيروت يومى الأربعاء والخميس فى 27 و28 آذار، مارس 2002 بـ"الإجماع" مبادرة السلام السعودية لإنهاء النزاع العربى الإسرائيلى وأصدرتها فى نص منفصل عن البيان الختامى تحت عنوان "مبادرة السلام العربية" قرأه أمين عام جامعة الدول العربية عمرو موسى فى مؤتمر صحفى عقد الخميس بعد اختتام أعمال القمة.

فى ما يلى النص الحرفى لمبادرة السلام العربية:

مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة المنعقد فى دورته الرابعة عشرة.

■ إذ يؤكد ما أقره مؤتمر القمة العربى غير العادى فى القاهرة فى حزيران، يونيو 1996 من أن السلام العادل والشامل خيار استراتيجى للدول العربية يتحقق فى ظل الشرعية الدولية، ويستوجب التزاماً مقابلاً تؤكده إسرائيل فى هذا الصدد.

■ وبعد أن استمع إلى كلمة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولى عهد المملكة العربية السعودية، التى أعلن من خلالها مبادرته داعياً إلى انسحاب إسرائيل الكامل من جميع الأراضى العربية المحتلة منذ 1967، تنفيذاً لقرارى مجلس الأمن (242 و338) واللذين عززتهما قرارات مؤتمر مدريد عام 1991 ومبدأ الأرض مقابل السلام، وإلى قبولها قيام دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة وعاصمتها القدس الشرقية. وذلك مقابل قيام الدول العربية بإنشاء علاقات طبيعية فى إطار سلام شامل مع إسرائيل.

■ وانطلاقاً من اقتناع الدول العربية بأن الحل العسكرى للنزاع لم يحقق السلام أو الأمن لأى من الأطراف.

1- يطلب المجلس من إسرائيل إعادة النظر فى سياساتها، وأن تجنح للسلم معلنة أن السلام العادل هو خيارها الاستراتيجى أيضا.

---

(1) "النص الحرفى لـ (مبادرة السلام العربية)"، مرجع سابق؛ "نص مبادرة السلام العربية (المبادرة السعودية)"، مرجع سابق.

2- كما يطالبها القيام بما يلى:

أ- الانسحاب الكامل من الأراضى العربيـة المحتلة بما فى ذلك الجولان السورى وحتى خط الرابع من يونيو (حزيران) 1967، والأراضى التى ما زالت محتلة فى جنوب لبنان.

ب- التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194.

ج- قبول قيـام دولة فلسطينيةمستقلة ذات سيـادة على الأراضى الفلسطينية المحتلة منذ الرابع من يونيو (حزيران) فى الضفة الغربية وقطاع غزة وتكون عاصمتها القدس الشرقية.

1- عندئذ تقوم الدول العربية بما يلى:

أ- اعـتبـار النزاع العربى الإسـرائيلى منتـهيـاً، والدخول فى اتفـاقيـة سلام بينهـا وبين إسرائيل مع تحقيق الأمن لجميع دول المنطقة.

ب- إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل فى إطار هذا السلام الشامل.

2- ضـمـان رفض كل أشكال التـوطين الفلسطينـى الذى يتنافى والوضع الخـاص فى البلدان العربية المضيفة.

3- يدعو المجلس حكومـة إسرائيل والإسرائيليـين جميعـاً إلى قبول هذه المبـادرة المبينة أعلاه حماية لفرص السلام وحقنا للدماء، بما يمكن الدول العربية وإسرائيل من العيش فى سلام جنباً إلى جنب، ويوفر للأجيال القادمة مستقبلاً آمناً يسوده الرخاء والاستقرار.

4- يدعو المجلس المجتمع الدولى بكل دوله ومنظماته إلى دعم هذه المبادرة.

5- يطلب المجلس من رئاسـته تشكيل لجنة خاصـة من عدد من الدول الأعضـاء المعنية والأمين العام لإجراء الاتصالات اللازمة بهذه المبادرة والعمل على تأكيد دعمها على كافة المستويات وفى مقـدمتها الأمم المتحدة ومجلس الأمـن والولايات المتحدة والاتحاد الروسى والدول الإسلامية والاتحاد الأوروبى.

الشاهد أن الأسـتاذ مـحمود فى اقـتراحه آنئـذ كان يتكلم عن حـدود عام 1948، بينما تتحدث المبادرة العربية الآن عن حدود عام 1967، وشتان ما بين الاثنين، وشتان كذلك بين

ما جاء فى التفاصيل الأخرى عند المقاربة بين النصين. حينما طرح الأستاذ محمود اقتراحه فى ذلك الوقت ضجت الخرطوم وتبارى الناس فى النعوت للأستاذ محمود. كانت السوح السياسية والفكرية فى السودان منذ بداية الحوار عبر مخرجات التعليم الحديث الذى نشأ مع فواتح القرن العشرين، وحضور طلائع المتعلمين فى الشارع السودانى، كانت تلك السوح فى صراع عنيف وحوار قاسٍ وبلا أسس أخلاقية وعلمية. يقول محجوب عروة،وهو أحد العاملين فى مجال تقديم الخدمات التنويرية مؤسساً لبعض الصحف ورئيساً لتحرير بعضها الآخر،معترفاً اعترافاً شجاعاً، يقول عروة:

*قبل أكثر من أربعين عاماً وتحديداً عقب هزيمة العرب يونيو 1967 على يد الإسرائيليين الصهاينة، قرأت كتاباً لرئيس **الحزب الجمهورى السودانى** الأستاذ محمود محمد طه بعنوان: **مشكلة الشرق الأوسط.. تحليل سياسى.. استقراء تاريخى.. حل علمى**.. وأعترف بأن خلافنا الفكرى والسياسى معه إضافة إلى حالة الهزيمة النكراء فى حرب يونيو والجوالمشحون بالآلة الإعلامية العربية وحالة العداء مع الصهاينة التى تدعمها أمريكا والغرب عموماً وما يحدث فى فيتنام لم تكن استجابتنا لما كتبه بشكل موضوعى خاصة حول مشكلة فلسطين أو الشرق الأوسط.. لقد كانت لاءات الخرطوم الثلاث (لا صلح لا اعتراف ولا تفاوض مع إسرائيل) هى التى تقود الفكر والحركة السياسية... لما أعدت قراءة كتاب الأستاذ محمود محمد طه وجدت فيه عجباً وكأنى أقرؤه لأول مرة..*[1].

مثل هذا الاعتراف الذى تضمنه مقال محجوب عروة، فى تقديرى من الاعترافات الشجاعة التى تعين على ترفيع مستوى السجال والحوار، وتسهم فى التعافى وتغذى خيال السلام، وتأتى بالموضوعية وتؤسس للدخول السليم للمستقبل. وبرغم أن الاعتراف جاء متأخراً، إلا أن فيه شيئاً من الشجاعة، ويحمل الكثير من الدلالات والمضامين. أهم تلك الدلالات أن الخلاف الفكرى والسياسى مع الأستاذ محمود تسبب فى إحجام الكثير من المثقفين والساسة من القراءة والتفاعل مع ما كتبه الأستاذ محمود، بشكل موضوعى، ليس بشأن مشكلة فلسطين والشرق

---

(1) محجوب عروة، "الفكر الجمهورى ومشكلة فلسطين"، **صحيفة السودانى**، العدد رقم: 1161، بتاريخ 2009/2/5.

الأوسط فحسب؛ وإنما تنسحب هذه اللا موضوعية فى قراءة آراء الأستاذ محمود، فى مختلف القضايا، وقد كتبها الأستاذ محمود ونشرها وقالها محاضراً، منذ وقت باكر.

سيناريو محكمة الردة واتساع التحالف ضد الأستاذ محمود

تشكيل محكمة الشعب فى القاهرة ومناخ الأحكام بالخيانة للوطن والردة عن الإسلام

نحن قلنا أنو مسألة محكمة الردة دوافعها سياسية قولاً واحداً. وسياسية مُش [ليست] داخلية فقط. فى (هناك) نفوذ مصرى فى المسألة دى [هذه]. مواجهتنا نحن الحركة الجيش المصرى اللى [التى] بدت [بدأت] فى سنة 1952 فى يوليو نحن الجمهوريين فى 18 أغسطس سنة 52 شيّعنا جواب لرئيس الحركة وقتها... عارضنا ونحن على مدى الوقت معارضين للاتجاه المصرى فى حركة الجيش"[1].

محمود محمد طه

لقد قاد الأستاذ محمود مواجهة قوية لثورة 23 يوليو فى مصر، والثورة قد بلغت أقصى حالات عنفوانها، بقيادة جمال عبدالناصر الزعيم الذى عمَّ صيته الآفاق. ما كان يمكن لمعارضة الأستاذ محمود ومواقفه تجاه مصر، مصر الرسمية ومصر الأزهر، أن تمر بلادفع ثمن، كان لابد من عقوبة سياسية. فقيام الثورة المصرية منذ عام 1952 مثّل تغييراً كبيراً فى موازين القوى، كما أن التأثير المصرى آنذاك، نهاية عقد الستينيات، كان تأثيراً قوياً فى واقع السودان، وتأثيره كان شديداً فى السياسة السودانية. يقول الأستاذ محمود: "التدخل المصرى فى السودان فى المرحلة [.....] الحاضرة وجد فرصة ما وجدها فى الماضى.. لعلو وإلى حد كبير لضعف **حزب الأمة** الحاضر ولمشاركتوا فى حكم مع الاتحاديين الكانوا أصلهم مديونين للمصريين. أصبح ميدان المراقبة فاضى، أها، **الحزب الجمهورى** بيملاهو"[2].كان لابد من تصميم سيناريو لعقوبة تتوخى ذريعة مُحكمة، وتستعطف الجماهير، للحد من نشاط **الحزب الجمهورى**، وعزل زعيمه الأستاذ محمود، وتشويه

---

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، مدينة عطبرة، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

صورته وإجهاض مشروعه. فاستعطاف الجماهير أمر سهل، ذلك (لغلبة الجهل عليها، وقوة روح التبعية فيها، ولقلة المعلومات الوافية عندها). أتت الذريعة بتصميم سيناريو ذى تأثير قوى على الجماهير، ألا وهو سيناريو محكمة الردة عام 1968. كانت محكمة الردة عام 1968، مؤامرة كبرى ضد الأستاذ محمود. بل كانت سعياً حثيثاً لاغتياله، وتخطيطاً مدبراً لنسف مشروعه. كان النفوذ السياسى المصرى قد وجه فقهاء مصر ليضللوا فقهاء السودان. فاستجاب هؤلاءوبتحالف مع الساسة التقليديين، نفذوا التصميم والرسم الأجنبى لسيناريو محكمة الردة ضد الأستاذ محمود. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن النفوذ السياسى المصرى فى السودان: "النفوذ السياسى وجه الفقهاء [...] ليضللوا فقهانا فى أن يحكموا على **الحزب الجمهورى** فى ميدان يمكن أن يتهم فيه. ما يمكنك أنت تتهموا بالعداوة لجمال عبدالناصر أو برأيه فى (مشكلة) الشرق الأوسط لكن ما دام رأيو كان بالصورة دى يمكن حدباً على الدين أن يثار الغبار فى الاتجاه دا ليحكموا"(1).

كانت أجهزة الرئيس عبدالناصر قد اكتسبت خبرة كافية فى المحاكمات منذ تشكيل محكمة الشعب فى الأول من نوفمبر 1954 بعد حادثة المنشية، وحتى إعدام سيد قطب (1906-1969). واكتسبت خبرة فى تلفيق تهم الردة، أو خيانة الوطن، أو الأفعال ضد سلامة الوطن، أو ضد نظام الحكم أو الأسس التى قامت عليها الثورة، أو خيانة مبادئ الثورة. يقول الرئيس محمد نجيب فى مذكراته: "وبينما يلقى جمال عبدالناصر خطاباً فى المنشية 26 أكتوبر احتفالاً بتوقيع الاتفاقية (اتفاقية الجلاء)، أطلقت عليه عدة رصاصات. وسط 10 آلاف شخص فى السرداق... لكن عبد الناصر لم يصب، وأصيب ميرغنى حمزة (وزير سودانى) وأحمد بدر المحامى"(2). ثم يقدم تقييماً لحادثة المنشية ويصفها بالمسرحية، كتب محمد نجيب قائلاً: "وكانت هذه المسرحية المدبرة، محاولة لتحويل عبدالناصر إلى بطل شعبى، ومحاولة لينسى الناس عوار اتفاقية الجلاء. ثم هى فرصة ليتخلص عبدالناصر من القوة الوحيدة الباقية وهى الإخوان (المسلمين)"(3). ويضيف محمد نجيب قائلاً: "ونجح عبدالناصر بهذا الحادث أن يضرب أكثر من عصفور بحجر واحد. ضرب الإخوان.

---

(1) المصدر السابق.
(2) محمد نجيب، مصدر سابق، ص 268-269.
(3) المصدر السابق، ص 269.

وضربنى. فقد اعتقل الإخوان، وشكل فى أول نوفمبر 1954، محكمة الشعب (برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى) لمحاكمتهم"[1]. ويضيف محمد نجيب قائلاً: "وبلغ عدد الذين حوكموا أمامها 867 وعدد الذين حكمت عليهم المحكمة 254 وحكم بالإعدام على 7 من كبار المتهمين، فى ٤ ديسمبر وهم محمود عبداللطيف ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوى دوير والشيخ محمود فرغلى وعبدالقادر عودة وحسن الهضيبى، الذى خفض الحكم عليه إلى المؤبد[2]". وعن ما لحق به يقول محمد نجيب: "أما أنا فقد تلقيت وعدى فى 14 نوفمبر. فى ذلك اليوم توجهت إلى مكتبى فى القصر الجمهورى فوجدت بعض ضباط البوليس الحربى على باب القصر وتبعنى اثنان منهم إلى المكتب فنهرتهما.. فقالا لى: إن عندهما تصريحاً من كبير الياوران بالنيابة بالدخول وهو الأميرلاى حسن كامل الذى عُين سفيراً فيما بعد.... نهرتهما بشدة.. فخرجا". وأضاف نجيب قائلاً: "واتصلت بعبدالناصر فقال: سوف أرسل لك عبد الحكيم وحسن إبراهيم. وعندما جاء عامر وحسن إبراهيم قالا لى فى خجل وبصوت خافت: إن مجلس الثورة قرر إعفاءكم من منصب رئيس الجمهورية. وهنا قلت: أنا لن استقيل الآن لأنى بذلك سأصبح مسؤولاً أمام التاريخ عن ضياع صلة السودان بمصر". ثم أضاف قائلاً لهما: "أما إذا كان الأمر إقالة فمرحباً لأنكم تعفوننى من مسؤولية لم يعد ضميرى يحتملها. وخرجت معهما حاملاً المصحف وحده من المكتب. وركبت مع حسن إبراهيم عربة اتجهت بى إلى المرج.. إلى منزل كان استراحة ريفية لزينب الوكيل ثم وضع تحت الحراسة"[3]. ويضيف الرئيس محمد نجيب قائلاً: "وقال لى عامر: إن اقامتك فى المرج لن تزيد عن بضعة أيام. ولكن إقامتى فى المرج استمرت من نوفمبر 1954 إلى أكتوبر 1983"[4].

من المهم الإشارة إلى موقف الأستاذ محمود من محاكمات الإخوان المسلمين فى مصر. فى تلك الفترة لم يكن من السهل الكتابة ضد النظام الحاكم فى مصر، ونقد محاكماته التى يجريها، ومصر أصبحت تحت زعامة جمال عبدالناصر بعد اللواء محمد

(1) المصدر السابق، ص 269-270.
(2) المصدر السابق، ص 270.
(3) المصدر السابق، ص 270.
(4) المصدر السابق، ص 270.

نجيب. ولكن الأمر كان للأستاذ محمود أمر مبدأ، المبدأ الديمقراطى والحق الديمقراطى. كان الأستاذ محمود رجلاً ديمقراطياً، قال لى البروفيسور عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلى فى إحدى مقابلاتى له: "إن الأستاذ محمود أكثر رجل ديمقراطى فى السودان، وقد ظلم"[1]. الشاهد أن الأستاذ محمود فى أيام محاكمات الإخوان المسلمين فى مصر، كان يكتب دفاعاً عن الحق الديمقراطى للإخوان المسلمين فى مصر. فقد كتب ونشر ضد الأحكام بالردة والإعدام، وكتب كثيراً منتقداً المحاكمات التى صدرت فى القاهرة. وفى أيام محاكمة سيد قطب (1906-1966)، كتب الأستاذ محمود منددا بالمحاكمة[2]. كان الأستاذ محمود رافضاً لتلك المحاكمات وكان متابعاً لأخبارها. حدثنى أستاذ عبداللطيف عمر حسب الله قائلاً: "وفى آخر يوم قبل تنفيذ حكم الإعدام على سيد قطب ذهب الأستاذ محمود إلى دار الإخوان المسلمين فى أمدرمان ليعرف الأخبار ووجد جعفر شيخ إدريس وسأله عن الأخبار. فقال جعفر: ليست هناك أخبار جديدة"[3].

أصبحت مصر الرسمية جزءاً من التحالف الكبير ضد الأستاذ محمود. التحالف الذى ضم،كما ورد آنفاً، كلاً من أزهر مصر وأزهر السودان، **المعهد العلمى بأمدرمان/ جامعة أمدرمان الإسلامية**، والمنظمات الإسلامية التى وردت الإشارة إليها آنفاً. فقد افتى مجمع البحوث الإسلامية فى **الأزهر** بكفر الأستاذ محمود، وأن فكره فكر ملحد وطالب **الأزهر** بمصادرة كتبه (أنظر ملحق رقم: "43"). أما **رابطة العالم الإسلامى** بمكة، المملكة العربية السعودية، فقد أصدر مجلسها التأسيسى فى دورته السادسة عشر حكمه بالإجماع بارتداد الأستاذ محمود عن الإسلام تأييداً لما حكمت به المحكمة الشرعية العليا بالخرطوم، وإنه يجب على المسلمين أن يعاملوه معاملة المرتدين كما يجب مصادرة كتبه أينما وجدت ومنع طبعها (أنظر ملحق رقم: "44" وملحق رقم: "42"). استطاعت أجهزة مصر عبدالناصر أن تحوّل المعارضة التى قادها الأستاذ محمود لزعامة عبدالناصر للعرب، ومواجهته لدعوة القومية العربية، إلى مواجهة محلية وإقليمية ضد الأستاذ محمود وضد مشروعه.

---

(1) مقابلة مع عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلى، الدوحة، 13 مايو 2010، الساعة 20:00.
(2) مقابلة مع عبداللطيف عمر حسب الله، أمدرمان، 30 يوليو 2011، الساعة 11:00؛ مقابلة مع عوض الكريم موسى، الخرطوم، 23 يوليو 2012، الساعة 19:00.
(3) المصدر السابق.

الشاهد أن محكمة الردة عام 1968 فى حق الأستاذ محمود كانت سابقة خطيرة، فى الفضاء الفكرى والدينى والسياسى فى السودان. ولم تكن هناك خبرة محلية فى تصميم سيناريوهات للردة، فالذاكرة السياسية السودانية لا تحمل قسوة مثل هذه. ففى تقديرى أن تصميم فكرة محكمة الردة، وتصميم سيناريو المحكمة ورسم خطة سيرها كان عملاً أجنبياً. وكان الفقهاء والقضاة الشرعيون فى السودان أدوات، تم استغلالهم لتنفيذها . كما تم تسويق فكرة الردة للمثقفين فاشتراها بعضهم، وتحمسوا لتنفيذها حماسة شديدة. كان بعض المتحمسين على قمة رأس الدولة. كتب الأستاذ محمد خير البدوى فى مذكراته قائلاً:

وقد أحزنتنى الفتوى التى صدرت فى عهد الحكم الديمقراطى بتكفير محمود محمد طه، ورأيت فيها شططاً كبيراً واعتداءً على حرية الفكر والعقيدة. وكتبت رسالة فى هذا الشأن إلى الحاج خضر حمد، عضو مجلس السيادة، فرد علىّ برسالة مطولة بتاريخ 1969/4/28، اقتطف منها ما يلى: أما محمود محمد طه فقد طلق منه المرأة أبوها شيخ لطفى منذ أن خرج محمود من السجن بعد أن ادعى أنه سيدنا عيسى عليه السلام. ومحمود ما زال يحاول أن يكون نبياً يشارك محمد الرسالة، فذاك الإسلام الأول ومحمود نبى الإسلام الثانى الذى يصلح للقرن العشرين. وقد استفتينا علماء السودان ومصر ومشائخ الطرق وأصحاب السبح والدراويش والعلماء فى الجامعة الإسلامية وجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة وكلهم كفَّره وخطَّأه. هل يترك ليعير أم يُسلَّم لكوبر؟؟[(1)].

كان السيد خضر حمد، وهو من طلائع الاتحاديين، وقتئذ من قادة نظام الحكم، ومثقفاً يتربع بحق العضوية على عرش أعلى جهاز للدولة "مجلس السيادة"، وفى ظل نظام ديمقراطى.

كانت آثار محكمة الردة خطيرة وعظيمة على الفضاء المعرفى السودانى. لقد حجبت الناس، والمثقفين خاصة، عن الأستاذ محمود، فانصرفوا عن كتبه ومحاضراته،

(1) محمد خير البدوى، **قطار العمر: فى أدب المؤانسة والمجالسة**، مصدر سابق، ص 402 ، 403.

وقاطعوا مشروعه ونبذوا تلاميذه، وأغمضوا أعينهم عن ما طرحه من حلول ناجعة للكثير من القضايا المحلية والإقليمية. عاش الكثير من المثقفين وعامة الناس فى حالة تضليل وتغييب عن الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود، واكتفى جلهم، بأن ينوب عنهم الفقهاء فى معيرة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود وتقييمه، وإبداء الرأى حوله. وهذا جعل الأحكام على الأستاذ محمود ومشروعه أحكاماً سماعية وسطحية ومفارقة للصدق والورع الدينى والورع العلمى. قليلون هم الذين قرؤوا للأستاذ محمود. كانت محكمة الردة سابقة خطيرة، من حيث هى محاكمة للفكر والحرية، ووأد للمبادرات الخلاقة، وتغييب للوعى بالذاتية السودانية. وسابقة خطيرة أيضاً، من حيث هى مكيدة سياسية، استهدفت عقلاً سودانياً كبيراً وجباراً، بسيناريو أجنبى التصميم والصنع. كان جزءً من أهداف السيناريو إشعال الحماسة المحلية لدى بعض المثقفين والفقهاء لتنفيذه، ولدى عامة الناس لمناصرته، وعزل الأستاذ محمود سياسياً وفكرياً عن القاعدة الشعبية. عزلت محكمة الردة الأستاذ محمود عن شعوب السودان، ولكن فى تقديرى كان هذا عزلاً إلى حين. بعد صدور الحكم أنفق الأستاذ محمود وتلاميذه بعد محكمة الردة زمناً طويلاً، فى التبيين والتنوير بأبعاد المحاكمة، وكيف أنها كانت مكيدة سياسية، جافى المتحمسون لها الصدق، وجرى استغلالهم من السلطة السياسية فى مصر والسودان، وأصبحوا أداة من أدواتها. ففى توضيح الأمر للشارع العام، قام الأستاذ محمود بنشاط مكثف من أجل التوعية والتنوير بأبعاد مؤامرة محكمة الردة ومآلاتها، ودحض افتراءاتها. طاف على أقاليم السودان، وأقام العديد من المحاضرات، وأصدر كتباً، ونشر الكثير من المنشورات.

بعد صدور حكم محكمة الردة، لم يواجه الأستاذ محمود المعارضة لآرائه فحسب؛ وإنما واجه العنف الجسدى. وقد قابل الأستاذ محمود العنف الجسدى بالصفح والعفو. ففى أبريل من عام 1969، تحرك الأستاذ محمود مع بعض تلاميذه، طائفاً بمدن شمال السودان وشرقه، حتى انتهى بغربه فى مدينة الأبيض. كان أثناء طوافه يقيم المحاضرات، ويفتح الحوارات حول مشروعه. وفى مدينة الأبيض مساء الثانى والعشرين من شهر مايو عام 1969، وأثناء تقديم الأستاذ محمود لإحدى محاضراته،

اقترب أحـد الحاضرين للمحاضـرة، من المنصة وضرب الأستـاذ محمود، ضربة قـاسية على رأسـه. هاج الحـضور رافـضـين لهذا السلـوك، وأرادوا أن ينالوا من الرجل الذى ضرب الأستاذ مـحمود؛ إلا أن الأستاذ محـمود وقف حامياً للرجل، ورافضـاً أن يمسه أحد، وعـفا عنه وقـال بأن "الرجل ضحـية". وبعد ثـلاثة أيام من حادثة الاعـتداء على الأستـاذ محـمود فى مدينة الأبيـض، وقع انقلاب 25 مايو 1969بقيـادة جعـفر محـمد نميـرى. وهذا مـا سأقف علـيه فى الفـصل الحـادى عـشر وهو بـعنوان: "سنوات حكم نميرى، والشراكة فى الاغتيال يوم 18 يناير 1985".

الفصل
الحادى عشر

11

سنوات حكم نميرى والشراكة في الاغتيال يوم 18 يناير 1985

التحالف الإسلامى، والصمت العالمى وخيانة المبادئ الإنسانية

كرهت العمل مع مايو بسبب إعدام محمود محمد طه... لأنه رجل مفكر ومن حقه أن يكون فى المجتمع[1].

أحمد عبدالحليم

وجم الجميع وتصدى الأستاذ محمود وحده للإرهاب المايوى. عرى الاوضاع القائمة من أى صلة لها بالدين الإسلامى، الأمر الذى جعل النظام بشقيه، الهوس الدينى والطغمة الديكتاتورية، يدبرون محاكمته بليل من أجل إسكاته[2].

أمين مكى مدنى

لقد دافع الأستاذ محمود محمد طه... عن كل ضمير سودانى حى وسبقنا وسبق الجميع فى رفض نظام مايو وقوانين مايو التى أجمع الناس على رفضها منذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا[3].

سيد أحمد خليفة (1940-2010)

---

(1) أحمد عبدالحليم، "أحمد عبدالحليم يجيب على الأسئلة الصعبة"، **مجلة الدستور**، العدد: 42، بتاريخ 14-20 أكتوبر 2000، ص 10-12.

(2) أمين مكى مدنى، "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، رصد علاء الدين بشير، اللجنة القومية للاحتفال بالذكرى الثانية والعشرين لاغتيال الاستاذ محمود محمد طه ويوم حقوق الانسان السودانى، بالتعاون مع سكرتارية الشباب والطلاب بالحركة الشعبية قطاع الشمال، اليوم المفتوح بدار الحركة بالمقرن، **صحيفة الصحافة**، 19 يناير 2007، الخرطوم.

(3) سيد أحمد الخليفة، "صباح الخير يا جمهوريين..!"، **صحيفة الوطن**، الأحد 22 يناير 2006.

ينبغى أن نقرأ فكر الرجل [الأستاذ محمود] متكاملاً[1].

صلاح أحمد إبراهيم

ظل موضوع موقف الإخوان الجمهوريين من الانقلاب العسكرى الذى وقع فى يوم 25 مايو عام 1969[2]، بقيادة جعفر محمد نميرى، إلى جانب موضوع الخفاض الفرعونى، ثورة رفاعة، من أكثر الموضوعات التى حظيت لدى المثقفين السودانيين بالنقد والدراسة والتعليق. سبق وأن تناولت موضوع ثورة رفاعة، الخفاض الفرعونى، فى الفصل الخامس من هذا الكتاب، والآن فى هذا الفصل أتناول موضوع موقف الجمهوريين من حكومة مايو. لقد مثَّل الموضوعان دليلاً ناصعاً على طبيعة التعاطى الجزئى للمثقفين مع مشروع الأستاذ محمود، بدلاً عن القراءة والتناول المتكامل، وهو الأمر الذى لفت الانتباه إليه الشاعر صلاح أحمد إبراهيم كما ورد أعلاه. لا جدال فى أن المقاومة والمواجهة التى قادها الأستاذ محمود فى وجه حكومة مايو برئاسة نميرى وشركائه، حينما جاءت بقوانين سبتمبر 1983، (ما سمى بقوانين الشريعة الإسلامية، وهى قوانين "مخالفة للشريعة والإسلام")، كانت مواجهة بطولية وفريدة ونادرة على مستوى البشرية، وستظل حية وناصعة، وستُبعث فى كل يوم جديد. فقد بلغت المواجهة حد الصمود أمام المشنقة، على النحو الذى شهده وشهد عليه العالم أجمع. وبهذا تكون مواجهة الأستاذ محمود لحكومة مايو مواجهة عصية على الكثيرين من أهل النضال الوطنى، ودعاة الإصلاح الدينى والتغيير، وخادمى الوعى

(1) صلاح أحمد إبراهيم، "بين محمود محمد طه وود حبوبة .. والشفيع ..."، مرجع سابق.
(2) ستكون الإشارة إليه لاحقاً بانقلاب مايو أو حكومة مايو.

والتنوير والمعرفة والبناء الإنسانى. بل مثل هذه المواجهة لا تصدر إلا من صاحب مشروع له رؤية وغاية، كالأستاذ محمود، من أجل التحرير والتغيير والتطوير، إلى جانب أنه حر وصاحب مبادئ. يقول الأستاذ محمود: "إن الحر حرية فردية مطلقة، هو الذى استطاع أن يعيد وحدة الفكر، والقول، والعمل إلى بنيته. فأصبح يفكر كما يريد ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، ثم لا تكون عاقبة عمله إلا خيراً للناس، وبراً بهم"[1].

دكتاتورية الفقهاء والعبث بالدستور والحاجة للتغيير والكبوات الكبرى حل الحزب الشيوعى السودانى 1965، ومحكمة الردة 1968

كانت الطائفية، قبيل "مايو"، وشيكة أن تقنن نفوذها، وتعطى شرعية لما تمارسه من تضليل لأتباعها، وإرهاب لخصومها، وذلك بوضع دستور طائفى، انتحلت له، تزييفاً، اسم "الدستور الإسلامى"، فجاءت "مايو" لتوقف ذلك المد الطائفى الذى كاد أن يعزّز سلطته الدينية المستولية بالسلطة الزمنية الشاملة، وقطعت "مايو" الطريق إلى السلطة أمام الطائفية، فأجهضت كل مؤامراتها لاستعادة مراكز نفوذها القديمة[2].

الإخوان الجمهوريون

ماذا بقى من نظام ديمقراطى فى ظله تحكم محكمة شرعية غير مختصة، بردة مفكر إسلامى عن دين الإسلام؟ ثم تأمره بالتوبة عن جميع أقواله وأفعاله، وتقرر بأنه يترتب على حكم الردة: حل حزبه لخطورة دعوته، وإغلاق دار حزبه، وتطليق زوجته المسلمة، وإعلان بيان ردته للناس، وألا يتحدث باسم الدين، ومؤاخذة من يأخذ بمذهبه، والصفح عن من تاب وأناب من أتباعه. ماذا بقى من هذا النظام الديمقراطى والذى جاء بعد ثورة شعبية، والناس تتوق إلى ممارسة الحرية وتحقيق العدل وتمكين المساواة، ماذا بقى منه بعد هذا العبث الطفولى فى مصادرة الحق الديمقراطى فى حرية التفكير. فقد صدر الحكم بالردة عن الإسلام، كما ورد فى الفصول السابقة، فى حق الأستاذ محمود فى يوم الاثنين 18 نوفمبر 1968 فى ظل نظام ديمقراطى، هو فى واقع الأمر دكتاتورية فقهاء. كان محمد

(1) محمود محمد طه، **رسالة الصلاة**، ط5، أمدرمان، 1970، ص 107.
(2) الإخوان الجمهوريون، **لماذا نؤيد سلطة مايو؟**، ط1، أمدرمان، 1979، ص 5-6.

أحمد المحجوب رئيساً للوزراء، وقد شكّل وزارته من وزراء ينتمون إلى **الحزب الاتحادى الديمقراطى** و**حزب الأمة** (جناح الإمام) كما ضمت الوزارة وزيرين من أبناء المديريات الجنوبية كما تقضى بذلك المادة 23 من دستور سنة 1964[1]. ضمت الحكومة ثمانية وزراء من **الحزب الاتحادى الديمقراطى** وستة وزراء من **حزب الأمة** واثنين من **جبهة الجنوب**، وبقيت هذه الحكومة حتى أطاح بها انقلاب مايو سنة 1969[2].

كان مجلس وزراء هذه الحكومة، وهى آخر حكومات العهد الديمقراطى، يتكون من وزراء كانوا من المتخصصين فى القانون وبعضهم كان من أوائل قانونيى السودان ومحاميه وقضاته وبعضهم الآخر من العاملين فى دوائره العدلية. فقد كانت آخر حكومة فى الفترة الديمقراطية، أيام الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وقبيل وقوع انقلاب مايو تتكون من ستة عشر وزيراً، منهم خمسة وزراء من القانونيين، والمتوقع منهم باعتبار تخصصاتهم ودراساتهم أن يكونوا عارفين بالقانون والحقوق. فمن هؤلاء كان رئيس الوزراء ووزير الخارجية محمد أحمد المحجوب، الذى درس القانون وعمل قاضياً واشتغل بالمحاماة منذ أربعينيات القرن الماضى. ومن الوزراء إبراهيم المفتى، وزير الرى والقوة الكهربائية المائية، الذى درس الحقوق وتم الاحتفاء به كأول محامى سودانى يتخرج فى أول مدرسة للحقوق فى السودان. والشيخ على عبدالرحمن الأمين، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وقد عمل بالقضاء الشرعى وكان وزيراً للعدل فى الحكومة السودانية قبل تحقيق الاستقلال. والرشيد الطاهر بكر (1930-1988)، وزير الأشغال والعدل، الذى درس القانون وعمل بالمحاماة. وعبدالماجد أبو حسبو، وزير الإعلام والشؤون الاجتماعية، والذى تولى وزارة العدل أيام المداولات بشأن الدستور الإسلامى، وهو أيضاً درس القانون[3]. ليس هناك وضع أمثل للدارسين للقانون والمشغولين بالحقوق

---

(1) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 448.

(2) عبد الماجد أبو حسبو، **مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان**، جمصدر سابق، ص 207.

(3) عبدالباسط صالح سبدرات، **حكومات السودان: خمسون عاماً من التململ والقلق الوزارى، رحلة التغييرات فى الجهاز التنفيذى** (1954-2004)، **دراسة تاريخية- تحليلية- مقارنة**، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2004، ص 227؛ عبد الماجد أبو حسبو، مصدر سابق، ص 267-268، الغلاف؛ إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 448.

من أن يكونوا فى مواقع سيادية تتيح لهم فرصة بناء الثقافة القانونية وتمكينها ونشرها فى المجتمع، بيد أن هذا لم يحدث. أما موقف مجلس السيادة فى العهد الديمقراطى تجاه محكمة الردة فقد تجلى بوضوح فى حديث عضو المجلس خضر حمد. وسيرد حديث خضر حمد بتفصيل لاحقاً ضمن الفصل السادس عشر، والذى بعنوان: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه"، يقول خضر حمد: "أما محمود محمد طه فقد... استفتينا علماء السودان ومصر ومشائخ الطرق وأصحاب السبح والدراويش والعلماء فى الجامعة الإسلامية وجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة وكلهم كفَّره وخطَّأه. هل يترك ليعير أم يُسلم لكوبر؟؟" الشاهد أنه لم يقف الأمر عند هؤلاء فى هذا الحد، حد التماهى مع الفقهاء ونسيانهم لإخلاقيات تخصصاتهم وعجزهم عن القيام بواجباتهم الوطنية والإنسانية لاعتبارات تخصهم وأخرى محلية وخارجية؛ وإنما رسبوا ثانية رسوباً وثقوه بأيديهم. فحينما أراد هؤلاء تسجيل شهاداتهم التاريخية وتقليد أجيال المستقبل أمانة تبليغ أقوالهم، أغفلوا الحديث كلية عن محكمة الردة، وتجاهلوها ولم يقل أحد منهم رأياً عنها. وقد تناولت هذا الأمر بتوسع فى الفصل السادس عشر من هذا الكتاب، وهو بعنوان: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه".

ماذا بقى من نظام ديمقراطى يتآمر الشركاء فيه على حل حزب وطرد نوابه من الجمعية التأسيسية (البرلمان)؟ فقد حل **الحزب الشيوعى السودانى** وتم طرد نوابه المنتخبين وفقاً لشروط ومتطلبات الديمقراطية. فبعد سلسلة من الإجراءات تم بناء عليها تعديل الدستور مرتين. يقول الأستاذ محمود: "فقد عُدل الدستور مرتين للتمكين للحكم الطائفى فى الاستمرار: مرة ليتمكن أزهرى من أن يكون رئيساً دائماً لمجلس السيادة، فى إطار الاتفاق بين الحزبين على اقتسام السلطة.. ومرة أخرى لحل **الحزب الشيوعى**، وطرد نوابه من الجمعية التأسيسية.. فقد عدلت الجمعية التأسيسية المادة 2/5 من الدستور، والتى تعد بمثابة روح الدستور.. وهى المادة التى تنص على الحقوق الأساسية، كحق التعبير، وحق التنظيم[1]. تقدمت الحكومة فى جلسة 8 ديسمبر 1965 بمشروع قانون حل **الحزب الشيوعى**. وحدد جلسة يوم 9 ديسمبر موعداً للقراءة الثانية وقدم للقراءة الثالثة وأجيز فى نفس الجلسة، ونشر **بغازيتة حكومة السودان** بتاريخ 9 ديسمبر 1965 وجاء فيه: "منذ سريان

(1) محمود محمد طه، **الديباجة**، مصدر سابق، ص 3.

هذا القانون يحل **الحزب الشيوعى السودانى** وجميع المنظمات غير المشروعة فى حدود المعنى المراد فى المادة السابقة، وتقفل دورها وتصادر ممتلكاتها وصحفها وجميع وسائلها"[1]. وبذلك فقد النواب الشيوعيون مقاعدهم فى الجمعية التأسيسية. خلقت الأحزاب الطائفية، كما يرى الإخوان الجمهوريين "جواً من الهوس الدينى، ساهم فيه الإخوان المسلمون بقدر كبير، حتى يلدوا قرار الجمعية بتعديل الدستور وكأنه مطلب شعبى، بينما هو، فى الحقيقة، كيد سياسى يتستر بالدين"[2].

بناءً على هذه التطورات الخطيرة، تم حل الحزب وطرد نوابه، ورفع الشيوعيون قضية إلى المحكمة العليا[3]. يقول الأستاذ محمود: "ولما حكمت المحكمة العليا بعدم دستورية ذلك التعديل (مجلة الأحكام القضائية 1968) أعلن رئيس الوزراء آنذاك، السيد الصادق المهدى، "أن الحكومة غير ملزمة بأن تأخذ بالحكم القضائى الخاص بالقضية الدستورية. (الرأى لعام 1966/7/13)"[4]. ويقف الأستاذ محمود عند التحقير الذى تعرض له القضاء قائلاً: "فتعرض القضاء السودانى بذلك لصورة من التحقير لم يتعرض لها فى تاريخه قط!! ولما رفعت الهيئة القضائية مذكرة إلى مجلس السيادة تطلب فيها تصحيح الوضع بما يعيد للهيئة مكانتها (الرأى العام 1966/12/27). وصف مجلس السيادة حكم المحكمة العليا بالخطأ القانونى (الأيام 1967/4/20)"[5]. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "فاستقال رئيس القضاء السيد بابكر عوض الله، وقد جاء فى الاستقالة: "إننى لم أشهد فى كل حياتى القضائية اتجاها نحو التحقير من شأن القضاء، والنيل من استقلاله كما أرى اليوم.. إننى أعلم بكل أسف تلك الاتجاهات الخطيرة عند قادة الحكم اليوم، لا للحد من سلطات القضاء فى الدستور فحسب، بل لوضعه تحت إشراف الهيئة التنفيذية"[6]. ويعلق الأستاذ محمود على هذه الصورة قائلاً: "هذه صورة لفشل التجربة الديمقراطية فى بلادنا، مما حولها إلى دكتاتورية مدنية، فهدد الاستقرار السياسى،

---

(1) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 465.

(2) الإخوان الجمهوريون، **ما هو البديل عن مايو!؟**، ط1، أمدرمان، 1980، ص 20.

(3) المصدر السابق، ص 21.

(4) محمود محمد طه، **الديباجة**، مصدر سابق، ص 3.

(5) المصدر السابق، ص 3.

(6) المصدر السابق، ص 3.

حتى جاءت ثورة مايو بمثابة انقاذ للبلاد!!"[1] ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "إن قصور تجربتنا الديمقراطية مرده الأساسى إلى قصور الوعى، وعى الشعب، ووعى القلة التى تحكم الشعب، مما أفرغ مدلول كلمة الديمقراطية من محتواها.. هذا وفشل الديمقراطية فى ظل البلاد المتخلفة أدى إلى الانقلابات العسكرية، فى كل مكان، فى النصف الأخير من هذا القرن وليس فى الانقلابات العسكرية حل"[2].

تبع ذلك حل الجمعية التأسيسية وتمت الدعوة لانتخابات عامة مع استبعاد دوائر الخريجين التى كان يسيطر عليها **الحزب الشيوعى السودانى**. فقد حلت الجمعية التأسيسية التى قامت فى يونيو سنة 1965، فى السابع من فبراير سنة 1968. تضمن القرار الصادر من مجلس السيادة بحلها الدعوة إلى إجراء انتخابات عامة لقيام الجمعية التأسيسية الثانية. وعملاً بأحكام المادة 67 من دستور سنة 1964 أصدر مجلس الوزراء فى 12 فبراير سنة 1968 بالأمر المؤقت رقم (1) لسنة 1968 قانون انتخابات الجمعية التأسيسية لسنة 1968، كما عين مجلس السيادة بناءً على مشورة مجلس الوزراء لجنة ثلاثية مستقلة للإشراف على الانتخابات العامة[3]. اختلفت هذه الانتخابات عن انتخابات سنة 1965 فى استبعاد دوائر الخريجين. كانت الفقرة الأولى من المادة الرابعة من قانون انتخابات سنة 1965 تنص على أن "تكون لانتخابات الجمعية التأسيسية دوائر إقليمية ودوائر جغرافية"، كما حددت الفقرة الثانية من نفس المادة عدد هذه الدوائر بقولها"فيما يتعلق بالخريجين تخصص لهم خمس عشرة دائرة"[4]. استندت الحكومة فى استبعادها لدوائر الخريجين إلى سببين(5):

الأول: إن تخصيص دوائر للخريجين بوصفهم فئة معينة عمل غير ديمقراطى وأنه يؤدى إلى خلق طبقة مميزة.

الثانى: إن تخصيص دوائر للخريجين فى الماضى كان الهدف منه إنصافهم بعد الاستقلال أما الآن فلا معنى له.

---

(1) المصدر السابق، ص 3.
(2) المصدر السابق، ص 3.
(3) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 444.
(4) المرجع السابق، ص 444.
(5) المرجع السابق ، ص 445.

يقـول إبراهيم محـمـد حاج مـوسى[1]: "إن هذه الحـجج لم تكن الدافع لإلغـاء دوائر الخريجين، ولكن الدافع الوحيد هو أن التجربـة الأخيرة لدوائر الخريجين فى انتخابات سنة 1965 أعطت الأحزاب السيـاسية درساً قاسـياً وأظهرت مدى انصـراف الخريجين عن هذه الأحزاب ومناصرتها، حيث لم ينل **حزب الأمة** أى مقعد فى هذه الدوائر الخـمسة عشرة، كما أن **الحزب الوطـنى الاتحادى** لم ينل إلا مقـعدين، فى حـين حصل **الحزب الشـيوعى السودانى** على 11 مقـعداً[2]. وأضـاف إبراهيم قائلاً: فـخشـيت الأحزاب من أن يحـتل الشـيوعـيون هذه المقـاعد مـرة أخرى، فـعملت الحـكومة الائتـلافيـة على استـبعـاد دوائر الخريجين... ولعل إدراك وحـيوية نواب دوائر الخريجين هى التى دفـعت أحزاب الحكومة الإئتلافية سنة 1965 إلى إخراجهم من الجمعية التأسـيسية عن طريق تعديل الدستور وحل **الحزب الشيوعى السودانى** وتحريم نشاطه، خاصة وأن أغلبـية نواب دوائر الخريجين كانت من أعضاء **الحزب الشيوعى**. وبإخراج أغلبية نواب دوائر الخريجين من الجمـعية التأسيسية فقـدت الجمـعيـة عضـواً هاماً وفـعالاً كـان وجوده يضـفى على مداولاتهـا حيـوية وعلى مناقشاتها مستوى رفيعاً من التفكير الموضوعى والتعليل المنطقى المقنع.

بدأ التـسجـيل لهـذه الانتـخابات فـى فبـراير 1968 وبدأ الترشـيح فى 6 مارس، وبدأ التصويت فى 18 أبريل. وأعلنت النتيـجة فى آخر أبريل سنة 1968. وكانت النتـيجة على النحو التالى: **الحزب الاتحادى الديمقراطى** 101 مقعد، **حزب الأمة** بجناحيه 72 مقعداً (34 مقعداً لجناح الصادق و38 مقعداً لجناح الهادى)، **حزب سانو** 15 مقعداً، جبهةالجنوب 10 مقاعد، المستقلون 10 مقاعد، جبهـة الميثاق الإسلامى (الإخوان المسلمون) 3 مقاعد، مؤتمر البجا 3 مقاعد، اتحاد جبال النوبة مقـعدان، قوى العاملين مقعد واحد، و**حزب النيل** مقعد واحد[3]. لقد تقدم **الحزب الاتحادى الديمقراطى** وحصل على أغلبيـة كبيرة، ويرجع ذلك إلى اندماج **حزب الشعب الديمقراطى** مع **الحزب الوطنى الاتحادى**[4].

---

(1) المرجع السابق، ص 445.

(2) أعلن ثمانية منهم لونهم السياسى بأنهم شيوعيون، فى حين أعلن الثلاثة الباقون بأنهم مستقلون، وإن كانوا فى حقيقة الأمر قد فازوا فى الانتخابات بتأييد الشيـوعيين وأن ميولهم شيوعية. والجدير بالذكر أنه كان بين هؤلاء الثلاثة أول امرأة سودانية تدخل البرلمان. **المصدر**: إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 428.

(3) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 448.

(4) المرجع السابق، ص 448.

أدى حل **الحزب الشيوعى السودانى** إلى هبة قوية جاءت تضامناً معه، من أجل ممارسة حقه الديمقراطى. قادت الهبة إلى قيام مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية فى نوفمبر 1965، وقد شارك فيه 32 تنظيماً ومنظمة وحزباً سياسياً، كان **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود من أبرز المشاركين. وقد تناولت ذلك بتوسع فى الفصل السادس من هذا الكتاب. كذلك تبنت الحكومة الدعوة للدستور الإسلامى الذى عارضه الأستاذ محمود وناهضه بقوه ووسمه بالدستور الإسلامى المزيف، ونشر فى سبيل مناهضته للدستور الإسلامى المزيف العديد من الكتب وأقام الكثير من المحاضرات والندوات ...إلخ، كما ورد فى الفصل السادس والفصول الأخرى من هذا الكتاب. كونت الحكومة لجنة لمشروع الدستور الإسلامى. وضعت اللجنة مشروع الدستور، وقبل تقديمه للجمعية التأسيسية، رأى وزير العدل آنئذ عبد الماجد أبو حسبو[1]، كما ورد فى الفصول السابقة، أن يعرض ذلك المشروع على العالِم الدستورى السنهورى فى مصر. كون الوزير وفداً لحمل مشروع الدستور وعرضه على العلامة الأستاذ السنهورى الذى درس المشروع وأبدى عليه ملاحظات قيمة[2]. عرض الدستور على الجمعية التأسيسية لدراسته ومناقشته وإقراره وتمت القراءة الأولى والثانية وأجيزتا، وقبل القراءة الثالثة والأخيرة وقع انقلاب 25 مايو سنة 1969[3].

إجهاض ثورة أكتوبر وغياب المحتوى الديمقراطى ومبررات قيام مايو

لخص الإخوان الجمهوريون، تزييف الأحزاب للديمقراطية وغياب المحتوى الديمقراطى ومبررات قيام ثورة مايو، قائلين: "وفى الحقيقة إن عهود الحكم قبل ثورة مايو لم تشهد الديمقراطية، فى أى محتوى من محتوياتها، على الإطلاق!! وفيما يلى صور لتزييف الأحزاب للديمقراطية مما برّر قيام ثورة مايو، ومما دعا الشعب إلى الالتفاف حولها[4]:

1- كانت دعاوى الديمقراطية هى نفسها الإسلوب الذى انتهجته هذه الأحزاب فى إجهاض ثورة "أكتوبر" وتصفية مكتسباتها، عندما كانت تضغط، عن طريق حشد أنصارها

---

(1) عبد الماجد أبو حسبو، مصدر سابق، ص 267.

(2) المصدر السابق، ص 267-268.

(3) المصدر السابق، ص 267-268.

(4) الإخوان الجمهوريون، **لماذا نؤيد سلطة مايو؟؟**، مصدر سابق، ص 56-58.

من **الأقاليم** لفرض جو من الإرهاب السياسى، على رئيس حكومة "أكتوبر" الثورية **لإجراء** الانتخابات، ولو بصورة جزئية فى الشمال، فى ظروف لم يكن الأمن فى الجنوب **فيها** مستتباً، حتى قدّم استقالته لتجىء حكومة حزبية، وليتداعى الوضع السياسى إلى السيطرة الطائفية على الحكم مرة أخرى..

2- والديمقراطية والطائفية إنما هما على طرفى نقيض، فبينما تقوم الديمقراطية على الحرية الفردية تقوم الطائفية على الانقياد الأعمى، فنحن لم يكن لدينا من الديمقراطية إلا هياكل وإجراءات فارغة المحتوى، فقد كان النفوذ الطائفى، هو الذى يحدّد مرشح الدائرة، ويوّجه ارادة الناخبين، ويرسم خط الحكومة، وخط المعارضة، على السواء. وثورة مايو، بدورها فى صيانة السلطة من النفوذ الطائفى، وتسليمها للشعب، بعد تحرره من جمود الوعى الذى فرضته عليه الطائفية، إنما تقوم بأكبر عمل فى سبيل الديمقراطية شهدته بلادنا **طوال** عهود الحكم الوطنى..

3- اتخذت الطائفية أسوأ الأساليب لتزييف الديمقراطية .. فقد أخلى **حزب الأمة** للصادق المهدى دائرة انتخابية، عند بلوغه السن القانونية للنيابة، باصطناع استقالة نائبها الأصلى، ليرشح نفسه فيها، ويفوز بالتزكية..

4- انتهكت الأحزاب الطائفية الحاكمة حرية الصحافة بتعطيل صحف المعارضة إداريا، **كما فعل** الصادق إبّان توليه رئاسة الوزارة بجريدة "أخبار الأسبوع"..

5- قامت الأحزاب الطائفية، بالتواطؤ مع الإخوان المسلمين، بتعديل الدستور وانتهاك الحقوق الأساسية، بحل **الحزب الشيوعى**، وطرد نوابه الثمانية من الجمعية التأسيسية، وبغض النظر عن رأينا فى الشيوعية، كمذهبية وكحزب، فإن النظام الحزبى الذى يدّعى الديمقراطية ويحجر حرية التعبير، والتنظيم، على المواطنين إنما هو يزيّف الديمقراطية لتصفية خصومه السياسيين..

6- وجهت الأحزاب الطائفية، والإخوان المسلمون، احتقاراً شنيعاً للقضاء السودانى لم تشهده البلاد حتى فى عهد الاستعمار، حينما اعتبر الصادق والترابى حكم المحكمة العليا ببطلان قرار الجمعية التأسيسية بحل **الحزب الشيوعى**، حكما تقريرياً ليس له حق التنفيذ، أو قوة الإلزام..

7- استغلت الأحزاب الطائفية، والإخوان المسلمون، القضاء الشرعى، إستغلالاً سيئاً، بتدبير محكمة الردة، فى محاولة لإسكات صوت الأستاذ محمود محمد طه، وهو يقود حملة التوعية الواسعة ضد النفوذ الطائفى..

8- وضعت الأحزاب الطائفية، والإخوان المسلمون، دستوراً طائفياً يتستّر بقداسة الإسلام، انتهكت فيه الحقوق الأساسية لخصومها الحزبيين فى نظام يدّعى الديمقراطية..

9- أساءت أحزابنا الطائفية إلى تربية هذا الشعب أسوأ الإساءة حينما جعلت أصوات الناخبين، وولاء النواب يباع ويشترى بالمال، والمحسوبية، والوعود البرّاقة.

ولهذا يرى الإخوان الجمهوريون أن العهد الحزبى تحول إلى دكتاتورية مدنية، هى أسوأ من الدكتاتورية العسكرية، لأنها تؤدى مؤداها، ثم هى فى ظل الطائفية هياكل فارغة من أى محتوى ديمقراطى[1].

إلتقاء مايو بالجمهوريين على خط درء خطر الطائفية ورفض فرض الوصاية الدينية

كان خطنا الثابت فى مناهضة الطائفية، وتوعية الشعب بتزييفها للدين، وأطماعها فى الحكم، فالتقت بنا "مايو" على هذا الخط لتدرأ خطر الطائفية الماثل فى فرض الوصاية الدينية الغاشمة، ولتهيء المناخ السليم لاقتلاع جذورها العميقة فى نفسية شعبنا بالوعى الدينى والسياسى الشامل[2].

الإخوان الجمهوريون

لقد تم تفريغ العهد الديمقراطى من أىّ محتوى ديمقراطى حينما هيمن عليه الطائفيون والفقهاء والإخوان المسلمون. فبعد أن تم حل حزب سياسى وطرد نوابه المنتخبين من البرلمان، وبعد الحكم بالردة عن الإسلام على مفكر إسلامى، لم يكن انقلاب 25 مايو سوى أفضل الخيارات السيئة التى تلبى أشواق ورغبة قطاع واسع من المثقفين للتغيير. جلهم كان رافضاً للطائفية ورافضاً لفرض الوصاية الدينية، وجلهم تأذى من الحكم بالردة ومن حل

(1) الإخوان الجمهوريون، **ما هو البديل عن مايو!؟**، مصدر سابق، ص 21.
(2) الإخوان الجمهوريون، **لماذا نؤيد سلطة مايو؟؟**، مصدر سابق، ص 5-6.

حزب سياسى وطرد نوابه، وكما كان جلهم رافضاً للدستور الإسلامى. لهذا تحمس قطاع كبير من المثقفين لانقلاب مايو. فقد ضم مجلس وزراء حكومة مايو منذ أيامه الأولى وحتى عام 1976 قبل المصالحة الوطنية، وكذلك مؤسسات حكومة مايو المختلفة، عدداً كبيراً من كبار المبدعين والمثقفين والأكاديميين الوطنيين من منتجى المعرفة ومكيفى الرأى العام ومحددى مسار السودان، ولا يزال بعضهم، حتى يومنا هذا، يؤدى فى واجبه الوطنى والإنسانى. ولا أحسب أن شراكتهم فى حكومة مايو هى اليوم موضع طعن فى وطنيتهم أو الحقت بهم العيب فى مسار نضالهم الوطنى أو انتقصت من قدرهم الوطنى أو تاريخهم النضالى. فقد تبدل وتعدل مجلس وزراء حكومة مايو منذ تاريخ قيامها وحتى يوم سقوطها فى 6 أبريل 1985، ثمانى عشرة مرة، حسب عبدالباسط سبدرات،وكان مجلس الوزراء يتكون بتفاوت فى عدد الوزراء فى كل مرة، ولكن كان العدد يتراوح ما بين عشرين إلى أربعة وأربعين وزيراً[1].

لقد ضم أول تشكيل وزارى لحكومة نميرى فى 1969/5/25 الآتية اسماؤهم: عقيد.أ.ح. جعفر محمد نميرى، رئيس مجلس قيادة الثورة ووزير الدفاع، السيد بابكر عوض الله، رئيس الوزراء وزير الخارجية، رائد فاروق حمد الله، وزير الداخلية، السيد عبد الكريم ميرغنى، وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية، السيد مكاوى مصطفى، وزير التخطيط، السيد جوزيف قرنق، وزير التموين، السيد خلف الله بابكر، وزير الحكومة المحلية، السيد محى الدين صابر، وزير التربية والتعليم، السيد أمين الطاهر شبلى، وزير العدل، السيد موريس سدرا، وزير الصحة، السيد محمد عبد الله النور وزير الزراعة والغابات، السيد محجوب عثمان، وزير الإرشاد القومى، السيد محمود حسيب، وزير المواصلات، السيد سيد احمد الجاك، وزير الأشغال، السيد مرتضى أحمد إبراهيم، وزير الرى، السيد موسى المبارك، وزير الصناعة والثروة المعدنية، السيد طه بعشر، وزير العمل، السيد أحمد الطيب عابدين، وزير الثروة الحيوانية، السيد أبيل الير، وزير الإسكان، السيد منصور محجوب، وزير الخزانة، السيد فاروق أبو عيسى، وزير شؤون الرئاسة[2].

---

(1) عبدالباسط صالح سبدرات، مرجع سابق، ص 228-258.
(2) المرجع السابق، ص 228-229.

أيضاً، ضمت تشكيلات مجلس الوزراء السبع عشرة اللاحقة، الكبار من مثقفي السودان. فقد ضم مجلس الوزراء في أوقات متفاوتة كل من: عبدالكريم ميرغني، وزيراً للاقتصاد والتجارة القومية، ومحي الدين صابر، وزيراً للتربية والتعليم، ومنصور خالد، وزيراً للشباب والرياضة، ومبارك سنادة، وزيراً للإسكان، وعثمان أبو القاسم، وزيراً للتعاون والتنمية الريفية، ومحمد عبدالحليم، وزيراً للخزانة والتخطيط، وجعفر محمد على بخيت، وزيراً للحكومات المحلية، وعون الشريف قاسم، وزيراً للشؤون الدينية والأوقاف[1]، وغيرهم. (هذه مجرد نماذج مختصرة). واستمرت مشاركة بعضهم، وتقلبوا في الوزارات، وجاء مثقفون غيرهم. كما شارك عدد كبير من المبدعين والمثقفين في مستويات مختلفة بمؤسسات حكومة مايو من هؤلاء على سبيل المثال: الشاعر محمد عبدالحي، والفنان التشكيلي إبراهيم الصلحي، وغيرهم. هذا إلى جانب التغييرات الواسعة في مجلس الوزراء وفي مؤسسات حكومة مايو والتي تبعت فترات المساومات والتسويات والمصالحات الوطنية، كاتفاقية أديس أبابا عام 1972، والمصالحة الوطنية مع الجبهة الوطنية عام 1977، واتفاقية عام 1978 مع الشريف حسين الهندي وصحبه.

الشاهد أن الجمهوريين لم يشتركوا في حكومة مايو، ونظروا إليها كحركة مرحلية، التقت بهم في الطريق، وليس العكس. وجاء تأييدهم لها مرحلياً. يقول عيسى إبراهيم: "لقد أيد الجمهوريون نظام مايو كنظام مرحلي،... ومايو بالطبع لا تمثل رأيهم، فرأيهم معروف. قال الجمهوريون لنظام مايو، كتابة، في كتاب وزع على الشعب أنه نظام مرحلي، ومما جاء في ذلك: (إننا نرى أن "ثورة مايو" مهما قيل عن حسناتها، ومهما عددنا من إنجازاتها، فهي حركة مرحلية، نرجو أن يخرج الشعب، بفضل الله، ثم بفضل إنجازاتها في محاربة الطائفية وفساد الإدارة الأهلية، وما تبعها من إنجازات الوحدة الوطنية بالجنوب، وتعمير البلاد بحركة التنمية،نرجو أن يخرج الشعب بعد كل أولئك الى رحاب الديمقراطية الواسعة فينخرط "رجال مايو" مع الشعب في وحدة وطنية شاملة، بعد ان أدوا دورهم في المرحلة)"[2].

---

(1) عبدالباسط صالح سبدرات، مرجع سابق، ص 229-230.

(2) عيسى إبراهيم، "في حوارية المثقف والسلطة أو جدلية الفكر والواقع: الجمهوريون ومايو: جرد حساب (4-4)"، **صحيفة الأحداث**، الثلاثاء 2008/1/29، الموافق 21 محرم 1429.

حكومة مايو وتعدد الأثواب السياسية

الجمهوريون، على عكس جميع الذين أيدوا مايو، عفُوا ولم يشتركوا فى أجهزة النظام، تشريعية كانت أوسياسية أو تنفيذية، مما قاد مراقبيهم لوصفهم بأنهم "مايويون من منازلهم أو مايويون بالمجانى"، كما هو عندالشاعر المرحوم صلاح أحمد إبراهيم، لأن فى عرف هؤلاء المراقبين لابد من جنى ثمار التأييد مالاً أو وظيفةأو جاهاً وسلطة. وما دامت السياسة هى فن الممكن فلا يمكن وصف الأستاذ أو الجمهوريين بالسذاجة السياسية لأنهم،... فى مساندتهم لهذا النظام استقراء حصيف للواقع الذى لا يملكون تغييره، والذى لا يمكن أن ينتج بديلاً أفضل، والبديل الجاهز هو الطائفية التى تراهن على تجميد وعى المواطنين،والهوس الدينى الذى نعيش نحن اليوم فى براثن إحباطاته، وهو المروض بفعل الزمن (1).

عيسى إبراهيم

حينما يقول بعض الدارسين، إن الإخوان الجمهوريين كانوا مؤيدين لحكومة مايو، هنا لابد من الوقوف عند هذا التعميم من حيث الاطار الزمنى والذى يفيد بأن التأييد كان منذ قيام حكومة مايو وحتى نهايتها، وهذا غير صحيح. فمن المعروف أن حكومة مايو استمرت من عام 1969 وحتى عام 1985. ولما لم يكن الحال كذلك فى مسألة تأييد الجمهوريين لحكومة مايو، فهنا تعميم غير محمود فى التناول العلمى، إذ يجافى الدقة ويقود للخلط وتغييب الحقائق. هنا تطرح العديد من الأسئلة: هل ظلت حكومة مايو طيلة هذه الفترة (1969-1985) متدثرة بثوب سياسى واحد، أم أنها تدثرت بأثواب سياسية عديدة ومختلفة؟ هل ظل موقف الأحزاب السياسية على ما هو عليه منذ قيام انقلاب مايو 1969 أم أن هناك شراكات تمت مع حكومة مايو بموجب تسويات ومصالحات ومساومات؟ لهذا، من المهم تحديد الإطار الزمنى عندما نتناول موقف الإخوان الجمهوريين من فترة حكم مايو. فحكومة مايو بقيادة نميرى ورفاقه، مرت بتقلبات سياسية وأخذت بألوان ثورية عديدة، بما يشبه تعدد المنطلقات والمرجعيات الفكرية المختلفة. فقد وقع الانقلاب

---

(1) عيسى إبراهيم، "فى حوارية المثقف والسلطة أو جدلية الفكر والواقع: الجمهوريون ومايو: جرد حساب (3-4)"، مرجع سابق.

يوم 25 مايو 1969، وفى عام 1972 تم توقيع اتفاقية أديس أبابا مع حركة أنانيا الأولى[1]. ومنحت الاتفاقية الحكم الذاتى لإقليم جنوب السودان، الأمر الذى أوقف حرباً أهلية دامت ١٧ عاماً. ظلت الأنانيا شريكاً فى حكومة مايو بموجب هذه الاتفاقية، حتى إعلان قوانين سبتمبر 1983 (ما سمى بقوانين الشريعة الإسلامية، وهى قوانين "مخالفة للشريعة والإسلام"). مع إعلان وتطبيق قوانين سبتمبر 1983 جاء ميلاد الحركة الشعبية لتحرير السودان[2]. وقبل المصالحة الوطنية وفى يوم 1976/12/20 كان الأستاذ محمود وتلاميذه فى معتقلات حكومة مايو. ظل الأستاذ محمود وبعض تلاميذه من القيادين فى المعتقل حتى يوم 1977/1/20. ومع يوم 17 مايو 1977 استلم فتح الرحمن البشير (1930-2008) تفويضاً كاملاً من الرئيس نميرى كوسيط للمصالحة الوطنية، بعد أن اقتنع نميرى بالمصالحة بين حكومة مايو والمعارضين الذين كانت تمثلهم الجبهة الوطنية[3]. وبعد مكاتبات وجولات من المفاوضات فى سبيل المصالحة الوطنية، جاء لقاء السيد الصادق المهدى بنميرى بمدينة بورتسودان فى يوم 7 يوليو 1977. وفى أغسطس 1977 صدر قانون العفو العام وتم إطلاق سراح المعتقلين، وفى سبتمبر 1977 أعلن حسن الترابى حل الجبهة الوطنية. وفى يوم 28 سبتمبر 1977 وجه الصادق المهدى كلمة فى أعقاب وصوله البلاد أكد فيها أن الشعب تجاوب مؤيداً المبادرة التاريخية التى قام بها الرئيس نميرى والتى أدت للوفاق والاتفاق[4].

تمت المصالحة الوطنية. فتبع ذلك مشاركة القوى السياسية فى الحكم حيث انخرطت كوادر الأحزاب المعارضة فى أجهزة الحكم المختلفة، بينما رفض الشريف حسين الهندى

---

(1) أنيانيا وتعنى الثعبان السام، هو الاسم الذى أطلق على حركة التمرد الأولى التى انطلقت فى 18 أغسطس 1955، وانتهت بتوقيع اتفاقية أديس أبابا بين الحكومة السودانية وأنيانيا الأولى. هناك أيضاً، أنيانيا الثانية وهى حركة مسلحة تكونت من عدة مجموعات بجنوب السودان وأعلنت تمردها عام 1982، وقد انضمت إلى، وانسلخت من الحركة الشعبية لتحرير السودان- بعد قيام الأخيرة فى عام 1983- على مراحل متعددة. المرجع: الواثق كمير (تحرير)، **جون قرنق: رؤيته للسودان الجديد وإعادة بناء الدولة السودانية**، ط3، ماستر للطباعة، الخرطوم، 2005، ص 72، 77.

(2) عطا الحسن البطحانى، **أزمة الحكم فى السودان: أزمة هيمنة أم هيمنة أزمة**، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2011، ص 78.

(3) سمية سيد، **المصالحة الوطنية: صراع الحكم فى السودان**، بدون مكان وتاريخ نشر، ص 34.

(4) حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان** (1969-1985): **تاريخها وخطابها السياسى**، مرجع سابق، ص 313.

(1924-1982) وآخرون المصالحة، وظل الهندى يقود الجبهة الوطنية المعارضة. وفى 1978/4/12 جاء بيان الشريف حسين الهندى: "استلهاماً لتاريخ شعبنا... فإنه قد تمت اجتماعات بين الإخوة أبو القاسم هاشم واللواء عمر محمد الطيب وعزالدين السيد وفتح الرحمن البشير والشريف حسين الهندى وعبد الماجد أبو حسبو وأحمد زين العابدين وأحمد عثمان محمد خير وصالح عثمان صالح والمهندس أحمد عبدالله".. وآخرون، قد أجمعوا على سبع نقاط تضمنها البيان(اتفاقية لندن عام 1978)[1]، جاء فيها: "تقرر حل الجبهة الوطنية..." كما أعلن البيان: " نهاية مرحلة الخلاف والصراع والتفكك والتشتت إلى غير رجعة بإذن الله...".وقد صدر البيان فى يوم 1978/4/12[2].

مما لاشك فيه أن التسويات والمصالحات التى أقامتها حكومة مايو مع مختلف القوى الوطنية، والتى أدت إلى توسيع دائرة المشاركة، لا ينفى عنها حقيقة كونها حكومة جاءت بانقلاب عسكرى، ولكن قطعاً يجعلها فى وضع مختلف عن الثورات التى قامت وقتئذ، لا سيما، ثورة 23 يوليو 1952 التى قامت فى مصر برئاسة محمد نجيب الذى خلفه جمال عبدالناصر ومن ثم أنور السادات (1981/1918). وقد تناولت ثورة 23 يوليو 1952 بتوسع فى الفصل العاشر من هذا الكتاب.

إن الاطار الزمنى لدراسة موقف الإخوان الجمهوريين من حكومة مايو، يبدأ من عام 1969 وينتهى فى عام 1976 حيث تم اعتقال الأستاذ محمود وتلاميذه قبل توقيع المصالحة الوطنية بين حكومة مايو والجبهة الوطنية. يضاف إلى ذلك فقد "كان الأستاذ محمود محمد طه ممنوعاً، من سلطة مايو، من الحديث فى المنابر العامة منذ العام 1973 أى نسبياً منذ بدايات مايو"[3]. فمنذ المصالحة الوطنية عام 1977 وحتى تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود يوم 18 يناير 1985، كانت الأحزاب شريكة مع حكومة مايو مع تفاوت

---

(1) الشريف حسين الهندى، **لوطنى وللتاريخ: مذكرات الشهيد الشريف حسين الهندى** (1924-1982)، إعداد: محمد الأمين الشريف عمر الهندى (أبو الحيران)، تحرير ومراجعة: إبراهيم قرشى، ط1، شركة الجزيرة للطباعة والنشر المحدودة، ودمدنى، 2006، ص 483.

(2) حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان** (1969-1985): **تاريخها وخطابها السياسى**، مرجع سابق، ص 111، 318.

(3) قصى همرور، "الجمهوريون ومايو: حقائق التاريخ وأسس الموقف"، **مجلة نقدى**، العدد الثالث، يوليو-سبتمبر 2008، الموقع على الإنترنت: ww.naqdy.org

واختلافات فى طبيعة شراكة ومواقف بعضها وخروج بعضها الآخر من الشراكة. **يضاف** إلى ذلك أن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** كان كما هو حال بقية الأحزاب السياسية التى حلت بمجرد قيام ثورة مايوومنعت من ممارسة أى نشاط عام.

من بين الحقائق التى يجب التأكيد عليها أنه لم يشارك أحد من تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته فى أى مؤسسة من مؤسسات حكومة مايو، ولم يمثل أحد الأستاذ محمود أو الإخوان الجمهوريين فى أى منبر من منابر حكومة مايو. كتب **قصى همرور** فى دراسة عنوانها: "الجمهوريون ومايو: حقائق التاريخ وأسس الموقف"، وهى **دراسة** تضمنت بالإضافة لمقدمة قصى الضافية، سلسلة مقالات كتبها كل من **عمر القراى** وعيسى إبراهيم، كتب قصى قائلاً: "إن الجمهوريين كانوا، منذ البداية، على **رفض** مبدئى للمشاركة التمثيلية فى أجهزة مايو، وقد حاولت مايو فى بداياتها احتواء **بعض** الجمهوريين كممثلين فى أجهزة حكومتها، لكن رفض الجمهوريين ظل مبدئياً **وواضحاً** على طول المدى، وبهذا لم يجن الجمهوريون أى مكاسب سياسية تنظيمية، **أو مادية** عموماً، من وراء فترة تأييدهم لمايو"[1].

الأولوية فى التغيير عند الأستاذ محمود للقاعدة الشعبية لا السلطة السياسية

الأستاذ محمود والتغيير والثورة الثقافية وأصحاب الامتياز

*ونحن نعتقد جازمين بأنو [بأن] التغيير لا يمكن أن يجىء من القمة وينزل على القاعدة.. العكس هو الصحيح التغيير ينشأ من القاعدة ويصعد للقمة.. **والتغيير** بيكون [يكون] محتاج لأمرين: أن يحتاجه الناس، أن يشعر الناس بالحاجة **إلى** التغيير، وأن يعرف الناس كيف يتم التغيير؟... ونحن نعتقد أن الذين يحتاجون التغيير أو يمكن أن يُشعروا بحاجتهم للتغيير هم عادة الناس الذين لا يجلون امتياز فى الحاضر[2].*

محمود محمد طه

---

(1) قصى همرور، "الجمهوريون ومايو: حقائق التاريخ وأسس الموقف"، مرجع سابق.

(2) محمود محمد طه، **ندوة المثقفين**، (ندوة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، منزل محمد فضل الصديق، **الموردة**، أمدرمان، الأحد 30 مايو 1976، الموافق غرة جمادى الآخرى 1396.

ظل الأستاذ محمود وهو صاحب مشروع للتغيير والتحرير والتطوير، مشغولاً بالقاعدة الشعبية، بالجماهير، وليس بالشراكة فى السلطة السياسية. كما لم ينشغل بالعمل على تحقيق التغيير من علٍ أو من القمة، وإنما ظل يسعى لتحقيق التغيير من القاعدة إلى القمة. وظل فى مواجهة لعدو الشعب الأول. الطائفية. وهذا ما يفسر المنطلق الذى انطلق منه الإخوان الجمهوريون فى تأييدهم لحكومة مايو. يقول الإخوان الجمهوريون: "فنحن إنما ننطلق فى تأييدنا لثورة مايو من موقف مبدئى، لا تمليه رغبة فى كسب سياسى، ولا تحرّكه نزعة للاحتواء والوصاية. فقد كان تاريخ دعوتنا، كلّه، مناهضة موضوعية فعالة للطائفية، عدّو الشعب الأول... وذلك بتوعيتنا للشعب بالصورة الصحيحة للإسلام التى شوّهتها عنده، الطائفية، وبكشفنا تضليلها إياه باسم الإسلام"[1]. ثم تأتى الإشارة إلى أن هذا الموقف ظل موقفاً مبدئياً وثابتاً منذ الأربعينيات من القرن الماضى. يقول الإخوان الجمهوريون: "وقد بدأ موقفنا المبدئى هذا من الطائفية منذ الأربعينات حيث نعينا على الأحزاب السياسية، فى الحركة الوطنية، ذيليتها للطائفية، ونبهنا، فى ذلك الوقت المبّكر، الى خطر الطائفية على وحدة البلاد.. وذلك كما جاء فى منشورنا بعنوان: "هذا نذير من ألنذر الأولى" عام 1945: (يا جماعة "الأشقاء" ويا جماعة "الأمة".. أيها القاسمون البلاد باسم الخدمة الوطنية.. أيها القادحون قادحات الإحن بين أبناء الأمة...إلخ)"[2]. (أنظر نص المنشور فى الفصل الرابع من هذا الكتاب). يرى الإخوان الجمهوريون أن أس أزماتنا يرجع فى جوهره "إلى أزمتنا الأخلاقية التى بذرت بذرتها أحزابنا السياسية، فى الماضى، بممارستها غير الأخلاقية، فأساءت إلى تربية هذا الشعب، وضللته، وقعدت به"[3]. ويضيف الإخوان الجمهوريون: هذه الأزمة الأخلاقية كانت بذرتها الأولى هى مسئولية أحزابنا السياسية الطائفية التى جمدت وعى الشعب السياسى والدينى. كما أن عدم وجود مذهبية للحكم لدى الأحزاب، أو منهج أخلاقى تلتزم به قيادتها وتلتزم به قاعدتها، أدى إلى شتى الممارسات اللا أخلاقية فى العمل السياسى: كالدعاية الانتخابية التى تستهدف الكسب السياسى بأى سبيل، وكالوعود الكاذبة من المرشحين للناخبين، وكشراء الأصوات، وكأساليب التهريج السياسى، والإرهاب الدينى، وكشراء النواب بالمال،

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **لماذا نؤيد سلطة مايو؟؟**، مصدر سابق، ص 5-6.

(2) المصدر السابق، ص 5-6.

(3) الإخوان الجمهوريون، **ما هو البديل عن مايو!؟**، مصدر سابق، ص 3.

والامتيازات، وكسوء استغلال النفوذ لدى الوزراء فى توزيع الخدمات، وفى الدعاية الحزبية، وفى التوظيف، وفى الترقية، مما ترك أسوأ الآثار على الخدمة المدنية[1].

أضحى الأستاذ محمود وتلميذاته وتلاميذه يعملون لإحداث الثورة الفكرية من أجل التغيير من قاعدة الشعب لا من قمته. يقول الأستاذ محمود، كما ورد أعلاه: "والتغيير بيكون محتاج لأمرين: أن يحتاجه الناس، أن يشعر الناس بالحاجة إلى التغيير، وأن يعرف الناس كيف يتم التغيير؟ ودى [هذه] ما يمكن أن تسمى بالثورة الثقافية والثورة الفكرية.. الثورة الفكرية ترشيد للثورة الثقافية.. والثورة الثقافية تغيير يبتدئ من النفس البشرية ثم ينتقل للأفراد المدعوين وتتسع الدائرة لغاية ما تنبعث القاعدة قاعدة الشعب أى شعب لتتحرك لتحدث هذا التغيير"[2]. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "الثورة الفكرية هى النور الذى يسعى بين يدى الثورة الثقافية.. ونحن نعتقد أن الذين يحتاجون التغيير أو يمكن أن يُشعروا بحاجتهم للتغيير هم عادة الناس الذين لا يجدون امتياز فى الحاضر". ويشرح الأستاذ محمود قائلاً: "الناس الواجدين امتياز فى الوضع الموجود والأنت عايز تُحدث الشعور بالحاجة إلى التغيير منو إلى عهد جديد، الناس أصحاب الامتياز فى مثل هذا الوضع غير مستجيبين وغير مستعدين ليدركوا الحاجة للتغيير، على الأقل هم يبطئون فى إدراك هذه الحاجة"[3]. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "ودى [هذه] تسوقنا لمواجهة مش [ليس] المقصود منها بطبيعة الحال الجفا [الجفوة] وإنما المقصود منها الوضوح والصراحة.. نحن وجدنا أن جمهور المثقفين أقل فى إدراك الحاجة للتغيير من رجل الشارع العادى من مزارع ومن عامل"[4]. ويوضح الأستاذ محمود من هم أصحاب الامتياز قائلاً:

وفى بلدنا جمهور المثقفين يمكن أن تقول عنهم أصحاب امتياز.. لأنو التعليم فى البلد قليل والناس المتعلمين حتى فى مستويات ماها [ليست] كبيرة برضو عندهم وضع قد يعتبر مريح.. والإنسان بيستجيب للحاجة حاجة المعدة والجسد قبل ما يستجيب لحاجة الفكر.. فالإنسان إذا كان عندو وبيعيش حاجة

---

(1) المصدر السابق، ص 36.
(2) محمود محمد طه، **ندوة المثقفين**، مصدر سابق.
(3) المصدر السابق.
(4) المصدر السابق.

حقيقية فى الوضع الذى تتحدث أنت عنه وتدعو إلى تغييره هذا الإنسان مستعد ليدرك الحاجة للتغيير.. مش معنى الكلام دا أنو كل مثقف ما بيدرك الحاجة للتغيير.. فى بعض المثقفين يدركونها ولكن التدريك لا يتجسد فى أذهانهم بالصورة التى تدعو إلى الممارسة ممارسة العمل من أجل التغيير [1].

ظل الأستاذ محمود يسعى للجدل الفكرى بعيداً عن مؤسسات السلطة السياسية، حكومة مايو، بشروط الجدل الأخلاقية وبمتطلباته فى المسؤولية العلمية وفى ميدانه الحقيقى حيث المنابر الحرة. يقول الإخوان الجمهوريون: "ولذلك فنحن، وحدنا، أصحاب هذه الدعوة الذين نستطيع أن نتحمّل المسئولية عنها، من حيث الفكرة، ومن حيث أسلوب العمل.. فلا يمكن، ولا يجب، أن يتحمّل الاتحاد الاشتراكى هذه المسئولية عنّا، كأعضاء فيه"[2]. ويضيفون قائلين: "لا سيّما وهو لا يزال يعتبر المسئولين فى المؤسسات الدينية التقليدية، وهو فى ذلك معذور، هم الممثلين الرسميين للدين فى البلاد، وتضم عضويته هؤلاء المسئولين الرسميين بهذه الصفة، حيث يصعب أن يتعايش فهمان دينيان متصارعان، صراعاً لا يحسمه الاّ تطوّر الزمن، داخل تنظيم واحد يرجى له التماسك والقوة"[3]. ثم يشير الإخوان الجمهوريون إلى الجو الشعبى قائلين: "هذا والاتحاد الاشتراكى ليس هو ميدان هذا الصراع.. ميدانه الحقيقى حركة المنابر الحرّة التى يدور فيها الحوار الفكرى، ويشارك فيها الشعب، بأفراده، ومجاميعه، فى جو شعبى"[4]. وعن العمل فى التوعية الشعبية، بعيداً عن مؤسسات حكومة مايو، لا سيما الاتحاد الاشتراكى، يقول الإخوان الجمهوريون: "إن عملنا فى التوعية الشعبية اليومية، بأخطار الطائفية، والإخوان المسلمين، والشيوعيين، على مصالح البلاد العليا، وهو خطنا الأصيل فى التوعية منذ نشأة دعوتنا، مما لا تستطيع أن تستوعبه برامج الاتحاد الاشتراكى، وهو يدخل فى مصالحة وطنية مع بعض هذه العناصر السياسية، ودخولنا الاتحاد الاشتراكى، من جهة أخرى، إنما يعنى فراغ ميدان التوعية الشعبية من طبيعة هذا العمل المتميّز، الفعّال، الذى نقوم به". بل دعا الإخوان الجمهوريون إلى

---

(1) المصدر السابق.

(2) الإخوان الجمهوريون، **لماذا نؤيد سلطة مايو؟؟**، مصدر سابق، ص 73-74.

(3) المصدر السابق، ص 73-74.

(4) المصدر السابق، ص 73-74.

تكوين تنظيمات فكرية تخلف التكتلات العقائدية، والطائفية، القائمة اليوم[1].

المصالحة الوطنية والعودة لمربع الفقهاء مختطفى منابر الحوار فى عقد الستينيات

بكل أسف هذا حادث كبير كان فى هذا الزخم، زخم الشريعة هذا. لم يعدم محمود محمد طه، جعفر نميرى.. كل عناصر القوى السياسية التى جاءت فى المصالحة الوطنية كانت تتحمل المسؤولية فى إعدام محمود محمد طه، لأن محمود محمد طه كان ضد الطائفية وكان ضد حركة الجبهة الإسلامية والإخوان المسلمين[2].

أبو القاسم محمد إبراهيم، عضو مجلس قيادة ثورة مايو 1969

لقد تمكنت سلطة الفقهاء في السودان، منذ مطلع القرن العشرين، وتجلت هيمنتهم وسيطرتهم بوضوح فى عقد الستينيات. فقد نجح الفقهاء فى اختطاف منابر الحوار والسجال من المثقفين فى عقد الستينيات. وشهد عقد الستينيات تكفير تلاميذ الأستاذ محمود بعد أن فصلوا من المعهد العلمى بأمدرمان عام 1959-1960، وقد كفر المعهد من قبل الشاعر التجانى يوسف بشير، وألحق الأذى والإرهاب الدينى بالشاعر محمد عبدالوهاب القاضى، كما ورد فى الفصل التاسع من هذا الكتاب. وشهد عقد الستنينيات أيضاً حل **الحزب الشيوعى السودانى** وطرد نوابه من البرلمان، وعقدت محكمة الردة فى 18 نوفمبر 1968، كما ورد فى الفصول السابقة. وفى عقد الستينيات تحوَّل أزهر السودان "المعهد العلمى بأمدرمان" إلىٰ **جامعة أمدرمان الإسلامية** بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم 390، وأصبح كامل الباقر (1918-1995)، القادم من مصلحة الشؤون الدينية مديراً للجامعة فى أغسطس 1965[3]. وكان فى سبتمبر 1963 قد انتهى انتداب الشيخ محمد المبارك عبدالله، الذى ظل شيخاً للعلماء وشيخاً للمعهد من العام 1956 وحتى العام 1963[4]. وشهد عقد الستينيات

---

(1) المصدر السابق، ص 73-74.

(2) أبو القاسم محمد إبراهيم، ضمن سلسلة "بين زمنين"، كان هناك برنامج من خمس حلقات تناول فترة حكم الرئيس السودانى الأسبق جعفر محمد نميرى، إعداد وتقديم أحمد المهنًا، **قناة أبو ظبى**، أبو ظبى، يوليو 2008.

(3) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 107-111.

(4) الأمين محمد المحيسى، مصدر سابق، ص 40.

الدعوة للدستور الإسلامـى بحماسة واسعة من مختلف الأحزاب التـقليدية والطائفية وجبهة الميثـاق الإسلامى (الإخوان المسلمين). الشاهد أن هيمنة الفقـهاء، واختطافهم لمنابر الحوار والسجال، كـانت من أوضح معالم عقد الستينيات من القرن الماضى فى السودان.

حينمـا تمت المصالحة الوطنيـة عام 1977، عادت أحـزاب الجبهة الوطنيـة، وانتقلت من وضعية المقاومة إلى وضعية المشـاركة. لم تكن عودة الأحزاب الطائفية والإخوان المسلمين سوى عودة ثانيـة للمناخ الفقهى وعودة ثانية لهـيمنة الفقهاء وسـيطرتهم على منابر الحوار والسجال، وعـودة ارهاصات الدستور الإسلامى والحكم بالشـريعة الإسلامية. كـتب عمر القراى قائلاً: "فى عام 1977 صالح زعـماء الطائفية نظام مـا يودون أى شرط، ودخلوا فى الحزب الواحد، الاتحاد الاشتراكى، رغم ادعائهم الإيمان بالتعددية، وقام نميرى بتنصيب د. حسن الترابى والسيد الصادق المهدى والسيد محـمد عثمان الميرغنى، الذى ناب عنه شقيقه السيـد أحمد الميرغنى، فى اللجنة المركـزية للاتحاد الاشتـراكى، وبدأ الصراع داخل السلطة بين "القادمين والقدامى"!![1]. وأضاف القراى قائلاً: "فى هذه الظروف طرح الجمهوريون ضرورة قـيام المنـابر الحرة، حـيث تضطر الأحزاب أن توضح مـبادئهـا، فتنكشف للشـعب ويأخذ منها النظام حذره"[2]. وأضاف القراى قائلاً: كتب د. منصورخالد قائلاً: "ومن بين كل القوى السياسية فإن الفئـة الوحيدة التى دعت لإعلاء مكان متقدم للجانب الفكرى فى حوار المصالحـة كانت هى الإخوان الجمهوريون. فـفى بيان وقعه عبداللطيف عـمر حسب اللهجاء (لقد آن الاوان للتكتلات الطائفية العـقيدية أن تبنى نفسها فى صورة أحزاب ذات مناهج تقوم على مذهبية واضحة، مفصلة، تلتـزمها فى أخلاق قادتها وفى أخلاق قاعدتها، وعلى هداها تورد تفاصيل حل مشكلات المجتمع المعاصر)"[3].

دخلت الأحزاب فى المصالحة وكان لكل منها مآربه وخططه بعيدة المدى. كتب منصور خـالد قائلاً: "يقـول حسن الترابى: (صالحنا الـنميـرى بسبب مـا رأى من بأسنا "أى بأس

(1) عمر القراى، "الجمهوريون ومايو (3-4)"، **صحيفة السودانى**، 16 فبراير 2008.
(2) المرجع السابق.
(3) المرجع السابق.

الإخوان المسلمين" فى حركة يوليو... وكنا نـدرى بالضبط ماذا نريد منها (المصالحة) ولم نكن نعول على التعامل ولم نكن نرجو منه شيئاً، ولكن كنا نعول على بناء حركة إسلامية واسعة المدى ونحاول أن نتقى ما يستفزه من مظهر سياسى سافر. فهو يريد السلطة اليوم وغداً ونحن نريد وراثة المستقبل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للأمة)"[1]. كان الإخوان الجمهوريون قد قادوا مواجهة واسعة مع السلفيين والإخوان المسلمين، كشفت عن الفهم الزائف للدين، وسعت للتعريف بحقيقة الإخوان المسلمين. نشر تلاميذ الأستاذ محمود العديد من الكتب عن الإخوان المسلمين منها سلسلة كتب كانت بعنوان: **هؤلاء هم الإخوان المسلمون**[2]، وصدرت منها ثلاثة أجزاء[3]، وكذلك كتاب: **الإخوان المسلمون يلعبون على الحبلين**[4]، **وبنك فيصل الإسلامى!؟**[5]، وغيرها.

الشاهد أنه مع المصالحة الوطنية بدأت الجهود للتخلص من الأستاذ محمود وتصفية حركته وفقاً لرؤية الإخوان المسلمين. وتوجت الجهود بتطبيق قوانين سبتمبر 1983. فقد كتب حسن مكى عن وقع المصالحة الوطنية عام 1977 على الإسلاميين داخل وخارج السودان، وتحدث عن أن الحركة الإسلامية والت محاولات اختراق نظام الرئيس نميرى والتغلغل فى صفه... وانشغل الإخوان [المسلمون] طيلة عام 1978 بهموم التوسع والعمل الداخلى.. ومع بدايات عام 1980 بدأت الحركة الإسلامية العمل فى الجنوب[6]. كما شرعت القيادة الإخوانية فى إقامة **منظمة الدعوة الإسلامية** وتغذية **المركز الإسلامى الإفريقى وبنك فيصل الإسلامى** بالعناصر الإسلامية[7]. وابتداءً من العام 1982 أخذ نظام مايو يعزز توجهاته فى اتجاه الإسلام.. فقد شهد عام 1982 (مارس- أبريل) انعقاد **المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية** فى إطار احتفالات البلاد بمقدم القرن الخامس عشر

(1) منصور خالد، **الفجر الكاذب: نميرى وتحريف الشريعة**، دار هلال، بيروت، 1986، ص 420.
(2) الإخوان الجمهوريون، **هؤلاء هم الإخوان المسلمون**، ج1، 1978.
(3) الإخوان الجمهوريون، **هؤلاء هم الإخوان المسلمون**، ج2، 1978؛ الإخوان الجمهوريون، **هؤلاء هم الإخوان المسلمون**، ج3، 1979.
(4) الإخوان الجمهوريون، **الإخوان المسلمون يلعبون على الحبلين**، ط1، أمدرمان، 1979.
(5) الإخوان الجمهوريون، **بنك فيصل الإسلامى!؟**، 1983.
(6) حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان 1969-1985: تاريخها وخطابها السياسى**، مرجع سابق، ص 122.
(7) المرجع السابق، ص 110-114.

الهجرى.. حيث وصل البلاد عدد من المفكرين الإسلاميين وواصلوا تقديم محاضراتهم الشعبية والرسمية[1]. وفى منتصف عام 1983 قام الرئيس نميرى بتعيين عدد من الإسلاميين مستشارين قانونيين فى القصر الجمهورى وهم: عوض الجيد محمد أحمد والنيل أبو قرون وبدرية الزين [هكذا][2]. وقد وردت الإشارة آنفاً، إلى دور هؤلاء الثلاثة فى محاكمة الأستاذ محمود والجمهوريين فى يناير 1985 (لمزيد من التفاصيل أنظر ملحق رقم: "48" وملحق رقم: "49"). أضاف حسن مكى متحدثاً عن نجاح الإسلاميين فى تطوير حركة المصالحة الوطنية حتى بلغت قمتها فى تصفية الأستاذ محمود، فقد مثّل الأستاذ محمود والجمهوريون الخصم اللدود للإخوان المسلمين، ولا بد من تصفيته. أوضح حسن مكى أن استثمار الحركة الإسلامية لمناخ المصالحة قد تجلى فى: "جهود الإسلاميين فى تطوير حركة المصالحة إلى علاقات مشاركة وتحالف مرحلى إلى أن توجت جهودهم بحركة تطبيقات القوانين الشرعية والتى بلغت قمتها فى تصفية حركة محمود محمد طه"[3].

المواجهة والصمود وتجسيد المعارف والسمو فى مدارك العبودية

جاء الوقت لتجسيد معارفنا، وأن نضع أنفسنا فى المحك ونسمو فى مدارك العبودية سمواً جديداً[4].

محمود محمد طه، *قبل تنفيذ الإعدام بأسبوعين*

واجه الأستاذ محمود الإرهاب الدينى، وناجز التخلف والدعوات السلفية بالفكر والحجة الناصعة منذ الستينيات حيث عقدت المحكمة المهزلة فى 18 نوفمبر 1968، وأصدرت حكمها الجائر الجاهل بردته عن الإسلام. اتخذ الأستاذ محمود من ذلك الحكم مادة لتوعية الشعب وقد ظل يرفعه نموذجاً لما ينتظر الشعب من ذل وهوان لو قدر لأمثال

(1) المرجع السابق، ص 123.
(2) المرجع السابق، ص 129-130.
(3) المرجع السابق، ص 14.
(4) محمود محمد طه، "حديث الأستاذ محمود فى ختام المؤتمر الذى أقيم بمناسبة عيد الاستقلال"، مساء الجمعة يوم 1985/1/4، مصدر سابق.

أولئك القضاة وأشياعهم أن يجدوا فرصة لحكم السودان[1]. وظل الأستاذ محمود وتلاميذه وتلميذاته على الدوام يحذرون من خطر الهوس الديني ويواجهونه بالكلمة المسموعة والمكتوبة، ليس في السودان فحسب؛ وإنما على مستوى العالم، وأصدروا في ذلك العديد من الكتب كما وردت الإشارة وكما هو مثبت بعضها في قائمة المصادر والمراجع. ففي مايو 1983 أصدر الإخوان الجمهوريون كتاب: **الهوس الديني يثير الفتنة ليصل الى السلطة**[2]، والذي واجه النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس جهاز الأمن عمر محمد الطيب بنقد قوي لقيامه بالسماح لجماعات مهووسة، ودعاة مشبوهين من خارج القطر، باستغلال مسجد يتبع له، وباستغلال أجهزة الاعلام، في القيام بحملة رأى الجمهوريون أنها تفتح الباب أمام فتنة دينية لا تبقي ولا تذر، فقامت السلطة باعتقال الأستاذ محمود، وعدد من الجمهوريين من غير أن توجه لهم تهمة، وظلوا في المعتقل حتى صدرت قوانين سبتمبر 1983 -وكان الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، أول من أطلق عليها تسمية قوانين سبتمبر 1983- والتي نسبت زوراً الى الشريعة الاسلامية، فعارضها الأستاذ محمود وتلاميذه من داخل المعتقل، ومن خارجه، ثم تصاعدت وتيرة الأحداث الى إعلان حالة الطوارئ واقامة المحاكم الإيجازية العشوائية في أبريل 1984 لتطبيق تلك القوانين السيئة الإخراج والقصد[3].

ما أن أطلقت سلطات حكومة مايو سراح الأستاذ محمود وتلاميذه في يوم 1984/12/9، إلا وأعلن في مساء نفس اليوم: "إننا لم نخرج من المعتقل لنرتاح، وإنما لنواجه الظلم الذي يمارس باسم الإسلام"[4]. ولم تمض سوى ستة أيام على خروجه من المعتقل حتى أصدر الأستاذ محمود في 25 ديسمبر 1984 منشوره الشهير "هذا... أو الطوفان!!"، (أنظر ملحق رقم "47") . وقد طالب فيه، كما ورد آنفاً، بإلغاء قوانين

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **حيثيات المحكمة العليا في قضية الأستاذ محمود محمد طه: انتصار للحق، ودحض للحكم المهزلة**، أمدرمان، نوفمبر 1986، ص 2.

(2) الإخوان الجمهوريون، **الهوس الديني يثير الفتنة ليصل إلى السلطة**، أمدرمان، 1983.

(3) "لمحات من سيرة الأستاذ محمود محمد طه"، من **موقع الفكرة الجمهورية**، محاضرات، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 18 أكتوبر 2009، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(4) الإخوان الجمهوريون، **حيثيات المحكمة العليا في قضية الأستاذ محمود محمد طه: انتصار للحق، ودحض للحكم المهزلة**، مصدر سابق، ص 2.

سبتمبر 1983 وتنقيةً الدين من التشويه الذى ألحقته به، ودرء الفتنة الدينية، وطالب السلطة ومعارضيها فى الجنوب إلى التفاوض لحل مشكلة الجنوب، والى إيقاف الاقتتال، صوناً لوحدة الوطن، وحقناً لدماء أبنائه.. كان الأستاذ محمود يدرك بأن جماعة الهوس الدينى وعناصرهم من المستشارين من أدوات السلطة يتربصون به، وينتظرون فرصة تقديمه لمحاكم السلطة الجائرة. وهذا ما كشفت عنه مراسلات النيل عبدالقادر أبوقرون إلى الرئيس جعفر محمد نميرى بتاريخ 1984/12/29. كتب النيل عبدالقادر أبو قرون قائلاً: "المنشور المرفق [منشور: هذا... أو الطوفان!!] وزعه الجمهوريون وقد قبض على ستة منهم وتم التحقيق معهم وسوف يقدمون للمحاكم وبهذا فقد أتاحوا لنا فرصة تاريخية لمحاكمتهم". (للمزيد أنظر ملحق رقم "48" و "49"). وبينما كان يتحدث المستشارون والمتربصون عن الفرصة التاريخية لمحاكمة الأستاذ محمود، كان الأمر عند الأستاذ محمود مختلفاً كلية معنًى وروحاً وقيمة وفكرة ومبدأ. فالأمر عنده، كما كان طوال سيرته، أمر دين، وأمر حقوق الشعوب، ونصرة المستضعفين، وكرامة الإنسان، فلا مساومة فيه، وهو أمر مبدأ فكرى وإنسانى لا نكوص عنه ولا حياد فيه.. ففى مساء يوم الجمعة 1985/1/4 وفى ختام المؤتمر الذى أقيم بمناسبة عيد "الاستقلال"،تحدث الأستاذ محمود إلى تلاميذه وتلميذاته عن ضرورة أن يفدى الجمهوريون الشعب السودانى حتى يرفعوا عن كاهله اصر الظلم الذى وقع عليه، مقدماً نماذج من تأريخ التصوف لصور من فداء كبار المتصوفة لشعبهم. كما تحدث عن مجىء الوقت لتجسيد المعارف، كما ورد أعلاه[1].

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من حديث الأستاذ محمود لتلاميذه وتلميذاته مساء الرابع من يناير عام 1985، عن تجسيد المعارف والسمو فى مدارك العبودية، قامت سلطات النظام المايوى فى صباح الخامس من يناير 1985 باعتقال الأستاذ محمود. وكانت السلطات قد اعتقلت قبله عدداً من تلاميذه، ليتم بذلك استغلال الفرصة التاريخية التى تحدث عنها مستشارو الرئيس نميرى. وفى واقع الأمر كانت محاكمة الأستاذ محمود وتلاميذه قد أعد

(1) محمود محمد طه، "حديث الأستاذ محمود فى ختام المؤتمر الذى أقيم بمناسبة عيد الاستقلال"، مساء الجمعة يوم 1985/1/4، مصدر سابق.

الدينى، كما كشفت المراسلات والوثائق والشهود (أنظر الملاحق رقم:"48" و"49"، كما يتضمن الفصل القادم بعض الشهادات التى تبين مواقف النيل أبو قرون وعوض الجيد محمد أحمد، وغيرهم من المستشارين والقضاة).

المؤامرة والشراكة فى الاغتيال !

وما كان للمتآمرين أن يعلموا أن الأستاذ محمود محمد طه قد ذهب إلى ما ذهب إليه مختاراً وحيث أباح هذا السر ونعى نفسه لتلاميذه وللحاضرين فى الليلة السابقة لاعتقاله الأخير، حيث تحدث فى ختام مؤتمر احتفاله بعيد الاستقلال وفى الطريق العام عن ضرورة الفداء للشعب حتى يذهب نميرى الذى أصبح "الدجال" الذى يقف عقبة أمام مجد الإسلام ومجد السودان.. وحديثه عن الفداء كان واضحاً حينما عدد عدداً من الأخيار الذين فدوا الأمة السودانية فى الماضى(1).

سعيد الطيب شايب

عاد المناخ الذى تحكم فى عقد الستينيات من القرن الماضى، كما وردت الإشارة آنفاً، وهو مناخ الفقه والفقهاء. فقد تجلى فى عقد الستينيات بوضوح سافر اختطاف الفقهاء لمنابر الحوار وسوح السجال. فقد عاد ذلك المناخ ليهيمن ثانية وبقوة على عقد الثمانينيات من القرن الماضى. فقد تم استدعاء محكمة الردة الأولى والتى عقدت فى 18 نوفمبر 1968، وحكمت غيابياً على الأستاذ بالردة عن الإسلام. وكما ورد آنفاً، فإن محكمة الردة الأولى تقاطعت فيها عوامل عديدة، تتصل بالطائفية، وجبهة الميثاق الإسلامى (الإخوان المسلمين)، وحلفاء مصر والتحالف الإسلامى العريض بين القاهرة وأمدرمان ومكة. لقد فصلت هذه الأمور فى الفصول السابقة، خاصة فى الفصل الثانى: "قراءة فى الدراسات السابقة: مرحلة الفقهاء، تعطيل الطاقات الحيوية وتجميد حركة التغيير والتحرير"، والفصل الثامن: "محكمة الردة الأولى 1968 والعجز الفكرى". يقول عمر القراى وهو يتحدث عن

---

(1) سعيد الطيب شايب، "حوار مع الأستاذ سعيد شايب عن الفكر الجمهورى"، أجرى الحوار: عيدروس عبدالعزيز، **صحيفة الأيام**، 6 يناير 1986 الموافق 25 ربيع الثانى 1406؛ نص الحوار منشور فى **موقع الفكرة الجمهورية** على الإنترنت: www.alfikra.org.

محـكمة الردة الأولى: "ولم تحـدث محكمـة الردّة فجـأة، دون أسبـاب، وإنما كانت بسـبب تراكم مواقف أزعـجت الطائفية، وجبـهة الميثاق الإسـلامى، ودفعتهـما ليتآمـرا ضد **الحزب الجمهورى**، ممثلاً فى شخص رئيسه الأستـاذ محمود محمد طه"[1]. ففى يوم الاثنين 7 يناير 1985 قُدّم الاسـتاذ محمـود وأربعة من تلاميـذه للمحاكمـة أمام محكمـة الطوارئ، برئاسة حسن إبراهيم المهلاوى. فأعلن الأستاذ محمود محمد طه رفضه التعاون مع المحكمة، بكلمة خالدة وآبدة، ورد نصها فى الفصل الثانى مـن هذا الكتاب، واضعاً المحكمة، والقانون الذى تحـاكم به، والسلطة التى تأتمر بأمـرها فى موضـعهـا الصحـيح من أنها مـجرد أدوات لقـمع الشعب وإسكات صوت الأحرار من أبنائه. فى يوم الثلاثاء 8 يناير 1985 أصدرت المحكمة المهزلة حكمها المعد سلفاً بالإعدام على الأستاذ مـحمود وتلاميذه الأربعة: عبداللطيف عمر حسب الله، ومحمد سالم بعشر، وتاج الدين عبدالرازق، وخالد حمزة.

الاغتيـــال!!!

ما كنت أعـتقـد لحظة أن محـمود محـمد طه قـد وشى به بعض فقهـائنا الذين أجلّهم وأقـدّرهم وقد تتلمـذت على فتاويهم ردحـاً من الزمن فى العـمل العام والحيـاة الخاصـة إلى أن خاب ظنى فـيهم بعـد سماعى لخطبـة الجمـعة بمسـجد النيلين[2] بتاريخ 11 شوال 1405... لقـد جاء فى خطبـة الجـمعـة أن ثلة من الفقهاء اجتمعت وتشاورت طواعية أو طمعاً مع عمر محمد الطيب[3] فى أمر محمـود محمد طه، وقـد اصدرت هذه الثلة فتوى أظـنها سرية وغيـر دستورية فمنهم من هو غير سودانى ومنهم من هو غير مؤهل قـانونياً بتكفير محمود قبل أشهر من تلفيق التهمة ضده[4].

مختار عجوبة

---

(1) عمر القـراى، "محكمة الردة (1-3)، فى ذكراها المشـؤومة الأربعين"، **من موقع الفكرة الجـمهورية**، مقالات، استرجاع (Retrieved) 18 فبراير 2010، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org/article

(2) يقع مسجـد النيلين عند ملتقى النيلين الأبيض والأزرق على شاطئ مـدينة أمدرمان الشرقى. افتـتح المسجد فى 1984/12/2 فى عهد الرئيس نميرى.

(3) كان نائباً لرئيس الجمهورية، ورئيساً لجهاز أمن الدولة حتى انتفاضة 6 أبريل عام 1985.

(4) مختار عجوبة، مرجع سابق، ص 101-107.

والجريمة التى تمثلت فى شنق هذا الرجل المسن بهذه الطريقة البشعة... هى جريمة تقلص من قيمتنا، نحن المجتمعين فى هذه القاعة ومن قيمة كل إنسان يوجد على وجه البسيطة(1).

سيريل ثاوسند، نائب فى البرلمان البريطانى

وفى يوم 15 يناير 1985 أصدرت محكمة الاستئناف المزعومة برئاسة القاضى المكاشفى طه الكبّاشى حكمها المتوقع بتأييد حكم المحكمة المهزلة، بعد أن قامت بتحويل الحكم من إثارة الكراهية ضد الدولة، إلى اتهام بالردة، لتتضح ملامح المؤامرة أكثر. لقد استدعت المحكمة حكم محكمة الإستئناف الشرعية بالخرطوم 1968، واستشهدت به، كما استدعت الفتاوى الصادرة من **الأزهر** ومن المؤسسات الإسلامية واستشهدت بها. فقد جاء لاحقاً فى إعلان المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية، بطلان الحُكم فى حق الأستاذ محمود من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف، إذ قالت المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية أن المحكمة فى حكمها فى يناير 1985 قد: "استشهدت بحكم محكمة الاستئناف الشرعية بالخرطوم الذى صدر فى عام 1968 بإعلان ردة محمود محمد طه، واستعرضت بعضاً مما جاء فى كتب صدرت عن الجمهوريين، وما صدر عن المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى من تأييد لحكم عام 1968، وما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية بجمهورية مصر العربية من وصف لفكر محمود محمد طه "بالفكر الملحد" وخلصت محكمة الاستئناف الجنائية من كل ذلك إلى أنه"مما تقدم يتضح أنّ محمود محمد طه مرتد عن الدين ليس فقط ردة فكرية وإنما هو مرتد بالقول والفعل داعية إلى الكفر معارض لتحكيم كتاب الله ... إلخ".. ولعلنا لا نكون فى حاجة إلى الاستطراد كثيراً فى وصف هذا الحكم، فقد تجاوز كل قيم العدالة سواء ما كان منها موروثاً ومتعارفاً عليه، أو ما حرصت قوانين الإجراءات الجنائية المتعاقبة على النص عليه صراحة ، أو انطوى عليه دستور 1973 الملغى رغم ما يحيط به من جدل..إلخ"(2).

(1) الإخوان الجمهوريون، **ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود**، أمدرمان، 1985، ص 33. ورد فى المصدر أن هذا الحديث ورد ضمن جلسة لمجلس العموم البريطانى، بتاريخ 11 فبراير 1985. كما ورد أن بسيريل ثاوسند هو نائب البرلمان الممثل لحزب المحافظين ورئيس جمعية تعزيز التفاهم العربى- البريطانى.

(2) للاطلاع على التفاصيل أنظر: القضية نمرة م ع/ ق د / 2/ 1406، أسماء محمود محمد طه وعبداللطيف عمر حسب الله ضد حكومة جمهورية السودان، **الموسوعة السودانية للأحكام والسوابق القانونية**، مصدر سابق.

لم يكن مشهد المحاكمة عند الأحرار من المثقفين والمثقفات والمفكرين والمفكرات، كما هو عند الفقهاء والقضاة الشرعيين، فقد كتبت عطيات الأبنودى من مصر، بعد أن شاهدت شريط فيديو المحاكمة، قائلة:

عندما شاهدت شريط الفديو المنقول عليه محاكمة الأستاذ الشهيد محمود محمد طه المفكر السودانى الإسلامى الكبير سناً ومقاماً، فزعت روحاً وعقلاً إن صح هذا التعبير، وأحسست أنى عشت ولمدة ثلاث ساعات متواصلة كابوساً بشعاً فى مشاهدة مسرحية من مسرحيات محاكم التفتيش التى كنا نقرأ عنها ونحن صغار السن، ولم أكن أتصور أنه من الممكن أن أشاهد محاكم التفتيش هذه حية هكذا وبأشخاص حقيقين قضاة ومخبرين ومحامين وجمهور مشاهدين وحجرة ضيقة غاية الضيق وقضبان مدببة ملتصقة بحايط بحيث يصعب أن يتحرك أى إنسان خلف هذه القضبان....عندما خرج علينا قاضى محكمة الاستئناف المكاشفى طه الكباشى وبجواره وزير إعلام النظام السودانى فى عام 1985 وهو يتربع على شاشات التليفزيون السودانى لكى يقرأ مبررات حكم الإعدام على الأستاذ، وبمعنى أصح، لكى يحاكمه مرة أخرى بعد أن أعدموه. لقد أحسست من مشاهدتى للمحاكمة كيف أن القضاة والمخبرين والعساكر والضباط والمحامين -أحسست بهم- كأنهم هم داخل القفص لا هؤلاء المقدمين للمحاكمة، أحسست أيضاً تجاه هذا الرجل المدعو قاضى محكمة الاستئناف بأنه الخائف المذعور رغم كاميرات التلفزيون وعساكر السلطة التى تحيط به[1].

ظلت كلمات الأستاذ محمود التى قالها فى قاعة المحكمة تلهم وتعلم معانى الجسارة والشموخ. كتب عبدالعظيم محمد أحمد قائلاً: "كلمة الأستاذ محمود محمد طه أمام محكمة المهلاوى مرافعة تاريخية سامقة جديرة بالتأمل وصفحة مليئة بالفكر والجسارة من صفحات نضال أبناء شعبنا فى سبيل مجتمع إنسانى.. الخزى والعار للجلادين والقتلة"[2].

---

(1) عطيات الأبنودى، "النص الكامل لمحاكمة وإعدام زعيم إسلامى فى السودان"، **القاهرة**، يناير 1994، ص 46.

(2) عبدالعظيم محمد أحمد، ضمن خيط مريم بنت الحسين: "كلمة الأستاذ محمود محمد طه أمام محكمة المهلاوى"، **من موقع سودانيزأولاين**، استرجاع (Retrieved) 25 أكتوبر 2005، الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com

لم يقف الأمر عند ابتداع تهمة الردة التى لم تكن موجودة فى قانون العقوبات آنئذ، وإنما استحدثت إجراءات لا علاقة لها بالقانون، سميت بالاستتابة. يقول عبدالله الأمين[1] إنه قُدم للمحاكمة، مع أربعة من تلاميذه، أمام محكمة جنايات أمدرمان التى كانت واحدة من محاكم (العدالة الناجزة) فى ذلك الوقت.. وقد كانت التهمة الموجهة للمتهمين أمام هذه المحكمة، هى المادة (96) من قانون العقوبات آنذاك (إثارة الكراهية ضد الدولة) ولم تكن توجد بالقانون تهمة تسمى الردة..وقد أدانتهم هذه المحكمة تحت المادة المذكورة (إثارة الكراهية ضد الدولة) وحكمت عليهم بالإعدام، ثم أضافت إلى الحكم ما أسمته بإعطائهم حق التوبة إلى ما قبل تنفيذ الحكم، مما لم يكن له أى سند فى القانون، ثم رفع الحكم تلقائياً إلى محكمة استئناف (العدالة الناجزة) التى أضافت ما أسمته بتهمة الردة، رغم عدم وجود مثل هذه التهمة فى القانون آنذاك، وأيدت الحكم بالإعدام، وأضافت إليه أحكاماً اختلقتها، لا سند لها فى أى قانون أو عرف، مثل مصادرة كتبه، وعدم الصلاة على جثمانه، وعدم دفنه فى مقابر المسلمين، إلى آخر هذه الغرائب اللاإنسانية.. وأيضاً سعت محكمة الاستئناف المذكورة إلى محاولة تشويه فكر الأستاذ محمود من خلال حيثيات حكمها المذكور، والتى أذيعت على الناس من خلال أجهزة الإعلام، وقد كانت هذه الحيثيات ظاهرة التحامل والتآمر، وتفتقر إلى أبسط مقومات العمل القضائى، كما سنرى، ثم رفع الحكم مباشرة إلى رئيس الجمهورية الأسبق المخلوع، دون أن يمر على المحكمة العليا (لأنها كانت خارج نطاق محاكم العدالة الناجزة) فقام الرئيس المخلوع بتأييد الإدانة بالردة، والعقوبة بالإعدام، وما أضيف إليها من عقوبات مما سلف ذكره، فى بيان سياسى ركيك ومتحامل، بثّ أيضاً من خلال الإذاعة والتلفزيون.. وبعد ذلك، وبتاريخ 18 يناير 1985، تم تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود وحده، بينما ألغى فى حق تلاميذه الأربعة، من خلال إجراءات مستحدثة، لا علاقة لها بالقانون، سميت بالاستتابة[2].

---

(1) قانونى وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود.

(2) عبدالله الأمين، "حيثيات حكم المحكمة العليا الصادر عام 1986 فى قضية الأستاذ محمود محمد طه!!"، **من موقع الفكرة الجمهورية**، مقالات، استرجاع (Retrieved) 26 يناير 2010، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org/article

الاستتابة والانحدار إلى درك العصور الوسطى

جلسة الاستتابة التى أخرجها فقهاء سبتمبر كانت تمثيلية فاشلة لم تقنع حتى الذين طبخوها بليل. وقد بدأت المسرحية بإحضار الإخوة الجمهوريين وإجبارهم على مشاهدة عملية إعدام الأستاذ محمود محمد طه لإرهابهم والضغط عليهم. وقبل أن يختفى أثر المشهد القاسى من نفوسهم أجبروا بحل هذه الجلسة التى أرادوا لها أن تكون مغلقة.. ولكن إرادة الله فضحتهم وقد سجلت أجهزة الإعلام الجلسة التى أذيعت على الهواء ونشر نص الحوار غير العادل وكل ما فيه من ضغوط وتهديد[1].

طلحة الشفيع

تم إلغاء حكم الإعدام فى حق تلاميذ الأستاذ محمود الأربعة بإجراءات مستحدثة، كما يقول القانونى عبدالله الأمين، لا علاقة لها بالقانون، سميت بالاستتابة. وسم المؤرخ محمد سعيد القدال هذه الاستتابة بمحكمة الاستتابة. يقول القدال: "وانتدبت مجموعة من العلماء وكونوا محكمة الاستتابة لمناقشة بقية الأربعة المحكوم عليهم بالإعدام. وكانوا قد اقتيدوا إلى ساحة السجن وشاهدوا إعدام محمود. وتكونت المحكمة من المكاشفى وحاج نور وسر الختم ماجد ومعهم من العلماء: عبد الجبار المبارك، حسن أحمد حامد، عبدالرحمن دفع الله، صديق عمر الإمام"[2]. ويضيف القدال: "وأعلنت المحكمة أن الإسلام يفتح بابه واسعاً للتوبة. وبدأت مناقشة المحكومين فى أحد مكاتب السجن العمومى وهم بملابس الإعدام". ويسترسل المؤرخ القدال يصور فى المهزلة والعبث ويراقب الانحدار إلى درك العصور الوسطى بحسة التاريخى الذى يدرك بأن المواقف ستبعث من جديد، يقول القدال: "وكانت جلسة مفتوحة بثتها أجهزة الإعلام، انحدر فيها القضاة إلى درك العصور الوسطى. واعترف الرجال الأربعة بكذبهم وردتهم وأعلنوا توبتهم وعودتهم إلى حظيرة الدين الإسلامى. وتحدثت **جريدة الأيام** فى كلمتها عن سماحة الإسلام وديمقراطيته وارتفاع رايات الحرية بين المحكومين والعلماء"[3].

---

(1) طلحة الشفيع، "مشاهد لم تعرض عليكم من مسرحية الإستتابة"، **صحيفة الصحافة**، العدد: 8098، 1985/6/29.
(2) محمد سعيد القدال، **الإسلام والسياسة فى السودان** (1651-1985)، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص227-228.
(3) المرجع السابق، ص 228.

كان مشهد الاستتابة كما صورته الصحفية الأمريكية جوديث ملير، مراسلة صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية، والتى شهدت تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، وقد أوردت شهادتها على تنفيذ الإعدام ضمن شهادات آخرين فى الفصل التالى. كتبت جوديث ميلر عن مشهد الاستتابة، واستميح القارىء عذراً فى إيراد شهادتها كاملة برغم طولها، لأهميتها التاريخية، كتبت قائلة(1):

فى صبيحة اليوم التالى، زرت وصديقى ديفيد بلندى، من **صحيفة صنداى اللندنية**، زرنا معاً محمد عمر بشير (لا علاقة له بالإسلامى الحاكم عمر البشير)، ويعد بشير من المفكرين المعروفين ويقوم بتدريس العلوم السياسية فى **جامعة الخرطوم** بجانب كونه ناشطاً فى حقوق الإنسان. كنا جلوساً فى مظلة حديقة، من النوع الذى اعتاد مثقفو شمال السودان على قضاء أوقاتهم فيها يتجاذبون أطراف الحديث حول شؤون وأمور بلدهم. كان م. ع. ب، كما هو الاسم المتداول لدى المراسلين، مكتئباً. قطع خادمه علينا استرسالنا فى نقاشنا هامساً لمضيفنا بشىء فى أذنه. فجأة قفز بشير ودلف بنا الى غرفة كبيرة، معتمة أغلقت نوافذها جيداً من شمس الشتاء الساطعة. أدار المروحة وشغل تلفزيوناً عتيقاً من النوع الأبيض وأسود. ظلت كاميرا التلفزيون مركزة على غرفة صغيرة تبدو وكأنها سجن. تماثل الغرفة مقهى غير مرتب وقد بدت على مناضد، مغطاة بملاءة بلاستيكية، أكواب شاى نصف فارغة وثمة ذباب متجول بينها.

أُدخل أربعة رجال فى جلاليب ممزقة، واحدا تلو الأخر، الى غرفة كاشفة الأضواء. كان كل من الأربعة يحمل فى يديه جنازير تقيد رجليه. تذكرت مسيح سودان القرن التاسع عشر، المهدى وخليفته وقد قيدا معتقليهما بذات الجنازير. تنهد بشير لرؤيا رجال يعرفهم وتبادلت وبلندى نظرات حيرى. جلس ستة "قضاة" مسلمون حول الطاولة، يلبس اثنان

(1) Judith Miller, *God Has Ninety-Nine Names: Reporting From A Militant Middle East*, Simon& Schuster, New York,1996, pp 138-141.

شهدت جوديث ميلر تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى كوبر ,وأودعت شهادتها فى كتابها الذى صدر باللغة الإنجليزية أعلاه.

قام بترجمة هذه الشهادة عبدالله عثمان، والذى اختار لترجمة عنوان (فقط العنوان) كتاب جوديث ميلر إلى اللغة العربية جملة: **للإله 99 اسماً**.

منهما نظارات شمسية عاكسة للضوء. أُرسل هؤلاء القضاة لحث الأربعة رجال المرتدين - من أتباع طه من الإخوان الجمهوريين - على التوبة، وقد اختار الرجال التوبة عوضاً عن الموت الذى كان مجدولاً له صبيحة اليوم التالى. كانت جريمتهم أنهم وزعوا منشوراً ضد تنفيذ قوانين نميرى الإسلامية. على الهواء مباشرة، طلب القضاة من كل واحد من الرجال الأربعة أن يوقع اعترافاً بأنه قد ضل "سواء سبيل" الإسلام. بعد توقيعهم طلب منهم القضاة أن يعلنوا، على الهواء مباشرة، كون زعيمهم السابق مرتداً.تردد أحد الرجال الأربعة فى ذلك. قال، والدموع تلتمع فى عينيه، أنه خدم مع طه لثلاثين عاماً. كان على استعداد ليعترف بكونه خاطئاً وأنه سيظل مسلماً ملتزماً ولكنه لا يمكن أن يتبرأ من صديقه.حدّق فيه القضاة صامتين. أخيراً، مدّ قاض ذا نظارات شمسية وعمامة ناصعة البياض، مدّ أصبعه متهدداً إياه بالتبرؤ عن طه "حالاً" أو يقاد الى المقصلة من توه. بعد لحظات انهار المدان ووسط بكائه أقتيد لخارج الغرفة. بعدها استند ذلك القاضى الذى قام بتلك البلطجة إلى كرسيه مبتسماً إلى الكاميرا. اسم ذلك القاضى حاج نور وهو، كما قال لنا بشير، رجل متطرف فى قسوته... هؤلاء هم "أعمدة المجتمع" قال بشير بمرارة، الذين حكموا على طه بالموت وأقاموا هذه الإستتابة التى شهدناها لتونا. بعد أقل من عقد من الزمان، سيظهر حاج نور تحت مظلة جبهة الترابى الإسلامية الحاكمة إماماً لمسجد جامعة الخرطوم حيث يصلى الترابى، البشير وزعماء "الجبهة" كما يطلق على تنظيم الجبهة القومية الإسلامية، صلاة الجمعة وهو المكان الذى يتلقى فيه الطلاب المنضوون تحت ذلك التيار.

قام مضيفنا باغلاق الجهاز. بينما كان إعدام طه علنياً، كان التقاط الصور ممنوعاً، وعلى العكس من ذلك، فقد كانت الاستتابة المذاعة قد بثت مراراً. "لو أراد فيلينى أن يصور محكمة عصور وسطى حديثة فإنه لن يجد مثالاً خيراً من هذا" قال بشير. "ما رأيتموه الساعة لا علاقة له البتة بالإسلام" أرعد بشير. "بمقدور نميرى ممارسة القطع والجلد والإعدام والصلب حتى يوم الدين، ولكن تظل الحقيقة أن ليس بمقدوره إقامة نظام إسلامى". بشير الذى كان سفيراً متجولا لفترة قصيرة لنميرى، الآن يكره هذا الرجل. "لقد عمد نميرى الى هذا لإظهار سطوته وأنه لا يزال ممسكاً زمام القيادة ولذلك يخاف الناس منه ويطاع، ولكن مثل هذه الأفعال المذلة لا تشبه السودانيين وهذه بداية النهاية لنميرى."

ختمت جوديث ميلر بآخر مقابلة لها مع نميـرى، فكتبت قائلة سألته: لماذا قتلت محمود محـمد طه؟ سألت الـنميرى، منتـقلة بذلك لمنطقة غـير مريحـة له. أجاب النمـيرى: "أنتم تسمـونه معتـدلاً، ولكنه ليس كذلك" مـفضلاً ألا يفـصح أكثر. "القـرآن يأمر بالقـتل حداً للردة، وليس للرؤسـاء أو الملوك والسلاطين تغيـير ذلك". غرق النمـيرى فى كرسـيه وفى الصمت ثم عـمد إلى منديل ليمسح جـبينه. من الواضح أنه قد تناسى تمامـاً وجودى آخذاً فى العبث، وكأنه مغيّب الوعى، فى تجاعيد شـعره. وجهه، الذى كان نابضاً بالحياة لحظات خلود، كأنما مات فجأة وأنتفخ خداه متنهداً مشيراً لى بيده للمغادرة. كانت تلك آخر مقابلة لى للرئيس نميرى".

يقول عبدالله الأمـين وعقب انتفاضة أبريل، وإبان الحكم الانتقـالى، حيث ألغيت تلك المحاكم المشـئومة (محـاكم العدالة الناجزة) تقـدمت ابنة الأستاذ الشـهيد، وأحد تلامـيذه، بعـريضـة إلى المحكـمـة العليـا، فى دعوى حـمايـة حق دسـتورى، مطالبـين بإبطال حكم الإعـدام، وكافـة الأحكام اللا إنسـانيـة التى أضيـفت إليـه، وإزالة مـا ترتب على ذلك من أوضاع، وتبرئة ساحة القضاء السودانى من ذلك العمل السياسى الإجرامى المشين[1]. وقد تم نقض الحكم وإبطاله[2].

نقض الحكم وإبطاله من قبل المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية

لاشك أن جريمـة اغتيال الأسـتاذ محمـود محمد طه أدت إلى دفـعة كبيـرة للقوى المعارضـة للنظام المايوى،... والموقف البطولى للأسـتاذ محـمود محـمد طه أعطى

(1) عبدالله الأمين، مرجع سابق.

(2) من المهم الإشارة إلى أن هناك اثنين من تلاميذ الأسـتاذ محمود فضلا البقاء فى السـجن على توقيع تعهد كانت السلطات الأمنية قـد طالبتهم مع آخرين على الـتوقيع عليه، فـبقيا حتى أخـرجتهم الجمـاهير يوم ثورة 6 ابريل 1985. كان التـعهد يتضـمن بنوداً تلزمهم بما يتناقض مع قناعـاتهم ومعتقـداتهم. والاثنان هما: الباقـر الفضل الأمين الذى انتقل إلى الرفـيق الأعلى مساء يوم 18 يناير 1997، ومصطفى محمد صـالح. فقد ظلا فى سجن كوبر حتى أخرجتهم الجـماهير الثائرة فى السادس من إبريل 1985. كانت الجماهير الثائـرة قد اقتحمت سجن كوبر بعد أن فتحت أبواب الجزء المخصص للمسجونين السياسيين. دخلت الجماهير ساحة السجن، وأخـرجت المعتقلين السيـاسيين بعد أن خطب فيهم داخل ساحة السـجن أحد السجناء السياسيين وهو الشاعـر محجوب شريف. المصدر: مقابلة مع مـصطفى محمد صالح، تمت المقابلة عبر الهـاتف، مصطفى بمدينة عطبرة بالسودان والمؤلف بمدينة القاهرة، 26 يوليو، 2013، الساعة 21:30.

الناس جميعاً فى السودان زاداً فى الصمود البطولى والجسارة لمقاومة السلطة[1].

عدلان الحاردلو

فى يوم 1986/11/18، وبعد عشرة أشهر من تنفيذ حكم الإعدام، وبعد ثمانية عشر عاماً من حكم الردة الأول الذى كان فى يوم 1968/11/18، أعلنت المحكمة العليا - الدائرة الدستورية، بطلان الحُكم فى حق الأستاذ محمود من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف[2]. كما أعلنت كذلك بطلان الحكم الصادر فى حق المدعى الثانى، الأستاذ عبداللطيف عمر حسب الله، من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف. كانت نمرة القضية هى: م/ ع/ ق/ د/ 1406هـ وكان القضاة هم: محمد ميرغنى مبروك، رئيس القضاء، رئيساً، هنرى رياض سكلا، قاضى المحكمة العليا، عضواً، فاروق أحمد إبراهيم، قاضى المحكمة العليا، عضواً، حنفى إبراهيم أحمد، قاضى المحكمة العليا، عضواً، زكى عبد الرحمن، قاضى المحكمة العليا، عضواً، محمد حمزة الصديق، قاضى المحكمة العليا، عضواً، محمد عبد الرحيم، قاضى المحكمة العليا، عضواً[3]. وكان المحامون:

1- هيئة الادعاء: الأستاذ طه إبراهيم، والأستاذ عابدين إسماعيل.

عن المدعين: الأستاذ عبد الله الحسن، الأستاذ محمود حاج الشيخ، الأستاذ جريس أسعد جريس، الأستاذ بيتر نيوت كوك. وكان هناك أيضاً أمين مكى مدنى.

2- هيئة الدفاع: النائب العام (شارلس كير دينق) عن المدعى عليها.

جاء من ضمن حيثيات حكم المحكمة العليا، الدائرة الدستورية بشأن الحكم الصادر من محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم فى حق محمود محمد طه وتلاميذه بتاريخ 1985/1/15، (يمكن الاطلاع على حيثيات حكم المحكمة العليا فى المصادر المشار إليها فى الهوامش)، جاء فيما يتعلق ببطلان الحكم[4]: وحيث أن المسائل التى أثارتها هذه الدعوى ما لم يكن من المتاح

(1) أحمد مصطفى الحسين، "المثقفون: الصديقية واللهبية والأستاذ محمود محمد طه"، **من موقع سودانايل**، استرجاع (Retrieved) يوم 2010/6/4، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

(2) للاطلاع على التفاصيل أنظر: القضية نمرة م ع/ ق د/ 1406/2، أسماء محمود محمد طه وعبداللطيف عمر حسب الله ضد حكومة جمهورية السودان، **الموسوعة السودانية للأحكام والسوابق القانونية**، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

التصدى لـه فى إطار قواعد الإجراءات السـارية حالياً لا من خلال دعـوى دستورية ودون أن يكون فى ذلك ما يخل بمبـدأ حجية الأحكـام فيما تتـوفر له شروط تطبيق ذلك المبـدأ فإن هذه الدائرة تقـرر، تأسيسـاً على ما تقـدم بيانه، أن الحكم الصـادر من محكمـة الاستئناف الجـنائية بالخرطوم فى حق محـمود محمد طه ورفـاقه بتاريخ 1985/1/15 صدر بإهدار لحقـوقهم التى كانت تكفلـها لهم المواد (64) و (70) و(71) من دسـتـور السودان لسنة 1973 الملغى.. أما ما ترتب على ذلك من أحكام بالإعدام فـقد ألغيت فى مواجهـة جميع المحكوم عليهم فيـما عدا والد المدعية الأولى، ورغم ما شابتـها من مخالفات للقانون وللدستور، فقـد أصبحت حقائق فى ذمة التاريخ، تقع المسئولية عنها سياسية فى المقام الأول، ولم يعد من الممكن استدراك كثير من النتائج التى ترتـبت على كل ذلك، إلاّ ما بقى منها دون نفـاذ، كما لم يعـد من المتاح النظر إلى الوراء إلاّ لأغراض الـعظة والعبرة، فلم يـعد من الميسـور بعث حيـاة وئدت مهمـا بلغت جسـامة الأخطاء التى أدت إلى ذلك، كما أصـبح من الصعب - إن لم يكن من المستـحيل - العثور على جثمـان أخفى بترتيب دقيق.. بيد أنه يبقى أمر جوهرى هو أن للمـدعيين حقاً فى الحصول على إعلان بالحقائق المتعلقة بهـذه المحاكمة التاريخيـة، وإن كان على ذلك الحـق من قيـد فإنـه إنما ينشأ من طبيعـة الإجـراءات القضائية عـموماً، وما تقوم علـيه هذه الإجراءات، وعلى وجه الخـصوص فى مثل هذه الدعـوى، من شكل هو بدوره محـدد، فى طبيعـته، وفى خصومه، وما يصلح محلاً للتنفيذ فى ضوء ذلك كله.

وعلى هدى من ذلك تقرر هذه الدائرة ما يلى :

1- إعلان بطلان الحكم الصادر فى حق المواطنين محمود محمدة طه والمدعى الثانى فى هـذه الدعوى من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف.

2- إلزام المدعين برسوم وأتعاب المحاماة فى هذه الدعوى.

محمد ميرغنى مبروك، رئيس القضاء ورئيس الدائرة الدستورية

فاروق أحمد إبراهيم، قاضى المحكمة العليا وعضو الدائرة الدستورية

زكى عبد الرحمن، قاضى المحكمة العليا وعضو الدائرة الدستورية

محمد حمزة الصديق، قاضى المحكمة العليا وعضو الدائرة الدستورية

كتب الإخـوان الجمـهوريون فى كـتاب أصـدروه فى نفس الشهـر الذى أصدرت فـيه

المحكمة العليـا – الدائرة الدستورية بـطلان الحكم، كتبـوا قائلين: "إن قيـمة الحكم ببطلان حكم الردة المزعوم لا تكمن فـى تبرئة ساحة الأسـتاذ محـمود، وإنما تكمن هذه القيـمة فى ارتفاع الـقضاء السـودانى إلى قامـته التى نبـغيـها له.. أمـا إسلام الأسـتاذ محـمود فـفوق الشبهـات، ويقينه بالإسلام هو يقين تام لا ريب فـيه، كما أن ثقتـه فى الشعب السودانى لا تحدها حدود"[1]. وأضافوا قائلين: "إن المحكمة العليا لم تواجه الحكم الباطل الذى أصدره قضاة نميرى، وحسب، وإنما واجهت القضية فى جذورها، فقررت فى حيثياتها بطلان حكم ما سـمى بالمحكمـة الشرعـية العليـا، تلك المحكمة المهـزلة التى انعقـدت فى 1968/11/18 لتصدر غيابياً وفى مدى ثلث ساعة من التداول، ما سمى بحكم الردة بحق الأستاذ محمود والجمهوريين. وقد باشرت المحكمة العليا، الدائرة الدسـتورية اليوم حقها، بل واجبها، فى حماية الحقوق الأساسية، وهذه بحق أولى الخطوات الجادة، والثمار الحقيقية التى قامت من أجلها ثورة الشعب فى مارس، أبريل 1985"[2].

التحالف الإسلامى وغياب الورع العلمى واستمرار التشويه الندوة العالمية للشباب الإسلامى[3] نموذجاً

إن ما جعل إعـدام الأستاذ محـمود محمـد طه ممكناً فى بلد إسلامى وفى الربع الأخيـر من القـرن العشـرين هو افتـراض أن من يملك سلطة التفـسيـر الدينى

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **حيثيات المحكمة العليا فى قـضية الأستاذ محـمود محمد طـه: انتصار للحق، ودحض للحكم المهزلة**، مصدر سابق، ص 1.

(2) المصدر السابق.

(3) جـاء فى المادة الأولى من النظام الأسـاسى **للندوة العـالمـيـة للشـبـاب الإسـلامى** أن "الندوة العـالمـيـة للشبـاب الإسلامى، هيئة إسلامية عالمية مستقلة، وملتـقى إسلامى يدعم جهود العاملين فى مؤسسات الشباب الإسلامى فى العالم وجمـعياتهم وهيئـاتهم". ونصت المادة الثانية على أن: "مقر الندوة العالمية للشبـاب الإسلامى مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، ولها عدة فروع ومكاتب داخل المملكة العربية السعودية وخارجها". ونصت المادة الثالثـة أن الندوة العالمية للشبـاب الإسلامى تسعى إلى تحـقيق الأهداف الآتية: خدمـة الدعوة إلى الإسلام، عـقيدة وشريعـة وسلوكاً اجتـماعيـاً بين الشباب المسلم فى العـالم، وترسيخ الاعتـزاز بالإسلام لدى الشباب المسلم، ومن خـلال التأكيد على سمـو النظام الاجتماعى الإسـلامى، وأهمية التزام الشبـاب بالتعاليم الإسلاميـة فى حياتهم الفردية والاجتـماعية، تبيـين العقيدة الإسلامـية الصحيحـة التى يجب على المسلمين =

يملك فى نفس الوقت حق إعدام من يختلفون معه فى الرأى والاعتقاد. وهذه ممارسة كانت سائدة فى الماضى إلا أنها لم تعد مقبولة فى عصرنا هذا[1].

محمد أحمد محمود

تبع تنفيذ حكم الإعدام نشاطات واسعة من قبل التحالف الإسلامى ومؤسساته. هدفت تلك النشاطات إلى تشويه مشروع الأستاذ محمود والتضليل فى سيرته. فقد تحدثت فى الفصول السابقة عن مكونات التحالف الإسلامى الذى واجهه الأستاذ محمود، ودور مؤسسات ذلك التحالف والقائمين عليها فى محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، وفى تشويه مشروعه قبل تنفيذ حكم الإعدام عام 1985. أما بعد تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فقد ظل ذلك التحالف الإسلامى ومؤسساته يقوم بالتشويه والتضليل، ولم تتوقف تلك الجهود إن لم تكن قد زادت. والنماذج على ذلك عديدة، بيد أننى ونسبة لضيق المساحة أقف عند نموذج واحد من نماذج التشويه لسيرة الأستاذ محمود ومشروعه. وهو نموذج الندوة العالمية للشباب الإسلامى. أصدرت الندوة العالمية للشباب الإسلامى **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**[2]. تضمنت الموسوعة تحت عنوان: "**الحزب الجمهورى** فى السودان"، تعريفاً بالحزب وحديثاً عن الأستاذ محمود محمد طه، مؤسس ورئيس الحزب، من خلال المحاور التالية: "التأسيس وأبرز الشخصيات"،

= أن يلتزموا بها وفقاً لما فى كتاب الله الكريم وسنة نبيه وما جرى عليه سلف الأمة الصالح. العمل على تعميق الثقافة الإسلامية لدى الشباب المسلم والحفاظ على أسباب الوحدة التى تجمعه وفقاً للكتاب والسنة، وتوضيح رسالة الشباب المسلم فى بناء المجتمع الإسلامى ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، والسعى إلى إزالة أسباب التخلف والفرقة والجمود فى المجتمعات الإسلامية، ودعم الهيئات والجمعيات العلمية والثقافية والمهنية الخاصة بالشباب والطلاب المسلمين، ورعايتهم فى جميع أنحاء العالم، ومساعدتها فى تنفيذ المشروعات التى تحقق أهداف الندوة، والتعاون والتنسيق مع المؤسسات والهيئات التى تعمل فى خدمة الشباب والطلاب المسلمين فى العالم، والاهتمام بالطلاب المسلمين النابهين، ورعايتهم مادياً وثقافياً.
المصدر: "من نحن، الهوية والتأسيس"، من موقع **الندوة العالمية للشباب الإسلامى**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/3/17، الموقع على الإنترنت: http://www.wamy.org

(1) محمد أحمد محمود، "فى ذكرى الأستاذ محمود محمد طه، حرية الفكر: بين السياق الإسلامى والسياق المعاصر"، **محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان** ، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992، ص 67-68.

(2) **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الرياض، ط2، 1989، ص 183-190.

و"الأفكار والمعتقدات"، و"الجذور الفكرية والعقائدية"، و"الانتشار ومواقع النفوذ" ثم "مراجع للتوسع".

لقد اشتمل التعريف بالأستاذ محمود ومشروعه فى موسوعة الندوة العالمية للشباب الإسلامى على الكثير من التشويه والتضليل فى الحقائق. الأمر الذى يكشف عن خصومة فاجرة إلى جانب الجهل بالشروط العلمية، ورسوب فى الالتزام بها وبالأخلاق، خاصة فى الأعمال العلمية، مثل اصدار موسوعة فى الأديان. إن فضيلة الصدق فى الخصومة، ما ينبغى لها أن تهجر الدوائر الإسلامية، إن كانت الدوائر فعلاً إسلامية. كما أن الالتزام الأخلاقى واستيفاء شروط الصدق والورع العلمى ما ينبغى لها أن تهجر الأعمال العلمية الإسلامية، فالأعمال العلمية الإسلامية أحق بهذه القيم والفضائل، ذلك لأن الإسلام يدعو لها، وظلت الدوائر الإسلامية تتباهى نظرياً بذلك. وحق لها التباهى، بيد أن التباهى بلا استحقاق والتزام بالقيم الإسلامية، ضلال وتضليل. فالأعمال العلمية هى أهم آليات وأدوات تقديم الخدمة التنويرية وتنمية الوعى وترفيع الحس الإنسانى، الأمر الذى يتطلب لنشرها التزام المسؤولية والأخلاق. أقف هنا على بعض التشويه والمغالطة للحقائق من ما ورد فى **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**:

أولاً: جاء فى التعريف "هو حزب سودانى يدعو مؤسسه محمود محمد طه إلى قيام حكومة فدرالية ديمقراطية اشتراكية تحكم بالشريعة الإنسانية، ومبادئ الحزب مزيج من الأفكار والفلسفات المختلفة مع شيء من الغموض والتعقيد المقصود بغية إخفاء كثير من الحقائق أولاً ولجذب أنظار المثقفين ثانياً"(1). ينطوى هذا النص على الكثير من المغالطات التى لا تتسق والأسس العلمية لنشر موسوعة للأديان. فقد تحدث التعريف عن الغموض والتعقيد المقصود، ولم يقدم نماذجاً لذلك. كما أشار النص قائلاً: "بغية إخفاء كثير من الحقائق أولاً"، هنا مغالطة تكذبها الحقائق والوقائع، **فالحزب الجمهورى** من أكثر الأحزاب السودانية نشراً لأدبياته وأفكاره ووسائله... إلخ منذ نشأته عام 1945، وقد وردت الإشارة لذلك بتوسع فى الفصول السابقة من هذا الكتاب. ثم ورد فى النص "لجذب أنظار المثقفين ثانياً"، هنا سذاجة لا تستحق التفصيل.

---

(1) المرجع السابق، ص 183.

ثانياً: جاء محور فى أحد محاور التعريف **بالحزب الجمهورى**، بعنوان: "مراجع للتوسع". (ينبغى لفت انتباه القارئ العزيز إلى أن المراجع فى الموسوعة التى نحن بصددها لم تكتب بالطريقة العلمية، وأن عناوين الكتب لم تكن مكتملة، كان المرجع الأول هو كتاب: محمود محمد طه، **أسس دستور السودان**. ثم جاء التعليق التالى إلى جنبه - المؤلف): "وهو كتاب نادر الوجود إذ يعملون على إخفائه من الأسواق"(1). هذا حديث لا يجد له سند، فالكتاب طبع أكثر من مرة، وهو من الكتب التى تواجه أى نوع من أنواع الرفض أو المعارضة، بل ظل الكتاب موضع احتفاء عند الكثير من المثقفين السودانيين. وليس فيه ما يدعو لإخفائه. جاء فى مقدمة الطبعة الثانية منه والتى كانت فى نوفمبر عام 1968: "أسس دستور السودان" خرجت طبعته الأولى للناس فى ديسمبر من عام 1955، وظهرت الحاجة اليوم إلى إعادة طبعه فلم نجد شيئا نحذفه منه، ولم نجد ضرورة لإضافة شيء عليه، فأخرجناه من هذا الاعتبار، على ما عليه كان أول عهده بالخروج..."(2).

ثالثاً: التدخل بجمل اعتراضيه فى النص من أجل الشرح والتفسير المخالف لما صرح به كاتب النص، مثلاً: تقول الموسوعة فى الحديث عن أفكار ومعتقدات الجمهوريين، "وقد حدد زعيمهم الأهداف التى يسعون إليها بما يلى: ثم تورد الموسوعة الهدف رقم: (1) والهدف رقم (2) أما عن الهدف رقم (3) فتقول الموسوعة: 3. محاربة الخوف. "والخوف من حيث هو الأب الشرعى الأخلاق لكل آفات ومعايب السلوك (ويعنى هنا مخافة الله) ولن تتم ولن تتم كمالات الرجولة للرجل وهو خائف، ولا تتم كمالات الأنوثة للأنثى وهى خائفة، فى أى مستوى من الخوف، وفى أى لون من ألوانه، فالكمال فى السلامة من الخوف" .. فعبارة (ويعنى هنا مخافة الله) إضافة جاءت بها الموسوعة، وهى لا تتسق مع المعنى ولم يقل بها كاتب النص. فهذه عبارة تضلل القارىء وتشوه النص وتقود إلى معنى لم يرمِ إليه كاتب النص ولم يقل به. كما أن النص الذى أوردته الموسوعة جاء مبتوراً فى بداية حيث إن الصواب هو: "والخوف من حيث هو، هو الأب الشرعى لكل آفات ومعايب السلوك"(3).

(1) المرجع السابق، ص 190.
(2) محمود محمد طه، **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، مصدر سابق، ص 5.
(3) محمود محمد طه، **الرسالة الثانية من الإسلام**، ط3، مصدر سابق، ص 71.

رابعاً: فضمن محور "الأفكار والمعتقدات" تقول الموسوعة: "الدين - فى نظره - هو الصدأ والدنس وذلك كله كان بسبب الكبت الذى جرى منذ نشأة المجتمع البشرى والذى لا يزال يجرى...إلخ"[1]. هنا مفارقة للأسس العلمية وترسيخ للخرافة والأسطورة. فالموسوعة لم تقدم شاهداً أو دليلاً على أن الدين فى نظر الأستاذ محمود هو الصدأ والدنس. وهذا حديث غير علمى لذا فهو لا يستحق الوقوف عنده.

خامساً: بتر النصوص وحذف الكلمات واستبدالها من ما يؤدى لتغيير المعنى وتشويه النص.

نموذج أول: فى محور "الأفكار والمعتقدات" أوردت الموسوعة نصاً للأستاذ محمود، بعد أن بترته فتغير المعنى. تقول الموسوعة:

الشهادتان: يقول زعيمهم فى كتابه الرسالة الثانية ص 164-165: "فهو حين يدخل من مدخل شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله يجاهد ليرقى بإتقان هذا التقليد حتى يرقى بشهادة التوحيد إلى مرتبة يتخلى فيها عن الشهادة، ولا يرى إلا أن الشاهد هو المشهود، وعندئذ يقف على الأعتاب، ويخاطب كفاحاً، بغير حجاب قل الله ثم ذرهم فى خوض يلعبون"[2].

يتكون هذا النص والذى أوردته الموسوعة من (52) كلمة، بينما النص الصحيح للأستاذ محمود يتكون من (86) كلمة. لقد حذفت الموسوعة (34) كلمة من نص الأستاذ محمود. فالنص الصحيح كما ورد فى كتاب الأستاذ محمود يقول:

فهو حين يدخل من مدخل شهادة "ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله" يجاهد ليرقى بإتقان **تقليد المعصوم إلى مرتبة "فاعلم أنه لا إله إلا الله" ثم يجاهد بإتقان** هذا التقليد حتى يرقى بشهادة التوحيد إلى مرتبة يتخلى فيها عن الشهادة، ولا يرى إلا أن الشاهد هو المشهود، **ويطالع بقوله تعالى "شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، وأولو العلم، قائماً بالقسط، لا إله إلا هو، العزيز الحكيم"** وعندئذ يقف على الأعتاب، ويخاطب كفاحاً، بغير حجاب "قل الله! ثم ذرهم فى خوض يلعبون".

(1) **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**، المرجع السابق، ص 185.
(2) المرجع السابق، ص 186.

إن كل الكلمات التى تحتها خط هى محذوفة من النص الذى أوردته الموسوعة. وبهذا الحذف تغير المعنى، ولا أحسب أنه حذف نتج عن سهو أو خطأ وإنما حذف مقصود.

نموذج ثانى: جاء فى الموسوعة، دون الإشارة لمصدر النص:

يقول محمود طه عن القرآن الكريم:

"القرآن موسيقى علوية، فهو يعلمك كل شىء، ولا يعلمك شيئا بعينه.. هو ينبه قوى الإحساس، ويشحذ أدوات الحس ثم هو يخلى بينك وبين عالم المادة لتدركه على أسلوبك الخاص، هذا هو القرآن..

بينما كان النص الصحيح للأستاذ محمود يقول:

إن القرآن، فى **حقيقته الأزلية**، موسيقى علوية، فهو يعلمك كل شىء، ولا يعلمك شيئا بعينه.. هو ينبه قوى الإدراك، ويشحذ أدوات الحس **فى جميع وجودك**، ثم هو يخلى بينك وبين عالم المادة لتدركه على أسلوبك، **ولتكون منه لنفسك أنموذجاً تتأثر به فى حياتك اليومية، بإزاء الناس، والأشياء**.. هذا هو القرآن.. **وهو، بهذه الصفة الخالدة، لا يخضع للتطور، وإنما إليه ينتهى تطور كل متطور**[1]..

وبمقارنة النصين، نخرج بالآتى: يتكون النص الذى أوردته الموسوعة من (32) كلمة، بينما النص الصحيح يتكون من (63) كلمة. فقد تم حذف وبتر لبعض الكلمات، وهى الكلمات التى تحتها خط. كما أضيفت مفردة "الخاص"، واستبدلت مفردة "الإدراك" بالاحساس. هذا بالإضافة لغياب المصدر.

نموذج ثالث: جاء فى الموسوعة، دون الإشارة لمصدر النص:

يشير صاحب هذا المذهب إلى أن القرآن شعر ملتزم، وأن الذى نفاه القرآن إنما هو عدم الصدق وعدم الالتزام إذ يقول: (وما نفاه الله تعالى عن القرآن ليس كونه شعراً، وإنما نفى عنه ملابسات الشعر فى عدم الالتزام وعدم الصدق). ويقول بعد ذلك: (وأنت إذا جئت لدقائق القرآن فإنه الشعر).

---

(1) محمود محمد طه، "خطاب إلى المحامى العام فى الباكستان بشأن دستور الباكستان والقرآن"، **الكتاب الأول من وسائل ومقالات**، مصدر سابق، ص 39.

هنا نقل للنص بلا أمانة وبـلا ورع علمى وبلا مسؤولية أخـلاقية، فالنص كـما ورد فى كتاب الأستاذ محمود: **الإسلام والفنون**، يقول:

القرآن يشبه الشعر، وما هو بالشـعر (وما علمناه الشعر، وما ينبغى له!!) وأنت إذا جيت لدقائق القرآن، فإنه الشعر!! وأكثر من الشعر.. ولكن ملابسات الشعر فى عدم الالتزام، وعدم الصدق، هى ما نفاهو الله عن القرآن[1].

والاختـلاف بين نص الأسـتاذ مـحمود مـقارنـة بما ورد فى الموسوعـة، اختـلاف كبـير وواضح جداً، ولا يحتاج لتبيين.

الشاهـد أن هذه مجرد نمـاذج فقط يمكن القـياس عليـها فى دراسـة مسـتوى التشـويه والتـضليل الـناتج عن تغـيـيـر المعنى عـبـر الحـذف والبـتـر والتـدخل فـى النص بالجـمل الاعتراضـية. فغيـرها كثيـر سواء ما جاء فى هذه الموسـوعة والتى أصدرتها الندوة العـالمية للشبـاب الإسلامى أو ما جاء فى كـتب الفقهـاء على النحو الذى تمت دراسـته فى الفصل الثانى من هذا الكتاب. ختمت الموسوعة تعـريفها بإطلاقها نبوءة بشأن **الحزب الجمهورى**، الإخوان الجـمهوريين، تقـول الموسوعة: "ومن المتـوقع أن ينقرض هذا الحـزب تماماً نتيـجة لانتشار الصحوة الإسلامية فى السودان"[2].

من المهم الإشـارة إلى أن العديد من دول الـعالم الإسـلامى، كانت، ومـا تزال، ترفض نشر كتب الأسـتاذ محمـود. وظلت تشترط حذف ما يتـعلق بالأستاذ محـمود إذا خصص الكتاب ضمـن موضوعه جزءاً منه عن الأسـتاذ محمـود. والشواهد على ذلك كثيـرة. فقد حكى لى الأكـاديمى السودانى البروفـيسـور عبدالسـلام نور الدين[3] أنه حينمـا أراد نشر كتـابه الموسوم بـ: **الحقـيقـة والشريعة فى الفكـر الصوفى**[4]، فى سوريا عام 1992، وكان الكتاب يتـضمن جـزءاً خاصاً بمفـهوم السنة والشـريعة لدى الأستـاذ محـمود محـمد طه، رفضت الـسلطات الرسمـية الموافقـة على نشر الكتـاب، واشتـرطت حذف الجـزء الخاص

---

(1) محمود محمد طه، **الإسلام والفنون**، أمدرمان، 1974، ص 40.

(2) **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، مرجع سابق، ص 190.

(3) مقابلة مع عبدالسلام نور الدين، الدوحة، قطر، 23 سبتمبر 2012، الساعة 7:30 صباحاً.

(4) عبدالسلام نور الدين، **الحقيقة والشريعة فى الفكر الصوفى**، ط1، دار سومر للنشر والتوزيع، قبرص، 1992، المقدمة.

بالأستاذ محمود. أخيراً نُشر الكتاب بدون ذلك الجزء. وقد أشار عبدالسلام لذلك في هامش مقدمة كتابه قائلاً: "قد حذفنا لأسباب، نشر ذلك الجزء الخاص بمفهوم السنة والشريعة لدى الاستاذ محمود محمد طه،لأسباب خارجة عن الإرادة والعمل على نشره في وقت لاحق إذا تيسر ذلك. دمشق 1992"[1]. ومنذ ذلك الوقت ظل عبدالسلام نور الدين يسعى لنشر الكتاب مكتملاً ولا يزال.

الشاهد أن العبث والتشويه الذى قامت به المؤسسات الإسلامية، وجهود التضليل التى قام بها الفقهاء، كما ورد فى الفصول السابقة، كانت جهوداً كبيرة وظلت مستمرة. بيد أنى على يقين تام بأنه سيأتى اليوم الذى يكشف فيه كل هذا العبث والتشوية وستتم إعادة قراءة مشروع الأستاذ محمود كما ستتم إعادة الدراسة لمواقفه الآبدة. فالمواقف البطولية للأستاذ محمود، والتى كان آخرها الابتسامة على منصة الإعدام، كما قال عدلان الحاردلو وورد أعلاه، قد أعطى الناس جميعاً فى السودان زاداً فى الصمود البطولى والجسارة لمقاومة السلطة التى سقطت فى يوم 6 أبريل 1985. ففى واقع الأمر قد ضخ الأستاذ محمود فى إرث البشرية، المعانى الآبدة والمواقف الخالدة وهو يجسد المعارف بالصمود على منصة الإعدام. والحق أن القضاة لم يحاكموا الأستاذ محمود بقدر ما أنهم حاكموا أنفسهم ودوائر الجهل والقديم الذى انطوى، ولايزال ينطوى عليه العقل الثقافى السائد فى السودان وفى العالم الإسلامى. يقول عيسى إبراهيم: "الكثيرون يعتقدون أن المهلاوى والمكاشفى حاكموا الأستاذ محمود محمد طه ولكن قرائن الأحوال وملابسات القضية وسيرها والنتائج تدل على أن الأستاذ محمود محمد طه هو الذى حاكم المهلاوى والمكاشفى، ومن خلالهما حاكم قوانين سبتمبر 1983 والسلطة السياسية ومن لف لفها"[2]. لقد شهد الكثير من شرفاء الأرض داخل السودان وخارجه، قولاً وكتابة بجسارة الأستاذ محمود وصلابة مواقفه ونصاعة حجته، وقوة صموده وابتسامته على منصة الاعدام. هذا ما سأقف عليه فى الفصل القادم والذى سيكون بعنوان: "بعض الشهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسامة على منصة الإعدام".

---

(1) المرجع السابق.

(2) عيسى إبراهيم، "محمود محمد طه يحاكم قوانين سبتمبر 83 والسلطة السياسية والمهلاوى والمكاشفى!!"، **صحيفة أجراس الحرية**، الثلاثاء 18 يناير 2011، العدد: 921، الخرطوم.

الفصل
الثانى عشر

12

بعض الشهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسامة على منصة الإعدام

ثم عادوا فقالـوا؛ إن محمود "أماته الله شنقاً في سـجن كوبر". وهكذا وبمنتهى السـهـولة يريدون أن يـغـسلوا أياديهم من الدمـاء التـى لطخـتـهـا، ويطهـروا ضمـائرهم من الجريمـة التي أثقلتهـا. ولو كان مثل هذا المسلك مـشروعـاً دينياً لأصبح في مقدور كل المجرمين أن يضعـوا جرائمهم على أعتاب الذات الإلهية ويمضوا إلى حـال سبيلهم!... **إنها جـريمة شهـودها الناس جميـعاً، ليس في السـودان فـقط، بل في العـالم كله، لأنهـا إحدى أبـرز جرائم العـصـر**... وفي مواجـهة القاصـرين الهاربين من مسئولية أعـمالهم من رجال الدنيـا اللابسين أقنعـة الدين، ومن الحكـام الطغـاة، نلمح جـمع الشـهـداء الذي يعـمـر تاريخ السـودان، ممن تصـدوا للمسـئوليـة الكاملة عن كل مـبـادئهم، وممن قـالوا أن أجـسادهم ليـست سـوى النسخـة المجـسدة لتلك المبـادئ، وواجـهوا السـيف، والرصـاص، والمشنقـة المنصـوبة، عـلى الفـروة، وبالتـحـيـة العـسكرية الأبيـة، وبالهـتاف بمجـد السودان وثواره، وبالإبـتسـامة الوضـاءة المشرقـة.. هؤلاء هم الباقون.. أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء[1].

الخاتم عدلان (1948-2005)

(1) الخاتم عدلان، "ويذهب الزبد جفاء"، **صحيفة الميدان**، العدد: 875، بتاريخ 15 يناير 1986.

وخرج المحكوم عليه محاطاً برهط من حرس السجن واصطف عدد مواز من الحرس حول المحكوم وهو يتقدمهم فى خطى قوية وثابتة أنوفاً، شامخاً كالطود الأشم ذو كبرياء يندر أن تتوفر للآخرين. لم أشاهد فى حياتى شخصاً كهذا الشخص الذى كان يواجه الموت فى شجاعة ورجولة وإقدام وهو يقلد دائرة حبل المشنقة المشؤومة وقف دون حراك ودون أن تهتز شعرة واحدة من شعر رأسه حتى أثار الخوف والرعب والخجل فى نفوس جلاديه[1].

السر حسن جكسم

سمعته [أىّ الأستاذ محمود] يقول: "سيأتى نموذج الإنسان الذى يهزم تجربة الموت ويمشى إلى الله مشياً". كان قوله فعله.... مشى فى لجج الموت نازعاً حتى غريزة البقاء، وليس أقوى منهاغريزة، مشى هادئاً مطمئناً، بل وباسماً - ابتسامة الرضا برؤية اكتمال المسير خلف غبار الجزئى والمؤقت والعابر والشرير[2].

الحاج وراق

لقد شهد الكثير من الناس داخل السودان وخارجه، قولاً وكتابةً، بما خلده الأستاذ محمود فى الذاكرة والتاريخ وفى إرث البشرية من مواقف ومعانى آبدة. فقد قيلت إفادات مختلفة، وكتبت شهادات عديدة عن مشاهد تجسيد المعارف والابتسامة على منصة الإعدام. لقد تحكمت مساحة الفصل فى عدم إيراد الكثير من الشهادات القوية والمهمة، لهذا فإن الفصل يقدم نماذج فقط من بعض الشهادات والإفادات دون تدخل فى نصوصها

(1) السر حسن جكسم، "مائة خطوة تفضلهم من منصة المشنقة"، **صحيفة الأضواء**، الخميس 18 يناير 2007.
(2) الحاج وراق، "18 يناير ذكرى فداء العريس"، **صحيفة الحرية**، الخرطوم، 2001/12/22.

أو تحليل لها. ولم أضف سوى عبارات هى الأخرى شهادات وإعلانات لمواقف لآخرين، فأوردتها فى صدور الشهادات مع التوثيق لها. فالشهادات نفسها بليغة وفصيحة وحملت فى داخلها التحليل والتعليل، فكانت بمثابة تبليغ وإعلان وأمانة وشهادة للتاريخ. تكتسب هذه الشهادات قيمتها مع مرور كل يوم، وتزداد حاجتنا إليها حينما نقف على بعض الكتابات عديمة الورع العلمى والمجافية للحقيقة والخالية من الأمانة والمسؤولية والأخلاق. فمثل هذه الشهادات والإفادات التى تضمنها هذا الفصل تمثل رداً ساطعاً ودحضاً قوياً لما أورده بعض المفكرين والكتاب، لا سيما، المفكر الإسلامى محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004)، صاحب **العالمية الإسلامية الثانية**، من معلومات تحمل فى داخلها الغرض ومجافاة الحقيقية والواقع عن جثمان الأستاذ محمود ومكان دفنه. لقد تناولت ما كتبه محمد أبو القاسم حاج حمد فى كتابه: **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل** (1956-1996)،ضمن الفصل السابع عشر من كتابى هذا. فالفصل السابع عشر هو فى الأصل فصل خصصته لدراسة موقف محمد أبو القاسم من الأستاذ محمود، على المستويين: السياسى والفكرى. لقد تضمن الفصل العديد من الأسئلة منها: ما هو موقف حاج حمد السياسى من الأستاذ محمود؟ إلى أى مدى استفاد حاج حمد من الأستاذ محمود؟ كيف كانت الإشارات للأستاذ محمود فى كتابات حاج حمد؟ وغيرها من الأسئلة والمحاور. جاء الفصل بعنوان: "الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون: محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً".

الشهادات والإفادات التى تضمنها هذا الفصل

إن من لم يتعرفوا على الأستاذ محمود إلا من خلال مشهده العظيم وهو يتبسم على منصة الإعدام قد شهدوا [1].

إبراهيم يوسف فضل الله

من المهم الإشارة إلى أن هذه الشهادات نشرت فى أوقات مختلفة. بعضها جاء ضمن كتب، والبعض الآخر نشرها أصحابها فى صحف. وهناك ما جاء فى شكل حوارات

(1) إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، مصدر سابق، ص 1.

صحفية، قام بها بعض الصحفيين مع أصحاب الشهادات. الشهادة الوحيدة التى تم تسجيلها بغرض التوثيق، هى شهادة العميد طيار (م) فيصل مدنى مختار. فقد جاءت شهادته مسجلة بالصورة والصوت بطلب من أسماء محمود محمد طه. الشاهد أننى أثبت المعلومات التى تتعلق بالتوثيق والمصادر فى الهوامش. كانت الشهادات والإفادات خمس عشرة شهادة وإفادة كما هى مبينة أدناه:

1- شهادة عبداللطيف عمر حسب الله ضمن لقاء صحفى

2- الروائى العالمى الطيب صالح وباربرا براي والصمت العالمى

3- تصوير كمال الجزولى لحاله وحال الفنان أبى عركى البخيت عشية يوم تنفيذ الإعدام

4- شهادة سيد أحمد خليفة (1940-2010)، "هذه باختصار شهادتى للتاريخ"...

5- شهادة الشفيع خضر سعيد،رؤيا فى المشهد السياسى: "يا.. مُشرع الحلم الفسيح.. سجن "كوبر" فى 17 يناير 1985".

6- عبد اللطيف سعد على، حارس الأُستاذ محمود فى زنزانة الإعدام، ضمن حوار صحفى، "لم يتعامل معنا كأعداء!... قال لمدير السجن:" لو بِستَأنف أو بِستَرحم ما كان جيت هِنا"..!

7- إدريس زكريا، منفذ حكم الإعدام، "نفذت حكم الإعدام ومحمود محمد طه أشجع من قابلنى"

8- شهادة العميد طيار (م) فيصل مدنى مختار قائد الطائرة التى حملت الجثمان، "شهادة للتاريخ هذا ما حصل لدفن الأستاذ المرحوم الباشمهندس محمود محمد طه"

9- شهادة اللواء معاش محمد سعيد ابراهيم مدير سجن كوبر، "الأستاذ محمود دفن غرب أمدرمان بجنازيرو!!"

10- شهادة فاروق أبوعيسى، الأمين العام لاتحاد المحامين العرب سابقاً، "لذا قررت المنظمة العربية لحقوق الإنسان أن يكون يوم 18 يناير يوماً لحقوق الإنسان العربى"

11- شهادة مولانا محمد الحسن محمد عثمان، "شجاعة أم أسطورة: وابتسم الأستاذ

محمود محمد طه فى وجه الموت".

12- شهادة بكرى الصايغ، "فى الذكرى الـ27: وكنت حاضراً إعدام الشيخ محمود محمد طه".

13- شهادة جوديث ميلر، "كانت عيونه متحدية، وفمه صارماً، ولم تبد عليه مطلقاً، أية علامة من علامات الخوف".

14- شهادة عميد أمن (م) محمد عبدالعزيز والعقيد أمن (م) هاشم عثمان أبو رنات، "إعدام محمود محمد طه"

15- وصية على منصة الإعدام، شعر عوض الكريم موسى

16- شهادة عمر دفع الله والتعبير نيابة عن الشرفاء من أهل الأرض

شهادة أستاذ عبداللطيف عمر حسب الله ضمن لقاء صحفى[1]

كيف تقتلون إنساناً لأنه يفكر؟!!!![2]

عماد الدين أحمد عيدروس

(نص اللقاء)

أجرى اللقاء محمد الشيخ حسين، صحيفة الصحافة، الأحد 19 يناير 1986

بعد عام من إعدام غاندى أفريقيا: عبد اللطيف يروى حكاية الاعتقال ومأساة المحاكمة ومسرحية الاستتابة بعد أن إنهار المسرح فوق مؤلفى وممثلى ومهرجى المأساة:

حيث العقل لا يخاف والرأس مرفوع عال..

---

(1) جاءت شهادة عبداللطيف عمر حسب الله ضمن لقاء صحفى أجراه محمد الشيخ حسين، ونُشر بعنوان: "بعد عام من إعدام غاندى إفريقيا: عبد اللطيف يروى حكاية الاعتقال ومأساة المحاكمة ومسرحية الاستتابة.. بعد أن إنهار المسرح فوق مؤلفى وممثلى ومهرجى المأساة"، **صحيفة الصحافة**، الأحد 19 يناير 1986 الموافق 9 جمادى الأولى 1406هـ؛ نص الحوار بنفس العنوان **بموقع الفكرة الجمهورية**، www.alfikra.org

(2) عماد الدين أحمد عيدروس، ضمن خيط: محمد فضل الله المكى، "لست جمهورياً....ولكن"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

وحيث المعرفة حرة..

وحيث العالم لم يمزق التعصب جدرانه..

وحيث تخرج الكلمات من أعماق الحقيقة..

وحيث الكفاح المستمر يمد ذراعيه نحو الكمال..

وحيث لا يفقد العقل مجراه فى صحراء التقاليد الميتة..

وحيث يقود العقل نحو ساحات أفسح من الفكر والعمل تحت سماء الحرية تلك..

يا إلهى..

أيقظ وطنى

(طاغور)

مثل ملايين كثيرة توقف بى الزمن فترة غير قصيرة عند ذلك المشهد الذى عشناه وعاشه العالم معنا يوم 18 يناير 1985.

حزين فى صمت، مقهور النفس، أدور بفكرى محاولاً اختراق سحب الظلام التى أحاطت بنا لكى أعرف كيف.. ولماذا؟

كيف هان عليهم أن يغتالوه، وأن يعلقوه على حبل المشنقة، وهو الذى وقف أمامهم مبتسماً.

لقد فعلوها وحاولوا اغتيال البلد كلها، ولعل مشيئة الله اختارته ليفدى وطنه.

قطعاً لم يكن ذلك الاغتيال حقيقة الدين الذى رفعوا قرآنه الكريم، واختفوا وراءه لكى يدبروا جريمتهم البشعة.

فى القصة التالية سوف نجد جريمة قتل. إنه قتل مع سبق الإصرار والترصد، إنه ليس تكفيراً أو... إنه قتل.

القتيل فيه معروف.. أداة القتل مضبوطة، وسبب القتل واضح، والشهود موجودون، ومع ذلك فإن جريمة القتل لم يتم تسجيلها حتى الآن ــ حتى لو ضد مجهول!

إن القتيل ليس شخصاً عادياً، والقاتل ليس شخصاً واحداً، وهدف المحاكمة كان محدداً؛ إعدام رجل.. مصادرة رأى.. وأد فكر.

كان ذلك هو الهدف العاجل المحدد وهناك هدف آجل " إعدام الحرية"وجوهر القضية نفسها عرفها التاريخ كثيراً، ومعنى العقوبة هو نفسه فى كل حالة، فقد تم التشهير بقاسم أمين، وقتل الكواكبى.. وعزل الشيخ على عبد الرازق.. وفصل طه حسين، والقائمة طويلة، والقضية نفسها ليست مفاجأة.. فالأستاذ محمود محمد طه نفسه كان يعلم مقدماً بما ينتظره، ومع ذلك قرر المضى فى طريقه، فهو اختار الحرية قبل الضغط، اختار الاختلاف قبل الموافقة، اختار المفكر فوق السياسى، اختار الإنسان الواحد فوق القطيع الضخم.

ولكن حسمت السلطة، وأصدر الخصوم السياسيون حكماً بأن الأستاذ قد كفر، وكالعادة وجدت السلطة مثقفين آخرين مهدوا الطريق وصفقوا وما يزالون!

حكاية للتاريخ:

فى الأسطر التالية نلتقى من جانب مع الأستاذ عبد اللطيف عمر، أحد الذين كانوا قاب قوسين أو أدنى من حبل المشنقة، ونعتصر ذاكرته لكى يروى لنا أحداث الجريمة البشعة، باعتبارها نموذجاً فى الشجاعة العقلية والصراع بين السلطة وحرية الرأى. والطرف الآخر هو شاهد عيان، أتاحت له الظروف حضور كل فصول المسرحية ــ ما عدا لحظة التنفيذ ــ يعود لأوراقه المخبأة ليصبح ما يرويه الإثنان معاً ــ عبد اللطيف والشاهد ــ تاريخاً.

عبد اللطيف عمر:

بداية البداية كانت مع إطلاق سراحنا من المعتقل فى 1984/12/19 وفى نفس الأسبوع ــ تحديدا ــ شرعنا فى إعداد المنشور.

والأستاذ قال بكلمات مباشرة: يجب أن نفهم أن هذا المنشور قد نتعرض فيه لأقصى صور البطش ــ والنظام منهار وخائر ولا يحتمل أى مواجهة.

كلمات الأستاذ رسخت فى أذهاننا المدى الذى يصل له رد الفعل وخصوصاً فى ظل

وجود القوانين المذلة.

المنشور أخذ طريقه في التوزيع، وتم اعتقال بعض الاخوان الذين حملوا المنشور.. وعلم أنني المسئول عن التوزيع.. والذين اعتقلوا في أمدرمان تحت المادة (127 ـ أ) كانوا أربعة.. وذهبت إلى القسم الأوسط لأضمنهم، وهناك تمّ اعتقالي، باعتباري المسئول عن توزيع المنشور، وكان واضحاً أنهم يريدون الأستاذ، ثم حضر أحد الإخوان يريد أن يضمنا الخمسة، وفعلاً تمت الضمانة.. وخرجنا من الحراسة، وقبل أن نتنسم عبير الحرية كان لهم طلب غريب، بالذهاب إلى مكتب نيابة أمدرمان.. ومثلنا أمام وكيل النيابة. وبعد دخول وخروج اتضح لنا أن مكتب النائب العام ومن ورائه محمد آدم عيسى وزير الشؤون الجنائية قد وضع المادة "96" بملحقاتها في أورنيك التحري وعدنا مرة أخرى للحراسة.

شاهد العيان:

تجربة الحراسة حقيقة لا يعرفها إلا من عاشها، وحياة الحراسات في بلد المليون ميل تجربة مؤلمة ومعاناة صعبة، وعبد اللطيف الذي عاشها وأنفعل بها كيف يراها الآن؟

عبداللطيف عمر:

أعدنا للحراسة بالقسم الأوسط بأمدرمان في زنزانة كبيرة اسمها الصين لكثرة من بها من منتظرين. وأخذت من الصين الازدحام وكثرة السكان فقط، والعالم داخلها أشكال وألوان. ومكثنا فيها ليلتين لا توصفان.

• وفي تلك الأثناء تم اعتقال الأستاذ في القسم الأوسط لمدة أسبوع كامل، ولم يحصل له الشرف الذي حصلنا عليه بنقلنا إلى سجن أمدرمان!!

وقبل أن أترك حديث الحراسة ألفت نظر من يود معرفة الحياة في الحراسات إلى مقال الأستاذ طه إبراهيم المحامي الذي نشرته (الأيام).

شاهد العيان:

نحن الآن فى غرفة كانت أصلاً صالوناً فى المنزل الذى تعقد فيه المحكمة الجنائية رقم "1" والصالون هو المحكمة الجنائية رقم "4".. فى الداخل تربيزة مكتب بحجم عادى وكنبتان من كنب المدارس قبل السلم التعليمى.. عدد البشر داخل الغرفة أكبر من سعتها.. أدوات تسجيل.. كاميرات تلفزيون.. فلاشات مصورين.. وفى الخارج مجموعة كبيرة من الإخوان الجمهوريين بملابسهم ناصعة البياض.

القاضى يدخل الصالون مرتدياً طربوشاً ذا لون أقرب إلى لون التراب المخلوط بالدماء.

القاضى يصيح طالباً من الجميع الخروج، والقضية عادية ولا تستحق هذه الضجة، بحثت فى تلك اللحظة عن وقار القاضى ـ عفواً ـ لم أجده، ولا أدرى لماذا رسخ فى ذهنى مشهد مهرجى الأفلام الهندية.

وأخيراً بعد اتصال تلفونى انتقل الجميع إلى مبنى البلدية، وأترك المايكرفون للأستاذ عبد اللطيف..

عبد اللطيف عمر:

كان رأى الأستاذ الذى وافقنا عليه، هو لا بد من موقف سياسى واضح بمواجهة القوانين فى مستوى التنظير والتطبيق، مواجهة تُشعر السلطة بالرأى الآخر فى قوانينها، ولهذا لم نتلفت أو نهتم بإجراءات المحكمة العادية، واعتذرنا للسادة الأفاضل المحامين الذين تطوعوا للدفاع، ورسخ فى ذهننا أن نفدى أبناء شعبنا الذين جلدوا وقطعت أيديهم، أهّلنا أنفسنا لهذا الدور، فداء للشعب من المذلة.

وعندما عدنا.. لسماع الحكم، لم يتغير شعورنا عند لحظة النطق بالإعدام، وإن كانت دهشتنا بالغة فى المفارقة بين التهمة - توزيع منشور - والحيثيات التى ساقها للحكم - ادعوا فهماً جديداً للإسلام!!

بعد الحكم قال الأستاذ " إنتوا اتطهرتوا " ولم نتقدم بأى استئناف.

شاهد العيان:

الحكم رفع لمحكمة الاستئناف لفحصه، وتمَّ تأييده.. واكتنفت سماء الخرطوم بغيوم كثيرة قبل إعلان التأييد، حتى فوجئ الناس بالمكاشفى وهو يتصبب عرقاً داخل التلفزيون يتلو حكم التأييد، لحظتها تذكرت بطل مسرحية ليلة السحلية لتنسى ويليامز، مرة حمامة وديعة، وأخرى سحلية زاحفة، وثالثة ثعباناً ساماً، ورابعة قرداً فى حديقة الحيوانات يقذف الأطفال بالفول، ومرة نمراً مفترساً.. لا أعرف ماذا افترس؟ المهم أن أحيا أدافع عن بقائى!

عبداللطيف عمر:

تأييد المكاشفى للحكم لم نعلم به، لأننا كنا فى كوبر.. كنا فى "زنزانات إنفرادية" ولم نحط علماً به إلا بعد تسرب صحيفة صباح الخميس 1985/1/17.

وفى صباح يوم الخميس كنا قد تقابلنا داخل السجن.. وفى الظهر شعرنا أن الحركة غير طبيعية، ولم يكن لدينا خبر بتأييد الرئيس المخلوع للحكم.

وفى تمام الخامسة حضر إلينا ضابط ومعه بعض الجنود، وأخذوا الأستاذ، ولم نكن نعلم أين سايرين به.

وبعد أن أكملت الشمس رحلتها اليومية، دعينا لمكتب مدير السجن فرادى، وهناك تمَّ إبلاغنا بتأييد الرئيس المخلوع للحكم، وأنه قد أمهلنا ثلاثة أيام للتوبة.

وكانت إجاباتنا تقريباً موحدة، بدون اتفاق وتشاور، وهى رفضنا للرجوع.

وبعد ذلك وضعت القيود فى أرجلنا، وحُوِّلنا الى الزنزانات البحرية المعدة للمنتظرين لتنفيذ الأحكام بالإعدام.. ووضعنا كل اثنين فى زنزانة لأنها كانت مزدحمة.

فى غضون هذه الإجراءات، كنا لا نعلم مصير الأستاذ، وسألنا عنه أحد الضباط، فأوضح لنا أنه فى إحدى الزنازين، وثمة حاجز يفصله عنا.. ونحن فى الانتظار سمعنا النشرة من راديو مع أحد المنتظرين، وساعتها عرفنا أن التنفيذ فى الأستاذ سيتم غداً ــ المهم مكثنا ليلة..

وفى صباح الجمعة، حضر إلينا شاويش، وقادنا فى طريقه للمشنقة، وجال فى أذهاننا أننا مقادون إلى تنفيذ الحكم فينا، لأننا رفضنا الرجوع.

وعند وصولنا ساحة المشنقة، وجدنا الحشود، والقضاة، ومستشارى نميرى يشهدون اللحظة البشعة وكأنهم فى انتظار عرس.

ثم خرج الأستاذ من غرفة غرب المشنقة، وسار فى خطوات واثقة ثابتة، وهو مقيد اليدين، والرجلين، مغطى الرأس.. حين اعتلى المنصة كان يمشى مشيته الطبيعية التى عرفتها ثلاثين عاماً رغم ثقل القيد حول اليدين والرجلين.

فى تلك اللحظة الرهيبة، وجلال الموقف الذى يدخل فى اللب رهبة وإجلالاً، انطلق المكاشفى مسرعاً، واعتلى المنصة، والأستاذ واقف فى شموخ ببسمته المشهورة.

وتحدث المكاشفى عن تدرج الحكم وقال بالنص " ان الرئيس جعفر المنصور قد أيد الحكم "

بمجرد أن انتهى التنفيذ، طلب منا العودة إلى الزنازين، وساعتها فهمنا أن الهدف هو إرعابنا، ثم علمنا أن طائرة هيلكوبتر قد أخذت جثمان الأستاذ وحلقت به شرقاً.

شاهد العيان:

انقضى نفس هذا اليوم قبل عام بكارثة، وجاء السبت وفى يوم الأحد 1985/1/20 كان موعدنا مع الفصل الأخير من المسرحية الهزلية.

فى ذلك اليوم جاء من أطلق عليهم مجموعة العلماء. وجلست مع الأربعة الآخرين، تعرض كتابة صيغة التوبة الشرعية أو الإعدام.. لم يكن هناك حوار ولم يكن هناك نقاش، كانت هناك كتابة أو مشنقة.

تلك كانت اللمحة العامة، غير أن الخرطوم استيقظت صباح الاثنين 1985/1/21 تتحدث عن رجل نحيل الجسم، حاد النظرات، بارع الحجة، أذهل مجموعة العلماء بحجة فى غاية البساطة وقمة الحجية (إذا رغب فرد فى أن يدخل الإسلام، ليس بالضرورة أن يقر

أن زيداً كافـر). وبعدها أصبح حديث المدينة الـتي أُعجبت به واحتـرمت ذكاءه واندهشت حينما عرفت حقيقة تلك الكوكبة!

عبد اللطيـف عمـر:

فى أمسـية الخـميس 1985/1/17 بعد أن تمّ تأييـد الحكم بواسطة الرئيس المخلوع، تمت اعتقالات واسعة وسط الإخوان الجمهوريين.

وبعد التنفيذ فى الأستاذ، لم يكن هناك أى اتجـاه للرجوع، غير أن الفاصل الزمنى حتى موعد التنفيذ فينا، قد أعطانا فرصـة للتفكير وتقويـم الموقف، وهل نمضى فى طريق التصفية الجسدية ونحـن مدركـين مـدى جهـالة النظام وإصـراره على أن حكمنا "حـد" لا يمكن الرجوع عنه.

المهم ظللنا فى انتظار وتقويم جديد، واضعين فى الاعتبار همجية النظام.

وكان لا بد من معرفة تقويم التـنظيم ككل للأمر، وهل نعطى لأصحاب الهوس الدينى الفرصة فى القـضاء على التنظيم.. وساعدنا الاعتـقال فى ذلك كثيراً، وفى صـباح السبت حضـر إلينا كبـير الجـمهـوريين ونقل إلينا رأى القلة التى نجت من الاعـتقال، التـى قومت الموقف بأنهم همجيـون ومهووسون، وطلبوا منا الرجوع عن الأقوال كـتابة. بعد أن وصلنا إلى هذه القناعة، بعد مناقشة شارك فيها كل أعضاء التنظيم تقريباً..

بلغنا إدارة السجن بأننا لا نرغب فى مقابلة أى علماء، ولسنا فى حوجة إليهم، وكل ما يرغبـون فيه إخـراج مسرحـية.. ولكنهم أصروا على الحـضور، وحبكوا المسـرحية جيـداً، ونادوا أصغـرنا سناً، ومضـوا فى مهزلتـهم.. ووجدنا مـتنازلين فى الظاهر على الأقل ولـم يدركوا أن مقابلتنا لهم كـانت تفويتاً للفرصة والاستجابة تحـصيل حاصل، ولو أن الغرض الهداية ـــ كما ادعوا ـــ لما تمـت بتلك الصورة المظهـرية، فضلاً عن مـا سمى بصـيغـة التوبة الشرعية.. كانت صيغة مكاشفية.

وفى الختـام أقول أن الموقف قد كان صـعباً تعرضت فـيه بكل بساطة لأن أرى رجلاً فى مـقام الأستاذ محمود محمد طه يتعرض للتصفية الجسدية، فى تآمر مكشوف ومن خصومه السياسيين.

ومؤكد أن الشعب السودانى قد ظهرت له بشاعة الجريمة، ولكن الشعب السودانى كان مغلوباً على أمره.. ولكن هذا لا يعفيه ومثقفيه عن المسئولية فى أن يتم عمل كهذا ضد حقوق الإنسان، بتلك الصورة البربرية، ولعل العزاء يكمن فى أن الحادث المأساة، أشعل الثورة المكبوتة بعد 76 يوماً من إعدام الأستاذ..

والحكم جسَّد كيف يتم إرتكاب أبشع الجرائم باسم الإسلام، وهذا نذير للناس لكى يجتنبوا الدعوات الدينية الجاهلة.

شاهد العيان:

انتهت رواية الأستاذ عبد اللطيف عمر.

وفعلاً نجح خصوم الأستاذ السياسيين فى اغتياله فى محكمة سريعة دبرت بليل.غير أن الذين أعدموه، والذين أيدوهم، إن ظنوا أنهم تخلصوا منه ومن فكره بإعدامه.. فقد أخطأوا...

الروائى العالمى الطيب صالح وباربرا براى[1] والصمت العالمى[2]

باربرا للطيب: إننى كنت أتحدث منذ لحظات مع البيت الأبيض فى واشنطن. طلبت محادثة الرئيس ريجان، طبعاً أنكروا أنه موجود. كلمنى أحد مساعديه. قلت له كل ما خطر على بالى. إن دم هذا الرجل معلّق فى رقبتكم. سألتها متغابياً: ولكن ما دخل الرئيس ريجان بمقتل محمود طه؟ فقالت: لا تكن غبياً. هل تظن أنهم ما كانوا يستطيعون إنقاذه لو أرادوا؟ هل يستطيع نميرى أن يرفض لهم طلباً؟ أليسوا هم الذين جاؤوا به وهم الذين يساعدونه على البقاء فى الحكم؟

(1) الطيب صالح، **وطنى السودان** "7"، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2005، ص 49-53.

(2) كانت الخطة أن يتضمن هذا الكتاب فصلاً بعنوان، "الأستاذ محمود والغرب: الموقف من مشروع الفهم الجديد للإسلام والصمت عن الإعدام"، لكن ونسبة لكبر حجم الكتاب رأيت أن أحذف هذا الفصل بغرض التوسع فيه وإصداره لاحقاً فى كتاب لحاله. وعلى الرغم من أن هناك أسباباً عديدة وراء الصمت العالمى الذى يعبر إلى حد كبير عن موقف الغرب خاصة الولايات المتحدة وأوروبا من الأستاذ محمود، إلا أننى أوردت فى هذا الفصل بعض الشهادات التى تحمل إشارات وتفسيرات لموقف الغرب من الأستاذ محمود وصمته عن إعدامه.

أدى إعدام محمود محمد طه إلى تصاعد حملة عالمية على نظام نميرى فى الخارج، كما أقيمت فى لندن ليلة لتأبين محمود محمد طه ظهر فيها د. خليل عثمان وأحمد إبراهيم دريج وعدد من عناصر المعارضة.. ولكن سكت الإعلام العالمى الذى تسيطر عليه الصهيونية حتى لا يفسد أمر تهجير الفلاشا[1].

حسن مكى

كتب الروائى الطيب صالح قائلاً: حينما أعدم الرئيس السابق جعفر محمد النميرى الرجل الهرم محمود محمد طه (رحمه الله)، كلمتنى "باربرا براى" فى الدوحة من باريس آخر الليل، كان صوتها فى التلفون غاضباً حاداً، أقرب إلى الصراخ، وذلك أمر لم أعهده منها، فهى عادة هادئة رقيقة مهذبة، قالت لى: ألا تنوى أن تفعل شيئاً؟

أفعل شيئاً بخصوص ماذا؟

ألم تسمع الأخبار؟ ألم تسمع بأن رئيسكم الهمجى قد أعدم رجلاً فى الثمانين من عمره؟ أنه أمر مخجل حقاً، من يصدق أن هذا يحدث فى هذا العصر؟

صمت وتركتها تسترسل فماذا أقول لها. لم تهدأ ثائرتها بل إن غضبها ازداد قوة وهى تمضى فى الكلام. وحين يطول صمتى تقول لى بعنف: هل أنت هناك؟ هل تسمعنى؟

نعم يا باربرا، أنا هنا وأسمعك جيداً.

إذاً لماذا لا تفعل شيئاً؟

قلت لها متضاحكاً لعلنى أعيدها إلى هدوئها: الآن؟ فى هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

لم تستجب لمحاولتى، وقالت لى بصوت أكثر غضباً: إننى كنت أتحدث منذ لحظات مع البيت الأبيض فى واشنطن. طلبت محادثة الرئيس ريجان، طبعاً أنكروا أنه موجود. كلمنى أحد مساعديه. قلت له كل ما خطر على بالى. قالت له إن دم هذا الرجل معلّق فى رقبتكم.

(1) حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان** (1969-1985): **تاريخها وخطابها السياسى**، مرجع سابق، ص 139.

سألتها متغابياً: ولكن ما دخل الرئيس ريجان بمقتل محمود طه؟

لا تكن غبياً. هل تظن أنهم ما كانوا يستطيعون إنقاذه لو أرادوا؟ هل يستطيع نميرى أن يرفض لهم طلباً؟ أليسوا هم الذين جاءوا به وهم الذين يساعدونه على البقاء فى الحكم؟

وماذا قال لك مساعد الرئيس؟

وماذا يمكن أن يقول لى أحد هؤلاء الشبان التافهين الذين يسمونهم تجاوزاً مساعدى رئيس؟ كل عملهم أنهم يحملون حقائبه ويتراكضون حوله. لم يظهر عليه أنه فهم ما أقول وأظنه لا يعلم أين السودان ومن هو نميرى أو محمود محمد طه. أخذ اسمى وعنوانى وتلفونى ووعد بأن ينقل احتجاجى للرئيس. بعد أن انتهت المكالمة طلبتك فوراً.

قلت لها متضاحكاً مرة أخرى: إنه لشرف عظيم لى أن تضعينى فى كفة مع رئيس أكبر دولة فى العالم. أنا الموظف الغلبان فى منظمة اليونسكو.

تحول سخطها من الرئيس الأمريكى إلى اليونسكو، فهى تكره المؤسسات البيروقراطية من حيث هى. فقد استقالت من هيئة الإذاعة البريطانية وتعاونت فترة قصيرة مع منظمة اليونسكو ثم رفضت التعامل معها: "متى تستقيل من هذه المنظمة الجوفاء وتتفرغ لما هو أهم؟

وما هو الأهم؟

ألا تعرف إلى الآن ما هو الأهم؟

بلى، أنا أعرف ما هو الأهم فى نظر "باربرا براى" وفى نظرى أنا أيضاً. ولكن من يطعم الزوجة والعيال، ويدفع أقساط المدارس والجامعات؟ كل هذه الأشياء الصغيرة أم الكبيرة، التى تكبل الإنسان بقيود يشتد وثاقها يوماً بعد يوم، وتجعله يصمت حين يجب عليه أن يصرخ، ويذعن حين يتحتم عليه أن يرفض. "باربرا براى" لا تأبه لذلك. لقد استقالت من هيئة الإذاعة البريطانية منذ ثلاثين عاماً وهى فى قمة النجاح، وليس عندها مصدر دخل. غامرت وحملت طفلتيها وجاءت إلى باريس. استأجرت شقة صغيرة فى الحى اللاتينى قريباً من "بوليفار سان ميشيل" وعلى مرمى حجر من نهر الـ"سين"، ماتزال تعيش فيها إلى اليوم. رفضت بتاتاً أن تشترى بيتاً أو شقة بالأقساط كما يفعل كل الناس. "منسى" وأنا

حاولنا إقناعها ولكنها قالت إنها لا تحب أن تمتلك أى شيء، وتحب أن تفارق الدنيا وليس وراءها شيء. أخذت تعيش من كتاباتها فى النقد للصحف الفرنسية والإنجليزية، فهى ناقدة متمكنة لها نفوذ وصيت، وتترجم الفرنسية إلى الإنجليزية، وكثيرون يعتبرونها أحسن مترجم فى هذا المجال. وقد ترجمت جميع روايات الكاتبة الفرنسية الشهيرة "مارجريت دورا" لا حباً فى المال ولكن لأن الكاتبة صديقتها. وحين يضيق بها الحال، تكتب " سيناريوهات" للسينما، فهى تحتقر السينما، ولا تعتبرها شكلاً فنياً محترماً. وكان بوسعها أن تجمع مالاً وفيراً من كل هذا الجهد، ولكنها لا تحسن تدبير المال ولا تأبه له، وتقع دائماً فريسة لطمع الناشرين وخداعهم.

دائماً تجعلنى أحس بالخجل من نفسى، هذه السيدة العجيبة. لا تنتمى لحزب، وليس عندها أى مطمح، وتعطى الحياة أكثر من ما تأخذ منها. كأنها تحمل على عاتقها هموم الإنسانية بأسرها، إذا وقع زلزال فى الجزائر أو فيضان فى السودان أو مجاعة فى إثيوبيا، يعصر الألم قلبها، كأنها مسؤولة شخصياً عما حدث. ولا تكتفى بذلك بل تجمع التوقيعات وترسل الاحتجاجات. تؤيد كفاح الشعب الفلسطينى وتكره النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا، وتمقت التسلط والقهر حيثما يكون. وأنا لا أشك أنها تحس مأساة جنوب السودان أكثر مما يحسها جون قرنق وبقية هؤلاء الزعماء النجباء، الاذكياء الأغبياء. " باربرا براى" تؤمن كما جاء فى القرآن الكريم أن من قتل نفساً واحدة بغير حق، فكأنما قتل الناس جميعاً، وهؤلاء عندهم أن يموت مليون، لا شيء، فى سبيل أن يصبح الواحد منهم زعيماً.

فى تلك الليلة شعرت بخجل عميق. قلت لها وأنا أعلم أن كلامى أعرج وحجتى جوفاء:

أنت تعلمين أننا حينما ندخل اليونسكو كما فى المنظمات الدولية، نقسم يميناً أن نكون محايدين ولا نتدخل فى شؤون الدول الأعضاء فى المنظمة.

(قالت باربرا): كلام فارغ.

أطارت النوم من عينى وقضيت الليل مسهداً أضرب أخماساً فى أسداس.. وذلك أضعف الإيمان.

تصوير كمال الجزولى لحاله وحال أبو عركى البخيت عشية يوم تنفيذ الإعدام الكون كرة من البلور، وعركى كائن أثيرى، والجزولى شبكة من الاعصاب العارية المشدودة

"شُنِق طه وهو يبتسم" [1]

صحيفة القبس الكويتية

غداة إعدام الشهيد محمود ضحى السابع عشر من يناير عام 1985، جاءنى صديقى الموسيقار المغنى أبو عركى البخيت مُشوَّش الشَّعر، مُجعَّد الثوب، مُسهَّد الرُّوح، متورِّم العينين، دامع الفؤاد، مُحتقباً عوده الفصيح، وشفافيَّته الثوريَّة، واختياراته الباذخة، ورهاناته التى لا تخيب قط، وجلس فى ركن الغرفة يُسمعنى، كما (زرقاء اليمامة)، لحناً ظلَّ عاكفاً عليه طوال ليلة البارحة، وقد تجافى جنباه، فى سبيل ذلك، عن مضجعهما، وجافت عيناه الكرى وجافاهما. ما كاد عركى يطلق لحنجرته العنان، ويتوغل فى الاغنية ـ النبوءة، حتى أخذ الكون كله يستحيل، رويداً رويداً، إلى كرة من البلور، وعركى إلى كائن أثيرى، وأنا نفسى إلى شبكة من الاعصاب العارية المشدودة، فقد اقشعرَّ بدنى، ووقفَّ شَعر رأسى، وتحشدت دمدمة العواصف فى أذنيَّ، ووجيب (الجلجلة) تحت قدميَّ، وإذا بكلمات الفيتورى التى كان نضَّدها قبل ذلك بما يناهز العشرين سنة كأنْ لم تولد إلا فى تلك اللحظة، بل كأنْ لم تولد إلا لأجل تلك اللحظة: "أرضُكَ ظمأى، والخريفُ شَحَّ هذا العام،والمتسولِّونَ يزحفون، والاقزامْ، يُعَربدونَ فى حُطام المَملكة، يا ملكاً مُتوَّجاً على حُطامْ، يا قائداً بغَير مَعْرَكة، هذا أوانُ المَعْرَكة"![2].

شهادة سيد أحمد خليفة (1940-2010)

هذه باختصار شهادتى للتاريخ... تجربتان ثرتان مع الأستاذ محمود محمد طه وأتباعه، مرة فى مكتبه المتواضع فى الستينات من القرن الماضى ومرة فى زنازين كوبر[3].

حوارات سمحة ومتسامحة.. وصمود مدهش...

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود** مصدر سابق، ص 5-6.
(2) كمال الجزولى، "ولا صراخُ العالم.. كله؟!"، **صحيفة السودانى**، الاثنين 2008/3/31.
(3) سيد أحمد الخليفة، "صباح الخير يا جمهوريين..!"، **صحيفة الوطن**، الأحد 22 يناير 2006.

تعرفت واجتمعت بمئات القادة الجمهوريين والأعضاء العاديين، فهم "حتى العادى لديهم ليس عادياً.. ديناً وخلقاً وسلوكاً ووطنية وتجرداً ونظافة فى الجوهر والمظهر"..

يا ... يا زمنَ العُنُقِ الجمُهُوريِّ يُعلَّقُ

بين حبالِ الخَصْم

فينهضُ

ينهضَ من حُجراتِ الغُبنْ المُزمِنِ

صَوتُ القومِ

وسيفُ القَومِ

وبحرُ القَومِ

وشجرُ القَومِ

وطيرُ القَومِ

وينهض فى الزَّنزانةِ صوتُ اللهِ

ويُنفُخُ

يُنفخُ

يُنفَخُ فى الطُرقاتِ الصُّورْ[1]

إلياس فتح الرحمن

يقول المثل الشعبى "ليس من رأى كمن سمع"، وأقول ليس من عايش كمن قرأ. فتجربتى الشخصية مع الأستاذ محمود محمد طه لا تجعلنى أفكر أو أقدر أو أكتب على نحو ما يكتب بعض خصومه السياسيين والفكريين والدينيين..! ففى ستينيات القرن الماضى وأنا صحفى شبه مبتدىء التقيت الأستاذ محمود محمد طه فى مكتب متواضع فى شارع الحرية غرب الخرطوم وحملت إليه أسئلتى البسيطة، إن لم أقل الساذجة، حول الفكر الجمهورى الذى كان مثار نقاش واسع فى تلك الأيام بين الـ "مع" والـ "ضد" ولكنى

---

(1) إلياس فتح الرحمن، **لا أحَد يسْعِفُ الخَيلَ** (ديوان شعر)، من قصيدة "من دفتر مظاهرات أعوام الفزع (إلى روح الشيخ الشهيد محمود محمد طه، 1983-1986 الخرطوم)"، ط1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمانة، 2003، ص 129-145.

أعتـرف أن حوار تلك الأيام،حول الفكر الجـمهورى كان يشـبه تفكير تلك الأيام وعـقلية وعقلاء تلك الأيام، وسياسة وسياسيى تلك الأيام، وفكر ومفكرى تلك الأيام..!!

حـوارات سمحـة ومتسامحـة..!

فقـد كان أتباع الأستـاذ محمود مـحمد طه والفكر الجـمهورى من الشبـاب والشابات والطلاب والطالبـات وخريجى الجـامعـات وأساتذتهـا يتجـولون فى شوارع الخـرطوم فى الوسط والأطراف وفى عواصم بعض الأقاليم والمدن الكبيرة لا يحملون عصى أو مدى أو مسدسات ولا حتى حجارة بل ولا كلمات نابية أو جـارحة، لكنهم كانوا يحملون كتيبات ومنشـورات يناقشـون أو يناقشـهم الكبيـر والصغـير، العـالم والجاهل، الطامع فى الفـهم والتفـاهم والراغب فى الشبكة والاحـتكاك والمبرمج أصـلاً ضد الفكر الجمـهورى دون أن يقرأ محتوياته أو يتعمق فيها على الأقل.

يومها جلست لساعـات استمع للرجل حتى تحول المجلس بيننا إلى تلمـيذ صحفى هو أنا وأستاذ كـبير هو المفكر مـحمود محـمد طه الذى كان يكبرنى بنحـو عشرين عامـاً وهو مدى زمنى كاف لكى يتفوق الإنسان فكراً وقـولاً ومنطقاً على من يصغره سناً ناهيك عن أن يكون المتحـدث هو محمـود محمـد طه المهندس والمفكر الذى خلط بين ثلاث هى: المسـألة الدينية (وتحديداً الدين والحياة أو الحياة والدين) وبين الهندسة (بكسرها وجبرها وأرقامها ومعادلاتها الصعبة) وبين السياسة والأخلاق والقيم وهموم واهتمامات الإنسان أينما كان..!

لا ادعى أننى خرجت من تلك الجلسـة بعمل صحفى كـبير ولكننى لخصت مـا قاله لى الأستاذ مـحمود بقدر ما مكننى الـله وأسعفنى فكرى وتفكيرى الغض فى تلك الحـقبة من حياتى الصحفية، حيث مازلت أتعلم وأسمع وأزداد خبرة وشهرة وكل من يعتقد أنه وصل وهو على قيد الحياة فهو لم يصل..!

صبيحـة اليـوم الـذى نشــر فيـه ذلـك التحـقيـق الصـحفـى المتـواضـع، ولعـلـه بيـن عامـى 66-1967 من القرن الماضى إنهالت الرسـائل والمكالمات الهاتفية على الصحـيفة بين مقدر لما قاله الأستاذ وبين من اتهـمنى بالإنتماء للفكر الجمهورى، وبين من وقف بين هذه وتلك من التصنيفات الجاهزة..!

بعدها لم ألتق بالأستاذ الشهيد محمود محمد طه فى عمل صحفى أو لقاء فكرى طيلة سنوات مايو الأولى، حيث كان الجمهوريون من المؤيدين لتجربة مايو السياسية والفكرية فى بداياتها اليسارية والوسطية حتى إذا دخلت مايو حقبة الهوس الدينى وتحول نميرى من (مناضل) إلى (مجاهد) ومن مجاهد إلى (إمام) ومن إمام إلى (أمير المؤمنين) كما كان يناديه بعض أعوانه فى القصر، وقف الأستاذ محمود محمد طه ومعه سائر الجمهوريين إلا قليل ليقول لمايو ولنميرى: لا ومن ثّم يدخل السجن فى العام 1983 ويتنقل بين زنزانة وزنزانة (ويقوم الأجاويد ويقعدوا وتتوالى الاتصالات به وبمجموعته لكى يتراجع عن إدانته للهوس الدينى وتوجهات مايو فى هذا المجال ولمؤلفات مايو من نحو «النهج الإسلامى لماذا وأخواتها»، ولمحاكم العدالة الناجزة ومحاكم الطوارئ)..!

عداوة بعد محبة...!

كان ذلك الموقف من الجمهوريين ضد مايو بعد شبه تحالف معها فى السنوات الأولى مستغرباً من نميرى ونظامه وحتى من المعارضة السودانية وأبرزها السيد الصادق المهدى الذى لم يهاجمه حزب ويندد به زعيم ويستاء من زمانه ونظامه مفكر كما فعل الأستاذ محمود محمد طه **والحزب الجمهورى** فى فترة الديمقراطية قبل مايو وفى حقبة مايو الأولى، حيث كان الفكر الجمهورى يرى فى الصادق المهدى وفى السيد محمد عثمان الميرغنى **والحزب الاتحادى** حواجز طائفية وتاريخية تمنع التطور الدينى كما يراه الفكر الجمهورى، وكان الأستاذ محمود يقول عن الطائفية ما معناه إنها سجن كبير للفكر والعقل السودانى وإنها توظف قدرات السودانيين لخدمة مفاهيمها الدينية الأقرب للهوس منها للدين..!

بعد مجادلات ومحاولات وصراع خرج من المنشورات والكتب إلى المواجهات فى الجامعات والمنابر بين مايو والجمهوريين صدر المنشور المشهور الذى ندد بمحاكم العدالة الناجزة وبقضاتها (إمام المؤمنين) إلى (أمير المؤمنين) حتى إذا بلغ هذه المرحلة الأخيرة من الهوس قال إنه (أصبح يطير) وأنه يشاهد الذين يجلسون حوله من الشيوخ ولا يشاهدهم غيره وبقية القصص المايوية المعروفة..

منشور وصمود مدهش..!

كان المنشور الحاسم والحازم الذى أصدره **الحزب الجمهورى** وصاغته لجنة فكرية برئاسة الأستاذ محمود ونشرته وانتشرت به مجموعة من الجمهوريين الأفذاذ فى كل شوارع العاصمة توزعه وتدافع عنه وتناقش حوله وتشرحه للناس هو الحد الفاصل بين حرية الجمهوريين وحقهم فى الحركة وبين نظام مايو الذى أعطاهم هذا الحق فى بداياته عندما كانوا يمارسون نفس النشاط الفكرى لصالح فكرهم ودعوتهم منتقدين خصومهم الحزبيين ممثلين فى السيدين المهدى والميرغنى، وهذه فى تقديرى كانت غلطة الجمهوريين أو ذلتهم الكبرى، إذ لم يكن من حق الأحزاب وزعاماتها أن تدافع عن نفسها وفكرها فى بدايات مايو وهذه قاعدة لا تجوز أخلاقياً فى العمل السياسى والفكرى إلا لذوى الإيديولوجيات المغلقة الذين لا يرحبون بمناقشة خصومهم الفكريين فى الهواء الطلق، بل يعمدون إلى وضعهم فى السجون والزنازين وبيوت الأشباح ووراء الشمس ثم ينددون أو يناقشون أو يرفضون فكر الآخرين بعد أن غيبوهم تماماً. (حاشية من المؤلف: تضمن كتابى هذا معالجة كافية لجدلية موضوعات الجمهوريين وحكومة مايو - الفصل الحادى عشر- والجمهوريين والطائفية والأحزاب السياسية - الفصول الرابع والسادس والثامن والتاسع والعاشر- يمكن للقارىء الرجوع إلى هذه الفصول لاستجلاء الموقف الحقيقى للأستاذ محمود والجمهوريين من حكومة مايو والطائفية والأحزاب السياسية).

فى العام 1983 يسر لى الله لقاءً سياسياً قهرياً لمدة عام كامل جمعنى برجال أفذاذ فى زنازين كوبر كان فى مقدمتهم السيد الصادق المهدى والراحل العظيم الدكتور عمر نورالدائم وآخرون من أفذاذ ذلك الزمان العظيم الذى أكرمنى الله بالعيش فيه ومعايشته، وكان الهرم الفكرى الثانى الذى إلتقيته فى تلك الحقبة فى الزنازين أيضاً الأستاذ محمود محمد طه وآخرين من قادة الفكر الجمهورى، حيث شكل هؤلاء وأولئك من الجمهوريين والأنصار مدرسة فى حياتى امتدت لـ 360 يوماً هى حقبة دراسية تعادل عندى كل الحقب النظامية المعروفة..!

كنت أنا أجالس الأستاذ العظيم محمود محمد طه قبل أشهر من اقتياده للمشنقة وعمرى كان عندها فوق الأربعين عاماً أحسن فهماً وإدراكاً لما يقول مقارنة بحقبة

الستينيات ولم تمسنى عقائدياً أى خدشة دينية فى حديث الرجل الذى كنت استمعت إليه بعدما قرأت بعض ما كتب، فالذين يتحدثون عن عدم صلاة الرجل أقول لهم بأن الرجل كان يقيم الليل تلاوة للقرآن وصلاة وتتواصل من العشاء حتى صلاة الصبح فى كثير من الأحيان واحياناً يستيقظ قرابة الفجر ويواصل حتى صلاة الضحى، إن هذه بإختصار شهادتى للتاريخ فيما يتعلق بادائه المباشر للعبادة ممثلة فى الصلاة والتلاوة، وفيما يتصل بفهمى لحركة المجتمع والناس، وبعد أيام المعايشة تلك وأقول أيام لأنها كانت أياماً فعلاً نقلت أنا إلى المستشفى العسكرى كمعتقل سياسى فلازمنى فى الغرفة قائد جمهورى فذ هو الأستاذ عصام البوشى الذى مثل من الناحية التنظيمية فى تلك الحقبة موقعاً للاتصال بين الجمهوريين داخل السجن وخارجه، فكانت الزيارات المفتوحة لنا ولهم قد عرفتنى وجمعتنى بمئات القادة الجمهوريين والأعضاء العاديين، فهم (حتى العادى لديهم ليس عادياً.. ديناً وخلقاً وسلوكاً ووطنية وتجرداً ونظافة فى الجوهر والمظهر)..

لقاء مع عصام..!

كنت أحاور الأستاذ عصام البوشى ونحن فى غرفة لا تتجاوز مساحتها 3x3 متر حول الفكر الجمهورى وما يثار حوله من شبهات وأشهد للرجل أيضاً بثلاث: العبادات كاملة: صلاة وصياماً وقياماً وفهماً عميقاً للدين، ووطنية رفيعة لا تختصر الوطن فى الذات، ولا تعتدى على حق الوطن أو حقوقه فى أى جانب من الجوانب باعتبار المعتدى هو المتعدى عليه عندما يتحول الفاسدون والمرتشون والسارقون إلى أثرياء ويعتبرون ذلك الاعتداء (تصحيح وضع اجتماعى)، والثالثة هى تواضع العلماء وبساطة العالمين وسماحة الحوار وهدوء النقاش والترحيب بالرأى الآخر وعدم الاعتداء على الآخرين ولو بكلمة نابية ناهيك عن الاعتداء بالسيخ أوالرصاص أو قبيح الكلام كما كان يفعل ومازال يفعل بعض أدعياء الدين والتدين..!

فى ذلك العام الكئيب 1983 تداعت كل القوانين سيئة السمعة المسماة بقوانين سبتمبر وتنادى قضاتها وشحنوا القبح والتسلط والعنف والجهل المركب قائد النظام نميرى لكى يصدر قراره الإجرامى الخطير ويرسله بأية وسيلة كانت إلى قضاة أو إلى محكمة أو إلى

مجموعة من الذين بلغ بهم الهوس الدينى حداً يحكمون خلاله على شيخ تجاوز السبعين بحد الردة دون حيثيات، حيث كان بين هذا الشيخ وبين الموت شنقاً كلمات هى الاعتراف بأهلية المحكمة والقضاة ناهيك عن الاعتراف بقوانين سبتمبر أو الخوض فى مجاهل الهوس الدينى.

لقد دافع الأستاذ محمود محمد طه عن كل ضمير سودانى حى وسبقنا وسبق الجميع فى رفض نظام مايو وقوانين مايو التى أجمع الناس على رفضها منذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا.

حيث ماتت هى ولم يمت الشهيد العتيد العنيد محمود محمد طه..!

شهادة الشفيع خضر سعيد[1]

رؤيا فى المشهد السياسى: يا .. مُشرع الحلم الفسيح.. سجن "كوبر" فى 17 يناير 1985[2]

ثم جاءوا بالشيخ مكبلاً ومغطى الرأس حتى العنق....كان يمشى بثبات وبطولة... لم، وأعتقد لن، أرى خطوة ثابتة وقوية مثل تلك الخطوات التى كانت تتجه، مدركة، إلى السكون الأبدى

لابد من أن يُعطى هذا المفكر المثقف الوطنى السودانى، الأستاذ محمود، حقه بإعادة قراءة الكثير جداً من الأشياء، ولا بد من إعادة فحصها، فهى بالفعل، اتفق معك، تدخل فى مفهوم المؤامرة عليه[3].

الشفيع خضر سعيد

---

(1) حينما طلبت من الشفيع خضر سعيد إجراء مقابله معه بشأن موضوع الأستاذ محمود، وكنت أعرف أن وقته كان ضيقاً وبرنامجه مزدحماً بالعديد من اللقاءات والمواعيد المسبقة، فأعتذرت له عن مساحة الوقت التى أخذتها المقابلة، فرد علىَّ قائلاً: "إن الكلام عن الأستاذ محمود محمد طه تؤجل له كل المواعيد وتلغى من أجله كل الالتزامات".

(2) الشفيع خضر سعيد، "رؤيا فى المشهد السياسى: يا .. مُشرع الحلم الفسيح.. سجن "كوبر" فى 17 يناير 1985"، **من موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 26 يناير 2011، الموقع على الإنترنت:www.alfikra.org

(3) مقابلة مع الشفيع خضر، الدوحة، قطر، 2012/9/28، الساعة 8-10:30.

سجن "كوبر"... فى 17 يناير من العام 1985. كان السجان طيباً، يسمح بحرية الحركة بين الأقسام المختلفة داخل السجن.. وكان الشيخ فى قسم "زنازين الغربيات". قضيت معه كل صباح الخميس وبعضا من الظهيرة...استقبلنى بابتسامة جميلة تنضح بالحياة....كان ممتلئا حيوية وثقة بالنفس، وكان جميلاً بهياً وهو فى جلبابه الأبيض. جلسنا فوق "البرش"، وقدم لى البلح والشاى. حدثنى: عن الهوس الدينى وتشويه الإسلام، عن سرقة قوت الفقراء باسم الله، عن أن "النميرى" مطية غبية لتجار الدين، عن صراعه المحتدم والمستمر مع جماعة الهوس، عن رفضه الثابت لقوانين سبتمبر (1983)، وأنه لن يتنازل أبدا حتى ولو كلفه ذلك حياته!.. وحدثنى عن الثورة..!! قال لى بالحرف الواحد: "حال البلد هذه الأيام أشبه بحالها فى الأيام الأخيرة قبل ثورة أكتوبر 1964....الشعب فى حالة غليان وسينفجر ويطيح بالهوس...إنى أرى الخضرة فى كل شىء....وأراها قريبا جدا". ثم أخرج من جيبه ورقة أعطانى إياها قائلا: " هذا منشور من جماعتكم، أصدروه صباح اليوم". كانت الورقة بيانا من **الحزب الشيوعى السودانى** بعنوان "أرفعوا أيديكم عن محمود محمد طه".

وواصلت الاستمتاع بالاستماع إليه والحديث معه. تحدثنا فى كل شىء..، إلا الموت وحكم الإعدام. وفجأة جاءنى السجان الطيب مسرعاً ومشفقاً يطلب منى سرعة الرجوع إلى (عنبرى) فى قسم "المديرية" (أحد اقسام السجن). ودعت الشيخ ووعدته بالحضور إليه صباح الجمعة .... وأنا لا أدرى...

فى الطريق إلى العنبر كان السجان الطيب مهموماً.. سألته فقال لى: "السجن مليان جيش..ويظهر فى حاجة بطالة حَ تحصل...". دخلت إلى العنبر لأجد زملائى المعتقلين متجمعين حول التلفاز يستمعون إلى فحيح السفاح "نميرى" وهو يؤيد حكم الإعدام.. وجم السجن، وازدادت جدرانه وجوما. كان الصمت مطبقا إلا من نبضات الحزن والغضب المكبوت....

اتجه أبوبكر الأمين، زميلى فى المعتقل، إلى الجدار الفاصل بين قسمنا وساحة الإعدام...اسمها " ساحة العدالة الناجزة"!! وبدأ أبوبكر يحفر فى الحائط .... قضى الليل كله، ونحن معه، يحفر ونحفر، بكل ما هو متاح: بقية من "علبة صلصة"، قطعة زجاج،

مشبك حزام بنطال...ونصل مخبأ.!! حتى زحزحنا الحجر الضخم / الصخرة الصغيرة...وأصبحنا نرى قبح المشنقة بكل وضوح..

أطل الصباح الشتوى الحزين...الجمعة 18 يناير 1985. رفضنا استلام الغذاءات وأعلنا إضراباً عن الطعام فى كل أقسام السجن. بدأت جموع المرجفين ترد إلى ساحة الإعدام وهم يهتفون ويتصايحون.... كانوا فى حالة لا توصف من الهيستريا والهوس المجنون... وكان بعضهم يرقص...!!! ونحن ننظر من خلال تلك الكوة السرية، مجموعة تلو الأخرى فى تنظيم وترتيب دقيق، صامت ومتوتر.

ثم جاءوا بالشيخ مكبلاً ومغطى الرأس حتى العنق....كان يمشى بثبات وبطولة... لم، وأعتقد لن، أرى خطوة ثابتة وقوية مثل تلك الخطوات التى كانت تتجه، مدركة، إلى السكون الأبدى... كانت الخطوات تكتب على أرض ساحة الإعدام: نعم، أشهد أنى أنقله من الشيخ القوى إلى الشيخ الشهيد...لكنه الشيخ الثابت على المبدأ... الشيخ المنتصر... الشيخ الملهم....

تعالت صيحات الهيستريا والهوس المجنون...وتضاعفت...كانوا كثر...أتوا ليروا هزيمتهم...ولكن هل يروا؟ كان الجلاد حزينا وهو يلف حبل المشنقة حول عنق الشهيد....بعد تلك اللحظة تخلى عن "مهنته" إلى الأبد!. وفجأة أمر القاضى بكشف الغطاء عن وجه الشهيد قائلا بتلذذ عجيب: " ليرى الزنديق كيف ينبذه الناس"... وكشف عن وجه الشهيد....يا للروعة ويا للعظمة...كان مبتسماً وهادئاً وساخراً... ما أجمل ذلك..شجاعة وصمود وبسالة وإيمان...وازدراء للموت...لم، وأعتقد لن، أرى مثل ذلك قط..! ومع كشف وجه الشيخ أخرست كل عواءات الهوس...وأطبق صمت رهيب..رهيب إلا من أصوات ارتجافاتهم...والشيخ ينظر إليهم فى ابتسامة خالدة...ابتسامة تجهيل ورثاء..! ما أقوى أن ترد الحقد بالرثاء حتى وهو يقتلك!!

ونحن، كنا ننظر فى صمت وخشوع ورهبة....لحظة لا تملك أى قدرة على وصفها.... فهى غشتنا لمرة واحدة فقط... لكنها فعلت الكثير فى دواخلنا وأنسجة مشاعرنا وعقولنا.... فعلت ما لم تستطع فعله سنوات الدراسة والتجربة والعمل....تغذينا بلحظة الموت تلك ما لم تستطع أن تغذينا به لحظات الحياة.....!!

وفى لحظة السكون تلك..قررنا نحن أن يسمعنا الشيخ قبل استشهاده....فهتفت كل أقسام السجن فى لحظة واحدة وبنغم واحد، رددته معنا السماء والجدران: شهيد...شهيد يا محمود، فاشى...فاشى يا كباشى، سفاح سفاح...سفاح يا نميرى، مجرم نازى يا....،

وسمع الشيخ الهتاف، وازدان وجهه بابتسامة أجمل..! وسرى الرعب فى كل المهووسين وازداد بؤسهم صمتا...وسمعنا حشرجة القاضى يأمر الجلاد بالتنفيذ....سريعا غطى الوجه المبتسم....وتدلى جسد الشيخ النحيل....لا صوت إلا هتاف المعتقلين.. يشق عنان السماء مصاحبا لروح الشيخ الشهيد.....

يا صنوج الإعلان.......يا طبول الشهادة دقى...رددى....دقى للشيخ الذى كان يدرى أن يضحك.....ولا يبكى للحياة.....الباطن والظاهر صمت الجميع....إلا صوت الشارع فى المدن الحبلى بالثورة.

وتحدث الصمود، تفجر المخزون المكبوت، والتقت روح الشيخ الشهيد بروح حفيدته "مشاعر"، وكانت انتفاضة الشعب فى مارس أبريل 1985.

شهادة عبد اللطيف سعد على حارس الأستاذ محمود فى زنزانة الإعدام[1] ضمن حوار صحفى

لم يتعامل معنا كأعداء..!

قال [الأستاذ محمود] لمدير السجن:" لو بِستَأنف أو بِستَرحم ما كان جيت هِنا"..!

رحم الله محمود محمد طه..لم يتنازل ولم ينحن ولم يتخاذل مات وهو مؤمن بالطريق الذى سار فيه، أنا لست جمهورية ولكنى فعلاً احترم إرادة هذا الرجل فقد فاقت إرادة شعب بأكمله[2].

سارة منصور

---

(1) عبداللطيف سعد على، "حارس الأستاذ محمود فى زنزانة الإعدام"، حوار عبدالله الشيخ، **صحيفة أجراس الحرية**، الخميس 25 نوفمبر 2010.

(2) سارة منصور، "موسم البكاء على محمود محمد طه"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/1 ، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

حـوار عبدالله الشيخ

هذا الرجل، رقيب أول عبد اللطيف سعد على أوكلت إليه مهمة حراسة الاستاذ محمود محمـد طه داخل سجن كوبر منذ عصر السـابع عشر من يناير 1985 وحتى لحظة التنفيذ فى العـاشرة من صبـاح اليوم الـتالى.. مـرت خـمس وعشـرون سنة على هذا الحـدث، وهذه الإفادات التى وردت خلال الحـوار تقرأ الى جانب إفادات آخرين، إذ المشـهد الكامل لحادثة اغتيال الاستاذ محمود قـد يتشكل من إفادات أخرى لشهود آخرين، الى جانب ذاك الذى لم يزل فى صدور الرجـال.. كان الحكمدار عـبد اللطيف حريصـاً على ترديد عبارات الاسـتاذ محمـود التى سمعها منه فـى تلك الساعات، يرددها حتى يكاد يطمـئن السامع الى أن مرور كل هذه السنين لم تجـعله ينسى الوقـائع..مهمـا يكن، فـإن استخـلاص الحقـائق عن طريق الحوار يبـدو صعبـاً مع عسكرى أُمى، ملتـزم بمهنته، ربما لو تحـدث قبل هذا العـهد لما أهمل تفاصيل صـغيرة ودقيقـة وملاحظات قد لا تبدو مهـمة من وجهة نظره، نظراً لانغـماسه فى القيام بواجبه المباشر فى حراسة سجين هدد بكلماته القوية وبمواقفه الصميمة عرش الحاكم.. ومع إعجاب السـجان بالسجين، إلا ان السجـان مازال يؤكد أن جناية الاستاذ مـحمود التى اوصلته الى حبل المشنقة هى أنه سمع مايلى :"قالوا، قال إنو الصلاة رُفِعت مِنو"..

فى بداية اللقـاء، وقف الـرجل بشلوخـه، وقف الرجل الثـمـانينى "رقـيب أول" عـبـد اللطيف سعد على، وألـقى على " التحية العسكرية "..! قلت له: عـسكرى بالمعاش، يلقى التحية العسكرية على ملكى، لماذا؟

قـال الرقيب أول عـبد اللطيف: نظـامنا فى العسكرية، لـما تدور تتكلم كلام مـهم ترفع التحية العسكرية،، لأنو الكلام عن الزول دا كلام مهم.. (الزول هو الأُستاذ محمود محمد طه، وقد كـان الرقيب أول عبد اللطيف مكلـفاً بحراستـه منذ عصر السابع عـشر من يناير، وحتى لحظة تنفيذ حكم الإعدام فى الساعة العاشرة من صباح الجمعة 18 يناير 1985).

متى دخلت الشرطة..؟

أنا من البـرصة، من الشـمـالية، جيـت الخرطوم، اتعـينت شـهر واحـد سنة 56 لما كان الخواجات ينقلوا عفشهم راحلين بالسكة حديد، زمن الاسـتقلال أنا كنت مستجد، عملت

فى بورتسودان، وجابونى سجن كوبر عشان ابنى القشلاقات، كنت شغال فى الكمينة بتاعة الطوب فى الجريف غرب، من الكمينة جابونى السجن للتنفيذ.. الترقيات زمان كانت بالأقدمية، ما عندك كفاءة ممكن تتظلم، أنا أمى ما بعرف القراية.. نزلت المعاش سنة 93، لما نزلت المعاش أدونى معاش 700 جنيه بس.. زول ما اشتغل عسكرى ما بيعرف يمشى كويس فى الشارع، أنا هسه شغال بى حرارة العسكرية، لحدى هسه عمرى تمانين سنة ما بقدر أرقد فى السرير وأتناوم، عندى روح معنوية عالية..

من هو قدوتك فى العسكرية..؟

أحسن عسكرى هو الصول طه على عيسى، شايقى من جلاس..

ماهذا الغرام بين الشايقية والعسكرية..؟

زمان كان تعليم مافى، زمان كانوا بيقولوا الشايقى إن نجح هجانى، وإن بطل طيانى..

هل كنت تعرف الاستاذ محمود محمد طه من قبل؟

ما بعرفو، ما قابلتو إلا لمن الله جابو لى فى السجن، لكن كنت بلاقى ناسو فى الخرطوم واقفين فى الشارع، بنات وأولاد شباب، نسوان ورجال، شايلين كتبو،واقفين " لمة لمة "، لابسين أبيض، كنت أعرف إنو ديل الجمهوريين..لكن الله جابو لى فى السجن، كنت حارسو من العصر لحدى ما طلع المشنقة..

ممكن توصفو لينا؟

ماهو طويل، وماهو قصير، مربوع، ماهو سمين ولا هو نحيف..

لماذا جاءوا به الى السجن؟

جابوهو محكوم عليهو بالاعدام، قالوا " قال الصلاة رفعت منى"..

هل سمعت منه هذا الكلام ؟

لا، أنا كنت حارسو من العصر الخميس لحدى ساعة التنفيذ،

كيف تم اختيارك لحراسته؟

انا كنت حكمدار، كنت شغال فى كماين الجـريف، بنشتغل فى الطوب، سلمونى ليهو ومعاى تلاتة من العساكر .

هل تذكر أسماءهم ؟

العساكر اللى كانو حرس تحت إمرتى هم جعفر طه، صلاح محمد، خالد طه، ما بعرف بلودهم وين، لمتنا العسكرية..

استلمتوهو وين؟

استلمناه فى سـجن كوبر، لما استلمناه وديـناهو الميزان، بعد الميـزان دخلناهو على مدير السجن، مدير السجن قال ليهو: يا محمود، إنت بكره فى الدار الآخرة..

مدير السجن ـ حينها ـ إسمو منو؟

مدير السجن كان الكمندان عبد الرحمن الصاوى..

ماذا كان رد الأستاذ محمود على عبارة إنو بكرة حيكون فى الدار الآخرة ؟

مـا قال حـاجة، أنا كنت واقف بى شـمالو، عـسكرى واقف بى يمـينو وإتنين وراهو.. وقدامو مدير السجن، قاعد فى الكرسى قدامو تربيزة.. بعدين مدير السجن سألو تانى، قال ليهو: عندك وصية لأولادك؟ رد عليهو طوالـى، وقال: " أنا أولادى موصيين طبيعى"، تانى سـألو مدير السـجن: عندك اسـتئناف أو اسـترحام؟ رد عليـهـو طوالى : "لو بستـأنف أو بستـرحم ما كان جـيت هنا".. مرقنا من مدير الـسجن، ومشـينا بى زولنا عشان ندق ليـهو القيد..

ماهو دق القيد؟

دق القيـد دا يسويهـو العسكرى بتـاع الحدادة، القـيد عـبارة عن حـجل كبيـر وجنزير، يركبـوهو فى الكرعين، وفى اليدين، لما تجى سـاعة الإعدام يفكو القـيد، ويركبو القـيد فى اليدين من الخلف..

ماذا قال الأُستاذ محمود لحظة " دق القيد"..؟

لما وصلنا للعـسكرى بتاع القـيد سأل العـسكرى: دا شنو ؟ العسكرى بتـاع القيد قال

ليهو: دى أوامر.. رد عليهو طوالى وقال : " أوامركم زى زبد البحر"

يعنى شنو؟ هل هذا اعتراض على وضع القيد فى يديه ورجليه؟

لا، مافى احتجاج، قال بصوت واضح ما فيهو خوف "أوامركم زى زبد البحر".. بعد ما دقينا ليهو القيد وديناهو للزنزانة، قعد فى الزنزانة..

قعد كيف؟

قفلنا الطبلة، الطبلة مسوكرة، والمفتاح معاى، دخل الزنزانة، خت نعلينو تحتو وقعد لحدى الصباح..

ما طلب منكم حاجة؟

لا حاشا، ولا قال ماشى الحمام..ما طلب أى حاجة، القعدة الياها..كان قاعد مستقبل القبلة، ونحن كنا قاعدين قدام الزنزانة مقابلين ليهو، الزنزانة بلاط، مترين فى متر ونص..

قال ليكم شنو؟

ما قال أى حاجة، واحد من العساكر سألو: داير الحمام ؟ نجيب ليك موية ؟ نجيب ليك أكل ؟ قال: لا..

قال: "لا" بى ياتو طريقة..؟

قال: "لا، شكراً".. (يحاكى الرقيب أول عبد اللطيف الاستاذ محمود ويقول أنه أومأ بإصبع يده اليمنى بعلامة لا..)..

قعد قعدة واحدة فى الزنزانة حتى الصباح؟

قعدة واحدة، ما اتزحزح منها، لا نام، ولا نحن نمنا، نحن كنا بنتناوب على الحراسة اتنين، اتنين..

لما جات الساعة 4 صباحاً جانا الضابط يعقوب وقال لينا : "جيبو الراجل ده ".. سقناهو، ومرقنا بيهو الى بوابة السجن القبلى، لقينا عربية،، أركبوا، أركبوا ركبنا،، مشت العربية الى الباب الشمالى للسجن وحتى وحدة العدالة الناجزة، لما طلعنا بالعربية لقينا

البوليس مالى الفجة بى درقاتو، وبى سلاحو، والأُمة طالعة فى رؤوس البيوت، بيوت القشلاق، وفوق الكُبرى، وفى الشوارع والناس مرصوصة وزاحفة لحدى سلاح النقل والمنطقة الصناعية، ما أعدموهو الساعة 4 زى ما بيعدموا المساجين العاديين، أعدموهو الساعة 10، نحن المساجين العاديين بننفذ عليهم الحكم الساعة 4 صباحاً..

كنت تحرسه فى "وحدة العدالة الناجزة " أم تغير طاقم الحراسة..؟

كنت حارسو، و مدير السجن قال شيلو الطاقية والشال منو،، لما شلنا الطاقية والشال منو قال : "ما عندكم كلام"، جاء القاضى وقرأ صحيفة "السوابق"..

هل تعرف ذلك القاضى الذى قرأ صحيفة السوابق؟

مابعرفو، كمان جابوا نفر من ناسوا، لابسين أبيض، وقفوهم فى صف واحد، و ونحن مشينا طلعناهو فى السِلِم..

لماذا لم يصعد وحده الى سلم المشنقة؟

كان مقيد بالجنازير، القيد تقيل.. المهم طلع المشنقة، بعد سحب الحبل، الجماعة كبروا.. بعد ربع ساعة جاء الطبيب، وكشف عليهو، شلناه بالنقالة، واستلموهو مننا..

استلمو منو..؟

مافى أى زول بيعرف ودوهو وين، لا عسكرى، ولا ملكى، استلموهو ناس الأمن.. الناس لو عرفت مكانو "كان بيلحسوا ترابو"..

ليه..؟

الرجل ده صميم، كلمتو واحدة، وما بيعرف التراجع..

خلال حراسته من عصر الخميس وحتى التنفيذ هل أبدى أى اعتراض على علملكم..؟

لا،، حاشا،، ما أدانا ولا كلمة، كان ساكت قاعد، ما كان بيحتج على أى حاجة، ما أبدى أى اعتراض.. يا زول دا سجين ما عادى..

ما هو الشئ الذى يميزه عن الآخرين..؟

أنا حضرت إعدام ناس كتيرين، الزول لما يقولو ليهو "إنت بكره فى الدار الآخرة " بعضاً منهم يكورك [يفزع ويجزع] ويبكى، وفيهم اللى بيقع غمران، فيهم اللى بيرجف، فيهم اللى بيتضعضع، فيهم اللى بـ " يتُر" لا ورا [يتراجع إلى الخلف]، وفيهم......، زولنا ده ثابت، شجيع، ما فيهو حبة خوف من الموت، يرد الكلمة بالكلمة.. يقول كلامو بصوت واضح، وكلام قوى..

أثناء الحراسة كنتو قاعدين قدامو، شفت تعابير وجهه ؟ تعابير وجهه بتقول شنو؟

أيوه، شفتو، شفت تعابير وشو، الموضوع ده ولا هاميهو،، وشو طبيعى جداً..الصاح يعلم بيهو الله،، لكن الزول دا لا هو كاتل ولا هو سراق، أنا ما كنت بعرفو، لامن الله جابو لى، ولاقيتو..

وأنت تقوم بواجبك فى الحراسة، هل تعتقد إنو ممكن يفكر فى الهرب..؟

أنا واجبى أحرسو، لكن الزول ده شجاع وثابت.. لكن لو ثابت أو ما ثابت نحن بنحرسو، وبس..

كيف عرفت أنه شجاع وأنت أول مرة تشوفو فى السجن..؟

ردو على مدير السجن براهو كفاية..

إنت عسكرى، وعندك قوة الملاحظة، إحساسك شنو لما لقيتو قدامك..؟

إحساسى..؟ أنا زول حارس..

الحراسة مهنة، هذا عملك، "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"، لكن إنت لما شفتو، هل حسيت إنو الزول ده بتاع شر..؟

لا، حاشا، ده زول ما عندو شر..

بأمارة شنو عرفت إنو ما عندو أى شر..؟

عرفت من وشو..

هل أداك إحساس بأنك إنت عدو بالنسبة ليهو..؟

لا، حاشا، ولا أدانى أحساس بإنو زعلان مننا، ولا حتى من مدير السجن، ولا حتى من

الناس اللى حكموا عليهو..الزول دا أنا قلبى انشرح ليهو..

إذن، لماذا لم تتحدث معه..؟

أنا حارس..

لو قدر لك أن تتحدث معه، ماذا كنت ستقول..؟

(أطرق برهة، وقال): لو اتكلمت معاهو كنت حـأسألو" السبب الجابك هنى شنو"..؟ لكن، نحن ما بندخل فى الحاجات دى.. وما بنتونس...

تفتكر جابوهو السجن ليه..؟

ما اتكلم معانا..

سمعت السبب الجابوهو بيهو شنو؟ هل سمعت إنو الجمهوريين وزعوا منشور "هذا أو الطوفان"..؟

سمعت قالوا إنو قال الصلاة رفعت منو..

قلت إنو الاستاذ محمـود قعد قعدة واحدة من العصر حتى الساعـة الرابعة صباحاً، هل أصيب بالقلق أو تململ من القعدة الطويلة دى..؟

لا، لا، حاشا..

لو قلنا ليك وصف لينا حالتو فى الساعات ديك تقول شنو..؟

ده زول عارف بـيسوى فى شـنو، أنا ما حـصل لاقيت زول زى دا، سـجين مـا عادى، المساجين العاديين المحكوم عليهم بالإعدام نحن بنعـرفهم، كل الناس تبطبط [تفقد ثباتها]، إلا دا، ثابت، ناشف عود..

لما قال لمدير السجن " أولادى موصيين" قال الكلام دا بى ياتو صيغة..؟

قال "أنا أولادى موصيين طبيعى"..

هل قالها بانفعال..؟

لا، ما كلام زول زعلان، قال كلامو بصوت عادي، صوت واضح..

هل قالها هازئاً بمدير السجن..؟

لا مستهزى، ولا ساخر، ولا خايف، ولا زعلان..

لما وقف قدام الميزان، طلع فى الميزان براهو..؟

الحكمدار بتاع الوزن قال ليهو أطلع فى الميزان، ملص نعلينو وطلع فى الميزان..

تتذكر وزنو كان كم..؟

لا أذكر.. لكن وقف زى خمسة دقايق فى الميزان..

العسكرى بتاع القيد اسمو منو.. ؟

إسمو بلال..

أنت كمواطن عادى، هل ترى أنه مظلوم..؟

قالوا قال الصلاة رفعت منو.. لكن السمعتو منو إنو كان بيرد الكلام بكلام قوى، رد بى معنى..

لكن ما اتكلم معانا، هو فى حدودو، ونحن فى حدودنا..

"أوامركم زى زبد البحر" الكلام دا فهمت منو شنو..؟

قالها ومدير السجن واقف قدام الباب.. فى راجل بيقول كده؟، ده زول كلمتو واحدة، ما لا جاى، ولا جاى..

هل أنت معجب بيهو..؟

جداً جداً، أنا معجب بى شجاعتو، معجب بى رجالتو دى..

لو لا قيت الزول الشجاع ده تانى، حَ تقول ليهو شنو..؟

(رفع يديه علامة السؤال، ابتسم وقال): ألاقيهو وين..؟

نفترض إنك لاقيتو تانى، حَ تقول ليهو شنو..؟

لو لا قيتو حَ أهنيهو على الرجالة بتاعتو دى، مافى ولد مرا وقف الموقف دا..

سألت ابنه الذى كان طالباً حينها، سألته عن تلك الحادثة، قال: فى ذلك اليوم طرق

باب بيتنا فى القشلاق بعض النسوة فى عمر جدتى، طلبن منى أن أسقيهن، جئت إليهن بجردل ماء، قلن لى أنهن من حى لطفى، من رفاعة..سألتهن: هل انتن من تلاميذ الأُستاذ محمود..؟ ردن على بصوت واحد: كيف يا ولدى..؟ والليلة نحن جينا من رفاعة عشان نحضر التنفيذ، الليلة إن شاء الله تحصل كرامة..

هل وقعت الكرامة..؟

وهل هناك كرامة أكتر من الابتسامة ؟

ابتسامة وإنت ماشى لحبل المشنقة..؟ فى كرامة أكتر من زوال نظام نميرى بعد 73 يوم من إعدام الأُستاذ..؟

عندما ودعت عم عبد اللطيف، الذى كانت كنيته بين العساكر "سعد حداد" لإدمانه حياة العسكرية،، كان "سعد حداد" حريصاً على أن يقف وقفة العسكرى ليودعنى.. ابتسم، كأن الطيف الذى يروق له قد استقر فى الواقع!.

قال بلكنة حديثه المميزة: " الليلى..ده يوم سعيد، ذكرتنى بى زولاً ليهو تاريخ، عندو بنت اسمها أسماء، رفعت قضية فى زمن حكومة الصادق، قالت أبوى دفنوهو وين؟..قول ليها أنا حافظ تاريخ أبوك"..

شهادة إدريس زكريا، أقدم شناق بالسجن الاتحادى، منفذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود[1]

نفذت حكم الإعدام ومحمود محمد طه أشجع من قابلنى

كانت وقفته حداً بين الكلمة والمعنى..

بين المطلق والمحدود

كانت وقفته حداً بين المدرك والمحسوس..

بين العلم وبين الجهل

(1) إدريس زكريا، "منفذ حكم الإعدام ضد محمود محمد طه...، أقدم شناق بالسجن الاتحادى"، **صحيفة الدار**، العدد: 2104، الأربعاء 23 أغسطس 2000.

بين الديمومة والموت

بين الهوة والقمة

بين النقمة والنعمة

كانت وقفته لا تشبه إلا واقفها..!!

وكنا أجمل من يتعلم

كنا أجمل من يتعلم!! (1)

عصام إبراهيم جمال الدين

لقد قمت بتنفيذ حكم الإعدام على النزيل محمود محمد طه... وفى يوم التنفيذ كان بالغرفة المخصصة للإعدام... صعد إلى حبل المشنقة بشجاعة ولم يبدُ عليه أى تأثر فقد كان شجاعاً بحق وحقيقة ورغم تقدم سنوات العمر بى فمازلت أذكر هذا اليوم جيداً وحقيقة محمود محمد طه أشجع من قابلنى..!

شهادة العميد معاش طيار فيصل مدنى مختار قائد الطائرة التى حملت جثمان الأستاذ محمود(2)

هذه الإفادة شهادة للتاريخ...

هذا بالضبط حقيقة وشهادة للتاريخ ما حصل لدفن الأستاذ المرحوم الباشمهندس محمود محمد طه. أؤكد للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة، إنو فى غرب أمدرمان فى هذه المنطقة التى تبعد حوالى 20 إلى 30 كيلو.

أما ملحمة الرجل الحقيقية فقد تمثلت بحق فى وقفته الجليلة، المجللة بنصاعة الحق وأنوار الفداء العظيم، أمام قضاة السوء أولاً: ... وأمام المشنقة ثانياً: فعندما أحكموا حبل الموت حول عنقه وأزاحوا غطاء الرعب عن وجهه

---

(1) عصام إبراهيم جمال الدين، "مرآة ومواقف"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، **صحيفة الأيام**، 17 يناير 1987.

(2) فيصل مدنى مختار، "شهادة فيصل مدنى مختار ، (تسجيل بصوته وبالفيديو)، أدلى فيصل بشهادته بطلب من أسماء محمود محمد طه، تم التسجيل بواسطة مركز **الأستاذ محمود محمد طه الثقافى**، أمدرمان، حصلت على نسخه من تسجيل الشهادة بالفيديو من أسماء محمود محمد طه مديرة المركز.

الوضيء وجدوا رجلاً يبتسم لا ساخراً ولا مستهزئاً بالموت بل موقناً بالفداء الكبير مطمئناً إلى "اختيار ربه" منسجماً حتى "النهاية" مع منطقة التوحيدى وهذا أقصى ما يصل إليه الصدق. وهكذا فقد مضى "إلى الخلود بطلاً ورائداً وقائداً رعيل الشهداء ورمز إيمان جديد بالفداء... وبالوطن"[1].

عبدالله بولا

بسم الله الرحمن الرحيم أنا العميد طيار معاش فيصل مدنى مختار، كنت طياراً بقيادة القوات الجوية السودانية وكنت أخيراً عضو مجلس ثورة الإنقاذ الوطنى. هذه الإفادة شهادة للتاريخ وحقيقة قبل ذلك، قبل عدة أعوام بالظبط فى سنة 92 وفى عام 95 صرحت بها فى بعض الصحف، وذلك خوفاً من أن هذه الحقيقية تضيع لأن كثيراً جداً من الناس ذهبوا شتى المناحى فى هذا الأمر، وهو ما يختص بمكان دفن الأستاذ المرحوم محمود محمد طه. حقيقة هذا الأمر الآن هذه الشهادة بطلب يعنى خاص مقدر من الأخت أسماء ابنة المرحوم، وعن طريق أخونا عثمان كولا والأخ على وأخ عزيز أيضاً هو الأمين الطيب. وحقيقة كنت أتمنى أن أتصل بهذه الأسرة منذ زمن طويل جداً ولكن شاءت الأقدار أن تكون هذه الشهادة اليوم موثقة فى هذا البرنامج.

حقيقية قبل يوم من إعدام الأستاذ المهندس محمود محمد طه، كنت فى رحلة بالطائرة وفى مأمورية تدريبية وهبطت فى مطار الخرطوم أو حقيقة فى المنطقة العسكرية من مطار الخرطوم فى وقت متأخر بعد ساعات الدوام. ووجدت فى ذلك الوقت تعليمات من القيادة بأخذ طائرة معينة هيلوكوبتر إلى منطقة سجن كوبر، وبالتحديد فى منطقة سلاح النقل، وذلك لأخذ جثمان المرحوم بعد إعدامه. حقيقة لبينا التعليمات وذهبنا بالطائرة إلى تلك المنطقة المحددة ثم جئنا صباح اليوم، صباح يوم التنفيذ. وقد كان المنظر كالآتى: فى مكاننا وهو فى منطقة سلاح النقل كنا ننظر من الناحية الشرقية حيث السجن، سجن كوبر، المكان الذى كان سيتم فيه الإعدام، ومن خلف السجن كان هنالك، زى ما معروف، كبرى القوات المسلحة وهو كبرى برى. المنظر حقيقة كان منظر عجيب حيث تقاطرت كميات

(1) عبدالله بولا، مرجع سابق.

هائلة من البشـر، وحقيـقة تكاد تكون قد غطت عـلى الكبرى وما حـولين السجن. الشيء الذى تعذر بالنسبـة لنا بالرغم من أسوار السجن العاليـة إلا أننا لم نستطع أن نرى ما يدور بداخلة. بعد تنفيذ الإعدام جاءت مجموعة من السجانة اللى هم حراس السجن على عربة مكشـوفة يحملون جـثمـان المرحوم، وكـان هذا الجثمـان على نقالة، مـثل التى يُحمـل بها الجرحى. وجـاءوا على عربة مكشوفة وبسـرعة خيـالية ادخلوا الجثمـان فى الطائرة. حيث لاحظت فى ذلك الوقت بالتحديد أن رجليّ المرحـوم، حقيقة قدماه، أن قدميـه كانتا خارج البطانية التى غطى بهـا. وأقلعنا بسرعة ثم سألت أحد هؤلاء السـجانة عن المكان الذى يتم فيه الدفن. فقـال لى: تعليماتهم أن يتم الدفن فى غرب أمدرمـان. أين فى غرب أمدرمان؟ هل فى أم بدة؟ فى المقـابر المعـروفـة مثـلاً فى البكرى فـى شرفى. قـالوا لى: لا أبداً غـرب أمدرمان. وين يعنى فى المرخـيات. قالوا غرب أمدرمان. حسب علـمنا فى غرب أمدرمان منطقة صحراوية ليس بها مقابر.

حقـيقـة فى ذلك الوقت حـصلت حدة بينى أنا وبين هؤلاء الأشـخاص، وكـان يجب أن نتخذ قراراً سريعاً إما أن نذهب إلى هذه المقـابر المعروفة وإما أن نذهب إلى حيث أشار هؤلاء السجـانة. وبما أنه لم تكن هناك مقابر، يعـنى لم يكن هناك قبر جـاهز فى أى من هذه الأماكن فاستـقر رأينا أخيراً على أساس أن إكرام الجـثة دفنها. فعلى مضض ذهبنا إلى غـرب أمدرمان حوالى بين 20 إلى 30 كـيلو لا أذكر بالضبط وأنزلـنا المجمـوعة التى جـاءت معـه وبدأوا فى الحفـر، ثم أقلعت وكان مـعى أحد الطلـبة الذين كنت أدربهم فى ذلك الوقت على الـطيران. وحوالى بعد نصف ساعة تقريباً جـئنا، والشىء العجيب أننا فى أول الأمر لم نستطع أن نحدد المكان الذى أنزلنا فيه هذه المجموعة. وذلك للتشابه.. المنطـقة كانت طبعاً رمال صفراء وكانت أيضاً مـلابس هؤلاء الحراس قـريبة من هذا اللون، ثـم أعتقـد أنه كان هنالك فى الجـو بعض الأتربة.المهم أخـيراً وجـدناهم وتأكـدنا من أنه قد تم الـدفن، فحـملناهم ومـا بقى معـهم من أجهـزتهم ومعداتهم وأنزلناهـم فى مطار الخرطوم. هذا بالضبط حـقيقـة وشهادة للتـاريخ ما حصل لدفن الأستاذ المرحوم الباشمهندس محمـود محمد طه. أؤكد للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة، إنو غـرب أمدرمـان فى هذه المنطقـة التـى تبعـد حوالـى 20 إلى 30 كيلو. وأنا على استـعداد للإجـابة عن أى سؤال من الحاضـرين [أثناء التسـجيل] فى هذا الأمر. أثنـاء جلسة

التسجيل تم توجيه بعض الأسئلة إلى العميد طيار فيصل مدنى مختار، عن الشائعات التى ترددت عن دفن الجثمان وعن عدد أفراد طاقم الطائرة، وهل حضر أى مسؤول عملية الدفن؟ وهل كفن أم لا؟ ... إلخ فأجاب العميد طيار فيصل مدنى مختار قائلاً:

حقيقة أنا سمعت كثير جداً من الإشاعات، وهذا واحد من الأسباب التى جعلتنى إنو فى ذلك الزمن، زى ما قلت فى سنة 92 وسنة 95 بالذات، حدا بى أن أصرح بهذا التصريح، وهو أننى سمعت إنو الطائرة القته فى البحر الأحمر وسمعت أنه ألقى فى وادى الحمار وأشياء أخرى كثيرة. حقيقة الناس إمكن الكانوا حاضرين فى ذلك الوقت ورأوا الاتجاه اتجاه إقلاع الطائرة يدل فعلاً على إنو إلى طريق وادى الحمار أو إلى البحر الأحمر لأنو الـ Take-off أو الإقلاع كان من ناحية الشمال أو الشمال الشرقى تقريباً حيث كانت تأتى الرياح. أنا أؤكد أن هذه إشاعات غير قابلة للتصديق ولا يمكن نحن كناس مسؤولين وكمسلمين إنو نلقى جثة فى العراء وهذا التاريخ لا يرحم ونحن ذاتو ضميرنا لا يسمح بأن هذا الأمر يحدث. أؤكد لكل المرات إنو هذا الدفن تم فى غرب أمدرمان، ودفن تماماً، وتأكدت من ذلك بعد أن نزلت فى المرة الثانية فى هذه المنطقة، وليس هنالك أى مجال لأى قصة أخرى.

عدد الطيارين الموجودين أساساً كنت أنا الطيار ومعى مساعد طيار وهو كان فى ذلك طالب تحت التمرين، ومعنا فنى جوى. هذا هو طاقم الطائرة المعروف، ويعرفه كل الذين تعاملوا مع هذا النوع من الطائرات. أما حكاية إنو موجود مصرى. أو أى.. ليه يكون فى مصرى أيه السبب يكون فى مصرى موجود مع طاقم سودانى مائة فى المائة.. أنا أؤكد وأقسم بالله وأنا متوضىء أقسم بالله إنو هذا الأمر تم بأيدى سودانية مائة فى المائة وفى المكان الذى قلته. أما السؤال الثانى فيما يختص بماذا تم بخصوص المنطقة. أنا أؤكد أيضاً بأنو الطاقم الذى قام بالدفن هم حراس فى سجن كوبر. ولو ذهبتم إلى سلطات سجن كوبر أنا متأكد أنهم سيعطونكم الأسماء بالأشخاص الذين تم تكليفهم فى ذلك الوقت للقيام بهذه العملية، وسيؤكدون قولى بأنهم قاموا بدفنه فى نفس المنطقة. أما السبب الذى جعلنا فى ذلك لا نستطيع برغم خبرتى، أنا ما شاء الله عندى خبرة كانت ممتازة جدا فى

ذلك الوقت فى الطيران، أننا لم نستطع منذ الوهلة الأولى أن نجد المكان الذى أنزلنا فيه الحراس، وطبعاً السبب واضح جداً أولاً: تم اختيار المنطقة عشوائياً، لم تكن هذه المنطقة محددة من قبل. ثانياً: نحن كطيارين دائماً نعتمد على العلامات الموجودة على الأرض مثلاً جبال، قرى، حجارة ضخمة أنهار على أساس أنك تحدد موقعك بالضبط أما هذه فكانت عبارة عن رمال وكثبان رملية. بالتالى وجود أى نوع من الأتربة فى ذلك الوقت قد يعذر مدى الرؤية وبالتالى كانت من الصعوبة فى أول وهلة نجد الجماعة محل أنزلناهم.

هذا يقودنى أيضاً لسؤال أخير قبل كده أنا سألونى عنه. سألنى عنه أحد الصحفيين فى ذك الوقت فقال لى: إذا ذهبت إلى هذا المكان هل تستطيع أن تحدد مكان الدفن. قلت له لا. لأنو كان بعد زمن هذا السؤال. لسبب بسيط جداً إنو التحديد يعنى إذهب لهذا المكان واحفروا هنا، من الصعوبة بمكان. للأسباب التى قلتها قبل شوية إنو ما فى علامات أرضية، تحديد المكان كان عشوائى، وفى عامل آخر وهو عوامل التعرية التى تحصل فى الصحراء، الزحف الصحراوى، الزحف الصحراوى لم يقف ولن يقف فى يوم من الأيام وحتى النيل الأبيض الآن بدأ فيه بعض الزحف الصحراوى. وبالتالى المكان فى ذلك الوقت لم نستطع تحديدة للأسباب هذه ولسبب آخر هو لم يكن لدينا فى القوات الجوية فى ذلك الوقت الأجهزة المتقدمة الموجودة حالياً مثل الجى بى أس والتى تحدد المكان بالضبط المكان بالطول والعرض. لهذه الأسباب من الصعوبة بمكان أقول الآن إنو تحديد المكان بالضبط، إلا إذا فى تكنولوجيا جديدة أو أقمار صناعية أو بحث مضنى قد يستمر لأيام وقد يستمر لشهور. وأنا على أستعداد أيضاً فى هذا المقام أعلن - إذا ربنا طول فى العمر - أى محاولة للبحث أنا مستعد أكون جاهز وأشارك فيها.

ثلاثة أسئلة. بخصوص السؤال الأول: حقيقة كانت التعليمات بأنو تقوم الطائرة إلى منطقة سلاح النقل لعملية دفن المرحوم بعد الإعدام. ولم يكن معها أى توضيح آخر، على اعتبار أنه هذا سيخبرونا عنه بعد عملية الإعدام. بالنسبة للسؤال الثانى فيما يختص بالمسؤولين، لم يكن هنالك أى مسؤول قد حضر الدفن، غير السجانة فى منطقة غرب أمدرمان. لكن طبعاً فى أثناء الانتظار قبل أن يأتوا بالجثمان كان هناك إمكن شخص واحد مسؤول كبير فى ذلك الوقت وهو قائد سلاح النقل، وهو العميد فى ذلك الوقت فضل

الله برمة ناصر، كان هو قائد سلاح النقل، وكان يقف معنا وكنا كالعادة نتناقش فيما سيحدث. غير ذلك لم يكن أى من المسؤولين بخلافه موجود فى ساحة الجثمان حينما أخذناه بالطائرة. أما بخصوص سؤال الأستاذة أسماء، حقيقة فعلاً يعنى امتداد لهذا الكلام ضمنياً نفس الإجابة إنو لم يكن هناك أى مسؤول ولا شيخ ولا.. يعنى نحن ما فى شىء غير إنو أخذنا الفاتحة آخر حاجة على المرحوم. لكن لم يحضر أى شخص آخر. وكان شىء عجيب يعنى كنا نعتقد على الأقل تُمثل الحكومة بشخص غير شخصنا الضعيف، نحن ما كنا ممثلين ولكن كان ممكن.

بخصوص الكفن. طبعاً أنا لم أحضر عملية الدفن عشان أقول لك بالضبط فى كفن أو ما فى كفن. ولكن من الشواهد التى رأيتها، إنو رأيت قدمى المرحوم فى ساعة رفعه على الطائرة وهم خارج البطانية وقد يدل ذلك لعدم وجود الكفن وقد لا يدل، قد كانتا مكشوفتين.

أنا أذكر تماماً إنو بعد الدفن لم تباشر سلطة عليا أو جهاز أمن أو واحد من المسؤولين جاء سألنى دفنتوه وين ما فى، لم يسألنى أحد عن مكان الدفن.

شهادة اللواء معاش محمد سعيد ابراهيم مدير سجن كوبر 1982-1985 فى مقابلة صحفية[1]

الأستاذ محمود دفن غرب أمدرمان بجنازيرو!!

نفذ حكم الإعدام فى 18 يناير 1985 فى حوش الطوارىء بسجن كوبر العمومى. وكان ذلك لطمة عنيفة للإسلام والتراث العربى والإسلامى ولقيم التسامح الدينى والثقافى فى السودان[2].

محمد على جادين

---

(1) محمد سعيد إبراهيم، "مقابلة مع اللواء معاش محمد سعيد إبراهيم"، **صحيفة اليوم التالى**، الأحد 4 مارس 2012.

(2) حمد على جادين، "الدين والسياسة فى السودان: الجمهوريون والبعثيون أمام مقصلة الردة"، **صحيفة الأحداث**، الخميس 18 يناير 2010.

الصحيفة س: محمود محمد طه وإعدامه؟

ج: محـمود محمـد طه وآخرون أتوا بهم إلى كوبر وتهـمتهم "الردة" والحكم كان فـيه استتابة وهذا أول حكم اعـدام فيه مخرج بأن الشخص إذا تراجع عما يعـتقده يتم نجاته من حكم الإعدام.

س: ماذا فعلت؟

ج: جلست معه لمدة "نصف ساعة" لكنه كان مصراً على رأيه بأن المحكمة لا تملك الحق فى الحكم عليه ورفض التراجع عن رأيه.

س: هذه آخر كلماته؟

ج: نعم هو رفض بشدة ولم يتراجع وتم التنفيذ.. تم التنفيذ بحضور عدد من الناس.

س: ماذا قال قبل التنفيذ؟

ج: أخـبرناه بالوقت المحـدد وحـاول أحد الإخـوة معـه وفـشل وتم (كمـا قلت لكم) التنفيذ.

س: جثمان الراحل محمود محمد طه ماذا فعلتم به؟

ج: لم يتم تسليمه لأهله استلمته الجهة التى أتت به وحملته إلى جهة غير معلومة.

س: هناك من يردد بأن جثمانه قد رمى بالبحر؟

س: معلوماتى تقـول غير ذلك بأن جثمـانه قد حمل فى مروحية ودفن غـرب أُمدرمان وليس هناك معلم واضح يمكن من خلاله التعرف عليه.. وأقول لكم الجنازير فى رجليه لم يرجعوها لنا..تم دفنه بجنازيرو.. أعتقد ذلك من الصعب تحديد أين وكيف دفن.

س: أنت بذلك تنفى رميه بالبحر؟

ج: بكل تأكيـد واحد الذين حضـروا ذلك أخبرنى بأن "هواء الطائرة" بعـد تحركهـا قد أخذ بعض تراب القبر.

س: مباشرة بعد إعدام ونزول الطبيب لكتابة تقرير الوفاة ماذا قال لك الذين نزلوا؟

ج: أعفينى من هذا السؤال..

فاروق أبوعيسى، الأمين العام لاتحاد المحامين العرب سابقاً، ضمن حوار مع صحيفة الأيام[1]

اغتالوا المفكر الشجاع، جهاراً، نهاراً، وهكذا اغتالوا حقوق المواطنين السودانيين وحرياتهم، وأساءوا لسمعة السودان. لذا قررت المنظمة العربية لحقوق الإنسان أن يكون يوم 18 يناير (يوم استشهاد الأستاذ محمود) يوماً لحقوق الإنسان العربي.

وجدت أن واجبي أن أندد بأقصى ما أملك من قوة بما وقع للأستاذ محمود محمد طه، وأن أدعو الناس جميعاً بأن تستنكر مسلك نميري وحكومته، في حق حريات الإنسان الأساسية وما يجب للإنسان في السودان من رعاية لرأيه، ومن رعاية لتقاليد المحاكمة وأصولها المتبعة في كل مكان، إلا حيث ينهار الحكم، وتنهار معه القيم الإنسانية[2].

فتحي رضوان

صحيفة الأيام: ما هو موقف الاتحاد من إعدام الأستاذ محمود محمد طه؟

موقف اتحاد المحامين العرب مع منظمات عربية؛ كالمنظمة العربية لحقوق الإنسان.. ونقابة المحامين المصريين، وغيرهما، كان موقفاً مبدئياً، ينطلق من تقديس حق الفرد في حرية الرأي والعقيدة، وأن ما اتهم به الأستاذ محمود كان انتهاكاً لهذا الحق، وبداية لتصفية الخصوم السياسيين، وقهر المعارضة المتنامية للنظام المباد.. وأن ما ورد في المنشور المنسوب للأستاذ والصادر عن **الحزب الجمهوري**، كان رأياً سياسياً ينتصر لضمير الشعب السوداني ويعبر عن موقفه الرافض لتشريعات سبتمبر القهرية، لأنها في شكلها وجوهرها معادية للإسلام وتعاليمه من جانبنا نظمنا حملة عالمية لكشف تلك المهزلة، على النطاقين العربي والدولي، بالتعاون مع العديد من المنظمات غير الحكومية المعنية بقضايا حقوق الإنسان .. كما قمنا بإرسال مجموعة من كبار المحامين المصريين المتفقهين في تعاليم الشريعة

(1) فاروق أبو عيسى، "الأيام تحاور فاروق أبو عيسى، الأمين العام لاتحاد المحامين العرب"، أجرى الحوار عبدالرحمن الأمين، **صحيفة الأيام**، الخرطوم، 17 ينار 1986.

(2) فتحي رضوان، "تقديم"، ضمن كتاب: رفعت سيد أحمد، **لماذا أعدمني نميرى؟ قراءة فى أوراق الشيخ محمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين بالسودان مع حيثيات الحكم باعدامه وردود الفعل عليه**، دار ألف للنشر، القاهرة، 1985، ص 10.

الإسلامية عن اتحاد المحامين العرب ، ليتعاونوا مع نقابة المحامين السودانيين فى الدفاع عن الأستاذ محمود.. إلا أن المسرحية المهزلة لم تستغرق سوى ساعات قليلة .. فإن وفدنا لم يتمكن من حضور المحاكمة، إلا أنهم قاموا بالاتصال بالعديد من المسئولين فى العهد السابق، بالتعاون مع نقابة المحامين السودانيين مطالبين بوقف الإجراءات، وإنقاذ حياة الأستاذ محمود، الذى كنا على اقتناع تام بأن تلك السلطة الدموية كانت قد قررت إعدامه سلفاً وقبل البدء فى إجراءات ما أسموه بالمحاكمة، لمسلسل تصفيات جسدية للعديد من القيادات السياسية المناهضة لذلك النظام..

ولما قوبلت جهودنا بأذن صماء، عاد وفدنا لمقر الاتحاد بالقاهرة، وعقد مؤتمراً صحفياً كبيراً، حضره كل مندوبى الصحافة العربية، والعالمية، وكشف فيه رئيس الوفد المغفور له الأستاذ محمد المسمارى المحامى، وأحد الزعماء البارزين للإخوان المسلمين ما أسماه بالجريمة النكراء ضد حقوق المواطن وحرياته باسم الإسلام، وأكدّ أن المنشور الذى حوكم الأستاذ محمود بناء عليه، ليس فيه مساس بالإسلام أو تعاليمه، بل هو انتصار لجوهر الإسلام، وأن المعادى الحقيقى لتعاليم الإسلام، هو تشريعات سبتمبر التى حوكم الأستاذ بمقتضاها، وأنه إذا ما تمَّ إعدام الأستاذ بحكم من تلك المحكمة غير المؤهلة، وبموجب تلك القوانين، فسيكون ذلك اغتيالاً، وقتلاً عمداً، من قِبل السلطة لشخص لم يفعل سوى أنه عبر عن رأيه فى تلك القوانين الشوهاءوهكذا واصلنا الحملة، لنحول دون حكم الإعدام، وإنقاذ حياة الأستاذ.. وذهبت بشخصى إلى الأمم المتحدة، وخاطبت لجنة حقوق الإنسان التابعة لها، واستصدرنا منها قراراً إيجابياً بهذا الشأن.. ولكن كما هو معروف فإن النظام المباد كان قد أصم أذنيه عن كل هذه الحملة.. ونفَّذ فى خسة، ووضاعة، ما كان مبيتاً سلفاً.. اغتالوا المفكر الشجاع، جهاراً، نهاراً، وهكذا اغتالوا حقوق المواطنين السودانيين وحرياتهم، وأساءوا لسمعة السودان.لذا قررت المنظمة العربية لحقوق الإنسان أن يكون يوم 18 يناير (يوم استشهاد الأستاذ محمود) يوماً لحقوق الإنسان العربى.. وفى هذا العام قررت اللجنة التحضيرية للاحتفال باستشهاد الأستاذ، أن تدعو بعض قيادات المنظمة العربية، ومن بينهم الأستاذ فتحى رضوان، كما سيشارك اتحاد المحامين العرب، ونقابة المحامين المصريين، والعديد من المفكرين العرب فى هذه المناسبة، من أجل تأكيد

ديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، باعتبار ذلك الضمانة الأولى لاستقرار وتقدم الشعوب العربية.

شهادة مولانا محمد الحسن محمد عثمان، قاضي سابق

شجاعة أم أسطورة: وابتسم الأستاذ محمود محمد طه في وجه الموت[1]

ورفع الغطاء الأحمر عن رأس محمود والتفت الرجل نحو فؤاد الامين وابتسم.. وتصيب الربكة المجموعة.. فؤاد يتزحزح في كرسيه وكاد يسقط.. عوض الجيد يكتب فوق قلبه (ن) عدة مرات وبسرعة.. النيل يخرج سبحته ويحتمي بها والمكاشفي يضحك في عصبية.

الفكر الحي لا يموت ومحمود مفكر إسلامي وإعدامه جريمة[2].

مصطفى عبدالقادر

ما أحوجنا في هذه الأيام أن نسترجع ذكرى رجال من قادتنا من الذين ضحوا بأرواحهم ثباتاً على المبدأ وتضحية من أجل الوطن ونحن في أيام يتوارى فيها القادة حتى عن اتخاذ موقف أو الثبات على مبدأ ما أحوجنا لاستعادة سيرة رجال في قامة محمد أحمد الريح الذي رفض الاستسلام وظل يقاتل حتى ضرب المبنى الذي كان بداخله فانهار عليه المبنى ولم ينهر الرجل..

ومثل شباب الحركة الإسلامية حسن ورفاقه في دار الهاتف الذين قاتلوا في دار الهاتف وهم جوعى فاستمروا في المقاومة رغم حصارهم وقذفهم بالدانات ولم يستسلموا إلا بعد أن نفذت ذخيرتهم ... وعبد الخالق محجوب الذي تهندم للموت وكأنه ذاهب لعرس، فاروق حمد الله الذي فتح صدره للرصاص وقال الراجل بيضربوا بي قدام ... وبابكر

---

(1) محمد الحسن محمد عثمان، "شاهد عيان لمحاكمة واعدام محمود محمد طه (1)"، من ذاكرة الشعوب، **صحيفة الفجر** اللندنية، 17 يناير 1999. لندن؛ محمد الحسن محمد عثمان، " شجاعة أم أسطورة: وابتسم الأستاذ محمود محمد طه في وجه الموت"،**من موقع**Ancient Sudan Nubia، الموقع على الإنترنت: http://www.ancientsudan.org

(2) مصطفى عبدالقادر، ضمن استطلاع: "محمود محمد طه شخصية تحت الضوء"، استطلاع: أكرم جعفر، **صحيفة البيان**، الخميس 19 أغسطس 1999.

النور الذى ظل يهتف وهو يضرب بالرصاص عاش كفاح الشعب السودانى ... ورجال الأنصار الذين قاتلوا فى شرف فى 76 ... وأولادنا السمر فى الجبهة الشرقية الذين ضحوا من أجلنا ولا نعرف حتى أسماءهم وكانوا على استعداد لمواصلة الدرب لولا خيانة قياداتهم السياسية. إنه الشعب السودانى سيستعيد يوما سيرته الأولى وسيتجاوز قادته الأقزام ويزيل كل هذا العبث الطافى..

ومحمود من القادة النادرين الذين عاشوا ما آمنوا به لم يكن فكرهم فى جانب وحياتهم فى جانب آخر ... ولو كان قادتنا من أمثال محمود لارتفع صوتهم فى أحداث ميدان المهندسين فمحمود كان منزله من الطين فى الحارة الأولى الثورة لم يكن له قصر فى الإسكندرية أو شقة فاخرة فى القاهرة تجعله يختبيء ويفقد صوته عندما تقتطع مصر جزءاً من وطنه حلايب وشلاتين أو يتوارى عن الأنظار عندما يغتال المصريون أطفالنا ويكشفون عورات نسائنا فى القاهرة... لم يشبع محمود فى الطعام فقد كان نباتياً واختلف مع الذين نادوا على التركيز على أفكار الرجل وليس إعدامه وما قيمة الفكر إذا لم يصمد صاحبه ويقبل التضحيات فى سبيله وهل كان الفكر سيلقى كل هذا الزخم ويصمد إذا انهار صاحبه وتاب فى مواجهة الموت ... وهل كان الجمهوريون من تلامذته سيرفعون صوتهم إذا انكسر معلمهم... وأين الأب فيليب غبوش الذى هدده نميرى بالإعدام فقال كما ورد على لسانه "قلت يا ود يا فيلب أحسن تلعب بوليتيكا" فلعب الأب فليب بوليتيكا وتاب على رؤوس الأشهاد فكسب حياته وضاع فكره..

ويبقى أننى لست جمهورياً ورأيت الأستاذ محمود لأول مره فى ساحة المحكمة كانت الساحة السياسية فى عام 85 مائجة بعد أحداث إضراب القضاة فى 83 وخروج نميرى من هذه المواجهة مهزوماً وإعلانه بعدها لقوانين سبتمبر فى محاوله منه لتشتيت الأنظار عن تراجعه ومن ناحية أخرى كان نميرى مرعوباً من الثورة الإيرانية التى أطاحت بالشاه رغم حماية أمريكا له فأرعب نميرى المد الإسلامى وأراد أن يلتف عليه ويتقدم هذا المد ... وأصدر الأستاذ محمود محمد طه منشور "هذا... أو الطوفان!!" وقد ذكر الأستاذ فى هذا المنشور أن قوانين سبتمبر جاءت فشوهت الإسلام فى نظر الأذكياء من شعبنا وأساءت لسمعة البلاد فهذه القوانين مخالفه للشريعة ومخالفه للدين.. وفى فقره أخرى: إن هذه القوانين قد هددت

وحدة البلاد وقسمت هذا الشعب فى الشمال والجنوب وذلك بما أثارته من حساسية دينية كانت من العوامل الأساسية التى أدت لتفاقم حرب الجنوب وطالب الأستاذ بإلغاء قوانين سبتمبر وحقن الدماء فى الجنوب واللجوء للحل السياسى والسلمى..

تم القبض على الأستاذ محمود وتقديمه لإحدى محاكم العدالة الناجزة وقاضيها المهلاوى وهو شاب صغير السن كان قاضياً بالمحاكم الشرعية وهو قريب النيل أبوقرون مستشار رئيس الجمهورية وأحد مهندسى قوانين سبتمبر وكان المهلاوى يعوزه الإلمام بقانون الإجراءات الجنائية وقانون الجنايات وهذا ما يفسر ارتباكه فى ذلك اليوم عندما مثل أمامه الأستاذ محمود الذى احضر لمجمع المحاكم بأمدرمان ومعه مجموعه مدججة بالسلاح أحاطت بالمحكمة.. كان الأستاذ يرتدى الزى الوطنى وفى الصفوف الأمامية كان المحامون الوطنيون الذين اعتدنا رؤيتهم فى مثل هذه المحاكمات السياسية متطوعين: مصطفى عبد القادر فارس هذه الحلبات (شفاه الله) وأمين مكى مدنى والشامى والمشاوى وعلى السيد وآخرين..

استمع المهلاوى ومن ربكته نسى أن يحلف المتحرى مع أنه الشاهد الوحيد وارتجل الأستاذ كلمته الخالدة التى ردد فى بدايتها رأيه فى قوانين سبتمبر كما جاء فى المنشور وأضاف: أما من حيث التطبيق فإن القضاة الذين يتولون المحاكمة تحتها غير مؤهلين فنياً وضعفوا أخلاقياً عن أن يمتنعوا عن أن يضعوا أنفسهم تحت سيطرة السلطة التنفيذية تستعملهم لإضاعة الحقوق وإذلال الشعب وتشويه الإسلام وإهانة الفكر والمفكرين وإذلال المعارضين السياسيين ولذلك فإنى غير مستعد للتعاون مع أى محكمه تنكرت لحرمة القضاء المستقل ورضيت أن تكون أداة من أدوات إذلال الشعب وإهانة الفكر الحر والتمثيل بالمعارضين السياسيين (وما أشبه الليلة بالبارحة يا أستاذ.. وشكر الأستاذ المحامين الوطنيين للتطوع عن الدفاع عن الجمهوريين وأضاف أن الجمهوريين سيتولون مباشرة قضاياهم بأنفسهم..

وأصدر المهلاوى حكما بإعدام الأستاذ محمود..

فحين يسود الرعب والوهن

ويبطىء الشهود والقضاء والزمن

ينفلت القاتل والمقتول يدفع الثمن

أيدت محكمة استئناف العدالة الناجزة الحكم وأيده نميري الذى قال إنه بحث فى كل كتب الفقه فلم يجد للأستاذ مخرجاً وهذا لا يعقل فكيف رجع نميرى فى أيام معدودة لكل كتب الفقه ونميرى لا تمكنه مؤهلاته العقلية من قراءة كتاب المطالعة الأولية بدون أن يخطىء عشرات الأخطاء.

جاء يوم 1985/1/18 يوم التنفيذ تقاطر المئات نحو بحرى واغلبهم كان يعتقد أن الإعدام لن يتم لأسباب شتى وبعضهم بين مصدق ومكذب لكل هذه المهزلة أن يعدم بشر لإصداره منشوراً.. أوقفت العربات للقادمين من الغرب عند خط السكة حديد وساروا على الأقدام متجهين نحو سجن كوبر.... دخلت ساحة الإعدام بسجن كوبر وهى ساحة واسعة فى مساحة ملعب كرة قدم ووجدت مجموعة من الناس جلست على الأرض فى الجانب الشرقى وفى الجانب الشرقى كانت منصة الإعدام تنتصب عالية فى الجانب الجنوبى منها صفت كراسى تحت المنصة مباشرة فى الصف الأول مولانا فؤاد الأمين رئيس القضاء والمكاشفى طه الكباشى رئيس محكمة استئناف ما أطلق عليه المحاكم الناجزة وبجواره الأستاذ عوض الجيد مستشار رئيس الجمهورية ومولانا النيل أبو قرون مستشار رئيس الجمهورية وبجوارهم مولانا محمد الحافظ قاضى جنايات بحرى ومولانا عادل عبد المحمود وجلست فى الصف الأول وكنت أقرب إلى المنصة وفى الصفوف الخلفية ضباط شرطة وسجون..

وعلى الحائط الغربى وعلى مسافة من المنصة اصطف الجمهوريون المحكوم عليهم بالإعدام كانوا يلبسون ملابس السجن ذقونهم غير حليقة يبدو عليهم التشتت وكانوا مقيدين ... رجال الأمن منتشرين والشرطة بأسلحتها منتشرة فى المكان ... كان هناك رجل طويل القامة بصوره ملفته أسمر اللون يحمل شنطة فى يده يقف خلف المنصة مباشرة ونفس هذا الرجل رأيته فى المحاكمة... المكاشفى كان يتحرك متوتراً ويبتسم حتى والسن الذهبية تلمع فى فمه..

أحضر الأستاذ محمود محمد طه يرتدى زى السجن مقيد الرجلين مغطى الوجه بغطاء أحمر ... اقتيد حتى سلم المنصة حاول السجانان المسكان به مساعدته فى الصعود إلى المنصة ولكنه لم يعتمد عليهم تقدمهم وبدأ يتحسس السلالم بقدمه ويطلع درجة بعد درجة..

انتصب الأستاذ محمود واقفا فوق المنصة وهو مغطى بالغطاء الأحمر ... تلا مدير السجن من ميكرفون مضمون الحكم وتلا أمر التنفيذ ... .الأستاذ محمود ذو الـ 76 سنة واقف منتصب .. حبل المشنقة يتدلى بجواره ... قرىء عليه أمر تنفيذ الإعدام عليه ويمسك المكاشفى بالميكرفون ليسمع الأستاذ آخر كلمات فى هذه الدنيا فيسب الأستاذ محمود ويشير إليه فى كلمته بهذا المرتد الذى يقف أمامكم .. وتستمر الكلمة زمن والمكاشفى يزبد ويرغى.. يطلب السجان من الأستاذ محمود أن يستدير يميناً..

ويستدير الأستاذ ويواجهنا تماماً، يتم كشف الغطاء عن وجه الأستاذ.. يبتسم الأستاذ وهو يواجه القضاة الذين حكموا بإعدامه ابتسامه صافية وعريضة وغير مصنوعة.. وجهه يشع طمأنينة لم أرها فى وجه من قبل ... قسماته مسترخية وكأنه نائم ... كان يشوبه هدوء غريب ... غريب.. ليس فيه ذرة اضطراب وكأن الذى سوف يعدم بعد ثوانٍ ليس هو ... والتفت إلى الجالسين جوارى لأرى الاضطراب يسودهم جميعاً..

فؤاد يتزحزح فى كرسيه وكاد يقع..عوض الجيد يكتب حرف (نون) على قلبه عدة مرات .. والنيل يحتمى بمسبحته فى ربكة (النيل تعرض لاتهام بالردة فى عهد الإنقاذ وتاب) كان الخوف والرعب قد لفهم جميعاً والأستاذ مقيد لا حول له ولا قوة ... ولكنه الظلم جعلهم يرتجفون وجعل المظلوم الذى سيعدم بعد لحظات يبتسم !!التف الحبل حول عنق الأستاذ محمود كان مازال واقفاً شامخاً (قيل أن الشيخ الترابى حضر مرة قطع يد سارق فأغمى عليه) وسحب المربع الخشبى الذى يقف عليه الأستاذ وتدلى جسده (وكذب من قال أنه استدبر القبلة) هتف الرجل طويل القامة الواقف خلف المنصة .. سقط هبل .. سقط هبل ردد معه بعض الغوغاء الهتاف .ويحضرنى صلاح عبد الصبور فى مأساة الحلاج..

صفونا.. صفاً .. صفاً

الأجهر صوتاً الأول والأطول

وضعوه فى الصف الأول

ذو الصوت الخافت والمتوانى

وضعوه فى الصف الثانى

أعطوا كلاً منا ديناراً من ذهب قانى

براقاً لم تمسسه كف

قالوا صيحوا زنديق كافر

صحنا زنديق كافر

قالوا صيحوا : فليقتل إنا نحمل دمه فى رقبتنا

صحنا:فليقتل إنا نحمل دمه فى رقبتنا

كان هناك من هتف من بين الجمهور "شبه لكم .. شبه لكم" تم القبض عليه وتم ضربه أمام رئيس القضاء أوقفهم مولانا محمد الحافظ (عرفت من الأستاذ بشير بكار الدبلوماسى السابق إنه هو الذى هتف) خرج الحضور من القضاة عن طريق سجن كوبر ... .وعندما مروا بزنزانات المعتقلين السياسيين كان هتافهم يشق عنان السماء.

محمود شهيد لعهد جديد..

لن ترتاح يا سفاح..

مليون شهيد لعهد جديد..

لم يغطِ على هذا الهتاف حتى أزيز الطائرة التى يقودها فيصل مدنى وحملت جثمان الشهيد لترمى به فى وادى الحمار (وهذا حسب ما تسرب لاحقاً) وكان محمود شهيداً لعهد جديد..

وسقطت مايو بعد 76 يوماً من إعدام الأستاذ..

هادئاً كان أوان الموت

وعادياً تماماً

وتماما كالذى يمشى

بخطو مطمئن كى يناما

وكشمس عبرتها لحظة كف غمامة

لوح بابتسامة

قال مع السلامة

ثم ارتمى وتسامى

وتسامى

وتسامى

شهادة بكرى الصايغ[1]

فى الذكرى الـ 27: وكنت حاضراً إعدام الشيخ محمود محمد طه[2]

انتهت (حفلة) بدرية وأبوقرون وعوض الجيد،وهرعوا (الوزراء وباقى كبار المسئولين) يتسابقون نحو عرباتهم بالخارج وهم فى أشد حالات الخجل، ومارفع أحدهم رأسه من الأرض أين الجثمان؟!!...

أنا لا ألوم نميرى كشخص وإن كنت ألومه على أنه مازال يباهى بما اتخذ من قرار.. لكنى ألوم الفقهاء والقضاة الذين أصدروا هذا الحكم وأنا ما عندى أدنى شك فى أنه أى واحد فيهم لا يرقى إلى أخمص قدم محمود فى العلم ناهيك عن الخلق[3].

منصور خالد

مقدمة: يوم الأربعاء القادم (بعد غد)- 18 يناير 2012، تمر الذكرى السابعة والعشرون على إعدام الشيخ الراحل محمود محمد طه عام 1985 بسجن (كوبر). واحياءً لذكراه الطيبة اكتب عن آخر ستة أيام وقبيل إعدامه وما جرت فيها من أحداث، ولن أكتب عن

---

(1) بكرى الصائغ كان أوانها مديراً تنفيذياً لمكتب وزير الثقافة والاعلام والذى كان يشغله آنذاك الأستاذ على محمد شمو. المصدر: عيسى إبراهيم، مقابلة عبر الإسكايب عيسى بالخرطوم والمؤلف فى الدوحة، 4 مايو 2013، الساعة 9:16 صباحاً.

(2) بكرى الصايغ، " فى الذكرى الـ 27: وكنت حاضراً إعدام الشيخ محمود محمد طه"، **من موقع صحيفة الراكوبة**، استرجاع (Retrieved) 17 يناير 2012، الموقع على الإنترنت: http://www.alrakoba.net/articles (بكرى الصائغ كان أوانها مديراً تنفيذياً لمكتب وزير الثقافة والإعلام والذى كان يشغله آنذاك الأستاذ على محمد شمو - عيسى إبراهيم)..

(3) منصور خالد، ضمن سلسلة "بين زمنين"، كان هناك برنامج من خمس حلقات تناول فترة حكم الرئيس السودانى الأسبق جعفر محمد نميرى، إعداد وتقديم أحمد المهنا، **قناة أبو ظبى**، أبو ظبى، يوليو 2008.

أفكار ومعتقدات الراحل، فهذه المقالة مخصصة فقط لسرد أحداث تاريخية ووقائع وقعت خلال الفترة من يوم 13 يناير- وحتى يوم الجمعة 18 منه، واكتبها بعيون شاهد عصر.

مدخل (1):

الأحد 13 يناير 1985:

وقع الرئيس جعفر النميرى على قرار حكم محكمة (العدالة الناجزة) والقاضى بالإعدام شنقاً على المرتد (هكذا وردت الكلمة فى قرار المحكمة) والتى حاكمت الشيخ محمود، وكانت المحكمة برئاسة المكاشفى طه الكباشى الذى رفع قرار المحكمة للقصر.

كانت أعصاب الرئيس النميرى فى غاية التوتر بسبب المكالمات التى تلقاها من عدة رؤساء دول وشخصيات دولية كبيرة تناشده بالإبقاء على حياة شيخ وصل عمره للسبعين عاماً، ومن بين تلك الشخصيات الرئيس المصرى حسنى مبارك الذى أكد للنميرى أن رؤساء دول أوروبية ومنظمات مصرية قد طلبت منه (مبارك) أن يتصل بالرئيس السودانى لكى يعفو عن شيخٍ اصلاً هو ما حمل السلاح ضد النظام السودانى، ولاعادى الوضع أو عمل على تقويضه،كانت أعصاب الرئيس النميرى فى غاية التوتر بسبب الهجوم الضارى عليه من قبل الصحف العربية بصورة خاصة والأجنبية بصورة عامة، والتى كالت الاتهامات عليه بسبب سكوته على مهزلة محاكمة الشيخ محمود، وكانت صحف الكويت بصورة خاصة هى الأكثر هجوماً على النميرى ونظامه، بل وشككت احدى الصحف الكويتية بأن النميرى يعانى من مرض فى عقله!!.

بعد صدور قرار المحكمة بالإعدام وقبيل تنفيذ الحكم، استقبل الرئيس النميرى فى قصره بعض سفراء دول عربية وأجنبية جاءوا كلهم يتوسطون فى إلغاء حكم الإعدام فى شيخ كل تهمته أنه قد اعتنق فكراً وجاهر به، هذه المقابلات مع السفراء والدبلوماسيين الأجانب سببت لنميرى احباطاً كبيراً، لأنه ما كان يتوقع أن تصل الأمور الى هذا الحد من التدخلات والوساطات الدولية، كان النميرى يظن أن إعدام الشيخ سيكون كإعدام الشيوعيين عام 1971 ويمر مرور الكرام!!.

شن الرئيس معمر القذافى- وقتها- هجوماً ضارياً على النميرى واتهمه بعدة تهم منها

أن النميـرى قد فقـد السيطرة على حكم بلاده، وسلم المقـاليد لمهووسـين دينيين (هبل) لا يعرفون الله ولارسوله. ولم يكن هجوم القذافى على النميرى حباً فى الشيخ محمود، وإنما كراهية فيه، لان النميرى كان وقتها صديقـاً حميماً للرئيس حسنى مبارك المكروه من غالبية الملوك والرؤساء العـرب، ولم يقم بإلغاء اتفـاقية (كـامب دافيد) وأصـر على بقائهـا. كان القـذافى يكره ويمقت النمـيرى لأنه انحـاز للجانب المصـرى ورفض الوحدة الفـورية مع ليبـيا،كانت ا أعصـاب الرئيس النميرى فى غاية التوتر بسبب الجو العـام الملىء بالغضب على حكمه الإسلامى الجديد، وأيضاً بسب السخط الشعبى على محاكم (العدالة الناجزة) وأحكامهـا البالغة القـسوة، وكانت تصله يومـياً عشرات التـقارير من جهـاز أمنه وأمانات الاتحاد الاشتراكى بالخرطوم والاقاليم عن عدم رضاء الناس لقرار محكمة المكاشفى.

مـدخـــل (2)

الاثنين 14 **يناير** 1985:

وحتى يتفـادى النميرى ما قد سيقع لاحـقاً بعد إعدام الشيخ محـمود، ومن ردود الفعل العالمية، والسخط الشعبى عليه، قال إن قـرار الاعدام لن ينفذ فيه ومريديه الآخرين إن أعلنوا صراحة وجهراً بانهم قد تخلو عن افكارهم المتطرفة..وأنهم قد أخطأوا فى حق دينهم.

الثلاثاء 15 **يناير** 1985:

وما أن جاء تصريح النمـيرى بإسقاط العقوبة عن الشيـخ محمود إن تخلى عن أفكاره، حـتى انهـالت الزيارات كـالمطر الغـزير على الشـيخ مـحـمـود فى زنزانتـه بـ (كـوبر) من شـخصـيات لهـا وزنها السـيـاسى والدينى بالخرطوم، وأيضـاً من شـخصـيات تعـمل فى مجـالات التدريس بالجامعـات وكتاب وصـحفيين، وراحـوا كلهم يستعطفـون الشيخ أن يعلن عن توبته والتخلى عن أفكاره للحفاظ على حـياته، وراح البعض يؤكدون للشيخ أن الإعلان عن التخلى لا يعنى نبذ المبدأ الذى سيظـل كامناً بالقلوب،وماكان الشيخ يجادلهم كثيـراً، مكتفيـاً فقط بالابتسامـة فى وجوه الضيوف والزوار،وفـشلت كل المحاولات لإثناء الشيخ عن تخليه عن أفكاره معتقداته.

الثلاثاء 15 **يناير** 1985:

قامت الأمانة العامة بمجلس الوزراء بتوزيع منشور رئاسى صادر منها معنون لكل الوزراء، ووزراء الدولة، والوكلاء، وكبار المسئولين بأجهزة الخدمة المدنية، ومحافظ بنك السودان، والمراجع العام، ومحافظ مديرية الخرطوم، وايضاً لوزير الدفاع وكبار القادة العسكريين، ورؤساء الامانات بالاتحادالاشتراكى بالخرطوم للحضور بساحة سجن (كوبر) صباح يوم الجمعة 18 يناير 1985، الساعة التاسعة صباحاً بخصوص تنفيذ حكم الإعدام على المرتد-(هكذا وردت الكلمة فى المنشور) محمود محمد طه. وشدد المنشور على عدم التخلف عن الحضور مهما كانت الأسباب والدوافع،ويقال إن (بدرية سليمان، وعوض الجيد، أبوقرون) هم الذين أصروا على أن يكون تنفيذ حكم الإعدام علنيا وبساحة السجن، وبحضور قادة الاجهزة المدنية والعسكرية، وألا يكون تنفيذاً متستراً محجوباً عن العيون، كإعدام عبدالخالق محجوب، والشفيع أحمد الشيخ، وجوزيف قرنق عام 1971.... وحتى يكون عظة وعبرة للآخرين!!.

الأربعاء 16 **يناير** 1985:

اشتدت الزيارات للشيخ محمود فى زنزانته حدة عن ذى قبل، وزاره بعض من السفراء والقناصل العرب، وأيضاً بعض من الصحفيين التابعين لوكالات أجنبية وصحف عالمية، بعضهم يحثه ويسترجيه ان (يعقل..ويهدا بالله)، وصحفيون يتسابقون للسبق الصحفى على حساب إعدامه.

ما أشارت الإذاعة بأمدرمان ومعها التلفزيون بكلمة حول ما يجرى من سخط وغضب شعبى على مكتب أبوقرون بالقصر، وعلى المكاشفى وبدرية والجيد، ويعود سبب السخط الى ان مكتب (الثلاثة الكبار) بالقصر، قد ألغى تماماً دور وزارة العدل والقضائية والمحاكم الجنائية والمدنية، وفى ظل حكم بدرية وأبوقرون والجيد ما عادت القوانين الوضعية معمولاً بها، بل والأسوأ من كل هذا أن جحافل العاملين بوزارة العدل من قضاة وحقوقيين وموظفين وعمال، غدوا كلهم وبلا استثناء...عطالة مقنعة!!.

سكتت الصحف المحلية تماماً عن التعليق والكتابة حول موضوع حكم الإعدام، ومن ذا

من الصحفـيين كان يستطيع أن "يجـر" سطراً عن إبداء رأيه فيما يجـرى حوله من قصص (احكام قراقوش) السودانيين؟.. فتهمة مخالفته للشريعة وللنظام الاسلامى ممكن أن تلبس هذا الصحفى ويعاقب عقاباً أكبر من الجرم!!!.

الخـميس 17 **يناير** 1985:

بدأت قوات الشـرطة بالخرطوم وبحـرى تحتل مواقـعها الهـامة المؤدية لسـجن (كوبر)، وكان ظاهراً للعيـان حجم الكثافة الأمنية المضـروبة على مداخل كبرى بحرى من الجـهتين (شمـالاًوجنوباً)...وكانت عـربات (الماجروس) التـابعة للقـوات المسلحة والمليئـة بالجنود المدججين بالرشاشات ظاهرة للعيان وعلى بعد من بوابة السجن،كل الناس تمنوا من صميم قلوبهم أن يعلن الشيخ محمود وقبيل إعدامـه غداً الجمعة التخلى عن أفكاره، وماكان يهم الناس وقتها كثيراً أى أفكار يحملها الشيخ بقدر ما (الحياة حلوة ونعمة من الله)، إنه حرام أن يضيع الشيخ عمره!!

وجاء بنشـرة اخبار التـاسعـة بتلفزيون أمدرمـان- وباختصـار شديد-، أن تنفـيذ حكم إعدام فى المرتد محمود سيتم غداًصباحاً بسجن (كوبر).

الجمعة 18 **يناير** 1985:

وقـبيل تنفـيذ حـكم الإعدام بنحـو ساعـتـين، كانت السـاحة بـسجن (كـوبر) مكتظة بالحضور، أغلبهم كـانوا من الإسلاميين (جماعة أنصـار السنة، الإخوان المسلمين، طلاب إسلامـيين)، بل وحتى دراويـش (حمد النيل) جـاؤوا بأباريقهم وسبح الـلالبوب واللبس الأخضـر. كبار الزوار من أهل السلطة وأصـحاب المناصب الدسـتورية، احتلوا مقـاعدهم الأماميـة وعلى وجوههم الكسوف وشحوب لون سـحناتهم، وفارقت البسمـات شفاههم اليابسة، وكانوا يتـبادلون التحايا فى خجل شديد، فقد تورطوا أن يكونوا شـهود عيان على جريمة قتل فى روح لم تقترف أى جرم، أكثر الـناس سعادة كانوا هم الإسلاميون التابعون للترابى أو جمـاعة (أنصار السنة المحمدية)، فهـم عندهم هذا اليوم عظيم وسيحققـون فيه انتـصاراً كـبيراً، كـانوا يقـولون (لو تخلى محـمود عن أفكاره فـهى انتصـار لزوار سـاحة السجن، فلم يكن يسمـح لأحد بالدخول ومعه آلة تصـوير، أو أى نوع من اللافتات، ويتم

التفـتيش الشخـصى بشكل صارم. رجال الأمن انتـشروا وسط الصفـوف يراقبون الجـميع بعيـون كالصقر،كـانت منصة الإعدام تتوسط الساحة وحولـها بعض من ضباط مـصلحة السجون وعدد من رجال شرطة السجن، وكانوا (الضبـاط الكبار) يتحركون بعصبية وقلق ظاهر لم يخفَ على أحد، وما أن جيء بالسجين محمود وهو مكبل اليدين حتى عم المكان صمت رهيب لاتسمع فيه إلا انفاس الحاضرين، وصعدوا به الى المنصة العالية، وراح مدير السجن والمشرف على عملية الإعدام يتوسل للشيخ وقبل تنفيذ الحكم أن يعلن عن تخليه عن أفكاره، ولكن الشـيخ مانطق بحـرف، وكان يجـول ببصره فى الجـميع وعلى شـفتـيه ابتسامة كبيرة واضحة، وبدأت مـراسم تنفيذ الحكم، وتم سؤاله ان كانت عنده أمنية أخيرة، وقال شـيئـاً لمدير السجن ولا نعرف حـتى الآن ماهى (قـد يكون هناك من عرف مـاذا قال الشيخ)،...لف الحبل حول عنقه، وانفتحت (الكوة) من تحت رجليه، وتدلى جسمه الطاهر إلى أسفل. راح مـدير السجن ينظر فى سـاعتـه لدقائق عدة ثم امـر بإنزال الجثـمان وسـط صيحات الـله أكبر وابتهاج الاسلامـيين بالحدث، تم الكشف طبياً على الجثـمان، وعلى ما أظن أن الذى قام بعملية الكشف هو الطبيب المعروف زكى مصطفى الذى كان يقوم بتنفيذ أحكام القطع والقطع من خلاف، انتـهت (حفلة) بدرية وأبوقرون وعوض الجـيد،وهرعوا (الوزراء وباقى كـبار المسـئولين) يتسابقون نـحو عرباتهـم بالخارج وهم فى أشـد حالات الخجل، وما رفع أحدهم رأسه من الارض..

أيــن الجثمــان؟!!...

سؤال ظل يردده الناس طوال اليوم. والغريب فى الأمر، إن الإجابة على هذا السؤال لم يعرفه الناس إلا بعد انتفاضة 6 ابريل 1985، فقد جاءت الأخبار لتقول، ان الرئيس النميرى قد امر بعدم دفن جـثمان الشيخ بأى مكان حتى لا يكون قبـره مزاراً لمريديه، وأنه قد أصدر توجيهـاته بإلقاء جثمـان الشيخ فى منتصف البحـر الاحمر، وأن القوات الجـوية قد قامت بهذه المهمة، وأن عبدالرحيم حسين وزير الدفاع الحالى هو من قام بالمهمة!!.

وفى نشره أخبار التاسـعة مساءً بالتلفزيون المحلى، وباقتضاب شـديد تم بث خبر تنفيذ حكم الإعدام فى الشيخ المرتد محمود محمد طه!!.

أين كان الرئيس النميرى وقت تنفيذ حكم الإعدام؟

كـان الرئيس النميـرى يتفـقد أسـواق أمـدرمان!!، ويعـاين أحوالهـا وهى مغلقـة والاسواق خـالية من الناس بـسبب عطلة يوم الجـمعـة!!، بل والاغرب والعجـيب فى الأمر، ان نشرة الأخـبار فى الساعة التاسـعة تناولت زيارة النميرى للأسـواق بأمدرمان بصورة أوسع من خبر الإعدام!!.

شهادة جـوديـث ميلـر، مراسلة صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية(1)

ولن أنسى ما حييـت، التعبير المرتسم على وجهه. كـانت عيونه متحدية، وفـمه صارماً، ولم تبدُ عليه مطلقا، أية علامة من علامات الخوف...

من وحى الموقف، أحسـست، أنا أيضاً، أن طه لم يقتل بـسبب يتعلق بنقص فى قناعـته الدينية، وإنما بسبب من نقصهم هم.

وما تزال ابتسامة الأستاذ محمود مـحمد طه مشرقة فى جنبات روحى بإخضرارها المورق، وكل ما حـاصرتنى الأوجـاع والكوابيس تضى لى عثـار الخطى.. ومايزال الشهيد الأستاذ محمود طه يتـجلى بهياً مثل عنقاء تنفض موتها كل يوم.. ومايزال الشهيد الأستاذ محمود محمد طه أرقاً مالحاً لكل المهووسين (2).

عفيف إسماعيل

---

(1) Judith Miller, *God Has Ninety-Nine Names: Reporting From A Militant Middle East*, Simon & Schuster, New York,1996, pp 11-12

شهدت جوديث مـيلر تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ مـحمود فى كوبر، وأودعت شهادتها فـى كتابها الذى صدر باللـغة الإنجليزية، ويمـكن ترجمة عنوان الـكتاب بـ: **لله 99 اسمـاً**، ص 11-12. أورد بعض الباحـثين والمتداخلين شـهادة جوديث ميلر فى بعض المواقع على شـبكة الإنترنت، فى أوقات مـختلفة بنصوص بعـضها مختصر، منهم على سـبيل المثال: مهدى محمد خير، "الشـمن الذى قبضه هتيفة اغتيال.. الأسـتاذ محمود"، من **مـوقـع سـودانيـز أونلاين**، اسـتـرجـاع (Retrieved) بتـاريخ 26 يناير 2006، الموقع على الإنـتـرنت: www.sudaneseonline.com وقد استفدت مما ورد فى هذا الخيط. واستـفدت كذلك من ترجمة مدنى بها عبدالله عثمان.

(2) عفيف إسماعـيل، "مُسامرة من وراء المحيط..محمود.. أرق المهووسين"، المحـور: الشهداء والمضحين من أجل التـحـرر والاشـتـراكـيـة، **الحـوار المتـمـدن**، العـدد 3614، بتـاريخ 2012/1/21، الموقع على الإترنت: http://www.ahewar.or

كان صباحا مثالياً. بعد سويعات، تصبح الخرطوم خانقة. ولكن عند السادسة من صباح 18 يناير من عام 1985 كان الهواء صافياً. وكانت السماء قد لبست بالفعل زرقة حمام السباحة.

فى غرفتى بفندق الهيلتون، كان الصوت الوحيد، هو صوت مكيف الهواء، ذى العشرين سنة، وهو يضخ هواء محتمل السخونة. شربت قهوتى، وقرأت جريدة الصباح، محاولة ألا أفكر فيما سيحدث. لقد رأيت وقمت بأشياء كثيرة، بوصفى رئيسة مكتب صحيفة نيويورك "تايمز" بالقاهرة. كما شهدت أحداثاً مروعة عديدة منذ رحلتى الأولى إلى الإقليم فى عام 1971، وأنا لم أزل طالبة حديثة السن. غير أنى، لم أغطِ حادثة تنفيذ حكم بالإعدام.

بعد ساعة خرجت فى طريقى إلى سجن كوبر. ساحة سجن كوبر مستطيلة الشكل، وبحجم ميدان لكرة القدم. عندما وصلت برفقة جمال محى الدين، مدير مكتب مجلة "تايمز" بمصر، كانت ثلاثة أرباع تلك الساحة ممتلئة بالناس. كنت ألبس جلبابا أبيض فضفاضا، وغطاء للرأس، لئلا يكتشف حراس السجن أننى شخص أجنبى. لوح لنا الشرطى بيده إيذانا لنا بدخول موقف السيارات. فعل ذلك، من غير أن يلقى حتى بنظرة ثانية نحوى فى المقعد الخلفى. علماً بأن المقعد الخلفى هو المكان الطبيعى، لوجود امرأة فى سيارة، فى الشرق الأوسط. خفضت رأسى بينما سرنا أنا وجمال ببطء، وسط الحشد، نحو قلب ساحة السجن، لنجد مكاناً للجلوس على الأرض الرملية.

كانت المشنقة فى الجانب البعيد من الساحة. مرتفعة نوعاً ما، غير أنها أقل فى الارتفاع من حوائط السجن المبنية من الحجر الرملى. كان المشهد فى كوبر مرحاً. لا شىء هناك يشبه الصور المتجهمة التى رأيتها للسجون الأمريكية حيث يحتشد أصدقاء وأقارب المحكوم عليهم بالإعدام، خارج الأسوار، وسط المتظاهرين المعترضين الذين يحملون الشموع فى الليل.

يبدو أننى كنت المرأة الوحيدة فى الساحة. وبدا أن كثيراً من الحاضرين، الذين يقدرون ببضع مئات، يعرفون بعضهم البعض. ظلوا يحيون بعضهم البعض، بتحية الإسلام التقليدية " السلام عليكم" ويجىء الرد مرات ومرات "وعليكم السلام". الرجال ذوو البشرات الداكنة، فى عمائمهم التى يبلغ ارتفاعها القدم، وجلابيبهم البيضاء الفضفاضة، يتضاحكون ويتجاذبون أطراف الحديث، حول حالة الطقس، بشائر محصول تلك السنة،

والحرب التى لا تنتهى فى جنوب السودان. ورويداً رويداً، جلس كل واحد على الرمل، تحت وهج الشمس، التى بدأت حرارتها تزداد قسوة مع كل دقيقة تمر. كان الموعد المعلن لتنفيذ الحكم هو الساعة العاشرة.

قبل الزمن المحدد بقليل، قيد محمود محمد طه إلى الساحة. الرجل المحكوم عليه والذى كانت يداه مربوطتان خلف ظهره، بدا لى أقل حجماً مما كنت أتوقع. ومن المكان الذى كنت أجلس فيه، وبينما كان الحراس يسرعون به إلى الساحة، بدا لى أصغر من عمره البالغ ستة وسبعين عاماً. سار مرفوع الرأس، وألقى نظرة سريعة على الحشد. عندما رآه الحاضرون، انتصب كثيرون منهم واقفين على أقدامهم، وطفقوا يومئون ويلوحون بقبضات أيديهم نحوه. ولوح قليلون منهم بالمصاحف فى الهواء.

تمكنت فقط من التقاط لمحة خاطفة من وجه طه، قبل أن يضع الحارس الذى قام بالتنفيذ، كيساً ملوناً على رأسه وجسده. ولن أنسى ما حييت، التعبير المرتسم على وجهه. كانت عيونه متحدية، وفمه صارماً، ولم تبدُ عليه مطلقاً، أية علامة من علامات الخوف. بدأ الحشد فى الهتاف، بينما كان مجندان سودانيان يلبسان زياً رملى اللون، يضعان عقدة الحبل على المكان المفترض أن تكون فيه رقبة محمود طه. ورغم أن ضجيج الحشد قد ابتلع أصوات الجنديين، إلا أنه بدا وكأنهما كانا يصيحان ضده. فجأة تراجع الحراس للوراء، ثم سُحبت أرضية المنصة. فاشتد الحبل، واهتز الغطاء الموضوع على جسد طه فى الهواء. اشتعل الهدير فى الساحة "الله أكبر". وتكثف الهتاف عندما بدأ الحشد فى تكرار الهتاف بشكل جماعى، "الإسلام هو الحل". الرجال الذين امتلأوا حماسة، عانقوا وقبّلوا بعضهم البعض. أحد الرجال الذين كانوا بجانبى صرخ، "أخذت العدالة مجراها"، ثم جثا على ركبتيه، ووضع جبهته على الرمل وتمتم بصلاة إسلامية. الحالة الاحتفالية التى جرت من حولى، صعقتنى، وأصابتنى بالغثيان. جذبت جمال من كم قميصه، محاولة أن أشعره بأنه يتعين علينا مغادرة المكان، فقد كنت بالفعل، عاجزة عن النطق. فى حالة التوتر العصبى التى اعترتنى لابد أننى قد قمت لا شعورياً بسحب الغطاء الذى كان يغطى رأسى، فانحرف عن موضعه. استشعر جمال الخطر، وجذب الغطاء على ناصيتىْ شعرى اللتين انكشفتا، ودفعنى بحزم صوب المخرج. وبينما كنا نشق طريقنا صوب البوابة الحديدية الثقيلة، بدأت الرمال فى الثوران

والارتفاع فى شكل سحابة برتقالية نتيجة لجرجرة الحشد لأقدامهم على الأرض الترابية. عند وصولى للمدخل، لويت عنقى لألقى نظرة أخيرة على المشنقة. كان الكيس، وجسد طه لا يزالان متدليان على الحبل. فتساءلت فى نفسى، متى سينزلونه؟.

لدى كثير من السودانيين الذين هللوا لإعدامه فى ذلك اليوم، فإن طه قد اقترف أسوأ جريمة يمكن أن ترتكب. لقد أدين بتهمة الردة عن الإسلام. وهى تهمة نفاها طه، الذى أصر حتى النهاية، أنه ليس مهرطقاً، أو مرتداً عن الإسلام، وإنما مصلح دينى، ومؤمن وقف فى وجه التطبيق الوحشى للشريعة الإسلامية، "قانون المسلمين المقدس" والطريقة التى فهمها ونفذها بها الرئيس جعفر نميرى. من وحى الموقف، أحسست، أنا أيضاً، أن طه لم يقتل بسبب يتعلق بنقص فى قناعته الدينية، وإنما بسبب من نقصهم هم.

شهادة عميد أمن "م" محمد عبد العزيز والعقيد أمن "م" هاشم عثمان أبو رنات ضمن كتابهما[1]

استشعر الإخوان المسلمون أن المنافس الوحيد لهم على الساحة وسط الحركات الدينية القائمة، هم الإخوان الجمهوريون.

كانت الحرب شعواء فى منابر الجامعات والمساجد والندوات. كانت شعبية الإخوان المسلمين تسير على وتيرة واحدة أغلبها وسط الطلاب. بينما كانت شعبية الإخوان الجمهوريين تسير فى كل الاتجاهات، وسط الطلاب، الموظفين ومعظم الطبقة المتعلمة والوسط الشعبى.

إن القضية كانت وستظل قضية سياسية، قضية مفكر أراد أن يوقظ شعبه فى أحلك لحظات السبات والظلام، ونادى بأن هذه الشريعة التى تطبق، ليست سوى (طريقة بشعة) لإذلال الشعب (وإهدار آدميته) [2].

رفعت سيد أحمد

---

(1) محمد عبدالعزيز وهاشم عثمان أبو رنات، **أسرار جهاز الأسرار: جهاز الأمن السودانى، الفترة من 1969-1985**، ط2، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2008، ص 107-111.

(2) رفعت سيد أحمد، **لماذا أعدمنى نميرى؟ قراءة فى أوراق الشيخ محمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين بالسودان مع حيثيات الحكم باعدامه وردود الفعل عليه**، دار ألف للنشر، القاهرة، 1985، ص 16.

الأستاذ محمود محمد طه المفكر الإسلامي المجتهد بدأت قصته كقصة كثير من المتصوفة تم تكفيرهم ثم تخليدهم بعد إعدامهم. كان للإخوان الجمهوريين شعبية وسط الجماهير السودانية. كان الإخوان الجمهوريون يلاقون سنداً من ثورة مايو، بالتالي يشكلون سنداً ودعماً لها. ونميري شخصياً كان يدافع عن الأستاذ محمود محمد طه.

بالرغم من أن دعوة الإخوان الجمهوريين كانت دعوة قام بها رجل واحد إلا أنه كان قد امتلك ناصية قلوب من إتبعوه. فى بداية عام 1977 كان قنصل جمهورية السودان فى القاهرة المقدم محمد على مالك. وقد كان متزناً وذا كفاءه، إلا أن تقارير المراقبة عن ضباط الجهاز أفادت بأنه بدأ يميل إلى جماعة الإخوان الجمهوريين والتى تعتبر من الجماعات الدينية التى لها نشاط يعتبر عقائدى سياسى. قام الجهاز برصد المقدم محمد على مالك ورصد بعض كتب ومنشورات الإخوان الجمهوريين تسافر له إلى منطقة عمله فى القاهرة بالحقيبة الدبلوماسية. لما كان نشاط الجمهوريين محظوراً فى مصر آنذاك فقد كتبت وزارة الخارجية المصرية للخارجية السودانية عن هذا بالتالى كان واجباً استدعاءه إلى الخرطوم لطرح الأمر عليه والتفاهم معه. عندما تمت مواجهته بالأمر أفاد بأنه جمهورى الإتجاه. لما كان لا غبار عليه ورتبته تكاد تكون إحدى الرتب الكبيرة فقد خيرته سلطة الجهاز بين ترك العمل وإنهاء انتدابه وبين أن يترك جماعة الإخوان الجمهوريين. جاء قراره حازماً واختار أن يعمل حُواراً[1] مع أستاذه محمود محمد طه.

المقدم عبد الله الدابى هو الآخر كان ضابطاً يعمل بالقسم الدبلوماسى بالجهاز ومن المنتمين للجمهوريين ففضل العمل مع أستاذه على العمل بجهازالأمن. لم يكن مستغرباً أن ترى على رصيف الشارع هذين الجامعيين يروجان لكتب أُستاذهم فى ملابس متواضعة.

العداء العقائدى بين الشيوعيين والإخوان المسلمين به فوارق دائماً. فنقاط الالتقاء بينهما مستحيلة. ولقد تفوق الإخوان المسلمون على الشيوعيين فى أيام مايو خاصة بعد الضربة التى لحقت **بالحزب الشيوعى** ومن ثم عامل آخر أهم هو أن المقارعة بالحجة فى

(1) من المعروف أن الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات عرَّفوا أنفسهم فى الشارع السودان وفى كتاباتهم بأنهم: تلاميذ وتلميذات، والواحد منهم تلميذ وتلميذة.

مجال الفقه والقرآن كان مقبولاً للسـودانى المتصوف النزعة. بينما لم يكن وسط الشيوعيين من يمتلك هذه الموهبة إلا قلة.

كانت جماعة الإخوان الجمهوريين منافساً حقيقياً للإخوان المسلمين للأسباب الآتية:

1- لأنها كـانت على دراية بالقرآن والسنة ويمكنها أن تـقارع الإخوان المسلمين حـجة بحجة.

2- لأنها كانت تتمتع بحرية الحركة لتأييدها لنظام مايو.

استشعر الإخوان المسلمون أن المنافس الوحـيد لهم على الساحة وسط الحركات الدينية القائمـة، هم الإخوان الجـمهوريون. كـانت الحرب شـعواء فى منابر الجامـعات والمسـاجد والندوات. كانت شعبـية الإخوان المسلمين تسير على وتيـرة واحدة أغلبها وسط الطلاب. بينما كانت شعبية الإخوان الجـمهوريين تسير فى كل الاتجاهات، وسط الطلاب، الموظفين ومعظم الطبقة المتـعلمة والوسط الشعبى. بدأ بعض المتصوفة ينسلخ عن طريقـته للانضمام لهم وأصبح منزل الأسـتاذ محمود مـحمد طه مزاراً لكل المريدين والمعـجبين ولمن يريد أن يستمع، حتى الاجانب أصبح من أهم برامجهم هو زيارة منزل الأستاذ محمود محمد طه.

وأصبح الأسـتاذ محـمود محـمد طه خطراً يهدد تنظـيم الإخوان المسلمين. خـاصة أن الاختـراق السريع قـد بان واضحـاً. ووضح أن حصان الجـمهـوريين قد تقـدم كثـيراً على حصان الإخوان المسلمين.

كان تنظيم الإخوان المسلمين يستعين بكل الوسائل لهزيمة تنظيم الإخوان الجمهوريين. ولـم تكن تنقـصه الامكانيـات لذلك أصبـحت تأتى فتـاوى من خارج الـسودان من مـصر والسعـودية والدول العربيـة والإسلاميـة بتكفيـر الأستاذ مـحمود مـحمـد طه، علاوة على الفتـاوى التى صدرت من قبل بالسودان.. إضـافة إلى أن الإخوان المسلمـين بدأوا يوحـون للنظام بالسودان أن حـركة محمـود محمد طه قد تشـكل خطراً على النظام وأنها يجب أن تكون مرصودة.

كان ذلك الصراع ونميـرى لـم يعلن بعد قوانين سبتمـبر. فى سبتمبـر عندما أعلن نميرى

قوانين الشريعة الإسلامية إرتفع صوت الصادق المهدى معارضاً تلك القوانين. بينما أصدر الجمهوريون كتاباً يعارضون فيه تلك القوانين بالطبع فكان مصيرهما الاعتقال. لكن اعتقال السيد الصادق المهدى وبعض زعماء الأنصار لم يكن مفرحاً للإخوان المسلمين مثل اعتقال الأستاذ محمود محمد طه وأنصاره ومصادرة كتبه ومنع مريديه من الترويج لأفكاره. كان هذا كافياً لايقاف محمود محمد طه وأعوانه من الحركة.

ذكر لى المقدم أمن "معاش" عبد الله على الدابى والذى مكث عاماً كاملاً معتقلاً بسجن كوبر مع أستاذه محمود محمد طه عند خروجه من المعتقل، الحمد لله أنها كانت خلوة للتعبد وذكر الله. وخلال هذا العام لم يتمكن الإخوان الجمهوريون "سبتمبر 1983- سبتمبر1984" من تعكير صفو الإخوان المسلمين. فقد كان نشاط الجمهوريين محدوداً ولم يتعد بعض الكتيبات هنا وهناك. لكن عند خروج الأستاذ محمود محمد طه وتلامذته من المعتقل بدأ نشاط الجمهوريين يتصاعد. وكانت حجتهم تتلخص كلها فى معارضتهم للطريقة التى تم بها تقديم قوانين الشريعة وأن وقتها لم يحن.

الإخوان المسلمون فى وقوفهم بجانب قوانين الشريعة كانوا يلجأون دائماً إلى استخدام عناصر ليست ملتزمة بالخط السياسى للإخوان . لكن لديها إلتزام دينى وحماس دينى معين. وربما كان بعضهم من الإخوان المسلمين. لكن التنظيم لا يعتبرهم من الملتزمين تماماً بالخط الترابى لوناً.

كان مهماً الإيحاء للرئيس نميرى بمحاكمة الأستاذ محمود محمد طه وقادة تنظيمه، كان مهماً أن يكون هناك قرار حاسم تجاهه فى هذه الظروف المهيأة لهم.

كان بعض الصوفية يكنون عداءً للأستاذ محمود محمد طه وجماعته بحكم التنافس على ساحة العمل الدينى.

فقد كانت جماعة الإخوان الجمهوريين تشكل مدرسة غريبة على مجتمع الصوفية فى السودان. تنادى بأفكار تقع فى حساب المحظورات لدى رجال الدين. كانت بعض هذه الأفكار لها أدلة على انحراف قد يدل على زندقة وكفر. كان كثير من الشيوخ ورجال الدين لهم رأى فى الأستاذ محمود محمد طه وجماعته، بالتالى كان أنسب من يقوم بهذه

المهمة نيابة عن التنظيم الذى عانى ما عانى من الإخوان الجمهوريين هم الصوفية. خاصة إذا كان ممكناً أن يبدو الأمر وكأنه عادي.

النيل أبو قرون مستشار الرئيس نميرى للشؤون القانونية يعرف قاضى يمت له بصلة القرابة يدعى المهلاوى.. المهلاوى هذا هو الذى قضى فى قضية الأستاذ محمود محمد طه.. وكان الحكم سريعاً "محاكم طوارئ".

على ما أذكر أنه وفى خلال شهر يناير عام 1985 كنت[1] موفداً فى مهمة كلفنى بها اللواء أ.ح عمر محمد الطيب إلى القصر تستدعى مقابلة المستشار النيل أبوقرون. عندما دلفت إلى مكتبه قابلنى مقابلة جيدة. ثم رن جرس الهاتف لم أكن أعرف من هو المتحدث على الطرف الآخر..

برهة وإذ بأساريره تنفرج.. ويهتف فرحاً.. خلاص.. ده تمام.. الله أكبر.. الله أكبر. ووضع السماعة.. ثم قال لى.. فرحاً المحكمة حكمت على محمود محمد طه بالإعدام.

لم أدر ما اعترانى فى تلك اللحظة فسرحت بخيالى وحزنت حزناً عميقاً ففى تلك الأيام كل شئ جائز ولم نعد ندرى الصحيح من الخطأ صمت طويلاً ولما لاحظ النيل وجومى رفع السماعة مرة أخرى وبدأ يحدث آخرين بالنبأ كما أنه نقل الخبر إلى عوض الجيد محمد أحمد.

بعد الانتهاء من مهمتى مع النيل أبو قرون دلفت إلى مكتب اللواء عمر بالقصر ووجدت مدير مكتبه العقيد صلاح محمد محمد صالح فأخبرته بالنبأ فلم يصدق بعدها دخلت إلى اللواء عمر محمد الطيب فأخبرته بما سمعت. كان يبدو أنه يعرف ولاحظت أنه منزعج. توقع الجميع أن يراجع السيد رئيس الجمهورية قرار المحكمة ويصدر حكماً أخف، خاصة أنه فى تلك الأيام كان يتراجع عن قرارات كثيرة، لكن نميرى أيد قرار المحكمة وأتى بفتوى إضافية تؤكد إصراره [على] إعدام الأستاذ محمود محمد طه. حاول اللواء أ. ح عمر محمد الطيب إثناء الرئيس للعدول عن قرار الإعدام إلا أنه لم يوفق. فبذل جهداً خارقاً لكى يثنى الأستاذ محمود محمد طه لقد سمعته[2] يجادل بعض رجال

(1) عقيد/ أبو رنات. (هكذا فى الأصل).
(2) عقيد/ أبو رنات. (هكذا فى الأصل).

الدين لكى يحاولوا قدر الإمكان أن ينصحوا محمود محمد طه ليجد له مخرجاً هو وجماعته من هذا المأزق. كما قال لهم..

"اتكلموا معاه فهموه إنه الراجل ده حيعدموا.. يا اخواننا إنتو ما شايفنو بقى كيف"

وهكذا أعدم الأستاذ محمود محمد طه.. وأسدل الستار على دعوته وجماعته.

من الأخطاء الشائعة أن إعدام الأستاذ محمود محمد طه كان بعلم جهاز الأمن.

لقد كان قرار الرئيس.. وصادق عليه ما بين منزله الواقع داخل القيادة العامة.. وما بين القصر الجمهورى.. وجرى التنفيذ داخل سجن كوبر التابع لوزارة الداخلية.. وحملت الجثمان طائرة تابعة لسلاح الطيران السودانى.. أحد ملاحيها عضو مهم بحكومة الفريق عمر حسن أحمد البشير.

وصيـــة علـــى منصـــة الإعـــدام

شعر عوض الكريم موسى

وردت هذه القصيدة فى بعض المصادر والمواقع على شبكة الإنترنت بعنوان: "هو وحده والحق"، والعنوان الصحيح هو: "وصية على منصة الإعدام". ففى مقابلة لى مع شاعر القصيدة، أفادنى بأنه حينما كتب القصيدة كانت بلا عنوان. فقد كتبها فى ليلة واحدة بمناسبة احتفال الذكرى الأولى لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه بنادى أساتذة جامعة الخرطوم، يناير 1986. ثم طبعت القصيدة فى كتاب بعنوان: "وصية على منصة الإعدام"، وتم توزيعه فى ذلك الاحتفال الذى أمه وشارك فيه عدد كبير من الأساتذة الجامعيين والمثقفين والفنان محمد عثمان وردى.

هو وحده ولا نصير إلا الله وحده

ووراء حبل الموت حبل الله وحده

حبل بغرزه مستمسك هو وحده

حبل من الرحمن مد للعبد العزيز وحده

والحبل يطوى بعده

قد كان عبداً طول وقته

فكان عبداً عند موته

■●■

الموت عنده الميلاد فى كون جديد

ميلاد إنسان جديد

وكان كله بالله

حياته مثواه.. وكل وقته لله

فكان كل وقته شهيد

والعبد فرضه الرضا بالله

بكل ما يسوقه إليه ربه المريد

يفضى به الرضا الى الفرح

الى الأمان عند ركنه الشديد

محض اغتيال .. محض اغتيال

لكنه يرضى بما يريده رب العبيد

فإنما الإسلام تسليم الى رب العبيد

وتلك كانت دعوته، طريقته، طريقة النبى

طريقة الطرق فى مفرق الطرق

طريقة الخلاص للإنسان من رق العبيد

■●■

فأين هم من عيشه وموته؟!

أنى لهم حياة لحظة من وقته؟!

من زاده القليل، ونومه القليل، وكدحه الجليل
راض بطين بيته
بكل خشن من فراشه وقوته
بكسرة رضية من مائه وزيته
يقوم آخر القوم لها
فى الأرض فى جماعة الزهاد حولها
يلملم الفتات منها لا ينال إلا فضلها
وتلك كانت عنده دنياه كلها

■●■

وماله من أى شيء أى زوج،
جلبابه، قميصه، مركوبه، عمامة، طاقية، وملفحة
وركوة، وفروة، ومبخر، ونفحة مروحة
وحجرة صغيرة هى مكتبه، هى مسجده، هى مرقده
ما روحتها قط مروحة
فعنده المناخ داخلى
والكون كله مرآة مشهد من الجمال داخلى
وكل لحظة فى حضرة الفعل الإلهى جد
مرضية وجد مفرحة

■●■

وأعلنوا لقتله التأهب، أقصى تدابير التأهب
كأنها رحى حرب مداره
كأنهم يجابهون جيشاً غازياً أو غارة !!
لا رجلا أعزل اليدين، بل موثق اليدين،
إلا من رجولة الرجال والجسارة
يا للخسارة .. يا للخسارة !!
قد ضيعوا ميراثهم من الجدود فى نبل المروءة
وضيعوا الحضارة

■●■

والفارس المقدام
يفضى لحارس مرافق فى ليلة الإعدام
يوصيه بالإقدام: لا تخش إلا الله
كأنما حارسه هو الذى يواجه الإعدام
لا تخش إلا الله
رقيقة الرقائق، حقيقة الحقائق، حصيلة الإسلام
ويطمعون منه فى وريقة استرحام

ويحسبون أن هامة الضرغام تعنو الى الرغام

ومادروا بأن عنده استرحام أولاء الطغام

أدنى إليه منه أن تحط الشمس فوق أرضهم

أو أن تكلمهم أجنة الأرحام

■●■

ويسألونه قبيل موعد الإعدام

فهل لديك ما تقوله للقاضى؟!!

فناشهم بآخر السهام وأقتل السهام

بقوله: وهل هناك قاضى؟!!!

وأجمل القضية

فعنده القضاء لا يقوم فى دويلة

خصومها المستضعفون

حماتها- أخذلهم دعاة، أنذلهم قضاة، أرذلهم إمام

وعنده القضاء كالضياء

لا يعيش فى دويلة قد عشعشت فيها خفافيش الظلام

وعنده الرحمن وحده قاضى القضاة وحاكم الحكام

وعنده القلب السليم لا يساوم ولا يسام

■●■

ويسألون عن وصية لآله

لا يعلمون أن الله وحده كان الوصي في مآله

فقال: عشت بينهم ويعرفون ما أريد ..

من غير أن يزيد !!

ليس المقام للكلام، وإنما للفعل والتجسيد

■●■

مصفداً يساق من عرينه كقسورة

والحمر حوله مستنفرة

بروعها وأمنها وكيدها وجندها مسورة

وفى رغام عارها معفرة

كأنه العريس إذ يزف فى الضحى

والقيد فى يديه إسورة

حجل على قدميه وهو يبطئ الخطى المظفرة

وقال من شواهق الإباء: فكوا يدى من أسرها،

حتى أحيى الشعب وهو صابر على إساره

كأنه مودع وعائد

ما فل ظل الموت من مساره

وقد أبوا عليه هذه التحية الشماء

ليمسحوا، بظنهم، ما يترك الإباء من آثاره

وما دروا بأن كل شبر فى دياره

يموج بالجليل من أخباره

■●■

ويخلع النعلين عند سفح المشنقة

كأنها المصلى، وهو يصـعد الخطى الموثقة

الواثقة

كأنه المحب فى لقاء محـبوب مهاجر يرنو

لأن يعانقه

ويكشف الغطاء عن بوارق ابتسامة

عن أنضر ابتسامـــة

عن أجسر ابتسامـــة

كالشمس لم تخامرها غمامة

برهانه على اليقين والصمامة

رسالة الى الأحرار بالخلاص المرتجى

حـرب على الفـجـار فـهى فى حلوقـهم

شجى

وفى عيونهم قذى وفى صدورهم لظى

فقد أبى أن يُعطى الدنية فى دينه من نفسه

الأبية

لله وحده أعطى زمامه

أقام دينه أوفى تمامه

تبت يداهم يقتلون فى الضحى السلام

والغصن والحمامة

وحوله هتافهم كجوفهم مباءة المساءة

قاماتهم قماءة ، وجوههم دمامة

أليسوا الساقطين فى شر الفتن ؟

البائعين الدين، والمبـايعين التالف المتلاف

بيعة الإمـامـــة

■●■

إمـامـهم يطرز الصـدور مـن تحت اللحى

بأوسمة

بوسـمة كـفحـمة الدجى على وجـوههم

مقسمة

منسوبة الى الـشرف، وما دروا بأنهـا عدم

الشرف

معرة الأبد لمن سلف ومن خلف

تصحبهم كظلهم مجسـمـة

يزيفون شرع الله ممسكين مرجفين

يطوعـون بعض شـرع الله وفق أغـراض

السياسة

يعطلون بعض شرع الله حيثما تملى

ضرورة السياسة

يحرفون شرع الله كيفما تضطرهم

مصالح السياسة

يعارضون من يدعو الى التجديد بالتوحيد

تدفعهم خصومة السياسة

الدين صار سلطة من حكرهم

يطوعونه لنكرهم ومكرهم

ليسوا دعاة دين

ليسوا مجاهدين

شراكة من المرابحين والمضاربين وبعض

ساسة

■●■

وقالوا: غيبوا عن العيون مدفنه

ونكروا عليهم موطنه

يخشونه حياً بظنهم وميتاً

وما دروا بأن الأرض -كل الأرض-

صارت محضنه

وما دروا بأن صوته يمتد فى فجاجها

الفساح صيتا

وأنه يعيش فوق ما قد عاش

والهيكل الشريف يبنى فى هياكل الأحرار

يسبرون غوره ويخبرون معدنه

وأنه يشيد فى شواهق العقول والقلوب

مسكنه

■●■

وما دروا بأنه أوصى وصية قديمة

أن يدفنوه فى ثيابه القديمة

وأن يكون قبره بلا علامة

فموته على الإباء وحده العلامة

ولا يقام مأتم له

ما دامت الثورات فى فجاج الأرض

أعراس مقامة

فكان يدرى أنه شهيد

يموت فى فداء شعبه شهيد

يمضى لسر ربه من بعد أن يطيب الثرى

بطيب الإقامة

■●■

وقالوا: أحرقوا الكتب !!

وما دروا بأن البسمة الشماء فى عناق

الحبل كانت الكتاب

كانت هناك أوله وآخره وأكبره

منصة الإعدام كانت منبره

والحبل للخلود معبره

■●■

وقالوا: صادروا العقار

ويحسبونه كواحد من القصور يسكنونها

على الضفاف

يفيض بالكثير من رافه وفاره ومن وثير

وما دروا بأنه ماكان يملك الكفاف

لكنه في الحق كان يملك الكثير

جسارة الفكر الذى يثور فى مجاهل المثير

صـمامـة القلب الذى يخـافـه الردى ولا

يخاف

■●■

وزلزل الشهيد أرضهم مراراً

أعطاهم بكل عام من عمار عمره

يوماً وحيداً من خراب عهدهم

وأشعل الشرارة

وجاء مارس التغييـر يلفيهم على مضاجع

الغرارة

المستشار والمشير والإشار

هذا يقرر الخيانة، وهذا صايغ قراره

■●■

إمامه يأوى الى ديارنا المناضلين

لكى يرحل اليهود فى ديارهم مستوطنين

يقول فى إمـامه بملء فيـه، ولا يمل القول

فيه:

إمام كل المؤمنين، مهدى قرننا العشرين

مجدد الدين الذى له ندين

من أجله تنظيمنا محلول

نذوب فيه.. نهيم فيه

عدونا عدوه ونصطفى من يصطفيه

وإننى صفيه، وفيه، مفتيه

بايعته فى منشطى ومكرهى ألا أنازعه ولا

أعصيه

زودنى الأخ الرئيس بالتوجيه

حملنى رسالة الى أخيه

كلفنى بأخطر المهام ، ونبهنى وكرر التنبيه

أليس يشبه النبى؟!!

ما كاد يدعوهم الى الهدى حتى تسارعوا

بالطعن فيه

أليس يشبـه النبى، حينما أراق الخـمر فى

المدينة وحد شاربيه؟!!

بايعته !! بايعته!! فى منشطى ومكرهى

مجاهدا وراءه أفديه

ما دام رافعاً حد الحرابة على معارضيّ

أو معارضيه

هذا معارض زنديق!! هذا معارض

مرتد!!

هذا معارض يجادل الإمام فى بيوت

الله!!

السجن لا يكفيه

لا بد من إلهاب ظهره حتى يصير عبرة

لمقتفيه

ما أضيع الإسلام ، وكائدوه من

ذويه؟!!!

ما أضيع السودان، وخائنوه من بنيه؟!!!

■●■

ويكتب الشهيد آخر الوصية

على منصة الإعدام يكتب الوصية

وصية الى الأحرار أن يساهروا على

الحرية

وأن يذودوا عن حياضها تلك الفلول

الناعقة

حتى يروا ما قد بنوه ريبة ينهد فوقهم

كصاعقة

فلا يمدوا مدية الجزار صوب أيدى

البائسين

أيديهم هم هى التى امتدت لقوت

الشعب سارقة

لا يلهبوا بدرة الإذلال ظهر البائسين

ظهورهم هم هى التى تنوء بالأوزار وهى

عن حياض الدين مارقة

لا ينصبوا مشانق الإرهاب للأحرار

والمناضلين

أرقابهم هم هى التى فى آسنات الإفك

غارقة

ولا يلاحقوا مستضعفاتهم من النساء

جيوبهم هم هى التى ربت من الربا

وقد أحلوا كل تلك المفضحات الساحقة،

الماحقة

■●■

على منصة الإعدام يكتب الوصية

وصية الى الأحرار أن يساهروا على

الحرية

وأن يكون الدين دربهم الى الحرية

وأن يكون الخبز زادهم الى الحرية

وأن يكون قوتهم حرية ووقتهم حرية

وعشقهم ومقتهم حرية

وعيشهم وموتهم حرية

فمن يولى دبره مصارع الحرية

عيشته دنية، ميتته دنية

وصية موثقة

منسوجة صدقاً وحقاً من حبال المشنقة

وصية أخيرة

فلترفعوا فى وجههم صلابة المداومة

على جسارة المقاومة

بلا مساومة

فلا مساومة

شهادة عمر دفع الله والتعبير نيابة عن الشرفاء من أهل الأرض

الباب الرابع

الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية التهميش والبتر للمعارف والعزل عن ميدان البحث العلمي

إن التعليم الجامعي الحاضر باهظ التكاليف جداً.. وهو غير كبير الجدوى للبلاد.. بل إن الخريجين والجامعيين يكونون طبقة جديدة لا تأبه كثيراً بحالة البؤس التي يعاني منها الشعب، وهم على التحقيق، غير قادرين على السكن في القرى، والأرياف، حتى يستطيعوا أن يتفهموا حالة مواطنيهم، ويعينوا على تطوير حياة الريف.. ولو أوقف هذا التعليم الجامعي الحاضر، وأستعين بما ينفق عليه، في الوقت الحاضر، لتوسيع قاعدة التعليم، وتركيز مراحله، على النحو الذي اقترحت أعلاه، لكان ذلك أفيد للبلاد..

عندما يتركز التعليم، ويرتفع مستوى المواطنين، العقلي والصحي، والاجتماعي، والاقتصادي، بفضل ما يبذله خريجو معاهدنا التي ذكرت آنفا، يمكن أن نرتقي الى تعليم جامعي ينبت من طبيعة أرضنا، وتفكيرنا، وشخصية قومنا، ثم يتلقى ما يتلقى من أفكار غربية شرقية، فيهضمها، ويجعلها سودانية أصيلة. أي يستطيع أن ينظر إلى العالم الشرقي، والغربي، من وجهة نظر سودانية، بذلك يكون تعليمنا أصيلاً، لا دخيلاً.. ويكون خريجونا إنسانيين، سودانيين، أصلاء يسعون لإسعاد قومهم، ولإسعاد البشرية عامة، كعمل طبيعي، في غير تكلف ولا رياء[1].

محمود محمد طه، عام *1958*

---

(1) محمود محد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، 1958/12/24، الخرطوم.

الفصل
الثالث عشر

13

الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية
قرءاة في نماذج من الرسائل الجامعية (الدكتوراة والماجستير)

التهميش والبتر للمعارف
والعزل عن ميدان البحث العلمي

إن كتب التدريس تبدأ ببتر حسّ العالم بتاريخ نظامه المعرفي، ثم تستمر لتقدم بديلاً مما حذفته[1].

توماس س. كون

(1) توماس س. كون، **بُنيَة الثورات العلمية**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 241.

الأكاديميا: تعاريف ومبادئ

الفكر يتيم في هذا البلد[1].

محمود محمد طه

لقد قطع العالم شوطاً مقدراً، عبر المنظمات والملتقيات الإقليمية والدولية، في التشريع والتصميم للمواثيق والمعاهدات والإعلانات بشأن الخدمة الأكاديمية والمجتمع الأكاديمي والمؤسسات الأكاديمية وحريتها واستقلالها ومسؤولياتها. فقد سعى ولا يزال يسعى لنشر تلك المواثيق والمعاهدات وتعزيز الالتزام بها من أجل الحق في السعي للمعرفة، وإظهار الحقيقة ونشرها مع التسامح وتحرير الاختلاف من علاقات القوى، ومن أجل أن يخدم التعليم والبحث مبادئ الحرية والعدالة وكرامة الإنسان. ففي المؤتمر الدولي الذي عقدته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" عام 1950 بمدينة نيس، أعلنت جامعات العالم عن ثلاثة مبادئ رئيسية على جامعات العالم أجمع الالتزام بها وهي:

1- الحق في السعي للمعرفة من أجل المعرفة والوصول في البحث عن الحقيقة حيثما

(1) عوض الكريم موسى، "الافتتاحية"، **الجمهورية**، مجلة الحزب الجمهوري الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 17/4/1969، ص 1؛ مقابلة مع عوض الكريم موسى، كانت المقابلة بالهاتف، عوض الكريم بمدينة الخرطوم في السودان، والمؤلف بمدينة الدوحة بدولة قطر، بتاريخ 2013/1/5، الساعة: 11:10 صباحاً.

يؤدى هذا البحث.

2- التسامح مع الاختلاف فى الآراء وتحريره من التدخل السياسى.

3- الالتزام كمؤسسة اجتماعية، عن طريق التعليم والبحث، بتعزيز مبادئ الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية والتضامن الإنسانى ووجوب تطوير مادة متبادلة ومساعدة معنوية على المستوى الدولى.

جاءت هذه المبادى فى صدر **إعلان الحرية الأكاديمية** 2005 الذى أصدره **المؤتمر العالمى الأول لرؤساء الجامعات** فى يناير 2005[1]، وأضاف الإعلان عن تلك المبادىء قائلاً: "وتدل تلك المبادئ على الدور المركزى الذى يلعبه البحث والتعليم الجامعى فى التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات. وتنطبق المبادئ على كافة الجامعات سواء الحكومية أو التى تشرف عليها الحكومات أو المؤسسات الخاصة"[2]. لقد عرَّف **إعلان ليما/ بشأن الحرية الأكاديمية واستقلال مؤسسات التعليم العالى**- ديسمبر 1988، المجتمع الأكاديمى قائلاً: "(المجتمع الأكاديمى) يغطى جميع أولئك الأشخاص الذين يقومون بالتدريس والدراسة والبحث والعمل فى مؤسسة للتعليم العالى". وعن مؤسسات التعليم العالى أوضح الإعلان قائلاً: "(مؤسسات التعليم العالى) تتكون من الجامعات وغيرها من

(1) "إعلان الحرية الأكاديمية 2005" وقد صدر عن المؤتمر العالمى الأول لرؤساء الجامعات الذى أنعقد فى **جامعة كولومبيا** يومى 18-19 يناير 2005.
(2) المصدر السابق.

مراكز التعليم ما بعد الثانوى وما يرتبط بها من مراكز البحث والثقافة"[1]. وعن تعريف المؤسسة أو الهيئة الأكاديمية كتبت ميمونة ميرغنى حمزة قائلة:

فى أغلب التعريفات الهيئة الأكاديمية تشمل أساتذة الجامعات من حملة الدرجات العليا وهى الفئة التى خصت بالحرية الأكاديمية بمعنى أن الطلاب ليسوا أعضاءً فى هذه الهيئة... فالطالب جاء للجامعة ليتعلم لا ليعلم أو يبحث وبالتالى لا نتوقع منه إظهار الحقيقة... حتى بالنسبة لطلاب الدراسات العليا فما يقومون به من أبحاث يتم تحت إشراف أساتذة وبأساليب متفق عليها ولا يعتبرون بأى حال فى مقام أو صنو للأساتذة[2].

أشارت ميمونة فى ورقتها إلى أن هناك أطروحات وإعلانات تصنف الطلاب جزءاً من الهيئة الأكاديمية فكتبت قائلة: "إن إعلان دار السلام صنف الطلاب والموظفين كجزء من الهيئة الأكاديمية التى عرفها بأنها: كل الأشخاص الذين يقومون بالتدريس أو البحث أو يعملون فى مؤسسات التعليم العالى"[3]. والبحث العلمى كما عرفه حاتم بابكر هلاوى قائلاً: "البحث العلمى هو عبارة عن نشاط علمى منظم يعمل على كشف الحقائق اعتماداً على مفاهيم منهجية من أجل معرفة الارتباط بين هذه الحقائق ثم استخلاص الاستنتاج"[4].

---

(1) نشأت الفكرة الأصلية للإعلان عن حلقة تدريبية عقدتها "الخدمة الجامعية العالمية" فى نانتس فى عام 1984، وهى الحلقة التى بدأت برنامجاً جديدا هو: - "التضامن والتعاون بين الجامعات" - تحت مسئولية لجنة خاصة. وقد طلبت هذه اللجنة، بعد تنظيم حلقة تدريبية فى مدريد فى سبتمبر 1986، إلى مانفريد نوواك، المدير الحالى للمعهد الهولندى لحقوق الإنسان، اقتراح مشروع إعلان. وقد نبعت فكرة الإعلان من إدراك انه على الرغم من وجود صكوك وتوجيهات شاملة فى ميدان حقوق الإنسان بوجه عام، كان هناك افتقاد لمثل هذه الصكوك والتوجيهات فى ميدان التعليم العالى شمل حرية الجامعات واستقلالها. وقد كتب مشروع الإعلان فى يناير 1987، وخاضت اللجنة عملية شاقة لمناقشته واختباره وتنقيحه بالتشاور مع الشبكة الدولية للجان الوطنية التابعة " للخدمة الجامعية العالمية"، سواء على المستوى الوطنى أو الإقليمى. كما أرسل المشروع إلى أكثر من خمسين منظمة متخصصة لتقديم ملاحظاتها عليه، وكان لمقترحاتها فائدة كبيرة فى الصياغة النهائية للإعلان. وتم تنقيح المشروع ثلاث مرات قبل إن تقره الجمعية العمومية الدولية "للخدمة الجامعية العالمية" فى سبتمبر 1988.

(2) ميمونة ميرغنى حمزة، "الحرية الأكاديمية معناها وأبعادها"، **كتابات سودانية**، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 40.

(3) المرجع السابق، ص 40.

(4) حاتم بابكر هلاوى، "الحرية الأكاديمية والبحث العلمى"، **كتابات سودانية**، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 44.

وعن الغـرض من الجامـعات جـاء فى **إعـلان الحرية الأكـاديمية** 2005: "يناط بالجامـعات مسئولية حفظ معارف الماضى ونقلها للجيل التالى، وتعليم مواطنى ومدرسى وقادة المستقبل، والسـعى وراء اكتـشاف مـعارف جـديدة التى من شأنهـا إما أن تدعم أو أن تدحض مـا هو موجـود بالفعل من أفكار ومعاييـر. وهذا كله بغرض تعميق الفهم الإنسانى وتحسـين حالة البشرية"[1]. وعن وظيفة الجامعة فى مجال التنمية الاقتصادية ودعم الاختراع والإبداع، يقول الإعلان: "كـذلك فإن الجـامعة تـقوم بوظيفـة المحرك الأسـاسى للتنميـة الاقتـصادية، ودعم الاختراع التكنولوجى والعلمى، وحفز الإبداع فى الفنون والآداب، ومخاطبة القضايا العالمية الطارئة مثل الفقر، والمرض، والصراع السياسى العرقى والتدهور البيئى"[2].

أما بشـأن تعريف الأكاديمى، فـإننى ولغرض هذه الدراسة، أخـذت بالإضافة للتـعريف الذى قدمه إعلان الخرطوم للحـريات الأكاديمية الصادر من ندوة: **الحريات الأكاديمية**، التى عقدت خـلال الفترة 9-10 مارس 2002، **بمركز الدراسات الـسودانية** بالخرطوم، أخذت فى الاعتـبار أولئك المشتـغلين فى إنتاج المعرفـة والمساهمين فـى الخدمة التنويرية من خـلال نشر الكتب والدراسات، حـتى ولو لم ينطبق عليهم تعريف الأكاديمى على الـنحو الذى جاء فى **إعـلان الخرطوم للحـريات** أو فى غـيره من الاعـلانات والمواثيق والمعـاهدات. يقول إعـلان الخرطوم للحريات الأكاديـمية فى تعريفه للأكاديمى: "المقصـود بالأكاديمى فى هذا الإعلان هو عضو هيئات التدريس بمؤسـسات التعليم العالى ولا يشمل المعاونين"[3]. وعن الحريات الأكاديمية يقول **إعلان بغداد- عمان للحريات الأكاديمـية فى الجامعات العراقية**: "الحريات الأكاديمـية جـزء أساسى وحيـوى من حرية التعـبيـر والحقوق الأسـاسية للإنـسان لا يمكن للعـمل الأكـاديمى أن يتطور ويزدهر بدونهـا"[4]. وعن أهم جـانب من الحـرية الأكاديـميـة تحدثت ميـمونة قائلة: "ولعل أهم جانب من الحرية الأكاديمـية حق الأستاذ فى اختـيار مجال البحث وتسهيل حـصوله على المعلومات من وثائق وتقارير بهدف إظهار الحقـيقة ونشرها إذ

---

(1) "إعلان الحرية الأكاديمية 2005" مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) "إعلان الخـرطوم للحرية الأكاديمـية"، **كتابات سـودانية**، مركـز الدراسات السودانيـة، العدد العشـرون، يونيو 2002، ص 68.

(4) "إعلان بغداد- عمان للحـريات الأكاديمية فى الجامعات العراقيـة"، صدر فى عمان بتاريخ 11/ محرم/ 1427 الموافق 10/ شباط / 2006.

إن هذه هى مـهمـة عضو الـهيئـة الأكاديمـية الذى درب للـقيام بـها"[1]. وفى سبـيل تعظيم الجامعات لإظهار الحـقيقة كهدف أساسى وسامى، يفقد مـعه الأستاذ (الأكاديمى) مكانه فى الجامعة إن لم يشـتغل على إظهار الحقيقة، كتـبت ميمونة ميرغنى حمـزة قائلة: "ولقد رفعت بعض الجامعات شـعار (أنشر أو أندثر Publish or Perish) بمعنى أن الأستاذ الذى لا يعمل فى مجال البحث كمهمة أساسية هدفها إظهار الحقيقة ليس له مكان فى الجامعة"[2]. جاء فى **إعلان كمبـالا بشأن الحرية الفكرية والمسئولية الاجتـماعية** 1990، الذى صدر عن المشاركين فى ندوة: **الحرية الأكاديمـية والمسئوليـة الاجتماعيـة للمفكرين**، والذين رأوا بأن الإعلان ربما يكون هو المعـيار للمجـتمع الفكرى الأفـريقى لتأكيـد الاسـتقلالية والتـعهد بالمسـئوليـة تجاه شعوب قـارتنا، وجاء فى الإعلان: "لكل مفكر إفـريقى الحق فى أن تحترم كل حقـوقه المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصـادية والثقافية، كما هو وارد فى بيان حقوق الإنسان الدولى والميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب". وعن أعضاء المجتمع الفكرى والأكاديمى جاء فى الإعلان:"يلتزم أعـضاء المجتمع الفكرى بأداء أدوارهم ووظائفهم بكفـاءة وأمانه وبأفضل صورة، ويجب أن يؤدوا واجباتهم وفـقا لأفضل المعايير العلميـة والأخلاقية[3]. وعن الحرية الأكاديمـية وآثارها الإيجـابية على المجتـمع ودور الأكاديمى السـودانى، جاء ضـمن الفصل الثانى: الواجبات والمسؤوليات الاجتـماعية للأكاديمى السودانى فى **إعلان الخرطوم للحرية الأكاديمية**، "إن الحرية الأكاديمية لا يمكن أن تتبلور آثارها الإيجابية على المجتمع مالم يدرك الأكاديمى السودانى مسؤولياته نحو المجتمع ويؤديها بدقة وأمانة وشفافية"[4].

الشاهد أننى فى هذا المدخـل الموجز عن الأكاديميـا والأكاديمى، قد ركـزت من خلال بعض المواثيق والمعـاهدات والإعلانات التى صـدرت على التعـريف بالمجتمـع الأكاديمى والأكاديمى والمؤسسات الأكاديمـية والبحث العلمى وأهمية الهيئة الأكاديميـة واستقلالها ومسؤوليـاتها ودورها فى المجتمعـات الحديثة. كما وقـفت على مبادئ الأكاديمـية والحرية

(1) "إعلان الخرطوم للحرية الأكاديمية"، مصدر سابق، ص 68.
(2) ميمونة ميرغنى حمزة، مرجع سابق، ص 40.
(3) "إعلان كـمبالا بشـأن الحرية الفكرية والمسـؤولية الاجـتماعـية 1990"، الصادر عن ندوة: **الحرية الأكاديـمية والمسئولية الاجتماعية للمفكرين**، صدر الإعلان فى التاسع والعشرين من نوفمبر 1990 بمدينة كمبالا.
(4) "إعلان الخرطوم للحرية الأكاديمية"، مصدر سابق، ص 68.

الأكاديمـية. بالطبع إن المواثيق والمعاهدات والإعـلانات التى أشرت إليها، ليست هى كل ما صـدر؛ وإنما قدمت فـى هذا المدخل نماذج منهـا. وغنى عن القـول أيضاً، بأن التـعـاريف التى أوردتها هى تعاريف لغرض هذه الدراسة، وإلا فإن التعاريف عن المجتمع الأكاديمى والبحث العلمى والحرية الأكاديمية والأكاديمى ...إلخ تعاريف عديدة ومتجددة ومتطورة ومتوسعة .

نشأة الأكاديميا السودانية

منذ أن عـرفت الأسـتاذ مـحـمود، وأنا طالب فـى بداية السنة الأولى بجـامعـة الخرطوم، ما صليت مع أهلى إلا قاصراً[1].

أحمد دالى

لقد نشأت الأكاديميا السودانية فى كنف الإدارة الاستعمارية البريطانية، إذ شهدت فترة الحكم الثنائى الإنجليـزى/ المصرى (1898-1956) قيـام مؤسسـات التعليم الحـديث. كان التعليم فى الـسودان قبل ذلك تعليـماً دينياً مع انفـصال يكاد يكون تامـاً عن إرث السودان الحـضـارى فى كـرمـة (ق.م. 1500 - ق.م. 2500)، وفى كـوش (750 ق.م.- 350م)، ونوباتيا والمـقرة وعلوة (550-1450). ففـى عهد دولة الـفونج (1504-1821) وفى العـهد التركى/ المصرى (1821-1885)، كان التـعليم "تعليماً دينيـاً محوره اللغة العـربية والعلوم الشرعيـة، وقوامه الكُتّاب والخلوة والمسـجد والمسيد ومجـالس العلماء والأزهر"[2]. يقول مـحـمد عمر بشـير: "فى الفتـرة السنارية (سلطنة الفونج) اتجه السـودان بنظره إلى الشرق أى صوب الحجاز والجزيرة العربية أكثر من اتجـاهه صوب مصر، وذلك أمر طبيعى إذ كانت مكة والمدينة تمثـلان مركز الوحى الديـنى والروحى أكثر مـن القاهرة"[3]. ظل التصـوف هو الذى يستهوى السودانيين، يقول يوسف فضل حـسن: ففى البدء هاجر بعض السودانيين للاستزادة من المعارف الإسلامية من مصر والحجاز،... اهـتم العلماء السودانيون بتحفيظ القرآن الكريم وتفسـير ونشـر الفقه خـاصة **رسالة ابن أبـى زيد القيروانى ومـخـتـصر خليل بن إسـحاق**

(1) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى. الدوحة، 2013/1/24، الساعة 9:00.
(2) عزالدين الأمين، مرجع سابق، ص 21.
(3) محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان** (1900-1969)، مرجع سابق، ص 15.

والتوحيد والحديث والسيرة وعلوم اللغة العربية. إلا أن هذه هي الثقافة الفقهية،... إذ فضل عامة الناس الانخراط في سلك الطرق الصوفية... وقد دفع هذا الوضع الفقهاء ليترسموا خطى رجال التصوف[1]. يقول محمد الواثق: إن التصوف "وتصوف "الفقرا" بوجه أخص كاد يقوم مقام الدين نفسه في الفترة السنارية (فترة دولة الفونج)، ومن ثم يشكل المزاج الديني للسودانيين"[2]. ولأن التعليم ارتبط بالتصوف، فقد كانت الخلوة هي المكان الوحيد الذي يتم فيه تعليم القرآن[3]. ويقول يوسف فضل حسن: إن الخلوة كانت بمثابة مركز الاشعاع الروحي والثقافي والاجتماعي[4].

أرجع يحيى محمد إبراهيم نشأة الخلوة إلى أواسط القرن الرابع عشر الميلادي عندما قَدُم غلام الله اليمني إلى دنقلا[5]. يقول محمد عمر بشير: لا جدال في أن المؤسسة التعليمية الكبرى والمهمة والتي نشأت بجانب المسجد والمسيد هي الخلوة. فالخلوة كان لها مدلول في السودان غير الذي كان سائداً في البلدان الإسلامية، حيث الاعتزال عن الناس بقصد الوصول إلى الحقيقة، والتقرب إلى الله. بينما كانت في السودان تعني المكان الذي تؤدي فيه وظائف التعليم الديني من تعلم للكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن ثم دراسة العلوم الدينية من فقه وتوحيد وسائر علوم العربية[6]. فالخلوة كما يرى المعتصم أحمد الحاج "قد قدمت نوعاً من التعليم يلائم ظروف البلاد ويلبي احتياجات المجتمع"[7]. حافظ العهد التركي المصري على التعليم الديني والخلاوي كمصدر رئيسي للتعليم، مع انتشارها في أجزاء كثيرة من السودان. كما أنشأ الحكم التركي عدداً من المدارس الابتدائية في كل من الخرطوم وبربر ودنقلا وكردفان وكسلا وسواكن وسنار وجوبا بغرض تعليم أبناء الأتراك

---

(1) يوسف فضل حسن، **دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب**، ج3، سوداتك المحدودة، الخرطوم، 2008، ص187، 188.

(2) محمد الواثق، **الشعر السوداني في القرن العشرين، آراء وقصائد مختاره**، مرجع سابق، ص 15.

(3) خالد حسين عثمان الكد، **الأفندية ومفاهيم القومية في السودان**، مرجع سابق، ص 1.

(4) يوسف فضل حسن، ضمن مقدمته للطبعة الأولى لتحقيقه لكتاب: محمد النور بن ضيف الله، **كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان**، ط4، مطابع دار ومكتبة الهلال، 1992، ص 12.

(5) يحيى محمد إبراهيم، **تاريخ التعليم الديني في السودان**، ط1، دار الجيل، 1987 ، ص 79.

(6) محمد عمر بشير، **التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين** (1820-1956)، مرجع سابق، ص 10.

(7) المعتصم أحمد الحاج، **الخلاوي في السودان نظمها ورسومها (حتى نهاية القرن التاسع عشر)**، مرجع سابق، ص5.

والمصريين العاملين فى الجيش والإدارة، وتخريج عدد قليل من السودانيين للعمل فى دواوين الحكومة فى الوظائف الصغرى... وفي عهد الدولة المهدية (1885-1898) استمرت الخلاوى مصدراً رئيسياً لتعليم الصغار والكبار. كما شجعت المهدية تعليم القرآن والحديث وقراءة الراتب من خلال حلقات التدريس التى نشأت فى الأحياء المتعددة فى أمدرمان، ومن خلال الخلاوى التى كانت تقوم بتعليم القرآن والكتابة والحساب[1].

سعى الحكم الثنائى الإنجليزى/ المصرى الذى قضى على الثورة المهدية عام 1898، منذ سنواته الأولى إلى تأسيس منهج تعليمى ينأى بالمثقف السودانى عن التفكير التأملى والتنظير، لأن مثل هذا التفكير هو الذى يقود فى النهاية إلى نسف الاستعمار من قواعده[2]. كتب خالد حسين عثمان الكدفى كتابه: **الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان**، وهو يتحدث عن سياسة الإدارة البريطانية فى التعليم، قائلاً: "إن سياسة الإدارة البريطانية فيما يختص بالتعليم كانت حذره جداً، وتعمل بتعليمات اللورد كرومر، المندوب السامى البريطانى فى مصر. كانت توجيهات كرومر تقوم على التحذير من التعليم العالى والذى اسماه: "عملية صناعة الغوغائية"،..."[3]. ويقول محمد سعيد القدّال أن اللورد كرومر كان يؤكد لحكام السودان من الإنجليز قائلاً: "إن الخطأ الأكبر فى تعليم الفقراء كان الطموح الكبير فى ادخال الدراسات الأدبية. إن التعليم الابتدائى يجب أن يهتم بملاحظة الحقائق وليس بأى شكل من أشكال التفكير التأملى أو الفكر"[4].

كان التعليم يهدف إلى تحقيق الأغراض الاستعمارية، المتمثلة فى توفير الوظائف الكتابية والفنية بمعزل عن الدور القيادى المستقبلى للمتعلمين. يقول خالد الكد: "كانت الإدارة البريطانية تعامل الأفندية كأتباع، لا حلفاء مستقبليين، هذا على الرغم من أن أغلبية المدرسين البريطانيين، كانوا شباباً من خريجى أكسفورد وكمبردج، ولكنهم لم يرتبطوا بأى

(1) محمد عمر بشير، **التعليم فى السودان فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين** (1820-1956)، مرجع سابق، ص 22، 26، 27.

(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، **الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 20.

(3) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، ص 107-108.

(4) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، **الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 20.

عـمل يمكن أن يدفع بتطوير هؤلاء "الأفندية" أو دفـعهم فـى الخط البريطانى. كـان هؤلاء المدرسون كـما يقول إدوارد عطيـة: "أعضاء فى الخـدمة السياسـية. كان دورهم مـزدوجاً، كمعلمين وحكام، وغلبت صفتهم الثانية على الأولى. ولم يطلبوا من التلاميذ مجرد طاعة التلميذ لأستاذه، وإنما خضوع التابع لسيده"[1]. يقول عبدالرحمن عبدالله (???-1933) فى كتابه: **السودان الوحـدة أم التمزق**، وهو يتحدث عن الميـراث البريطانى الإدارى الذى لم يشفع للسودانيين لمواصلة الحكم بفاعلية، مشيراً لحديث بازل ديفيدسون الذى قال: "إنه فى أغلب الحـالات فى المسـتعمرات "فـإن التعليم كـان من أجل تثـبيت الأمر الـواقع، والأمر الواقع الاستعمارى على وجه التحديد"... وأن نفوذ من احتلوا المواقع استمر "لأن المكاتب التى جلسوا عليها، هى نفـسها المكاتب القديمة، وكذلك الملفات التى يعمـلون عليها، فقد تغيّر الحكام ولم تـتغير مؤسسات الحكومـة الكولونيالية"[2].وأضاف عبدالرحـمن عبدالله قائلاً: "وفـى حقيـقة الأمـر فإن الميـراث البريطانى الإدارى لم يشـفع للسودانيـين لمواصلة الحكم بفـاعلية، وكـما حـدث فى الهند فلقـد أرسوا دعـائم حكم القـانون، ولكن، ورغم المظهر الخارجى، كـما قال نهرو (جـمدوا حركة التغـيير)"[3]. وأشار عبدالرحـمن عبدالله وهو يتحدث عن ظروف عدم إعداد المتـعلمين إلى مهام مستقبليـة، أشار إلى حديث السير جيمس روبرتسون، آخر سكرتير إدارى فى السـودان، فقد عبّر روبرتسون قائلاً: "إن النظرة للسودانيين المتعلمين كانت ملأى بالشك، ولـم يكن يسـمح لهم بالتعبير عن أفكارهم، كما لم يُهيأوا لمهام مـستقبلية..."[4]. وهكذا فإن الإدارة الاستعمـارية كانت تُحدد نوع التعليم وطبيعة الجرعات التعليمية بما يضمن تخريج فنيين وكتبة للقيام بالمهام الخدمية. كما سعت إلى تخفيض السـقف المعرفى فاكتفت بالتعليم الابتـدائى والمتوسط ولاحقاً الثانوى. فـمؤسسات التعليم العالى، عند اللورد كرومر وصفت بـ : "عملية صناعة الغوغائية"، كما ورد آنفاً.

الشـاهد أن المؤسـسـات التعليـميـة فى السودان قـامت بناءً على تلك السـياسـات التى

(1) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، ص 105.

(2) عبدالرحمن عبدالله، **السودان: الوحدة أم التمزق**، ترجمة الفاتح التجانى، شركة رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2002، بيروت، لبنان، ص 73.

(3) المرجع السابق، ص 76.

(4) المرجع السابق، ص 76.

وضعها كرومر، وعلى أهداف أوضحها السير جيمس كرى، أول مدير للمعارف السودانية، والذى ترأس كلية غردون التذكارية[1]، أوضح كرى بأن الهدف من إنشاء المؤسسات التعليمية فى السودان هو تعليم الحِرَف وشئ من المعرفة يمكِّن الأهالى من التعرف على أغراض الحكومة ونظام الإدارة وتدريب بعضهم لكى يتمكنوا من شغل الوظائف الصغيرة التى تحتاج إلى أن يملأها السودانيون[2]. بناء على هذه الأهداف سارت السياسة التعليمية وكان إنشاء المؤسسات التعليمية. فقد أُنشئت كلية تدريب المعلمين والقضاة بأمدرمان فى عام 1900، و**مدرسة الصناعة بأمدرمان** باقتراح من السير جيمس كرى[3]، وافتتحت **كلية غردون التذكارية** فى 8 نوفمبر عام 1902، وقد فتحت أبوابها للدراسة فى أكتوبر 1903 بأن نقل إليها تلاميذ **مدرسة الخرطوم الابتدائية**[4]. وفى 1905 قامت **المدرسة الحربية** (مدرسة الخرطوم الحربية)، وافتتحت مدرسة كتشنر الطبية عام 1924. وكان الحاكم العام قد أنشأ عام 1902، مجلساً للعلماء ينظم التدريس فى الجامع الكبير بأمدرمان ويمهد لإنشاء **المعهد العلمى**. وفى عام 1912 أنشىء **المعهد العلمى بأمدرمان** على غرار **الأزهر**[5]، وعُين الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم (1856-1934) شيخاً له[6]. وقد أصبح **المعهد العلمى بأمدرمان** فى عام 1965 جامعة أمدرمان الإسلامية [7]. هنا يتجلى الأثر المصرى/ العربى إلى جانب الأثر البريطانى/ الغربى فى الأكاديميا السودانية. فالأثر المصرى أثر قديم، وقد زاد على المستوى الأكاديمى بقيام **جامعة القاهرة فرع الخرطوم** التى تأسست عام 1956، وقد أصبحت فى عام 1993 جامعة النيلين، هذا إلى جانب التدريب والدراسة فى **الأزهر** وجامعات مصر المختلفة اللذان لم تنقطعا حتى اليوم.

---

(1) عبد الكريم محمد، "تاريخ كلية غردون 2"، **مجلة كلية غردون**، العدد 2، مج 2، 21 ديسمبر 1935، ص 1.

(2) محمد عمر بشير، **التعليم فى السودان فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين** (1820-1956)، مرجع سابق، ص 31.

(3) عبد الكريم محمد، مرجع سابق، ص 1.

(4) المرجع السابق، ص 2.

(5) عزالدين الأمين، **نقد الشعر فى السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية**، مرجع سابق، ص 17.

(6) محمد عمر بشير، **التعليم فى السودان فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين** (1820-1956)، مرجع سابق، ص 37.

(7) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق، ص 110.

تطورت **كلية غردون التذكارية** التى بدأت عام 1903 بالقسم الابتدائى. ففى عام 1905 شهدت بداية القسم العالى/ المستوى الثانوى، كما قامت مدرسة الطب التى افتتحت عام 1924، ومدرسة القانون عام 1926، وفى 1938 كليتا الزراعة والطب البيطرى، وفى عام 1939 مدرسة العلوم والهندسة، وفى عام 1940 أنشئت مدرسة الآداب. لقد ارتبطت الكلية خاصة بعد قيام القسم العالى/ المستوى الثانوى، من حيث المناهج وامتحان الشهادة الثانوية وتدريب الأساتذة وفى الكثير من النظم الدراسية، ارتبطت **بجامعة كمبردج وجامعة لندن** ببريطانيا. الشاهد أن الكلية توسعت وتطورت وأصبحت فى عام 1951 **كلية الخرطوم الجامعية**، ومع استقلال السودان عام 1956، تم تحويلها إلى **جامعة الخرطوم**، وهى الجامعة القائمة الآن. تعد **جامعة الخرطوم** أول وأعرق نموذج للأكاديميا السودانية، كما أنها أكبر الجامعات السودانية. ظلت **جامعة الخرطوم** فى بداياتها مرتبطة بتقاليد الأكاديميا البريطانية، حيث الصرامة وقواعد البحث العلمى الرصين والتقاليد العلمية الراسخة. كما ظل أساتذتها ينالون التدريب الأكاديمى الرفيع والشهادات العليا فى بريطانيا، بما يمكنهم من أداء مهامهم الأكاديمية وفقاً للمتطلبات والشروط العالمية. أيضاً، بعد استقلال السودان، فقد شهد الربع الأخير من القرن العشرين فى السودان قيام العديد من الجامعات السودانية الحكومية والأهلية والخاصة. قامت **جامعة الأحفاد**، والتى تعود نواتها الأولى كمدرسة ابتدائية إلى عام 1907، وجامعة جوبا 1965، والتى كان نواتها (مركز جوبا التدريبى) الذى تأسس فى أربعينيات القرن الماضى بعد تطوير البرنامج التدريبى الذى كان غرضه تعليم الطلاب فى الجنوب السودانى وتدريبهم وتنمية مهاراتهم. وقامت **جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا** عام 1990، بعد أن تم ترفيع معهد الكليات التكنولوجية الذى نشأ عام 1975، و**جامعة الجزيرة** عام 1975، و**جامعة إفريقيا العالمية** عام 1986 بعد تطوير **المركز الإسلامى الإفريقى** الذى نشأ عام 1979، والذى تعود نواته إلى **المركز الإسلامى الإفريقى** الذى نشأ فى عام 1977. وهكذا استمر التوسع فى الجامعات الحكومية وقامت كذلك الجامعات والكليات الأهلية والخاصة حتى بلغت اليوم ثمانن وثمانين، منها ثلاثون جامعة حكومية وثمان وخمسون جامعة وكلية أهلية وخاصة[1].

(1) "مؤسسات التعليم العالى"، من موقع **وزارة التعليم العالى والبحث العلمى**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2012/1/6، الموقع على الإنترنت: http://www.mohe.gov.sd

بداية الدراسات الأكاديمية المنظمة فى السودان

إن المجتمعات النامية فى عمـوميتها تجنح إلى المحافظة وكل جديد ينظر إليه عن باب الريبة والشك وهذه كـافية لتجـعل النشاط الأكاديمى متـحفظاً وفى بعض جـوانبه مـجارياً لما هو مـألوف مما يؤثر سلبـاً على حريـة القائمـين بأمر العـمل الأكاديمى[1].

الحاج بلال

برغم أن المؤسسات التعليمية الحديثة نشأت فى السودان مع بواكير القرن العشرين، فى كنف الحكم البريطانى، إلا أن الدراسات الأكاديميـة المنظمة لم تأتِ إلا بعد الحرب العالمية الثانية. يقول محمـد سعيد القدّال: "بعد الحرب العالمية الثانيـة بدأت الدراسات الأكاديمية المنظمـة فى أروقـة كلية الآداب (إحـدى كليـات جامـعـة الخرطوم الـيوم). واتجـهت هذه الدراسات إلى إجلاء الحقيقة عن بعض جوانب الماضى الذى عمل الاستعمار على تشويهه وطمسه"[2]. وبحكم نشأة الأكاديميا السودانية فى كنف الاستـعمار البريطانى، كان طبيعياً أن اتجهت الأكاديمـيا السودانية، والمدرسة التاريخـية السودانية، والتى سيـأتى الحديث عنها لاحقاً، إلى الغرب تتلمس أساليب البحث فيه، وتؤهل نفسها فى مؤسساته فأخذت بالمنهج التجريبى الذى سيطر على توجهات البحث الأكـاديمى فى جامعات الغـرب الرأسمالى. فـتأثرت به، وبجـوانب القـصور التى كـانت تكتنفـه. وانبـهرت بإيجـابيـاتها وسـعت إلى تجـويدها، وهو سـعى حمـيـد أرسى قواعـد ثابتـة للبـحث العلمى[3]. كانت الـدراسات الأكاديمـية تعتمـد فى سعيـها ذاك على امتلاك ناصـية البحث الأكـاديمى، والوقوف على أدواته من وثائق وأساليب كـتابة... إلخ ونشطت هذه المدرسة بعـد استقلال السـودان عام 1956، وأفرزت نتاجاً متتابعاً فى الستينيات والسبعينيات ليغطى جوانب القصور فى تاريخ البلاد[4]. ورثت الأكـاديميـا السودانـية تقـاليد الأكـاديمـيا البـريطانيـة، بيد أنهـا لم تنعم

(1) الحاج بلال، "المحددات الاجتماعية والثقافية للحرية الأكاديمية"، **كتابات سودانية**، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 51.

(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، **الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 16-17.

(3) لمرجع السابق، ص 16-17.

(4) المرجع السابق، ص 16-17.

بالاستمرار والمحافظة على تلك التقاليد، وقد تجلى ذلك بوضوح تام فى موقفها من الأستاذ محمود.

موقف الأكاديميا السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه

لقد قوبلت الفكرة الجمهورية بتجاهل كامل من قبل المثقفين السودانيين، رغم معرفتهم بها، وإهمال واضح من قبل المثقفين العرب والمصريين منهم خاصة، خوفاً من الدوائر الدينية من جهة، واستعلاء عليها دون مبرر فكرى مقنع من جهة أخرى[1].

أحمد مصطفى الحسين

تنطلق معالجتى لموقف الأكاديميا السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه من خلال عدة أسئلة: ما هو موقف الأكاديميا السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه؟ وما هو موقف أكاديمييها؟ هل كان الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود وإسهاماته فى مجال الفكر الإسلامى، والمرأة...إلخ، ميداناً للدراسات الأكاديمية أو الدراسات العليا، الدبلوم، الماجستير والدكتوراة والتى تأتى بتوجيه ومباركة وإشراف الأكاديميين؟ إلى أى مدى التزمت الأكاديميا السودانية بأهم المبادئ الأكاديمية وهو إظهار الحقيقة ونشرها، كما جاء فى المواثيق والمعاهدات والإعلانات العالمية والإقليمية والمحلية؟ إلى أى مدى كانت الأكاديميا السودانية وفيّة للشعار الذى يزين صدر أهم وأول وأعرق وأكبر جامعاتها، جامعة الخرطوم، الله، الوطن، الحقيقة والإنسانية؟ هل كانت جهود الأستاذ محمود الوطنية موضعاً للدراسة أو ميداناً للدراسات العليا؟ ما هو موقف الأكاديميا السودانية من محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام فى عام 1968 وفى عام 1985؟ هل كانت أى من المحاكمتين موضعاً للدراسة من قبل الأكاديميين أو موضعاً للدراسات الأكاديمية أو الدراسات العليا، الدبلوم، الماجستير والدكتوراة والتى جلها يأتى بتوجيه وإشراف الأكاديميين؟ وما هو موقف الأكاديميا السودانية من تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود عام 1985، هل كان الحكم موضعاً لدراسة الأكاديميين أو موضعاً لتوجيه طلابهم لدراسة المحاكمة أو تنفيذ حكم

---

(1) أحمد مصطفى الحسين، "المثقفون: الصديقية واللهبية والأستاذ محمود محمد طه"، **من موقع سودانايل**، استرجاع (Retrieved) يوم 2010/6/4، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

الإعدام؟ هل تماهت الأكـاديميا السودانية وأكـاديميوها مع الفقـهاء فى موقفـهم من الأستاذ محمـود؟ هل كانت الدراسات الأكاديميـة تشير أو تستشـهد بالأستاذ محـمود فى المجالات التى كـانت له فيـها إسـهامـات منشورة؟ هـل تضمنت قـوائم مصـادر ومراجع الدراسـات الأكاديمية إشارة للأستاذ محمود فى المجـالات التى كانت له فيها إسهامات منشورة، أم أنها خلت من الإشـارة إليه؟ الشـاهد إننى للإجـابة على هذه الأسـئلة بشـأن موقف الأكـاديميـا السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه إجابة علمية، قمت ببعض الخطوات المنهجية وهى:

أولاً: سأقدم إضاءة وإشارة موجزة عن تناول الأستـاذ محمود فى المؤتمرات الأكاديمية فى السودان، تحت عنوان: الأستاذ محمود والمؤتمرات الأكاديمية ومبدأ إظهار الحقيقة ونشرها.

ثانياً: اختـرت **جامـعة الخـرطوم** لتكون نموذجـاً لدراستى لقـراءة موقف الأكـاديميـا السودانية من الأستاذ محمود من خلال الرسائل الجـامعية (الدكتوراة والماجستير). ويرجع اختيارى لجامعة الخرطوم لعدة أسباب منها:

1- تعد **جامعة الخرطوم** أعرق الجامعات السودانية.

2- لقد بدأت الدراسات الأكاديمـية المنظمة فى السودان من **جامعة الخرطوم** وانطلقت منها.

3- كانت مـن أكثر الهـيئـات الأكاديمـية وكذلك أكـاديميـيهـا وطلابها شهـوداً على مشـروع الأستاذ مـحمود، من خـلال ما شهـدته ساحاتهـا من طرح وحوار بشأن الأسـتاذ محمود ومشروعه، وقد قاد ذلك النشاط والحوار تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته.

4- منذ نشأتها لم تأخذ **جامعة الخرطوم** بأى هوية دينية، مثل ما هو حال بعض الجامعات الأخرى، التى أخـذت بالهوية الإسلامـية فى تقديم رسـالتها ومنطـلقات خدماتـها التنويرية والبحثـية. إن شعار جامـعة الخرطوم: الله، الوطن، الحقيـقة، والإنسانية، يصنفـها فى موضع الحياد فى الرسالة وفى تقديم الخدمات التنويرية والبحثية مع الالتزام الوطنى والإنسانى.

ثالثاً: اخترت اثنان وثلاثين (32) أطروحة دكتوراه ورسالة مـاجستير جميعهـا مثبتة فى قـائمـة المصـادر والمراجع، وقـد نال بهـا الطلاب درجـات علمـيـة عليـا تحت مظلة كليـة الدراسات العليا **بجامعة الخرطوم**. وتناولت جميعها موضـوعات كان للأستاذ محمود فى

كل موضوع منها إسهامات باكرة ومنشورة. والموضوعات هى: تاريخ السودان النسياسى، وتاريخ الحركة الوطنية، والفدرالية فى السودان، المرأة، والدستور. والقضاء فى الشريعة الإسلامية، والاجتهاد فى الإسلام، ومفهوم السلام فى السودان، ومفهوم التفكير فى الإسلام، وحقوق الإنسان بين الإسلام والمواثيق الدولية...إلخ. وقد قدمها طلاب وطالبات من أقسام مختلفة من **جامعة الخرطوم** والأقسام هى: قسمى: التاريخ والدراسات الإسلامية بكلية الآداب. وقسم العلوم السياسية بكلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية. ولما كانت كل رسالة جامعية بمثابة دراسة أكاديمية يجب أن تستوفى الشروط المطلوبة، فإن اختيارى للعينة لم يراع سوى أن تكون الرسالة قد تناولت موضوعاً من الموضوعات التى كان للأستاذ محمود فيها إسهامات منشورة. امتدت الفترة الزمنية التى غطتها الرسائل الجامعية من عام 1994 وحتى العام 2011.

رابعاً: خصصت الفصل التالى لهذا الفصل، لتناول موضوع: "الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية: قراءة فى كتب مؤرخى الحركة الوطنية وكتب أخرى". اخترت تسعة عشر كتاباً (19)، منها، تسعة (9) من كتب الحركة الوطنية وتاريخ السودان السياسى وكتب فى مجالات أخرى مختلفة، وهى كتب منشورة وقد أعدها أكاديميون ومهتمون سودانيون من جامعات سودانية مختلفة وليس فقط جامعة الخرطوم، درست هذه الكتب ووقفت على كيفية معالجتها لدور الأستاذ محمود وإسهاماته.

الأستاذ محمود والمؤتمرات الأكاديمية ومبدأ إظهار الحقيقة ونشرها

إذا نظرنا إلى تاريخ السودان فيما يخص الحرية الفكرية منذ قيام أول دولة فى العصر الحديث (دولة الفونج وحتى التاريخ المعاصر)، لم نجد سوى الإعدامات الفكرية للعلماء والمفكرين- مادية أو معنوية- من قبل السلطة السياسية آخرها كان الشهيد محمود محمد طه(1).

عثمان سراج الدين فتح الرحمن

---

(1) عثمان سراج الدين فتح الرحمن، "الحرية الأكاديمية بالمؤسسات الجامعية السودانية- وقائع ومشاهدات"، **كتابات سودانية**، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 61. أشار عثمان فى دراسته إلى أنه أستند فى النص أعلاه على الأكاديمى محمد المهدى بشرى، بما يفيد أن القائل هو محمد المهدى بشرى.

برغم أن إظهار الحقيقة ونشرها يعد أحد أهم المبادئ التى نصت عليها مواثيق ومعاهدات الجامعات فى العالم، وبرغم أن الحقيقة هى إحدى المفردات الأربع المكونة لشعار جامعة الخرطوم، وبرغم ضخامة وتنوع الإسهامات الوطنية والإنسانية والفكرية للأستاذ محمود وتلاميذه، فإنه حتى تاريخ اليوم، على حد علمى، لم تنظم جامعة الخرطوم، نموذج دراستى، أو أى هيئة أكاديمية فى السودان مؤتمراً أو ندوة أو ملتقى للمدارسة بشأن الأستاذ محمود ومشروعه. أكثر من ذلك فإن جل المؤتمرات والملتقيات التى تعقد فى الهيئات الأكاديمية السودانية عن الموضوعات والتى كان للأستاذ محمود إسهامات باكرة فيها ومنشورة مثل: الإسلام والفكر الإسلامى والمرأة والحركة الوطنية... إلخ فإنها (أى المؤتمرات والملتقيات) خلت من أى ورقة تتناول الأستاذ محمود أو مشروعه[1]، والنماذج على ذلك كثيرة ولا حصر لها، منها (مجرد مثال فقط): **المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف فى السودان**، الذى عقدته كلية الآداب والدراسات الإنسانية بجامعة دنقلا. تهيكل المؤتمر فى ثلاثة محاور هى: الدراسات الفكرية والنظرية، والدراسات الاجتماعية والثقافية، والدراسات الفلسفية والتطبيقية، وتحت هذه المحاور قدمت خمس عشرة ورقة علمية من أكاديميين سودانيين من جامعات مختلفة، وقد نشرت أوراق المؤتمر وتوصياته، وقد وصفه المحرر فى مقدمته بأنه: "المؤتمر الأكاديمى العلمى"[2]. وبالطبع فإن عدم الإشارة للأستاذ محمود ومشروعه فى مؤتمر أكاديمى يتناول التصوف، من خلال ورقة علمية فيه فإن هذا إقصاء لا يستقيم مع مبادئ الجامعات ومواثيقها، حيث البحث عن الحقيقة وإظهارها ونشرها. خاصة إذا علمنا أن الجمهوريين هم امتداد للصوفية، مع تمايز فى الوسائل والغايات. لقد وردت الإشارة آنفاً لعلاقة الفكرة الجمهورية بالصوفية فى الفصل الأول. لم تقدم ورقة فى المؤتمر عن الأستاذ محمود أو مشروعه، ولم ترد أى إشارة لأى كتاب من كتب الأستاذ محمود أو كتب الجمهوريين فى أى قائمة من

---

(1) بالطبع هناك استثناءات وهى قليلة ومنها **جامعة الأحفاد للبنات**. فقد ضمت بعض أعداد دوريات جامعة الأحفاد للبنات أوراقاً علمية تناولت الأستاذ محمود ومشروعه. مثال: تضمن العدد رقم (23): Ahfad Journal, Vol. 23, No. 2, December 2006, Omdurman ورقة عن الأخوات الجمهوريات، وقد وردت الإشارة إليها آنفاً.

(2) نصر الدين سليمان على فضل الله (تحرير)، **دراسات فكرية فى التصوف بالسودان: أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف فى السودان**، ط1، دار عزة للنشر والتوزيع، 2007.

قوائم مصادر ومراجع الأوراق الخمس عشرة التى قدمت فى المؤتمر. هنا الأمر لا يتصل بالتجاهل والتغييب فحسب؛ وإنما يتصل فى الأصل بالإجماع غير المعلن فى الموقف من الأستاذ محمود ومشروعه. هل الأكاديميا فى أى بلد معنية باتخاذ موقف من مشروع فكرى أو طرح سياسى؟ لا أعتقد ذلك، بل الأكاديميا فى واقع الأمر معنية بتصحيح المواقف إن كانت هناك مواقف، وإظهار الحقيقة ونشرها.

مثال آخر لمؤتمر أكاديمى يعبر بوضوح عن موقف الأكاديميا السودانية من الأستاذ محمود. لقد شارك أكثر من مائتين من الباحثين يمثلون أكثر من أربعين قطراً إفريقياً وغير إفريقى فى مؤتمر كان بعنوان، **المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا**. جاء المؤتمر بمبادرة من **جامعة إفريقيا العالمية**، الخرطوم/ السودان، وعقد فى قاعة الصداقة فى الخرطوم، خلال الفترة 26-27 نوفمبر 2006[1]، بمناسبة ذكرى مرور أربعة قرون على دخول الإسلام فى إفريقيا[2]. كان المؤتمر مؤتمراً ضخماً وقد نشرت أعماله فى ثلاثة عشر كتاباً، يقع كل كتاب منها فى نحو (660) صفحة كمتوسط (بعض الكتب زاد عدد صفحاتها عن ذلك وبعضها كان أقل بقليل من هذا الرقم)، من القطع المتوسط. ناقش المؤتمر قضايا عديدة من خلال محاور مختلفة يصعب استعراضها فى هذه المساحة الضيقة، تناولت أوراق المؤتمر دخول الإسلام وانتشاره فى إفريقيا، والتصوف فى إفريقيا دوره ومنهجه فى نشر الإسلام... إلخ، ودور الصوفية فى مقاومة الاستعمار فى إفريقيا، كما قدمت أوراق فى دراسة شخصيات إسلامية وزعماء إصلاح، درست مشاريعهم وأدوارهم... إلخ، وتناولت بعض الأوراق الحركات الإسلامية فى إفريقيا، وقدمت أوراق فى تحرير المرأة من منظور إسلامى... إلخ. إن الدارس لمشروع الأستاذ محمود، والباحث فى إسهاماته المنشورة فى الإصلاح وتحرير المرأة وفى مناهضة الاستعمار فى السودان،... إلخ مما وردت الإشارة إليه فى الفصلين الأول والرابع وغيرهما، يتوقع أن مؤتمراً مثل هذا أن تكون فيه بعض الأوراق التى تتناول الأستاذ محمود ومشروعه ودور الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات. الشاهد أن

(1) "التوصيات الختامية لمؤتمر الإسلام فى إفريقيا"، **المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا**، 26-27 نوفمبر 2006، أوراق المؤتمر: الكتاب الثالث عشر، **جامعة إفريقيا العالمية**، الخرطوم، ص 659.

(2) "فاتحة وتصدير"، **المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا**، 26-27 نوفمبر 2006، أوراق المؤتمر: الكتاب الأول، **جامعة إفريقيا العالمية**، الخرطوم، ص 1.

هذا لم يحدث، بل حينما جاء الكتاب الأول للمؤتمر محتوياً على قائمة ببليوغرافية مختارة وترصد قدراً غير يسير من مصادر ومراجع دراسة الإسلام فى إفريقيا من كل أنحاء إفريقيا، وأوردت القائمة 137 كتاباً من السودان عن الإسلام[1]، لم يكن من بينها الأستاذ محمود. معلوم أن إسهامات الأستاذ محمود عن الإسلام كانت باكرة ومنشورة. كتب حسن مكى قائلاً: "لم يعرف فى تاريخ السودان المعاصر من كَتَبَ فى مجالات الفكر والثقافة والحضارة إلا صفوة الصفوة مثل: (جمال محمد أحمد، محمد أحمد المحجوب، منصور خالد، محمد عمر بشير، أبو القاسم حاج حمد...) حيث طغت روح الفكر العلمانى على توجهات هذا النفر وانعدمت محاولات التأصيل وضاعت الكينونة والهوية الإسلامية... كما نبغ عدد من السودانيين فى مجالات القصة والأدب والشعر (محمد المهدى مجذوب، الطيب صالح، مصطفى سند...إلخ).. وقد اهتمت طائفة من الكتاب السودانيين بدراسة جوانب الحضارة الإسلامية فى السودان (د. يوسف فضل، د. محمد إبراهيم أبوسليم، د. عبدالله الطيب، د. عون الشريف قاسم، د. مدثر عبدالرحيم)، إلا أن التجويد الأكاديمى طغى على كتاباتهم كما تحاشوا الكتابة من موقع الدعوة والالتزام"[2]. ثم اتبع ذلك قائلاً عن قلم الأستاذ محمود: "وبدا كأنما القلم المتميز الوحيد الذى دأب على الانطلاق من موقع الالتزام هو قلم محمود محمد طه"[3].

أيضاً، لم يجد تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، والذى كان بسبب غياب حرية الفكر، اهتماماً يذكر من الأكاديميا السودانية. فعلى الرغم من التنوع الدينى فى السودان حيث: الإسلام والمسيحية وكريم المعتقدات الأفريقية، وتنوع كل دين من هذه الأديان فى داخله، فإن السودان هو البلد الوحيد فى العالم، ربما لمدى قرون، الذى أُعدم فيه مفكر إسلامى بسبب غياب حرية الفكر، وهو الأستاذ محمود[4]، على الرغم من ذلك لم يعقد

---

(1) عبد القيوم عبد الحليم، "مقدمه منهجية"، **الإسلام فى إفريقيا: ببليوغرافيا مختارة، المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا**، 26-27 نوفمبر 2006، أوراق المؤتمر: الكتاب الثالث عشر، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ص154-67.

(2) حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان** 1969-1985: **تاريخها وخطابها السياسى**، مرجع سابق، ص175-176.

(3) المصدر السابق، ص175-176.

(4) عبدالله الفكى البشير، "الإخفاق فى إدارة التنوُّع"، **انفصال جنوب السودان: المخاطر والفرص**، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2012، ص 65-112.

أى ملتقى أو مؤتمر أكاديمى لدراسة موضوع حكم الإعدام وتنفيذه وأسبابه وأبعاده وآثاره. فقد تناساه الأكاديميون، كما نسيته الهيئات الأكاديمية، برغم ما تحمله ذاكرة جامعة الخرطوم من شهادة تاريخية بشأن مشروع الأستاذ محمود، ذلك لأن سوحها كانت ميداناً للجدل والسجال عبر آلية حوار غدت معلومة لكل أستاذ أو طالب جاء إلى جامعة الخرطوم دارساً أو عابراً، وهى أركان النقاش، حيث السجال المفتوح فى ساحات نشاط الطلاب فى الجامعة. لقد ابتدع تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته فكرة أركان النقاش فى **جامعة الخرطوم** (أركان النقاش التى تعطى الرأى والرأى الآخر مساحة ليدلى برأيه فى ما يقال)، ثم عبروا بتلك الفكرة إلى جامعات أخرى وإلى الطرقات والميادين العامة والحدائق ودور العلم والأحياء، وسيأتى الحديث عن ذلك لاحقاً. بدأ تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته ذلك النشاط فى **جامعة الخرطوم** فى نهاية الستينيات وتوسع بكثافة فى السبعينيات والثمانينيات وظل حتى تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير عام 1985. ومما لا شك فيه أن طلاب تلك الفترة هم أكاديميو اليوم، لهذا فإننا نتوقع أنه قد بلغهم خبر مشروع الأستاذ محمود بل أنهم يعلمون الكثير عنه.

من المهم الإشارة إلى البيان الذى أصدرته الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم بتاريخ 1985/1/10، والذى أدانت فيه حكم الإعدام وأعلنت فيه وقوفها إلى جانب حق الأستاذ محمود محمد طه فى حرية الرأى والفكر، (أنظر ملحق رقم: "50"). ومن المهم الإشارة لمذكرة نقابة المحامين السودانيين إلى رئيس الجمهورية، (أنظر ملحق رقم: "51"). ومن المهم أيضاً الإشارة إلى المذكرةالتى رفعها عبد الله على إبراهيم إلى الناخبين الخريجين فى العاصمة القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة فى القانون الجنائى، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفى طه الكباشى، قاضى محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالمملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب إيذائه مخالفيه فى الرأى. وكان عبدالله آنئذ أستاذاً جامعياً يعمل **بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم**، (أنظر ملحق رقم "54"). ومن المهم الإشارة أيضاً، أن هناك عدداً من الأكاديميين قد أعدوا دراسات ونشروها عن الأستاذ محمود ومشروعه. كما أشرف بعض الأكاديميين على عدد قليل من الطلاب الذين نالوا

الدرجات العليا: الدبلوم العالى/ وبحوث التخرج بمرتبة الشرف والماجستير والدكتوراة، وكانت موضوعات دراساتهم فى مشروع الأستاذ محمود. وقد وردت الإشارة لبعض تلك الدراسات ضمن هذا الكتاب. ومن الأكاديميين من سكب ذاته شعراً فى مناصرة الأستاذ محمود وتمجيد مواقفه ورفض الذل وهدر الكرامة ومصادرة حرية الرأى والفكر، وقد وردت الإشارة لبعضهم(1). وجدير بالذكر أيضاً، أن كثيراً من الأكاديميين لهم موقف إيجابى من الأستاذ محمود ومشروعه، وقد عبروا عن إيجابية موقفهم ضمن حوارات صحفية وأحاديث إذاعية وتلفزيونية، وقد وردت الإشارة لبعض النماذج، وسترد لبعض آخر، بيد أنهم لم يعبروا عن مواقفهم من خلال إعداد الدراسات الأكاديمية أو نشر شهاداتهم. أيضاً، هناك أكاديميون على الرغم من مواقفهم الإيجابية من الأستاذ محمود إلا أنهم لم يعدوا دراسات أكاديمية ولم يعبروا كذلك عن تلك المواقف، بينما احتفظ بعضهم بصلات قوية بتلاميذ الأستاذ محمود. من المهم الإشارة أيضاً، إلى أن معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم وعن طريق المؤرخ يوسف فضل حسن قدم منحة لأحد تلاميذ الأستاذ محمود وهو خالد الحاج عبدالمحمود لنيل درجة الماجستير يكون موضوعها الفكرة الجمهورية، كان ذلك فى حوالى عام 1978 (تقريباً)(2). وبعد أن ناقش خالد الحاج عبدالمحمود فكرة البحث ووضع الترتيبات الأولية مع المشرف يوسف فضل حسن، تم توقيف المشروع من قبل وزارة التربية والتعليم(3). أيضاً، لا بد من التذكير بأن جامعة الخرطوم شهدت أكبر احتفال بالأستاذ محمود، وذلك بعد تنفيذ حكم الأعدام عام 1985، وقد وردت الإشارة إلى ذلك.

لقد وردت الإشارة آنفاً **لمركز الدراسات السودانية** بما ظل يقوم به من جهود من ندوات وإصدارات بشأن الأستاذ محمود ومشروعه. كذلك كانت هناك إسهامات مقدرة من

---

(1) يمكن الاطلاع على أشعار بعض الأكاديميين ضمن قائمة طويلة من الشعراء السودانيين الذين مجدوا مواقف الأستاذ محمود فى **موقع الفكرة الجمهورية** على شبكة الإنترنت: http://www.alfikra.org

(2) مقابلة مع خالد الحاج عبدالمحمود، كانت المقابلة بالهاتف، خالد بمدينة رفاعة فى السودان، والمؤلف فى الدوحة، 2013/1/5، الساعة: 14:00.

(3) أفادنى خالد الحاج عبد المحمود فى المقابلة بأن أسباب توقيف المشروع، ومن خلال الوقائع والقرائن وبما لمسه آنئذ فإن التوقيف كان بتدخل مباشر من الإخوان المسلمين.

مراكز ومؤسسات محلية باحياء الذكرى السنوية لاغتيال الأستاذ محمود من خلال تنظيم المحاضرات وعقد الندوات، ومنها: **مركز الخاتم عدلان للإستنارة والتنمية البشرية**، الذى قدم العديد من الندوات والمحاضرات وأتاح الفرصة للكثير من المتحدثين ليتحدثوا عن مشروع الأستاذ محمود. كذلك ساهم **مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، ومكتبة البشير الريح**، عبر الاحتفاء بذكرى اغتيال الأستاذ محمود.

أيضاً، ظل **اتحاد الكتاب السودانيين**، فى تفاعل مستمر مع الأستاذ محمود ومشروعه، والاحتفاء بمواقفه. فقد أقام الاتحاد احتفاءً كبيراً فى الخرطوم بمناسبة اعلان المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية الذى صدر فى يوم 1986/11/18، ببطلان الحُكم فى حق الأستاذ محمود من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف، شارك فى الاحتفال عدد كبير من المثقفين السودانيين وبعض المثقفين المصريين منهم: خليل عبدالكريم ومحمد نور فرحان[1]. كما ظل الاتحاد يتفاعل مع الأستاذ محمود سواء بالإشارة لمواقفه وانجازاته أو بالتناول لبعض جوانب مشروعه فى إصدارات الاتحاد، خاصة دوريته المسماه **كرامة**. إلى جانب ذلك فإن الاتحاد قام بإحياء الذكرى الثالثة والعشرين لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه، فى مؤتمره العام الثانى فى يناير 2008، بالتعاون مع مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى بأُمدرمان. وقد قدمت العديد من الأوراق العلمية والكلمات، وغيرها من النشاطات.

كذلك، لم تكن الصحف اليومية بعيدة من أحياء الذكرى السنوية للأستاذ محمود والاحتفاء به من خلال استنطاق المثقفين والتفاكر بشأن الأمر من جوانب مختلفة، فقد قامت بذلك **صحيفة الأيام** يناير 1986، وكذلك أقامت **صحيفة الصحافة** بالتعاون مع اللجنة القومية للإحتفاء بالأستاذ محمود محمد طه ندوة فى يوم 19 يناير 1986. من الصحف التى ظلت تحتفى بالأستاذ محمود وتفتح أبوابها للكتابة عنه، **صحيفة الحرية، وصحيفة الأحداث، وصحيفة أجراس الحرية**، وغيرها. هذه مجرد نماذج فقط.

(1) مقابلة مع كمال الجزولى، الأمين العام **لاتحاد الكتاب السودانيين**، تمت المقابلة فى الخرطوم، فى يوم 4 يونيو 2013، الساعة 16:30.

قراءة فى الرسائل الجامعية (نماذج: دكتوراه وماچستير)
الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية ومبدأ إظهار الحقيقة ونشرها

عارف محمود دا

لو كان فى بلد

غير هاذا السودان

كان توجوه ملك

وكان عمدوه امام

محمود جنا طه

ملك وملكه علم

وفقير وفقره علم

ويمين .. يمين الله

لو عندى إيد لاحقه

أديه تاج الرجال

وابنيلو فى الخرتوم

فوق البحر تمثال (1)

سيد أحمد الحاردلو (1940-2012)

سأقف على بعض النماذج لأقدم إضاءات وإشارات موجزة، وتناول مجمل دون تفصيل وتحليل واسع، نسبة لكثرة عدد النماج وباعتبار ضيق المساحة، إلى جانب أن الإشارات فى تقديرى تكفى. فقد وردت الإشارة إلى أن الأكاديميا السودانية ظلت مقاطعة لمشروع الأستاذ محمود، وكذلك جل الأكاديميين السودانيين، فإنهم لا يوجهون

---

(1) سيد أحمد الحاردلو ، "محمود جنا طه"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، 1975، كنشاسا. المصدر: **موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retreived) بتاريخ 16 أغسطس 2011، الموقع على شبكة الإنترنت، www.alfikra.org.

طلاب الدراسات العليا لدراسة مشروع الأستاذ محمود ومواقفه. وفى هذا المحور سأقف على أطروحات جامعية تناولت موضوعات كان للأستاذ محمود فيها إسهامات باكرة ومنشورة، لا تخطئها العين ولا يمكن تجاوزها فبعضها لم يكن مسبوقاً فى السودان، فهل تمت الإشارة إليها؟ وهل تضمنت قوائم مصادر ومراجع الأطروحات أى كتاب من كتب الأستاذ محمود أو بياناته أو مناشيره...إلخ؟ سأحاول الإجابة على هذه الأسئلة من خلال تناولى لهذه النماذج حسب الموضوعات.

الفدرالية والتنمية والتعليم فى السودان

*الدعوة للفيدرالية جاهر بها فى الشمال قبل نصف قرن (ديسمبر 1955) الأستاذ محمود محمد طه فى كتاب عنوانه: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**[1].*

منصور خالد

فى أىّ مجتمع من المجتمعات الحديثة ليست هناك دراسات معنية بإبراز الكتابات الباكرة فى ذلك المجتمع التى تناولت موضوعاً ما، ومعنية بالاحتفاء بها وبحث دورها فى تطور ذلك الموضوع، ودراستها فى ظل المعطيات المحلية آنئذ، ومقارنتها بما كتب عن الموضوع فى أماكن أخرى، مثل ما معنية به الدراسات الأكاديمية. كان الأستاذ محمود هو أول من كتب كتاباً عن الفدرالية فى السودان. كان ذلك فى عام 1955، قبل اعلان استقلال السودان رسمياً والذى جاء فى غرة يناير 1956. كان الكتاب، وقد وردت الإشارة إليه آنفاً، بعنوان: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، ولما كان الأستاذ محمود صاحب منهج خاص فى التبليغ والتوثيق باستخدام أدوات المثقف، كما ورد آنفاً فى الفصل الأول، فقد نشر كتابه هذا، بل طبع الكتاب أكثر من ثلاث طبعات. أكثر من ذلك، فقد جاءت الإعلانات عنه فى الصحف السودانية. ففى **صحيفة الأيام**، بتاريخ 3 ديسمبر 1968 نشر إعلان بارز وبمساحة هى (5x4 بوصات)، وجاء فى

(1) منصور خالد، **جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى**، مرجع سابق، ص 330.

أعلى الإعلان[1]: "صدر الآن كتاب الأستاذ محمود محمد طه: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**".

لقد وقف الأستاذ محمود باكراً على قضية أهل شرق السودان، كما وردت الإشارة آنفاً فى الفصل الرابع، الذى تناول: "دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطينة"، ففى مقال نشره فى يوم 18 أكتوبر 1958، خصص الأستاذ محمود مساحة من مقاله للحديث عن مشكلة أهل الشرق بعنوان جانبى باسم: "مؤتمر البجة"[2]. وتحدث الأستاذ محمود عن أنه من الداعين للاتحادات الفدرالية لجميع مناطق السودان لأن الحكم المركزى لن يستطيع أن يطور هذه المناطق بالسرعة اللازمة ولأن اختلاف هذه المناطق يجعل التشريع المركزى الموحد غير صالح لإدارتها. كما تحدث الأستاذ محمود عن أن الناس لا يمكن أن يتعلموا المسؤولية إلا بمباشرتها، ولا يمكن أن يتعلموا الحرية إلا بممارستها، وأن الحكومة يجب أن تعينهم لا أن تتولى عنهم حل مشاكلهم. السؤال على ضوء ما تقدم، هل يمكن لأكاديميا تقوم مبادؤها على إظهار الحقيقة ونشرها، أن تتجاوز إنتاجاً فكرياً باكراً وغير مسبوق عن الفيدرالية، على نحو الذى جاء به الأستاذ محمود عام 1955، وهى تتناول التجربة الفيدرالية فى السودان بدراسات تمنح بموجبها الدرجات العليا: الماجستير والدكتوراة؟

لقد وقفت على رسالتين للماجستير بشأن هذا الموضوع، موضوع الفدرالية، الرسالة الأولى كانت بعنوان: **التجربة الفيدرالية فى السودان: بالتركيز على دراسة ولايتى الخرطوم وغرب كردفان**[3]. تناول الفصل الأول: "الفيدرالية فى الفكر والممارسة"، وتحدث عن تعريف الفيدرالية وخصائص النظام الفيدرالى وتطور الفكر الفيدرالى... إلخ، ووقف الفصل الثانى على: "أنظمة الحكم والإدارة فى السودان (فى الفترة من 1821 إلى يونيو 1989)"،

---

(1) "صدر الآن كتاب الأستاذ محمود محمد طه: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**"، (إعلان)، **صحيفة الأيام**، العدد: 5515، الثلاثاء 3 ديسمبر 1968.

(2) محمود محمد طه، "نظرات فى السياسة الداخلية والخارجية"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 164، 18 أكتوبر 1958.

(3) حسن حامد حسين مشيكة، **التجربة الفيدرالية فى السودان: بالتركيز على دراسة ولايتى الخرطوم وغرب كردفان**، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2001، (بحث غير منشور).

وتناول الفصل الثالث: "الفيدرالية فى السودان: البداية والأبعاد"، وتحدث عن الدستور والحكم الفيدرالى... إلخ، ثم تناول الفصل الرابع: "تجربة ولاية الخرطوم"، والفصل الخامس: "تجربةولاية غرب كردفان"، والفصل السادس: "مستقبل الفيدرالية فى السودان".

أما رسالة الماجستير الثانية فكانت بعنوان: **الفيدرالية والتنمية فى السودان: تجربة ولاية النيل الأبيض** 1991-2001[1]. كان الفصل الأول هو المقدمة، وتناول الفصل الثانى: "الفيدرالية المفاهيم والنظريات المتباينة"، وقد تحدث الفصل عن تعريف المركزية، والفيدرالية، وتعريف مفهوم الكونفيدرالية، وخصائص الدولة الفيدرالية، ووقف الفصل الثالث عند: "تطور الإدارة والحكم فى السودان فى الفترة ما بين 1821-1989"، وتناول الفصل الرابع: "سياسات ومؤسسات الحكم الاتحادى 1989-1999، والفصل الخامس: ولاية النيل الأبيض، وخصص الفصل السادس للتحليل والتقييم. الشاهد أنه على الرغم من المساهمة الباكرة للأستاذ محمود عن الفيدرالية، قد خلت قائمة المصادر والمراجع فى الرسالتين من الإشارة للأستاذ محمود أو لكتابه آنف الذكر عن الفيدرالية والذى صدر عام 1955، وهذا أمر يدعو للدهشة والاستغراب. فهل يعود الأمر إلى ضعف فى الاطلاع والبحث عن المعلومات فى مظانها الأمر الذى لم يتمكن معه الطالب من الوقوف على كتاب الأستاذ محمود؟ أم أن هناك خوفاً من السلطة الدينية، الفقهاء، أو سلطة المجتمع؟ أم أن هناك صمتاً جماعياً باتفاق وتحالفاً غير مكتوب؟ الأمر يتطلب منا البحث والتنقيب بشكل أوسع فالكتاب منشور ومتوفر فى دار الوثائق القومية السودانية وبمكتبة السودان بجامعة الخرطوم. أيضاً كتب الأستاذ محمود عن التنمية كثيراً وباكراً، فقد وردت الإشارة لكتاب: **قل هذه سبيلى** والذى صدر عام 1952، الذى ورد فيه تناول **للاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**. كما نشر الأستاذ محمود فى عام 1974 كتاب: **الدين والتنمية الاجتماعية**[2]، وتناول فيه ماهية التنمية الاجتماعية وأغراضها، وتحدث عن التنمية الاقتصادية، وتناول البيئة ومظهرها المادى والحقيقى والروحى، وتحدث عن كيف أن التنمية الاجتماعية محاولة

(1) ندى محمد حسين على الشامى، **الفيدرالية والتنمية فى السودان: تجربة ولاية النيل الأبيض** 1991-2001، (رسالة ماجستير)، إشراف عطا الحسن البطحانى، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2002، (بحث غير منشور).
(2) محمود محمد طه، **الدين والتنمية الاجتماعية**، ط1، أمدرمان، 1974.

للسلام، وتحدث عن علاقة التنمية الاجتماعية بالحرية، وتناول التنمية والوحدة السياسية والوحدة الجغرافية والوحدة القومية. إلى جانب ذلك فهناك العديد من المصادر التى تشير للكتاب، بل هناك كتابات عديدة للأستاذ محمود فى الصحف السودانية منذ خمسينيات القرن الماضى تشير لكتابه وتشير لكتابات أخرى للأستاذ محمود بشأن الفيدرالية، وقد أوردتُ بعضها فى الفصل الأول وكذلك فى الفصل الرابع، والذى تناول "دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية" فى هذا الكتاب. مهما يكن الأمر فإن عدم الإشارة لكتاب الأستاذ محمود وكتاباته الأخرى، على أقل تقدير تثير الكثير من التساؤلات والاستفهامات.

أيضاً كان التعليم من الموضوعات التى أولاها الأستاذ محمود عناية خاصة واهتماماً كبيراً، ونشر عن التعليم منذ أربعينيات القرن الماضى. فبالإضافة لما وردت الإشارة إليه، فقد نشر الأستاذ محمود فى يوم 27 يناير 1951 مقالاً بعنوان: "بين السياسة والعلم أيضاً أحمد السيد لطفى السيد"[1]، وهو تعقيب على كلمة كتبها السيد لطفى تحت عنوان: "التربية بين السياسة والعلم". كما أرسل الأستاذ محمود فى 1953 خطاباً إلى مدير عام **منظمة اليونسكو**[2]، وتناول فيه التعليم الجديد وإعداد إنسان حر يعيش فى مجتمع عالمى...إلخ. كما كتب الأستاذ محمود مقالاً بعنوان: "مشاكل التربية الأساسية فى الشرق الأوسط"[3]، تعقيباً على جاك بيرل أستاذ علم الاجتماع **بجامعة السوربون**، ونشر المقال فى **جريدة السودان الجديد** بتاريخ 1957/9/12. وكتب الأستاذ محمود"خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"[4]، فى يوم 1958/12/24، كتب الأستاذ محمود فى ذلك الخطاب قائلاً: "إن مناهج التعليم التى نرسمها يجب، قبل كل شىء، أن تهدف الى تعليم الطالب كيف يعلم نفسه، وكيف يكلف بمواصلة هذا التعليم، طوال حياته - التعليم الذاتى.... فإن نحن استطعنا أن نعطيه، فى التعليم النظامى الذى تقيمه الحكومات

---

(1) محمود محمد طه، "بين السياسة والعلم أيضاً أحمد السيد لطفى السيد"، **جريدة الشعب**، 27 يناير 1951.

(2) محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: خطاب إلى الدكتور توريز بوديت، مدير عام منظمة اليونسكو"، **الكتاب الأول من رسائل ومقالات**، أمدرمان، 1973، ص 37-30.

(3) محمود محمد طه، "مشاكل التربية الأساسية فى الشرق الأوسط"، **جريدة السودان الجديد** بتاريخ 1957/9/12.

(4) محمود محمد طه، "خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، بتاريخ 1958/12/24، مصدر سابق ، ص 7-10.

المتمدينة، الأسلوب العلمى الذى به يستطيع أن يعلم نفسه فقد أعددناه للحياة الإعداد المطلوب". كما صدرت منشورات وكتب مختلفة عن **التعليم**[1] فى مناسبات عديدة، يمكن الوقوف عليها فى موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت. كما أصدر الأستاذ محمود كتاب: **الثورة الثقافية**، وقدكتب الأستاذ محمود فى مقدمته قائلاً: "هذا كتاب عن **الثورة الثقافية**، نخرجه للناس، ونستهدف به إحداث التغيير الجذرى - فى حياة الأفراد والجماعات، وذلك عن طريق إعادة التعليم - إعادة تعليم المتعلمين، وغير المتعلمين..."[2]. الشاهد أن معظم كتابات الأستاذ محمود لا تخلو من حديث عن التعليم، وإن كان هناك شىء يميز آراء الأستاذ محمود فى التعليم فأنها آراء جديدة وأصيلة وذات طبيعة نقدية ورؤية شاملة، برغم ذلك فإن جل الرسائل الجامعية التى تناولت التعليم أغفلت الإشارة إلى الأستاذ محمود، مثال: رسالة ماجستير كانت بعنوان: **التعليم والتنمية فى السودان** 1970-1990[3]. وقد وردت آنفاً الإشارة للكتابات الباكرة للأستاذ محمود عن التنمية.

خطاب عبدالناصر والقومية العربية

سيادة الأخ جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر، تحية مباركة... إنا نرجو أن نقترح عليك الآتى: أن تترك التدخل فى شؤون البلاد العربية -التدخل بجميع صوره- الإذاعة والصحف والرشوة - وذلك لأنه ليس لديك ما تعطيه أيا من هذه الدول وما تزيدها بتدخلك فى شؤونها غير تخسير. أن تنفض يدك فوراً من الدعوة الباطلة- دعوة القومية العربية-..[4]

محمود محمد طه، فى يوم 18 أغسطس 1958

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **التعليم**، المنشور الثانى بمناسبة عام الطفل العالمى 1976، ط1، 1976.

(2) محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، مصدر سابق، ص 1.

(3) محمد حمدنا الله عبدالحافظ، **التعليم والتنمية فى السودان** 1970-1990، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، شعبة العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

(4) محمود محمد طه، "الحزب الجمهورى يرسل خطاباً لجمال عبدالناصر: الشرق الأوسط، عظم النزاع، الشيوعية الدولية والاستعمار الغربى، دور الثورة المصرية فى تعجيل بلشفة العالم"، 18 أغسطس 1958. المصدر: **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 155، بتاريخ 1958/8/30.

إن الدارس للمواجهة التى قادها الأستاذ محمود ضد الرئيس جمال عبدالناصر، وضد خطابه السياسى ودعوته للقومية العربية، عبر ما نشره الأستاذ محمود من كتب وبيانات ومقالات، يدرك تماماً بأن أى دراسة أكاديمية فى السودان تتناول عبدالناصر وخطابه، ليس لها أن تشير للأستاذ محمود فحسب؛ وإنما لا بد من تخصيص محور ضمن الرسالة الأكاديمية إن لم يكن فصلاً كاملاً، عن مواجهة الأستاذ محمود للرئيس عبد الناصر ودعوته للقومية. بيد أن الأمر لم يكن كذلك فى الأكاديميا السودانية، برغم المواجهة القوية والمستمرة التى قادها الأستاذ محمود. لقد بعث الأستاذ محمود بخطابين إلى الرئيس جمال عبدالناصر، الخطاب الأول (613 كلمة) بتاريخ 3 سبتمبر 1955، وقد نشر فى **صحيفة الاستقلال**[1]، (أنظر ملحق رقم "32"). والخطاب الثانى (3018 كلمة) كان بتاريخ 18 أغسطس 1958، وقد وقفت على الخطاب منشوراً فى **صحيفة أنباء السودان**[2].أيضاً، نشر الأستاذ محمود كتابين، تضمنا نقداً لعبدالناصر وخطابه ودعوته للقومية العربية. الكتاب الأول بعنوان: **التحدى الذى يواجه العرب**[3]، والكتاب الثانى بعنوان: **مُشكلة الشّرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**[4]. نشر الكتابان فى طبعتهما الأولى عام 1967 فى مناخ وأيام إنعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم (8/29 - 1967/9/1)، الذى ضم إلى جانب رئيس الوزراء السودانى محمد أحمد المحجوب، كلاً من الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود (1906-1975). وقد عُرف المؤتمر بمؤتمر اللاءات الثلاثة (لا صلح لا اعتراف ولا تفاوض مع إسرائيل). وقد أعيد نشر الكتابين مرات عديده آخرها كان فى عام 2009[5]. هذا إلى جانب البيانات والمناشير التى نشرها الأستاذ محمود فى مواجهة عبدالناصر ودعوته

---

(1) محمود محمد طه، "من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر"، **صحيفة الاستقلال**، العدد: 81، بتاريخ 1955/9/3.

(2) محمود محمد طه، "عوامل جديدة فى المحيط السياسى: رسالة إلى جمال عبدالناصر"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 155، بتاريخ 1958/8/30.

(3) محمود محمد طه، **التحدى الذى يواجه العرب**، مصدر سابق.

(4) محمود محمد طه، **مُشكلة الشّرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

(5) محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

للقومية العربية، والمقالات التى كتبها فى نقد القومية العربية، وكلها متوفرة بدار الوثائق القومية. وكذلك الكتابات الباكرة التى كتبها تلاميذ الأستاذ محمود، لا سيما تلميذه عبداللطيف عمر حسب الله. لقد كتب عبداللطيف العديد من المقالات المنشورة فى الصحف السودانية من تلك المقالات (مجرد مثال): مقال نشر بتاريخ 1958/10/18 ونشر بصحيفة أنباء السودان، وكان بعنوان: "حول: الخطوه التالية لعبد الناصر هى السودان"[1] وغيره. سيرد لاحقاً ضمن الفصل العاشر، والذى يتناول: "الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبدالناصر ومحكمة الردة 1968، حديثاً موسعاً عن مواجهة الأستاذ محمود للرئيس عبدالناصر وللقومية العربية، وتفصيلاً فى رؤية الأستاذ محمود للصراع مع إسرائيل وحديثاً عن السلام كطريق لحل مشكلة الشرق الأوسط.

برغم ذلك فإن الدراسات الأكاديمية التى تناولت عبد الناصر وخطابه والقومية العربية، والتى وقفتُ عليها **بجامعة الخرطوم** قد خلت قوائم مصادرها ومراجعها من إشارة للأستاذ محمود، دعك من أن يكون هناك محور أو فصل عن مواجهة الأستاذ محمود لعبد الناصر وخطابه القومى، أو تكون هناك رسالة ماجستير أو دكتوراه تتناول إسهامات الأستاذ محمود. والدراسات التى خلت من الإشارة للأستاذ محمود كثيرة منها رسالة ماجستير بعنوان: **تأثير الدين فى خطاب عبد الناصر القومى**[2]. وقد تهيكلت الرسالة بالإضافة للمقدمات والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع فى خمسة فصول وقف الفصل الأول عند: "الدراسات السابقة والاطار النظرى"، وتناول الفصل الثانى: "ظهور القومية العربية وعلاقاتها بالإسلام"، ودرس الفصل الثالث: "عبد الناصر والقومية العربية"، وعالج الفصل الرابع: "عبد الناصر والقوى الدينية"، وتناول الفصل الخامس: "تأثير الدين فى خطاب عبد الناصر". أيضاً ليس بعيداً من هذا الدراسات الأكاديمية تلك التى تناولت إسرائيل وسياساتها وعلاقة العرب بإسرائيل... إلخ. إن ما وردت الإشارة إليه من مناشير

(1) عبداللطيف عمر، "حول: الخطوه التالية لعبد الناصر هى السودان"، (آراء صريحة)، **أنباء السودان**، العدد 164، 1958/10/18.

(2) أمل يحيى الشريف، **تأثير الدين فى خطاب عبدالناصر القومى**، (رسالة ماجستير)،إشراف حسن حاج على، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير منشور).

وبيانات ومقالات وكتب كتبها الأستاذ محمود ونشرها تخاطب بشكل مباشر موضوع إسرائيل، وتخاطب السلام العالمى، سواء كان كتاب: **مشكلة الشرق الأوسط** أو **التحدى الذى يواجه العرب**. ومع ذلك لا تجد إشارة لكتابات الأستاذ محمود أو مناقشة لآرائه الجديدة آنئذ وربما حتى اليوم، فى الرسائل الجامعية التى تتناول الصراع مع إسرائيل. والنماذج علىٍ ذلك كثيرة منهارسالة ماجستير بعنوان: **سياسة إسرائل المائية وأثرها على الأمن القومى العربى** 1973-1989[1]. وقد تناولت الرسالة محاور عديدة منها: الأمن القومى العربى، والوطن العربى والقوى الاستعمارية، وأطماع الدول الكبرى وإسرائيل، سياسة إسرائيل المائية فى مشاريع السلام الراهنة، ...إلخ.

تاريخ السودان السياسى

*أول الأحزاب الداعية للاستقلال هو **الحزب الجمهورى** الذى أسسه الأستاذ محمود محمد طه عام 1945. ونشر الحزب برنامجاً انتقد فيه التيارين الكبيرين لارتباطهما ببريطانيا ومصر ولانعدام المذهبية فى عملهما، ودعا إلى.... قيام جمهورية سودانية.... فقد أخرج الحزب دعوة الاستقلال من محيط المناورات وطموح السيد عبدالرحمن، إلى نقاء العمل السياسى الحقيقى من أجل الاستقلال فألبسها دثاراً ناصعاً جعل منها دعوة يمكن أن تلهم جيلاً بأكمله. كما أخرج العمل السياسى من دائرة المناورات والتكتيك، إلى رحاب العمل الفكرى القائم على البرنامج الملزم المحدد الجنبات والآفاق[2].*

محمد سعيد القدَّال

قدمتُ فى الفصل الأول جرداً مجملاً للإنتاج الفكرى للأستاذ محمود، وتناولت فى فصل آخر "دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية". بينت مواقفه والسجون التى واجهها من المستعمر، ورئاسته **للحزب الجمهورى** الذى نشأ عام 1945، والكم الهائل من البيانات والمناشير التى أصدرها فى مناهضة الاستعمار، وقيادته لثورة رفاعة عام 1946، ومشاركته

(1) مصباح محمد القذافى، **سياسة إسرائيل المائية وأثرها على الأمن القومى العربى** 1973-1989، (رسالة ماجستير)، إشراف عطا حسن البطحانى ، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1997، (بحث غير منشور).
(2) محمد سعيد القدَّال، **تاريخ السودان الحديث** 1820-1955، مرجع سابق، ص 494، 495.

فى الجبهة الاستقلالية الأولى 1946 والثانية 1955، وعضويته فى لجنة الدستور القومية 1956... إلخ وفى كل ما قدمت كنت قد اعتمدت على المصادر والمراجع المتوفرة بدار الوثائق القومية السودانية، لا سيما الدوريات السودانية منذ عام 1944. وبينت كيف أن الأستاذ محمود كان مناضلاً وطنياً أصيلاً وفريداً فى نهجه ومواجهته وصلابة مواقفه وشدة مراسه، وقد شهد له بذلك أحمد خير المحامى، فى كتابه، كما ورد آنفاً. الشاهد أنه على الرغم من هذا الدور الوطنى الكبير والثابت والموثق فإن الدارس والقارئ للأطروحات الجامعية التى تناولت تاريخ السودان السياسى، يجد أن جلها قد خلت قوائم مصادرها ومراجعها من الإشارة للأستاذ محمود سواء أكانت الاشارة إلى كتبه أو بياناته أو مناشيره أو مواقفه، ولا تجد استشهاداً بأقواله أو مواقفه. والأمثلة على ذلك من الرسائل الجامعية بجامعة الخرطوم كثيرة جداً، منها (مجرد نماذج) رسالة ماجستير بعنوان: **تاريخ السودان السياسى** 1930-1956[1].

تناولت الرسالة فى الفصل الأول: "الحركة الوطنية 1930-1935"، وتابع الفصل الثانى: "مؤتمر الخريجين"، ودرس الفصل الثالث: "التطورات السياسية والدستورية 1945-1951"، ثم تناول الفصل الرابع: "الاستقلال". الشاهد أن تجاوز الأستاذ محمود فى دراسة أكاديمية تتناول هذه القضايا، والتى كان للأستاذ محمود فيها دور كبير كما وردت الإشارة آنفاً، فقد سجن 25 شهراً وعشرين ويوماً وهو رئيس **الحزب الجمهورى**، إلى جانب ما كتبه فى نقده لمؤتمر الخريجين وللحركة الوطنية ورجالها... إلخ، وبدأ النشر منذ العام 1945 فى كتب وبيانات... إلخ. إن هذه الرسالة لا تختلف عن الرسائل الجامعية الأخرى فى نفس المجال، فهناك أيضاً، رسالة ماجستير ينطبق عليها ما انطبق على الرسالة السابقة، وهى بعنوان: **تاريخ الحركة السياسية السودانية** 1952-1958[2]، وفى هذه الفترة كانت للأستاذ محمود إسهامات كبيرة، وقد وردت الإشارة إليها. وبرغم أن الرسالة أشارت إشارة مختصرة إلى

---

(1) أميرة بكرى محمد الماحى، **تاريخ السودان السياسى** 1930-1956، (رسالة ماجستير)،إشراف عبدالوهاب عبد الرحيم المبارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2000، (بحث غير منشور).

(2) شيرين إبراهيم النور صديق، تاريخ **الحركة السياسية السودانية** 1952-1958، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010، (بحث غير منشور).

الحزب الجمهورى باعتباره حزباً "ينادى بالاستقلال الفورى على أساس النظام الجمهورى"[1]، إلا أن قائمة المصادر والمراجع خلت من أى إشارة للأستاذ محمود أو كتبه أو كتب تلاميذه. كذلك هناك أطروحة دكتوراه بعنوان: **مكتب السكرتير الإدارى** 1889-1956[2]، بالإضافة لما ذكرته آنفاً بشأن غياب الأستاذ محمود فى قوائم المصادر والمراجع، فإن الأستاذ محمود كان من أكثر القادة الوطنيين الذين أزعجوا السكرتير الإدارى، فقد عقد السكرتير الإدارى بشأنه عدة اجتماعات وأصدر كذلك البيانات، فقد نشرت **صحيفة الرأى العام** فى يوم الأربعاء 26 يونيو 1946 بياناً (أنظر ملحق رقم: "13") بعنوان: "بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس **الحزب الجمهورى**". **صحيفة الرأى العام**، فى يوم الاربعاء 26 يونيو سنة 1946[3]. وغير ذلك مما وردت الإشارة إليه فى الفصول السابقة. وينطبق الأمر على رسالة ماجستير أخرى، كانت بعنوان: **إسهامات الأعضاء الجنوبيين فى البرلمانات واللجان والمجالس السودانية** (1948-1969)[4]. قدمت الرسالة فى الفصل الأول: "خلفية تاريخية"، تحدثت فيها عن سياسة حكومة السودان نحو الجنوب 1899-1944 والمجلس الاستشارى لشمال السودان 1944...إلخ. وتناولت فى الفصل الثانى: "الأعضاء الجنوبيون فى الجمعية التشريعية 1948-1953"، وفى الفصل الثالث: "الأعضاء الجنوبيون فى الفترة البرلمانية الأولى"، ودرس الفصل الرابع: "جنوب السودان خلال الحكم العسكرى"، وعالج الفصل الخامس: "الأعضاء الجنوبيون فى المؤتمرات واللجان"، حيث تحدث عن مؤتمر المائدة المستديرة، واللجنة القومية للدستور 1956، واللجنة القومية للدستور عام 1966-1968، ومسودة الدستور، ....إلخ. وتناول الفصل السادس: "الأعضاء الجنوبيون فى الفترة البرلمانية الثانية (1965-1969)".

---

(1) المرجع السابق، ص 3.

(2) الطيب أبشر الطيب، **مكتب السكرتير الإدارى** 1899-1956، (أطروحة دكتوراه)، إشراف عبد الوهاب عبد الرحيم المبارك بوب، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996، (بحث غير منشور).

(3) "بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس الحزب الجمهورى". **صحيفة الرأى العام**، فى يوم الاربعاء 26 يونيو سنة 1946.

(4) نجلاء عبد الله محمد يوسف، **إسهامات الأعضاء الجنوبيين فى البرلمانات واللجان والمجالس السودانية** (1948-1969)، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2004، (بحث غير منشور).

الشاهد أن إغفال الأستاذ محمود لا يستقيم مع ما نشره عن قضية الجنوب، فإلى جانب كتاب: **السفر الأول** والذى صدر عام 1945، وكتاب: **أسس دستور السودان** فى عام 1955، وكتاب: **قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**[1]، فى عام 1952، كما وردت الإشارة آنفاً للكتب الثلاثة، والتى خاطبت قضية الجنوب مخاطبة مباشرة مع تناولها لقضايا أخرى، فقد نشر الأستاذ محمود كماً كبيراً من البيانات والمناشير عن قضية الجنوب وعن المجلس الاستشارى لشمال السودان، وجل هذه البيانات والمناشير متوفرة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، ومنشورة كذلك فى الصحف المحلية، وقد وقفت على معظمها، إن لم يكن كلها، منها بيان بعنوان: **مشكلة الجنوب**[2]، وبيان آخر بعنوان: **بيان من الحزب الجمهورى عن حوادث الجنوب**[3]. وأصدر كذلك تلاميذه كتاباً بعنوان: **جنوب السودان: المشكلة والحل**[4]، وغيرها من ما وردت الإشارة إليه فى الفصول السابقة. الثابت أن الأستاذ محمود له إسهامات منشورة وباكرة ولا يمكن تجاوزها أو إغفالها، ولهذا فإن هذا التجاهل يعزز فكرة ضرورة دراسته فى إطار تجاهل جماعى وتحالف غير مكتوب وغير معلن أكثر من أنه تجاهل طالب طالبة بعينه أو طالبة بعينها.

أما رسالة الماجستير التى تناولت إسلامية الدستور فى السودان، وكانت بعنوان: **قضية إسلامية الدستور والقوانين فى السودان** (1955-1985) **وتأثيرها على الاستقرار السياسى**[5]، فما كنت أعتقد أن هذه الرسالة ستكون قائمة مصادرها ومراجعها خالية من كتب الأستاذ محمود وبياناته ومناشيره، وما كنت أعتقد أن هناك رسالة جامعية أنسب من هذه الرسالة للاستشهاد بأقوال الأستاذ محمود ومواقفه وكتاباته، ذلك لأن أمر إسلامية الدستور كان من أكثر الموضوعات التى نقدها الأستاذ محمود نقداً باكراً ومستمراً ونشر

---

(1) الحزب الجمهورى، **قل هذه سبيلى:الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، "مشكلة الجنوب"، (بيان)، **دار الوثائق القومية**، الأحزاب السودانية 27/1/2، الخرطوم.

(3) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى، "بيان من الحزب الجمهورى عن حوادث الجنوب"، **صحيفة الاستقلال**، بتاريخ 1955/9/9.

(4) فى إشارة لكتاب: الإخوان الجمهوريين، **جنوب السودان: المشكلة والحل**، مصدر سابق.

(5) عبد العظيم محمد حمد أبو الحسن، **قضية إسلامية الدستور والقوانين فى السودان** (1955-1985) **وتأثيرها على الاستقرار السياسى**، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبد الرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010، (بحث غير منشور).

نقده، كما لم يبلغ أذى تأذاه أحد فى السودان من قضية إسلامية الدستور مثل ما تأذى الأستاذ محمود وتلاميذه وتلميذاته. بيد أن الرسالة كانت لا تختلف عن الرسائل الجامعية التى تجاهلت الأستاذ محمود وأهملته، فلم يرد كتاب واحد من كتب الأستاذ محمود أو منشور أو بيان فى قائمة مصادرها ومراجعها. فى تقديرى أن هذا الأمر لا يستقيم علمياً وأخلاقياً فالإطار الزمنى للرسالة يبدأ بعام 1955 وينتهى بعام 1985، فقد شهد العام 1985، كما هو معلوم، الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام ومن ثم تنفيذ حكم الإعدام عليه، أما العام 1955 فهو العام الذى أصدر فيه الأستاذ محمود كتابه: **أسس دستور السودان**، كما ورد آنفاً. فبالإضافة لهذا الكتاب فقد نشر الأستاذ محمود كثيراً عن الدستور الإسلامى، ففى عام 1968 نشر كتاباً بعنوان: **الدستور الإسلامى؟ نعم.. ولا!!**[1]، ونشر فى عام 1969 كتاباً بعنوان: **أسس حماية الحقوق الأساسية**[2]، هذا إلى جانب كم هائل من المحاضرات التى تحدث فيها الأستاذ محمود عن الدستور الإسلامى وآثاره السياسية وظلاله على بناء الأمة ففى محاضرة قدمها عام 1969، كما ورد آنفاً، قال الأستاذ محمود: "الدستور عبارة عن صياغة أمل الأمة... وهو أمل كل الشعب، أقليته وأغلبيته... حينما تتكلم عن الدستور أنت تتكلم عن الديمقراطية، والديمقراطية هى فرص التساوى بين المواطنين من حيث هم مواطنين"[3]. هذا إلى جانب الكثير من كتابات الأستاذ محمود التى وردت الإشارة إليها فى الفصول السابقة

ينطبق ما ورد أعلاه على رسالة ماجستير أخرى كانت بعنوان: **انتخابات وبرلمانات السودان مايو 1965 - مايو 1969، دراسة تاريخية**[4]، وقد تناولت الدراسة من خلال خمسة فصول مواضيع مختلفة، كثير منها تقاطع مع الأستاذ محمود منها: المجلس الاستشارى، والأحزاب السودنية، والأحزاب الاستقلالية، مشكلة الجنوب، المشكلة الدستورية وحل

---

(1) محمود محمد طه، **الدستور الإسلامى؟ نعم ولا!!**، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، **أسس حماية الحقوق الأساسية**، أمدرمان، 1969.

(3) محمود محمد طه، "الدستور الإسلامى المزيف"، (محاضرة)، دار **الحزب الجمهورى**، أمدرمان، 1969. نشرت المحاضرة فى موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: http://www.alfikra.org

(4) هدى النور دينج، **انتخابات وبرلمانات السودان مايو 1965-1969**، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2011، (بحث غير منشور).

الحزب الشيوعى السودانى... إلخ. وينطبق ما ورد أعلاه على رسالة أخرى فى مجال آخر وهو مجال العلوم السياسية، جاءت الرسالة بعنوان: **أزمة الشرعية السياسية لنظام مايو** 1969-1985[1]. فقد تناولت الرسالة الموضوع من خلال خمسة فصول. وقد تقاطع الأستاذ محمود من خلال إسهاماته مع محاور عديدة فى الرسالة منها: المصالحة الوطنية وإعلان تطبيق الشريعة الإسلامية سبتمبر 1983، وغيرها. وبشأن قوانين سبتمبر 1983، كان الأستاذ محمود حاضراً حضوراً قوياً وقدم إسهامات كبيرة ومنشورة.

على ضوء ما ورد آنفاً فى الفصول السابقة، وعلى ضوء ما تقدم أعلاه فى هذا الفصل من إشارات لإسهامات الأستاذ محمود والمنشورة باكراً، وعلى ضوء ما سيأتى من إشارات، لا أحسب أن أطروحة دكتوراه فى العلوم السياسية تتناول ضمن فصولها: الحركة الوطنية واستقلال السودان، ونشأة الأحزاب السياسية فى السودان، وقضية الجنوب، وتدرس القوى السياسية والاجتماعية التى تشكلت تحت الاستعمار 1898-1955، والنظام المايوى والتوجه الإسلامى 1983-1985، وتقف عند نميرى وقوانين سبتمبر 1983، ونظام نميرى والإخوان المسلمين، ومظاهر انهيار سقوط نظام مايو، ...إلخ، لا يتوقع الدارس أن أطروحة تتناول هذه الموضوعات والمحاور وتخلو قائمة مصادرها ومراجعها من اسم الأستاذ محمود وبعض من كتبه ولا تناقش مواقفه وإسهاماته، بيد أن هذا هو ما يحدث مع أطروحة دكتوراه كانت بعنوان: **إشكالية الدولة وتجربة الحزب الواحد فى إفريقيا: الاتحاد الاشتراكى السودانى، دراسة حالة**[2]. فإن القارئ لا يجد فى قائمة مصادر ومراجع الأطروحة اسم الأستاذ محمود أو أى كتاب من كتبه أو كتب تلاميذه. وينطبق هذا الحال كذلك على أطروحة دكتوراه جاءت بعنوان: **الإسلام والدولة القطرية: دراسة للمشروع السياسى الإسلامى فى السودان** (1989-2005)[3].

---

(1) مظفر الصديق حسن الصافى، **أزمة الشرعية السياسية لنظام مايو** 1969-1985، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2001، (بحث غير منشور).

(2) عبدالسلام أحمد على ضو، **إشكالية الدولة وتجربة الحزب الواحد فى إفريقيا: الاتحاد الاشتراكى السودانى، دراسة حالة**، (أطروحة دكتوراه)، إشراف حسن مكى محمد أحمد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2003، (بحث غير منشور).

(3) عمر الخير إبراهيم أحمد، **الإسلام والدولة القطرية: دراسة للمشروع السياسى الإسلامى فى السودان** (1989-2005)، المشرف محمد عثمان أبو ساق، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2008.

تكونت الأطروحة من ستة فصول وقائمة مصادر ومراجع. مثلت المقدمة الفصل الأول، وتناول الفصل الثانى: "الدولة فى الإسلام: المفهوم والتطور"، ودرس فى مبحثين: الإسلام منهج للتوحيد والتشريع والحكم، وتطور فقه الدولة فى الخيرة السياسية الإسلامية (إطار نظرى). وعالج الفصل الثالث: "الوطنية والدولة القطرية فى البلاد الإسلامية" ووقف على الوطنية والدولة فى الغرب، والعالم الإسلامى والدولة القطرية، والمسألة الوطنية والدولة القطرية فى السودان. ودرس الفصل الرابع: "الحركة الإسلامية السودانية والدولة القطرية"، وتناول فى ثلاث مباحث: دخول الإسلام إفريقيا والسودان، الحركة الإسلامية والعالم الإسلامى والدولة القطرية، والحركة الإسلامية السودانية القطرية. ثم تناول الفصل الخامس والسادس: تحديات المشروع الإسلامى فى السودان (1989-2005)، وتقييم التجربة الإسلامية فى السودان (نظام الإنقاذ). لقد تقاطعت موضوعات هذه الأطروحة مع العديد من الآراء التى نشرها الأستاذ محمود باكراً وقد وردت الإشارة إليها، وبرغم ذلك لا تجد إستشهاداً أو إشارة لآرائه فى متن الأطروحة، كما أنك لا تجد إشارة له أو لكتبه أو كتب تلاميذه فى قائمة المصادر والمراجع.

رسائل جامعية عن المرأة

التاريخ كله ضد المرأة، لكن عهدنا الجايى، عنوانه المرأة [1].

محمود محمد طه

وصيتى للرجال: أعينوا النساء على الخروج من مرحلة القصور، ليستأهلن حقهن الكامل فى المسئولية، حتى تنهض المرأة، وتتصرف كإنسان، لا كأنثى [2].

محمود محمد طه

كان موضوع المرأة من أكثر الموضوعات التى وجدت اهتماماً عند الأستاذ محمود، وكان حظها فى رؤيته التطويرية حظاً وافراً بل مثلت المرأة مرتكزاً أساسياً فى مشروع الأستاذ محمود. وقد تجلى فى ما نشره الأستاذ محمود عنها فى كتبه وبياناته ومناشيره ومحاضراته

(1) محمود حمد النيل عبدالله العركى، **جواهر المعانى فى حضرة الأستاذ محمود محمّد طه**، مصدر سابق، ص29.
(2) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 89-90.

وندواته، وفى كتب تلاميذه. بالإضافة إلى ذلك كان هناك الجانب العملى، والذى تم تناوله فى الفصل الأول من هذا الكتاب، حيث أن تلميذات الأستاذ محمود كن يقمن بأدوار كبيرة فى المنابر وحلقات النقاش ويدرن الحوار عن الدين والسياسة والاقتصاد وفى مختلف المجالات. ليس هذا فحسب فقد طرح الأستاذ محمود باكراً أطروحات متقدمة بشأن حقوق المرأة والمساواة بين الرجال والنساء وتعدد الزوجات والحجاب والاختلاط... إلخ.

لقد قدم الأستاذ محمود أطروحات كثيرة فيما يتعلق بشؤون المرأة ونشرها باكراً ففى عام 1952 نشر كتاب: **قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، وجاء فى مدخل الحديث عن المرأة: "المرأة غير الرجل ولكنه ليس أفضل منها لمجرد كونه رجلاً وإنما لكل منهما فضائله وهما فى زحمة الحياة متممان لبعضهما البعض حتى أنه ليصح أن يقال أن الوحدة الاجتماعية ليست الفرد من رجل أو امرأة وإنما هى الزوج من رجل وامرأة وكونهما متممين لبعضهما البعض يجعل التكئه على التفضيل بينهما عبثاً سخيفاً وإنما العبرة بأن ينمى كل منهما فضائله التى أشرجت فى تكوينه"[1]. كما تناول المرأة فى كتاب: **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**[2]، وقد نشر عام 2002، وكذلك عام 2012، وهو متوفر فى المكتبات، ويحتوى على ثلاثة كتب من الأعمال الأساسية للأستاذ محمود، ومن بينها كتابه: **الرسالة الثانية من الإسلام**، الذى صدر فى طبعته الأولى فى عام 1967، تناول الكتاب أطروحات جديدة ومتقدمة عن المرأة منها: عدم المساواة بين الرجال والنساء ليس أصلاً فى الإسلام، وتعدد الزوجات ليس أصلاً فى الإسلام، والطلاق ليس أصلاً فى الإسلام، والحجاب ليس أصلاً فى الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً فى الإسلام[3]. كما نشر الأستاذ كتاباً بعنوان: **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**[4]، وكتاب: **خطوة نحو الزواج فى الإسلام**[5]، وفى عام 1981 نشر الإخوان الجمهوريون: **المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل**

(1) محمود محمد طه، **قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، مصدر سابق، ص 11-12.
(2) محمود محمد طه، **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**، المركز الثقافى العربى، بيروت، ودار قرطاس، الكويت، ط1، 2002.
(3) المصدر السابق.
(4) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إليتطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق.
(5) محمود محمد طه، **خطوة نحو الزواج فى الإسلام**، أمدرمان، 1971.

هو عدوهما معاً[1]!!. ونشر كذلك تلاميذه وتلميذاته عدداً كبيراً من الكتب منها: **المرأة فى أصول القرآن**[2]، **وتعدد الزوجات ليس أصلاً فى الاسلام**[3]، **والزى عنوان عقل المرأة وخلقها**[4]، **أضواء على شريعة الأحوال الشخصية**[5]، **والاختلاط بين الشريعة والدين**[6]، **المرأة والتدين**[7]، **والمرأة مكانها البيت؟؟**[8]. **ونشر تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته كذلك: بيت الطاعة:المشكلة والحل**[9]، **والمنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمى**[10]، **واتحاد نساء السودان وقضية المرأة**[11]، وغيرها.

لا أحسب أن دارساً أكاديمياً فى السودان يسعى لإظهار الحقيقة ونشرها، بدراسة أكاديمية تستوفى شروط الأسس العلمية والمبادىء الأكاديمية، يستطيع أن يتجاوز الأستاذ محمود فى موضوع المرأة، سواء بوقوفه حتى ولو على جزء يسير من الكم الهائل الذى نشره الأستاذ محمود بشأن المرأة، أو بمناقشته للأطروحات والآراء الجديدة التى طرحها الأستاذ محمود، متفقاً كان أو مختلفاً معها. إلا أن واقع الحال فى الأكاديميا السودانية غير ذلك. فقد كانت معظم الدراسات الأكاديمية التى وقفتُ عليها عن المرأة لم تشر إلى الأستاذ محمود، هناك قله وردت الإشارة لبعضها فى الفصول السابقة، ونادراً ما تجد اسمه وكتبه ضمن قائمة المصادر والمراجع. كان من بين هذه الدراسات الأكاديمية، دراسة ماجستير بعنوان: **التبرج وأثره فى المجتمع الإسلامى**[12]، ورسالة ماجستير أخرى بعنوان:

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل هو عدوهما معاً!!**، أمدرمان، 1981.
(2) الإخوان الجمهوريون، **المرأة فى أصول القرآن**، أمدرمان، 1975.
(3) الإخوان الجمهوريون، **تعدد الزوجات ليس أصلا فى الاسلام**، ط1، أمدرمان، 1975.
(4) الإخوان الجمهوريون، **الزى عنوان عقل المرأة وخلقها**، أمدرمان، 1975.
(5) الأخوات الجمهوريات، **أضواء على شريعة الأحوال الشخصية**، أمدرمان، 1973.
(6) الإخوان الجمهوريون، **الاختلاط بين الشريعة والدين**، أمدرمان، 1975.
(7) الإخوان الجمهوريون، **المرأة و التدين**، أمدرمان، 1975.
(8) الإخوان الجمهوريون، **المرأة مكانها البيت؟؟**، ط1، أمدرمان، 1975.
(9) الإخوان الجمهوريون، **بيت الطاعة: المشكلة والحل**، أمدرمان، 1975.
(10) الإخوان الجمهوريون، **المنشور الأول بمناسبة عام المرأةالعالمى**، أمدرمان، 1975.
(11) الإخوان الجمهوريون، **اتحاد نساء السودان وقضية المرأة**، أمدرمان، 1975.
(12) حرم أحمد محمد، **التبرج وأثره فى المجتمع الإسلامى**، (رسالة ماجستير)،إشراف التجانى مصطفى محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996، (بحث غير منشور).

أثر بعض الفروق بين الرجل والمرأة على الذاكرة وأداء الشهادة فى المحاكم[1]، ورسالة بعنوان: **حقوق المرأة فى السنة النبوية**[2]، وقد تناولت الرسالة فى ستة فصول المواضيع التالية: مكانة المرأة بين الجاهلية والإسلام، وحق المرأة فى طلب العلم والعمل فى السنة النبوية، وحقوق المرأة فى الزواج فى السنة النبوية، الطلاق ومراعاة حقوق المرأة فيه، وحقوق المرأة فى الميراث، والشبهات التى أثيرت حول حقوق المرأة فى الإسلام والرد عليه. وكانت هناك أيضاً رسالة ماجستير بعنوان: **حق المرأة فى الميراث بين الشريعة والعرف**[3]. وقد خلت قوائم مصادر ومراجع كل هذه الدراسات من الإشارة للأستاذ محمود ولكتبه ومناشيره أو كتب تلاميذه وتلميذاته. أيضاً ليست بعيدة من هذا رسالة ماجستير أعدت فى قسم الدراسات الإسلامية وكانت بعنوان: **حقوق الإنسان بين الإسلام والمواثيق الدولية مع دراسة خاصة لحقوق الإنسان فى السودان**[4]، وبرغم اختلاف المداخل فى المعالجة، إلا أن الرسالة ما كان يمكن لها أن تتجاوز الأستاذ محمود، ولكنها تجاوزته وأغفلت إسهاماته. فقد تناول الباب الأول من الرسالة: "حقوق الإنسان فى الإسلام"، ووقف فصله الأول على ثلاثة محاور هى: فلسفة الحق فى الإسلام، وفلسفة المصلحة ودفع الضرر، وتقرير الإسلام للحرية والعدل والمساواة. وتناول الفصل الثانى: "حقوق المرأة والأقليات غير المسلمة". وتناول الباب الثانى: حقوق الإنسان فى المواثيق الدولية والإقليمية... إلخ. وكل هذه الموضوعات (كما وردت الإشارة) كانت للأستاذ محمود إسهامات كبيرة فيها ومنشورة باكراً.

---

(1) أمل عبدالعزيز حسن، **أثر بعض الفروق بين الرجل والمرأة على الذاكرة وأداء الشهادة فى المحاكم**، (رسالة ماجستير)، إشراف شمس الدين زين العابدين،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996، (بحث غير منشور).

(2) هاجر محمد عثمان موسى، **حقوق المرأة فى السنة النبوية**، (رسالة ماجستير)، إشراف عبدالله محمد أحمد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير منشور).

(3) غانية محمود أحمد محمد خير، **حق المرأة فى الميراث بين الشريعة والعرف**، (رسالة ماجستير)،إشراف حسين محمد الحسن على،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2002، (بحث غير منشور).

(4) هويدا صلاح الدين العتبانى، **حقوق الإنسان بين الإسلام والمواثيق الدولية مع دراسة خاصة لحقوق الإنسان فى السودان**، (رسالة ماجستير)، إشراف حافظ الشيخ الزاكى، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

الاجتهاد والتفكير والصحوة والسلام فى الإسلام

إن معظم مـا وردت الإشارة إليـه فى المحاور السابـقة من إسهـامات الأستـاذ محـمود المنشورة فى كـتبه وبياناتـه ومقالاته يمثل اجـتهاداً وأطروحـات جديدة. بل إن التطوير هو أحد أهم مرتكزات مشـروع الأستاذ محمود. التطوير عند الأستاذ مـحمود يخاطب بشكل مباشر تـطوير التشريع، وتطوير شريعة الأحوال الشـخصية،... إلخ. طرح الأستـاذ محمود أطروحـات جديدة منهـا، كمـا وردت الإشارة آنفـاً: المساواة بين الرجـال والنساء، وتـعدد الزوجات، و الطلاق ليس أصـلاً فى الإسلام،الحجـاب ليس أصلاً فى الإسلام، والمجـتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً فى الإسلام... إلخ. كما أصدر الأستاذ محمود فى عام 1969 كتاباً بعنوان: **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**[1]، وفى عام 1971 أصدر كتاباً بعنوان: **القرآن ومصطفى محـمود والفهم العصرى**[2]، رداً على كتاب كان قد أصـدره الكاتب المصرى مصطفى مـحمود (1921-2009) بعنوان: **القرآن، محاولة لفهم عصرى**[3]. وغير ذلك مما وردت الإشارة إليه فـى الفصل الأول والفصول الأخرى. برغـم ذلك فإن الدراسات الأكاديمـية التى وقفتُ عليها بجامعة الخـرطوم قد أغفلت كتب الأستاذ محـمود تماماً ولم ترد إشارة لأى كتب من كـتبه، أو مناقشة لآرائه واجـتهاداته غير المسبوقة. ومن الأمثلة على تلك الرسـائل، رسالة دكتوراه كانت بعنوان: **الاجتهاد وحاجة العصر إليه**[4]. وقد تناولت الدراسة الموضوع فى أربعـة أبواب. وبرغم أنها قد تناولت فى الباب الرابع: "ضـمان استمـرار إبقاء باب الاجتهـاد مفتوحـاً"، ودرست فى الفصل الأول منه: "دعوة علـماء العصـر الحديث إلى الاجتـهاد"، وتناولت فى الفـصل الثانى مـوضوع: "مرونة الشريعة الإسلامية وقابليتها للتطوير"، ووقفت على قضايا عديدة من خلال محاور مـختلفـة منها: المقـصود بـتطوير الفقـه الإسلامى والثـابت والمتـغيـر من أحكام الشريعـة الإسلامية... إلخ وبرغم أن التطوير هـو أحد أهم مرتكزات مشروع الأستاذ محـمود، كما

---

(1) محمود محمد طه، **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، **القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى**، أمدرمان، 1971.

(3) مصطفى محمود، **القرآن: محاولة لفهم عصرى للقرآن**، دار الشروق، بيروت، 1970.

(4) مازن مصباح محمود صباح، **الاجتهاد وحاجة العصر إليه**، (رسالة دكتوراه)، إشراف عوض عبدالله بابكر،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

ورد آنفاً، وقد كتب الأستاذ محمود ونشر عنه كثيراً، برغم ذلك لم تشر الدراسة حتى مجرد إشارة لما أصدره الأستاذ محمود من كتب ومقالات، ولم تناقش ما طرحه من آراء عن التطوير. هذا إلى جانب التقاطعات الأخرى بين الموضوعات التى تناولتها الرسالة والأطروحات التى تضمنها مشروع الأستاذ محمود. إلى جانب ذلك فإن هناك كتاباً انطلق من رؤية الأستاذ محمود لتطوير التشريع الإسلامى، ألف الكتاب عبدالله أحمد النعيم، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود. ونشره باللغة الإنجليزية بعنوان: *Toward an Islamic Reformation: Civil Liberties, Human Rights, and International Law*، كما وردت الإشارة إليه آنفاً، ثم ترجم الكتاب ونشرعام 1994 تحت عنوان: **نحو تطوير التشريع الإسلامى- الحريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولى**[1].

كانت هناك رسالة ماجستير أخرى بعنوان: **الاجتهاد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**[2]، تناولت فى الفصل الرابع: حاجتنا للاجتهاد اليوم، ولم ترد إشارة لآراء الأستاذ محمود كما لم تضم قائمة مصادر ومراجع الرسالة كتاباً واحداً للأستاذ محمود. أيضاً، كانت هناك أطروحة ليست بعيدة عن الموضوع، وكذلك كانت متوافقة فى موقفها مع الأستاذ محمود كما هو حال الرسائل السابقة، وهى أطروحة كان عنوانها: **مقاصد الشريعة الإسلامية وأثرها على الحماية الفكرية للمسلم المعاصر: دراسة مقارنة**[3]. وينطبق الحال كذلك على رسالة دكتوراة بعنوان: **الجرائم المعاقب عليها بالقتل فى الشريعة الإسلامية والقانون الجنائى السودانى لسنة** 1991[4]، وقد تناولت الرسالة تعريف الردة وشروط الحكم بها ومتى يحكم بها وذلك ضمن الباب الثالث: "الجرائم المرتكبة فى حق الدين

---

(1) عبدالله أحمد النعيم، **نحو تطوير التشريع الإسلامى**، مرجع سابق.

(2) عواطف أحمد الإمام، **الاجتهاد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، (رسالة ماجستير)، إشراف حافظ الشيخ الزاكى،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1994، (بحث غير منشور).

(3) حسين محمد الحسن على، **مقاصد الشريعة الإسلامية وأثرها على الحماية الفكرية للمسلم المعاصر: دراسة مقارنة**، (رسالة دكتوراه)، إشراف عوض عبدالله بابكر،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير منشور).

(4) صالح أحمد التوم ضيف الله، **الجرائم المعاقب عليها بالقتل فى الشريعة الإسلامية والقانون الجنائى السودانى لسنة** 1991، (رسالة دكتوراة)، إشراف حافظ الشيخ الزاكى، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

المعـاقب عليهـا بالقتـل. مثل هذه الرسـائل فى تقديـرى لو كانت الأكـاديميـا السودانيـة، أكاديميـا ملتزمة بالمبـادىء لما كان لها أن تتجـاوز الأستاذ محـمود سواء فى قائمـة المصادر والمراجع أو بالمناقـشـة لآرائه أو بالتناول لـقضـيـة الحكم الذى صـدر فى حـقـة بالردة عن الإسـلام مرتين، لتناولت هـذا الأمر ولربما خـصصت له فـصـلاً أو باباً. ولا يختلف حـال الدراسات التى وردت الإشارة إليـها مع تلك التى تناولت مفهوم التـفكير فى الإسلام، فى إغفال الإشارة للأستاذ محمود ولكتبه.

من أمثلة الدراسـات التى تناولت التفكير فى الإسلام رسـالة ماجستـير بعنوان: **مفهوم "التفكير" فى الإسلام**[1]. فقد تناولت الرسـالة مفهوم التفكيـر، والعقل فى القرآن الكريم، ومـا بين التـفكير والـتفكر، والتـفكيـر والعـقل والعلم فى السنة ...إلخ. قـدمت الدراسـة الموضـوع فى خمـسة فـصول، عـرف الفصل الأول بـإطار الدراسة والخطة والمصطلحـات والدراسات والجهود السابقة، وتناول الفصل الثانى: "مفهوم (التفكير) عند علماء النفس"، والفصل الثـالث: "مفـهوم (التفكيـر) فى القرآن الكريم"، ودرس الفـصل الرابع: "مفـهوم التـفكير فى السنة النبـوية"، وعالج الـفصل الخـامس: "مفـهوم التـفكير عند بعض علـماء المسلمـين". الشاهد أن الأستـاذ محـمود قـد نشر باكراً عن العـقل ونشأته وأنواعـه والعلم والتفكيـر والتفكر... إلخ، وجاء ذلك فى العديد من كـتبه التى وردت الإشارة إليـها، ففى كتابه: **رسالة الصلاة**[2]، الذى نشر فى خمس طبعـات كان أولها عام 1966، وكان آخرها عام 2012 ضمن كتاب: **نحو مشـروع مستقـبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأسـاسية**[3] تناول الأستـاذ محـمود نشأة العـقل، وأنواعه، وتحـدث عن العقل الواعى والعـقل الباطن، والعقل الواعى وكيف نشـأ. وفى كتابه: **الرسالة الثانية من الإسلام**، الذى طبع أربع مرات كان أولها، كمـا ورد آنفاً، عام 1967، وكان آخرها عام 2012 ضمن كتاب: **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**، فقد تحدث الأستاذ محمود عن التفكير من

(1) عفـاف مساعد بـشير مسـاعد، **مفـهوم "التفكيـر" فى الإسلام**، (رسالة مـاجستير)، إشـراف عبدالمتعال زين العابدين،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، **(بحث غير منشور)**.

(2) محمود محمد طه، رسالة الصلاة، ط1، أمدرمان، 1966.

(3) محمود محمد طه، **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**، مصدر سابق، ص 206-234.

خلال باب كان عنوانه: **الفرد والجماعة فى التفكير الفلسفى**، كما تناول الفرد والكون والإرادة فى الإسـلام... إلخ[1]. وغـيـرها مما وردت الإشـارة إليـه. وينطبق مـا ورد آنفـاً على رسـالة ماجستير كانت بعنوان: **أصول الاجتـماع السياسى فى الـقرآن الكريم دراسة حول (مـفهوم الأمة)**[2]، خاصـة وأنها قد تناولت فى الباب الرابع: "غـياب نظرية الأمة عن الفكر السـياسى الإسلامـى المعاصر"، ودرسـت فى الفصل الأول منه: "الحـداثة السيـاسيـة وغيـاب المرجعـية الإسلامـية"، وفى الفـصل الثانى: "تجليـات أزمة الفـكر السياسـى الإسلامى المعـاصر"، وفى الفصل الثالث: "الفكر الأصولى واخـتلاط المفاهيم". أيضاً نجد أن جل كتب الأستـاذ محمود ومقالاته التى وردت الإشارة إليها، تخاطب كـذلك مفهوم السلام فى الإسلام، بل أن السلام يعد واحداً من مرتكزات مشروع الأستاذ محـمود وثابت من ثوابت مقاومته. لقد كان السلام عند الأستاذ محمود مرتكزاً أساسياً ومـوضع اهتمام. فقد وردت الإشارة للعديد من كتبه التى تناولت ذلك. برغم ذلك نجد أن دراسة أكاديمية هى عبارة عن رسالة ماجستير بعنوان: **مفهوم السلام فى الإسلام**[3]، لم ترد حتى مجرد إشارة لكتابات وآراء الأسـتاذ محمود. لم يقف أمر السلام عند الأسـتاذ محـمود فى حدود التنظيـر، وإنما كان السلام منهج حـياة، وفكر مقـاومة سلميـة. ويمكن للقارىء أن يقف على فكر المقاومـة السلمية عند الأسـتاذ محمـود فى موقع آخر من هذا الكتاب تـناولت فيه: "فكر المقاومة السلمـية وبعث الروحانية من جـديد: الأستاذ محـمود والمهاتما غاندى: مـقاربة أولية". جـدير بالإشارة إلى أن هناك كتـاباً تناول السلام عند الأستـاذ محمـود. ألف الكتاب خالد الحـاج عبدالمحمـود، وهو من تلاميذ الأسـتاذ محـمود، ونشره عام 2007، وقد وردت الإشـارة إليه آنفـاً، وسم خالد كـتابه بـ: **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**[4]، ويقع الكتاب فى (500) صفحة من القطع المتوسط.

كان من بين ما وقفت عليه من الدراسات الأكاديميـة، رسائل جامعية تناولت الصحوة

---

(1) المصدر السابق، ص 93-134.

(2) محـمد مجذوب محمـد صالح، **أصول الاجـتماع السيـاسى فى القرآن الكريم دراسـة حول (مفهـوم الأمة)**، إشراف أم سلمة محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، 2000.

(3) فـتح الرحمن الصـديق إبراهيم، **مفـهوم السـلام فى الإسلام**، (رسالة مـاجسـتيـر)، إشراف عـبدالمتـعال زين العابدين،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير منشور).

(4) خالد الحاج، **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، مرجع سابق.

الإسـلاميـة وتحـديات العـصر. ولا أحـسب أن دراسـة أكـاديميـة فى السـودان تدرس هذا الموضوع وتتـجاوز إسهـامات الأستـاذ محمـود، وذلك نسبـة لما قدمه الأستـاذ محـمود من إسهـامات باكرة وجـديدة. لقد كانت الدعـوة الإسلاميـة الجديدة هى الهـوية التى وسم بها مـشـروعـه منذ أن طرحـه عـام 1951. وضم المشـروع ليس الدعـوة للعـودة إلى الإسـلام والصحوة واليقظة الإسلامية ومواجهة تحـديات العصر فحسب؛ وإنما ناقش الكيفية والسبيل لذلك وقدم حلولاً وأطروحات ونشرها عن ضرورة الفهم الجديد للنص، ودعا للتطوير.

كان التـطوير من أهم مرتكزات مـشروع الأسـتاذ محـمود، كـما وردت الإشـارة آنفاً. فبالإضافـة لما وردت الإشارة إليه من كتابات، فـإن الأستاذ محمود نشـر الكثير من الكتب التى خاطبت موضوعى الصحوة الإسلامية وتحديات العصر بل كانا من العناصر الأساسية لمشروع الأستاذ محمود وحظيا بمساهمات ضخمة مما نشره الأستاذ محمود. ففى عام 1972 نشر الأستاذ مـحمود كتاب: **الثورة الثقـافية**[1]. فبالإضافة للإهداء والمقـدمة والخاتمة، فقد تناول الكتـاب الموضـوعـات التـاليـة: "الثـورة"، "والثـورة الإسلامـيـة الأولى"، "والثـورة الإسلامية الثانية"، "والثورة الفكرية"، "والثورة الثقافية". ونشر فى عام 1968 كتاب بعنوان: **زعيم جبهة المـيثاق فى ميزان** 1. **الثقافيـة الغربية** 2. **الإسلام**[2]، ونشر فى عام 1973 كتاباً بعنوان: **الإسلام وإنسانية القرن العشرين**[3]. كما نشر الأستـاذ محمود فى عام 1974 كتاباً بعنوان: **الدعـوة الإسلامـية الجـديدة**[4]، ونشر فـى عام 1975 كتـاب: **الغرابة فـى الدعوة الإسلامية الجديدة**[5]. كما نشـر الأستاذ محـمود وتلاميذه العديد من الكتـب والمناشير فى نقد الإخـوان المسلمين، وفى نقد الهوس الـدينى، واعتبره عـائقاً لبعث الإسلام. فـفى عام 1981 وجه نقداً للمؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية واعتبره بلا دعوة إسلامية.

الشـاهد أن البعث الإسـلامى والصحـوة الإسـلاميـة وتحديات العـصر كـانت من أهم عناصر مشروع الأستاذ محمود. على الرغم من أن كل هذه المساهمات التى قدمها الأستاذ

(1) محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، **زعيم جبهة الميثاق فى ميزان** 1. **الثقافية الغربية** 2. **الإسلام**، مصدر سابق.

(3) محمود محمد طه، **الإسلام وإنسانية القرن العشرين**، أمدرمان، 1973.

(4) محمود محمد طه، **الدعوة الإسلامية الجديدة**، مصدر سابق.

(5) محمود محمد طه، **الغرابة فى الدعوة الإسلامية الجديدة**، أمدرمان، 1973.

محمود، وغيرها مما وردت الإشارة إليه، فإن عدم الإشارة إليه وإلى الإسهامات كان السمة المميزة لما وقفت عليه من الدراسات الأكاديمية التى تناولت الصحوة الإسلامية وتحديات العصر. ومن الأمثلة على ذلك، رسالة ماجستير كانت بعنوان: **الصحوة الإسلامية وتحديات العصر**[1]. وقد تناولت فى الباب الأول: "تعريف الصحوة الإسلامية"، ووقفت فصول الباب بالإضافة لتعريف الصحوة الإسلامية، على تحديات العصر، وضرورة التدين فى واقع الناس، وفضل الحضارتين الشرقية والغربية فى حل مشاكل المجتمع المسلم، والتحدى الحضارى، والضرر من التقليد. ودرس الباب الثانى: "الصحوة الإسلامية وتحديات الكم والكيف"، وتناولت فصوله: مسببات تدهور الفكر الإسلامى، الحضارة الغربية وأثرها على انحطاط الفكر الإسلامى، ومشكلة التراث والمعاصرة فى الفكر الإسلامى. وتناول الباب الثالث: "الصحوة الإسلامية وتحديات العصر"، وتناول موضوعات عديدة منها: الديمقراطية وحقوق الإنسان فى الفكر الإسلامى، والديمقراطية ومبادىء الحكم الإسلامى، والعقيدة الإسلامية واستيعاب الديمقراطية، والمشروع الحضارى الإسلامى الديمقراطى. وتناول الباب الرابع: "الحركات الإسلامية ومنهجية التغيير"، وتحدث الباب عن العنف السياسى وموقف الإسلام منه، ووقف على عدد من المفاهيم الخاطئة فى العقل العربى التى يجب تغييرها، ومنها الوصاية. وتناول الباب كذلك الجهاد فى الإسلام. ووقف الباب الخامس على: "مستقبل الصحوة الإسلامية فى ظل الوضع الدولى الراهن".

الشاهد أن فى كل هذه الموضوعات التى تناولتها الرسالة كان للأستاذ محمود إسهامات وأطروحات منشورة وباكرة وجديدة، بيد أن قائمة مصادر ومراجع الرسالة خلت تماماً من أى إشارة لأى كتاب من كتب الأستاذ محمود أو مقالاته أو أحاديثه فى المحاضرات والندوات أو كتب تلاميذه (الإخوان الجمهوريين أو الأخوات الجمهوريات).

---

(1) حمد عمر حاوى، **الصحوة الإسلامية وتحديات العصر**، (رسالة الماجستير)،إشراف التجانى عبدالقادر حامد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1995، (بحث غير منشور).

العلاقات الدولية والسلام العالمى "رؤية إسلامية"

كان الأستاذ محمود صاحب رؤية شاملة للسلام وبمفهوم شامل له. فقد كتب ونشر باكراً، عن السلام مع النفس حيث الداخل، داخل الإنسان، وسلام الإنسان مع الآخرين، ومع المجتمع والكون والأحياء والأشياء، كما وردت الإشارة آنفاً لكتبه. لقد تضمن كتابه: **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**، تناولاً للإسلام والسلام، وقانون الغابة وقانون الإنسان،...إلخ[1]. وتناول السلام العالمى بما فى ذلك العلاقات الدولية والصراعات الناشئة بسبب الدين، لا سيما صراعات الإسلام مع الغرب بما فى ذلك الصراع مع إسرائيل، وقد وردت الإشارة لكتاب: **مشكلة الشرق الأوسط**، وغيره. ونشر الأستاذ محمود كذلك كتاب: **الصلح خير**[2]، كما نشر فى عام 1981 كتاباً بعنوان: **بمناسبة زيارة السادات للسودان: السلام هو الطريق لحل مشكلة الشرق الأوسط**[3]. ونشر تلاميذه كتاب: **اصطلحوا مع إسرائيل**[4]، وغيرها. لقد كتب الأستاذ محمود عن آثار تلك الصراعات على السلام العالمى، وقدم أفكاراً عن السلم العالمى، وتحدث عن الحكومة العالمية، وقد وردت الإشارة لكتبه آنفاً، وقد تناول فى كتابه: **الرسالة الثانية من الإسلام**[5]، المدنية والحضارة، والمدنية الغربية، وفشل المدنية الغربية. كما تحدث الأستاذ محمود عن الاستعمار الأوروبى وأشكاله وكيف أن الاستعمار خرج من الأرض وبقى فى العقول، وتحدث بتوسع عن الرأسمالية والشيوعية. ويمكن للقارئ أن يجد ذلك فى كتابات الأستاذ محمود المشار إليها آنفاً، وكذلك فى ما سبق من إشارات فى هذا الكتاب، وهى إشارات عديدة. لهذا فإن الدراسات الأكاديمية سواء كانت تلك التى تتناول مفهوم السلام فى الإسلام أو تلك التى تدرس السلام العالمى، لا يمكن لها أن تتجاوز الأستاذ محمود وتغفل الإشارة إليه، أما أن يحدث الإغفال وعدم الإشارة إلى كتبه، وهذا ما حدث بالفعل، فإنه أمر يدعو للاستغراب والدهشة ويطرح استفهامات كثيرة وكبيرة عن الأكاديميا السودانية

---

(1) محمود محمد طه، **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**، مصدر سابق، ص 25-50.

(2) محمود محمد طه، **الصلح خير**، أمدرمان، 1977.

(3) محمود محمد طه، **بمناسبة زيارة السادات للسودان: السلام هو الطريق لحل مشكلة الشرق الأوسط**، أمدرمان، 1981.

(4) الإخوان الجمهوريون، **اصطلحوا مع إسرائيل**، أمدرمان، 1978.

(5) محمود محمد طه، **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**، مصدر سابق، ص 87-89.

ودورها ومسؤولياتها العلمية والأخلاقية. إن الأمثلة على الرسائل التى تناولت السلام العالمى برؤية إسلامية والعلاقات الدولية ولم تشر إلى الأستاذ محمود مجرد إشارة فعديدة، منها: رسالة ماجستير بعنوان: **العلاقات الدولية المعاصرة والسلام العالمى: رؤية إسلامية**[1]. وقد عالجت الدراسة موضوعها من خلال أربعة فصول، تناول الفصل الأول: "نشأة التنظيم الدولى المعاصر"، والفصل الثانى: "تقييم التنظيم الدولى المعاصر"، وتحدث هذا الفصل عن الظاهرة الاستعمارية والرأسمالية ميراث الفقر والتخلف، والعولمة والمركزية الأوروبية، ...إلخ. ودرس الفصل الثالث: "رؤية إسلامية لنظام الأمن والسلم الدوليين"، وتناول الفصل الرابع: "الفكر الإسلامى والبديل المعاصر فى العلاقات الدولية"، وتحدث عن تقييم الفكر الإسلامى فى العلاقات الدولية، ومعالم الرؤية الإسلامية الحديثة لإقرار السلم العالمى، وغيرها. كذلك كانت هناك أيضاً دراسة ماجستير بعنوان: **الإسلام والغرب المعاصر: دراسة فى إشكالية العلاقات السياسية**[2]. وتناولت فى الفصل الأول: "نظريات الصراع"، الصراع الدينى والصراع الحضارى والصراع السياسى، وفى الفصل الثانى: العلاقات التاريخية بين الإسلام والغرب. ووقف الفصل الثالث على: السياسة الغربية نحو الإسلام، وتناول الفصل الرابع: الإسلاموفوبيا، والإسلام والإرهاب والاعلام الغربى، ومستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب. الشاهد أن كل هذه الموضوعات، كما وردت الإشارة آنفاً، قدم فيها الأستاذ محمود إسهامات باكرة ومنشورة. وعلى الرغم من ذلك لم ترد مجرد إشارة لإسهاماته.

من المهم الإشارة إلى أننى قدمت فى هذا الفصل (32) نموذجاً من الرسائل الجامعية من بين مائة أطروحة ماجستير ودكتوراه كنت قد وقفت عليها فى المجالات الأربعة المشار إليها والتى كان للأستاذ محمود إسهامات منشورة فى كل منها. ولما كان المجال والمساحة المخصصة لهذا الفصل لا تسمح بالتوسع فقد اختصرت النماذج على (32) نموذجاً،

---

(1) معاوية عوض الله مصطفى، **العلاقات الدولية المعاصرة والسلام العالمى: رؤية إسلامية**، (رسالة لنيل درجة الماجستير فى العلاقات الدولية)،إشراف محمد حسن أحمد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010، (بحث غير منشور).

(2) آمنة عبدالقادر محمد بشير، **الإسلام والغرب المعاصر: دراسة فى إشكالية العلاقات السياسية**، (رسالة ماجستير)،إشراف الشفيع محمد المكى، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2011، (بحث غير منشور).

وقدمت جرداً مجملاً ومختصراً على أمل العودة فى المستقبل لدراسة موضوع الأستاذ محمود والأكاديميا السودانية، دراسة قائمة بذاتها ومفصلة وموسعة. ومن المهم الإشارة أيضاً أننى من بين مائة الرسالة الجامعية، وبالطبع من بينها النماذج الـ (32)، قد وقفت على أطروحة دكتوراة قد خصصت محوراً للحديث عن **الحزب الجمهورى**. كانت الأطروحة بعنوان: **التنظيم السياسى الواحد وأثره على الوحدة الوطنية فى السودان**[1]. فقد جاءت الأطروحة فى أربعة أبواب هى، الباب الأول: "نشأة وتطور الحركة السياسية السودانية المعاصر"، والباب الثانى: "الديمقراطية الثانية والنظام الحزبى"، والباب الثالث: "حكومة مايو والتنظيم السياسى الواحد"، والباب الرابع: "الاتحاد الاشتراكى والوحدة الوطنية". وفى الفصل الأول من الباب الأول وقفت الأطروحة على: "نشأة وتطور الأحزاب الإسلامية"، وفى الفصل الثانى تناولت: "نشأة وتطور الأحزاب العلمانية".

تناولت الأطروحة الأحزاب الإسلامية والعلمانية، وخصصت لكل منها عنواناً، وكذلك الحال بالنسبة **للحزب الجمهورى**. تناولت الأطروحة نشأة ومبادىء **الحزب الجمهورى**، فقالت: "هو أول حزب يدعو لاستقلال السودان دون الارتباط بمصر، وقد أسسه الأستاذ محمود محمد طه عام 1945 ونشر الحزب برنامجاً انتقد فيه التيارين الكبيرين لارتباطهما ببريطانيا ومصر ولانعدام المذهبية فى عملهما، ودعا إلى استقلال السودان عن بريطانيا ومصر، وقيام جمهورية سودانية"[2]. كما تناولت الأطروحة موقف الحزب من الطائفية ومن الأحزاب السودانية، ودعوته الباكرة للحكم اللامركزى، ودعوته الباكرة أيضاً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وحديثه عن الديمقراطية الشعبية... إلخ. كما أشارت الأطروحة لعدد من كتب الأستاذ محمود ومنشوراته، منها: المذكرة التفسيرية لدستور **الحزب الجمهورى** الذى صدر عام 1945، وبيان رئيس **الحزب الجمهورى** فى الاجتماع العام للحزب فى يوم 30 نوفمبر عام 1951. كما أشارت الأطروحة لكتاب: **قل هذه سبيلى**، وكتاب: **الرسالة الثانية من الإسلام**، ومقال لعبداللطيف عمر حسب الله،

---

(1) صالح عبدالقادر صالح الشيخ، **التنظيم السياسى الواحد وأثره على الوحدة الوطنية فى السودان**، (أطروحة دكتوراه)، إشراف:محمد نورى الأمين،مشرف مساعد: عدلان أحمد الحردلو، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1997، (بحث غير منشور).
(2) المرجع السابق، ص 27.

بعنوان: **موجز تاريخ الحركة الجمهورية**، ومنشور الإخوان الجمهوريين بعنوان: "خذوا حذركم!! الشيوعية الدولية هى الاستعمار الجديد"، الذى صدر عام 1979. أثارت الأطروحة العديد من القضايا التى تحتاج لإعادة النظر، منها: وسم الأطروحة **للحزب الجمهورى بالإسلامى**. وتخصيصها لعنوان جانبى باسم: "**الحزب الجمهورى الإسلامى**". وكذلك فى كل الصفحات كان الحديث عن **الحزب الجمهورى الإسلامى**، وهذا غير صحيح البتة. كما لا تؤيده الوقائع ولا الوثائق التاريخية، ولا مصدر واحد من المصادر التى اعتمد عليها الباحث. أيضاً تناولت الأطروحة موقف **الحزب الجمهورى** من انقلاب 25 مايو عام 1969 فوصفته قائلة: "وانطلاقاً من كفرانه بالطائفية والتعددية الحزبية قد أيد انقلاب مايو 1969"[1]. ومع هذا الوصف الذى تؤيده أدبيات **الحزب الجمهورى**، يحمد للأطروحة أنها اعتمدت على مصادر متوفرة فى **دار الوثائق القومية** وتناولت **الحزب الجمهورى**، وهذا ما أغفلته الرسائل الجامعية الأخرى، كما ورد آنفاً.

إن الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود فى الرسائل الجامعية، ليس فى عدم الاهتمام بتخصيص رسائل جامعية لدراسة مشروع الأستاذ محمود فحسب؛ وإنما فى عدم الإشارة إليه حتى ولو بتأكيد الاختلاف معه، وعدم الإشارة لكتبه فى قوائم مصادر ومراجع الدراسات التى تتناول موضوعات كان للأستاذ محمود فيها إسهامات باكرة ومنشورة، بل سبق فيها أهل الاختصاص. لهذا فإن أكثر الأسئلة إلحاحاً ليست تلك التى تتصل بعدم الإشارة للأستاذ محمود فى الرسالة الجامعية الواحدة؛ وإنما تتصل الاستفهامات بهذا الإجماع فى التجاهل والتجاوز الواسع والمستمر والذى كأنما هو تحالف غير مكتوب. وكما هو معلوم فى الدراسات الأكاديمية فإن الإشارة للدراسات والكتابات السابقة والباكرة عن موضوع ما تعد من بين الأسس العلمية التى تتطلب المراعاة. وقد كتب الأستاذ محمود كتابات عديدة وفى موضوعات مختلفة، كانت باكرة وسابقة للكثير مما كتب فى السودان، بل وربما فى العالم. أيضاً إذا ما استبعدنا القصد فى الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود، فهل يعزى غياب الإشارة للأستاذ محمود إلى ضعف صلة الطلاب بفهارس ومصادر الدراسات السودانية فى **دار الوثائق القومية**،

(1) المرجع السابق، ص 30.

حيث الفهارس المنشورة، والوثائق والمصادر والدوريات والمراجع؟. من المهم الإشارة إلى أنه ليس كل الأساتذة الأكاديميين لديهم مواقف سلبية من الأستاذ محمود، فمنهم المناصرون له والمدافعون عنه. من الملاحظات المهمة والتى تفيد بأن هذا الإغفال قد استمر طويلاً، أن بعض الطلاب قدموا رسائلهم الجامعية وأغفلوا الأستاذ محمود، ثم أصبحوا فيما بعد أساتذة جامعيين، فأشرفوا على رسائل جامعية أغفلت الأستاذ محمود أيضاً، الأمر الذى يفيد أن الإغفال مارسه أكثر من جيل من الأكاديميين. وبقدر ما يمعن الباحث فى التقصى لا يجد سوى التجاهل لأهم القضايا وأكبرها.إن دراسة تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود بتهمة الردة عن الإسلام، مثلاً، وهو أمر فارقته البشرية - وليس المسلمون فحسب- قروناً. وربما منذ القرون الوسطى، ليس بالدراسة التى يمكن تجاهلها أو تجاوزها أو تأجيلها أو تهيبها أو التعالى عليها، إن تنفيذ حكم الإعدام بتهمة الردة عن الإسلام سيظل آبدة من الأوابد، التى ستبعث مع صباح كل يوم بالمعانى الجديدة والدلالات العظيمة.

الشاهد أنه لم يقف الأمر فى حدود عدم الإشارة للأستاذ محمود ببراءة وحسن نية؛ وإنما بلغ الأمر مبلغ العمد فى السعى لتغييب الأستاذ محمود، وتجاهله، بل التوجيه بحذف بعض ما يتعلق به، مما جاء فى الرسائل الجامعية. هنا أقدم نموذجاً يعبر بفصاحة عن ذلك، ويقدم دليلاً قوياً على رسوب الأكاديميا السودانية فى امتحان الأستاذ محمود.

رسوب الأكاديميا السودانية فى امتحان الأستاذ محمود

حينما يتلاشى مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها

وصلت أثناء رحلة البحث والتنقيب من أجل هذا الكتاب، إلى رسالة ماجستير موسومة بـ: **التطورات الدستورية لنظام مايو** 1969-1985[1]، قدمها أحد طلاب قسم

---

(1) محرم عوض السيد حسن، **التطورات الدستورية لنظام مايو** 1969-1985، (رسالة ماجستير)، إشراف محمد نورى الأمين، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، **بجامعة الخرطوم**، فى عام 1998. قادتنى هذه الرسالة إلى الوقوف على ما يؤكد صحة ما أزعمه فى موقف الأكاديميا السودانية من الأستاذ محمود، ليس فى عدم الإشارة للأستاذ محمود وكتاباته فحسب؛ وإنما فى صنوف العمد فى السعى لتغييبه وتجاهله. فالتغييب والتجاهل رسوب فى امتحان إظهار الحقيقة ونشرها ومن ثم تزوير فى تاريخه واستمرار فى تشويه سيرته. غنى عن القول أن السعى من الأكاديمى والهيئة الأكاديمية إلى التغييب والتجاهل، هو أمر يجافى الأخلاق العلمية والمسؤولية فى مبدأ اظهار الحقيقة ونشرها. قبل الإجابة على السؤال الذى يفرض نفسه فى هذا الموقف وهو: كيف قادتنى هذه الرسالة لتأكيد صحة ما أزعم تجاه الأكاديميا السودانية؟ أقف على ما تناولته رسالة الماجستير من موضوعات، وما هو موقفها من الأستاذ محمود، خاصة وأن الأستاذ محمود كان حاضراً فى الموضوعات والأحداث التى تناولتها. لقد لاحظت أن الرسالة تناولت موضوعات تعد من أهم الموضوعات التى كتب عنها الأستاذ محمود وتلاميذه، وبرغم ذلك لم تناقش ولم تورد آراء الأستاذ محمود، فقد تناولت الرسالة: تعريف الدستور والنظام الإسلامى والدستور الإسلامى، والقوانين الإسلامية وتأثيرها على القواعد الدستورية، والحركة الإسلامية فى السودان، وأثر القوانين الإسلامية... إلخ. وهذه من أهم الموضوعات التى كتب عنها الأستاذ محمود وتلاميذه. فقد درست الرسالة هذه الموضوعات وغيرها من خلال ستة فصول، فقد تناول الفصل الأول: " التطورات الدستورية لنظام مايو"، والفصل الثانى: "كتابة الدستور الدائم لعام 1973"، ووقف الفصل الثالث على: "التطورات التشريعية فى فترة مايو"، والفصل الرابع على: "التطورات الدستورية فى مجال الحكم المحلى"، وعالج الفصل الخامس: "القوانين الإسلامية وتأثيرها على القواعد الدستورية"، والفصل السادس تناول: "إعلان القوانين الإسلامية (1983)"، أما الفصل السابع فقد تناول: "أثر القوانين الإسلامية"، والفصل الثامن وهو الأخير فقد تناول: "معارضة القوانين الإسلامية (سبتمبر 1983)". هذه الرسالة ومن خلال ما عالجته من موضوعات ونسبة لكثرة ما كتبه الأستاذ محمود والإخوان الجمهوريون فى هذه الموضوعات، فإنه من الناحية العلمية ليست هناك فرصة فى أن تتجاوز الأستاذ محمود وتتجاوز كتاباته ومواقفه. غير أن

الرسالة تجاوزته وتجاوزت كتاباته وكتابة الإخوان الجمهوريين ولم تأتِ إلا بكتاب واحد هو: لماذا نؤيد ثورة مايو[1] . معلوم كما ورد آنفاً أن الأستاذ محمود كتب ونشر باكراً وكثيراً عن الدستور والقوانين الإسلامية ...إلخ. كما أن الفصل الأخير من الرسالة والذى تناول معارضة القوانين الإسلامية، فغنى عن القول أن الأستاذ محمود وتلاميذه كانوا أكثر المعارضين للقوانين المسماة إسلامية من غير وجه حق (كما هو دأب الأستاذ محمود وتلاميذه فى نعتها)، إلى جانب أن الأستاذ محمود حكم عليه بالردة عن الإسلام وأعدم فى ظل تلك القوانين الإسلامية، والإسلام منها براء.

الآن إلى الإجابة على السؤال الذى ورد آنفاً، كيف قادتنى رسالة الماجستير هذه إلى تأكيد صحة ما أزعم، وهو أن الأكاديميا السودانية فى موقفها من الأستاذ محمود لم تقف عند حدود عدم الإشارة إليه فحسب؛ وإنما سعت سعياً متعمداً إلى تغييبه وتجاهله. لم أكن أعلم أن الطالب (آنئذ) محرم عوض السيد حسن الذى أعد رسالة الماجستير هو من تلاميذ الأستاذ محمود، وحينما علمت[2] أنه من الجمهوريين، زادت دهشتى واستغرابى، فسعيت إلى الوصول للطالب. وبالفعل وصلت إلى الطالب وأجريت معه مقابلة مطولة[3]. سألته عن رسالته للماجستير وكيف أنها تناولت موضوعات تتصل بشكل مباشر بكتابات وآراء الأستاذ محمود ومواقفه، وبرغم ذلك لم تتضمن مناقشة لآراء الأستاذ محمود أو إشارة لكتاباته؟ كما تناولت الرسالة القوانين التى حكم فى ظلها على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام وتم تنفيذ حكم الإعدام عليه، وبرغم ذلك لم تتناول الرسالة مواقف الأستاذ محمود وآراءه. حكى لى الطالب (آنئذ) محرم عوض السيد حسن عن قصة رسالته للماجستير بتفصيل، فأفادنى أولاً بأن هيئة رسالته للماجستير لم تكن على ما هى عليه الآن. فالنسخة الحالية هى نسخة ثانية. فقد كانت الرسالة فى بادئ الأمر متناولة للعديد من آراء الأستاذ محمود ومواقفه من الدستور

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **لماذا نؤيد ثورة مايو**، مصدر سابق.

(2) لفت نظرى الأستاذ عيسى إبراهيم إلى أن الطالب الذى أعد رسالة الماجستير المشار إليه، محرم عوض السيد حسن، هو من تلاميذ الأستاذ محمود.

(3) مقابلة مع محرم عوض السيد حسن، مقابلة بالهاتف، المؤلف فى الدوحة، قطر، ومحرم عوض السيد حسن فى مدينة بورتسودان، السودان، بتاريخ 17 يناير 2013، الساعة 9:54.

الإسلامى، وتحدثت الرسالة عن نقد الأستاذ محمود للدستور الإسلامى، وناقشت الرسالة الكثير من أطروحات الأستاذ محمود وهى تناقش تعريف الدستور، والنظام الإسلامى والدستور الإسلامى، والقوانين الإسلامية وتأثيرها على القواعد الدستورية، والحركة الإسلامية فى السودان، وأثر القوانين الإسلامية... إلخ. وكان كل ذلك بدعم وسند من المشرف محمد نورى الأمين. أيضاً كان الإهداء فى الرسالة ليس كما هو عليه الآن. وأضاف محرم عوض السيد حسن قائلاً: إننى كتبت فى النسخة الأولى إهداءً مختلفاً عما هو عليه الإهداء فى النسخة الحالية، والتى نلت بموجبها درجة الماجستير، لقد كتبت فى النسخة الأولى النص التالى، ثم تلا لى محرم عوض السيد حسن نص الإهداء، يقول محرم فى إهداء رسالته:

إهـــداء

إنما يهدى هذا العمل المتواضع إلى شهيد الفكر.

والدى العزيز

الأستاذ محمود محمد طه

"والذى بذل روحه فداءً لهذا الشعب العظيم فى عهد عدم التسامح الدينى وقد كانت آخر عباراته (اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون)".

فما الذى حدث؟ الذى حدث هو أن الطالب أنجز رسالته للماجستير وجاء فى يوم المناقشة. معلوم أن جامعة الخرطوم تأخذ بنظام المناقشات المغلقة للرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراة)، إذ لا يكون فى القاعة سوى الطالب والمشرف والممتحن الداخلى والممتحن الخارجى. حضر الطالب محرم عوض السيد حسن، والمشرف محمد نورى الأمين، وكان الممتحن الداخلى محمد عثمان أبو ساق، والممتحن الخارجى عون الشريف قاسم (1933-2006). ومنذ الوهلة الأولى عبر عون الشريف وهو الممتحن الخارجى عن اختلافه وعدم اتفاقه مع الطالب وكذلك الممتحن الداخلى، فى ما أورده الطالب من آراء ومواقف للأستاذ محمود وفى ما قدمه من حجج وبراهين، واختلف

عون الشريف مع الطالب حتى فى نص الإهداء[1]. واجه الطالب هذا الاختلاف مع آرائه والرفض لما قدمه من حجج وبراهين، من قبل الممتحنين الخارجى والداخلى، ولكنه لم يستطع اقناعهما. تشاور الطالب محرم والمشرف محمد نورى الأمين والذى كان مسانداً للطالب، ولكن الأمر الواقع هو أن هناك ممتحناً خارجياً وداخلياً غير مقتنعين. لم يكن أمام الطالب (إن أراد نيل درجة الماجستير)، سوى إعادة كتابة الرسالة وتعديل بعض محاورها والآراء الواردة فيها، وإلغاء وحذف الأجزاء التى أشار إليها الممتحنان الخارجى والداخلى، بما فى ذلك الإهداء المشار إليه أعلاه، حتى يستطيع اقناعهما. الشاهد هذا ما حدث، أعاد الطالب كتابة الرسالة وقام بإلغاء الأجزاء المختلف والمتحفظ عليها، وحذف نص الإهداء للأستاذ محمود، وكتب إهداءً آخر كان لوالديه، ومن ثم تمت إجازة الرسالة ومنح الطالب درجة الماجستير. ماذا نسمى هذا؟ أين أهم مبادىء الأكاديمية، وهو مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها؟ أين الأخلاق العلمية؟ أين الشرف المهنى؟ ما هو أنسب وصف يمكن أن نطلقه على هذه الحالة؟ أليس فى هذا نموذج ناصع على انحراف الأكاديميا السودانية عن أهم المبادئ الأكاديمية، وهو مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها. أليس هذا تماهياً مع الفقهاء وتبنياً لموقفهم من الأستاذ محمود؟ الشاهد أن الغرض الأساسى من كتابى هذا هو محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة، والمساهمة فى دراسة مواقف الأكاديميا السودانية من الأستاذ محمود بما يخدم شرف السجال، والوعى بموضوع الأستاذ محمود، والتنوير بحقيقة المواقف من مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها، والسعى لتفكيك رموز الأزمات وأبعادها من أجل أن ندخل على المستقبل بمعانى الورع العلمى وقيم الأخلاق والعدل والحرية.

الشاهد أن هذا الإغفال والسعى لتغييب الأستاذ محمود وتجاهله لا تكتمل صورته إلا بالوقوف على كتب مؤرخى الحركة الوطنية السودانية، ودراسة كيفية معالجة المؤرخين لدور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية. ولعل دراسة كتب مؤرخى الحركة الوطنية لا تكتمل صورتها إلا بدراسة مذكرات معاصرى الأستاذ محمود، باعتبار أن

(1) مقابلة مع محرم عوض السيد حسن، مقابلة بالهاتف، المؤلف فى الدوحة، قطر، ومحرم عوض السيد حسن فى مدينة بورتسودان، السودان، بتاريخ 17 يناير 2013، الساعة 4:25.

المذكرات مصدر تاريخى مـهم، فكيفية معالجة تلك المذكرات لدور الأسـتاذ محمود فى الحركـة الوطنية يسهم فى دراسـة أبعاد هذا التـجاهل والإغفـال. لقد خصـصت الفصل السـادس عـشر من هذا الـكتاب لدراسـة مـوضـوع: "الأستـاذ مـحـمود فـى مذكـرات معاصريه". كـذلك لا تكتمل صورة موضوع الأسـتاذ محمود والأكاديميـا السودانية إلا بالوقـوف كذلك على إصـدارات الأكاديمـيين فى العلوم السـياسـية والفكر الإسـلامى وغيرها من المجالات التى كان للأستاذ محمود فيها حضور قوى وأصيل وباكر. وهذا ما سأتناوله فى الفصل القادم وهو بعنوان: "الأستاذ محـمود والأكاديميا السودانية: دراسة فى نماذج من كتب المؤرخين والأكاديميين".

الفصل
الرابع عشر

14

قراءة فى كتب تاريخ الحركة الوطنية وكتب أخرى

الطريق نحو "ما بعد التاريخ المعلن"

إلى الشعب السودانى: الذى لا تنقصه الأصالة، وإنما تنقصه المعلومات الوافية.. وقد تضافرت شتى العوامل لتحجبه عنها[1].

محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، **زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان: 1. الثقافة الغربية 2. الإسلام**، مصدر سابق، نص الإهداء.

كلما ارتفع الإنسان فى مراتب الإنسانية، ارتقت نظرته التاريخية وغزر فعله التاريخى، وكذلك كلما كان وعيه للماضى أصفى ومجابهته له أصدق وأعمق اغتنى كيانه الإنسانى وغدا أقدر على الإنتاج والإبداع(1).

قسطنطين زريق (1909-2000)

جاءت الإشارة فى الفصل السابق إلى أن الدراسات الأكاديمية المنظمة فى السودان بدأت بعد الحرب العالمية الثانية فى كنف الحكم البريطانى بمدرسة الآداب العليا، التى هى الآن،كلية الآداب، إحدى كليات جامعة الخرطوم اليوم. ولكننى هنا بصدد تقديم إضاءة ومدخل مختصر عن ظهور المدرسة التاريخية السودانية وتطورها. معلوم أن الكتابات التاريخية فى السودان كانت سابقة لبداية الدراسات الأكاديمية المنظمة فى مدرسة الآداب العليا، بيد أن المدرسة التاريخية السودانية ظهرت كواحدة من ثمرات التعليم الحديث مع ظهور طلائع المتعلمين والحركة الوطنية. يقول المؤرخ محمد سعيد القدَّال: "ظهرت المدرسة التاريخية السودانية مع بروز الحركة الوطنية... واتجهت فى بداياتها الأولى نحو تجميع التراث حتى يساعد على شحذ الشعور القومى. ولكنها ظلت اجتهادات شخصية ومبادرات متفرقة، تستلهم مآثر المهدى حيناً، وتخوض فى الماضى التليد حيناً آخر، وتشرئب نحو دراسات التراث الإسلامى الوافدة من مصر"(2).

---

(1) قسطنطين زريق، "نحن والتاريخ: مطالب وتساؤلات فى صناعة التأريخ وصنع التاريخ"، **الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق، المجلد الأول**، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص386.

(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 16.

كان الأثر العربى والإسلامى واحداً من معطيات تكوين المؤرخين السودانيين والمدرسة التاريخية، كما كان للوثيقة العربية حضور باكر فى تاريخ السودان. يقول المؤرخ محمد إبراهيم أبوسليم (1927-2004):

يرجع تاريخ الوثيقة العربية الديوانية فى السودان إلى قيام سلطنة الفونج وقيام سلطنة الفور إلى الغرب منها، ذلك لأن الوثيقة العربية قد صارت بفضل هاتين السلطنتين الإسلاميتين أداة من أدوات الحكم والإدارة. ولما انتعشت حركة الثقافة العربية بعد ظهورهما وبالأخص فى النصف الثانى من عهديهما توطدت مكانة الوثيقة العربية، وارتفع شأن الديوان السلطانى والكتاب الذين يلتحقون به[1].

هيأت بداية الدراسات الأكاديمية المنظمة، وبالطبع المدرسة التاريخية السودانية، فى كنف الحكم البريطانى، الفرصة للأخذ بالمنهج العلمى والروح الغربية إلى جانب التدريب الأكاديمى. أشار المؤرخ يوسف فضل حسن إلى فضل الغرب الذى لا ينكر فى تطوير أقسام التاريخ واقتباس نهجه العلمى فى كتابة التاريخ[2]، وأشار كذلك إلى أن أثر روح النقد الغربية وأساليب البحث والكتابة الحديثة واضحة فى مؤلفات معظم المؤرخين السودانيين المعاصرين. أشار أحمد أبو شوك إلى أثر المدارس التاريخية فى التكوين الفكرى والإعداد الأكاديمى للمؤرخين السودانيين،

(1) محمد إبراهيم أبوسليم، **بحوث فى تاريخ السودان (الأراضى، العلماء، الخلافة، بربر، على الميرغنى)**، مرجع سابق، ص 68.

(2) يوسف فضل حسن، **دراسات فى تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب**، ج3، مرجع سابق، ص61.

وتحدث عن سيادة المدرسة المثالية (الفيلسوف الألمانى فريدريك هيغل 1770-1821)، والمدرسة المادية الجدلية (كارل ماركس 1818-1883)، والمدرسة الحضارية (أرنولد توينبى 1889-1975)، ومدرسة الحوليات الفرنسية. تناول أبو شوك المنطلقات الفكرية للمدارس الأربعة فى كيفية معالجة الواقعة التاريخية والمسألة الحضارية، وألمح إلى بعض تأثيراتها على المؤرخين السودانيين[1]. الشاهد أن المدرسة التاريخية اتخذت منهجاً صارماً فى تحقيق الوثائق والتدقيق فى أمرها.. وهذا أعطى البحث التاريخى أرضية صلبة ليقف عليها[2]. أجمل القدَّال الصفات العامة للمدرسة التاريخية السودانية التى اشترك فيها كل المؤرخين بدرجات متفاوتة. لعل من أهم جوانبها الإيجابية[3]:

1- قدمت دراسات تاريخية فيها الخصوصية السودانية وعملت على دحض كتابات المؤرخين الاستعماريين والكشف عن تشويههم وزيفهم.

2- ركزت على الجوانب السياسية، ولكنها بدأت ترتاد مجال الدراسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

3- أسست منهجاً صارماً للبحث يعتمد على الوثائق ودراستها واكتشافها وترتيبها، والخروج منها بأبحاث تعتمد على رصد الأحداث رصداً يتوخى الدقة.

فالمدرسة التاريخية السودانية عند القدّال من الناحية المنهجية الأكاديمية قد اكتمل بناؤها أو كاد[4]، بيد أنها عنده لا تعنى منهجية أكاديمية فحسب؛ وإنما تعنى الموقف الأيديولوجى أيضاً، وهو الذى حكم فى نهاية الأمر توجهاتها واستنتاجاتها مع التاريخ. وأضاف القدال قائلاً: عندما نتحدث عن هذه المدرسة فلا نعنى استنتاجات موحدة، أو نسخاً مكررة لأمر واحد بل نقصد موقفاً أيديولوجياً واحداً تفرعت منه عدة

---

(1) أحمد إبراهيم أبوشوك، **السودان: السلطة والتراث**، ج4، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2012، ص 222-226.

(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 18-19.

(3) المرجع السابق، ص 16.

(4) المرجع السابق، ص 21.

استنتاجات واجتهادات... فخلف كل موقف فكرى تقبع قاعدة أيدولوجية صلبة، ويكون ذلك الفكر انعكاساً لها ومدافعاً عنها، وقد ينفلت منها نسبياً، ولكنها تظل ممسكة بتلابيبه. فالمدرسة التاريخية السودانية جزء من حقل أيديولوجى كبير له تجلياته فى مجال الأدب والاقتصاد والسياسة"[1].

الماضى وعلاقات القوى ونعت الحدث

علينا أن نفرق بين الماضى وبين معرفة الماضى. فمعرفة الماضى إضافة خارجية تفد عليه من مصادر متعددة. فالموقف من الماضى فى نهاية الأمر موقف أيديولوجى، والموقف الأيديولوجى فى الأساس موقف طبقى[2].

محمد سعيد القدَّال

متى نسائل الماضى؟ وكيف نقف على الموقف الاجتماعى منه؟ يقول المؤرخ الفرنسى جان كلود شميث، وهو من الذين ساهموا فى وضع كتاب **التاريخ الجديد**، الذى صدر بمشاركة أكثر من عشر مؤرخين قدموا أوراقاً علمية. صدر الكتاب بتقديم المؤرخ جاك لوغوف. يقول جان كلود شميث فى ورقته وهى بعنوان: "تاريخ الهامشيين": "إن المؤرخ قبل كل شيء، بوعى أو بغير وعى، يسائل الماضى من خلال ما يطرحه عليه مجتمعه من تساؤلات"[3]. فالماضى حينما يأتى عليه المؤرخ يكون قد نُعت ووصف وأخذ وسماً. يقول عبدالله العروى: "يأتى المؤرخ بعد الحدث، حاله غير المشاهد أو الصحافى. يتعامل مع وثائق مكتوبة، مع عهود، فيجد فيها أن الأحداث قد نعتت من قبل"[4]. يكون النعت متصلاً بالتطورات فى العقل والعقيدة والنفوذ. يقول شميث: "كان التاريخ قبل كل شيء عملاً تبريرياً للتطورات التى شهدتها العقيدة أو العقل، والتطورات التى عرفها النفوذ الملكى أو النفوذ

---

(1) المرجع السابق، ص 23-29.

(2) المرجع السابق، ص 23.

(3) جان كلود شميث، "تاريخ الهامشيين"، **التاريخ الجديد**، مرجع سابق، 441.

(4) عبدالله العروى، **مفهوم التاريخ: المفاهيم والأصول**، ج2، ط3، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1997، ص 244-245.

البرجوازى"[1]. ويرى القدّال أن أى دراسة تاريخية ما هى إلا موقف اجتماعى، كما أنه يميز بين الانتماء الأيديولوجى لمنهج البحث واخضاع علم التاريخ للصراع السياسى، يقول القدال: ولكن هناك فرقاً بين الانتماء الأيديولوجى لمنهج من مناهج البحث، وبين إخضاع علم التاريخ لمتطلبات الصراع السياسى بين هذه الفصيلة أو تلك من فصائل الحركة السياسية[2]. الشاهد أن إخضاع علم التاريخ للصراع السياسى يجعل منه تأريخاً للسلطة حيث تحكم علاقات القوى فى المجتمع. يقول المؤرخ وجيه كوثرانى: إن التأريخ للسلطة وليس للدولة، وبما هى علاقات قوة فى المجتمع، هو تأريخ لطبقات وفئات وأيديولوجيات وأفكار وأساليب تحكّم وسيطرة وإخضاع واستتباع. وفى المقابل، هو أيضاً تأريخ لأشكال من الخضوع والتبعية والاستلاب، أو لأشكال من الرفض والممانعة والمقاومة. التاريخ السياسى يصبح وفقاً لهذا المنظور تاريخاً علائقياً للسلطة فى المجتمع وليس تاريخ مؤسسات وسياسات عليا للحكومات وللأحزاب فحسب[3].

من المهم الإشارة إلى أن مكى الطيب شبيكة (1900-1980) يعتبر رائد المدرسة التاريخية السودانية. وهو أول سودانى منح درجة الدكتوراة. ففى عام 1943 اختير شبيكة محاضراً للتاريخ والتربية الوطنية بمدرسة الآداب العليا.وفى عام 1947 ابتعث إلى جامعة لندن، لنيل درجة الدكتوراة فى فلسفة التاريخ تحت اشراف لليان بنسون أستاذة التاريخ الحديث ومديرة جامعة لندن آنذاك. فى عام 1949 فرغ شبيكة من أطروحته، والتى كانت بعنوان: **السودان فى عهد الثورة المهدية** 1881-1885. وفى عام 1955 ترقى شبيكة لدرجة الأستاذية، "البروفيسور" وهو أول سودانى يبلغ هذه الدرجة، وفى نفس العام صار عميداً لكلية الآداب ليصبح أول سودانى يتولى عمادة كلية فى **جامعة الخرطوم**، ثم أصبح أستاذ كرسى التاريخ **بجامعة الخرطوم**[4]. الشاهد أن الدراسات الأكاديمية، لا سيما التاريخية تطورت ولم تقتصر هذه الدراسات على السودانيين وإنما شارك غير السودانيين خاصة من البريطانيين الذين ساهموا بنشر الدراسات أو شاركوا فى التدريس **بجامعة الخرطوم**، أو أشرفوا على الدراسات

(1) جان كلود شميث، مرجع سابق، 437.
(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 20.
(3) وجيه كوثرانى، **تاريخ التأريخ: اتجاهات- مدارس- مناهج**، مرجع سابق، 398.
(4) يوسف فضل حسن، **دراسات فى تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب**، ج 2، مرجع سابق، ص 98-99.

الأكاديمية، من أمثال الأساتذة بيتر مالكوم هولت[1] وريتشارد هِلّ (1901-1995)[2] وج. ن. ساندرسون[3] وغيرهم[4]. ولابد من الإشارة **لمجلة السودان فى رسائل ومدونات** Sudan Notes and Records والتى كانت تصدر باللغة الإنجليزية وتنفرد برعاية الحاكم العام لها، وتعنى بنشر أشتات من المعارف عن السودان، تجمع بين البحث العلمى والمذكرة والتعليق مما جمعه موظفو الخدمة المدنية من البريطانيين فى البلاد[5].

---

(1) بيتر مالكوم هولت Peter Malcolm Holt (1918-2006)، اسم ارتبط تاريخياً **بدار الوثائق القومية** فى السودان. لقد شرعت إدارة الحكم الثنائى (1898-1956) فى جمع الأوراق المالية والقضائية وأرشفتها، فى نحو عام 1916، ثم تطورت هذه الخطوة فى تأسيس **مكتب محفوظات السودان** عام 1948. ثم أوكلت إدارة مكتب المحفوظات إلى البريطانى هولت. وبعد سودنة الوظائف رجع هولت إلى بريطانيا حيث عمل عضواً بهيئة تدريس مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية **بجامعة لندن**، وفيها نال درجة الدكتوراة فى تاريخ الشرق الأوسط الحديث. أعد هولت أبحاثاً فى تاريخ السودان والشرق الأوسط، أشهرها: **الدولة المهدية فى السودان**، الذى يُعدُّ واسطة عقدٍ فى الدراسات السودانية وأدبيات المهدية تحديداً. وأخيراً توَّج هولت حياته المعاشية بترجمة موثقة حواشيها، لمخطوطات تاريخ الفونج وطرفاً من التركية السابقة. وبجانب اهتماماته البحثية ظل متابعاً لسيرة **دار الوثائق القومية** إلى أن وافته المنيَّة. المصدر: أحمد أبو شوك، **"دار الوثائق القومية السودانية"** من الموقع الرسمى للبروفسير محمد إبراهيم أبو سليم، استرجاع (Retrieved) 2013/1/9، الموقع على الإنترنت: http://www.abusaleem.net

(2) ولد ريتشارد هِلّ فى انجلترا وترعرع فى نيوزيلندا. التحق بالخدمة فى السودان الإنجليزى/ المصرى عام 1927 ليعمل فى مصلَحة سكك حديد السودان حتى عام 1945. دفعه ميله الفطرى للدراسات التاريخية أن يهتم بتاريخ السودان، فقضى جل حياته باحثاً ومنقباً فى تاريخ السودان الحديث عامة، وتاريخ العهد التركى المصرى فى السودان خاصة. أثرى هِلّ مكتبة تاريخ السودان بعشرة مؤلفات لا غنى عنها لباحث فى تاريخ السودان الحديث. كانت: **بيليوغرافيَة السودان الإنجليزى/ المصرى منذ أقدم العصور إلى عام** 1937، أولى إصدارات هِلّ وقد نشرت فى عام 1939، كما نشر فى عام 1951 **معجم سير السودان الإنجليزى المصرى**، وكان آخر ما نشَره فى عام 1995 بمعاونة بيتر هوق هو: **فيلق مختار من السود: كتيبة المجندين السودانيين المصريين مع الجيش الفرنسى فى المكسيك** 1863-1867، والناجون منها فى تاريخ أفريقيا اللاحق. ولعل أهم مؤلفاته هو: مصر فى السودان، الذى صدر عام 1959. فى عام 1945 التحق هِلّ بمدرسة الآداب بالمدارس العليا، والتى سبقت قيام **كلية الخرطوم الجامعية**، محاضراً فى التاريخ. وفى عامَ 1949 انتقل إلى **جامعة درم** Durham بإنجلترا محاضراً أولاً فى تاريخ الشرق الأوسط. وقام فى عقد الخمسينيات بتأسيس إرشيف السودان **بجامعة درم**. وهو الآن مقصد الدارسين والباحثين فى تاريخ السودان. المصدر: يوسف فضل حسن، "ريتشارد هِلّ مؤرخ العهد التركى المصرى فى السودان"، **حواش على متون: علماء ومؤرخون ومفكرون فى تاريخ إفريقَيا والسودان**، مرجع سابق، ص 69-80.

(3) عمل محاضراً **بجامعة الخرطوم**. كان أول مدير لشعبة أبحاث السودان والتى تطورت إلى معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية **بجامعة الخرطوم**. كان أستاذاً للتاريخ **بجامعة لندن**.

(4) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 16-17.

(5) يوسف فضل حسن، **حواشِ على متون: علماء ومؤرخون ومفكرون فى تاريخ أفريقيا والسودان**، مرجع سابق، 70.

إلى أى مدى حافظت الأكاديميا السودانية لا سيما الدراسات التاريخية على التقاليد الأكاديمية الرصينة الموروثة من البريطانيين؟ وإلى أى مدى عملت الدراسات الأكاديمية على تقديم الوثيقة واستنطاقها؟ وإلى أى مدى حافظت على المنهج الصارم، الذى أخذت به فى بداياتها، فى تحقيق الوثائق؟ سأحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال قراءة بعض النماذج من الكتب المنشورة فى مجال تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السودان السياسى، لأقف على كيفية معالجتها لموضوع الأستاذ محمود ودوره فى الحركة الوطنية وفى تاريخ السودان السياسى،ونماذج من كتب أخرى تناولت مجالات علمية غير تاريخ الحركة الوطنية.

قراءة فى كتب تاريخ الحركة الوطنية وكتب أخرى

وما يحمله إلينا التاريخ هو علاقات القوة وليس علاقات المعنى، إنه يحمل إلينا صورة الحرب وليس صورة اللغة (1).

جورج لارين

أصدر هذه النماذج التى سأقف عليها فى هذا المحور مثقفون، منهم المؤرخون المتخصصون ومنهم غير المؤرخين، هذا فيما يتعلق بكتب تاريخ الحركة الوطنية. أما النوع الثانى من النماذج فهو فى مجالات مختلفة، منها ما هو فى مجال السياسة، والفكر...إلخ. وهى مجالات كان للأستاذ محمود فيها إسهامات باكرة ومنشورة. وقد أصدر هذا النوع من الكتب بعض المثقفين المتخصصين فى تلك المجالات، وكان غرضى من تناول هذا النوع هو محاولة الوقوف على كيفية معالجة المثقفين لإسهامات الأستاذ محمود فى المجال الذى يكتبون فيه. تجدر الإشارة إلى أن العناوين الجانبية أدناه هى عناوين الكتب التى تمثل نماذج دراستى، فكل عنوان جانبى هو عنوان كتاب.

كتاب: **الحركة الوطنية فى السودان**(2)

وضع هذا الكتاب الأستاذ إبراهيم المفتى (1908-1983)، وقدم له السيد إسماعيل

(1) جورج لارين، **الإيديولوجيا والهوية الثقافية: الحداثة وحضور العالم الثالث**، ترجمة: فريال حسن خليفة، ط1، مكتبة مدبولى، 2002، ص 20.

(2) إبراهيم المفتى، **الحركة الوطنية فى السودان**، مكتبة البازار السودانى، الخرطوم، 1947.

الأزهرى (1900-1969). فى الأصل كان الكتاب عبارة عن محاضرة قدمها السيد المفتى فى الإسكندرية، ثم تم إعداد المحاضرة لتكون كتاباً. وصف الأزهرى الكتاب فى تقديمه بأنه: "بحث عن (الحركة الوطنية فى السودان) وضعه الأستاذ إبراهيم المفتى المحامى". وأشار الأزهرى إلى أن الكتاب يغنى: "الباحث عن كثير من المشقة والتنقيب". طبع الكتاب فى بيروت عام 1947. يقع الكتاب فى (44) صفحة، وتناول موضوع الحركة الوطنية فى السودان من خلال سبعة فصول أو محاور بعد الإهداء والتقديم، وجاءت على النحو التالى: "نشأة الحركة الوطنية فى السودان"، و"ثورة 1919"، و"ثورة 1924"، و"معاهدة 1936 والحركة الوطنية الحديثة"، و"مؤتمر الخريجين العام"، و"تكوين الأحزاب"، وآخر الفصول هو "وفد السودان". على الرغم من أن الكتاب يعد مع كتاب أحمد خير المحامى: **كفاح جيل**، أول كتابين صدرا بعد نشأة الأحزاب السودانية بل صدرا فى عشية تكوين الأحزاب، إذ صدر الكتابان عام 1947 وكانت نشأة الأحزاب السودانية فى الأعوام 1944-1945.

تحدث إبراهيم المفتى فى كتابه عن نشأة الأحزاب تحت عنوان: "تكوين الأحزاب"، وأشار إلى **حزب الأشقاء، وحزب الاتحاديين، وحزب الأحرار الاتحاديين، وحزب الأحرار، وحزب القوميين، وحزب وحدة وادى النيل، وحزب الأمة**. بينما أغفل الكتاب **الحزب الجمهورى** تماماً، ولم ترد أى إشارة إليه. تحدث الكتاب عن الموقف من مصر، إذ كتب المفتى قائلاً: "ولما كانت جميع أحزاب السودان ما عدا **حزب الأمة** الآنف الذكر تطالب بقيام حكومة سودانية ديمقراطية فى اتحاد مع مصر..."[1]. وأشار المفتى إلى الاتفاق الذى تم بمدينة القاهرة فى يوم الجمعة 17 مايو 1946 "بين وفد السودان والهيئات الشعبية المصرية على ميثاق وطنى يقطعونه على أنفسهم وهيئاتهم ويعاهدون عليه الله والوطن والملك لكى يعملوا جميعاً يداً واحدة فى كفاح مشترك حتى يأذن الله بتحقيقه"[2]. إن القول بأن جميع الأحزاب تطالب بقيام حكومة فى اتحاد مع مصر ما عدا **حزب الأمة، لا** يستقيم مع الوقائع التاريخية والشواهد الموثقة، **فالحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود نشأ عام 1945 وكان أول حزب ينادى بالنظام الجمهورى مع الاستقلال التام من مصر وبريطانيا، بل كان الصوت الأقوى فى مناهضة الاتحاد مع مصر أو التاج البريطانى.

---

(1) المرجع السابق، ص 38.

(2) المرجع السابق، ص 42-43.

ولا يستقيم ما ورد فى كتاب السيد إبراهيم المفتى مع ما أورده أحمد خير المحامى فى كتابه: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**[1]، الذى صدر فى نفس العام وأفرد أحمد عنواناً جانبياً لا تخطئه العين، كما ورد آنفاً، وتحدث فيه عن **الحزب الجمهورى** ورئيسه وأعضائه وتناول موقف الحزب من مصر وبريطانيا.

الشاهد؛ يبدو أننا فى السودان نعيش أزمة باكرة فى مسألة التوثيق والتأريخ. لقد أغفل السيد إبراهيم المفتى الإشارة **للحزب الجمهورى**، وهو يتحدث عن تكوين الأحزاب السودانية، وقد كان الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** وقتئذ مسجوناً فى سجن المستعمر حينما طبع الكتاب. إن هذا الإغفال **للحزب الجمهورى** ولسجن رئيسه الأستاذ محمود والذى كان بسبب ثورة تستحق الإشارة وهى ثورة رفاعة التى قامت عام 1946، إن هذا الإغفال يعبر بقوة عن أزمة حقيقية فى مسألة التوثيق والتأريخ، وتحتاج منا للبحث والتنقيب، إذ لم تقف الأزمة عند طلائع المتعلمين، وإنما أصبحت معطًى أساسياً فى الإرث السياسى والفكرى فى السودان.

كتاب : **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان** (1900-1969)[2]

أصدر هذا الكتاب محمد عمر بشير، ويعتبر من أهم الكتب الباكرة فى تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، وتكاد لا تخلو دراسة عن الحركة الوطنية أو عن تاريخ السودان السياسى من الإشارة إليه. يقع الكتاب فى (295) صفحة، ويتهيكل فى اثنى عشر باباً، تناول الباب الأول: "الجذور التاريخية للسودان الحديث"، والباب الثانى: "منذ مطلع القرن حتى الحرب العالمية الأولى 1900-1914"، والباب الثالث: "المقاومة الأولى". وتحدث الباب الرابع عن: "إرهاصات الثورة"، والباب الخامس عن: "ثورة 1924". ووقف الباب السادس على: "ما بعد ثورة 1924"، والباب السابع على: "الوطنية الجديدة"، والباب الثامن على: "المهدية الجديدة". ودرس الباب التاسع: "مؤتمر الخريجين"، والباب العاشر: "الحركة الوطنية والتطورات الدستورية 1942-1956"، والباب الحادى عشر: "الأحزاب والنقابات

---

(1) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 95، 96.
(2) محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان** (1900-1969)، مرجع سابق.

واتحاد الطلاب 1946-1956، وخلص الباب الثانى عشر إلى: "عود على بدء وخاتمة".

برغم ما اتسم به الكتاب من شمول فى التناول، إذ أنه غطى فترة طويلة هى سبعة عقود، وقف خلالها على أهم الأحداث فى تاريخ الحركة الوطنية السودانية، فإنه لا توجد أى إشارة لثورة رفاعة والتى قامت عام 1946، وسجن بسببها قائدها الأستاذ محمود وسجن معه آخرون. أكثر من ذلك فإن الكتاب قد تحدث عن تكوين الأحزاب السودانية وتوجهاتها، وأشار إلى أصغر الأحزاب، ما عدا **الحزب الجمهورى**، فلم ترد أى إشارة إليه. فقد أشار الكتاب إلى "تكوين الحزبين السياسيين الأشقاء والأمة فى عامى 1944 و1945 على التوالى"[1]، وتحدث عن **حزب الإتحاديين، وحزب الأحرار الاتحاديين، وحزب وادى النيل**، وتناول الخطوط العريضة لمبادئها وتوجهاتها. ثم وقف عند الاحزاب التى أيدت الاستقلال وتحدث عن **حزب الوطن والحزب الجمهورى الاشتراكى**. أشار محمد عمر بشير إلى أن سياسة **الحزب الجمهورى الاشتراكى** كانت: " قائمة على التعاون مع الإدارة البريطانية بالنسبة للتطورات الدستورية...، وانتهى نشاطه فى عام 1953"[2]. وتناول اندماج أحزاب **الأشقاء والاتحاديين والأحرار الاتحاديين ووحدة وادى النيل فى حزب واحد هو الحزب الوطنى الاتحادى** بزعامة الرئيس إسماعيل الأزهرى. وتحدث عن تكوين **حزب الاستقلال الجمهورى** عام 1954. وتناول نشأة **حزب الشعب الديمقراطى** عام 1956 الذى قام على سند طائفة الختمية، برئاسة الشيخ على عبدالرحمن الأمين، ثم اندمج الحزب مع **الحزب الوطنى الاتحادى** فى عام 1965، وتم تكوين **الحزب الاتحادى الديمقراطى**، برئاسة إسماعيل الأزهرى، وأصبح الشيخ على عبدالرحمن الأمين نائباً للرئيس[3].

كما تناول محمد عمر بشير **حزب الأحرار الجنوبيين** الذى نشأ عام 1953 وكان أكبر الأحزاب الجنوبية. **وحزب الاتحاد السودانى الأفريقى** برئاسة وليم دينق (???-1968)، **وجبهة الجنوب، وحزب الوحدة السودانى**. كما أشار إلى الأحزاب السياسية الأخرى فى الجنوب وقال عنها: "فلم تعدُ أن تكون تجمعات سياسية صغيرة دون سند شعبى"[4]،

(1) المرجع السابق، ص 239.
(2) المرجع السابق، ص 240.
(3) المرجع السابق، ص 240.
(4) المرجع السابق، ص 214.

وأشار إلى **حزب السلام، والحزب الديمقراطى الجنوبي، وحزب النيل**. ثم تناول جماعة **الإخوان المسلمين والحزب الشيوعى السودانى**، وكتب قائلاً: "والمنظمتان الكبيرتان اللتان ظهرتا على المسرح السياسى السودانى قبل 1946 وأصبحتا ذات نشاط فى مجرى السياسة السودانية هما جماعة الإخوان المسلمين و**الحزب الشيوعى السودانى**"(1). وتناولهما بالحديث مفصلاً فى نشأتهما وأهدافهما وتطورهما. وأشار إلى دور الطلاب فى تأسيس **جماعة الإخوان المسلمين** فى السودان والتى كانت امتداداً لجماعة **الإخوان المسلمين** بمصر، ثم تتبع تطور الجماعة في السودان. كما أشار إلى أن "تأسيس **الحزب الشيوعى السودانى** لأول مرة بأمدرمان فى أغسطس 1945 من لفيف من المتعلمين السودانيين الذين قرروا تكوين الجبهة السودانية للتحرر الوطنى، وأشار إلى أنها كانت امتداداً لمنظمة مصرية مماثلة هى **الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى**"(2). كما أشار إلى **حزب الجبهة المعادية للاستعمار** الذى شكل عام 1953، والذى أضحى الممثل العام **للحزب الشيوعى**(3).

الشاهد أنه على الرغم من أن محمد عمر بشير تناول تكوين الأحزاب السودانية وأشار إلى أصغر الأحزاب وإلى أقلها سنداً شعبياً، غير أنه لم يورد مجرد إشارة **للحزب الجمهورى**، دعك من حديث عن نضاله وأعضائه، والسجن الأول لرئيسه والثانى وبعض أعضائه بسبب الثورة التى قادها الأستاذ محمود بمدينة رفاعة عام 1946.

الامبريالية والقومية فى السودان: دراسة للتطور الدستورى والسياسى فى السودان (1899-1956)(4)

مؤلف هذا الكتاب هو مدثر عبدالرحيم. فى الأصل صدر الكتاب باللغة الإنجليزية عن دار جامعة أكسفورد للنشر عام 1969(5)، ثم نقله مؤلفه إلى اللغة العربية ونشرته دار النهار للنشر عام 1971. يقع الكتاب فى مائتين وسبع وسبعين صفحة من القطع المتوسط. تهيكل

---

(1) المرجع السابق، ص 241.

(2) المرجع السابق، ص 242.

(3) المرجع السابق، ص 245.

(4) مدثر عبد الرحيم، **الامبريالية والقومية فى السودان: دراسة للتطور الدستورى والسياسى فى السودان (1899-1956)**، دار النهار للنشر، بيروت، 1971.

(5) Muddathir Abd Al- Rahim, *Imperialism and Nationalism in the Sudan*, Oxford University Press, 1969.

الكتاب فى قسمين وتضمنا ثمانية فصول إلى جانب مقدمة والهوامش والملاحق وقائمة بمراجعها. فبعد مقدمة جاءت بعنوان: "السودان والسودانيون"، وقف الكتاب فى القسم الأول: "المعاهدة البريطانية- المصرية والإدارة حتى 1936"، على: "الاطار السياسى لإتفاقية 1899 الأنكلو- مصرية، وبنود الإتفاقية، وتطور الإدارة حتى 1936. وجاء القسم الثانى تحت عنوان: "الطريق نحو الاستقلال"، وتناول يقظة القومية السودانية، فوقف عند المقاومة، وتأثير الحرب العالمية الأولى، وثورة 1924 وما ترتب على إخمادها من إجراءات وما خلفته من آثار. كما درس مؤتمر الخريجين: نشأته، وتطوره، وانفراطه، وتكوين المجلس الاستشارى ومهامه وموقف الأحزاب والقادة منه،... إلخ، كما درس الجمعية التشريعية فتناول: مؤتمر السودان الإدارى، التخلى عن السياسة الجنوبية، ووضع الدستور الجديد، ونحو الحكم الذاتى: صراع الأحزاب والسياسات، ونحو الحكم الذاتى: لجنة الدستور وإلغاء الاتفاق، ونظام الحكم الذاتى: مخططات تمهيدية، مناقشات ديبلوماسية، ووضع الحكومة المحلية، وتحت انتقال لسلطة عالج اتفاقيتى 1952 و1953.

من الملاحظات المهمة والتى يتفق فيها هذا الكتاب مع معظم كتب المؤرخين والدارسين للتطور السياسى وتطور الحركة الوطنية فى السودان، أنه لم ترد إشارة **للحزب الجمهورى** ونضاله برئاسة الأستاذ محمود محمد طه. فقد وردت الإشارة إلى **حزب الأمة** و**حزب الأشقاء** والاتحاديين **والحزب الوطنى الاتحادى، وحزب الشعب الديمقراطى**، و **الحزب الجمهورى الاشتراكى**، **وحزب الاستقلال الجمهورى، والحزب الشيوعى السودانى**، والإخوان المسلمين. ولم ترد إشارة **للحزب الجمهورى**. وبرغم أن الكتاب درس تأسيس **المجلس الاستشارى للسودان الشمالى** فى عام 1943، والتشريع المؤيد له وأعضاءه ومناقشاته وقراراته والقضايا التى تداول حولها، وموقف الأحزاب والزعماء منه... إلخ، وبرغم أن أهم المسائل التى تدارسها المجلس كانت هى مسألة الخفاض الفرعونى. وقد أصد[illegible]لس الاستشارى قانون الخفاض الفرعونى فى ديسمبر 1945، وكما خرج منه الإعلان عن تعديل القانون لسنة 1946، والذى جاء تحت عنوان: "الخفاض غير المشروع، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائى، قانون نمرة 3 سنة 1946"، وقد ورد ذلك مفصلاً فى الفصل الخامس من هذا الكتاب. ونتج عن صدور هذا القانون وتعديله ثورة

رفاعـة التى قادها الأستاذ مـحمود، كمـا وردت الإشارة كذلك فى الفـصل الخامس من هذا الكتاب. وبرغم أن الكتاب أشار إلى مناقشة المجلس الاستـشارى لمسألة الخفاض الفرعونى، كتب مدثر عبدالرحيم قائلاً: "مـن المناقشات الاثنين والعشرين التى دارت فى اثناء الجلسات الثـمانى التى عـقـدها المجلس الاستـشـارى، كان مـا أثار أعظم موجـة من الاهتـمام العـام، المناقشتان اللتان كـرستا لموضوع ختان الإناث"[1]. وأضاف مدثر عبـدالرحيم قائلاً: "ويظهر أن تلبيـة لرأى كان قـد أبداه الحاكم العـام مفـاده أن الوقت قد حان للـتخلى نهائـياً عن هذه العادة، قـرر المجلس الاستشارى، وهو بالذات هيـئة أغلبيتـها من المحافظين، أن يتولـى قيادة البلد فى اتجاه ثورة اجتماعية جذرية"[2]. الشاهد أنه لم ترد إشارة لما أصدره الأسـتاذ محمود من بيانات، ولـم ترد إشارة لسجنه مرتين بسبب صدور هذا القانون وقيادته لثورة رفاعة.

الشاهد أن جل مـؤرخى السودان، كمـا ورد آنفاً، لم ترد إشارة عندهم لثـورة رفاعة، كـما الحال عند مـدثر عبدالرحيم، أشـار إلى ما حدث فى رفاعة ولـكنه لم يتناوله تحت عنوان الثورة كما لـم ترد إشارة للأستاذ محمود. وكما الحال عند جل المؤرخين ، فقد استخدموا فى تسميتهم لما حدث فى رفاعة عنوانـاً ولافتة غير الثورة. فقـد أخذ بعضهم، مثلما جاء عـند أهل الصحافة آنئذ، بوجهة نظر المستعمر فسموا ما حدث فى رفاعة بأحداث الشغب فى رفاعة، واطلق بعض المؤرخين على ما حدث فى رفاعة بالصدام بين المواطنين والشرطة أو أحداث رفاعة. أشار مدثر عبدالرحيم وهو يتحدث عن ردة الفعل لصدور قـانون الخفاض الفرعونى، لما حدث فى رفاعة قـائلاً: "ووقـع على الأقل فى بلدة واحــدة وهى رفـاعـة اصطـدام خطيـر بين المـتظاهرين والشـرطة"[3]. الشـاهد أنه لم ترد إشـارة للأسـتـاذ محـمـود. من المهم الإشـارة إلى أن مـدثر عبدالرحيم عـبر فى موقفه من محاربة عـادة الخفاض الفرعونى عن رأى يتفق إلى حـد كبير مع رأى الأستاذ محمود. فقد كتب مدثر عبدالرحيم قائلاً: "على أن محاولة القضاء على هذه العادة العميقة الجذور بإجراء تشريعى قد دلت -كـما كان منتظراً- على أنها غير مجدية، وانتجت أثراً عكسياً. لأنه كـما ذكر ميرغنى حمـزة فى المجلس صار الختان الفرعونى يمـارس بصورة شاملة حتى على البنات فى الثـانية أو الثالثـة من أعمارهن حـالما عرف أن ذلك التشريع قـيد الدرس،

(1) مدثر عبدالرحيم، مرجع سابق، ص 134-135.
(2) المرجع السابق، ص 135.
(3) المرجع السابق، ص 135.

وبلغ الذروة بعد أن وافق المجلس على القرار"[1]. وأضاف قائلاً وهو يستعرض ما ذكره ميرغنى حمزة، قائلاً: ثم إن غيرة المجلس الاستشارى غير الرشيدة على إجراء اصلاح اجتماعى أصبحت سياسياً سلاحاً جديداً فى أيدى خصومة الذين استشهدوا بقول السيد على الميرغنى بأن الختان الفرعونى، كغيره من العادات، سيزول حتماً مع انتشار التعليم والوعى العام"[2].

كتاب : **الإدارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان** 1919-1939[3]

حدَّد مؤلف الكتاب جعفر محمد على بخيت (1930-1979) الإطار الزمنى لكتابه ليمتد ما بين عام 1919 و1939، وبهذا فهو خارج عن الفترة التى يشملها التناول فى هذا الفصل. بيد أن الكتاب فى خاتمته فى الباب العاشر تجاوز إطاره الزمنى، فقد كتب جعفر قائلاً: "ومنذ عام 1940 كانت هنالك دلائل أكثر فأكثر على أن الخريجين الوطنيين بتطلعاتهم الحديثة العلمية، قد ارتبطوا بالحركات الدينية السياسية التى كان يمثلها السيدان الكبيران مع ما لهما من سلطة تقليدية واسعة وتنظيم دينى قبلى"[4]. كما قدم إشارات عن الأحزاب وتكوين بعضها، فأشار إلى **حزب الأمة**، **وحزب الأشقاء** بقيادة إسماعيل الأزهرى، **وحزب الاتحاديين**، **وحزب وادى النيل** الذى ترأسه الدرديرى أحمد إسماعيل (1903-1980). وأشار إلى الخريجين "الأكثر اعتدالاً ومحافظة، الذين ظلوا على اعتقاد بحسن نوايا البريطانيين وفائدة التقدم التدريجى صوب الاستقلال تحت رعايتهم وإشرافهم"[5]. كما أشار قائلاً: "الاتحاديون راغبون أيضاً فى الاتحاد مع مصر، على أن يكون للسودان وضع قانونى خاص مماثل لما لأستراليا أو كندا بالنسبة لبريطانيا"[6]. ولم ترد إشارة **للحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود محمود محمد طه أو رؤيته السياسية والتى كانت تختلف عن رؤية الاتحاديين والاستقلاليين.

---

(1) المرجع السابق، ص 135.
(2) مدثر عبدالرحيم، مرجع سابق، ص 135.
(3) جعفر محمد على بخيت، **الإدارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان** 1919-1939، ترجمة هنرى رياض، ط1، دار الثقافة، بيروت/ مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1972.
(4) المرجع السابق، ص 309.
(5) المرجع السابق، ص 311.
(6) المرجع السابق، ص 311.

كتاب : **مؤتمر الخريجين وتطور الحركة الوطنية فى السودان**[1]

وصف أحمد إبراهيم دياب مؤلف هذا الكتاب، طبيعة كتابه وتحدث عن دافعه لكتابته، فكتب فى المقدمة قائلاً: "ليس هذا عرضاً تاريخياً للأحداث السياسية التى سادت الفترة بين 1938 و1953 فى السودان، ولكنها دراسة تحليلية وثائقية للأحداث السياسية فى هذه الفترة، تلك الأحداث التى أثرت فى مصير السودان وكانت لها آثار بعيدة المدى فى العلاقات المصرية السودانية وفى تاريخ القارة الإفريقية". وعن دافعه لتأليف الكتاب كتب دياب قائلاً: "ودفعنى إلى البحث فى موضوع مؤتمر الخريجين والحركة الوطنية فى السودان من 1938 إلى 1953 عدة عوامل منها أن هذه الفترة التى شملها هذا البحث فى نظرى هى أدق فترات السودان المعاصرة فى بنائه بل هى ثمرة تاريخه القديم والحديث ومنارة تاريخه المعاصر وأحداثه الجارية". ثم يلفت دياب انتباهنا لأمر هو فى غاية الأهمية والخطورة بل مثل عندى أحد الدوافع لتأليفى هذا الكتاب، حيث أشار دياب قائلاً: "وطمس الحقائق التى صاحبت هذه الفترة أثر على مسيرة واستقرار السودان"[2]. هنا يؤكد دياب صحة زعمى فى هذا الكتاب، وهو أن طمس الحقائق طال تاريخ السودان ومجموعاته، وبالفعل أثر هذا الطمس على مسيرة واستقرار السودان، بل تحكم فى مستقبله، الذى نعيشه اليوم. وفى تقديرى أن طمس الحقائق بشأن نضال الأستاذ محمود ودوره فى الحركة الوطنية كان من أقوى نماذج الطمس. فإلى أى مدى كان طمس الحقائق؟ وما هى أسباب ذلك الطمس؟ وكيف السبيل لتصحيح ذلك الطمس للحقائق؟ فى تقديرى أنه لابد من إعمال الحس النقدى ليس لما هو بين أيدينا من كتب ودراسات فحسب؛ وإنما نقد النعوت والعناوين التى وسمت بها الأحداث والوقائع، ونقد المفاهيم التى سادت بشأن تلك العناوين، وفى هذا لابد من نقد مصادر الدراسات السودانية.

يقع كتاب دياب فى (379) صفحة من القطع الصغير. ويتكون الكتاب من تمهيد وعشرة فصول وخاتمة، إلى جانب مقدمة الناشر ومقدمة المؤلف وقائمة الملاحق ومصادر البحث. وقف تمهيد الكتاب على: "حالة السودان الاجتماعية والسياسية من 1925

(1) أحمد إبراهيم دياب، **مؤتمر الخريجين وتطور الحركة الوطنية فى السودان**، الدار العربية، القاهرة، 2006.
(2) المرجع السابق ، ص 7.

إلى 1936"، كما تناول الفصل الأول: "نشأة مؤتمر الخريجين"، والفصل الثانى: "نشاط مؤتمر الخريجين فى الحقلين الاجتماعى والتعليمى"، والفصل الثالث: "دور مؤتمر الخريجين فى بعث الحركة الوطنية وتطورها". ودرس الفصل الرابع: "موقف مؤتمر الخريجين من المجلس الاستشارى ومؤتمر إدارة السودان"، والفصل الخامس: "مؤتمر الخريجين والجمعية التشريعية"، والفصل السادس: "نشأة الأحزاب الاتحادية". ووقف الفصل السابع على: "نشأة الأحزاب الاستقلالية: **حزب الأمة، الحزب الجمهورى الاشتراكى، حزب القوميين**، والجبهة المعادية للاستعمار"، ووقف الفصل الثامن على: "الحركة الوطنية ومبدأ تقرير المصير"، وتناول الفصل التاسع: "موقف الأحزاب المصرية من المسألة السودانية 1946-1952"،والفصل العاشر: "ثورة 23 يوليو فى مصر ودورها فى استقلال السودان"، ثم جاءت الخاتمة.

تحدث دياب عن نشأة الأحزاب حديثاً موسعاً. فقد وقف عند تواريخ نشأتها ومبادئها وأهدافها، ودرس برامجها وناقش الظروف التى أحاطت بقيام كل حزب منها. تناول أولاً الأحزاب الاتحادية: **حزب الأشقاء وحزب الاتحاديين وحزب الأحرار الاتحاديين وحزب وحدة وادى النيل وجماعة الإخوان المسلمين**. ثم تناول الأحزاب الاستقلالية: **حزب الأمة، وحزب القوميين**، و**الحزب الجمهورى الاشتراكى**، و**الجبهة المعادية للاستعمار**. ولم يكن من بين هذه الأحزاب **الحزب الجمهورى**. وفى قائمة الملاحق التى تضمنت خريطة بيانية توضح مكونات مؤتمر الخريجين والأحزاب السياسية التى خرجت منه، أشار دياب لخمسة عشر حزباً مع تواريخ نشأتها[1]. ولم يكن كذلك من بينها **الحزب الجمهورى**. وقد تحدث دياب عن قضايا عديدة كان **للحزب الجمهورى** حضور قوى فيها: منها الجبهة الاستقلالية الأولى عام 1946 والجبهة الاستقلالية الثانية وغيرها. بل ذهب دياب فى حديثه عن الأحزاب أبعد من التناول للأحزاب الاتحادية والاستقلالية، وأشار لأحزاب يندر أن نجد بعضها فى كتب مؤرخى الحركة الوطنية، فقد كتب دياب قائلاً: "وغير هذه الأحزاب الاتحادية والاستقلالية التى سيتناول البحث نشأتها، فقد ظهرت أحزاب عدة غيرها مثل: (**حزب الوجيعة**)؛ و(**حزب السبعة**) الذى كونه أبناء الخليفة عبدالله التعايشى؛ و(**حزب**

(1) المرجع السابق، ص 361.

الزنج) الذى كونه عثمان متولى و(**حزب الوطن**) الذى كونه الشريف عبدالرحمن الهندى بن الشـريف يوسف الهندى"[1]. ولا شك أن هناك إشارات **لحزب الوطن** فى العديد من كتب الحـركة الوطنيـة. كمثلـه من كتب تاريخ الحركـة الوطنية، غنى عن القـول أنه لم ترد إشارة لثورة رفاعة 1946 ولم ترد إشارة لسجنى الأسـتاذ محمود قـائد ثورة رفاعة ورئيس **الحزب الجمهورى**.

أيضاً كان مـوضوع العلاقات بين السـودانيين والحكومات المصرية أحـد محاور بحث دياب، فقد كتب قائلاً:

لما كان مـوضوع البحث يتضـمن أحداث السودان فى الفـترة من 1938 إلى 1953 فإن جل هذه الأحداث تدور على أربعة محاور: مـحور العلاقات بين السودانيين فـيمـا بينهم ومـحور العـلاقـات بين السودانـيين والحكومـات المصـرية ومحـور العلاقات بين السودانيين متمـثلين فى مؤتمر الخريجين وأحزابه والإدارة البريطانية فى السودان ومحور العلاقات بين الحكومة المصرية والإدارة البريطانية[2].

كان موضـوع العلاقات السودانيـة المصرية موضع اهتمـام خاص عند الأستاذ مـحمود وظلت أدبيـات ومنشورات **الحزب الجمـهورى** منذ عام 1945 تتضمن تنـاولاً للعلاقة مع مصـر، ونقداً لمصـر الرسمـية، فقـد أرسل فى يوم 18 أغسطـس عام 1952 خطاباً للرئيس محمد نجيب. تناول الخطاب علاقة مصر بالسودان بتوسع. كتب الأستاذ محمود فى خطابه للرئيس محمد نجيب قائلاً:

وشىء آخر، نحب أن نشـير إليه، هو علاقـة مصر بالسودان، فإنهـا قامت، ولا تزال تقوم، على فهم سىء.. فإن أنت استقبلتها بعـقل القوى فتستطيع أن تبرئها مما تتسم به الآن من المطمع المسـتخفى، والعطف المـستعلن، فـإن السودانيـين قوم يؤذيهم أن يطمع طامع فيما يحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون[3].

---

(1) المرجع السابق، ص 201.

(2) المرجع السابق، ص 347.

(3) محمود محمد طه، "خطاب إلى اللواء محمد نجيب" **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، مصدر سابق، ص 10-12.

كما ورد آنفاً، أرسل الأستاذ محمود خطابين للرئيس جمال عبدالناصر. كان الخطاب الأول في يوم 3 سبتمبر عام 1955 (أنظر ملحق رقم: "32")، والخطاب الثاني وهو خطاب مطول أرسله الأستاذ محمود في يوم 18 أغسطس 1958. كما نقد الأستاذ محمود المؤسسات المصرية خاصة الأزهر. كان للأستاذ محمود رؤية خاصة لعلاقة السودان بمصر، وفي سبيل تبيين تلك الرؤية فقد نشر عشرات البيانات والمناشير منذ منشور: "لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟"، والعديد من المقالات عن العلاقة مع مصر، والمنشورة في الصحف السودانية خاصة فترة الخمسينيات من القرن الماضي. ومن بينها مثلاً، ما تضمنه البيان الذي ألقاه الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهوري** في الاجتماع العام للحزب عام 1951، من حديث موسع عن مصر. تحدث الأستاذ محمود عن مواقف المثقفين والأحزاب السياسية من بريطانيا ومصر، قائلاً:

وحركتنا الوطنية الآن مقسومة على نفسها، ففريق يريد تحرير البلاد بالتعاون مع الاستعمار البريطاني وفريق يريد تحرير البلاد بالتعاون مع مصر..وأما المتعاونون مع مصر فإنا نقرهم على عملهم في شيء، ونخالفهم في شيء.. نقرهم على الكفاح ضد الإنجليز، ونخالفهم في الاتحاد مع مصر، حتى ولو كان الاتحاد في التاج كرمز فقط.. نحن والمصريون طلاب حرية ، وزملاء جهاد وعدوُنا واحد، هوالاستعمار البريطاني فينبغي أن نتفق على جهاده، وإجلائه، لنكون نحن أحراراً في بلادنا، وليكونوا هم أحراراً في بلادهم .. ويجب أن لا ينسينا اجترار العواطف أن للمصريين مطمعاً في بلادنا[1].

أما بشأن تقرير المصير فإن **الحزب الجمهوري** قد أصدر العديد من البيانات، كما كتب الأستاذ العديد من المقالات، ومن ذلك بياناً كان بعنوان: "**الحزب الجمهوري** يوضح وجهة نظره بشأن تقرير المصير"[2]. كما نشر الحزب في عام 1958 بياناً بعنوان: "**الحزب الجمهوري** يقدم دعائم الميثاق القومي"، (أنظر ملحق رقم: "34")، تناول فيه العلاقة مع مصر، وجاء فيه:

---

(1) محمود محمد طه، "البيان الذى القاه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري في الاجتماع العام للحزب"، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، "الحزب الجمهوري يوضح وجهة نظره بشأن تقرير المصير"، (بيان)، **صحيفة الاستقلال**، 1955/6/23.

لتحسين العلاقة مع مصر يجب تصفية المسائل المعلقة معها فوراً، مثل مياه النيل ومستعمرات الرى المصرى فى الشجرة والجبل وملكال وذلك بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم ويجب ألا نترك هذه المسائل معلقة هكذا لأى فترة من الزمن بعد اليوم لأنها هى سبب سوء التفاهم المستمر فإذا ما تمت هذه التسوية فإن علاقتنا بمصر ستقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل[1].

وكذلك تناول الأستاذ محمود الأثر السلبى للتهافت إلى مصر من خلال بيان نشره فى **صحيفة أنباء السودان** وتناول فيه الموقف الداخلى عام 1958[2].وغيرها.

تجدر الإشارة إلى أننى وفى أثناء إعدادى لهذا الكتاب، وقفت على عدد كبير من المناشير والبيانات والمقالات التى نشرها الأستاذ محمود فى الصحف السودانية والتى تناول فيها العلاقة مع مصر، منذ النصف الثانى من الأربعينيات، وأدركت بأنها مساهمة ضخمة فى تشخيص طبيعة العلاقة مع مصر، الأمر الذى حدا بى إلى التفكير فى ترتيب تلك المادة بنية إصدار دراسة عنوانها المبدئى هو: **قراءة فى تشخيص الأستاذ محمود لطبيعة العلاقات المصرية السودانية ومستقبلها**. لقد قطعت شوطاً فى جمع المادة وترتيبها، وآمل أن أتمكن من إنجاز الدراسة بأسرع فرصة ممكنة.

كتاب : **لمحات من الحركة الوطنية فى السودان**[3]

أعدَّ هذا الكتاب عبد اللطيف عبدالرحمن، وهو يُعد كما ورد فى التقديم: "من جيل التربويين السودانيين الأوائل"، الذين خدموا "العلم والمعرفة من خلال **معهد بخت الرضا** وغيره من مؤسسات التعليم فى السودان". يقع الكتاب فى (58) صفحة من القطع الصغير، واستعرض الكتاب كما ورد فى التقديم: "تاريخ الحركة الوطنية خلال العهد الاستعمارى الثانى ويبين مراحلها المختلفة، وذلك بمنهج علمى موضوعى اعتمد مؤلفه اعتماداً رئيسياً على الوثائق والمراجع الأساسية"[4]. تتبع تاريخ الحركة الوطنية وتناول بداية

(1) "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"، مصدر سابق.
(2) محمود محمد طه، "بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، مصدر سابق.
(3) عبداللطيف عبدالرحمن، **لمحات من الحركة الوطنية فى السودان**، دار جامعة أمدرمان الإسلامية للطباعة والنشر، شركة الطباعة والنشر للناشئين المحدودة، الخرطوم، 1987.
(4) عبداللطيف عبدالرحمن، مرجع سابق، ص (د).

التعليم الحديث وظهور الخريجين، وتحدث عن بداية نشأة التنظيمات السياسية، ووقف عند الاتحاد السودانى باعتباره أول تنظيم سياسى نشأ عام 1920. وتحدث عن جمعية اللواء الأبيض واستعرض أحداث ثورة 1924 ونتائجها، وتناول معاهدة 1936، وقيام مؤتمر الخريجين. كما وقف عند تكوين المجلس الاستشارى لشمال السودان، ثم الجمعية التشريعية والمجلس الوزارى التنفيذى فى عام 1948، ومؤتمر إدارة السودان ولجنة الدستور. كما تناول تكوين الأحزاب السياسية، وأشار إلى نشأة الأحزاب الاتحادية والأحزاب الاستقلالية. كما تحدث عن الجبهة الاستقلالية. كما تضمنت كتاباته إشارات لأسماء وصور لنحو خمسة عشر من رجال الحركة الوطنية من رؤساء الأحزاب والزعماء من طلائع المتعلمين. لم يرد فى الكتاب ذكر لاسم الأستاذ محمود ولم ترد إشارة **للحزب الجمهورى** أو حديث عن ثورة رفاعة وما نتج عنها من سجن للأستاذ محمود وبعض أعضاء **الحزب الجمهورى**. الشاهد أن هذا لم يكن استثناءً، فجل الكتب التى تناولت الحركة الوطنية لا تشير إلى الأستاذ محمود أو حزبه أو نضاله.

كتاب: **الحركة الوطنية السودانية ما بين الحربين العالميتين ومؤتمر الخريجين**[1]

صدر هذا الكتاب ضمن الاحتفال بالعيد الوطنى لمؤتمر الخريجين 1938-1988، تحت عنوان: **لجنة الاتصال بالأقاليم والمغتربين على شرف الاحتفالات بالعيد الذهبى لمؤتمر الخريجين تقدم الحركة الوطنية السودانية ما بين الحربين العالميتين ومؤتمر الخريجين**، أعده حسن سلامة. يقع الكتاب فى (36) صفحة من القطع الصغير. تناول الكتاب عدة محاور منها: الظروف التى قادت إلى تكوين المؤتمر، والسياسة الاستعمارية ومخططاتها، ودور المؤتمر فى التعليم والحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية، وتناول تكوين الأحزاب السودانية، وأشار إلى **حزب الأشقاء وحزب الأحرار** "الاتحاديون"، **وحزب "الاتحاديون"**، **وحزب الأمة** وغيرها. كما تناول الكتاب جهود مؤتمر الخريجين فى شن الهجوم على سياسات الاستعمار، وتحدث عن حربه للطائفية...إلخ. الشاهد أنه لم تكن هناك إشارة

---

(1) حسن سلامة (إعداد)، **لجنة الاتصال بالأقاليم والمغتربين على شرف الاحتفالات بالعيد الذهبى لمؤتمر الخريجين تقدم الحركة الوطنية السودانية ما بين الحربين العالميتين ومؤتمر الخريجين**، لجنة الاحتفالات بالعيد الوطنى لمؤتمر [illegible] 1938-1988، دار الطابع العربى، الخرطوم.

للحزب الجمهورى، برغم أن الكتاب أشار إلى محاربة المؤتمر للخفاض الفرعونى قائلاً إن المؤتمر: "حارب الوسم والخفاض الفرعونى عن طريق التوعية الفكرية التى هدفت إلى توضيح وتمييز ما هو مستمد من الشريعة الإسلامية وما هو نابع من عادات وتقاليد لم تعد مسايرة لظروف المجتمع بل ضارة به"(1). لا أحسب أن هناك حرباً أقوى من تلك التى قادها **الحزب الجمهورى** برئاسة **الحزب الجمهورى** وكانت من نتائجها ثورة رفاعة 1946، بيد أننا لا نجد لها إشارة فى هذا الكتاب، وفى جل كتب تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السودان السياسى.

كتاب: **الحركة الوطنية السودانية والحزب الاتحادى الديمقراطى**(2)

هذا الكتاب هو فى الأصل - كما تحدث مؤلفه ربيع حسنين السيد فى المقدمة، قائلاً: "كانت هذه السطور التى يعاد نشرها اليوم فى هذا الكتيب بقرار من اللجنة المركزية للاتحادى الديمقراطى بالمملكة المتحدة وأوروبا الموحدة، والتى قدمت كورقة عمل وإحدى وثائق مؤتمر أثينا التاريخى فى أكتوبر 82"(3).جاء فى وصف الكتاب ضمن كلمة خاتمة فيه كانت بعنوان: "الكاتب والكتاب"(4)، "إن ما أورده ربيع فى هذا الكتاب هو إفادة تاريخية حية لواقع معاش ملموس بالنسبة له... فالأستاذ ربيع حسنين أهلته تجربته الاتحادية الثرية العريضة لأن يصدر هذه الشهادة فى هذا الكتاب. فهو الذى عايش شباب الأشقاء وتجربة الوطنى الاتحادى ومن بعدها تجربة الاتحادى الديمقراطى". من الطبيعى أن يتمحور الكتاب حول **الحزب الاتحادى الديمقراطى** باعتبار أن ذلك هو الموضوع الأساس. فتناول الكتاب تاريخ الحزب وتطوره. وإلى جانب ذلك تناول الكتاب عديد القضايا منها: ثورة 1924، ومؤتمر الخريجين، ونشأة الأحزاب السياسية، وأبرز مؤسسيها وقادتها. تناول الكتاب نشأة **حزب الأمة** عام 1945، و**حزب الأشقاء** (43-1953)، و**حزب الاتحاديين**، و**حزب الأحرار**

---

(1) المرجع السابق، ص 34.

(2) ربيع حسنين السيد، **الحركة الوطنية والحزب الاتحادى الديمقراطى** 1938-1991، ط1، (بدون مكان نشر)، 1944.

(3) المرجع السابق، ص 6.

(4) بكرى نعيم، "الكاتب والكتاب"، **الحركة الوطنية والحزب الاتحادى الديمقراطى** 1938-1981، مرجع سابق، ص 77-79.

الاتحاديين، وحزب **وحدة وادى النيل**، وحـزب **القومـيـين**، و**الحزب الوطـنى الاتحادى**، وحـزب **الاسـتـقلال الجـمـهـورى**، وحـزب **الشـعـب الديمـقـراطى**، و**الحزب الاتحـادى الديمقراطى**، ...إلخ. الشاهد أنه لم ترد إشارة **للحزب الجـمهورى** برغم أن أحد مصادر الكتاب هو كتاب أحـمد خير المحامى: **كفاح جيل**، وكما أوردت آنفاً فإن أحـمد خير قد أفرد عنواناً جانبياً لا تخطئه العين للحديث عن **الحزب الجمهورى**. الشاهد أن جل الكتب التى تتناول تاريخ الحركة الوطنية تتناول تبلورها حول حركتى (الاتحادية والاستقلالية) ولا ترد إشارة عن أطروحة الجمهورية التى كان **الحزب الجمهورى** أول من طرحها، وهى الخيار الثـالث الذى أهمله مـؤرخـو الحـركـة الوطنيـة وكـذلك طلائع المتـعلمـين فى كـتـاباتهم ومـذكراتهم فـأصـبح الإهمال مـلازمـاً حتى تاريخ اليـوم **للحـزب الجـمهـورى** وللفكرة الجمهورية، كخيار ثالث طرحه الأستاذ محمود منذ عام 1945.

كتاب: **الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادى النيل والاستقلال** (1919-1956)[1]

هذا الكتـاب هو أحدث نماذجى من الكتـب التى نظرت فيـها من كـتب تاريخ الحركـة الوطنية السودانية. ألَّف الكتـاب عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، وصـدر فى طبعته الأولى عام 2007، فى جزءين (كتـابين). يقع الجزء الأول فى (424) صفحـة من القطع المتوسط، ويتكوَّن من مـقدمـة وخمسـة فصـول وقائمـة مراجع جـاءت تالية للمـقدمـة ومحـتويات الكتاب. تناول الـفصل الأول: "ظهور الحـركة الوطنية السـودانية"، ودرس الفـصل الثانى: "جمـود الحركة الوطنـية وانتعـاش الحركة الأدبيـة"، وعالج الفصـل الثالث: "تجدد الحـركة الوطنية السودانيـة"، ووقف الفصل الرابع عند: "نشأة الأحزاب السياسـية وتبلور توجهات ومواقف الحركة الوطنية"، وتناول الفصل الخامس: "الأحزاب السـياسية ومحاولة المشاركة والتأثير فى سـير المفاوضات المصرية- البريطـانية بشأن المسألة السودانية". أمـا الجزء الثانى من الكتاب، فيقع فى (486) صفحة من القطع المتوسط، ويتكوَّن من خـمسة فصول. تناول الفـصل الأول: "بريطانيـا وتطوير المؤسسـات الدسـتورية السـودانيـة، ومواقف الأحـزاب

---

(1) عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، **الحركة الوطنية السودانيـة بين وحدة وادى النيل والاستقلال** (1919-1956)، دراسـات فـى العلاقـات السـودانية المصرية، رؤية تـاريخية، (جزءين)، دار القلم، الإمـارات العربية المتـحدة، دبى، 2007.

السياسية منها، ودرس الفصل الثانى: "تجذر مواقف الأحزاب السياسية تجاه وحدة وادى النيل والاستقلال"، ووقف الفصل الثالث عند: "تنازل حكومة الثورة المصرية عن السيادة على السودان واعترافها بحق تقرير المصير"، وعالج الفصل الرابع: "الانتخابات البرلمانية وقيام الحكم الذاتى"، وتناول الفصل الخامس: "المناورات الطائفية والحزبية وإعلان الاستقلال".

كما هو الحال فى معظم كتب تاريخ الحركة الوطنية، فإن القارىء لا يجد إشارة للأستاذ محمود فى قوائم المصادر والمراجع، ولا يجد ذكراً لنضال الأستاذ محمود، والذى وردت الإشارة إليه، سواء فى ثورة رفاعة أو فترتى السجن. وغنى عن القول أن القارىء لا يجد استشهاداً بآراء الأستاذ محمود، أو تناولاً لرؤيته تجاه قضايا السودان، والتى خصص لها الأستاذ محمود بيانات ومقالات عديدة، وكذلك الحال بالنسبة للعلاقات المصرية السودانية، كما وردت الإشارة آنفاً. وقد وقفت على هذه البيانات والمقالات فى دار الوثائق القومية وجلها منشور فى دوريات أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن الماضى. لقد تحدث الكتاب عن نشأة الأحزاب وتناولوا الأحزاب الاتحادية والاستقلالية ولم ترد مجرد إشارة **للحزب الجمهورى**. برغم أن الكتاب اعتمد فى مراجعه على مصادر ومراجع تناولت **الحزب الجمهورى** وتحدثت عن نشأته ومبادئه وأهدافه...إلخ، برغم ذلك لم ترد إشارة عن **الحزب الجمهورى** فى هذا الكتاب. على الرغم من أن المؤلف اعتمد من بين ما اعتمد عليه من مصادر ومراجع، على كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى: **كفاح جيل**. وكما وردت الإشارة ، فإن الأستاذ أحمد خير المحامى تناول فى الفصل الخامس من كتابه، نشأة الأحزاب، فأفرد عنواناً جانبياً[1] للحديث عن **الحزب الجمهورى** بنفس حجم العناوين الجانبية لأحزاب الأمة والاتحاديين والأشقاء والقوميين... إلخ.

أيضاً، كان من بين المراجع التى اعتمد عليها المؤلف وأشار إليه بتكرار هو كتاب فيصل عبدالرحمن على طه: **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1956). كان فيصل عبد الرحمن على طه قد خصص فصلاً فى كتابه، للحديث عن **الحزب الجمهورى**،هو الفصل الثامن. تناول فيصل فى ذلك الفصل تأسيس الحزب ومبادئه، وبيانه التأسيسى، ودَرَس علاقة الحزب بمؤتمر الخريجين، وموقفه من مصر والأحزاب

(1) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، 95-96.

الاتحادية، وتعاونه مع **حزب الأمة** والأحزاب الاستقلالية الأخرى، واشتراكه فى الجبهة الاستقلالية[1]. كتب فيصل قائلاً: "لقد تعاون **الحزب الجمهورى** مع **حزب الأمة** وأحزاب استقلالية أخرى فى إطار الجبهة الاستقلالية عندما أوقف **حزب الأمة** التعاون مع حكومة السودان وأعلن الجهاد. وقد عبَّر **الحزب الجمهورى** عن ذلك بقوله: "كانت هناك حواجز بيننا وبين **حزب الأمة**، ولكن عندما أعلن الجهاد ورفض التعاون مع الإنجليز سقطت تلك الحواجز، واشتركنا فى الجبهة الاستقلالية"[2]. كتب فيصل عن نداء **الحزب الجمهورى** للمصريين قائلاً: "قال **الحزب الجمهورى** فى ندائه للمصريين "لم نفهمكم كما ينبغى أن تُفهموا، ولم تفهمونا كما ينبغى أن نُفهم. نحن لم نستقل، وأنتم لم تستقلوا والشرق جميعاً لم يستقل. لأننا كلنا آثرنا أن نفكر برغباتنا ومخاوفنا بدل عقولنا ونحن فى معترك لعمالقة الفكر فيه سلطان ودولة"[3]. بل استشهد فيصل عبدالرحمن على طه بآراء وأقوال الأستاذ محمود واستعرض مواقفه فى العديد من القضايا ليس فى هذا الفصل الثامن فحسب؛ وإنما فى مواقع عديدة من الكتاب، ففى صفحة (541-542) أورد فيصل رأى الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** عن رأى الحزب فى الوفد الاستقلالى الذى سافر إلى القاهرة بغرض اطلاع الحكومة المصرية على وجهة نظر الحركة الاستقلالية بشأن مسألة السودان ومستقبل العلاقات المصرية - السودانية. سافر الوفد وعقد مفاوضات مع ممثلى الحكومة المصرية، رئيس الوزراء ووزير الخارجية واستمرت المفاوضات لأربع جلسات خلال الفترة ما بين 31 مايو و4 و7 و9 يونيو 1952. كتب فيصل قائلاً: بالرغم من أن **الحزب الجمهورى** لم يكن ممثلاً فى الوفد الاستقلالى، إلا أن رئيس **الحزب الجمهورى** محمود محمد طه قال عنه أنه: "أبرز شخصية السودان فى الدوائر المصرية الرسمية والشعبية، ونال إعجاباً أقوى مما ظفرت به حتى الآن أى هيئة، وأنه لفت نظر المصريين إلى ما لم يشاءوا أن يلتفتوا إليه من قبل وهو أن للسودان شخصية يجب أن تحترم"[4]. وغيرها من الاستشهادات والاستعراض لآراء الأستاذ محمود التى أوردها فيصل عبدالرحمن على طه فى كتابه الذى كان واحداً من

---

(1) فيصل عبدالرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، مرجع سابق، ص 229-232.
(2) المرجع السابق، ص 231.
(3) المرجع السابق، ص 231.
(4) المرجع السابق، ص 241-243.

مراجع عبدالوهاب فى كتابه موضوع دراستى هذه: **الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادى النيل والاستقلال** (1919-1956).

أما عن العلاقات السودانية المصرية فقد أوردت آنفاً وفى الفصول السابقة، الكثير من إشارات لبيانات ومقالات عديدة نشرها الأستاذ محمود، وأشرت للتشخيص الباكر الذى قدمه الأستاذ محمود لطبيعة العلاقة مع مصر وما ينبغى أن تكون عليه فى المستقبل. ولا أحسب أنه يمكن لأى أكاديمى متصل بالمصادر فى مظانها فى دار الوثائق القومية بالخرطوم، أن يتجاوز كتابات الأستاذ محمود. وكما هو الحال فى جل كتب الأكاديميين المتخصصين فى تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السودان السياسى، فإن الباحث لا يجد ذكراً لثورة رفاعة حتى فى الدراسات التى تتناول **المجلس الاستشارى لشمال السودان** وهو الجهة التى أصدرت قانون الخفاض الفرعونى والذى قامت على إثره ثورة رفاعة عام 1946. لقد خصصت فصلاً سابقاً فى كتابى هذا للحديث عن ثورة رفاعة - الخفاض الفرعونى، يمكن للقراء الرجوع إليه. لقد تحدث عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن فى كتابه عن **المجلس الاستشارى لشمال السودان**، وأشار إلى ما تداوله أعضاء المجلس وما وافقوا عليه من موضوعات لا سيما قانون الخفاض ولوائح تعاطى الخمر، وأورد عبدالوهاب ما ذكره أحمد خير قائلاً: "إذ أن هؤلاء الأعضاء قد وافقوا على قانون الخفاض، وهم يعلمون علم اليقين أنهم أنفسهم سيخالفونه، لتعارضه مع تقاليد لم تفقد حتى الآن احترامها فى نفوس الكثرة الغالبة"[1]. الشاهد أن عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن فى كتابه هذا: **الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادى النيل والاستقلال** (1919-1956)، لم يكن الوحيد، فإن جل الدارسين للحركة الوطنية يقفون عند قانون الخفاض، ولا يتناولون ثورة رفاعة وهى من أهم نتائج قانون الخفاض الفرعونى الذى صدر عن **المجلس الاستشارى لشمال السودان**.

الشاهد أن الدارس حينما يقف على تغطية الصحف اليومية لثورة رفاعة خلال الفترة ما بين 1946 منذ سجن الأستاذ محمود قائد الثورة، وحتى خروج الأستاذ محمود من السجن

---

(1) عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، **الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادى النيل والاستقلال** (1919-1956)، دراسات فى العلاقات السودانية المصرية، رؤية تاريخية، جزء 1، مرجع سابق، ص 281-282 .

عام 1948، فإن الباحث يندهش لهذا التغييب والتجاهل والاهمال، هل هذا الأمر يعود إلى رغبة فى التغييب والتجاهل والبتر للمعلومات أم أن الأمر يعود إلى الكسل الذهنى وضعف اتصالنا بمصادر المعلومات؟ الشاهد أن من بين أغراض كتابى هذا هو الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها كما ورد فى المقدمة.

كتاب : **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل**(1)

وصف محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004) كتابه هذا فى مقدمته قائلاً: "إنه دراسة تحليلية موثقة لخلفيات التركيب الحضارى والتكوين الجغرافى، السياسى والفكرى بداية من القرن السابع قبل الميلاد وإلى ما بعد الإنقاذ انتهاء بعام 1996". كان حاج حمد قد نشر الطبعة الأولى من كتابه فى دار الكلمة ببيروت، لبنان عام 1980 فى مجلد واحد. غطى المجلد الفترة من 700 ق.م. وحتى العام 1980. ثم صدرت الطبعة الثانية من الكتاب عام 1996 فى مجلدين مع بعض الإضافات يقول المؤلف: "ثم إنى قد أضفت إلى أصول مادة الكتاب الأساسية - حيثما تطلّب الأمر - تجذير بعض الموضوعات، ولكن دون أدنى حذف أو تعديل، إذ لم أر ما يوجب ذلك". نشر الكتاب عن المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، بجزر الهند الغربية البريطانية. وقامت بتوزيعه دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. غطى المجلد الأول: (جدلية التركيب) الفترة من 700 ق.م. وحتى العام1956. وغطى المجلد الثانى الفترة من 1956 وإلى 1996. يقع المجلد الأول فى (605) صفحات، والمجلد الثانى فى (770) صفحة، ليكون مجموع صفحات المجلدين هو 1375 صفحة.

يتكون الكتاب (المجلدان) من مقدمة وتصدير ومدخل واثنين وعشرين فصلاً، وخاتمة جاءت فى المجلد الثانى ووسمها المؤلف بـ (تطلع لا خاتمة)، بالإضافة إلى قائمة ملاحق جاءت فى المجلد الأول فقط. احتوى المجلد الأول على تسعة فصول، والمجلد الثانى على ثلاثة عشر فصلاً. ففى المجلد الأول، تناول الفصل الأول: "مقدمة التركيب"، والفصل

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل** 1956-1996، مجلدان، ط2، مرجع سابق.

الثانى: "المحاكمة الصعبة"، والفصل الثالث: "مراجعات وتقييم"، ودرس الفصل الرابع: "بريطانيا والقوى الثلاث"، والفصل الخامس: "المثقف الرافض والحوار المتشعب". ووقف الفصل السادس عند: "متغيرات ما بعد ثورة 1924"، وعالج الفصل السابع: "متغيرت ما بعد 1936، وتناول الفصل الثامن: "عودة الأخ دينج"، والفصل التاسع: "الوحدة وجدلية التركيب" أما المجلد الثانى فقد احتوى على الفصول من العاشر إلى ما بعده. تناول الفصل العاشر: "جيل الاستقلال ومهمات المرحلة"، والفصل الحادى عشر: "السودان بين الوسط التقليدى والقوى الديمقراطية"، ودرس الفصل الثانى عشر ما أسماه المؤلف بـ: "التركيب والمركزية"، والفصل الثالث عشر: "مسألة حلايب والتقاء الوسط وانقلاب عبود"، والفصل الرابع عشر: "باتجاه أكتوبر 1964". وتناول الفصل الخامس عشر: "الأزمة التاريخية ومشكلات البديل"، والفصل السادس عشر: "الطريق إلى مايو"، والفصل السابع عشر: "الصفوة والمصالحة واللاهوت"، والفصل الثامن عشر: "إلى أين يتجه قرنق؟"، ووقف الفصل التاسع عشر على: "الديمقراطية الثالثة - 1986- 1989- تكرار الأخطاء"، وتناول الفصل العشرون: "البشير وإمارة الغلبة"، والفصل الحادى والعشرون: "المعارضة السودانية ومؤتمر أسمرا- المتاهة الكبرى، وجاء الفصل الاثنان والعشرون بعنوان: "هل إلى خروج من سبيل؟"، وتبعته خاتمة بعنوان: "تطلع لا خاتمة".

الشاهد أن محمد أبو القاسم حاج حمد تجاهل الأستاذ محمود تماماً وأغفل الإشارة لدوره فى تطور الحركة الوطنية وفى النضال السياسى، ولم يشر إلى **الحزب الجمهورى**. فحينما أصدر حاج حمد كتابه هذا، فى طبعته الأولى عام 1980، فى مجلد واحد، أظهر فيه تجاهلاً متعمداً للأستاذ محمود، وأغفله إغفالاً تاماً. وحينما كتب المجلد الثانى وأصدر الطبعة الثانية من كتابه عام 1996، فى مجلدين، أظهر فوق التجاهل المتعمد والإغفال المغرض عداءً فارق معه العلمية فى التناول والحياد المتوقع من باحث يزعم أنه يتبع المنهج العلمى. تجاهل إسهام الأستاذ محمود ودوره النضالى الثابت فى كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى الذى يُعتبر العمدة فى تاريخ الوطنية السودانية. فقد تحدث محمد أبو القاسم فى كتابه عن نشأة الأحزاب السياسية، وكان من أهم مصادره عن نشأة الأحزاب، كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى: **كفاح جيل**.

كان الأستاذ أحمد خير المحامى قد تحدث عن نشأة **الحزب الجمهورى** من خلال عنوان جانبى لا تخطئه العين، جنباً إلى جنب مع بقية الأحزاب، كما ورد آنفاً. وعلى الرغم من ذلك فقد تحدث الأستاذ محمد أبو القاسم فى كتابه عن كل الأحزاب[1]. التى وردت فى كتاب أحمد خير المحامى عدا **الحزب الجمهورى**، فلم ترد أى إشارة إلى نشأته أو إشارة إلى رئيسه الأستاذ محمود. وتحدث وأشار إلى نحو 22 حزباً معتمداً على كتاب الأستاذ أحمد خير وعلى مصادر ومراجع أخرى، ولم ترد أى إشارة **للحزب الجمهورى** أو الأستاذ محمود. وبعد أن تجاوز نشأة الأحزاب، وفى فصل لاحق، تحدث عن "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية"، حيث كتب قائلاً: "وُلد فى شهر نوفمبر 1965 "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" والذى ضم (32) تنظيماً من بينهم **حزب الشعب الديمقراطى والحزب الشيوعى السودانى** ومنظمات الاشتراكيين العرب **والحزب الجمهورى** الذى يقوده محمود محمد طه"[2]. ثم عرَّف **الحزب الجمهورى** فى هامش نفس الصفحة، قائلاً: "حزب دينى يعتمد على الاتجاهات التجديدية التأويلية الباطنية للأستاذ المهندس محمود محمد طه وهو حزب نخبة صغير معادية للإخوان المسلمين والطائفية. وقد حرض الإخوان المسلمون نميرى على إعدام الأستاذ محمود تاريخ 18 يناير 1985". وهذا تعريف لا يمكن قبوله من باحث يسعى لإظهار الحقيقة ونشرها.إن محمد أبو القاسم حاج حمد بلاشك قد قرأ ما كتبه الأستاذ أحمد خير المحامى عن **الحزب الجمهورى** وعن رئيسه الأستاذ محمود، ولكن أغفله عمداً. ولقد أوردت آنفاً، ما قاله الأستاذ أحمد خير المحامى، كما أوردت الكثير من المصادر والمراجع التى تحدثت عن نشأة **الحزب الجمهورى** وعن رئيسه الأستاذ محمود، وعن دوره النضالى واسهامه فى الحركة الوطنية، ومن هؤلاء: يحيى محمد عبد القادر، والتجانى عامر (1908-1987)، ومحمد سعيد القدَّال، ومنصور خالد، وفرانسيس دينق، وفيصل عبدالرحمن على طه، وغيرهم مِمّنْ وردت الإشارة إليهم، إلى جانب الوثائق والشواهد التاريخية التى أوردتها فى مواقع متفرقة من هذا الكتاب.

من المعروف عن الأستاذ محمد أبو القاسم أنه قارئ نهم، كان يقول: "حينما كنت طالباً فى

(1) المرجع السابق، ص 414-422.
(2) المرجع السابق، ص 318-320.

المدرسة كانت معى مفاتيح المكتبة، فإن أرادوا المكتبة سألوا عنى". وتلمح ذلك أيضاً، فى طول قائمة المصادر والمراجع فى دراساته، وتجد الغريب النادر من المصادر والمراجع بينها. فهو قارئ نهم ومُوثق دقيق. ولهذا، فإنه بلا شك قرأ الكثير من المصادر والمراجع التى تحدثت عن نشأة **الحزب الجمهورى**. لم يتحدث عن **الحزب الجمهورى** أو رئيسه، بل أظهر عدم الحياد وجافى الموضوعية فى موقفه من الأستاذ محمود فى المجلد الثانى، وهو يتحدث عن تنفيذ الإعدام على الأستاذ محمود، حديثاً تلمح فيه الشماتة والتشفى الواضح. فقد تحدث حديثاً يتنافى مع العلمية وأسس البحث، ولا يتماسك أمام النقد بأدنى سبل استخدام مقارنة القرائن، وبأقل حد من إمكانيات التنقيب البحثى، فضلاً عن مجافاة حديثه للحس الإنسانى السليم. وكان أثناء تناوله يحيل القارئ فى هامش الصفحة إلى تقارير سلطات الأمن بتاريخ كذا وكذا. ولكن لأى جهة قدمت هذه التقارير؟ ومن الذى أعدَّها؟ وما الغرض من إعدادها؟ وأين هى مودعة؟ وكيف يمكن التحقق من صحة وجودها أصلاً سواء كانت صحيحة أو خطأ؟ أسئلة كثيرة، ليست لها إجابات الأمر الذى ينسف كل ما أورده الأستاذ محمد أبو القاسم فيما يتعلق بإعدام الأستاذ محمود. هذا إلى جانب أننى لا أحسب أن سلطات الأمن لديها تقارير تُنشر بشكل دورى حول الأحداث والوقائع، وإن كانت فلا أحسب أنه يمكن الاعتماد عليها كمصدر من مصادر الدراسات والبحوث، خاصة فى قضية مثل قضية الأستاذ محمود، ومن جهاز أمن مثل جهاز أمن الرئيس نميرى. كما يجب أن لا ننسى أننا نعيش فى العالم الثالث، فسلطات الأمن فى العالم الثالث آنئذ يصعب الأخذ بتقاريرها إلا لدى القائمين على نظام الحكم والمنتفعين من ذلك النظام.

هنا عدة أسئلة تطرح نفسها، لماذا تجاهل محمد أبو القاسم حاج الأستاذ محمود وأغفل نضاله؟ هل كان محمد أبو القاسم متعمداً تجاهل الأستاذ محمود وكان يسعى لتغييبه؟ هل كان محمد أبو القاسم عدائياً فى إشاراته للأستاذ محمود فى الجزء الثانى من كتابه والذى طبع عام 1996؟ ولماذا العداء؟ للإجابة على هذه الأسئلة بشىء من التوسع والتفصيل أحيل القارئ الكريم والقارئة الكريمة، إلى الفصل السادس عشر من هذا الكتاب وهو بعنوان: "الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون: محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً". وهو فصل يعالج البعد الآخر الذى تقاطع فيه محمد أبو القاسم مع الأستاذ محمود. ولا نستطيع تفسير مواقف محمد أبو القاسم سواء فى تجاهله للأستاذ محمود فى كتابه هذا أو

فى الروح العدائية تجاه الأستاذ محمود؛ إلا بدراسة أطروحة محمد أبو القاسم فى الفكر الإسلامى، وإلى أى مدى تأثرت تلك الأطروحة بمشروع الأستاذ محمود؟ بل إلى أى مدى أخذت تلك الأطروحة من مشروع الأستاذ محمود؟.

كتاب: الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان[1]

فى الأصل هذا الكتاب هو أطروحة جامعية قدمها خالد حسين عثمان الكد لنيل درجة الدكتوراة فى جامعة ريدنق University of Reading، ببريطانيا، عام 1987. كانت الأطروحة بعنوان: الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان *The Effendia and Concepts of Nationalism in Sudan*، وكانت بإشراف بيتر وودوارد[2]. يقع الكتاب فى (296) صفحة من القطع المتوسط. ناقش خالد الكد موضوع الأفندية ومفاهيم القومية منذ بداية القرن العشرين، وركز على فترة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات حتى الاستقلال. ومن حيث الهيكل فقد تكوّن الكتاب من مقدمة وتصدير وسبعة فصول وخاتمة. تناول الفصل الأول: "القومية؛ معانى ومفاهيم مختلفة"، والفصل الثانى: "من إعادة الغزو وحتى 1924"، والفصل الثالث: "ما بعد الأحداث"، ووقف الفصل الرابع عند: "الأبروفيون"،

---

(1) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق.

(2) بيتر وودوارد حاصل على الدكتوراة من جامعة ريدنغ ببريطانيا عام 1975؛ عمل متطوّعاً فى منظّمة غير حكومية "متطوّعون لما وراء البحار" فى مدينة كوستى، السودان من 1966 إلى1967؛ ومحاضراً فى العلوم السياسيّة فى **جامعة الخرطوم** ما بين 1968-1971. وعمل محاضراً أوّل، أستاذا فى قسم السياسة والعلاقات الدولية، جامعة ريدينغ؛ ومحاضراً زائراً فى **جامعة ناتال**، ديربان من 1991 حتى عام 1993؛ وفى **الجامعة الأميركية** بالقاهرة فى العام 1999. عمل مستشاراً لدى جهات دولية وحكومية عدّة فى القضايا الأفريقية، منها وزارة التنمية الدولية فى المملكة المتحدة؛ وفى اللجنة الفرعية لشؤون أفريقيا فى مجلس النوّاب الأميركى، ولدى وزارة الخارجية الأميركية. له عدة مؤلفات عن السودان والقرن الإفريقى منها: **السيادة المشتركة والقومية السودانية؛ السودان** 1898-1989: **الدولة اللامستقرّة؛ القرن الأفريقى: سياسة وعلاقات دولية**، ونشر العديد من المقالات فى المجلات الأكاديمية: "السودان بعد النميرى" (بالاشتراك مع فورسيث)؛ "القرن الأفريقى: الفدرالية و بدائلها". **المصدر**: ورد التعريف ضمن كتاب (تحت الطبع) بعنوان: **العرب والقرن الإفريقى: جدلية الجوار والانتماء**، (أعمال مؤتمر 27-29 نوفمبر 2011)، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة. كان بيتروودوارد قد شارك فى المؤتمر بورقة بعنوان: "المنافسة الدولية فى دول القرن الإفريقى". وقد تشرفت بالمشاركة مع آخرين وبتكليف من المركز العربى فى تحرير أعمال المؤتمر لنشرها فى كتاب، إلى جانب أننى شاركت فى المؤتمر بورقة كان عنوانها: "صورة شعوب القرن الإفريقى فى كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة".

والفصل الخامس: "جماعة الموردة، الهاشماب، الفجر"، ودرس الفصل السادس: "مؤتمر الخريجين وتأسيس الأحزاب السياسية"، وتناول الفصل السابع ما اسماه: "ما قبل الختام"، ثم جاءت الخاتمة وقائمة المراجع. وكما هو الحال في جل الدراسات خلت قائمة مراجع الكد من أي إشارة للأستاذ محمود أو كتبه أو بياناته أو مناشيرة. كما خلت دراسته من أي إشارة لثورة رفاعة أو سجنى الأستاذ محمود. وبرغم أن كتابه تضمن فصلاً عن تأسيس الأحزاب السودانية، وأشار إلى **الحزب الاتحادي**، و**حزب القوميين**، و**حزب الأحرار**، و**حزب الأشقاء**، و**حزب الأمة**، و**حزب "الجمهوريتين"**، و**حزب وحدة وادى النيل**، والحركة السودانية للتحرر الوطنى والتى تحولت فيما بعد **للحزب الشيوعى**[1]، لم ترد أى إشارة **للحزب الجمهورى**. علماً بأن أحد مصادر الكد هو كتاب أحمد خير المحامى، **كفاح جيل**. وكما أوردت آنفاً، فإن أحمد خير المحامى خصص فى كتابه عنواناً جانبياً للحديث عن **الحزب الجمهورى**، وهو عنوان لا تخطئه العين.

بالإضافة لذلك تحدث الكد فى كتابه عن الأحزاب السودانية وجنوب السودان، واستعرض آراء الأفندية والأحزاب، ولم ترد أى إشارة للأستاذ محمود أو **للحزب الجمهورى**، برغم الكتابات والبيانات الباكرة التى تحدث فيها الأستاذ محمود عن مشكلة الجنوب، مثل: **السفر الأول** 1945، **وقل هذه سبيلى** 1952، **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، عام 1955، وغيرها مما ورد آنفاً.من المهم الإشارة إلى أن الكد أشار إلى الأستاذ محمود حينما تحدث فى الفصل السابع عن إشهار سلاح الشريعة الإسلامية عام 1983، وتوحد البرجوزاية السودانية لفرضها، ورفض الأحزاب -بعد الانتفاضة الشعبية- إلغاء قوانين الشريعة، أحد أهم شعارات الانتفاضة، كما أصبح هو الشرط الأساس الذى وضعته الحركة - الجيش الشعبى لتحرير السودان - لإجراء المفاوضات. ففى إشارته للأستاذ محمود فى هذا الموضع، قال الكد: "قوانين الشريعة كانت قوانين غير إنسانية، وصفها محمود محمد طه كالآتى: (ثم أورد الكد جزءاً من كلمة الأستاذ محمود أمام محكمة المهلاوى فى يناير 1985. لقد أوردت آنفاً نص كلمة الأستاذ محمود فى الفصل الثالث من هذا الكتاب). كما قدم الكد فى الهامش تعريفاً

(1) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، ص 232-233.

بالأستاذ محمود، فكتب قائلاً: "محمود محمد طه مؤسس وقائد (الإخوان الجمهوريين) حتى إعدامه عام 1983 [هكذا فى الأصل والصحيح 1985] .يعتبر لدى العديد عالماً من علماء عصره. قام بتوزيع منشورات تهاجم قانون الشريعة [تهاجم قوانين سبتمبر وليس قوانين الشريعة إذ يعود الفضل للأستاذ محمود محمد طه فى تسميتها بقوانين سبتمبر ليفصل بينها وبين الشريعة السمحاء – المؤلف]، تم اعتقاله وتقديمه للمحاكمة بتهمة الكفر، ردد فى المحكمة اتهاماته وادانته لتطبيق القانون. حكم عليه بالإعدام"[1].

الشاهد أن أطروحة الدكتوراة هذه أعدها مثقف سودانى ينتمى لتيار تقدمى وقدمها فى ردهات الأكاديميا البريطانية التى تربطها علاقة خاصة بالسودان. وأشرف عليها أحد كبار الأكاديميين البريطانيين، هو بيتر وودوارد، بجامعة ريدنق. الذى لا لبس فيه أن الأكاديميا البريطانية، وكذلك كبار الأكاديميين البريطانيين، لاسيما بيتر وودوارد، يعرفون الأستاذ محمود **والحزب الجمهورى** معرفة عن ظهر قلب. ففوق تأليفه لعدة كتب منها: **السيادة المشتركة والقومية السودانية**؛ وكتاب **السودان** 1898-1989: **الدولة اللامستقرّة**. ونشره للعديد من المقالات فى المجلات الأكاديمية منها: السودان بعد النميرى (بالاشتراك مع فورسيث)، فإن بيتر وودوارد عمل وعاش بعض الوقت فى مدينتى الخرطوم وكوستى. فقد عمل متطوّعاً فى منظمة "متطوعون لما وراء البحار" فى كوستى خلال الفترة ما بين 1966-1967. كما عمل محاضراً فى العلوم السياسيّة بجامعة الخرطوم خلال الفترة ما بين 1968-1971. ولهذا، فإن الذى لا شك فيه أن بيتر وودوارد يعرف الأستاذ محمود ويعرف **الحزب الجمهورى** معرفة معاصر، ومعرفة أكاديمى،وهو قارئ ومؤلف كبير فى الشؤون السودانية. بل بوجوده ما بين كوستى والخرطوم خلال الفترة ما بين عام 1966-1971، فهو شاهد عصر على محكمة الردة الأولى عام 1968، فهو الأستاذ للعلوم السياسية وتاريخها بجامعة الخرطوم آنئذ. وبيتر وودوارد يعد من الخبراء الغربيين فى الشؤون السودانية، السياسية والفكرية ...إلخ.

كتب حمد النيل عبدالله العركى قائلاً: كنت استمع لبرنامج: "السياسة بين السائل والمجيب"، فى إذاعة البى بى سى BBC (هيئة الإذاعة البريطانية British Broadcasting Corporation). أثناء البرنامج جاء سؤال من أحد المستمعين عن الفكرة الجمهورية فى

(1) المرجع السابق، ص 272-273.

السودان. وللإجابة على السؤال استضاف المذيع أحد الخبراء وكان اسمه بيتر وودوارد، فرد على السؤال وتحدث عن الفكرة الجمهورية. أثناء ذلك كنت قد قمت بتسجيل السؤال والإجابة على شريط (كاست)، أخذت الشريط وجئت به وأعطيته للأستاذ محمود.. والأستاذ محمود أعطاه للأخ أحمد دالى.. وقال للأخ دالى: "شوف تعملوا فيه شنو". وأضاف العركى قائلاً: أحمد دالى أخذ الشريط وتم تفريغه ومن ثم تم إعداد عدد خاص لجريدة الجامعة بعنوان: "الفكرة الجمهورية فى الإذاعة البريطانية"[1]. لقد تجلت معرفة بيتر وودوارد بالأستاذ محمود فى كتبه. ففى كتابه: **السودان: الدولة المضطربة** 1898-1989[2]. أشار وودوارد إشارات عديدة للأستاذ محمود، جاءت فى الصفحات رقم:(180، 188، 209، 297، 300). كانت إشارات وودوارد كما هو الحال فى المصادر البريطانية، إلى الأستاذ محمود على أساس أنه مهندس وزعيم دينى، قائد للإخوان الجمهوريين، ولا تتم الإشارة إليه كقائد سياسى ورئيس **للحزب الجمهورى** الذى ناضل ضد الاستعمار أو كمفكر نشر باكراً الكتب والأفكار .فقد كتب وودوارد قائلاً: "...الإخوان الجمهوريين (تنظيم صغير كان ينافس الإخوان المسلمين وسط طبقة المتعلمين) بقيادة المهندس محمود محمد طه"[3]. وكتب كذلك: " وفى يناير 1985، أدى تنفيذ حكم الاعدام على المهندس محمود محمد طه، زعيم الإخوان الجمهوريين..."[4]. وكتب كذلك وهو يتحدث عن الإخوان الجمهوريين، كتب قائلاً: "وكانوا، تحت قيادة زعيمهم المهندس محمود محمد طه، يرون أنفسهم كاتجاه تنويرى فى مواجهة حركة الإخوان المسلمين التقليدية والسلفية"[5]. الشاهد أن الباحث لا يجد عند وودوارد إشارة **للحزب الجمهورى** عند الحديث عن نشأة الأحزاب السياسية فى منتصف الأربعينات من القرن الماضى.

---

(1) حمد النيل عبدالله العركى، **جواهر المعانى فى حضرة الأستاذ محمود محمّد طه**، مصدر سابق، ص 16؛ مقابلة مع حمد النيل عبدالله العركى، المقابلة عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة وحمد النيل فى السودان، بتاريخ 6 مايو 2012،الساعة 20:00.

(2) بيتر ودوارد، **السودان: الدولة المضطربة** 1898-1989، ترجمة: محمد على جادين، ط1، مركز محمد عمر بشير، جامعة أمدرمان الأهلية، 2002.

(3) المرجع السابق، ص 180.

(4) المرجع السابق، ص 188.

(5) المرجع السابق، ص 209.

الشاهد أن الأساتذة البريطانيون يعرفون الأستاذ محمود و**الحزب الجمهورى** والفكرة الجمهورية، معرفة جيدة، ولكن مناقشة هذا الأمر تقودنى إلى آفاق أخرى فى التقصى والتمحيص والتنقيب، وهى آفاق تتصل بموقف الأكاديميا البريطانية والمصادر الأجنبية من الأستاذ محمود، ومن قادة الحركة الوطنية السودانية. وهو أمر تتقاطع فيه عوامل عديدة. كتب حسن أحمد إبراهيم وهو يتحدث عن تاريخ الحركة الوطنية، قائلاً:

إن تاريخ هذه الحركة ودور قادتها وزعمائها قد تعرض - كما هو الحال فى تاريخ السودان الحديث بأسره- لكثير من التشويه والتحريف فى بعض المصادر الأجنبية التى كتبت لتحقيق أهداف سياسية تمثلت فى تطويل أمد الاحتلال وتقليل شأن قادة الحركة الوطنية السودانية. ومن هنا كان لزاماً على الباحثين والتربويين السودانيين أن يدرسوا تاريخ بلادهم دراسة علمية تدحض هذه المزاعم وتفندها[1].

إن موضوع موقف الإدارة الاستعمارية والأكاديميا البريطانيا والمصادر الأجنبية من الأستاذ محمود، موضوع فى غاية الأهمية ويحتاج للبحث والتنقيب، وبرغم أهميته إلا أنه يقع ضمن اطار هذه الدراسة، ولكن ربما تيسرت الفرصة للعودة إليه لدراسته دراسة منفصلة.

كتاب: **خريف الفرح: أسرار الفرح** 1950-1970[2]

وضع هذا الكتاب عبدالرحمن فرح (???-2004)، الذى يعتبر أحد أعمدة الصحافة السودانية، فقد أسس **صحيفة الصحافة** عام 1961، وهو صاحب سيرة صحفية طويلة. يجمع الكتاب ما بين السيرة الذاتية حيث الحكى عن الذكريات والمواقف والأحداث والوقائع، وما بين التأريخ للأخبار والصحافة والتناول للقضايا والتحليل لمراحل الحياة السياسية السودانية. يقع الكتاب فى (499) صفحة من القطع المتوسط. يتكون الكتاب من تسعة وعشرين فصلاً، تناولت واحداً وتسعين موضوعاً ومحوراً. تجاوز الكتاب اطاره

(1) حسن أحمد إبراهيم، "تقديم"، ضمن: عبداللطيف عبدالرحمن، **لمحات من الحركة الوطنية فى السودان**، دار جامعة أمدرمان الإسلامية للطباعة والنشر، شركة الطباعة والنشر للناشئين المحدودة، الخرطوم، 1987، ص (ج).

(2) عبدالرحمن فرح، **خريف الفرح: أسرار الفرح** 1950-1970، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 1996.

الزمنى المشار إليه فى العنوان 1950-1970، فتحدث عن ثورة 1924، وتناول نشأة الأحزاب السودانية، وأشار إلى **حزب الأمة**، و**حزب الأشقاء**، و**حزب وحدة وادى النيل**، و **الجبهة المعادية للاستعمار** (الشيوعيين)، و **القوميين**، و**حزب السودان**، و**الحزب الجمهورى الاشتراكى**، و**حزب الأحرار الجنوبيين**، و**حزب الله**، و**حزب الجنوب**، و**حزب الأحرار الوحدويين**، ...إلخ. الشاهد أن الأستاذ محمود لم يكن من بين محاور الكتاب أو موضوعاته، ولم ترد إشارة **للحزب الجمهورى**. وبرغم أن محكمة الردة التى واجهها الأستاذ محمود عام 1968 تعد حدثاً جليلاً، إلى جانب أن الأستاذ محمود تقاطع مع أحداث كثيرة جداً تناولها السيد عبدالرحمن فرح فى كتابه الذى امتد إطاره الزمنى حتى العام 1970، برغم ذلك لم تكن محكمة الردة من بين محاور الكتاب التى تجاوزت التسعين محوراً. لعل الكتاب لم يكن استثناءً فى موقفه من الأحداث والوقائع التى تتصل بالأستاذ محمود، فهو كحال غيره من الكتب التى وردت الإشارة إليها وتلك التى سترد الإشارة إليها، إذ يقدم تأكيداً لحالة الاجماع فى تجاهل الأستاذ محمود بعدم الإشارة إليه أو تناول دوره فى الحياة السياسية والثقافية والفكرية السودانية. الشاهد أن الموقف من الأستاذ محمود ومشروعه ومن دوره فى الحياة السياسية والفكرية، يتطلب دراسة العقل الثقافى السائد وتفكيكه واستنطاقه، أكثر من دراسة أصحاب الأقلام بشكل فردى، وهذا ما سأشير إليه بشىء من التفصيل فى خاتمة كتابى هذا.

كتاب: **الإسلام والسياسة: دراسة فى التجربة السودانية** 1883-1989[1]

يقع الكتاب فى (262) صفحة، ويتكون من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. واشتمل كل باب على عدد من الفصول، وكل فصل احتوى على عدد من المباحث. تناول الباب الأول: "الدراسة النظرية لأسلمة النظام السياسى"، من خلال ثلاثة فصول، وتحدث الفصل الأول عن: "الكل الإيمانى مصدر أسلمة النظام السياسى"، والفصل الثانى عن: "الموجهات الأساسية لأسلمة النظام السياسى"، ووقف الفصل عند

---

(1) عمر سر الختم المكى، **الإسلام والسياسة: دراسة فى التجربة السودانية** 1883-1989، ط1، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2005.

الشـورى، والحرية، والحـرية الاجتـمـاعيـة، حرية العـبادة، والحـرية الشـخصـية، والحـرية السيـاسية، والمساواة الاجـتماعيـة والاقتصادية والسياسيـة، والعدالة، ومفهـوم العدالة فى الإسلام، ...إلخ. وتحـدث الفصل الثالث عن: "بنيويـة أسلمة النظام السياسى". أمـا الباب الثانى فـقد وقف على: "دراسـة فى التجارب السـودانية لأسلمـة النظام السيـاسى"، حيث عـالج الفصل الأول: "الدولة المهـدية"، والفـصل الثانى: "إسـهامـات النظم الديمـقراطيـة التعـددية السابقـة لنظام مايو"، وتناول الفـصل الثالث: "نظام مايو"، ووقف الـفصل الرابع على: "فـترة الديمـقراطيـة التعـددية الثالثـة". وجاء البـاب الثالث بعنوان: "تأصـيل النظام السياسى الإسلامى فى السودان"، وقسم الباب إلى فصول ومباحث.

الشـاهد أن خلو دراسة أكـاديميـة موضـوعها الإسـلام والسيـاسة مع دراسـة للتجـربة السودانية حتى عام 1989، كما هو حال هذا النموذج، من الإشارة للأستاذ محمود ولآرائه ولكتبه وكـتب تلاميذه، ولما واجهه من تنفـيذ للإعدام فى ظل قوانين سبتـمبر 1983، يمثل مدعاة للتساؤل عن هذا الإغفال، هل هو نتاج لموقف من الأستاذ محمود ومشروعه، ورغبة وقراراً فـى مقاطـعته أم يعـود الأمر إلى مـا آل إليه حـال الأكاديمـيا السـودانية من ضـعف وانهيار يتجلى بوضوح فى البتر المستمر للمعارف. وفى كلا الحالتين فإن هناك حاجة ماسة لمراجعـة الأمر وإعادة النظر فى أمر الأكـاديميا السودانيـة، وفى ما تقدمه من خـدمات إلى جانب دورها فى إظهار الحقيقة ونشرها.

كتاب: **سنوات النميرى : توثيق وتحليل لأحداث ووقائع سنوات حُكم 25 مايو فى السودان**[1]

وليس أمر الجـهل بالتاريخ القـريب وأحداثه هو وحده مكمـن القلق، بل الأمر الجلل- عندى- هو أن مثل هذا التجاهل- أو التناسى- للتاريخ ووقائعه يوقع، فى تقديرى، فى مواقع الخطيئة والزلل[2].

محمود محمد قلندر

---

(1) محمود مـحمد قلندر، **سنوات النميرى: توثيق وتحـليل لأحداث ووقائع سنوات حُكم 25 مايو فى السودان،** مركز عبد الكريم ميرغنى، أمدرمان 2005.

(2) المرجع السابق، ص 9.

مُؤلف هذا الكتاب هو محمود محمد قلندر، وهو أكاديمى درس فى جامعة الخرطوم وجامعات أمريكا، كما عمل فى الإعلام العسكرى بالتوجيه المعنوى ووصل رتبة اللواء وترأس تحرير **صحيفة القوات المسلحة** خلال الفترة ما بين 1979-1989، وكان كما قال: "نحن معشر قيادات العمل الصحفى والاعلامى، كما كنا نسمى فى الأدب المايوى"[1]. يقع الكتاب فى (477) صفحة من القطع المتوسط. تهيكل الكتاب فى تقديم واستهلال وأربعة فصول إلى جانب الخاتمة والمصادر وببلوغرافيا، ومحور وسمه المؤلف بما بعد الكتاب.. رسالة من نميرى إلى المؤلف. وقف الفصل الأول على: "سنوات ما قبل نميرى"، وركز الفصل الثانى على: "مايو.. الميلاد والأعوام الحمر". وعالج الفصل الثالث: "مايو.. من الثورة للدولة"، وتناول الفصل الرابع (ورد فى الفهرس خطأً باسم الفصل الخامس): "مايو.. وطريق النهاية". معلوم أن سنوات النميرى، هى سنوات فترة حكم جعفر محمد نميرى (1930-2009)، التى امتدت من يوم 25 مايو عام 1969 وحتى 6 أبريل 1985. فحينما جاء انقلاب نميرى فى 25 مايو 1969، كان الأستاذ محمود قد صدر فى حقه حكم بالردة عن الإسلام فى يوم 18 نوفمبر 1968. وحينما انتهى حكم نميرى بانتفاضة أبريل الشعبية يوم 6 أبريل 1985، كان قد نفذ حكم الاعدام على الأستاذ محمود يوم 18 يناير 1985، بعد أن صادق رئيس الجمهورية جعفر محمد نميرى على حكم الاعدام.

يحمد للمؤلف أنه أورد بعض الإشارات فى كتابه للأستاذ محمود ولتلاميذه. وبرغم أن الإشارات كانت مختصرة وعابرة ولكنها تحمد له. فقد أشار المؤلف فى صفحة (132) إلى الإخوان الجمهوريين وهو يتحدث عن التنادى إلى **جامعة الخرطوم** لعقد مؤتمر فى نوفمبر عام 1965 لمواجهة قرار الجمعية التأسيسية بحل **الحزب الشيوعى**. فى ذلك المؤتمر كان الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** قد حضر وبرفقته تلميذه مجذوب محمد مجذوب مناصراً فى الحق الديمقراطى **للحزب الشيوعى السودانى**، وقد ضم المؤتمر (32) تنظيماً وولد يومها ما عرف بـ: المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية، كما وردت الإشارة آنفاً وسترد لاحقاً ضمن الفصل السادس عشر الذى يتناول: "الأستاذ محمود فى مذكرات

(1) المرجع السابق، ص 431.

معاصرية". كما أورد المؤلف فى صفحة (432) قائلاً: "ثم جاءت فى خضم الطوارىء تلك المأساة الكبرى، مأساة إعدام الشيخ الطاعن فى السن محمود محمد طه، وهى مأساة ألجمت شعب السودان وعقدت لسانه عن الكلام". ثم أشار فى صفحة (455) قائلاً: "ثم كانت مأساة إعدام محمود محمد طه والتى تحول الذهول فيها إلى حسرة، وأصبحت فيها الحسرة - بعد ذلك - فعلاً سالباً".

بيد أن هناك إشارة أوردها المؤلف وهو يتحدث عن حقبة الستينيات من القرن الماضى، وهى إشارة تتطلب التصويب والتصحيح. فقد كتب المؤلف فى صفحة (122) قائلاً:

*وصارت الأحزاب الإسلامية- خاصة **الحزب الجمهورى** الإسلامى- تبحث عن معانى الإشتراكية فى الإسلام، لتقديمها كنموذج للشباب الذى فتن بالكلمة ومشتقاتها، حتى راج يومها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، (الناس شركاء فى ثلاثة) ليثبت به الإسلاميون أن الاشتراكية لها فى الإسلام مكان أيضاً.*

هنا أمران، فإن كان المؤلف يقصد **الحزب الجمهورى**، فإن **الحزب الجمهورى** لم يضف -فى يوم من الأيام منذ تأسيسه عام 1945- كلمة الإسلامى إلى اسمه. أما الأمر الثانى وهو الأهم، فقد أشار المؤلف فى نصه أعلاه، إلى بحث الأحزاب الإسلامية عن معانى الاشتراكية فى الاسلام، خاصة **الحزب الجمهورى الإسلامى**، هنا إن كان المؤلف يقصد **الحزب الجمهورى**، فلابد من التصحيح العلمي والتصويب لأمر لا جدال فيه فهو ثابت وموثق توثيقاً لا مجال فيه للشك أو الجدل. لقد نشر رئيس **الحزب الجمهورى** الأستاذ محمود عن الاشتراكية كتباً ومقالات باكرة بدأت منذ عام 1945، وقد وردت الإشارة **للسفر الأول**، الذى صدر عام 945، وكتاب: **قل هذه سبيلى، الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، الذى أصدره الأستاذ محمود عام 1952، **وكانت تتضمن حديثاً عن الإشتراكية**. وقد كتب الأستاذ محمود مقالاً مطولاً بعنوان: "نحو عالم جديد: الاشتراكية" ونشره عام 1954[1]، (أنظر ملحق رقم: "29" وملحق رقم "30"). وتحدث الأستاذ محمود عن الاشتراكية فى بيان أصدره عام 1952، حينما طلب **الحزب الجمهورى الاشتراكى** التعاون

(1) محمود محمد طه،" نحو عالم جديد: الاشتراكية"، **صحيفة الجمهورية**، العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5 فبراير 1954.

والتحالف مع **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود[1]، (أنظر ملحق رقم: "25". وكما وردت الإشارة آنفاً فقد نشر الأستاذ محمود عام 1955 كتاباً بعنوان: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية.** كذلك تحدث الأستاذ محمود عن الاشتراكية فى خطابه للرئيس جمال عبدالناصر يوم 18 أغسطس 1958. وقدم الأستاذ محمود محاضرة عن الإشتراكية فى الاسلام 1958، وكتب عن الاشتراكية ضمن كتابه: **الإسلام**، الذى صدر فى طبعته الأولى عام 1960. إلى جانب كتابات كثيرة جداً عن الاشتراكية وردت الإشارة إليها فى الفصول السابقة، هذا قبل حلول عام 1960 أما بعدها فهناك كتابات لا حصر لها عن الاشتراكية.

الشاهد أن هذه الإشارات وإن كانت مختصرة، إلا أنها تحمد للمؤلف. لست فى هذه العجالة بصدد نقد المؤلف فى موقفه من الأستاذ محمود فى كتابه هذا، بقدر ما أننى مشغول بتأكيد حقيقة الموقف الجماعى للأكاديميا السودانية من تناول الأستاذ محمود فى مواقع كان هو صانعاً للأحداث فيها بالمواقف وبالكتابات. خلت قائمة مصادر ومراجع الكتاب، كما هو حال جل دراسات الأكاديميا السودانية، من الأستاذ محمود ومن كتبه وكتب تلاميذه. بل أن الدارس لا يجد إشارة لقضايا كبرى، أحدثت تحولاً جذرياً فى تاريخ السودان، وهى تخص الأستاذ محمود، ولا تجد لها إشارة فى جل الدراسات الأكاديمية. لقد خلا هذا الكتاب من الإشارة لمحكمة الردة عن الإسلام عام 1968، وهى تقع ضمن نطاق الفصل الأول: "سنوات ما قبل نميرى"، ونادراً كذلك ما تجد فى دراسات الأكاديميا السودانية، وهذا الكتاب لم يكن فى ذلك استثناءً، فنادراً ما تجد تخصيص فصل أو محور لمعالجة القضايا الكبرى التى تتصل بالأستاذ محمود، مثل السجون التى تعرض لها ومحكمتى الردة الأولى 1968 والردة الثانية 1985، وتنفيذ حكم الإعدام، ومسألة المشنقة... إلخ، وكل هذه القضايا قضايا كبرى ومواقف آبدة. لا أعتقد أن دراسة أكاديمية تتناول فى فصلها الأول "سنوات ما قبل نميرى"، ثم تقدم توثيقاً وتحليلاً لأحداث ووقائع سنوات حكم 25 مايو، كما هو الحال فى هذا الكتاب: **سنوات النميرى**، لا أعتقد أن من

(1) محمود محمد طه، "فشل المسعى لالتقاء **الحزب الاشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى** لاختلاف المبادئ والوسائل"، (بيان)، **السودان الجديد**، العدد: 1564، الأربعاء 19 مارس سنة 1952.

الممكن أن تخلو قائمة مصادرها ومراجعها من الإشارة للأستاذ محمود ولكتبه وكتب تلاميذه، بل فى تقديرى أن مثل هذه الدراسة هى أنسب الدراسات التى ينبغى أن تخصص فصلاً، أو محوراً على أقل تقدير عن الأستاذ محمود، وهى تعالج سنوات حكم نميرى.

كتاب: **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)[1]

صدر هذا الكتاب فى طبعته الأولى عام 2007. يقع الكتاب فى (372) صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة مصادر ومراجع. تناول الفصل الأول: "التعليم الدينى فى السودان"، والفصل الثانى: "نشأة المعهد العلمى وتطوره"، ودرس الفصل الثالث: "نظم المعهد العلمى ومقرراته"، وعالج الفصل الرابع: "سياسة الحكم الثنائى تجاه المعهد العلمى"، وركز الفصل الخامس على: "المعهد العلمى والحركة الطلابية". برغم أن الدراسة اتسمت بالصرامة العلمية من حيث ترتيب المادة والمنهج التوثيقى والمنهج التاريخى، إلا أن ما يقدح فيها فى تقديرى أنها خلت من إعمال الحس النقدى، وفى هذا فإن الدراسة جاءت متسقة مع جل الدراسات السودانية والتى فى أغلب الأحوال يغيّب فيها بل تتحاشى ممارسة النقد. لا أحسب أن دراسة تدرس تاريخ المعهد العلمى بأمدرمان وتطوره، تغفل دور المعهد فى تضييق الخناق على الإبداع والرؤى التقدمية، ودوره فى محاربة المبادرات الخلاقة فى الفكر الإسلامى، ودوره فى تغيير مسار العديد من الخلاقين والمبدعين. إن الأمثلة على ذلك كثيرة، أهمها على الاطلاق الأستاذ محمود. وقبله محمد عبدالوهاب القاضى، والشاعر التجانى يوسف بشير (1912-1938).

لقد واجه الأستاذ محمود حرباً شعواء من مشيخة المعهد منذ منتصف الخمسينيات من القرن الماضى. لقد بدأ شيوخ المعهد العداء للأستاذ محمود فى فترة تولى الشيخ محمد المبارك محمد عبدالله لمشيخة المعهد خلال الأعوام (1956-1963). وقد أشرت ضمن فصل سابق عنوانه، "قراءة فى الدراسات السابقة: مرحلة الفقهاء"، عن كشف شيوخ **المعهد العلمى بأمدرمان**، منذ الوهلة الأولى، عن عدائهم الشديد ومعارضتهم القوية للأستاذ محمود ولمشروعه، وقد تجلى ذلك باكراً منذ النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى

(1) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، مرجع سابق.

في المحاضـرات والندوات التى كان يقيمـها **المعهد العلمى** فى مناسبـات مختلفـة، وكان يحضرها الأستاذ محمود، وأحياناً يشارك فيها كمتحدث. وقد أوردت من قبل المقال الذى نشره الأستاذ محمود بعنوان: "مستقبل الثـقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليهـا، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهـد العلمى بأمدرمان"[1]، رداً على محاضرة قدمها أحـد مبعوثى **الأزهر الشريف**، وصف الأستاذ محمـود حديث مبعوث الأزهر بأنه: "هوس زحم به المصـريون المـعـاصرون رؤوس الـعـرب، وأوشكوا أن يوردوهم به مـوارد الهلاك"[2]. لقد كانت العـلاقة بين الأستاذ محمـود وشيوخ المعهد فى كل، تعـبر عن مزيد من البُعد والبعـاد بين الرؤيتين، وظل عداء مشائخ المعهـد العلمى للأستاذ محمود مـستمراً ومتوسعـاً. ثم هناك مؤامرة فصل تلاميـذ الأستاذ محمود من المعـهد العلمى، وهى المؤامرة التى عرفت (بفصل الطلبة)، وكانت فـيها مساجلات بين الأستاذ محمود ومـشيخة المعهد، كمـا ورد آنفاً. وهناك أيضاً السجـال الذى كان بين الأستـاذ محمود وشـيخ المعهد محـمد المبارك، ومشيخة **المعهد العلمى**، وكانت ساحته **صحيفة السودان الجديد**. ففى يوم 28 يناير 1960 نشرت إدارة المعهد العلمى بياناً بشأن فـصل الطلبة جاء البيان بعنوان: "بيان من إدارة المعـهـد العلمى عن فـصل الطلاب الثـلاثة من المعـهـد"[3]. وفى يوم 31 يناير 1960 نشـر الأستاذ محمود مقالاً أبرزته **صحيفة السودان الجديد**، بعنوان: "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد"[4]. وتتابعت الردود خلال شهر فبراير ما بين الأسـتاذ محمود ومشيخة المعهد وكذلك نـشرت تعقيبات عديدة من مـراقبين. كما نشر الطلاب المفـصولون بياناً فى يوم 5 فبـراير 1960 بعنوان: "بيـان من الطلبة المـفصـولين من المعهـد العلمى"[5]. هذا إلى جانب أن سابقة محكمة الردة عام 1968، والتى واجهها الأستاذ مـحمود جاءت من المعهد العلمى.

---

(1) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها" مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) إدارة المعهـد العلمى، "بيان من إدارة المعـهد العلمى عن فـصل الطلاب الثلاثة من المعـهد"، **صحـيفـة السودان الجديد، العدد**: 3909، بتاريخ 1960/1/28.

(4) محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد"، مصدر سابق.

(5) الطلبة المفـصولون، "بيان من الطلبـة المفصولين من المعـهد العلمى"، **صحيفـة السودان الجديد**، العدد: 3916، بتاريخ 1960/2/5.

الشاهد أن أى دراسة عن تاريخ **المعهد العلمى** وتطوره لا تقف عند دور المعهد فى محاربته للعقول الكبيرة، لا سيما محمد عبدالوهاب القاضى والشاعر التجانى يوسف بشير، وتتجاوز الأستاذ محمود، فإنها بلا شك دراسة مبتورة ولا تملك الحقائق، وقاصرة عن النهوض بأمرها فى ما تخرج به من نتائج وتوصيات أو فى ما تقدمه من معلومات تاريخية. وبهذا فهى لا تعين فى فهم الماضى فهماً صحيحاً كما أنها تقف عاجزة عن المساهمة فى إظهار الحقيقة ونشرها.

كتاب: **أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات**[1]

إن قضية المرأة ليست ضد الرجل، وإنما هى ضد الجهل، والتخلف، والظلم الموروث.. وهى، من ثم، قضية الرجل والمرأة معاً.. ولتعلموا: أن صراعنا دائماً إنما هو ضد النقص، ابتغاء الكمال.. والكمال إنما هو حظ الرجل، وحظ المرأة فى آن معاً.. فإن الفرد الكامل، إنما هو الابن الشرعى للمجتمع الكامل.. وهو، أكثر من هذا، الابن الشرعى للمرأة الكاملة[2].

محمود محمد طه، ديسمبر 1971

صدر هذا الكتاب عام 2009، ويقع فى (286) صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من أربعة فصول بالإضافة لمقدمة وتمهيد وخاتمة وملاحق وقائمة مصادر ومراجع. وقف التمهيد عند: "الإلغاء المفاجىء للرق"، و"الخفاض الفرعونى والفرعونية الجديدة"، و"الخلفية التاريخية لتعليم المرأة فى السودان". وتناول الفصل الأول: "الحركة النسوية فى السودان"، ودرس الفصل الثانى: "تيارات الحركة النسوية"، وعالج الفصل الثالث: "قضايا الحركة النسوية السودانية"، وتناول الفصل الرابع: "مواجهة الحركة النسوية وبناء مسار جديد". من خلال هذه الفصول وقف الكتاب على محاور عديدة منها: اختراق الأحزاب السياسية والتيارات الفكرية للتنظيمات النسوية، وتناول "الشيوعيون والحركة النسوية"، و"الإسلاميون والمرأة"، والأحزاب التقليدية (الطائفية). وتحدث عن الترابى وتثوير المرأة،

(1) وليد الطيب عبدالقادر وأحمد محمد أحمد إسماعيل، **أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات**، ط1، كتاب البيان (105)، سلسلة تصدر من مركز البحوث والدراسات، 2009.

(2) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 92.

والصادق المهدى وقضايا المرأة، وتطوير الشريعة. وتناول النسويين ومفهوم عمل المرأة، والزى والحجاب، واستعرض حقوق المرأة ومطالب الحركة النسوية السودانية السياسية والقانونية، ووقف عند المرأة والسياسة والولاية، والمطالب النسوية فى مجال الأسرة: عقد الزواج، وتعدد الزوجات، والخروج من بيت الزوجية، وسفر المرأة، والمساواة فى الميراث...إلخ.

الشاهد أن هذا الكتاب خلا تماماً من الإشارة للأستاذ محمود أو لكتبه أو كتب تلاميذه فى قائمة المصادر والمراجع، أو التناول لآرائه أو المناقشة لها حتى ولو مع التأكيد بالاختلاف معها. لقد خلا الكتاب (برغم أن موضوع المرأة كان من أكثر الموضوعات التى وجدت اهتماماً عند الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، بل مثلت المرأة مرتكزاً أساسياً فى مشروع الأستاذ محمود.فقد طرح الأستاذ محمود باكراً أطروحات متقدمة عن حقوق المرأة والمساواة بين الرجال والنساء وتعدد الزوجات والحجاب والاختلاط... إلخ. ففى عام 1952 نشر كتاب: **قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**،وفى عام 1967 نشر كتاب: **الرسالة الثانية من الإسلام**[1]، الذى تناول: عدم المساواة بين الرجال والنساء ليس أصلاً فى الإسلام، وتعدد الزوجات ليس أصلاً فى الإسلام، والطلاق ليس أصلاً فى الإسلام، والحجاب ليس أصلاً فى الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً فى الإسلام[2]. كما نشر كتاباً بعنوان: **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**[3]، وكتاباً عن: **خطوة نحو الزواج فى الإسلام**[4]، ونشر كتاباً عن: **المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل هو عدوهما معاً**[5]!!. ونشر كذلك تلاميذه وتلميذاته عدداً كبيراً من الكتب منها: **المرأة فى اصول القرآن**[6]، **وتعدد الزوجات ليس أصلاً فى الاسلام**[7]،

---

(1) محمود محمد طه، **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**، مصدر سابق.
(2) المصدر السابق، 2002.
(3) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق.
(4) محمود محمد طه، **خطوة نحو الزواج فى الإسلام**، مصدر سابق.
(5) الإخوان الجمهوريون، **المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل هو عدوهما معاً!!**، أمدرمان، 1981.
(6) الإخوان الجمهوريون، **المرأة فى اصول القرآن**، مصدر سابق.
(7) الإخوان الجمهوريون، **تعدد الزوجات ليس أصلاً فى الإسلام**، مصدر سابق.

والزى عنوان عقل المرأة وخلقها[1]**، أضواء على شريعة الأحوال الشخصية**[2]**، والاختلاط بين الشريعة والدين**[3]**، المرأة والتدين**[4]**، والمرأة مكانها البيت؟؟**[5]**. ونشر تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته كذلك: بيت الطاعة: المشكلة والحل**[6]**، والمنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمى**[7]**، واتحاد نساء السودان وقضية المرأة**[8]، وغيرها مما وردت الإشارة إليه)......

يضاف إلى ذلك، فإن أى دراسة عن الحركة النسوية السودانية وتطورها، كما هو الحال فى كتاب: أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات، تغفل الإشارة للأخوات الجمهوريات وقد كن ملء السمع والبصر، يتحدثن فى المنابر فى الجامعات وفى الشوارع ويوزعن كتب الفكرة الجمهورية. أكثر من ذلك، فقد كان نشاط الأخوات الجمهوريات، ثورة فى عالم المرأة، وفى حقوقها وفى حياتها، وأكبر من ذلك، إن نشاط الأخوات الجمهوريات كان نشاطاً غير عادى، بل كان نشاطاً جديداً كليةً على المجتمع السودانى وربما العالم، من أى النواحى أتيته. وأبلغ من ذلك، أن نشاط الأخوات الجمهوريات قد بلغ خبره الناس موثقاً ومشاهداً فى المكاتب وفى الميادين والجامعات والشوارع. لهذا، فى تقديرى، أن أى دراسة فى مجال الحركة النسوية السودانية، تغفل الإشارة للأخوات الجمهوريات تعتبر دراسة مبتورة وقاصرة وعاجزة عن النهوض بموضوعها، وبالتالى ناقصة وضعيفة فى نتائجها وتوصياتها.

---

(1) الإخوان الجمهوريون، **الزى عنوان عقل المرأة وخلقها**، أمدرمان، 1975.

(2) الأخوات الجمهوريات، **أضواء على شريعة الأحوال الشخصية**، أمدرمان، 1973.

(3) الإخوان الجمهوريون، **الاختلاط بين الشريعة والدين**، مصدر سابق.

(4) الإخوان الجمهوريون، **المرأة و التدين**، أمدرمان، 1975.

(5) الإخوان الجمهوريون، **المرأة مكانها البيت؟؟**، ط1، أمدرمان، 1975 .

(6) الإخوان الجمهوريون، بيت **الطاعة: المشكلة والحل**، أمدرمان، 1975 .

(7) الإخوان الجمهوريون، **المنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمى**، مصدر سابق.

(8) الإخوان الجمهوريون، **اتحاد نساء السودان وقضية المرأة**، أمدرمان، 1975 .

كتاب: **نظرية داروين فى الميزان: دراسة تحليلية لنظرية داروين فى النشوء والارتقاء وبيان تهافتها وإسقاطها على الفكر الاجتماعى الإنسانى**[1]

إن التطور يزحم كل الوجود وهو قانون الوجود وما الحياة إلا مرحلة من مراحل هذا السير الأبدى السرمدى وهى مرحلة لا تختلف عما قبلها وما بعدها اختلاف نوع وإنما اختلاف مقدار وكذلك يا سيد فاروق اختلاف الإنسان عن الحيوان ذى الخلية الواحدة.. ليس هو اختلاف نوع وإنما اختلاف مقدار[2].

محمود محمد طه، ضمن مقال عن نظرية داروين يوم 1959/4/1

ألف هذا الكتاب بروفيسور زكريا بشير إمام عن نظرية داروين، وتناول آراء داروين وشخصيته وتأثيره الفكرى فى العالم، ودرس كتابيه، الأول: أصل الأنواع On the Origin of Species، وقد ظهر عام 1859، والكتاب الثانى: **أصل الأنواع ونظرية الانتخاب الطبيعى فيما يتعلق بالجنس** *The Descent of Man and Selection in Relation to Sex*، الذى نشر عام 1871. يقع كتاب زكريا بشير إمام فى (123) صفحة من القطع المتوسط. أفرد المؤلف إحدى الصفحات وعرض فيها أهم الموضوعات التى تناولها الكتاب، والموضوعات هى: نظرية داروين فى أصل الأنواع، ونظرية داروين فى أصل الإنسان وانحداره من القرود، ونظرية الإسلام فى خلق الإنسان وإبداعه، ونظرية الإسلام فى طبيعة النوع الإنسانى وتكوينه من مادة وروح، والقرآن الكريم ومفهوم الإنسان، وإسقاطات نظرية داروين على الفكر الاجتماعى الإنسانى، ونقد نظرية داروين وتفنيدها. ناقش المؤلف بروفيسور زكريا بشير إمام هذه الموضوعات من خلال ستة فصول ومقدمة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع. تعود قصة الكتاب، كما حكى المؤلف، إلى اهتمامه بالموضوع منذ أن كان طالباً فى قسم الفلسفة بكلية الآداب **بجامعة الخرطوم**، ثم دعوته لأساتذة كلية

---

(1) زكريا بشير إمام، **نظرية داروين فى الميزان: دراسة تحليلية لنظرية داروين فى النشوء والارتقاء وبيان تهافتها وإسقاطها على الفكر الاجتماعى الإنسانى**، ط2، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم، 2010.

(2) محمود محمد طه، "تعالوا إلى كلمة سواء: بين نظرية دارون والدين"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 203، بتاريخ 1959/4/1. فاروق المشار إليه هو اسم شخص وجه سؤالاً للأستاذ محمود عن نظرية داروين عبر **صحيفة أنباء السودان** فى يوم 1959/3/11.

العلوم إلى مناظرة بعد أن عاد من أمريكا وقد نال درجة الدكتوراة. عقد المناظرة فى شتاء عام 1982، بمدرج القرشى بكلية العلوم، وقد حضرها جمع غفير من الطلاب والأساتذة[1]. ظلت الفكرة فى حضن المؤلف زكريا بشير إمام حتى خرجت فى هذا الكتاب. لقد استعرض المؤلف آراء عدد كبير من المفكرين والعلماء، كما أشار إلى المفكرين والعلماء الإسلاميين الذين كانت لديهم مقالات وكتابات عن نظرية داروين، كتب المؤلف قائلاً: "فقد كتب عدد كبير من المفكرين والعلماء الإسلاميين مقالات ناقدة لنظرية (داروين)"[2]. ثم عدد المؤلف "أشهر هذه المقالات المناهضة للدارونية"[3]، وأشار إلى مقالات: محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وكتاب عباس محمود العقاد: الإنسان فى القرآن الكريم، وكذلك كتابات: إحسان حقى: "خلق لا تطور"، وباسمة كمبال، ومحمد غلاب، وسامى عابدين.

الشاهد أن مؤلف الكتاب استعرض وأشار إلى عدد كبير من المفكرين والعلماء المسلمين، الذين كتبوا عن نظرية داروين، ولم ترد مجرد إشارة إلى الأستاذ محمود سواء إلى آرائه أو بالإشارة إليه فى قائمة المصادر والمراجع. لقد كان الأستاذ محمود سابقاً فى الكتابة عن نظرية التطور لمعظم الذين كتبوا عنها. لقد كتب الأستاذ محمود باكراً عن نظرية داروين شارلس روبرت داروين Charles Robert Darwin (1809-1882)، بل كان من أوائل الذين كتبوا ونشروا عنها فى السودان، إن لم يكن أولهم، فقد نشر الأستاذ محمود أول مقال كتبه عن نظرية داروين فى يوم الأربعاء 1959/4/1. جاء مقال الأستاذ محمود الأول عن نظرية داروين استجابة لسؤال تقدم به أحد القراء واسمه فاروق من كلية الأقباط بالخرطوم، نشر فاروق سؤاله فى يوم 11 مارس 1959 **بصحيفة أنباء السودان** على النحو التالى:

إلى الاستاذ محمود محمد طه: جرى بيننا وبين الطلبة خلاف حول نظرية التطور لداروين وموقف الدين منها ... ففى حين أن هذه النظرية التى تدرس

---

(1) زكريا بشير إمام، مرجع سابق، ص 13-14.

(2) المرجع السابق، ص 112-113.

(3) المرجع السابق، ص 112-113.

الآن تقول بأن بداية الكائنات الحية كانت (أميبا) أى خلية واحدة... لا يقول الدين بذلك حسب الظاهر كما فهمنا. فهل يتكرم (المعلم الكبير) بشرح هذا الموضوع شرحاً يزيل اللبس؟ [1].

جاء رد الأستاذ محمود فى مقال بعنوان: "بين نظرية داروين والدين"[2]، فى ما يقارب الصفحتين من **صحيفة أنباء السودان**. ثم كتب الأستاذ محمود كتابات عديدة لاحقاً. إلى جانب ذلك فمن المعلوم لكل أولئك الذين كانوا طلاباً بالجامعات السودانية، خاصة **بجامعة الخرطوم**، خلال فترة الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، أن تلاميذ الأستاذ محمود طرحوا رؤيته عن داروين، وبلغوها لطلاب وأساتذة **جامعة الخرطوم** عبر أركان النقاش وفى المساجلات اليومية وفى الندوات والمناظرات، هذا إلى جانب الكتابات المنشورة والمحاضرات التى ظل يقدمها الأستاذ محمود فى مختلف أحياء العاصمة الخرطوم ومختلف مدن وقرى السودان. لقد كان التداول بشأن نظرية داروين فى السوح السودانية جديداً آنئذ، وكان طرح الأستاذ محمود فيه أيضاً باكراً وجديداً. لا أحسب أن دراسة أكاديمية تلتزم بالأسس العلمية والمبادىء الأكاديمية، ويقدمها أحد المتخصصين فى الفلسفة، تستطيع أن تتجاوز الكتابات الباكرة والمنشورة للأستاذ محمود عن موضوع نظرية داروين. كما هو الحال فى هذا الكتاب، فمؤلفه زكريا أحد أساتذة الفلسفة والفكر الإسلامى بالجامعات السودانية. بالطبع ليس مطلوباً الاتفاق مع رأى الأستاذ محمود، وإنما إيراد الرأى ومناقشته، مع إبراز الاختلاف، أمر تتطلبه الأسس العلمية، خاصة وأن الرأى مستوف للشروط العلمية، فهو رأى مكتوب ومنشور ومن وقت باكر وفى داخل السودان. هذا نموذج أيضاً يؤكد ويبرر الاستفهامات الكبيرة بشأن مدى التزام الأكاديميا السودانية بمبدأ إظهار الحقيقة ونشرها.

(1) فاروق- كلية الأقباط بالخرطوم، "إلى الأستاذ محمود محمد طه"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 197، بتاريخ الاربعاء 1959/3/11.

(2) محمود محمد طه، "تعالوا إلى كلمة سواء: بين نظرية داروين والدين"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 203، بتاريخ 1959/4/1.

كتاب: **الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان**[1]

لقد طالب الأستاذ محمود بتطبيق الحكم الفدرالى قبل أن ينادى به حتى الجنوبيين، لأنه نظر ببصيرته الثاقبة فرأى أن التنوع الموجود فى السودان لايمكن إدارته بمركزية قابضة[2].

أتيم قرنق

فى الأصل كان هذا الكتاب رسالة دكتوراة، نال بها المؤلف عمر عوض الله قسم السيد درجة الدكتوراة، وقد بيَّن ذلك فى صفحة (العرفان) قائلاً: "رسالة الدكتوراة هذه تمت كتابتها، تحت الإشراف الأكاديمى للبروفيسور توماس فلاينر (مدير معهد الفدرالية، جامعة فرايبورغ، سويسرا)، خلال الفترة من يناير 2002، إلى ديسمبر 2004". يقع الكتاب فى (319) صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من مقدمة وأربعة أبواب، وكل باب عبر عن نفسه من خلال فصول، فاشتمل الكتاب على خمسة وعشرين فصلاً، وكل فصل تضمن محاور عديدة. هذا إلى جانب الخلاصة وقائمة المراجع. تناول الباب الأول: "فهم التنوع وأسباب النزاع فى السودان"، ودرس الباب الثانى: "السودان والحل الفدرالى"، ووقف الباب الثالث عند: "الشروط الجوهرية للحلول الفدرالية"، وركز الباب الرابع على: "تحويل الدولة: "الآليات الفعالة لتطوير الهوية القومية فى السودان". الشاهد أنه إلى جانب موضوع الفدرالية محور الكتاب، والتى كان الأستاذ محمود أول من كتب عنها كتاباً فى السودان عام 1955، بعنوان: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، كما ورد آنفاً، فإن الكتاب تناول موضوعات عديدة، كان للأستاذ محمود فيها كتابات باكرة ومنشورة وبآراء جديدة وجريئة. فقد تناول الكتاب فى فصول مختلفة موضوعات كثيرة منها: الفدرالية ومسألة الشريعة، والبنى الدستورية، وقضية الدين، والأحكام الإسلامية تجاه جرائم وعقوبات الحدود،

---

(1) عمر عوض الله قسم السيد، **الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان**، ترجمة: عبد الحافظ عبدالعزيز ومراجعة محمد المصطفى حسن عبد الكريم، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2010.

(2) علاء الدين بشير "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، (رصد)، مرجع سابق.

وهل من الممكن التميز ضد الأقلية غير المسلمة لصالح الأغلبية المسلمة؟، وجريمة الردة، والتضارب بين حريات الأغلبية والدستور الفدرالى...إلخ. كما أشار المؤلف قائلاً: "وأثناء التوجه نحو الاستقلال اقترح الجنوبيون الفدرالية كنظام للحكم بينهم وبين الشمال، لكن هذ قد رفض"[1]. الشاهد أن كل هذه الموضوعات التى تناولها هذا الكتاب، كانت موضع اهتمام عند الأستاذ محمود فقد كتب ونشر عنها باكراً. فقد كتب عن الدستور الاسلامى، **الدستور الإسلامى.. نعم ولا**[2]، وغيره كما قدم العديد من المحاضرات، وقد وردت الإشارة لهذه الكتابات ولا حاجة لتكرارها هنا. أما موضوع الفدرالية فقد كان الأستاذ محمود أول من نادى بضرورة قيام حكومة فدرالية، وأتبع النداء بتأليف كتاب، كتب منصور خالد قائلاً:

ففى السياسة الحكمية كتب محمود فى عام 1955 عن الفيدرالية كأصلح المناهج لنظام الحكم فى السودان، فى الوقت الذى كان غيرُه يصفُ الفيدراليةَ بأنها ذريعةٌ استعمارية لتفتيت وحدة السودان وكأنا بهؤلاء لم يكونوا يعرفون كيف وحدتْ الفيدراليةُ دولاً مثل (الولايات المتحدة الأمريكية، والهند، وكندا، والبرازيل، وألمانيا). إن ما طرحه الأستاذ محمود فى كتابه: ***أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية،*** *الذى نُشر عام 1955، واستهجنه الناس آنذاك، قامت على جوهره اتفاقية أديس أبابا عام 1972، ولم تخرج اتفاقية السلام الشامل من روحه، وقد جاءت بعد نصف قرن من الزمان*[3].

لم ترد مجرد إشارة للأستاذ محمود وآرائه أو كتبه أو كتب تلاميذه فى قائمة مصادر ومراجع فى كتاب: **الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان**. لقد وردت إشارة للأستاذ محمود حينما كان المؤلف يتحدث عن جريمة

---

(1) عمر عوض الله قسم السيد، ص 209.

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم **الدستور الإسلامى؟ نعم .. ولا**، أمدرمان 1968.

(3) منصور خالد، "محمود الذى عرفت"، مصدر سابق.

الردة، قال المؤلف: "أما في السودان فالشخص الوحيد الذى وجد مذنباً بموجب هذه الجريمة ونفذ عليه حكم الإعدام بالشنق، هو محمود محمد طه فى 1985، ومنذ ذلك الزمن لم تُوجه أى اتهامات بالردة"[1]. ثم كتب المؤلف فى الهامش فى نفس الصفحة: "فى هذا الصدد، الأكاديمى السودانى عبدالله أحمد النعيم كشف عن الشكوك فى عدالة الإجراءات القضائية، والتى استخدمت فى هذه القضية وادعى أن محمود محمد طه قد أعدم لمعارضته السياسية لنظام نميرى فى ذلك الوقت". وعن الردة فى قانون العقوبات لسنة 1983 أشار المؤلف فى الهامش نفسه قائلاً: "لتبرير هذا الاتهام يشير هو (عبدالله أحمد النعيم) إلى حقيقة أن الردة لم ينص عليها فى قانون العقوبات لسنة 1983، الذى بموجبه قد تم إعدام محمود محمد طه تبعاً لذلك". ثم أشار المؤلف فى الهامش نفسه، إلى إعادة النظر فى قضية الأستاذ محمود بعد الإطاحة بنظام نميرى، كتب المؤلف قائلاً: "بناء على طلب من ابنة محمود محمد طه، أعادت المحكمة العليا، بعد الإطاحة بنظام نميرى، النظر فى القضية ووجدت أن محمود محمد طه غير مذنب".

الشاهد أننى لست بصدد التناول لإشارة المؤلف بشأن موضوع بطلان محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، فهذا الأمر لم يعد موضعاً للأخذ والرد فقد وضح وثبت بطلانه بالقانون وبنمو الحس العدلى عند الناس وبالوعى وبالقدرة على تفكيك الرموز التى احاطت وتداخلت بالموضوع. فالأمر فى يقينى ينتظر فقط الخطوة الشجاعة القادمة، وهى خطوة الاعتذار، وهى قادمة مع أجيال المستقبل، لا ريب فى ذلك. الشاهد أن الكتاب وهو أطروحة دكتوراة لم يكن استثناءً، فى تجاهل الأستاذ محمود، وإنما كان حاله حال جل الدراسات التى أُنجزت فى محيط الأكاديميا السودانية.

خاتمة: الطريق نحو ما بعد التاريخ المعلن

لقد ظلت الأكاديميا السودانية مقاطعة للأستاذ محمود ولمشروعه، وعازلة له عن حركة البحث العلمى، وبهذا فهى لم تجافِ البحث عن الحقيقة وإظهارها ونشرها فحسب؛ وإنما

(1) عمر عوض الله قسم السيد، مرجع سابق، ص 272.

ساهمت فى تشويه تاريخ الأستاذ محمود وسيرته بتغييبه من الذاكرة الجمعية وتضليل غمار الناس فيه.إن أى نموذج من هذه النماذج التى درستها هو فى واقع الأمر، يمثل مثالاً لدراسات وكتب عديدة صدرت فى نفس المجال، وقد تجاهلت الأستاذ محمود تجاهلاً تاماً، وأغفلت الإشارة لكتبه ولآرائه ولكتب تلاميذه. هذا التجاهل يكشف انحراف الأكاديميا السودانية عن المسار الصحيح، وعن مفارقتها للإرث الذى ورثته من الأكاديميا البريطانية. كذلك، لقد تمَّ هذا التجاهل فى مجالات كان للأستاذ محمود فيها مساهمات باكرة وأصيلة ومنشورة منذ أربعينيات القرن الماضى، وبرغم ذلك لا تجد إشارة للأستاذ محمود أو كتبه أو آرائه.

تكاد تخلو جل قوائم مصادر ومراجع دراسات الأكاديميا السودانية، من اسم الأستاذ محمود ومن كتبه وكتب تلاميذه. فالأمر هنا أبعد من أن يكون مرتبطاً بالحرية الأكاديمية، وإنما يتصل الأمر بالضمير والوعى والشجاعة العقلية والقدرة على مواجهة المؤسسة الدينية ومناطحة سلطتها الدينية من فقهاء وعلماء دين... إلخ. السؤال الذى يطرح نفسه هنا، هل يمكن القول بأن الأكاديميا السودانية قد تماهت مع الفقهاء؟ ومن ثم تماهت مع العقل الثقافى السائد، واستجابت لثقافة القطيع؟وهل يمكن الحديث عن حالة خوف انتابت جُلَّ الأكاديميين السودانيين، ولم يكونوا قادرين على مواجهة سلطة المجتمع والسلطة الدينية؟ أيضاً من المهم الإشارة إلى أن الإغفال والتجاهل لم يكن كله متعمداً ومقصوداً، فبعضه يعود لضعف التدريب الأكاديمى، والغياب لإعمال الحس النقدى. وهو أمر موروث فى الأكاديميا السودانية، يعود إلى طبيعة الجرعة التعليمية فى نظام التعليم الذى أسسه المستعمر فى بواكير القرن العشرين. فهو تعليم كان يهدف، كما ورد آنفاً، إلى تخريج الكتبة والفنيين، وليس صناعة قادة المستقبل. نتج عن ضعف التدريب الأكاديمى الاستمرار فى حالة اللا إعمال للحس النقدى، وضعف الاتصال بالمصادر ومظانها، وبالوثائق واستنطاقها. أيضاً، يكشف تجاهل الأستاذ محمود، سواء كان بقصد أو بغير قصد، وعدم الإشارة إلى كتبه وكتب تلاميذه، إلى ما تعانيه دراسات الأكاديميا السودانية، من أزمات فى المنهج وطبيعة التناول لمعالجة الموضوعات والقضايا. إن المدهش والمستغرب حقاً، ليس الإغفال

والتجاهل للأستاذ محمود من كاتب ما أو كتاب ما، وإنما المدهش حقاً هو هذا الإجماع على التجاهل! وهذا التحالف غير المتفق عليه وغير المكتوب.إن جل دراسات الأكاديميا السودانية -بما اتضح لنا من خلال دراسة هذه النماذج فى الرسائل الجامعية أو نماذج الكتب- أنها تواجه إشكاليات كبيرة، وتنتج عنها آثار سلبية عظيمة على الأرض وفى العقول، سواء من حيث ضعف منهج المعالجة وقصوره أو قيامها بدورها فى بتر المعارف وتغييب بعض الوقائع والأحداث، ومن ثم الخلل فى الأسس العلمية، والقصور فى النتائج والخلاصات. وكل هذا سواء كان بقصد أو بغير قصد، وسواء كان بسبب ضعف فى التدريب أو التكوين الأكاديمى أو غيره، وسواء كان بسبب تماه مع السلطة الدينية أو غيره، وسواء كان بسبب ضعف الحس النقدى أو غيره، فإنه يعنى ببساطة عبئاً إضافياً على الأمم يتمثل فى تعليق القضايا وترحيلها إلى المستقبل.

ففى تقديرى أن دراسات الأكاديميا السودانية إذا ما انفتحت على الأستاذ محمود واطلعت على آرائه لوقفت على آراء جديدة وحية ومواجهة للقضايا، وعندها يتحقق الإثراء والتطوير والتجديد فى سوح الأكاديميا السودانية، وينتفى التهميش والبتر للمعارف. إن بتر المعارف وممارسة التهميش بوعى وبغير وعى يعنى مجافاة الأكاديميا لمبدأ إظهار الحقيقة ونشرها، ومن ثم يقود إلى تشوه العقول والفهوم، الأمر الذى ساهم، وعبر تراكمه ضمن عوامل أخرى بالطبع، فى تجميد حركة التغيير فى السودان، وأدى إلى تراكم المظالم ومن ثم إلى تشظِّى السودان. هنا تأتى ضرورة اعمال الحس النقدى لما هو معلن من التاريخ لتمهيد الطريق للوقوف على «**مابعد التاريخ المعلن**»، إن المعلن من تاريخ السودان لا يسعف فى تحقيق السلام والتعايش وبناء الوحدة، وإنما يغذى طموحات التشظى. إن مقدمات التشظى على الأرض تبدأ فى العقول، عبر تغييبها وتشويهها وتضليلها فى معرفة الحقيقة وفى دراسة التاريخ.

مهما يكن من أمر فإن غياب الورع العلمى فى التعاطى مع الأستاذ محمود ومشروعه، وعزله من ميدان البحث العلمى فى السودان، والإجماع على تجاهله وإغفاله بعدم الإشارة إليه أو إلى كتبه وكتب تلاميذه، أمر لا يقف عند حد التساؤل والاستفهام؛ وإنما يصل الأمر إلى حد الطعن فى الأكاديميا السودانية وفى لجانها ومبادئها، الأمر الذى يجعلنا محقين فى

الدعوة إلى إجراء المراجعات الشاملة لإرث الأكاديميا السودانية ولنظمها ولمسارها الراهن وفى المستقبل. أيضاً، لا تكتمل الصورة فى تجاهل الأستاذ محمود إلا بالوقوف على المذكرات والسير الذاتية التى كتبها معاصرو الأستاذ محمود، باعتبارها من أهم مصادر الدراسات السودانية، الأمر الذى يؤكد أن جل دراسات الأكاديميا السودانية تفتقر لإعمال الحس النقدى، وهذا ما سأتناوله فى الفصل السادس عشر، وهو بعنوان: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه". ولا تكتمل الصورة كذلك إلا بالوقوف على موضوع الفصل القادم وهو بعنوان: "الأستاذ محمود فى كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية".

الفصل الخامس عشر

15

الأستاذ محمود في كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية

أحسبت هاتيك المشانق تقوى على طمس الحقائق

أحسبت أن الحبل يجتاح الخليقة والخلائق

محمود يرفع للسماء وأنت فوق الأرض لاصق

محمود قد عشق الحبال وطالما عشق المشانق

محمود ليس يغيب بل يأتي ليحتل الشواهق

ويعيش في التاريخ وهاجاً يلوح بكل شارق

أيغيب محمود ويحيا الجاهل المغرور هذا غير لائق

الشاعر منير صالح عبدالقادر (1919-1994) [1]

(1) كان شاعراً وناقداً وصحفياً، له إسهامات في الشعر وحوارات في الأدب والثقافة، وكانت له ندوة "اجزخانة العاصمة". كان منير عضواً في **الحزب الجمهوري**، وظل على علاقة مستمرة بالأستاذ محمود. كان بعض أفراد أسرته يمضون أوقاتاً في منزل الأستاذ محمود، وكان يزور الأستاذ محمود حين يعود في إجازاته السنوية، إذ كان يعمل مستشاراً ثقافياً بالمجمع الثقافي في أبوظبي بدولة الأمارات العربية المتحدة لسنوات طويلة حتى وافته المنية. وحينما تم تنفيذ حكم الإعدام في حق الأستاذ محمود، رثاه الشاعر منير، بقصيدة عنوانها: "النشيد الأول"، الأبيات أعلاه أبيات متفرقة.

محمود محـمد طه...، خير ما يقال عنه أنه أخلص القادة للقـضية وللسودان.. بل وللعالم الواسع[2].

يحيى محمد عبد القادر (1914-2011)

هل غاب الأستـاذ محمود عن صفحـات كتب التراجم والمعاجم وموسـوعات الأعلام السودانية؟ معلوم، أن بعض كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية وضعها أفراد وبعضها الآخـر كان عبارة عن أوراق علمية لمجموعة من الـباحثين، تناولت كل ورقة علميـة شخـصية بعـينها، فهل جـاء الأستـاذ محمـود فى أىّ ترجمة أعـدها أى باحث من الباحثين أو الأكـاديميين أو المهتمين السودانيـين؟ وهل الإشارات التى وردت عن الأستاذ محمود فى بعض كـتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السـودانية، كانت إشارات صحيحة وكانت تسلط الضوء على دوره فى الحركة الوطنية وحجم عطائه الفكرى، أم أنها حملت الأخطاء والتشويه لسيرته وصـورته؟ وإذا كان ذلك كذلك، هل يمكننا القول بأنها كانت متماهـية مع المناخ العام ومع القطيع حيث موقف الفقهاء والتـحالف الإسلامى ضد الأستـاذ محمـود وحيث مـحكمتى الردة 1968، و1985، ثم تنفيذ حـكم الإعدام؟ أسعى للإجابة على هذه الـتساؤلات من خـلال القراءة فى أكبـر قدر من كتب التـراجم والمعاجم وموسوعات الأعـلام التى أعدها المثقفون السودانيـون. فى تناولى هذا، لا أفترض ضرورة ووجوب أن ترد الإشارة لـلأستاذ محمـود فى كل كتاب من كتب التـراجم والمعاجم، وإنما

(1) يحيى محمد عبدالقادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مصدر سابق، ص 146-147.

لفت انتباهى أن هناك ما يشبه الاجماع الصامت على تغييب الأستاذ محمود. إلى جانب أنه لفت انتباهى أن هناك معلومات خاطئة وردت فى بعض كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام، ولم يقف الأمر عند الأخطاء فى تلك الكتب بل استند على تلك الأخطاء باحثون وبنوا عليها محاجاتهم فاستخلصوا بناءً عليها نتائج لتدعيم حججهم وموقفهم المخاصم والعدائى من الأستاذ محمود.

عن كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام

أنا كإنسان سودانى قد هزنى الموقف الشجاع للرجل الذى اختار الموت بديلاً عن التنازل عن فكره هذه هى القيمة الحقيقية والدرس الكبير لنا جميعا" (1)..
لقد حفر شهيد الفكر اسمه بحروف من نور فى عقول السودانيين وسقط المعتدين فى صناديق القمامة حيث مزابل التاريخ (2).

يوسف عثمان محمد بلال الموصلى

المعاجم والتراجم وموسوعات الأعلام هى كُتب تعرّف بحياة عدد كبير من الأفراد اللامعين والبارزين فى المجتمع من العلماء والمؤرخين والأدباء والمهنيين ورواد الفكر والمشاهير من الساسة والأعيان ...إلخ، وترتب بطريقة محددة هجائية، تاريخ الوفاة أو الميلاد...إلخ. كان الاهتمام فى البدء ينصب فى الترجمة للأموات، ثم شمل الترجمة للأحياء والمعاصرين. ومن التراجم ما هو عام مثل: **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، لخير الدين الزركلى (10 مجلدات). ومنها المتخصص الذى يترجم للأعلام حسب الحقبة التاريخية أو حسب الموضوعات أو الجغرافية - المكانية، أو حسب تخصص معين، ومن نماذج ذلك: **الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر العسقلانى، **وتاريخ قضاة الأندلس**، للنبهانى، **ومعجم أدباء مصر**، لمسعود

(1) يوسف عثمان محمد بلال الموصلى، ضمن خيط سارة منصور: "موسم البكاء على محمود محمد طه"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2004/1/22، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

(2) يوسف عثمان محمد بلال الموصلى، ضمن خيط ياسر الشريف: "لقاء صحفى مع قائد الطائرة التى حملت الأستاذ: توثيق"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2004/2/4 ، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

شومان، 2004. ومن نماذج الموسوعات العامة، موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، ومن نماذج موسوعات الاعلام الحديثة،موسوعة أعلام المغرب. ومن نماذج التراجم العالمية السلسلة الشهيرة *Who's who* وسلسلة *Who was who*. هذه فكرة مجملة ومختصرة حول كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الاعلام، تعطى صورة تقريبية، وتقدم تعريفاً مبسطاً لأنواعها ونماذجها دون خوض فى التفاصيل.

صناعة التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام وتطورها فى السودان

إن التاريخ لا بد أن يهتم بتلك اللحظات الحاسمة فى تاريخ البشر... ولكن التاريخ أيضاً لابد أن يهتم بقدر أكبر بالذين صنعوا تلك الأحداث لا بالذين تصدوا لأمرها بعد أن نضجت[1].

محمد سعيد القدَّال

يُعد كتاب: **الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان**، لمحمد بن ضيف الله (1728-1810)، أول معاجم الشخصيات فى السودان. ويرى المؤرخ يوسف فضل حسن، وهو الذى عكف على تحقيق **كتاب الطبقات**: أن تقليد تأليف التراجم والطبقات امتد إلى سودان وادى النيل بعد أن غلبت عليه الثقافة العربية الإسلامية فى عهد سلطنة الفونج (1504-1821). فالتجربة العربية الإسلامية ثرة ولها أرث خاص فى إعداد التراجم البيوغرافية وكتب الطبقات من سير العلماء خاصة علماء الحديث النبوى الشريف. فكان **كتاب الطبقات** الذى ألفه محمد بن ضيف الله هو أول معاجم الشخصيات، بل لعله الوحيد الذى كُتب فى ذلك العهد[2]. وأشار البروفسير يوسف إلى أن بعض الكتب فى السودان ترسمت نمط ابن ضيف الله فى الطبقات وركزت على شخصيات دينية، منها كتاب: **إرشاد السارى لتراجم آل عيسى الأنصارى**، الخرطوم، 1955، تأليف محمد عبد المجيد السرَّاج. ثم امتد النشاط ليشمل شخصيات أخرى. كذلك كتاب: **صحيح المخبر عن أعلام بربر: تاريخ وتراجم**، لمؤلفه

(1) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 16.

(2) يوسف فضل حسن، **حواشٍ على متون: علماء ومؤرخين ومفكرين فى تاريخ أفريقيا والسودان**، مرجع سابق، ص 114، 117.

باشرى عبد الرحمن الذى ترجم فيه لأعيـان بربر. وأشار البروفسير يوسف إلى أنه امتد النشاط ليـشمل الترجـمة للسياسـيين خاصـة رجال الحركة الوطـنية، والأدباء والفنانين والعلماء والمهـنيين. ومن ذلك: **مـعجم سـير (أوشـخصـيات) السـودان** لرتشارد هِلّ، Richard Hill, *A Biographical Dictionary of the Sudan* الذى صـدر فى طـبعـتـه الأولى عام 1951 والثانيـة عام 1967[1]. وأشار البـروفسـير يوسف إلى أن هذا المـعجم يهتم بالأعـلام من السودانيين وغـيرهم ممّن عـملوا فى السودان، كـالأتراك والمصريين والبريطانيين وروّاد الفكر السودانى[2].

توسع النشاط فى كتب التراجم والمعاجم ومـوسوعات الأعلام فى السودان فى الربع الأخير من القـرن العشرين. فظهر على سبـيل المثال فى عام 1987 كتاب الأسـتاذ يحيى محمد عـبد القادر (1914-2011)، **شخصيـات من السودان: أسرار وراء الرجال**، (ثلاثة أجزاء)[3]. وكانت هناك أيضـاً مذكرات الأستاذ يحـيى محمد عبـد القادر بعنوان: **على هامش الأحداث فـى السودان**، فقـد تضمنـت المذكرات فـصلاً بعنوان: "شـخصـيات". تناول فيه يحيى نحو أربعين شخصية جُلُّهم من طلائع المتعلمين. وكان الأستاذ يحيى قد نشر مذكراته أول مرة فى صحيفته صحيفة "أنباء السودان" التى صدرت خلال الفترة من 1969 إلى 1983، ثم نشر تلك المذكـرات لاحقاً فى كتـابه الذى هو بعنوان: على هامش الأحداث فى السـودان، وقد أشار لذلـ ـى مقـدمـته. أيضاً، ظهـر فى نهاية ثمـانينيات القرن الماضى **معجم الشخصيات السودانية المعاصرة** لأحمد محمد شاموق[4]. وقد بين واضع المعـجم من ضمن المداخل والضـوابط التى بنَى عليهـا المعجم، أنـه معجم شـامل لكل رمـوز المجـالات والنشـاطات الممـارسة فى الـسودان، ووضع علـى غرار مـعـاجم الشخصيات العالمية المعروفة Who is who، كما أن المعجم يرصد الأحياء فقط. وقد بدأ العمل فى المعجم فى أواخر أبريل عام 1985، كما جاء فى مقدمته[5]. كذلك ظهر كتاب

(1) المرجع السابق، ص 114، 117.

(2) المرجع السابق، ص 114، 117.

(3) يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مصدر سابق.

(4) أحمد محـمد شاموق، **معجم الشـخصيات السودانيـة المعاصرة**، ط1، بيت الثقافة للتـرجمة والنشر والتوزيع، الخرطوم، 1988.

(5) المصدر السابق، ص 24-25.

محجوب عـمر باشرى: **رواد الفكر السودانى**[1]، الذى ترجم لنحو مائة وسـبع عشرة شخصية جُلُّهم من طلائع المتعلمـين. أصدر صلاح الدين المليك كتاباً بعنوان: **من نجوم الغد**، وقد ترجـم الكتاب لعشـرة أشخـاص جلهـم من طلائع المتعلـمين[2]، ومنهـم من الأجيـال اللاحقة لطلائع المتـعلمين. وظهر كـتاب بعنوان: **رجال ومواقف فـى الحركة الوطنية**[3]، لمصطفى مـحمـد الحسن، وترجم الكتـاب لستـة من طلائع المتعلمـين، من رجال الحـركة الوطنيـة. ثم كان كـتاب مـحمـد إبراهيم أبو سليم (1927-2004): **أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان**[4]. وأصدرت الهيـئة القومية للثـقافة والفنون لما وسـمتـه بـ "**مـعجم أدبـاء السودان، الجـزء الأول**"، قـام بإعـداده ثمانيـة من الأسـاتذة السودانيين. ولـم يذهب المعجم، كما جاء فى المقـدمة، أبعد من عصر الفونج، ثم العهد التركى وعصر الثـورة المهدية.، وقد بلغ مجموع شخـصياته ثمانية وستين شـخصية[5]، بدأت بإبراهيم على بقـادى فى عهـد الفونج، وخـتم شخـوصه فى فـترة الثورة المـهدية بالشيخ مـحمـد شريف نورالدائم (1841-1908). فى العقـد الأخير مـن القرن الماضى ظهر كـتاب: **شخـصيات عـامة من الموردة**، لميرغنى حـسن على. الذى ترجم فيـه لنحو اثنتى عشرة شخصية من حى الموردة بأمدرمان،ونشر كتابه فى منتصف العقد التاسع من القرن الماضى. ثم عاد ميرغنى فى عام 2009، ونشر كتابه تحت عنوان: **شخصيات وطنية من أمدرمان**، بعد أن أضاف إليه، كما حـدثنا المؤلف فى مدخل كتابه، قائلاً: "ويضاف إليه اليوم جزء آخر يحتوى على ملامح من سيرة شخصيات أخرى، دون التقيد بترتيب زمنى... وهذه الشـخصيـات عاشت جـميعـاً فى أحيـاء متفـرقة من أمـدرمان"[6]. بلغ مجموع الشخصيات فى كتاب ميرغنى بعنـوانه الجديد، عشرين شخصية، جميعهم من قاطنى أمدرمان، وكانت من بينهم سـيده واحدة هى السيدة خالدة زاهر (1926-2006)،

---

(1) محجوب عمر باشرى، **رواد الفكر السودانى**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

(2) صلاح الدين المليك، **من نجوم الغد** (1)، (بدون تاريخ ومكان نشر).

(3) مصطفى محمد الحسن، **رجال ومواقف فى الحركة الوطنية**، (بدون تاريخ ومكان نشـر). ملاحظة: ربما هناك تاريخ ومكان نشر، لأن النسخة التى بحوزتى مطموسة فيها بعض معالم غلافها".

(4) محمد إبراهيم أبو سليم، **أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان**، مرجع سابق.

(5) عون الشريف قاسم (وآخرون)، **معجم أدباء السودان، الجزء الأول**، الهيئة القومية للثقافة والفنون، الخرطوم، 1994.

(6) ميرغنى حسن على، **شخصيات وطنية من أمدرمان**، آفرو الطيب للطباعة، الخرطوم، 2009، ص 5.

أول طبيبة سودانية.

فى عام 1996 ظهرت أضخم موسوعة للقبائل وأشهر الأعلام فى السودان لمؤلفها عون الشريف قاسم (1933-2006). جاءت الموسوعة بعنوان: **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن**[1]. وهى موسوعة ضخمة تتكون من ستة أجزاء، تقع فى الفين وستمائة وثمانى وعشرين صفحة، من القطع المتوسط، وأشار المؤلف فى خاتمة الجزء السادس أنه لاحقاً سيصدر جزءٌ سابعٌ، وهو عبارة عن ملحق يشمل المراجعات والتصحيحات والاستدراكات والإضافات التى لم ترد فى أجزاء الموسوعة، مع مناشدة للقراء أن يوافوه بملاحظاتهم واستدراكاتهم لتضمينها فى ذلك الملحق. لم يقف على ذلك الملحق، ولربما لم يصدر الملحق إذ عاجلت المنية المؤلف فانتقل إلى جوار ربه قبل أن ينجزه. جاء كذلك كتاب: **أصوات فى الثقافة السودانية**، لمكى أبو قرجة، تضمن الكتاب ترجمة لأكثر من أربعين شخصاً، منهم الرجال ومنهم النساء. مثلوا حقباً متفاوتة، وكان من بينهم معاصرون. أراد المؤلف كما جاء فى مقدمته: "أردنا بها أن نقدم نماذج من الثقافة السودانية لأجيال منقطع بها.. حجبتها الظروف السياسية الماحقة عن رؤية ذاتها وتجاذبتها المهاجر والمنافى، ما أبقت لها ظهراً. أردنا أن نشد من أزر تلك الأجيال ونقول أن لها تاريخاً مجيداً وحضارة حاذقة ثرية ووطناً جديراً بالانتماء إليه"[2]. ثم جاء كتاب يوسف فضل حسن آنف الذكر : **حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين فى تاريخ أفريقيا والسودان.**

وظهرت: **موسوعة الرموز والشخصيات السودانية** (1900-1969!)[3]، التى أصدرها مركز الدراسات والبحوث السودانية، بجامعة الزعيم الأزهرى. أشرف على الموسوعة أحمد إبراهيم دياب. وأفاد دياب فى تصديره للموسوعة بأنها تمثل المجلد الأول. وأطلق نداءً للمهتمين بأن يمدوا مركز الدراسات والبحوث السودانية، بجامعة الزعيم

---

(1) عون الشريف قاسم، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن**، مصدر سابق.
(2) مكى أبو قرجة، **أصوات فى الثقافة السودانية**، ط1، مؤسسة الإمارات للإعلام، أبوظبى، 2005، 8.
(3) أحمد إبراهيم دياب (إشراف)، **موسوعة الرموز والشخصيات السودانية** (1900-1969)، سلسلة بحوث ودراسات، مركز الدراسات والبحوث السودانية، جامعة الزعيم الأزهرى، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

الأزهرى، الجهة التى أصدرت الموسوعة، بالدراسات سواء من أسر أو باحثين عن الرموز والشخصيات الوطنية والمحسنين والأطباء ومختلف مجالات العلوم. وتضمنت الموسوعة ترجمة لثمانى شخصيات من خلال دراسات أعدها باحثون وباحثات. فى عام 2009، وصل إلى المكتبات: **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، الذى وضعه المعتصم أحمد الحاج(1). عرَّف المعجم بمائتين وثلاث وأربعين شخصية شاركت فى مؤتمر الخريجين، وتم انتخابهم أعضاء فى الهيئات الستينية واللجان التنفيذية خلال الدورات الانتخابية السنوية منذ تأسيس المؤتمر فى فبراير 1938 وحتى حله واندماجه فى **الحزب الوطنى الاتحادى** فى فبراير 1952(2). عقد المؤتمر خلال هذه الفترة خمس عشرة دورة انتخابية، وكان هيكله التنظيمى يتكون من: الهيئة الستينية (60 عضواً) واللجنة التنفيذية (15 عضواً)(3).

كان آخر معجم استقبلته المكتبات فى السودان، وقد وضعه مثقف سودانى هو: **معجم المؤلفين**، (1510-2010)، **من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم**(4)، الذى وضعه قاسم عثمان نور، ونشره عام 2011. صدر المعجم فى ثلاثة أجزاء، كان مجموع صفحاته ألفاً وخمسمائة وخمساً وأربعين صفحة، من القطع الكبير. غطى المعجم فى ترجمته للمؤلفين، كما هو واضح من عنوانه، خمسة قرون من عام 1510 وحتى العام 2010.

تجدر الإشارة إلى أننى لا أسعى إلى رصد كل كتب التراجم والمعاجم والموسوعات وتتبع تسلسل صدورها فى السودان، بقدر ما أننى أسعى إلى تقديم إضاءات حول أكبر قدر من نماذجها، خاصة أهمها إلى جانب تلك التى صدرت منها فى الدوائر الأكاديمية السودانية، بما يسمح لى وفقاً للأسس العلمية الإجابة على التساؤلات التى وردت آنفاً.

---

(1) المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مرجع سابق.
(2) المرجع السابق، ص 35.
(3) المرجع السابق، ص 35-36.
(4) قاسم عثمان نور، **معجم المؤلفين**، (1510-2010)، **من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم**، المجلس القومى لرعاية الثقافة والفنون، الخرطوم، 2011.

الأستاذ محمود فى التراجم والمعاجم وموسوعات الاعلام

فى بعثة دراسية التقى الأخ على لطفى بباحثة بريطانية (زوجة مدير الجامعة التى كان يدرس فيها) وقد رتب لها زيارة للأستاذ محمود.. عندما جلست للأستاذ محمود وسمعت منه قالت للأخ على أنها اجتمعت إلى عدد من عظماء القرن أمثال أيزنهاور، تشرشل، نهرو لكنها لم تر مثل الأستاذ محمود[1].

جلال الدين الهادى الطيب إدريس

لم يكن الأستاذ محمود من ضمن الشخصيات الوطنية الأمدرمانية التى كتب عنها ميرغنى حسن على، فى كتابه: **شخصيات وطنية من أمدرمان**. وقد تناول ميرغنى بعض رصفاء الأستاذ محمود منهم الدرديرى محمد عثمان، وغيره. ومن المعروف أن الأستاذ محمود كان من سكان مدينة الثورة بأمدرمان، كما أن إسهامات الأستاذ محمود فى العمل الوطنى تجعله ضمن القاسم المشترك، الذى تحدث عنه المؤلف، فى إشاره منه إلى المشترك الذى جمع بين الشخصيات التى تناولها، كتب المؤلف قائلاً: "أما الشخصيات التى يضمها هذا الكتاب فقد أسهمت بدور بارز فى كل مجالات العمل الوطنى: السياسى، والاجتماعى والاقتصادى، وكان القاسم المشترك الذى يجمع بينها هو: حبها للوطن السودانى"[2]. بيد أن المؤلف احترز قائلاً: وبالطبع هناك من أمثالهم ما لا حصر لهم ولا عد،... ومما يدعو للأسى أن غالب الصفوة السودانية

---

(1) جلال الدين الطيب الهادى إدريس، " رسالة إلى الأخت العزيزة أسماء محمود: شذرات من حياة وأقوال الأستاذ"، القاهرة، بتاريخ 29 مايو 2000. حصلت على نسخة من مسودة هذه الرسالة من أسماء محمود محمد طه. كتب جلال الدين الهادى الطيب إدريس فى صدر رسالته إلى أسماء قائلاً: الأخت العزيزة الأستاذة أسماء محمود، تحية طيبة.. لقد جاء اقتراحك لى ولبعض الإخوان عبر حديثك بالتلفون لجمع ما سمعنا من الأستاذ، وعن الأستاذ، وبعض ما رأينا.. للتوثيق قبل أن يفلت من الذاكرة جاء فى الوقت المناسب.. فهو اقتراح قد حالفه التوفيق.. ولعل هذا القليل الذى أتحفتنى به الذاكرة يكون حافزاً لبعض الإخوان والأخوات لتسجيل ما يعن لهم.. وعلى اللّه قصد السبيل". ثم أفرد عنواناً هو: "شذرات من حياة وأقوال الأستاذ:، وكتب تحته قائلاً: "هذه محاولة قاصرة لتسجيل بعض ما سمعت من الأستاذ، وما سمعت عنه وما رأيت.. فى مكتبه بعمارة ابنعوف بالسوق العربى بالخرطوم، وفى منزله ببيت المال بأمدرمان، ثم بمنزله بالثورة، وفى صالون البيت، وفى حجرته الخاصة، وفى منزله بكوستى، وفى مرافقتى له بعمله بمشاريع النيل الأبيض.. ثم فى السجن لمرتين، المرة الأولى فى عام 1976-1977 والمرة الثانية فى عامى 1983-1984 بكوبر".

(1) ميرغنى حسن على، مرجع سابق، ص 5.

لم تعر إهتماماً كـافياً بسيرة الشخصيـات السودانية التى أعطت وبذلت وأنجزت على مختلف الأصـعدة وهى بالحق منارات البناء الوطنى على مختلف مـستوياته"[1]. ولم يكن الأستاذ مـحمود من ضمن النخـبة التى ترجم لها صلاح الدين المليـك فى كتابه: من **نجوم الغد** (1)، ومنهم من رصفاء الأستاذ محمود مثل جمال محمد أحمد وغيره. كـما لم يكن ضـمن كتـاب: **رجـال ومواقف فى الحـركة الوطنيـة**، لمصطفى مـحمـد الحسن. فقـد ترجم المؤلف لستة من رجال الحـركة الوطنية، وهم: أحمـد خير الماحى، ويحيى الفضلى، وحسن عـوض الله، وحماد توفيق، ومحمد أحـمد المرضى، وخضر حمد. ولم يكن الأستـاذ محمود من ضمن الأعلام الذين تناولهم مـحمد إبراهيم أبو سليم فى كتـابه: **أدباء وعلماء ومؤرخـون فى تاريخ السودان**. تناول أبو سليم تسـعة من الأعلام، كان من بينهم نعـوم شـقير (1922 - 1964/1963)، ومكى الطيب شبيكة (1905-1980) ومحمد أحمد المحجوب وغـيرهم. أشار أبو سليم فى مقدمته أنه عزم على اعداد بحوث مماثلة لبعض الشخصيات، وعدَّد بعض الاسماء، وظلت الفكرة فى باله لا تبارحه كمـا أشار. ولم يكن كذلك الأستاذ محـمود ضمن من تناولهم يوسف فضل حسن فى كتابه: **حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين فى تاريخ إفريقيا والسودان**. فقد تناول يوسف ستة من الأعلام، هم: محمـد إبراهيم أبو سليم، وعون الشـريف قـاسم، والإمـام الصادق المـهدى، وريتـشـارد هِل (1901-1995)، والشـيخ عثمـان بن فودى (1754-1817)، والفقيـه أحمد بابا (1556-1627). وقد ذكر المؤرخ يوسف فى مقدمته قائلاً: "إنه ليس بصدد كتـاب عن السير الذاتية أو الشخصية، رغم أهميـة هذه الكتب من الناحيـة التاريخيـة، إنما هو بصدد قراءة ودراسـة وتحليل بعض إنتاج هذه الشخصيات".

لم يكن الأسـتـاذ مـحمـود ضـمن، **مـوسـوعة الرمـوز والشـخـصـيات السـودانية** (1900-1969)، التى أصدرها مـركز الدراسـات والبحوث الـسودانية، بجـامعـة الزعيم الأزهرى، والتى أشرف عليهـا أحمد إبراهيم دياب، وأفاد فى تصديره للموسـوعة بأنها تمثل المجلد الأول. وأطلق نداءً بأن تأتيهم دراسات سواء من أسـر أو باحثين عن الرموز

(1) المرجع السابق، ص 5.

والشخصيات الوطنية والمحسنين والأطباء ومختلف مجالات العلوم. وتضمنت الموسوعة ترجمة لثماني شخصيات من خلال دراسات أعدها باحثون وباحثات. وكانت الشخصيات هي: السيد على الميرغنى، والإمام عبدالرحمن المهدى، والسيد عبدالله الفاضل المهدى (1890-1966)، وعبدالله بك خليل (1892-1971)، وأحمد خير المحامى، وإسماعيل الأزهرى، والشيخ على عبدالرحمن الضرير (1906-1983). ولم يكن الأستاذ محمود كذلك ضمن، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، الذى عرَّف بمائتين وثلاث وأربعين شخصية شاركت فى مؤتمر الخريجين. وتم انتخابهم أعضاء فى الهيئات الستينية واللجان التنفيذية خلال الدورات الانتخابية السنوية منذ تأسيس المؤتمر فى فبراير 1938 وحتى حله واندماجه فى **الحزب الوطنى الاتحادى** فى فبراير 1952. أشترط المؤلف فى شخصيات معجمه أن تكون قد شاركت فى مؤتمر الخريجين وتم انتخابها أعضاء فى الهيئات الستينية واللجان التنفيذية. الشاهد أن الأستاذ محمود لم يكن عضواً فى أىّ هيئة من الهيئات الستينية أو أى لجنة من اللجان التنفيذية، التى تم انتخابها. وكان من الطبيعى أن لا يكون اسم الأستاذ محمود فى ذلك المعجم. فقط أود الإشارة لأمر لا صلة له بـ "**معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**"، ولكن جدير بالذكر هنا فى هذا الموقف، وهو أن الأستاذ محمود قد شارك فى مؤتمر الخريجين بقوة من خلال فترة عمله بمدينة عطبرة (1936-1941). وقد وردت الإشارة آنفاً فى الفصل الأول، إلى دوره فى تغيير اسم النادى بالمدينة، من نادى السكة الحديد- نادى موظفى السكة حديد السودانيين، إلى نادى الخريجين. كما قام الأستاذ محمود بمعية ميرغنى حمزة وأمين صديق بانتزاع قيادة النادى، والتى كانت تتكون من رئيس الشرف وهو مدير مصلحة السكة الحديد، إلى جانب كبار الموظفين.استطاع الأستاذ محمود ورفاقه انتزاع ذلك الحق وتم اعتماد مبدأ الأخذ بالانتخابات فى قيادة النادى، وذلك مع قيام مؤتمر الخريجين، كما ورد آنفاً فى محور: "الأستاذ محمود ومؤتمر الخريجين".

هزيمة الأمم تبدأ بقبر أبطالها في صحائف مؤرخيها

ننساق بشكل غير مفهوم ولا عادل وراء أحكام وأقوال يقتضى منا المنطق.. وتقتضى الحقيقة مراجعتها بين الفينة والاخرى للوقوف على حقيقة ما نسلم به.. حتى لا نجمع فى قاعدة بياناتنا العقلية ما يجافى الصواب الذى نوجه عقولنا تجاهه فلو أخذنا شهيد الفكر الانسانى محمود محمد طه نموذجاً على اختلاط المعقول باللامعقول فى حياة هذا الرجل الانسان الذى أُعدم شنقاً لقاء فكر تبناه و عاشه.. إن ما ينقل أو يقال عبر وسائل التوثيق والتاريخ لا يرتقى لمستوى من الموضوعية تركن إليه بحيث تكون الواقعة ذاتها مطابقة للخبر المنقول عنها فالذى أشيع عن الأستاذ محمود ووقر فى عقول الكثيرين لدرجة اليقين.. هو أمر كبير أوصله إلى حد التصفية الجسدية -الإعدام- وهذا أمر مخيف يزلزل هاجس المفكر والمثقف على العموم[1]... إن بعضاً منا ما يزال يسلم بسلامة الرواية الشيطانية للتاريخ[2].

حمد مدنى

لقد انطوت الكتب التى جاءت فيها ترجمة عن الأستاذ محمود، على كثير من الأخطاء والتقليل من الشأن والوزن للأستاذ محمود والإهمال لدوره النضالى فى مواجهة المستعمر. كما أنها أغفلت ذكر أهم الأحداث التى صنعها الأستاذ محمود. إن الأحداث التى صنعها الأستاذ محمود كانت أحداثاً جسيمة، وكان جُلُّها جديداً وغريباً فى حركة المجتمع السودانى، وخارجاً عن التشابه. وهى أحداث فى غاية الأهمية، تعنى وتهم الأجيال الجديدة، وتعين كثيراً فى دراسة حركة المجتمع السودانى. وعلى الرغم من أهميتها فقد لقيت تلك الأحداث الجسام، الإهمال من المؤرخين، الذين كانوا يهتمون بدراسة وتوثيق المنسجم مع السائد والمألوف ويهملون الخارج عن التشابه. وفى تقديرى، أن الخارج عن التشابه، هو الأهم والأجدى والأنفع. كان من الكتب التى جاءت فيها ترجمة عن الأستاذ محمود، واشتملت على أخطاء فادحة، كتاب محجوب عمر باشرى، **رواد الفكر**

(1) حمد مدنى، "محمود محمد طه ومحنة الوطن"، **صحيفة الراكوبة الإلكترونية**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 19 يناير 2013، الموقع على الإنترنت: http://www.alrakoba.net

(2) المرجع السابق.

السودانى، وموسوعة عون الشريف قاسم: **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والاماكن**. اعتمد عون الشريف قاسم فى ترجمته عن الأستاذ محمود على كتاب محجوب عمر باشرى، إلى جانب كتاب آخر أصدرته مجموعة بإشراف الشؤون الدينية والأوقاف بعنوان: **الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين**. وهو كتاب، كما وردت الإشارة إليه آنفاً فى الفصل الثانى، صدر من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف فى خصومة الأستاذ محمود وبعداء شديد له.، وقد ورد الحديث عن ذلك.

الشاهد أن مؤلف موسوعتنا هذه كان آنئذ وزيرا للشؤون الدينية والأوقاف، وشارك فى ذلك الكتاب بكتابة مذكرة كان عنوانها: "مذكرة حول جماعة محمود محمد طه" (5 صفحات). سأبدأ بالترجمة التى وردت فى موسوعة عون الشريف قاسم لسببين، الأول أن الموسوعة أضخم موسوعة صدرت فى السودان، وأنها صدرت فى الدوائر الأكاديمية، ولهذا نتوقع فيها الالتزام بالشروط الأكاديمية، والمبادىء الأخلاقية. كما أن واضعها عون الشريف قاسم يعد من شيوخ المؤرخين السودانيين، وأكاديمى له مكانة مرموقة وصاحب سهوم معرفية تحسب من ضمن المصادر والمراجع الأساسية فى الدراسات السودانية. وصف المؤرخ يوسف فضل حسن فى كتابه: **حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين فى تاريخ إفريقيا والسودان**، آنف الذكر، وصف صديقه وزميله فى الدراسة والمهنة عون الشريق قاسم،وهو يقدم قراءة فى موسوعته وعرج على فكره وفسلفته وقدم إضاءة مختصرة عن مؤلفاته التى "بلغت أكثر من سبعين كتاباً وبحثاً فى الإسلام والتاريخ والحضارة والأدب العربى والدراسات السودانية واللغة العامية فى السودان"[1]، كتب يوسف فضل حسن عن صديقه عون الشريف قائلاً:

ينتمى البروفسير عون الشريف قاسم لجيل الأعمال الكبيرة، وهو الجيل الذى تلقى تدريباً أكاديمياً رفيعاً وفق المنهج العلمى الأوروبى، مع تملكه لأدوات المعرفة العربية والإسلامية. فعمل بمعاول هذا التدريب وأدوات تلك المعرفة فى

---

(1) يوسف فضل حسن، **حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين فى تاريخ أفريقيا والسودان**، مرجع سابق، ص 119.

حقل الدراسات السودانية البكر على تلك الأيام مستفيداً من غنى المادة وخصوبتها، وبراعة الأكاديمى وحرفيته، فحقق بذلك نجاحاً كبيراً، وأنجز دراسات ضخمة، أرست قواعد الدراسات السودانية[1].

كتب عون الشريف قاسم فى **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والاماكن**، فى ترجمته عن الأستاذ محمود، قائلاً:

*محمود: واشتهر محمود محمد طه (1916-1984) من صادقاب رفاعة ينتسب إلى الشيخ محمد الهميم (م) خاله الشيخ لطفى عبد الله تلقى الهندسة بكلية غردون وكان مهتماً بقضايا الفلسفة والمنطق وله تعقيبات على هوايت هد وبراتراند رسل. اشتغل مهندساً بعطبرة وقرأ القرآن وعلق على المفسرين ثم استقال من الحكومة وكون **الحزب الجمهورى** حزباً للخاصة إذ لم تتعد عضويته العشرة اعضاء وكان يعارض كل أفكار الأحزاب الأخرى وأصدر المنشورات منذ عام 1945 وبدأ البوليس يلاحقه وسجن لعامين فى كوبر وخرج من السجن شخصاً آخر إذ تصوف وبرز اتجاهه الدينى وفى هذه الاثناء سجن لعامين آخرين لاقتحامه سجن مدنى وتخليصه المرأة التى سجنت لخفاض ابنتها خفاضاً فرعونياً. اشتهر بمذهبه فى فهم الإسلام والقرآن؛ فهو يقسم القرآن إلى قرآن أصول فى الفترة المكية وقرآن فروع فى الفترة المدنية، وأن الاسلام رسالتان رسالة أولى هى الإسلام كما عرفه المسلمون ورسالة ثانية تقوم على قرآن الأصول يتجدد بها الإسلام وألف فى ذلك عشرات الكتب والرسائل وحكم عليه بالردة وشنق*[2].

نقل عون الشريف قاسم عن محجوب باشرى، وأشار إليه كمرجع، وقد أورد أن تاريخ ميلاد الأستاذ محمود هو 1916، ومصدر هذه المعلومة هو ملف خدمة الأستاذ محمود بسكك حديد السودان بمدينة عطبرة، لقد وقفت على ملف خدمة الأستاذ محمود، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً فى الفصل الأول. ومعلوم أن تاريخ تنفيذ

---

(1) المرجع السابق، ص 112.

(2) عون الشريف قاسم ، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والاماكن**، مرجع سابق، ص 2244.

الاعدام هو 1985 وليس 1984 كما ورد، وهذا تاريخ لا يخطىء فيه إلا مهمل، أو منطوِ على نية تجاهل أو ضعف فى التدريب الأكاديمى، ومع ذلك نعطى مساحة لحسن النية. لكن تاريخ 18 يناير 1985 هو تاريخ الصمود على منصة المشنقة، وفى الصمود على منصة المشنقة بالنسبة لشعوب السودان نسب وعرق. أما الخطأ الذى ينطوى على تشويه هو الذى يؤثر سلباً على المناخ الأكاديمى، خاصة مثل مناخ الأكاديميا السودانية والتى تعانى من الكثير، لأسباب عديدة، من عوامل النقص والقصور وغياب النقد. ويجب تصحيحه بالأسس العلمية. كتب عون الشريف قاسم وهو يتحدث عن الأستاذ محمود قائلاً: "وأصدر المنشورات منذ عام 1945 وبدأ البوليس يلاحقه وسجن لعامين فى كوبر"[1].

هذا فى تقديرى، تضليل للقراء، وتسمية للأشياء بغير مسمياتها، وتقليل من الشأن والوزن للأستاذ محمود، وإهمال لدوره النضالى فى مواجهة المستعمر، وخلل فى المعايير. فالبوليس لم يلاحق الأستاذ محمود فى شأن شخصى وإنما بسبب شأن عام، طارده حينما أصدر منشوراً. والمنشورات ضد المستعمر لا يُصدرها إلا المناضلون والأبطال المقاومون من أجل بلدانهم وشعوبهم. لماذا لا نسمى الأشياء بأسمائها ونقول هذا نضال من أجل الاستقلال؟ ولماذا البخل على أصحاب الحق بأن يمنحوا حقوقهم؟ الأستاذ محمود هنا وفى الموقف الذى أشار إليه عون الشريف هو قائد وطنى، ومناضل جسور. إن وصف المناضل من أجل طرد المستعمر بأن يقال (كان يلاحقه البوليس)، فى هذا تبنى لوجهة نظر المستعمر، وما كان يجب أن يتبنى عون الشريف قاسم وجهة نظر الإدارة الاستعمارية ويسمى نضال الأستاذ محمود ومواجهته للمستعمر "ملاحقة بوليسية". فقد بدأ الأستاذ محمود الهجوم على الإدارة الاستعمارية منذ عمله مهندساً فى السكة حديد، كتب مقالات عديدة منها مقالة بعنوان "خجل الحضارة" ونشرها فى صحيفة *Sudan Star* هاجم فيها الحكومة الاستعمارية، ورفض الانصياع للأوامر بالتحقيق معه، فأوقف عن العمل[2]. ثم كان الأستاذ محمود رئيساً **للحزب الجمهورى**،

---

(1) المرجع السابق، ص 2244.

(2) المنصور جعفر، "الاخوان الجمهوريون ... شكل دينى لما بعد الحداثة"، الرأى الآخر، **مجلة الديمقراطى**، مجلة التحالف الديمقراطى بالمملكة المتحدة، استرجاع (Retrieved) 9 نوفمبر 2010، الموقع على الإنترنت: http://www.d-a.org.uk.

وسجن مرتين بسبب نضاله ضد المستعمر، وشارك فى أعمال وطنية عديدة عبر لجان كثيرة سبقت الإشارة إليها. هذا، بالإضافة لما نشره من منشورات وكتب. كما وردت الإشارة فى الفصول السابقة. كان يجب أن يكون هذا الموضع، موضع إشارة لدور للأستاذ محمود النضالى ضد المستعمر، ومساهماته فى الحركة الوطنية وشراكته بالعطاء الوطنى والمعرفى من أجل الاستقلال. للأسف لم يذكر عون الشريف قاسم هذا، وهو المؤرخ الكبير وصاحب إسهامات ضخمة فى الدراسات السودانية. ما يزيد الأمر إذعاناً وإمعاناً فى التقليل من الوزن والشأن للأستاذ محمود بل المساهمة فى تغييب تاريخه وتضليل القراء، أن عون الشريف قاسم، كان يشير فى **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والاماكن** عند الحديث عن أحد من طلائع المتعلمين، من رصفاء الأستاذ محمود، كان يشير إلى نضاله ضد الاستعمار، ويشير إلى دوره فى الحركة الوطنية، وإلى نشاطه السياسى ويذكر بعض إسهاماته فى مقاومة الاستعمار ونيل الاستقلال، ولم يسم كل ذلك كما سماها فى حالة الأستاذ محمود ملاحقة ومطاردة بوليسية. إن ما قدمه عون الشريف قاسم قبر لبطولة، والبطولات لا تقبر وإنما تبرز لتتعلم عبرها الأجيال والأمم.

إن عبارة "كان البوليس يلاحقه"، جاءت عند عون الشريف قاسم ولم تكن ضمن مصدره محجوب باشرى، وعلى الرغم مما اشتمل عليه كتاب باشرى من أخطاء وتشويه، إلا أنه فى موضوع النضال لم يقل باشرى بأن البوليس كان يلاحق الأستاذ محمود ويطارده، وإنما تحدث باشرى عن أن الحزب كان يوزع المنشورات المناهضة للاستعمار بتوقيع الأستاذ محمود. ولما ضاقت الإدارة الاستعمارية ذرعاً، وتم استدعاء الأستاذ محمود بعد توزيع المنشورات باسمه، وحوكم على عجل، وخُيّر بين السجن لمدة عام، أو إمضاء تعهد بعدم ممارسة العمل السياسى، فاختار السجن. وتحدث باشرى عن الثورة التى أحدثها الأستاذ محمود فى السجن، برفضه الانصياع لإدارة السجن... إلخ[1]. لماذا لم يرد كل هذا عند عون الشريف قاسم، وقد كان باشرى مصدره الأساس، فقد اختزل عون الشريف كل ذلك فى عباره "كان يلاحقه البوليس". هنا لا بد من الربط بين ما ورد عن

(1) محجوب عمر باشرى، مرجع سابق، ص 362-363.

الأستاذ محمود فى الموسوعة التى وضعها عون الشريف قاسم ونشرها عام 1996، وبين موقف عون الشريف قاسم حينما كان وزيراً للشؤون الدينية والأوقاف، وقد تحدثت عن ذلك فى الفصل الثانى. الشاهد أن الأكاديميين تخلوا عن ورعهم العلمى، ورسب جلُّهم فى أن يلتزموا أخلاقياً فى أكاديميتهم أثناء تعاطيهم مع الأستاذ محمود، وربما تماهى بعضهم مع الفقهاء وعبر عن وجهة نظر الفقهاء بشكل مختلف. أمر آخر وهو قد تناقله معظم المؤرخين وهو أن "إذ لم تتعد عضويته العشرة اعضاء وكان يعارض كل أفكار الاحزاب الاخرى"، وهذا غير صحيح فقد أوردت آنفاً فى الفصل الذى تناول **الحزب الجمهورى**، أسماء لأكثر من عشرين من الأعضاء المؤسسين **للحزب الجمهورى**، لهذا فإن القول بعضويته لم تتعد العشرة قول غير دقيق وما كان له أن يصدر من مؤرخ يجب أن يقدم خدمته التنويرية بعلمية ومسؤولية وإتقان وأخلاق. كما أن القول بأن الحزب يعارض أفكار كل الأحزاب قول أيضاً غير دقيق ذلك لأن "كل الأحزاب" تفيد بالاجتماع، والاجتماع لا يعنى صحة أفكارها، ولا يخدم ما يعيب **الحزب الجمهورى** وهذا ما نحى إليه المؤرخ وأوحاه للقارىء، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً عندما وقفت على تأسيس **الحزب الجمهورى**.

تسرب ما كتبه محجوب باشرى فى كتابه، وما أورده عون الشريف قاسم فى موسوعته عن ارتباط نسب الأستاذ محمود بالشيخ محمد الهميم، إلى الدراسات والبحوث والمقالات - على قلتها- عن الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية. وقد ورد كذلك فى كتاب: **مشاهير من السودان**[1]، "ينتمى الأستاذ محمود محمد طه إلى أسرة الشيخ محمد الهميم الصوفى المعروف". وقد تحدث الكتاب عن أن **الحزب الجمهورى** من أقدم الأحزاب، وأن الأستاذ محمود شارك فى إحياء الشعور الوطنى، وأشار لثورة رفاعة وسجن الأستاذ محمود، ووصف صاحب الكتاب الأستاذ محمود بقوة الشخصية. إلا أنه أورد بعض الأخطاء فإلى جانب انتماء النسب للشيخ الهميم أورد صاحب الكتاب بأن الأستاذ محمود كان: "يرى أن الدين الإسلامى متطور"، وهذا غير صحيح البتة، فقد ورد آنفاً، وكما سيرد فى الفصول القادمة، وكما جاء فى كتب الأستاذ محمود، أن الأستاذ

(1) محمد عبدالماجد جيب الله، **مشاهير من السودان**، ص 39-41.

محمود يقول: "**الدين لا يتطور، يتطور الإنسان في فـهمه له**"[1]. الشاهد أن نسب الأستاذ محـمود لا يتـصل بالشـيخ الهـميـم، فـما ورد غـير صـحيح. والصـحيح هو أن الأسـتاذ محـمود[2] من قبيلـة الركابية[3]، حيث يعـود نسبـه الى قبـيلة الركابيـة من فرع الركـابية البليلاب نسبة الى الشيخ المتصـوف حسن ود بليل، وإلى ركاب بن غلام الله بن عايد، ولا صلة للأستاذ محمود فى تسلسل نسبه بالشـيخ الهميم، ولا وجود للشيخ الهميم فى شجرة نسب الأستاذ محمود[4].

الشاهد أن ما ورد عند باشرى والشريف تسرب إلى كـتب الباحثين. ففى كتاب بكرى خليل الذى أصـدره بعنوان: **التـأويل الصـوفى للحـداثة فى الإسـلام: عـرض ونقـد فكر وفلسفة الجمهوريين فى السودان**، أورد بكرى عن الأستاذ محمود قائلاً: "وهو سليل أسرة دينية، حيث يرجع نسبـه إلى الشيخ محمد الهميم، الصوفى السـودانى الشهير"[5].لم يشر بكرى إلى المصـدر أو المرجع الذى اعتـمد عليـه فى إرجاعـه لنسب الأسـتاذ محـمود إلى الشيخ الهـميم، ولكنه أشار فى هامش الصفـحة إلى مصدره فى التـعريف بالشيخ مـحمد الهميم وهو: **كتـاب الطبقات فى خـصوص الأولياء والصـالحين والعلماء والشـعراء فى السودان**[6]، ولـم يشر إلى مـصدره فى إرجاع نسب الأسـتاذ محـمود إلى الشيخ الهـميم. بينما احـترز حيدر إبراهيم على، فـى إرجاع نسب الأستاذ مـحمود إلى الشيخ الهـميم، إذ كـتب حيـدر فى ورقـته الموسـومـة بـ "الأسـتـاذ مـحـمـود مـحـمـد طه: الإنسـان والمواقف والأفكار"، وهو يتحدث عن نسب أسرة الأستاذ محـمود كتب قائلاً: "ونشأ فى أسرة دينية يرجع البـعض نسبـها إلى الـشيخ مـحـمـد الهمـيـم أحـد كبـار رجال الصـوفيـة فى تاريخ

---

(1) محمود محـمد طه، "بين الدين والشريعة"، (حوار)، أجرى الحوار بشير محـمد سعيد، **صحيفة الأيام**، العدد: 5497، بتاريخ 1968/11/18.

(2) أجريت مقابلات مع عدد من تلاميـذ الأستاذ محمود: مقابلة مع أسماء مـحمود محمد طه، 7 ديسمبر 2009، الدوحة؛ مـقابلة مع عصـام البوشى، 17 ديسمـبر، 2009، مدنى؛ مقـابلة مع النور حمد، 22 نوفمـبر 2009، الدوحة؛ مقابلة مع مجذوب محمد مجذوب، 12 يوليو 2011.

(3) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 1.

(4) أنظر بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الايام**، مصدر سابق، ص 21-24.

(5) بكرى خليل، مرجع سابق، ص 19.

(6) محمد النور بن ضيف الله، **كتاب الطبقات فى خصوص الأوليـاء والصالحين والعلماء والشعراء فى السـودان**، مصدر سابق، ص 127 .

السودان"[1]. كذلك جاء فى **مجلة الأزمنة العربية**[2]، عدد يناير 1987 فى الحديث عن ميلاد ونشأة الأستاذ محمود:

نشأ الأستاذ محمود فى أسرة دينية، يرجع البعض نسبها إلى الشيخ محمد الهميم أحد كبار رجال الصوفية فى تاريخ السودان وقد اعتبر من طائفة الملامتية والتى تعرضت لكثير من النقد والإدانة لأنها تستوجب على أفرادها اظهار أنفسهم وكأنهم يرتكبون المعاصى لكى لا يعرف الناس حقيقة أمرهم لذلك يلومونهم على أساس مفارقتهم للدين- هذا ما يبدو للعيان- هذا وقد تميزت أسرته بانجاب عدد من المتصوفة من بينهم الأخ الأكبر للأستاذ محمود وهو مختار محمد طه[3] والذى يقال أنه لم يلامس النقود بيده بعد أن أدرك وقرر عدم التمسك بالدنيا والماديات. المهم أن الجو العام لنشأتة الأولى كان دينياً وصوفياً وكان لذلك تأثيره الواضح على الأستاذ محمود فيما بعد.

القول أعلاه، على الرغم من أنه جاء فى اطار الاحتفاء بالأستاذ محمود والتعظيم من شأن مواقفه، والمناصره له فى حقوقه، إلا أنه ينطوى على الكثير من الهنات التى تعود إلى المصادر التى أخذ عنها كاتب المقال (لم يك واضحاً اسم كاتب المقال فى نسخة المجلة التى بحوزتى). هنا لابد من الإشارة إلى أن الأمر عندى لا يعود إلى رأى أو موقف من الشيخ محمد الهميم، وإنما يعود الأمر لحقائق التاريخ، أن الأستاذ محمود لا تتصل شجرة نسبه بالشيخ محمد الهميم، وهذا حتى لا يقفز البعض ويبنى على نتائج عرجاء كما رأينا آنفاً وسنرى لاحقاً. الشاهد أننا فى حاجة ماسة لتحرير نسب الأستاذ محمود، حتى ننتقل للاستنتاجات العلمية ونسهم فى ترفيع مستوى السجال إلى مراقى الأسس العلمية بعيداً عن الأساطير والأوهام التى تسعد البعض بلا معرفة أو علم أو أخلاق. لا أعنى فى هذا أولئك الذين يخطئون وإنما أقصد الذين يستنتجون ويبنون على نتائجهم البكماء الخلاصات الخرصاء.

---

(1) حيدر إبراهيم على، "الأستاذ محمود محمد طه: الإنسان والمواقف والأفكار"، **الأستاذ محمود: رائد التجديد الدينى فى السودان**، مرجع سابق، ص 10.

(2) "محمود محمد طه: الإنسان والمواقف (الحرية لنا ولسوانا)، **الأزمنة العربية**، العدد: 156، 30 كانون الثانى- يناير 1987، ص 28-34.

(3) هكذا فى المصدر والصواب أن مختاراً هو الشقيق الأصغر للأستاذ محمود.

لقد أرجع محـمد أحمد محمود فى كـتابه الموسوم بـ *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha* [1] الأستـاذ محـمود فى نسبة إلى الشيخ محمد الهميم، كتب محمد أحمد محمود عن نسب الأستاذ محمود قائلاً:

"His family belonged to the Rikabiyyun clan, and Muhammad al-Hamim was his great-grandfather?[2]

يمكننى ترجمـة هذه الجملة إلى اللغة العربيـة بتصرف ولغرض هذه الدراسـة: (تنتمى أسرته -أى الأستاذ محمود- إلى قبيلة الركابية ومحمد الهيميم هو جده).من المهم الإشارة إلى أن محمد أحـمد محمود، التزم منهجاً عـلمياً صارماً فى دراسته عن الأستـاذ محمود، وهو بعيـد كل البعد عن أولئك الذين وسمـتهم بالمستنتـجين للنتائج البكمـاء والخلاصات العرجاء فى مسـألة صلة الأستاذ محمود بالشـيخ الهميم، كما هو الحال لدى مـحمد وقيع الله فى الإشارة القادمة لدراسته.

أيضـاً، فى دراسة لقـيصـر موسى الزين كـان عنوانهـا: "حركـة الإخوان الجـمهـوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات"، تحدث قـيصر فى دراسته عن نسب الأستـاذ محمود، وهو الوحيـد، من بين ما اطلعـت من دراسات، الذى أشار إلى اتصـال نسب الأستـاذ محـمود بالشيخ حـسن ود بليل، مع إيراده لما هو شائع وهو اتصـال نسب الأستـاذ محـمود بالشيخ محمد الهميـم. يقول قيصر: "واتصاله فى هذا النسب ببعض الشخصيـات الصوفية - مثل محمد الهميم من شخصيات طبـقات ود ضيف الله، كما هو شـائع، أو حـسن ود بليل كما يقول بعض المقربين له"[3].

---

(1) Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007, P 12

(2) Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007, P 12

(3) قيصر مـوسى الزين، "حركة الإخوان الجمهـوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات"، **من مركز التنوير المعرفى**، مقـالات وأوراق بحـثيـة، استـرجـاع (Retrieved) 18 ديسـمـبر 2010، الموقع على الإنـترنت: www.tanweer.sd.

الاستنتاجات العرجاء والخلاصات البكماء تجلب الظلام

لكن الأستاذ محمود محمد طه، الذى طمست سيرته (النورانية) بفعل فاعل لا ريب، ليس هو الأستاذ عمر الجزلى وحده الفاعل- حيث أن المؤامرة ضده كانت أكبر وأكثر خبثاً حال محاصرته فى حريته ومحاكمته ومعاقبته بالإدانة وتنفيذ حكمها فى أقل من ستة أشهر، إذ ضمت أنظمة عربية مجاورة وأحزاباً سياسية وأفراداً من المبرزين [1].

عادل حسون

أورد عون الشريف قاسم أن الأستاذ محمود ينتسب إلى الشيخ محمد الهميم وكذلك محجوب باشرى. لقد كان أخطر وأبشع ما فى ربط نسب الأستاذ محمود بالشيخ الهميم، ليس الإشارة لذلك النسب كما جاء عند بعض الأساتذة الذين لم يذهبوا أبعد من ذلك، بل بعضهم احترز قائلاً: "يرُجع البعض..." النسب إلى الشيخ الهميم وهكذا، وإنما الخطورة فى ذهاب البعض، إلى إسقاط سيرة الشيخ الهميم على الأستاذ محمود، على أساس أن الأستاذ محمود هو الحفيد للشيخ الهميم. هنا ربط لا يخلو من الخبث والتضليل والتغييب. فسيرة الشيخ الهميم، معلومة كما وردت فى كتاب **الطبقات**، آنف الذكر، وكما أوردها محجوب باشرى قائلاً:

يرجع نسب محمود طه إلى الشيخ محمد الهميم الصوفى السودانى الشهير والعالم الفقيه الذى أبقى على حباله سبع نساء، وجمع على زواج الأختين.. إذ تزوج بنات أبى نزوة فى رفاعة، وجمع بين بنات الشيخ بان نقا الضرير كلثوم وخادم الله. فأنكر عليه ذلك قاضى الشرع المعروف بلقب ود دشين، وأراد فسخ زواجه، وكان الشيخ محمد الهميم واصلاً. فالأختان اللتان تزوجهما لهما قصة كشفها وجدانه فهن لسن شقيقات، والظاهر هو ما تحكم به الشريعة، والباطل ما يعرفه المتصوفة. والوجدان الغيبى قد يورث ولكن ليست هناك قواعد يستند عليها العلم.

---

(1) عادل حسن، "مهنيةُ (الجُزَلىِّ) وَمركزيةُ (أمدرمان): فى نقد حكم (الإعلام) على الأستاذ محمود محمد طه بـ (الرِّدة)"، **من موقع سودانايل**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/1/12، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

أسقط البعض سيرة الشيخ الهميم على الأستاذ محمود على أساس أنه الحفيد، وكان دافعهم تأكيد زعمهم الباطل المغرض بشأن الأستاذ محمود، ومن أجل الانتصار فى مواقفهم العدائية فاقدة الورع العلمى والشروط الأكاديمية. فخلصوا إلى نتائج بكماء وخلاصات عرجاء لا تمت للعلم أو الأخلاق بصلة، لا شك أن مثل هؤلاء يهبطون بمستوى السجال ويغيبون العفة فى دوائر العلم والتنوير ومن ثم يعطلون تطور الفكر ويجمدون حركة التغيير.

كتب محمد وقيع الله، فى دراسة بعنوان: "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام"(1)، قائلاً:

وأما الأستاذ محمود محمد طه فهو سليل أسرة متصوفة موغلة فى التصوف، وجده الأعلى هو الشيخ الهميم المعروف فى تاريخ التصوف فى السودان . يحدثنا عنه مؤرخ الحركة الصوفية السودانية " ود ضيف الله " فى كتاب " الطبقات " فيقول إنه ادعى الوصول، وسقوط التكاليف عنه، ويحكى عنه أنه تزوج فى وقت واحد بسبع نساء، كان من ضمنهم شقيقتان هما ابنتا شيخ صوفى آخر يدعى "بان النقا الضرير " ، وقد أنكر عليه قاضى الشريعة الشيخ دشين ذلك، وأعلن فسخ هذه النكاحات، فرد عليه الشيخ الهميم داعياً : الله يفسخ جلدك... والغريب أن الشيخ " ود ضيف الله " يحدثنا أن جلد القاضى الشيخ دشين قد انفسخ فعلاً كما ينفسخ جلد "الدبيب"، أى الثعبان !

وبعد أن أكد محمد وقيع الله أن الشيخ الهميم جد الأستاذ محمود، (وهذا غير صحيح البتة)، استدعى سيرة الشيخ الهميم على النحو الذى أورده أعلاه، ثم وصف الأستاذ محمود بالحفيد فكتب قائلاً: "واصل الحفيد محمود اطلاعه العلمى بعد تخرجه سنة 1941، وعمل بالهندسة فى رئاسة السكةالحديد فى مدينة عطبرة بشمال

---

(1) محمد وقيع الله، "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2006/11/23، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

السودان، واغترف كثيراً من فلاسفة الغرب وعلماء التراث الإسلامى، ورجال التصوف الإشراقى". فى مثل هذه الدراسات لا نتوقع معالجات علمية جيدة فالدراسة تنطوى على أخطاء تاريخية فادحة، فإلى جانب مسألة الحفيد، لم يورد تاريخ تخرج الأستاذ محمود فى كلية غردون صحيحاً، والصحيح هو عام 1936. مثل هذه الأخطاء تذكرنا بالأخطاء التاريخية والعلمية، التى احتوت عليها اطروحة الدكتوراة التى تناولتها فى الفصل الثانى من هذا الكتاب وكان عنوانها: **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**. كتب محمد وقيع الله قائلاً فى إجابته على سؤال طرحه قائلاً: من هم الجمهوريون؟ فأجاب قائلاً: نشأت الفرقة الجمهورية كحزب سياسى فى أواخر أكتوبر 1945 وهو العام الذى شهد مولد معظم الأحزاب السودانية الحالية. كان اسمه " **الحزب الجمهورى الاشتراكى**" وقد تركزت دعوته كما يبدو من اسمه إلى المبادئ الجمهورية إلى الأفكار الإشتراكية...". هذا هو عين ما قاله شوقى بشير عبدالمجيد فى أطروحة الدكتوراة، وقد بينت آنفاً بأن الأستاذ محمود كان رئيساً **للحزب الجمهورى** الذى نشأ يوم 26 أكتوبر 1945 وليس **الحزب الجمهورى الاشتراكى** الذى نشأ عام 1951، وكان إبراهيم بدرى أمينه العام، ومكى عباس، أحد مفكريه ومنظريه، إلى جانب آخرين. كما لفت انتباه القراء والباحثين إلى بعض المصادر والمراجع. فيما يتعلق بالأحزاب الجمهورية التى تجاوزت الأربعة أحزاب فى السودان، وكان أولها فى النشأة هو **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود. الشاهد أن دراسة محمد وقيع دراسة لا تقوم على الأسس العلمية، فهو يستخلص النتائج وفقاً للهوى والخيال والعاطفة. ويمكننا أن نقف على ذلك، كما يمكن أن نتعرف على لونية دراسة محمد وقيع الله بقراءة النص أدناه. كتب وقيع الله يقول فى نقده للأستاذ محمود:

كان محمود محمد طه، زعيم الجمهوريين،يسكن فى حى شعبى من أحياء مدينة أمدرمان، إحدى مدن العاصمة السودانية الثلاث . وقد اندهش كل من زار هذا البيت، حيث أخذ ببساطته الشديدة، وبساطة ساكنه، الذى لايتكلف شيئاً فى الحياة، ولا يتعلق به من اللباس إلا ما يرتديه سائر فقراءالسودانيين من الزى الشعبى. ولكن، فى حجرة الضيافة الملحقة بالمنزل، كان الداخلى طالع

أول ما يطالع، لافتات ثلاثاً، علقت على الجدار، كتب على الأولى منها، قول الله تعالى: "وعنت الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب من حمل ظلماً". وأما الثانية فقد كتبت عليها الآية: "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة " . وعلى الثالثة كتبت الآية : "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً " . وقد لاحظ البعض أن صاحب البيت، ربما كان يعنى بتعليق هذه الآيات فى بيته أنه هو نفسه ذلك الإله الذى يأتيه الناس فرادى ، وتخشع له الأصوات ، وتعنو له الوجوه ! !. ظلت هذه الملاحظات تحير الناس كثيراً . كيف يتبنى هذا الرجل منهج البساطة الكاملة فى المسكن والعيش ، ثم يدعى العلو الكامل ويتشبه بالله - والعياذ بالله من ذلك - وقد استبعد الكثيرون فى الوقت ذاته أن يكون المقصود من تعليق الآيات فى البيت هو ما استنتجه الأولون من ادعاء للألوهية من جانب محمود .

تعوذ وقيع اللّه! قائلاً "والعياذ باللّه من ذلك"، فيم التعوذ يا محمد وقيع اللّه؟ لقد تعوذ محمد من نتائج قام باستخلاصها بمزاجه ووفقاً لتصوراته ولا تسندها أسس علمية، إذ يستند فيها على مقولات مثل "وقد لاحظ البعض أن صاحب البيت، ربما كان يعنى بتعليق هذه الآيات فى بيته أنه هو نفسه ذلك الإله". هذه الملاحظات التى لم يحدثنا محمد وقيع الله عن مصدرها، من هم الذين لاحظوا؟ وكيف عبروا عن ملاحظاتهم؟ ومتى كانت ملاحظاتهم؟ وهل هى ملاحظات مكتوبة فى وثائق أو أوراق علمية أم أنها أحاديث مجالس شفوية؟ وهل تحدث الأستاذ محمود مع هؤلاء الناس عن غرضه من تعليق تلك الآيات؟ وكيف يمكن لشخص أن يستنتج من نوايا الآخر؟ هذا عبث! لا صلة له بالعلم والفكر ولا يقدم خدمة تنويرية مسؤولة تقوم على الأسس الأخلاقية. سبق وأن قال الأستاذ محمود فى كتابه: **من دقائق حقائق الدين،** "إننا بالتجربة الطويلة فى ممارسة حمل الدعوة، لم نجد خصومنا فى الرأى يعارضون محتوى ما نقول.. على النقيض من ذلك هم يعارضون آراء توهموا أننا قد قلناها، ولو انهم قد استأنوا قليلاً لكان لهم موقف آخر، فإن علم الله واسع، وأن كلماته لا تنفد .. وأن هذه الدعوة إنما هى من هذا العلم الواسع الناطق بهذه الكلمات"[1]. ثم يقفز محمد وقيع الله، وهو يتحدث عن

---

(1) محمود محمد طه، **من دقائق حقائق الدين**، مصدر سابق، ص 2.

ملاحظات الناس قائلاً: "ظلت هذه الملاحظات تحير الناس كثيراً"، ولم يحدثنا عمن الذين احتاروا؟ وكيف عبروا عن حيرتهم؟ ومتى كانت الحيرة؟ كيف لدراسة علمية تقوم على كلام من نوع ما أورده محمد وقيع الله. هذه دراسة تفتقر لجل الأركان العلمية، وينقصها الكثير الكثير حتى يمكن وصفها بالدراسة. هذا نوع من الدراسات وهى الدراسات التى واجهها الأستاذ محمود، وقد جاءت فى نقده، ما هى إلا دراسات تعوق تطور الشعوب وتجمد حركة التغيير وتحجم الفكر وتخنق الحياة، وتهبط بالسجال والحوار. فالدراسات والخدمات التنويرية يجب أن تقدم بإتقان وأخلاق ومسؤولية. والأخلاق بمعنى المسئولية أمام النفس والناس والخالق، يقول الأستاذ محمود عن الأخلاق: "الأخلاق فى الإسلام ليست هى الصدق، والأمانة، ومعاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به، إلى آخر هذه الفضائل السلوكية المحمودة.. وإنما هذه نتائج الأخلاق، وثمرتها، ولكن الأخلاق هى حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة. وحسن التصرف هذا بإزاء الخالق أولاً، والخلق ثانياً، وفى نفس الأمر"[1].

فى حوار صحفى[2] مع محمد وقيع الله وردت الإشارة لهذه الدراسة التى قدمها وقيع الله والتى أنا بصددها، سأل صلاح شعيب ضمن الحوار قائلاً لمحمد وقيع الله: نشرت بحثاً قبل فترة عن الأستاذ محمود محمد طه ولكنه أثار جدلاً كبيراً؟ فأجاب محمد وقيع الله قائلاً:

أعتقد أن محموداً كان من كبار المتأملين الفكريين فى السودان، وكان يعيش أحلاماً كبيرة خطيرة، وهذه هى التى صنعت منه مفكراً كبيراً. أقول هذا رغم اننى أختلف معه فى كل شئ كتبه فيما عدا حروف الجر والتسكين والنصب. وهذا الكلام ينطبق بالذات على كتابه التأسيسى ذى الاطار النظرى المكين وهو الموسوم بـ ***الرسالة الثانية من الاسلام***، *ولا شك أن هناك مبدعين غيره أكثر إبداعاً منه مثل الدكتور عبد الله الطيب الذى هو من*

---

(1) محمود محمد طه، "ما علاقة المسئولية بالأخلاق فى الإسلام؟"، مصدر سابق.
(2) محمد وقيع الله، "الدكتور محمد وقيع الله فى حوار فكرى وسياسى مع (الصحافة)"، أجرى الحوار صلاح شعيب، **صحيفة الصحافة**، العدد (4802)، 19 اكتوبر 2006.

أعمق الناس وأكثرهم إنتاجاً وأشدهم إخلاصاً لقضية الفكر والثقافة، ومن أكثر الأدباء والمفكرين مقبولية فى الأوساط السودانية والعربية، وقد كتب بكثافة وأثر فى أجيال من الطلاب وانتشر على مستوى العامة، ولكن أكثر الأوساط الفكرية لا تهتم به وتبذل اهتماماً اكبر بمحمود لانه يساعد البعض فى مهمة تجاوز الشريعة.

أعتقد أن هذا حديث يواجه صعاباً جمة أمام المعايير والأسس العلمية، فالتأمل والأحلام وحدهما مهما كان استمرارهما وكبر حجمهما لا تصنعان مفكراً، كما ذهب وقيع الله، كذلك يحمل النص فى داخله تناقضاً كبيراً يمثل فى وجه من الوجوه، التناقض الذى يعيشه قطاع كبير من السودانيين، فالعلامة عبد الله الطيب (1921-2003)، الذى وصفه وقيع الله كما ورد فى النص أعلاه: بأنه من أعمق الناس وأكثرهم إنتاجاً وأشدهم إخلاصاً لقضية الفكر والثقافة، ...إلخ، لقد كان كذلك بل أكثر . ثم ذهب وقيع الله إلى أن العلامة عبدالله الطيب لا يجد اهتماماً من الأوساط الفكرية مثل ما يلقاه الأستاذ محمود. الشاهد أن العلامة عبدالله الطيب نفسه كان من أكثر الناس سكباً لذاته شعراً فى رثاء الأستاذ محمود. لم يصمت العلامة عبدالله الطيب ولم يخن أمانة القلم والمثقف والعلم، ولم يتخل عن واجب الدين ولايمكن أن يصنف فى خانة المتآمرين المزيفين للإسلام. كذلك مثل العلامة عبدالله الطيب لا يسير مع القطيع ولا يمكن أن يسوقه العقل الثقافى السائد، ولا ينبغى للعلماء إلا أن يكونوا فى مواضع الحق بشجاعة العقل وفراسة الروح. الشاهد أن العلامة عبدالله الطيب قدم شهادته شعراً فى رثاء الأستاذ محمود. فقد شهد عبدالله الطيب بأن الأستاذ محمود الذى هو عنده شهيد، كان مفكراً صنديداً، وشجاعاً نجيداً، وأديباً مُجوِّداً، وخطيباً مؤثراً ومفوهاً،... إلخ. جاء ذلك فى قصيدته "مُصاب وحَزَن" والتى بكى العلامة عبدالله الطيب بها الأستاذ محمود وهى من أطول قصائد الرثاء التى كتبت فى القرن العشرين فى السودان (خمسة وثمانون بيتاً)، إن لم تكن أطولها. يقول العلامة عبدالله الطيب (أبيات متفرقة)[1]:

---

(1) عبدالله الطيب، "مُصاب وحَزَن"، **صحيفة الصحافة**، العدد: 8096، الأربعاء 26/6/1985، ص 9.

قد شجانى مصابه محـمـود مارق قيل، وهو عندى شهيد
ولقـد رام أن يجدد مـحمـود فقد صـار جرمـه التجـديد
زعــمــوا أنه تزندق وارتد وقــالوا هـو العــدو اللّدود
وكأنّا فى عصر محكمة التفـتيش هذا هو الضلال البعيد
قتلتـه الأفكار فى بلد الجهل الذى سيطرت عليه الـقيود
واحـتــوتنا عـمــاية من صـراع دائـم للقـوى به تبـديد
وكأن صار مظهر الدين لا المَخْبَـر فينا فاعلم هو المقصود
فشت الآن بـرجوازية فى الدين من قـبل عُلّقتـها اليـهود
وتفـان على الحطام كـأن الـدين أركـانه الشـداد النقـود
قـد أباها المسيـح عند الفريسـيـين إذ قلبهـم بها جلمـود

وختم العلامة عبدالله الطيب قصيدته قائلاً:

وعسى الله أن يشـاء لنا النصر وللظالم العـذاب الشديد
ولأحـزابه اللئـام فكبـوا فى مـضـيق طريقـهم مـسـدود
تتلـقــاهم جـــهنم يصلـون بهـــا ســـآء وردها المورود
لا تخيب دعاءنا ربّ وانصرنا وأنـت المولى ونحن العبيد
وصــــلاة عـلى الـنبى وتسـليم بـه نبـلغ المنى ونـزيد
وعلى الآل والصحـابة ساداتى وتغشـاك رحمة محـمود

الشـاهد أن العلامـة عـبدالله الطيـب مفـسر القـرآن بالعـاميـة السـودانية وصـاحب الإسهامات الضخمة فى السيـرة النبوية وفى التاريخ الإسلامى والثقافة والأدب العربى، وضع علماء المسلمـين والفقهاء، خاصـة السودانين فى المحك. فهو صاحب إسـهامات إسلامية ضـخمة ورصينة، ولا يستطيع أحد أن ينكرها حتى المكابرين. لقـد كان عبدالله الطيب فى موقـفه من الأستاذ محـمود متسـقاً مع نفسه ومنسـجماً مع مشـروعه، إذ قدم شهادته بشأن الأستاذ محمود، معلناً رفضه للظلم ونبذ الجهل وسيطرة القديم وأبى ضيق الأفق فتـحمل المسـؤولية ولـم يخن أمـانة العلم والثقـافة بل لـم يخـن المستقـبل، فكانت

شهادته بعثاً للأخلاق وإعلاناً للحق وانتماءً إلى أهل العلم والمستقبل. لقد ظلت شهادته وستظل عوناً لأهل المستقبل فى الكشف عن الحق وأسباب الخير. فالشعر غايته أنه شاهد كما يقول الشاعر محمد المهدى المجذوب (1918-1982) ضمن أبيات ثلاث وسمها بـ "شاهد"، كتب المجذوب قائلاً[1]:

وأكتبُ شِعراً ليْسَ للشعرِ غايةٌ سِوَى أنّهُ قَاضٍ عريقٌ وشَاهِدُ

تغييب البطل وتغذية الخيال الجمعى بالإنكسار

إنه شهيد الفكر والفكرة الأستاذ محمود محمد طه ابن مدينة رفاعه العريقة، والذى قدم نموذجاً متفرداً فى الفكر الإسلامى، مجيباً على كثير من أسئلة الراهن الصعبة والتى عجز دعاة الكتب الصفراء وحاملو الفكر الانكفائى والمنهج الاقصائى والتكفيرى من الإجابة عليها، ولما لم يجدوا منطقاً أمام قوة منطقه وصلابة شكيمته وبيان حجته لجأوا إلى سلاحهم المجرب وهو التكفير ومن ثم الاغتيال ظناً منهم أن بغياب جسده سيتوارى فكره ويندثر ولكن هيهات، قدم الأستاذ محمود فكراً ناصعاً كسيرته ونقياً نقاء تاريخه، ناسفاً الفكر الإسلامى المنغلق والمتكلس، ومعتمداً على إعمال العقل بدلاً عن النقل والتفكير والإبداع مقابل الجمود والتكلس[2].

فاروق عثمان

لقد رسخ ما كتبه عون الشريف قاسم فى الدوائر الأكاديمية، وظل يستند إليه الباحثون ويكتبون بكل اطمئنان وبلا نقد. ففى آخر المعاجم التى صدرت فى السودان، عام 2011 وهو: معجم المؤلفين، (1510-2010)، **من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم**، الذى وضعه قاسم عثمان نور. جاء فى تعريفه بالأستاذ محمود أن: "محمود محمد طه (1916-1984)، استقال من الحكومة وكوّن

---

(1) محمد المهدى المجذوب، **الشرافة والهجرة**، (ديوان شعر)، ط2، دار الجيل، بيروت، 1982، ص 220.

(2) فاروق عثمان، "ويبقى الفكر"، **صحيفة الراكوبة الإلكترونية**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 19 يناير 2013، الموقع على الإنترنت: http://www.alrakoba.net

الحزب الجمهورى حزباً للخاصة. كان يعارض كل أفكار الأحزاب الأخرى. أصدر المنشورات منذ عام 1945 وبدأ البوليس يلاحقه"[1]. فقاسم عثمان نور الذى أورد هذا التعريف يعد من أشهر الأكاديميين فى علوم المكتبات والمعلومات فى السودان وربما فى إفريقيا والمنطقة، وأكثرهم انتاجاً. فما أورده هنا كان مصدره عون الشريف قاسم، وكان مصدر عون الشريف، كما ورد آنفاً، فى بعض المعلومات، هو محجوب باشرى. وفى واقع ما ورد يقع ضمن تنميط الصور، تنميط صورة الأستاذ محمود، وتنميط صورة **الحزب الجمهورى**. وكون الحزب حزباً للخاصة، أمر يخالف الوقائع والشواهد التاريخية كما ورد الحديث عن ذلك باستفاضة ضمن الفصل الذى تناول **الحزب الجمهورى** من هذا الكتاب. أما عبارة أن الحزب "كان يعارض كل أفكار الأحزاب الأخرى"، فهذا أيضاً، هو ما كتبه عون الشريف قاسم، "وكان يعارض كل افكار الاحزاب الاخرى"[2]. وقد وردت الإشارة لذلك فى الفصلين الرابع والسادس من هذا الكتاب، عندما تناولت **الحزب الجمهورى**. كما أن الخطأ فى عام 1984 واضح وقد وردت الإشارة إليه، ولا يحتاج لتكرار، والحق أن يوم 18 يناير 1985 ينبغى ألا يكون موضعاً للخطأ واللبس عند الباحثين، كونه يمثل يوماً للشموخ والكبرياء والعزة للأمة، ولا شيء يعلو فوق الثبات فى سبيل حرية الفكر وكرامة الإنسان.

الشاهد أن تلك المعلومات الخاطئة، بما انطوت عليه من تقليل لشأن الأستاذ محمود واهمال لدوره النضالى، وجحود فى تقديمه كقائد وطنى مناضل، تسربت من كتاب الأستاذ باشرى وموسوعة البروفسير عون، إلى الدراسات والبحوث والمقالات -على قلتها- حول الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية. كما أن ضعف الترجمة عن الأستاذ محمود، وقلة الدراسات حوله يعكس خللاً فى معايير المؤرخين والأكاديميين وكتاب التراجم، كما أنها تعكس أيضاً، خللاً فى تقييمهم لأهمية الأحداث ومدى قيمتها وقيمة صُناعها. وبلا شك أن هذا أمر لا ينفصل عن العقل الثقافى السائد المتحكم، ولا ينفك

---

(1) قاسم عثمان نور، **معجم المؤلفين، (1510-2010)، من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم**، مرجع سابق، ص 276.

(2) عون الشريف قاسم ، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والاماكن**، مرجع سابق، ص 2244.

من نسق القيم السائد، إلى جانب صلته بنوع التعليم وسياساته، وطبيعة المؤسسات التعليمية والأكاديمية فى السودان. الشاهد أنه حتى يومنا هذا- حسب علمى- لم تبادر أى مؤسسة أكاديمية أو مركز للدراسات فى السودان إلى إقامة ملتقى أو مؤتمر أو ندوة حول الأستاذ محمود أو حول مشروعه أو من أجل الدراسة والتحليل لإنتاجه المعرفى، أو حول ما حدث له. وقد وردت الإشارة لذلك فى الفصلين الثالث عشر والرابع عشر من هذا الكتاب.

خاتمة: يقظة الأمم تبدأ بتحرير التاريخ من عبث المؤرخ

إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة السودانية

كنا نسمع عنه ونراه فى طفولتنا بمدينة كوستى.. كان يتردد عليها حيث عمل لفترة من الزمن يخطط مشاريع القطن الواقعة جنوب المدينة.. التى صار يختلف إليها من وقت لآخر.. حيث اشترى داراً فى حى المرابيع كانت مهوى لطلاب الحاجات والمساكين والباحثين عن تجديد ذواتهم بالدين والفكر.. ولا يزال كثير من أهل المدينة يرددون قصصاً أغرب من الخيال عن كرمه وإنفاقه وإيثاره، الأمر الذى كان يعبر عن دخيلة تحررت من الذاتى وسمت عن لعاعات الدنيا وزخرفها[1].

مكى أبو قرجه

برغم أن الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011)، قد نشر معجمه: **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، (ثلاثة أجزاء)[2]، منذ عام 1987، إلا أن الدارس لا يجد إشارة فى الدراسات التى تناولت الأستاذ محمود، لهذا المعجم. لقد تضمن هذا المعجم ترجمة للأستاذ محمود، وكانت ترجمة منصفة وقدمت الأستاذ محمود على أساس أنه، مفكر وقائد ووطنى صلب كان أول من واجه واصطدم بالاستعمار البريطانى، كتب يحيى محمد عبدالقادر، فى وصفه الأستاذ محمود قائلاً

---

(1) مكى أبو قرجة، **أصوات فى الثقافة السودانية**، ط1، مؤسسة الإمارات للإعلام، أبوظبى، 2005، ص 175.

(2) محمد عد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مصدر سابق.

بأن الأستاذ محمود: "مفكر عميق التفكير كثير التأمل" وأنه "رجل حر الفكر واسع الأفق" و "يفهم الحياة فهماً جديداً" مناضل"أنشأ **الحزب الجمهورى** فى عام 1945" و"كان من أوائل الذين اصطدموا بالاستعمار البريطانى فى السودان فدخل السجن مرتين". وقائد وطنى هو من أخلص القادة للقضية وللسودان وللإنسانية. هذا حديث من معاصر للأستاذ محمود ومعايش له. كما أنهم، أى الأكاديميين لا يأخذون بما قدمه الأستاذ أحمد خير المحامى فى كتابه: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، وقد وردت الإشارة لما جاء فيه. كان الأكاديميون خاصة كبار الأساتذة ينتقون المصادر والمراجع حينما يريدون الحديث عن الأستاذ محمود، وفى هذا أيضاً، غياب للورع العلمى، وخرق للأسس العلمية والشروط الأكاديمية. الشاهد أن الحال فى المستقبل القريب قطعاً لن تكون كما هى عليه الآن.

إننى على يقين تام بأن المستقبل فى صالح الأستاذ محمود وتلاميذه ومشروعه. وأن هناك مراجعات ضخمة ستتم لكل المجلدات فى السودان، مجلد حقوق الإنسان والتاريخ...إلخ. وإنى على يقين تام بأن يقظة الأمم تبدأ بتحرير أبطالها من سجون صحائف المؤرخين، ذلك من خلال النقد والتنقيب وإعادة النظر فى الكثير من المسلمات والنقد القوى والشجاع للافتراضات. فمع إعمال الحس النقدى وتجلى الشجاعة العقلية وترفيع مستوى السجال والحوار تبدأ مرحلة جديدة فى حياة أى أمة، ولعل السودان يعيش الآن فى هذه المرحلة. فقد بدأت الأجيال تتقدم برؤيتها وتكتب آراءها فى موضوع الأستاذ محمود. لقد نشر مكى أبوقرجة فى كتابه: **أصوات فى الثقافة السودانية**، ترجمة للأستاذ محمود. قدم مكى من خلالها معلومات قيمة. وعلى الرغم من أن الترجمة لم تكن دراسة أكاديمية، وإنما كانت عبارة عن مقال صحفى، كما الحال بالنسبة لكل مقالات كتابه، كتب أبو قرجة فى مقدمة كتابه قائلاً: "هذه كتابات نشرتها صحيفة الاتحاد بأبى ظبى على مدى خمس سنوات (2000-2004) كما أعادت نشرها صحف عربية وسودانية"[1]. على الرغم من ذلك فإن أبو قرجة قدم معلومات قيمة

(1) مكى أبو قرجة، مرجع سابق، 8.

وشهادات صادقة وانطباعات أمينة عن ما عرفه وعن ما لمسه من تلاميذ الأستاذ محمود فهو كما قال لم يكن بعيداً عنهم، كتب أبو قرجة قائلاً: "ما كنت بعيداً عن الجمهوريين، فى أيام تألق الفكرة وعنفوانها وحتى الآن.. فقد كان فيهم أصدقائى الخلصاء وجزء عزيز من عائلتنا.. أبناء عم أثيرون لدىّ.. كنت أختلف معهم وأجد فى الحوار معهم سعادة ما عليها مزيد.."[1]. القيمة الأخلاقية هنا أن أبو قرجة لم يحبس ما عرفه، ولم يصمت عليه، وإنما كتب شهادته وقدمها للقراء، ليساهم بقوة فى دفع عملية تحرير الأبطال من سجون صحائف المؤرخين.

(1) المرجع السابق، 176-177 .

الباب الخامس

الأستاذ محمود ومعاصروه والمفكرون الإسلاميون والروحانيون

إن أكثر المفكرين الإسلاميين أصالة فى إفريقيا فى النصف الثانى من القرن العشرين، كان هو اللاهوتى السودانى محمود محمد طه. ولقد كان مفهومه لرسالتى الإسلام مفهوماً عابراً للزمان أكثر منه عابراً للثقافات. لقد استغرق طه فى جهد كبير ليوفق بين مناخ القرن العشرين وروح عصر النبى محمد. وقد جادل طه بنحو عابر للزمان ومنعش أن أول رسالتى النبى قصد بها تابعيه فى عصره (أعراب القرن السابع الميلادى)، والرسالة الثانية من الإسلام استهدفت كافة الأزمان. إن سر الورع الحقيقى، حسب ما يرى طه، لم يكن فقط فى إدراك ثنائية الإسلام العابرة للزمان وإنما فى القدرة على التمييز بين ما كان خاصاً تاريخياً بالقرن السابع الميلادى وبين ما هو خالد حقيقة. ولقد دفع محمود محمد طه الثمن الأغلى لتجديداته الفكرة العابرة للزمان. فقد أعدمه نظام جعفر نميرى فى السودان بتهمة الردة والهرطقة فى عام 1985[1].

على مزروعى وجى أف أد أجاوى

The most original of Africa's Islamic thinker in the second half of twentieth century was the Sudanese theologian, Mohmoud Muhammad Taha. His concept of the Dual Message of Islam was more cross-temporal than cross-cultural. Taha engaged in an intellectual effort to reconcile the ethos of the twentieth century with the spirit of the ancient era of the prophet Muhammed. Mahmoud Taha argued cross-temporally and with a freshness that one message of the Prophet was intended only for his followers in his own day (the Arabs of the seventh century of the Christian era) and the second message of Islam was intended for all time. The secret of true piety, according to Taha, was not only to recognize this cross-temporal duality of the Islamic message but also to be able to distinguish between what was historically specific to the seventh century and what was truly eternal. Mahmoud Muhammad Taha paid the supreme price for his cross-temporal intellectual innovations. The regime of Gaffa Nimeiri in the Sudan executed him for apostasy and heresy in 1985[1].

Ali A. Mazrui and J. F. Ade AJAYI

---

(1) Ali A. Mazrui and J. F. Ade AJAYI, "Trends in philosophy and science in Africa", *General History of Africa, Africa since 1935*, Volume VIII, (Main edition), Edited by A. A. Mazrui, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization UNESCO, Paris, Heinemann Educational, Oxford and University of California Press, California, 1993, pp 672-673.

الفصل
السادس عشر

16

محمود محمد طه
فى مذكرات معاصريه

مع إعادة الاعتبار للتاريخ السياسى، بوصفه تاريخاً للسلطة (وليس للدولة) أعيد الاعتبار أيضاً للمذكرات والسير، لكونها مرآة للتاريخ الذاتى للأفراد الفاعلين المؤثرين أو المتأثرين فى حراك المجتمع الذى هو موضوع دراسة. فسواء أكان صاحب المذكرات فاعلاً سياسياً أم فاعلاً ثقافياً فكرياً، فإن كلامه أو خطابه هو أيضاً، "وثيقة تاريخية"، وكما كان مارك بلوخ يُفضِّل القول فى وصف كل وثيقة، بأنها تؤدى إلى "معطى" (Donnée)، وهى ليست نصاً مطابقاً للحقيقة. ينطبق مفهوم "المعطى" النسبى على المذكرات والسير بامتياز [1].

وجيه كوثرانى

الوثائق لا تنطق وإنما تستنطق [2].

محمد سعيد القدَّال

(1) وجيه كوثرانى، **تاريخ التأريخ: اتجاهات- مدارس- مناهج**، ط1، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2012، 398-399.

(2) محمد سعيد القدَّال، **الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 24.

المذكرات وأمانة التبليغ وأداء الشهادة

إن من يدوِّن مذكراته... شاهد على حوادث ويريد أن يؤدى شهادته، فيخاطب عبر الكتابة الأجيال المقبلة تماماً كما لو كان يخاطب جلساء له يقلدهم أمانة تبليغ أقواله(1).

عبدالله العروى

المذكرات مصدرٌ تاريخىٌ مهمٌ؛ فهى تملأ فجوات فى التاريخ لا تتوفر فى المصادر الأخرى، وتقدم أحداثاً وجوانب من التجربة الخاصة، تُعين على فهم التاريخ وقراءته، وتكشف عن حوادثه. كما أن المذكرات تُجسِّر تواصلنا مع أصحابها ومع تجاربهم، هذا إلى جانب المتعة فى قراءتها. كتب أحمد أبو شوك فى مقدمة تحقيقه لـ: **مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائى فى السودان**(2)، قائلاً: "إن صناعة المذكرات هى ضرب من ضروب السِّيرة الذاتية،..." وأضاف قائلاً: "إنَّ قيمة المذكرات الشخصية تكمُن فى طبيعة الأحداث التى عاشها المؤلف، وتجرُّد فى توثيقها...". وكتب محمد سعيد القدَّال قائلاً: "إن السِّيرة الذاتية لها دور أساسى فى دراسة التاريخ، فهى تملأ فجوات لا تتوفر فى المصادر الأخرى. فكاتب السيرة الذاتية قد يذكر جوانب خاصة من تجربته تكون فتحاً لفهم تاريخى تقف المصادر الأخرى دون جلائه. ولذلك نحن نبحث فى السِّيرة الذاتية بجانب المتعة الفنية، عن تلك الأحداث الصغيرة التى تساعدنا فى فهم الماضى". وعن صاحب السيرة الذاتية أضاف القدال قائلاً: "وتتطلب السيرة الذاتية أن يكون صاحبها متميزاً فى ناحية من نواحى الحياة، وأن يكون ذا صلة دقيقة بأحداث كبرى، أو أن يكون ممن لهم مشاركة فى بعض تلك الأحداث. وقليل من السير الذاتية ما فيه انعكاس لتجربة

---

(1) عبدالله العروى، **مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب**، ج1، ط3، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1997، ص 36.

(2) أحمد أبو شوك، **مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائى فى السودان**، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى بأمدرمان، أمدرمان، 2004.

ذاتية ذات حدود واضحة بين ولادتها واكتمالها"[1]. فحينما تصلنا المذكرات أو السير الذاتية من أصحابها، نكون نحن أمام وثائق تاريخية، تتقاطع فيها الذاكرة والتاريخ، ويختلط فيها الذاتى بالموضوعى، يقول وجيه كوثرانى:

إن المذكرات والسير، هى تعبير عن "ذاكرة" فردية وجماعية، وفى الذاكرة هذه، تختلط الأزمنة وتختلط الرغبات والأحلام والمشاعر مع الواقع وحركته وانعطافاته ومفاجآته، الأمر الذى يكوِّن حقلاً ملتبساً، ولكن غنيٌ، من حقول التأريخ التى تتطلب الدراسة لفهم الملتبس بين الذاكرة والتاريخ، وبين الذاتى والموضوعى. من هنا يبرز التحدى المعرفى لدى "المؤرخ الجديد": التمييز بين الحيِّزين: الذاكرة والتاريخ، الذاتى والموضوعى[2].

إن كل سيرة هى تبليغ، فهى تقدم شهادة وتمثل تجربة ذاتية، وعن تدوين التجربة الذاتية، وعن متى يكتب الكاتب سيرته الذاتية.يقول إحسان عباس (1920-2003): "إن كل سيرة هى تجربة ذاتية لفرد من الأفراد، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، وأصبحت فى نفس صاحبها نوعاً من القلق الفنى، فانه لابد أن يكتبها"[3]. ولا شك أن السيرة الذاتية التى يكتبها صاحبها، هى غير السيرة التى نكتبها عن الآخرين، وقد وسمها إحسان عباس بالسيرة العامة.

السيرة الذاتية والعامة

إن ما تنطوى عليه هذه السير من دوافع الاختيار ووجوه السلوك، ومن الآراء والمعتقدات، ومن الاتجاهات والاختبارات، ومن الفضائل والنقائص، إن هذا كله مرآة صادقة للأوضاع الحضارية التى عاش هؤلاء الأشخاص فى كنفها.. ومن هنا كانت أهمية تدوين السير كفن من فنون التاريخ[4].

أحمد صدقى الدجانى

هناك السيرة الذاتية والسيرة العامة، وحول الفرق بينهما يقول إحسان عباس: "تعتمد

(1) محمد سعيد القدَّال، **الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق.
(2) وجيه كوثرانى، **تاريخ التأريخ: اتجاهات- مدارس- مناهج**، مرجع سابق، 398-399.
(3) إحسان عباس، **فن السيرة**، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص 94.
(4) أحمد صدقى الدجانى، "لمحة تاريخية: حضارات إنسانية رئيسية وعلاقة مثقفين بمجتمعاتهم"، **المثقف العربى: همومه وعطاؤه**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 19.

السيرة التى يكتبها الشخص لنفسه على العنصر الذاتى، بينما السيرة العامة، قائمة فى المقام الأول، على الاتجاه الموضوعى. فلا بد أن يكون من يكتب سيرة غيره موضوعياً فى النظرة إلى صاحبه، وإلى الأشياء والحقائق المتعلقة به، كما لا يمكن أن يكتب سيرة نفسه إلا إن كان يبصر الحقائق المتعلقة بذاته على نحو ذاتى"[1]. ويُبين القدَّال قائلاً: "فالسيرة الذاتية يكتبها الشخص عن نفسه لهذا سميت ذاتية... وهنا لا بد أن يكون الكاتب لسيرته الذاتية موضوعياً فى نظرته لنفسه. بمعنى أنه يتجرد من التحيز لنفسه، وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث، ولا ينساق مع غرور النفس وتعلقها بذاتها، وحبها لإعلاء شأنها وتنقيصها من قدر الآخرين. وقل من يحسن هذا النوع من التجرد... أما ما نكتبه عن الآخرين فهو مجرد سيرة، مثل السيرة النبوية لابن هشام". ومن أمثلة السير التى كتبت فى السودان عن الآخرين: مذكرات السيد عبدالرحمن المهدى (1885-1959)، جهاد فى سبيل الاستقلال[2]، التى أشرف على إعدادها السيد الصادق المهدى. وكتاب فدوى عبدالرحمن على طه عن والدها: أستاذ الأجيال: عبدالرحمن على طه 1901-1969، بين التعليم والسياسة وأربجى[3]، وسيرة عبدالله ميرغنى التى أعدتها ابنته درية، وجاءت بعنوان: عبدالله ميرغنى: أحد رواد الحركة الوطنية فى السودان[4]، وغيرها.

كتابة المذكرات والتبليغ والذاكرة الجماعية فى السودان

إن مأثرة الأستاذ [محمود] الكبيرة هى إخضاعه حياته الشخصية للهدى الدينى الذى اختاره. لقد روّض الجسد الأفعوانى بقامة الفكر. استل من الجسد الغرائز والشهوات والمضاربات وأعطى الأستاذ بذلك نموذجاً لم يقع لنا من بين خريجى المدارس الحديثة[5].

عبدالله على ابراهيم

---

(1) إحسان عباس، مرجع سابق، ص 101.

(2) عبدالرحمن المهدى، **جهاد فى سبيل الاستقلال**، مرجع سابق.

(3) فدوى عبدالرحمن على طه، **أستاذ الأجيال: عبدالرحمن على طه** 1901-1969، **بين التعليم والسياسة وأربجى**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004.

(4) درية عبدالله ميرغنى، **عبدالله ميرغنى: أحد رواد الحركة الوطنية فى السودان**، دار جامعة القرآن الكريم، الخرطوم، 1999.

(5) عبدالله على إبراهيم، "محمود محمد طه ... الموت ببوابة السماء"، **صحيفة الأحداث**، 2011/10/18.

بدأت صناعة فن المذكرات والسير حديثاً في السودان، يقول أحمد أبو شوك: "يُعَدُّ هذا الفن من الأدب التأريخي بأنماطه المختلفة حديث النشأة والتطور في السودان،..."[(1)].
وخلص مصطفى الصاوي في دراسته التي جاءت بعنوان: "بانوراما التراجم والسِّير والمُذكرات (مقدمة تعريفية)"[(2)]، وتناول فيها التراجم والسِّير والمذكرات من لدن مذكرات يوسف ميخائيل إلى "من زماني وتحناني" لبشير حمد. خلص في حديثه عن المذكرات والسِّير، قائلاً:"إن كتابة المذكرات قد استوعبت مجالات مختلفة؛ إلا أن الطاغي عليها هو السياسي"[(3)]. لاحقاً أصدر مصطفى كتاباً بعنوان: السير والمذكرات في الأدب السوداني: دراسة من منظور النقد الأدبي، قد يكون الكتاب، كما أشار مؤلفه، "**هذا الكتاب قد يكون أول دراسة أكاديمية عن أدب المذكرات والسير في السودان**"[(4)]، إلى جانب أنني لاحظت أن الكتاب يمثِّل آخر ما وصل إلى المكتبات السودانية من الدراسات العلمية في هذا المجال. يكاد يجمع الباحثون بأن مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان، هي أول مذكرات تصل إلينا، ولكن ظهور مذكرات سليم أغا التقلاوي (1826-1875)، والتي قام بترجمتها **ياسر عَبيدي بَرْدَويل**[(5)]، يجعلنا أمام كشف

---

(1) أحمد أبو شوك، **مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان**، مرجع سابق، ص (التقديم).

(2) مصطفى الصاوي، "بانوراما التراجم والسِّير والمُذكرات (مقدمة تعريفية)"، **مجلة كرامة**، العدد الأول، إتحاد الكتّاب السودانيين، سبتمبر 2007، ص 189-199.

(3) المرجع السابق، ص 199-189.

(4) مصطفى محمد أحمد الصاوي، **السير والمذكرات في الأدب السوداني: دراسة من منظور النقد الأدبي**، ط1، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أمدرمان، 2012، ص 274.

(5) لفت نظري الصديق الباحث ياسر عَبيدي بَرْدَويل إلى مذكرات سليم أغا التقلاوي (1826/1836-1875)، التي كتبت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عام 1946. وبهذا يكون قد نما إلى علمنا حتى الآن صدور مذكرات سابقة لمذكرات يوسف ميخائيل. صدرت مذكرات سليم أغا باللغة الإنجليزية. **عكف ياسر على ترجمتها فأنجزها عام** 2004، وتقع في (25) صفحة. قادته ترجمته لمذكرات سليم أغا للوصول إلى جيمس ماكارثي الذي كان يعد في كتاب عن سليم أغا. نشر جيمس كتابه أواخر عام 2006 بعنوان: Selim Aga: A Slave's Odyssey. **حيث دُشنَ بمعرض لندن الدولي للكتاب. يقع كتاب جيمس ماكارثي في نحو مائتي صفحة، ملحق به مذكرات سليم أغا** وهي بعنوان: Incidents Connected with the life of Selim Aga. عكف ياسر، على كتاب جيمس مكارثي الذي يقع في مائتي صفحة، فأنجز ترجمته في بداية عام 2007، **ثم وسم ياسر كتابه المترجم بـ: مَلحَمة سَليم أغا التَقَلاوي: قصةُ مُستَرَقٌ من غَرب السُودان**. أطلعني ياسر عَبيدي بَرْدَويل على النص المترجم، ومما لاشك فيه أن نشر هذا النص المترجم في كتاب، =

معرفى ومعطى جديد، على إثره تتأخر مذكرات يوسف ميخائيل إلى المرتبة الثانية فى سلم صناعة المذكرات والسير فى السودان.ثم تأتى المذكرات التى كتبها سجناء المهدية بعد سقوط الدولة المهدية. جاءت مذكرات القسيس النمساوى الأب جوزيف أهرولدر الموسومة بـ: **عشرسنوات أسر فى معسكر المهدى** (1882-1892). ثم مذكرات الضابط النمساوى رودلف سلاطين باشا (1857-1932): السيف والنار فى السودان[1]. ومذكرات شارلس نيوفلد (1856-1913) بعنوان: **سجين الخليفة: اثنا عشر عاماً أسيراً بأمدرمان**[2]. وبعدها بعامين صدرت مذكرات إبراهيم فوزى باشا، سكرتير غردون أولاً، وسجين المهدية ثانياً، تحت عنوان: **السودان بين يدى غردون وكتشنر**،الجزء الأول والثانى[3]. وكانت **مذكرات يوسف ميخائيل** التى كُتِبتْ فى ظل الحكم الثنائى، وتحركت فى مساحة زمنية امتدت من عام 1872 وحتى عام 1943.

كان الجيل الرائد فى كتابة المذكرات من السودانيين، هو الجيل الذى وُلد فى حقبة الحكم التركى/ المصرى. كتب عبدالله حمدنا الله قائلاً:

ويعد الجيل الذى ولد فى التركية وعاصرالمهدية وشطراً من الحكم الثنائى جيلاً رائداً فى كتابة مذكراتهم على عظيم أثرها فى الدراسات التاريخية السودانية وتبرز أسماء يوسف ميخائيل وبابكر بدرى ومحمود القبانى: **حال بئيس**، ومتولى العتبانى ، من بين رواد هذا الجيل إضافة إلى محمد عبد الرحيم فى بعض ما كتبه فى مؤلفاته وخاصة

= وياسر يسعى لذلك، سيكون إضافة للمكتبة السودانية وفتحاً جديداً فى مجال كتابة المذكرات، إلى جانب ما تقدمه مذكرات سليم أغا من كشف للعديد من القضايا بما يخدم تعريفنا بما انطوت عليه تلك الحقبة التاريخية، والظروف التى عاشها سليم. ترجمة مذكرات سليم أغا تقع ضمن مشروع الاسترداد للإرث السودانى المهاجر أو المفقود، وهنا تتجلى لحظات وعى الأمم. لاحقاً، وفى يناير 2012 نشر بدر الدين حامد الهاشمى تلخيصاً وعرضاً مختصراً لكتاب Selim Aga: A Slave's Odyssey، الذى نشره جيمس ماكارثى عن تاريخ حياة السودانى "سليم أغا" الذى عاش بين عامى 1826-1875. المصدر: بدر الدين حامد الهاشمى، "سليم أغا: ملحمة عبد (مسترق): تلخيص وعرض مختصر لكتاب " Selim Aga: A Slave's Odyssey، **صحيفة الأحداث**،6 يناير 2012.

(1) سلاطين باشا، **السيف والنار فى السودان**، ط2، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، 1987.

(2) شارلس نيوفلد، **سجين الخليفة: اثنا عشر عاماً أسيراً بأمدرمان**، ترجمة: محجوب التجانى محمود، 2006.

(3) إبراهيم فوزى باشا، **السودان بين يدى غردون وكتشنر، الجزء الأول والثانى**، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2010.

كتابه: **النداء فى دفع الافتراء**[1].

بعد ظهور طلائع المتعلمين، الذين تلقوا التعليم الحديث مع بداية القرن العشرين، وتمددهم فى الشارع العام خلال النصف الأول من القرن العشرين، بنضالهم ضد المستعمر، وتوليهم لقيادة السودان بعد استقلاله. ظهرت العديد من المذكرات، ومن نماذج ذلك، دونما ترتيب فى تواريخ الإصدار: مذكرات أحمد خير المحامى **كفاح جيل**، وسليمان كشة **سوق الذكريات، وملامح من المجتمع السودانى**، لحسن نجيله، ومذكرات على عبدالرحمن الأمين (1906-1983)، **الديمقراطية والاشتراكية فى السودان**، ومذكرات محمد أحمد المحجوب:الديمقراطية فى الميزان، ومذكرات الدرديرى محمد عثمان، ومذكرات خضر حمد (1910-1970)، ومذكرات عبد اللطيف الخليفة، ومذكرات أمين التوم: ذكريات ومواقف، ومذكرات عبدالماجد أبو حسبو (1919-1985). وغيرها.

درس القدَّال أحد عشر كتاباً من كتب السيرة الذاتية السودانية، فى بحث ضمنه كتابه آنف الذكر. وأشار إلى أن دراسته، استندت فى إطارها النظرى على طرح إحسان عباس فى كتابه: **فن السيرة**. وتحدث عن قيمة تلك الكتب التى درسها، كمصدر لدراسة التاريخ قائلاً: من النماذج التى قدمتها من تلك الكتب ومقارنتها مع ما ذكره إحسان عباس عن السيرة الذاتية يتضح لنا الآتى[2]:

- أهملت الجوانب الشخصية التى هى قنوات اتصال بين الكاتب والقارئ.
- ضخمت من دورها فى الأحداث.
- جنحت للتبرير.
- سيطر عليهم هاجس الصراعات السياسية.

ثم خلص القدال فى دراسته قائلاً: "إن قيمة غالبية هذه الكتب كمصدر للتاريخ ضعيف، وبعضها لا قيمة له). لم يستثنِ القدال من نماذج دراسته إلا مذكرات الشيخ بابكر

---

(1) عبدالله حمدنا الله، "همبتةالمذكرات.. المجذوب والذكريات نموذجاً (1-2)"، **صحيفة الصحافة**، بتاريخ 18 فبراير 2004،

(2) محمد سعيد القدَّال، **الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 133-152.

بدرى (1864-1954): **تاريخ حياتى**، ثلاثة أجزاء. فقد وصف القدَّال مذكرات الشيخ بابكر بدرى بأنها ذات قيمة فنية، وقيمة تاريخية، وعدَّها نموذجاً للسيرة الذاتية. كما أضاف القدَّال قائلاً: "ولعل (سوق الذكريات، سليمان كشة)، و(ملامح من المجتمع السودانى، حسن نجيلة)، وبالطبع مذكرات بابكر بدرى، تساعد على سد بعض الفجوات بما قدمت من بعض الجوانب فى حياة أهل السودان، مما يكسب حقائق التاريخ مسحه إنسانية"[1]. ويبدو أن العبء سيقع على عاتق الروايات الشفاهية لتكملة ذلك النقص، حتى يستطيع كُتاب التاريخ أن يجعلوا الوثائق تقف على أقدام آدمية.

العظماء فى سجلات أممهم

لم أر فى حياتى شخصاً بذكاء وسماحة وجمال محمود. ولو كان محمود يريد أن يكون وزيراً أو يصير رأسمالياً لفتحت الأبواب له على مصراعيها، لعلمه ومقدراته ونضجه. لكنه ذهب مذهباً وركب مركباً صعباً، وأتى للناس بفكر لم يقدروا على فهمه واستيعابه فى زمان الغلو والتطرف واللا معقول[2].

عثمان الحويرص، نقلاً عن عبدالمنعم الحويرص

فى بداية كتابه: فن السيرة، كتب إحسان عباس قائلاً: "القدرة على الإحساس بالتاريخ، كسائر المزايا الإنسانية، موطن للتفاوت بين الأفراد، ومجال تتباين فيه الجماعات والأمم". ثم أضاف مستشهداً بقول المؤرخ والفيلسوف الألمانى اشبنجلر Oswald Spengler (1880-1936)، قائلاً: "فالأمة التى تحرق جثث رجالها، ولا تُعنى بتسجيل أعمالهم، وإذا مضى على وفاة أحد عظمائها ستون سنة لم تستطع أن تتحقق إن كان ذلك العظيم شخصية تاريخية أو خرافة، لهى -فيما يراه اشبنجلر- ضعيفة الإحساس بالتاريخ". أما إذا حرقت الأمة جثث رجالها، وسعى مثقفوها وقادتها إلى تغييب عظمائها عن الذاكرة

---

(1) محمد سعيد القدَّال، **الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 133-152.

(2) عبدالمنعم الحويرص، ضمن خيط عبدالله الشقلينى: "محمود محمد طه فى رؤى الأحلام"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع(Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

الجمعية، وتضليل الشعوب فى إنجازاتهم، فهذا ضعف فى الإحساس بالتاريخ، وفقدان لحاسة العدل، وضياع لمعانى الصدق والأمانة التاريخية. ختم الأستاذ أحمد خير المحامى كتابه: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**[1]، بفصل هو السابع، ووسمه بـ: "نحو أفق بعيد"، قال فى مستهله: "لشباب اليوم ورجال الغد المأمول أن يتساءلوا: هل اضطلع الجيل الحاضر فى السودان بأعباء واجبه الوطنى على الوجه الصحيح، وهل أدى رسالته كما ينبغى؟". ثم أضاف قائلاً: "والإجابة على مثل هذا التساؤل تتعذر على الجيل المستوجب، لأنها تدخل فى اختصاص التاريخ الذى لم تحن بعد الفرصة الملائمة لمراجعته". حينما كتب بعض جيل الأستاذ أحمد خير المحامى مذكراتهم، رسب كثير منهم فى امتحان الأمانة التاريخية (هذا الحكم القاسى سيأتى تفصيله وتبريره فيما بعد)، ذلك حينما أغفلوا ذكر الأستاذ محمود، وتجاهلوا نشأة حزبه، **الحزب الجمهورى**، ومشوار نضاله ضد المستعمر البريطانى، وسنى سجنه أيام الاستعمار. بل إن بعضهم قد بخل حتى بالإشارة إلى الأحداث الجسام التى صنعها، والرحلة الشجاعة فى المواجهة القوية المستمرة التى قادها مع مراكز السلطة فى المجتمع، والقوى التقليدية فيه، التى حجمت أحداث التغيير وجمدته. تحدث بعضهم فى مذكراته – وسياتى تفصيل ذلك لاحقاً– عن نشأة الأحزاب فى السودان، وأشاروا لأحزاب لم يتعد عمر بعضها ثلاثة الأعوام، ولم ترد مجرد إشاره **للحزب الجمهورى**، أو رئيسه الأستاذ محمود. ومنهم من خصص فصلاً فى مذكراته، وأسماه "وفاء وثناء". كان محور الفصل الثناء على الرجال الذين بذلوا الجهد، وضحوا من أجل استقلال السودان، وعدَّد نحو مائة وخمسين شخصاً، ولم يكن الأستاذ محمود من بينهم.

إن الذين كتبوا مذكراتهم، من طلائع المتعلمين، كانوا من قادة السودان، الذين شاركوا فى النضال من أجل خروج المستعمر، وقاد بعضهم السودان بعد استقلاله عام 1956. وكما أشرت سابقاً، بأن دراستى هذه تزعم بأن قضية الأستاذ محمود، بدأت مع معاصريه من طلائع المتعلمين، حينما وصلوا للتسوية مع الطائفية، بينما كانت الطائفية عند الأستاذ محمود تجميداً لحركة التغيير. كان الأستاذ محمود قد ترسم طريق المواجهة والمناطحة

(1) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 113.

والمصادمة للقوى الاستعمارية ولمراكز السلطة فى المجتمع، الدينية والتقليدية، من أجل تحقيق الاستقلال الحقيقى وإحداث التغيير، ودعا أنداده إلى ذلك، إلا أنهم آثروا طريق المهادنة والتسوية والتصالح والتحالف مع القوى التقليدية والاستعمارية. سار الأستاذ محمود فى طريقه بجسارة وشدة مراس، فبدأت حروب المكائد والدسائس ضده، ونما اتجاه الحسد نحوه. ولعل جهود تضليل الرأى العام فى الموقف من الأستاذ محمود، ومساعى تغييبه عن الذاكرة الجمعية، بدأت مع معاصريه من طلائع المتعلمين، ومن شواهد ذلك إغفال بعضهم لذكره فى مذكراتهم، ومن ثم أخذ التضليل والتغييب طريقه إلى صحائف المؤرخين، وإلى الأرشيف القومى السودانى، وإلى الأكاديميا السودانية.

قراءة فى نماذج المذكرات والشهادات التاريخية

كنت ضمن العديد من الناس الذين تحركت مشاعرهم وروعوا بالطريقة التى تمت بها محاكمة وإعدام القائد الإسلامى محمود محمد طه. وعلى الرغم من أننى لم التق به... وأظن أنه كان معروفاً فقط لأبناء جيله وأتباعه... لم أقرأ فى كتبه شيئا يثير السخط من وجهة نظر إسلامية ولم تكن توحى إلى إثارة الفتن أو التحريض ضد الحكومة، وأفكاره قد تبدو غريبة ومتضاربة مع توجهات الجماعات والطوائف الدينية الأخرى، لكن حسب رؤيتى للأمر لم يكن فى أفكاره ما يدعو لاتهامه بالردة والحكم عليه بالإعدام... وكرجل شارك فى مجلس الشعب وحكومات مايو أعتبر عملية المحاكمة والإعدام عملية يستحيل الدفاع عنها من وجهة نظر الشريعة أو حتى أى قانون علمانى، ولم يكن لهذا العمل أى مبررات تقرها الفطرة السليمة المألوفة. اعتبر كثير من السودانيين، داخل وخارج البلاد، هذه الحادثة نقطة سوداء فى تاريخ السودان (1).

مامون بحيرى *(1925-2002)*

سأدرس هنا نماذج من مذكرات معاصرى الأستاذ محمود. وأقصد بالمعاصرين - لغرض هذه الدراسة- أولئك الذين كانوا عاصروه، وكانوا شهداء على عصرهم فى

---

(1) مامون بحيرى، **لمحات من تجارب رجل خدمة عامة من جيل الرواد السودانيين**، ط1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2001، ص 133-134.

السودان من طلائع المتعلمين. لقد درست معظم مذكرات طلائع المتعلمين، ولكنى اخترت منها سبعة لتكون نماذج لدراستى فى هذا الفصل، مع الإشارة لمذكرات أخرى غير السبع. كان تاريخ ميلاد جميع أصحاب مذكرات نماذجى خلال الفترة ما بين 1905 والعام 1919. كان جميعهم من القادة والشخصيات الفاعلة والمؤثرة بقوة فى الحياة السودانية، وأكثر تأثيراً فى شقها السياسى. فجلهم استوزر أو كان عضواً فى مجلس السيادة، ومن لم يستوزر كان رائداً فى مجاله. نماذجى تنتمى لتيارات سياسية وفكرية مختلفة. من المهم الإشارة إلى أن بحثى، كما ورد آنفاً، فى موضوع الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه، لا يهدف إلى تجريم أو محاكمة أصحاب تلك المذكرات، بقدر ما يهدف إلى تبيين كيف أن الإغفال المتعمد لذكر الأستاذ محمود قاد إلى تضليل المؤرخين الذين ظلوا يعتمدون على تلك المذكرات بوصفها مصدراً من مصادر تاريخ السودان وتاريخ الحركة السياسية السودانية وتطورها. فالركون إلى تلك المذكرات كمصدر تاريخى وهى بتلك الحالة من نقص الأمانة العلمية، أمر محفوف بالمخاطر. كما أن ذلك الإغفال والتجاهل يفسر لنا الكثير من قضايا السودان، ويعيننا على فهم أسباب الانحراف الباكر لمساره، ذلك المسار الذى حدَّدته طلائع المتعلمين، وساروا بالسودان فى وجهة يتكشَّف لنا خطؤها وخطرها كل يوم.

جميع أصحاب النماذج التى سأدرسها، كانوا من الذين شاركوا فى تأسيس مؤتمر الخريجين عام 1938، وكانوا حضوراً فى مهرجان تكوين الأحزاب السودانية. كما هو معلوم، فقد تمحورت الأحزاب التى نشأت فى منتصف الأربعينيات من القرن الماضى، حول حركة الاستقلال و حركةالوحدة/ الاتحاد (مع مصر). كان بعض أصحاب النماذج التى سأدرسها،كما ذكرت ،من قادة التيار الاتحادى (خضر حمد، والشيخ على عبدالرحمن الأمين، وعبدالماجد أبو حسبو الذى جاء للتيار الاتحادى من **الحزب الشيوعى السودانى**)، وبعضهم الآخر من قادة التيار الاستقلالى (محمد أحمد المحجوب، وأمين التوم)، وتنقل يحيى محمد عبدالقادر بين التيارين، بدأ انتماؤه السياسى بالمشاركة فى تأسيس **الحزب الجمهورى** الذى ترأسه الأستاذ محمود عام 1945، ثم انتقل مشاركاً فى تأسيس **الحزب الوطنى** برعاية الخليفة الشريف عبدالرحمن الهندى (???-1964)، وتولى سكرتارية الحزب حتى اندماجه فى **الحزب الوطنى الاتحادى** عام 1953. أصبح جميع

هؤلاء من قادة السودان بعد استقلاله عام 1956. تولى جميعهم حقائب وزارية، عدا الأستاذ يحيى الذى التزم العمل بالصحافة، كان منهم رئيس الوزراء، ونائب رئيس الوزراء، ووزراء للعدل والخارجية والدفاع والاعلام. كتب جلهم المقالة، وأصدر بعضهم الكتب، وكتب المحجوب وخضر حمد الشعر العربى. لم ينشر خضر حمد شيئاً من شعره، ونشر المحجوب شعره فى أربعة دواوين.

لقد درست سبعة نماذج من المذكرات. قدمت تعريفاً بها وحول كُتابها، ووقفت على فصولها، وتقصيت فى نصوصها الإشارات للأستاذ محمود. كان جميع كُتابِ تلك النماذج من معاصرى الأستاذ محمود، وهم:

1- أحمد خير المحامى (1905-1995): **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، وقد صدرت مذكراته أول مره عام 1948، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2002.

2- السيد خضر حمد (1910/8 - 1970). وقد صدرت **مذكراته بعنوان: مذكرات خضر حمد: الحركة الوطنية السودانية، الاستقلال وما بعده**، مكتبة الشرق والغرب بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1980.

3- الشيخ على عبدالرحمن الأمين (1906-1983). صدرت مذكراته بعنوان: **الديمقراطية والاشتراكية فى السودان**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1970.

4- السيد أمين التوم (1914-2004). صدرت مذكراته بعنوان: **ذكريات ومواقف فى طريق الحركة الوطنية السودانية** 1914-1969، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط2، 2004. (كانت الطبعة الأولى قد صدرت عن دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ولم ترد إشاره لتاريخ نشرها فى الطبعة الثانية).

5- الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011). صدرت مذكراته بعنوان: **على هامش الأحداث فى السودان**، الدار السودانية للكتب، الخرطوم (بدون تاريخ نشر).

6- السيد عبد الماجد أبو حسبو (1919-1985). صدرت مذكراته بعنوان: **مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، الجزء الأول**، دار صنب للنشر والتوزيع، الخرطوم، ط1، 1987.

7- السيد محمد أحمد المحجوب. صدرت مذكراته بعنوان: الديمقراطية فى الميزان: تأملات فى السياسات العربية والأفريقية، عام 1974م باللغة الإنجليزية. أما الترجمة العربية التى وقفت عليها فقد صدرت فى طبعتها الثالثة عام 1989 من دار جامعة الخرطوم للنشر، وطبعتها مطابع الأهرام، القاهرة، مصر.

الأستاذ محمود وشهادة الأستاذ أحمد خير المحامى(1)

كان الأستاذ محمود محمد طه رجلاً مختلفاً(2)

محمد فضل الله المكى

كان الأستاذ أحمد خير المحامى أول الذين كتبوا مذكراتهم من بين نماذجى التى أدرسها الآن. فقد نشر أحمد خير مذكراته: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، فى طبعتها الأولى عام 1948. برغم أن أحمد خير قدم شهادة قوية وناصعة فى حق الأستاذ محمود وفى حق **الحزب الجمهورى** ورجال الحزب، ولا بد من أن جل طلائع المتعلمين قد اطلعوا عليها، إن لم يكن كلهم، برغم قوة شهادة أحمد خير ونصاعتها لم يرد ذكر للأستاذ محمود ولا **للحزب الجمهورى** فى مذكرات طلائع المتعلمين، خاصة نماذجى التى أدرسها فى هذا الفصل. لقد أفرد أحمد خير عنواناً جانبياً لا تخطئه العين، باسم:

---

(1) وُلد أحمد خير المحامى بقرية فداسى العامراب شمال ود مدنى، وتخرج فى قسم المترجمين بكلية غردون عام 1925، وبعد افتتاح مدرسة الحقوق التحق بها عام 1939 وتخرج فيها ثم أصبح محامياً منذ عام 1944، فى مدينة مدنى والخرطوم. وكان منذ الثلاثينيات مشغولاً بالسياسة والثقافة، وكان من مؤسسى جمعية ود مدنى الأدبية. من منبر هذه الجمعية القى محاضرته الشهيرة: واجبنا السياسى بعد معاهدة 1936، واقترح فيها تأسيس فكرة مؤتمر الخريجين أوائل عام 1938. وهو صاحب اقتراحات كثيرة كان المؤتمر قد تبناها وكانت ذات أثر كبير منها: اقتراح قيام مهرجان أدبى يعقد كل عام فى عاصمة من عواصم المديريات، واقتراحه بقيام يوم التعليم، واقتراحه بقيام يوم القرية، تسافر فيه وفود المؤتمر للقرى لتوعية الأهالى. وبعد انشقاق المؤتمر كان من رواد الاتحاديين وقد أخرج كتابه كفاح جيل واشترك مع مبارك زروق فى تأليف كتاب مآسى الإنجليز فى السودان. ففى فترة الحكم العسكرى الأول (1958-1964) تم اختياره مستشاراً قانونياً للمجلس العسكرى الأعلى ثم عين وزيراً للخارجية حتى عام 1964. بعد ذلك رجع لمهنة المحاماة. المصدر: عون الشريف قاسم، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن**، ج1، مرجع سابق، ص 69؛ المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مرجع سابق، ص 71-69.

(2) محمد فضل الله المكى، "**لست جمهورياً....ولكن**"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

"**الحزب الجمهورى**" حينما تحدث فى فصل عن نشأة الأحزاب. كتب الأستاذ أحمد خير وهو يتحدث عن نشأة **الحزب الجمهورى** قائلاً:

ولما وضحت معالم الخلاف واشتد وطيسه بين الاتحاديين والانفصاليين، نشأ **الحزب الجمهورى**، وهو حزب ينادى باستقلال السودان من مصر وانجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية. ولقد همس بالفكرة جماعة من أنصار الوضع الحاضر وكانت تبدو حلاً وسطاً وقنطرة يلتقى عندها دعاة الألفة والوئام من صفوف الفريقين لكنها لم تلق رواجاً لأن أساسها انفصالى. وبعد فترة من الزمن نادى بها رئيس وأعضاء **الحزب الجمهورى** القائم الآن[1].

ثم تناول أحمد خير بالحديث رجال **الحزب الجمهورى** ورئيس الحزب الأستاذ محمود، وتحدث عن سماته وصفاته، وأشار إلى اختلاف نهج رجال **الحزب الجمهورى** قائلاً:

لقد برهن رجال **الحزب الجمهورى** على صدق عزيمتهم وقوة إيمانهم لذلك يتمتعون باحترام الجميع، كما برهن رئيسهم (الأستاذ محمود) على إخلاص وصلابة وشدة مراس، ولعل هذه الأسباب نفسها مضافة إلى اختلاف أهدافهم هى التى جعلتهم يقفون فى عزلة وانفراد، غير أن شدة العداء بين الجمهوريين **وحزب الأمة**، قدم دليلاً جديداً لعله أقطع الأدلة على انطواء الأخيرين على فكرة الملكية، فالحزبان استقلاليان، ولما لم يكن بين الجمهورية والملكية توسط كان من البديهى أن تقوم الملكية فى الجانب الثانى بعد أن قامت الجمهورية فى الأول وإلا لما كان هناك مجال لعدم التعاون أو الاندماج[2].

تحدث أحمد خير المحامى فى مذكراته من خلال سبعة فصول. وقد وصف محتويات كتابه قائلاً:

ليست محتويات هذا الكتيب إذن تاريخاً للسودان، وإنما هى عرض لثمرات مجهود الخريجين فى التطور الاجتماعى فى السودان، ومن ناحية أخرى هى ترجمة لجيل، جيل ظهر فى عالم الوجود فى منتصف العقد الثانى من القرن العشرين، وقام بتجربته الأولى فى

---

(1) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 95، 96.
(2) المصدر السابق، ص 95، 96.

منتصف العقد الثالث، وقضى قرابة عقدين آخرين فى فترة تنظيم جديد ثم ها هو ذا يخرج بتجربته الثانية فى منتصف العقد الخامس(1).

تحدث أحمد خير فى الفصل الأول عمَّا أسماه: قيادتين وجيلين، وتناول الفصل الثانى ما أسماه بانتفاضات حركة 1924، وتحدث فى الفصل الثالث عن المدارس الفكرية ومناورات الاستعمار والتعليم والانقسام الأول ومعاهدة 1936 والمهرجان الأدبى تحت عنوان: إعداد وتنظيم. وخصص الفصل الرابع لمؤتمر الخريجين، بينما وقف فى الفصل الخامس على نشأة الأحزاب، من خلال المحاور والعناوين الجانبية التالية: الاتحاديون، الأشقاء، الأحرار، وحدة وادى النيل، القوميون، تقرير المصير، **حزب الأمة**، **الحزب الجمهورى**، نظرة عامة على الأحزاب، الائتلاف، مقاطعة الانتخابات. وتناول الفصل السادس الجبهة الخارجية، والفصل السابع نحو أفق جديد ثم الملاحق.

التجاهل برغم شهادة أحمد خير الناصعة

الأستاذ محمود، مفكراً من تاريخنا، أم أفكاراً لمستقبلنا؟ ما سر الأصرار العجيب على التجانس فى حياة و ممات الأستاذ محمود محمد طه؟ ما أهمية أن تكون اقوالك متجانسة وأفعالك؟ (2)

Roada

إن التجاهل الذى سأقف عليه فى الصفحات القادمة، من قبل معاصرى الأستاذ محمود، لذكره وذكر نضاله ودوره فى الحركة الوطنية فى مذكراتهم وفى سيرهم الذاتية، برغم شهادة أحمد خير والتى نشرت قبل إعدادهم لمذكراتهم، إن هذا التجاهل يدعم بقوة زعمى القائل بأن تجاهل الأستاذ محمود وتجاهل الإشارة إلى **الحزب الجمهورى** فى نماذج المذكرات التى درستها كان تجاهلاً متعمداً، لم يك التجاهل من واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة وإنما تجاهل جماعى، بما يشبه التحالف والاتفاق غير المكتوب. وهذا ما سنقف عليه من خلال دراسة نماذجى المشار إليها.

---

(1) المصدر السابق، ص 10.

(2) Roada ، "الأستاذ محمود محمد طه، مفكراً من تاريخنا، أم أفكاراً لمستقبلنا؟"، **من موقع سودانيز أونلاين**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: .http://www.sudaneseonline.com لم استطع معرفة الاسم الكامل لكاتبة النص.

الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه

أنا مرة اعتقلت بواسطة البوليس السرى،.. ونحن (الشيوعيين) معروف عندنا، لما واحد يعتقل، ما فى زول بسأل عنو ولا يزورو، عشان ما ندى فرصة لأى أخذ معلومات.. يوم الشاويش قال لى عندك زيارة.. قلت يارب المغفل الزارنى دا منو، يمكن يكون واحد من أهلنا الشايقية، جا من البلد، وما عارف الحاصل.. لما مشيت مكتب القمندان، لقيتو دا الأستاذ محمود!! قال لى: أنا كنت فى المشاريع، وأول ما جيت كوستى، عرفت إنك معتقل، قلت أشوفك. قلت ليهو: يا أستاذ نحن ما دايرين زيارات، عشان البوليس السرى، ما يقوم يدخلكم فى مشكلة. ابتسم وقال: انت الخوف العندك دا، داير تنقلوا لى أنا؟! قلت ليهو: يا أستاذ قالو من خاف سلم. ضحك وقال: هى سلم نفسها معناها شنو، غير السلامة من الخوف؟[1].

يونس الدسوقى (???-2006)

تعريف بالسيد خضر حمد[2]

بدأ السيد خضر نشاطه السياسى متخذاً من المناضل عبيد حاج الأمين (1898-1933)، نموذجاً له. قال فى مذكراته (ص 20): "اتخذت من عبيد هذا مثلاً وصممت بينى وبين نفسى ألا أتزوج والبلاد تحت الاستعمار". لم يتزوج السيد خضر حتى وفاته وقد أشار إلى

(1) عمر القراى، "فى ذكرى الاستاذ محمود: سلام على يونس الدسوقى فى العالمين!!"، **من سودانايل**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/1، الموقع على الإنترنت: http://www.sudanile.com

(2) نشأ السيد خضر حمد عمر (1910/8-1970) فى مدينة الأبيض، وتلقى تعليمه الابتدائى فيها. ثم انتقل بعد نهاية المرحلة الابتدائية إلى الخرطوم، والتحق **بكلية غردون**، وتخرج فى قسم الكتبة عام 1929. بعد تخرجه عمل بمصلحة المالية. والتحق عام 1930 **بلجنة المدرسة الأهلية** عضواً، ثم مساعداً للسكرتير، فسكرتيراً حتى عام 1945. ساهم فى قيام مؤتمر الخريجين، وكان من مؤسسى **ملجأ القرش**. فى عام 1946 انتقل إلى القاهرة للعمل فى **جامعة الدول العربية**، حيث عُين بوظيفة محرر بقسم المحفوظات، وتدرج حتى وصل وكيلاً للإدارة المالية فيها. قدم استقالته من وظيفته وعاد للسودان عام 1950. انتخب للبرلمان 1953-1958، وعُين عام 1954 وزيراً للدولة بلا أعباء، ثم وزيراً للرى والقوة الكهربائية. أصبح عضواً فى **مجلس السيادة** (969-1965) بعد ثورة أكتوبر عام 1964.

ذلك إشارات متكررة فى مذكراته. كان السيد خضر من جماعة أبى روف فى الثلاثينيات. وأصبح عضواً فى حزب الأشقاء، وعضواً فى الجبهة الاتحادية (الأشقاء، والاتحاديين والأحرار)، التى نادت بـ: "قيام حكومة سودانية ديمقراطية فى اتحاد مع مصر تحت تاج واحد". ثم أصبح سكرتيراً عاماً **للحزب الوطنى الاتحادى** عام 1953. كان من المتحمسين لفكرة القومية العربية وللوحدة العربية، وزار معظم البلدان العربية. قال فى مذكراته (ص 115): "إن فكرة القومية العربية وتعزيزها، والوحدة العربية والدعوة لها كانت تملك تفكيرى". نشر عدداً من المقالات والقصص والأشعار، كلها كانت بأسماء مستعارة. قال فى مذكراته (ص 45): "لم أكتب مطلقاً تحت اسمى السافر وكانت جميع كتاباتى وفى كل الجرائد والمجلات التى ساهمت فى تحريرها ألجأ فيها إلى الامضاءات المستعارة...".. ففى مجلة "النهضة" كان يكتب بإمضاء (محتار)، وفى جريدة "السودان" بامضاء (طبجى) و(قارئ)، وفى مجلة الفجر بامضاء (مصور). وعن أثر هذه الامضاءات ذكر السيد خضر فى (ص 45) قائلاً: "وقد حرمتنى هذه الامضاءات المستعارة أن أُعد فى جملة الأدباء أو الكُتاب...".

مذكرات السيد خضر حمد

صدرت مذكرات السيد خضر حمد، فى طبعتها الأولى عام 1980، بعنوان: مذكرات خضر حمد: الحركة الوطنية السودانية: الاستقلال وما بعده، عن مكتبة الشرق والغرب بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة. بلغ عدد صفحاتها ثلاثمائة وست وستين صفحة من القطع المتوسط. تحدث السيد خضر فى مذكراته عن نشأته وعن الأحداث التى ساهم فيها أو علم بها من خلال عناوين. يعطى الحدث عنواناً ثم يتحدث عنه. بدأت المذكرات بتقديم كتبه الأستاذ الهادى أبوبكر اسحق، وهو من خريجى كلية غردون، عمل معلماً، ونائباً لمدير المعارف، ثم مقدمة كتبها السيد خضر، وتلى ذلك حديث عن النشأة تحت عنوان: "أثر البيئة". وانتهت المذكرات بالحديث عن انتقال السيد خضر من القصر الجمهورى إلى سجن كوبر فى فجر يوم 25 مايو 1969، ومرافقته للرئيس إسماعيل الأزهرى الذى جئ به إلى كوبر صباح نفس اليوم. وترافقا فى سجن كوبر لأكثر من ثلاثة أشهر، حتى وفاة الرئيس

الأزهرى، التى خصص لها السيد خضر آخر صفحتين من مذكراته تحت عنوان: "ذهب ولم يعد". تلتها الملاحق.

معاييـــر مذكراتـــه

كانت معايير السيد خضر فى تدوين مذكراته تقوم، كما أشار ، على تسجيل الأحداث التى ساهم فيها أو علم بها علم اليقين. كتب فى مقدمة مذكراته قائلاً: "إن هذا الذى أكتبه ليس تسجيلاً لحياتى الخاصة، لأن حياتى الخاصة محيطها ضيق وليس فيها من المغامرات والأحداث ما يجعلها شيقة أو تستحق التسجيل، كما أنه ليس اعترافات أريد أن أكشفها للناس ليجدوا فيها شيئاً من العبرة أو العظة"، وإنما "تتبعت نشاطى منذ أن عرفت الحياة العامة، ووجدت ودون أن أقصد أننى أسجل حقبة من التاريخ ولكنها حقبة صحيحة سليمة أمينة. لم يداخلها الحدس أو التخمين أو الاستنتاج أو استقراء الحوادث ولكن حرصت أن أسجل كل ما أعلمه علم اليقين وساهمت فيه فعلاً ولم أنقله من غيرى أو أقرأه فى مرجع أو استقيته من عليم".

الأستاذ محمود فى مذكرات خضر حمد

لم يرد اسم الأستاذ محمود قط فى مذكرات السيد خضر حمد. على الرغم من أن السيد خضر حمد تناول فى مذكراته أحداثاً كان الأستاذ محمود فى قلبها. تحدث السيد خضر فى مذكراته عن الأحزاب وتاريخ نشأة بعضها، وأشار إلى الأشقاء والاتحاديين، **وحزب الأمة**، وجماعة الأحرار، **والحزب الوطنى الإتحادى، والحزب الجمهورى الإشتراكى، وحزب الاستقلال الجمهورى، وحزب الشعب الديمقراطى**. ولم ترد حتى مجرد إشارة لنشأة **الحزب الجمهورى**. أهمل ذكر الجمهوريين، وأهمل ذكر رئيس حزبهم الأستاذ محمود. وتحدث السيد خضر عن الطائفية، تحت عنوان "الطائفية" وعن الموقف منها. وفى هذا كان للأستاذ محمود مواقف مشهودة وموثقة فى صدامه مع الطائفية. تحدث السيد خضر عن دعاة الاستقلال، وأشار إلى **حزب الأمة** والجبهة الاستقلالية، ولم يرد ذكر لاسم الأستاذ محمود. لقد كان الأستاذ محمود، رئيس **الحزب الجمهورى**، من دعاة

الاستقلال، وكان من مؤسسى الجبهة الاستقلالية. جاء فى موقع **حزب الأمة القومى** على شبكة الإنترنت: "بادر **حزب الأمة** بتكوين الجبهة الاستقلالية للعمل على إنهاء الحكم الثنائى والتى تشكلت فى 28 أكتوبر 1946 فى دار **حزب الأمة** من:**حزب الأمة، حزب القوميين الأحرار، حزب الأحرار، الحزب الجمهورى**، ونفر من المستقلين"[1].

سجــن كوبــر

فى رحلة نضاله ضد الاستعمار، تحدث السيد خضر عن دخوله لسجن كوبر عام 1948، ووصف شعوره فى السجن، وكيف أن السجن كان رهيباً، وأشار لبعض من كان معه. لقد سبق الأستاذ محمود السيد خضر إلى سجن كوبر مرتين، كما ورد آنفاً. ولا شك أن السيد خضر قد سمع بسجن الأستاذ محمود الأول، وسمع بثورة رفاعة التى قادها الأستاذ محمود عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين، قضى جزءاً منها فى مدنى والجزء الآخر فى سجن كوبر. لقد غطت الصحف المحلية فى الخرطوم الخبرين، لاسيما صحيفة الرأى العام التى تابعت الخبرين ونشرت برقيات كثيرة، عبَّر الناس فيها عن مناصرتهم للأستاذ محمود، ودعمهم لمواقفه البطولية. هذا إذا لم يكن سجن الأستاذ محمود فى المرة الثانية متزامناً مع سجن السيد خضر. الشاهد أنه لم يرد ذكر لثورة رفاعة أو سجن الأستاذ محمود فى مذكرات السيد خضر.

سنوات مجلس السيادة

تحت عنوان: "أحداث"، تناول السيد خضر الأحداث العديدة "كما وصفها" التى مرت خلال الفترة التى قضاها عضواً بمجلس السيادة (1965-1969). تحدث عن أحداث مختلفة منها: حل **الحزب الشيوعى**، وعن الهزيمة الإسرائيلية للعرب، ومؤتمر القمة العربية الذى عقد فى الخرطوم عام 1967 ...إلخ. وفى كل هذه الأحداث كان الأستاذ محمود حاضراً وبقوة، وزع المناشير، ونشر الكتب، وأقام المحاضرات حول هزيمة إسرائيل للعرب، وحل

---

(1) عن **حزب الأمة**، التاريخ: المراحل السبعة، "المرحلة الأولى: تكوين الحزب 1945 وحتى انقلاب 1958"، مرجع سابق.

الحزب الشيوعى. كما شارك الأستاذ محمود فى تأسيس "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية"، الذى قام إثر إذاعة قرار الجمعية التأسيسية (البرلمان) بحل **الحزب الشيوعى** السودانى. كتب الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004) قائلاً: "وُلد فى شهر نوفمبر 1965 "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" والذى ضم (32) تنظيماً من بينهم **حزب الشعب الديمقراطى والحزب الشيوعى السودانى** ومنظمات الاشتراكيين العرب **والحزب الجمهورى** الذى يقوده محمود محمد طه..."[1].

محكمة الردة عام 1968

فوق كل ذلك لم يرد فى مذكرات السيد خضر، حتى ولو مجرد إشارة، حديث عن محكمة الردة التى عقدت عام 1968، وحكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام. كانت محكمة الردة من أهم أحداث العهد الذى تحدث عنه. خاصة وأن السيد خضر تحدث فى مذكراته عن اهتمامه بالقضاء وصلته بمجلس السيادة، وعبَّر عن تعاطفه مع المحكوم عليهم. كما وصف تلك الفترة التى كان فيها عضواً بمجلس السيادة بأنها فترة الحرية المطلقة للجميع، قائلاً فى صفحة (323): "لو امتاز هذا العهد، أى منذ قيام ثورة أكتوبر وبعد الانتخابات الأولى وتسلم الحكومة شؤون البلاد، لو امتاز هذا العهد بشئ، فهو امتيازه بمنح الحرية المطلقة للجميع". لم تكن محكمة الردة، أمر يسهل نسيانه، بل لم تكن غائبة عن السيد خضر، فقد ذكَّره بها الأستاذ محمد خير البدوى، فى رسالة خاصة بعث بها إليه. قال الأستاذ البدوى فى مذكراته: "وقد أحزنتنى الفتوى التى صدرت فى عهد الحكم الديمقراطى بتكفير محمود محمد طه، ورأيت فيها شططاً كبيراً واعتداءً على حرية الفكر والعقيدة. وكتبت رسالة فى هذا الشأن إلى الحاج خضر حمد، عضو مجلس السيادة، فرد علىّ برسالة مطولة بتاريخ 1969/4/28، اقتطف منها ما يلى: "أما محمود محمد طه فقد... استفتينا علماء السودان ومصر ومشائخ الطرق وأصحاب السبح والدراويش والعلماء فى الجامعة الإسلامية وجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة وكلهم كفَّره وخطَّأه. هل يترك ليعير أم يُسلم لكوبر؟؟"[2].

---

(1) أبو القاسم حاج حمد، السودان: **المأزق التاريخى وآفاق المستقبل** 1956-1996، مرجع سابق، ص 318-320.
(2) محمد خير البدوى، مصدر سابق، ص 402 ، 403.

إن الأستاذ محمود لا يمكن أن يُنسى لدى معاصرية. فقد عاش حياة عاصفة، وصنع أحداثاً ساطعة، ووقف مواقف علنية مشهودة وموثقة. ولهذا، فإن عدم ذكر الأستاذ محمود فى مذكرات السيد خضر يصعب فهمه بل ربما دلَّ على نيِّة لتغييبه عن الذاكرة الجمعية، وتغييب دوره فى الحركة الوطنية السودانية. وهذا ما يحدث بالفعل عند المؤرخين وفى دراسات الطلاب الجامعية وفوق الجامعية. إذ لا تكاد تخلو قائمة المصادر والمراجع لكل الدراسات السودانية التى كتبت عن الحركة الوطنية والتطور السياسى فى السودان، خلال ثلاثة العقود الماضية، سواء كانت كتاباً أو أطروحة دكتوراة أو ماجستيراً عن ذكر مذكرات السيد خضر حمد.

تعريف بالشيخ على عبدالرحمن الأمين

كان الشيخ على[1] عروبياً واشتراكياً، قال فى مدخل كتابه: "أنا رجل عربى الاتجاه وقد سيطر هذا الاتجاه العربى المتحرر على كل تصرفاتى فى المجال السياسى منذ بزوغ شمس الحركة الوطنية فى نطاق مؤتمر الخريجين"، وأضاف الشيخ على قائلاً: "آمنت بالقومية العربية منذ أن بدأت الثورة العربية فى مصر بقيادة الزعيم العظيم جمال عبدالناصر". وأضاف قائلاً: "كما أننى رجل اشتراكى مؤمن بهذا السلوك الاشتراكى منذ سنى الدراسة. فقد اقتنعت منذ دراساتى الإسلامية وتفهمى لروح الإسلام وفلسفته أن الاشتراكية هى الحياة التى يدعو لها الإسلام ويطالب البشر بسلوكها". من الطرائف السياسية التى يمكن أن تُذكر، أن الأستاذ مبارك زروق (1914-1965)، وهو من قادة **الحزب الوطنى الاتحادى،** أطلق على الشيخ على عبدالرحمن اسم "الشيخ الأحمر" فى ندوة بجامعة الخرطوم. اتخذ

---

(1) وُلد الشيخ على فى الخرطوم. وتخرج فى قسم القضاء **بكلية غردون**. وعمل بالقضاء الشرعى حتى عام 1952. ثم استقال من عمله، ورشح نفسه للإنتخابات الأولى عام 1954، وعُين وزيراً للعدل فى أول حكومة سودانية حققت الاستقلال. ظل وزيراً فى كل الحكومات الوطنية التى تعاقبت حتى قيام الحكم العسكرى عام 1958. وعاد للوزارة بعد ثورة أكتوبر عام 1964. كان وزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الوزراء عند قيام ثورة مايو عام 1969. يُعد الشيخ على من الأعضاء البارزين فى مؤتمر الخريجين، ومن مؤسسى **حزب الأشقاء**، ومن دعائم **الحزب الوطنى الإتحادى**. كان رئيساً **لحزب الشعب الديمقراطى**، الذى نشأ فى يونيو عام 1956، وظل رئيساً له حتى اندماجه مع **الحزب الوطنى الإتحادى** عام 1967، لتكوين **الحزب الإتحادى الديمقراطى**، برئاسة إسماعيل الأزهرى. وأصبح الشيخ على نائباً للرئيس.

الأستاذ محمد أبوالقاسم حاج حمد (1942-2004)، من اسم "الشيخ الأحمر على عبدالرحمن"، عنواناً للحديث عن الشيخ على، وأفرد له حيزاً فى كتابه: السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل 1956-1996[1].

مذكرات الشيخ على

صدرت مذكرات الشيخ على فى طبعتها الأولى عام 1970، بعنوان: **الديمقراطية والاشتراكية فى السودان**، عن المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. بلغ عدد صفحاتها مائة وسبعاً وسبعين صفحة من القطع المتوسط. كانت مذكرات الشيخ على من ضمن النماذج التى درسها محمد سعيد القدال (1935-2008)، فى بحثه: "ملاحظات حول بعض كتب السِّيرة الذاتية السودانية وقيمتها كمصدر لدراسة التاريخ"، والتى خلص فيها، كما وردت الإشارة، إلى: "إن قيمة غالبية هذه الكتب كمصدر للتاريخ ضعيف، وبعضها لا قيمة له"[2]. تهيكلت مذكرات الشيخ على بعد الإهداء والمدخل فى قسمين: القسم الأول: تناول فيه الحركة الوطنية عبر التاريخ: قدم لمحة تاريخية عن السودان وتركيبته، وجذور القومية العربية، والثورة المهدية، والحكم الثنائى، ومسألة الجنوب، ومسألة اتفاق الأحزاب الشمالية لحل قضية الجنوب، والحكم الإقليمى، وجمعية اللواء الأبيض، ومشروع الجزيرة، والإدارة الأهلية، والمجلس الإستشارى. ثم تحدث عن تأسيس مؤتمر الخريجين، ونشأة الأحزاب السياسية. أما القسم الثانى: فتناول فيه عهد الاستقلال قبل ثورة أكتوبر، والدكتاتورية العسكرية، وتناول تركيبة الشعب السودانى وأوضاعه، والصلة بين الديمقراطية والاشتراكية، والديمقراطية الشعبية ونظام الحزب الواحد. ثم قدم ملاحظات حول ثورة مايو وتقييم لها كثورة اشتراكية. وختم حديثه متناولاً الموقف من الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية. بعد أن فرغ من مسودة كتابه وقبل تقديمه للمطبعة، كما ذكر، أعلن الراديو وفاة الرئيس جمال عبدالناصر،

---

(1) محمد أبوالقاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل** 1956-1996، مرجع سابق، ص 326-344.

(2) محمد سعيد القدّال، "ملاحظات حول بعض كتب السِّيرة الذاتية السودانية وقيمتها كمصدر لدراسة التاريخ"، **الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 133-152.

فألحق بمسودة كتابه كلمة كتبها عن جمال عبدالناصر تحت عنوان: "بطل الاشتراكية وباعث القومية العربية جمال عبدالناصر". وتجد هذا العنوان فى قائمة المحتويات ولا تجده فى صدر نص الكلمة عن جمال عبدالناصر.

الأستاذ محمود فى مذكرات الشيخ على

قال الشيخ على فى بداية القسم الأول: الحركة الوطنية عبر التاريخ، "صفحة 19" "لاحظت أن الفترة التى بدأت سنة 1938م بقيام مؤتمر الخريجين إلى يومنا هذا (يوم فراغه من الكتابة فى عام 1970)، لم تحظ بشئ من الشرح والتوضيح وأهملها المؤرخون والمثقفون مع أن الكثيرين منهم عاشوا فى أحداثها وكانوا عنصراً هاماً فى تكوين تلك الأحداث. حتى وصل الأمر إلى أنك تناقش الكثيرين من المثقفين فتشعر أنهم يجهلون الكثير مما جرى أثناء هذه الفترة وحتى الذين مكنتهم ظروفهم بمتابعته أو سمعوا عنه بعض التفاصيل لا يدركون ما يشوبه من اختلاف وتحريف وتضليل". من الواضح أن الشيخ على كان حريصاً أن لا يشوب تلك الفترة التحريف أو التضليل. وأراد أن يُملِّك الأجيال حقائق الأحداث. على الرغم من هذا الحرص، وهو حرص محمود ومطلوب عند تسجيل الأحداث، وتدوين معالم التاريخ، إلا أن الشيخ على وقع فيما حذَّر منه.

نشأة الأحزاب وإغفال الحزب الجمهورى

تحدث الشيخ على عن نشأة الأحزاب السياسية، وذكر الأشقاء والاتحاديين، و**حزب الأمة**. وتحدث عن اندماج الأحزاب الاتحادية فى **الحزب الوطنى الاتحادى**. وأشار إلى جبهة الجنوب، و**حزب سانو**، و**حزب الأحرار**، و**الحزب الشيوعى**، و**الحزب الجمهورى الاشتراكى**، وجماعة الإخوان المسلمين، وجبهة الميثاق فيما بعد، وبالطبع **حزب الشعب الديمقراطى** الذى كان رئيسه. ولم ترد حتى مجرد إشارة **للحزب الجمهورى**، أو إلى رئيسه الأستاذ محمود. الإشارة الوحيدة التى وردت عن **الحزب الجمهورى** كانت بالخطأ. فقد قال فى صفحتى (84، 85): "وقد تنبه البريطانيون بعد فوات الأوان للخطأ الذى

ارتكبوه فى إنشاء **حزب الأمة** فى أحضان عـائلة المهدى وعلى أكتاف أنصار المهـدية كما أنهم بلا شك كانوا أيضاً على وجل أن يتـجه السيد عبدالرحـمن المهدى فى أية لحظة نحو الطريق الوطنى الصحيح بدافع من وطنيته وطموحه فلا يجدون سنداً يتكئون عليه فأنشؤوا **الحزب الجمهورى** وأخطؤوا مرة أخرى فـأقاموا ذلك الحزب على أكتاف زعمـاء العشائر ورؤساء القبائل فمات ذلك الحـزب وهو لا يزال يحبو ولما يقف على رجليه". من الواضح أن الشيخ على كـان يقصد **الحزب الجمهـورى الاشتراكى** وليس **الحزب الجمـهورى** الذى ترأسه الأستاذ محمـود منذ إنشائه فى يوم الجمعة 26 أكتوبر 1945. تحدث الشيخ على عن الذين سجنـوا فى نضالهم ضد الاسـتعـمار، وأشار إلى عـدد منهم. ولم يرد ذكر للأسـتاذ محمود أو ذكر لسجنه فى المرتين، اللتين سجن فيهـما الأستاذ محمود خلال الفترة من عام 1946 حتى عام 1948.

مؤتمـر الدفـاع عـن الديمقراطيـة

أيضاً، من الأحداث التى تقاطع فيها الأستاذ محمود مع الشيخ على، تأسيس "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقـراطية"، الذى جاء إثر النداء الذى وجهه اتحـاد طلاب جامعة الخرطوم لعقد لقاء للمنظمات الديمقراطية، فور إذاعة قرار الجمعية التأسيسية (البرلمان) بحل **الحزب الشيوعى السودانى**. كتب الأستاذ محمـد أبو القاسم حاج حمد، وهو من قادة **حزب الشعب الـديمقراطى** فى سنى شبـابه الباكر، وكان فـى شبابه ملازمـاً للشيخ على، وقد أشار لذلك فى كتاباته. ولمحمد أبو القـاسم موقف سلبى من الأستاذ محمود ربما تبلور فى تلك المرحلة البـاكرة من حيـاته، وسيأتـى الحديث عن ذلك لاحقـاً ضمن محور: الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميـون: محمد أبو القاسم حاج حمد (نموذجاً). كتب محمد أبو القـاسم فى كتابه آنف الذكر قائلاً: "لم يكن **الحزب الشيوعى** وحده فى المعـركة ضـد حكومة "مـحمـد أحمـد المحجـوب" القائمـة على تحالف حـزبى " **الأمة**" و"**الوطنى الاتحادى**" والمدعومة بالأخوان المسلمين... كمـا لم يكن عبدالخالق محجوب وحده بقوة **الحزب الشيوعى**... استجاب **حزب الشعب الـديمقراطى** على نحو فورى للنداء الذى وجهـه اتحاد طلاب جامـعة الخرطوم من أجل عـقد مؤتمر بدار الاتحـاد العام

لطلاب جامعة الخرطوم لكافة المنظمات الديمقراطية ينعقد تحت شعار "الدفاع عن الديمقراطية". وهكذا وُلد في شهر نوفمبر 1965 "المؤتمر الوطني للدفاع عن الديمقراطية" والذي ضم (32) تنظيماً من بينهم حزب **الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي السوداني** ومنظمات الاشتراكيين العرب **والحزب الجمهوري** الذي يقوده محمود محمد طه...."(1).

كان **الحزب الجمهوري** برئاسة الأستاذ محمود حاضراً في ذلك التجمع، مع **حزب الشعب الديمقراطي** برئاسة الشيخ علي، والتنظيمات الأخرى. إن عدم ذكر الشيخ علي **للحزب الجمهوري** ولرئيسه الأستاذ محمود، وهو يتحدث عن نشأة الأحزاب السودانية، أمر يناقض ما ذهب إليه في مقدمته، من حرص على عدم التحريف والتضليل. إذ كتب كما أشرت آنفاً وهو يتحدث عن ما شاب الكثير مما جرى في تاريخ الحركة الوطنية منذ قيام مؤتمر الخريجين سنة 1938، من تضليل وتحريف قائلاً: "وحتى الذين مكنتهم ظروفهم بمتابعته أو سمعوا عنه بعض التفاصيل لا يدركون ما يشوبه من اختلاف وتحريف وتضليل". هذا بشأن الذين تابعوا التفاصيل أو سمعوها، فما بالك بالأجيال التي أتت بعد عشرات السنين، والتي ستأتي بعدها. إنها ستجد أن تغييباً كبيراً قد تم للأستاذ محمود عن الذاكرة الجمعية، ومساعٍ كثيرة قد بذلت من أجل التضليل في سيرته وحياته وقصة نضاله من أجل السودان والبشرية جمعاء. ولكن العزاء أن الأجيال الجديدة ستكون قادرة على التنقيب والفحص والتمحيص ومقارنة القرائن، أكثر من أي وقت مضى، وذلك بما فطرت عليه من تحرر في العقول والقلوب، وبما تملكه من مقدرات، وبما لديها من إمكانيات وأدوات. ستعيد الأجيال الجديدة كتابة تاريخ السودان بوعي أكبر وبمناهج علمية أكثر صرامة. ولسوف يتكشّف حينها أن ذلك التاريخ لم يكتب بالحياد الكافي، إن لم نقل بالأمانة الكافية.

من المهم الإشارة إلى أن الشيخ علي -حال معظم طلائع المتعلمين- لم يك على وفاق مع الأستاذ محمود في الرؤية السياسية. فعلى سبيل المثال، عندما سافر الشيخ

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخي وآفاق المستقبل** 1956-1996، مرجع سابق، ص 318-320.

على والسيد إسماعيل الأزهرى إلى مصر بعد جفوة بين أزهرى والمصريين بسبب إنحياز الأول للاستقلال، وخلافات الختمية مع أزهرى، ائتلف الختمية مع الأمة فتكونت حكومة السيدين.. فاتجهت مصر لتجميع أزهرى والختمية لإحياء فكرة الاتحاد مع مصر، ونسب لشيخ على أنه قال لصحف القاهرة إن حزبه الآن يقف فى المعارضة. الأمر الذى يدل على استجابته لرغبة المصريين.هذا فى الوقت الذى كان فيه شيخ على لا يزال وزيراً فى حكومة السيدين. حينها صرح الأستاذ محمود **لصحيفة أنباء السودان** قال فى جزء منه: "... ونسب لإسماعيل الأزهرى تصريح أمام جمال عبد الناصر يعترف فيه بهذه الاتفاقية، ويزعم أن هذه الاتفاقية لم تعقنا فى شئْ.. وهذا فى نظرى، بمثابة الخيانة العظمى.. فإن لم يكن هناك قانون يحاكم على الخيانة العظمى، فإن الرأى العام المستنير يجب ألا ينسى مثل هذا العمل الشاذ لأزهرى.. إن أزهرى بتصريحه السالف يريد أن يقول لجمال عبد الناصر: عاونّى على إسقاط الحكومة الحاضرة وإقامة حكومة أكون على رأسها وأنا كفيل بإعطائك ما تصبو إليه فى المسائل المعلقة بيننا !! أما تصريحات على عبد الرحمن إن صحت، فإن أيسر ما يستحقه أن يفصل من الوزارة.."[1]. وقبل ذلك كان الأستاذ محمود قد كتب وهو يحلل فى الوضع الداخلى مستصحباً التدخل المصرى والدور السلبى للشيخ على عبدالرحمن الأمين، وقد اقترح الأستاذ محمود تكوين حكومة قومية بدون الشيخ على عبدالرحمن الأمين قائلاً: "إن المخرج ليس بالحكومة القومية وإنما بحكومة إئتلافية منسجمة بين **حزب الأمة وحزب الشعب** بإستثناء السيد على عبد الرحمن أو بين **حزب الأمة والوطنى الاتحادى** وتقوم فى الطرف الاخر المعارضة الموضوعية غير المغرضة وغير الجاهلة"[2].

---

(1) محمود محمد طه، تصريح صحفى، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 154، 1981/11/15.

(2) محمود محمد طه، فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الداخلية والخارجية، المعارضه لاتجاه القطيع - أكثر محررى الصحف جهلاً، ماذا حمل وزير خارجية السودان؟"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 154، 1958/8/16.

مذكرات السيد أمين التوم (1914-2004)[1]

مذكرات السيد أمين ومعاييرها

صدرت مذكرات السيد أمين بعنوان: **ذكريات ومواقف فى طريق الحركة الوطنية السودانية** 1914-1969، عن دار جامعة الخرطوم للنشر فى طبعتها الأولى، وعن الدار السودانية للكتب بالخرطوم فى الطبعة الثانية عام 2004. تقع المذكرات فى طبعتها الثانية، وهى الطبعة التى اعتمدت عليها، فى مائتين وست وتسعين صفحة من القطع المتوسط. بدأت بالإهداء والشكر، ثم تقديم، كتبه محمد سعيد القدَّال. تلى التقديم، مقدمة للسيد أمين، ثم عرض للحقائق والأحداث من خلال واحد وثلاثين عنواناً. وختم السيد أمين مذكراته بكلمة وسمها بـ "وفاء وثناء". كانت وفاءً للذين ضحوا من أجل الاستقلال.

ذكر السيد أمين أن الذى دفعه لتسجيل مذكراته هو خشيته من ضياع الحقيقة. إلى جانب إلحاح أبنائه وبعض أصدقائه الذين خشوا أيضاً، من ضياع الحقيقة. قال فى المقدمة: "وكنت فى كل تحركى ذاك مدفوعاً بإلحاح متصل من أبنائى ونفر من الأصدقاء الذين خشوا - كما خشيت- أن تضيع الحقيقة بين ما يصدر بعض الكتاب من كتب، وما ينشره الإعلام السودانى بمناسبة وغير مناسبة عن الحركة الوطنية فى السودان قبل الاستقلال وبعده مجافين الصدق ومبتعدين عن الحقيقة عن عمد أو جهل...". لذلك رأى السيد أمين تسجيل مذكراته أو ذكرياته قائلاً: "وقد جعلت الصدق شعاراً لى ولم أجد أمامى ما يبرر لى أو يدعونى إلى غير ذلك.. هدفى عرض الحقائق كما سايرتها وتأثرت بها وأثرت فيها...". ثم بيَّن أنه اعتمد فى تسجيل مذكراته وكتابتها على "الذاكرة أولاً ثم على أوراق وسجلات وتقارير مبعثرة فى مكتبتى هنا وهناك استغرق منى جمعها وتصنيفها حيناً من الزمن".

---

(1) وُلد السيد أمين فى مدينة أمدرمان عام 1914. تخرج فى قسم المحاسبة **بكلية غردون** عام 1934. وعمل موظفاً حكومياً فى مصلحة الجمارك حتى عام 1946. استقال من عمله، لينخرط فى صفوف شباب **حزب الأمة**. يُعد السيد أمين من ألمع شخصيات الرعيل الأول فى **حزب الأمة**. فقد انخرط فى العمل السياسى منذ مؤتمر الخريجين. كان عضواً برلمانياً وتقلد الوزارة، أربع مرات، وعمل مراقباً عاماً للجمعية التأسيسية عام 1966. تم منحه الرئاسة الفخرية **لحزب الأمة** فى العام 2001.

الأستاذ محمود فى مذكرات السيد أمين

خلت مذكرات السيد أمين عن أى إشارة للأستاذ محمود ونضاله أو **للحزب الجمهورى**، وهو أحد الأحزاب الاستقلالية التى نشأت باكراً، وترأسه الأستاذ محمود منذ إعلان قيامه عام 1945. وعلى الرغم من أن الأستاذ محمود قد تقاطع مع أحداث كثيرة وقف عندها السيد أمين فى مذكراته، إلا أنه لم ترد أى إشارة إليه أو إلى حزبه. فقد تحدث السيد أمين تحت عنوان "القافلة تسير 1940-1948"، عن نشأة الأحزاب السياسية. وتناول تحت عنوان: "مواقف سياسية" بروتوكول صدقى باشا مع مستر بيفن فى عام 1946، الذى قامت على إثره الجبهة الاستقلالية. وتحدث عن تأسيس الجبهة الاستقلالية ودورها. ثم كتب كلمة "وفاء وثناء" فى ختام مذكراته، وفاءً للذين بذلوا الجهد وقدموا التضحيات فى سبيل استقلال السودان وحرية شعبه. وعدَّد أكثر من مائة وخمسين شخصاً، لم يكن من بينهم اسم الأستاذ محمود.

نشأة الأحزاب وإغفال الحزب الجمهورى

تحدث السيد أمين عن نشأة الأحزاب السياسية، الاستقلالية منها والاتحادية. وذكر "الأشقاء" و"الاتحاديين" و"الأحرار" و"القوميين"، **وحزب الأمة.** وأشار فى مواقع متفرقة من مذكراته إلى **حزب وحدة وادى النيل والحزب الوطنى الاتحادى**، والجبهة المعادية للاستعمار، **وحزب الوطن، والحزب الجمهورى الاشتراكى، وحزب الاستقلال الجمهورى، وحزب الشعب الديمقراطى** و"الإخوان المسلمين". ولم ترد حتى مجرد إشارة **للحزب الجمهورى**، أو إلى رئيسه الأستاذ محمود. إن عدم ذكر السيد أمين لل**حزب الجمهورى** ولرئيسه الأستاذ محمود، وهو يتحدث عن نشأة الأحزاب السودانية، أمر يناقض ما ذهب إليه فى مقدمته، من خشيته على ضياع الحقيقة، والابتعاد عنها بشأن الحركة الوطنية فى السودان قبل الاستقلال وبعده عن عمد أو جهل كما ذكر. **فالحزب الجمهورى** كان من أوائل الأحزاب الاستقلالية فى السودان. وقاد أعضاؤه نضالاً عظيماً ضد الاستعمار. سجن بعضهم بسبب النضال ضد المستعمر. وسجن رئيس الحزب الأستاذ محمود مرتين، الأولى فى يونيو عام

1946، والمرة الثانية حينما قاد ثورة رفاعة عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين. كتب يحيى محمد عبدالقادر(1914-2011)، الذى كان عضواً فى **الحزب الجمهورى،** وتركه فيما بعد، كتب وهو يتحدث عن الأطوار التى مر بها **الحزب الجمهورى**، قائلاً: "والطوّر الثانى كان طور العنف والشدّة والاضطراب. فقد خرج أفراد الحزب إلى المجتمعات والجوامع والمقاهى يخطبون ضد الاستعمار والحكم الثنائى... ويوزعون المنشورات السرية المتضمنّة هذه المعانى.. وأسفر هذا الطور عن سجن رئيس الحزب وبعض أعضائه مدداً مختلفة فى كوبر[1]. كما كتب التجانى عامر (1908-1987)، فى **صحيفة الصحافة** 1975/4/16، وهو يتحدث عن **الحزب الجمهورى** قائلاً:

> *قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السودانية بحساب الزمن... مؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه، الذى كان من أبرز الوجوه الوطنية،فى مستهل حركة النضال... وقد تعرض محمود للسجن الطويل، فى خصومات ايجابية مع الإنجليز، منها حادث " الطهارة الفرعونية" فى رفاعة، وهو حدث اجتماعى،رفعه محمود إلى مستوى المساس بالدين والوطن*[2].

الشاهد، أنه لم يرد ذكر فى مذكرات السيد أمين **للحزب الجمهورى** أو لرئيسه الأستاذ محمود، الذى كان عضواً مؤسساً فى الجبهة الاستقلالية التى نشأت عام 1946.

الجبهة الاستقلالية

تحدث السيد أمين عن الجبهة الاستقلالية، التى نشأت فور الإعلان عن بروتوكول صدقى/ بيفن عام 1946. وقال فى صفحة (66): "وما كاد نص هذا الاتفاق (بروتوكول صدقى/ بيفن) يُنشر حتى اتسع الاحتجاج عليه فنشأت الجبهة الاستقلالية، ودخلها نفر كريم من المواطنين" ثم ذكر بعض الشخصيات التى دخلت الجبهة، ولم يكن من بينها اسم الأستاذ محمود. وأضاف قائلاً: "ثم انضمت إلى الجبهة فيما بعد أحزاب وهيئات أخرى".

---

(1) يحيى محمد عبدالقادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مرجع سابق، ص 144-146.
(2) التجانى عامر، مصدر سابق.

الشاهد أن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** كان من مؤسسى الجبهة الاستقلالية. أفرد فيصل عبدالرحمن على طه فى كتابه: **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، حيزاً كبيراً للحديث عن **الحزب الجمهورى**. تناول بيانه التأسيسى، ودَرَس علاقة الحزب بمؤتمر الخريجين، وموقفه من مصر والأحزاب الاتحادية، وتعاونه مع **حزب الأمة والأحزاب الاستقلالية** الأخرى،واشتراكه فى الجبهة الاستقلالية. كتب فيصل قائلاً:

لقد تعاون **الحزب الجمهورى** مع **حزب الأمة** وأحزاب استقلالية أخرى فى إطار الجبهة الاستقلالية عندما أوقف **حزب الأمة** التعاون مع حكومة السودان وأعلن الجهاد. وقد عبَّر **الحزب الجمهورى** عن ذلك بقوله: "كانت هناك حواجز بيننا وبين **حزب الأمة**، ولكن عندما أعلن الجهاد ورفض التعاون مع الإنجليز سقطت تلك الحواجز، واشتركنا فى الجبهة الاستقلالية[1].

أيضاً، جاء فى موقع **حزب الأمة القومى**، كما أشرت آنفاً، على شبكة الإنترنت: "بادر **حزب الأمة** بتكوين الجبهة الاستقلالية للعمل على إنهاء الحكم الثنائى والتى تشكلت فى 28 أكتوبر 1946 فى دار **حزب الأمة** من:**حزب الأمة، حزب القوميين الأحرار، حزب الأحرار، الحزب الجمهورى**، ونفر من المستقلين"[2]. وكتب يحيى محمد عبدالقادر، فى كتابه آنف الذكر، وهو يتحدث عن أبرز أعمال **الحزب الجمهورى** فى الطور الثانى، قائلاً: "وكان من أبرز أعمال الحزب خلال هذه الفترة تعاونه مع الجبهة الاستقلالية لمحاربة مشروع اتفاقية صدقى - بيفن التى أقرّت وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل.. ثم انسحابه من الجبهة بعد انقشاع هذه المخاوف". الشاهد، أن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** كان جزءاً من الجبهة الاستقلالية، ومشاركاً فى نشاطاتها، وداعماً لمواقفها. كتب فيصل فى كتابه آنف الذكر وهو يتحدث عن مفاوضات الوفد الاستقلالى مع الحكومة

(1) فيصل عبدالرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، مرجع سابق، ص 231.

(2) عن **حزب الأمة**، التاريخ: المراحل السبعة، "المرحلة الأولى: تكوين الحزب 1945 وحتى انقلاب 1958"، مرجع سابق.

المصرية التى مثلها أحمد نجيب الهلالى رئيس الوزراء، وعبدالخالق حسونة وزير الخارجية، وجرت فى نهاية مايو ويونيو 1952، قائلاً: "وحرى بالذكر أنه بالرغم من أن **الحزب الجمهورى** الذى كان يدعو أيضاً لاستقلال السودان التام لم يكن ممثلاً فى الوفد الاستقلالى، إلا أن رئيس الحزب محمود محمد طه قال إن الوفد "أبرز شخصية السودان فى الدوائر المصرية الرسمية والشعبية. ونال إعجاباً أقوى مما ظفرت به حتى الآن أى هيئة، وأنه لفت نظر المصريين إلى ما لم يشاءوا أن يلتفتوا إليه من قبل وهو أن للسودان شخصية يجب أن تحترم"[1].

الوفاء والثناء

ختم السيد أمين مذكراته بكلمة وسمها بـ "وفاء وثناء". وقال فى صدر الكلمة صفحة (286): "وفاءً لرجال بذلوا الجهد كله وقدموا كل ما كان فى طاقتهم وما فوق طاقتهم من تضحيات فى سبيل استقلال السودان وحرية شعبه"، ثم عدَّد أكثر من مائة وخمسين شخصاً، بدءاً -كما أشاد- برجالات **حزب الأمة**، وبعضٍ ممن وقف بجانب راعى الحركة الاستقلالية الإمام عبدالرحمن المهدى، وذكر بعض الزعماء من جنوب السودان، وبعض الكتاب والصحفيين، وبعض رؤساء الأحزاب السياسية. ولم يكن من بين هؤلاء الأستاذ محمود. من الحقائق التاريخية والثابتة حقاً، فى المصادر والوثائق والدوريات، برغم تهميش طلائع المتعلمين وإغفالهم لذكره فى مذكراتهم، وتسرُب ذلك إلى صحائف المؤرخين وكتبهم، إن الأستاذ محمود قد ضحى تضحية كبيرة فى سبيل استقلال السودان، وربما فاقت تضحياته، تضحية الكثير من طلائع المتعلمين، إن لم يكن أكثرهم تضحية. أما عن دور الأستاذ محمود فى النضال ضد المستعمر من خلال الكتابة، ربما فاق دور الكثير من الكُتاب الذين عدَّدهم السيد أمين فى كلمته "وفاء وثناء"، بل ربما فاق أيضاً، دور الكثير من طلائع المتعلمين. فقد كتب الأستاذ محمود أثناء رحلة نضاله ضد المستعمر، الكثير من المقالات، ونشر ووزَّع العديد من البيانات والمناشير. ونشر جُلها فى صحف

(1) فيصل عبدالرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1953)**، مرجع سابق، ص 543.

مختلفة منها: **صحيفة النيل، والرأى العام، والسودان الجديد، والشعب، والأهرام.** إلى جانب ذلك، فإن الأستاذ محمود كَتب عدداً من الكُتب. ففى عام 1945 كتب كتاب: (**السفر الأول**)، وناقش فيه موضوع الأحزاب الطائفية، ومسألة الجنوب، وقضية المرأة والتعليم والاقتصاد. وتناول فيه مؤتمر الخريجين، وآراء **الحزب الجمهورى** ومواقفه. قال فى **السفر الأول**: "ويؤمن **الحزب الجمهورى** إيماناً لا حد له بالسودان ويعتقد أنه سيصبح من الروافد التى تضيف إلى ذخر الإنسانية ألواناً شهية من غذاء الروح، وغذاء الفكر، إذا آمن به أبناؤه فلم يضيعوا خصائصه الأصيلة، ومقوماته بالإهطاع نحو الغرب، ونحو المدنية الغربية، فى غير روية ولا تفكير".وفى عام 1952 كتب كتاب: "**قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**". كما أصدر صحيفة "الجمهورية" فى يناير 1954، واستمرت فى الصدور لمدة ستة أشهر. وفى عام 1955 كتب الأستاذ محمود كتاباً لا يزال يكتسب أهميته ويضج بحيوية طرحه، وهو كتاب: "**أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**".لقد سبق وأن أشرت إلى أن منصور خالد أشاد بالرؤية الثاقبة التى تضمنها هذا الكتاب، وذكّر الناس برأى الأستاذ محمود الذى أتضح صوابه بعد نصف قرن من الزمان[1].

الشاهد أنه على الرغم من النضال الوطنى للأستاذ محمود الواضح الساطع، والموثق شعراً وفى الدوريات والوثائق، تجاهله معظم معاصريه من طلائع المتعلمين عندما كتبوا مذكراتهم، وأغفلوا ذكره، وحجبوا نضاله، وهمشوا دوره وجهاده ضد المستعمر. لقد تجلى ذلك الإغفال المتعمد والتجاهل والتهميش لدور الأستاذ محمود وحزبه بوضوح فى نماذج المذكرات التى درستها فى الفصول السابقة، وكذلك فى مذكرات السيد أمين التوم.

(1) منصور خالد، **جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى**، مرجع سابق، ص 330.

مذكرات الأستاذ يحيى محمد عبدالقادر[1]

صدرت مذكرات الأستاذ يحيى بعنوان: **على هامش الأحداث فى السودان**، من الدار السودانية للكتب، الخرطوم (بدون تاريخ نشر). تقع المذكرات فى ثلاثمائة وإحدى وخمسين صفحة من القطع المتوسط. تهيكلت بعد المقدمة فى ستة محاور هى: شخصيات، وصحافة، وفى تركيا، وفى بيروت، وفى السعودية، واجتماعيات. تحدث الأستاذ يحيى عن تلك المحاور من خلال خمسة وتسعين عنواناً، تناول تحتها بعض الشخصيات وتحدث عن سماتها وأدوارها، وعرض الأحداث ومناخها. ذكر الأستاذ يحيى أنه سبق وأن نشر هذه المذكرات فى سلسلة مقالات قبل جمعها فى كتاب، وأشار إلى ذلك فى مقدمته قائلاً: "الفصول التى جمعتها وأودعتها بين دفتى هذا الكتاب، كانت قد نُشرت مسلسلة على شكل ذكريات فى صحيفتى "أنباء السودان". ورغم الطابع الشخصى الذى تتسم به، إلا أنها تشتمل على معالم من تاريخ السودان، منها ما يتصل بالشخصيات التى تولت مقاليد الأمور فى البلاد، وتلوينها، ومنها ما يتصل بمجرى الأحداث نفسها وتقييمها، ومنها ما يتصل بالمناخ الذى وقعت فيه الأحداث، وتفاعلاته". وعن الهدف من نشر مذكراته كتب الأستاذ يحيى قائلاً: "ولعلى بنشر هذا الكتاب قد أساهم فى إيضاح بعض الحقائق، وإنارة بعض المنعطفات، بل قد أساهم فى تقديم "خامات" تصلح "على وجه ما" -بعد صقلها- لكى يستعين بها مؤرخ الغد).

(1) وُلد الأستاذ يحيى فى مدينة شندى عام 1914. وجاء إلى الخرطوم فى عام 1935، فاشترك فى تأسيس أول صحيفة يومية فى السودان، هى **جريدة النيل**، لسان حال آل المهدى. يُعد الأستاذ يحيى من الرعيل الأول من الصحفيين، كتب فى بداية الثلاثينيات فى مجلة **روز اليوسف**، وعمل محرراً فى جريدة **النيل**، ومراسلاً لصحيفة **الأهرام** المصرية ومديراً لمكاتبها فى الخرطوم (1936-1952). أصدر عدداً من الصحف منها: صحيفة **المستقبل** الاسبوعية وصحيفة **السودانى** اليومية خلال الفترة من عام 1949 إلى عام 1952، وصحيفة **أنباء السودان** اليومية (1953-1969). كما نشر ثلاثة كتب هى: **الديمقراطية والديكتاتورية**، وكتاب: **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، (ثلاثة أجزاء)، إلى جانب **مذكراته**. كان الأستاذ يحيى من مؤسسى **الحزب الجمهورى**، الذى ترأسه الأستاذ محمود محمد طه، ثم تركه وشارك فى تأسيس **الحزب الوطنى** برعاية الخليفة الشريف عبدالرحمن الهندى (???-1964). تولى سكرتارية **الحزب الوطنى** حتى اندماجه فى **الحزب الوطنى الاتحادى** الذى نشأ برئاسة السيد إسماعيل الأزهرى، بعد التوقيع على وثيقة الأحزاب المؤتلفة عام 1953 فى القاهرة. وكان الأستاذ يحيى من ضمن الموقعين على الوثيقة.

الأستاذ محمود فى مذكرات الأستاذ يحيى

أفرد الأستاذ يحيى نحو أربعين عنواناً من عناوين مذكراته الخمسة والتسعين للحديث عن شخصيات ساهمت فى معالم تاريخ السودان، وأثرت فى الحياة السودانية ولونتها كما ذكر. تحدث عن كل شخصية من تلك الشخصيات من خلال معرفته بها، ومعايشته لها، وتناول سماتها وأدوارها، وسجل بعض الأحداث التى صنعتها أو شاركت فيها. ولم يكن من بين تلك الشخصيات الأستاذ محمود. لقد استهل الأستاذ يحيى حديثه بالسيد على الميرغنى (1880/79/73 - 1968)، ثم السيد عبدالرحمن المهدى (1885-1959)، فالشريف يوسف الهندى (1865-1942). ثم تناول طلائع المتعلمين فبدأ بالسيد إسماعيل الأزهرى، ثم السيد محمد نورالدين (1894-1964)، والسيد ميرغنى حمزة (1895-1973)، والسيد عبدالله خليل (1892-1971)، والسيد محمد أحمد المحجوب، والأستاذ مبارك زروق (1914-1965)، والسيد يحيى الفضلى (1911-1974)، والسيد محمود الفضلى (1910-1992)، والشاعر التجانى يوسف بشير (1912-1937)، والأستاذ أحمد عثمان القاضى (1883-1961)، والسيد مكى عباس (1909-1961)، والأستاذ أحمد يوسف هاشم (1903-1958)، وهكذا حتى قارب العدد الأربعين شخصاً. انطلق الأستاذ يحيى فى حديثه عن تلك الشخصيات من معرفته الشخصية بها، وكان فى أغلب الحالات يستهل حديثه مبيناً كيف وأين ومتى تعرف على الشخص، قائلاً على سبيل المثال: "عرفت السيد على فى عام 1936م عندما..."، أو "قابلت الإمام عبدالرحمن لأول مرة ضمن..."، أو "عرفت المرحوم السيد محمد نورالدين الزعيم السياسى الكبير عام 1939..."، أو "عرفت حسن نجيلة فى عام 1938 عندما..."، أو "عرفت الأستاذ مكى عباس للمرة الأولى فى عام 1945 عندما..."، وهكذا.

الأستاذ محمود فى المذكرات: مجرد إشارات عابرة

لقد وردت فى مذكرات الأستاذ يحيى إشارات عن الأستاذ محمود، إلا أنها إشارات كانت ضمن حديث عن آخرين وفى سياق حوارات معهم، أو فى سياق تبرير أو توضيح لبعض المواقف التى تخص الأستاذ يحيى. ومن نماذج تلك الإشارات عن الأستاذ محمود

والحزب الجمهورى، ما ورد ضمن حديث كان عنوانه: "صورة من الحوار بين زميلين" فى الصفحات (259-262). كان الحديث بمثابة رد من الأستاذ يحيى على هجوم شنه أحد زملائه الصحفيين عليه، حينما قام برحلة إلى تركيا فى شهر يوليو 1958، وبعد عودته هاجمه زميله بمقال تحدث فيه عنه وعن رحلته إلى تركيا، ووجه نقداً لصحيفته "أنباء السودان"، وأشار فى معرض نقده إلى مقال كتبه الأستاذ محمود فى صحيفة "أنباء السودان" وإلى قضايا أخرى تخص الأستاذ يحيى. رد الأستاذ يحيى على تلك القضايا التى أثارها زميله، برد قاس، وعنيف، ولكن ما يهمنى، فى هذا المقام، ما يتعلق بإشارته للأستاذ محمود ضمن ذلك الرد. قال الأستاذ يحيى ضمن رده أن زميله -لم يسمه- رجل كاذب أشر فهو يقول: "أن الأستاذ محمود محمد طه قال فى حديثه الأسبوعى أن محررى الصحف السودانية جهلاء وفقراء النفوس والجيوب". بينما قال الأستاذ محمود "...إلا أن "بعض" محررى الصحف السودانية، فقراء الجيوب والنفوس". ويمضى الأستاذ يحيى قائلاً: "وفرق كبير بين المعنيين و .... (يقصد زميله) هنا لم يكذب فحسب ولكنه دلس أيضاً بغرض الإثارة وبعث الفتنة والاستعداء... وتلقف ...... للطاقية التى أرسلها الأستاذ محمود محمد طه وشعوره بأنها على مقاسه، وثوراته وتشنجه.. هو وحده (يقصد زميله) دلالة تضاف إلى عشرات الدلالات على الوحل الذى تردى فيه. ولأمر ما قال المثل السودانى "ال فى قلبه حرقص براه بيرقص". ومن نماذج الإشارات أيضاً، ما جاء ضمن حوار تم بين الأستاذ يحيى والسيد عبدالرحمن المهدى، وسجله الأستاذ يحيى ضمن حديثه عن السيد عبدالرحمن. ذكر الأستاذ يحيى فى صفحة (17) أنه كان عضواً **بالحزب الجمهورى** والتقى السيد عبدالرحمن المهدى، فاعتذر له صراحة عن انضمامه **لحزب الأمة**، متعللاً بعمله مراسلاً لصحيفة الأهرام المصرية، فقال له السيد عبدالرحمن المهدى: "ألا ترى أن عضويتك فى **الحزب الجمهورى** الآن قد تعرضك أيضاً للمتاعب فى الأهرام. إن مصر الآن تطالب بأن يكون ملك مصر ملكاً على السودان".

التجاهل رغم المعرفة اللصيقة

الشاهد، أنه على الرغم من إشارات الأستاذ يحيى إلى الأستاذ محمود فى مذكراته، إلا أن اللونية الغالبة هى التجاهل، إذ لم يكن اسم الأستاذ محمود من بين الشخصيات التى

أفرد لهـا عنواناً للحديـث عنها على الرغم من مـعرفتـه اللصيـقة به. مما يصـعب معـه فهم التجاهل للأستاذ محمود. لقد كانت معرفة الأستاذ يحيى بالأستاذ محمود معرفة سابقة بل أوثق وأطول من معـرفته لكثـير ممن تحدث عنهم، سـواء بحساب السنـين أو بحكم العمل المشترك. لقد شارك الأسـتاذ يحيى فى تأسيس **الحزب الجمهورى** عام 1945، الذى ترأسه الأستاذ محمود. وكانت المراسلات الواردة **للحزب الجمهورى** تأتى عن طريق عنوانه، وقد أشار إلى ذلك فى صفحة (17) من مذكراته قائلاً: "وكانت رسائل **الحزب الجمهورى** تأتى عن طريق عنوانى فى جـريدة النيل". وأشـار أيضـاً، فى صـفحـة (162) قـائلاً: "يتهـمنى الكثيرون بأننى -صحفى متقلب- وهى عبارة مـؤدبة لمعنى «صحفى معدوم الضمير»، وقد بدأ هذا الإتهام عندما كنت أعـمل فى جريدة النيل لسان حال آل المهدى، وهى اسـتقلالية، مع احتفاظى بمراسلة الأهرام، وهى صحيفة مصرية، يفترض فيها الدعوة للوحدة بين مصر والسودان، واشتراكى فى نفس الفترة فى تأسيس **الحزب الجمهورى**- محمود محمد طه- ... وأن أُعلن فى جـريدة الـنيل الناطقـة بلسـان آل المـهـدى أن الرسـائل الواردة **للحـزب الجمهورى** تُعنون باسمى، وهو حزب منظور إليـه كخصم لدود **لحزب الأمة**". يضاف إلى ذلك أن الأستاذ مـحمود كان يكتب حديثـاً أسبوعياً ويـنشره فى صحيفـة "أنباء السودان"، وهى صـحيفـة يحيى. مما لاشـك فيه أن مـشاركـة يحيى فى تأسـيس **الحزب الجمـهورى**، واشتراكـه فى اجتماعات الحـزب ونشاطاته، ووصول مراسلات الحـزب عن طريقه، ونشر الأستاذ محـمود لحديثه الأسبوعى فى صحـيفة "أنباء السودان"، قد أكسـبت الأستاذ يحيى معـرفة لصيـقة بالأسـتـاذ محمـود تسمح له بالحـديث عنه فى مذكراتـه، كما فـعل مع نحو أربعين شخصاً من طلائع المتعلمين، إلا أن ذلك لـم يحدث.

التجاهل عند يحيى: هل هو سوء تقدير أم سوء نية؟

فى تقديرى، أن عدم حـديث الأستاذ يحيى عن الأسـتاذ محمود من خـلال عنوان كما فعل مع نحو أربعين شخصاً من طلائع المتعلمين، لم يكـن موقفاً متعمداً، ولا يعود تجاهله للأستاذ مـحمود إلى سوء نية، بقدر ما هو سوء تقـدير واختلاف فى المعاييـر. فالثابت أن الأستاذ يحيى لديه رأى جـيد فى الأستاذ محمود، عبـر عنه بوضوح واحترام، وهو رأى لا يصدر إلا بمعرفـة لصيقة ووثيقة. وقـد ضمَّن الأستاذ يحيى رأيه هذا، فى كـتابه الذى نشره

لاحقاً بعنوان: **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**[1]، (ثلاثة أجزاء). أصدر الأستاذ يحيى هذا الكتاب وهو كتاب يصنف ضمن كتب التراجم والمعاجم، وهى كتب تعرف حياة عدد كبير من الأفراد البارزين فى المجتمع من العلماء والأدباء والمهنيين ورواد الفكر والمشاهير من الساسة والأعيان ...إلخ، وترتب بطريقة محددة (هجائية/ الميلاد/ الوفاة...إلخ). ومن نماذج كتب التراجم كتاب: (**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**) لابن خلكان (8 مجلدات)، و (**كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان**)، لمحمد بن ضيف الله (1728-1810)، الذى كان أول المعاجم فى السودان. ومن نماذجها أيضاً، كتاب: (**معجم الشخصيات السودانية المعاصرة**) لأحمد محمد شاموق الذى صدر عام 1988، وكتاب البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم (1927-2004) (**أدباء وعلماء ومؤرخون فى السودان**)، الذى صدر عام 1991. وغيرها. تناول الأستاذ يحيى فى كتابه التعريف بحياة مئات الشخصيات، كان من بينها الأستاذ محمود. وصف فيه الأستاذ محمود وصف العارف اللصيق به قائلاً: "محمود محمد طه مفكّر عميق التفكير كثير التأمّل، يؤمن بالإنسانية وحدة لا تتجزأ. يرى، أن الإسلام سبيل للنجاة لهذه الإنسانية الضاربة فى التيه بين تفريط المادية الغربية وإفراط الروحانية الشرقية". وقال أيضاً، وهو يتحدث عن الأستاذ محمود: "يحسبه الذين لا يعرفونه متعصّباً دينياً ولكنه فى الواقع حر الفكر واسع الأفق يعتمد على المنطق ويفهم الحياة فهماً جيداً وهو يعتقد أن الإسلام يتطوّر مع الزمن... ولعل خير ما يقال عنه أنه أخلص القادة للقضية وللسودان.. بل وللعالم الواسع".

الشاهد أنه برغم المعرفة اللصيقة، فقد يبدو تجاهل الأستاذ يحيى للأستاذ محمود، مثل تجاهل معظم طلائع المتعلمين الذين كتبوا مذكراتهم. وكان فى تجاهلهم للأستاذ محمود كأنما هناك اتفاق جماعى بينهم غير مكتوب. كان هدف ذلك الاتفاق فى حده الأدنى تهميش الأستاذ محمود، وتغييبه عن الذاكرة الجمعية. وفى تقديرى، أن الأستاذ يحيى لم يكن جزءاً من هذا الاتفاق، ولم يكن من الساعين إلى تهميش الأستاذ محمود أو تغييبه من الذاكرة الجمعية. كما تبين إشاراته للأستاذ محمود فى كتاباته الأخرى.

---

(1) يحيى محمد عبدالقادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، (ثلاثة أجزاء)، مرجع سابق، ص 144-146.

خلاصة القول، أنه على الرغم من تجاهل الأستاذ يحيى للأستاذ محمود فى مذكراته، والإشارة إليه إشارات عابرة، إلا أن ما أورده لاحقاً فى كتابه: **شخصيات من السودان**، آنف الذكر، يجعل احتمال سوء النية فى التجاهل ضعيفاً بل معدوماً. فقد شهد الأستاذ يحيى فى حق الأستاذ محمود بشهادات عظيمة وواضحة وقوية كما أوردت سابقاً.

فى الختام لابد من الإشارة إلى أن مذكرات يحيى، تميزت بميزات لا نجدها فى معظم المذكرات التى كتبها طلائع المتعلمين. فقد اتسمت مذكرات يحيى بالصراحة والاعتراف فى بعض جوانبها. وكتبت بلغة أدبية رفيعة، وكانت نصوصها سلسة وممتعة. تضمنت آراءه الصريحة فى بعض زملائه، وفى الأحداث التى شهد وقوعها. كما ذكر الكثير من المواقف والطرائف الممتعة والمحزنة فى آن واحد. فقد تحدث بوضوح عن كيف كانت تحاك المؤامرات والدسائس بين طلائع المتعلمين، وأشار إلى أشخاص ومواقف بعينها. وتحدث من خلال مواقف بعينها أيضاً، عن كيف كان يلجأ بعض طلائع المتعلمين إلى أسلوب البلطجة والضرب من أجل حسم بعض الصراعات أو الانتصار على المنافسين أو تأديبهم. وأشار إلى حالات ووقائع محددة كانت تهدف إلى الانتقام وتدمير البعض. كما تميزت المذكرات كذلك بأن الأستاذ يحيى لم يجنح فيها إلى تضخيم دوره فى الأحداث، بل كان يعترف ويصف نفسه بأوصاف صريحة وهو يتحدث عن مواقفه وذكرياته مع بعض طلائع المتعلمين. فقد تحدث عن المواقف التى كان يبدى فيها بعض النفاق أو تتطلب منه بعض النميمة. وأشار إلى بعض الحوادث التى كان فيها متخاذلاً وضعيفاً. وذكر أنه فى مواقفه مع بعض طلائع المتعلمين كان حينما يحتد النقاش معه أو حينما يتصاعد غضب الطرف الثانى كثيراً ما ينصرف سريعاً، خوفاً من تطور الموقف بما لا تحمد عقباه، خاصة وأنه -كما ذكر- كان يحب الشجاعة فى القول والعمل ولكنه لا يمارسها فى الواقع إلا نادراً. وفى تقديرى، أن هذه حكمة وحلم منه أكثر من كونها خوفاً أو جبناً.

مذكرات السيد عبد الماجد أبو حسبو[1]

صدرت مذكرات السيد أبو حسبو فى طبعتها الأولى بعنوان: **مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، الجزء الأول**[2]، عام 1987. وتقع فى مائتين وسبعٍ وتسعين صفحة من القطع المتوسط. تصدَّر المذكرات تقديم كتبته أسرة أبو حسبو، تلته مقدمة، ثم عرض للحقائق والأحداث فى اثنى عشر فصلاً متبوعة بالملاحق. ففى الفصول الثلاثة الأولى تحدث السيد أبو حسبو عن السودان ما قبل الحكم الثنائى وعن الثورة المهدية (1881-1898) وإعادة الفتح. وفى الفصل الرابع تناول الحركة الوطنية الحديثة وحركة الخريجين، وفى الفصل الخامس تناول قيام الأحزاب السودانية. وفى الفصول الأخرى تناول قضايا مختلفة منها: السياسة المصرية فى السودان، والحكم الذاتى والاستقلال، وثورة أكتوبر 1964، ومشكلة الجنوب والقضية العربية. ثم عرض فى الفصل الأخير تجاربه فى الحكم وفى الحزب، وتحدث عن الحزبية والتربية الحزبية فى السودان. كتب السيد أبو حسبو فى مقدمته أن هذا الجزء من مذكراته ينتهى عند شهر مايو 1969 مع وقوع ثورة مايو، وذكر قائلاً: "وقد تركت الحديث عن الفترة التى تلت ذلك إلى ظروف أخرى مواتية، أسأل الله أن تساعدنى الظروف للكتابة عنها، وهى فترة طويلة مليئة

---

(1) وُلد السيد أبو حسبو فى مدينة الخرطوم عام 1919، وتوفى فيها عام 1985. تلقى تعليمه الأولى بمدارس الخرطوم ثم التحق **بكلية غردون**، فما لبث أن ترك الدراسة بها وهرب إلى مصر عام 1936 حيث تخرج فى كلية الحقوق **بجامعة الإسكندرية**. بعد تخرجه عمل فى المحاماة ثم تفرغ للعمل السياسى. انتمى فى مصر إلى الحركة الشيوعية، فكان عضواً فى **حركة التحرر المصرى** (ح. ت. م) والتى أصبحت فيما بعد **الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى** (حدتو). ترقى فى صفوف الحزب حتى أصبح أول سودانى يدخل اللجنة المركزية للحزب فى مصر. قام بالتدريس فى خلايا **الحزب الشيوعى**، وكان من بين الذين درسهم الشهيد عبد الخالق محجوب (1927-1971). فى عام 1947 تخلى السيد أبو حسبو عن **الحزب الشيوعى**، وتحدث فى مذكراته عن قصة انضمامه وتخليه وأسباب اختلافه مع الشيوعيين. انضم إلى **حزب الاتحاديين**، وعند عودته للسودان عام 1949 أصبح عضواً فى لجنته التنفيذية. كما مثَّل الحزب مع اثنين من أعضائه عندما تم التوقيع على وثيقة الأحزاب المؤتلفة فى القاهرة عام 1953، التى نشأ بموجبها الحزب الوطنى الاتحادى برئاسة السيد إسماعيل الأزهرى. وقد اتحد الحزب الوطنى الاتحادى مع **حزب الشعب الديمقراطى** عام 1968 فكونّا **الحزب الاتحادى الديمقراطى**. عمل السيد أبو حسبو وزيراً للأشغال والثروة المعدنية عام 1965 ثم وزيراً للعدل وزعيماً للجمعية التأسيسية، ثم وزيراً للإعلام والشؤون الاجتماعية والعدل. وبعد قيام ثورة مايو عام 1969، كان من قادة الجبهة الوطنية التى قامت لمحاربة النظام العسكرى.

(2) عبدالماجد أبو حسبو، **مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، الجزء الأول**، مصدر سابق.

بالأحداث امتدت منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا". هل كتب السيد أبو حسبو ذلك الجزء أم لا؟ لقد أشار الناشر فى هامش المقدمة قائلاً: "لقد كُتب هذا الجزء بالفعل، وسيصدر كجزءٍ ثانٍ لهذه المذكرات".

الأستاذ محمود فى مذكرات السيد أبو حسبو

لم يرد اسم الأستاذ محمود أو **الحزب الجمهورى** الذى ترأسه قط فى مذكرات السيد عبد الماجد أبو حسبو. على الرغم من أن الأستاذ محمود **والحزب الجمهورى**، كانا جزءاً من الوقائع والأحداث والحقائق التى وقف عندها السيد أبو حسبو فى مذكراته. فقد تحدث السيد أبو حسبو فى الفصل الرابع عن الحركة الوطنية الحديثة وحركة الخريجين. وتناول فى الفصل الخامس قيام الأحزاب السودانية، وتحدث عن الأحزاب بما فى ذلك أحزاب لم تعش سوى عامين أو ثلاثة أعوام، ولم يرد ذكر **للحزب الجمهورى**. تحدث السيد أبو حسبو باستفاضة عن الأحزاب بأنواعها المختلفة: الاتحادية والاستقلالية والعقائدية، وذكر فى صفحة (94) قائلاً: "قامت الأحزاب – أو بالأحرى أعلنت عن نفسها فى الفترة ما بين سنة 1944-1945، فلقد كانت هذه الأحزاب من ناحية الواقع قائمة فعلاً، وإن تفادت تسمية نفسها بالأحزاب، لأن معظم قياداتها كانت من الموظفين الذين يمنعهم القانون من العمل فى السياسة. ولقد أخذت الحزبية شكلين: 1. أحزاب اتحادية... 2. أحزاب استقلالية...". ثم أفرد السيد أبو حسبو عناوين جانبية للحديث عن تلك الأحزاب. بدأ بعنوان جانبى تناول تحته قيام **حزب "الاتحاديين"**، ثم عنوان آخر **لحزب الأشقاء، فحزب الأمة، وحزب الأحرار** بشقيه: الأحرار الاتحاديين والأحرار الانفصاليين، **والحزب الجمهورى الاشتراكى، والحزب الشيوعى**. كما توسع فى الحديث عن قيام **الحزب الوطنى الاتحادى**، وهو الحزب الذى انضم إليه قبل اندماجه مع الأحزاب الاتحادية. وقد ذكر فى صفحة (95) أن انضمامه إلى الاتحاديين يعود إلى قناعته بنزاهتهم ووطنيتهم إلى جانب تأثره بالمناقشات التى قادها مع السيد خضر حمد (1910/8 - 1970) أثناء زياراته لمصر. وتحدث السيد أبو حسبو كذلك فى مواقع متفرقة من مذكراته عن قيام **حزب وحدة وادى النيل، وحزب "القوميين"، وحزب الاستقلال الجمهورى، وحزب الشعب الديمقراطى**، وجبهة الميثاق (الأخوان المسلمين). ولم ترد حتى مجرد إشارة إلى **الحزب الجمهورى**.

الثابت أنـه على الرغم من إغفـال السيد أبو حـسبـو لذكر **الحزب الجمـهورى**، فإن **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ مـحمود كان قيامه سابقـاً لمعظم الأحزاب التى تناولها السيد أبو حـسبو. **فالحزب الجـمهورى** أعلن عن نفسه كحـزب سياسى منذ البداية، لأن رئيسه الأستاذ محـمود محمد طه كان قد استقال من الوظيـفة الحكومية، ولم يعد من ثم ملزماً باللوائح الاستـعمـارية التى تمنع الموظفـين الحكوميـين من العمل السـياسـى. قاد أعضاء **الحزب الجمـهورى** نضالاً عظيـماً ضد الاستـعمار، سجن بعـضهم بسببـه، كما سجن رئيس الحـزب الأستـاذ محمـود مرتين، الأولى فى يونيـو عام 1946، والمرة الثانية حينمـا قاد ثورة رفاعـة عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمـدة عامين. كتب الأسـتاذ يحيى محمـد عبد القادر(1914-2011)، الذى كان عضواً فى **الحزب الجمهورى**، وتركه فيما بعد، متحـدثاً عن الأستاذ محمود: "أنشأ **الحزب الجمهورى** فى عام 1946 وكان من أوائل الذين اصطدمـوا بالاستـعمار البـريطانى فى السـودان فدخل السجن مـرتين...". وكتب الأسـتاذ يحيى أيضـاً، وهو يتحدث عن الأطوار التى مـر بها **الحزب الجمـهورى**، قائلاً: "والطور الثانى كان طور العنف والشدّة والاضطـراب. فقد خرج أفراد الحزب إلى المجتـمعـات والجوامع والمقـاهى يخطبون ضـد الاستعـمار والحكم الثنائـى... ويوزعون المنشـورات السرية المتـضمنّة هذه المعـانى.. وأسفـر هذا الطور عن سجن رئيـس الحزب وبعض أعضائه مدداً مختلفة فى كوبر"[1].

كتب الأستاذ التجانى عامر (1908-1987)، وهو مؤرخ وشاعر وكاتب صحفى سودانى معروف، لديه أكثر من سـتة مؤلفات منشورة، جُلها فى مجال الدراسات التاريخية. كتب التجانى فى صحيفة الصحافة 1975/4/16، وهو يتحدث عن **الحزب الجمهورى** قائلاً: "قد يكون هذا الحـزب من أقـدم الأحزاب السـودانيـة بحساب الزمن... مـؤسس الحـزب هو الأسـتاذ مـحـمود مـحـمد طه، الذى كـان من أبرز الوجـوه الوطنيـة،فى مسـتـهل حركـة النضال...". لـقد ظل **الحزب الجمـهورى** برئاسـة الأستاذ مـحمـود قائماً مـنذ عام 1945، واستمـر فى مناهضته للاستـعمار حتى اسـتقلال السودان، وظل يدعو لمبـادئه حتى تم حل الأحزاب السياسيـة عند قيام ثورة مايو عام 1969". الشاهد، أنه يصعب فهم إغـفال السيد

(1) يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مرجع سابق، ص 144-146.

أبو حسبو لذكر **الحزب الجمهورى** فى مذكراته، خاصة وأنه أشار لأحزاب صغيرة وكان عمرها قصير اً جداً، كما أشار لأحزاب قامت بعد **الحزب الجمهورى**. إنى لا أرى تفسيراً لعدم ذكر **الحزب الجمهورى** فى مذكرات أبو حسبو وهو يتحدث عن قيام الأحزاب السياسية، سوى الإهمال المتعمد والإغفال المقصود، وهذا أمر اتفق فيه معظم طلائع المتعلمين وقد ظهر جلياً فى دراستى لمذكراتهم عبر هذه السلسلة.

أيضاً، تناول السيد أبو حسبو فى مذكراته، الطائفية وحروبها، وتحدث عن تأثيرها السلبى على الفضاء السياسى السودانى. وفى هذا كان الأستاذ محمود من أوائل الذين لفتوا انتباه طلائع المتعلمين لأمر الطائفية، بل كان أكثرهم كتابة للمقالات والمناشير والكتب حول هذا الشأن. وتحدث السيد أبو حسبو فى الفصل الثانى عشر عن دستور السودان الدائم. وتناول بعض القضايا الدستورية، وتحدث عن اللجنة التى كوِّنت للنظر فى وضع الدستور الدائم، وأشار إلى أنها رغم الصعاب استطاعت أن تضع مشروعاً للدستور، وقُدم المشروع للجمعية التأسيسية التى أقرته فى القراءة الأولى والثانية وقبل القراءة الثالثة وقع انقلاب مايو عام 1969. وذكر أنه كان وقتئذ وزيراً للعدل، كتب عبد الماجد أبو حسبو فى مذكراته ضمن محور بعنوان: "حكومة محجوب الثانية فى مايو سنة 1967"، كتب أبو حسبو قائلاً: "وتشكلت الحكومة برئاسة محمد أحمد المحجوب وأعطى **الحزب الوطنى الاتحادى** أربع وزارات **وحزب الشعب** مثلها وكذلك **حزب الأمة**. كما أعطيت وزارتان للجنوبيين. وفى هذه الوزارة أصبحت وزيراً للإعلام والشؤون الاجتماعية ووزيراً للعدل وزعيماً للمجلس، وكوزير للإعلام كنت الناطق الرسمى باسم الحكومة"(1). هنا نحن أمام وزير تولى وزارة العدل إلى جانب وزارة الاعلام والشؤون الاجتماعية، حتى انقلاب 25 مايو عام 1969. كتب عبدالماجد قائلاً:

عندما وضعت اللجنة مشروع الدستور الدائم كنت وزيراً للعدل وكانت وزارة العدل بحكم وظيفتها مسئولة عن الصياغة وعن مشروعات القوانين. وقبل تقديم

(1) عبد الماجد أبو حسبو، **مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان**، مصدر سابق، ص 201.

مشـروع الدسـتور للجـمعـية التـأسيـسة رأيت أن نعـرض ذلك المشروع على العـالم الدستورى الأستاذ العلامة السنهورى فى مـصر، وكونت وفداً يمثل مختلف وجهات النظر من الأساتذة المختصيـن، والسياسيين والقضاة، لحمل مشـروع الدستور وعرضه على العلامـة الأستاذ السنهـورى الذى درس المشروع وأبدى عليـه ملاحظات قيـمة. عرض الدسـتور على الجـمعـية التـأسيسـة لدراستـه ومناقشـته وإقراره وتمت بالـفعل القراءة الأولى والثـانية وأجيزتا، وقبـل القراءة الثالثة والأخيـرة وقع انقلاب 25 مايو سنة 1969..[1].

أليس معـقولاً أن يتـوقع الباحث والقـارىء أن يجد حـديثاً عن محكـمة الردة فى مذكـرات وزير العدل الذى شهـد المحكمة وقـامت فى عهده وشـارك فى حوارات لا حد لها عنها بحكم مـسؤوليته؟ أليس من حقنا أن نجد توثيقاً لـهذا الأمر فى مذكرات وزير العدل؟ ما هو الأهم بالنسبة لوزير عدل أكـثر من سابقة محكمة ردة، تحكم بردة مثقف عن الإسـلام؟ أهذا أمر طبيعى أن ينـسى وزير العدل أهم وأكبر قـضية وأعظم حدث؟ الشـاهد أن السيد أبو حسـبو، وزير العدل، أهمل الحديث عن مـحكمة الردة برغم أهميـتها، وقربه منـها ومن أحداثها بحكم تخـصصه فى القـانون وتوليه لوزارة العدل أكثر من مرة.

الشاهد أنه على الـرغم من النضـال الوطنى للأسـتـاذ مـحـمـود، ورئاسـتـه **للحـزب الجمهورى** وهو من أوائل الأحزاب الاسـتقلالية، حيث نـشأ فى عام 1945، تجاهله معظم معاصريه من طلائع المتعلمين عندما كتبوا مـذكراتهم، وأغفلوا ذكره، وحجبوا سيرة حزبه، وهمَّشوا دوره وجهـاده ضد المستعمر. لقد تجلى ذلـك الإغفال المتعمد والتهـميش المقصود لدور الأسـتـاذ محمود وحـزبه بوضوح فى نماذج المذكرات السـابقة، وكذلك فى مـذكرات السيد عبد الماجد أبو حسبو.

---

(1) المرجع السابق، ص 267-268.

مذكرات السيد محمد أحمد المحجوب[1]

المحجوب والنشاط السياسى

كان المحجوب من أبرز أعضاء "جماعة الهاشماب" (أولاد الموردة)، وقد عرفت فيما بعد بمدرسة الفجر، إشارة إلى "**مجلة الفجر**" التى أصدرتها الجماعة فى عام 1934. هذه الجماعة هى واحدة من جماعات أنشأها المثقفون بعد أن ترسمت الإدارة الاستعمارية بعد ثورة 1924، سياسة تعسفية وإجراءات قاسية تجاه المتعلمين. فى ظل هذه السياسة التعسفية اتجه طلائع المتعلمين إلى إنشاء جماعات القراءة فى الأحياء والجمعيات الأدبية بأندية الخريجين والموظفين[2]. ومارسوا من خلالها نشاطاتهم الأدبية والاجتماعية. كتب البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم (1927-2004) عن ما انتهت إليه جماعة الهاشماب قائلاً: "كانت جماعة الهاشماب تنافس جماعة الأشقاء داخل مجموعة الخريجين...، ثم انتهت بالارتباط نهائياً بالسيد عبد الرحمن وبالحركة الاستقلالية بينما شق الأشقاء طريقاً آخر، هو الحركة الاتحادية والعمل فى ساحة الختمية"[3]. عندما تمحورت الحركة السياسية

---

(1) وُلد السيد محمد أحمد المحجوب فى مدينة الدويم عام 1908. تخرج فى قسم الهندسة **بكلية غردون** عام 1929. عمل مهندساً بمصلحة الأشغال العامة ثم ترك الهندسة واتجه إلى دراسة القانون فالتحق بمدرسة الحقوق عام 1936. انتظم فى سلك القضاء بعد تخرجه مباشرة عام 1938، وعمل قاضياً حتى عام 1946 حيث استقال من عمله. بعد أن قُبلت استقالته، أُعطى رخصة المحاماة. عمل بالمحاماة حتى وفاته إلا فى الفترات التى تقلد فيها مناصب وزارية. أصبح زعيماً للمعارضة بعد انتخابات 1953 وكان له شرف رفع علم السودان على سراى الحاكم العام بالاشتراك مع السيد إسماعيل الأزهرى الذى كان رئيساً للوزراء. كما رفع علم السودان على مبنى **الأمم المتحدة** فى يوم 19 ديسمبر عام 1956، وهو وزيرٌ للخارجية. كانت عضوية السودان فى **الأمم المتحدة** قد قبلت يوم 1956/11/12. فى عام 1958 ترشح المحجوب لرئاسة الجمعية العمومية **للأمم المتحدة** منافساً للدكتور شارل مالك (1906-1987)، وزير خارجية لبنان. وقد فاز الأخير برئاسة الأمم المتحدة. أشار المحجوب لهذا الترشيح فى مذكراته صفحة (105) قائلاً: "أما أنا فلم أكن تواقاً بصورة خاصة لترشيح نفسى، ولكن بعد جدل طويل أقنعتنى الدول العربية بقبول الترشيح". تقلد المحجوب وزارة الخارجية مرة ثانية بعد ثورة أكتوبر 1964. أُنتخب رئيساً للوزراء فى يونيو عام 1965، ثم مرة أخرى فى مايو 1967 حتى قيام ثورة مايو عام 1969. قضى فترات فى المنفى الإجبارى بالجنوب إبان الحكم العسكرى الأول (انقلاب 1958)، والإقامة الجبرية بمنزله فى أوائل الحكم العسكرى الثانى (ثورة مايو 1969) ومن ثم المنفى الاختيارى بلندن. وتوفى عام 1976.

(2) قاسم عثمان نور، **أضواء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين 1925-1938**، مرجع سابق، ص 31-43.

(3) محمد إبراهيم أبوسليم، **أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان**، مرجع سابق، ص 23.

حول حركتى الاستقلال والاتحاد (مع مصر)، اختار المحجوب الحركة الاستقلالية. وبعد استقالته من القضاء عام 1946 أصبح الأمين العام للجبهة الاستقلالية، التى نشأت فور إعلان بروتوكول صدقى/ بيفن فى أكتوبر عام 1946، (من أجل إنهاء الحكم الثنائى وقيام الحكومة السودانية التى تتصرف بمحض إرادتها فى سيادة السودان وعلاقته بمصر)[1]. وهى غير الجبهة الاستقلالية التى كوِّنت عام 1955 بغرض التأييد لمسعى الاستقلال. بعد أن اكتسح الاتحاديون انتخابات عام 1953. كوَّن المحجوب فى عام 1950 مع آخرين ما سمى بـ "هيئة تحرير السودان". كتب الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011) عن تلك الهيئة قائلاً: استقال المحجوب من الجمعية التشريعية واستقال منها بعد ذلك صالح عبد القادر (1897-1968)، وأحمد يوسف هاشم (1903-1958). وقد أطلق عليهم يوم ذاك الفرسان الثلاثة، وقد كوَّنوا مع آخرين فى أوائل عام 1950، ما سمى بهيئة تحرير السودان، ومن بين أهدافها محاربة الطائفية[2].

ترشح المحجوب فى انتخابات عام 1953، وأصبح زعيماً للمعارضة فى أول دورة لمجلس النواب. وحتى ذلك الوقت لم ينضم المحجوب لأى حزب من الأحزاب السياسية. قال فى صفحة (42، 52) من مذكراته: "انتخبت كمرشح مستقل عن دائرة الخريجين، لم انضم حتى ذلك الحين إلى أىّ حزب سياسى،... فقد شعرت بأن أى انقسام فى صفوف المفكرين، خلال الصراع فى سبيل التحرر القومى، يؤذى القضية العامة كثيراً. لذلك قررت ألا انضم إلى أى حزب أو جماعة...". وفى عام 1954 أصبح زعيماً للمعارضة، وكان السيد إسماعيل الأزهرى رئيساً للوزراء. انضم المحجوب **لحزب الأمة** عام 1956، كتب فى مذكراته صفحة (190) قائلاً: "وقد انضممت إلى **حزب الأمة** خلال مهرجان سياسى فى كانون الأول (شهر ديسمبر) 1956 وسببه الرئيسى هو أننى كنت قد تعاونت مع الحزب عندما كنت أميناً للجبهة الاستقلالية وكان **حزب الأمة** آنذاك الوحيد الذى تتوافق سياسته مع قناعاتى السياسية". لأسرة الهاشماب التى ينتمى إليها المحجوب صلة قديمة وقوية

---

(1) فيصل عبد الرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، مرجع سابق، ص 275.

(2) يحيى محمد عبد القادر، **على هامش الأحداث فى السودان**، مصدر سابق، ص 44، 154.

بحزب الأمة، تعود جذورها إلى بداية الثورة المهدية. فـقد عمل أجداد المحجوب فى ديوان المهدية. وكان جده لأمه الأمير عبد الحليم مساعـد أحد قادة جيوش الإمام محمد أحمد بن عبد الله المهدى (1844-1885). وهو القائد الذى تلقى الأوامر من المهدى يوم الهجوم على الخرطوم بألا يقتل غردون، وبعد مقتل غردون تولى الأميـر عبد الحليم التحقيق فى عصيان هذه الأوامر، إلا أن التحـقيق لم يسفر عن معرفـة القاتل كما ذكر المحجـوب فى مذكراته. أيضاً، كانت والدة المحجوب وهى طفلة قد قطع جـزء من أذنها فى إحدى معارك المهدى. قال المحجوب فى مذكراته صفحة (14، 15) "ولدت فى عائلة لـم تعرف مرارة الاستياء من الحكم الأجنبى فحسب بل حـاربت الغزاة فعلاً،... كثيراً مـا قامت النساء بدور مع الرجال فى حملات المهدى. أصابت أمى دمغة جسدية من جراء هذه المشاركة دامت طوال حياتها. فقـد حضرت جـدتى لأمى إحدى المعارك مع جـدى، وكان قائداً فى جـيش المهدى، وهى تحمل على ذراعـها ابنة لها فى الثانيـة من عمرها. نعست الطفلة (التى قـدر أن تصبح أمى) نامت على كـتف أمها وإذا برصـاصة تكشط كـتف الأم وتقطع نصف إذن الطفلة. ولو أن الرصاصة كانت أعلى نصف بوصة لما كنتم تقرأون هذا الكتاب اليوم".

الإنتاج الفكرى للمحجوب

نشر المحـجوب العديـد من المقالات فى مجلة النهـضة السـودانية (1931-1932)، وفى مجلة الفجر (1934-1937)، وقد ضمنها فى كتابه: (**نحو الغد**) الذى نُشر نهاية الستينيات. ونشر كـتاباً بعنوان: **الحركـة الفكرية فى السـودان، إلى أين يجب أن تتـجه؟**، عام 1941. وكتاب (**الحكومة المحليـة فى السودان**)، عام 1944. كما وضـع كتاب (**موت دنيا**)، عام 1946 بالاشتراك مـع ابن خاله وصديقه عـبد الحليم محمـد. أيضاً، كان المحجـوب شاعراً وأصدر عـدداً من الدواوين الشـعرية كان أولـها: (**قصـة قلب**)، ونُشـر عام 1961. وديوان (**قلب وتجارب**) عام 1964. و (**الأندلس المفـقود**)، عام 1969. وكـان ديوانه الأخيـر هو (**مسبـحتى ودنى**)، الذى نُشر عام 1977. هذا إلى جانب أشـعار ومـقالات ومحـاضرات أخرى لم تجد طريقـها للنشر. يرى البروفسـير أبو سليم أن المجد السياسى للمـحجوب بدأ عندمـا تولى زعامـة المعارضـة وشارك إسـماعـيل الأزهرى فى رفع العلم ثم انتـهى بمؤتمر

الرؤساء والملوك العرب بالخرطوم. أما ما بعد ذلك فكان وضعه السياسى مجرد تحصيل لصراع حزبى. وكان المحجوب شبه معطل عن العمل خصوصاً بعد أن أصيب بالنوبة القلبية. أما مجده الأدبى فكان فى الفترة السابقة لاستقالته من القضاء عام 1946. (محمد إبراهيم أبو سليم، مصدر سابق، ص 18). وعلى الرغم من الانتاج المعرفى الذى نشره المحجوب، والعطاء السياسى الذى قدمه، وعده لنفسه (المحجوب) من زمرة المفكرين، وقد أشار لذلك فى أكثر من موقع فى مذكراته، على الرغم من ذلك فإن لورد كارادون وصف المحجوب فى التقديم الذى كتبه لمذكراته قائلاً: "ليس مفكراً بناءً مثل نايريرى فى تنزانيا، ولم يستطع أن يحقق التسوية الوطنية فى السودان كما حققها غوان فى نيجيريا... ولكن فترة الانتقال الصعبة التى أبقاها حيَّة وروح الخدمة العامة المخلصة، يكونان مثلاً شخصياً رائعاً).

مذكرات السيد المحجوب

صدرت مذكرات المحجوب بعنوان: **الديمقراطية فى الميزان: تأملات فى السياسات العربية والإفريقية**، عام 1974 باللغة الإنجليزية. أما الترجمة العربية التى وقفت عليها فقد صدرت فى طبعتها الثالثة عام 1989 من دار جامعة الخرطوم للنشر، وطبعتها مطابع الأهرام، القاهرة، مصر. تقع المذكرات فى ثلاثمائة وتسع وأربعين صفحة من القطع الصغير. بدأت بتقديم كتبه الدبلوماسى البريطانى لورد كرادون، ثم قسمت المذكرات إلى سبعة أقسام، كل قسم يحتوى على عدد من العناوين تم تحتها تناول الموضوعات. وقد بلغ مجموع عناوين الأقسام مجتمعة ستة وثلاثين عنواناً. استهل القسم الأول بكلمة عنوانها: "وقت للتأمل" كانت بما يشبه التمهيد للمذكرات، وصف فيها ما يكتبه بأنه تأملات قائلاً: "ليس هذا عرضاً تاريخياً للحوادث التى سادت حياة أحد رجال السياسة، بل محاولة للتأمل فى بعض الحوادث التى أثرت فى مصير بلدى أو كان لها أثر بعيد المدى فى القارة الإفريقية والشرق الأوسط. إن ما جعلنى أقرر كتابة هذه التأملات فى الدرجة الأولى هو أننى فى الرابعة والستين، فى خريف العمر، منفى عن وطنى باختيارى". ثم تناول الأحداث التاريخية والتطورات السياسية فى السودان حتى الاستقلال. وقف عند العهد التركى والمهدية وعهد الحكم الثنائى. وتناول مؤتمر الخريجين واتجاهات الحركة الوطنية بشقيها الاستقلالى والاتحادى (الاتحاد مع مصر)، وتحدث عن قيام الأحزاب السودانية.

وفى القسمين الثانى والثالث تناول جمال عبد الناصر (1918-1970)، وتأثيره والحوادث فى عهده إلى جانب أسباب فشل سياساته وانعكاساتها، ووقف عند حرب الأيام الستة ومؤتمر القمة العربى. وفى القسم الرابع تناول حرب اليمن. وفى القسم الخامس تناول فترة ما بعد الاستقلال، تعرض للحكم العسكرى الأول والثانى والفترة الديمقراطية بينهما، وتحدث عن ثورة أكتوبر وفشل الأحزاب، كما وقف عند مشكلة الجنوب. وفى القسم السادس تناول مشاركة السودان فى الحركات الإفريقية نحو التحرر، وتحدث عن الوحدة الإفريقية والبناء المشترك. وفى القسم السابع قدم خلاصة تأملاته تحت عنوان: "أخطاء الماضى وأمانى المستقبل"، ثم ختم مذكراته برسالة وسمها بـ "رسالة أمل للجيل الطالع".

الأستاذ محمود فى مذكرات السيد المحجوب

خلت مذكرات المحجوب تماماً عن أى إشارة للأستاذ محمود أو حديث عن قيام **الحزب الجمهورى**. على الرغم من أن المحجوب تحدث عن قيام الأحزاب الاستقلالية والاتحادية. فالمحجوب كان جزءاً من الحركة الاستقلالية، كما أن **الحزب الجمهورى** كان من أوائل الأحزاب الاستقلالية، وترأسه الأستاذ محمود منذ إعلان قيامه عام 1945. أيضاً، تناول المحجوب أحداثاً ووقائع وحقائق فى مذكراته كان للأستاذ محمود **والحزب الجمهورى** سهومٌ فى صناعتها. وكذلك كان المحجوب يعلم بسجن الأستاذ محمود فى نهاية الأربعينيات، بل حينما سجن الأستاذ محمود بسجن كوبر وعصى أوامر السجن، جاء بعض رفقاء الأستاذ محمود إلى المحجوب، وكان وقتئذ قد انتقل للعمل فى مجال المحاماة، وطلبوا منه أن يذهب معهم لزيارة الأستاذ محمود فى سجن كوبر. يضاف إلى ذلك أن الأستاذ محمود اشترك مع السيد المحجوب فى أعمال كثيرة منها: العضوية فى الجبهة الاستقلالية الأولى التى تكوَّنت عام 1946، وعضوية الجبهة الاستقلالية الثانية التى تكوَّنت عام 1955، وعضوية لجنة الدستور. وقبل ذلك كان المحجوب قد نقل للعمل فى دائرة شندى القضائية التى كانت تشمل مدينة عطبرة عام 1941[1]. لابد من أن يكون قد سمع المحجوب بدور الأستاذ محمود فى نادى الخريجين بعطبرة وبنشاطاته. فحينما انتقل

(1) محمد إبراهيم أبوسليم، **أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان**، مرجع سابق، ص 14.

المحجوب إلى هناك فى نفس العام الذى استقال فيه الأستاذ محمود عن عمله بعطبرة، قام المحجوب بنشاطات سياسية كبيرة وقدم المحاضرات فى شندى وفى نادى الخريجين بعطبرة، لابد أن يكون قد عرف بل كان ملماً بدور الأستاذ محمود سكرتير نادى الخريجين بمدينة عطبرة، فى الساحة هناك، ولابد للمحجوب أن يكون قد عرف دور الأستاذ محمود فى تغيير اسم النادى من نادى السكك الحديد إلى نادى الخريجين، ودوره فى الإتيان بنظام الانتخابات فى النادى. ويمكن أن نقف على بعض هذه المحطات بشىء من التفصيل.

نشأة الأحزاب وإغفال الحزب الجمهورى

تحدث السيد المحجوب فى القسم الأول من مذكراته عن مؤتمر الخريجين وعن اتجاهات الحركة الوطنية بشقيها الاستقلالى والاتحادى، وتناول قيام الأحزاب السودانية. تحدث عن قيام **حزب "الأشقاء"، وحزب "الاتحاديين"، وحزب الأمة، والحزب الشيوعى** (الحركة السودانية للتحرر القومى)، **والحزب الوطنى الاتحادى**. وأشار فى مواقع متفرقة إلى **حزب الأحرار، وحزب سانو، والحزب الفدرالى، وحزب الوحدة السودانى، وحزب الاستقلال الجمهورى، والحزب الجمهورى الاشتراكى، وحزب الشعب الديمقراطى**، وجبهة الميثاق (الإخوان المسلمين)، **والحزب الاتحادى الديمقراطى**. ولم ترد حتى مجرد إشارة **للحزب الجمهورى**، أو إلى رئيسه الأستاذ محمود. كتب المؤرخ محمد سعيد القدَّال وهو يتحدث عن قيام الأحزاب السودانية، قائلاً:

> *أول الأحزاب الداعية للاستقلال هو **الحزب الجمهورى** الذى أسسه الأستاذ محمود محمد طه عام 1945. ونشر الحزب برنامجاً انتقد فيه التيارين الكبيرين لارتباطهما ببريطانيا ومصر ولانعدام المذهبية فى عملهما، ودعا إلى استقلال السودان عن بريطانيا ومصر وقيام جمهورية سودانية... فقد أخرج الحزب دعوة الاستقلال من محيط المناورات وطموح السيد عبد الرحمن، إلى نقاء العمل السياسى الحقيقى من أجل الاستقلال فألبسها دثاراً ناصعاً جعل منها دعوة يمكن أن تلهم جيلاً بأكمله. كما أخرج العمل السياسى من دائرة المناورات والتكتيك، إلى رحاب العمل الفكرى القائم على البرنامج*

الملزم المحدد الجنبات والآفاق[1].

أيضاً، لقد ذكرت سابقاً، بأن الأستاذ التجانى عامر (1908-1987)، وهو مؤرخ وشاعر وكاتب صحفى سودانى معروف، لديه أكثر من ستة مؤلفات منشورة، جُلها فى مجال الدراسات التاريخية، كتب فى **صحيفة الصحافة** يوم 1975/4/16 وهو يتحدث عن **الحزب الجمهورى** قائلاً: "قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السودانية بحساب الزمن... مؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه، الذى كان من أبرز الوجوه الوطنية، فى مستهل حركة النضال... وقد تعرض محمود للسجن الطويل...". الشاهد، أنه لم يرد ذكر فى مذكرات السيد المحجوب **للحزب الجمهورى** أو لرئيسه الأستاذ محمود، الذى سجن فى سجن كوبر بسبب نضاله ضد المستعمر.

سجن الأستاذ محمود والمحجوب المحامى

قاد أعضاء **الحزب الجمهورى** نضالاً عظيماً ضد الاستعمار. سجن بعضهم بسببه. وسجن رئيس الحزب الأستاذ محمود مرتين، الأولى فى يونيو عام 1946، والمرة الثانية حينما قاد ثورة رفاعة عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين. أوردت سابقاً العديد من المصادر والمراجع التى تحدثت عن سجن الأستاذ محمود. لقد غطت الصحف المحلية فى الخرطوم خبر سجن الأستاذ محمود فى المرتين، لاسيما صحيفة الرأى العام التى تابعت الخبرين ونشرت برقيات كثيرة، عبر الناس فيها عن مناصرتهم للأستاذ محمود، ودعمهم لمواقفه البطولية. جاءت البرقيات من مدينة الأبيض والقضارف وعطبرة وسنجة وكوستى وغيرها. لا بد من أن المحجوب قد قرأ أو سمع بهذه الأخبار وإن لم يكن قد قرأها فقد جاءه نبأ سجن الأستاذ محمود فى مكانه. كتب محجوب عمر باشرى وهو يتحدث عن سجن الأستاذ محمود بسجن كوبر، وعن ثورته داخل السجن وعصيانه لأوامر سجَّانيه، قائلاً:

وكتبت الصحف عنه، وذهب زملاؤه إلى السكرتير القضائى الذى أخبرهم أن يستعينوا بمحام فاستعانوا بالمرحوم محمد أحمد المحجوب، فلما ذهبوا مع المحامى إلى السجن

---

(1) محمد سعيد القدَّال، **تاريخ السودان الحديث** 1820-1955، مرجع سابق، ص 494، 495.

كانت سلطات السجن قد وضعت محموداً فى حجرة خاصة بها سرير ومنضدة ومقعد وزهرية بها ورد، فأعلن محمود الحقيقة وأبان الخدعة[1].

على الرغم من أن رواية محجوب باشرى، هذه، موضع نظر لدى البعض، إلا أنها تعكس حقيقة أن سجن الأستاذ محمود كان معلوماً بين المثقفين. لقد كان المحجوب يعلم بسجن الأستاذ محمود ويعرف دوره فى النضال ضد المستعمر، ومع ذلك لم ترد حتى مجرد إشارة إلى قيام **الحزب الجمهورى** أو نضال رئيسه الأستاذ محمود.

تكوين الجبهة الاستقلالية (الأولى)

تحدث السيد المحجوب عن الجبهة الاستقلالية، التى نشأت فور الإعلان عن بروتوكول صدقى/ بيفن عام 1946، قائلاً فى صفحة (45): "لكن الحقيقة أن صدقى رجع من لندن إلى القاهرة مبتهجاً وقال إنه رجع والسيادة على السودان فى جيبه. استقلت حالاً من القضاء... فى ذلك المساء ألقيت خطاباً فى اجتماع عام فى أمدرمان. هناك ألفنا الجبهة الاستقلالية التى أصبحت أمينها العام. كان هدفنا تنظيم جميع الذين أيدوا استقلال البلد التام، ومقاومة أى حركة للاتحاد بمصر أو لوضع السودان تحت التاج المصرى". كان الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** من ضمن المؤسسين للجبهة الاستقلالية. ذكرت سابقاً أنه جاء فى موقع **حزب الأمة القومى** على شبكة الإنترنت: "بادر **حزب الأمة** بتكوين الجبهة الاستقلالية للعمل على انهاء الحكم الثنائى والتى تشكلت فى 28 أكتوبر 1946 فى دار **حزب الأمة** من: **حزب الأمة، حزب القوميين الأحرار، حزب الأحرار، الحزب الجمهورى**، ونفر من المستقلين"[2]. كتب فيصل عبد الرحمن على طه قائلاً: "لقد تعاون **الحزب الجمهورى** مع **حزب الأمة** وأحزاب استقلالية أخرى فى إطار الجبهة الاستقلالية عندما أوقف **حزب الأمة** التعاون مع حكومة السودان وأعلن الجهاد. وقد عبَّر **الحزب الجمهورى** عن ذلك بقوله: "كانت هناك حواجز بيننا وبين **حزب الأمة**، ولكن عندما أعلن الجهاد

(1) محجوب عمر باشرى، مرجع سابق، ص 362، 363.
(2) عن حزب الأمة، التاريخ: المراحل السبعة، "المرحلة الأولى: تكوين الحزب 1945 وحتى انقلاب 1958"، مرجع سابق.

ورفض التعاون مع الإنجليز سقطت تلك الحواجز، واشتركنا فى الجبهة الاستقلالية"[1].
أيضاً، كتب الأستاذ يحيى محمد عبد القادر وهو يتحدث عن أبرز أعمال **الحزب الجمهورى** فى الطور الثانى، قائلاً: "وكان من أبرز أعمال الحزب خلال هذه الفترة تعاونه مع الجهة الاستقلالية لمحاربة مشروع اتفاقية صدقى - بيفن التى أقرّت وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل.. ثم انسحابه من الجبهة بعد انقشاع هذه المخاوف"[2]. الشاهد، أن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** كان جزءاً من الجبهة الاستقلالية، ومشاركاً فى نشاطاتها، وعلى الرغم من ذلك لم يذكر المحجوب شيئاً فى مذكراته عن الأستاذ محمود أو عن **الحزب الجمهورى**.

تكوين الجبهة الاستقلالية (الثانية)

تشكلت الجبهة الاستقلالية مرة ثانية فى يناير 1955، وكانت أوسع فى عضويتها من تلك التى تكوّنت عام 1946. وكان **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود عضواً فيها. كتب فيصل عبد الرحمن على طه قائلاً: "فى الليلة السياسية التى أُقيمت بدار **الجبهة المعادية للاستعمار** فى 23 يناير 1955 وشارك فيها خطباء من **حزب الأمة وحزب الاستقلال الجمهورى**، دعا محمد أحمد المحجوب زعيم المعارضة لتكوين جبهة وطنية للاستقلال واقترح تكوين لجنة تمهيدية لدراسة المشروع. استجابت لدعوة المحجوب أحزاب **الأمة والجمهورى والجمهورى الاشتراكى والجبهة المعادية للاستعمار** وشخصيات مستقلة وشخصيات عمالية"[3]. وقد تم بعد ذلك تكوين الجبهة الاستقلالية. يقول فيصل فى كتابه آنف الذكر، "وفى أول اجتماع أخذ المجتمعون بالأسس التى اقترحها اتحاد طلاب كلية الخرطوم الجامعية وهى: الاستقلال التام، وكفالة الحريات العامة، وعدم ربط البلاد بالأحلاف العسكرية ومعونات الدول الأجنبية التى تؤثر على سيادة البلاد. ومن ثم حددت الجبهة الواجبات العملية التى ينبغى القيام بها، وتطورت مطالبها. وفى اجتماع عقد فى

(1) فيصل عبد الرحمن على طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان** (1936-1953)، مرجع سابق، ص 231.

(2) يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مرجع سابق، ص 144-146.

(3) فيصل عبد الرحمن على طه، **السودان على مشارف الاستقلال الثانى** (1954-1965)، مرجع سابق، ص 205.

5 مارس قررت الجبهة الاستقلالية تقديم اقتراح للبرلمان يدعو للجلاء الفوري للقوات المصرية والبريطانية عن السودان بموجب المادة 9 من اتفاقية عام 1953 بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان". الشاهد أن **الحزب الجمهوري** برئاسة الأستاذ محمود كان عضواً في الجبهة الاستقلالية حتى جاء انسحابه منها في يونيو 1955، قائلاً إنه انسحب من الجبهة لأنه يرى أن الهدف الأساسي قد تحقق. قال فيصل: "أعلن **الحزب الجمهوري** في منتصف يونيو 1955 انسحابه من الجبهة الاستقلالية لأن الفكرة الاستقلالية قد تركزت في أذهان السودانيين جميعاً"[1].

لجنة الدستور القومية

أشترك السيد المحجوب والأستاذ محمود في أعمال عديدة كما ذكرت، وكان من بين هذه الأعمال العضوية في لجنة الدستور القومية. يقول إبراهيم محمد حاج موسى: "شُكِّلت اللجنة القومية للدستور في سبتمبر سنة 1956 لوضع مشروع للدستور الدائم يعرض على الجمعية التأسيسة عند قيامها"[2]. وأشار إبراهيم إلى أن مشروع الدستور الذي أعدته اللجنة لم يعرض على الجمعية التأسيسية بسبب وقوع الانقلاب العسكري 17 نوفمبر 1958. ويضيف فيصل عبد الرحمن علي طه قائلاً: "... تم تكوين لجنة قومية من 46 عضواً لوضع الدستور الدائم للبلاد". ثم ذكر فيصل أسماء أعضاء اللجنة وكان من بينهم الأستاذ محمود والسيد المحجوب[3]. تقدم الأستاذ محمود إلى اللجنة باقتراح طلب فيه بأن تكون لجنة الدستور مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومة، تعين رئيسها وأعضاءها، وتتخذ ما تشاء، بعيدة عن الحكومة، فسقط الاقتراح. عندها أعلن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهوري** انسحابه من اللجنة، وكتب خطاباً نُشر بجريدة الرأي العام بتاريخ 1957/1/26، جاء فيه:

"حضرة السيد رئيس لجنة الدستور القومية، والسادة أعضاء اللجنة المحترمين

تحية طيبة،وبعد: يؤسفنا أن نبلغكم إنسحابنا من اللجنة القومية للدستور، وذلك لانهيار

(1) المرجع السابق، ص 214، 215.

(2) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 71.

(3) فيصل عبد الرحمن علي طه، **السودان على مشارف الاستقلال الثاني** (1954-1956)، مرجع سابق، ص 351.

الأساس الذى قبلنا به الاشتراك فيها.. فقد جاءت فكرة تكوين هذه اللجنة عقب رغبة حقيقية أعلنها الرأى العام السودانى، كيما تساعد على إبراز الرأى المعبر عن مُثُل الشعب الإنسانية، ليصاغ منها دستوره، وقامت الحكومة بتنفيذ فكرة تكوين اللجنة باعتبار أنها أصلح من يقوم بمثل هذا العمل.. وما كنا لنبخس الحكومة حقها فى شكرها على أدائها هذا العمل لو سارت فيه السير الصحيح.. ولكن مع الأسف كونت اللجنة بصورة يصدق عليها أن تعتبر لجنة حكومية، وليست قومية، فاستحلّت الحكومة لنفسها أن تعيّن رئيسها، وتعيّن أعضاءها المستقلين، حسبما يروقها، وهذه من أخص حقوق اللجنة التى ما كان للحكومة أن تتغوّل عليها.. وكان أملنا أن تسترد اللجنة حقوقها المسلوبة، ولكن اللجنة نفسها، خذلتنا عندما أسقطت الإقتراح الذى تقدمنا به فى هذا الصدد فارتضت لنفسها بذلك وضعاً مهيناً، لا نشعر بالكرامة فى قبوله، والاستمرار فيه.. وقد قال بعض أعضاء اللجنة، أن اللجنة عينتها الحكومة، وعينت لها اختصاصاتها، وليس من حق أعضائها أن يعيدوا النظر فيما حددته الحكومة، بل لايتورّع بعض الأعضاء من أن يعلن أن الدستور منحة تمنحها الحكومة للشعب الذى هى ولية أمره فيفصح بذلك عن كفرانه بالشعب أصل الدساتير، كل هذا يقال داخل اللجنة، واللجنة تقبله. وبذلك وضح أن الحكومة تريد أن تجعل هذه اللجنة مخلب قط فى يدها وتتخذ منها أداة لعمل تلبسه ثوب القومية.. وإزاء كل هذا لا يسعنا إلا أن نعلن إنفصالنا من هذه اللجنة.. وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام. **الحزب الجمهورى**"[1].

الشاهد أن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** ليس شخصاً يمكن لمعاصريه أن ينسوه، وهو بهذه السيرة النضالية الناصعة، والحضور القوى والمشاركة الفعالة فى الأحداث وصناعتها، اللهم إلا لمن رغب فى التناسى وعمد للتجاهل، وهذا ما حدث عند المحجوب حينما كتب مذكراته. كان أبو سليم قد أعد دراسة عن المحجوب، وتناول فيها مذكراته: **الديمقراطية فى الميزان**. عاب أبو سليم ترجمة الكتاب لما فيها من أخطاء كثيرة، وأشار إلى أن النسخة المترجمة سقط فيها الإهداء وأُسقطت منها الصور. وخلص أبو سليم في دراسته للكتاب، أن الكتاب صدمه لكثرة ما فيه من الذاتية، وذكر أنه بلغ نهايته

(1) الإخوان الجمهوريون، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية**، الكتاب الثاني، ط1، 1976.

فى القراءة على كره. فالكتاب صوَّر الأحداث كأنما مفاتيح السياسة السودانية كانت فى يد المحجوب، وأن المحجوب أعطى نفسه أكبر مما كان له حقيقة. كان المحجوب يصور الأمور كأنه المنفرد بها، والصانع لها، وكان يغفل من ساهموا معه، وصوَّر الأمور كأنها ثمرة جهده الخاص[1]. إن الإغفال للآخرين فى مذكرات المحجوب كان واضحاً، خاصة إغفال الأستاذ محمود وإغفال قيام **الحزب الجمهورى**. لقد ثبت أن المحجوب كان يعرف نضال الأستاذ محمود ويعلم بسجنه وقد زاره فيه. بل اشترك المحجوب مع الأستاذ محمود فى أعمال عديدة وبالطبع جمعت بينهما اجتماعات كثيرة فى نشاطات الجبهة الاستقلالية الأولى والثانية وفى لجنة الدستور القومية. وبرغم كل ذلك أغفل المحجوب ذكر الأستاذ محمود **والحزب الجمهورى** وهو يتحدث عن قيام الأحزاب، ولم ترد حتى مجرد إشارة **للحزب الجمهورى** وهو أول حزب استقلالى وكان المحجوب استقلالياً. إن أمر تجاهل الأستاذ محمود وإغفال ذكره وحجب نضاله وتهميش دوره، أمر اتفق فيه معظم معاصرى الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين عندما كتبوا مذكراتهم.

الخلاصة: ما هى قيمة تلك الكتب كمصدر لدراسة التاريخ؟

فى التحليل النهائى يكون ضمير الإنسان هو الجوهر الحقيقى للتاريخ[2].

مارك بلوخ، نقلاً عن جراهام ف. توماس

من نماذج المذكرات التى درستها اتضح لى الآتى:

1- خلت جميع نماذج الدراسة من الإشارة إلى الأستاذ محمود أو إلى نضاله ضد المستعمر، عدا مذكرات أحمد خير المحامى ويحيى محمد عبدالقادر. كما كان هناك إغفال تام لذكره أو ذكر سجنه، على الرغم من أن بعض كُتاب هذه النماذج سُجن فى نفس فترة سجن الأستاذ محمود، ومنهم من زاره فى السجن، ومن المؤكد أن جميعهم قد بلغه خبر سجنه.

(1) محمد إبراهيم أبو سليم، **أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان**، مرجع سابق، ص 39، 42.
(2) جراهام ف. توماس، **السودان: الصراع من أجل البقاء** (1984-1993)، ترجمة الطيب الزبير الطيب المنصور، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، القاهرة - دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995، ص 13.

2- التجاهل التام لنشأة **الحزب الجمهورى**، وخلو جميع نماذج الدراسة من الإشارة إليه، عدا يحيى محمد عبدالقادر، وقد تحدثت جميعها عن نشأة الأحزاب السياسية، وأشارت جميعها لأحزاب صغيرة لم يعش بعضها أكثر من ثلاثة أعوام. بل كان من بين كُتاب هذه النماذج رؤساء لأحزاب وقد سعوا للتحالف مع **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود.

3- لم ترد أى إشارة لجهود الأستاذ محمود سواء عضويته فى الجبهة الاستقلالية الأولى (1946) والثانية (1955)، أو عضويته فى اللجنة القومية للدستور (سبتمبر سنة 1956)، برغم اشتراكه مع بعضهم فى عضوية هذه اللجان.

4- لم ترد أى إشارة فى جميع نماذج الدراسة لمحكمة الردة عام 1968، التى عقدت ضد الأستاذ محمود، على الرغم من أن كُتَّاب هذه المذكرات فى تلك الفترة، كان منهم وزراء للعدل، ورئيس للوزراء ومنهم من كان نائباً لرئيس الوزراء. لقد كانت محكمة الردة سابقة فى تاريخ السودان بعد استقلاله إلا أنهم جميعاً أهملوا الحديث عنها برغم أهميتها، وبرغم قربهم من أحداثها بحكم تخصصهم فى القانون وتوليهم للمناصب الدستورية، وتحدثهم فى مذكراتهم باستفاضة عن الحرية والديمقراطية.

5- هناك ما يشبه التحالف أو الاتفاق غير المكتوب فى موقف أصحاب المذكرات من الأستاذ محمود، فى عدم الإشارة إليه.

الإغفال ودلالاته

فى تقديرى، أن الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود فى نماذج المذكرات التى درستها كان إغفالاً وتجاهلاً متعمداً. قصد منه تغييب الأستاذ محمود عن الذاكرة الجمعية، وتهميش دوره ونضاله فى تاريخ الحركة الوطنية ومسار السودان السياسى. ويعود ذلك الإغفال لعوامل عديدة منها الحسد وقد تحدثت سابقاً باستفاضة عن حسد طلائع المتعلمين للأستاذ محمود لما كان يمتلكه من قدرات فكرية فذة ونظرات سياسية ثاقبة إلى جانب قوته فى المواجهة سواء للقوى الاستعمارية أو القوى التقليدية فى المجتمع. ومن بين العوامل أيضاً، أن جميع كُتاب هذه النماذج كانوا على صلة بالطائفية، وقد تحدثت سابقاً

عن مواجهة الأستاذ محمود للطائفية كقوى تقليدية لا جدوى منها سوى إعاقة حركة التطور فى المجتمع، وتجميد حركة التغيير فيه. أيضاً، كان من بين العوامل نقد الأستاذ محمود لموقف طلائع المتعلمين من الاستعمار وسذاجة تعاطيهم مع الأحداث وضعف جهودهم وقلة حيلتهم وضحالة فكرهم وفشلهم فى رسم صورة للمسار المستقبلى للسودان. وقد تحدثت عن كل هذه العوامل بإسهاب فى الفصول السابقة، خاصة إشاراتى لرؤية الأستاذ محمود حول مشكلة الجنوب ومتطلبات وحدة السودان وأسس دستوره التى فصَّلها عام 1955 فى كتاب عنوانه: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**. أيضاً، من دلالات الإغفال للأستاذ محمود **وللحزب الجمهورى**، أن هناك خللاً فى معايير طلائع المتعلمين، ولعل هذا يعود بشكل مباشر إلى المكونات الفكرية وإلى نوع التعليم الذى تلقوه.

ما هى قيمة تلك الكتب كمصدر لدراسة التاريخ؟

هذا السؤال طرحه المؤرخ محمد سعيد القدَّال حينما درس أحد عشر كتاباً من كتب السير الذاتية فى بحث عنوانه: "ملاحظات حول بعض كتب السِّيرة الذاتية السودانية وقيمتها كمصدر لدراسة التاريخ"[1]. كانت نماذجى التى قدمتها فى هذا الفصل هى من ضمن النماذج التى درسها القدّال، أجاب القدّال عن السؤال أعلاه فى خلاصة دراسته لكتب المذكرات والسير الذاتية قائلاً: "ويمكننا أن نخلص إلى القول بأن قيمة غالبية هذه الكتب كمصدر للتاريخ ضعيف، وبعضها لا قيمة له". لم يستثنِ القدال من نماذج المذكرات التى درسها إلا مذكرات الشيخ بابكر بدرى (1864-1954): تاريخ حياتى، ثلاثة أجزاء. وصف القدَّال مذكرات الشيخ بابكر بدرى بأنها ذات قيمة فنية، وقيمة تاريخية، وعدَّها نموذجاً للسيرة الذاتية.

(1) محمد سعيد القدَّال، **الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 133-152.

أثـر تجاهـل الأستاذ محمود

محمود محمد طـه: تميمة الشفاء من الذُل (1)

عبدالله الشقليني

جاءت مذكرات معظم معاصرى الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين بما يشبه الإجماع فى تجـاهل الأستـاذ محـمـود وإغفـال ذكره وحـجب نضالـه وتهـميش دوره. وكان لهـذا التجاهل أثر كبير على صعيد نشـاط المؤرخين والأكاديميين وطلاب الجامعات والدراسات العليـا، الأمر الذى انعكس سـلباً على الفـضاء المعـرفى السـودانى. فقـد اعتـمدت مـعظم الدراسات الأكاديمـية على تلك المذكرات كمصـادر تاريخية. ولما كان التجـاهل والإغفال سمـة تلك المذكرات فقـد خلت معظم الأطروحات والرسـائل الجامعـية من ذكر للأسـتاذ محمود أو ذكر لدوره ونضاله ضد المستعمر كما خلت من الإشارة إلى **الحزب الجمهورى**. كذلك اعتمد المؤرخون وأساتذة العلوم السياسية على تلك المذكرات فخلت معظم كتبهم ودراسات طلابهم التى تناولت تطور الحركة الوطنية السـودانية، الاستقلال، وكذلك المسار السياسى للسودان، من أى ذكر لجهود الأستـاذ محمود أو إشارة لنضاله، كما خلت من أى حديث عن **الحزب الجمـهورى**. سار معظم المؤرخـين وأساتذة العلوم السياسية والكُتاب على نهج مـعاصرى الأسـتاذ محـمود من طلائع المتـعلمين فأغـفلوا الحديث عن الأسـتاذ محمود وتجاهلوا دوره فى جلاء الاستـعمار. ولـم ينفرد من بين هؤلاء إلا عدد قليل، منهم محـمد سـعيد القـدَّال الذى تضمنت مـعظم كتـبه الإشارة للأسـتاذ مـحمود وإلـى نضاله والحـديث عن حزبه. بل يرى القـدّال أن **الحزب الجـمهـورى**، كمـا وردت الإشارة آنـفاً: "...أخـرج دعـوة الاسـتـقلال من مـحـيط المنـاورات وطمـوح السيـد عبد الـرحمن، إلى نقـاء العمـل السياسـى الحقيـقى من أجـل الاستقلال فألبسها دثاراً ناصعاً جعل منها دعوة يمكـن أن تلهم جيـلاً بأكمله. كما أخـرج العمل السيـاسى من دائرة المناورات والتكتيك، إلـى رحـاب العـمل الفكرى القـائم على الـبرنامـج الـملزم المحدد الجنـبات والآفـاق"(2).

---

(1) عبـدالله الشقليني، "مـحمود مـحمد طـه: تميـمة الشـفاء من الذُل"، **من موقع سـودانيز أونلاين**، الاسـترجاع (Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

(2) محمد سعيد القدَّال، **تاريخ السودان الحديث** 1820-1955، مرجع سابق، ص 494، 495.

ومنهم كذلك التجانى عامر، ومنصور خالد، وفرانسيس دينق، وفيصل عبدالرحمن على طه، وآخرون غيرهم.

يقينى، أن طلائع المتعلمين كانوا ضحايا للتعليم الذى تلقوه، وضحايا لمكوناتهم الفكرية والثقافية، ونوع التعليم الاستعمارى بما انطوى عليه من غرسٍ للصراع والمنافسة، وضحايا كذلك لنسق القيم والمفاهيم السائدة فى مجتمعاتهم. كانت سلطة الفقهاء فى القرن الماضى قوة، وكان التحالف الإسلامى، كما وردت الإشارة إليه سابقاً، ضد الأستاذ محمود نافذاً، ففى إغفال أكثرية طلائع المتعلمين لذكر الأستاذ محمود ونضاله ومواقفه، فى مذكراتهم، استجابة لثقافة القطيع، وخضوعٌ منهم للسائد والمألوف، وتخلٍ عن مسؤولياتهم التاريخية.

الفصل
السابع عشر

17

الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون: محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً

في السنوات التى أعقبت ميتته النبيلة، تمّ تبنّى أفكاره من قبل المفكرين المسلمين على امتداد العالم كما من قبل المفكرين السودانيين بوجه خاص دونما أى اعتراف منهم جميعاً بهذا. ويكمن السخف فىّ هذا أن أغلب الذين سلخوا أعمارهم فى محاربة أفكاره كانوا أيضاً ضمن من مارسوا هذه القرصنة الفكرية.

محمد جلال هاشم

In the years that followed his saintly death, his thought will be adopted by piecemeal by many Muslim intellectuals worldwide and the Sudanese intellectuals in particular without ever acknowledging this. The absurdity is that mostly those who spent their lives fighting his thought have practiced this piracy[1].

Muhammad Jalal Hashim

(1) M. Jalal Hashim, "The Death of Mahmud Muhammad Taha in January 18, 19.5, Khartoum: A Case of State Madness", *Khartoum Monitor Newspaper*, January 24, 2011, Khartoum.

نشرت المقالة باللغة الإنجليزية، وقد تمت ترجمة النص أعلاه إلى اللغة العربية بواسطة كاتبه محمد جلال هاشم.

يتميز الأستاذ محمود محمد طه عن غيره من الإسلاميين دعاة الإصلاح والتحديث- فى رأيى- بشجاعته الفكرية غير العادية ووضوحه المفاهيمى فى مواجهة القضايا الحقيقية واقتراح الأجوبة الكافية والتى قد لا تخلو من جدة تجعلها مثار الجدل والاختلاف... كشخص عايشه عن قرب وبحميمية لسنوات طويلة أشهد بشجاعته الفائقة واتساقة النفسى والروحى، كذلك بإنسانيته وتواضعه وعاطفته الحانية [1].

عبدالله النعيم

إن موضوع هذا الفصل كبير ومركزى ومهم. وتكمن أهميته ومركزيته فى أنه يسعى للوقوف على دور الأستاذ محمود، المُغيب قصداً، وهو تغييب فى تقديرى إلى حين، فى تطوير الفكر الإسلامى والإنسانى. أما كبره فيعود إلى أن موضوع الفصل يتعلق بتأثير الأستاذ محمود فى السوح السودانية، وفى الفكر الإسلامى. ويتعلق كذلك بأزمة الفكر الإسلامى والمفكرين الإسلاميين ومواقف بعضهم من الأستاذ محمود، لاسيما محمد أبو القاسم حاج حمد. ويتصل موضوع الفصل كذلك، ليس بالتعاطى الخفى من قبل المفكرين الإسلاميين مع أفكار الأستاذ محمود والاستفادة منها دون الإشارة لصاحبها؛ وإنما الانتحال والنهب Plagiarization لأفكار الأستاذ محمود. ويرتبط كذلك بمراجعة بعض المفكرين والمثقفين لمواقفهم العدائية من الأستاذ محمود وتلاميذه، واعتذار بعضهم لاسيما

(1) عبدالله النعيم، "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد فى القانون الإسلامى"، ترجمة وتحرير حيدر إبراهيم على، **الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان**، مرجع سابق، ص 35، 46.

رئيس القضاء السودانى الأسبق. لهذا، فإن موضوع هذا الفصل، يتطلب إعداد كتب وليس كتاباً واحداً، بيد أنى ونسبة لأهمية لفت الانتباه للموضوع برغم ضيق المساحة وكبر حجم هذا الكتاب، فإننى سأقدم إشارات مختصرة ومداخل مجملة ومقاربات أولية من خلال محاور تمثل رؤوس موضوعات، فى الوقت الذى يصلح كل محور منها ليكون كتاباً قائماً بذاته.

خلق الأستاذ محمود منذ عام 1951، العام الذى طرح فيه مشروعه "الفهم الجديد للإسلام"، تحدياً فكرياً غير مسبوق، وطرح دعوة إسلامية جديدة وأصيلة تنادى بالتطوير والتحرير والتغيير. كما خلق الأستاذ محمود مناخاً علمياً فى التفكير الإسلامى كان جديداً كلية على السودان والإسلام والعالم. كتب يورجن روجالسكى قائلاً: "فقد قام المفكر الصوفى محمود كزعيم وملهم للحركة الجمهورية بمحاولة تخليص الإسلام جذرياً من تقاليده الفقهية والتشريعية الرسمية، وانطلق من ضرورة فك الربط الدوغمائى بين السنة والشريعة. وفى إطار مفهوم التطور الذى يعتمد على التاريخ الإنسانى والوحى معاً، وتأتى السنة فى تسلسل الأخلاقية الفردية للشريعة. هذه الأخلقة أو التخلق يأتى عند طه ضمن الفردية المميزة وتدشين عمليات العلمنة والتحديث"[1]. قدم الأستاذ محمود نموذجاً جديداً لداعية التطوير والتحرير والتغيير من داخل الدين الإسلامى، ليس باعتباره رجل دين، فلا ينبغى أن يكون هناك رجل دين أو امرأة دين؛ وإنما باعتباره صاحب فهم جديد للإسلام يقوم على العلمية والعملية والأخلاق، ولم يكن فقيهاً أو شيخاً منقطعاً للعبادة أو واعظاً على منابر المساجد أو خطيباً فى المناسبات الدينية. يقول حيدر إبراهيم على: "لم تكن غاية الدين عند الأستاذ محمود "أن تحفوا شواربكم" بل الحرية التى تجعل الإنسان يفكر كما يريد ويقول كما يفكر ويعمل كما يقول ثم لا تكون ممارسته لكل ذلك إلا خيراً وبركة وبراً بالناس... قارب الأستاذ محمود بين داخله وخارجه ولم يتنافَ فكره مع قوله ولا قوله مع فعله، عكس الظلاميين تماماً الذين يقولون مالا يفعلون"[2]. طرح الأستاذ محمود مشروعه مستخدماً أدوات المثقف وموظفاً الحداثة، وباعثاً بها من داخل الإسلام، مبيناً بأن لا تعارض

(1) يورجن روجالسكى، "الإخوان الجمهوريون فى السودان"، (جزء من رسالة ماجستير وردت الإشارة إليه فى الفصل الثالث)، ترجمة وتحرير حيدر إبراهيم على، **الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان**، مرجع سابق، ص 46، 87.

(2) حيدر إبراهيم على، "تقديم"، **الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان**، مرجع سابق، ص 6-7.

بين الإسلام والحداثة، يقول إبراهيم محمد زين: "إن أهم ما قدمه محمود محمد طه هو أنه لا تعارض بين الحداثة والإسلام، بل قدم محمود الحداثة من داخل الإسلام برؤية عرفانية. إن أفكار الأستاذ محمود لا تجد نقداً في الغرب لأنها قدمت الحداثة بقراءة عرفانية للإسلام، وربما لا تجد العرفانية اعترافاً في الغرب، لأن الحداثة في الغرب موغلة في العقلانية[1].

بعض الملامح لتأثير الأستاذ محمود في المفكرين الإسلاميين

الكثير من الناس تأثر بالأستاذ محمود، فلننظر إلى الأفكار الجديدة للصادق المهدي وللترابي ولينظروا إلى أفكار الأستاذ محمود لنرى مدى التأثير[2].

منصور خالد

إن الدارس لمشروع الأستاذ محمود بالمقارنة مع الواقع المعاصر، يدرك أن الكثير من أفكار الأستاذ محمود غدت مطلباً واقعياً. ويدرك كذلك بأنه كلما ابتعد الناس زمانياً عن يوم 18 يناير 1985، يوم تنفيذ الإعدام، فإن صورة الأستاذ محمود وسيرته في حالة بعث وإعادة توصيف، وأن التعاطي مع مشروعه أصبح يختلف كلية على ما كان عليه الأمر في النصف الثاني من القرن العشرين (1951-1985). الأمر الذي يجعل النسيان مستحيلاً بل يؤكد قوة التأثير واستمراره وتوسعه. طرح عبدالله النعيم سؤالاً مركزياً، وأجاب عنه بما يعتقد، كتب عبدالله قائلاً: هل من الممكن أن يُنسى عمل الأستاذ محمود تماماً خلال سنوات قليلة دون أن يكون له أثره الدائم؟ لا أعتقد ذلك، فمهما يقول المسلمون عن إجاباته، فهو بالتأكيد قد طرح أسئلة أساسية ودقيقة. وأرى أن مقاربته أو مدخله العقلاني والعلمي في جوهره سيعطي الباحثين والمفكرين الإسلاميين الآخرين نموذجاً جيداً. والأهم من ذلك مثاله الشخصي في الالتزام والشجاعة. فقد كرس حياته لأفكاره في إنكار ذات وتجرد وتصميم طوال أربعين عاماً، وكان سلوكه ونمط حياته اليومية انجازاً غير عادي لإعطاء مثال لشخص يعيش حسب قناعاته ومن أجلها فقط، ناهيك عن أن يستشهد في

(1) إبراهيم محمد زين، "حوار تلفزيوني"، (برنامج مراجعات)، تقديم الطاهر حسن التوم، **قناة النيل الأزرق**، الخرطوم، 2011/6/6، الساعة 22:40.

(2) منصور خالد، "حوار تلفزيوني"، (برنامج مراجعات، حلقة مُعادة)، تقديم الطاهر حسن التوم، **تلفزيون النيل الأزرق**، الساعة 22:35 ، 2009/4/6.

سبيلها، هذا مثال ملهم للبشرية وليس فقط للمسلمين[1]. لاريب أنه ومع تفاقم أزمة الفهم القديم للإسلام وتمدده، فسيأتى اليوم الذى يلتفت العالم وليس المسلمون فحسب، إلى الأستاذ محمود، ذلك لأن الإسلام وفقاً لأطروحات اليوم، وبما تنطوى عليه من فهم متخلف، يعنى غير المسلمين فى المقام الأول، ذلك لحاجتهم للسلام والتعايش والتى تتطلب قراءة جديدة للإسلام. وهذا ما قدمه الأستاذ محمود. يقول سمير أمين: "إن المحاولة الوحيدة لقراءة الإسلام فى اتجاه التحرر كانت تلك الخاصة بالمفكر الإسلامى السودانى محمود طه. ولم تحاول أية حركة إسلامية، لا "راديكالية" ولا "معتدلة" أن تتبنى أفكار محمود طه الذى أعدمه نظام النميرى فى الخرطوم بعد اتهامه بالردة. كذلك لم يدافع عنه أى من المثقفين الذين ينادون "بالنهضة الإسلامية" أو الذين يعبرون عن الرغبة فى التحاور مع هذه الحركات"[2].

لم تقف القراءة الجديدة للإسلام عند الأستاذ محمود فى حدود الطرح النظرى وأصالته؛ وإنما تعدته إلى مختلف المجالات، كتب عبدالله بولا: قائلاً: "إن مساهمة الأستاذ محمود محمد طه لم تقف بأصالتها عند حدود التجديد النظرى بل امتدت إلى كافة مجالات العمل الحركى السياسى والتربوى المنظم"[3]. وأضاف بولا قائلاً: " فقد كان تنظيم "الإخوان الجمهوريين" نموذجاً ممتازاً للجماعة الملتزمة المنضبطة النشطة. وكانت حلقات حوارهم التعليمية "ندوة الخميس" ومؤتمراتهم "أركان النقاش فى الشوارع والمؤسسات التعليمية (وهى تقليد ابتدعوه ثم انتشر عنهم فى الحركة الفكرية والسياسية فى السودان) صوراً حيةً للممارسة الديمقراطية الراشدة. (تشرف كاتب هذه السطور [أى عبدالله بولا] بحضور الكثير منها)". ساهم الأستاذ محمود وتلاميذه مساهمة قوية فى دفع الحياة السودانية فى مختلف المجالات السياسية والفكرية والسياسية والاجتماعية ...إلخ. يقول علم الدين عمر: الفكر الجمهورى الذى قام بصياغة مفاهيمه ومقولاته الإسلامية المفكر السودانى محمود محمد طه فى الأربعينات، قد لعب دوراً فى واقع الساحة السياسية

(1) عبدالله النعيم، "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد فى القانون الإسلامى"، مرجع سابق، ص 45-46.
(2) سمير أمين، **ما بعد الرأسمالية المتهالكة**، ترجمة فهيمة شرف الدين وسناء أبو شقرا،، دار الفارابى، بيروت، ط1، 2003، ص 253-254.
(3) عبدالله بولا، مرجع سابق.

والثقافية فى السودان[1].

قابل التغييب لمشروع الأستاذ محمود فى ردهات مؤسسات التنوير الأكاديمية وغير الأكاديمية وفى الشارع، حضور قوى للأستاذ محمود فى الكثير من أطروحات المفكرين الإسلاميين ومساهماتهم. كانت أفكار الأستاذ محمود حاضرة عندهم دون إعلان عنها، وكان تأثيره واضحاً فى أطروحاتهم، برغم سكوتهم عن ذكر اسمه وإغفال الإشارة إليه، كما جاء فى قول منصور خالد وأشارته إلى الصادق المهدى وحسن الترابى. وسيرد الحديث عن محمد أبو القاسم حاج حمد فى المحور التالى باعتباره أحد أوضح نماذج هؤلاء المفكرين الذين استفادوا من الأستاذ محمود وسكتوا عن الإشارة إليه فى المتن أو فى ثبت المصادر والمراجع. الشاهد أن أثر الأستاذ محمود واضحٌ فى كتابات العديد من المفكرين، وقد تقفى البعض أثره سواء فى قضايا التشريع الإسلامى أو المرأة أو الفنون... إلخ. خاصة وأن الأستاذ محمود طرح آراء جديدة وجريئة فى كل مجال من هذه المجالات. وعن تطوير التشريع كما جاء به الأستاذ محمود كتب أحمد عثمان عمر فى كتابه: أثر **التشريعات الإسلامية فى النظام القانونى السودانى (دراسة تحليلية)**[2]، واصفاً تطوير التشريع الذى أتى به الأستاذ محمود بالفهم الانقلابى، كتب أحمد قائلاً: "ويجدر بنا أن ننوه إلى أن هذا الفهم الانقلابى غير مقبول بالنسبة للأغلبية الساحقة من المسلمين بالرغم من أنه الوسيلة الوحيدة التى تجعل من صياغة دستور أمراً حيوياً وتسمح بوجود ضمانة دستورية القوانين حتى يصح القول بوجود دولة تقوم على سيادة حكم القانون وبالتبعية وجود نظام قانونى.

أما فى موضوع المرأة فقد أحدث الأستاذ محمود ثورة فى تحرير المرأة غير مسبوقة، سواء من حيث مساواتها مع الرجل والحقوق وموقف التشريعات الإسلامية منها أو من حيث مبدأ خروجها وقيامها بدورها وهى شريكة مع الرجل فى الخدمات التنويرية

(1) علم الدين عمر، "الفكر الجمهورى فى السودان"، **الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان**، مرجع سابق، ص 47.

(2) أحمد عثمان عمر، **أثر التشريعات الإسلامية فى النظام القانونى السودانى (دراسة تحليلية)**، الشركة العالمية للطباعة والنشر،القاهرة، 2006، ص 50-51.

والواجبات التنموية والتغيير. كتبت بثينة تروس (بثينة عمر على أحمد)[1] قائلة:

أما نحن الأخوات الجمهوريات تلميذات الأستاذ محمود، فقد تزوجنا بجنيه سودانى واحد على كتاب الله وسنة رسوله، واستبدلنا مهرنا المادى بمقابل كرامتنا، اذ نحن شركاء لأزواجنا فى علاقة متكافئه، متساوين فى الحقوق والواجبات، قال تعالى: (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف.. وللرجال عليهن درجة).. ومن الشريعة الإسلامية السمحاء كانت العصمة لنا حقا كما هى حق لأزواجنا.. ومن ثم نفوض فى أمر طلاقنا ولا يتم تطليقنا بواسطة البريد او غيابيا أو نُطلب فى بيوت الطاعة، كما يحدث فى الغالب بين المسلمين اليوم ومن دون سبب شرعى مقبول يحفظ للمرأة كرامتها وعزتها[2].

من المهم الإشارة إلى مواقف المثقفين المصريين، بحكم خصوصية العلاقة بين السودان ومصر، وفى مقابل مواقف شيوخ الأزهر. لقد كان مواقف المثقفين المصريين من غير شيوخ الأزهر، تجاه الأستاذ محمود بصورة عامة متفاوتاً، فهناك من احتفى بالأستاذ محمود وبمشروعه كما الحال بالنسبة لسمير أمين، وفتحى رضوان، وحسين أحمد أمين ومحمد المسمارى ورفعت سيد أحمد وغيرهم، فقد وسم بعضهم مشروع الأستاذ محمود بالتميز والتفرد وكذلك مواقفه، وقد ورد ت الإشارة فى الفصول السابقة لبعض إسهاماتهم وأقوالهم فمنهم من دافع ومنهم من ألف الكتاب ومنهم من كتب المقال فى مناصرة ومؤازرة الأستاذ محمود. بينما كان هناك من المثقفين المصريين من هو على النقيض تماماً من هذه المواقف، ومن هؤلاء كان الكاتب صلاح منتصر. كتب صلاح منتصر بعد أسبوعين من تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود مقالاً بعنوان: "الطيب الذى شنقوه"[3]، وقد ثبت الشيخ محمد نجيب المطيعى مقال صلاح منتصر فى كتابه:

---

(1) كان مقال بثينة رداً على مقال جاء بعنوان:"شاهد على ردة محمود محمد طه"، ونشر **بجريدة الإنتباهة** بتاريخ الأحد 17 فبراير 2013.

(2) بثينة تروس، "المتفاخر بشهادة (كل) الأحكام الجدية!! يدلى بدلوه فى مرفوع الهامة، مستقبل الموت بالابتسامة: الأستاذ محمود محمد طه"، (مقال بتاريخ 20 فبراير 2013)، **من موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 28 فبراير 2013.

(3) صلاح منتصر، "الطيب الذى شنقوه"، **صحيفة الأهرام**، 1985/2/2.

حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة، مستشهداً به[1]. كتب صلاح منتصر قائلاً: "ولهذا كانت فرحتى الشديدة بإحدى الصحف العربية التى تصدر عن بلد يعتبر محايداً بالنسبة للسودان لكن مسؤولياته تجاه الإسلام كبيرة، وقد نشرت الصحيفة على امتداد أربعة أيام متتالية النص الكامل لحيثيات الحكم ضد محمود طه وجميع أقوال زملائه الأربعة الذين أعلنوا توبتهم". وأستشهد صلاح منتصر بفتوى مجمع البحوث الإسلامية فى مصر، فكتب صلاح قائلاً: "والرجل لم ينكر أفكاره بل سجلها فى كتب سبق لمجمع البحوث الإسلامية فى مصر تكفيره عليها ومطالبة السودان بعدم السكوت على صاحبها، بل غير ذلك سبق أن صدر عليه حكم المحكمة الشرعية السودانية عام 68، قبل تولى نميرى رئاسة السودان، باعتباره مرتداً". ثم أضاف قائلاً: "ومع ذلك يقولون أنه طيب، وأنه داعية (إسلامى) مخلص. ويتزاحمون فى البكاء عليه".

بالإضافة إلى هذه النماذج من المثقفين المصريين، فقد كان النموذج الذى تجاهل الأستاذ محمود، وهناك نموذج المثقفين الذين اقتبسوا وأخذوا من الأستاذ محمود دون الإشارة إليه،كما هو الحال بالنسبة لبعض المثقفين والمفكرين الإسلاميين السودانيين. يقول أحمد مصطفى الحسين: والحق يقال أن المثقفين المصريين لم يتجاهلوا كلهم، بدرجة واحدة، الفكرة الجمهورية، وإنما اقتبس بعضهم منهجها وبعض أفكارها بشكل محرف وطوعها لإطاره الفكرى، دون أن يوثق اقتباسه بالصورة العلمية التى ترتضيها المنهجية العلمية، وبنى عليها شهرة عالمية ومحلية معتبرة. وقد ظهرت نتيجة لهذا الاقتباس مدرسة علمانية إسلامية جديدة يمكن أن نسميها فى هذا المقال "مدرسة المعتزلة الجدد"، وذلك لأنهم استخدموا منطق الفكرة الجمهورية الدينى ومنطقها العلمى لدعم آرائهم حول إعادة فهم النصوص القرآنية بصورة يحكم فيها العقل فى فهم النص، كما فعل أسلافهم من المعتزلة. ومن أمثال هؤلاء الأستاذ خليل عبد الكريم، والدكتورنصر حامد أبو زيد، والأستاذ محمد سعيد العشماوى وغيرهم[2].

(1) أورد الشيخ محمد نجيب المطيعى مقال صلاح منتصر كاملاً فى كتابه: **حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة**، مرجع سابق، ص 283-284.

(2) أحمد مصطفى الحسين، "المثقفون: الصديقية واللهبية والأستاذ محمود محمد طه"، مرجع سابق.

التراجع والمراجعة للمواقف لدى بعض المفكرين والمثقفين

من المعلوم أن مواقف الأستاذ محمود ظلت ثابتة، لم يغيرها ولم يبدلها منذ محكمة الردة الأولى 18 نوفمبر عام 1968، وحتى لحظة تنفيذ حكم الإعدام يوم 18 يناير 1985، وقد ظلت تلك الآراء موثقة بالكلمة المكتوبة والمسموعة وبالمواقف وفى صدور تلاميذه وتلميذاته. فهل تغيرت صورة الأستاذ محمود عما كانت عليه أيام حكم الردة فى أعين المثقفين والشارع؟ هل تغير الواقع؟ هل تغيرت مواقف المثقفين تجاه الأستاذ محمود، خاصة أولئك الذين ساهموا أو اشتركوا فى اغتياله؟ هل هناك من اعترف أو اعتذر للأستاذ محمود أو لتلاميذه؟ هل هناك موجة اعتذارات واعترافات قادمة؟ الإجابة عن كل هذه الأسئلة فى تقديرى، نعم. فمع مرور كل يوم يتم إعادة صورة الأستاذ محمود فى المخيلة. لقد تغير الواقع، واتضحت صحة آراء الأستاذ محمود ومواقفه ولا تزال فى مزيد من الوضوح، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً. كذلك لقد تغيرت مواقف البعض تجاه الأستاذ محمود، وبدأت الاعتذارات والاعترافات، وفى يقينى بأنه سيأتى اليوم الذى تتسع فيه دائرة هذه الاعتذارات والاعترافات، وسيأتى اليوم الذى تعتذر فيه الدولة السودانية للأستاذ محمود ولتلاميذه ولشعوب السودان والإسلام وللإنسانية جمعاء.

استيقاظ الضمير تمكين للمعانى الإنسانية على الأرض

تسجيل المواقف الإنسانية تطهير لوجه الحياة وضخ للقيم النبيلة

اعتذار رئيس القضاء الأسبق مولانا خلف الله الرشيد[1]

كان أوضح اعتذار للأستاذ محمود وتلاميذه، برغم أنه لم يكن معلناً، حتى اليوم قد صدر من مولانا خلف الله الرشيد(1930-2012)، رئيس القضاء خلال الفترة من 1976 وحتى 1982. لقد خاض الإخوان الجمهوريون سجالاً طويلاً ومعارك عديدة مع رئيس

(1) ولد فى مقاشى ريفى مروى. تخرج فى الحقوق من **كلية الخرطوم الجامعية** عام 1955، ونال ماجستير القانون من **جامعة كامبردج** عام 1966. عمل بالسلك القضائى إلى أن أصبح محامياً عاماً بديوان النائب العام عام 1973. وأصبح رئيساً للمحكمة العليا عام 1973، ثم رئيساً للقضاء منذ 1976، حتى تقاعده عام 1982. التحق بعد تقاعده أستاذاً غير متفرغ **بجامعة الخرطوم**. المصدر: عون الشريف قاسم، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن**، ج2، مرجع سابق، ص766.

القضاء مولانا خلف الله الرشيد. وكلها كانت معارك فى سبيل انتزاع حقوقهم فى حرية التعبير والفكر ورد المظالم من ما وقع عليهم من تضليل وتشويه لمشروع أستاذهم الأستاذ محمود وسيرته. ودون الدخول فى تفاصيل تلك المواقف فهى مواقف كثيرة، وجلها موثق ونشره الإخوان الجمهوريون كعادتهم فى توثيق المواقف، فى العديد من الكتب والمناشير، منها: **خلف الله الرشيد وقامة رئيس القضاء**[1]،**لا !! يا رئيس القضاء!!**[2]، **أبعدوا رئيس القضاء!!**[3].

وغيرها. ظل خلف الله الرشيد فى موقف عدائى من الأستاذ محمود والإخوان الجمهوريين وهو رئيس للقضاء، حتى استيقظ ضميره وقرر الاعتذار للإخوان الجمهوريين قبيل انتقاله للدار الآخرة. حدثنى الهادى نصر الدين فضل الجليل قائلاً: "أبلغنى مولانا خلف الله الرشيد عن رغبته فى الاعتذار لتلاميذ الأستاذ محمود، الإخوان الجمهوريين، وطلب منى أن أخبرهم بذلك". وأضاف الهادى قائلاً: أول من قابلت من الإخوان الجمهوريين، بعد حديث مولانا خلف الله الرشيد معى، كان هو عبدالله فضل الله. نقلت له ما قاله لى مولانا خلف الله الرشيد عن رغبته فى الاعتذار للإخوان الجمهوريين. فرد علىَّ الأخ عبدالله فضل الله، قائلاً: "الإخوان الجمهوريون لا يحتاجون لاعتذاره، فالذى يحتاج لاعتذاره هو الشعب السودانى، فلو عمل هذا، وأعتذر للشعب السودانى يكون أفضل"[4]. قال الهادى: بعد هذا الحديث لم تمض سوى فترة قصيرة وتوفى خلف الله الرشيد فقد كان مريضاً[5].

كان مولانا خلف الله الرشيد قبل وفاته قد تحدث ضمن حوار صحفى معه عن محكمة الردة قائلاً: "محمود محمد طه حوكم وأُعدم (رجالة ساكت فى هيصة وجوطة) [هكذا فى المصدر]، وهذا ما قالت به محكمة الاستئناف بعد الانتفاضة، إن محمود حوكم بمادة غير موجودة فى القانون، وهى مادة الرِّدة، وكما ذكرت لك أن حد الرِّدة والبغى رُفض

(1) الإخوان الجمهوريون، **خلف الله الرشيد وقامة رئيس القضاء**، أمدرمان، 1978.

(2) الإخوان الجمهوريون، **لا !! يا رئيس القضاء !!**، أمدرمان، 1978.

(3) الإخوان الجمهوريون، **أبعدوا رئيس القضاء!!**، أمدرمان، 1981.

(4) عبدالله فضل الله، مقابلة بالهاتف، عبدالله فضل الله فى الخرطوم، والمؤلف فى الدوحة، 12 مايو 2013، الساعة 11:30 صباحاً.

(5) الهادى نصر الدين فضل الجليل، مقابلة بمنزله بمدينة أمدرمان، بتاريخ 28 يوليو 2012، الساعة 12:10 - 15:20.

تضمينهما فى قانون (1983) لعدم اتفاق الفقهاء حولهما، ثانياً خوفاً من استغلالهما سياسياً، لذلك محمود محمد طه عندما حوكم بالرِّدة لم تكن مضمَّنة فى القانون وأُدخلت فى تعديلات سنة (1991) وحتى اليوم محمود لم توجَّه له تُهمة ردة، وهذا ما بنيت عليه نقدى للحكم وقتها"[1]. وأضاف خلف الله الرشيد فى نفس الحوار وهو يتحدث عن المحكمة قائلاً: "بنت حكمها على تُهمة وُجِّهت إلى محمود فى الستينيات بالرِّدة، بسبب خلاف بينه وبين بعض العلماء، رفعوا ضده دعوى فى المحكمة الشرعية، ونظر القضية الشيخ توفيق أحمد صديق، وهو قاضٍ شرعى ممتاز، وقال إن كلام محمود (ده كلام ردّة)، واكتفى بإعلانه مرتداً دون عقوبة". ثم بين السب قائلاً: "لأن المحكمة الشرعية ليست مختصة بالدخول فى أمور غير الأحوال الشخصية، لذلك ليست لها صلاحيات إصدار عقوبة، وأصبح حكمها تقريرياً، و(الحكاية انتهت على كده)، مجادلة علماء فى ما بينهم". ثم لفت الانتباه إلى كيف أن المحكمة فى يناير 1985 استدعت حكم الردة عام 1968، يقول خلف الله الرشيد: "وللأسف محكمة الاستئناف (مشت جابت) حكم شيخ توفيق هذا وعلى أساسه حكمت على محمود وجماعته بالرِّدة لأنهم رفضوا الإجابة عن تهمة إثارة الكراهية، لذلك قاموا حوَّلوها إلى ردَّة، وطبعاً كلها أحكام غير مبنية على أساس صحيح و(غلط)"[2].

نمو الحس العدلى وفتح الملفات الموصدة وأوانِ الحصار بالعلم والأخلاق

نموذج: النيل أبو قرون

لا تحسبن الكيد لهذه الأمة مأمون العواقب، كلا! فلتشهدن يوماً تجف لبهتة سؤاله أسلات الألسن، يوماً يرجف كل قلب، ويرعد كل فريصة[3].

محمود محمد طه

(1) خلف الله الرشيد، "مولانا خلف الله الرشيد فى مراجعة قانونية ودستورية مع **الأهرام اليوم** (2-2)"، (حوار)، أجرى الحوار الطيب محمد خير، **صحيفة الأهرام اليوم**، الحلقة الثانية، الأحد 19 ديسمبر 2010. كانت الحلقة الأولى قد نُشرت فى يوم السبت 18 ديسمبر 2010، الخرطوم.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "هذا نذير من النذر الأولى"، (منشور)، مصدر سابق. يمكن الاطلاع على نص المنشور كاملاً فى الفصل الرابع من هذا الكتاب.

أمـام نمو الوعى وتطـور الحس العـدلى وقـدرة الأجيـال الجـديدة على الـتعلم الذاتى وامتـلاكهم لأدوات قـراءة الأحداث والوقائـع والكشف عن المواقف وإجراء المراجـعات، أمام هذه المعطيـات ليس فى مقدور أولئك الذى كانوا طرفـاً إلا أن يعترفوا ويعـتذروا. فإن لم يفعلوا تفـضحهم مواقـفهم المتأرجحـة وتعريهم مفـارقات أقوالهم والتناقضـات بين ما كتـبوه بأيديهم يوم الأمس وما يـقولونه اليوم. فـفى مفارقـة لا يحتاج رصـدها أو الوقوف عليها كبـير عناء، يجىء مولانا النيل أبو قرون، وهو الذى كتب فى رسـالته للرئيس نميرى فى يوم السـبت الموافق 1984/12/29، كـمـا ورد آنفـاً، قـائلاً: "المـنشـور المرفق وزعـه الجمهوريون وقد قبض على ستة منهم وتم التحقيق معهم وسوف يقدمون للمحاكم وبهذا فقد أتاحـوا لنا فرصة تاريخية لمحاكـمتهم. وسيعلم الذين ظلـموا أى منقلب ينقلبون. ولا شك أنهـا بداية لمسيـرة ظافرة بإذن الله يتـساقـط دون هدفهـا كل مندس باسم الدين وكل خوان كـتوم ولله الأمـر من قبل ومن بعـد". (أنظر ملحق رقم: "48" وملحق رقم: "49")، جاء مولانا الـنيل أبو قرون بعد هذه الرسالة وبعـد المهاتفات التى كشف عنـها رجلا الأمن فى شهـادتهمـا التى أوردتها فى الفصـل الثانى عشـر من هذا الكتاب، جـاء فى عام 2010 ليقول: "بكل أمـانة محاكمة الجـمهوريين بدأت بمنشور معارض لـلشريعة، ونحن كنا نرى أن يوقف ذلك التيـار المضاد حتى تستمـر الشريعة، لكن المحاكم ذهبـت فى اتجاه آخر وهو الردة وهو اتجاه مغـاير كان ممكن محاكمة المنشـور بوقف الهجمة المضادة للشـريعة فقط... ولكـن الحكم ذهب فى اتجـاه الردة وجـاءت المحكمـة الدسـتورية مـتـأخـرة بعد التنـفيـذ ونقضـته"[1]. هذا حديث لأبـى قرون إذا ما قـرأ مقـارنة بما كتبـه فى رسالتـه تلك للرئيس نميرى، لا تكون عنده فـرصة سوى أن يقف موقـفاً شجاعاً ليـعترف ويعتـذر للتاريخ ومن أجل المساهمة فى إحياء القيم الإنسانية والفضائل النبيلة.

الشـاهد أن نمو الحس العـدلى فى توسع واسـتـمـرار كـمـا أن الوعى كـذلك فى تطور وتوسع واستمـرار، وهذا يبشر بأن هناك حصاراً قـادماً للمواقف اللا أخلاقـية، وهناك فتح للملفات قادم وبعث للسجلات القضائية والمواقف الإنسانية. وفى تقديرى أن فتح الملفات

(1) النيّل أبو قرون، "الشيخ النيل ابو قـرون يخرج عن صمته ويروى شهـادته للتاريخ"، (حوار)، **صحيـفة الأهرام اليوم**، الجزء الأول، العدد 287، الأربعاء 6 أكتوبر 2010، الخرطوم.

وإعادة قراءاتها شرط من شروط الدخول فى المستقبل وشرط من شروط بناء الأمم ونهوضها.

نمو الوعى والرأى العام الجديد وبعث المعيار الأخلاقى وسجلات القادة والمفكرين

تلوين المواقف لا يغير الوقائع ولا يزين وجه الحقائق ولا يصنع مفكراً

أهل السودان واليتم الفكرى

ولكن من هو المفكر؟ [1] *هو ذلك الشخص الذى يرى حيثما لا يرى الآخرون، والذى لا تقع عينه على خلاف ما تقع عليه الأعين، غير أنه يرى فيها ما لا يراه بقية الناظرين* [2].

معاوية محمد نور (1909-1941)

يشهد السودان، ومختلف بقاع الأرض، رأياً عاماً جديداً، قوامه نمو الوعى وإعادة قراءة التاريخ والمواقف والأحداث. وتطورت القراءة للأحداث فليست القراءات فى التزامها بالأسس العلمية منعزلة عن المعيار الأخلاقى والتناول العقلانى، فقد ولى زمن التناول العاطفى والهيمنة على الشعوب عبر الوصاية على العقول. إن التغيير اليوم يجتاح الأفكار والحياة وواقع الناس اجتياحاً سريعاً ومتوسعاً، فالعالم اليوم فى تطور مستمر وسريع، وكما وردت الإشارة آنفاً فإن الأستاذ محمود لم يغير مواقفه، ولم يتراجع عن آرائه سواء فى أيام محكمة الردة الأولى عام 1968، أو محكمة الردة الثانية 1985 والتى تبعها تنفيذ الإعدام، فهل ظل القادة والمفكرون الإسلاميون السودانيون عند مواقفهم وآرائهم من حكم الردة الذى صدر فى حق الأستاذ محمود؟ هل تلونت المواقف مع تبدلات معطيات العصر؟ للإجابة على هذه التساؤلات سأقدم هنا جرداً مختصراً للآراء ومتساهلاً وبسيطاً للغاية، بيد أنه فصيح تماماً وبليغ جداً بحيث لا يحتاج منى لتدخل أو تحليل. تقوم الفكرة على

(1) معاوية محمد نور، **الأعمال الأدبية لمعاوية محمد نور: دراسات فى الأدب والنقد وقصص وخواطر**، مرجع سابق، ص 289-300.

(2) طرح معاوية محمد نور هذا السؤال فى مقال نشره فى 2 نوفمبر عام 1929، كما ورد فى هامش كتاب الأعمال الكاملة. كانت إجابة معاوية ضمن مقاله والذى كان عبارة عن قراءته فى كتاب: **فن التفكير**، للكاتب الفرنسى، أرنست دمنت.

استعـراض آراء السيد الصادق المهـدى والشيخ حسن الترابى ومـقارنة موقفهـما من حكم الردة على الأستاذ مـحمود، ما بين الأمس واليوم: كـيف كانت الآراء فى عام 1968 حيث محكمة الردة الأولى، وفى عام 1985 حيث الردة الثانية وتنفيذ حكم الإعدام، وما هى عليه اليوم ونحن فى القرن الحادى والعشرين.

١- السيـد الصـادق المهـدى

فى نوفـمبر مـن عام 1968، علَّق السـيد الصـادق المهـدى على آراء الأسـتاذ مـحمـود ومحكمة الردة الأولى، المحكمة المهزلة الجائرة التى حكمت على الأستاذ محمود بردته عن الإسلام، علَّق السيد الصادق المهدى على أفكار الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى**، قائلاً: "إن أفكار رئيس **الحزب الجمهورى** خارجة عن نطاق الدين والشريعة الإسلامية وإن التفكك والانحراف الذى تعيشه بلادنا هـو الذى سهل من قبل لدعاوى الكفر والإلحاد أن تتفـشى وإذا أردنا حقـاً القضاء على الردة والإلحـاد فيجب أن نسـعى جمـيعاً لإقـامة دولة الإسلام الصحيحة"[1]. وأضاف السيد الصادق المهدى وهو يعلق على آراء الأستاذ محمود : "إن الوضع الحالـى كله خارج الشريعـة الإسلامـية وهذا مـا مهد قـبلاً لإعـلان مثل هذه الأفكار والدعاوى الغريبة دون أن تجد من يردعها"[2].

هذا ما كان عليه السيـد الصادق فى نوفمبر 1968، لنرى رأيه الآن فى العقد الأول من هذا القـرن، القرن الحـادى والعشـرين. ففـى حوار أجـراه طارق الجزولى رئيس تحـرير **صحـيفـة سودانايل الإليكترونية** ومحمد عبد الحميد، طُرح السؤال التالى[3] على السيد الصادق المهدى:

ما هو رأيك فى مـسألة إعدام الأسـتاذ محـمود من حيث أن المحكمـة فى مرحلة الاستئناف قد أصـدرت حكماً على تهمة غير موجودة فى القـانون الجنائى وقتها (قوانيـن سبتـمبـر) ثم أن المحكمة العليـا قد أبطلت ذلك الحكم ولم نسـمع لك

(1) الصادق المهـدى، "الصادق المهدى يعلق على آراء مـحمود محـمد طه"، **صحيفـة أنباء السودان**، العدد: 931، الأحد 24 نوفمبر 1968، الخرطوم.

(2) المصدر السابق.

(3) يبدو أن بعض الأسئلة كانت إسهـامات من القراء، ذلـك لأننى وجدت تحت هذا السؤال إشـارة إلى صاحب السؤال وهو د. أسامة عثمان.

برأى فى مسألة الردة عموماً وردة الاستاذ محمود المزعومة على وجه خاص وما هو موقفك النهائى حول هذا الأمر؟ وهل تعتقد أن القوانين فى السودان ينبغى أن تشتمل على عقوبة لحد الردة المختلف عليه؟

أجاب السيد الصادق المهدى إجابة مطولة، نورد جزءاً منها. فقبل أن يتحدث عن الردة والإعدام، تحدث السيد الصادق عن فترة السجن عام 1983، وقال: "كنا فى السجن معاً كل بذنبه فى نظر نظام نميرى" وأضاف السيد الصادق المهدى قائلاً:

"أرسل لى نميرى شخص فى السجن وطلب منه أن أسمعه رأيى فى تطبيقه للشريعة وكان يأمل أن أتحدث بكلام يحاكمنى به فى هذه المحكمة لأنه كان مشغول بى وليس مشغولاً بمحمود محمد طه وهذا كله موثق ومكتوب، وكان ردى لهذا الشخص بأننى لن أقول رأيى وأنا مسجون وانزعج نميرى لفشل خطته الرامية للتخلص منى، وقام بخطة أخرى وهى إطلاق سراحنا حتى نتكلم ونبدى رأينا فى تطبيقه للشريعة وأنا فهمت الهدف الذى من أجله أطلق سراحنا ولذلك وجهت جماعتنا بالسكوت عن هذا الموضوع ولكننى حرصت قبل خروجى من السجن بالتحدث مع إخواننا الجمهوريين وأوضحت لهم بأن إطلاق سراحنا هو شرك ولابد من الحذر حتى لا نقع فيه ولكن الإخوة الجمهوريين قالوا لى بأن النظام أدرك أنه على خطأ فى تطبيقه للقوانين التى أسموها شريعة إسلامية ولذلك اطلق سراحنا وسيطلب منا مساعدته للخروج من هذه الورطة، وهكذا اختلف تقييمنا للموقف، فبعد خروج محمود محمد طه قال حديثا عارض فيه هذه القوانين وهذا الحديث أسس عليه نظام مايو تجريمه لمحمود محمد طه، ولم يستمع محمود محمد طه لنصيحتى ووقع فى الشرك.

ثم خلص السيد الصادق المهدى فى إجابته قائلاً: "على كل حال أقول إن إعدام محمود محمد طه خطأ، وقد قمنا بإدانته فى وقته، وأنا أقول لا توجد عقوبة دنيوية فى الردة وهذا الكلام مكتوب فى كتابى بعنوان العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعى الإسلامى وقلت فيه بوضوح لا إعدام فى الردة فربنا سبحانه وتعالى تكلم كثيراً عن الردة ولكنه لم يربط بينها وبين أى عقوبة دنيوية، فأنا ضد الإجراء". وأضاف السيد الصادق

قائلاً: "وجعفر نميرى نفسه كان ندمان فى آخر أيامه لأنه شعر بخطئه فى إعدام محمود محمد طه لأنه كان يقصدنى أنا بهذا الشرك. وكان نميرى فى آخر أيامه مصاب بجنون العظمة وللأسف تنابلة السلطان كانوا مهووسين وهيأوا له بأنه أصبح يطير وأن الملائكة أصبحت تحفه وتجلس بجانبه، ووصل به الأمر أن جمع قادة القوات المسلحة وقال لهم بأنه بعد تطبيق الشريعة أصبح إماماً طاعته من طاعة الله وعصيانه من عصيان الله وهذا حديث تحدث به علنا، وكان على استعداد لسحق أى شخص يعارضه[1].

2- الشيخ حسن عبدالله الترابى

*لم يتردد مستشار جعفر نميرى الشيخ حسن الترابى فى الاعتراف لإحدى الفضائيات، وهو فى موقع السلطة، بدوره فى الاتهام والإعدام. لكن مَنْ يقرأ كتاب الترابى "السياسة والحكم"، ويستمع لأحاديثه وتصريحاته، بعد الانقلاب عليه وسجنه، يلاحظ تغير الشيخ وتراجعه، ولم يبق ذلك الإخوانى المتشدد، المتعطش للسلطة وهلاك الخصماء. وهو يعلم، قبل غيره، أن إعدام خصمه كان إجراءً سياسياً أُلبس ثوب الدين، لا يتعدى ما كان بين الإخوان المسلمين برئاسته وما بين الإخوان الجمهوريين برئاسة القتيل. وبطبيعة الحال، لا يؤخذ بتغير الترابى وانفتاحه الجديد من دون دفع دية المسؤولية، مهما كان حجمها، **ولا أراها تتعدى نطق مفردة (أعتذر)!***[2].

رشيد الخيون

كلما تقدمنا بالمسير فى المستقبل مبتعدين زمانياً عن يوم 18 يناير 1985، نكون فى واقع الأمر أكثر قرباً وجدانياً وفكرياً ونسباً روحياً من المشنقة ويومها. حينها يصبح بعض الناس أكثر حرجاً وأشد خجلاً ومكابرة وأوضح تأرجحاً فى المواقف من الأستاذ محمود. خاصة أولئك المفكرين الذين يسعون للتوفيق بين ما يسمى بالأصالة والمعاصرة، وما بين الإسلام

---

(1) الصادق المهدى، "الصادق المهدى فى الجزء الثانى من **حواره مع سودانايل**"، **حوار: طارق الجزولى ومحمد عبد الحميد، من سودانايل** Sudanile، الصفحة الرئيسية، تاريخ البحث 28 فبراير 2010، الموقع على الإنترنت: http://www.sudanile.com

(2) رشيد الخيون، "محمود طه.. تعاقبت الأزمنة و"الحملات "واحدة"، **صحيفة الشرق الأوسط**، العدد: 9913، الأربعاء 19 ذو الحجة 1426هـ 18 يناير 2006.

والحداثة والغرب وحقوق الإنسان. هنا لا نجد موقفاً أفصح وأبلغ من مواقف الشيخ الترابى المتلونة المتأرجحة من الأستاذ محمود.

آراء ومواقف مفكرى السودان وقادة الرأى العام ومنتجى المعارف فيه، مواقف متقلبة ومتأرجحه، فهم من جهة قادة ومفكرون يقودهم الواقع ولا يقودون الواقع. ومن جهة أخرى فإن مواقفهم وآراءهم لا تصمد أمام معايير اليوم ذات السمة العلمية وشروط الأخلاق. ففى بحر عقد الستينيات من القرن الماضى، عقد الكبوات الكبرى، وفى أيام حل **الحزب الشيوعى السودانى**، وطرد نوابه كما ورد آنفاً، كتب الترابى كتاباً، بعنوان: **أضواء على المشكلة الدستورية**. يقول عمر القراى: كان الترابى فى كتابه يؤيّد حل **الحزب الشيوعى**، ويدعم ذلك برؤية قانونية، وقد نشطت دوائر حزبية كثيرة فى توزيعه، والترويج له. ولما كان الترابى دكتوراً فى القانون الدستورى، لم يجرؤ أحد على مواجهة ما كتب، حتى أخرج الاستاذ محمود محمد طه كتاباً اسماه: "**زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان: 1- الثقافة الغربية 2- الإسلام**"[1]. كتب الأستاذ محمود فى مقدمة الكتاب قائلاً: "بين أيدينا، الآن، كتاب أخرجه الدكتور حسن الترابى، باسم: **أضواء على المشكلة الدستورية**، وهو كتاب من حيث هو، لا قيمة له ولا خطر، لأنه متهافت، ولأنه سطحى، ولأنه ينضح بالغرض، ويتسم بقلة الذكاء الفطرى. ولكن خطره إنما يجئ من مؤلفه، فإنه دكتور فى القانون الدستورى، وهو قد كان عميداً من عمداء كلية الحقوق السابقين، وهو زعيم جبهة الميثاق الإسلامى، وهو عضو فى الجمعية التأسيسية، وهو من مؤلفى الأزمة الدستورية، وهو مع ذلك من مستشارى مجلس السيادة، الذين على هدى نصيحتهم، يرجى لهذه الأزمة الدستورية العجيبة أن تحل"[2]. الشاهد أن ما جاء فى حديث الأستاذ محمود هذا يؤكد أن رسوب بعض المثقفين والمفكرين المتخصصين فى القانون فى مواقفهم من محكمة الردة الأولى والثانية كان أمراً واضحاً. فقد وردت الإشارة لعدد الوزراء القانونيين فى مجلس وزراء الحكومة التى عقدت فى عهدها محكمة الردة الأولى، والآن نقف أمام نموذج لمفكر وقائد متخصص فى القانون، لنجرى مقارنة بسيطة ومختصرة لمواقفه من الردة وتنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود.

---

(1) عمر القراى، "محكمة الردة (1-3)، فى ذكراها المشؤومة الأربعين"، **من موقع الفكرة الجمهورية**، مقالات، استرجاع (Retrieved) 18 فبراير 2010، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org/article

(2) محمود محمد طه، **زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان: 1- الثقافة الغربية 2- الإسلام**، مصدر سابق، ص2.

ففى يوم 29 نوفمبر عام 1968 كتب الشيخ حسن الترابى مقالاً بعنوان: "السياسة الصحيحة نحو محمود محمد طه وأضرابه"[1]، ونشره **بصحيفة أنباء السودان**، كتب الترابى فى مقاله قائلاً: "إن أول عهدى بمحمود محمد طه يوم كنت طالباً فى مدرسة رفاعة الوسطى وقد جندنا محمود فى حملته ضد الإدارة فى قضية الخفاض الفرعونى المشهورة واندفعنا فى ثورتنا الشاذة واقتحمنا مركز الحصاحيصا مع طائفة من أهالى رفاعة وخربنا المراكز تخريباً وعدنا بعد انتزاع الداية السجينة من السلطات ثم تعرضت رفاعة لإجراءات تأديبية بقوة من الجيش وراح محمود إلى السجن حيث استطاع فى حرية تامة من أى توجيه أو تقويم أن يطور تصوراته الشاذة واتجاهاته الغريبة لتصبح نظرية متكاملة ما أظن أنه باح للناس إلا ببعض أجزائها". وأضاف الترابى قائلاً: "إن الانحراف الفكرى لمحمود يوافق الاتجاه العام للحركات الشاذة فى تاريخ الفكر الإسلامى وحاضره فهى نزعة للانفساخ من التزامات الدين وواجباته من الصلاة إلى الجهاد وهى جنوح لتحكيم الهوى وجعله فوق الرسالة بإنكار السنة والتصرف بالتفسيرات الذاتية فى آيات القرآن. وبها لا يعدو الدين أن يكون أداة لتسخير الأتباع لأهواء القائد وتقديسه بصورة عمياء كما نشاهد". وذهب الترابى بعيداً فى تحليلاته وهو يتحدث عن آراء الأستاذ محمود فى مقاله، إذ يقول:

وقد كانت مثل هذه الحركات فى اطار التقليد العام للمسلمين مثل الأفراد مختلى العقل فى المجتمع وكان مصيرها دائماً أن تنحصر الفتنة فى الأفراد الشذاذ الذين يوافقون شذوذ المتزعم ثم تنقرض الفتنة ويبقى الفكر الإسلامى الصحيح. وقد كان موقفنا أن السياسة الصحيحة نحو محمود وأضرابه هى أن نضرب عنهم ولا نجعل منهم معركة انصرافية نشغل بها العاملين للإسلام عن أهدافهم الرئيسية فى تحكيم الإسلام لأن الانحرافات العقدية مثل الانحرافات السلوكية ما هى إلا مظاهر لعدم تحكيم الإسلام وما أدى إليه ذلك من جهل وضلال. ولأن التهاء المسلمين بأمثال محمود مما يعمل له أعداء الإسلام.

ثم تناول الترابى فى نفس المقال حكم المحكمة الشرعية الذى صدر يوم 18 نوفمبر 1968، بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وهى محكمة غير مختصة، وقد ورد آنفاً تفصيل ذلك فى

---

(1) حسن الترابى، "السياسة الصحيحة نحو محمود محمد طه"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 931، الجمعة 29 نوفمبر 1968.

الفصول الثامن والتاسع والعاشر، كتب الترابى فى مقاله قائلاً: "أما حكم المحكمة الشرعية فقد اقتضاه اختصاص المحاكم بالأحوال الشخصية للمسلمين وضرورة الفصل فى الصفة الدينية للمواطن لتنبنى على ذلك أوضاعه القانونية الشخصية وهو حكم قد صدر فى إجراءات قضائية رسمية". وأضاف الترابى قائلاً: "ولعل ردة الفعل الهوجاء التى ظهرت من محمود خير دليل على أن الحكم قد كان له آثاره الفعالة فى حصر المرض الذى يحاول محمود وأشياعه أن ينشروه. والذين تولوا مع محمود الحملة على القضاء الشرعى لا يقصدون أشخاص القضاة وإنما يهدف أغلبهم للنيل من الإسلام فى كل مظهر من مظاهره بصورة منافقة ماكرة".

وفى عام 1988، بعد مضى ثلاثة أعوام من تنفيذ الإعدام على الأستاذ محمود، وبعد أقل من عامين من قرار المحكمة العليا - الدائرة الدستورية بإبطال الحكم، تحدث الترابى عن إعدام محمود قائلاً: "لا استشعر أى حسرة على مقتل محمود محمد طه. فلا أستطيع أن أنفك لحظة واحدة حتى أصدر حكماً بمعزل عن تدينى... وما دمت منفعلاً بدينى فإنى لا أستشعر أية حسرة على مقتل محمود... إن ردته أكبر من كل أنواع الردة التى عرفناها فى الملل والنحل السابقة... ولم أتحسر أن ورطه الله سبحانه وتعالى فى حفرة حفرها هو للناس... وعندما طبق نميرى الشريعة تصدى لمعارضته لأنه رأى عندئذ رجلاً دينياً يريد لأن يقوم بنبوة غير نبوته هو، وأكلته الغيرة فسفر بمعارضته... ولقى مصرعه غير مأسوف عليه البتة"[(1)].

وفى حوار مع آلان شوفاليرياس، والذى قامت نجاة محمد على، باقتطاف الجزء المتعلق بالأستاذ محمود وترجمته[(2)]، وأشارت إلى أن الحوار نُشر فى دورية فرنسية تصدرها

(1) حسن عبدالله الترابى، **صحيفة الوطن**، الخرطوم، 1988/4/30؛ محمد سعيد القدال، **الإسلام والسياسة فى السودان** (1651-1985)، مرجع سابق، ص 228-229؛ ضمن سلسلة "بين زمنين"، (برنامج تلفزيونى بقناة أبو ظبى)، مرجع سابق.

(2) نجاة محمد على، ضمن خيط: "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب "الرسالة الثانية"، من المنبر العام، **موقع سودانيزأونلاين**، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 26 أكتوبر 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.sudaneseonline.com

المعلومات عن مصدر الحوار أوردتها نجاة محمد على باللغتين العربية والفرنسية:

حسن الترابى، "حوار مع آلان شوفاليرياس"، **الإسلام مستقبل العالم**، دار جان كلود لاتيس للنشر، باريس، 1997.

Hassan Al- Tourabim, *Islam, Avenir du Monde*, Entretiens avec Alain Chevalérias, Ed. Jean Claude Lattès

مؤسسة "لوموند"الفرنسية، جاء فى الحوار:

آلان شوفاليرياس: أمر النميرى حينما كان فى السلطة فى بلادك بـإعدام محمود محمد طه، وهو مواطن سودانى. ما هى المسئوليات التى كنتم تضطلعون بها فى ذلك الوقت؟

حسن الترابى: لم أكن أتقلد أى مسئوليات.

آلان شوفاليرياس: هل ساندتم قرار النميرى، أم قمتم بحملة ضده؟

حسن الترابى: إن الخلاف الذى كان قائماً بين الرجلين يعود لأسباب سياسية.

آلان شوفاليرياس: الشىء المهم هو أن السلطة السودانيـة أمرت بشنقه بتهـمة الزندقة. هل أعلنتم بنفسكم فى تلك الفترة، باسم حرية الفكر، اعتراضكم على إعدامه؟

حسن الترابى: لم يكن بمستطاع أحـد تحت حكم النمـيرى أن يعبر عـن معـارضته للسلطة. لقد عرفت مـحمود منذ زمن طويل. ولم أساند إعدامـه، ولم أحضره. كل الناس فى السودان كانوا يـعلمون إن القضية سـياسية بحـتة. فقد كان مـحمود محـمد طه يسعى لتخريب النظام.

وحينمـا جاء عام 2009، كان التـرابى فى شأن آخر من الردة وإعـدام الأستاذ محـمود، ينفض الترابى يده بشـدة من المشاركة فى محـاكمة وإعدام الأسـتاذ محمـود، كما أوردت **صحيـفة الشرق الأوسط**، فقد قـال: "أنا لم أقتل محمود ولا علاقـة لى بإعدامه"[1]. وعن الردة ذهب التـرابى قائلاً، كـمـا ورد فى موقع أهل القـرآن،"الردة لا تعنى الكفـر" ويصف الردة بأنها "العودة إلى الوراء فى أى شىء وليس خروجًا من الإسلام إلى الكفر"[2].

الشـاهد أن هذه النمـاذج، والتى جـاء الحديث عنهـا مـختصـراً وكـان الجرد لآرائهـا ومواقفهـا مجملاً ومتسـاهلاً، تعبر بجلاء عن محنة أهل السـودان وأزمة الفكر الإسلامى. فهذا التبديل فى الآراء والتغيير فى المواقف يعبر فوق ضعف السقوف المعرفية، وحالة اليتم

---

(1) "ندوة للترابـى تتحول إلى اشـتباكـات بالأيدى والكراسى.. وأخرى ترفض تكـفير عـرمان"، **صحيـفـة الشرق الأوسط**، العدد 11112، الجمعة 1 مايو 2009.

(2) حسن الترابى، "الفقـه الإسلامى بين التقليد والتجديد"، (مـحاضرة)، الأسبوع الثقافى لكلـية العلوم الرياضية، **جامعة الخرطوم**، يوم الثلاثاء 28 أبريل 2009، الخرطوم؛ "حسن الترابى: النبى عيـسى مات فى اختفائه والردة لا تعنى الكفـر"، من **موقع أهـل القرآن**، استرجـاع (Retrieved) 29 أبريل 2009، الموقع على الإنتـرنت: http://www.ahl-alquran.com

الفكرى التى تعيشها شعوب السودان والإسلام، عن التهرب من مواجهة المواقف تجاه الأستاذ محمود، والسعى لطمس الحقائق وتغييبها، بيد أن تطور الوعى ونمو الحس العدلى لدى الشعوب، صنع رأياً عاماً جديداً، أدنى مطالبه فتح الملفات الموصدة، وبعث المعايير الأخلاقية فى قراءة المواقف ودراسة الوقائع والأحداث، والمناداة بالحقوق التاريخية، ومحاصرة الأوصياء على العقول من قادة الشعوب ومفكريهم ومثقفيهم.

الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون

صاحب "العالمية الإسلامية الثانية" محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً

*إن أطروحة محمود محمد طه حاضرة فى نص العالمية الثانية، فقد أخذت منها كثيراً من المعالم، وتبنت بعض خلاصتها العلمية، ... لعل من خبر التراث الفكرى لمحمود محمد طه فى **الرسالة الثانية**، أو **طريق محمد**، أو **نقد التفسير العصرى لمصطفى محمود**، أو محاضرته عن الماركسية وغيرها من الرسائل يرى نقاط اتفاق كثيرة، لكن ما عمله حاج حمد فى كتابه هو محاولة بيان نقاط الاختلاف الجوهرية بينه وبين محمود محمد طه، دون أن يعطيه ميزة الذكر بالاسم أو التنويه لمؤلفاته*[1].

إبراهيم محمد زين

---

(1) إبراهيم محمد زين، "العالمية الثانية وإعادة قراءة التاريخ الدينى للإنسانية"، **مجلة أفكار جديدة**، هيئة الأعمال الفكرية، العدد الثامن عشر، مارس/ يونيو 2007، الخرطوم، الصفحات 55-79؛ كان إبراهيم محمد زين قد شارك بهذه الدراسة فى: **الندوة العالمية حول فكر محمد أبو القاسم حاج حمد**، التى نظمت وختمت أعمالها فى يوم الخميس 17 مايو من عام 2007، بفندق الهيلتون، الخرطوم، وشارك فيها نخبة من المفكرين العرب والأفارقة إلى جانب مفكرين ومختصين من السودان.

(2) وُلد الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004)، فى جزيرة "مقرات" فى أبو حمد. دَرس الكتّاب والوسطى فى مدينة بورتسودان، وبعض الثانوية بمدينة عطبرة. طُرد مع آخرين من ثانوية عطبرة عام 1963 بسبب مظاهرة كانت ضد نظام الرئيس إبراهيم عبود (1900-1983)، وتأييداً لثورة الكنغو التى كان على رأسها لوممبا. التحق حاج حمد **بمدرسة "الأحفاد"** بمدينة أمدرمان، وأكمل فيها سنة دراسية. ومنذ نهاية 1963 خرج عن الانتظام فى سلم التعليم النظامى وبدأ التثقيف الذاتى. انتمى فى بواكير شبابه للثورة الإرترية عام 1963، والتحق بقيادة **حزب الشعب الديمقراطى** عام 1965، فتولى مسؤولية بعض الدوائر الانتخابية والحركة العمالية فى الحزب. كما انتمى لمنظمات "الاشتراكيين العرب" عام 1966. تفرغ للثورة الإرترية. بعد استقلال إرتريا عام 1993 حُظى بالجنسية الإرترية، وعُين مستشاراً لشؤون الاستثمار لدولة أرتريا. =

لم يكن محمد أبو القاسم حاج حمد[2]، صاحب **العالمية الإسلامية الثانية**، الوحيد من بين المفكرين الإسلاميين في السودان أو خارجه، الذين نظروا في مشروع الأستاذ محمود واستفادوا من أفكاره، دون الاعتراف له بالفضل وتثبيت الحق، لم يكن حاج حمد وحده في هذا، ولكنه كان أكثرهم اهتماماً عندي بشكل خاص، ويعود ذلك إلى أربعة أسباب هي:

أولاً: لقد أتيحت لي فرصة الاطلاع على معظم كتب الأستاذ محمد أبو القاسم، التي أصدرها قبل وفاته، وكذلك على عدد مقدر من دراساته ومقالاته، إلى جانب الكتب التي تم تحقيقها ونشرها بعد وفاته.

ثانياً: لقد التقيت بالأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد لأول مرة بفندق قصر الصداقة في الخرطوم في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي، بمعية صديقي الأستاذ أمير صديق، والمهندس عماد البليك. كنا وقتئذ طلاباً في الجامعات يشغلنا حوار متصل حول المثقف السوداني. عماد وشخصي طلاباً بجامعة الخرطوم، وكان أمير قد أنجز بكالوريوس اللغة الفرنسية بجامعة أمدرمان الإسلامية. تمحور الحديث في ذلك اللقاء بشأن حضور الأستاذ محمود في كتاب حاج حمد الموسوم بـ: **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، ووضوح الأستاذ محمود بين سطوره. تحدث الأستاذ محمد أبو القاسم حديثاً مطولاً عن ذلك، ولا أزال أحتفظ بشريط الكاسيت الذي سجلنا فيه ذلك اللقاء، وهو بحالة جيدة.

ثالثاً: بسبب ذلك الحوار مع حاج حمد ظللت متابعاً للندوات والدراسات النقدية حول مساهماته الفكرية، ومن ذلك كما سيرد لاحقاً، ندوة القاهرة مارس 1992، والتي واجه

= عمل خلال الفترة من 1975 وحتى 1986 بدولة الإمارات العربية المتحدة. عمل مديراً لتحرير صحيفة **الفجر** في أبو ظبي في الفترة من يوليو 1986 إلى إبريل 1987. ارتحل إلى قبرص في عام 1988 حيث أسس "دار الدينونة" للنشر، ثم اختار مدينة بيروت مقراً لإقامته. عمل مستشاراً علمياً **للمعهد العالمي للفكر الإسلامي** بواشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة من 1990م إلى 1995. قاد في عام 1997 محاولات الوفاق بين السودان وإرتريا في إطار تطلعه لكنفدرالية القرن الإفريقي. كما سعى لإحداث وفاق سوداني- سوداني شامل، ودعا للوفاق الوطني. أسس الأستاذ محمد أبو القاسم في عام 1999 حزباً سياسياً في السودان واختار له اسم: **الحركة السودانية المركزية للبناء والوحدة** (حسم)، ضمن أحزاب التوالي، ثم ما لبث أن حل حزبه في عام 2001. جئت بهذا التعريف من مصدرين: الأول: من نص كتبه محمد أبو القاسم حاج حمد بنفسه كسيرة ذاتية، تضمن اسمه وتاريخ ميلاده ونشأته وتعليمه وتطور نشاطه السياسي وكتاباته. سلمني نسخة من هذا النص في منزلي في الدوحة، ولا أزال أحتفظ بتلك النسخة. أما المصدر الثاني: فهو الإشارات التي وردت عنه في كتبه.

فيها حاج حمد نقداً تمركز فى حضور الأستاذ محمود فى "**العالمية الثانية**"، وندوة الخرطوم مايو 2007، إلى جانب بعض الدراسات والمقالات النقدية.

رابعاً: لم أكن الوحيد الذى وقف على حضور أفكار الأستاذ محمود فى أطروحات محمد أبو القاسم حاج حمد، فهناك محمود شعرانى، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، فهو من أوائل الذين قالوا بذلك وكتبوا عن ذلك وقد أشار حاج حمد إليه فى كتاباته. وهناك مجموعة العلماء والمفكرين الذين شاركوا فى ندوة القاهرة بمصر فى مارس 1992 وقد أشار حاج حمد لما قالوه فى الطبعة الأخيرة من كتابه، كما سترد الإشارة. وهناك كذلك إبراهيم محمد زين، والذى قدم أقوى الأدلة والبراهين على حضور الأستاذ محمود فى أطروحات حاج حمد، كما لاحظ سكوت حاج حمد عن الإشارة للأستاذ محمود فى ثبت مصادره ومتن كتاباته، ونحت إبراهيم محمد زين فى توصيف هذه الحالة ووسمها، بمصطلح "السكوت الاستراتيجى" عند حاج حامد عن الأستاذ محمود. إلى جانب أن هناك آخرين أشاروا لإعادة حاج حمد إنتاج الكثير من أفكار الأستاذ محمود.

إن موضوع الأستاذ محمود والأستاذ محمد أبوالقاسم حاج حمد، موضوع كبير، ويحتاج بدوره ليس لكتاب قائم بذاته فحسب؛ وإنما لكتب. ذلك لأن التقاطع بين الأستاذ محمود والأستاذ محمد أبو القاسم كان على صعيدين، الصعيد الأول: هو الصعيد السياسى، ولهذا سأتناول الموقف السياسى للأستاذ أبو القاسم من الأستاذ محمود كما هو مثبت فى كتاباته، وهو موقف شابه عداء شديد للأستاذ محمود. لا ينفصل الموقف السياسى لحاج حمد من الأستاذ محمود، عن موقفه منه على الصعيد الثانى وهو صعيد الفكر الإسلامى، بل إن الموقف السياسى يفسر الموقف الفكرى.ولهذا، فإننى فى هذا الفصل سأعالج الموضوع معالجة مجمله من خلال تقديم إضاءات ومداخل مختصرة ومقاربة أولية.

الإنتاج الفكرى للأستاذ حاج حمد

تمحور الإنتاج الفكرى للأستاذ حاج حمد فى أربعة ميادين هى: السودان، الفكر الإسلامى، ودراسات عن إرتريا والقرن الإفريقى، والخليج العربى والعالم العربى.

ففى مجال الدراسات السودانية كان كتاب: **الوجود القومى**[1]، من أوائل كتبه. كما نشر: **الثورة والثورة المضادة فى السودان**[2]. وصدر له كتاب: **نحو وفاق وطنى سودانى: رؤية استراتيجية**[3]، وغيرها. بينما كان كتابه العمدة فى الدراسات السودانية هو: **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل**، صدرت طبعته الأولى عام 1980 فى مجلد واحد وغطى الفترة من (700 ق.م. إلى عام 1980)[4]. ثم صدرت الطبعة الثانية فى مجلدين[5]، المجلد الأول: جدلية التركيب منذ 700 ق.م. وإلى 1980. والمجلد الثانى: من 1956 وإلى 1996، ويحتويان على 1375 صفحة. وغيرها. أما فى مجال الفكر الإسلامى فإن أهم ما كتبه هو كتاب: **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**[6]، الذى صدر فى طبعته الأولى عام 1979 فى مجلد واحد. ثم صدرت الطبعة الثانية عام 1996 فى مجلدين[7] (1072 صفحة من القطع المتوسط). ونشر كذلك دراسة بعنوان: "الأزمة الفكرية والحضارية للواقع العربى الراهن"[8]. وأصدر كتاب: **منهجية القرآن المعرفية: أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية**، وهو كتاب فرغ من تأليفه فى واشنطن عام 1991. وتبنى المعهد الإسلامى العالمى بواشنطن طباعته وتعميمه فى تداول محدود. كما صدر له كتاب: **أبستمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج**[9]، وغيرها. كما صدرت بعض الكتب بعد وفاته منها كتاب:

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **الوجود القومى**، مطبعة الزمان، الخرطوم، 1964.

(2) محمد أبو القاسم حاج حمد، **الثورة والثورة المضادة فى السودان**، دار الطليعة، بيروت، 1964.

(3) محمد أبو القاسم حاج حمد، **نحو وفاق وطنى سودانى: رؤية استراتيجية**، مركز الدراسات الاستراتيجية، بالخرطوم، 1998.

(4) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل**، دار الكلمة، بيروت، 1980.

(5) محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، جزر الهند الغربية البريطانية/ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

(6) ستكون الإشارة إليه لاحقاً بـ: **العالمية الثانية**.

(7) محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، مرجع سابق.

(8) محمد أبو القاسم حاج حمد، "الأزمة الفكرية والحضارية للواقع العربى الراهن"، (29 حلقة)، **صحيفة الخليج**، 11 فبراير 1987– سبتمبر 1987.

(9) محمد أبو القاسم حاج حمد، **أبستمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج**، سلسلة فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهادى، بيروت، 2004.

الحاكمية[1]، و**جذور المأزق الأصولى**[2]، وغيرها. وفى مجال الدراسات عن إريتريا والقرن الإفريقى نشر حاج حمد عام 1968 دراسة بعنوان: "حتمية الثورة الشعبية المسلحة فى أرتريا وطبيعتها"[3]، كما أصدر كتاباً بعنوان: **الأبعاد الدولية لمعركة إرتريا**[4]. ونشر دراسة عن "أزمة القرن الأفريقى وموقعه فى استراتيجية العدو الصهيونى"[5]، كما نشر ورقة بعنوان: "إشكالية عدم الاستقرار فى القرن الإفريقى"[6]، وغيرها. وفى مجال الدراسات عن الخليج العربى، نشر كتاب: **السعودية: قدر المواجهة المصيرية وخصائص التكوين، لا حرب دون مصر، لا سلام دون سوريا، لا تطبيع دون السعودية**[7]، وغيره.

حاج حمد ونهج السكوت الاستراتيجى[8] عن الأستاذ محمود

برغم التغييب فإن فكر الأستاذ محمود، اتسم بالأصالة والجدة، كما ورد آنفاً من الإشارات والشهادات لكثير من المثقفين والمفكرين السودانيين وغير السودانيين. إن التغييب لمشروع الأستاذ محمود، وهو تغييب إلى حين، عند عامة الناس ولدى الطلاب والباحثين فى ردهات المؤسسات الأكاديمية والتنويرية، قابله حضور قوى لفكر الأستاذ

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **الحاكمية**، مراجعة وتحقيق محمد العانى، ط1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، 2010.

(2) محمد أبو القاسم حاج حمد، **جذور المأزق الأصولى**، مراجعة وتحقيق محمد العانى، ط1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، 2010.

(3) محمد أبو القاسم حاج حمد، "حتمية الثورة الشعبية المسلحة فى أرتريا وطبيعتها"، مجلة دراسات عربية، بيروت، سبتمبر 1968.

(4) محمد أبو القاسم حاج حمد، **الأبعاد الدولية لمعركة إرتريا**، دار الطليعة، بيروت، 1974.

(5) محمد أبو القاسم حاج حمد، "أزمة القرن الأفريقى وموقعه فى استراتيجية العدو الصهيونى"، **مركز دراسات العالم الإسلامى**، مالطا، 25 مايو 1990.

(6) محمد أبو القاسم حاج حمد، "إشكالية عدم الاستقرار فى القرن الإفريقى"، **معهد الدراسات الإفريقية**، جامعة محمد الخامس، الرباط، 27 أكتوبر 2004.

(7) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السعودية: قدر المواجهة المصيرية وخصائص التكوين، لا حرب دون مصر، لا سلام دون سوريا، لا تطبيع دون السعودية**، ط1، المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، بجزر الهند الغربية البريطانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت عام 1996.

(8) تعبير "نهج السكوت الاستراتيجى" تعبير مستلف من إبراهيم محمد زين. فقد ورد التعبير ضمن دراسة أعدها إبراهيم عن محمد أبو القاسم حاج حمد كانت بعنوان: "العالمية الثانية وإعادة قراءة التاريخ الدينى للإنسانية"، سترد الإشارة إليها لاحقاً.

محـمود فى الـكثيـر من أطروحات المفكرين الإسـلاميـين ومسـاهماتهم. كـانت أفكار الأستاذ محمود حاضرة عند المفكـرين الإسلاميين وعند المشتغلين بالفكر الإسلامى دون الإعلان عن صـاحب تلك الأفكار. الشاهد أن تأثـير الأستـاذ محمـود كان واضـحاً فى أطروحاتهم، برغم سكوتهم عن ذكـره وإغفال الإشاره إليـه، أما عند محمـد أبو القاسم حاج حمد، فإن أثر الأستاذ محـمود أشد وضوحاً. وعلى الرغم من ذلك الوضوح، فإن حاج حمد انتـهج نهج السكوت الاستراتيجى عن ذكر الأستاذ محـمود كما لاحظ ذلك إبراهيم محمـد زين أيضاً. كان إبراهيم محمـد زين قد أعد دراسة حول كتـاب الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد: **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**. جاءت الدراسـة بعنوان: "العالمية الثـانية وإعادة قـراءة التاريخ الدينى للإنسـانية"[1]. أشار إبراهيم فى دراسته إلى أن الأستـاذ محمـد أبو القاسم استـفاد كثـيراً من أفكار الأسـتاذ محمود، وتحدث عن الغرض الخفى لما أسماه بنهج السكوت الاستراتيجى كتب إبراهيم عن سكوت حـاج حمـد قائلاً: "ولعل فى ذلك غـرض خفى تغـاباه حاج حـمد وتـركه للقارئ الفطـن ليفهم تلك السـخرية والحـدة فى التناول فى إطار ما أسمـيناه بالسكوت الاستراتيجى"[2].

تحدث إبراهيم مـحمـد الزين عن عدم رغبـة حاج حمـد فى الإشارة بالتـعيين للأسـتاذ محـمود محـمد طه، كمـا أشار للنبرة العـالية من السـخرية لدى حاج حـمد تجاه الأسـتاذ محمود. كتب إبراهيم مـحمد زين قائلاً: "وما من أحد يتابع المشهـد السياسى والثقافى فى الستينيات والسبعينيات من القـرن العشرين إلا ويتعجب لذلك السكوت الاستراتيجى عن محـاولات فكرية جـريئة، وكـان لها صـدى واسعـاً فى العالم العـربى الإسلامـى".وأشار إبراهيم محمد زين إلى المثال الأول للسكوت الاستـراتيجى وهو سيد قطب، وكتب قائلاً: "أما المثال الثانى للسكوت الاسـتراتيجى، فهو يخص محمـود محمد طه... على الرغم من أن الإشارات التى وردت فى حق مـحمود محـمد طه تحتوى عـلى نبرة عالية من السـخرية وعدم الرغبة فى الإشارة بالتعيين"[3]. وخلص إبراهيم إلى أن حاج حمد: "قد استفاد كثيراً

(1) إبراهيم محمد زين، "العالمية الثانية وإعادة قراءة التاريخ الدينى للإنسانية"، مرجع سابق، ص 55-79.
(2) المرجع السابق، ص 70.
(3) المرجع السابق، ص 70.

من محمود محمد طه"(1).

إن سكوت حاج حمد عن الأستاذ محمود ليس له سوى احتمالين، الاحتمال الأول أنه لم يطلع عليه، والاحتمال الثانى الغرض والتجاهل المتعمد. فالاحتمال الأول غير مقبول تماماً، وهذا تؤكده الشواهد، ويصبح الاحتمال الثانى هو الاحتمال الذى جعلنا نذهب به لحدود الطعن فى عملية حاج حمد ومنهجه، هذا إذا ما تجاوزنا أمر الأخلاق، وليس هناك فرصة لباحث أن يتجاوز الأخلاق. وما يؤكد أن حاج حمد يعرف الأستاذ محمود عن ظهر قلب. الرد على الاتهامات التى قدمت له فى ندوة القاهرة عام 1992(2)، والنقد الذى قدمه له محمود شعرانى، فقد كتب رداً على ما جاء فى الندوة وعلى محمود شعرانى، وضمنه الطبعة الثانية من كتابه، كتاب **العالمية الثانية**، حينما صدر عام 1996. ففى رده هذا أستعرض بعض كتب الأستاذ محمود وأشار إليها وأورد نصوصاً كثيرة لتبرير موقفه والتدليل على أصالة آرائه.

فى رده على الشبهات التى طرحتها ندوة القاهرة عام 1992، والشبهات التى طرحها باحثون آخرون قبل ندوة القاهرة وبعدها، ذهب بعضهم إلى القول بأن حاج حمد اقتبس حرفياً ونصياً من أفكار الأستاذ محمود. فى دفوعاته التى جاءت فى الطبعة الثانية، كتب حاج حمد قائلاً: "ونفياً للالتباس ما بين: (العالمية الإسلامية الثانية)، و(الرسالة الثانية فى الإسلام) [هكذا فى المصدر والصحيح: **الرسالة الثانية من الإسلام**] فقد فصلت الأمر فى صفحات هذا المدخل. وهو التباس توجب علىّ إزالته بحكم تشابه العناوين من ناحية، ولكون محمود محمد طه وأنا من قطر واحد هو السودان مما يعمق الشبهة. وقد أثيرت هذه الشبهة عدة مرات"(3).

---

(1) المرجع السابق، ص 79.

(2) عقدت الندوة فى مارس 1992، فى القاهرة، قدم للندوة طه جابر العلوانى، وشارك فيها كل من: عبد الوهاب المسيرى، وأحمد فؤاد الباشا، ومحمد بريش، وحامد الموصلى، وعلى جمعة، ومحمد بريمة، ومنى الفضل، وسيف عبدالفتاح، وأحمد صدقى الدجانى، وممدوح فهمى، ومحمد عمارة، وجمال عطية، وعمر عبيدة حسن. المصدر: محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، مج 1، مرجع سابق، ص 29-30.

(3) محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، مج 1، مرجع سابق، ص 188.

كان محمود شعرانى، ربما من أوائل الذين نقدوا حاج حمد وأشاروا إلى اقتباسه الحرفى من أفكار الأستاذ محمود. كتب شعرانى عدداً من المقالات[1] ونشرها فى **مجلة الأزمنة العربية**، تحت عنوان: "قراءة ثانية فى العالمية الإسلامية الثانية"[2]. تحدث محمود شعرانى عن أن حاج حمد أقتبس حرفياً ونصياً من أفكار الأستاذ محمود. أشار حاج حمد للنقد الذى وجهه له محمود شعرانى فى الطبعة الثانية من كتابه. كتب حاج حمد قائلاً: "أشار الأستاذ شعرانى ليس فقط إلى تماثل الأفكار بين العالمية الثانية والرسالة الثانية ولكن إلى اقتباسى الحرفى والنصى لأفكار محمود محمد طه"[3]. كتب حاج حمد فى رده على نقده، محور ضمنه المجلد الأول من كتابه: **العالمية الثانية**، تحت عنوان: "شبهات التداخل ما بين العالمية الثانية والرسالة الثانية من الإسلام"[4]. وأشار حاج حمد قائلاً: "وأثيرت الشبهة مرة أخرى فى الأردن،... وجرى نفس الأمر فى حوار مع بعض أساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية العالمية فى ماليزيا- كوالا لامبور فى خريف 1994"[5]. كتب حاج حمد قائلاً:

هناك دائماً متشابهات لا تضع الامور فى ميزانها المحكم، فكما فهم البعض مفهوم (الجمع بين القراءتين) فهما تراثياً ورده الى مصادر ظنية مثل "ما فرطنا فى الكتاب من شىء" أو العلاقة بين الكون المسطور (القرآن) والكون المنثور (الوجود) غافلاً ارتباط الجمع بين القراءتين (بجدلية الغيب والانسان والطبيعة) وفق نهج تحليلى يأخذ بجدل الانسان وجدل الطبيعة بطريقة معرفية مستوعبة ومتجاوزة للمنطقية الوضعية الحديثة بكل آفاقها النسبية والاحتمالية من جهة واللاهوت من جهة اخرى. أتى بعضهم برد محكم العالمية الاسلامية الثانية وجدليتها الى متشابه (الرسالة الثانية فى الإسلام [هكذا فى المصدر والصحيح:

---

(1) مقابلة مع محمود شعرانى، مقابلة بالهاتف محمود فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، 5 أبريل 2013، الساعة 20:00.

(2) محمود شعرانى، "قراءة ثانية فى العالمية الإسلامية الثانية"، **مجلة الأزمنة العربية**، عدد 59، 1980/4/23، ص 33-35.

(3) محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، مج 1، مرجع سابق، ص 188.

(4) المرجع السابق، ص 114-127.

(5) المرجع السابق، ص 189.

الرسالة الثانية من الإسلام] (لصاحبها (محمود محمد طه).

ثم أورد حاج حمد دفوعاته وأشار لعدد من كتب الأستاذ محمود، ونسبة لضيق المساحة يصعب إيراد ما أتى به حاج حمد، فمع إيراده فإنه يحتاج إلى ردود ومناقشة. لهذا يمكن للقارئ الاطلاع عليها فى كتاب حاج حمد المشار إليها. الشاهد أنه بعد إثارة هذه الشبهات نلاحظ أن حاج حمد بعد ذلك بدأ يشير للأستاذ محمود فى كتاباته، الأمر الذى لم يفعله من قبل. ففى عام 2004 كتب قائلاً: "وحتى إسلاميتى ومؤلفاتى منذ صدور: **جدلية الغيب والإنسان والطبيعة - العالمية الاسلامية الثانية**، والتى فهمت خطأ ـ لمجرد تماثل العنوان: (كرسالة ثانية) بما أورده المرحوم الشهيد محمود محمد طه وهو الأمر الذى نفيته بالصفحات (114-127 من المجلد الثانى)". وأضاف حاج حمد قائلاً: "لا تماثل إسلامية قادة هذا الوسط، فإسلاميتى (أبستمولوجية معرفية قرآنية ومنهجية) تأخذ بالليبرالية ولكن انطلاقاً من العائلة وليس الفرد وتأخذ بالعلمانية الرافضة والنافية للسلطة الثيوقراطية الكهنوتية وولاية الفقهاء ومجالس شورى الاحزاب الدينية، مؤكداً على أن الاسلام (حاكمية كتاب) مفتوحة على العقل البشرى وليس (حاكمية إلهية) كما ذهب الى ذلك المودودى وسيد قطب، وليس (حاكمية استخلاف) كما يذهب الى ذلك فقهاء السنة والشيعة. ولكنى أميز بين علمانية الدولة التى أدعو لها وبين (الفلسفة الوضعية العدمية) فى المجتمع والتى أرفضها لأن مكونات الإنسان (كونية) وليس مجرد مادية"[1]. الشاهد أن تصريحات حاج حمد واعلانه عن اسم الأستاذ محمود فى كتاباته أمر ما كان للباحث أن يجده بين صفحات دراساته قبل صدور الطبعة الثانية من كتابه: **العالمية الثانية**، عام 1996. فقد تغير موقفه بعد النقد الذى وجه له، وحينما رد عن النقد كشفت ردوده عن معرفة واسعة بمشروع الأستاذ محمود وكتاباته.

لم يكن سكوت حاج حمد عن الأستاذ محمود فى ثبت مصادره أمراً طبيعياً. ذلك لأنه ليس من السهل، بل يكاد يكون من المستحيل، على أيٍ كاتب أو مفكر إسلامى من السودان، ومشتغل فى مجال الفكر الإسلامى، يستطيع أن يتجاوز الأستاذ محمود، بحكم

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، "إشكالية مفهوم الوسط الكبير بين الأستاذين كمال الجزولى ومنصورخالد"، الحلقة الأولى، **صحيفة الصحافة**، الخميس 29 ربيع الثانى 1425هـ/ 17 يوليو (تموز) 2004، العدد 3970، الخرطوم.

الإنتاج الضـخم الذى نشره فى النصف الثـانى من القرن العـشرين، ومـا صاحب ذلك من مواقف بلغ خبرها كل منشغل بأمر الكتابة وإنتاج الفكر. لماذا سكت حاج حمد عن الأستاذ محـمود فى دراساته فى الفكر الإسلامـى؟ وهل استدرك هذا السكوت لاحقـاً؟ وماذا عن الأسـتـاذ محـمـود فى دراسـات حاج حـمـد فى الشـأن السـودانى، هل سكت عنه أيضـاً وتجاهله؟ وإذا كـان ذلك كذلك، وهو كـذلك، فلماذا تجـاهل حاج حمـد وأغفل الأسـتاذ محمود فى دراسـاته عن مسار وتاريخ السودان السياسى؟ وهذا ما سـأحاول الإجابة عليه من خلال موقف حاج حمد السياسى من الأستاذ محمود.

الأستاذ محمود وموقف حاج حمد السياسى

من واقع الدراسات المنشورة للأستاذ محمد أبو القاسم، ومن أهمها كتابه: **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل**، نجد أن الموقف السيـاسى لحاج حمد من الأستاذ محـمود لا ينفصل من مـوقف طلائع المتعلمـين. فمـوقف طلائع المتعلمـين من الأسـتـاذ محـمود، اتسم بالـعداء والسعى لتغييبه عن الذاكرة الجمعيـة. أغفل محمد أبو القاسم الأستاذ محمود ودوره فى تطور الحركة الوطنيـة وفى النضال السياسى. لقد ترسم حـاج حمد خطى طلائع المتعلمين. فـحينما أصدر كتابه آنف الذكر فى طبعته الأولى عام 1980، فى مجلد واحد، أظهر فيه تجاهلاً متعمداً للأستاذ محمود، وأغفله إغفالاً ينم عن غرض وضـغينة، كما نرى لاحقاً. وحينما كتب المجلد الثانى وأصدر الطبـعة الثانية من كـتابه عام 1996، فى مجلدين. أظهـر فوق التجاهل المتـعمد والإغفـال المغرض، عداءً فـارق معه العلمـية فى التناول والحيـاد المتوقع من باحث فى قامـته. فالأسـتاذ حاج حـمد رجل (أعرض فـى العلم وبلغ الغاية فى البـحث والاستقـصاء)[1] كما وصفه منصور خالد. ولكن مع ذلك، تجاهل إسهـام الأستاذ محمود ودوره النضالى الثابت فى كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى الذى يُعـتبر العمدة فى تاريخ الوطنية السودانية. وفى تقديرى أن محمد أبو القاسم تشرب العداء للأستاذ محمود منذ سنى شبابه الباكر.

قبل الوقوف على طبيعة تجاهل الأستاذ حـاج حمد للأستاذ محمود، وإظهار العداء له، أود أن أقف عند السـؤال التـالى: كـيف ترسم الأسـتاذ مـحـمـد أبو القـاسم خطى طلائع

(1) منصور خالد، **جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى**، مرجع سابق، ص 330.

المتعلمين فى موقفهم من الأستاذ محمود؟ وُلد حاج حمد قبيل مهرجان تكوين الأحزاب السودانية، بنحو عام ونيف، حيث وُلد فى (نوفمبر) نهاية عام 1942، وكان مهرجان تكوين الأحزاب خلال عامى 1944 و1945. ولج حاج حمد العمل السياسى فى شبابه الباكر، حيث أصبح من قيادات **حزب الشعب الديمقراطى** وهو فى سن الثالثة والعشرين، مستظلاً بمظلة الشيخ على عبد الرحمن الأمين (1906-1983). وقد أشار لذلك فى كتابه، الذى خصص فيه فصلاً للحديث عن الشيخ على قائلاً: "ربما بدا للبعض وقتها أن اختيارى **لحزب الشعب** قد يرجع إلى اعتبارات طائفية وقبلية، غير أن تلك الاعتبارات لم يكن لها شأن بالاختيار ولكن كان لها كل الشأن فى المركز القيادى الذى شغلته فى سن مبكرة وفى ممارستى لدور أكبر من حجمى الحقيقى فى أوساط الحزب الإعلامية فى الخرطوم والعمالية فى عطبرة، ولعلى قد استمتعت كثيراً بمظلة الشيخ القوية"[1]. ففى تقديرى، أن ملازمة حاج حمد للشيخ على عبدالرحمن فى سنى شبابه الباكر، قد ساهمت فى تكوينه السياسى، وفى موقفه من الأستاذ محمود. خاصة وأن للشيخ على موقفاً من الأستاذ محمود عبر عنه فى مذكراته بالتجاهل المتعمد والإغفال المقصود، (لقد بينت ذلك فى الفصل السادس عشر من هذا الكتاب، وموضوعه: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه"، وكان الشيخ على عبدالرحمن أحد نماذج دراستى). ولعل هذا ما يقدم لنا بعض التفسير لمواقف الأستاذ حاج حمد من الأستاذ محمود، بل أذهب أبعد من ذلك وأقول إن حاج حمد قد تشرب العداء للأستاذ محمود منذ تلك المرحلة.

لم يكن الشيخ على -حال معظم طلائع المتعلمين- على وفاق مع الأستاذ محمود فى الرؤية السياسية، فعلى سبيل المثال، عندما سافر الشيخ على والسيد إسماعيل الأزهرى إلى مصر بعد جفوة بين أزهرى والمصريين بسبب انحياز الأول للاستقلال، وخلافات الختمية مع أزهرى، ائتلف الختمية مع الأمة فتكونت حكومة السيدين.. فاتجهت مصر لتجميع أزهرى والختمية لإحياء فكرة الاتحاد مع مصر، ونسب لشيخ على عبدالرحمن أنه قال لصحف القاهرة إن حزبه الآن يقف فى المعارضة. الأمر الذى يدل على استجابته لرغبة المصريين.هذا فى الوق

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل** (من 1956 وإلى 1996)، مج2، مرجع سابق، ص 298.

الذى كان فيه شيخ على لا يزال وزيراً فى حكومة السيدين. حينها صرح الأستاذ محمود قائلاً:

ونسب لإسماعيل الأزهرى تصريح أمام جمال عبد الناصر يعترف فيه بهذه الاتفاقية، ويزعم أن هذه الاتفاقية لم تعقنا فى شىء.. وهذا فى نظرى، بمثابة الخيانة العظمى.. فإن لم يكن هناك قانون يحاكم على الخيانة العظمى، فإن الرأى العام المستنير يجب ألا ينسى مثل هذا العمل الشاذ لأزهرى.. إن أزهرى بتصريحه السالف يريد أن يقول لجمال عبد الناصر: عاونّى على إسقاط الحكومة الحاضرة وإقامة حكومة أكون على رأسها وأنا كفيل بإعطائك ما تصبو إليه فى المسائل المعلقة بيننا !! أما تصريحات على عبد الرحمن إن صحت، فإن أيسر ما يستحقه أن يفصل من الوزارة(1).

فى تقديرى، أن حاج حمد قد تأثر بالشيخ على فى موقفه من الأستاذ محمود. ويمكن ملاحظة ذلك فى كتابه آنف الذكر. فقد تحدث حاج حمد فى كتابه عن نشأة الأحزاب السياسية، وكان من أهم مصادره عن نشأة الأحزاب، كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**. كان الأستاذ أحمد خير المحامى قد تحدث عن نشأة **الحزب الجمهورى** من خلال عنوان جانبى لا تخطؤه العين، جنباً إلى جنب مع بقية الأحزاب، كما ورد آنفاً. برغم ذلك تحدث حاج حمد فى كتابه بتوسع عن كل الأحزاب التى وردت فى كتاب أحمد خير المحامى عدا **الحزب الجمهورى**، فلم ترد أى إشارة إلى نشأته أو إشارة إلى رئيسه الأستاذ محمود. وتحدث وأشار إلى نحو 22 حزباً معتمداً على كتاب الأستاذ أحمد خير وعلى مصادر ومراجع أخرى، ولم ترد أى إشارة **للحزب الجمهورى** أو الأستاذ محمود. وبعد أن تجاوز نشأة الأحزاب، وفى فصل لاحق، تحدث عن "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" الذى نشأ عام 1965، وضم (32) تنظيماً، ذكر أن من بينهم كان **الحزب الجمهورى** الذى يقوده الأستاذ محمود محمد طه. ثم عرَّف **الحزب الجمهورى** فى هامش الصفحة. قائلاً: "حزب دينى يعتمد على الاتجاهات التجديدية التأويلية الباطنية للأستاذ المهندس محمود محمد طه وهو حزب نخبة صغير معادية للإخوان المسلمين والطائفية. وقد حرض الإخوان المسلمون نميرى على إعدام

(1) تصريح أدلى به الأستاذ محمود محمد طه لصحيفة **أنباء السودان**، بتاريخ 1958/11/15.

الأستاذ محمود تاريخ 18 يناير 1985"[1]. وهذا تعريف لا يمكن قبوله من أستاذ كبير وباحث دقيق فى قامة حاج حمد، فهو من جهة تعريف ظالم للحزب وتاريخه، وينطوى على غرض وعداء، وفيه تقليل متعمد للشأن السياسى والدور الوطنى، ومن جهة أخرى فهو تعريف مخالف لما جاء بشأنه من تعريف فى كتاب أحمد خير المحامى، أهم مصادر حاج حمد. وقد أوردت آنفاً ما قاله الأستاذ أحمد خير المحامى، عن نشأة **الحزب الجمهورى** وعن رئيسه الأستاذ محمود، وعن دوره النضالى وإسهامه فى الحركة الوطنية، وما قاله كذلك يحيى محمد عبد القادر، والتجانى عامر، ومحمد سعيد القدَّال، والدكتور منصور خالد، وفرانسيس دينق، وفيصل عبدالرحمن على طه، وكل هذه المراجع ليست بغائبة عن حاج حمد وهناك إشارات لها فى ثبت المصادر والمراجع لكتبه ودراساته.

من المعروف عن حاج حمد أنه قارئ نهم، كما ورد آنفاً، تلمح ذلك فى طول قائمة المصادر والمراجع فى دراساته، وتجد الغريب النادر من المصادر والمراجع بينها، فهو قارئ نهم ومُوثق دقيق. ولهذا، فإنه بلا شك قرأ الكثير من المصادر والمراجع التى تحدثت عن نشأة **الحزب الجمهورى**، ولكن العداء الذى تشربه منذ سنى شبابه الباكر تجاه الأستاذ محمود جعله صاحب غرض، وهو يترسم نهج طلائع المتعلمين. لم يرسب حاج حمد فى هذا فحسب؛ وإنما رسب حينما تحدث عن إعدام الأستاذ محمود. كان حديثه رسوباً فى امتحان الانحياز للحقيقة وكان رسوباً شنيعاً فى امتحان المعانى والحس الإنسانى.بل أظهر عداءً شديداً للأستاذ محمود فى المجلد الثانى، وهو يتحدث عن إعدامه، حديثاً تلمح فيه التشفى الواضح. فقد تحدث حديثاً يتنافى مع العلمية وأسس البحث، ولا يتماسك أمام النقد بأدنى سبل استخدام مقارنة القرائن، وبأقل حد من إمكانيات التنقيب البحثى، فضلاً عن مجافاة حديثه للحس الإنسانى السليم. تحدث فى كتابه آنف الذكر[2]، حديثاً مطولاً عن إعدام وجثمان ودفن الأستاذ محمود كتب حاج حمد قائلاً: "تفيد تقارير الأمن السودانى بأن نميرى... وفى اليوم السادس والعشرين طلب من سلطات السجن التى صحبت جثة المرحوم محمود محمد طه، وقذفت بها فى ساحل البحر الأحمر أن تدله عن المكان الذى ألقيت فيه الجثة[3]". وأضاف

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل** (1956-1996)، مرجع سابق، ص 320.

(2) المرجع السابق، ص 464-467.

(3) المرجع السابق، ص 464-467.

حاج حمد قائلاً: "قال الطيار الذى قاد طائرة جعفر نميرى، أن جعفر نميرى نزل وصلى صلاة الجنازة على جثة محمود محمد طه التى كانت منتفخة وقبّله فى رأسه، وقال لأحد أصحابه أنه سينقل جثمان محمود محمد طه ويدفنه فى مسجد النيلين"[1]. وبما يشبه الأسطورة والخرافة، بل الخرافة بعينها، استمر حاج حمد فى غيه قائلاً: "وفى اليوم الثلاثين من يناير 1985 أعاد جعفر نميرى الكرة، وحفر قبراً لمحمود محمد طه وأشرف بنفسه على غسل جثته وتكفينه[2].

السؤال ما هى مصادر ومراجع حاج حمد فيما ذهب إليه. كان حاج حمد أثناء حديثه يحيل القارئ فى هامش الصفحة إلى تقارير سلطات الأمن بتاريخ كذا وكذا. ولكنه لم يُبين إلى أى جهة قدمت تلك التقارير؟ ومتى قدمت؟ ومن الذى أعدّها؟ وما الغرض من إعدادها؟ وأين هى مودعة؟ وكيف يمكن التحقق من صحة وجودها أصلاً سواء كانت صحيحة أو خطأ؟ أسئلة كثيرة، ليست لها إجابات، لا فى ما أورده حاج حمد من أحاديث، ولا فى مصادر معلوماته. وهو الذى يعرف جيداً طريقة إيراد مصادر المعلومات، وهو كذلك من أكثر الباحثين معرفة للأسس العلمية للتوثيق. الأمر الذى ينسف كل ما أورده الأستاذ حاج حمد فيما يتعلق بإعدام الأستاذ محمود. هذا إلى جانب أننى لا أحسب أن سلطات الأمن لديها تقارير تُنشر بشكل دورى حول الأحداث والوقائع، وإن كانت فلا أحسب أنه يمكن الاعتماد عليها كمصدر من مصادر الدراسات والبحوث، خاصة فى قضية مثل قضية الأستاذ محمود، ومن جهاز أمن مثل جهاز أمن الرئيس نميرى. فهو مؤسسة وجهاز تتبع للسلطة السياسية التى هى خصم للأستاذ محمود. ثم متى كانت أجهزة الأمن فى العالم الثالث مصدر ثقة لتُبنى عليها الدراسات والبحوث، فسلطات الأمن فى العالم الثالث فى عام 1985 وحتى تاريخ اليوم، لا يمكن الأخذ بتقاريرها والاعتماد عليها، اللهم إلا لدى القائمين على نظام الحكم والمتنفعين من ذلك النظام.

هذا من جهة ما كتبه حاج حمد وأورده من معلومات بشأن مكان دفن الأستاذ محمود وجثته، وهو أمر تدحضه الشواهد والبراهين والأدلة بما تجعله غير صحيح البتة. أما من جهة مدى صمود مصادر حاج حمد ومراجعه أمام رواية العميد الطيار فيصل مدنى، الذى حمل الجثمان بطائرة هليكوبتر من سجن كوبر إلى غرب أمدرمان، وأمام رواية مدير سجن كوبر وقتئذ، واللذين أكدا

(1) المرجع السابق، ص 464-467.
(2) المرجع السابق، ص 464-467.

دفن الأستاذ محمود بغرب أمدرمان، وأضاف العميد طيار فيصل بأنه نزل من طائرته وأطمأن على دفن الأستاذ محمود. وقد أوردت شهادتيهما ضمن الفصل الثانى عشر من هذا الكتاب، "بعض الشهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسامة على منصة المشنقة"، يمكن الاطلاع عليهما مع الشهادات الأخرى. إن ما جاء فى تلك الشهادات يضع حاج حمد وما كتبه فى موضع رسوب شنيع بالمعيار الأخلاقى، ولا أحسب أن مفكراً يرسب فى امتحان الأخلاق سيكون قادراً بمشروعه أو برؤيته على العبور بالأمم والبشرية إلى مصاف أنسنة الحياة ولا أحسب أن مشروعه قادر على إحداث التغيير والتحرير وتحقيق السلام. فانهزام المفكر أخلاقياً هو رسوب لمشروعه.. ورسوب المفكر فى المواقف الإنسانية هو انهزام لمشروعه. فالأخلاق والصمود والانتماء للمستقبل والانحياز للإنسانية.. شروط أساس فى مشروع ومواقف المفكر الأصيل. ولا سلام ولا تغيير ولا تحرير ولا أنسنة تحققها الأمم والبشرية فى المستقبل إلا بمشروع المفكر الأصيل.

حاج حمد والتراجع الضمنى فى موقفه من الأستاذ محمود

لم يتحدث حاج حمد فى كل كتاباته عن الأستاذ محمود محمد طه كشهيد، إلا فى عام 2004. ففى أول مرة يصف حاج حمد الأستاذ محمود بالشهيد، كان فى المقال الذى نشره يوم 17 يونيو 2004، كتب حاج حمد قائلاً:

> *فمنهجى علمانى ليبرالى ديمقراطى "بالكيفية التى طرحتها ووثقتها" وحتى ادرأ عن الديمقراطية تعالى الطائفية والحزبية طالبت بإعادة "مجلس الشيوخ" ليمارس "رقابة دستورية" على أغلبية الطوائف والأحزاب الميكانيكية، منادياً بإعادة تطبيق المادة "44" من دستور السودان المؤقت لعام 1956 وهذا مجالك القانونى- أخى الجزولى- "المأزق التاريخى- ص 747-750" ونشرت مقالى الأخير فى صحف الخليج "الوسط- البحرين" بعنوان: "علمانية العاصمة ضرورة إسلامية"، لإسقاط المفهوم الشيوقراطى للسلطة الدينية التى لا أساس لها فى الإسلام. والتى أعدمت من قبل الشهيد محمود محمد طهو تريد أن تعدم فى إيران المفكر الإصلاحى "أغا جارى" والتى تكيل اتهامات "الردة" لكل مفكر ومصلح(1).*

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، "إشكالية مفهوم الوسط الكبير بين الأستاذين كمال الجزولى ومنصور خالد"، الحلقة الأولى، **صحيفة الصحافة**، الخميس 29 ربيع الثانى 1425هـ/ 17 يوليو (تموز) 2004، العدد 3970، الخرطوم.

الفصل
الثامن عشر

18

الأستاذ محمود والروحانيون:
فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية

الأستاذ محمود
والمهاتما غاندى: مقاربة أولية

*قبل قليل قرر البانديت نهرو أن ينزل عن كرسى الرئاسة لحين ليتفرغ كما قال لعمل آخر خارج كرسى الرئاسة وخارج البرلمان ثم يعود للرئاسة مرة أخرى ولكن زعماء **حزب المؤتمر** أصروا على الت مسك ببقائه وذهبوا إلى حد أن أخبروه أنهم لا يستطيعون أن يتصوروا خلو منصب الرئاسة من شخصه المحبوب" (1)،... ما أرى إلا أن نهرو أراد باعتزاله الرئاسة إلى حين أن يتفرغ ليكون الأب الروحى للهند على نحو ما كان يفعل غاندى عله يوفق فى إثارة الروحانية الهندية بدرجة تعيد إلى بلاده المثالية التى يشكو من انكماشها ولكن هيهات!! إنه ليس هناك" (2).*

محمود محمد طه، فى يوم 31 مارس 1958

(1) محمود محمد طه، "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 152، بتاريخ 1958/3/31.
(2) المصدر السابق.

إننى حزين لك يا طه

فمن هو طه هذا.

كان طه رجلاً

لم يقم بإيذاء أحد

فى حياته كلها

سبعاً وسبعين سنة عاش طه

محباً للآخرين يمنحهم الخير، ويعلمهم الاستقامة

وكان عطوفاً، ومسالماً، وداعيةً

كان يدعو أن تكون حقوق الإنسان لجميع الناس

ماذا كانت خطيئته!

بضع وريقات، نشرها عن رأيه.

وعلى ذلك شنقوه

أمام الجميع فى سجن كوبر[1]

غراهام ف. توماس

---

(1) غراهام ف. توماس، **السودان: موت حلم**، ترجمة عمران أبو حجلة، ط1، دار الفرجانى، طرابلس، 1994، ص 235-236. لفت نظرى لهذه القصيدة الأخ محمد الصادق جعفر. ولد غراهام ف. توماس بكمافون جلامورفان عام1921، ودرس التاريخ بكلية **ساوث ويلز الجامعية**. حصل على درجة الماجستير =

ثلاثة أسباب تبرر الدفع بهذه المقاربة بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى إلى هذا الكتاب. فالكتاب جعل من السودان، ومصر إلى حد ما، مع إشارات للعالم الإسلامى خاصة، وبعض المؤسسات الإسلامية العالمية فى المملكة العربية السعودية، ميداناً لإطاره الجغرافى، بينما تجيء المقاربة مع المهاتما غاندى تجاوزاً لذلك الاطار الجغرافى، وتبرير ذلك يعود إلى الأسباب التالية:

أولاً: إن موضوع الكتاب هو محمود محمد طه والمثقفون، مع التركيز على المثقفين السودانيين، ولما كان المهاتما غاندى حاضراً فى مخيلة المثقفين السودانيين، خاصة لدى طلائع المتعلمين، فى كتاباتهم وفى فكرهم السياسى، فقد أخذوا من الهند (المهاتما غاندى - البانديت نهرو) الفكر التنظيمى، وليس فكر المقاومة، فكان مؤتمر الخريجين عام 1938، على غرار المؤتمر الوطنى الهندى، بينما نأى الأستاذ محمود عن مؤتمر الخريجين وعاب منهجه فى التعاطى مع المستعمر، وفى نفس الوقت تقاطع مع المهاتما غاندى فى فكر المقاومة والمواجهة للمستعمر، لهذا كان لابد أن تكون هذه المقاربة حتى وإن جاءت أولية وموجزة.

ثانياً: أطلق الكثير من المثقفين والمؤسسات فى السودان وخارجه على الأستاذ محمود اسم غاندى السودان وغاندى إفريقيا، وأشار البعض الآخر إلى أن الأستاذ محمود تأثر بالمهاتما غاندى فى المقاومة السلمية، فهل تأثر الأستاذ محمود بالمهاتما غاندى؟ مثلت محاولة الإجابة عن هذا السؤال المبرر الثانى للدفع بالمقاربة فى هذا الكتاب.

= من **جامعة ويلز** عام 1950. نُقل إلى مكتب السكرتير الإدارى وعمل مع آخر سكرتير إدارى للسودان السير جيمس روبرتسون. عمل مع أول حكومة وطنية وأشرف على تدريب السودانيين فى مجال الإدارة والصناعة. دُعى لزيارة السودان من مختلف الحكومات التى تعاقبت على البلاد بعد حصولها على الاستقلال. انضم لخدمة حكومة صاحبة الجلالة وعمل فى **وزارة التعليم** والعمل والأراضى بكينيا. عاد إلى المملكة المتحدة حيث عُين عميداً **لكلية هنتركومب مينور لتعليم الكبار** فى ساوث بكنجهام شايا حيث أصدر سلسلة محاضرات هنتركومب ذات المكانة العلمية المرموقة. **المصدر**: غراهام ف. توماس، **السودان: الصراع من أجل البقاء** (1984-1993)، ترجمة الطيب الزبير الطيب المنصور، دار الفرجانى ودار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة/ طرابلس/ لندن، 1995.

ثالثاً: لقد تناولت ضمن الفصل الأول، رغبة الأستاذ محمود وهدفه من دراسة القانون، على ضوء ما توفر لى من وثائق وقرائن. وتتبعت تقديم طلبه ومراسلاته خلال العام 1938، **لمدرسة السودان للقانون** *the Sudan School of Law*. (أنظر الملاحق: "4-8").كشفت تلك المراسلات عن رغبة شديدة فى دراسة القانون، وأبدى فيها الأستاذ محمود حرصاً قوياً على دراسة القانون. فهل تُعد الرغبة القوية لدى الأستاذ محمود وحرصه الشديد على دراسة القانون عنصراً إضافياً لتعزيز التشابه أو التأثر، كما يرى البعض، بالمهاتما غاندى(1) (1869-1948) الذى درس القانون وأصبح محامياً؟

---

(1) ولد موهانداس كرمشاند غاندى MohandasKaramchandGandhi فى 2 أكتوبر 1869 بمقاطعة بورباندا، على الساحل الغربى للهند. لُقب بالمهاتما وتعنى الروح العظيمة GreatSoul، كما شُرف فى الهند بلقب والد الأمة Father of theNation. سافر إلى بريطانيا لدراسة القانون وعاد إلى الهند فى عام 1891 بعد حصوله على شهادة فى القانون أهلته للعمل كمحامى. لم تكن الأوضاع فى الهند مساعدة لترضى طموحاته فى العمل فى مجال المحاماة. ففى 1893 سافر مغترباً بعقد عمل مع أحد البيوت التجارية فى جنوب إفريقيا. أثناء فترة إقامته (1893-1915)، ناصر الحقوق المدنية وبدأ منهج التفانى فى "الحقيقة" وطور أساليب المقاومة، فسجن أكثر من مرة. فى عام 1914 اعترفت حكومة جنوب إفريقيا ببعض مطالب المهاتما غاندى. عندما عاد المهاتما غاندى إلى الهند عام 1915 جذب منهجه فى المقاومة وطريقته فى الحياة الكثير من الناس، وذاع صيته كسياسى وزعيم. فى عام 1921 تولى قيادة المؤتمر الوطنى الهندى أكبر الأحزاب الهندية،وكان برنامجه يقوم على المقاومة السلمية، وعدم التعاون مع البريطانيين. فى عام 1922 حكم على غاندى بالسجن لمدة ست سنوات ولكن أفرج عنه بعد عامين. فى 1930 قاد غاندى مسيرة شعبية رفضاً للضريبة على الملح واحتكار الشركات البريطانية لتجارته وتوزيعه. بدأت المسيرة من مكان إقامته فى سابرماتى أشرام بالقرب من مدينة أحمد أباد، واستمرت لثلاثة أسابيع قطعت فيها نحو 400 كيلو متر، لتصل إلى قرية داندى على ساحل المحيط الهندى، ودعا للعصيان الذى انتهى بتوقيع معاهدة غاندى- إيروين. فى عام 1931 حضر غاندى مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن كممثل وحيد عن المؤتمر الوطنى الهندى. وفى عام 1934 استقال عن الحزب احتجاجاً على استخدام العنف كوسيلة للتغيير السياسى، وحل مكانه جواهر لال نهرو JawaharlalNehru (1889-1964) الذى أصبح أول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال. فى عام 1945 بدأت المفاوضات لتقسيم الهند على أسس دينية، لتصبح دولتين: الهند وباكستان. عارض المهاتما غاندى التقسيم، ودعا للوحدة الوطنية، وطالب الهندوس باحترام حقوق المسلمين، وصام من أجل أن يسود الهدوء والسلام بين الطوائف الدينية. الأمر الذى أثار المتعصبين من الهندوس، وفى 30 يناير 1948 تم اغتياله على يد متطرف هندوسى. **المصدر**: المهاتما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، ترجمة محمد سامى عاشور، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969، صفحات متفرقة؛

Mohandas Gandhi (1869 - 1948), Retrieved October 29, 2012, from: BBC, Web site: http://www.bbc.co.uk/history/historic_figures/gandhi_mohandas.shtml

غانـدى "السـودان" وغانـدى "إفريقيـا"

إعدام محمود محمد طه غاندى إفـريقيا بسبب أفكاره... إننا لا نعرف عنه شيئاً كثيراً. ولكن استشهاده قد مسنا عميقاً[1].

مجلة جون آفريك JeuneAfrique

كانت هناك أصـوات عديدة التى وصفت الأستـاذ محمـود بغاندى السـودان أو غاندى إفريقيا. لقد وسـمت **مجلة جون آفريك** *JeuneAfrique* الناطقة بالفرنسية الأسـتاذ محمـود باسم "غاندى أفـريقيـا"، كما ورد أعـلاه. خصـصـت المجلة غلاف عددهـا بتاريخ 30 يناير 1985 لخبر إعدام الأستـاذ محمود تحت عنوان: الجريمة: "إعدام محمـود محمد طه غاندى إفريقيـا بسبب أفكاره". وقالت المجلة: "إننا لا نعـرف عنه شيئاً كثيراً. ولكن استشـهاده قد مسنا عمـيقاً"[2]. كذلك جاء فى **مجلة الأزمنة العربية**،عدد يناير 1987، تحت عنوان جانبى هو: "غاندى السودان":

ولكن ما كان يجذب فى الأستاذ محمـود بالإضافة للأفكار الجديدة والغريبة هو جانب السلوك فقد كان نموذج الأستاذ غيـر المتكرر ولقد استحق بجدارة لقب "غاندى السودان"، فقد كـان ضد العنف فعلاً وقـولاً، بمعنى عدم استعـمال الألفاظ النابية والجارحـة مثل التى يستعملهـا خصومه عند الحديث عنه، لقد كان يقول دائمـاً: "كل واحد يقدم ما عنده، نحن عندنا الفكر والإخوان عندهم العنف"[3].

أيضاً، وصفت **صحيفة العرب** القطرية، الأستاذ محمود بغاندى إفريقيا، فقد جاء فى الصـحيـفـة نقلاً عن مـراسلهـا فى الخرطوم بتـاريخ 25 ربيع الثانى 1405هـ تحت عنوان: "تعـاطف الطبقـات السياسـية والمثـقفـة فى السودان مع غـاندى إفريقـيا"[4]. كذلك كتـب ميشيل هوبكنز قـائلاً: "وقد عاش طه نفسـه ـ الذى كان طاعناً فى السن

(1) "الجريمة: إعدام محمود محمد طه غاندى إفريقيا بسبب أفكاره"، ضمن: الإخوان الجمهوريون، **ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود**، يونيو 1985، ص 37.

(2) المصدر السابق، ص 37.

(3) "محمود محـمد طه: الإنسان والمواقف (الحرية لنا ولسوانا)، **الأزمنة العربية** ، العدد: 156، 30 كانون الثانى- يناير 1987، ص 28-34.

(4) الإخوان الجمهوريون، **ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود؟**، مصدر سابق، ص 37.

وقتها- حياة متقشفة تُشبه حياة الزعيم الهندى غاندى، حيث ارتدى الجلابية السودانية التقليدية مثل فقراء الريف السودانيين، ولم يمتلك سيارة، واعتاد السير لمسافات طويلة على قدميه"[1].

الشاهد أنه إلى جانب هذه النماذج، فهناك الكثير من الكُتاب أطلق على الأستاذ محمود اسم غاندى السودان وكذلك غاندى إفريقيا، الأمر الذى يبرر طرح الأسئلة. بيد أن أسئلة التشابه والتأثر فى واقع الأمر، تمثل مدخلاً لحوار واسع يتصل برموز الفكر والقيادات ودعاة التحرير والتغيير من العالم الثالث فى القرن الماضى، قرن الهيمنة الأوروبية باستعمار الأرض والعقول، والسيطرة على الشعوب، والاستحواذ على الخيرات. لقد شغلت أوروبا العقول الكبيرة فى العالم الثالث، بالنضال من أجل التحرير، وبالصراعات الداخلية، فبقيت معظم إسهامات شعوب العالم الثالث فى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، فى مجلد إرث البشرية، إسهامات تقدم عبر النضال وتقوم على المقاومة وفكرها، وكان المهاتما غاندى أشهر النماذج. غطى فكر المقاومة ومذاهب النضال ونماذجهما على الكثير من الإسهامات الفكرية ورؤى أنسنة الحياة ومشاريع التغيير الكوكبى، لاسيما مشروع الأستاذ محمود، إذ لم تجد حظها فى سماء العالم من الاحتفاء والتأمل والقراءة والحوار، غير أنى على يقين تام من أنها حتماً ستبعث من جديد. ولهذا، فإن أسئلة التشابه والتأثر تتصل أيضاً، بفكر المقاومة السلمية وتطوره فى سبيل مناصرة الحق والنضال من أجل التحرير والتغيير. وفوق ذلك فهى تتصل بالأسرار الكونية وما يتبعها من استفهامات كبرى فى حياة البشرية، تلك التى تتعلق بتناص الأرواح وتآلفها، وتعارف العقول الكبيرة والتقائها عند المعلم الأوحد فى هذا الكون. الشاهد أن هناك نقطة التقاء كما يرى الأستاذ محمود، فهى نقطة تلتقى عندها الأديان جميعها، حيث تنتهى العقيدة ويبدأ العلم، يقول الأستاذ محمود: "وبحسبك أن تعلم أن ما أدعو إليه هو نقطة التقاء الأديان جميعها، حيث تنتهى العقيدة ويبدأ العلم، وتلك نقطة يدخل منها الإنسان عهد إنسانيته، ولأول مرة

(1) ميشيل هوبكنز، "محمود طه... غاندى السودان"، (تقرير)، ترجمة: محمد عبدالرؤوف، 2005/6/30. المصدر: **موقع الفكرة الجمهورية**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/10، الموقع على الإنترنت: http://www.alfikra.org

فى تاريخه الطويل.."[1]. فأسئلة المقاربة بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى أسئلة كبيرة، غير أنى ولغرض تقديم إضاءة أولية لتدشين مدخل لحوارات مستقبلية قادمة فى تقديرى، يكون محورها الأستاذ محمود ومشروعه، أقدم وباختصار شديد بعض الخطوط العريضة محاولاً الإجابة عن السؤالين السابقين كمدخل لمقاربة بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، ولابد لى فى المستقبل من عودة ثانية لهذه المقاربة.

المهاتما غاندى والذاكرة الكوكبية

العالم أصبح له هيكل حضارى تنقصه الروح[2]
محمود محمد طه

يستدعى اسم المهاتما غاندى، من الذاكرة الكوكبية، ذاكرة شعوب الأرض، أول ما يستدعى، منهج المقاومة السلمية وفلسفة اللا عنف، ورمزية العصيان المدنى، ومسيرة تحدى قوانين الاستعمار البريطانى لاستخراج الملح، وسيرة المحامى الذى بدأ منهج التفانى فى الحقيقة devotion to truth فى جنوب أفريقيا (1893-1915) وسار عليه فى الهند. وكذلك يستدعى اسم غاندى حياة الزهد والتقشف والصيام، وقصة دخول "عنزته" قصر باكنغهام الملكى بالمملكة المتحدة. إلى جانب أنه كان من عقول العالم الكبيرة فى القرن العشرين، إذ ابتكر الاستراتيجيات الجديدة لإدارة الصراع، التى تقوم على شراكة الشعوب وتفجير طاقاتها من أجل التحرير وطرد الاستعمار. هذا من الوجهة المادية، أما غاندى من الوجهة الروحانية، فهو بلا شك عند الروحانيين، كما هو حاله، هو المؤمن بأن التعليم بلا روحانية لا جدوى منه، وهو الموقن بأن تطهير النفس هو الشرط الأساس للمعرفة[3]، وهو الواثق بأن جهده فى تقصى الحق كما تجلى له[4]، مثَّل معين المدد الروحى الذى بعث فى نفسه

---

(1) محمود محمد طه، "بينى وبين الدكتور الفاضل مصطفى محمود"، ضمن أسئلة **مجلة الأضواء السودانية**، 1970؛ محمود محمد طه، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، مصدر سابق.

(2) الأستاذ محمود فى مؤتمر **للحزب الجمهورى** عام 1955. **المصدر**: مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، مصدر سابق.

(3) المهاتما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، ترجمة محمد سامى عاشور، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969، ص 261.

(4) المصدر السابق.

الاستـقـرار والسكينة وأوحـى إلى عـقله الهـدوء والسـلام[1]، فـهـو بهـذا بلا شك عند الروحانيـين، بعض التجلى لخـلاصة الإرث الروحى فى آسيـا، وهو ومضة من الومـضات الروحانية فى مسار البشرية وهى تستنجـد بالإنسان القادر على تفجير الطاقات الكامنة من أجل الخلاص. فهو بحق أحد الآباء الروحانيين فى البشرية.

برغم اطلاق اسم غاندى إفـريقيا وغاندى السـودان على الأستاذ محـمود إلا أنه لم تتم الدراسات والمقاربة بـينهما وإن كان قد بدأت بعض الإشـارات والاقتران بينهمـا من كبار الأكاديمـيين. كتب أسامـة عثمان وهو يتـحدث[2] عن الاحتـفال بمئوية الأسـتاذ محـمود بجامـعة أوهايو[3]، قائلاً: كـان المتحـدث الرئيسى فى اليـوم الثانى هو المفكر والفـيلسوف والمناضل كورنيل ويست، وهو بروفيسور كرسى الدراسـات الأميركية والأديان المقارنة فى **جامعـة بريستون** فى ولاية نيو جرسى، وكـان قد تخرّج فى **جامعـة هارفارد** وعمل فـيها أستاذاً وعمل فى **جامعة يال** العريقة وفى جـامعات أخرى". وأضاف أسامة مـتحدثاً عن تقديم سـتيف هوارد لويست، قائلاً: تحـدث البروفيسـور ستيف هوارد قائلاً: "إن الإسـهام الكبيـر للأستاذ محـمود بوصفه واحـداً من أكبر المفكرين فى إفـريقيا فى القرن فى قـضايا الحرية وحقوق المرأة وحقوق الإنسان والعلاقات بين البشر ليس معروفاً فى دوائر الجمهور الكبير والدوائر السياسية ويأمل أن تسهم مشاركة المفكر كورنيل ويست فى التعريف بقيمة الأستاذ محـمود فى هذه المجالات". أشار أسامة لمعرفة ويست قـائلاً: "كان ويست قد ذكر

---

(1) المصدر السابق.

(2) أسامـة عثمـان، "الاحتفـال بمئوية الأسـتاذ محـمود بجامـعة أوهايو"، **من موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved) 11 أكتوبر 2010، الموقع على الإنترنت: . www.alfikra.org

(3) كتب أسامـة عثمان فى صدر مقـاله: احتفلت **جامعة أوهايو** بالذكرى المئوية لميلاد الأستاذ محمود مـحمد طه (1909-2009) والذكـرى الرابعـة والعشرين لاستـشـهاده من أجل الـفكرة التى كـرّس لها حـيـاته فى 18 يناير1985. ولم يكن اختـيار جـامعة أوهايو للاحـتفـال بهذه الذكرى حـدثاً معزولاً جـاء مصـادفة لأن بعض تلاميذ الأستاذ مـحمود يعملون بتلك الجامعة أو أنهم قـد درسوا فيها. **فجامعة أوهايو** التى أنشئت عام 1805 واحدة من عشـر جامعات أميركـية... لقد انعقد لواء الاحتـفالات فى إطار مؤتمر "الإسلام التقـدمى"فى الفترة 17-18 يناير 2009 ليتصـادف مع الذكرى الرابعة والعـشرين لاستشهـاد الأستاذ محـمود وكان محـوره حياة وأفكار الأستاذ كنموذج معاصـر لتفسير وفهم متقدّم للإسلام يخـتلف عن الصورة السائدة المرسومة فى أذهان الناس عن الإسلام المرتبط بالإرهاب والعنف والتـخلف ومعاداة المرأة. ولقد ركّز المؤتمـر على الإسهام الفكرى للأستاذ محمود وأنشطة الإخوان الجمهوريين فى مختلف الحقب".

الأستاذ محمود فى كتابه الصادر فى عام 2004 بعنوان: **أهمية الديمقراطية، قائلاً**: (إن كتابة محمود محمد طه عن الديمقراطية ثورية وعميقة). وعبّر عن اعجابه بطرح الأستاذ للإسلام بوصفه (نظاماً شاملاً يدعو للسلام ولحرية الإنسان وللتحرر من الخوف من أجل حياة تسودها المحبة والرشاد)، كانت كلمة البروفيسور ويست آثرة ربط فيها بطريقته التركيبية الشاملة للأحداث بين الأستاذ محمود وتعاليم غاندى ومارتن لوثر كينغ ومانديلا. كما اعتبر تجربته الشخصية فى حياته وتعليمه لتلاميذه وموته الدرامى امتداداً لمدرسة سقراط فى التضحية من أجل المبدأ.

الصلات التاريخية بين السودان والهند

غنى عن القول أن هناك الكثير من المشترك بين السودان والهند، وعديدة هى محطات التفاعل بين البلدين. فالبلدان شرقيان ينطوى كل منهما على إرث الشرق الروحى والفكرى والثقافى والخبرات الحضارية التراكمية والتى تعود إلى آلاف السنين قبل الميلاد. فالصلات التاريخية بين السودان وشبه القارة الهندية تعود إلى عصور سحيقة. فالهجرات والرحلات من الهند جاءت إلى السودان فى فترات متفاوتة، فخلفت أجزاء ثقافية لا تزال حيَّة، وتركت رواسب وسِيراً لأساطير وحكاوى وقصصاً لا تزال ماثلة فى سجل السودان الثقافى، ومتفاعلة فى أعراقه الخلاسية[1]. لقد تأثر السودان بهجرات بشرية متعددة ومتتالية، أقواماً ومجموعات وأفراداً، جاءته من أقاصى الدنيا لا سيما شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا والصين وغيرها. فالسودان ظل هو المعبر للمهاجرين، والمتاجرين، والمسافرين، والمكتشفين، والمغامرين، ومحط أنظار الغزاة الطامعين.

تركت تلك الهجرات رواسب ثقافية كما استقر أقوام ورحل بعضهم. خلفوا أشياء،

---

(1) تعبير "الأعراق الخلاسية"، قرأته عند الروائى إبراهيم إسحق، ضمن حوار معه **بصحيفة الأحداث**، العدد 544، 2011/2/23. جاء فى **لسان العرب**: الخلاسىّ: الولد بين أبيض وسوداء أو بين أسود وبيضاء. غلام خلاسىٌّ، والأُنثى خِلاسيَّةٌ؛ ومنه الحديث: سِرْ حَتَى تأتى فَتَيات قُعساً، ورجالاً طُلساً، ونساءً خُلساً؛ الخُلْس: السُّمْرُ. والخلاسىُّ من الدِّيَكَة: بين الدَّجاج الهِنْدية والفارسية. **المصدر**: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مُكرَّم، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، 2007، مادة (خلس).

وأخذوا أشياء، فورث السودان سجلاً ثقافياً حافلاً، تشكلت أجزاؤه من فضاءات ثقافية نائية لشعوب كثيرة ومتعددة لا سيما شعوب الهند. يقول جوزيف أومارا، أستاذ كرسى الاقتصاد السياسى فى **جامعة تاسمانيا** بأستراليا، وخديجة صفوت، المؤسس والمدير التنفيذى سابقاً **لمركز أبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا بجامعة ولز**، فى ورقة علمية مشتركة. كتب أومارا وخديجة عن الأجزاء الثقافية للسودان قائلين: "وقد جاءت أجزاء ثقافية من عمان منذ الإصحاح القديم ومملكة بلقيس. وثمة تقاليد وعادات تعود إلى جنوب شرق آسيا وإلى الصين والهند ومنغوليا القوقاز وكردستان والبوسنة والهرسك إلى شبه الجزيرة العربية وشبه جزيرة إيبيريا وتركيا وشمال أفريقيا ومصر"[1]. وأضافا قائلين: "وقد يكون الجلباب والعمة والطاقية والثوب السودانى وطقوس الزفاف والحناء والبخور والفركة والسلم السباعى (هكذا فى المصدر) فى الموسيقى إلى الجاموس البقرى والساقية والشادوف -التى ادعى البطالمة أنهم أدخلوها إلى وادى النيل مع الأسرة الـ 31- قد جاء بعضها أو معظمها من الصين ومن منغوليا والقوقاز عبوراً بشبه القارة الهندية وبالجزيرة العربية واليمن إلى السودان"[2]. فالحضور الثقافى الهندى واضح فى ثقافات السودان.

وحديثاً، خضع القطران للاستعمار البريطانى، ونالا الاستقلال فى وقت متقارب، الهند عام 1948 والسودان عام 1956. تبع ذلك بقاء الآثار الاستعمارية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وظلت الذاكرة الاستعمارية متغلغلة فى ثنايا السيرورة التاريخية للبلدين، ومع تفاعل ذواكر أخرى تعقدت أسئلة الهوية، وتأججت الصراعات، فغاب الاستقرار فى البلدين، خاصة فى السودان، وبلغ البلدان مرحلة التشظى. لقد انفصلت باكستان عن الهند عام 1947[3]، قبل عام واحد من الاستقلال، وانفصلت باكستان الشرقية

(1) جوزيف أومارا وخديجة صفوت، "سرديات رحلات العبور التاريخية وأسلمة سلطنة الفونج فى القرن السادس عشر، أثر بعض تنويعات الرحالة والتجار على التاريخ الإسلامى والتاريخ الشعبى"، **ندوة السودان وأفريقيا فى مدونات رحالة الشرق والغرب، اكتشاف الذات والآخر**، أبحاث ندوة الرحالة العرب والمسلمين، دورة ابن حوقل، المركز العربى للأدب الجغرافى- ارتياد الآفاق، أبو ظبى ووزارة الثقافة والرياضة والشباب، الخرطوم، فبراير 2006، ص 64، 67، 68.

(2) مرجع سابق، ص 64، 67، 68.

(3) Mohandas Gandhi (1869 - 1948), retrieved October 29, 2012, from: BBC, Web site: http://www.bbc.co.uk

عام 1971 فظهرت بنغلاديش. أما السودان فقد انتهت حربه التى اندلعت عام 1955 فى جنوبه، قبل عام واحد من استقلاله أيضاً، إلى انفصال جنوبه عن شماله عام 2011، ولا تزال الحروب مستعرة فى بعض جهاته. وفوق كل هذا، فإن البلدين يزخران بتنوع وتعدد ثقافى فريدين. فالتعدد الثقافى فى البلدين قديم وأصيل، بيد أن السودان استقبل الرحلات وظل المعبر العظيم فتركت "تلك الرحلات وموجات هجرة المسافرين المغامرين والغواريين والمكتشفين تركت أجزاء ثقافية منحت السودان تميزاً وتعدداً وغنىً بلا مثيل، سوى ربما عند الولايات المتحدة؛ إلا أن الأخيرة لا تملك ادعاء أصالة تاريخ يعود إلى 300 ألف عام قبل الميلاد"[1].

المهاتما غاندى فى مخيلة طلائع المتعلمين فى السودان

كحال كل الصوفية مثل المهاتما غاندى الذى كان يدعو الهندوس بجعل كل وكيل وزارة مسلم حتى لا تقسم الهند؛ ومارتن لوثر كنغ الذى كان يدعو إخوانه السود الى الإحسان الى البيض لأنهم أخوة لهم على الرغم من استعباد البيض لهم؛ والشهيد محمود الذى وقف مثل الطود داعياً الى الخير ونبذ العنف، مطالباً النخبة الحاكمة فى الشمال بالإحسان الى إخوتهم فى الجنوب؛ ولكن ساستنا لم يسمعوا النصح حتى وقعت الواقعة. ذهب الشهيد محمود محمد طه لكن لم تذهب القضايا التى أثارها، و حدث كل ما تنبأ به، وما يزال القوم فى غيهم سادرون. ولم يجد التقدير الذى يليق به من ساسة الشمال[2].

عبد الفتاح عرمان

لقد كان المهاتما غاندى حاضراً وبقوة فى سماء السودان، وراسخاً فى ذاكرة طلائع المتعلمين السودانيين، فى كتاباتهم ومذكراتهم وفى فكرهم السياسى، وهم يواجهون أسئلة الواقع الاستعمارى مع بواكير القرن العشرين بعد نشأة مؤسسات التعليم الحديث فى العقد الأول منه. لقد تجلى حضور المهاتما غاندى بكثافة فى كتاباتهم منذ النصف الثانى من

---

(1) جوزيف أومارا وخديجة صفوت، مرجع سابق، ص 67.

(2) عبدالفتاح عرمان، "وحدة السودان.. ونبوءة محمود محمد طه"، من **موقع سودانايل**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 16 سبتمبر 2010، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

ثلاثينيات القرن الماضى، والعقود التالية، فى معظم الدوريات. بل تجد الإشارة إليه فى جل مذكراتهم. فقد ارتبط اسم المهاتما غاندى فى السودان بلحظة اليقظة الوطنية بعد السبات العميق الذى تبع ثورة عام 1924، فقد استدعى طلائع المتعلمين فكر غاندى التنظيمى عندما "تجمع الوعى القومى مرة ثانية عند انعقاد مؤتمر الخريجين فى فبراير 1938"[(1)]. استوحى طلائع المتعلمين فكرة مؤتمر الخريجين من المؤتمر الوطنى الهندى. يقول مصطفى أبو شرف (1919-2008): "وكان أحمد خير يقول يجب أن نكون مؤتمراً مثل المؤتمر الهندى.. وكنا فعلاً متطلعين لكى نعرف أى شيء عن المؤتمر الهندى"[(2)]. كان الأستاذ أحمد خير المحامى صاحب الفكرة ومبلورها وهو الذى طرح تعاريفها الأولى فى محاضرته الشهيرة بمدينة مدنى وسط السودان، والتى كانت بعنوان[(3)]: "واجبنا السياسى، مؤتمر الخريجين[(4)]"، ونشرتها **مجلة الفجر** فى شهر مايو من عام 1937. كان أحمد خير قد تحدث عن الفكرة ودوافعها وقدم تعريفات لمصطلحاته، وتناول الخريجين، وختم محاضرته مقترحاً عدة خيارات لمظلة ينتظم تحتها السودانى المستنير، ختم محاضرته قائلاً: "إذا ما انتظم السودانى المستنير فى رابطة أو مؤتمر أو نقابة مركزها لجنة النادى بأمدرمان وفروعها فى الأقاليم، إذا ما نشر برنامجه القومى، نكون قد عرفنا وحددنا واجبنا السياسى"[(5)]. يقول أحمد خير المحامى فى مذكراته: "ولا ريب أن كلمة (مؤتمر)، أى اسم الهيئة الشعبية المقترح تأسيسها مستوحاة من المؤتمر الهندى"[(6)].

الشاهد أن فكرة المؤتمر كانت قد ظهرت قبل محاضرة أحمد خير. فقد ظهرت فى

---

(1) محمد المكى إبراهيم، **الفكر السودانى: أصوله وتطوره**، ط1، إدارة النشر الثقافى، وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، 1976، ص 59-60.

(2) مصطفى أبو شرف، "الشاعر المعلم مصطفى أبو شرف فى ضيافة الصحافة"، (حوار)، أجرى الحوار الطاهر حسين الطاهر، **صحيفة الصحافة**، السبت 26 أغسطس 2000.

(3) أحمد خير المحامى، "واجبنا السياسى: مؤتمر الخريجين"، مصدر سابق، ص 181-184.

(4) المحاضرة فى الأصل كانت بعنوان: واجبنا السياسى بعد معاهدة"، أى معاهدة 1936، أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 59. وقد عدل الأستاذ أحمد يوسف هاشم (1903-1958). الذى ترأس تحرير **مجلة الفجر** خلال الفترة من 1937/3/1 إلى 1939/8/6 عنوان المحاضرة ليكون على النحو الذى نشر وشاع.

(5) أحمد خير المحامى، "واجبنا السياسى: مؤتمر الخريجين"، مصدر سابق، ص 184.

(6) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 58.

يوم 14 يوليو عام 1935 كمفردة مجردة ضمن مقال نشره "طبجى" فى **جريدة السودان**، و"طبجى" هو السيد خضر حمد (1908-1970)، الذى كان يكتب بأسماء مستعارة عديدة. كتب خضر حمد ضمن مقاله معلقاً على يوم الخريجين **بكلية غردون** قائلاً: "لم نفكر قط فى أن نجعل من هذا اليوم مؤتمراً نبحث فيه أمورنا الهامة"[1]. وقد كتب خضر حمد فى مذكراته معلقاً على كلمة (مؤتمر) التى وردت فى مقاله، كتب قائلاً: "وأشرت دون قصد منى إلى كلمة مؤتمر"[2]. ترتب على مقال "طبجى" أن نشرت **جريدة السودان** للأستاذ أحمد خير المحامى، "خطاب مفتوح إلى (طبجى)"، وكان ذلك بعد أسبوع من مقال "طبجى"، وفى يومى 1935/7/20 و 1935/7/24[3]. كشف هذا الخطاب المفتوح عن أن فكرة المؤتمر مرت بفترة حضانة وتأمل عند أحمد خير المحامى قبل الأخذ بها عام 1938، فقد كتب أحمد خير فى ختام خطابه المفتوح لطبجى قائلاً: "إلى مؤتمر... غرضه خدمة القضيتين- قضية الخريجين كطبقة وقضيتهم العامة باعتبارهم جزءً من هذا الكيان... فإلى اللقاء فى مؤتمر الخريجين وإلى لجنة النادى أقدم الاقتراح فهل من مثنٍ وهل إلى تنفيذه من سبيل"[4].

الشاهد أن الدعوة للمؤتمر تجددت ثانية من قبل أحمد خير المحامى فى عام 1938 فوجدت القبول وقام المؤتمر. وعلى قيامه اتكأت العديد من الكتابات فى الدوريات السودانية تتحدث عن غاندى والمؤتمر الوطنى الهندى. تُبين معظم تلك الكتابات كما هو الحال فى مذكرات طلائع المتعلمين، أن مثقفى السودان أخذوا من المهاتما غاندى فكره التنظيمى، وهذا واضح فى الكتابات، وفى المواقف أكثر وضوحاً. يقول خضر حمد: "كنا نريد بالمؤتمر أن يكون كالمؤتمر الهندى أو الوفد المصرى يتولى قيادة الحركة الوطنية والسياسية"[5]. أورد خالد الكد فى كتابه: **الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان**، رأى

(1) خضر حمد، **مذكرات خضر: الحركة الوطنية السودانية، الاستقلال وما بعده**، مصدر سابق، ص 83.

(2) المصدر السابق، ص 83.

(3) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 59؛ خضر حمد، مصدر سابق، ص 84.

(4) المصدر سابق، ص 59؛ خضر حمد، مصدر سابق، ص 84.

(5) خضر حمد، مصدر سابق، ص 85.

محمد إبراهيم النور الذى تحدث عن السبب فى اعجابهم بالتجربة الهندية، وكيف أنهم كطلائع متعلمين اتخذوا من التجربة الهندية مثالاً فى قيادهم لحركة التحرر، يقول محمد إبراهيم النور:

السودان والهند يشتركان فى الكثير. كلاهما دولة شرقية، غير متطورة ويوجد بهما عدد قليل من المتعلمين والذين عملوا أساساً فى الخدمة المدنية تحت سيطرة الإدارة الإنجليزية. هؤلاء الشبان المتعلمون كانوا مسؤولين عن تعليم الأغلبية والتى كانت جاهلة. وكان عليهم قيادة المقاومة ضد الإدارة البريطانية. وكان التنوع الإثنى والثقافى فى السودان، شبيهاً بما هو فى الهند. نجح المؤتمر فى حل الكثير من المشاكل. هذا هو السبب فى أننا كنا معجبين بالتجربة الهندية، واتخذناها مثالاً لقيادتنا لحركة التحرر[1].

ويقول محمد أحمد المحجوب: "كنا معجبين بمنجزات الحركة السياسية الهندية، وبكتابات غاندى ونهرو وخطبهما وأعمالهما، فتحولنا إلى النموذج الهندى"[2].

ذهب خالد حسين عثمان الكد استناداً على إفادات لأحياء من أعضاء مؤتمر الخريجين، وبناءً على مقابلة كان قد أجراها مع أحمد خير المحامى، ذهب إلى القول بأن فكرة المؤتمر تعود إلى أبعد مما كتبه أحمد خير المحامى وخضر حمد. ففى إفادة حماد توفيق (1906-1978) التى أوردها خالد الكد، أوضح بأن حماد توفيق كان قد قدم إفادته إلى **معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية**،كتب خالد الكد إفادة حماد توفيق عن فكرة المؤتمر قائلاً: "وفى اعتقادى أنها ليست فكرة شخص واحد، أو جماعة واحدة. صحيح أن الصوت العالى أرتفع فى ود مدنى، استجاب الناس بسرعة لهذا النداء،... كنا نحن - الاتحاديين- أنشط الناس، فى كل الأنشطة التى سبقت المؤتمر كنا نعقد سمناراً كل خميس فى **نادى الخريجين** لندافع عن هذه الفكرة"[3]. وأرجع خالد الكد الفكرة إلى ما قبل الذى كتبه خضر حمد وأحمد خير المحامى، وأوضح أن الفكرة تعود إلى بداية الثلاثينيات حينما استلم أحمد خير خطاباً تضمن الفكرة من حسن أحمد عثمان، وكان ذلك الخطاب هو

(1) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، 196.
(2) محمد أحمد المحجوب: **الديمقراطية فى الميزان**، مصدر سابق، ص 39.
(3) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، 192.

الملهم لفكرة مؤتمر الخريجين، يقول خالد الكد: "فى مقابلة مع أحمد خير فى سجن كوبر المركزى عام 1976، قال بأنه استلم خطاباً من حسن أحمد عثمان، والذى كان فى الباوقة أوائل الثلاثينيات"[1]. ثم أورد خالد الكد، ما حدثه به أحمد خير المحامى عن ذلك الخطاب، قائلاً: "كان هو الملهم لفكرة المؤتمر. كان يحمل تصوراً لقيام مؤتمر للخريجين، على نهج المؤتمر الهندى، والذى كنا معجبين به. ناقشت الفكرة اقتراح حسن مع دكتور حليم، والذى كان طبيباً عمومياً فى مستشفى ود مدنى هكذا تولدت الفكرة"[2]. ونقلاً عن مذكرات حسن أحمد عثمان، يقول خالد الكد: "حسن أحمد عثمان يذكر بتواضع، بأن أحمد خير لم يكن صاحب الفكرة، يكتب فى مذكراته (فكرة المؤتمر نبعت من جمعيات القراءة. شهدت بداية الثلاثينيات قمة الحركة القومية الهندية. قرأنا كل ما كتب عنها. كانت كتابات نهرو وسيرته الذاتية إنجيلاً بالنسبة للمثقفين القوميين. صديقنا أحمد خير والذى كان دائماً متسرعاً نادى بفكرة المؤتمر)"[3].

لم ترتبط صورة المهاتما غاندى فى مخيلة المثقفين السودانيين، **بمؤتمر الخريجين** فحسب، وإنما ظل المهاتما غاندى موضع تأملهم ومحط إعجابهم، كما تفيد بذلك كتاباتهم وما جاء فى مذكراتهم. ففى المذكرات الموسومة بـ "**موت دنيا**" والتى كتبها محمد أحمد المحجوب بالاشتراك مع عبدالحليم محمد، كتب أحدهم، ضمن تعليقه على صدور كتاب لأحد الكُتاب الإنجليز، قائلاً: "وسرنى ما وصف به غاندى من مقدرة فى تحدث اللغة الإنجليزية، واتصاله بالفكر الغربى الأوروبى رغم نزعته الصوفيه وتجرده من كل ما هو غريب عن الهند"[4]. كذلك ورد فى **مجلة الفجر**، ضمن تعليق على خبر نزاع شب بين المسلمين والسيخ فى لاهور قصبة البنجاب،تحت عنوان: "الشغب الملِّى فى الهند"، ورد "وهكذا فى كل يوم يثبت الهنود للعالم أنهم إن استطاعوا أن يقدموا للعالم القديم من ثمار فلسفتهم الشهية وأن يقدموا لهذا العصر مثل (غاندى) وأن يباهوا فى كل وقت بالماس والجواهر والعسجد فهم يعجزون عن شىء واحد هو

(1) المرجع السابق، 193.
(2) المرجع السابق، 193.
(3) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق ، 193.
(4) محمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد، **موت دنيا**، مصدر سابق، ص 122.

(الاتحاد) مهما صام غاندى وحج أنصاره"[1]. يقول محمد سعيد القدَّال: "واشرأب المثقفون إلى نضال **حزب المؤتمر** فى الهند، وكم فتنوا بشخصية غاندى، حتى حفظوا قصيدة شوقى فيه عن ظهر قلب"[2].

استلاف الفكر التنظيمى وليس فكر المقاومة

إذا أراد (الأفندية) فى السودان (مواجهة الإنجليز)، لاتبعوا سياسة غاندى، ولجعلوا من كتاباته (إنجيلاً) بدلاً من كتابات نهرو. ولكنهم كانوا يعتبرون الناس العاديين جهلاء، وكانوا يعتبرون أمثال غاندى ديماجوجيين، التفتوا إلى نهرو والذى وجدوه- مثلهم- (مثقفاً جداً)، وكانوا فى الكثير من الأحيان ينتقدون ديماجوجية غاندى وخطبه البلاغية[3].

خالد حسين عثمان الكد

إن الذى كان حاضراً فى عقول وسوح المثقفين السودانيين، لا سيما، **مؤتمر الخريجين**، هو فكر نهرو التنظمى، أما فكر المقاومة السلمية للاستعمار والعصيان المدنى كما هو عند المهاتما غاندى، فقد كان موضع إعجاب ولكنه لم يكن موضع تطبيق. كتب خالد الكد وهو يتحدث عن محاكاة الأفندية للمؤتمر الهندى واختيارهم لنهرو وليس غاندى، كتب خالد قائلاً: "لماذا اختاروا آراء نهرو بالذات وليس أفكار غاندى على الرغم من أنه من المعروف عالمياً بأن المؤتمر كان مرتبطاً بغاندى وليس نهرو". ثم أضاف الكد قائلاً: "كان نهرو بخلاف غاندى... على الرغم من أن نهرو قام فى العديد من الأحيان بنقد سياسة غاندى المضادة للعنف، إلا أن نقده كان يأخذ طابعاً فلسفياً. لم يكن معارضاً لسياسة عدم العنف فى حد ذاتها كشكل من أشكال النضال، لأنه أبداً لم يقترح العنف"[4]. وعن نهرو ومعارضته، كتب الكد قائلاً: "كان معارضاً لما كان يسميه (اللاعنف الدينى)، والذى أعترف بأنه كان له تأثير كبير على الجماهير. نهرو، والذى كان يشار إليه كمتطرف فى

---

(1) "العالم على ضوء الفجر: الشعب الملِّى فى الهند"، **الفجر**، مج 1، العدد 23، 1 فبراير 1938، ص 1126.

(2) محمد سعيد القدال، **الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 119.

(3) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، ص 197-198.

(4) المرجع السابق، ص 199.

حزب المؤتمر الهندى، مثله مثل الأبروفيين فى المؤتمر السودانى، كان يرفض بحسم إدخال الجماهير فى المعارك"[1].

الشاهد أن طلائع المتعلمين لم يأخذوا بمنهج المقاومة والمواجهة، ولهذا فإن استقلال السودان لم يكن أكثر تهذيباً مما كان، كما وصفه محمد أحمد المحجوب قائلاً: "لم يكن بالإمكان أن تكون نهاية مائة وأربعة وثلاثين عاماً من الحكم الأجنبى فى السودان أكثر تهذيباً. سلم البريطانيون ثكنات الخرطوم للسودانيين فى حفلة كوكتيل، وقبل أن يبدأ قرع الكؤوس سمعنا آخر إنزال للعلم البريطانى يرمز إلى انسحاب القوات البريطانية نهائياً"[2]. ومستعمر السودان هو مستعمر الهند، والهيئة التى استظل بها المثقفون مستوحاه من الهند، الشاهد أن المهاتما غاندى الذى تسرب إلى عقول مثقفى السودان وسوحهم الوطنية هو المهاتما غاندى التنظيم والمنهج الصوفى وليس المهاتما غاندى صاحب فكر المقاومة ومنهج العصيان المدنى واللا تعاون مع الاستعمار البريطانى. ولا نجد المقاومة والمواجهة للمستعمرمنذ ثورة 1924، على النحو المستمر وبما فيها من سجون؛ إلا عند الأستاذ محمود، رئيس **الحزب الجمهورى**. لقد كان الأستاذ محمود هو أول سجين منذ ثورة 1924، سجن مرتين، كما وردت الإشارة، فى المرة الأولى خمسين يوماً، وفى الثانية سنتين (24) شهراً.

فكر المقاومة وجبهات المواجهة عند الأستاذ محمود

إن نور وروح أمثال الأستاذ محمود وليس قوة وثروة المتلاعبين بالشعب والأحداث، هى التى لها-فى نظرى- الأثر الملموس والباقى فى تقدم التجربة الإنسانية[3].

عبدالله النعيم

إن فكر المقاومة من أجل التحرير والتغيير والنضال ضد المستعمر عند الأستاذ محمود كان له شأن آخر. ففكر المقاومة عند الأستاذ محمود فكر شامل، تنظير وعمل ومواجهة

(1) المرجع السابق، 199.

(2) محمد أحمد المحجوب: **الديمقراطية فى الميزان**، مصدر سابق، ص 20.

(3) عبدالله النعيم، "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد فى القانون الإسلامى"، مرجع سابق، ص 46.

لجهات عديدة، وفى هذا فإنه لا يشبه فكر المقاومة عند المهاتما غاندى. كان الأستاذ محمود قد اتخذ موقفاً من مؤتمر الخريجين منذ الوهلة الأولى، وأعلن أنه لا يعمل سياسياً تحت لواء المؤتمر (تناولت موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين، ضمن فصل بعنوان: "دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية"، ولم يكن الأستاذ محمود عضواً فى أى هيئة من هيئات المؤتمر أو لجانه. لقد أخذ الأستاذ محمود بمبدأ المواجهة، والمواجهة عنده "هى معرفة، وسلوك بمقتضى المعرفة..."، كما ورد آنفاً. قاد الأستاذ محمود المواجهة ضد المستعمر وسجن مرتين، وهنا وجه شبه مع المهاتما غاندى، بيد أن مواجهة الأستاذ محمود كانت مواجهة شاملة. فقد واجه الأستاذ محمود العقل الثقافى السائد بما خلفه من معارف مألوفة وبما يسير عليه من طرق مطروقة، فواجه السلطات المختلفة: سياسية كانت أو مجتمعية، أو دينية... إلخ، والتى كان يرى أنها معيقة أو مجمدة لحركة التغيير. فقاد المواجهة بقوة ضد المثقفين ودعاهم للأخذ بمبدأ المواجهة مع المستعمر بدلاً عن منهج التفاوض والتسويات وتبادل المذكرات. وواجه الطائفية وانتقد الأحزاب كلها. أما المهاتما غاندى فقد تولى زعامة المؤتمر الوطنى الهندى أكبر الأحزاب الهندية وأخذ بمبدأ المقاومة السلمية وعدم التعاون مع المستعمر. كذلك كان الأستاذ محمود رئيساً **للحزب الجمهورى** وكان المبدأ الأساس عنده هو مواجهة الاستعمار، وكان يرى أن الحرية حق البلاد الطبيعى ويجب ألا تكون موضع مساومة. غير أن الأستاذ محمود كان مشغولاً بالفكر أكثر من التنظيم والسند الشعبى، فقد وصف مشاركته فى الحركة الوطنية بأنها: "...كانت بتتخذ جانب الفكر أكثر من جانب التنظيم .. والأحزاب اللى كانت بتكون عندها فرصة فى المشاركة هى الأحزاب اللى كانت بتعنى بالتنظيم والسند الشعبى"[1]. هنا يتجلى الاختلاف الكبير بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى.

الشاهد أن الأستاذ محمود صاحب مشروع كوكبى وصاحب رؤية لتغيير حياة الإنسانية، الفكر عنده مقدم على التنظيم. كما أنه سعى من خلال مشروعه إلى تصحيح علاقة الإنسان مع نفسه ومع الأشياء والأحياء فى الكون. وقد نظَّر لمشروعه وأعلن عنه عبر إنتاج فكرى ضخم، واستعد لمواجهة النتائج المترتبة على الإعلان لمشروعه، فكتب وصيته

---

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، مصدر سابق.

قبل إعلان المشروع فى عام 1951. ولهذا، فإن مشروعه لم ينحصر فى مقاومة الاستعمار وتحقيق الاستقلال الوطنى، ولم يكن التنظيم وما يتبعه من سند شعبى مقدماً على الفكر. بينما وجد التنظيم والسند الشعبى عند المهاتما غاندى اهتماماً، كما انحصر مشروعه فى تحرير الهند وتقديم النموذج من خلال نضاله ومنهج حياته، وقد ألهمت تعاليمه ونجاحاته فى استخدام المقاومة السلمية واللاعنف بعض دعاة الحقوق المدنية والحرّية فى العالم. إلا أن المهاتما غاندى لم يعلن عن أطروحة ذات طبيعة كوكبية ولم يقدم تنظيراً يهدف لتغيير حياة الإنسانية، كما هو الحال عند الأستاذ محمود. كان الأستاذ محمود مجدداً دعا لبعث الإسلام من جديد، بينما لم يعلن المهاتما غاندى عن شى من هذا القبيل. كان الأستاذ محمود ينادى بتحرير الأرض والعقول باتباع مذهبية اجتماعية ليس على مستوى بلده وإنما على مستوى العالم. يقول الأستاذ محمود: "ولكى توائم الإنسانية بين مذاهبها الاجتماعية، وبيئتها الطبيعية هذه الموحدة، أصبح لزاما أن تبرز، إلى حيز الوجود، مذهبية اجتماعية، عالمية، موحدة، أيضاً، عندها تلتقى الإنسانية جمعاء، التقاء أصالة، بدوافع الجبلة المركوزة فى كل نفس بشرية، من حيث إنها بشرية، بصرف النظر عن اختلاف اللون، واللسان، والموطن"[1]. وطرح المذهبية المحلية لتمثل الرؤية المستقبلية وهى تستند على أسس دستورية وتقوم على مبادىء الديمقراطية والحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية وتهدف إلى بناء الأمة وتحقيق السلام لمرحلة ما بعد الاستقلال، فهو يقول: "فقد يخرج الإنجليز غداً، ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين، وإنما متخبطين فى فوضى مالها من قرار"[2]. لم يقدِّم غاندى تنظيراً فى تلك الوجهة، وجهة المذهبية والرؤية لما بعد الاستقلال.

كانت جبهات المواجهة عند الأستاذ محمود واسعة وعديدة. فقد واجه الأستاذ محمود المستعمر البريطانى والمصرى مواجهة مستمرة وقوية وسجنه المستعمر مرتين لنحو سنتين وشهرين، كما ورد آنفاً. وواجه الأستاذ محمود معاصريه من طلائع

(1) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها "، مصدر سابق.
(2) الإخوان الجمهوريون، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، خلال ثلاثين عاماً**، (1945-1975)- الكتاب الأول، مصدر سابق، ص 3-4.

المتعلمين وعاب عليهم منهج رفع المذكرات والمساومة الذى اتبعوه فى نضالهم ضد المستعمر، وطالبهم بالأخذ بمنهج النضال والخروج لقيادة الشعب لمواجهة المستعمر والكف عن أساليب المساومة وتبادل المذكرات الفوقية مع دولتى الاستعمار بريطانيا ومصر. كذلك واجه الأستاذ قادة الطائفية فى السودان، وكان يرى أن الطائفية هى السبب فى تجميد حركة التغيير.

كما واجه الأستاذ محمود رجال الدين والفقهاء والقضاة الشرعيين ومؤسساتهم التقليدية فى السودان، وامتداداتهم فى العالم الإسلامى فى **الأزهر** بالقاهرة وغيره. دعا لتطوير التشريع الإسلامى ونادى بالتغيير والتحرير، فتوسعت المواجهة وأصبحت مواجهة لكل العالم الإسلامى بعلمائه ومؤسساته. أيضاً، أرسل الرسائل للعلماء والمفكرين فى العالم، وإلى العلماء المسلمين فى مصر وباكستان، كما ورد آنفاً. قاد مواجهة قوية لدعوة القومية العربية وواجه خطاب الرئيس جمال عبدالناصر، وأرسل خطاباً شديد اللهجة إلى اللواء محمد نجيب قائد ثورة 23 يوليو 1952، وأرسل كذلك خطابين للرئيس عبدالناصر، كما وردت الإشارة إليهما، ليس فى الخطابين سوى النقد الشديد والمواجهة التى لا تعرف كبيراً.

الشاهد أن كل هذه المواجهات كانت من خلال المواقف وكلها موثقة من عند الأستاذ محمود وتلاميذه كتباً منشورة ومعلومة. كانت المواجهة هى ديدن الأستاذ محمود، فقد واجه عقلاً ثقافياً سائداً فى السودان وله تمدداته الخارجية فى الفلك العربى والإسلامى، الأمر الذى يسر تشكيل التحالف وتنظيم المؤامرة ضده. وبرغم المؤامرة الواسعة ضده، فإنه لم يحد قط عن موقفه وأقواله ومواجهته لكل القديم والجهل حتى لحظة صموده وابتسامته فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985 على منصة المشنقة بساحة سجن كوبر بمدينة الخرطوم بحرى، الخرطوم عاصمة السودان.

الصيام: بين المهاتما غاندى والأستاذ محمود

وفى الواقع ليس عندنا نحن ما نشكوه مما حدث[1].. بل نحن راضون بكل ما جرى.. ونحن شديدى الثقة بأن تدبير الله فى هذا الأمر أولى من تدبيرنا وأفضل من تدبيرنا.. والأخ المعتدى أنا أعتقد إنو ضحية حتى الذين وراءه هم أيضاً ضحايا لتضليل طويل وعريض وواسع ونحن نسأل الله أن يخرج شعبنا بجميع طبقاتو وجميع أفرادوا من الظلمات إلى النور[2].

محمود محمد طه

كان الصيام من الأسلحة الدائمة عند المهاتما غاندى. بينما لم يكن الصيام سلاحاً دائماً عند الأستاذ محمود، ولم يستخدمه، وفقاً لما هو معلن، إلا فى المرتين اللتين سجن فيهما. وقد نجح سلاح الصيام فى المرتين، ولكن لم يكن الغرض من الصيام الاحتجاج. ففى المرة الأولى عام 1946 سجن الأستاذ محمود فى سجن كوبر بالخرطوم بحرى. كان يخالف تعاليم السجن ولا ينصاع لقوانينه وأوامره ويرفض القيام لمدير عام السجون عند مروره الروتينى، مما حدا بإدارة السجن أن تضع الأستاذ محمود فى الزنزانة (الحبس الإنفرادى)، قبل المرور الروتينى لمدير عام السجون. يقول الأستاذ محمود:

فى الزنزانة أنا بصوم ما يسمى بالصيام الصمدى عند الصوفية.. الحركة الوطنية بتاعتنا نحن الجمهوريين فى خارج السجن كانت بتشوشر شوشرة كبيرة وترفع المسألة دى وأنه محمود لسوء المعاملة فى السجن مضرب عن الطعام فحصلت قلاقل شديدة جداً ليهم .. قاموا فكروا فى أنو الموضوع دا ما بنتهى كده ومافى

---

(1) ماحدث هو أن الأستاذ محمود فى أثناء تقديمه لإحدى محاضراته فى مدينة الأبيض فى مساء الثانى والعشرين من مايو 1969، اقترب أحد الحاضرين للمحاضرة، من المنصة وضرب الأستاذ محمود، ضربة قاسية على رأسه كما ورد سابقاً. هاج الحضور رافضين لهذا السلوك، وأرادوا أن ينالوا من الرجل الذى ضرب الأستاذ محمود؛ إلا أن الأستاذ محمود وقف حامياً للرجل، ورافضاً أن يمسه أحد، ثم واصل حديثه فى المحاضرة، والدم ينزف من رأسه، حتى انتهت محاضرته. وبعد انتهاء المحاضرة تمت مقابلة الطبيب الذى رأى إجراء عملية خياطة للفتحة التى أحدثتها الضربة فى الرأس، وتم إجراء العملية من دون بنج، إذ لم يكن البنج متوفراً.

(2) محمود محمد طه، "مشكلة الشرق الأوسط"، (محاضرة)، **نادى السكة الحديد بالأبيض**، 22 مايو 1969، المحاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود، من **موقع الفكرة الجمهورية**، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 5 فبراير 2013، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

فايدة فيه وبـرضو المديرين بتاعين السجن ذكروا لمدير عـام السجون أنو الحكاية البيعملها محمود دى راح تثير بعض المساجين للمعارضة لأنو هو متمرد ونحن كل البنعملو ليهو بنوديهو الزنزانة ودا بزيد عطف الجماعة المساجين فى الدرجة التانيـة عليه فأحسـن يكون فى إفراج عنه .. بعد الخـمسين يوم كان فى اقـتراح للحاكم العام أن يفـرج عنى كعمل رحمة .. وجاء فعـلا الجواب بأن يفرج عنى بعد الخمسين يوم كتدخل من الحاكم العام رحمة منه[1].

فى السـجن الثانى عـام 1946 الذى بدأ فى مـدينة مـدنى ثم انتهـى فى سجن كـوبر واستمر لمدة سنتـين، استخدم الأستاذ محـمود أسلوب الصيام للمرة الثانيـة. يقول الأستاذ محمود: "بديت بطبيعة الحال بنفس الاسلوب بتـاعى اللى هو الصيام الصمدى فكان سبعة أيام مـا فيـها أكل ولا شـراب لا بالليل ولا بالنهـار"[2]. الشـاهد أن الأستـاذ مـحمـود لم يستخدم سلاح الصيام كأداة احتجاج، فى المرتين الوارد ذكرهما، وكما هو معلن. قد يكون اسـتخدم الصيام فى مـرات أكثر فى خاصـة نفسه، من المعروف أن الأسـتاذ محمـود عاش تجارب روحيـة كبيرة. فقد اعـتكف لمدة ثلاث سنوات فى مدينة رفاعة. الشـاهد أن الأستاذ محمـود لم يستخدم الصيـام فى مرتين كسلاح احتـجاج، رغم ارتباط صيـامه بذلك، بينما ظل سلاح الصيام سلاحـاً دائماً للمهاتما غاندى حتى آخر أيام حياته. كان الأسـتاذ محمود يستخدم فى مقاومته ونضاله مـختلف أدوات المثقف الحداثى كما وردت الإشارة: المنشور، البيـان، المقال، الكـتاب، المحاضـرة، ...إلخ، ولـم يلجـأ للصيـام كأداة من أدوات المقـاومة والنضال، كمـا هو الحال عند المهاتما غاندى. ويضـاف إلى ذلك أن الأستاذ محـمود كان له تلاميذ وتلميذات أشرف على تكوينهم وتدريبهم وتجـريبهم ثم سمح لهم بالتحدث باسمه ومن ثم ألفوا الكتب تحت إشـرافه، الأمر الذى وفر لنا تراثاً إنسانيـاً ضخماً، يتـسم بالحيوية والجرأة والجدة والأصـالة والشمول. وعلى الرغم من أن هذا التراث ظل حـبيساً ومـقاطعاً من قبل أهل السودان وأهل الأرض كذلك، حتى تـاريخ اليوم، إلا أن لحظة انفجاره آتية لا ريب فى ذلك.

---

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.
(2) المصدر السابق.

هل من تشابه أو مشترك أو تأثر؟

الخلانى موله بحب محمود، مقدرته غير العادية على إشعار كل إنسان بى قيمتو الإنسانية.. بعاملك على أساس إنك حر، ويحترمك، مهما اختلفت معاه!! أنا ما كنت بفوت محاضرة، ولا ندوة، ولا حتى جلسة داخلية للجمهوريين.. وكان محمود يعرّفنى، بقولو دا يونس الدسوقى صديقنا، وحتى مرة قالها فى محاضرة عامة.. مع دا كلو، ما حصل محمود قال لى أنت شيوعى ليه.. ولا حصل قال لى ابقى معانا جمهورى!! مرة واحد مولانا اسمو شيخ عبد الله، كان قاعد معانا، وقال لمحمود: يونس صاحبك دا ما عندو دين.. قام محمود قال لى: انت دينك شنو يا يونس؟! قلت ليهو: انا دينى حب البروليتاريا!! مولانا قال: أعوذ بالله، أعوذ بالله.. فقام محمود قال: الله دينو محبة الأحياء والأشياء.. الله خلق الوجود بالمحبة. مولانا قال: لا يا أستاذ.. الله خلق الوجود بقوله كن فيكون!! محمود قال ليهو: يعنى بالإرادة يا مولانا؟!. شيخ عبد الله قال: أيوة. محمود قال ليهو: الشيخ العبيد ودبدر قال الإرادة ريدة، يعنى محبة!! فسكت مولانا[1].

يونس الدسوقى، نقلاً عن عمر القراى

فى ديسمبر من عام 1972 كانت إليزابيث هودجكنز، طالبة الدكتوراة بقسم التاريخ بجامعة الخرطوم، وقتئذ، قد أدارت حواراً مطولاً مع الأستاذ محمود، ونشر الحوار **بصحيفة الصحافة** آنئذ. وقفت إلِيزابيث فى حوارها مع الأستاذ محمود، من بين ما وقفت عليه، عند الذين تأثر بهِم الأستاذ محمود وعند قراءاته، وذلك من خلال سؤالين، تقول فى الأول: "نعود الآن إلى شخصك.. من هم المفكرون الذين تأثرت بهم فى تطوير أفكارك؟"[2].

(1) عمر القراى، "فى ذكرى الأستاذ محمود: سلام على يونس الدسوقى فى العالمين!!"، **من سودانايل**، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/1، الموقع على الإنترنت: http://www.sudanile.com

(2) محجوب كرار، "محمود محمد طه فى حوار صوفى مع مسز هودجكنز"، (حوار)، **صحيفة الصحافة**، السبت 1972/12/16. قام بالترجمة، أثناء الحوار، عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، إذ ورد فى نص الحوار: (وتساءلت الأستاذة هودجكنز فى رقة: هل تكون المناقشة بالعربية أم بالانجليزية؟ ولكنها استدركت: انا شخصياً أفضل ان تكون بالإنجليزية لصعوبة المفردات التى ساضطر لاستعمالها. وأجابها الأستاذ محمود: لتكن بالاثنين معاً.. تسألى أنت بالإنجليزية وأجاوبك أنا بالعربى ويتولى الأستاذ عصام مهمة الترجمة بيننا.. وهكذا جرى الحوار).

والسؤال الثانى: "هل قرأت لمفكرين إسلاميين؟"[1]. فأجاب الأستاذ محمود قائلاً: "فى الحقيقة لا يوجد مفكرون بالمعنى الذى كان لهم أثر على حياتى. و لكن هناك أصحاب مناهج هم الذين تأثرت بهم وهم النبى.. والغزالى.. فلقد اتبعت المنهاج وقرأت شيئاً قليلاً.. شذرات من هنا وهناك ولهذا لا أقول بتلمذتى على مفكر معين"[2]. وعن قراءاته أجاب الأستاذ محمود قائلاً: "لم أقرأ لمفكرين إسلاميين طبعا ولكن قرأت قليلاً لماركس ولينين وبرتراند راسل وشو وهج وولز.. والموضوع الذى جئت به لم يأت به السابقون حتى ولا ابن عربى فهو جديد كل الجدة"[3]. الشاهد أن مشروع الأستاذ محمود لم يقرأ حتى الآن، ولم تسلط عليه الأضواء، ولم يدرس بعد، ولم تكتشف جوانبه ولا يدرك الناس حجمه، ولهذا فإن أى مقاربة بينه وبين أى مفكر أو مصلح أو قائد آخر تكون قاصرة وناقصة. فالمشروع إذا ما فتح الحوار حوله سيجد الناس أنه مشروع يحمل فى داخله الأدلة القوية الساطعة والبراهين القاطعة على جدته وأصالته واتساقه. لقد سعى الأستاذ محمود ضمن مشروعه أن يجيب على المستعصى من الأسئلة الكبرى والمزمنة، مثل التسيير والتخيير، وغيرها من القضايا الكبرى التى شغلت الفلاسفة، وقدم الأستاذ محمود إجاباته فى كم هائل من الكتب والمنشورات. وكان المهاتما غاندى مشغولاً بشكل واضح بقضية التسيير والتخيير، يقول المهاتما غاندى: "وهل الإنسان مخير أم مسير فى أفعاله وما هو أثر إرادته الحرة، وأين يتدخل القدر، فهى كلها أمور ستظل لغزاً يستعصى على كل حل"[4]. الشاهد أن الأستاذ محمود فى مثل هذه القضايا كتب ونشر كتابات واسعة ومتعمقة، ويصعب الآن جرد ما طرحه حول قضية التسيير والتخيير فى هذه المساحة الضيقة.

هناك بعض المشتركات بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، وهناك ما يشبه المشترك. فمن المشتركات أن كليهما تلقى تعليمه فى مؤسسات التعليم الحديث للمستعمر، مع تحرر تام من المعرفة الاستعمارية. تجلى التحرر فى المقاومة للمستعمر وفى الرجوع إلى المرجعية الثقافية والموروث الفكرى المحلى. عاد الأستاذ محمود إلى جذور التصوف الإسلامى،

---

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.
(4) المهاتما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، مصدر سابق، ص 23-24.

وإلى العمق الحضارى الموروث للشخصية السودانية من كوش والممالك النوبية، فأتى بمشروع كوكبى قوامه بعث الإسلام من جديد، وغايته الإنسان وأهم مرتكزاته التطوير والاتساق ويحمل حلاً شاملاً لقضايا البشرية. وتجلى اعتداد الأستاذ محمود بإفريقيته حينما طالب بانسحاب السودان من جامعة الدول العربية، لكون أهل السودان أمة أفريقية كما ورد آنفاً (أنظر ملحق رقم: "34" و"35"). كان المهاتما غاندى قد عاد إلى جذور ثقافته الهندوسية الروحانية ليفجر منها كوامن القوة وطرق الخلاص ومناهجه، بينما حصر مشروعه فى الهند وتحريرها. فالمهاتما غاندى عند الأستاذ محمود هو الأب الروحى للهند، وهو الذى أثار الروحانية الهندية، كتب الأستاذ محمود فى يوم 31 مارس 1958 فى **صحيفة أنباء السودان** وهو يتحدث عن نهرو تحت عنوان: "نهرو والمثالية" ضمن مقال مطول عنوانه: "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، وقد وردت الإشارة إلى ما كتبه الأستاذ محمود فى صدر هذا الفصل[1]. ومن أوجه التشابه بين غاندى والأستاذ محمود أن كليهما رفض تقسيم بلاده وسعى جاهداً لصون وحدتها.

أيضاً، كان من بين المشتركات بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، أن كليهما توفى والده وظل يتحدث عن مربيته باحترام. ورد آنفاً حديث الأستاذ محمود عن مربيته. أما المهاتما غاندى فقد تحدث عن مربيته من خلال حديثه عن عدم رغبته فى الذهاب للمعبد قائلاً: "غير أن ما فاتنى منه قد جنيته عن طريق مربيتى (رامبها)، وهى خادم عجوز فى خدمة الأسرة لا زلت أذكر حبها لى وحنانها على"[2]. كلاهما كان نباتياً، واتخذا من الزهد واللبس المحلى البسيط والتقشف والتواضع والتزام جانب الشعب مبدأً أساسياً لا حياد عنه. أخذ المهاتما غاندى بالمقاومة السلمية وباللا عنف وكذلك الأستاذ محمود بل قام بتربية تلاميذه الجمهوريين على عدم رد الاعتداء الأمر الذى تجسد فى سلوك الجمهوريين مع المعارضين فى الطرقات والأماكن العامة فى السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم. كلاهما اغتيل فى شهر يناير بمؤامرة من أهل ملته، المهاتما غاندى قتل عن 78 عاماً فى يوم 30 يناير بواسطة أحد المتطرفين من الهندوس. واغتيل الأستاذ محمود عن 76 عاماً

---

(1) محمود محمد طه، "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 152، بتاريخ 1958/3/31.

(2) المصدر السابق، ص 31.

بواسطة مؤسسة الدولة الرسمية عبر تحالف واسع بين الفقهاء والمؤسسات الإسلامية فى مصر والسعودية، وكان مناصروه من غير تلاميذه وتلميذاته آنئذ قلة.

كان المهاتما غاندى قد وجد القبول من مثقفى الهند وبالتالى القبول من شعوبها فنصب زعيماً، وبعد مقتله منحته الدولة شرف "والد الأمة" وأقامت له النصب التذكارية، وظل يوم ميلاده الثانى من أكتوبر هو يوم عطلة وطنية فى الهند، تحتفى به الدولة باعتباره عيد ميلاد والد الأمة، ودولياً ظل الثانى من أكتوبر هو اليوم العالمى للّا عنف. وبفضل كل ذلك أُقيمت نصب تذكارية للمهاتما غاندى فى بعض دول العالم مثل لندن و نيويورك وغيرها. بينما ظل الأستاذ محمود غير ذلك تماماً. وفى تقديرى أن الأستاذ محمود كان أقرب إلى المستقبل منه إلى الماضى أو الراهن، فكلما تقدمت البشرية يوماً فى حياتها اقتربت من الأستاذ محمود. ولهذا فإن رد الاعتبار للأستاذ محمود سيأتى قريباً، فإن تأخر رد الاعتبار فإنه يتأخر نتيجة لهيمنة العقل الثقافى السائد الذى اغتال الأستاذ محمود، وظل يأخذ بالقديم وهو مسكون بالجهل، ولا يزال يمسك بمفاصل الأمور، بيد أنه بدأ فى الانحسار والتكلس وفى طريقه لما يشبه التلاشى.

هل تمثل الرغبة فى دراسة القانون دليلاً على التأثر بغاندى؟

ما يشبه المشترك بينهما، دراسة المهاتما غاندى للقانون، ورغبة الأستاذ محمود فى دراسة القانون. هنا ما يوحى بالمشترك أو التأثر بيد أن الأمر غير ذلك. لقد ذهب المهاتما غاندى إلى دراسة القانون فى إنجلترا بنصيحة من صديق العائلة القديم، وهو رجل اتسم بالحكمة والمعرفة، وناصح أمين كما وصفه المهاتما غاندى[1]. قال الصديق جوشى جى للصبى غاندى بمعية عائلته، وهو يريد له أن "يستأثر بمنصب مثل منصب أبيه"، ويذهب لدراسة القانون فى إنجلترا، قال: "ألست تفضل أن تذهب إلى إنجلترا"؟[2] فقال غاندى واصفاً وقع الحديث عليه: "ولم يكن شيء فى الواقع أحب إلى نفسى من ذلك، كنت عاجزاً عن ملاحقة دروسى فى الكلية (**كلية سامالداس**)، فلم أكد أسمع منه هذا العرض حتى تشبثت

(1) المهاتما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، مصدر سابق، ص 34.

(2) المصدر السابق، ص 35.

به وقلت (وخير البر عاجله)[1]. بينما كانت الرغبة فى دراسة القانون عند الأستاذ محمود، بعد دراسته للهندسة، ترتبط بهدف واحد هو "البحث عن مصدر ممكن للاستنارة المتزايدة". وقد تجلى هذا الهدف الوحيد بشكل ساطع فى الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، فقد برز الأستاذ محمود فى كل مواقفه وفى كتاباته رجل قانون برغم دراسته للهندسة. بل جل الكتب التى كتبها الأستاذ محمود لا تخلو من حديث عن القانون، ليس حديث العارف المتخصص فى القانون فحسب؛ وإنما حديث المنظر وفيلسوف القانون والدارس للقانون بمداخل مختلفة تاريخية وثقافية واجتماعية وفكرية ودينية منذ نشأة المجتمع والعرف وقانون الغابة وقانون الإنسان، والعلاقة بين الفرد والمجتمع والكون[2]، وقد ورد ذلك بتوسع فى جل كتبه.

وعن أهمية المجتمع للفرد يقول الأستاذ محمود: "إن قيمة المجتمع للفرد لا تساويها قيمة.. هو أكبر الوسائل لإنجاب الفرد الحر ، الكامل.. ولقد يكفى أن يقال هنا أنه الوسيط الذى فيه يتحرك الفرد، وفيه يمارس العبادة ، ويمتحن الأخلاق، ويميز القيم.. وفيه يجد الأمن، ويستشعر الحب، ويباشر التعاون، والعمل، ويحصل العلم.. وبالعلم، والعمل وفق هذا العلم، يتوكد وجود الفرد، وتنضج شخصيته، وتقوى، وتتحقق حريته، وتتسع حياته، وتخصب"[3].

من الملاحظات الجديرة بالذكر والاهتمام أن دراسة القانون فى فترة من الفترات كانت قد جذبت طلائع المتعلمين السودانيين. فهناك عدد كبير منهم درس القانون بعد تخرجه فى **كلية غردون**. من هؤلاء (أمثلة فقط) أحمد خير المحامى الذى تخرج فى قسم الترجمة فى **كلية غردون**، ومدثر البوشى (1901-1985)، ومحمد أحمد المحجوب الذى تخرج فى قسم المهندسين. وإبراهيم المفتى (1908-1983) الذى تخرج فى قسم المحاسبين، ومبارك زروق (1914-1965) الذى تخرج فى قسم المحاسبين **بكلية غردون**.

---

(1) المصدر السابق، ص 35.

(2) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 19-٦٠ محمود محمود طه، "نشأة المجتمع والقانون ونشأة الإسلام"، **الإسلام**، مصدر سابق، 16-38. وكتب كثيرة أخرى غيرها.

(3) محمود محمد طه، **تعلموا كيف تصلون**، من سلسلة الثورة الثقافية، أربجى، 1972 - ربيع الاخر 1392هـ، ص 5-9.

التغيير: بين المهاتما غاندى والأستاذ محمود

أمضى الأستاذ محمود أربعين عاماً يعلِّم شعبه بكتبه: تعلَّموا كيف تصلون، تعلَّموا كيف تصدقون، تعلَّموا كيف تتعاملون، ثم كتب كتابه الأخير: تعلَّموا كيف تموتون[1].

أسامة الخواص

مع تقديمه للنموذج الإرشادى والتطبيق العملى لمبادئه بما فى ذلك فكر المقاومة السلمية، ظل الأستاذ محمود، صاحب مشروع كوكبى للتغيير، بينما قدم غاندى النموذج الإرشادى لفكر المقاومة السلمية بيد أنه كان صاحب أمانى محلية، داخل الهند، للتغيير. سعى كلاهما لإعادة التعاريف للعناوين والمصطلحات، وإعادة توصيف القيم والمفاهيم. غير أن تعاريف المهاتما غاندى للقيم التى يؤمن بها مقارنة مع تعاريف الأستاذ محمود، تكشف عن تباين كبير. بل لعل الدارس يدرك منذ الوهلة الأولى الفرق الشاسع بين التعريف الذى يعمل بالتفاعل والتداخل والترابط والتناسق والاتساق ضمن مشروع، كما هو الحال عند الأستاذ محمود، وبين التعريف الذى يسعى لتأدية دوره بشكل انعزالى فى إطار الفرد دون ارتباط ذلك بالفرد وعلاقته بالمجتمع والكون. جدير بالذكر أن الأستاذ محمود له رؤية فى المصطحات والمفاهيم بل له قاموسه الخاص فى المصطلح والمفهوم والتعاريف[2]، كما أعاد توصيف بعض المصطحات على ضوء أنسنة الحياة المرتكزة على الأخلاق. ودعا لإعادة النظر فيما تواضع عليه الناس من مفاهيم ومدلولات. يقول الأستاذ محمود: "وبنفس القدر الذى أصبحنا به نعيش فى بيئة جديدة فقد وجب علينا أن نفكر تفكيراً جديداً يتسم بالإحاطة والشمول والدقة ووجب علينا أيضاً أن نعيد النظر فيما

---

(1) أسامة الخواص. كتب أسامة هذا النص فى إحدى مداخلاته فى المنبر العام على موقع **سودانيز أونلاين**، وقد أشار إليه بعض الباحثين والمتداخلين فى أوقات وكتابات مختلفة، بعضها كان فى شهر نوفمبر عام 2006. رجعت إلى أسامة واستفسرت منه عن النص، فأكد لى صحته بينما لم تسعفه الذاكرة بوقت كتابته؛ إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، مصدر سابق، ص 144.

(2) أعد حالياً فى كتاب عنوانه المبدئى هو: **معجم المصطلحات والمفاهيم عند محمود محمد طه**. كان أستاذى عصام عبدالرحمن أحمد البوشى قد أهدانى فكرة هذا المعجم، وحدثنى عن أنه ظل مشغولاً به لمدى عقود. كان ذلك فى منزله بمدينة ودمدنى فى يوم 2011/11/28. ومنذ ذلك اليوم عاهدت نفسى على إنجاز هذا المعجم، وفاءً لانشغاله به، وتقديراً لاختياره لى.

تواضع الناس عليه فى العهود السوابق من مفاهيم ومدلولات"[1].

يربط الأستاذ محمود تحرير الفرد بعلاقته بالمجتمع وبالكون. فتحرير الفرد من الخوف يتصل بجهله بعلاقتة بالمجتمع من جهة وبالكون من جهة أخرى. يقول الأستاذ محمود: "إن المشكلة التى أعجزت الفلسفات الاجتماعيات، فى الماضى، والحاضر، إنما هى مشكلة علاقة الفرد بالمجتمع، وعلاقة الفرد بالكون، وذلك بأن الفرد إذا لم يتحرر من الخوف الذى رسبه فى صدره الجهل بهاتين العلاقتين، فلن يكون فى سلام، لا مع نفسه، ولا مع الآخرين"[2]. بينما ينظر المهاتما غاندى إلى التخلص من الخوف فى إطار الفرد دون إعطاء تفسير للخوف فى إطار علاقة الفرد بالمجتمع والكون. ويمكن القياس على ذلك، فمثلاً عن التواضع يقول المهاتما غاندى: "عليّ أن أنقص من قدر نفسى وأن أتضاءل حتى أكون صغيراً، فإنه لا سبيل إلى خلاص المرء إلا إذا اتخذ مكانه طائعاً مختاراً فى نهاية الصف بين زملائه فى البشرية. ذلك أن المحبة والتعفف عن العنف والكراهية هما أعلى مراتب التواضع"[3]. بينما يقول الأستاذ محمود: "التواضع هو أصل الخلق الرصين، الذى يسوق إليه العلم الصحيح"[4]. كذلك فى تعريف الأخلاق عند الأستاذ محمود تعريف مختلف، يقول الأستاذ محمود: "الأخلاق فى الإسلام ليست هى الصدق، والأمانة، ومعاملة الناس بما تحب أن يعاموك به، إلى آخر هذه الفضائل السلوكية المحمودة.. وإنما هذه نتائج الأخلاق، وثمرتها، ولكن الأخلاق هى حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة. وحسن التصرف هذا بإزاء الخالق أولاً، والخلق ثانياً، وفى نفس الأمر"[5].

سعى المهاتما غاندى فى فكر مقاومته السلمية وفى منهجه الحياتى وفى تطبيقه لمنهج ومبدأ اللاعنف إلى تقديم النموذج الإرشادى بالتطبيق العملى فى خاصة نفسه وأتباعه،

---

(1) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها"، مرجع سابق.

(2) محمود محمد طه، "إلى أبنائى المحبوبين سعيد، وجلال، وإخوانهما فى القسمين.."، (رسالة)، 8 ديسمبر 1984، من سجن كوبر، الخرطوم بحرى، الخرطوم.

(3) المهاتما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، مصدر سابق، ص 262.

(4) حمد النيل عبدالله العركى، **جواهر المعانى فى حضرة الأستاذ محمود محمّد طه**، مصدر سابق، ص 47.

(5) محمود محمد طه، "ما علاقة المسئولية بالأخلاق فى الإسلام؟"، **أسئلة وأجوبة: الكتاب الأول**، مصدر سابق.

بينما جمع الأستاذ محمود بين التطبيق العملي والتنظير لمشروعه وتعليم تلاميذه وتلميذاته أسس المنهج والعمل به. لقد نشر الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، ستة وثلاثين كتاباً، وكتب تلاميذه نحو ثلاثمائة كتاب، إلى جانب المئات من المحاضرات والجلسات والمقالات... إلخ، تمحورت كلها حول فكرته، الفكرة الجمهورية. كان مبدأ اللا عنف وتحمل الأذى، مبدأ أساسياً عند الأستاذ محمود، وفى دعوته وفى سلوك تلاميذه، إلا أن الممارسة تقوم على حكمة مؤداها أن العدو الخارجى هو سبيل الاستدلال للعدو الداخلى. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن مبدأ المواجهة فى الفكرة الجمهورية، ومستوياتها: "مواجهة فى القمة: وهى العمل بالفكرة بلسان الحال، ولسان المقال ونشرها بين الناس بلسان رطب صادق يتحمل فى ذلك الأذى، ولا يرد الأذى. ولا يحسبن أحد أن هذا السلوك يمكن للفرد أن يستوحيه فى لحظة المواجهة، فإنه لا يمكن أن يتيسر لك أن تعمل إلا وفق ما أنت عليه.. فالمواجهة سيرة، وتربية طويلة، فإن احتمال الأذى من الناس، وكف الأذى عنهم، لا يكون إلا بمعرفة الحكمة من ذلك.. فالمُواجِه لا يرى أعداءه فى الخارج، وإنما يستدل بما فى الخارج على أعدائه فى داخله"[1]. وهناك أمور تلتقى فيها العقول الكبيرة ، يقول المهاتما غاندى: "كرهت أن أفعل فى الخفاء ما لا أفعله فى العلن". بينما كانت إجابة الأستاذ محمود حينما سأله منصور خالد ذات مرة قائلاً: "كيف تنتقى ابناءك وبناتك من الجمهوريين، وما الذى تتوخاهُ فيهِم؟"[2] قال منصور؛ أجاب الأستاذ محمود قائلاً: "فى البدء إن كان ذا مهنة فلابد له منَ أن يُجوِّد مهنتَه، فالرجلُ الذى لايستجيدُ مهنتَه يفتقدُ القوام الرئيس لقيادةَ الناس، وقوامُ كلِ شئ هو عِماده.

الأمر الثانى هو القدرة على التبليغ، أى نشر الفكرة بين الناس بالتى هى أحسن بحيث لايستفزه، عند الحوار، مستفز أو يزعجه مزعج. ثالثاً - وذلك هو بيت القصيد - أن لا يفعل فى سره ما يستحى من فعله فى علانيته"[3]. ويتصل ذلك عند المهاتما غاندى بالطهر، فهو يقول: "ولكى يصل الإنسان إلى أكمل درجات الطهر يجب أن يتخلص فى تفكيره،

(1) الحزب الجمهورى، **المواجهة طرف من الجهاد الأكبر**، مصدر سابق.
(2) منصور خالد، "محمود الذى عرفت"، مصدر سابق.
(3) المصدر السابق.

وفى حديثه، وفى فعله، من كل أثر الشهوات، وأن يرقى بنفسه فوق مستويات التذبذب بين الحب والكراهية، بين الوصل والبعد"[1]. بينما عند الأستاذ محمود فإن تقريب المسافة بين الفكر، والقول، والعمل، تحقق غرض الفرد فى توحيد القوى المودعة فى بنيته، باتباع الأسلوب العلمى فى حياته وفى خدمة الناس. أما الشهوات فهى تتصل بالكبت وهو شأن آخر. ففى تقديمه لكتابه: **تعلموا كيف تصلون**، الذى يقع ضمن سلسلة: **تعلموا كيف**، وهى سلسلة سعى الأستاذ محمود إلى إصدارها "حتى نشيع فى الناس الأسلوب العلمى لإنجاز كل عمل يرمى إلى خدمة الناس، وإلى إخصاب حياتهم، وإلى تيسير طرق كسب عيشهم"[2]. يقول الأستاذ محمود: "وهذا الأسلوب العلمى نفسه سيعنى، فى المقام الأول، بخدمة غرض الفرد بإعانته على توحيد القوى المودعة فى بنيته، وذلك بتقريب المسافة بين فكره، وقوله، وعمله، حتى يصبح يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، ثم لا تكون نتيجة قوله، ولا عمله، إلا براً، وخيراً، بالأحياء والأشياء"[3]. وهنا تأتى الحرية بمستوييها. عن الحرية يقول الأستاذ محمود: "والحرية هى روح الحياة.. فحياة بلا حرية إنما هى جسد بلا روح.. ويكفى أن نقول إن الحرية هى الفيصل بين حياة الحيوان، وحياة الإنسان.."[4]. وعن مستويات الحرية الفردية يقول الأستاذ محمود:

> *الحرية الفردية، عندنا، فى الإسلام، على مستويين: الحرية النسبية، وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، وأن يقول كما يفكر، وأن يعمل كما يقول، على شرط أن يتحمل مسئولية قوله، وعمله، أمام القانون الدستورى.. والحرية المطلقة، وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول على شرط أن يكون فكره، وقوله، وعمله، براً، وخيراً، بالأشياء ، والأحياء.. والقانون الدستورى، هو الذى حين يطبق، يحقق، فى آن معاً، حاجة الفرد، وحاجة الجماعة.. فلا هو يضحى بالفرد لمصلحة الجماعة، ولا هو يضحى بمصلحة الجماعة فى سبيل الفرد*[5].

---

(1) المهاتما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، مصدر سابق، ص 262.

(2) **محمود محمد طه، تعلموا كيف تصلون**، مصدر سابق، ص 2.

(3) المصدر السابق، ص 2.

(4) محمود محمد طه، **رسالة الصلاة**، ط 1، أمدرمان، 1966، ص 16-29.

(5) محمود محمد طه، **الديباجة**، مصدر سابق، ص 23.

وأمام القانون الدستورى يتحمل الفرد نتيجة خطئه، يقول الأستاذ محمود: "وفى واقع الأمر فإن السلوك جميعه، وممارسة الحرية برمتها، إنما هى سلسلة من التصرف الفردى فى الاختيار والتنفيذ.. أو قل فى حرية الفكر، وحرية القول، وحرية العمل.. على شرط واحد هو أن الانسان يتحمل نتيجة خطئه فى القول، وفى العمل، وفق قانون دستورى"[1]. أما التخلص من أثر الشهوات عند المهاتما غاندى، فهو يقود إلى كمال درجات الطهر، يضيف المهاتما غاندى قائلاً: "وإن قهر الشهوات الكامنة فى النفس لهو أشق بكثير من قهر العالم أجمع بحد السيف"[2]. أما الكمال عند الأستاذ محمود فهو فى السلامة من الخوف. يقول الأستاذ محمود: "والخوف، من حيث هو، هو الأب الشرعى لكل آفات الأخلاق ومعايب السلوك، ولن تتم كمالات الرجولة للرجل وهو خائف، ولا تتم كمالات الأنوثة للأنثى وهى خائفة، فى أى مستوى من الخوف، وفى أى لون من ألوانه، فالكمال فى السلامة من الخوف"[3] . بل عند الأستاذ محمود لا بد من التحرر من الخوف من أجل كمال العقول وكمال الأجساد. كما أن الشهوة عند الأستاذ محمود لا تقرأ بمعزل عن الخوف والكبت، يقول الأستاذ محمود "بنشأة العرف الذى ينظم العلاقة الجنسية، والملكية الفردية نشأ الكبت الذى أوجب أن يكون للعقل سلطان على النفس... ومن ههنا برز الإنسان، فى مستوى من مستويات المسئولية، ميزته عن الحيوان السائم... فالغريزة الجنسية، وحب الملكية الفردية، هما أول ما وقع عليه الكبت..."[4]. وعن معنى الكبت يقول الأستاذ محمود: "والكبت يعنى السيطرة على الشهوة، فلا تعبر عن نفسها فى انطلاق بلا قيد، كما يفعل الحيوان... وفى مضمار التحرر من الخوف يجىء فض الكبت"...[5]، بيد أن الفض لا يجىء فجأة، يقول الأستاذ محمود: "لا يجىء فض الكبت فجأة، وبغير فكر يهدى التطور، كما يظن الماديون، حيث يتحدثون عن تحرير الغرائز، وهم لا يعلمون ما يقولون... لا بد للفرد

---

(1) محمود محمد طه، **نحو مشروع مستقبلى للإسلام: ثلاثة من الأعمال الأساسية للمفكر الشهيد، 1. الرسالة الثانية من الإسلام 2. رسالة الصلاة 3. تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق، ص 180.

(2) المهاتما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، مصدر سابق، ص 262.

(3) محمود محمد طه، **الرسالة الثانية من الإسلام**، ط1، مصدر سابق، ص 28-33.

(4) محمود محمد طه، **الديباجة**، مصدر سابق، ص 9 ، 21-31.

(5) المصدر السابق.

اليوم، من أجل تطوره فى مضمار وحدة بنيته، من الكبت، المجود، الواعى، ليستطيع، بعد تجويد الكبت، أن يدخل مرحلة فضّ الكبت، بعلم، وبذكاء.."[1]. ولأجل كمال العقول والأجساد يقول الأستاذ محمود "لا بد من التحرر من الخوف من أجل كمال العقول وكمال الأجساد"[2].

الموقف من الحضارة الغربية

كلاهما كان لديه موقفٌ من الحضارة الغربية. فقد كان المهاتما غاندى رافضاً للحضارة الغربية رفضاً كاملاً، بينما كان موقف الأستاذ محمود يقوم على نقد علمى اتبعه بتقديم رؤية حضارية بديلة ومتكاملة. لم يقف الناس حتى تاريخ اليوم على رؤيته، وقد تضمنتها كتبه التى نشرها وقد بلغت ستة وثلاثين كتاباً. يكاد لا يخلو كتاب من كتب الأستاذ محمود من الحديث عن الحضارة الغربية والموقف منها.

أورد عمر عوض الله قسم السيد فى كتابه: **الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان**[3]، حديثاً لنهرو ضمن كتابه: **اكتشاف الهند**، عن موقف غاندى من الحضارة الغربية، كتب نهرو قائلاً:

لقد كانت الصفوة الوطنية الهندية بكل المقاييس، تضع وزناً عالياً لقيم مجتمعهم الهندى، وحساسية تامة لأهمية ذلك لأمتهم الناهضة. بينما كان المهاتما غاندى، أبو الأمة، ملتزماً بطريقة عاطفية للقيم التقليدية للمجتمع الهندى، ومهتماً باستعادتها عن طريق الرفض الكامل للحضارة الغربية.

طرح الأستاذ محمود دعوته، وقال بأنها دعوة لمدنية جديدة، وتحدث عن الفلسفة الاجتماعية التى تقوم عليها تلك المدنية الجديدة، كما ورد آنفاً، وقال بأنها: "ديمقراطية اشتراكية تؤلف بين القيم الروحية وطبائع الوجود المادى تأليفا متناسقا مبرأ على السواء من تفريط المادية الغربية التى جعلت سعى الانسانية موكلا بمطالب المعدة والجسد ومن

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) عمر عوض الله قسم السيد، مرجع سابق، ص 44.

إفراط الروحانية الشرقية التى أقامت فلسفتها على التحقير من كل مجهود يرمى الى تحسين الوجود المادى بين الأحياء"[1]. وقال الأستاذ محمود بأن سمة هذه المدنية الجديدة: "الإنسانية فانها ترى أن الأسرة البشرية وحدة وأن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهى بشرية وأن الحرية والرفاهية حق مقدس طبيعى للأسود والأبيض والأحمر والأصفر[2]. وتحدث الأستاذ محمود عن "الحضارة الغربية واغتراب الإنسان"[3]، قائلاً: "إن دعوتنا هذه إنما هى لمدنية جديدة، تخلف المدنية الغربية الحالية، المنقسمة بين النظام الرأسمالى والشيوعى، والتى ظهر قصورها عملياً عن حل مشكلة الإنسان اليوم، فقد برعت وافتنت فى صنع الآلة، وأنجزت انجازاً كبيراً، فى المجال المادى، والتقنى. ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً، فى استيعاب طاقة الإنسان المعاصر، وتوجيهه"[4]. وتناول الأستاذ محمود اغتراب الإنسان عن حضارة اليوم، فكتب قائلاً: "الإنسان اليوم مغترب عن النظم السياسية، والاجتماعية، مغترب عن التقاليد، والأعراف والموروثات، والمسلمات، والقيم التقليدية، واغترابه إنما هو شعوره بالحيرة المطبقة، وبالقلق، والاضطراب، ثم هو فى قمة شعوره بفرديته المتميزة التى يرفض أن يذيبها عفوياً فى تيار التطور المادى"[5]. ثم ناقش الأستاذ محمود سبب هذا الاغتراب، وقال: "والسبب الأساسى فى اغتراب الإنسان هو انه ذو طبيعتين، طبيعة مادية، وطبيعة روحية، فهو مكون من جسد ومن روح. فإذا أشبعت حاجة المعدة والجسد- الحاجة المادية، برز جوع الروح، وجوعها إنما هو حنينها إلى وطنها، الذى صدرت منه، حنينها إلى الله"[6]. ونظر الأستاذ محمود فى مشكلة المجتمع، ووقف عند حالة العجز فى تحقيق السلام، وتحت عنوان: "الأزمات تجتاح العالم"، تحدث قائلاً:

فمع اقتدار الحضارة الغربية، فى ميدان تطويع القوى المادية، لإخصاب الحياة البشرية، واستخدام الآلة لعون الإنسان، فقد عجزت عن تحقيق

(1) الحزب الجمهورى، "مذكرة تفسيرية"، **دستور الحزب الجمهورى**، دار الوثائق القومية، مصدر سابق.
(2) المصدر السابق.
(3) محمود محمد طه، **قل هذه سبيلى، الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، مصدر سابق، 8-2.
(4) المصدر السابق، 8-2.
(5) المصدر السابق، 8-2.
(6) المصدر السابق، 8-2.

السلام. والسلام هو حاجة البشرية اليوم وهو فى ذلك حاجة حياة أو موت ذلك بأن تقدم المواصلات الحديثة، قد جعل هذا الكوكب أضيق من أن تعيش فيه بشرية، متنافرة، متحاربة فيما بينها. بل إن اختراع وسائل الحرب والدمار الرهيبة ، قد وضع الإنسانية أمام أحد طريقين، إما السلام وإما الدمار والفناء[1].

ثم تحدث الأستاذ محمود بتوسع، وفى العديد من كتبه عن فشل الحضارة الغربية ليس فى تحقيق السلام فحسب؛ وإنما فى الأزمة الاقتصادية، وفى أزمة الغذاء العالمى، وأزمة الانفجار السكانى وأزمة الطاقة والنزاعات العنصرية والإقليمية، يقول الأستاذ محمود:

والحضارة الحالية وبفلسفتها الاجتماعية مع فشلها فى تحقيق السلام، فإنها أيضاً تقف عاجزة أمام الأزمات المتلاحقة فى العالم، وعلى قمتها أزمة الاقتصاد العالمى، التى أبرزت تناقضات النظام الرأسمالى والشيوعى.. وظهرت فى الموجة الحادة من التضخم والغلاء، التى تجتاح العالم، والتى يعانى منها الناس جميعا، اشد المعاناة، وفى أزمة النظام النقدى العالمى، الذى يعانى من عدم الاستقرار.. وفى أزمة الغذاء العالمى التى تهدد البشرية بالمجاعات والأمراض ونقصان الغذاء، ثم فى أزمة الانفجار السكانى وأزمة الطاقة زيادة على مشاكل الحروب، المتواصلة والنزاعات العنصرية، والإقليمية.. إن هذه الأزمات علمت الإنسان ضرورة التعاون الدولى، وأكدت له وحدة مصيره، وضرورة تكاتفه لمجابهة الأخطار التى تهدد وجوده[2].

يـــوم الاغتيـــال

إنه خطئى أنا لأننى لم أعلمك الحب[3].

المهاتما غاندى لقاتله

---

(1) المصدر السابق، 2-8.

(2) المصدر السابق، 2-8.

(3) سلمى مجدى، **الساعات الأخيرة فى حياتهم، ماذا فعل وقال وأوصى مشاهير السياسة والفن والأدب فى يوم رحيلهم عن الدنيا**، ط1، دار الكتاب العربى، دمشق، القاهرة، 2009، ص 206.

ظل غاندى على نهجه الحياتى داعياً وآخذاً بمنهج اللا عنف والسلام والحب والمقاومة السلمية حتى يوم 30 يناير 1948. ففى ذلك اليوم أطلق أحد الهندوس المتعصبين ثلاث رصاصات قاتلة سقط على إثرها المهاتما غاندى صريعاً عن عمر يناهز 79 عاماً. كان غاندى يومها وفى حوالى الساعة الرابعة والنصف عصراً، فى قصر (بيرلا) يتحدث مع السردار باتل نائب رئيس وزراء الهند. ولكن قطع حديثه ونظر إلى ساعته وقال لمحدثه: دعنى أذهب.. ثم أردف: إنها ساعة الصلاة. ثم قام ونهض معتمداً على كتفى حفيدتى أخته، الآنستين آفا ومانو، وسار إلى المنصة التى اختارها ليشرف منها على جموع المصلين الذين ألفوا أن يشاركوه الصلاة ثم صعد فى بطء الدرجات الثلاثة المؤدية إلى المنصة، فتقدم إليه شاب قصير ممتلىء ثم ركع عند قدمى غاندى، ووجه إليه الخطاب قائلاً: لقد تأخرت اليوم عن موعد الصلاة[1].

فأجاب المهاتما غاندى: نعم تأخرت.

ولم يكن هذا الشاب سوى ناثورام فنياك جودس محرر جريدة (هندور اشترا) المتطرفة، التى لم تكف عن اتهام غاندى بخيانة قضية الهندوكيين بتسامحه مع المسلمين، ولم يكد يتم المهاتما غاندى هذه الجملة القصيرة حتى انطلقت ثلاث رصاصات، من مسدس برتا صغير، أصابت اثنتان منهما بطنه، والثالثة صدره، وهتف غاندى: "أى رام.. أى رام" ثم سكت ولم يتكلم ولم يكن رام هذا سوى بطل من أبطال القصص الدينية تقص سيرته كنموذج رفيع للتضحية وبذل النفس[2]. ولفظ غاندى بكلماته الأخيرة قائلاً لقاتله: "إنه خطئى أنا لأننى لم أعلمك الحب".

الشاهد أن الأستاذ محمود فوق أنه قدم النموذج الإرشادى فى المقاومة السلمية، هو صاحب مشروع كوكبى للتغيير. أما بشأن المقاومة السلمية واللا عنف، فقد أخذ بنهج المقاومة السلمية حتى آخر لحظة وهو على منصة المشنقة، التزم تلاميذ الأستاذ محمود بأسس تربيته وبفكره ومنهجه فى المقاومة السلمية واللا عنف واللا حقد، ولم يصدر منهم

(1) سلمى مجدى، مرجع سابق، ص 206.
(2) المرجع السابق، ص 206.

بعد تنفيذ حكم الإعدام على أستاذهم عنفاً أو تآمراً على أحد، سواء أكان تجاه القضاة الذين حاكموا أستاذهم أو غيرهم من أطراف المؤامرة. وجهت الصحفية إحسان عبد الماجد، وهى تفتح ملفاً صحفياً عن تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، وجهت سؤالاً لأحد تلاميذ الأستاذ محمود وهو عصام عبدالرحمن البوشى، سألت الصحفية قائلة للبوشى: إذا قابلت المهلاوى وحاج نور والمكاشفى، ماذا تقول لهم؟[1] [توضيح من المؤلف بشأن الشخصيات الثلاثة المشار إليها فى السؤال: المهلاوى هو رئيس **المحكمة الجنائية** "محكمة أول درجة (محكمة الموضوع)، وهى المحكمة التى أصدرت حكمها فى 8 يناير 1985 على الأستاذ محمود وأربعة من تلاميذه بالإعدام شنقاً حتى الموت. أما حاج نور فهو عضو **محكمة الاستئناف** الجنائية بالخرطوم والمكاشفى هو رئيس نفس المحكمة، وهى المحكمة التى أيدت حكم الاعدام فى يوم 15 يناير 1985]. أجاب البوشى قائلاً: تربية الأستاذ محمود لأبنائه الجمهوريين علمتهم مسألة غريبة يعنى ما تربوا على الحقد يعنى لو مازلت تذكرين القضية التى كفر فيها الأستاذ محمود وحكم عليه فيها بالردة عام 1968 كان على رأسها الأمين داؤود[2] وأذكر أن الأمين داؤود توفى والأستاذ محمود كان فى جلسة بها عدد من الجمهوريين وبلغه النبأ فطلب من الحاضرين كلهم أن يقرأوا الإخلاص إحدى عشرة مرة بإخلاص على روح الأمين داؤود"[3]. ثم أضاف البوشى قائلاً: "وأنا أعتقد أن أى شيء يحصل فى الوجود من فعل هو فعل إلهى فأحياناً يستعمل الإنسان استعمالات فى ظاهرها سيئة وأحياناً يستعمل استعمالات خيرة فحاج نور والمهلاوى والمكاشفى كلهم كانوا أدوات فى يد الله استعملها استعمالات محكمة فحكمة الله اقتضت أن يستعمل هؤلاء الجماعة استعمالات قد تسوؤهم فى وقت لاحق ما فى مستقبل

---

(1) إحسان عبدالماجد، "الدستور تفتح ملف الجمهوريين (2)"، **مجلة الدستور**، العدد: (27)، بتاريخ: 24-30 يونيو 2000، ص 16-17.

(2) الأمين داؤود هو المدعى الأول فى **المحكمة الشرعية** بالخرطوم والتى أصدرت حكمها بردة الأستاذ محمود عن الإسلام. جاء فى صدر خطبة الادعاء المقدمة من الأمين داؤود فى المحكمة الشرعية بالخرطوم بتاريخ 18 : "أنا الأمين داؤود محمد أدعى محتسباً لله تعالى بأن محمود محمد طه هذا - وهو رجل مسلم- قد ارتد عن الإسلام بأعماله وأقواله". المصدر: المكاشفى طه الكباشى، **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، مرجع سابق، ص 171.

(3) المصدر السابق، ص 16-17.

حيـاتهم". وعن ردة فعله إذا ما التـقاهم، أجاب البـوشى قائلاً: "فأنا إذا لاقـيتهم لا أحـقد عليهـم بالعكس أفتكر أنهم هم عـارفين أنهم مـحل عفـوى وأرجو الله أن يغـفر لهم وأن يعينهم على تجـاوز المشكلة وهم وضعوا فى حتة اسـتعمال فى ارتكاب جريـمة اتفق العالم على إدانتها وأتمنى أن يشملهم الله بغفرانه ورحمته"[1].

أيضاً صـرح القاضى المهلاوى بأنه بعـد تنفيذ حكم الإعـدام على الأستاذ محـمود، لم يتلق أى تهديدات من أى من أتباع مـحمود[2]. كذلك وجـه الصحفى عـادل سيد أحـمد سـؤالاً للقاضى المكاشـفى طه الكبـاشى، قائلاً له: هل تـعرضت لأى تهـديدات إبان فتـرة الديمقراطية الثالـثة؟ (وهى الفترة التى جاءت بعد القضاء على نظام حكومـة جعفر نميرى بانتفاضة 6 أبريل الشعبية عام 1985 عقب تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود. أجاب المكاشـفى طه الكباشى عـما إذا كـان قد تـعرض لتـهديدات، أجـاب قائلاً: لا.. فـقط كنا نتصدى للحملات والندوات التى كانت تتحدث فى هذا الموضوع[3].

أما بشأن مشـروع الأستاذ محمود، وهو مشـروع للتغيير الكوكبى، فقـد أصدر الأستاذ محمـود، كما وردت الإشارة آنفـاً، ستة وثلاثين كتـاباً، ونشر مئات المقـالات فى الصحف السودانية ومئات البـيانات والمناشير، وقدم مئات المحاضـرات، كما أنه أشرف على إصدار نحو ثلاثمائة كتاب أصدرها تلاميذه (الإخوان الجمهوريون والأخوات الجمهوريات). هذا إلى جانب أن الأستاذ محمود ترك لنا عدداً كبـيراً من التلاميذ والتلميذات من السودانيين، وهناك تلاميذ من غير السودانيين. إن تلاميذ وتلمـيذات الأستاذ محمود منتشرون الآن فى مختلف أنحاء العالم، وفى السودان، ويعملون فى مجـالات مختلفة وفقاً لمبادئ أستاذهم، الأستاذ محمود، ويساهمون فى تنمية الوعى وأنسنة الحياة فى أوجه عديدة.

الشاهد أن العـالم لم يقف حتى الآن على مـشروع الأستـاذ محـمود، فقـد أقام فقـهاء السودان فى القرن الماضى ومـعهم التحالف الإسلامى العـريض، الذى وردت الإشارة إليه

(1) المصدر السابق، ص 16-17.

(2) "فـيصل مدنى عبـر عن رفضه بـدفن محمـود محمـد طه فى الخلاء"، **مجلة الدستور**، العدد: (27)، بتاريخ: 24-30 يونيو 2000، ص 6.

(3) عادل سيد أحمد، "الدستور تفتح ملف الجمهوريين (2)"، **مجلة الدستور**، العدد: (27)، بتاريخ: 24-30 يونيو 2000، ص 14-15.

آنفاً، جداراً عازلاً بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام والعالم. لم يدرس مشروع الأستاذ محمود ولم تدرس سيرة الأستاذ محمود مثلما درست سيرة المهاتما غاندى. وكما أشرت فى مدخل هذه المقاربة بأن معظم إسهامات شعوب العالم الثالث فى القرن الميلادى الماضى، فى مجلد إرث البشرية، كانت إسهامات تقدم عبر النضال وتقوم على المقاومة وفكرها، وكان المهاتما غاندى أشهر النماذج. فغطى فكر المقاومة ومذاهب النضال ونماذجهما على الكثير من الإسهامات الفكرية ورؤى أنسنة الحياة ومشاريع التغيير الكوكبى، لاسيما مشروع الأستاذ محمود. لم يجد مشروع الأستاذ محمود حظه فى سماء العالم من الاحتفاء والتأمل والقراءة والحوار، غير أنى على يقين تام بأن مشروع الأستاذ محمود سيبعث من جديد، وما كان تأجيله إلا إنتظاراً ليقظة العقول وصحوها وانتزاع تحررها من الأوصياء وهم رجال الدين.

ختاماً هذه مقاربة أولية بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، جاءت مختصرة، وبجرد مجمل، قصدت منه تقديم إضاءة ومدخل لحوارات قادمة، بالطبع، أكثر من السعى لسبر أغوار محاور المقاربة.

الخاتمــة

الثورات لا ترى بالعين[1]

The Invisibility of Revolutions[2]

(1) توماس س. كون، **بُنيَة الثورات العلمية**، ترجمة: حيدر حـاج إسماعيل، ط1، مركز دراسات الوحـدة العربية، بيروت، 2007، ص 241.

(2) Thomas S. Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions*, The University of Chicago Press, Chicago and London, Third Edition, 1996, p 136.

سأل سائل الأستاذ محمود فى محاضرة قائلاً: "والله يا أستاذ فكرتكم جيدة لكن بتاخذ زمن طويل..كل الأحزاب حكمت ونزلت إلا أنتم متين [متى] بتجوا[تجيئون]؟".أجاب الأستاذ محمود: "إذا كان العمل بفكر بيأخذ زمن طويل، فإن العمل بدون فكر بيأخذ زمن أطول..وأما أن غيرنا حكموا ونزلوا فلأننا نحن طالعين بوزننا وأولئك خفاف الوزن، يطلعوا بسرعة وينزلوا بسرعة، وأما عن تساؤلك متين [متى] بِتَجى [تجئ] فاسأل نفسك أنت متين [متى] بِتَجى [تجئ] لينا [إلينا].[1]

مجذوب محمد مجذوب

كتب الأستاذ محمود محمد طه فى آخر منشور له، كان بعنوان: "هذا... أو الطوفان!!"، ووُزع فى يوم 25 ديسمبر 1984، قبل تنفيذ حكم الإعدام عليه بثلاثة وعشرين يوماً، كتب قائلاً: "غايتان شريفتان وقفنا، نحن الجمهوريين، حياتنا، حرصاً عليهما، وصوْناً لهما، وهما الإسلام والسودان.. فقدمنا الإسلام فى المستوى العلمى الذى يظفر بحل مشكلات الحياة المعاصرة، وسعينا لنرعى ما حفظ الله تعالى على هذا الشعب، من كرايم الأخلاق، وأصايل الطباع، ما يجعله وعاء صالحاً يحمل الإسلام إلى كافة البشرية المعاصرة، التى لا مفازة لها، ولا عزة ، إلا فى هذا الدين العظيم". (للاطلاع على المنشور أنظر ملحق رقم: "47").من أجل هاتين الغايتين ظل الأستاذ محمود يعمل ويعلم وينتج الفكر وينشره منذ أربعينيات القرن الماضى.كان شعاره ملخصاً لغايته فى الحياة، وهو

(1) مجذوب محمد مجذوب، **بعض أوراق جمهورى، السودان: بلدٌ وشعبٌ وفكرة**، مصدر سابق، ص 150.

"الحرية لنا ولسوانا". فى سبيل إحداث التطوير والتجديد والتحرير والتغيير فى فضاء الغايتين، تبنى الأستاذ محمود خط المواجهة والاستمرارية فى دعوته كما التزم تجسيد المعارف والأقوال، أشد وأقسى وأقصى أنواع الامتحانات التى يواجهها المفكر والمثقف. لم يحِد الأستاذ محمود ولم يتراجع قط عن أى قول من أقواله أو فعل من أفعاله حتى لحظة تنفيذ الإعدام عليه صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985.

الشاهد أن الغايتين، اللتين أوقف الجمهوريون حياتهم لهما، الإسلام والسودان، اليوم أصبح فضاؤهما - وواقعهما فى ديار الإسلام وبلاد السودان -فى أمس الحاجة للتغيير عبر التطوير الذى دعا إليه الأستاذ محمود، لاسيما تطوير التشريع، ضمن مشروعه؛ الفهم الجديد للإسلام، منذ منتصف القرن الماضى.كان محددو المسار السياسى والفكرى والقائمون على تنمية الوعى وموجهو الرأى العام من أصحاب الإمتياز من المثقفين من رجال الدين والحكام والقادة فى ديار الإسلام وفى بلاد السودان، قد أبوا مشروع الأستاذ محمود حينما طرحه، بل نافحوه وناصبوه العداء وسعوا لتشويهه وعبّأوا الرأى العام الإسلامى ضده. إن عادة أصحاب الامتياز فى السائد والراهن، كما يقول الأستاذ محمود "غير مستجيبين وغير مستعدين ليدركوا الحاجة للتغيير، أو على الأقل هم يبطئون فى إدراك هذه الحاجة". لم يوقف الأستاذ محمود والجمهوريون حياتهم من أجل الإسلام والسودان على المستوى النظرى فحسب؛ وإنما بالقول والعمل ومن ثم بتجسيد المعارف الذى شهده العالم أجمع يوم تنفيذ حكم الإعدام عليه فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985.

لقد قاد الأستاذ محمود المواجهة للاستعمار البريطانى - المصرى منذ النصف الثانى من

ثلاثينيات القرن الماضى وهو موظف **بمصلحة السكة حديد** بمدينة عطبرة، بعد أن تخرج مهندساً عام 1936 فى قسم المساحة **بكلية غردون**.وعندما استلف طلائع المتعلمين فى سبيل نضالهم الوطنى ضد المستعمر، الفكر التنظيمى من الهند، وأنشأوا فى عام 1938 مؤتمر الخريجين، أصبح الأستاذ محمود عضواً فيه. استطاع الأستاذ محمود مع بعض زملائه، وهو سكرتير للجنة **نادى موظفى السكة حديد السودانيين** أن يجعل عضوية لجنة النادى عبر الانتخاب، كما تم تحويل الإشراف على النادى إلى لجنة النادى بدلاً عن **مصلحة السكة حديد**. وعندما قام مؤتمر الخريجين استطاع أن يُغير اسم النادى من **نادى موظفى السكة حديد** إلى نادى الخريجين بعطبرة، وتم فتح النادى لكل المواطنين بعطبرة. انزعجت السلطات الاستعمارية من نشاط الأستاذ محمود فى عطبرة، ورصدت خلافاته مع الموظفين الإنجليز، وتراكمت مخالفته لتنفيذ الأوامر، فقررت السلطات الاستعمارية نقله إلى محطات عمل بعيدة عن عطبرة، فنقلته إلى كسلا وإلى تسنى ثم نقل ليمد خطاً ما بين مدينتى حلفا وفرس. استمرت خلافات الأستاذ محمود مع الموظفين الإنجليز، فترتب على ذلك عدم الاستجابة لطلباته خاصة طلبه الالتحاق بمدرسة الحقوق لدراسة القانون، إلى جانب نقله المستمر إلى المناطق النائية، مما حدا بالأستاذ محمود أن يستقيل من العمل متحرراً من قيد الوظيفة الحكومية من أجل النضال الوطنى.

أنشأ فى منتصف أربعينيات القرن الماضى، مع بعض رفاقه، **الحزب الجمهورى** وأصبح رئيساً له. دعا الأستاذ محمود مؤتمر الخريجين وأنداده من طلائع المتعلمين إلى العمل على تحقيق الاستقلال والتحرير عن طريق المقاومة والمواجهة للمستعمر وبمعزل عن الطائفية والقوى التقليدية. كما شدد على أهمية إشراك الشعب والابتعاد عن العمل الفوقى، إلا أن طلائع المتعلمين آثروا طريق المهادنة والتسوية ونهج رفع المذكرات إلى الإدارة الاستعمارية، كما فضلوا التصالح والتحالف مع الطائفية والقوى التقليدية. نشرالأستاذ محمود بياناً، أعلن فيه رفضه لنهج مؤتمر الخريجين فى النضال ضد المستعمر، وعاب على المثقفين تحالفهم مع الطائفية والقوى التقليدية، وتغذيتهم للصراعات الثنائية فى وسط الحركة الوطنية. كما حذر من الخطر المستقبلى لانقسام الحركة الوطنية إلى استقلالية واتحادية. بهذا البيان اتسعت دائرة المواجهة أمام الأستاذ محمود. فقد ظل فى مواجهة مستمرة وقوية

للطائفية والقوى التقليدية من القيادات الدينية، كما ظل فى مواجهة دائمة للمثقفين من طلائع المتعلمين ووسمهم بالخيانة، حيث أصدر كتاباً بعنوان: "خيانة المثقفين"، ونشر دراسة فى نقدهم ونقد مناهج نضالاتهم الوطنية القائمة على الولاء لمصر والتحالف مع بريطانيا. رفض نشاطهم الفوقى ونضالهم الصفوى، ومن ثم تحجيمهم لدور الشعب فى النضال وإشراكه فى مسار الحركة الوطنية. رفض طرح حركتى الاستقلال والاتحاد، ونادى بالجلاء التام واستقلال السودان عن مصر وانجلترا على السواء، ودعا لقيام جمهورية سودانية ديمقراطية، مع استمرار المقاومة والمواجهة للمستعمر.

التزم الأستاذ محمود خط المواجهة والمقاومة والمصادمة للمستعمر البريطانى والمصرى بجسارة وشدة مراس. عارض بقوة إنشاء الإدارة الاستعمارية للمجلس الاستشارى لشمال السودان، ورأى فى قيامه خطوة لتعميق انقسام الوطن وتشظيه.قاوم ورفض بشدة كل القوانين الصادرة عن المجلس، لا سيما قانون الخفاض الفرعونى الذى أصدره المجلس فى شهرديسمبر عام 1945. عارض منهج الحكومة فى محاربة عادة الخفاض الفرعونى، وأصدر بياناً كشف فيه عن أسباب توقيت إصدار الحكومة لقانون الخفاض الفرعونى، بعد نحو خمسين عاماً من حكمها، وأسباب إثارة الموضوع فى البرلمان الإنجليزى فى ذلك التوقيت مقروناً بالمعطيات العالمية. كما كشف فى بيانه عن أسباب إصرار الحكومة على الصرامة فى تطبيق القانون دون اعتبار لمبدأ التوعية والتعليم. كما بيَّن موقف **الحزب الجمهورى**، بأنه لا يدافع عن الخفاض الفرعونى، وإنما يرى أن لكل شعب عادات حسنة وعادات سيئة.فالعادات الحسنة تُنمّى وتزيد بالتعليم، والعادات السيئة تُحارب بالتعليم والتوعية والتنوير، وليس بالقوانين والبوليس. قاد ثورة رفاعة عام 1946 ضد المستعمر. وسم المستعمر ثورة رفاعة فى خطابه الإعلامى بـ "أحداث الشغب فى رفاعة" بينما كانت ثورة كاملة الأركان والعناصر. بسبب مقاومته للمجلس الاستشارى لشمال السودان ومعارضته للقوانين الصادرة عنه، وبسبب ثورة رفاعة، سجن المستعمر الأستاذ محمود مرتين. مرة خمسين يوماً، والمرة الثانية سنتين. وبسبب مخالفته لأوامر السجن أكمل أربعة وعشرين شهراً، بدلاً عن ثمانية عشر شهراً، وفقاً لقوانين السجون التى تنص على أن السنة تسعة أشهر.

عقب سجنه الذى انتهى فى يوم 20 سبتمبر 1948، اعتكف الأستاذ محمود بمدينة رفاعة

لمدة ثلاث سنوات. وفور خروجه من خلوته بمدينة رفاعة فى أكتوبر عام 1951، أعلن عن المسار الجديد **للحزب الجمهورى**، وانتقال الحزب من مرحلة ملء فراغ الحماس إلى مرحلة ملء فراغ الفكر. بدأ الأستاذ محمود منذ العام 1951 طرحه لمشروع الفهم الجديد للإسلام، صاحب ذلك بداية التتلمذ على يديه. وما لبث أن أصبح أعداد تلاميذه وتلميذاته فى ازدياد منذ النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى.

دعا منذ النصف الأول من خمسينيات القرن الماضى إلى قيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية. ونشر- كعادته فى الحرص على التوثيق لكل دعواته ورؤاه السياسية والفكرية فى الكتب والبيانات والمقالات - رؤيته السياسية لإدارة السودان على أساس الحكم اللامركزى فى كتاب : **أسس دستور السودان**. وفى صبيحة الاستقلال عام 1956، وأثناء سعى قادة السودان لانضمام السودان وانتمائه إلى المنظمات الإقليمية والدولية، لا سيما **جامعة الدول العربية**، أصدر الأستاذ محمود بياناً فى عام 1958 طالب فيه بانسحاب السودان فوراً من **جامعة الدولة العربية**،لكون أهل السودان أمة إفريقية. كما حذر باكراً من خطورة هضم حقوق شعوب السودان بسبب الهوية ومركزية الحكم. نادى وطالب بضرورة تبنى الحكم اللامركزى وإتاحة الفرصة لأهل السودان فى الشرق والغرب والجنوب على إدارة شؤونهم وتحمل المسؤولية والشراكة فى الحكم. فى عام 1958 نشر مقالاً تحدث عن حقوق أهل الأطراف وتناول مؤتمر البجة، ودعا للاتحادات الفدرالية ولفت الانتباه للتهميش وحذر من نتائجه المستقبلية. تحدث باكراً عن التنوع الثقافى من خلال تناوله لاختلاف اللهجات والعنصريات والعادات، وأشار إلى أن هذا التنوع، من دواعى التفاؤل بمستقبل هذا البلد وليس من دواعى اليأس أو التخوف ذلك لأن خصائص كل عنصرية من هذه العنصريات إذا نمت وهذبت وتفتقت طاقاتها الأصلية فستزيد من حيوية الأمة السودانية فى مجموعها ويخصب ذلك شخصيتها ويزيد من وزنها وزناً ومن قيمتها قيمة. ونادى بضرورة تهيئة المناخ لهذا التنوع والاختلاف فى خصائص العنصريات، فظل يدعو منذ النصف الأول من خمسينيات القرن الماضى، وفى الستينيات، وعلى الدوام، بضرورة أن يكون الدستور هو صياغة لأمل الأمة، وأمل كل الشعب، دون اعتبار للأغلبية والأقلية، مع ضمان "فرص التساوى بين المواطنين من حيث هم مواطنون" وظل يحذر على الدوام من خطورة تبنى ما

يسمى بالدستور الإسلامى (يرى الأستاذ محمود أن ليس فى الشريعة الاسلامية التى بين أيدينا دستور لمصادرتها حقى الحياة والحرية، وإنما الدستور فى أصول القرآن).

دعا منذ منتصف القرن الماضى إلى الحاجة لتنمية الوعى بالذاتية السودانية. ونادى بضرورة إقامة المشاريع التنموية فى مختلف أجزاء القطر، لإزالة الفوارق بين المجموعات البشرية. وحثَّ الساسة على ضرورة العمل منذ ذلك الوقت على ربط أجزاء القطر بسبل النقل والمواصلات حتى تتحقق وحدة المنافع والإحساس. وتحدث عن أن حل مشكلة الجنوب فى حل مشكلة الشمال.. وأشار إلى أن الشمال والجنوب لا تحل مشكلتهما إلا بالمذهبية، التى توحد، مشاعر الشعب وتوحد أفكاره.

وعن مياه النيل، حذر الأستاذ محمود باكراً من هضم حقوق السودانيين فى اتفاقيات مياه النيل، ودعا إلى الحزم مع مصر عند توقيع الاتفاقيات. ففى عام 1958، وقبل توقيع اتفاقية مياه النيل فى يوم 8 نوفمبر 1959، أقام الأستاذ محمود العديد من الندوات ووزع البيانات ونشر الكثير من المقالات فى الصحف المحلية عن قصة اتفاقيات مياه النيل وتاريخها وتتبع جلساتها واجتماعاتها منذ أن كانت فكرة أولية عند البريطانيين ونمت فى إطار الأهداف الاستعمارية والعلاقات مع مصر. لفت الانتباه إلى ضرورة الربط بين اتفاقيات مياه النيل وقضية الحدود مع مصر. وحذر من خطورة تشكيل حكومة فى السودان بأغلبية موالية لمصر. وأشار إلى خطورة تشكيل الحكومة القومية بأغلبية موالية لمصر، على اتفاقية مياه النيل وعلى مصير الحدود مع مصر. وكانت بعض الأصوات قد نادت بتشكيل حكومة قومية فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى.

تزامن هذا العطاء الضخم للأستاذ محمود من أجل السودان، مع طرحه عام 1951 لمشروع الفهم الجديد للإسلام. أتبع طرحه لمشروعه وكل دعواته وأطروحاته ورؤاه بشأن الإسلام أو السودان بحركة توثيق نادرة المثيل. أحدث ثورة فى التأليف والنشر واسعة ومستمرة، وكانت أمراً جديداً وقتئذ فى السودان، وربما العالم الثالث. أصدر الكتب ونشر المقالات ووزع البيانات والمناشير وأقام المحاضرات وعقد الندوات.حينما طرح مشروع الفهم الجديد للإسلام، دعا لبعث الإسلام من جديد.لم تكن دعوته، كما بيَّن، اجتهاداً فيما ليس فيه نص، ولم تكن كذلك اجتهاداً فيما فيه نص؛ وإنما هى فهم جديد للنصوص

القديمة المألوفة.. فالاجتهاد عنده نحت، بينما دعوته هى، كما بيَّن، علم مفاض، بفضل الله ثم بفضل التوجه والتوسل بالوسيلة النبوية لمفاتيح القرآن.فالقرآن، كما يقول الأستاذ محمود هو مفتاح الخلود، وحياة النبى هى مفتاح القرآن.

كانت الحيوية والتطوير والتجدد والحرية والاستقلالية واللا عنف أهم مرتكزات الفهم الجديد للإسلام، الذى هو تقديم الإسلام فى المستوى العلمى لحل مشكلات الحياة المعاصرة. رأى الأستاذ محمود أنه من الخطأ الشنيع أن يظن إنسان أن الشريعة الإسلامية فى القرن السابع تصلح، بكل تفاصيلها، للتطبيق فى القرن العشرين، ذلك بأن اختلاف مستوى مجتمع القرن السابع، عن مستوى مجتمع القرن العشرين، أمر لا يقبل المقارنة، ولا يحتاج العارف ليفصل فيه تفصيلاً، وإنما هو يتحدث عن نفسه. دعا إلى تطوير التشريع الإسلامى من مستوى آيات الفروع، التى انبنى عليها التشريع المرحلي، إلى مستوى آيات الأصول، التى سينبنى عليها التشريع للمجتمع المعاصر. فالأخذ بآيات الأصول، هو ارتفاع بالشريعة السلفية من نص كان عمدتها فى القرن السابع، حين نزل القرآن، وشرع التشريع، إلى نص اعتبر يومئذ، مرجأ إلى وقته، لأنه كان أكبر من ذلك الوقت. فالآيات المكية هى آيات الأصول، والآيات المدنية هى آيات الفروع. وآيات الأصول، كما أوضح الأستاذ محمود قد تواترت أثناء العهد المكى.. فلم يستجب لها الجاهليون.. فظهر ظهوراً عملياً، أنها أكبر من مستواهم.. فنُزل إلى مستواهم، بعد الهجرة إلى المدينة، وبعد افتتاح العهد المدنى.. فنزلت آيات الفروع.. واعتبرت صاحبة الوقت، لمناسبتها لمستوى الناس.. ونسخت آيات الفروع، آيات الأصول. فآيات الأصول عند الأستاذ محمود هى قمة الدين.. وكانت تقوم على تقرير كرامة الإنسان، والإسماح، ومنعت الإكراه منعاً تاماً.كما كانت تقوم على الحرية.

الحرية عند الأستاذ محمود، هى حق يقابله واجب، وهى من الثوابت التى لا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بها. فقد تحدث عن الحرية الفردية، فى الإسلام، فى مستويين: الحرية النسبية، وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، وأن يقول كما يفكر، وأن يعمل كما يقول، على شرط أن يتحمل مسئولية قوله، وعمله، أمام القانون الدستورى. "والحرية المطلقة "وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، على شرط أن يكون فكره، وقوله، وعمله، براً، وخيراً، بالأشياء، والأحياء.. والقانون الدستورى، هو الذى حين يطبق، يحقق، فى آن معاً،

حاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة.

لقد دعا الأستاذ محمود إلى التطوير والتحرير والثورة بلا عنف من أجل إحداث التغيير وبيَّن الطريق والسبيل إلى ذلك بحجج وبراهين وأدلة قوية وساطعة وأطروحات واضحة. كانت أطروحاته أصيلة وجديدة فى بابها، وجديدة كذلك على المؤسسات الدينية التقليدية، وعلى الفقهاء والقضاة الشرعيين. رفض الدعوات التى تنادى بالدستور الإسلامى، قال بأن الجهاد ليس أصلاً فى الإسلام، وإنما هو فرع، كذلك الرق ليس أصلاً فى الإسلام، والرأسمالية ليست أصلاً فى الإسلام، وعدم المساواة بين الرجال والنساء ليست أصلاً فى الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً فى الإسلام، والطلاق ليس أصلاً فى الإسلام، والحجاب ليس أصلاً فى الإسلام. ونادى بالمساواة بين الرجال والنساء. وأوضح أن المساواة بين الرجل والنساء ليست مساواة الميزان، والمسطرة.. وإنما هى مساواة القيمة.. فالمرأة، فى نفسها، كإنسان، وفى المجتمع، كمواطنة، ذات قيمة مساوية لقيمة الرجل، فى نفسه، كإنسان، وفى المجتمع، كمواطن.

برغم كل هذا العطاء الضخم بشأن السودان والإسلام، وكله عطاء وثقه الأستاذ محمود ونشره فى الكتب والمقالات والبيانات والمناشير والمحاضرات، وجاءت أخباره فى الدوريات المحلية باللغتين العربية والإنجليزية. فإن الباحث والقارىء لا يجد إشارة للأستاذ محمود وعطائه فى مذكرات معاصريه، وفى صحائف المؤرخين أو فى ردهات الأكاديميا السودانية أو فى استشهادات وحوارات وسجالات المفكرين الإسلاميين برغم نهبهم لأفكاره دون الإشارة إليه.

الأكاديميا السودانية وبتر المعارف وقلة المروءة وتعميق التهميش

إن البحث فى مشروع الأستاذ محمود وسيرته فى ردهات الأكاديميا السودانية، يكشف عن قلة المروءة الأكاديمية وضعفها لدى مثقفى السودان. كما يكشف عن دور الأكاديميا السودانية فى بتر المعارف وتعميق التهميش فى السودان. لقد اتضح من واقع دراستى لنماذج الرسائل الجامعية ونماذج الكتب التى درستها، أن الأكاديميا السودانية ظلت مقاطعة للأستاذ محمود ولمشروعه، وعازلة له عن حركة البحث العلمى مع تجاهل وإغفال للإشارة لكتبه ولأرائه حتى فى مسائل كان له فيها سبق مبكر وأصالة. إن أى نموذج من هذه

النماذج الـتى درستهـا، بما فيـها كـتابات جل المؤرخيـن، هو فى واقع الأمر، يمـثل نموذجاً لدراسات وكتب عديدة صدرت فى نفس المجال، وقد تجاهلت الأستاذ محمود تجاهلاً تاماً، وأغفلت الإشارة لكتبه ولآرائه ولكتب تلاميذه. الأمر الذى يكشف عن انحراف الأكاديميا السودانيـة عن المسار الصحـيح وعن مفارقـتها لإرث الرصـانة الذى ورثته من الأكاديمـيا البريـطانية. وبهـذا فهى لم تجـافِ البحث عن الحـقيقـة وإظهارها ونـشرها فحـسب؛ وإنما ساهمت فى تشـويه تاريخ الأستاذ مـحمود وسـيرته بتغيـيبه من الذاكـرة الجمعـية وتضليل غمار الناس فيـه. أكثر من ذلك، فإنها ساهمت فى صناعـة ثقافة التهميش وتعمـيقها. أبلغ من ذلك، فإنها ساهمت فى بتر المعارف فى العقول.

إن بتر المعارف فى العـقول وممارسة التهميش بـوعى وبغير وعى يعنى مجافاة الأكـاديميا لمبدأ إظهـار الحقيـقة ونشرها، ومن ثم يقـود إلى تشوه العقـول والفهوم، الأمـر الذى ساهم، وعبر تراكـمه ضمن عوامل أخرى بالطبع، فى تجمـيد حركة التغيـير فى السودان، وأدى إلى تراكم المظالم ومن ثم إلى تشظِّى السودان. إن مقدمـات التشظى وبتر أراضى الوطن تبدأ فى العقول، عبر تغـييبها وتشويهها وتضليلهـا فى معرفة الحقيقة وفى دراسـة التاريخ. مهما يكن من أمر فإن غياب الورع العلمى فى التعاطى مع الأستاذ محمود ومشروعه، وعزله من ميدان البحث العلمى فى السـودان، والإجماع على تجـاهله وإغفاله بعـدم الإشارة إليه أو إلى كتـبه وكتب تلاميـذه، أمر لا يقف عند حد التسـاؤل والاستفهام؛ وإنما يصل الأمـر إلى حد الطعن فى الأكاديمـيا السودانيـة وفى لجانهـا ومبادئهـا، الأمر الذى يجعلنا مـحقين فى الدعوة إلى إجراء المراجعات الشاملة لإرث الأكاديميا السودانية ولنظمها ولمسارها الراهن وفى المستقبل.

ترتب على تجاهل الأستاذ محمود فى مصـادر الدراسات السودانية، وإغفال الأكاديميا السودانية، وسعى المؤرخين السودانيين لتغييبه، إلى جانب الصمت العالمى، ودور التحالف الإسلامـى (أمدرمان، الـقاهرة، ومكة) فى تضليل الشـعوب وبناء الجـدار العازل لـحجب الأستاذ مـحمود عن شعـوب السودان والإسلام والعالم، ترتب على هذا أن ظل مـشروعه وسيرته بعيدة كلية عن التناول والإشـارة. لم يُنظر إليه كعظيم وبطل وثائر ومفكر صاحب سيرة ناصعة ساطعة له مشروع أصيل وجـديد وضخم، وصاحب سيرة ناصعة وساطعة، ما أجدرها أن تدرس كـنموذج إرشادى يلهـم ويعلم الأجيال والـشعوب والقـادة والمفكرين

والمصلحين. تجلى هذا التجاهل بوضوح فى الكتب العربية. فقد خلت جل الكتب العربية التى درست سير العظماء والقادة والثوار والمفكرين فى مختلف أنحاء العالم فى القرن العشرين، من الإشارة إلى الأستاذ محمود.

فقد صدرت العشرات من الكتب والموسوعات والمعاجم والتراجم العربية وتضمنت المئات من القادة والزعماء والثوار والمصلحين والمفكرين والمشاهير فى الفن والسياسة وكانوا من مختلف أنحاء العالم ولم يكن من بينهم الأستاذ محمود. الأمر هنا لا يتصل عندى بتقصير كتاب هذه الكتب، أو بنقد هذه الكتب، بقدر ما أننى أهدف إلى تسليط الضوء على هذا الاغفال كنتيجة من نتائج حالة التغييب للأستاذ محمود وحجم الحرب التى واجهها ومدى آثارها وظلالها، وكيف تم تغييبه فى مصادر الدراسات السودانية وكذلك العربية والإسلامية. قادة تاريخيون كبار فى ثورات القرن العشرين، ملوك وزعماء، وقادة عسكريون، وثوار ومصلحون، وفلاسفة ومفكرون، وعلماء ومخترعون، ومكتشفون وجغرافيون، وفنانون تشكيليون، وأدباء، وموسيقيون مبدعون. ولم يكن من بينهم الأستاذ محمود.

مصادر الدراسات السودانية

إن البحث فى مشروع الأستاذ محمود والدراسة لسيرته، يتيح الفرصة لنقد مصادر الدراسات السودانية، ويقود إلى الحديث بضرورة التعاطى معها بحذر، خاصة فى بلدان التعدد الثقافى كحال السودان. الشاهد أنه تكاد تخلو جل مذكرات طلائع المتعلمين من معاصرى الأستاذ محمود، وكتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام، وكذلك جل قوائم مصادر ومراجع دراسات الأكاديميا السودانية، ماجستير ودكتوراة، من اسم الأستاذ محمود ومن كتبه وكتب تلاميذه، برغم الإسهامات العلمية والعملية الباكرة والمعلومة والموثقة فى المناشير والمقالات فى الدوريات والبيانات المودعة فى **دار الوثائق القومية**. السؤال كيف فات على جل هؤلاء الباحثين وجود كل هذه المعلومات، الكثيرة المتنوعة، عن الأستاذ محمود وتلاميذه، فى المصادر والدوريات فى **دار الوثائق القومية** خاصة وأن جلها جاء فى صدر الدوريات وصفحاتها الأولى؟ هنا الأمر أبعد من أن يكون مرتبطاً بالحرية الأكاديمية، وإنما يتصل الأمر بالضمير والوعى والشجاعة العقلية والقدرة على

مواجهة المؤسسة الدينية ومناطحة سلطتها الدينية من فقهاء وعلماء دين... إلخ. السؤال الذى يطرح نفسه هنا، هل يمكن القول بأن الأكاديميا السودانية قد تماهت مع الفقهاء؟ ومن ثم تماهت مع العقل الثقافى السائد، واستجابت لثقافة القطيع؟ وهل يمكن الحديث عن حالة خوف انتابت جُلَّ الأكاديميين السودانيين، ولم يكونوا قادرين على مواجهة سلطة المجتمع والسلطة الدينية؟!

من المهم الإشارة إلى أن الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود لم يكن كله متعمداً ومقصوداً، فبعضه يعود لضعف التدريب الأكاديمى، وحالة الكسل العقلى، إلى جانب الغياب لإعمال الحس النقدى، وهو أمر موروث فى الأكاديميا السودانية، ويعود إلى طبيعة الجرعة التعليمية فى نظام التعليم الذى أسسه المستعمر فى بواكير القرن العشرين، فهو تعليم كان يهدف، كما ورد آنفاً، إلى تخريج الكتبة والفنيين، وليس صناعة قادة المستقبل. نتج عن ضعف التدريب الأكاديمى الاستمرار فى حالة اللا إعمال للحس النقدى، وضعف الاتصال بالمصادر ومظانها، وبالوثائق واستنطاقها. أيضاً، يكشف تجاهل الأستاذ محمود، سواء كان بقصد أو بغير قصد، وعدم الإشارة إلى كتبه وكتب تلاميذه، إلى ما تعانيه دراسات الأكاديميا السودانية، من أزمات فى المنهج وطبيعة التناول لمعالجة الموضوعات والقضايا. إن المدهش والمستغرب حقاً، ليس الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود من كاتب ما أو كتاب ما، وإنما المدهش حقاً هو هذا الإجماع على التجاهل، وهذا التحالف غير المتفق عليه وغير المكتوب. إن جل دراسات الأكاديميا السودانية بما اتضح لنا من خلال دراسة هذه النماذج فى الرسائل الجامعية أو نماذج الكتب، فإنها تواجه إشكاليات كبيرة، وتنتج عنها آثار سلبية عظيمة على الأرض وفى العقول، سواء من حيث ضعف منهج المعالجة وقصوره أو قيامها بدورها فى بتر المعارف وتغييب بعض الوقائع والأحداث، ومن ثم الخلل فى الأسس العلمية، والقصور فى النتائج والخلاصات. وكل هذا سواء كان بقصد أو بغير قصد، وسواء كان بسبب ضعف فى التدريب أو التكوين الأكاديمى أو غيره، وسواء كان بسبب تماه مع السلطة الدينية أو غيره، وسواء كان بسبب ضعف الحس النقدى أو غيره، فإنه يعنى ببساطة عبئاً إضافياً على الأمم يتمثل فى تعليق القضايا وترحيلها إلى المستقبل.

التحالف الإسلامى العريض وبناء الجدار العازل

لم يقف الأمر عند المفكرين الإسلاميين والمشتغلين بالفكر الإسلامى عند حد النهب للأفكار والإغفال والتجاهل لمشروع الأستاذ محمود وسيرته؛ بل تعداه إلى التشويه والتزوير المنظم بواسطة تحالف إسلامى عريض. استطاع التحالف الإسلامى أن يبنى جداراً عازلاً بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام وشعوب العالم أجمع. كان قوام التحالف الإسلامى الذى واجهه الأستاذ محمود، المؤسسات الإسلامية التقليدية فى مصر والمملكة العربية السعودية والسودان، إلى جانب علماء المسلمين والفقهاء والقضاة الشرعيين والحركات السلفية. أفتت المؤسسات الإسلامية التقليدية فى مصر والسعودية والسودان بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وتبنت معارضته ورفضت مشروعه. ففى السودان، كانت هناك القيادات الحزبية الإسلامية التقليدية، وهيئة علماء السودان، **والمعهد العلمى بأمدرمان** (أزهر السودان). وفى مصر **الأزهر** وبعض مشايخه وخريجيه.وفى المملكة العربية السعودية حيث المؤسسات الإسلامية التقليدية العالمية: **الندوة العالمية للشباب الإسلامى، ورابطة العالم الإسلامى**، وغيرها من أطراف الحلف.فمنذ أن تكالب التحالف الإسلامى على مشروع الأستاذ محمود، ونجح فى عقد محكمة الردة الأولى عام 1968، انفتح الباب أمام علماء المسلمين، والدول الإسلامية وتجمعاتها وروابطها، للتآمر والحرب المنظمة على مشروع الأستاذ محمود، بحجبه وتغييبه، دون أن يجد المشروع الدراسة الكافية والتقييم العلمى الأمين، ومن ثم بلغ التآمر قمته يوم الشراكة فى الاغتيال.

لقد واجه الأستاذ محمود فى القرن الماضى فقهاء وعلماء مسلمين كان منهجهم النقدى منهجاً عاطفياً خطابياً وعظياً، بينما كان منهج الأستاذ محمود بعيداً عن الخطابة والوعظ، إذ أخذ بالمنهج العلمى فأعلى من شأن التوثيق وأدوات المثقف وسبل الحداثة حيث كتابة المقال والكتب ونشر البيان والمنشور وتنظيم المحاضرة. إن التحالف الإسلامى الواسع وحالة الإجماع هذه، فى الموقف من الأستاذ محمود ومشروعه فى العالم الإسلامى، تجعل المدخل الأنسب هو دراسة العقل الثقافى السائد وتفكيكه واستنطاقه، لعل ذلك يكون أجدى من دراسة أصحاب أقلام بشكل فردى تنطلق من ذلك العقل الثقافى السائد. لقد نجح التحالف الإسلامى فى بناء جدار عازل بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام والعالم، غير

أن الذى لا ريب فيه أن هذا الجدار والذى بنى بلا حق فى طريقه للهدم وبالحق. وليس هناك معول أعتى وأصدق وأقدر على هدم هذا الجدار سوى الوعى. والوعى اليوم فى تمدد وتوسع سريع ويحمل فى داخله المفاجآت والمفارقات الناشدة للتغيير والمنفتحة بالطبع على المستقبل وأشواق الجماهير. لقد إنتهى عصر التسليم والوعظ والهتاف وبدأ عصر العلم والنقد والمنطق. كما انتهى عصر الوصاية على العقول وبدأ عصر الفرد الحر.

الأستاذ محمود والمستقبل والجولة الثانية من الحوار

ثورات الربيع العربى والتغيير الصاعد من القاعدة إلى القمة

أضع افتراضى الخاص بأن بلادنا ستكون فى المستقبل القريب وتحت ضغط مطالبها الخاصة منبعاً للفتاوى الجريئة والتخفيف عن الناس وتيسير اللقاء بالله عبر كل الدروب. أقول إن الدعوات الجديدة فى مجال الدين ستجد سندها الواقعى فى السودان فكراً وتطبيقاً وأن العالم الإسلامى سيظل دائماً يتطلع إلى السودان كقيادة للتسامح والإحياء والتجديد فى مجال الديانات (1).

محمد المكى إبراهيم، فى عام 1963

تشهد بلدان العالم العربى ما عرف بثورات الربيع العربى. إن أهم ما يميز ثورات الربيع العربى هو أنها ثورات جاءت من القاعدة وهى صاعدة إلى القمة حيث أصحاب الامتياز والحظوة. فالتغيير المطلوب والصحيح هو الذى يجىء من القاعدة كما يقول الأستاذ محمود: "التغيير لا يمكن أن يجىء من القمة وينزل على القاعدة.. العكس هو الصحيح التغيير ينشأ من القاعدة ويصعد للقمة". كما أن التغيير، كما يقول الأستاذ محمود: "بيكون محتاج لأمرين: أن يحتاجه الناس، أن يشعر الناس بالحاجة إلى التغيير، وأن يعرف الناس كيف يتم التغيير؟... ونحن نعتقد أن الذين يحتاجون التغيير أو يمكن أن يُشعروا بحاجتهم للتغيير هم عادة الناس الذين لا يجدون امتيازاً فى الحاضر". شعر الناس فى دول العالم العربى بالحاجة للتغيير فقامت الثورات. تفجرت الثورة فى مصر يوم 25 يناير 2011،

(1) محمد المكى إبراهيم، "المستقبل الحضارى فى السودان (4-4): الإنسان السودانى الجديد"، **صحيفة الرأى العام**، الخرطوم، 1963/12/15.

وقبلها فى تونس، وليبيا واليمن وسوريا، وبعدها ستحدث قطعاً، فى دول أخرى كثيرة فى المنطقة، ودول العالم الثالث، هى فى واقع الأمر ليست ثورة ضد السلطة السياسية، وتهدف إلى إسقاط النظام ورأسه فحسب؛ وإنما هى ثورة ضد العقل القديم بكل تمدداته السلطوية: السلطة السياسية، والدينية، والمجتمعية...إلخ. وبكل مكوناته الفكرية والمعرفية والدينية، وبكل أشكال تصوراته للحياة والقيم الإنسانية. إنها ثورة عقل جديد تشكَّل فى ظل معطيات جديدة، وتبلورت تصوراته عبر معارف جديدة ومهارات متعددة تتعاطى مع العصر على المستوى الإنسانى، وعابرة للأيدولوجيات المبذولة فى السوح السياسية والفكرية. بعض تلك المعارف والمهارات أكتسبها عبر التعلم الذاتى، فأصبح منفتحاً لحد الإطلاق على الآخر وعلى المستقبل. ويبحث بصدق عن معانى الحياة الحقيقية ويسعى بصدق لإقامة المعانى الإنسانية وتطبيق قيم العدل والحرية وتدفق القوانين فى الطرقات.

إن نجاح هذه الثورات فى تحقيق التغيير المنشود رهين بالاصلاح الديني الإسلامي ورهين بالتحرر من مختلف السلطات وليس السلطة السياسية فحسب. فالتحرر من السلطة السياسية ربما كان الحلقة الأسهل والأضعف، بينما الاصلاح الديني الإسلامي والتحرر من السلطة الدينية المتمثلة فى المؤسسات الدينية التقليدية ورجالها حيث فرض الوصاية على العقول وتوجيه الرأى العام، هو التحدى الأكبر الذى يواجه هذه الثورات ويحد من فرص تحقيقهاالتغيير المنشود. فالحركات الإسلامية السلفية، وحركات الإسلام السياسى وأصحاب الفهم التقليدى للإسلام، ومناهضو الانفتاح ورافضو الجديد لا يزالون يمسكون بالمفاصل وزمام الأمور فى المجتمعات الإسلامية. كما أنهم وبحكم خطابهم الدينى لا يزالون موضع ثقة واحترام فى المجتمعات، وهم الذين يوجهون الرأى العام الإسلامى. ولهذا تصطدم هذه الثورات مهما بلغت من نجاح بحركات ومشاريع الإسلام السياسى والفهم السلفى للإسلام، ولا مناص من مواجهة دينية فكرية واسعة وشاملة. بيد أن هذه المواجهة، وهى الضامن لتحقيق التغيير المنشود لا يمكن أن تكون إلا بفكرة دينية ثورية. ثورية تقود الحياة فى سبيل الإنسانية كما يقول الأستاذ محمود: "إن الثورية يجب أن تقود للحياة فى سبيل الإنسانية لا الموت فى سبيل الإنسانية"[1]. فكرة ثورية

(1) محمود محمد طه، "الوجه الآخر لمحمود محمد طه"، (حوار)، أجرى الحوار محجوب محمد شريف، من **موقع الفكرة الجمهورية**، لقاءات، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 23 فبراير 2010، الموقع على الإنترنت: http://www.alfikra.org

تكون قادرة على دحض أطروحات الإسلام السياسى، ومجابهة الفهم السلفى للإسلام، وقادرة كذلك على الردع العلمى لحاملى القديم والتخلف، وقادرة أيضاً على إقناع الرأى العام الإسلامى، وليس هناك فى تقديرى، سوى مشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام". فقد كتب حسين أحمد أمين، كما ورد آنفاً، وهو يتحدث عن كتاب: **الرسالة الثانية من الإسلام** للأستاذ محمود، قائلاً: "أُعدَّه أهم محاولة ينهض بها مسلم معاصر لتطوير التشريع الإسلامى، والتوفيق بين التعاليم الإسلامية ومقتضيات المعاصرة، دون أن يحظى فى مصر (أو فى أى بلد إسلامى خارج السودان على حد علمى) بالاهتمام الذى هو أهل له، ودون أن نلمس له تأثيراً فى اتجاهات مفكرينا ومثقفينا وجمهور شعبنا، رغم احتوائه على فكرة أساسية ثورية لا شك عندى فى قدرتها متى ما صادفت القبول لدى الرأى العام الإسلامى، على أن توفر الحلول لمعظم المشكلات التى تكتنف موضوع تطبيق الشريعة، فى إطار إسلامى". فمشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام"يعد أهم إنجاز فكرى إسلامى فى اتجاه التطوير والتجديد والتغيير والتحرير. كتب سمير أمين، كما ورد آنفاً، قائلاً: "إن المحاولة الوحيدة لقراءة الإسلام فى اتجاه التحرر كانت تلك الخاصة بالمفكر الإسلامى السودانى محمود طه. ولم تحاول أية حركة إسلامية، لا "راديكالية" ولا "معتدلة" أن تتبنى أفكار محمود طه".

الشاهد أنه لا مناص من مواجهة فكرية واسعة وشاملة، تسهم فى التعجيل بالإصلاح الديني الإسلامي وتنمى الوعى الفكرى ليتزامن مع الوعى السياسى الذى تجلى فى هذه الثورات. ولأجل هذه المواجهة فليس هناك فى تقديرى، مشروع سوى مشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام" يستطيع النهوض بهذه المواجهة لتفضى بدفع هذه الثورات إلى التغيير الجذرى المنشود. ولا مجال للحديث عن التغيير، خاصة فى دول العالم الإسلامى، دون أن يكون مشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام" جزءاً أساسياً من مستقبل شعوب هذه الدول. وهذا ما سيأتى عبر الجولة الثانية من الحوار عن الأستاذ محمود. إن الذى يفصل بين الأستاذ محمود والمستقبل هو مستوى السقف المعرفى للناس فى السودان، ومستوى الرأى العام الإسلامى. فكلما ارتفع السقف المعرفى أدرك الناس أن تصحيح المسار والدخول فى المستقبل، لن يتم إلا عبر مشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام". وهذا فى يقينى ما ستكشف عنه الأحداث والتطورات فى مقبل الأيام.

قائمة الملاحق
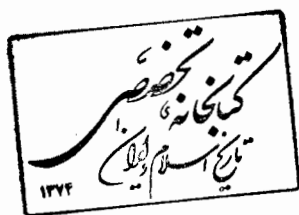
الترتيب حسب التاريخ من القديم إلى الحديث

ملحق رقم (1): محمود محمد طه، "فقد صديق"، **مجلة كلية غردون**، 8 مارس 1935.

ملحق رقم (2): محمود محمد طه، "المهندسون في رحلتهم"، **مجلة كلية غردون**، 1935/12/21.

ملحق رقم (3): تقرير أداء: الموظف محمود محمد طه، ضمن ملف الخدمة، نمرة الوظيفة (11837)، موظف نمرة: 559، بتاريخ 1941/8/26، تقرير الموظفين Staff Report، سكك حديد السودان، عطبرة.

ملحق رقم (4): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/3 يتضمن رغبته وأسباب دراسته للقانون.

ملحق رقم (5): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/25، رداً على الرد الذى تلقاه بشأن طلبه لدراسة القانون .

ملحق رقم (6): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/5/20، يتساءل فيه عن مصير طلبه برغبته لدراسة القانون.

ملحق رقم (7): خطاب إلى الأستاذ محمود بتاريخ 1939/6/14، يفيد بتحويل طلبه لدراسة القانون إلى مدير التعليم.

ملحق رقم (8)خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/10/25 يتابع سير طلب دراسته للقانون.

ملحق رقم (9): "بيان **الحزب الجمهورى** عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى"- 10ديسمبر 1945.

ملحق رقم (10): خطاب استدعاء من ج. أ. س. برايس، ملاحظ مكتب التحريات الجنائية، الخرطوم، فى 24 مارس 1946 إلى الأستاذ محمود للتحقيق معه بشأن منشورات أصدرها **الحزب الجمهورى**.

ملحق رقم (11): خطاب و. س. ماكدوال،قاضى جنايات، الخرطوم، فى 1946/5/29 إلى الأستاذ محمود للمثول أمام المحكمة بسبب منشورأصدره **الحزب الجمهورى** ضد الحكومة الاستعمارية.

ملحق رقم (12): مثول الأستاذ محمود أمام قاضى الجنايات ورفضه التوقيع على تعهد مفضلاً السجن، صحيفة الرأى العام، يوم 1946/6/3.

ملحق رقم (13): "بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس **الحزب الجمهورى**"، الأربعاء 26 يونيو سنة 1946.

ملحق رقم (14): "بيان من **الحزب الجمهورى** عن معاملة الرئيس فى السجن"، **صحيفة**

الرأى العام، 4 يوليو 1946.

ملحق رقم (15): "**الحزب الجمهورى** ينظم موكباً"، **صحيفة الرأى العام**، يوم 25 سبتمبر سنة 1946.

ملحق رقم (16): "اعتقال ثلاثة من أعضاء **الحزب الجمهورى**"، 26 سبتمبر 1946.

ملحق رقم (17): "إضراب رئيس **الحزب الجمهورى** عن الطعام"، والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه، **صحيفة الرأى العام**، يوم الخميس 27 سبتمبر 1946.

ملحق رقم (18): "مرافعة دفاع الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدنى عام 1946". أكتوبر1946.

ملحق رقم (19): "مجاهدون"، الجمهوريون والثبات على المبدأ، صحيفة الرأى العام، 28 أكتوبر سنة 1946.

ملحق رقم (20): "غداً يغادر محمود محمد طه، رئيس **الحزب الجمهورى** سجن كوبر بعد أن قضى عامين فيه"، **صحيفة السودان الجديد**، 20 سبتمبر 1948.

ملحق رقم (21): مقال سعيد الطيب الشايب الذى يؤرخ لبداية التتلمذ على يدى الأستاذ محمود 1951.

ملحق رقم (22): مقال الأستاذ محمود رداً على مقال سعيد الطيب الشايب عام 1951.

ملحق رقم (23): "وصية الأستاذ محمود مكتوبة بخط يده"، السبت 13 شعبان 1370هـ موافق 19 مايو 1951.

ملحق رقم (24): "موقف **الحزب الجمهورى** من الائتلاف"، يناير 1952.

ملحق رقم (25): بيان **الحزب الجمهورى** بشأن طلب **الحزب الجمهورى الاشتراكى** التحالف والتعاون فى النضال. محمود محمد طه، "فشل المسعى لالتقاء **الحزب الإشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى** لاختلاف المبادئ والوسائل"، (بيان) **السودان الجديد**، العدد: 1564، الأربعاء 19 مارس سنة 1952.

ملحق رقم (26): بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، الأحد 1952/6/8.

ملحق رقم (27): خطاب إلى اللواء محمد نجيب، قائد ثورة 23 يوليو 1952، 1952/8/18.

ملحق رقم: (28): صحيفة الجمهورية، لسان **الحزب الجمهورى**، العدد الرابع، الصفحة الأولى، 5 فبراير 1954.

ملحق رقم: (29): **صحيفة الجمهورية**، لسان **الحزب الجمهورى**، الصفحة رقم: 4، العدد الرابع، 5 فبراير 1954

ملحق رقم: (30): **صحيفة الجمهورية**، لسان **الحزب الجمهورى**، صفحة رقم: (4)، العدد الرابع، 5 فبراير 1954.

ملحق رقم: (31): **صحيفة الجمهورية**، لسان **الحزب الجمهورى**، العدد رقم: (16)، 12 يونيه 1954.

ملحق رقم (32): خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، 3 سبتمبر عام 1955.

ملحق رقم (33): خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، 18 أغسطس 1958.

ملحق رقم (34): بيان "**الحزب الجمهورى** يقدم دعائم الميثاق القومى"، والمطالبة بانسحاب السودان فوراً من الجامعة العربية، 1958/8/23.

ملحق رقم (35): بيان عضويتنا فى **الجامعة العربية** 18 أكتوبر 1958.

ملحق رقم (36): "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، 1958/9/6.

ملحق رقم (37): "محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة"، السبت 25 اكتوبر 1958.

ملحق رقم (38): "نموذج تقرير من التقارير عن العائدات المالية من بيع كتب".

ملحق رقم (39): "بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين"، أمدرمان فى 1968/11/19، أول بيان أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة عام 1968.

ملحق رقم (40): (اللهم إن كان محمود مرتداً فأنا ثانى المرتدين)، الجملة ذات الهوية الأخلاقية، التى أطلقها المهندس حسن بابكر ضمن مقاله: "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين"، الأربعاء 1968/12/11.

ملحق رقم (41): نص قرار **لجمع الكُتاب والفنانين التقدميين** "أبادماك"، 1969/1/10، الذى استنكر محكمة الردة، وأدان وقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود أمام القضاء الشرعى.

ملحق رقم (42): "تواتر الأخبار عما يقوم به المدعو محمود محمد طه من الفساد العظيم والإلحاد" ضمن خطاب من عبد العزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسى **لرابطة العالم الإسلامى**، المملكة العربية السعودية، إلى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، 1401/5/4هـ.

ملحق رقم (43): فتوى الأزهر بالكفر الصراح، والفكر الملحد ضمن خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، **الأزهر الشريف**، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5.

ملحق رقم (44): قرار **رابطة العالم الإسلامى** بمكة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، ضمن خطاب من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 5/ ربيع أول/ 1395هـ.

ملحق رقم (45): "الأحزاب السياسية، ذكريات: من مذكرات التجانى عامر"، 1975/4/16.

محق رقم (46): خطاب الأستاذ محمود إلى رئيس **نادى الخريجين** بمدينة مدنى عندما أغلق النادى،تاريخ الخطاب 1979/1/13.

ملحق رقم (47): **منشور "هذا... أو الطوفان!!"**، 25 ديسمبر 1984.

ملحق رقم (48): خطاب من النيل عبدالقادر أبوقرون إلى الرئيس القائد (جعفر محمد نميرى) 1984/12/29.

ملحق رقم (49): وثيقة نشرت **بصحيفة الأيام** 1985/5/26: نميرى وثالوث القصر يحكمون على الجمهوريين قبل المحكمة.

ملحق رقم (50): بيان الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم بتاريخ 1985/1/10.

ملحق رقم (51): مذكرة نقابة المحامين إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 1985/1/12.

ملحق رقم (52): بيان من سكرتارية اللجنة المركزية **للحزب الشيوعى السودانى**.

ملحق رقم (53): بيان السودانيين المقيمين بالكويت بإدانة تنفيذ حكم الإعدام فى الأستاذ محمود وأحكام الإعدام ضد أربعة آخرين.

ملحق رقم (54): مذكرة عبد الله على إبراهيم إلى الناخبين الخريجين فى العاصمة القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة فى القانون الجنائى، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفى طه الكباشى، قاضى محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالمملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب إيذائه مخالفيه فى الرأى.

ملحق رقم (55): خطاب من المؤلف إلى الأمين العام لدار الوثائق القومية السودانية بشأن **جريدة الجمهورية**، لسان حال **الحزب الجمهورى**، والتى صدرت فى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى

ملحق رقم (56): رد دار الوثائق القومية على خطاب المؤلف بشأن **جريدة الجمهورية**، لسان حال **الحزب الجمهورى**، والتى صدرت فى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى.

ملحق رقم (1)

فقد صديق

المصدر: محمود محمد طه، "فقد صديق"، **مجلة كلية غردون**، العدد 3، مج 4، 8 مارس 1935.

لين فى الجانب، ودماثة فى الأخلاق، وقسط موفور من الوفاء، وحفظ الوداد إلى رباطة جأش، وصلابة عود وحسن مبدأ، كل هذه الصفات كانت تطالعنى من صديقى أبى طالب. فكنت أجد فيها المتعة والهناءة وكانت تدفع بنفسى دفعاً إلى مصادقته وإنمائه وتملك على إعجابى به وتقديرى له حتى أشعر من أعماق نفسى أنى أنشد فيه المثل وأرى فيه بريق الرجولة الجبارة.

وكان هو بجسمه القوى، وروحه المرحة، الطاهرة طهارة الطفل يستخف بأعباء الحياة وعنت الليالى فيؤمل لا كآمال من حولنا من الناس تلك التى لا تعدو خفض العيش وأناقة الملبس. وكان يحلم لا كما يحلم عامة الناس ولكن آماله وأحلامه كانت تجمع إلى وقار الشيخ وحنكته حرص الشباب ومسرته فكان طامحاً من غير تكلف، غيوراً من غير تعملّ كأنه كان يستيقن أنه لم يخلق ليعيش كعامة الناس ولم تتلبس به الحياة إلا ليعلو بها سمتاً فوق سمت، وأن يبتعد بها عن حياة الذر والهوام كأنه كان يستيقن من كل هذا ولم يكن بحسبانه أن هذا الجسم القوى قد آن أن يمضى الى عالم الخفاء وأن يحول الى جثة هامدة لا حراك لها وأن هذه النفس القادرة على مناهضة الحوادث قد آن لها أن تنطلق من قفصها سابحة فى عالم الأرواح والأحلام.

ومن يدرى لعله لم يكن بحسبانه أن هذا الجسم [المديد] سيحل به غائل المنون قبل أن يرسل له نذير الشيخوخة فيعمل فى هد أركانه وأبانة [جناته] إذا خار وارتعش أصبح للموت عليه سلطان وتصديق وأن هذه النفس الطامحة المتطلعة إلى أسمى الغايات سيتغلب عليها الموت الزؤوم فيقطع الأسباب بينها وبين عالمنا هذا قبل أن تمعن فى تخليد حسن الذكر وطيب الأحدوثة. ولعلك لا تجد فى هذا شيئاً من الغرابة، فإن من الشباب أمثال الفقيد معنى من السخرية والاستخفاف والاعتداد والشره لوفقدوها لعادوا شيوخاً

تنقصهم التجربة والحكمة ولإن يكن قد أودى فقد غادر نفوساً تشجى دموعاً وأسى وألسنة تبلبل وأكباداً تتفطر وحشاشات تذوب من فـرط الحزن وزفرات تتصاعد من الأسى وأناساً هم أحـوج ما يكونون إلـيه. نعم إن يكن قـد أودى فـقد ترك فى نفـوس أصـدقائه ذكـرى تشوبها التجلة والاكبار والشفـقة والحنان وليت شعرى هل فى مكنة أحد أن يقف أمام هذه الكارثة غير موقفنا هذا من الحزن والأسى ألا رحم الله محمـداً فقد كان قوى النفس طيبها ماضى العزيمة نافذها، وألهم آله حسن العزاء ما يكفل لهم حسنة الدنيا والآخرة .

ملحق رقم (2)

المهندسون فى رحلتهم

المصدر: محمود محمد طه، "المهندسون فى رحلتهم"، **مجلة كلية غردون**، العدد الثانى، 21 ديسمبر1935، الخرطوم.

أُسبوع ولا كالأسابيع ذلك الذى أمضيناه فى نجاد كررى فى معية أستاذنا الهمام إبراهيم أفندى أحمد(1) فكان فى حياتنا المدرسية هذه كالحلقة الذهبية فى السلسلة الفولاذية أم كان كذلك وأصفى أديماً وأشد بريقاً من ذلك.

أُسبوع أمضيناه بمعزل من ضوضاء المدن وتأنق المدنيين وتكلفهم ذينك اللذين يجعلان هذه الحى أشد تعقيداً وأكثر تحرجاً مما هى فى حقيقة أمرهاكنا نلتقى إذا كان المساء فنقارن نتائج عملنا فى النهار ثم يقدم كل من قضوا شطراً من زمنهم مع أحد المنتقلين فى قياس الزوايا انتقاداً يكون قد أعده عن مواضع الضعف فى استعماله للآلة وكان الأستاذ يتلو علينا ذلك ثم يلفت أنظارنا الى الغلطات المشينة فى شىء من لين الجانب وحلو الدعابة ثم نمضى فى ذلك إلى آخره حتى إذا فرغنا من شغل يومنا تناولنا شغل غدٍ بالتقسيم والترتيب فإذا ما فرغنا من ذلك أيضاً وفهم كلنا ما سيقدم على عمله إذا كان الصِباح وأخذ له أهبته من تسطير وما إلى ذلك عدنا فاخذنا بأطراف الحديث فى شىء غير قليل من الغبطة والسرور وكان القمر يطلع علينا من فوق الأفق فيغبطنا على هذا الاجتماع الذى لم يكن

---

(1) ولد إبراهيم أحمد عام 1898 فى حلفا (دغيم) بشمال السودان. تخرج فى قسم المهندسين بكلية غردون عام 1920، وعين فور تخرجه أستاذاً بالكلية وفى عام 1925 صار كبير الأساتذة السودايين بمدرسة الهندسة. أوفد فى بعثة إلى المملكة المتحدة فى عام 1938، فعين مراقباً لشئون الطلبة بالكلية ثم نائب لمدير الكلية حتى تقاعده ثم اختير أول رئيس لمجلس **جامعة الخرطوم**. من مؤسسى مؤتمر الخريجين انتخب عضواً فى اللجنة التنفيذية لمؤتمر الخريجين فى دورات عديدة. انتخب رئيساً لمؤتمر الخريجين فى الدورتين الخامسة والسادسة، وفى عهد رئاسته للدورة الخامسة تقدم المؤتمر بمذكرته الشهيرة مطالباً بحق تقرير المصير بعد انتهاء الحرب مباشرة. قاطع عضوية المجس الاستشارى لشمال السودان تنفيذاً لقرار المؤتمر بالمقاطعة. من مؤسسى **حزب الأمة** وصار ممثلاً للاستقلالين فى لجنة الحاكم العام فى أول فترة الحكم الذاتى. اختير وزيراً للمالية 1957-1958 وظل فى منصبه حتى نهاية العهد الديمقراطى فى 17 نوفمبر 1958. من مؤسسى البنك التجارى عام 1960 وصار مديراً له حتى تأميمه عام 1970. المصدر: المصدر: المعتصم أحمد الحاج، **معجم شخصيات مؤتمر الخريجين**، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2009، ص 43-45.

له منه حظ ويرسل أشعته علينا فى شيء كثير من الإسراف كأنما علم أننا فى شغل عنه فأراد أن يلفت أنظارنا إليه وكما ننظر إليه فيستهوى ألبابنا ويملك علينا مشاعرنا وكان يثير فى نفوسنا لوناً من البهجة مصدره على ما اعتقد هذا الانشراح وهذا السرور اللذان يبدوان على وجهه الوضاء ثم نظل كذلك فى أخذ ورد وحوار وجدال حتى إذا ما نال منا السهاد ودب إلينا نذير الكرى ذهبنا إلى مضاجعنا لنفارقها إذا كان الصباح الباكر كل إلى حيث يؤدى ما أوكل إليه أداؤه حتى إذا انتهى النهار إلا أقله عدنا ادراجنا إلى خيامنا نتحامل تحامل من أخذ منه التعب وأضناه الكدح ولكننا لم نلبث غير ساعة أو بعض ساعه بعد تناولنا طعام الغداء حتى يعاودنا نشاطنا ويلح علينا ميلنا المثمران فكنت لا ترى منا أحداً بعد حلول الساعة الثالثة والنصف إلا وهو يعد نفسه ليحمل آلة من آلات المساحة إلى حيث يتمرن بها على ما يرى أنه فى حاجه الى مراسلة حتى إذا غربت الشمس تسللنا إلى خيامنا من كل فج لنستحم فى النهر ونعد أنفسنا للقاء القادم ولم نزل كذلك حتى كان اليوم الأخير من غفلة الدهر فيممنا شطر جبال سرغام حيث تغيب أباؤنا لنرى برميلاً بنته مصلحة المساحة على قمة الجبل ليضع عليه مساحوها التيودولايت اذا ما أرادوا أن يروا فى مسافات بعيدة ولكننا لم نكد نبلغ الجبل حتى خيل إلىّ أن صوتاً واضحاً جلياً ينبعث فى اذنى مردداً قول فيلسوف المعرَّة

خفف الوطء ما أظن أديم ■■ الأرض إلا من هذه الأجساد

سر إن استطعت فى الهواء رويداً ■■ لا اختيالاً على رفات العباد

وقبيح بنا وإن قدُم العهـ ■■ ـد هوان الآباء والأجداد

فكنت ترى الجبل واقعاً وسط أرض مسطحة كان آباؤنا قد آووا إليه فرفع صدره أمامهم واحتضنهم خلفه على نحو ما تفعل الدجاجة بأفراخها وكانوا هم راكدين خلفه كأسد الشرا ولكنهم كانوا قوماً لا يعرفون المواربة والرياء وكانوا يرون سبة عليهم انتظارهم الموت يسعى اليهم فى معاقلهم فتسللوا من خلف الجبل ركضاً على جيادهم يرومون بها الى مواضع العطب والبوار وكان الجبل قد هم بمنعهم قدر أطرافه فى كل جهة محاولاً صد ابنائه البررة الى حضنه حتى إذا أزفت الساعة وحانت الفرصة جاد بهم عن طيب خاطر

ولكن الرغبة الجامحة التى كانت قد سيطرت على أبنائه قد دفعت بهم دفعاً فمرقوا من قبضته مروق السهم ولكنهم ما كادوا يبلغون السهل الذى أمامه حتى طفقوا يتساقطون تساقط أوراق الشجر ولم يمض غير قليل حتى انكشف الأفق عن أشلاء متناثرة وجثث هامدة ودماء اتخذت طريقها إلى النهر اتخاذاً وعن آمال قدم قد أمست بادية وكأن بالجبل يحملق بعينيه على ذلك السهل فى شيء من التأنيب على إغرائه بأبنائه وكأنه كان أيضاً ينظر رفات القوم المبعثرة نظرة يشوبها الحزن المحض والهلع المميت ولكنها لا تخلو من هذا التأنيب الذى يوجهه من بعض النصح الصائب من أن يكون عن النصح أصم ولكن ليته علم أن لكل أجل كتاباً إذن لكان له من ذلك مخرج من هذا الحزن الذى يحز قلبه حزاً ويفتت لبابه تفتيتاً.

محمود محمد طه

ملحق رقم (3)

تقرير الموظفين Staff Report، محمود محمد طه، بتاريخ 1941/8/26. المصدر: ملف الخدمة

SUDAN RAIL'

2010

STRICTLY CONFIDENTIAL

STAFF REPORT.

Name Mahmoud Eff. Moha. Taha Appointment Asst. Supt. [illegible] Works

Date of Birth 1.1.1916 Date of Appointment 2.2.36

Station Atbara Unqr. Scale J/H Status Present Pay [illegible] Per Annum

Date of last increase 2.2.41 Date of last promotion

Nationality Sudanese

1. Knowledge English Good

2. Details of present duties [illegible] office and relief on Districts

3. Date of last examination

4. Certified efficient for Relief duties

5. Conduct Satisfactory

6. Punctuality Good

7. General ability Fairly good

8. Capacity for control of staff not known

9. General remarks as to future promise

This man is at present a poor draughtsman, and his future will apparently depend on his efficiency outside. He does not give the impression of being keen on his work, and his manner is not calculated to give a good impression.

Date 26.8.1941 Signature [illegible]

REMARKS BY HEAD OF DEPARTMENT.

Independent in nature. I believe he is quite a good [illegible] official & I think his character is good & his apparently surly manner is due to a suppressed [illegible]. I think he will prove an asset to the dept in time.

[illegible]
CE 31/8/41

ملحق رقم (4)

خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/3، يتضمن رغبته وأسباب دراسته للقانون.

المصدر: ملف الخدمة

COPY

Kassala,
3.4.39.

The Chief Engineer, S.R.
Thro' District Engineer, Kassala.

Sir,

I have a pungent desire to join the Sudan School of Law for District Magistrates.

My sole aim is the search for a possible source of increased enlightenment.

I would be grateful if you kindly pass this application to the Legal Secretary and enable him to put my name down among his candidates and have me informed of the date when I will be needed to report for the examination.

I beg to remain,
Sir,
Your most obedient servant,

(Sgd.) Mahmoud Mohamed Taha

A/S-W. & W.
Kassala.

ملحق رقم (5)

خطاب من الأستـاذ محمـود بتاريخ 1939/4/25، رداً على الرد الذى تلقاه بشـأن طلبه لدراسة القانون.

COPY

Aroma,
25.4.39.

APPLICATION TO JOIN THE SUDAN SCHOOL OF LAW.

Chief Engineer, S.R., Atbara
Thro' District Engineer, Kassala. (Sgd.) M.L.J.M.E.
3/5

Sir,

Ref. your reply to my application re the above subject.

I do not know for certain when the competitive entrance examination will be held.

There is a rumour that goes to say that the School will be run in 1942 or after.

If such is right, I shall not be too young by then.

I, however, want you to kindly pass my letter to the Legal Secretary for inclusion and if, at the ripe time for opening the School, I am condemned as underaged I shall at the very least stand foremost for the next chance.

Hoping you shall excuse my intrusion upon your precious time.

I beg to remain, Sir,
Yours obediently,

(Sgd.) Mahmoud Mohed. Taha

A/S. W. & W.
Kassala.

ملحق رقم (6)

خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/5/20، يتساءل فيه عن مصير طلبه برغبته لدراسة القانون

COPY

[illegible],
20.5.39.

Chief Engineer - Atbara
Thro' District Engineer, Kassala.

(Sgd.) F.L.J.M.E
A/D.E.

Sir,

I have received your letter in reply to mine of the 25th April concerning my application for the School of Law.

I very much regret to have to be so argumentative.

I said in my last letter to you that a rumour said the school will not be run before 1942. I am afraid, I cannot very well trust that and stay where I am unlikely to hear of any fresh news.

I want to hear from well informed authorities and that will be guaranteed by your passing my application.

I should be very grateful if you kindly pass my application, with further apologies for this unfortunate intrusion upon your precious time.

I beg to remain, Sir,
Yours obediently,

(Sgd.) Mahmoud Mohed. Taha.

ملحق رقم (7)

خطاب إلى الأستاذ محمود بتاريخ 1939/6/14، يفيد بتحويل طلبه لدراسة القانون إلى مدير التعليم

GENERAL MANAGER'S OFFICE,
(PERSONNEL)
ATBARA, 14th. June 9

GM/1042.35/3

Chief Engineer,
Atbara

MAHMOUD EFF. MOHAMMED TAHA

Your CE/Pers/559 of 31.5.1939.

The application of the above named official dated 3.4.1939 for admission into the Khartoum School of Law has been forwarded to the Legal Secretary, Khartoum who replied as follows :

" the application of Mahmoud Eff. Mohammed Taha will be passed to the Director of Education for action."

C Dewdney
ESTABLISHMENT OFFICER
16/6/39

ملحق رقم (8)

خطاب من محمود محمد طه بتاريخ 1939/10/25 يتابع فيه سير طلب دراسته للقانون.

المصدر: ملف الخدمة

REF/ CE /Co.

1 OCT 1939
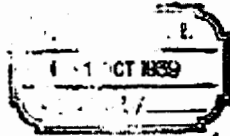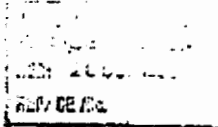
Atbara
25/10/39

School of Law.

Chief Engineer.
Thro' District Engineer Atbara.

D.E.
Atbara
26/10/39.

Sir.

I refer to your CE/Pers/559 of 17th June 1939.
I have not yet received any definite reply to my application to the Legal Secretary of 3rd April.
May your Office kindly inquire or remind?

I beg to remain,
Sir,
Yours most obediently.
Mahmoud Mohamed Taha.
A/S. W & W.
Atbara.

E.O.
Passed in reference to your letter Sm/10 K2. 85/8 of 14.6. 1939. Please endeavour to reply

29. 10. 39

for CE

ملحق رقم (9)

بيان **الحزب الجمهورى** عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى - 10ديسمبر 1945

(النص)

بسم الله الرحمن الرحيم

"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"

مقدمـــة

أمـا بعد فـهـذا هو السفـر الاول من سلسلة أشـعار سيطالع بهـا **الحزب الجمهورى** السـودانيين عن سياسته وأساليبه ولقد كـان الطبيعى أن يكون أول الأشعـار عن تلك السياسة وتلك الأساليب لولا أن ذلك القانون العجيب قانون الخفاض قد فاجأنا ... فرأينا أن نبادر برأينا فيه فى هذا السفر الأول.

وطريقة الأشعار هذه نحن عليها مسبوقون ذلك بأنها طريقة معروفه لدى كثير من الأحزاب فى الخارج وقد دفعنا الى اتخاذها فى الوقت الحاضر ما نلقى من رفض لنشر أخبارنا فى بعض الصحف المحلية كالصوت والرأى العام اللتين طاب لمحرريهما أن ينصبا نفسيهما قيمين على الشعب السودانى.

أ- أساليب عتيقــه

لا نريد بكتابنا هذا أن نقف موقف المدافع عن الخفاض الفرعونى ولا نريد أن نتعرض بالتحليل للظروف التى أوحت به لأهل السودان والضرورة التى أبقته بين ظهرانيهم الى يومنا هذا ولكننا نريد أن نتعرض لمعاملات خاصة وأساليب خاصة وسنن خاصة سنتها حكومة السودان أو قل ابتدعتها ابتداعاً وأرادتنا أن ننزل على حكم ابتداعها إرغاماً- والصلة بين الخفاض الفرعونى وبين هذه المعاملات الخاصة والأساليب الخاصة والسنن المبتدعة هى أوجه الشبه بين الظروف الحالية التى ارتأتها حكومة السودان مناسبه لإثارته

والظروف التى أوحت إليها فيما مضى بإبتداع هذه المعاملات والاستزادة من هذه الأساليب واستنان هذه السنن التى فككت أوصالنا وأضعفت مجتمعنا وصورتنا فى أبشع الصور وقتلت فينا الشعور بكياننا جماعة وأفراداً والتى ما كان لنا أن نتظاهر بالرضى عنها لولا علالة من أمل فى الحكومة أبقاها حسن الظن فى نفوسنا وثمالة من رجاء قضت عليها ثقتنا بأنفسنا وتصورنا للعالم الخارجى بصورة ساكنى الكهوف فيما قبل التاريخ من الآيات الدالة على سوء القصد فى هذه الأساليب أثارة مسألة الخفاض الفرعونى فى هذا الظرف وأساليب الدعاية التى طرقتها والطرق التى ارتأتها مناسبة لإبطاله والقضاء عليه وقد جاءت هذه الآيات دليلاً واضحاً على التضليل المقرون بسبق الاصرار ولهذا رأينا من المناسب أن نناقش مثل هذه الأساليب بطريقة خالية من المداجاة والمراوغة وفى غير تعنت بتطلع المواطنين على مكامن الضعف فيها ومغافره علهم يدركون فداحة الخطر المترتب على النظر للأشياء من وجه واحد واستساغة الدسم الممزوج بالسموم فيسارعون إلى الحمية ويعتصمون بحبل الشجاعة الأدبية فى إبداء الرأى الصريح.

ب- لماذا أثيرت مسألة الخفاض الفرعونى

للسائل أن يسأل لماذا أثارت الحكومة مسألة الخفاض الفرعونى؟ وله أن يسأل لماذا أثيرت فى هذا الوقت بالذات - وله أن يسأل أيضاً لماذا أثيرت فى البرلمان الإنجليزى- ولماذا تبودلت الرسائل فى شأنها مع ...- ولماذا لجأت الحكومة الى القانون لإبطالها ولماذا كانت هذه الصرامة فى القانون؟ نعم للسائل أن يسأل هذه الأسئلة وله أن يقتنع بأى رد يقال له إذا كان على جانب من البساطة والسذاجة وضيق الأفق ولكن الذين علمتهم التجارب أن يستشفوا الحقائق الكافية وراء كل حركة تقوم بها حكومة السودان لن يجدوا ما يبرر قبولهم للرد القائل بأن المسألة قد أثيرت إشفاقاً بالمرأة لانهم لا يجدون أثراً لمثل هذا الإشفاق فى مدى الخمسين عاماً التى مكثتها حكومة السودان وتقصيرها ظاهر ملموس فى ناحية المرأة التعليمية والاجتماعية والصحية.

ج- لم تثر المسألة إشفاقاً بالمرأة

أما من الناحية التعليمية فالحكومة قد تجاهلتها وأسقطتها من حسابها ردحاً من الزمان ولم تتبرع فى تعليمها إلا مؤخراً ولأنها لما بدأت تعليمها ضيعته لدرجة مخجلة مزرية وحصرته فى التعليم الأولى وفى معهد واحد آخر يرتفع قليلاً فى مستواه على مستوى المدارس الأولية إضطرت لإنشائه للحصول على حفنة من المعلمات ليقُمن بمهمة التدريس فى تلك المدارس ولأنها حين وضعت البرنامج لهذا القدر من التعليم لم تراع فيه ما يجب مراعاته فى تعليم بنت مسلمة فى قطر إسلامى ولم تعدها لتدبير بيت منتظر وتعهد طفولة مرتقبة وسياسة زوج لا يمكن أن يربطه بوكر الزوجية سوى خلق قويم.

وأما من الناحية الصحية فلأنها لم توفر طبيباً سودانياً واحدا من أطبائها للتخصص فى أمراض النساء وعلى كثرتها- ولم تلتفت أقل التفات وعدم اهتمام الحكومة بناحية التعليم والصحة والبقاء هو ما يدعو الحذر للجزم بأن المسألة لم تثر إشفاقاً بالمرأة.

د- هل لمسألة الخفاض الفرعونى علاقة بتقرير المصير؟

عندما أثيرت قضية الهند المزمنة أثناء هذه الحرب كان من بين المهتمين بها صحفى إنجليزى يدعى بفرلى نكولز دفعت به إنسانيته وإشفاقه الزائد ليكتب تقريراً عنها ينور به أحرار الغرب (الذين إستطاع الهندوس بالحاحهم فى الإيحاء بأن يقنعوهم بأنهم هم الهند وأن كل محاولة لتقسيم الهند تكون محاولة خبيثة من الإنجليز قائمة على المبدأ المقرر" فرق تسد".

وقد أبت همة ذلك الصحفى إلا أن يتعرض فى تقريره لكل صغيرة وكبيرة فلم يترك عادة مستهجنة ولم يفته التعرض لحالة البؤس والشقاء التى [يرنح] الهنود فى أغلالها كما لم يفته التكلم عن (الديفاداس) هيكل ... اللائى يحترمن تلك المهنة خوفاً من الله واحتساباً كما لم ينس التعرض للانقسامات الطائفية والأمراض وسوء النظام والخرافات الشعوذية والطعن فى **حزب المؤتمر** ودكتاتورية زعيمه غاندى عدو المنبوذين؟ ولفت النظر للسيد جناح رئيس العصبة الإسلامية ولم يخف تأييده له والدعاية لإقامة إمبراطورية المسلمين المنفصلة(الباكستان) وتمجيد الدكتور امبدكر زعيم المنبوذين- والإشادة بذكره وتوجعه لمعاملة الهندوس له كما لم يخف حسرته على" الأطفال الذين أعماهم أباؤهم

ليكونوا فى المستقبل مصدر دخل فى سوق التسول وإستنكار للعادة المتبعة عند الجنود الهنود" هل تمنحنى إجازة شهر يا سيدى لأذهب واقتل ابن عمى".

نعم لم يغفل تقرير ذلك الصحفى كبيرة ولا صغيرة ولكنه أغفل شيئاً آخر وهو حصر مسئولية الفقر والمرض والبؤس وتحميل الاستعمار الإنجليزى نصيبه الوافر منها كما أنه لم يوضح لنا لماذا لم تتخذ حكومة الهند إزاء إستئذان الجنود لسادتهم وحمل عيون الأطفال ما اتخذته حكومة السودان من قانون بشأن الخفاض الفرعونى؟ ولماذا لم يبادر الصحفيون الإنجليز لرفع مثل هذا التقرير قبل إثارة المسألة الهندية؟ والجواب على هذه الأسئلة هو بالطبع ما قرره بفرلى فى تقريره وهو وجوب بقاء الإنجليز فى الهند لإزالة ما جاء فى ذلك التقرير ولو قدر لذلك الصحفى أن يزور السودان حين تشتد المطالبة بتقرير المصير أو الجلاء ليرفع تقريراً ينور به أحرار الغرب وقدر لنا أن نطل على ذلك التقرير لرأيناه يتعرض فى أولى صفحاته للخلافات العنصرية والدينية التى خلقتها هيئات التبشير أو أضرمت سعارها دعايات أعداء الإنسانية الذين يفككون أوصال الإنسانية ويبذرون بذور الشقاق بين أبناء الوطن الواحد باسم المسيحية والمسيحية بريئة مما يبذرون. ولرأيناه يرد فى إسهاب مفرط أنواع الشقاء والتعس والمرض والوحشية وسوء النظام ويحملنا تبعتها دون أقل إشارة للأيدى الجائرة والعقول الماكرة التى أضافت إلى منجم السياسة كلمات السودان المسلم والسودان الزنجى والسودان الشمالى والسودان الجنوبى والتى شلت أيدينا عن انتشال مواطنينا الجنوبيين من بؤرة الشقاء والمرض والجهل والعرى ولرأيناه يطالب ببقاء الإنجليز للقضاء على الجزام والعماء والتسول التى ابتلانا بها النازحون تحت حماية الإنجليز ولرأيناه يشير إلى بقايا (أبى صليب) والخرطوم الغربى اللائى يقمن بخدمة جيوش الإمبراطورية خوفاً من الله واحتساباً دون أن يشير أقل إشارة لما تكتبه جرائدنا المحلية أو إلى تشويه سمعتنا فى الشرق كما شوهتها فى الغرب.

هـ- قانون عجيب

لاشك أن مجرد التفكير فى الالتجاء إلى القانون للقضاء على عادة مستأصلة فى النفوس، استئصال الخفاض الفرعونى، دليل قاطع على أن حكومة السودان إما أن يكون

قد رسخ فى ذهنها أننا شعب تستطيع القوة وحدها أن تثنيه عن كل مبدأ وعقيدة أو أن تكون قد أرادت أن تقول للعالم الخارجى أن السودانيين قوم متعنتون وأن تعنتهم الذى ألجأنا للقانون لاستئصال عادة الخفاض الهمجية هو التعنت الذى وقف فى سبيلنا وشل أيدينا عن استثمار الأراضى الواسعة الخصبة فى الجنوب والإستفاده من مياه الدندر والرهد والأتبرا والتوسع فى التعليم.

هذا من ناحية الالتجاء إلى القانون وأما القانون فى ذاته فهو قانون أريد به إذلال النفوس وإهدار الكرامة والترويض على النقائص والمهانة- قل لنا بربك أى رجل يرضى بان يشتهر بالتجسس على عرض جاره وأى كريم يرضى أن يكون سبباً فى إرسال بنات جاره أو صديقه أو عشيره للطبيب للكشف عليهن؟ عجباً لكم يا واضعى القانون أمن العدل والقانون أن تستذلونا باسم القانون؟ أو من الرأفة بالفتاة أن تلقوا مكاسيها فى أعماق السجون.

و- عتاب

إخواننا أعضاء المجلس الإستشارى- عفا الله عنكم. لماذا لم ترسلوها صرخة داوية ضد سن القانون- إلا أنكم استهنتم بكرامة مواطنيكم كما استهان بها واضعو القانون؟ أم رضيتم لأمتكم التشهير والتحقير ولفتياتكم ركوب عربات البوليس ولأمهاتهن وعماتهن وخالاتهن دخول المحاكم والسجون؟ مع علمكم برسوخ العادة وسلامة الطبع وتقديس العرض وتنفير القانون؟؟

خ- عهد

أيها السودانيون لقد جاء بياننا شارحاً ما كان متنبئاً بما سيكون وسوف تقدم لنا بعد هذا مشاريع كثيرة باسم الإصلاح ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب - قد تجوز فيها الخدعة على الكثيرين ولكن **الحزب الجمهورى** قد قطع على نفسه عهداً بأن يكشف القناع عن متشابهها ويحذر من خطرها ويعمل بإزالتها ولن يخشى بعد اليوم أحداً وعلى الله توكلنا هو مولانا نعم المولى ونعم النصير.

ملحق رقم (10)

خطاب استدعاء إلى الأستاذ محمود من ج. إ. س. برايس، ملاحظ مكتب التحريات الجنائية، الخرطوم، فى 24 مارس 1946 للتحقيق معه بشأن منشورات أصدرها الحزب الجمهورى[1].

CID/36.H
Criminal Investigation Department
P.O.Box 288 Khartoum,
24 March, 1946
Mahmoud Mohed Taha,
Merchant, Omdurman,
Dear sir,

You are hereby required to attend at the C.I.D office at 9 a.m on 25/3/46 to answer questions respecting some circulars purporting to have been issued by the Republicans. Please acknowledge receipt of the letter

Yours Faithfully,
(G.E.S Price)
Superintendent, C.I.D.

(ترجمة الخطاب كما جاءت فى المصدر)

مكتب التحريات الجنائية
36هـ/ م.ت.ج
ص.ب 288 الخرطوم
فى 24 مارس 1946
محمود محمد طه
تاجر[2]
أمدرمان

---

(1) المصدر جاء الخطاب ضمن كتاب: الإخوان الجمهوريون، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية**، الكتاب الثانى، ط1، 1976.

(2) وردت ملاحظة فى المصدر تقول: تاجر، وليس بوصفه رئيساً للحزب الجمهورى.

السيد المحترم

بموجب هذا مطلوب حضورك بمكتب التحريات الجنائية الساعة 9 صباحا يوم 25/3/64 للإجابة على أسئلة تتعلق بمنشورات يعتقد إنها صدرت عن الجمهوريين ... أرجو التكرم بالتوقيع باستلام هذا الخطاب.

المخلص

ج.إ.س برايس

ملاحظ، مكتب التحريات الجنائية

ملحق رقم (11)

خطاب إلى الأستاذ محمود من و. س. ماكدوال، قاضي جنايات، الخرطوم، في1946/5/29 للمثول أمام المحكمة بسبب منشورأصدره الحزب الجمهوري ضد الحكومة الاستعمارية[1]

Summons on information of a probable Breach of the peace.
(see sections 81 and 84)
To Mahmud Mohed Taha,
Contractor, Omdurman.

Whereas it has been made to appear to me by credible information that you have issued a pamphlet which is deemed to be likely to excite feelings of disaffection to the government and to lead to a breach of the peace or to disturb the public tranquility:

You are hereby summoned to attend in person at the Police Magistrate's Court on the 2nd day of June, 1946 at 08:45 a.m to execute a bond for 's 50 and also to give security by bond of one surety in the sum of 's 50 that you will keep the peace and refrain from illegal acts likely to disturb the public tranquility for the period of two years or to show cause why you should not execute such bond and give such security.

Dated this 29th of May, 1946
W.C. McDowell
Police Magistrate,
Khartoum

(ترجمة الخطاب)

"ورقة تكليف بالحضور للإدلاء بمعلومات تتعلق باحتمال الإخلال بالسلام"
"انظر المادتين 81 و 84"

(1) المصدر جاء الخطاب ضمن كتاب: الإخوان الجمهوريون، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية**، الكتاب الثاني، ط1، 1976.

إلى محمود محمد طه، مقاول(1)، أمدرمان.

بما انه قد تبين لى بمعلومات موثوق بها انك قد أصدرت منشوراً يعتقد أنه من المحتمل أن يثير الشعور بالكراهية ضدالحكومة ويؤدى إلى الإخلال بالسلام، أو إلى إزعاج الطمأنينة العامة.

فأنت بموجب هذا، مطلوب حضورك شخصياً للمثول أمام محكمة الجنابات فى اليوم الثانى من يونيو 1946 الساعة 8:45 صباحاً لتوقع على كفالة مالية قيمتها خمسون جنيهاً، وأيضا لتوقع على كفالة بواسطة ضامن واحد بمبلغ خمسين جنيها على أن تحفظ السلام وتمتنع لمدة سنتين عن القيام بالاعمال غير المشروعة والتى من المحتمل أن تخل بالطمأنينة العامة، أو تبين السبب الذى يمنعك عن التوقيع على هذه الكفالة وهذا الضمان..

بتاريخ اليوم التاسع والعشرين من مايو 1946

و.س ماكدوال
قاضى جنايات، الخرطوم

(1) وردت ملاحظة فى المصدر تقول: مقاول، وليس بوصفه رئيساً **للحزب الجمهورى**.

ملحق رقم (12)

مثول الأستاذ محمود أمام قاضى الجنايات ورفضه التوقيع على تعهد مفضلاً السجن

المصدر: **صحيفة الرأى العام**، يوم 1946/6/3

(نص الخبر)

رئيس الحزب الجمهورى فى السجن

مثل الأستاذ محمود محمد طه المهندس أمس أمام قاضى الجنايات المستر مكدوال متهماً من بوليس الخرطوم تحت قانون التحقيق الجنائى لتوزيعه منشورات سياسية من شأنها الإخلال بالأمن العام.

وقد أمره القاضى على أن يوقع على صك بكفالة شخص بمبلغ خمسين جنيها لمدة عام لا يشتغل خلالها بالسياسة ولا يوزع منشورات أو أن يودع السجن لمدة سنة إذا رفض ذلك.

ولكن الأستاذ محمود رفض التوقيع مفضلاً السجن.

وقد اقتيد لتوه إلى سجن كوبر ولم تستغرق هذه الإجراءات كلها غير وقت يقل عن الساعة .

ملحق رقم (13)

بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس **الحزب الجمهورى**

المصدر: **صحيفة الرأى العام**، فى يوم الاربعاء 26 يونيو سنة 1946

ظهرت بيانات فى الصحف المحلية حديثاً بخصوص محمود محمد طه الذى هو الآن تحت الحراسة بالخرطوم بحرى نتيجة لرفضه أن يمضى كفالة المحافظة على الأمن - وهذه البيانات قد احتوت على معلومات غير دقيقة والحقائق كالآتى: لمدة يومين رفض محمود محمد طه أن يشتغل وهذا يخالف قوانين السجن فلم يعمل له أى شئ فى اليوم الأول أما فى المرة الثانية فقد حكم عليه بالبقاء ثلاثة أيام (بالزنزانة) (والأكل الناشف) - ولو أنه رفض أيضاً أن يقف عند الكلام مع ضابط السجن فإن العقوبة التى نالها الآن لم تعط له لهذه المخالفة لنظام السجن - وبهذه المناسبة يجب أن يعلم أن كل المساجين مهما كانت جنسياتهم أو طبقاتهم يجب أن يقفوا الى ضابط السجن إنجليزياً كان أو سودانياً .

وبالطبع لم تتخذ أى وسيلة لمنع هذا المسجون أو أى مسجون آخر من أداء واجباته الدينية .

ملحق رقم (14)

بيان من **الحزب الجمهورى** عن معاملة الرئيس محمود محمد طه

المصدر: **صحيفة الرأى العام**، الخميس 4 يوليو سنة 1946

(نص البيان)
بيان من الحزب الجمهورى
عن معاملة الرئيس محمود محمد طه

هذا بيان نذيعه على المواطنين والرأى العالمى العام ولحكومة السودان أن تكذبه على شرط أن تتألف لجنة من المواطنين تمثل فيها الصحافة للتحقق من صحة هذه الأخبار وإلا فالخبر قائم صحيح لا يرقى إليه الشك وسيترتب عليه قيام قضية طرفاها **الحزب الجمهورى** وحكومة السودان.

نقول بصدق كل الأخبار التى نشرتها الصحف المحلية ونزيد بأن محموداً قد هدد بالكلابش ووضع فى زنزانة وادخل غرفة بها مريضان بالسل وهما فى الطور الأخير من المرض ليس عليهما رقابة تحول بينهما وبين البصق أمام مدخل الزنزانة التى وضع بها الرئيس - وليت سلطات السجن وقفت فى معاملتها عند هذا الحد ولم تمنع محموداً الماء للوضوء مما اضطره لأخذ الماء من نفس الإناء الذى يستعمله أولئك المرضى - كل هذا يدل دلالة واضحة على أن إدارة السجن أو من يسير السياسة العليا للسجون لم يفتهم التفكير فى محاربة رجال الحركة الوطنية حرباً خفية سلاحها الجراثيم الفتاكة.

أما عن البيان الرسمى فيظهر أن نائب السكرتير الإدارى للشئون السياسية لم يكن مطمئناً إلى معلوماته الرسمية اطمئناناً يمكنه من قبول اقتراح سكرتير **الحزب الجمهورى** القائل بمقابلة محمود محمد طه للتحقق من صحة تلك المعلومات الرسمية .

أمين محمد صديق
سكرتير الحزب الجمهورى

ملحق رقم (15)

الحزب الجمهورى ينظم موكباً

المصدر: **صحيفة الرأى العام**، جريدة يومية سياسية، العدد 451 الخرطوم، 25 سبتمبر سنة 1946

الحزب الجمهورى ينظم موكباً

اجتمع أعضاء **الحزب الجمهورى** مساء أمس وساروا فى موكب اخترق شارع الملك بالخرطوم وقد خطب منصور عبد الحميد فى إحدى المقاهى التى صادفتهم فى الطريق فاعتقله البوليس للتحقيق وقد سمح لخمسة من زملائه أن يحضروا معه التحقيق ومنع البوليس الباقين من الدخول .

واستمر التحقيق إلى ما بعد منتصف الليل حيث أطلق سراح المقبوض عليه بضمانة وكان الغرض من الموكب والخطبة الاحتجاج على اعتقال رئيسه والتنديد بقانون الخفاض .

ملحق رقم (16)

اعتقال ثلاثة من أعضاء الحزب الجمهورى

المصدر: **صحيفة الرأى العام**، العدد: 452، بتاريخ 1946/9/26

إعتقال ثلاثة من أعضاء الحزب الجمهورى

اعتقل البوليس مساء أمس سـعد صالح وعثمان عمر متولى العتـبانى ومنير صالح عبد القـادر عندما كـانوا يخطبـون منددين بسيـاسة الحكـومة أمـام دار سينمـا الخرطوم بحـرى وبعض المقاهى.

وقد اعتقلهم بوليس الخرطوم بحرى وأرسلهم الى الخرطوم.

ومازال هؤلاء فى الحراسة حتى الآن.

ملحق رقم (17)

إضراب رئيس **الحزب الجمهوري** عن الطعام، والاستمرار في إلقاء القبض على أعضائه

المصدر: **صحيفة الرأى العام**، العدد: 453، الخميس 27 سبتمبر 1946

(النص)

إضراب رئيس الحزب الجمهورى عن الطعام

والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه

اعتقل بوليس الخرطوم بحرى مساء أمس ذا النون جبارة وعبدالمنعم عبدالماجد أعضاء **الحزب الجمهورى** عندما ألقيا خطابين أمام السينما الوطنية بالخرطوم بحرى ونددا فيهما بالمجلس الاستشارى وقانون الخفاض وكبت حرية الرأى والخطابة وباعتقال هذين بلغ عدد المعتقلين من **الحزب الجمهورى** خمسة مازالوا فى السجن وعلمنا أن رئيس الحزب الأستاذ محمود محمد طه المعتقل فى سجن ودمدنى قد أضرب عن الطعام احتجاجاً على اعتقاله بدون محاكمة.

ملحق رقم (18)

مرافعة قائد ثورة رفاعة يوم محاكمته فى أكتوبر 1946

مرافعة الأستاذ محمود محمد طه أمام المحكمة الكبرى بمدنى عام 1946

إعداد عضو الحزب السيد مكاوى المرضى(1)

الإهـــداء:

إلى "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل".

إلى عضو الحزب الجمهورى المجهول.

إلى السودانيين الأحرار.. إلى كل مواطن غيور، إلى الذين يناصرون الحق.. إلى الذين تغلغل فى نفوسهم الإيمان وتمكن الإسلام من صدورهم.. إلى الذين قال فى حقهم الأستاذ محمود: "لتأمُرُن بالمعروف ولتنهُن عن المنكر.. ثم لتأخذُن على يد الظالم لتأطرُنه على الحق أطراً ولتقسرُنه على الحق قسراً".

إلى هؤلاء جميعاً نهدى هذا الدفاع المجيد فهو دفاع عن الأبرياء.. دفاع عن الدين..دفاع عن الوطن.. دفاع عن الحق.. دفاع عن الفضيلة.. علهم يطلعون على الباطل فيقضون عليه..

صورة الدفاع

[نص مرافعة الأستاذ محمود، قائد ثورة رفاعة، أمام المحكمة الكبرى بمدنى فى أكتوبر 1946]

1- أهالى رفاعة جميعاً أبرياء.. وزملائى الذين سجنوا أبرياء، وأنا برئ، والمسألة فى الحقيقة سلسلة أخطاء من الإدارة من أولها إلى آخرها.. كلما أخطأت الإدارة مرة، وتمسك

(1) إبراهيم يوسف فضل الله، **ثورة رفاعة المجهولة**، مصدر سابق، ص 31-39. سبقت الإشارة إلى أن إبراهيم يوسف أورد أن السيد مكاوى المرضى عضو **الحزب الجمهورى** هو الذى نقل لنا مرافعة الأستاذ محمود أمام المحكمة وأعدها تحت عنوان: "مرافعة دفاع الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدنى عام 1946".

الناس بحقهم اعتبرته مساساً بهيبتـها، فاستعلت وأخذتها العزة بالإثم فقفزت فى خطأ آخر هو فى زعمهـا يعيد لها هيـتها فى نفوس الناس.. وما علمت أن اجـتماع الأخطاء لا ينتج منه ولا صواب.

2- الوضع الصـحـيح المجـمل لهـذه المسألـة، هو أن الإدارة قد ضـربت أهالى رفـاعـة فصـاحوا من ألم الضرب بصوت خـفيض، ثم ضربتـهم فصاحـوا، ثم ضربتهم فصـاحوا، فاستاءت من أن يصيح المضروب المتألم، فـقدمتنا للمحكمة فكانت هذه المحكمة.. ولو كنا نملك ما تملك لقـدمناها نحن لهذه المحكمـة، ولكنا لا نملك جيشـاً ولا بوليساً ولا سـجوناً وقيوداً، ولو ترك القطا ليلاً لنام.

3- قلت بالأمس إنى وبالمثل أى عـضو من أعـضاء **الحزب الجمـهورى** لا أنكر تهـمة الإثارة لمجـرد أنهـا تهـمـة إثارة، إنما أنكر تهـمـة الإثارة بالنقـد الذى لا يحـتـرم الحـقـائق وبالتـشويش المغـرض.. ولقـد كان من دواعى الشـرف لى ولحـزبى، لو صح أنى أنا الذى أثرت أهالى رفاعة حول هذه القضية، لأنها من القـضايا التى نقدنا فيها الحكومة وسننقدها إلى أن تقلع عنها.. ولـكن للأسف فإن الإدارة قد سـبقتنى إلى هذا الشـرف فأثارت أهالى رفاعة وأثارتنى معهم.. فلننظر.

4- قلنا إن قضـية اليوم ستظهـر جلياً مبلغ الصحـة فى نقد **الحزب الجمـهورى** لقانون الخفاض، من ناحية الهيئة المشرعة والهيئة المنفذة.. بأنها لغرابتها عنا فى الدين والعادات، لا تفهمنا، هذا بصرف النظر عن سوء النية.. فلننظر.

5- دعنا نعترف بقـانون الخفاض لحظة واحدة بغرض أن ننزل مع الإدارة فى مـيدانها.. قال أحـد البيـانات الرسمـية: "إن السلطة المؤيدة نظرت فى قـضيـة فتـاة رفاعة، فـحكمت ببراءتهـا لعدم توفـر الأدلة ضدها"..جـميل.. هذا أول خطأ ارتكبـته الإدارة.. وهو خطأ لا تتورط فـيه إلا إدارة تجهل الناس فتـستخف بعروضـهم وبأخلاقهم.. ولا تتورط فـيه إدارة حسنة النية..وما كان لهذا الخطأ ليصحح لولا أن قمنا فيه بالوجه الذى ترى المحكمة الآن.

أنا أتهم الإدارة فى غلطتـها هذه بسوء النيـة، والاستخـفاف بدين الناس وبأخـلاقهم.. فهل عندى برهان على ذلك؟ فلننظر.

6- نحن لا نزال فى لحظة الاعتراف بالقانون.. جعلت الحكومة حق تطبيق هذا القانون فى يد المدير وحده لتأمن العثار فى التنفيذ، ولتظهر للناس المعارضين من أمثالنا اهتمامها بالناس، ومجاملتها للعادات الموروثة.. ولكن فتاتنا حاكموها وحكم عليها المفتش وسجنها، ثم أرسل أوراقها للمدير للتأييد، فأطلقناها نحن بالصورة التى قصصت على المحكمة .. فكيف جاز هذا للمدير وللمفتش لو كانا يعرفان للناس حقاً ويضمران لهم نية حسنة؟؟.

7- قالت جريدة الرأى العام فى يوم 24 سبتمبر تحت عنوان رئيسى "القضاء ينظر فى قضية الخفاض برفاعة" بعد حديث لها: "وقد علمنا من مكتب الصحافة هذا الصباح أن قضية الخفاض التى سببت كل هذا الشغب هى الآن تحت نظر رئيس القضاء بالمصلحة القضائية، وإن التهم الموجهة إلى الذين اعتقلوا فى هذه الحوادث لا دخل لها بآرائهم فى موضوع الخفاض.. ولكنها تتعلق أولاً وأخيراً باستخدام القوة لتحقيق غاية، فى الوقت الذى كان فيه الاستئناف مفتوحاً أمام المتظاهرين".

8- هل باب الاستئناف مفتوح أمام المتظاهرين؟.. لننظر.

9- قالت الحكومة فى بيان رسمى فى الصحف...(لا أعرف تاريخه).. ما يأتى: "حصلت أخيراً فى رفاعة حادثة أدينت فيها امرأة لخفضها ابنتها حفاضاً غير مشروع وحكم عليها بأربعة أشهر سجناً، وقد قدم استئناف لمدير المديرية فرفضه وحبست المرأة فى السجن".. ومع ذلك فالحكومة تقول إن باب الاستئناف مفتوح!!. وهذا الاستئناف رفض، مع أن المرأة مسجونة بغير أدلة كافية للإدانة، وفيما أعلم لم يخبر المستأنفون ولا نحن مندوبى الهيئات الذين قابلنا المفتش برفض هذا الاستئناف، وإنما أعيدت المرأة للسجن والسلام.. فإن لم يكن هذا سوء النية والاستخفاف بالناس فماذا عساه أن يكون؟؟.

10- قال الخبر عن مكتب الصحافة الذى أشرت إليه آنفاً عن جريدة الرأى العام يوم 24/9/1946: "إن التهمة الموجهة إلى الذين اعتقلوا فى هذه الحوادث تتعلق أولاً وأخيراً باستخدام القوة لتحقيق غاية، فهل استخدمنا القوة لتحقيق الغاية؟؟ لننظر..

11- حوادث الحصاحيصا هى الحوادث التى اتهمنا فيها بأننا استعملنا القوة، وحوادث

الحصاحيصا قد سبقتها حوادث جمة، كلها تدعو إلى الثورة والغضب لو تتبعها الإنسان وهو يعرف أن الناس ناس.. ولكن لننظر فى حوادث الحصاحيصا نفسها - شهادة الشيخ أبو اليسر وشهادة محمد مساعد- وهما شاهدا الاتهام تكاد تتفقان على أن الناس عندما دعوا إلى الهدوء وكانوا حوالى 600 أو 700 هدأوا وذهبوا وجلسوا ووقفوا تحت أو حول الشجر الذى يبعد عن المركز بنحو 60 أو 70 ياردة، بغرض أن ينتخب منهم عشرة مندوبين كما فعلوا فى رفاعة، ثم يقفلوا راجعين بفتاتهم، أو يظلوا بالحصاحيصا أياماً وليالى.. والشاهدان يقولان إن الناس انصرفوا إلى المكتب هائجين، وتركونا بمجرد وصول بوليس ود مدنى، ولا يصرحان بشئ وراء ذلك.. وأنا أعرف أن نائب المدير أشار بأن يهددهم بقوة بوليس مسلح يلبس خوذات توهم بأنهم من رجال قوة الدفاع.. فكان الهياج.. هذا فى أقوال شاهدى الإتهام.. إن الإدارة لا تتهم الناس بشئ إلا لأنها لا ترى لهم مطلق حق وإلا لأنها تنكر على المتألم أن يصيح ويتألم.. ثم أين القوة؟ أهى ضرب الشبابيك الذى ابتدأ بعد ساعة ونصف على الأقل من بدء الهياج بسبب الاستفزاز بالتهديد بالقوة؟ والذى ما كان ليحصل لولا صلف نائب المدير واستخفافه بالناس!!.

شهادة الشيخ محمد مساعد تقول: "الناس قد قلموا فروع الشجر ليضربوا بها الشبابيك.. وهذا يدل على أن الناس لم تكن لديهم فكرة التخريب وأنما طرأت لهم.. لجأوا إليها بسبب الإدارة وتعاميها وسوء تقديرها لظروفهم وتعبهم.. وإن الإدارة مخطئة أبشع الخطأ حتى لو اعترفنا لها بالقانون ونازلناه فى ميدانه.. فلننه هنا اللحظة التى اعتبرنا أنفسنا فيها معترفين بالقانون..

12- مفتش رفاعة سجن امرأة مصونة شابة فى سجن عمومى مع خادمة عاهرة.. فحدثناه فى ذلك فاعترف بعدم صلاحية السجن للنساء فى رفاعة فأطلقها بضمانة، وظل ما ظل فى رفاعة لا يذكرها، فلماذا عندما ذهب إلى الحصاحيصا أمر باعادتها لنفس السجن؟؟ فهل تسمى هذا استخفافاً بدين الناس وأخلاقهم أم تسميه جهلاً بالناس؟ أم هما معاً؟؟ سمه ما شئت فهو برهان ثالث..

13- إن فى تصرف المفتش هذا ما يجعل ما قمت به أنا فى الجامع، ما قام به الناس

بالمركز، شيئاً مفروضاً علينا فى واجب الدين وواجب الأخلاق وواجب الحياة نفسها، بل إن الناس قد سلكوا سلوكاً يستحق الثناء وقد شرحنا تفصيله للمحكمة.

14- أخذ العمدة عبدالله محمد أبو سن وكاتبه المرأة من منزلها قريباً من نصف الليل إلى الحصاحيصا وأرسلت منها إلى سجن مدنى.. فأى حكومة تسمح لنفسها أن تتصرف مثل هذا التصرف، وأى شعب عربى مسلم يرضى مثل هذا؟.

15- وضعت المرأة بسجن مدنى وما أدراكم ما سجن مدنى؟!

بهذا السجن اليوم 23 امرأة منهن أربع مجنونات يفحشن بألفاظ يندى لها وجه الرجل، وسائرهن عهر، أحضرن من بيوت عامة وحوكمن فى جرائم خمرة.. بين عنبرهن وعنبر الرجال نحو 15 متراً يفصل بينهم وبينهن السلك الشائك، فهن يذهبن لأدبخانتهن دفعة واحدة، وكل واحدة منهن تحمل كوزها فيجلسن فى انتظار دورهن، وهن جلوس بمسمع ومرأى ويشاغلن بعضهن بعضاً بنظرات وبألفاظ تطير الدم فى رأس الرجل الغيور!! وهن يسكن فى عنبر واحد ما عدا اثنتين من المجنونات.. وهن يغنين التمتم فى أكثر الأمسيات بأصوات ونغمة عالية.. ويقضين حاجتهن خارج الأدبخانة على مرأى من الرجال، بشكل وبصورة لا يعملها حتى مجرمى المساجين، وما ذلك إلا لأن الأخلاق قد هانت عليهن، وما ذلك إلا لأن الرجال قد هانوا عندهن.. وما ذلك إلا لأن الوازع الدينى قد مات فى نفوسهن والحياء -حياء الأنثى الغريزى- لا وجود له.. مع هؤلاء فى هذا السجن يراد سجن امرأة شابة حرة مسلمة مصونة تشرف على تربية بنات وأولاد تركهم لها زوجها الذى توفى قبل شهر..فإن قال أهلها لا وناصرهم إخوانهم فى الدين وفى الجنس وفى الوطن قالت الحكومة هذا شغب وهذه فتنة وهذا تهديد!!.

16- تتهمنى الإدارة بأنى أثرت أهالى رفاعة، وهى تتهمنى هذه التهمة، لأنها تجهل الناس جهلاً شنيعاً وتستخف بأحلامهم وأخلاقهم، وإلا فهل أحد يحتاج إلى من يثيره مع كل هذا؟ وهل أستطيع أنا أو يستطيع أبلغ خطيب أن يثير الناس أكثرمن إثارة الإدارة هذه إياهم؟ وأهالى رفاعة خارج رفاعة من الذى أثارهم؟ أسمع تلغراف أهالى رفاعة خارج رفاعة من مدنى وتندلتى (قصاصات من جريدة الرأى العام): هؤلاء الناس لو كانوا شهوداً

لتولوا أكبر الثورة.. هل أثارت هؤلاء وإخوانهم الإدارة أم أثارهم محمود فى جامع رفاعة؟!

17- رأت الإدارة أن سوء تصرفها، وهى تعرفه، قد أذهب هيبتها وتوهمت أن الناس قد تجرؤوا عليها فاستهانوا بها، فظنت أنه لابد من إعادة الرعب إلى صدور الرجال برفاعة بأى شكل.. فكانت مأساة رفاعة الأخيرة.. ولكن لابد من تبرير للرأى العام لهذه الأعمال الانتقامية.. نشرت الحكومة فى بيان رسمى فى الجرائد المحلية تاريخ 2/10/1946 تقول فيه بعد حديث: "عاد الجمهور أدراجه إلى رفاعة وكان يبدو عليه أنه عازم على إحداث اضطرابات أخرى هناك".

18- إن جمهوراً كان سلوكه فى كل هذه المصائب كالذى قصصت على المحكمة لا يمكن أن يتهمه بأحداث الاضطرابات إلا أحد رجلين أو هما معاً: رجل لا يفهم الناس أو رجل يبيت غرضاً وراء التهمة.. وقد كانت الإدارة كلا هذين الرجلين.. فلو أراد الجمهور إحداث الاضطرابات لأحدثها فى أصيل يومه ذلك.. فقد وصل الجمهور رفاعة الساعة أربعة مساء ولو أراد إحداث الاضطرابات، لأحدثها فى صباح اليوم التالى الذى وصلت قوات الانتقام والتأديب بعد منتصف نهاره.. بل أن هذا الجمهور ما كان ليخرب، ويحدث اضطرابات بالحصاحيصا، لو لم يدفع إلى التخريب دفعاً.. ولو كان الناس يبيتون نية التخريب والعنف، لاتخذوا لذلك العدة فهم يذهبون عزلاً لا يحملون حجراً ولا عصا، ولابتدؤوا بالتخريب وإحداث الاضطرابات ولما سلكوا يوم الجمعة بمركز رفاعة وهم فوق الـ 800 نفس الطريقة التى ذكرها حتى شهود الاتهام، ولخربوا فى الوقت الذى لم يكن بالمركز من يمنعهم التخريب غير ضمائرهم..لا.. إن الإدارة تبيت أمراً!!.

19- قالت الحكومة فى البيان الرسمى الذى أشرت إليه آنفاً بعد حديث: "وقد قبض على هؤلاء المساجين نفر قليل من المواطنين المسئولين برفاعة دون مساعدة جيش أو بوليس" فإن كانت الإدارة لا تبيت أمراً وتريد أن تسترهب الرجال، لماذا ضربت الجماهير؟ ولماذا نصبت المدافع الرشاشة فوق المركز؟ ولماذا أحضرت بلكاً من قوة دفاع السودان من الخرطوم لمدينة هادئة آمنة؟ فى الوقت الذى تعرف فيه أن بهذه المدينة مسئولين عقلاء

يقبضون على المساجين بدون مساعدة البوليس أو الجيش كما تقول هى..

نحن نعرف أن بعض المسئولين كان مع المفتش بمكتبه قبل إطلاق الرصاص.. وقد أخذوا على عاتقهم تهدئة الناس الذين استفزتهم مطاردة الإدارة لهم وشهر السلاح فى وجوههم وتفريقهم بدون اللجوء إلى إراقة الدماء.. ونحن نعرف أن (قمندان) البوليس لم يكن من رأيه إطلاق الرصاص، ولكن المفتش ضرب برأى هؤلاء المسئولين وبرأى الكمندان عرض الحائط وأمر بإطلاق الرصاص..

المفتش كان يتوهم أن إقامته برفاعة سيكون فيها خطر عليه إذا لم يعد الرعب إلى قلوب الرجال بضربهم بالرصاص وكذلك فعل..

وناس رفاعة أنفسهم هل أثيروا فى الجامع؟

قلت إنى لما سمعت بالحادث حوالى يوم 1946/9/9 وكتبت الجواب للمفتش لم يدر بخلدى أى أحد من الناس سيناصرنى حتى ولا الهيئات.. وإنما كنت اعتمد فيما أردت الإقدام عليه على **الحزب الجمهورى** بالخرطوم.

بعد أن أرسلت الجواب للمفتش اتصلت بى الهيئات وطلبت أن تمثل، واتصل بى الجمهور وطلب أن يكون ورائى، وكان بالمركز يومها أول ما وصلنا نحو الثلاثين، وريثما انتهينا فأطلقنا المرأة تكامل العدد إلى ما يقارب المائة.. وما كنت أعرف منهم آنذاك إلا القليل.. وكانوا متحمسين بشكل غريب حتى لقد أرسلوا نحواً من العشرين تلغرافاً **للحزب الجمهورى** بالخرطوم، لعل صورها تكون موجودة بمكتب بوستة رفاعة.

20- قالت الحكومة فى النشرة الرسمية التى أشرت إليها بتاريخ 10/2 ما يأتى: "قبض على هؤلاء المساجين نفر قليل من المواطنين المسئولين دون مساعدة الجيش أو البوليس" فمن هم هؤلاء المسئولين؟ كيف كان قبضهم على المسجونين؟.

رأى أهالى رفاعة بعد حوادث الضرب أن يكونوا لجنة ليحملوا عن الحكومة مسئولية القبض على من تطلبهم، خوفاً من أن تأتى بتصرف كسابقه فى العنف والبطش بالناس.. والحكومة إنما أرادت بهذا القول أن تظهر للناس أن المسئولين من أبناء رفاعة لا دخل لهم

بهذه القضية.. وهذه دسيسة خبيثة.. ولعل من الخير للحكومة أن تعرف جيداً أن هذه الحركة لم يقم بها نفر دون آخر من أبناء رفاعة بل إن كل الأهالى كباراً وصغاراً .. المسئول منهم وغير المسئول، هبوا هبة الرجل الواحد.. يربطهم الشعور بالكرامة المعهودة وغيرة على الأعراض المتهنة.. والحكومة تفهم جيداً ولكنها تستخف بالحقائق وتستخف بالناس فإن لم يكن ذلك كذلك، فهلا طلبت هذه الحكومة من هؤلاء المسئولين الذين تعتد بهم وتزعم أنهم فى صفها.. هلا طلبت منهم القبض على من تريدهم قبل أن تحشد قواتها وتأتى بقوة لتحاصر المدينة الآمنة؟!.

ملحق رقم (19)

مجاهدون: الجمهوريون والثبات على المبدأ،الأحزاب السودانية والكسل الذهنى

المصدر: **صحيفة الرأى العام**، "مجاهدون"، العدد: 479، الاثنين 28 أكتوبر سنة 1946

(النـــص)

خـواطـــر

مجـاهـــدون

فى كل بلد تقوم فيه الأحزاب نرى لها نشاطاً عظيماً بمختلف الوسائل المشروعة لتدعيم آرائها ولبسط مبادئها مما يدل على أن تلك الأحزاب جادة كل الجد عاملة أقصى ما فى وسعها لإبلاغ رسالتها أياً كانت تلك الرسالة.

والملاحظ أن الأحزاب فى السودان على وجه العموم تتمتع بكسل ذهنى لا حد له وإنها تنتظر التأييد والمساندة دون أن تقوم بأقل مجهود لكسب التأييد ونيل الثقة ولولا هؤلاء الأتباع الدينيون الذين هم رهن الإشارة لما حسبنا أن مجهود الأحزاب وحدها يكفى لأداء رسالتها على الوجه الأكمل.

إن العمل الحزبى يتطلب رجالاً متفرغين أو عندهم من الفراغ ما يكفى لمواجهة الأعباء الحزبية التى ترهق كاهل المثقلين بالأعباء الأخرى حين يزاولونها، ولذلك فإن الإنتاج الحزبى فى السودان على عظمه وضخامته ضئيل جداً بالنسبة لما ينتظر من الاحزاب وخاصة حين تتصف بالصفة الشعبية الواسعة ولعل من الإنصاف أن نقرر أن **الحزب الجمهورى** قد اثبت أنه مخلص كل الإخلاص لنظرياته عامل على تنفيذ ما يعتقدة مستنفداً كل جهد ومحتملاً كل تضحية.

ولئن بدر من **الحزب الجمهورى** ما قد لايوافقه عليه الكثيرون وخاصة إيمانه بالعنف فإننا نرجو أن لاتحجب معارضتنا وعدم موافقتنا لبعض رسائله إعجابنا بهذا المثل الحسن الذى يضربه الجمهوريون فى الثبات على المبدأ والدفاع وعدم تهربهم من المسؤولية التى

اضطلعوا بها مختارين.

ثم أن الجمهوريين حين يقررون أمراً أو يقومون بدعوة يظهرون من الجد والحزم والبلاء الحسن ما يشرفهم كل التشريف فهم فى محاربتهم لقانون الخفاض قد فعلوا كل ما فى وسعهم ولعل كثيرين غيرهم ممن لم يوافقوا على القانون قبل اقراره لو بذلوا عشر ما بذله الجمهوريون فربما تغير الموقف كل التغيير - لقد أصدر **الحزب الجمهورى** النشرات وخطب أعضاؤه وحذروا وأنذروا وأخيراً ذهبوا إلى السجون وفقد بعضهم وظائفه وامتيازاته فى سبيل ما اعتقدوا أنه حق، جدى أيتها الأحزاب كما يجد الجمهوريون وإن اختلفت معهم فى الوسائل فالذى نطلبه أن يكون صاحب الدعوة جاداً فيها لا أن يطنطن فى محيطه الضيق ويختار الراحة والنعمة وأمن الوظيفة ونعمة البعد عن مزعجات الليالى. لقد ضرب الجمهوريون المثل فى الإخلاص للعمل فهل نرى من أحزابنا بعض العناية بأهدافها فإننا لم نسمع على اتساع دار المؤتمر ودار **حزب الأمة** ودور أندية الخريجين وأعمدة الصحف بمجهود يذكر لقيادة هذه الأحزاب كأن الخطة التى اجمعوا عليها على اختلاف نزعاتهم هى إيقاف التنفيذ.

حيا الله الجمهوريين فقد جاهدوا ما وسعهم الجهد وما هداهم التفكير فإن وفقوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر.

ملحق رقم (20)

غداً الأستاذ محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى يغادر سجن كوبر بعد عامين

المصدر: **صحيفة السودان الجديد**، العدد: 594، الاثنين 1948/9/20

(نـــص الخـــبر)

محمود محمد طه

غداً يغـادر سجن كـوبر بعد ان أمضى عـامين فـيه الأستـاذ محمـود محـمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** الذى حوكم فى قضية حوادث رفاعة.

قضى محمود مدة سجنه صابراً متحملاً مقبلاً على الله. قضاها وهو مؤمن بالفكرة التى تعذب فى سبيلها وإن الإخـلاص للفكرة والفناء فيها مهما إختلفت آراء الناس فى قـيمتها فلن تختلف فى تقدير الإخلاص لذاتة والتضحية فى أسـمى وأنبل معانيها. وإنا إذ نستقبل فيه الرجـل الصادق الإيمان بتفكيـره المخلص فى العمق لما يعتقـد أنه صواب وإنا إذ نهنىء محموداً بخروجه من الظلام إلى النور. **فنهنئ الحزب الجمهورى** برئيسة المجاهد.

ملحق رقم (21)

محمود محمد طه

الشعب يريد الحرية، إرادة الشعب فوق كل إرادة

المصدر: سعيد الطيب شايب، "محمود محمد طه"، **صحيفة الشعب**، العدد: 6، يوم السبت 1951/1/13.

ملاحظة: لقد أرخت بهذا المقال لبداية مرحلة التتلمذ على يدى الأستاذ محمود. مؤلف هذا الكتاب.

ملاحظة: أبرزت الصحيفة التى نشرت المقال جملتى: الشعب يريد الحرية، إرادة الشعب فوق كل إرادة، فى قلب المقال بخط كبير جداً وفى مربعين كبيرين بلون أسود والحروف بلون أبيض.

بقلم سعيد الطيب شايب

(النص)

محمود محمد طه

لفتت نظرى "قفشة"[1] وردت فى عددكم الثالث منسوبة الى المجاهد "محمود محمد طه" فإنها قد أعادت لنفسى أملاً كاد أن يفلت، لما اكتنفنى من شكوك وأوهام؛ وعلى الأقل أعادت لنفسى بأن هناك صحافة حريصة على أعمال المجاهدين.

إن اسم "محمود" قد اختفى منذ حين، وكأنه لم يفعل شيئاً، بل كأنه لم يكن فى عالم

---

(1) لقد وقفت بدورى على هذه القفشة فقد جاءت فى صحيفة الشعب فى باب طرائف تحت عنوان: سليمان، كتبت الصحيفة: "من طرائف الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى القفشة الآتية: كان الحديث يدور حول الإنجليز واستعمارهم والأحزاب السودانية فقال الأستاذ محمود: إن الإنجليز قد أصبحوا كسيدنا سليمان مات متكئاً على عصاه ولم يعرف ذلك حتى تآكلت العصا.. فهل يفهم الناس أن سليمان الذى يستعمر هذا البلد ميت مرتكز على عصا!!!". المصدر: "سليمان"، صحيفة الشعب، العدد: 3، السبت 1950/12/23.

الوجود! ولكنى أخرق ذلك الصمت وأقول، أليس محمود ذلك الرجل الذى آمن بقضية شعبه وعمل لها ما وسعه العمل رغم العراقيل التى وضعت فى سبيله أليس هو ذلك الرجل الذى يقوم ولا يتردد ولا يتنازل مهما قابلته الصعاب من بطش ومعارضة حكومية وحزبية- كل ذلك لأنه يؤمن بأن الشعب الذى يريد الحرية ويسعى لها، يجب أن يكون فى كفاحه صلباً لا يتزحزح وقوياً لا يلين وثابتاً لا يتنازل. ثم إنه يريد أن يضرب لهذا الشعب- الذى لم يكتمل فهمه لقضيته- مثالاً صادقاً، بأن به فئة فدائية تضرب مثالاً عالياً فى التضحية بكل شيء فى سبيل المبدأ والعقيدة... وأليس هو الذى سجن مرات دون أن يحرك الزعماء ساكناً للدفاع عنه والوقوف بجانبه؟ وأليس هو الذى وقف وقفة الرجل المؤمن بحقه يوم حادث رفاعة -يوم مشكلة الخفاض- التى تمخضت عن سجنه عامين وهل هو غير ذلك الرجل الذى رفض المنصب والجاه فى سبيل حرية رأيه؟ وهل هو غير ذلك الرجل الذى أراد أن نكون فى هذا الظرف العصيب مكافحين قبل أن نكون ساسة وعاملين على أخذ حريتنا دفعة واحدة وحالا، ونكفر بتقسيط الحرية وسياسة التطور... وهذه الحركة العمالية التى تحركت اليوم تحركا ملحوظاً - ألم تكن لمحمود يد فى غرسها؟ وألم تكن له يد فى تربيتها أيام كانت فكرة فى المهد؟ أجيبونى يا أصحاب الشأن! وأخيراً أقول **الحزب الجمهورى** من أنشأه؟ وأحب أن أسأل "الزعماء" سؤالين أرجو أن أحظى منهم بإجابة عاجلة على صفحات الشعب:

أولا: كيف يعيش اليوم محمود؟ وقد وردت فى ذلك الأقاويل

ثانيا: سمعنا إشاعة لم تؤكد بعد تقول إن "محمود" ينوى الخوض فى المعترك السياسى من جديد؟ وهل نأمل فى زيارة الصحفيين لمحمود برفاعة ليشعروه بأن أثره فى المجتمع وفى الحركة الوطنية باق.

ملحق رقم (22)

مقال الأستاذ محمود "سعيد يتساءل"، رداً على مقال سعيد شايب

المصدر: محمود محمد طه، "سعيد يتساءل"، **جريدة الشعب**، السبت 1951/1/27.

(النــــص)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم، فاخشوهم، فزادهم إيمانا، وقالوا: حسبنا الله، ونعم الوكيل). صدق الله العظيم

جريدة الشعب، السبت 1951/1/27

حضرة صاحب جريدة الشعب، ص ب 226 الخرطوم..

تحية، وبعد،،،

فقد اطلعت، بعددكم السادس، على كلمة من الأخ سعيد يتساءل فيها عنى، وقد أعلم أن كثيراً من الإخوان يتساءلون، كما تساءل، فلزمنى لهم حق الشكر، ولزمنى لهم حق الإيضاح..

عندما نشأ **الحزب الجمهورى** أخرج، فيما أخرج، منشورين: أحدهما بالعربية:قل هذه سبيلى، والآخر بالإنجليزية: ISLAM THE WAY OUT ضمنهما اتجاهه فى الدعوة إلى الجمهورية الإسلامية.. ثم أخذ يعارض الحكومة فى الطريقة التى شرعت عليها تحارب عادة الخفاض الفرعونى، لأنها طريقة تعرض حياء المرأة السودانية للابتذال، وعلى الحياء تقوم الأخلاق كلها، والأخلاق هى الدين..

ثم نظرت موضوع الدعوة إلى الإسلام، فإذا أنا لا أعرف عنها بعض ما أحب أن أعرف.. فإن قولك: (الإسلام) كلمة جامعة، قد أسيء فهم مدلولها الحقيقى، لأن الناس قد ألفوا، منذ زمن بعيد، أن تنصرف أذهانهم، عند سماعها، إلى ما عليه الأمم الإسلامية اليوم من تأخر منكر.. وما علموا أن المسلمين اليوم ليسوا على شيء..

فأنت، إذا أردت أن تدعو إلى الإسلام، فإن عليك لأن ترده إلى المعين المصفى الذى منه استقى محمد، وأبوبكر، وعمر.. وإلا فإن الدعوة جعجعة لا طائل تحتها.. ولم تطب نفسى بأن أجعجع..

وبينما أنا فى حيرة من أمرى إذ قيض الله (مسألة فتاة رفاعة)، تلك المسألة التى سجنت فيها عامين اثنين، ولقد شعرت، حين استقر بى المقام فى السجن، أنى قد جئت على قدر من ربى، فخلوت إليه.. حتى إذا ما انصرم العامان، وخرجت، شعرت بأنى أعلم بعض ما أريد.. ثم لم ألبث، وأنا فى طريقى إلى رفاعة، أن أحسست بأن على لأن أعتكف مدة أخرى، لاستيفاء ما قد بدأ.. وكذلك فعلت..

فهل حبسنى ابتغاء المعرفة؟؟

لا والله!! ولا كرامة.. وإنما حبسنى العمل لغاية هى أشرف من المعرفة.. غاية ما المعرفة إلا وسيلة إليها.. تلك الغاية هى نفسى التى فقدتها بين ركام الأوهام، والأباطيل.. فإن على لأن أبحث عنها على هدى القرآن – أريد أن أجدها.. وأريد أن أنشرها.. وأريد أن أكون فى سلام معها، قبل أن أدعو غيرى إلى الإسلام.. ذلك أمر لا معدى عنه.. فإن فاقد الشىء لا يعطيه.. فهل تريدون أن تعلموا أين أنا من ذلكم الآن؟؟ إذن فاعلموا: إنى أشرفت على تلك الغاية، ويوشك أن يستقيم لى أمرى على خير ما أحب..

ملحق رقم (23)

وصية الأستاذ محمود مكتوبة بخط يده"، السبت 13 شعبان 1370هـ موافق 19 مايو 1951

المصدر: حصلت على نص الوصية بخط يد الأستاذ محمود من ابنته أسماء محمود
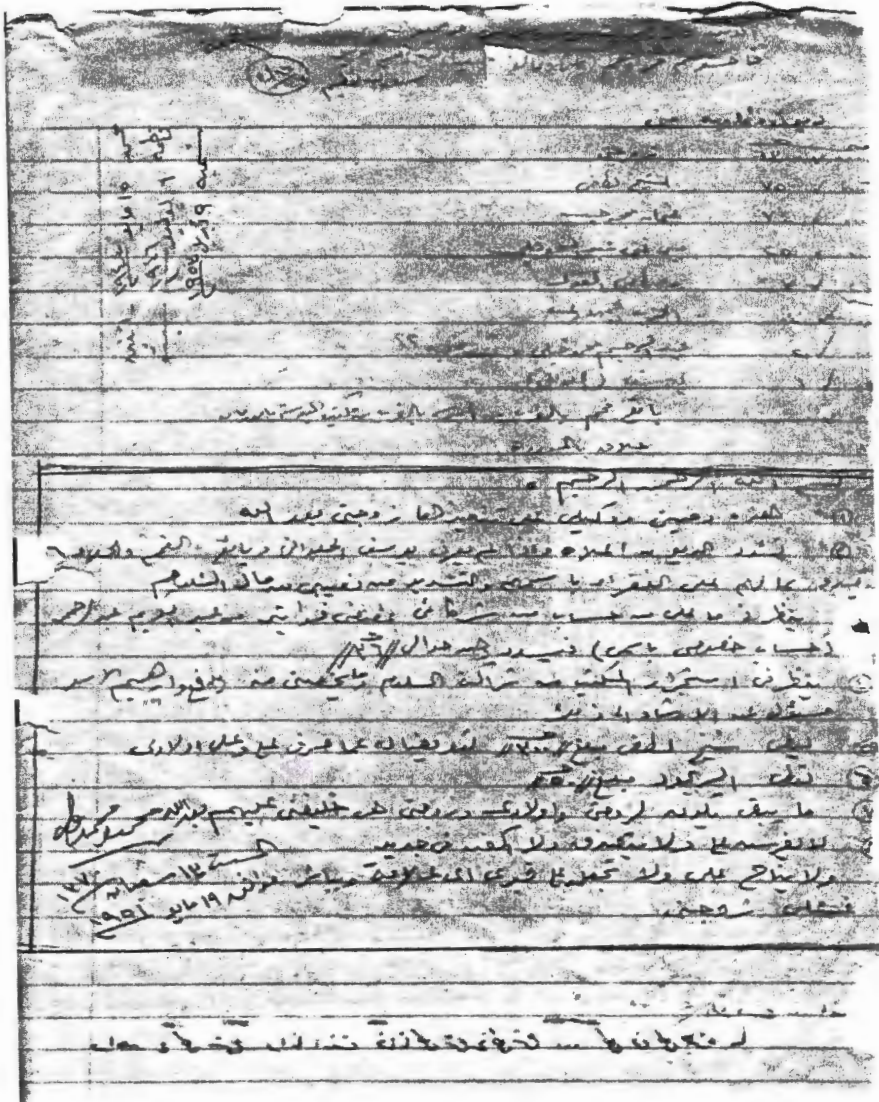
ملحق رقم (24)

موقف الحزب الجمهورى من الإئتلاف

محمود محمد طه، "موقف **الحزب الجمهورى** من الإئتلاف"، **جريدة الرأى العام**، العدد 2017، 1952/1/2.

منذ أيام وجهت دعوة كريمة من هيئة الائتلاف وبعثت للحزب بمشروعها الذى أعدتة لالتقاء الأحزاب والهيئات السودانية والذى نشرته جميع الصحف وأصبح معلوماً لدى الجميع .

وقبل **الحزب الجمهورى** الدعوة مبدئياً ليناقش المشروع مع الهيئات والأحزاب التى قبلت الدعوة وأوفد مندوبين عنه لحضور الإجتماع الذى أعلن عن إنعقاده بدار نقابة موظفى حكومة السودان فى الساعة الخامسة من مساء يوم الإثنين 1951/12/24 ولقد انتظر مندوبو الحزب من الساعة المحدده إلى نصف ساعة أخرى فلم يحضر سوى أربعة وخرج المندوبون محتجون على عدم تقدير المواعيد والذى رأى أن يقدمه **الحزب الجمهورى** للمجتمعين هو هذا الذى نقدمه اليوم للرأى السودانى العام .

أنه لابد من التفاف الشعب حول فكرة واضحة مدروسة يعتنقها ويعتقدها ويعمل فى كفاح مرير مستميتاً فى سبيلها ليحقق بها حكومته المرجوة التى تحقق له العدل السياسى والعدل الإجتماعى غداة جلاء الاستعمار لأن أى تكتل حول فكرة غير مدروسة يعتبرتكتلاً صناعياً نهايته الوشيكة الفرقة من جديد .

فإذا ما تكتلت جماعة من المواطنين لتقرير المصير وسط هذا الصراع الطائفى فلن تنجح إلا فكرة طائفة واحدة لن ترضى الأخرى بها ومن ثم انتشار الفوضى والفساد والظلم أو الحرب الأهلية وكل ذلك لن يقود إلا إلى إستعمار وطنى خيراً منه الاستعمار الأجنبى فبدل أن نحارب الاستعمار عارياً ونسلط عليه الأضواء من كل الجوانب لكشفه ونجند كل فرد لحربه نحكم حكماً وطنياً استعمارياً نحارب فيه باسم الحكومة الوطنية وعندئذ تنتهى كل فكرة نزاعة إلى الحرية الحقة ونكون بذا قد أطلنا أمد الجهاد.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر حكومات الشرق التى حولنا ونسوق المثال من مصر فحكوماتها الوطنية المتعاقبة التى سامت الشعب سوء العذاب لم يستطع الشعب الخلاص منها حتى هذه الساعة ولا يزال يناضل ويناضل.

إن تقرير المصير وسيلة فى ذاته وليس غاية فلم لا يكون العمل منذ الآونة الأولى لتوعية الشعب للأخذ بالفكرة الصالحة الصحيحة التى تكفل السعادة للجميع . على أن المصير نفسه مقرر من الحكومة الجمهورية الديمقراطية التى تحكم الشعب لمصلحة الشعب بواسطة الشعب .

أما ضم الصفوف على غير الفكرة الموحدة لإجلاء الأستعمار فقول ينقصه الفهم الصحيح لأن الائتلاف لا يكون صحيحاً إلا إذا التف الناس حول فكرة واحدة وأحبوا شيئاً واحداً هو الحرية فى ظل حكومة رشيدة تضمن المساواة فى الفرص للجميع ولن تكون غير جمهورية ديمقراطية وعليه فإن الغاية أولى بالالتفاف لا الوسيلة.

نحن إذن ندعو الى ائتلاف جميع المثقفين والشعب من ورائهم قوة وسنداً لتحقيق الآتى : -

(1) إجلاء قوى الاستعمار الإنجليزية والمصرية.

(2) تكوين حكومة سودانية جمهورية تعمل على تحقيق الحرية الفردية المطلقة وتحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة.

هذا ما يدعو إليه **الحزب الجمهورى** فإن رأى المؤتلفون أنهم لا يريدون بتقرير المصير بديلاً - مع أن المصير مقرر إذا أخلصت الضمائر - فإن **الحزب الجمهورى** لا يحقد عليهم بل يدعو لهم بالتوفيق طالما يحاربون الاستعمار ولكنه لن يعمل لتقرير المصير لأنه مقرر وسيستمر يدعو إلى مبادئه بوسائله. ومن شاء فليكفر ولا إكراه والله المسؤول أن يهدى الجميع إلى صراط سوى .

ملحق رقم (25)

فشل المسعى لالتقاء **الحزب الاشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى** لاختلاف المبادئ والوسائل

المصدر: محمود محمد طه، "**فشل المسعى لالتقاء الحزب الإشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى لاختلاف المبادئ والوسائل**"، (بيان) السودان الجديد، العدد: 1564، الأربعاء 19 مارس سنة 1952.

(النـــص)

الموقف الداخلى: أذاع نهار أمس **الحزب الجهمورى** البيان التالى:-

أبدى سكرتير **الحزب الجمهورى الإشتراكى** الرغبة فى الاجتماع بأعضاء **الحزب الجمهورى لمناقشة** مبادىء الحزبين ووسائلهما ومحاولة التوفيق بينهما للعمل معاً للدعوة الجمهورية للسودان وبالرغم من أن **الحزب الجمهورى** يرى استحالة الالتقاء نظراً للفروق الكبيره بين الحزبين فقد رحب بالاجتماع وتم ذلك بمكتب **الحزب الجمهورى** بالخرطوم يوم 3/3/1952 ونظراً للاعتراضات الكثيره التى تقدم بها الجمهوريون على دستور **الحزب الجمهورى الاشتراكى** ووسائله فى الكفاح تم الاتفاق على أن يبعث **الحزب الجمهورى** باعتراضاته ووسائله كتابة إلى **الحزب الجمهورى الاشتراكى** وقد أرسل **الحزب الجمهورى** كتاباً إلى **الحزب الجمهورى الإشتراكى** جاء فيه:-

1) ترى هيئة **الحزب الجمهورى** أن الوسائل فى دستوركم غامضة وغير محددة .

2) هل نيل الحكم الذاتى وتقرير المصير هما من وسائل الأحرار ؟

3) ماهى الطرق الإيجابية والسلبية فى نظر **الحزب الجمهورى الإشتراكى**؟

الاشتراكية لم توجد إلا لتنازع الطبقات فى المضمار الاقتصادى

1) يطالب المحرومون من الخيرات بعدالة التوزيع فيليها عليهم المحظوظون فيكون النزاع ولكننا نرى القائمين على **الحزب الجمهورى الاشتراكى** هم المحظوظون فهل يمكن عقلاً أن يحقق هؤلاء الاشتراكية ؟

2) إن بيان الحزب الذى أصدره فى التعريف بالاشتراكية يجيب على السؤال أعلاه ويجعل البيان مسخاً لمعانى الاشتراكية.

3) **الحزب الجمهورى** لايرى التعاون مع النظام القائم وقد ارتضى **الحزب الجمهورى الاشتراكى** هذا التعاون والتعاون مع النظام القائم لا يحقق الحرية من الاستعمار وهو لذلك لا يمكن أن يتحقق.

4) ليست الاشتراكية التأميم وإنما الإشتراكية المساواة وما التأميم إلا محاولة لتحقيق المساواة عند قوم أضطروا لهذه الخطة لأن عليهم أن يتطوروا من وضع رأسمالى مستحكم الحلقات.

5) الاشتراكية تنزع ملكية الأراضى وتجعلها ملكاً للأمة لا للحكومة، ولا توزع الأرض على الزراعيين على أساس ملكية فردية بل على أساس استئجار.

■ القول بأن الاشتراكية لاتفقر الغنى ولكنها تسعى لأن تغنى الفقير قول مضل لأن الاشتراكية محاولة لتوزيع الثروة توزيعا عادلاً فهى تحد من الغنى الفاحش لتدرأ الفقر المدقع.

■ يلاحظ تعريفكم للاشتراكية خلط بينها وبين الديمقراطية فالاشتراكية نظام اقتصادى والديمقراطية نوع من الحكم.

■ ذكرتكم أن من عادتنا الاشتراكية (النفير) وغير ذلك فهل من عادتنا الاشتراكية تخصيص مياه النيل وأراضى الحكومة لمنفعة البعض وحرمان الآخرين.

لم يتعرض البيان فى تعريف الاشتراكية للتجارة والصناعات واقتصر على الأرض فقط .وأخيراً ماهى الوسائل العملية لكفل الفرص للجميع.

الحزب الجمهورى

وقد تفضل حضرة سكرتير **الحزب الاشتراكى** فرد بالآتى :-

كتابكم بتاريخ 8 مارس قد قطع أمامنا سبيل التفاهم وبالتالى الأمل فى التعاون إذ أورد فى الفقرة الخاصة "بالاشتراكية" أن **الحزب الجمهورى** يتعاون مع النظام القائم.

وبما أننا نرى أن النظام القائم يدعو إلى سلوك الطرق الدستورية لنيل أمانى البلاد وهذا يتفق مع خطتنا وأنتم يستحيل عليكم قبوله فإننا نقف منكم عند هذا الحد داعين الله أن يهدينا وإياكم إلى سواء السبيل.

الحزب الجمهورى الإشتراكى

ونحن إذ ننشر هذا البيان على الرأى العام إنما نقصد إلى أن يفهم الشعب الفرق بين **الحزب الجمهورى والحزب الجمهورى الاشتراكى** فى المبادئ والوسائل لنيل الحرية (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين).

الحزب الجمهورى

ملحق رقم (26)

الجمهوريون يرسمون الطريق

بشير محـمد سعيد، "الجمهـوريون يرسمون الطريق"، **السودان الجديد**، العدد: 1630، الأحد 1952/6/8

(النــص)

أحاديث المجتمع،بشير محمد سعيد

أصدر **الحزب الجمهورى** الذى يتزعمـه الأستاذ محمود مـحمد طه كتيبـاً يشتمل على أهداف الحزب وعلى مذكرة تفسيرية حول تلك الأهداف والكتيب فى مظهره متواضع من حيث طبـاعته وورقه، ولكنه من حـيث معناه بلا شك فتح جـديد فى دنيا سياسـتنا المحلية. وليس من أغراضى هنا أن أتناول مـا اشتمل عليـه الكتيب بالنقد والتـعليق ولكنى أود فقط أن أتحدث عن أهمية مثل هذه البحوث فى مجتمعنا هذا.

إن فى السودان الآن نحواً من خمسة عشر حزباً كل منها ينادى بأعلى صوته أنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ هذا الشعب من براثن الإستعمار وهى تقوم فى معظم الأحوال لا على برامج سياسة واضحة المعالم ولكن على استغـلال عواطف وعصبيات لا تمت إلى السياسة بصلة. ومن هنا كنت لا تجـد عند هذه الأحزاب برامج واضحـة وكنت تجد أهدافهـا تتسق أحياناً حتى ليخيل إليك أنه ليس هناك ما يدعو إلى الانقسام فقط وهى تصطدم أحياناً حتى ليخيل إليك أنها تهدف لخدمة أقطار مختلفة متعددة لا لخدمة قطر واحد.

إن الحزب السياسى فيما نعلم هو مجموعة من الناس تجمع بينها مبادئ خاصة وأهداف واضحة لخدمة المجتمع وخيره. حتى إذا ما كان لهذا الحزب أن يرقى إلى مقاعد الحكم أخذ يطبق سـياستـه هذه التى تؤلف بين إعـضائه وأهدافـه التى رسمهـا وبلغ مرتبـة الحكم عن طريقها.

مثل هذا بالطبع لا يمكـن أن يقال عن أحزابنا السيـاسية إلا بحـذر شديد ذلك لأن هذه

الأحزاب فى الغالب لا ينطبق عليها هذا التعريف الذى ذكرنا وليس من هذه الأحزاب **الحزب الجمهورى**. فهو قد أثبت بنشره هذا الكتيب كما أثبت بنشراته من قبل أنه يعمل لفكرة ويدعو إلى مجتمع خاص تتحقق فيه العدالة الاجتماعية لسائر أفراد الأمة.

إن **الحزب الجمهورى** بنشر(**قل هذه سبيلى**) إنما يرسم الطريق ويضرب الأمثال للأحزاب الأخرى التى تخلفت حتى الآن وعجزت عن نشر أهدافها ووسائلها وأغراضها على الناس. وإنى لانتهز هذه الفرصة فأدعو جميع الأحزاب أن تحذو حذو **الحزب الجمهورى** فتخرج على الناس أهدافها ومراميها وتتعاون على تربية الشعب تربية سياسة لابد منها إن أردنا للشعب أن يكون له صوت وكلمة فى حكومته.

ملحق رقم (27)

خطاب إلى اللواء محمد نجيب

المصدر: محمود محمد طه، "خطاب إلى اللواء محمد نجيب"، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، ط1، أمدرمان، ابريل 1973، ص 12-10.

الأخ الكريم اللواء محمد نجيب

تحية مباركة..

أما بعد فإن مسألة خلع الملك عن العرش، بالطريقة التى تمت بها، توفيق كبير.. ولكن ينبغى ألا تحمل أكثر مما تحمل من دلائل النجاح، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها مسألة لها ما بعدها.. وسيكون الحكم لها، أو عليها، على ضوء ما يحصل عليه العهد الجديد من نجاح، أو من إخفاق.. وإنه لحق أن العهد القديم قد بلغ من الفساد حداً يكاد يجعل أى عهد يأتى بعده، مهما كان حظه من الإصلاح ضئيلاً، عهداً مقبولاً.. ولكنه حق أيضاً أن الملك السابق، رغم فساد حكمه، قد كان عامل استقرار ضد الفوضى.. وسيكون هذا الانقلاب شراً على مصر إن استجر بها إلى عدم الاستقرار.. والحزم يقضى بألا تستبعد هذا الاحتمال، بدافع من التفاؤل، وحسن الظن.. ذلك بأن هذا الانقلاب ثورة.. وفى كل ثورة قدر من التفريط، والإفراط، يتداعى بأمور الناس إلى الفوضى، فى يسر، وسرعة، وهم لا يشعرون.. ولا يدرأ عن مصر سوء المنقلب إلا أمران: الحزم، والفهم.. أما الحزم فيقضى بأن تتولى كل أمور مصر بنفسك وأن تكون، فى غير مواربة، ولا رياء، المسئول الأول والأخير، أمام الشعب المصرى، وأمام العالم أجمع، عن استقرار العهد الجديد فى البلاد.. وأن تستخدم، من الساسة من شئت، ومن الخبراء، والفنيين، المصريين والأجانب، من استطعت.. على أن يكونوا مستشارين، وأعواناً، ومنفذين، مسئولين أمامك أنت، وتحاسب أنت على سيئات أعمالهم، أكثر مما يحاسبون.. ولا تخافن اسم «الدكتاتور»، إن كنت تقدر على أن تكون «دكتاتورا» مصلحاً.. فإن عيب «الدكتاتورية» ليس فى ذاتها، وإنما هو فى أعمالها.. فإن أحسنت، فهى خير وسائل حكم عهود الانقلاب.. وهى خير وسائل الحكومات لدى الشعوب المتأخرة، على كل حال..

وأما الفـهم فيقتـضى بأن تكون لك رسالة تبلغهـا الشعب، وتأخذه بها، وتجـعل كل مرافق الحياة الاقتصـادية، والاجتماعية، وسيلة إلى بلوغها.. واعلم أن الشـعب لا ينصلح بمجرد توفير الرخاء المادى، ذلك بأن الإنسان لا يعـيش بالرغيف وحده، كما يظن الشيـوعيون.. وإنما يعيش بالرغيف وشىء وراءه، أهم منه، هو القـيم الروحية التى تطهر القلب، وتصـفى الذهن، وتسمو بالأخلاق.. وأنت رجل مسلم، من شعب مـسلم، قد ضل الطريق إلى المناهل التى ارتوى منها أوائله، فعب من الكدر الآسن ما قعد به عن رحاب الحـياة السعيدة.. فهل فكرت فى رد القطيع الضال إلى المهيع الأفيح من شريعة القـرآن، وأخلاق القرآن؟؟ هل فكرت أن تقوم بانقلاب فى مناهج التـعليم، ومـرافق الصحـة، ووسائل الـتغـذية، وأساليب السـكن، على هدى الدسـتـور الأزلى، القرآن؟؟.. والفساد فى مـصر ليس سببه الملك، وليس سببـه الساسة، والأعوان، الذين تعـاونوا مع الملك.. بل إن الملك، وأعوانه، هم، أنـفسـهم، ضحـايا لا يملكون أن يمتنعـوا عن الفسـاد، أو أن يدفعوه عنهم.. فـإن أردت أن تلتمس أسباب الفـساد، فالتـمسها فى هذه الحـياة المصرية، فى جميع طبقاتهـا، وجميع أقاليمها، تلك الحياة التى أقامت أخـلاقها، إما على قشور الإسلام، أو على قـشور المدنية الغربيـة، أو على مزاج منهما.. وأنت لن تصلح مـصر، أو تدفع عنها الفساد، إلا إذا رددتها إلى أصول الأخلاق، حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً..

من أنت؟؟ هل أنت صـاحب رسـالة فى الإصـلاح فتـسير بـشعب مـصـر إلى منازل التشريف؟؟ أم هل أنت رجل حـانق، جاء به ظرف عابر، ليقلب نظاما فـاسدا، ثم يضرب ذات اليمين، وذات الشمال، حتى ينتهى به المطاف، إما إلى الخير، وإما إلى الشر؟؟

ذلك هو السؤال الذى يترقب الـتاريخ جوابه.. فانظر حيث تجـعل نفسك.. فإنك رجل مجازى بالإحسان، مأخوذ بالاجترام..

وشىء آخر، نحب أن نشير إليه، هو علاقة مصر بالسودان، فإنها قامت، ولا تزال تقوم، على فهم سىء.. فإن أنت اسـتقبلتها بعـقل القوى فتستطيع أن تبـرئها مما تتسم به الآن من المطمع المسـتخفى، والعطف المسـتعلن، فإن الـسودانيين قـوم يؤذيهم أن يطمع طامع فيـما يحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون..

محمود محمد طه

ملحق رقم: (28)

صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، الحرية لنا ولسوانا، رئيس التحرير محمود محمد طه

العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5 فبراير 1954 (ثمن العدد قرشان)

الجمهورية

لسان الحزب الجمهوري الحرية لنا ولسوانا

اقتصادنا

رؤوس الاموال الوطنية

السياسة الدولية

مؤتمر الكبار

الاجندة التي قدمها مولوتوف في

مؤتمر برلين. دخول الصين الشيوعية في المؤتمر

تعليمنا

المعهد الفنى نواة

الجامعة الشعبية

أو ما علمت ان الارض

قد التحقت باسباب السماء ؟

الدكتور النويهي يناقش

ملحق رقم: (29)

صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهوري، الحرية لنا ولسوانا، رئيس التحرير محمود محمد طه

صفحة 3، العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5 فبراير 1954 (ثمن العدد قرشان)

نحو عالم جديد

الكينا الحديدية

ملحق رقم: (30)

صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، الحرية لنا ولسوانا، رئيس التحرير محمود محمد طه

صفحة 4، العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5 فبراير 1954 (ثمن العدد قرشان)

نحو عالم جديد

الاشتراكية

في الشرق دعوات وفي السودان

مصدرون

ملحق رقم: (31)

صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهوري، الحرية لنا ولسوانا، رئيس التحرير محمود محمد طه

العدد رقم (16)، السنة الأولى، يوم السبت 11 شوال عام 1373 الموافق 12 يونيه 1954

(ثمن العدد 10 مليمات)

الجمهورية

لسان الحزب الجمهوري، الحرية لنا ولسوانا

كلمة الجمهورية

اسمعوني وعوني!

المحاضرات

الإسلام الذي ننشده

المؤتمر الصحفي

الذي حاول تحرير الصحافة

معرض مصلحة المساحة

المصلحة التي يمهد عملها الطريق امام كل تقدم ولايعرف الشعب عنها شيئا فقررت ان تعرف الشعب بنفسها فخطت الخطوة الاولى واتبعتها خطوات

ملحق رقم (32)

من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر - 1955

المصدر: "من محمـود محمد طه الى جمال عـبد الناصر"، **صحيفـة الاستقلال**، العدد: 81، بتاريخ 1955/9/3

ملاحظة: هذا الخطاب لم ترد الإشـارة إليـه من قبل فى أى مـصـدر أو مرجع، سـوى الصحيفة التى نُشر فيها، فهو غير خطاب الأستاذ محمود الذى أرسله عام 1952 إلى اللواء محمد نجيب، قائد ثورة 23 يوليو 1952، وكذلك غير خطاب الأسـتـاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، الذى أرسله عام 1958[(1)].

(الـنــص)

من محمود محمد طه إلى جمال عبد الناصر

سيادة الأخ الكريم جمال عبد الناصر

تحية طيبة مباركة

أما بعد فلم يسـبق لى شرف الكتابة إليك وإنما سبق لى أن كـتبت إلى الأخ الكريم محمـد نجيب فى مستـهل حركتكم هذه وكان النـاس يومئذ فى نشوة وفـرحة، وكانت الرسـائل تردكم بكثـرة من كل صوب، وكـانت فى غـالبيـتهـا برقـيات، وكـانت تزف التهانى والبشرى وكان أصـحابها يتلقون الردود ولكن رسالة **الحزب الجمهورى** كانت من نوع آخر.

- كانت رسالة مطولة بالبريد وكانـت متجهمة حذرة تتوجس فى نفسهـا خيفة وكانت ترجو النصيح وتقلل من قيمة طرد الملك فى حد ذاته وتقول إن العبرة بتغيير حياة المصريين وبالسير بهم من مطارح الهوان إلى منازل الشرف ولم يتلق الجمهوريون رداً على رسالتهم

---

(1) الخطابان، الأول الموجه للرئيس محمـد نجيب والخطاب الثانى الموجه للرئيس عبدالناصـر متوفران بموقع **الفكرة الجمهورية على الإنرنت**: www.alfikra.org

هذه كما تـلقى الأفراد والهيئـات فى سودانا العزيز، عزا بعض إخـواننا عدم ردكم إلى ان رسـالتنا قد أثقلت عليكـم بالنصح وأنتم فى نشوة الـظفر ولكننا لم نعـر عدم ردكم كـبيـر الاهتمام وإنما انصرفنا نرقب تقلب حركتكم فلم يدهشنا شيء مما اتفق لها.

والآن نعود لنكتب إليك أنت -وكسابق عهدنا- ناصحين ولسنا ندرى هل يثقل عليك نصـحنا ولكنا ندرى أن واجبنا يحـتم علينا أن ننصح فى هذا الظرف الـدقيق وخـاصة لأن إعفـاء الأخ صلاح سالم من مـعالجة شـؤون السودان يتيح فـرصة حسنة لانتـهاج أسلوب جديد لمباشرة العلاقات المصرية السودانية بأذهان متفتحة.

لسنا نحتاج أن نقول أن السودانيين على اختلاف ألوانهم يعرفون لمصر عامة ولحركتكم الأخيرة خاصة اليد الطولى فى المعاونة على تحقيق حرية السودان كما لا نحتاج أن نقول أن السودانيين بطبعـهم يحفظون الجميل ويأخذون أنفسهم بالوفاء ولـكن سياسة الأخ صلاح فى الأيام القليلة الماضية حين أخذ الرأى العام السودانى يتـجه نحو الاستقلال ويجمع عليه كانت من السـوء ومن قصر النظر بحـيث شككت السودانيين فى حـقيقة دوافع مـصر إلى الخدمة التى أسـدتها للسودان... هل كانت دوافـع بريئة أم هل كانت مغـرضة؟ هل كانت لوجه السودان أم كانت لمطامع مصر فى استعـمار السودان؟ وكلما عارض صلاح بأساليبه الساذجة الحـركة الاستقلاليـة التى توافت عندها الصفوف كلما قـام فى أخلاد الشعـب، أن مصر تخفى مـطمعاً أزرق الناب خلف الكلمات الخلابة.. كلمـات الأخوة واللغة والدين وإلا فلماذا سيـئت باتجاه السودان الى الحريـة والاستقلال؟ ولحسن الحظ لاتزال هـناك بقية من رجاء فى مصـر وهو رجاء قائم بك انت الآن ذلك بأن الناس هنا يعتقـدون أن صلاحاً كان يحجب عليك حقيقة الأمـر فى السودان وأنت لو كنت تباشر شؤون السودان بنفسك لكان لك من ذكائك وبـعد نظرك ما يجـعلك توائم بين السيـاسة المصرية ومطامع الحـركة السـودانية الوطنيـة بحـيث لا تظهر مـصر فى مظـهر المعـادى لأعز آمـال شعـب هو أقـرب الشعـوب إليها والآن وفى هذا الظرف الذى تنحى فـيه الأخ صلاح وباشـرت أنت بنفسك توجيه العلاقات المصرية السودانية. يتطلع السـودانيون إلى تغيير أساس فى سير الأمور بل أنهم فى الحـقيقـة ليتطلعـون إلى برهان دافع على أن مصـر لم يكن يحدوها فـى أسداء مما أسدت مطمع ولا مغنم ولا يكون هـذا البرهان بأقل من أن تعلن حكومة مصر من جـانبها

على الفور باستقلال السودان استقلالاً تاماً شاملاً ومن الحق أن نقول أن مصر بإعلانها استقلال السودان لا تزيد على أن تعترف بالأمر الواقع لا تزيد قيمة عملها هذا على أن توفر على السودانيين المال والوقت والجهد الذى يصرفونه فى إجراء استفتاء نتيجته معلومة سلفاً، وليس المال والوقت والجهد بالأمر اليسير.

إن العداء بين مصر والسودان أمر غير طبيعى ولا مستساغ ويكاد يجزم بأنه غير ممكن ولأن يكون كل منهما مستقلاً حراً قوياً أجدى على علاقاتهما فى المضمار العالمى من أن يتحدا اتحاد الضعاف فإن اتحاد الضعاف ضعف على ضعف.

نرجو مخلصين أن تكون عند حسن الظن بك

محمود محمد طه

رئيس الحزب الجمهورى

ملحق رقم: (33)

الحزب الجمهورى يرسل خطاباً لجمال عبدالناصر

الشـرق الأوسط عظم النزاع.. الشيـوعيـة الدوليـة والاستـعمـار الغربى.. دور الثـورة المصرية فى تعجيل بلشفة العالم

المصدر: محمود محمد طه، "**الحزب الجمهورى** يرسل خطاباً لجمال عبدالناصر"، **صحيفة أبناء السودان**، 1958/8/18

سيادة الأخ جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر

تحية مباركة

وبعد فإن ثورتكم بالملك السابق قد شبت فى 23 يوليو من عام 1952 وقبل مضى شهر على شبوبها وعلى وجه الدقة فى 18 أغسطس من نفس العام شيّع **الحزب الجمهورى** كتاباً موجّها إليكم جميعاً فى شخص الأخ الكريم محمد نجيب وهو كتاب لم نتلق عليه رداً فى حين أن ردودكم كانت تتوالى على مرسلى برقيات التهنئة ولعل مرد ذلك إلى أن ثورتكم قد كانت من التوفيق والنجاح بحيث لم تدع لكم مجالا لسماع ما يقال من غير كلمات التهنئة وكلمات الإطراء ولم نكن نحن من هؤلاء المهنئين المطرين وإنما كنا ناصحين مشفقين ناظرين إلى غد الثورة لا إلى يومها ولقد جاء فى كتابنا ذلك قولنا " والفساد فى مصر ليس سببه الملك وليس سببه الساسة والأعوان الذين تعاونوا مع الملك بل إن الملك وأعوانه هم أنفسهم ضحايا لا يملكون أن يمتنعوا على الفساد وأن يدفعوه عنهم .. فإن أردت أن تلتمس أسباب الفساد فالتمسها فى هذه الحياة المصرية فى جميع طبقاتها وجميع أقاليمها تلك الحياة التى أقامت أخلاقها إما على قشور الإسلام أو على قشور المدنية الغربية أو على مزاج منهما وأنت لن تصلح مصر أو تدفع عنها الفساد إلا إذا رددتها إلى أصول الأخلاق حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً.

(من أنت؟؟ هل أنت صاحب رسالة فى الإصلاح فتسير بشعب مصر إلى منازل التشريف أم هل أنت رجل حانق جاء به ظرف عابر ليقلب نظاماً فاسداً ثم يضرب ذات

اليمين وذات الشمال حتى ينتهى به المطاف إما لخير وإما لشر.

ذلك هو السؤال الذى يترقب التاريخ جوابه فانظر حيث تجعل نفسك فإنك رجل مجازى بالإحسان مأخوذ بالاجترام.

هذا ما قلناه يومئذ وما نرى إلا أن ما توقعناه وخشيناه قد حدث فقد لبثنا نراقب الثورة فى كل ما تأتى وما تدع فنراها تنحرف شيئا فشيئا عن النهج القويم فبدل أن توقظ العقول المصرية والضمائر المصرية بالتربية الرشيدة والفلسفة الإنسانية البانية والحرية الفردية التى تخلق الرجال والنساء أخذت تكبت المصريين كبتاً ألغى عقولهم وأفسد ضمائرهم وساقهم سوق السوام بلا إرادة ولا اختيار ثم ضربت عليهم من الرقابة ما أخرس ألسنتهم وأقامت عليهم من الجاسوسية ما أفسدت ذات بينهم وألبسهم لباس الخوف.

انحراف الثورة

ثم إن الثورة لما انحرفت عن رسالة البناء والحرية انحدرت فى سراديب مظلمة لا يحفزها فى شعابها إلا البغض والضغينة والحقد وقديماً قيل أن الشيطان يعطى عملاً للأيدى العاطلة وهو أيضاً يعطى فكراً للرؤوس الفارغة وكذلك نفث الشيطان فى روع الثورة فأغراها بعداوات كانت فى غنى عنها ولو أنها قد اعتدلت فى تلك العداوات وحملت منها ما تطيقه وأبقت منها بقية لغدها لما كان عليها فى ذلك من بأس فإنه ليس سبيل إلى الحرية بغير مناجزة القوى التى تعوقها ولكنها حملت من العداوات ما ليس لها به يدان فاضطرت أن تستعين على عدو بعدو هو أشد لدداً وأقوى مراساً وأسوأ من ذلك أن هذا العدو يظهر فى ثياب الصديق الشفيق.

تأميم قناة السويس

فقد كنا أول من عارض تأميم الثورة لقناة السويس وذلك غداة تأميمها ولم يكن اعتراضنا منصباً على التأميم فى حد ذاته بقدر ما كان منصباً على الطريقة التى جرى بها التأميم . ذلك بأنا كنا موقنين بأن الثورة قد تطرفت فى التحدى حتى تجاوزت القصد وأنها لن تأمن عواقب هذا التطرف مما قد يضطرها إلى التماس الحماية عند الشيوعية الدولية

فتقع بذلك فى الفخ الذى نصبوه لهـا عندما سلحوها فـوق حاجتـها مما أغراها بالتـحدى وأضراها بالمناجـزة ومناها بالغلبة وأعـجلها عن اصطناع الأناة وبعد النـظر ولقد يعلم أقل الناس ذكاء أن قناة السويس ذات أهمية بالغة للدول الغربية وأن لها فيها حقاً أيسر ما يقال عنه أنه حق مكتسب يصـعب عليها جـداً أن تقابل ضياعـه من بين يديها بعدم اكـتراث أو حتى بصبر وتحمل يضاف إلى هذا أن التأميم قد جرى بطريقة فيها من التحدى والتحقير ما نال من هيبـة هذه الدول أبلغ النيل مما حملهـا على ارتكاب ما ارتكبت من حمـاقة فى حق مصر ولم يكن المكسب وراء كل هذه الفصول للغرب ولا لمصـر إنما كان للشيوعية الدولية وحدها ولقد يظن بعض قـصار النظر أن مصر قد خـرجت من هذه المعركة ظافرة بتمـصير القناة ولو نظر هؤلاء إلى أبعد من أنوفهم لعـلموا أن مصر قد وضعت بفعلتـها تلك قناتها ونفسهـا والدول العربية بل والإنسانـية جمعاء فى خطر عـظيم من جراء سيطرة الشيـوعية الدولية ويقـول قصار النظر هؤلاء أن روسـيا لا تتوجه بعـداوتها إلا صوب الدول الغـربية وأنها لا مطمع لها فينا نحن الدول الصغيرة ولا هى ترمى من وراء مساعدتنا إلا إلى هزيمة الدول الإستعمارية وتحرير الشعوب المستعمـرة واستقرار السلام العالمى لخير الإنسانية أولا وأخيرا وهم يستدلون على زعمهم هذا المأفـون بأن روسيا لا تطلب منا أن نكون شيوعيين بل إن الشيوعـيين المصريين ليطاردون دون هوادة وانهم ليـساقون إلى السجـون من غير أن تحرك روسيا ساكناً لمساعدتهم أو للشـفاعة لهم عند الحكومة المصرية .. ولست أدرى كيف يحق لمن يتورط فى مـثل هذه الأفكار الضحلة أن يتولى أمـور الناس أو حتى أن يدلى فيـها برأى مكتوب أو رأى مذاع!!

حقاً إنا لنعيش اليوم فى عهد مفتون قد طففت فيه موازين القيم فارتفع خفاف الأحلام فى كل مكان يوجهون مصـائر الشعوب وأصبح بذلك الطريق معداً أمام الشيـوعية الدولية لتكيد كيدها وتنفث سمومها.

وقد كنا نريد للثورة أن تسلك بـالتأميم سبيلاً يسـتخلص لمصر حقوقهـا فى أرضها من غير أن يعطى الفرصة للشيوعية الدولية أن تظهر بمظهر المدافع عن المستضعفين المغلوبين مما خدع العرب عنها ومكن لها فى ديارهم تمكينا . ولقد كان هذا السبيل ممكناً وميسوراً. وهو سبيل معروف لـدى الثورة وليس غريباً عليها وقد سلكته مـرة ودافعت عن سلوكه وقتلت

من عارضوها فى ذلك كل مقتل.. ولكن قد كان ذلك قبل أن يكيد الشيوعيون كيدهم ويغدقوا على الثورة من السلاح والعتاد والعطف ما أنساها نفسها وغرّها عن حقيقتها وأعجلها عن اصطناع الأناة وأغراها بمواقف المسرحيات والبطولات شأن كل الدكتاتوريات. ولقد جاز تضليل الشيوعية الدولية على كثير من قادة الشرق وما مؤتمر باندونق الذى عقد بأندونيسيا وضم زعماء الدول الآسيوية والإفريقية وتبنى شعارات الشيوعية الدولية إلا مثل واضح لهذا التضليل . ثم تلاه تضليل آخر أمعن فى الغباء والغفلة من سابقه .. وذلك فى مؤتمر الشعوب الآسيوية والإفريقية الذى عقد بالقاهرة فى أواخر العام المنصرم واشتركت فيه روسيا الشيوعية وتبنى شعارات الشيوعية الدولية مثل "محاربة الأحلاف العسكرية" وما إليها ثم لم يتورع من التحدث عن الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية أى بين روسيا وأمريكا .. ولكن هذا التضليل قد جاز على الثورة المصرية أضعاف ما جاز على غيرها حتى لقد أصبحت الشيوعية الدولية مختفية وراء مطامع الثورة ومطامحها اختفاءً تاماً تستخدمها فى تضليل العرب وفى إضعاف الغرب وذلك يخدم أغراض الشيوعية الدولية من وجهين:

1- إضعاف الغرب

إن الشيوعية مذهبية ذات مطمح عالمى ولا يحول بينها وبين بسط سلطانها على العالم غير مناهضة الدول الغربية لها وهى تسعى جاهدة لبسط سلطانها على هذا الكوكب الذى نعيش فيه بكل الأساليب ومع أن أسلوبها التقليدى والأساسى هو الثورة والعنف والحرب إلا أنها لا ترى فى الوقت الحاضر أن الحرب مأمونة العواقب مضمونة النتائج وذلك لتوازن القوى القائم بينها وبين الدول الغربية وهى لذلك تقسم برنامجها لغزو العالم وإخضاعه إلى مرحلتين ... فأما المرحلة الأولى فغرضها إخلال توازن القوى وترجيح كفتها هى على كفة الدول الغربية وأما المرحلة الثانية فغرضها إنهاء العمل بتنفيذ المؤامرة الكبرى المدبرة لاغتيال حرية البشرية وهى تبدأ حين يصبح ، بفضل نجاح المرحلة الأولى ، واضحاً جلياً أن المغامرة المسلحة ضد الدول الغربية ستنتهى بهزيمة الغرب من غير أن تخرج الشيوعية الدولية منها محطمة تحطيماً يعجزها عن الإنتشاء بنتائج النصر..

وما المرحلة الأولى لإخلال التوازن إلا (الحرب الباردة) وسلاحها الدجل والخداع

وتضليل الشعوب واستغلال عواطفها نحو السلام وخوفها من الحروب وإلا الإرجاف وتشويه الحقائق ورشوة الكتاب والعلماء أو إرهابهم وشراء الصحف والسيطرة على المطابع وتبنى التكتلات الإقليمية وإطارة الشعارات البراقة المحبوكة المسبوكة التى تخدع السطحيين المتحذلقين أنصاف المثقفين فيظنون أنهم حين يرددون هذه العبارات فى الكتابة وفى النقاش إنما يدخلون فى زمرة المثقفين المفكرين الأحرار هكذا يستعيضون عن التفكير السليم الحر الذى يعوزهم بالعبارات الجوفاء التى يأخذونها تلقينا ممن يظنونهم سادتهم وأساتذتهم ويظلون يرددونها فى الصحف والأحاديث حتى تشيع بين طبقات الشعب وتعمل عملها فى التضليل المنظم.

الأحلاف العسكرية

ومن هذه الشعارات الخادعة الجوفاء (محاربة الأحلاف العسكرية) ونحن نذكرها هنا على سبيل المثال لأنها وثيقة الصلة بما نحن بصدده من انحراف الثورة المصرية.. فما هى الأحلاف العسكرية وما سبب اهتمام الشيوعية الدولية بمحاربتها؟؟

الأحلاف العسكرية أحلاف دفاعية أقامتها الدول الغربية فى نطاق مضروب حول الشيوعية الدولية من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهادى مثل حلف شمال الأطلسى وحلف بغداد وحلف جنوب شرقى آسيا . والغرض منها تطويق الشيوعية الدولية ومنعها من الزحف والتوسع وتذكيرها على الدوام بأنها ان أقدمت على صراع مسلح فإنها لا تضمن عواقبه واضطرارها إلى قصر نشاطها العدوانى ضد الإنسانية جميعها على الحرب الباردة.. وتشترك فى هذه الأحلاف مع الدول الغربية دول تقوم على خط النار وتهددها الشيوعية الدولية تهديداً مباشراً كالباكستان وايران وتركيا والعراق مثلا وغرضها من ذلك حماية نفسها من الشيوعية والحيلولة دون المؤامرة الكبرى التى تدبرها لاغتيال حرية الإنسانية جميعها.. وواضح من ثم اهتمام الشيوعية الدولية بتجنيد كل مكرها لمحاربة الأحلاف العسكرية لأنها تضايقها وتعوق زحفها ولأنها تقف بينها وبين بسط نفوذها على العالم ولأنها تهددها باستمرار ولأنها تمنعها من إخلال توازن القوى الذى تكرس له اهتماماً بالغاً فى المرحلة الأولى من مراحل غزو العالم كما أسلفنا القول.. ولقد نجحت

الشيوعية الدولية فى استخدام مؤتمر باندونق ومؤتمر الشعوب الآسيوية الإفريقية فى التشهير بالأحلاف العسكرية وتشويهها وتبغيضها إلى الشعوب وفى دمغ العاملين إليها من الساسة بالخيانة والمروق مما أخاف منها وأضعف الاتجاه إليها..

ولكن الشيوعية نالت نجاحاً أكبر باستخدام الثورة المصرية فى تحطيم حلف بغداد تحطيما يكاد يكون تاماً، وحلف بغداد أهم حلقة فى سلسلة الأحلاف التى تطوق الشيوعية وتوقف زحفها وبتحطيمه يتم توهين السلسلة كلها وتفتح ثغرة فى الدرع الواقى للشرق الأوسط من تسلل الشيوعية وإفسادها ولا تحتاج أهمية الشرق الأوسط الى توكيد..

ثم قل لنا بربك أليس من الغفلة وأفن الرأى أن نهاجم نحن فى مصر أو فى السودان بلدا كالباكستان مثلاً لدخولها فى حلف بغداد وهى تعيش بين عداوتين : الشيوعية من الشمال والهند من الجنوب ؟ أليس معنى خروجها من حلف بغداد خضوعها للضغط الشيوعى والضغط الهندى ؟؟ وما يقال عن الباكستان يقال عن رصيفاتها ايران والعراق وتركيا على تفاوت فى ذلك طفيف . ومن من الناس ينسى اعتداء روسيا عقب الحرب الأخيرة على المقاطعة الشمالية من إيران ثم لم تخرج منها إلا بعد تهديد الدول الغربية باستخدام القوة ضدها؟

إن هذه الدول وساستها الذين يصمدون أمام زحف الشيوعية الدولية ويضطرون فى سبيل ذلك إلى التعاون مع الغرب اضطراراً لا اختياراً على قاعدة تفضيل أخف الضررين والذين تصفهم أنت ورجالك وإذاعتك وصحافتك بالخيانة والمروق والتبعية للغرب وتحرض عليهم شعوبهم التى أخذت بنصيبك الوافر فى تضليلها . إن هؤلاء الساسة يا سيدى يعرفون عن حقائق الصراع العالمى أكثر مما تعرف ويملكون من الشجاعة ما لا تملك ولقد استشهد منهم من استشهد وستلقى الله وفى يديك من دمائهم أغلال وسينصفهم التاريخ ويخلد استقالتهم واستشهادهم فى سبيل الحق وفى مقاومة الفساد والدجل .. ولئن ذكر التاريخ ضغطهم على شعوبهم وكبتهم لها فسيذكر أنك كنت السبب بإثارتك لتلك الشعوب وتضليلك إياها وتحريضها على الثورة بحكامها والانتفاض عليهم.

وأنا زعيم بأن التاريخ لن ينسى موقفاً لفاضل الجمالى بمؤتمر باندونق حاول أن يذكر فيه

المؤتمرين حين ورد ذكر الاستعمار فى الأجندة بأن هناك استعمارين : استعماراً غربياً واستعماراً شيوعياً فانبرى لـه نهرو واتهمه بأنه لم يجئ للمؤتمر إلا ليخدم أغراض أسياده الإنجليز تلك الأغراض التى يرى نهرو كما ترى أنت أن حكومة نورى السعيد كانت توظف نفسها لخدمتها وكذلك ضاعت صيحة الحق فى خضم الباطل.

كما قلنا فقد استخدمت الشيوعية الدولية ولا تزال تستخدم الثورة المصرية لتبلغ بالمرحلة الأولى - مرحلة الحرب الباردة - غايتها وهى إخلال توازن القوى وقد أحرزت منذ تأميم قناة السويس والى اليوم نجاحاً كبيراً فى هذا المضمار وإذا اطردت الأمور على هذا النحو الذى نرى اليوم فان كفة الشيوعية الدولية سترجح بكفة الديمقراطية الغربية وسيجئ عند ذلك دور المرحلة الثانية من مراحل الغزو العالمى الذى تبيته الشيوعية الدولية وهذه المرحلة الثانية كما أسلفنا القول هى مرحلة "الحرب الساخنة" وستثير الشيوعية بها حرباً طاحنة تهزم فيها الدول الغربية وتصبح سيدة العالم - لا قضى الله ولا قدر - ويومها ستفقد مصر قناتها ونفسها كما قلنا آنفاً وستكون بعملها غير المسئول فى الوقت الحاضر شؤماً لا على العرب وحدهم وإنما على الإنسانية جمعاء ثم إن قادة الشيوعية يومئذ لن ينظروا فى وجه جمال عبد الناصر نفسه مرتين.

هذا ما كان من استخدام الشيوعية الدولية للثورة المصرية فى إضعاف الدول الغربية أما استخدامها إياها فى تضليل العرب فذلك أنكى وأمر وسنرى

2- تضليل العرب

أول ما تجب الإشارة إليه أن العرب لم يكونوا شيئاً مذكوراً قبل الإسلام وأنهم لم يدخلوا التاريخ إلا بعد أن أكرمهم الله عز وجل بالإسلام وعلمهم أن "العنصرية" هوس باطل وقال لهم ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) وأمر نبيهم أن يوضح لهم ذلك فقال ((ليس لعربى فضل على أعجمى إلا بالتقوى)) .. لقد كان كل هذا فى القرن السابع الميلادى ونحن اليوم فى القرن العشرين تقوم بيننا دعوة منكرة تئد تعاليمنا الإنسانية السامية وتضع فى رؤوسنا وقلوبنا نعرة جاهلية رجعية متخلفة تحرر من سيطرتها من هم دوننا منذ القرن

التاسع عشر ولم يعد لها مكان فى عالم اليوم إلا عند قصار الأحلام غلف القلوب .. ومن عجب أن بعض المفكرين يظنون أن دعوة القومية العربية ليست عنصرية وإنما هى رابطة لغة وحضارة وثقافة .. فهل علم هؤلاء أن الإسلام هو الذى أعطى العرب بعد أن كانوا قبائل وبطونا وحدة المصير ووحدة اللغة وأنه هو الذى أعطاهم الحضارة والثقافة؟ هل علم هؤلاء أن القومية العربية نتيجة من نتائج صقل الفلسفة الإسلامية للعنصرية العربية وأن هذه الفلسفة الإسلامية لا تزال قادرة على صقل العنصريات المختلفات فى النوع البشرى كما تصقل النار الحديد فتزيل صدأه وخبثه وتظهر أصالته وفضائله ومميزاته ؟ هل علم هؤلاء أن الانصراف عن الفلسفة الإسلامية والدعوة إلى القومية العربية انصراف عن الجوهر إلى العرض وعن الأصل إلى الفرع واستبدال للذى هو أدنى بالذى هو خير!

وشئ آخر هام هو أن هذا الكوكب الذى نعيش فيه قد أخذ يتأهب ليصبح موطناً موحدا لبشرية واحدة على اختلاف عنصرياتها وألوان بشراتها وتباين لغاتها وأن هذا العصر عصر فلسفات اجتماعيات ومذاهب علمية فى السياسة والاقتصاد وليس عصر عنصريات أو قوميات أو إقليميات ولن تنتصر فى الغد إلا الفلسفات والمذهبيات ، لا العنصريات ولا القوميات ولا الإقليميات ولقد فطنت الشيوعية الدولية إلى ذلك الرأى وذهل عنه المسلمون وهم أهله فإذا لج بالمسلمين هذه الذهول - لا قضى الله ولا قدر - فإن الجو سيخلو للشيوعية لتعيش فى الأرض الفساد ولترجع بالإنسانية إلى العهود المظلمة التى خلفتها وراءها منذ مئات القرون .. وهذه الثورة المصرية هداها الله وألزمها الصواب تعمل جاهدة لتسيير العرب فى الركب المهيض الخاسر - ركب القومية العربية - وهى تتآمر عن غير وعى منها مع الشيوعية الدولية فى انقلابات عسكريات تحقق مطامحها هى المؤقتة فى السيطرة على العرب وتحقق مطامع الشيوعية العتيدة فى اغتيال حريات البشرية بما فى ذلك المصريين أنفسهم.

الحياد الإيجابى:

هذا مثل واحد من أمثال التضليل (المفلسف الذى) تقوم به الثورة المصرية لمصلحة الشيوعية الدولية .. وهناك مثل آخر وهو دعوة الحياد الإيجابى الذى تتمدح به الثورة المصرية

فى كل مناسبة داخلية أو خارجية مع أنها ليست محايدة وليست إيجابية .. هى ليست محايدة لأنها تسير فى ركب الشيوعية وتعتمد عليها فى الدفاع عن نفسها أمام العداوات الكثيرة التى صنعتها بيديها . وهى ليست إيجابية لأنها تضرب ذات اليمين وذات الشمال بغير فلسفة ولا مذهبية وقد رأينا ذلك فى جميع تصرفاتها . وليس هناك تلبيس على العقول وتضليل للأفكار أبلغ من تزييف الحقائق وتسمية الأشياء بغير أسمائها.

وليس بصالح عندنا فى الدفاع عن سياسة الثورة المصرية اجترار العبارات التقليدية كمحاربة الاستعمار مثلاً، ذلك بأن الثورة لا تعرف الاستعمار إلا على أنه غربى مع إن أقل الناس ذكاء يدرك أن الغرب مستعمر وأن الشيوعية مستعمرة مع فارق فى ذلك كبير ، فالاستعمار الغربى أسلوب عتيق مكشوف قد خلفه الزمن وتفطنت لألاعيبه الشعوب وهزمه سير التطور وأما الاستعمار الشيوعى فأسلوب محدث معمى لا تدركه إلا عقول المثقفين لأنه يقوم على مذهبية منظمة يجهلها جل الناس جهلاً تاماً وقد طوع الجهل به للشعوب أن تأوى إلى كنفه وتحتمى به من الاستعمار الغربى وهى لا تدرى أنها إنما تستجير من الرمضاء بالنار.

أما بعد فهذا قليل من كثير يمكن أن نسوقه إليك أيها الأخ الفاضل وهو قول لم نرد به إلى إحراجك ولا إلى إعناتك وإنما أردنا به إلى خيرك وخيرنا وخير الإنسانية جميعها ثم أننا مازلنا نرى رأينا الأول فى كتابنا الذى شيعناه لكم فى أغسطس سنة 1952 وذلك حيث قلنا (وأنت لن تصلح مصر أو تدفع عنها الفساد إلا إذا رددتها إلى أصول الأخلاق حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً) ونحب أن نحذرك من التورط فى خطأ كبير تورط فيه كثير من المفكرين الاجتماعيين وهو اعتبار الرخاء المادى بالتوسع الزراعى والصناعى بديلاً عن الحرية الفردية .. ويطيب لنا أن نؤكد لك أنه ليس لك من سبيل إلا سبيل الإسلام ثم إنا نرجو أن نقترح عليك الآتى :-

1- أن تترك التدخل فى شئون البلاد العربية - التدخل بجميع صوره - الإذاعة والصحف والرشوة - وذلك لأنه ليس لديك ما تعطيه أياً من هذه الدول وما تزيدها بتدخلك فى شئونها غير تخسير.

2- أن تنفض يدك فوراً من الدعوة الباطلة -دعوة القومية العربية - وأن ترجع بشعبك

إلى الإسلام رجوعاً واعياً وأن تحاول بعث المعانى الإنسانية الرفيعة التى يذخر بها القرآن وأن تصلح بها قومك أولاً وهذا ما عنيناه برد قومك إلى أصول الأخلاق حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً.

3- أن تصحح رأيك فى الحياد الإيجابى ... فإنك لن تستطيع الحياد إذا أسرفت فى عداوة فريق من الفريقين ، فان الإسراف لا يورث الاعتدال . فأنت لا تجنى من الشوك العنب .. وإنك لن تستطيع أن تكون (إيجابيا) فى حيادك إلا إذا كنت تمتلك الفلسفة الإيجابية وما نرى لك من فلسفة بازاء الرأسمالية والشيوعية غير الإسلام.

4- فإذا ما أرحت الدول العربية من تدخلك فى شئونها ومن دجل دعوة القومية العربية فسيكون على كل دولة عربية داخل حدودها - ولا يعنى هذا عدم التعاون المتكافل - إن تبعث الإسلام من جديد وأن تطبق مذهبيته التى تحقق التوفيق بين الاشتراكية والديمقراطية أى بين العدالة الاجتماعية والحرية الفردية فإذا ما استطاعت أى من الدول العربية أن تخلق من نفسها نموذجاً صالحاً للدولة الإسلامية التى تحل مشاكل سكانها على هدى أهدى من الشيوعية ومن الديمقراطية الرأسمالية فإن الدول العربية ستحذو حذوها وسيتم اتحاد العرب تحت راية القرآن وسيكونون باتحادهم ومذهبيتهم الكتلة الثالثة التى تنهض بين الشيوعية والرأسمالية وسيقلد نموذجهم سائر دول العالم وهكذا ينفضون من حول الشيوعية والرأسمالية وتقوم الحكومة الفدرالية العالمية على مذهبية تتمم النقص فى الشيوعية والرأسمالية وذلك بتحقيق التوفيق بين العدالة الاجتماعية والحرية الفردية وهكذا يحل فى الأرض السلام والرخاء.

5- ريثما تبرز الكتلة الثالثة فى الحيز العملى لابد من فترة من السلام وليس فى طوق الإنسانية فى عهدها الحاضر تحقيق سلام غير هذا السلام المحموم غير الطبيعى الذى يقوم على توازن القوى ولذلك فلابد من اجتناب أى عمل يخل هذا التوازن حتى ولو كان عائداً ببعض الكسب المحلى على الدولة التى تمارسه .

هذا ما اتسع الوقت لتوجيهه إليك وإنا لنرجو لنا ولك من الله التوفيق والهداية.

الحزب الجمهورى - الخرطوم

ملحق رقم (34)

"انسحاب السودان فوراً من الجامعة العربية"

ضمن بيان "**الحزب الجمهورى** يقدم دعائم الميثاق القومى"

المصدر: "**الحزب الجمهورى** يقدم دعائم الميثاق القومى، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 154. السبت 1958/8/23

(النــــص)

بيانات......

الحزب الجمهورى يقدمدعائم الميثاق القومى

نقدم هذه النقاط ليقوم عليها الميثاق القومى ونعتقد أن جميع أجهزة الدولة بما فى ذلك الصحافة يجب أن تلتزم بهذا الميثاق ونفضل أن تقوم بتنفيذه حكومة ائتلافية توجهها معارضة بانية (الصحف خارج البرلمان والمعارضة داخل البرلمان) ونرى أن هذا أقل قدر يمكن أن تقوم به حكومات العهد الحاضر لتكفل للبلاد استقلالها وسط هذه الزوابع النكراء ونعتقد أن السياسة الخارجية هذه إذا طبقت بدقة ستسير السياسة الداخلية نحو الاستقرار والثبات وسيمكن القيام بالأعمال الإنسانية والدستورية بخطى ثابتة وموحدة ورشيدة.

1) الحياد التام بين الدول الغربية الرأسمالية والدول الشرقية الشيوعية وتجنب أى عمل أو قول يرجح كفة الشيوعية على الغرب أو كفة الغرب على الشيوعية اللهم إلا أن يكون ذلك العمل أو القول حقاً واضحاً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض ولكن يجب أن يكون عملنا دائما يستهدف الإبقاء على توازن القوى الحاضر بين دول الشرق ودول الغرب حتى تطول فترة السلام الحاضرة القائمة على هذا التوازن.

2) الإنسحاب فوراً من الجامعة العربية وذلك لسببين أولهما أننا أمة أفريقية وثانيهما أن الجامعة العربية أصبحت تابعه لوزارة الخارجية المصرية ولم تعد تمثل دولاً مستقلة.

3) الوقوف الواضح كدولة إفريقية ترعى حسن الجوار مع جميع الدول المجاورة وتتعاون مع جميع الدول العربية والبعيدة لحفظ السلام ولتدعيم هيئة الأمم وتشجيع الاحتكام إليها والرضا بقرارتها.

4) لتحسين العلاقة مع مصر يجب تصفية المسائل المعلقة معها فوراً، مثل مياه النيل ومستعمرات الرى المصرى فى الشجرة والجبل وملكال وذلك بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم ويجب ألا نترك هذه المسائل معلقة هكذا لأى فترة من الزمن بعد اليوم لأنها هى سبب سوء التفاهم المستمر فإذا ما تمت هذه التسوية فأن علاقتنا بمصر ستقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل.

5) معارضة تدخل أى دولة فى شؤون أى دوله أخرى سواء كانت هذه الشؤون خارجية أو داخلية وبأى وسيله من وسائل التدخل بما فى ذلك الصحافة والإذاعة.

ملحق رقم (35)

عضويتنا فى جامعة الدول العربية

المصدر: محمود محمد طه، "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد 164، 1958/10/18.

(النص)

بيانات....

عضو يتنا فى جامعة الدول العربية

رأى **الحزب الجمهورى** فيما يتعلق بعضوية السودان فى الجامعة العربية واضح ومعروف ويتلخص فى أنها مؤسسة إقليمية ضيقة لا تقوم على مذهبية فكرية تجعلها أداة خلاقة تخدم مصالح أعضائها وتسير فى الوقت ذاته فى اتجاه سليم يخدم قضية الإنسانية فى السلام العالمى. إنما هى عنصرية ضيقة، هذا وتسيطر عليها دوله واحدة تسيرها وفق أهوائها وتطوعها لخدمة أغراضها.

ونحن كشعب أفريقى فتى له مكانته فى القارة الأفريقية، ممكن نخدم أنفسنا ونخدم الشعوب المجاورة بل ويمكن أن نقدم خدمات أكبر لقضايا الأحرار وقضية السلام العالمى بأوسع وأيسر مما يمكن أن نفعل ونحن داخل إطار جامعة الدول العربية.

واليوم لن نقول رأياً جديداً بخصوص هذا الموضوع ولكننا سنسرد وقائع حدثت فى اجتماع مجلس الجامعة الأخير، وعلى ضوء هذه الوقائع يجب على حكومتنا أن تتصرف وترسم سياستها تجاه ما طرأ وما سيطرأ من اتجاهات داخل هذه المنظمة الإقليمية التى وإن كنا -كجمهوريين- لنا نظرتنا الخاصة نحوها إلا أننا نأمل أن تسود الحكمة أعمالها ومناقشاتها لخير العرب أجمعين.

فبالأمس ألقى السيد الحبيب الشاطبى رئيس وفد تونس بياناً على أعضاء مجلس الجامعة قال فيه إن الجامعة العربية يسيطر عليها اتجاه واحد، وتأتمر بأوامر رجل واحد مما

دعا وفد الجمهورية العربية إلى الانسحاب من الجلسة محتجاً.

ولم يكتف السيد رئيس وفد تونس بالبيان السالف الذكر الذى ألقاه على الأعضاء أثناء انعقاد الجلسة بل توجه إلى سفارة دولته بالقاهرة وأصدر منها بياناً حكومياً قال فيه أن تونس لاتثق فى الجمهورية العربية المتحدة ولايمكن أن تتعاون مع دولة أظهرت شقاقاً علنياً معها.

ولقد وصفت دوائر القاهرة هذا الذى حدث أثناء انعقاد مجلس الجامعة بأنه حادث مؤسف، وأن الاستعمار هو الذى يوحى لتونس بتوجيه مثل هذه الاتهامات بغية بث روح الفرقة بين العرب، بل أن بعض هذه الدوائر اتهم صراحة الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس بأنه عميل للاستعمار الأمريكى، وبأنه يريد أن يحتل مقعد نورى السعيد بمجلس الجامعة ، هذا المقعد الذى تحطم ولم يعد له وجود بعد ثورة شعب العراق.

تلك الوقائع التى أسلفنا ذكرها تشكل تطوراً واضحاً فى الجامعة العربية، هذه التطورات تستوجب من حكومتنا تفرغاً كاملاً قبل أن ترسم سياستها إزاء هذه الأحداث لذلك نرى أن أعباء السيد سفيرنا بالقاهرة ومسئولياته لايمكن أن تسمح له بالجمع بين السفارة وعضوية مجلس الجامعة العربية، وأن سفارتنا بالقاهرة يجب أن تتفرغ لحل مشاكلنا المعلقة.

ونرى أن يعاد فوراً إلى القاهرة أحد رجال وزارة الخارجية الكبار ليتفرغ لمنصب مندوب السودان الدائم لدى الجامعة العربية.

ملحق رقم (36)

ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟

المصدر: محمود محمد طه، "مـاذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 157، السبت 1958/9/6

(الـنــــص)

ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟

أراء صريحة

بقلم الاستاذ الكبير محمود محمد طه

أبادر فاقرر هـنا أن خطاب السيد وزير الداخلية الذى قـرأه على الصحفيـين فى مؤتمره الصحفى فيمـا يخص مشكلة مياه النيل مع مصر لـم يكن خطاباً لبقـاً ولا كان موفقاً وليس الكيس يأبى أن يقدم الوعيد والتهديد بين يدى الرجـاء بالتعاون.. ثم أنه ما ينبغى أن يغيب عن بال رجل مسئـول أن الشعب بجميع طبقاته بله الصـحفيين غيور على حـريته حريص على صيانتها.. وما جدوى الاستقلال إذا ما أمست الحريات سليبة؟

ولكن ليس من العدل أن نتساءل مـاذا فعل الصحفيون بحريتهم؟ فإن صـحفيينا أحرار فى أن ينقدوا من شـاءوا، من حكام ومواطنين وأن يشـتموا من شـاءوا أيضاً.. والأول حق كفلته الديمـقراطية لجميع الصحـفيين والثانى (حق) استـباحه لأنفسهم بعض الصحـفيين وهو يجىء من قـبيل إسـاءه ممارسة الحق الأول .. ولـيس غريبـاً أن تكون ممارسـة الحـرية مصحوبة بإساءة اسـتعمالها.. ولكن ما ينبغى أن نخدع عن حقيـقة واضحة وهى أن إساءة استعمال الحرية يتم عن: قلة النضوج والمراهقة الفكرية.

وبعض صـــحـفنا تملك حـــرية أن ترتشى أو قـل إن كنت ممن يؤثرون (التلـطف)إنهم يملكون حـرية أن يقـبلوا الهـدية من بعض الدول الخـارجيـة فى شكل (مـعـونات) ماليـة تساعدهم على أداء (رسالتهم) وهذه أيضاً (حـرية) لا تكفلها الديمقراطية وإنما جاءت من

قبيل إساءة ممارسة الحق الديمقراطى فى الحرية.

قلت آنفاً ليس من الغريب أن تكون ممارسة الحرية مصحوبة بإساءة استعمالها وما قلت قولى هذا إلا لأنى أعلم أن منطقة الحرية لا يفصلها عن منطقة الفوضى إلا خط قوى المعالم واضحها وإنما هو خط أرق من الوهم وأدق من الرياء ولا يتفطن إليه إلا دقاق الحس أقوياء الفكر أذكياء الفؤاد .. وأما الجاهل .... فإنه يضرب فى الفوضى ويظن أنه يمارس حقه فى الحرية وهو لا يعلم أنه عدو الحرية ولنفسه فى آن معاً ولذلك فإنا نرى إلا أن الجهلاء من صحفيين محترفين وصحفيين هواة يستغلون حقهم المشروع فى الحرية ليحطموا الحرية نفسها.. ألست تراهم يدعون فى كثير من الصحف إلى النظام الروسى تحت ستار السلام العالمى ومحاربة الإستعمار والتجارة الحرة لمصلحة السودان أو يدعون الى النظام المصرى تحت ستار القومية العربية ومحاربة الاستعمار مع أنه ليس فى روسيا ذرة من الحرية لصحفيين ولا لغيرهم ولا فى مصر ذرة من الحرية لصحفيين ولا لغيرهم ولا يدعو لفريق من هذين الفريقين إلا عدو للحرية ولنفسه فى أن معاً؟

هل قرأتم ما جاء عن المؤتمر الصحفى الذى عقده وزير الداخلية عن مشكلة مياه النيل؟ لقد طلب الوزير من الصحفيين ألا ينشروا عن مشكلة مياه النيل من خبر الا ما يستقى من الحكومة ولا من تعليق إلا ما يتوخى فيه توفير الجو الودى الذى يجب أن يسبق المفاوضات ليزيد فرص نجاحها وعند ذلك توجه إليه أحد الصحفيين بسؤال فحواه (هل طلبت مصر من صحافتها مثل هذا الطلب؟) فلم يجد الوزير بداً من أن يجيب (سنتوجه إلى مصر برجاء أن تطلب من صحافتها مثله) والآن فإن لهذا السؤال دلالة كبيرة. فهو يدل على أن بعض صحفيينا لا يعرفون فرقاً بين صحافة مصر وصحافة السودان ولا يقدرون مبلغ التفاوت فى الحرية بينهما مع أن كل من يعرف شيئاً ولو يسيراً عن الحياة فى مصر يعلم أن صحافة مصر لا تكتب شيئاً إلا ما تمليه حكومة مصر إملاء. فإن لم يكن إملاء فهو لا يخرج عن ما اختطته الحكومة فى روح سياستها من غير نقد أو تساؤل. وهو يدل أيضاً على أن صحفيينا (بعضهم) حين يدافع عن حرية الصحافة لا يعرف حقيقة ما يريد وهو ليس لديه مانع من أن يعيش فى حرية صحفية(كالحرية) التى تعيش تحتها الصحافة المصرية هل استعدى الحكومة على حرية بعض الصحف بقولى هذا ؟ كلا ؛؛ والحق لو إنى كنت

مقتنعاً بأن حكومتنا رشيدة ذات فلسفة فى الحكم ومذهب فى التربية لطلبت إليها أن تجعل للحرية ثمناً هو حسن التصرف فيها أو تحمل مسؤولية سوء التصرف. فالناس أحرار ليفكروا كما يشاءون وأن يقولوا كما يفكرون وأن يعملوا كما يقولون على شريطة أن يقولوا صواباً وألايعملوا عملاً يخل بحريات الأخرين.

فكم من صحفنا تقول الصواب؟ أم كم من صحفنا تعرف الصواب؟ حقاً ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟؟

ملحق رقم (37)

محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة

المصدر: **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 165، السبت 25 اكتوبر 1958، الخرطوم

(النــــص)

محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة

سافر إلى القاهرة السيد محمد طه الفكى الموظف بمشروع الجزيرة لقضاء إجازة قصيرة مقدارها أُسبوعان. ولم يكد يصل إلى العاصمة المصرية حتى أُلقى عليه القبض وسيق إلى وزارة الداخلية وحقق معه على أنه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب **الجمهورى** والكاتب الحر الكبير.

وبعد مراجعة تاريخ حياة السيد محمد طه الفكى وهويته وتدخل السفارة السودانية أطلق سراحه. وقد عاد الآن ليروى هذا الخبر.

ملحق رقم (38)

نموذج تقرير من التقارير عن العائدات المالية من بيع كتب (حملة الكتب)

حملة الكتاب بشندي عن شهر اكتوبر ١٩٨١م

مكان التوزيع	مقترحات الأزهر جواله	تطوير النهج الإسلامي	الاستقلال جسد روح الحرية	السادات والعرب	خطوه	تعلموا كيف تحلبون	تعلموا كيف تحررون موتاكم	تعلموا كيف تتعاملون	هذا هو الشيخ محمد متولي الشعراوي	الخفافيش الفكرية	جامع أم درمان الإسلامية والعهد الزنقي	الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن	القصة عن راعية الإنجيل	الجبهة الوطنية وعمت الصحف	الجمله	المبلغ
																جمعه
معهد التربية شندي ١٠ كتابا	١	١	١	١	١	١	٦	٥	٦	١	٩	١	٢	١٠	٤٧	٣٦/١٠٠
المسعودية ٢٦ كتابا																

١- الإخوان المشتركون في الحمله نور الدين حسن ، حسن محي الدين ، عمر عثمان عمر

٢- بعض الكتب لم تكن بحوزتنا الخفافيش وهذا هو الشيخ محمد متولي الشعراوي

٣- لم نتمكن من المرور على المحلات لعدم وجود المتفرغين أثناء النهار

* واحد كتاب Introduction to the 2nd M.

نور الدين حسن سيد أحمد
ع/ الإخوان بشندي
٢٦/٢/١٩٨١م

ملحق رقم (39)

بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين

أمدرمان في 1968/11/19

أول بيان للأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة الأولى 1968

المصدر: محمود محمد طه، "بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين، **دار الوثائق القومية**، أحزاب 41/112، الخرطوم.

(نص البيان)

بيان نمرة (١)

مهزلة القضاة الشرعيين

أوردت صحيفة "السودان الجديد" الصادرة اليوم بالعنوان الكبير عبارات (المحكمة الشرعية تصدر أول حكم من نوعه في السودان- ردة محمود محمد طه وأمره بالتوبة عن جميع أقواله).. أقرأوا مرة ثانية (وأمره بالتوبة عن جميع أقواله)!! هل سمع الناس هواناً كهذا الهوان؟ هل أهينت رجولة الرجال، وامتهنت حرية الأحرار، واضطهدت عقول ذوى الأفكار، في القرن العشرين، وفي سوداننا الحبيب، بمثل هذا العبث الذى يتورط فيه القضاة الشرعيون؟

ولكن لا بأس، فإن من جَهِلَ العزيز لا يُعِزَّه!! ومتى عرف القضاة الشرعيون رجولة الرجال، وعزة الأحرار، وصمود أصحاب الأفكار؟؟

إن القضاة الشرعيين لا يعرفون حقيقة أنفسهم، وقد يكون من مصلحتهم، ومصلحة هذا البلد الذى نعزه، ومن مصلحة الدعوة الإسلامية التي نفديها أن نتطوع نحن فنوظف أقلامنا، ومنبرنا لكشف هذه الحقيقة، لشعبنا العزيز، على ما هي عليه..

والآن فإني، بكل كرامة، أرفض هذه المهانة التي لا تليق بي، ولا يمكن أن توجه إليّ ولا يمكن أن تعنيني بحال.. فقد كنت أول، وأصلب، من قاوم الإرهاب الاستعماري في

هذه البلاد.. وقد فعلت ذلك حين كان القضاة الشرعيون يلعقون جزم الإنجليز، وحين كانوا فى المناسبات التى يزهو فيها الاستعماريون يشاركونهم زهوهم ويتزينون لهم بالجبب المقصبة، المزركشة، التى سماها لهم الاستعمار "كسوة الشرف" وتوهموها هم كذلك، فرفلوا فيها، واختالوا بها، وما علموا أنها كسوة عدم الشرف، ولكن هل ينتظر منهم أن يعلموا؟؟ سنحاول تعليمهم.. والأيام بيننا..

أما أمركم لى بالتوبة عن جميع أقوالى فإنكم أذل، وأخسأ، من أن تطمعوا فىّ.. وأما إعلانكم ردتى عن الإسلام فما أعلنتم به غير جهلكم الشنيع بالإسلام، وسيرى الشعب ذلك مفصلاً فى حينه..

هل تريدون الحق، أيها القضاة الشرعيون؟

إذن فاسمعوا!! إنكم آخر من يتحدث عن الإسلام فقد أفنيتم شبابكم فى التمسح بأعتاب السلطة، من الحكام الإنجليز، والحكام العسكريين، فأريحوا الإسلام، وأريحوا الناس من هذه الغثاثة...

أمدرمان فى 1968/11/19

محمود محمد طه

الحزب الجمهورى

ملاحظة: ورد فى نهاية الصفحة التى تضمنت البيان التنبيه التالى:

محاضرة اليوم الأربعاء 1968/11/20

بعنوان: (الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين) يقدمها الأستاذ محمود محمد طه بمعهد شمبات الزراعى الساعة السادسة مساء

والدعوة عامة

ملحق رقم (40)

(اللهم إن كان محمود مرتداً فأنا ثانى المرتدين)، الجملة ذات الهوية الأخلاقية والتى أطلقها المهندس حسن بابكر (1908-1975)، ضمن مقاله: "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين"

المصدر: حسن بابكر، "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين فى السنين"، **صحيفة الأيام**، العدد: 5517، الأربعاء 1968/12/11

بقلم حسن بابكر (1908-1975)

(النــــص)

محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين

إن الدعاية غير المقصودة التى قامت بها المحكمة الشرعية لآراء الأستاذ محمود محمد طه بعد أن حكمت بردته، جاءت على غير ما كانت تنتظر المحكمة الشرعية والذين رفعوا إليها الدعوى، والذين من خلفهم. وقد ذكرنى هذا الحادث بحادث مماثل للزعيم الهندى وشاعر الاسلام محمد إقبال أيام الاستعمار الإنجليزى للهند. فقد كانت قصائده السياسية تلهب شعور الجماهير وتقض مضاجع الإنجليز. وكانت سبباً لدخوله السجن مرات عديدة ووصل التعذيب إلى أفراد عائلته وزجوا بابنه الصغير البالغ أحد عشر عاماً فى السجن، فأرسل له والده قصيدة يقول فيها: يابنى إن الله لم يفضل الانسان على الحيوان بالعقل كما يعتقد بعض الناس لأن كثيراً من الحيوانات تفهم أكثر من كثير من الناس، ولكن فضله بأن خلقه مرفوع الرأس والحيوان منكس الرأس. ويوم تحنى رأسك أمام إنسان آخر من أجل منفعة دنيوية، تفقد نعمة الله عليك وتصبح من ضمن الحيوانات.

وللزعيم محمد إقبال قصيدة مشهورة عبارة عن شكوى إلى الله يقول فيها: يا إلهى ، يامن قلت "ما ربك بظلام للعبيد" لقد كان عبادك الذين خلقتهم يعبدون الحجارة والتماسيح وحيوانات أخرى حتى جئنا نحن المسلمين ونشرنا كلمة التوحيد وبعدها عرفك من خلقتهم وعبدوك. وكان جزاؤك لنا الاستعمار الإنجليزى وتوابعه يسوموننا سوء العذاب. ومع ذلك

تقول "ما ربك بظلام للعبيد" فوجد الإنجليز فى تلك القصيدة سلاحاً ضد الزعيم محمد إقبال، وجمعوا رجال الدين وأمروهم بإصدار حكم بردة إقبال، وهل فى استطاعتهم أن يرفضوا ذلك الأمر؟ وملأ الخبر أرجاء الهند وانطلق الناس يبحثون عن القصيدة، ودارت مكنات المطابع ليلاً ونهاراً فى طبعها بكل لغات الهند والشعب يقول "هل من مزيد"؟ ودخلت القصيدة إلى كل منزل وقرأها كل من يقرأ فى الهند، أما إقبال فلم يقل كلمة واحدة عن حكم رجال الدين لأنهم أتفه من أن يحكموا بردته.. وفى ذات صباح ظهرت جريدته وبها قصيدة بعنوان (الرد من الله) وفيها يقول: يا شاعرى يا محمد إقبال، لقد وصلتنى شكواك ولكنك غير محق فى الشكوى. فالذين نشروا دعوة التوحيد لستم أنتم الذين رضيتم بحكم الإنجليز، بل جدودكم، وأنا لم أظلمهم فقد جعلتهم ملوكاً على الأرض من الهند إلى الأندلس وصدق قولى" وما ربك بظلام للعبيد".. وأنى أعدكم الآن عندما تحملون سيوفكم فى غد وترددون من الأعماق (لا إله إلا الله والله أكبر) وتروون سيوفكم من دماء الإنجليز والفرنسيين وغيرهم، فإنى أجعلكم ملوكاً للأرض كما كان جدودكم وستعلمون قولى حقاً (ومابك بظلام للعبيد)... واندلعت الثورة الحمراء التى كلفت الإنجليز كثيراً من الأنفس والمال وزعزعة الأمن.

تذكرت كل هذا وأنا أقرأ حكم محمود الذى دخل السجن ولاقى فيه أصناف العذاب من أجل حرية هذا البلد، ورجال الدين يصدرون الفتاوى فى تأييد الإنجليز، ويدعون لهم فى بيوت الله، ويصلون صلاة الغائب على الملك جورج الخامس. وفى قصائد الشاعر الوطنى محمود الفكى وصف لرجال المحاكم الشرعية فليطلعوا عليه مثل قوله: (قاضى سما بشرعة الحديث، وقاضيان واردان فى الحديث)[1] وحكم رجال المحكمة الشرعية بردة الأستاذ الكبير والإنسان العظيم محمود أشبة بحكم أمثالهم فى الهند بردة محمد إقبال، وقد تصدى له بالنقد رجال الفكر والقانون أمثال السادة بشير محمد سعيد ومحمد إبراهيم خليل، ولن يؤثر هذا الحكم على شخص محمود أو آرائه التى تدعوا إلى الحرية والرجوع إلى الإسلام وتنقيته من الشوائب التى لحقت به وأكثرها ممن يسمونهم رجال الدين.

" اللهم إن كان محمود مرتداً فأنا ثانى المرتدين، وإن كان المرتدون غيره فأنت أولى بهم".

(1) حديث الرسول (قاض فى الجنة وقاضيان فى النار)، هذاالهامش كما جاء فى المقال وأشار إليه كاتبه حسن بابكر المهندس فى نهاية المقال.

ملحق رقم (41)

بيان أبادماك في يوم 10 يناير 1969

نص قرار تجمع الكُتّاب والفنانين التقدميين "أبادماك"، في أول اجتماع للأعضاء المؤسسين، استنكر القرار محكمة الردة، وأدان وقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود أمام القضاء الشرعي. صدر البيان بتوقيع واحد وسبعين كاتباً نشر بالصحف اليومية السودانية ومجلة بيروتية.

المصدر: حصلت على نسخة من البيان من عبدالله علي إبراهيم[1]، قائد "أبادماك"[2]، مع وثائق أخرى.

(النـــص)

يستنكر اجتماع الكتاب والفنانين التقدميين التضييق الذي تمارسه بعض الجهات على العقل باسم الدين. إن الحرج الذي تعرض له العقل والوجدان بوقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود محمد طه أمام القضاء الشرعي لهوحرج في أفئدة كل الذين يريدون لبلادنا أن تستظل بالحوار وأن تسترشد بالحجة والبيان وأن يصان العقل من الاستعلاء والاستعداء. وإننا لنؤكد بالقطع مسئولية الفكر في خلق سودان معاصر في التاريخ والزمان والمكان. لن ننثني أمام محاكم الردة وما أشبه.. ففي عمق رؤانا يعيش شعبنا وتراثه وباسمه نستشرف آفاق المعاصرة والبهاء.

---

(1) كتب عبد الله علي إبراهيم عن قصة تكوين تجمع الكتاب والفنانين التقدميين "ابادماك"، كتب قائلاً: "فقد خرج التنظيم بصورةمباشرة من بيئة صدام ثقافي وضع حرية التعبير على المحك. فقد تجمعت سحابات تبرمنا بتضييق الجماعات الدينية لتلك الحرية بعد اقتحام عصبة من الاتجاه الإسلامي لحفل جمعية الثقافة الوطنية في شتاء 1968 الذي اشتموا منه خروجاًمن العرف بسبب رقصة العجكو الشعبية العرفية. ثم جاء حكم المحكمة الشرعيةالعليا بردة المرحوم محمود محمد طه وغزل السيد إسماعيل الأزهري مع قضاةالشرع ليجعل يدهم العليا على القضاة المدنيين. وأملت علينا ملابسات تلك الحرب على التقدم أن ننتظم دفاعاً عن الثقافة وحرية التعبير".المصدر: عبدالله علي إبراهيم، "أبادماك: تهمة لا ننكرها وشرف ندعيه"، صحيفة الصحافة، بتاريخ 2004/3/16.

(2) كتب الأستاذ صلاح يوسفوهو من مؤسسي "ابادماك" وهو يتحدث عن القرارات في أول اجتماع للأعضاء المؤسسين في العاشر من يناير عام 1969، كتب صلاح قائلاً: "أجزنا قرارين: واحد يشجب الإخوان المسلمين على اعتدائهم على حفل جمعية الثقافة الوطنية بجامعة الخرطوم في شتاء 1968. أماالقرار الآخر فقد شجبنا فيه حكم الردة الذي صدر بحق المرحوم محمود محمد طه، وهذا نصه.." (ثم أورد نص البيان).المصدر:صلاح يوسف، "بين أبادماك و بورتبيل"، موقع سودانيزاون لاين، المنبر العام، استرجاع (Retrieved) يوم 2004/4/2،الموقع على الإنترنت: .www.sudaneseonline.com

ملحق رقم (42)

عن تواتر الأخبار عما يقوم به المدعو محمود محمد طه من الفساد العظيم والإلحاد

خطاب من عبد العزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعـوة والإرشاد، ورئيس المجلس التـأسيـسى **لرابطة العـالم الإسلامى**، المملكة العـربية السعودية، إلى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية.

المصدر: "مجـموعة من الوثائق التى قـدمت من المؤسسـات الإسلاميـة والعلماء داخل البلاد وخـارجها ضد المرتد محمود محـمد طه ودعوته البـاطلة"، النشرة اليوميـة (سونا)، وكالة السودان للأنباء، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405هـ الموافق 20 يناير 1985[1].

(نـــص الخطـــاب)

المملكة العربية السعودية   الرقم: 148/ أس

مكتب الرئيس   التاريخ: 1401/5/4هـ

ســرى، وخـــاص

من عبدالعزيز عبـدالله بن باز إلى حضرة الأخ الكريم فخامة جعفر بن مـحمد النميرى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية وفقه الله لما فيه رضاه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعده. حفظكم الله.

أود أن اعرض على فخامتكم أنه قـد تواترت أخبار عما يقوم به المدعو محـمود محمد طه سودانى الجنسية من الفساد العظيم والإلحـاد والتشريعات عن الإسلام ما لم يأذن به الله ولا رسوله وأن له أتباعاً على باطله.

ولا شك أنه يترتب على تركـه والأعراض عنه فسـاد كبيـر إضافة إلى السـمعة السيـئة لفخامتكم داخل المجتمع السودانى المسلم خاصة والشعوب الإسلامية عامة.

---

(1) التاريخ الميلادى لم يكن ضمن النشرة الإخبارية وإنما إضافه المؤلف.

وإن الواجب على فخامتكم إحالة أمره إلى لجنة القضاة لديكم المعروفين بالعلم والفضل وإحكام الشرع الإسلامى للنظر فى أمره والحكم فيه بما يقتضيه الشرع المطهر من قتل أو سجن أو غيرهما ثم تنفيذ الحكم تبرئة للذمة ونصحاً للأمة وحماية للمسلمين من خطره العظيم وصيانة للشرع الإسلامى من عبثه وأمثاله وأتباعه.

أعانكم الله على كل خير ومنحكم البطانة الصالحة وأعزكم بالإسلام وجعلنا جميعاً من أنصار دينه وحماة شريعته إنه ولى ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

الرئيس العام

لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

ورئيس المجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامى

ملحق رقم (43)

فتوى الأزهر بالكفر الصراح، والفكر الملحد

خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، **الأزهر الشريف**، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5.

المصدر: "مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة"، النشرة اليومية (سونا)، **وكالة السودان للأنباء**، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405هـ. الموافق 20 يناير 1985 [1].

(نص الخطاب)

الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية

مكتب الأمين العام

1972/6/5

السيد الأستاذ وكيل وزارة الشئون الدينية والأوقاف بالسودان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد وقع تحت يدى لجنة الفتوى بالازهر الشريف كتاب **الرسالة الثانية من الإسلام** تأليف محمود محمد طه طبعفى أمدرمان الطبعة الرابعة عام 1971 ص. ب 1151.

وقد تضمن هذا الكتاب أن الرسول بعث برسالتين فرعية ورسالة أصلية. وقد بلغ الرسالة الفرعية. وأما الأصلية فيبلغها رسول يأتى بعد. لأنها لا تتفق والزمن الذى فيه الرسول وبما أن هذا كفر صراح ولا يصح السكوت عليه.

(1) التاريخ الميلادى لم يكن ضمن النشرة الإخبارية وإنما إضافه المؤلف.

فالرجـاء التكرم باتخاذ مـا ترونه من مصـادرة لهذا الفكر الملـحد والعمل علـى إيقاف هذا النشاط الهدام خاصة فى بلدكم الإسلامى العريق.

وفقكم الله وسدد خطاكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

الأمين العام

لمجمع البحوث الإسلامية

دكتور محمد عبدالرحمن بيصار

ملحق رقم (44)

قرار رابطة العالم الإسلامي بمكة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام

خطاب من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

المصدر: "مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة"، النشرة اليومية (سونا)، **وكالة السودان للأنباء**، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405هـ. الموافق[1] 20 يناير 1985"

(نص الخطاب)

رابطة العالم الإسلامى

الأمانة العامة

مكة المكرمة

الرقم: 2631/17/5

التاريخ: 5/ ربيع أول/ 1395هـ

حضرة صاحب المعالى الأخ الدكتور عون الشريف قاسم

وزير الشئون الدينية السودانية   الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

أفيد معاليكم بأن من ضمن القضايا الإسلامية التى ناقشها المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى دورته السادسة عشر قضية (محمود محمد طه) السودانى الذى أدعى الرسالة وأنكر ختم الرسالة وإنه المسيح المنتظر كما أنكر الجزء الثانى من الشهادة إلى آخر ما جاء فى إدعاءاته الباطلة.

وبعد مناقشة الموضوع من جميع جوانبه أصدر المجلس حكمه بالاجماع بارتداد

---

(1) التاريخ الميلادى لم يكن ضمن النشرة الإخبارية وإنما إضافه المؤلف.

المذكور عن الإسلام تأييداً لما حكمت به المحكمة الشرعية العليا بالخرطوم وإنه يجب على المسلمين أن يعاملوه معاملة المرتدين كما يجب مصادرة كتبه أينما وجدت ومنع طبعها.

أرجو من معاليكم التكرم بنقل هذا القرار إلى حكومتكم الموقرة وبذل مساعيكم الحميدة لدى المسئولين فيها للمساهمة معنا فى تنفيذه، خاصة وقد صدر عن مجلس يضم نخبة من العلماء والزعماء الممثلين عن معظم الشعوب الإسلامية فى العالم. وانتهز هذه الفرصة للإعراب عن صادق شكرى وتقديرى لتعاونكم الدائم مع الرابطة فيما يرفع شأن الإسلام والمسلمين وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام.

الأمين العام

محمد صالح القزاز

ملحق رقم (45)

الأحزاب السياسية التى نشأت قبل تكوين المجلس الاستشارى والجمعية التشريعية

ذكريات: من مذكرات التجانى عامر

المصدر: التجانى عامر، "ذكريات: من مذكرات التجانى عامر"، **صحيفة الصحافة**، العدد: 4772، بتاريخ 1972/4/16

(النص)

ذكريات: من مذكرات التجانى عامر

كان حديثناً بالأمس عن الأحزاب السياسية التى نشأت قبل تكوين المجلس الاستشارى والجمعية التشريعية حديثاً موجزاً للتعريف بكل منها واتجاهاته مع ذكر لأسماء بعض الشخصيات القيادية من كل حزب .. ولما كنت أعرف سلفاً مدى اهتمام السودانيين بأسماء الأشخاص أكثر من اهتمامهم بالأحداث والحقائق فإنى لم أستغرب أسئلة بعض الناس بالمواجهة أو بالهاتف عن تجاهل بعض الأسماء فى بعض الأحزاب والرد على ذلك أن الأمر ليس تجاهلاً ولا إهمالاً لمواقف كثيرة يستحق صانعوها الذكر الحسن أو السيء ولكن الأمر كان إيجازاً يهتم بكبريات المشاكل وتسلسل الأحداث بالقدر الذى يسمح به حيز النشر لهذه الذكريات وإذا قيض الله لها أن تنشر فى كتاب فإن النطاق سيتسع لتفاصيل لابد أن تستوعب كثيراً من الأسماء المتصلة بها. وآخرون يتساءلون عن تجاهل ذكر **الحزب الشيوعى السودانى** وهذا أيضاً غير صحيح لأننى ذكرت الشيوعيين تحت لواء (الجبهة المعادية للاستعمار) أبان الحكم الثنائى ثم ذكرتهم كجماعة نكل بها فى مصر إبراهيم عبد الهادى باشا وطاردها الإنجليز هنا كهيئة تخريبية غير شرعية كما طاردتها الأحزاب والحكم العسكرى برئاسة الفريق عبود.

ولم يجد الشيوعيون فرصة للعمل الشرعى والتنظيم الظاهر والتمثيل البرلمانى والصحف الناطقة باسمهم إلا فى ثورة أكتوبر 1964وزوال الحكم العسكرى وهذه مرحلة

زمنيـة لـم تصلها مـسيرة (الذكـريات) هذه وقبـل أن أنتقل إلى التـعريف ببـعض الأحزاب الأخـرى التى لـم يتـسع لهـا المجـال أمس - أود أن التـمس من الإخـوان والأبناء الذين يتساءلون عن الأشـخاص أن يعتنوا بتصحيح الأحـداث وتوقيتها إن عثروا علـى خطأ فيما ننشر ذلك أنفع للناس وأبقى للتـاريخ ولا بأس بذكر الاشخاص الذين لهم عـلاقة بمشكلة أو حدث يؤرخ له .. أما بقية الأحزاب التسع التى ذكرنا بعضها فهى:

6- حزب القوميين

هو حزب استقلالى النـزعة ومتحالف مع **حزب الأمة** نشأ مع معارك مـؤتمر الخريجين فى منتصف الأربعينات ولكنه لم يعمل لمكاسب جمـاهرية تغريها مبادؤه وأهدافه ولعله لم يخطط لمبادئ معينه ولـم يصدر دستوراً خاصـاً به وهو حزب - فيما يبدو - خلقته ضرورة الحاجـة للمناورات السياسـية من القطاع الاستـقلالى بدليل أنه مع رقة حـاله - استطاع أن يجد مـقعـداً فى (مؤتمر الإدارة) الذى نشـرنا أسمـاء أعضـائه قبل أيام والذى وضع كـيان الجمعـية التشريعيـة وقوانينها وقادة هذا الحـزب هما المرحوم أحمد يـوسف هاشم والسيد محمـد حمد النيل ولست واثقـاً إضافة اسم محمـد أحمد محـجوب إليها كـعضو أو راع للحزب ولكنه كان وطيد الصلة به.

7- حزب وحدة وادى النيل

يحمل اسـمه كما يرى القراء جـديد مبدئه من غـير ضرورة لذكره وهو يضم الجـماعة التى تعمل جـاهدة لجعل السودان ومصر دوله واحـدة وأمة واحدة لا فاصل بينهـما .. وقد أخذوا على الأشقـاء عدم وضوح النزعة الوحدوية الظاهرة فى سلوكـهم السياسى .. ومع أن الحـزب يؤيده (من منازلهم) عـدد كبـير مـن الناس إلا أنه لم ينتظم فى عـمل سيـاسى مرتب بدعوة أو إعلام ولجان لأن الذين أسسوه نوع من الزاهدين فى تجمعات الناس.

وكان الحزب برئـاسة الأستاذ الدرديرى أحـمد إسماعيل وعـضوية جماعـة من أنصار مصر منهم الأستاذ الشاعر محمد سعـيد العباسى رحمه الله والمهندس محيى الدين جمال أبو سيف والأستاذ أحمد سنجر الشاعر والمهندس محمد مضوى بابكر وغيرهم .

8- الحزب الجمهورى

قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السياسية بحساب الزمن وهو أول حزب صغير يعمل خارج النفوذ الطائفى بإصرار بل بمناجزة وصدام .. واسمه يدل على المبدأ الذى انتهجه لمصير السودان .. ومؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه الذى كان من أبرز الوجوه الوطنية فى مستهل حركات النضال حينما كان مهندساً بالسكة الحديد بعطبرة ولعل سلوك محمود الصارم فى القضايا العامة وشجاعته العنيفة التى دفعته الى التخلى عن الوظيفة هو نفس السياسى الذى جعل **الحزب الجمهورى** فى فتره من فترات الاحتلال عبارة عن جمعية إرهابية تضرب وتحرق ولكن فى سبيل المصلحة العامة بنوايا نقية وذمة طاهرة .... وشيئاً فشيئاً (تملص) عن محمود الأعضاء الذين يؤمنون (بالتقية) وجماعة (حب السلامة) وتركوه يناضل الإدارة البريطانية مع جماعة من الشباب المغامرين أمثال أمين صديق وغيره وقد تعرض محمود للسجن الطويل فى خصومات إيجابية مع الإنجليز منها حادث (الطهارة الفرعونية) فى رفاعة وهو حدث اجتماعى رفعه محمود إلى مستوى المساس بالدين والوطن.

ولأن محمود زاهد فى المكاسب وراغب عنها فإن حزبه لم يدخل معارك السياسة فى غير النضال القومى العام وبالتالى لم يكن فيه من إغراءات الطموح السياسى ما يدفع الناس إلى عضويته الجافة من ماديات الحياة والتى لا يقبلها الإنسان إلا إذا كان سيفه بيمينه وبطانيته على كتفه ليدخل السجن.

ملحق رقم (46)

خطاب الأستاذ محمود إلى رئيس نادى الخريجين بمدينة مدنى عندما أغلق النادى

(النـــص)

أمدرمان فى 1979/1/13

حضرة الاخ الكريم عبد الرحيم محمود أبو عيسى

رئيس نادى الخريجين بمدنى

وحضرات الإخوان الكرام أعضاء لجنة النادى الموقرة

وحضرات الإخوان الكرام أعضاء هذا النادى العزيز

تحية طيبة

إن ما حصل لناديكم لا يدعو إلى الاسف، ولا الحزن، كما قد يتبادر إلى الاذهان، لدى الوهلة الاولى، وإنما يدعو الى الاستبشار، والفرح، عند التأمل المستبصر.

لقد خرجتْ من ناديكم، فى الثلاثينات، الشعلة الاولى التى كانت نواة الحركة الوطنية العظيمة التى انتهت الى إخراج الاستعمار الحسى - حكم الانجليز - من البلاد، فأحرزت بذلك تحريرها.. وستخرج بهذا الصنيع البشع، من هذا القبيل الضائع، من ناديكم الشعلة الثانية التى ستنتهى الى إخراج الاستعمار المعنوى ـ الجهل بالدين ـ وتسلط هذا الجهل على عقول أفراد شعبنا ـ من العقول بإذن الله، فيتم بذلك ما بدئ، فى مضمار التحرير، من إحراز الاستقلال الصحيح.. لقد أراد الله بهذا النادى خيراً للمرة الثانية، وأراد ان يصل ماضيه بحاضره فى خدمة رسالة الحرية فى هذه البلاد..

لقد ظللنا نحن الجمهوريين، ننبه دائماً إلى الخطر الذى يتهدد هذه البلاد من مؤامرة الطائفية التى استغلت، وتستغل، الدين فى تضليل هذا الشعب لتسوقه، معصوب العينين، باسم الله، وباسم الإسلام ليكون فى خدمة أغراضها الدنيئة.. ولقد ركزنا على تنظيم الإخوان المسلمين كذيل للطائفية، كأسوأ تنظيم استغل الدين لأغراض الدنيا.. وما هذا المعرض الذى

أقمناه وتكرم ناديكم بفتح أبوابه له، وهو له أهل، إلا محاولة عملية جادة فى سبيل هذا التنوير الذى نضطلع به لشعبنا العزيز ، وفى سبيل هذا التنبيه الملح، إلى خطر هذا القبيل المارق..

لقد طالما تحدثنا عن أن مساجد الله قد أصبحت ملوثة بجهالات رجال عقولهم خربة، ونفوسهم مريضة .. وهؤلاء الرجال هم اليوم أئمة الناس ومعلموهم الدين.. ولكن حديثنا كان يفتقر الشاهد المحسوس الملموس، على صدق النذير الذى يسوقه ، فوجدناه اليوم بحريق هذا النادى العتيق، العزيز، وجدناه بصورة ستظل نموذجاً حياًفى أذهان الناس، كنذير بما ينتظر هذه الامة، اذا ما قدر لها أن تُحكم باسم الإسلام، كما يفهمه هؤلاء الرجال الجهلة، ومريضو نفوس. إن هذا النموذج البشع الشائه، يجئ فى الوقت المناسب لينبهنَّ العقلاء لدرء خطر الجهلاء قبل فوات الأوان.. هذا النموذج البشع لن يترك الناس لينسوه، وذلك ليكون لهم نبراساً، على ضوئه يدرجون إلى تقويض معاقل الجهل الذى يدبر الخيانة باسم الإسلام. الطائفية..

ونحن الذين وقفنا حياتنا، وقتنا ومالنا لاستنهاض الهمم لمقاومة هذا الجهل النشط الذى يستغل الدين فى تضليل الشعب، نطمع فى أن يجند أعضاء ناديكم أنفسهم لمواجهة هذا الخطر الداهم، ونطلب مثل هذا الطلب، الى جميع المثقفين فى جميع بقاع هذا البلد، الذى نعزه ونفديه..

فأرجو أن يكون هذا الحادث البشع نقطة انطلاق لناديكم ولأندية الخريجين فى كل مكان، لتواصل المشوار الذى بدأته فى الثلاثينات فى محاربة الاستعمار الحسى، حتى تقضى على هذا الاستعمار الجاهل الذى يشل العقول باسم الله وباسم الإسلام..

وأخيراً هذا دور ناديكم، وهو دور يجب أن ينتظر له، وأن يتوقع، وهو دور مشرف، كل التشريف!! ألا ترضون أن يكون ناديكم قد فدى البلاد، والأمة، فساق لها هذا النذير العريان، الذى يعصمها من أن تسير معصوبة العينين إلى حظيرة هذا الجهل الاسود؟؟

أخيراً لكم جميعاً تحيتى وودى

المخلص

محمود محمد طه

ملحق رقم (47)

منشور "هذا... أو الطوفان"[1] !!

(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .. واعلموا أن الله شديد العقاب)، صدق الله العظيم

الإخوان الجمهوريون، أمدرمان، 25 ديسمبر 1984، الموافق 2 ربيع الثانى 1405هـ

(نص المنشور)

غايتان شريفتان وقفنا، نحن الجمهوريين، حياتنا، حرصا عليهما، وصونا لهما ، وهما الإسلام والسودان .. فقدمنا الإسلام فى المستوى العلمى الذى يظفر بحل مشكلات الحياة المعاصرة، وسعينا لنرعى ما حفظ الله تعالى على هذا الشعب، من كرايم الأخلاق ، وأصايل الطباع ، ما يجعله وعاء صالحاً يحمل الإسلام إلى كافة البشرية المعاصرة، التى لا مفازة لها، ولا عزة، إلا فى هذا الدين العظيم ..

وجاءت قوانين سبتمبر 1983، فشوهت الإسلام فى نظر الأذكياء من شعبنا، وفى نظر العالم، وأساءت إلى سمعة البلاد.. فهذه القوانين مخالفة للشريعة، ومخالفة للدين، ومن ذلك أنها أباحت قطع يد السارق من المال العام، مع أنه فى الشريعة، يعزر ولا يحد لقيام شبهة مشاركته فى هذا المال.. بل إن هذه القوانين الجائرة أضافت إلى الحد عقوبة السجن، وعقوبة الغرامة، مما يخالف حكمة هذه الشريعة ونصوصها .. هذه القوانين قد أذلت هذا الشعب، وأهانته ، فلم يجد على يديها سوى السيف، والسوط، وهو شعب حقيق بكل صور الإكرام، والإعزاز .. ثم إن تشاريع الحدود والقصاص لا تقوم إلا على أرضية من التربية الفردية ومن العدالة الاجتماعية ، وهى أرضية غير محققة اليوم ..

إن هذه القوانين قد هددت وحدة البلاد، وقسمت هذا الشعب فى الشمال والجنوب وذلك بما أثارته من حساسية دينية كانت من العوامل الأساسية التى أدت إلى تفاقم مشكلة

---

(1) هذا هو المنشور الذى بموجبه تمت اعتقالات الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، وبموجبه تمت المحاكمة بالإعدام شنقاً حتى الموت على الأستاذ محمود وأربعة من تلاميذه.

الجنوب.. إن من خطل الرأى أن يزعم أحد أن المسيحى لا يضار بتطبيق الشريعة.. ذلك بأن المسلم فى هذه الشريعة وصى على غير المسلم، بموجب آية السيف، وآية الجزية .. فحقوقهما غير متساوية .. أما المواطن ، اليوم ، فلا يكفى أن تكون له حرية العبادة وحدها، وإنما من حقه أن يتمتع بسائر حقوق المواطنة، وعلى قدم المساواة، مع كافة المواطنين الآخرين.. إن للمواطنين فى الجنوب حقاً فى بلادهم لا تكفله لهم الشريعة، وإنما يكفله لهم الإسلام فى مستوى أصول القرآن (السنة) .. لذلك فنحن نطالب بالآتى:

1- نطالب بإلغاء قوانين سبتمبر 1983، لتشويهها الإسلام، ولإذلالها الشعب، ولتهديدها الوحدة الوطنية..

2- نطالب بحقن الدماء فى الجنوب، واللجوء إلى الحل السياسى والسلمى، بدل الحل العسكرى. ذلك واجب وطنى يتوجب على السلطة، كما يتوجب على الجنوبيين من حاملى السلاح. فلا بد من الاعتراف الشجاع بأن للجنوب مشكلة، ثم لا بد من السعى الجاد لحلها..

3- نطالب بإتاحة كل فرص التوعية، والتربية، لهذا الشعب، حتى ينبعث فيه الإسلام فى مستوى السنة (أصول القرآن) فإن الوقت هو وقت السنة، لا الشريعة (فروع القرآن) .. قال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً ، كما بدأ ، فطوبى للغرباء - قالوا: من الغرباء يا رسول الله؟؟ قال: الذين يحيون سنتى بعد اندثارها). بهذا المستوى من البعث الإسلامى تتحقق لهذا الشعب عزته ، وكرامته ، ثم إن فى هذا البعث يكمن الحل الحضارى لمشكلة الجنوب، ولمشكلة الشمال، معاً ... أما الهوس الدينى ، والتفكير الدينى المتخلف ، فهما لا يورثان هذا الشعب إلا الفتنة الدينية ، والحرب الأهلية.. هذه نصيحتنا خالصة ، مبرأة، نسديها، فى عيد الميلاد، وعيد الاستقلال، ونرجو أن يوطئ لها الله تعالى أكناف القبول ، وأن يجنب البلاد الفتنة، ويحفظ استقلالها ووحدتها وأمنها.. وعلى الله قصد السبيل.

أمدرمان، 25 ديسمبر 1984، 2 ربيع الثانى 1405هـ

الإخوان الجمهوريون

ملحق رقم (48)

نـــص وثيقـــة

نص خطاب من النيل عـبدالقادر أبوقـرون إلى الرئيس القائد (جـعفر مـحمـد نميرى) 1984/12/29.

جاء فى كـتاب أصدره مـركز الدراسات السـودانية بعنوان: **محـمـود محـمد طه: رائد التـجـديد الدينى فى السـودان**: "أن **صـحيـفـة الأيام** نشرت بـتاريخ 1985/5/22 الوثيـقة الإجرامية التالية وهى على ورقة رسمية لرئاسة الجمهورية ونصها"[1]:

(نـــص الوثيقـــة[2])

الأخ الرئيس القائد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المنشور المرفق وزعه الجمهوريون وقد قبض على سـتة منهم وتم التحقيق معهم وسوف يقدمون للمحـاكم وبهذا فقد أتاحوا لنا فرصـة تاريخية لمحاكمتهم. وسـيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبـون. ولا شك أنهـا بداية لمسيـرة ظافرة بـإذن الله يتسـاقط دون هدفهـا كل مندس باسم الدين وكل خوان كتوم ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفـقكم الله لقيـادة المسيـرة الظافـرة وإتمام نهج الله على آثار المصطفى صلى الله عليـه وسلم وأصحابه ومن سار لسيرهم ونهجهم إنه سميع مجيب.

النيل عبدالقادر أبو قرون

6 ربيع الثانى 1305هـ

يوم السبت الموافق 1984/12/29

(1) حيـدر إبراهيم على (تحرير وإشـراف)، محمـود محـمد طه: رائد التجـديد الدينى فى السودان، سـلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992، ص 140.

(2) كان الإخوان الجمهوريون قد اصدروا كتاباً جمعوا فيه هذه الوثائق، ووسموا كتابهم بـ: **الوثائق تفضح التآمر**.

تعليق نميري على الخطاب:

الحمد والشكر لله ولصفيه ورسوله محمد رسول الله والله أكبر على المنافقين.

نميـــري

(تاريخ نفس اليوم)

ملحق رقم (49)

نـــص وثيقـــة

نميرى وثالوث القصر ودجاليه وكهنته يحكمون على الجمهوريين قبل المحكمة

جاء فى كـتاب أصدره مـركز الدراسات السـودانية بعنوان: **محـمود محـمد طه: رائد التجـديد الدينى فى السودان**: "وثيقة تآمـر جنائى نشرتها **جريدة الأيام** بتاريخ 1985/5/26 ونصها"(1):

(نـــص الـوثيقـــة)

الأخ عوض الجيد والنيل والأخت بدرية

سلام الله عليكم

آخر هوس الإخـوان الجمهـوريين هذا المكتوب "الردة بعـينها" أرجـو الاطلاع ومعكم الأخ بابكر. سأجتمع بكم للتشاور فى الأمر إنشاء الله بعد أن تكونوا على استعداد.

أخوكم جعفر محمد نميرى

8 جمادى الأولى 1304

وردت الإشارة أدناه فى كتاب: **محمود محـمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان، الذى نشره مركز الدراسات السودانية.**

تعليق للجمهوريين:

(هكذا يخطىء إمام الدجالين فى كتابة إن شاء الله،وفى التاريخ الهجرى وهو 1404هـ مما يدل على جهل إمامهم المطبق).

---

(1) حيـدر إبراهيم على (تحرير وإشـراف)، محمـود محـمد طه: رائد التجـديد الدينى فى السودان، سـلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992، ص 141.

ملحق رقم (50)

بيان الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم بتاريخ 1985/1/1

(نـــص البيـــان)

نخاطبكم و البلاد تمر بفترة من أحرج فترات تاريخها الحديث و أحلكها، نخاطبكم فى وقت ديست فيه حرية الفكر، و أذلت فيه أعناق الرجال و ارتخصت فيه حياة المفكرين .

فى أمس الأول 1985/1/8 الموافق 1405/4/16هـ أصدر قاضى محكمة جنايات أمدرمان رقم ٤ حكماً بالإعدام شنقاً حتى الموت على الأستاذ محمود محمد طه و أربعة من الجمهوريين، وقد جاء فى حيثيات الحكم التى تناقلتها أجهزة الإعلام المختلفة أن حكم الإعدام هذا سيكون عظة لغيرهم ممن أسماهم القاضى بمثيرى "الفتنة" و هذا فى رأينا هو المقصود بأمر المحكمة إبتداءً، لأن السلطة السياسية التى يأتمر قضاة المحاكم الجنائية بأمرها ظلت تسعى إلى تكميم أفواه المفكرين و إسكات أصوات المعارضين بشتى الوسائل من حل لنقابات العاملين وتشريد وطرد من الخدمة وزج فى السجون، ثم بمحاكمات صورية لا تتوفر فيها أبسط مقومات العدالة. ـونحن هنا بصدد إذلال الفكر و مصادرة حرية التعبير وما ينتظر كل مفكر لا يرى رأى السلطة و قضاتها الذين يعملون وفق قانون الهيئة القضائية الأخير و ها هو النظام بعد أن تنكر للدستور يستل آخر ما فى جعبته من وسائل القهر و الإرهاب حكم الإعدام ـ فى مواجهة من يعارضونه سياسياً و يخالفونه الفكر ويرفضون الانصياع لرأيه فى أمور الدين و الدنيا.. و قد وقع نبأ حكم الإعدام على الجمهوريين الخمسة وقوع الصاعقة على كل من يحترم حرية الفكر و شجاعة الرأى. ولسنا بصدد تأييد أو معارضة رأى الأستاذ محمود محمد طه، فأدب الجمهوريين السياسى عمره أربعون عاماً و هناك من يرى رأيهم وهناك من يخالفهم، و لكننا بصدد الدفاع عن مبدأ ثابت تنهض عليه و تنمو شتى ضروب المعرفة الإنسانية، ألا وهو مبدأ حرية الفكر والجهر به . فجريمة الأستاذ محمود و جماعته، أنهم أدلوا برأيهم فى أمور تهم أبناء هذا الوطن: مدى مطابقة قوانين سبتمبر 1983 للشريعة الإسلامية و مدى مخالفتها لدستور

البلاد. وهم بهذا إنما يمارسون حقاً يكفله دستور البلاد وتحترمه المواثيق الدولية والأعراف السياسية المتحضرة فأى جرم هنا يستحق الإعدام شنقاً؟ إننا نقف بجانب حق الأستاذ محمود محمد طه و حق كل مواطن فى الإدلاء برأيه والجهر بفكره خاصة فيما يتصل بقضايا الوطن وحقوق المواطنين الدستورية ، فلا باب الاجتهاد فى أمر الدين و أمر السياسة قفل، ولا رأى النظام فى الأمرين نهائى و مقدس" أ هـ .

ملحق رقم (51)

مذكرة نقابة المحامين إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 1985/1/12

" وقد تلقينا مع أبناء شعبنا أجمعين صدمة الحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات بأمدرمان بإعدام المتهمين فى القضية المعروفة (حكومة السودان ضد محمود محمد طه وآخرين). و ما كنا صادرين فى كتابنا هذا عن تجاوز لإجراءات التقاضى و درجاتها الاستئنافية غير أن المتهمين فى هذا البلاغ قد أفصحوا منذ البداية عن رفضهم التعاون مع هذه الهياكل التى استحدثت ضمن تشريعات سبتمبر 1983 ، الشئ الذى نعتبره رداً مشروعاً من أشكال رد المحكمة ، و لا نملك إلا أن نحترمه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الأمر برمته يخرج عن مجرد كونه علاقة إجرائية بين متهمين و قضاتهم ، ليشكل فى الأفق العريض الذى ظللنا نخاطبكم بشأنه ألا وهو (قضايا الحريات العامة والحقوق الأساسية للمواطنين و ما يرتبط بها من قضايا سيادة حكم القانون و استقلال القضاء ! ؟)".

و تمضى المذكرة موضحة "و قد جاءت المحاكمة الأخيرة للمتهمين المذكورين لتؤمن على صحة المحاذير و الإنتقادات التى وجهناها لذلك القانون فى حينها .. و لعلها لم تكن المحاكمة الوحيدة فى ذلك الصدد ، غير أنها كانت الوحيدة التى عبر فيها المتهمون صراحةً عما ظل يلاك همساً وظللنا نحذر منه ..فقد رفضوا بادئ ذى بدء التعامل مع هذه المحاكم، مؤسسين رفضهم هذا على انتقادات عنيفة لقضاتها فنياً و أخلاقياً، الشئ الذى لم يشهد تاريخ القضاء فى بلادنا مثلاً له.

وما كان ذلك ليكون لولا أن قانون الهيئة المستحدث وما ترتب عليه من ممارسات لم يستطع أن يقنع أحداً ، بأن ثمة قدراً – ولو ضئيل – من العدالة و الحيدة والنزاهه يمكن أن يتحقق فى ظله".

واختتمت نقابة المحامين مذكرتها بقولها "فإن هذا الخطاب لا يندرج ضمن أى شكل من أشكال الاستئناف أو الاسترحام لكون إرادة المتهمين قد انصبت على رفض هذا، بل

صـرخة ضـميـر حى، و نداء أحرار مـن الموقع المستـقل الذى لا تتـعلق به شائبـة هوى أو غـرض، نرفعـه لسيـادتكم ونحن ندق ناقـوس الخطر الذى يتهـدد مصـير الأمـة، وعقـائد المواطنين، ومسـتقـبل الوحدة الوطنية مطـالبين أكثـر من أى وقت مضى بإلغـاء قانون أمن الدولة وكافـة القوانين المقيـدة للحريات، وكذلك تصـفية المعـتقلات وإطلاق سراح كـافة المعتقلين السـياسيين وفتح أبواب الحوار الوطنى علـى مصارعها دون قيد أو شـرط، تأكيداً لمبدأ الشورى حتى نستطيع أن نتكاتف أجمعين لأجل تجنيب بلادنا مهاوى الفتنة.." ـ

ملحق رقم (52)

بيان من سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السودانى

المصدر: الإخوان الجمهوريون، **ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود**، أمدرمان، 1985، ص 5-6.

اجتاحت البلاد موجة مشروعة من الغضب و الاستهجان على حكم الإعدام بحق الأستاذ محمود محمد طه و زملائه من قادة الجمهوريين.. و استنكر أهل السودان على اختلاف مشاربهم، استهتار نميرى و أعوانه بأبسط قيم العدالة فى المحاكم الميدانية والإيجازية التى أسموها محاكم عدالة إسلامية ناجزة! فالجمهوريون لم يفعلوا أكثر من استعمال حقهم كمواطنين، و عرضوا وجهة نظرهم من منطلقات إسلامية، و من موقع التعاطف مع السلطة، وتقدموا بنصيحة للسلطة لإلغاء تشريعات سبتمبر 1983، وحل مشكلة الجنوب حلاً سياسياً حسب ما جاء فى منشورهم فأى عدالة سماوية أو وضعية تبيح تقديمهم للمحاكمة تحت حشد من مواد القانون الوضعى الرجعى فى آنٍ واحد، ثم يصدر الحكم ضدهم شرعياً حدياً بالتكفير و الإعدام؟

إن حكم الإعدام على الفكر السياسى، هو الثمرة المرة للتجارة بالدين و استخدام الإسلام واجهة لتسلط حكم الفرد، وبعث لأكثر تاريخ صفحات الدولة الإسلامية سواداً حيث يكفر الحاكم معارضيه السياسيين ويستبيح دماءهم. ويتسابق علماء السوء و قضاة الضلالة فى تدبيج الفتاوى و الأحكام لتبرير استبداد الحاكم. هذا ما يمارسه فى سودان اليوم جعفر نميرى والإخوان المسلمون و بطانة الشعوذة و الدجل من أمثال أبو قرون والمهلاوى، و بتشجيع من حكام السعودية وخدامهم من المنتفعين بمذهب الوهابية .لكنهم تناسوا فى غمرة تعطشهم لدحر معارضيهم أن الرأى العام السودانى المستنير قبر محكمة الردة التى عقدوها عام 68 لتكفير الأستاذ محمود محمد طه .. اهـ

ملحق رقم (53)

بيان السودانيين المقيمين بالكويت

إدانة تنفيذ حكم الإعدام فى الأستاذ محمود محمد طه وأحكام الإعدام ضد اربعة آخرين

(نـص البيـان)

نحن السودانيين المقيمين بالكويت، انطلاقاً من مبدأ الدفاع عن حرية الفكر وحق المواطن المشروع فى التعبير عن آرائه السياسية ودفاعاً عن مبدأ استقلال القضاء، وحق المواطن فى محاكمة عادلة، ندين ونستنكر حكم الإعدام الذى نفذ فى المفكر الإسلامى الأستاذ محمود محمد طه رئيس **حزب الجمهوريين** بالسودان، والبالغ من العمر 76 عاماً "علماً بأن المادة 247 (أ) من قانون الإجراءات الجنائية السودانى لعام 83 تنص على عدم جواز تنفيذ حكم الإعدام على من تجاوز السبعين عاماً من عمره".

ونحن نناشد الحكومة الكويتية الموقرة وجمعيات النفع العام الكويتية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ومنظمة الوحدة الأفريقية والنقابات والاتحادات العربية ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية العربية منها والدولية، التدخل الحاسم والسريع من أجل وقف تنفيذ حكم الإعدام الصادر بحق المواطنين السودانيين المسلمين، عبد اللطيف عمر ، محمد سالم بعشر ، تاج الدين عبد الرازق، وخالد بابكر حمزة والذى سينفذ بتاريخ 1985/1/20.

ومن منطلق المسئولية الوطنية والقومية والإنسانية نبدى قلقنا الشديد من أن الغرض الأساسى من هذه المحاكمات الصورية هو الإرهاب السياسى والفكرى، وهو بذلك يستهدف أمن وسلامة كل معارض ومفكر، وينذر بالفتنة وعدم الاستقرار ويتنافى مع مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء".

ملحق رقم: (54)

مذكرة عبد الله على إبراهيم إلى الناخبين الخريجين فى العاصمة القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة فى القانون الجنائى، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفى طه الكباشى، قاضى محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالمملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب ايذائه لمخالفيه فى الرأى.

(نص المذكرة)

■ **دفاعا عن حرية الفكر**

■ **وضد مادة الردة فى القانون الجنائى وكل القانون**

هذه المذكرة اقتراح مقدّم من الدكتور عبدالله على إبراهيم المحاضر بجامعة الخرطوم الى الناخبين الخريجين فى العاصمة القومية بصدد مقاومة مشروع القانون الجنائى المعروض على الجمعية التأسيسية.

وتركز المذكرة بوجه خاص على مادة الردة من القانون (المادة 129) بوصفها المادة الأكثر اعتداء على ممارسة الفكر وحريته والأكثر استفزازاً لخريجين يعولون على تلك الممارسة والحرية لخدمة وطنهم وأهلهم. والمذكرة مذّيلة ببطاقة معنونة يوّقع عليها الخريج متى ما اقتنع اجمالاً بسداد وجهة المذكرة. وستسلّم المذكرة مع التوقيعات الى السادة نواب الخريجين عن العاصمة القومية لكى يستنيروا بها فى المناقشات الدائرة حول المشروع ويعملوا بمقتضاها خلال التصويت. والله نسأل السداد، ونصرة الحق، وكسر شوكة الوصاة والظلمة.

السيدة/ سعاد الفاتح والسيدان/ محمد يوسف محمد وإبراهيم أحمد عمر نواب الخريجين عن دوائر العاصمة القومية:

نتابع باهتمام مشوب بالحذر والإشفاق مناقشات مشروع القانون الجنائى الجديد فى مجلس الوزراء والترتيبات الجارية لعرضه على الجمعية التأسيسية. ويزعجنا حقاً أن

جماعة من المسلمين فى الجبهة القومية الإسلامية، وفى ملابسات خيبة وتفكك سياسيين مؤسفين، تسعى للمرة الثانية فى أقل من عقد من الزمان لفرض مفهومها الخاص للإسلام كقانون عام. وهو مفهوم لم يخرج عن وصف العالم المسلم فضل الرحمن لمفهومات مماثلة له بـ "إسلام الأدبه". ولم يحل بين هذه الجماعة وغرضها أنها ما تزال تتعثّر فى بيان دورها فى إنشاء وتنفيذ تشريعات 1983 النميرية. ولقد ساءنا بالفعل ان التزام حكومة الوفاق القائمة بإجازة القوانين البديلة لقوانين 1983 قبل الخريف قد كاد ينتهى بواضعى مشروع القانون الجنائى الى نوع سرية فى الأداء التشريعى مفروغ أن لا مكان له فى بلد ديمقراطى.

لقد أسفنا كخريجين، لنا فى المساهمة بالرأى مزيج من الكبرياء والحس بالواجب، أن يخيل لواضعى المشروع أن بوسعهم ان يباغتونا بإجازة قانون أساسى كالقانون الجنائى فى سباقهم لتنفيذ خريف الوفاق السياسى الحاكم. وظلت حكومة الوفاق تصمى آذانها عن تذكير أفراد وجماعات جليلة الرأى بفساد خطتها فى تطبيق قانون جنائى مسنود باجتهاد حزبى ضيق وما سيجره ذلك من كساد فى قوام وروح الوطن كساداً يؤذن بذهاب ريحه.

ونعد - كخريجين - تضمين المادة 129 عن الردة فى مشروع القانون الجنائى استفزازاً كبيراً. لقد كرمنا الوطن بصوتِ انتخابى زائد على صوت المواطنة الأصيل تفويضاً منه لنحرس الفكر وحرية الرأى. ونعد قول القائلين فى باب الطمأنة أن الردة فى مشروع القانون قد عرفت بأوسع تعريفات الفقه الإسلامى وأنها محايدة فى الصراع السياسى إساءة غير متحفظة لعقلنا وخبرتنا ووجداننا، فلم يكن لتهمة الردة هذا الحياد فى واقع الخلاف بين المسلمين. فقد تعرّض رجال اختلفت ممارساتهم للإسلام من أمثال الإمام ابن حنبل، والصوفى الشهيد الحلاّج، وشيخ أهل السنة ابن تيمية لإحن ومساءلات فى نقاء إسلامهم فقط حين تآزرت عليهم ملابسات سلطوية متعينة فى التاريخ، وعلاوة على ذلك لم يتفق للإسلام بعد آلية مجمع عليها حول محتوى واجراءات الردة والتكفير. فلا تزال بعض مدارس الحنفية تنكر قول من اتهم الحلاج بالردة وتتبرأ من مقتله.

ولم تكن تهمة الردة محايدة سياسيا فى واقعنا فى السودان منذ استحدثت بشكل غوغائى فى عام 1968. ما كانت الردة تهمة فى القانون القائم عام 1968، ولكن جماعة

دينية، بعضهم من أسلاف واضعي مشروع القانون الجنائي، أخذت القانون في يدها وحاكمت الأستاذ محمود محمد طه بالردة لتصفية خلاف فكري وسياسي نشأ بينهما وبينه وهو خلاف ذو أصول في الظاهرة الإسلامية بشكل عام. ولم يمنع كون الردة لم تكن مادة مضمنة في قوانين سبتمبر 1983 أيضا من أن يحاكم بجريرتها نفس الشيخ، وتدق عنقه، ويزرى بحواريه ويرغمون على التنكر لمعلمهم وعلى لحس عقائدهم المؤثلة امام الملأ. وهذا باب في التعصب والملاحقة والترّصد في الدرجة السفلى من السياسة ذاتها. ولذا نرى في تخصيص مادة للردة في مشروع القانون الجنائي تدبيراً سياسياً ينذر بأوخم العواقب على نطاح الآراء والاجتهادات في بلدنا، وغاية ذلك التدبير تعطيل التسامح الفكري ومنع تخصيب الآراء بعضها البعض في لقاح نيّر.

لقد حسبنا بحسن نية أن بشاعة تنفيذ حكم الردة في الأستاذ محمود مما يعلمنا جميعاً بعدم جدوى البطش بالرأي، وأملنا أن يراعي بعض الدعاة الاسلاميين حساسيتنا لهذه المسألة كأهل رأي يعتدون بقيمة الفكر ومنزلته في نهضة الوطن، وأن لا يفجعونا باستعلائهم الفكري مرة بعد مرة وبخاصة وأكثرنا ما تزال تؤرقه غفلته حين لم نَرتَبْ بالقدر الكافي في قوانين سبتمبر حتى خرجت علينا بثمار المشانق المر وأنوف الاستتابة الراغمة. ووددنا أن لا نضطر إلى القول أن الذي يريد طمأنتنا الى قلة خطر المادة 129 عن الردة في المشروع الجديد قد يتحوّل بالزمن إلى معتاد إجرام فكري.

إننا لنربأ بأنفسنا أن يتوّسل متوّسل بالردة ليكون وصياً على توقنا للحقيقة ومناهج بحثنا عنها ونتائج ذلك البحث. لقد تأهلنا، وعلى نفقة الدولة السودانية غالباً، في شتى ضروب المعرفة تأهيلاً يلزمنا بإسقاط كل معرفة قبلية قبل بدء فحصنا وتحليلنا وتشريحنا للظواهر والعمليات الطبيعية والاجتماعية لإكتشافها وبلوغ حقائقها وقوانينها. وليس هذا الإسقاط تحللاً، فمناهج العلم والنظر الإبداعي جيدة التأسيس على أقباس من خلق النبوة في الفطانة والأمانة والتبليغ.

وعليه فقد أصبح الشك العلمي بعض عدة شغلنا. وهو شك لن نسمح لأحد أن يفسره برقة الدين أو بالاستخذاء أمام الفرنجة ليعرضنا للمساءلة حول صحة العقيدة. إننا

ثمرة تورّط عريض بالعالم. وهو تورّط لا منجاة منه ولا غنى عنه إلا بدفن الرؤوس الصغيرة فى الرمال العميقة. لقد اشتبكنا بالعالم لأن ما فى ذلك مناص. ولقد حملنا بالطبع الى خضم هذا الاشتباك هويتنا الاسلامية لتتجّمر فى ابتلاءاته ووعاثته فتصفو وتذكو. وهذه هى الشجاعة الوحيدة الممكنة الآن. أن حاجة بعضهم الى استنان مادة الردة هى خلود إلى طمأنينة مزيفة، وتخفيض للإسلام لصبح ملة قوم من الخائفين لينى الركب، وفرار من احتمالات اللقاء بالعالم. وهذا هو الجبن الوحيد الممكن الآن أيضا.

وعليه فعرض طرائقنا فى التحرّى، وبلوغ النتائج، وتعميمها على مفتشى العقيدة هى سبة سنعمل أن لا تفشو فى بلدنا الذى لم يبدأ بعد اكتشافاته المثيرة لهوياته ولإمكاناته المادية والروحية فى عالم طموح عجيب.

نتوجه بهذه المذكرة الى حضراتكم للوقوف بقوة ضد مشروع القانون الجنائى البديل وضد المادة 129 المتعلّقة بالردة منه على وجه جدى. وربما اضطركم هذا الموقف الى مفارقة التزام خاص أو رأى شخصى ولكن مزية الديمقراطية هى هذا التسامى من أجل سداد التمثيل الانتخابى. وستكون استجابتكم لمطلبنا ممارسة مميزة للديمقراطية تجدد حسن الظن بكم والذى حملكم الى مقاعد الجمعية التأسيسية. والأهم من ذلك أن هذه الممارسة ربما أعادت لدوائر الخريجين ألقها وقدوتها السياسيين اللذين بدأت بهما فى باكر تجربتنا البرلمانية قبل أن تندرج ضمن التراكمات الحزبية العادية. إننا لنأمل أن تقفوا معنا ضد المادة 129 لنأمن فى شغلنا الفكرى والعلمى والوطن من شرور التطرف والتسلّط وغلو الوصاة.

إلى السيدة/ سعاد الفاتح والسيدان/ محمد يوسف محمد وإبراهيم أحمد عمر

لقد أطلعت على المذكرة المرفوعة إليكم بشأن المادة 129 عن الردة فى مشروع القانون الجنائى المعروض أمامكم فى الجمعية التأسيسية. وإننى لأتفق اجمالاً مع المذكرة وأدعوكم للتصويت ضد القانون بشكل عام وضد مادة الردة منه بالتحديد ولكم تقديرى.

الاسم: .... المهنة: ....

المؤسسة التعليمية والدرجة العلمية وسنة التخرّج: ....

التوقيع: ....

بعد ملء الإستمارة الرجاء إرسالها إلى العنوان التالى:-

د. عبدالله على ابراهيم

معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية / جامعة الخرطوم

ص.ب: 321 الخرطوم.

رسالة موجهة إلى اساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين الدكتور المكاشفى طه الكباشى قاضى محكمة الردة 1985 بإحدى الجامعات السعودية

نداء لتنحية الدكتور المكاشفى طه الكباشى عن التدريس والبحث بالجامعات بسبب إيذائه لمخالفيه فى الرأى

حكمت محكمة الإستئناف الجنائية فى 1985 على الأستاذ محمود محمد طه (76 سنة) وأربعة من أتباعه[1] وقضت بتوبتهم والإقلاع عن اجتهادهم الإسلامى أو مواجهة الموت. وقد ترأس الدكتور المكاشفى طه الكباشى المحكمة التى قضت بذلك الحكم. والمعروف أن الأستاذ محمود مفكّر إسلامى جليل ذو دعوة عصرية للإسلام انتظم فيها الفقه الإسلامى، وإشراقات الصوفية، وأقباس مستجدة فى العدالة الاجتماعية. وهى دعوة ناصبها الأخوان المسلمون، وهم عصبة الدكتور الكباشى، العداء الجدى.. وعلى كل فقد انتهج الأستاذ محمود فى دعوته وسائل التبليغ والحوار عبر حركة نشطة وحلقات نقاش حية يديرها دعاة حاذقون.

رفض الأستاذ محمود أن يقلع عن آرائه نزولاً على حكم المحاكمة. ولذا دقت عنقه فى 18 يناير 1985. واختار تلامذته التوبة على الموت. وقد لعب الدكتور الكباشى دوراً مميزاً فى استتابة هذا النفر فحاصرهم حتى أقلعوا عن أفكارهم وضيّق عليهم حتى أدانوا أُستاذهم القتيل. وقد عرضت جلسات الإستتابة هذه على الملأ فى التلفزيون. وكانت من البشاعة بحيث وصفها مشاهد مروّع بأنها وكأنها بعض فيلم من إخراج المخرج الإيطالى فلينى. لقد كانت تلك الجلسات المذاعة بحق إهانة لمفهوم السودانيين عن حرمة الإنسان والأفكار.

(1) حكمت عليهم بالردة عن الإسلام.

لقد التحق الدكتور الكباشى بعد ذلك بهيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض كأستاذ مساعد فى كلية القانون والشريعة. وإننا لنعتقد أن سجل الدكتور الكباشى فى التخلّص من خصومة الفكريين وإرهابهم حتى يلفظوا عقائدهم لا يؤهله لعضوية أى هيئة تدريس فمن الصعب أن نتوقّع من الدكتور الكباشى، الذى لا يحتمل خصومة الرأى، أن يقبل من طلابه اعتناق آراء غير التى يعتقدها هو ناهيك عن مكافأتهم على مثل هذه الجسارة الفكرية. وبناء عليه فالدكتور الكباشى قاصر عن كل مطلوب فى المعلّم والباحث.وعليه فإننا نناشدكم الكتابة لمدير جامعة الملك سعود معترضين على تعيين الدكتور المكاشفى بالجامعة وأن تسألوه إبعاده من كل وظائف التدريس والبحث. وسنكون ممنونين جداً إذا مررتم هذه المناشدة إلى كل المنظمات العلمية التى تشغلها قضايا حرية الفكر وتنتفض للجرائم الموجهة ضدها.

A CALL TO REMOVE DR . AL-KABBASHI

REASONS OFFENSES TO HUMANITY

In 1985 Mahmud Mohammad Taha (76 years) the Islamic reformer, and four of his disciples were indicted for apostasy andsentenced to repent and recant their views on Islam or face death. Dr. Al- Makashfi Taha Al-Kabbashi presided over the Criminal Court of appeal that passed the sentence. Mr. Taha was a highly respected Islamic thinker who advocated a modern interpretation of Islam in which he blended Islamic law, Sufism and contemporary notions of social justice. His views were antithetical to the views of the Muslim Brothers to whom Dr. Al-Kabbashi either belongs or sympathizes. Mr. Taha?s ideas were spread through non-violent means in vigorous pamphleteering activity and lively discussing circles conducted by his devoted followers.

Mr. Taha refused to recant his ideas and was executed on the 18th of January 1985. His disciples chose repentance rather than death. Dr. Al-Kabbashi was again active in encouraging the disciples to repent and in bullying them into denouncing Mr.Taha. The recantations were videotaped and broadcast on

national T.V. To a dismayed viewer the recantation came straight from a Fillini film. They were an affront to Sudanese notion of person and the worth of belief.

Dr. Al-Kabbashi has since joined the staff of King Saud University in Riyadh as an associate professor in the Law school. We believe that Dr. Al-Kabbashi's record in eliminating intellectual rivals and pressuring them into disgorging their ideas disqualifies as a staff member. Because he does not stand a controversy, Dr. Al-kabbashi is unlikely to encourage or reward his students for holding a competing perspective with his own. Dr. Al-Kabbashi falls short of the professional and ethical requirement of a teacher and a researcher.

We ask you, hence, to write to the Vice-Chancellor of king Saud University expressing your objection to Dr .Al- Kabbashi?s appointment and to request the Vice-Chancellor to remove him from all teaching and research functions. We would be very much obliged if you would kindly pass this note to all relevant associations of concerned scholars.

Letters objecting to Al-Kabbashi's appointment may be sent to
Vice-Chancellor
King Saud University
Riyadh
Saudi Arabia

ملحق رقم: (55)

خطاب من المؤلف إلى الأمين العام **لدار الوثائق القومية** السودانية بشأن **جريدة الجمهورية**، لسان حال **الحزب الجمهورى**، والتى صدرت فى منتصف الخمسينات

السيد/ الأمين العام المُوقر

دار الوثاق القومية - الخرطوم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،،،

الموضـــوع: جريدة الجمهورية الصادرة فى منتصف الخمسينات من القرن الماضى

أود إفادتكم بأننى سبق وأن طلبت فى قاعة الباحثين بدار الوثائق الاطلاع على جريدة الجمهورية المشار إلى فترة صدورها أعلاه، وجاءنى الرد شفهياً بأنها غير موجودة. وفيما بعد لاحظت أن هناك إشارة لها فى كتابىّ البروفيسور قاسم نور، الأول: مصادر الدراسات السودانية، (4 أجزاء)، والكتاب الثانى: معجم المؤلفين السودانيين، (3 أجزاء)، الذى صدر عام 2012، فاتصلت بالبروفيسور قاسم مستفسراً عن المصدر الذى اعتمد عليه فى إشارته لجريدة الجمهورية، فأكد لى بأنه قد اطلع عليها فى دار الوثائق القومية. الأمر الذى جعلنى أرجح أن تكون الجريدة موجودة بدار الوثائق، ولكن وبسبب صغر حجم مجلدها نسبة لقصر فترة صدورها، قد تكون غابت عن الأعين فى مستودع الدوريات.

عليه، أرجو شاكراً التكرم بالتأكيد ما إذا كانت الجريدة موجودة فى دار الوثائق أم لا، حتى أتمكن من الاطلاع عليها أو البحث عنها فى أماكن أخرى.

وتفضلوا بفائق الشكر والتقدير والاحترام

التاريخ: 2012/8/23

مقدم الطلب

عبدالله الفكى البشير

باحث فى شؤون الفكر والثقافات السودانية

البريد الإليكترونى:abdallaelbashir@gmail.com

ملحق رقم (56)

رد دار **الوثائق القومية** على خطاب المؤلف بشأن **جريدة الجمهورية** لسان حال **الحزب الجمهورى**، والتى صدرت فى منتصف الخمسينات من القرن الماضى

جاء الرد من مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإنابة متضمناً تعليق الأمين العام لدار الوثائق القومية السودانية

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ: 2012/8/26م

السيد / الأمين العام لدار الوثائق القومية
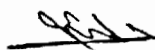
المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع / جريدة الجمهورية الصادرة في الخمسينات

بالإشارة للموضوع أعلاه ، أرجو أن أوضح أن الباحث عبد الله الفكي البشير طلب الصحيفة المذكورة ورجعنا للصحف المسجلة لدينا حتى السبعينات ولم نجدها ووجهناه لأرشيف الصحف بمكتبة السودان جامعة الخرطوم. وهو مانرجح أن البروفسور/ قاسم عثمان نور أطلع عليها هناك ومن ثم أخبره بأنه أطلع عليها بدار الوثائق . أما الجمهورية الصادرة في نهاية التسعينات فهي موجودة لدينا . وعلية نأسف لعدم تمكننا من تلبية طلب الباحث هذا مالزم توضيحه .

وشكراً،،،

البشير التجاني عثمان

مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإنابة

قائمة المصادر والمراجع

■ قائمة مؤلفات الأستاذ محمود محمد طه

1- الكتب

2- بعض البيانات والخطابات والمخطوطات والمحاضرات والندوات

■ الكتب العربية

■ الكتب الأجنبية

■ الدوريات العربية

■ الدوريات الأجنبية

■ المحاضرات والندوات والجلسات وحلقات النقاش

■ الرسائل الجامعية

■ المراسلات والخطابات الخاصة

■ المقابلات Interviews

■ المواقع على شبكة الإنترنت Websites

---

(1) المصادر والمراجع كلها مرتبة ترتيباً هجائياً عدا مؤلفات الأستاذ محمود. فقد خصصت قائمة بمؤلفات الأستاذ محمود، باعتبارها أهم مصادر دراستى. وقد رتبتها حسب تاريخ نشرها سواء الكتب أو ما استعنت واستفدت منه من البيانات والخطابات والمحاضرات والندوات. برغم أننى لم أستعن بكل كتب الأستاذ محمود وإنما استعنت ببعضها، إلا أننى وكما أشرت فى متن هذا الكتاب أننى سأورد كل كتب الأستاذ محمود ضمن قائمة المصادر والمراجع لأهميتها وللفت الانتباه إليها، وما استعنت به من كتب الإخوان الجمهوريين، وهى كتب أعدت تحت إشرافه، فأوردت ما استعنت به من كتب الإخوان الجمهوريين ضمن قائمة المصادر والمراجع.

قائمة مؤلفات الأستاذ محمود محمد طه[1]

1- **الكتب (مرتبة حسب تاريخ صدور الطبعة الأولى)**

محمود محمد طه، **السفر الأول**، ط1، أمدرمان، أكتوبر 1945.

محمود محمد طه، **قل هذه سبيلي: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، ط1، دار الطباعة السودانية، الخرطوم، 1952.

Mahmoud Mohamed Tah, *Islam The way out, Khartoum*, 1952.

محمود محمد طه، **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**، ط1، أمدرمان، ديسمبر 1955.

محمود محمد طه، **محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدم الإسلام**، ط1، أمدرمان، مارس 1960.

محمود محمد طه، **رسالة الصلاة**، ط1، أمدرمان، يناير 1966.

محمود محمد طه، **طريق محمد**، ط1، أمدرمان، مارس 1966.

(1) وردت الإشارة آنفاً بأننى بصدد إعداد وإصدار بحث بعنوان: **محمود محمد طه: دراسة بيليومترية وثائقية تحليلية**. وهوبحث يسعى لدراسة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود من حيث الكم والنوع،بغرض الرصد والحصروالوصف لخصائص ذلك الإنتاج وتحليله ودراسة طبيعته. لهذا سأكتفى هنا بإيراد الكتب وبعض البيانات والخطابات التى نشرها الأستاذ محمود، مما وردت الإشارة إليه فى نص هذا الكتاب.

محمود محمد طه، **الرسالة الثانية من الإسلام**، ط1، أمدرمان، يناير 1967.

محمود محمد طه، **التحدى الذى يواجه العرب**، ط1، أمدرمان، سبتمبر 1967.

محمود محمد طه، **مُشكلة الشّرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، ط1، أمدرمان، أكتوبر 1967.

محمود محمد طه، محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى يقدم الدستور الإسلامى؟ نعم .. ولا**، ط1،أمدرمان، يناير 1968.

محمود محمد طه، **زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان**: 1. **الثقافة الغربية** 2. **الإسلام**، ط1، أمدرمان، 1968.

محمود محمد طه، **الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**(1)، ط1، أمدرمان، يناير 1969.

(1) فى الأصل هو محاضرة أقيمت فى ثمانية أماكن.وهى المحاضرة التى أثارت "كثيراً من اللغط ثم تصاعدت إلى مهزلة محكمة الردة". "أقيمت [المحاضرة] فى الجامعة [غير مبين اسم الجامعة، وربما كانت **جامعة الخرطوم**]، لأول مرة، وذلك فى يوم 1968/9/7، ثم بعد ذلك بشهرين، أقيمت فى معهد المعلمين العالى.. وذلك فى يوم 1968/11/11، ثم فى دار الحزب الجمهورى، بالموردة يوم 1968/11/14 ثم أُقيمت بمعهد شمبات الزراعى، ثم بالكلية المهنية، ثم بالمعهد الفنى (الداخليات)، ثم، ... أقيمت بدار الحزب الجمهورى، وأقيمت بنادى موظفى الأبحاث الزراعية بمدنى.. اعتمد الكتاب على نص "المحاضرة التى قيلت بدار الحزب الجمهورى، بأمدرمان، فى يوم الخميس 1968/11/14". ويُعد هذا الكتاب، كما جاء فى تعريفه، هو "أول كتاب للحزب الجمهورى يخرج بلغة (الكلام)، باللغة العامية، وهو كتاب يعالج أصلاً أصيلاً من أصول الدين". **المصدر**: مقدمة الكتاب، ص 4-3، وصفحة الغلاف (هذا الكتاب).

محمود محمد طه، **بيننا وبين محكمة الردة، السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة**، ط1، شركة الطابع السودانى، الخرطوم، ديسمبر 1968.

محمود محمد طه، **أسس حماية الحقوق الأساسية**، ط1، أمدرمان، مارس 1969.

محمود محمد طه، **لا إله إلا الله**، ط1، أمدرمان، مايو 1969.

محمود محمد طه، **أسئلة وأجوبة: الكتاب الأول**، ط1، أمدرمان، يناير 1970.

محمود محمد طه، **القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى**، ط1، أمدرمان، يناير 1971.

محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، ط1، أمدرمان، يناير 1971.

محمود محمد طه، **خطوة نحو الزواج فى الإسلام**، ط1، أمدرمان، يناير 1971.

محمود محمد طه، **أسئلة وأجوبة: الكتاب الثانى**، ط1، أمدرمان، نوفمبر 1971.

محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، ط1، أمدرمان، مايو 1972.

محمود محمد طه، **تعلموا كيف تصلون**، من سلسلة الثورة الثقافية، ط1، أربجى، مايو 1972.

محمود محمد طه، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، ط1، أمدرمان، أبريل 1973.

محمود محمد طه، **الكتاب الثانى من سلسلة رسائل ومقالات**، ط1، أمدرمان، مايو 1973.

محمود محمد طه، **الله نور السموات والأرض**، ط1، أمدرمان، مايو 1973.

محمود محمد طه، **الإسلام وإنسانية القرن العشرين**، ط1، أمدرمان، يوليو 1973.

محمود محمد طه، **الماركسية فى الميزان**، ط1، أمدرمان، أكتوبر 1973.

محمود محمد طه، **الإسلام والفنون**، ط1، أمدرمان، مارس 1974.

محمود محمد طه، **الدعوة الإسلامية الجديدة**، ط1، أمدرمان، سبتمبر 1974..

محمود محمد طه، **الدين والتنمية الاجتماعية**، ط1، أمدرمان، ديسمبر 1974.

محمود محمد طه، **من دقائق حقائق الدين**، ط2، أمدرمان، فبراير 1976.

محمود محمد طه،**خيانة المثقفين**[1]، (كتاب مفقود).

محمود محمد طه، **الديباجة**، 30 أكتوبر 1984 (آخر نص كتبه الأستاذ محمود محمد طه في داخل المعتقل).

كتب الأستاذ محمود التي أعيدت طباعتها وصدرت بمقدمات كتبها بعض تلاميذه:

محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، ط 2، بدون تاريخ.(صدرت الطبعة بمقدمة كتبها عصام عبدالرحمن البوشي).

محمود محمد طه، **التحدى الذى يواجه العرب**، ط2، أمدرمان، 1982. (صدرت الطبعة بمقدمة كتبها سعد عبدالله أبو نورة).

محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة، 2009. (صدرت هذه الطبعة متضمنة كتابين من كتب الأستاذ محمود بتقديم كتبه كل من: أسماء محمود محمد طه والنور محمد حمد)

محمود محمد طه، **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية** 1. **الرسالة الثانية من الإسلام** 2. **رسالة الصلاة** 3. **تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، المركز الثقافى العربى/ دار قرطاس، بيروت/ الكويت، 2002. (صدرت هذه الطبعة متضمنة ثلاثة كتب من كتب الأستاذ محمود، وبتقديم كتبه كل من: أسماء محمود محمد طه والنور محمد حمد. وصدرت طبعة ثانية من المركز الثقافى العربى عام 2007، وطبعة أخرى من دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، عام 2012).

---

(1) وجدت أن الأستاذ محمود أشار إليه فى بيان أصدره ونشره بـ **صحيفة أنباء السودان**، الخرطوم، العدد 166، تاريخ 1958/11/1.

2- مؤلفات الأستاذ محمود:

بعض البيانات والمقالات والخطابات والمخطوطات والمحاضرات والتى استفدت منها فى هذا الكتاب (مرتبة حسب تاريخ نشرها)

محمود محمد طه، "فقد صديق"، (مقال)، 8 مارس 1935.

محمود محمد طه، "المهندسون فى رحلتهم"، (مقال)، 1935/12/21.

محمود محمد طه، بيان بدستور **الحزب الجمهورى**،ومذكرة تفسيرية للدستور، 26 أكتوبر من عام 1945.

محمود محمد طه، بيان عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى، 10 ديسمبر 1945.

محمود محمد طه، "هذا نذير من النذر الأولى، (منشور)، بتاريخ 1946/2/18.

محمود محمد طه، "البيان الذى ألقاه الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهورى** فى الاجتماع العام للحزب"، 1951/10/30، الخرطوم.

محمود محمد طه، بيان "فشل المسعى لالتقاء **الحزب الاشتراكى الجمهورى** و **الحزب الجمهورى** لاختلاف المبادئ والوسائل"، 19 مارس 1952.

محمود محمد طه، خطاب من الأستاذ محمود إلى اللواء محمد نجيب، قائد ثورة 23 يوليو 1952، 1952/8/18.

محمود محمد طه، "الحركة الوطنية كما أريدها"، 1952/12/18.

محمود محمد طه، "خطاب إلى المحامى العام فى الباكستان بشأن دستور الباكستان والقرآن"، 1953.

محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: خطاب إلى الدكتور توريز بوديت، مدير عام منظمة اليونسكو"، **جريدة صوت السودان**، 1953؛ محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: الدكتور توريز بوديت مدير عام منظمة اليونسكو"، **صحيفة الجمهورية**، العدد الأول، الاثنين 1954/1/15؛ محمود محمد طه، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، أمدرمان، 1973.

محمود محمد طه، "تعقيب على تعليق الدكتور محمد النويهى"، 1953؛ محمود محمد طه، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، ط1، أمدرمان، أبريل 1973.

محمود محمد طه، خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس مصر، 3 سبتمبر عام 1955.

محمود محمد طه، خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس مصر 18 أغسطس 1958.

محمود محمد طه، "**الحزب الجمهورى** يقدم دعائم الميثاق القومى"، والمطالبة بانسحاب السودان فوراً من **الجامعة العربية** (بيان)، 1958/8/23.

محمود محمد طه، عضويتنا فى الجامعة العربية، (بيان)، 18 أكتوبر 1958.

محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدرمان"، بتاريخ 1958/10/18.

محمود محمد طه، بيانات.... **الحزب الجمهورى** على الموقف الداخلى، تاريخ 1958/11/1.

محمود محد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، 1958/12/24، الخرطوم.

محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمى"، (بيان)، 1960/1/31.

Mahmoud Mohammed Taha, “Questions from Mr. John Voll and Answers from Ustadh Mahmoud Mohammed Taha", Khartoum, 17 July 1963.

محمود محمد طه، "مشكلة الجنوب"، (بيان، ديسمبر 1964)، **دار الوثائق القومية**، الأحزاب السودانية، 27/1/2، الخرطوم.

محمود محمد طه، **ومشكلة الشمال**، 1964/12/2، دار الوثائق القومية، 28/1/2، الخرطوم.

محمود محمد طه، "بين الدين والشريعة"، (حوار)، أجراه بشير محمد سعيد، **صحيفة الأيام**، العدد: 5497، بتاريخ 1968/11/18.

محمود مـحمد طه، "بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشـرعيين"، أمدرمان فى 1968/11/19، أول بيان أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة عام 1968.

محمود مـحمد طه، "**الحزب الجمـهورى** البيان رقم (10)، تصفية المحـاكم الشرعية (3)" (بيان)، أمدرمان، 1968/12/1.

محمود محمد طه، **الصلاة**، (محاضرة) نادى العباسية، أمدرمان - 3 ديسمبر 1968.

محـمود محـمد طه، **الاستـقلال وقضـايا الشعب**، (محـاضرة)، **دار الحزب الجمـهورى**، أمدرمان، 13 ديسمبر 1968.

محمود مـحمد طه، **مشكلـة الشـرق الأوسط**، (محاضرة)، **نادى السكة الحديد بالأبيض**، 22 مايو 1969.

محمود مـحمد طه، **بيننا وبين محكمة الردة**، (محاضـرة)، مُسجلة بصوته، مـدينة عطبرة، عام 1969.

محمود محمد طه، رسالة من الأستاذ محمود إلى تلميذه عصام عبدالرحمن البوشى، الذى كان يدرس وقتئذ فى جامعة لندن ببريطانيا،بتاريخ 1970/1/18، أمدرمان.

محمود محمد طه، "بينى وبين الدكتـور الفاضـل مصطفى محمود"، أسئلة **مجلة الأضواء السودانية**، 1970؛ محمود محمد طه، **الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات**، أمدرمان ط1، 1973.

محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، ثمانى صفحات، كتبت بخط يده بمدينة أمدرمان بتاريخ 1972/2/26.

محمود محمد طه، **تعلموا كيف تتعلمون**، (مخطوط)، 11-18 مايو 1972.

محمود محمد طه، **تعلموا كيف تسلكون**، (ندوة)، الثلاثاء9 مايو 1972 المهدية.

محـمود محـمد طه، **تعلموا كـيف تصدقون**، (ندوة) الأربعاء 10 مايو 1972 - المهدية، الخميس 11 مايو 1972 - المهدية.

مـحمـود محـمد طه، لقـاء إذاعى مع الأسـتاذ مـحمـود محـمد طه، حـول: (1) الأصول

والفروع، (2) الخير والشر، (3)، التحرّر من الخوف، (4) الحكمة وراء العذاب، ط1، أمدرمان، 1975.

محمود محمد طه، **ندوة المثقفين**، (ندوة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، أمدرمان، الأحد 30 مايو 1976.

محمود محمد طه، "خطاب إلى عبد الرحيم محمود أبو عيسى، رئيس نادى الخريجين بمدنى"، 1979/1/13.

محمود محمد طه، **تعلموا كيف تتعاملون**، (مخطوطة). اطلعت على المخطوطة فى منزل عصام عبدالرحمن البوشى بمدينة ود مدنى، السودان.

محمود محمد طه، **تعلموا كيف تجهزون موتاكم** (1)، (ندوة تسجيل صوتى)، الجلسة الأولى من جلسات مأتم إبراهيم الزبير، الخميس 18 يونيو 1981.

محمود محمد طه، "إلى أبنائى المحبوبين سعيد، وجلال، وإخوانهما فى القسمين.."، رسالة من الأستاذ محمود وهو فى المعتقل، 8 ديسمبر 1984.

محمود محمد طه، "هذا... أو الطوفان!!"، (منشور)، 25 ديسمبر 1984، أمدرمان.

محمود محمد طه، **بمناسبة زيارة السادات للسودان: السلام هو الطريق لحل مشكلة الشرق الأوسط، أمدرمان**، 1981.

محمود محمد طه، **ملف الخدمة**، نمرة الوظيفة (11837)، نمرة الموظف (559)، سكك حديد السودان، عطبرة.

الكتب العربية

إبراهيم المفتى، **الحركة الوطنية فى السودان**، ط1، مكتبة البازار السودانى، الخرطوم، 1947.

إبراهيم بدران، **حول التاريخ والتقدم فى الوطن العربى**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1991.

إبراهيم فوزى باشا، **السودان بين يدى غردون وكتشنر، الجزء الأول والثانى**، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2010.

إبراهيم محمد حاج موسى، **التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم فى السودان**، جامعة القاهرة، 1970.

إبراهيم يوسف فضل الله، **ثورة رفاعة المجهولة: لوحة مشرقة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار، الخرطوم**، 2004، (بدون ناشر).

إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، الخرطوم، 2011 (بدون ناشر).

ابن المُقَفَّع، عبدالله، **الأدب الصغير والأدب الكبير**، تحقيق إنعام فوال، دار الكتاب العربى، بيروت، 2008.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة، ط2،دار الفكر، بيروت، 1988.

ابن منظور، محمد بن مُكرَّم بن علىّ بن أحمد بن حبقة الأنصارى الإفريقى، **معجم لسان العرب فى اللغة**، دار صادر، بيروت، 1968.

إحسان عباس، **فن السيرة**، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، 1992.

أحمد إبراهيم أبو شوك، **السلطة والتراث**، ط2، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2007.

أحمد إبراهيم أبو شوك، **السودان: السلطة والتراث**، ج3، ط1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2010.

أحمد إبراهيم أبو شوك، **مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائى فى**

السودان، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2004.

أحمد إبراهيم أبوشوك، **السودان: السلطة والتراث**، ج4، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2012.

أحمد إبراهيم دياب (إشراف)، **موسوعة الرموز والشخصيات السودانية** (1900-1969)، سلسلة بحوث ودراسات، مركز الدراسات والبحوث السودانية، جامعة الزعيم الأزهرى، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

أحمد إبراهيم دياب، **مؤتمر الخريجين وتطور الحركة الوطنية فى السودان**، الدار العربية، القاهرة، 2006.

أحمد خير المحامى، **تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان: كفاح جيل**، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2002.

أحمد صدقى الدجانى، "لمحة تاريخية: حضارات إنسانية رئيسية وعلاقة مثقفين بمجتمعاتهم"، **المثقف العربى: همومه وعطاؤه**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.

أحمد عثمان عمر، **أثر التشريعات الإسلامية فى النظام القانونى السودانى (دراسة تحليلية)**، الشركة العالمية للطباعة والنشر،القاهرة، 2006.

أحمد محمد شاموق، **معجم الشخصيات السودانية المعاصرة**، ط1، بيت الثقافة للترجمة والنشر والتوزيع، الخرطوم، 1988.

أحمد مصطفى الحسين، **الإنسان قادم إلى المدينة**، (ديوان شعر)، 2004، بدون مكان نشر.

الأخوات الجمهوريات، **أضواء على شريعة الأحوال الشخصية**، أمدرمان، 1973.

الأخوات الجمهوريات، **تعلموا كيف تجهزون موتاكم**، عام 1978.

الإخوان الجمهوريون، **اسمهم الوهابية وليس اسمهم أنصار السنة**، أمدرمان، 1976.

الإخوان الجمهوريون، **أبعدوا رئيس القضاء!!**، أمدرمان، 1981.

الإخوان الجمهوريون، **اتحاد نساء السودان وقضية المرأة**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **اصطلحوا مع إسرائيل**، أمدرمان، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **الاختلاط بين الشريعة والدين**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **الإخوان المسلمون يلعبون على الحبلين**، أمدرمان، 1979.

الإخوان الجمهوريون، **التعليم**، المنشور الثانى بمناسبة عام الطفل العالمى، ط1، أمدرمان، 1976.

الإخوان الجمهوريون، **التهافت**، أمدرمان، 1976.

الإخوان الجمهوريون، **الدين ورجال الدين عبر السنين**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **الزى عنوان عقل المرأة وخلقها**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **الصادق المهدى!! والقيادة الملهمة!! والحق المقدس!!**، ط 1، أمدرمان، 1977.

الإخوان الجمهوريون، **الغرابة فى الدعوة الإسلامية الجديدة**، ط1، أمدرمان، سبتمبر1975.

الإخوان الجمهوريون،**القضاة الشرعيون أكبر عقبة أمام عودة الدين**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **المرأة فى اصول القرآن**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل هو عدوهما معاً!!**، أمدرمان، 1981.

الإخوان الجمهوريون، **المرأة مكانها البيت؟؟**، ط1، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **المرأة و التدين**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **المنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمى**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **الهوس الدينى يثير الفتنة ليصل الى السلطة**، أمدرمان، 1983.

الإخوان الجمهوريون، **بنك فيصل الإسلامى!؟**، 1983.

الإخوان الجمهوريون، **بيت الطاعة: المشكلة والحل**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين وسعوديين**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **تعدد الزوجات ليس أصلا فى الاسلام**، ط1، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **جنوب السودان المشكلة!! والحل!!**، ط1، أمدرمان، 1982.

الإخوان الجمهوريون، **الوثائق تكشف التآمر الجنائى**، أمدرمان، 1985.

الإخوان الجمهوريون، **حيثيات المحكمة العليا فى قضية الأستاذ محمود محمد طه: انتصار للحق، ودحض للحكم المهزلة**، أمدرمان، نوفمبر 1986.

الإخوان الجمهوريون، **خلف الله الرشيد وقامة رئيس القضاء**، أمدرمان، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **ساووا السودانيين فى الفقر إلى أن يتساووا فى الغنى**، أمدرمان، 1979.

الإخوان الجمهوريون، **الواجبات قبل الحقوق**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **قانون وقضاة الأحوال الشخصية قصور عن الشريعة وتخلف عن العصر**، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **لا !! يا رئيس القضاء !!**، أمدرمان، 1979.

الإخوان الجمهوريون، **لماذا نؤيد ثورة مايو**، ط1، أمدرمان، 1979.

الإخوان الجمهوريون، **ليسوا علماء السودان وإنما علماء آخر الزمان**، أمدرمان، 1976.

الإخوان الجمهوريون، **ما هو البديل عن مايو!؟**، ط1، أمدرمان، 1980.

الإخوان الجمهوريون، **ماذا بعد التهافت؟**، أمدرمان، 1976.

الإخوان الجمهوريون، **ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود**، يونيو 1985.

الإخوان الجمهوريون، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية**، الكتاب الثانى، ط1، أمدرمان 1976.

الإخوان الجمهوريون، **معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، خلال ثلاثين عاماً**، (1945-1975)- الكتاب الأول، أمدرمان، 1976.

الإخوان الجمهوريون، **مقترحات الأزهر للدستور الإسلامى جهالة لا تمثل الدين**، ط1، أمدرمان، 1979.

الإخوان الجمهوريون، **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين**، ط2، أمدرمان، 1975.

الإخوان الجمهوريون، **هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": اقرأوا واحكموا**، ط1، أمدرمان، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **هذا هو الشيخ محمد متولى الشعراوى**، ط1، أمدرمان، 1981.

الإخوان الجمهوريون، **هؤلاء هم الإخوان المسلمون**، ج1 ، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **هؤلاء هم الإخوان المسلمون**، ج2، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **هؤلاء هم الإخوان المسلمون**، ج3، 1979.

الإخوان الجمهوريون، **وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد**، الكتاب الأول، أمدرمان، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد**، الكتاب الثانى، أمدرمان، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد**، الكتاب الثالث، أمدرمان، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد**، الكتاب الرابع، أمدرمان، 1978.

الإخوان الجمهوريون، **وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد**، الكتاب الخامس، أمدرمان، 1978.

الإخوان الجمهوريين، **جنوب السودان: المشكلة والحل**، أمدرمان، 1982.

الإخوان الجمهويون، **علماء بزعمهم- الكتاب الأول**، أمدرمان، 1976.

الإخوان الجمهويون، **علماء بزعمهم- الكتاب الثانى**، أمدرمان، 1976.

الإدريسى، أبى عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموى الحسنى، **نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق**، مج1، المكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، (بدون تاريخ نشر).

إدوارد سعيد، **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة محمد عنانى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

إدوارد سعيد، **الإمبريالية والثقافة**، ترجمة كمال أبو ديب، ط3، دار الآداب، بيروت، 2004.

إدوارد سعيد، **المثقف والسلطة**، ترجمة محمد عنانى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

إدوارد سعيد، **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة صبحى حديدى، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996.

إدوارد سعيد، **تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء فى رؤيتنا لسائر بلدان العالم**، ترجمة محمد عنانى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

ألكس دوفال وعبدالسلام حسن (تحرير) **المشروع المدنى فى السودان: قضايا الانتقال إلى الديمقراطية والسلام**، (مؤتمر 12-8 فبراير 1999)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1999.

إلياس فتح الرحمن، **لا أحَد يسْعِفُ الخَيلَ**، (ديوان شعر)، ط1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2003.

الأمين داؤد محمد، **دجال السودان**، 1978.

الأمين داؤد، **الاختلاط فى مذاهب مسيلمة الثانى الكذاب**، 1977.

الأمين داؤد، **نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه**، ط2، المطبعة الحكومية، الخرطوم، 1974.

الأمين داؤود وحسين محمد زكى، **دعوة حسبة لله تعالى، مقدمة إلى السيد صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان ضد محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى بالسودان**، الثلاثاء 15 شعبان 1388هـ الموافق 9 نوفمبر 1968.

آنيا لومبا، **فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية**، ترجمة: محمد عبد الغنى غنوم، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007.

ب. م. هولت، **الأولياء والصالحون والإسلام فى السودان**، ترجمة هنرى رياض والجنيد على أحمد، ط2، مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1971.

باذل دافدسن، **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، ترجمة: جمال محمد أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

الباقر العفيف، **وجوه خلف الحرب: الهوية والنزاعات الأهلية فى السودان**، مركز الخاتم عدلان للاستنارة والتنمية البشرية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم 2007.

بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، القاهرة، الشركة العالمية للطباعة والنشر 2012.

بتول مختار وآخرون، **الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، أمدرمان، 1974.

بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، **شذا زهرة الحياة العليا**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، **علامات فى طريق غير مطروق**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، ما **وراء الكلمات... على شواطئ الأبدية**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، **وذكرهم بأيام الله**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

برهان غليون، "تهميش المثقفين ومسألة بناء النخبة القيادية"، **المثقف العربى: همومه وعطاؤه**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.

بكرى خليل، **التأويل الصوفى للحداثة فى الإسلام**: عرض ونقد فكر وفلسفة الجمهوريين فى السودان، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004.

بكرى نعيم، "الكاتب والكتاب"، **الحركة الوطنية والحزب الاتحادى الديمقراطى** 1938-1981، ط1، (بدون مكان نشر)، 1994.

بيتر بروكر (إعداد وتقديم)، **الحداثة وما بعد الحداثة**، ترجمة: عبدالوهاب علوب، ط1، منشورات المجمع الثقافى، أبو ظبى، 1995.

بيتر وودوارد، **السودان: الدولة المضطربة** 1898-1989، ترجمة: محمد على جادين، ط1، مركز محمد عمر بشير، جامعة أمدرمان الأهلية، 2002.

تركى الحمد، **ويبقى التاريخ مفتوحاً: أبرز عشرين شخصية سياسية فى القرن العشرين**، دار مدارك للنشر، دبى، 2012.

تومـاس س. كون، **بُنيَـة الثورات العلمـية**، ترجـمة: حـيدر حاج إسـماعـيل، ط1، مركـز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

التيجانى يوسف بشير، **إشراقة**، (ديوان شعر)، ط1، الدار السودانية للكتب، 2010.

جاك لوغوف (مشرف)، **التاريخ الجديد**، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصورى، مراجعة عبدالحميد هنية، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.

جان كلود شـميث، "تاريخ الهامشـيين"، **التاريخ الجديد**، ترجمـة وتقديم محـمد الطاهر المنصورى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.

جراهام ف. تـوماس، **السـودان: الصراع مـن أجل البقـاء** (1984-1993)، ترجمـة الطيب الزبير الطيب المنصور، دار الفرجانى للنشر والتوزيع/ دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995.

جعـفر محمـد على بخيت، **الإدارة البريطانيـة والحركة الوطنيـة فى السودان** 1919-1939، ترجمة هنرى رياض، ط1، دار الثقافة، بيروت/ مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1972.

جلال الدين الهادى الطيب إدريس، **مقالات تحكى تاريخ الحزب الجمهورى**، (مخطوطة)، بدون تاريخ.

جـلال الديـن الهـادى الطـيب إدريس، **منشـورات: تاريخ الفـكرة الجـمهـورية**، (مخطوطة)،بدون تاريخ.

جورج لارين، **الإيديولوجيا والهوية الثقافية: الحداثة وحضور العالم الثالث**، ترجمة: فريال حسن خليفة، ط1، مكتبة مدبولى، 2002.

جوزيف أومـارا وخديجة صـفوت، "سرديات رحـلات العبور التـاريخية وأسـلمة سلطنة الفـونج فى القـرن السـادس عـشـر، أثر بعض تنويعـات الرحـالة والتـجـار على التـاريخ الإسلامى والتاريـخ الشعبى"، **أبحاث ندوة الرحـالة العرب والمسلمـين، دورة ابن حوقل**، المركز العربى للأدب الجغرافى- ارتياد الآفاق، أبو ظبى/ وزارة الثقافة والرياضة والشباب، الخرطوم، فبراير 2006.

جى. أم. بلاوت، **نموذج المستـعمر للعـالم: الانتشار الجـغرافى وتاريخ المركـزية الأوروبية**،

ترجمة هبة الشايب، المركز القومى للترجمة، القاهرة، 2010.

حزب الاستقلال الجمهورى، دستور ولوائح، الخرطوم، يناير 1955.

حسن الترابى، "حوار مع آلان شوفاليرياس"، **الإسلام مستقبل العالم**، دار جان كلود لاتيس للنشر، باريس، 1997.

حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان** (1969-1985): **تاريخها وخطابها السياسى**، الدار السودانية للكتب، 1999.

حسين العودات، **المثقف العربى والحاكم**، ط1، دار الساقى، بيروت، 2012.

حسين محمد زكى، **القول الفصل فى الرد على: محمود محمد طه**، (بدون تاريخ ومكان نشر).

حمد النيل عبدالله العركى، **جواهر المعانى فى حضرة الأستاذ محمود محمّد طه**، (مخطوطة)، 9 أبريل 2009.

حمدى عبدالعليم البدوى، **إهداءات الكتب**، سلسلة دنيا الكتب والمكتبات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

الحميرى، محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار فى خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

حيدر إبراهيم على، **العلمانية: المفهوم والقضايا، سلسلة الثقافة السياسية** (5)، وحدة السودان أولاً، ط1، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، 2005.

حيدر براهيم على (تقديم)، **الإسلام وأصول الحكم: بحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام**، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2011.

حيدر إبراهيم على (تحرير وإشراف)، **محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان** ، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

حيدر إبراهيم على(محرر)، **المرأة السودانية فى الحياة العامة**، وقائع ندوة مهرجان المرأة الأول، الخرطوم 8-11 مارس 2003، مركز الدراسات السودانية. الخرطوم.

حيدر إبراهيم على، **الدين والثورة: لاهوت التحرير فى العالم الثالث**، ط2، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1999.

خالد الحاج عبدالمحمود، **الإسلام ديمقراطى اشتراكى**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2011.

خالد الحاج عبدالمحمود، **العصر الذهبى للإسلام أمامنا**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008.

خالد الحاج عبدالمحمود، **المعرفة وطبيعة الوجود**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2009.

خالد الحاج، **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007.

خالد حسين عثمان الكد، **الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان**، ترجمة محمد عثمان مكى العجيل، ط1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، 2011.

خضر حمد، **مذكرات خضر حمد: الحركة الوطنية السودانية: الاستقلال وما بعده**، ط1، مكتبة الشرق والغرب بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1980.

درية عبدالله ميرغنى، **عبدالله ميرغنى: أحد رواد الحركة الوطنية فى السودان**، دار جامعة القرآن الكريم، الخرطوم، 1999.

ربيع حسنين السيد، **الحركة الوطنية والحزب الاتحادى الديمقراطى 1938-1981**، ط1، (بدون مكان نشر)، 1994.

رفعت سيد أحمد، **لماذا أعدمنى نميرى؟ قراءة فى أوراق الشيخ محمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين بالسودان مع حيثيات الحكم بإعدامه وردود الفعل عليه**، دار ألف للنشر، القاهرة، 1985.

روبرت أو. كولينز، **تاريخ السودان الحديث**، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، دار العين للنشر والمركز القومى للترجمة، القاهرة، 2010.

زكريا بشير إمام، **نظرية داروين فى الميزان: دراسة تحليلية لنظرية داروين فى النشوء والارتقاء وبيان تهافتها وإسقاطها على الفكر الاجتماعى الإنسانى** ، ط2، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم، 2010.

سعيد الطيب شايب، **قضايا كوستى: هدية لشعبنا لكيلا يُخدع عن حقيقة من يتصدون**

لتعليمه دينه، ط1، أمدرمان، 1978.

سلاطين باشا، **السيف والنار فى السودان**، ط2، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، 1978.

سلمى مجدى، **الساعات الأخيرة فى حياتهم، ماذا فعل وقال وأوصى مشاهير السياسة والفن والأدب فى يوم رحيلهم عن الدنيا**، ط1، دار الكتاب العربى، دمشق، القاهرة، 2009.

سليمان كشة، **سوق الذكريات**، ج1، مطابع شركة الطبع والنشر، الخرطوم، 1963.

سمية سيد، **المصالحة الوطنية: صراع الحكم فى السودان**، بدون مكان وتاريخ نشر.

سمير أمين، "نحو لاهوت تحرير إسلامى؟"، تقديم باللغة الفرنسية، تعريب نجاة محمد على، **الرسالة الثانية من الإسلام** للأستاذ محمود محمد طه، ترجم الكتاب إلى الفرنسية: محمد البارودى وكارولين باى، دار لارماتان للنشر، باريس، 2002.

سمير أمين، **ما بعد الرأسمالية المتهالكة**، ترجمة فهيمة شرف الدين وسناء أبو شقرا، ط1، دار الفارابى، بيروت، 2003.

شارلس نيوفلد، **سجين الخليفة: اثنا عشر عاماً أسيراً بأمدرمان**، ترجمة: محجوب التجانى محمود، 2006.

شرف الدين الأمين عبدالسلام، **كرامات الأولياء: دراسة فى سياقها الاجتماعى والثقافى**، ترجمة يوسف حسن مدنى ومحمد المهدى بشرى، تحرير: الأمين أبو منقة محمد، دراسات فى التراث الشعبى السودانى (40)، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 2007.

الشريف حسين الهندى، **لوطنى وللتاريخ: مذكرات الشهيد الشريف حسين الهندى** (1924-1982)، إعداد: محمد الأمين الشريف عمر الهندى (أبو الحيران)، تحرير ومراجعة: إبراهيم قرشى، ط1، شركة الجزيرة للطباعة والنشر المحدودة، ودمدنى، 2006.

شمس الدين الأمين ضوالبيت (محرر)، **المصالحة الوطنية وإبراء الجراح**، ط1، مؤسسة فردريش ايبرت-السودان، 2008.

شوقى بشير عبدالمجيد، **منهج الجمهوريين فى تحريف القرآن**، دار الفكر، الخرطوم، 1989.

شوقى بشير عبدالمجيد، **موقف الجمهوريين من السنة النبوية**، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامى، 1987.

شيلى واليا، **صدام ما بعد الحداثة: إدوارد سعيد وتدوين التاريخ**، ترجمة عفاف عبدالمعطى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

الصادق المهدى، "مستقبل الإسلام فى السودان"، **مؤتمر جماعة الفكر والثقافة الإسلامية**، أمدرمان، محرم 1403هـ- أكتوبر 1982.

صلاح الدين المليك، **من نجوم الغد** (1)، (بدون تاريخ ومكان نشر).

طه حسين، **فى الشعر الجاهلى**، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1998.

الطيب صالح، **وطنى السودان** "7"، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 2005.

عالم عباس محمد نور، "السطور الأخيرة فى دفتر الحلاج الثانى"، (قصيدة إلى روح الشهيد محمود محمد طه، فبراير 1985)، **من شمس المعشوق إلى قمر العاشق**، (ديوان شعر)، ط1، منشورات مدارك، الخرطوم/ القاهرة، 2007.

عبد الرحمن حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم** ، دار الفكر، دمشق 1995.

عبد القيوم عبد الحليم، "مقدمه منهجية"، **الإسلام فى إفريقيا: ببليوغرافيا مختارة، المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا**، 26-27 **نوفمبر** 2006، أوراق المؤتمر: الكتاب الثالث عشر، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم.

عبد الماجد بوب كتابه: **جنوب السودان جدلية الوحدة والانفصال**، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 2009.

عبد المجيد عابدين، **التيجانى شاعر الجمال**، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2010.

عبدالباسط صالح سبدرات، **حكومات السودان: خمسون عاماً من التململ والقلق الوزارى، رحلة التغييرات فى الجهاز التنفيذى** (1954-2004)، **دراسة تاريخية- تحليلية- مقارنة**، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2004.

عبدالباقي يوسف نعمة، **رسالة فى الرد على: محمود محمد طه**، (بحث مطبوع)، مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية، المكتبة المركزية، تحت رقم التسجيل (92844)، أمدرمان.

عبدالجبار المبارك موسى، **الكتاب الأول من: الفكرة الجمهورية فى الميزان**، مطبعة دار الطابع العربى، الخرطوم، (بدون تاريخ نشر).

عبدالرحمن المهدى، **جهاد فى سبيل الاستقلال**، أشرف على اعداده الصادق المهدى، الخرطوم، 1986.

عبدالرحمن عبدالله، **السودان: الوحدة أم التمزق**، ترجمة الفاتح التجانى، ط، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2002.

عبدالرحمن فرح، **خريف الفرح: أسرار الفرح** 1950-1970، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 1996.

عبدالسلام نور الدين، **الحقيقة والشريعة فى الفكر الصوفى**، ط1، دار سومر للنشر والتوزيع، قبرص، 1992.

عبدالقادر المرضى، "موقف **الحزب الجمهورى** من المؤتمر ومن وثيقة الأحزاب المؤتلفة"، (مخطوطة بيان بتاريخ 1945/11/9)، **مقالات تحكى تاريخ الحزب الجمهورى**، (مخطوطة)، بدون تاريخ.

عبداللطيف عبدالرحمن، **لمحات من الحركة الوطنية فى السودان**، دار جامعة أمدرمان الإسلامية للطباعة والنشر، شركة الطباعة والنشر للناشئين المحدودة، الخرطوم، 1987.

عبدالله أحمد النعيم، **نحو تطوير التشريع الإسلامى- الحريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولى**، ترجمة: حسين أحمد أمين، دار سينا، القاهرة، 1994.

عبدالله العروى، **مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب**، ج1، ط3، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1997.

عبدالله العروى، **مفهوم التاريخ: المفاهيم والأصول**، ج2، ط3، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1997.

عبدالله الفكى البشير، "الإخفاق فى إدارة التنوُّع"، **انفصال جنوب السودان: المخاطر**

والفرص، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2012.

عبدالله النعيم، "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد فى القانون الإسلامى"، ترجمة وتحرير حيدر إبراهيم على، **الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان**، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

عبدالله حسن زروق، **قضايا التصوف الإسلامى**، ط2، هيئة الأعمال الفكرية، الخرطوم، 2006.

عبدالله على إبراهيم، **الثقافة والديمقراطية فى السودان**، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

عبدالله على إبراهيم، **الشريعة والحداثة: جدل الأصل والعصر**، مركز البحوث العربية والإفريقية، القاهرة، 2006.

عبدالله على إبراهيم، **بخت الرضا: التعليم والاستعمار**، سلسلة كاتب الشونة، ط1، دار المصورات للنشر، 2010.

عبدالله على إبراهيم، **ربيع ثورة أكتوبر** 1964، الأعمال الكاملة (3)، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، الخرطوم، 2013.

عبدالماجد أبو حسبو، **مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، الجزء الأول**، دار صنب للنشر والتوزيع، الخرطوم، عام 1987.

عبدالمجيد عابدين، **تاريخ الثقافة العربية فى السودان: منذ نشأتها إلى العصر الحديث، الدين، الاجتماع**، الأدب، ط2، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1967.

عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، **الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادى النيل والاستقلال** (1919-1956)، دراسات فى العلاقات السودانية المصرية، رؤية تاريخية، (جزءين)، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، دبى، 2007.

عبده بدوى، **الشعر فى السودان**، عالم المعرفة (41)، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، مايو 1981، الكويت.

عزالدين الأمين، **نقد الشعر فى السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية**، دار جامعة

الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1999.

عصام عبدالرحمن البوشى، **الصقر يعلو وحده**، (ديوان شعر)، ط1، الخرطوم، 1987.

عطا الحسن البطحانى، **أزمة الحكم فى السودان: أزمة هيـمنة أم هيمنة أزمة**، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2011.

علم الدين عمر، "الفكر الجمهورى فى السودان"، **الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السـودان**، سلسلة أعـلام التنوير والتـاريخ السـودانى (الكراسـة الأولى)، **الدار** البيضاء، 1992.

على أبوسن، **المجـذوب والذكـريات: أحاديـث الأدب والسيـاسـة بين الخـرطوم، ولندن، والقاهرة**، وباريس، ج2، بدون تاريخ ومكان نشر.

على صالح كرار، "الخدمة الأرشيفـية بين النظام اليدوى والآلى فى السودان بإشارة **خاصة** لدار الوثائق القـومية"، (المؤتمـر العام الأول) **المكتبـات السودانيـة وتحديات القـرن الحادى والعشرين**، قاعة الشهيد،الخرطوم 17-18 أكتوبر 1998.

على عبدالـرحمن الأمين، **الديمقـراطية والاشتراكيـة فى السودان**، ط1، المكتبة الـعصرية، بيروت، 1970.

على عثمان محمد صالح والبشير سهل جمعة سهل (إعداد)، **فى سيرة جمال كاتب "سرة شرق"**، ط1، اللجنة القوميـة لتخليد ذكرى الكاتب جـمال محمد أحـمد، سلسلة دراسات فى الثقافة والدبلوماسية وأدب الأطفال، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1988.

عمر القرّاى، "الحركة الجـمهورية السودانية: المؤسس والمواقف"، **الإسلاميون فى السودان: من التأسيـس إلى الانفصال**، كتـاب المسبار الثـامن والأربعون، مـركز المسبـار للدراسات والبحوث، دبى، ديسمبر 2010.

عمر القراى، **الجهاد أم حرية الإعتقاد؟**، القاهرة، 1995.

عمر القراى، **الدين والتطور**، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2013.

عمر القراى، **الصادق المهدى الانكفائية ودعاوى التجديد**، ط1، دار عزة للنشر، الخرطوم 2007.

عمر القراى، **الفكر الاسلامى وقضية المرأة**، ط2، دار عزة للنشر بالخرطوم فى 2007.

عمر سر الختم المكى، **الإسلام والسياسة: دراسة فى التجربة السودانية 1883-1989**، ط1، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2005.

عمر عوض الله قسم السيد، **الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان**، ترجمة: عبد الحافظ عبدالعزيز ومراجعة محمد المصطفى حسن عبد الكريم، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2010.

عوض لطفى عبدالله، **زمان الوصل: محطات وسندات**، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2011.

عون الشريف قاسم (وآخرون)، **معجم أدباء السودان، الجزء الأول**، الهيئة القومية للثقافة والفنون، الخرطوم، 1994.

عون الشريف قاسم، **قاموس اللهجة العامية فى السودان**، ط3، الدار السودانية للكتب، 2002.

عون الشريف قاسم، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الثالث**، ط1، شركة آفروقراف للطباعة والتغليف، 1996.

غراهام ف. توماس، **السودان: الصراع من أجل البقاء** (1984-1993)، ترجمة الطيب الزبير الطيب المنصور، دار الفرجانى ودار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة/ طرابلس/ لندن، 1995.

غراهام ف. توماس، **السودان: موت حلم**، ترجمة عمران أبو حجلة، ط1، دار الفرجانى، طرابلس، 1994.

غى تويلييه وجان تولار، **مهنة المؤرخ**، تعريب عادل العوّا، ط1، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001.

فاطمة القاسم شداد، **محمد محمد على شاعراً: دراسة تحليلية نقدية**، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2009.

فتحى الضو محمد، **السودان: سقوط الأقنعة: سنوات الخيبة والأمل**، شركة سوتير

(طابعون)، دار آفاق جديدة ومركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2006.

فتحي رضوان، "تقديم"، ضمن كتاب: رفعت سيد أحمد، **لماذا أعدمني نميري؟ قراءة في أوراق الشيخ محمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين بالسودان مع حيثيات الحكم باعدامه وردود الفعل عليه**، دار ألف للنشر، القاهرة، 1985.

فدوى عبد الرحمن علي طه، **كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953 حول الحكم الذاتي وتقرير المصير**، ط1، شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1997.

فدوى عبدالرحمن علي طه، **أستاذ الأجيال: عبدالرحمن علي طه** 1901-1969، **بين التعليم والسياسة وأربجي**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004.

فرانسو دوس، **التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد**، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009.

فرانسيس دينق، **صراع الرؤى: نزاع الهويات في السودان**، ترجمة عوض حسن، ط2، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2001.

فيصل عبدالرحمن علي طه، **الحركة السياسية السودانية والصراع المصري السوداني بشأن السودان** (1936-1953)، ط2، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أمدرمان، 2004.

فيصل عبدالرحمن علي طه، **السودان على مشارف الاستقلال الثاني** (1954-1956)، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أمدرمان، ط1، 2010.

فيلوثاوس فرج، **أقباط السودان**، ج1، مطبعة الحياة الجديدة، 2008.

قاسم عثمان نور (جمع واعداد وتصنيف)، **مصادر الدراسات السودانية بالمجلات والدوريات السودانية** (1931-1967)، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1970.

قاسم عثمان نور، **أضواء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين** 1925/1938، وزارة الثقافة ومركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، 2004.

قاسم عثمان نور، **دليل الدوريات السودانية: الصحف** (1903-1988)- **للمجلات** (1931-1998)، المجلس القومى للصحافة والمطبوعات بالتعاون مع مركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، 1999.

قاسم عثمان نور، **معجم المؤلفين**، (1510-2010)، **من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم**، المجلس القومى لرعاية الثقافة والفنون، الخرطوم، 2011.

قسطنطين زريق، "نحن والتاريخ: مطالب وتساؤلات فى صناعة التأريخ وصنع التاريخ"، **الأعمال الفكرية العامة للدكتورقسطنطين زريق، المجلد الأول**، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.

كريم مروة، **قادة تاريخيون كبار فى ثورات القرن العشرين، جزءان**، الدار العربية ناشرون، بيروت، 2012.

كمال الجزولى، **إنتليجنسيا نبات الظل، باب فى نقد الذات الجمعى**، مدارك للطباعة والنشر، الخرطوم، 2008.

مارك بلوخ، **دفاعاً عن التاريخ أو مهنة المؤرخ**، ترجمة أحمد الشيخ، ط1، المركز العربى الإسلامى للدراسات الغربية، القاهرة، 2012.

مامون بحيرى، **لمحات من تجارب رجل خدمةعامة من جيل الرواد السودانيين**، ط1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2001.

مجدى كامل، **شخصيات التاريخ الكبرى، عظماء صنعوا مجداً وسطروا تاريخاً**، دار الكتاب العربى، دمشق، 2012.

مجذوب محمد مجذوب، **بعض أوراق جمهورى، السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، (تحت الطبع).

محجوب عمر باشرى، **رواد الفكر السودانى**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991.

محمد إبراهيم أبو سليم، **أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان**، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991.

محمد إبراهيم أبوسليم، **بحوث فى تاريخ السودان: الأراضى - العلماء - الخلافة - بربر - على الميرغنى**، دار الجيل، بيروت، 1992.

محمد أبو القاسم حاج حمد، "أزمة القرن الأفريقى وموقعه فى استراتيجية العدو الصهيونى"، **مركز دراسات العالم الإسلامى**، مالطا، 1990.

محمد أبو القاسم حاج حمد، "إشكالية عدم الاستقرار فى القرن الإفريقى"، **معهد الدراسات الإفريقية**، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2004.

محمد أبو القاسم حاج حمد، "حتمية الثورة الشعبية المسلحة فى أرتريا وطبيعتها"، **مجلة دراسات عربية**، بيروت، سبتمبر 1968.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **أبستمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج**، سلسلة فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهادى، بيروت، 2004.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **الأبعاد الدولية لمعركة إرتريا**، دار الطليعة، بيروت، 1974.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **الثورة والثورة المضادة فى السودان**، دار الطليعة، بيروت، 1964.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **الحاكمية**، مراجعة وتحقيق محمد العانى، ط1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، 2010.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **السعودية: قدر المواجهة المصيرية وخصائص التكوين، لا حرب دون مصر، لا سلام دون سوريا، لا تطبيع دون السعودية**، ط1، المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، بجزر الهند الغربية البريطانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: **المأزق التاريخى وآفاق المستقبل (جدلية التركيب)**، مج 1، ط2، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: **المأزق التاريخى وآفاق المستقبل**، (من 1956 وإلى 1996)، مج2، ط2، المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، بجزر الهند الغربية البريطانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1996.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل**، دار الكلمة، بيروت، 1980.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، (مجلدان)، المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، جزر الهند الغربية البريطانية/ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، .

محمد أبو القاسم حاج حمد، **الوجود القومى**، مطبعة الزمان، الخرطوم، 1964.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **جذور المأزق الأصولى**، مراجعة وتحقيق محمد العانى، ط1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، 2010.

محمد أبو القاسم حاج حمد، **نحو وفاق وطنى سودانى: رؤية استراتيجية**، مركز الدراسات الاستراتيجية، بالخرطوم، 1998.

محمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد، **موت دنيا**، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1946.

محمد أحمد المحجوب: **الديمقراطية فى الميزان، مطبعة العملة**، الخرطوم، 2004.

محمد أحمد محمود، "فى ذكرى الأستاذ محمود محمد طه، حرية الفكر: بين السياق الإسلامى والسياق المعاصر"، **محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان** ، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

محمد المكى إبراهيم، **الفكر السودانى: أصوله وتطوره**، ط1، إدارة النشر الثقافى، مصلحة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، 1976.

محمد المهدى المجذوب، **الشرافة والهجرة**، (ديوان شعر)، ط2، دار الجيل، بيروت/ شركة المكتبة الأهلية، الخرطوم، 1982.

محمد المهدى المجذوب، **نار المجاذيب**، (ديوان شعر)، وزارة الإعلام والشؤون الاجتماعية، الخرطوم، 1969.

محمد المهدى بشرى، "المثقف والسلطة: مصائر فاجعة"، **مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى**، أمدرمان، 2007.

محمـد النور بن ضيف الله، **كتـاب الطبقات فى خصـوص الأولياء والصالحـين والعلماء والشعراء فى السودان**، تحقيق د. يوسف فضل حسن، ط٣، دار التـأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، 1985.

محمـد النور بن ضيف الله، **كتـاب الطبقات فى خصـوص الأولياء والصالحـين والعلماء والشعراء فى السودان**، تحقيق وتقديم يوسف فضل حسن، ط4، مطابع دار ومكتبة الهلال، 1992.

محمد الواثق، **الشعر السـودانى فى القرن العشرين، آراء وقصائد مـختارة**، مطبعة جـامعة الخرطوم، الخرطوم، 2009.

محمد الواثق، **محمد أحمد المحـجوب وشعراء جيله**، معهد عبـدالله الطيب للغة العربية، جامعة الخرطوم، 2002 (كتاب غير منشور).

محمـد بن عبد المنعم الحـميرى، **الروض المعطار فى خبر الأقطار**، تحقيق إحـسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

محمـد حسان كسبة، **الباطنيـة وفكر الإخوان الجمـهوريين**، سلسلة الفكر الباطنى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة، المنصورة، 1986.

محمد حسان كسبة، **موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين**، سلسلة الفكر الباطنى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة، المنصورة، 1986.

محمد خير البدوى، **قطار العمر فى أدب المؤانسة والمجالسة**، دار النهار للانتاج الإعلامى، الخرطوم، 2008.

محـمد سـعيـد القدال، **الإسلام والسـياسـة فى السودان** (1951-1985)، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992.

محـمد سعيـد القدّال، **الإمام المهدى مـحمد أحمـد بن عبدالله** (1844-1885) لوحة لثائر سودانى، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2003.

محمد سعيد القدّال، **الانتماء والاغتراب: دراسـات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث**، دار الجيل، بيروت، 1992.

محمد سعيد القدَّال، **تاريخ السودان الحديث** 1820-1955، ط2، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2002.

محمد سعيد القدال، **معالم فى تاريخ الحزب الشيوعى السودانى**، دار الفارابى، بيروت، ط1، دار كوش للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 1999.

محمد عابد الجابرى، "المثقفون فى الحضارة العربية الإسلامية: حفريات استكشافية"، **المثقف العربى: همومه وعطاؤه**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.

محمد عامر بشير (فوراوى)، **الجلاء والاستقلال**، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1975.

محمد عبدالعزيز وهاشم عثمان أبو رنات، **أسرار جهاز الأسرار: جهاز الأمن السودانى، الفترة من 1969-1985**، ط2، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2008.

محمد على يوسف، **مع نبى آخر الزمان**، ط1، (بدون تاريخ ومكان نشر).

محمد عمر بشير، **التعليم فى السودان فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين** (1820-1956)، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005.

محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان** (1900-1969)، ترجمة هنرى رياض وآخرين، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (بدون تاريخ نشر).

محمد عمر بشير، **مشروع الدولة السودانية الديمقراطية: قضايا وإشكاليات البناء الوطنى**، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005.

محمد مجذوب محمد صالح، **أصول الاجتماع السياسى فى القرآن الكريم دراسة حول (مفهوم الأمة)**، إشراف أم سلمة محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، 2000.

محمد محمد على، **ألحان وأشجان**، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1960.

محمد محمد على، **الشعر السودانى فى المعارك السياسية** (1821-1924)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1969.

محمد محمد على، **ظلال شاردة**، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1971.

محمد محمد على، **محاولات فى النقد**، المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون، مطبعة الثقافة والاعلام، الخرطوم، 1958.

محمد محمد على، **من جيل إلى جيل**، شركة الأيام، الخرطوم، 945.

محمد محمود جلال، "مقدمة"، **إشراقة**، (ديوان شعر للتيجانى يوسف بشير)، ط1، الدار السودانية للكتب، 2010.

محمد نجيب المطيعى، **حقيقة محمود محمد طه**، أو الرسالة الكاذبة، 1986، (بدون مكان نشر/ ناشر).

محمد نجيب، **مذكرات محمد نجيب: كنت رئيساً لمصر**، ط8، المكتب المصرى الحديث، 2003م.

محمود شعرانى، **الأزمة الأخلاقية العالمية**، ط1، المركز السودانى لدراسات حقوق الإنسان المقارنة، الخرطوم، 2009.

محمود شعرانى، **هذه كلمتى فى السياسة والحقوق**، المركز السودانى لدراسات حقوق الإنسان المقارنة، أمدرمان، 2002.

محمود محمد قلندر، **سنوات النميرى: توثيق وتحليل لأحداث ووقائع سنوات حُكم 25 مايو فى السودان**، مركز عبد الكريم ميرغنى، أمدرمان، 2005.

مختار عجوبة، **قادة السودان... وآفة النسيان: (إليك يا بلدى السلام)، مجموعة مقالات نُشرت بالصحافة السودانية** (1977-1988)، 1988، (بدون مكان نشر).

مدثر عبدالرحيم، **الإمبرالية والقومية فى السودان دراسة للتطور الدستورى والسياسى** 1899-1956، دار النهار للنشر، بيروت، 1971.

مروان حامد الرشيد، **مندكورو: برق وهلال**، (رواية)، الدار الثقافية للنشر،القاهرة، 2001.

مصطفى محمد أحمد الصاوى، **السير والمذكرات فى الأدب السودانى: دراسة من منظور النقد الأدبى**، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2012، ص 274.

مصطفى محمد الحسن، **رجال ومواقف فى الحركة الوطنية**، (بدون تاريخ ومكان نشر).

مصطفى محمود، **القرآن: محاولة لفهم عصرى للقرآن**، دار الشروق، بيروت، 1970.

معاوية محمد نور، **الأعمال الأدبية لمعاوية محمد نور: دراسات فى الأدب والنقد وقصص وخواطر**، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الخرطوم، 1994.

المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1995)**، ط1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2007.

المعتصم أحمد الحاج، **الخلاوى فى السودان نظمها ورسومها (حتى نهاية القرن التاسع عشر)**، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، 2005.

المكاشفى طه الكباشى، **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، دار الفكر، الخرطوم، 1987.

المكاشفى طه الكباشى، **تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان بين الحقيقة والاثارة**، ط2، الزهراء للاعلام العربى، القاهرة، 1986.

مكى أبو قرجة، **أصوات فى الثقافة السودانية**، إدارة الطباعة والتوزيع/ مؤسسة الإمارات للإعلام، أبوظبى، 2005.

منصور خالد، **السودان: أهوال الحرب وطموحات السلام، قصة بلدين**، دار تراث، لندن، 2003.

منصور خالد، **الفجر الكاذب: نميرى وتحريف الشريعة**، دار الهلال، بيروت، 1986.

منصور خالد، **جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى**، دار تراث للنشر، لندن، 2000.

المهاتما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، ترجمة محمد سامى عاشور، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969.

الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الرياض، 1989.

ميرغنى أبشر، كتاب: **السُّرَّانِيَّة: مقال فى عقيدة الباطن**، كاف نون للنشر، القاهرة، 2007.

ميرغنى حسن على، **شخصيات وطنية من أمدرمان**، آفرو الطيب للطباعة، الخرطوم، 2009.

ناهد محمد الحسن، "المرأة فى الخطاب الفكرى الإسلامى"، **المرأة السودانية فى الحياة العامة**، وقائع ندوة مهرجان المرأة الأول، مركز الدراسات السودانية. الخرطوم 11-8 مارس 2003.

نصر الدين سليمان على فضل الله (تحرير)، **دراسات فكرية فى التصوف بالسودان: أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف فى السودان**، ط1، دار عزة للنشر والتوزيع، 2007.

نصر حامد أبو زيد فى كتابه: **الخطاب والتأويل**، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، 2000.

النور محمد أحمد ، **الفكر الجمهورى تحت المجهر**، (بدون تاريخ ومكان نشر).

هادى العلوى، **الفكر العربى- الإسلامى وضرورة التجديد المنهجى**، دار بدايات، دمشق، سوريا، 2008.

هدى رزق، **صناعة النخب السياسية فى لبنان**، 1992-2009، **(ظروف، قوانين ونتائج)**، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، 2011.

الواثق كمير (تحرير)، **جون قرنق: رؤيته للسودان الجديد وإعادة بناء الدولة السودانية**، ط3، ماستر للطباعة، الخرطوم، 2005.

وجيه كوثرانى، **تاريخ التأريخ: اتجاهات- مدارس- مناهج**، ط1، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2012.

وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، **الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، جمهورية السودان الديمقراطية، الخرطوم، 1977.

وفد السودان، **مآسى الإنجليز فى السودان**، دار الشرق للنشر والطبع، 1946.

وليد الطيب عبدالقادر وأحمد محمد أحمد إسماعيل، **أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات**، ط1، كتاب البيان (105)، سلسلة تصدر من مركز البحوث والدراسات، 2009.

يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، ج 3، ط2، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، 1987.

يحيى محمد عبد القادر، **على هامش الأحداث فى السودان**، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (بدون تاريخ نشر).

اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب، **تاريخ اليعقوبى**، ج1، دار العراق للطباعة والنشر، بيروت، 1955.

اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن واضح، **كتاب البلدان**، السلسلة الجغرافية (6)، دار إحياء التراث العربى، يروت، 1988.

يوسف فضل حسن وآخرون، **وثيقة إعادة كتابة التاريخ، المؤتمر القومى للتخطيط الثقافى الشامل**، لجنة الاعلام والتوجيه، الاتحاد الاشتراكى السودانى، الخرطوم، (بدون تاريخ نشر).

يوسف فضل حسن، **حواش على متون: علماء ومؤرخون ومفكرون فى تاريخ إفريقيا والسودان**، دار سوداتك، الخرطوم، 2007.

يوسف فضل حسن، **دراسات فى تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب**، ج3، سوداتك المحدودة، الخرطوم، 2008.

يوسف ميخائيل، **مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائى فى السودان**، تحقيق أحمد أبو شوك، نشرها مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى بأمدرمان، عام 2004.

الكتب الأجنبية

Abdullahi Ahmed An-Na`im, *Toward an Islamic Reformation: Civil Liberties, Human Rights, and International Law*, Syracuse University Press, Syracuse,1996

Abdullahi Ali Ibrahim, *Manichaean Delirium: Decolonizing the Judiciary and Islamic Renewal in Sudan*, 1898-1985, Printed in the Netherlands,LEIDEN ? BOSTON, 2008.

Ali A. Mazrui (Editor), *General History of Africa, Africa since* 1935, Volume VIII, (Main edition), United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization UNESCO, Paris, Heinemann Educational, Oxford and University of California Press, California, 1993.

Asma M. Abdel Halim, *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture*, the Edwin Mellen Press, New York/ Queenstown, 2006.

Edward Thomas, *Islam's Perfect Stranger: The life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim Reformer of Sudan*, I. B. Tauris & Co. Ltd, New York, 2010.

Hassan Al- Tourabim, *Islam, Avenir du Monde*, Entretiens avec Alain Chevalérias, Ed. Jean Claude Lattès.

Haydar Badawi Sadig and Hala Asmina Guta, "Peace Communication in Sudan: Toward Infusing a New Islamic Perspective", *the Handbook of Global Communication and Media Ethics*, edited by Robert S. Fortner and P. Mark Fackler, Blackwell Publishing Ltd, 2011.

Heather J. Sharkey, *Living with Colonialism: Nationalism and Culture in the Anglo-Egyptian Sudan*, University of California Press, Berkeley, 2003.

Howard, W.S., “Mahmoud Mohammed Taha,” in Lobban, et. al. eds., Historical Dictionary of the Sudan. Scarecrow Press, 2002.

Janice Boddy, *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*, Princeton

University Press, Princeton and Oxford, 2007.

Judith Miller, *God Has Ninety-Nine Names: Reporting From A Militant Middle East*, Simon & Schuster, New York,1996.

Lichtenthäler, G., Muslih, mystic and martyr, The vision of Mahmud Muhammad Taha and the Republican Brothers in the Sudan: towards an Islamic reformation? Islam et Societes au Sud du Sahara, 9, 1995.

Mahmoud Mohamed Taha, *Un Islam à vocation libératrice*, Traduit par Mohamed El Baroudi & Caroline Pailhe, L'Harmathan, Paris ,2002

Mahmoud Mohamed Taha. *The Second Message of Islam*, Translated by Abdullahi Ahmed An-na'im (into English with Introduction). Syracuse NY: Syracuse University Press, 1987.

Mahmoud Mohamed Taha. *The Second Message of Islam*, Translated by Abdullahi Ahmed An-na'im(into English with Introduction). Syracuse NY: Syracuse University Press, 1987.

Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007.

Mohamed S. M. Eltayeb, *A Human Rights Approach to Combating Religious Persecution: Cases from Pakistan, Saudi Arabia and Sudan*, Antwerp/ Groningen/ Oxford: International- Hart Publishers, 2001.

Republican Brothers, *An Introduction to the Second Message of Islam*, 1972.

Somun, Hajrudin, *Mahathir: The Secret of the Malaysian Success*, Translated from the Bosnian into English by Lejla Somun-Krupalija, Pelanduk Publications, Malaysia, 2003.

الدوريات العربية

(63 دورية، وقفت على أكثر من 300 عدد من أعدادها، أعداد متفرقة ما بين 1935-2013)

تبيُّن للدراسات الفكرية والثقافية، جريدة الشرق الأوسط، جريدة المصرى اليوم،جريدة صوت السودان، الحوار المتمدن الإليكترونية، دراسات دعوية، الراصد، صحيفة أجراس الحرية، صحيفة الأحداث، صحيفة الاستقلال، صحيفة الأضواء، صحيفة الأمة، صحيفة الأهرام اليوم، صحيفة الأهرام، صحيفة الأيام، صحيفة البيان الإماراتية، صحيفة التلغراف، صحيفة الجمهورية، صحيفة الحرية، صحيفة الخليج، صحيفة الدار، صحيفة الراكوبة الإليكترونية، صحيفة الرأى العام، صحيفة الزمان، صحيفة السودان الجديد،صحيفة السودانى، صحيفة الشعب، صحيفة الصحافة، صحيفة الصراحة، صحيفة الفجر، صحيفة القبس، صحيفة المحرر، صحيفةالميدان، صحيفة النيل، صحيفة ألوان، صحيفة الوطن، صحيفة الوفاق، صحيفة اليوم التالى، صحيفة أبناء السودان، صحيفة حريات الإليكترونية، صحيفة سودانايل الإليكترونية، صحيفة كل الناس، عالم المعرفة، القاهرة، كتابات سودانية، مجلة احترام الإليكترونية، مجلة أفكار جديدة، مجلة الأزمنة العربية، مجلة الجزيرة الثقافية، مجلة الجمهورية، مجلة الدراسات السودانية، مجلة الدستور، مجلة الدوحة، مجلة الديمقراطى، مجلة الفجر، مجلة المنهل، مجلة رواق عربى، مجلة كرامة، مجلة كلية غردون، مجلة معهد أمدرمان، مجلة نقدى، المستقبل العربى، الميدان، النشرة اليومية لوكالة السودان للأنباء (سونا).

الدوريـــات الأجنبيـــة

Abdullahi Ali Ibrahim, “Keep These Women Quiet:" Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom, *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World* 9, 2011.

Haydar Badawi Sadig, “Ustadh Mahmoud Mohamed Taha and Islamic Reform: Embodying and Communicating Absolute Individual Freedom,” in M. Fackler and R. Fortner (eds.) *Ethics and Evil in the Public Sphere: Media, Universal Values and Global Development.Cresskill*, NJ: Hampton Press, 2010.

Howard, Steve, “Mahmoud Mohamed Taha: a remarkable teacher in Sudan” *Northeast African Studies*, 1989, v. 10 #1.

Howard, W. Stephen, Mahmoud Mohammed Taha and the Repuplicant Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan, *Ahfad Journal*, Vol. 23, No. 2, December 2006, Omdurman.

Howard, W.S., “Transforming Islamic Society: Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Brotherhood,” Fall 2003, *Journal for IslamicStudies*.

Lichtenthäler, G, National issues, political styles and Islamic responses in the Sudan 1956-1985: the case of Mahmud Muhammad Taha and the Republican Brothers. *Seeking an open society: inter-faith relations and dialogue in Sudan today* (ed. by S. Brown), Paulines Publications Africa, Nairobi, 1997.

M. Jalal Hashim, "The Death of Mahmud Muhammad Taha in January 18, 1985, Khartoum: A Case of State Madness", *Khartoum Monitor Newspaper,* January 24, 2011, Khartoum.

Mohamed Ahmed Mahmoud, “Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement”, *New Political Science* 23 (1), 2001.

Rogaia Mustafa Abusharaf, “We Have Supped So Deep in Horrors”: Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan, *History and Anthropology*, Vol. 17, No. 3, September 2006.

المحاضرات والندوات والمؤتمرات والبيانات والجلسات وحلقات النقاش

أسماء محمود محمد طه (تقديم)، **جلسة إنشاد عرفانى،** إنشاد بصوت مجموعة من الأخوات الجمهوريات: أسماء محمود، رشيدة محمد فضل، إخلاص همت ومحاسن محمد خير، منزل الأستاذ محمود محمد طه، الثورة، الحارة الأولى، أمدرمان، تسجيل جمعة حسن، الثلاثاء 1980/9/2 الموافق 23 شوال 1400هـ، الساعة 7:00 صباحاً.

إعلان بغداد- عمان للحريات الأكاديمية فى الجامعات العراقية، عمان، 2006.

بيان تجمع الكُتاب والفنانين التقدميين "أبادماك". صدر البيان بتوقيع واحد وسبعين كاتباً نشر بالصحف اليومية السودانية ومجلة بيروتية. أنظر ملحق رقم (36): نص قرار **تجمع الكُتاب والفنانين التقدميين** "أبادماك".

جلال الدين الهادى الطيب إدريس (تقديم)، **جلسة حلقة إنشاد عرفانى،** إنشاد بصوت عبداله فضل الله، منزل الأستاذ محمود محمد طه، مدينة المهدية، أمدرمان، الاثنين 30 رجب 1399هـ الموافق 25 يونيو 1979، الساعة 6:30 صباحاً.

الحزب الجمهورى، البيان نمرة (19): أوقفوا المخطط المصرى لغزو السودان"، 1969/3/18.

الحزب الجمهورى، البيان نمرة (22): التدخل المصرى فى السودان"، 1969/3/26.

حسن الترابى، "الفقه الإسلامى بين التقليد والتجديد"، (محاضرة)، الأسبوع الثقافى لكلية العلوم الرياضية، **جامعة الخرطوم،** يوم الثلاثاء 28 أبريل 2009، **الخرطوم.**

عبدالله الفكى البشير، "المعرفة الاستعمارية وإرث السودان السياسى قراءة فى إسهامات البروفيسور عثمان البيلى النقدية"،جهود أ. د. عثمان البيلى العلمية وعطاءاته الإنسانية (ندوة علمية)، **مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، المدينة التعليمية،** الدوحة، قطر، الاثنين 26 مارس 2012، الدوحة، قطر.

عبدالله الفكى البشير، "النسب الحضارى: قراءة فى عوامل الإنبتات والتكييف وتغذية الخيال الجمعى"، (ورقة علمية)، **المؤتمر العام السادس لاتحاد الكتاب السودانيين بعنوان: نسبنا الحضارى،** قاعة ودعة، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم،

(24-25 مارس 2013).

عبدالله الفكى البشير، "صورة شعوب القرن الإفريقى فى كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة"، **مؤتمر: العرب والقرن الإفريقى: جدلية الانتماء والجوار، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات** (معهد الدوحة)، الدوحة، دولة قطر، (27-29 نوفمبر 2011).

عوض إبراهيم عوض، "حوار مع عوض إبراهيم عوض"، برنامج نجم وجمهور، تقديم سرالختم بشير، **إذاعة ساهرون**، السبت 2009/7/17 الساعة 18:25.

فاروق محمد إبراهيم، "مناقشة كتاب: **السعى وراءالألوهة: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه**"، مركز الخاتم عدلان للإستنارة والتنمية البشرية، بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام علي مولد المفكر الاسلامى الشهيد محمود محمد طه 1909-2009، الخرطوم، السبت 10 يناير 2009.

فيصل مدنى مختار، "شهادة فيصل مدنى مختار، (تسجيل بصوته وبالفيديو)، أدلى فيصل بشهادته بطلب من أسماء محمود محمد طه، تم التسجيل بواسطة **مركز الأستاذ محمود محمد طه الثقافى**، أمدرمان، حصلت على نسخه من تسجيل الشهادة بالفيديو من أسماء محمود محمد طه مديرة المركز.

القضية نمرة م ع/ ق د/1406/2هـ، أسماء محمود محمد طه وعبداللطيف عمر حسب الله ضد حكومة جمهورية السودان، **الموسوعة السودانية للأحكام والسوابق القانونية**، العدد 1986، السلطة القضائية.

قناة أبو ظبى التلفزيوينة.

قناة النيل الأزرق التلفزيوينة.

محمد المكى إبراهيم، "كلمة بمناسبة احياء الذكرى السنوية لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه"، **احتفال إحياء الذكرى الثالثة والعشرين لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه، مدينة مونترى**، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، بتاريخ يومى 19-20 يناير 2007.

محمد عثمان الحسن (تقديم)، **جلسة إنشاد عرفانى**، الإنشاد بصوت عبدالكريم على

موسى، منزل الأستاذ محمود محمد طه، المهدية، الحارة الأولى، أمدرمان، تسجيل جمعة حسن، 18 نوفمبر 1979 الموافق 28 ذو الحجة 1399هـ، الساعة 6:30 صباحاً.

منصور خالد، "محمود الذى عرفت"، (محاضرة)، بمناسبة مئوية الأستاذ محمود محمد طه، (1909-2009)، فى الذكرى الرابعة والعشرين لاستشهاده عام 1985، **مركز الخاتم عدلان للاستنارة والتنمية البشرية**، الخرطوم، 22 يناير 2009.

مؤتمر الإخوان الجمهوريين بمناسبة عيد الاستقلال، يوم الجمعة يوم 1985/1/4.

المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف فى السودان، جامعة دنقلا، السودان، (نشرت توصياته عام 2007).

مؤتمر **الحزب الجمهورى**، مدنى عيد الفطر عام 1388هـ الموافق 20 ديسمبر 1968.

المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم 2006.

المؤتمر العالمى الأول لرؤساء الجامعات، **جامعة كولومبيا**، 2005.

المؤتمر العام الأول: **المكتبات السودانية وتحديات القرن الحادى والعشرين**، الخرطوم، 1998.

المؤتمر العام السادس، **نسبنا الحضارى**، اتحاد الكتاب السودانيين، الخرطوم، مارس 2013.

مؤتمر جماعة الفكر والثقافة الإسلامية، أمدرمان، محرم 1403هـ- أكتوبر 1982م.

مؤتمر: العرب والقرن الإفريقى: جدلية الانتماء والجوار، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات (معهد الدوحة)، الدوحة، دولة قطر، (27-29 نوفمبر 2011).

ندوة "المستقبل العربى: المثقف والسلطة ومهامه الراهنة"، **المستقبل العربى**، السنة 6، العدد 51 (آيار/ مايو 1983).

ندوة **الحرية الأكاديمية والمسئولية الاجتماعية للمفكرين**، بمدينة كمبالا، 1990.

ندوة **ثورة يوليو وإفريقيا مع إشارة خاصة للعلاقات المصرية السودانية**، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2001.

ندوة **جهود أ. د. عثمان البيلى العلمية وعطاءاته الإنسانية** (ندوة علمية) ، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، المدينة التعليمية، الدوحة، قطر ، الاثنين 26 مارس 2012،

الدوحة، قطر.

ندوة مهرجان المرأة الأول، **المرأة السودانية في الحياة العامة** مركز الدراسات السودانية، الخرطوم مارس 2003.

ندوة: "المستقبل العربى: المثقف والسلطة فى الوطن العربى، **مركز دراسات الوحدة العربية**، المستقبل العربى، القاهرة، 25-24 سبتمبر 1984.

ندوة: "فى ذكرى رحيله السابعة: محمد أبو القاسم حاج حمد.. بين الفكر والتاريخ"، **مركز التنوير المعرفى** بالتعاون مع **صحيفة الأحداث**، الخرطوم، الاثنين 9 يناير 2012.

يوسف فضل حسن وآخرون، **وثيقة إعادة كتابة التاريخ**، المؤتمر القومى للتخطيط الثقافى الشامل، لجنة الإعلام والتوجيه، الاتحاد الاشتراكى السودانى، لجنة الاحتفالات بالعيد الوطنى لمؤتمر الخريجين 1938-1988، الاحتفالات بالعيد الذهبى لمؤتمر الخريجين تقدم الحركة الوطنية السودانية ما بين الحربين العالميتين ومؤتمر الخريجين"،الخرطوم، بدون تاريخ.

الرسائل الجامعية (مرتبة الشرف/ درجة البكالريوس، الماجستير والدكتوراة) باللغة العربية

أمل عبدالعزيز حسن، **أثر بعض الفروق بين الرجل والمرأة على الذاكرة وأداء الشهادة فى المحاكم**، (رسالة ماجستير)، إشراف شمس الدين زين العابدين،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996.

أمل يحيى الشريف، **تأثير الدين فى خطاب عبدالناصر القومى**، (رسالة ماجستير)،إشراف حسن حاج على، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

آمنة عبدالقادر محمد بشير، **الإسلام والغرب المعاصر: دراسة فى إشكالية العلاقات السياسية**، (رسالة ماجستير)،إشراف الشفيع محمد المكى، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2011.

أميرة بكرى محمد الماحى، **تاريخ السودان السياسى** 1930-1956، (رسالة ماجستير)،إشراف عبدالوهاب عبد الرحيم المبارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2000.

الباقر عمر السيد، نقض نظرية الإنسان الكامل عند الجمهوريين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير (1414-1415هـ / 1993-1994م)، إشراف الدكتور شوقى بشير عبد المجيد، قسم الدراسات العليا، كلية أصول الدين، جامعة أمدرمان الإسلامية، أمدرمان السودان.

حرم أحمد محمد، **التبرج وأثره فى المجتمع الإسلامى**، (رسالة ماجستير)،إشراف التجانى مصطفى محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996.

حسن حامد حسين مشيكة، **التجربة الفيدرالية فى السودان: بالتركيز على دراسة ولايتى الخرطوم وغرب كردفان**، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2001.

حسين محمد الحسن على، **مقاصد الشريعة الإسلامية وأثرها على الحماية الفكرية للمسلم**

المعاصر: دراسة مقارنة، (رسالة دكتوراة)، إشراف عوض عبدالله بابكر،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

حمد عمر حاوى، **الصحوة الإسلامية وتحديات العصر**، (رسالة ماجستير)،إشراف التجانى عبدالقادر حامد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1995.

سمية محمود محمد طه، **دور النساء المعيلات للأسر فى تقليل حدة الفقر**، دراسة حالة دار السلام شمال بأمدرمان، بحث لنيل درجة ماجستير الآداب فى الدراسات السودانية (اجتماع)، إشراف: إلهام عبد الرحمن عثمان، كلية الدراسات العليا، جامعة الزعيم الأزهرى، الخرطوم بحرى، السودان مارس 2012.

شوقى بشير عبدالمجيد، **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، (أطروحة دكتوراة)، إشراف: عبدالعزيز عبيد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1404هـ [1983م].

شيرين إبراهيم النور صديق، **تاريخ الحركة السياسية السودانية** 1952-1958، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010.

صالح أحمد التوم ضيف الله، **الجرائم المعاقب عليها بالقتل فى الشريعة الإسلامية والقانون الجنائى السودانى لسنة** 1991، (رسالة دكتوراة)، إشراف حافظ الشيخ الزاكى، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

صالح عبدالقادر صالح الشيخ، **التنظيم السياسى الواحد وأثره على الوحدة الوطنية فى السودان**، (أطروحة دكتوراة)، إشراف: محمد نورى الأمين، مشرف مساعد: عدلان أحمد الحردلو، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1997.

الطيب أبشر الطيب، **مكتب السكرتير الإدارى** 1899-1956، (أطروحة دكتوراة)، إشراف عبد اله هاب عبد الرحيم المبارك بوب، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا،

جامعة الخرطوم، 1996.

الطيب حسن محمد الطيب، **وحدة الوجود فى الفكرة الجمهورية**، بحث تكميلى لنيل درجة البكالريوس مرتبة الشرف، إشراف د. كمال حامد شداد، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1983.

عبد العظيم محمد حمد أبو الحسن، **قضية إسلامية الدستور والقوانين فى السودان (1955-1985) وتأثيرها على الاستقرار السياسى**، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبد الرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010.

عبدالسلام أحمد على ضو، **إشكالية الدولة وتجربة الحزب الواحد فى إفريقيا: الاتحاد الاشتراكى السودانى، دراسة حالة**، (أطروحة دكتوراة)، إشراف حسن مكى محمد أحمد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2003.

عفاف مساعد بشير مساعد، **مفهوم "التفكير" فى الإسلام**، (رسالة ماجستير)، إشراف عبدالمتعال زين العابدين،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

عمر الخير إبراهيم أحمد، **الإسلام والدولة القطرية: دراسة للمشروع السياسى الإسلامى فى السودان** (1989-2005)، المشرف محمد عثمان أبو ساق، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2008.

عواطف أحمد الإمام، **الاجتهاد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، (رسالة ماجستير)، إشراف حافظ الشيخ الزاكى،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1994.

غانية محمود أحمد محمد خير، **حق المرأة فى الميزات بين الشريعة والميراث**، (رسالة ماجستير)،إشراف حسين محمد الحسن على،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2002.

فتح الرحمن الصديق إبراهيم، **مفهوم السلام فى الإسلام**، (رسالة ماجستير)، إشراف عبد المتعال زين العابدين،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

مازن مصباح محمود صباح، **الاجتهاد وحاجة العصر إليه**، (رسالة دكتوراة)، إشراف عوض عبدالله بابكر،قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998،.

محرم عوض السيد حسن، **التطورات الدستورية لنظام مايو** 1969-1985، (رسالة ماجستير)، إشراف محمد نورى الأمين، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998.

محمد حمدنا الله عبدالحافظ، **التعليم والتنمية فى السودان** 1970-1990، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، شعبة العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

محمد مجذوب محمد صالح، **أصول الاجتماع السياسى فى القرآن الكريم دراسة حول (مفهوم الأمة)**، إشراف أم سلمة محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، 2000.

مصباح محمد القذافى، **سياسة إسرائيل المائية وأثرها على الأمن القومى العربى** 1989/1973، (رسالة ماجستير)،إشراف عطا حسن البطحانى ، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1997.

مظفر الصديق حسن الصافى، **أزمة الشرعية السياسية لنظام مايو** 1969-1985، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2001.

معاوية عوض الله مصطفى، **العلاقات الدولية المعاصرة والسلام العالمى: رؤية إسلامية**، (رسالة لنيل درجة الماجستير فى العلاقات الدولية)، إشراف محمد حسن أحمد، قسم

العلوم السياسية، كليـة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الـدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010.

نجلاء عـبد الله مـحمـد يوسف، **إسـهامـات الأعضـاء الجنوبيـين فى البرلمانات واللجـان والمجالس السودانية** (1948-1969)، (رسالة مـاجستيـر)، إشراف فدوى عبـدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2004.

ندى محمد حسين على الشامى، **الفيدرالية والتنمية فى السودان: تجربة ولاية النيل الأبيض** 1991-2001، (رسالة مـاجستيـر)، إشراف عطا الحسن البطحـانى، قسم العلوم السياسـية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2002.

هاجر مـحمد عثمـان موسى، **حقـوق المرأة فى السنة النبوية**، (رسالة مـاجستيـر)، إشراف عبداللـه محمد أحمـد، قسم الدراسات الإسلامـية، كلية الآداب، كلية الدراسـات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

هدى النور دينج، **انتخابات وبرلمانات السودان مايو** 1965 – **مايو**1969، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عـبدالرحمن على طه، قـسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسـات العليا، جامعة الخرطوم، 2011.

هويدا صـلاح الدين العتـبانى، **حـقوق الإنسـان بين الإسلام والمـواثيق الدولية مع دراسـة خاصة لحقوق الإنسان فى السودان**، (رسالة ماجستير)، إشراف حافظ الشيخ الزاكى، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998.

يورجن روجالسكى، "الإخـوان الجمهوريون فى السودان"، (جـزء من رسالـة ماجسـتير)، ترجمة وتحـرير حيدر إبراهيم على، **الأسـتـاذ محمود مـحمد طه: رائد التـجديد الدينى فى السودان**. سلسلة أعـلام التنوير والتـاريخ السـودانى (الكراسـة الأولى)، الدار البـيضـاء، 1992.

الرسائل الجامعية (مرتبة الشرف/ درجة البكالريوس، الماجستير والدكتوراة) باللغة الإنجليزية

Eltayeb H. M. Eltayeb, *The Second Message of Islam*, An unpublished PhD thesis, Middle Eastern Studies, University of Manchester, Manchester, UK, 1995.

Haidar El Safi Mohamed Ali Shapo, Dedication for M.Sc 1990 in Resource Management: Edinburgh University.

Haidar El Safi Mohamed Ali Shapo, *Modification of Microclimate in an Alley Cropping System in Northern Sudan*, 2002

Khalid Abdalla Hussein , *Parameter-parsimonious Models for Crown and Stem Profiles*, Georg-August University of Gottingen (Göttingen, right spelling) Germany, June 2001.

Sadig, Haydar Badawi, *Aspects of Female Participation in Religious Organizations in Sudan: The Case of the Republican Sisters*, 1985, An unpublished Honour?s thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

Sadig, Haydar Badawi, *The Republican Brothers: A Religio-political Movement in Sudan*, 1988, An unpublished Master?s thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

المراسلات والخطابات الخاصة

بشرى الفاضل، "رسالة خاصة"، إلى المؤلف عبدالله الفكى البشير، بتاريخ 5 مارس 2012.

جلال الدين الهادى الطيب إدريس، " رسالة إلى الأخت العزيزة أسماء محمود: شذرات من حياة وأقوال الأستاذ"، القاهرة، بتاريخ 29 مايو 2000. والمرة الثانية فى عامى 1983-1984 بكوبر".

خطاب من الأمين العام **لدار الوثائق القومية** إلى المؤلف عبدالله الفكى البشير، الخرطوم، بتاريخ 2012/8/23.

خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، **الأزهر الشريف**، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5.

خطاب من الأمين العام، **رابطة العالم الإسلامى**، الأمانة العامة، مكة المكرمة إلى وزير الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، الرقم 2631/17/5 التاريخ: 5 ربيع أول 1395هـ.

خطاب من عبد العزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسى **لرابطة العالم الإسلامى**، مكتب الرئيس، المملكة العربية السعودية، إلى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، التاريخ: 1395/5/4هـ.

سر الختم الحسن عمر، "خطاب موجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف"، يكشف الخطاب عن طلب المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف/ وزارة الشؤون الدنية والأوقاف لاستكتاب الأساتذة ضد الأستاذ محمود محمد طه، ضمن: عبدالباقى يوسف نعمة، **رسالة فى الرد على: محمود محمد طه**، (بحث مطبوع)، مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية، المكتبة المركزية، تحت رقم التسجيل (92844)، أمدرمان.

عبدالله الفكى البشيرخطاب إلى السيد الأمين العام لدار الوثائق القومية"، بتاريخ 2012/8/23.

عبدالله على إبراهيم، مذكرة عبد الله على إبراهيم إلى الناخبين الخريجين فى العاصمة

القـوميـة، ودعوته لمقـاومة مـادة الردة فى القانـون الجنائى، والنداء إلى أساتذة الجـامعـات بالعـالم للاحتجـاج على تعيـين المكاشفى طـه الكباشى، قـاضى محكمـة الردة عام 1985، بإحدى الجـامعات بالمملكة العـربية السعودية، والمـطالبة بتنحيتـه عن التدريس بالجامـعات بسبب إيذائه لمخالفيه فى الرأى.

عصام عبدالرحمن أحمـد البوشى، "رسالة خاصة"، إلى مؤلف الكتاب فى يوم 31 ديسمبر 2010.

المقابلات Interviews **(الاسم، المكان، الوقت وفقاً لتوقيت مدينة الدوحة، دولة قطر):**

إبراهيم يوسف فضل الله، مدينة الدوحة، دولة قطر، فى يوم 2011/8/31، الساعة 22:00.

إحسان الزبير إبراهيم إدريس، تمت المقابلة عبر الإسكايب، إحسان بمدينة مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف بمدينة الدوحة، السبت 27 أبريل 2013، الساعة 16:30.

أحمد العجب، الخرطوم يوم 2011/7/14، الساعة 18:00.

أحمد محمد الحسن، الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 15:30.

أحمد مصطفى دالى، تمت المقابلات فى الدوحة، مقابلة فى يوم 13 فبراير 2011، الساعة 18:30؛ مقابلة فى يوم 25/6/2011، الساعة 19:00؛ مقابلة فى يوم 2013/1/24، الساعة 21:00.

أسامة الخواض، تمت المقابلة عبر البريد الإليكترونى، 22-24 أبريل 2013.

أسماء محمود محمد طه، مقابلات عديدة فى الخرطوم وفى الدوحة، وبعضها عبر الهاتف. مقابلة فى الدوحة،7 ديسمبر 2009، الساعة 19:30؛ مقابلة فى الخرطوم 2011/7/9، الساعة 18:00؛ وبتاريخ 2011/7/14، الساعة 10:20؛ ومقابلات خلال الفترة ما بين 2006-2013.

إسماعيل علم الهدى، مقابلات عديدة خلال الأعوام 2010-2013، تمت عبر الهاتف والبريد الإليكترونى، كان آخرها فى يوم 23 فبراير 2012، الساعة 23:10.

الباقر العفيف، الخرطوم، 28 يوليو 2012، الساعة 11:30.

بتول مختار محمد طه، الخرطوم، يوم 2011/7/30، الساعة 19:30.

بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، تمت مقابلات عبر الهاتف والبريد الإليكترونى، بدر الدين بمملكة البحرين، والمؤلف فى الدوحة، كان آخرها يوم 2012/12/8، الساعة 20:30.

بشير بكار(1952-2012)، الخرطوم، 2012/1/6، الساعة 15:00.

حسن محى الدين التهامى، الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 17:00.

حمد النيل عبدالله العركى، تمت مقابلات عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة وحمد النيل فى السودان، بتاريخ 6 مايو 2012،الساعة 20:00.

حيدر إبراهيم على، الدوحة، قطر، 2012/5/28، الساعة 7:30.

حيدر بدوى صادق، تمت مقابلات عديدة، منها مقابلة فى الدوحة، قطر، بتاريخ 18 يونيو 2012، الساعة 18:30؛ مقابلة عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة، وحيدر فى المملكة العربية السعودية، 18 يناير 2013، الساعة 12:35.

خالد الحاج عبد المحمود، تمت مقابلتان بمدينة رفاعة، ومقابلات عديدة بالهاتف، خالد بمدينة رفاعة فى السودان، والمؤلف بمدينة الدوحة بدولة قطر، كان آخرها بتاريخ 2013/1/5، الساعة: 14:00.

خالد حسن عبدالله، مقابلة عبر حوار بالبريد الإليكترونى، بتاريخ 29 مايو 2012.

خالد محمد الحسن، تمت المقابلات فى الدوحة، 2011/6/25، الساعة 20:30.

الريح أبو إدريس، الخرطوم يوم 2011/7/17، الساعة 16:00.

سامية حجاز، أمدرمان، بتاريخ 28 يوليو 2012، الساعة 11:00.

سعد عبدالله أبو نورة، تمت المقابلات عبر الهاتف، سعد بمدينة مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف فى الدوحة، 13 مايو 2013، الساعة 20:30؛ 14 مايو 2013، الساعة 19:30.

سلمى مجذوب محمد مجذوب، تمت مقابلات فى مدينة ود مدنى، 17 ديسمبر، 2009، الساعة 19:30: ومقابلة بتاريخ 13 يوليو 2010، الساعة 16:00؛ ومقابلة فى الخرطوم، بتاريخ 14 يوليو 2010، الساعة 11:30.

سمية أمين صديق، تمت مقابلات عبر المراسلات بالبريد الإلكترونى، خلال الفترة 4-8 مايو 2012؛ وخلال الفترة 4-8 نوفمبر 2013.

الشفيع خضر سعيد، الدوحة، قطر، 201/9/28، الساعة 20:00.

الطيب حسن، تمت المقابلة عبر الهاتف والبريد الإليكترونى، الطيب فى الإمارات والمؤلف فى الدوحة، 2012/9/28، الساعة 20:30؛ 2013/3/20، عبر البريد الإليكترونى.

عادل الطيب، الخرطوم، يوم 2011/7/30، الساعة 20:30.

عبد الرحيم هلاوى، تمت المقابلة فى الدوحة، فى يوم 2011/10/15، الساعة 20:10.

عبدالله فضل الله، تمت المقابلة عبر الهاتف، عبدالله فضل الله فى الخرطوم، والمؤلف فى الدوحة، 12 مايو 2013، الساعة 11:30 صباحاً.

عبدالسلام نور الدين، الدوحة، قطر، 23 سبتمبر 2013، الساعة 7:30.

عبداللطيف عمر حسب الله، مقابلة فى أمدرمان، يوم 2011/7/30، الساعة 11:00؛ ومقابلات عبر الهاتف فى أوقات متفاوتة، عبداللطيف فى أمدرمان، والمؤلف فى الدوحة.

عبدالله عثمان، تمت مقابلات عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة، وعبدالله فى مسقط، سلطنة عمان، 4 أكتوبر 2012، الساعة 20:30؛ ومقابلة بتاريخ 2012/10/28، الساعة 12:10.

عبدالله على إبراهيم، تمت مقابلات عديدة عبر الهاتف، وفى الخرطوم وفى الدوحة، خلال الفترة ما بين 2011– مارس 2013.

عثمان جعفر النصيرى، تمت عبر الهاتف والبريد الإليكترونى، المؤلف فى الدوحة والنصيرى فى لندن، كانت المقابلات بالهاتف فى يومى 25 أبريل و 29 مايو 2012، الساعة 21:00؛ المراسلات فى أيام: 25 أبريل، و29 مايو، و 12 أغسطس، و25 أغسطس و5 سبتمبر.

عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلى، تمت مقابلات عديدة فى الدوحة خلال الفترة ما بين 2009-2011، منها: 13 مايو 2010، الساعة 20:00؛ 26 مارس 2011، الساعة 19:30؛ 28 أبريل 2011، الساعة 20:30.

عصام عبدالرحمن البوشى، تمت مقابلات فى مدينة ود مدنى، 17 ديسمبر، 2009، الساعة 19:30؛ ومقابلة بتاريخ 13 يوليو 2010، الساعة 16:00؛ ومقابلة فى الخرطوم، بتاريخ 14 يولييو 2010، الساعة 11:30؛ ومقابلة عبر الهاتف، البوشى فى مدينة مدنى فى السودان والمؤلف فى مدينة الدوحة، قطر، الأربعاء 24 أكتوبر 2012، الساعة 6:50؛ 24 مايو 2013، الساعة 14:30.

على أحمد إبراهيم رحمة، كانت المقابلة فى رحلة بسيارة ما بين الخرطوم ومدنى، يوم 2012/1/7، بدأت الرحلة الساعة 11:00 صباحاً وانتهت عند الساعة 15:30.

على لطفى، أمدرمان، يوم الاثنين 2011/7/25، الساعة 15:30.

على محمد أبو كليوة، تمت المقابلات عبر الهاتف، على فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، مقابلة فى يوم 14 سبتمبر 2010، الساعة 19:00 ؛ مقابلة فى يوم 27 نوفمبر 2010، الساعة 11:30؛ مقابلة فى يوم 14 يناير 2011، الساعة 13:00.

عماد عبداللطيف محمد عبدالهادى، مقابلات عديدة عبر الهاتف، عماد فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، منها:بتاريخ 19 سبتمبر 2010، الساعة 19:00، بتاريخ 18 ديسمبر 2010، الساعة 21:00؛ بتاريخ 26 مارس 2011، الساعة 19:30.

عماد عبداللطيف محمد، مقابلات عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة وعماد فى الخرطوم، 19 سبتمبر 2010، الساعة 20:00؛ وبتاريخ 29 أكتوبر 2010، الساعة 16:40؛ وبتاريخ 18 ديسمبر 2010، الساعة 20:30.

عمر القراى، تمت المقابلة فى الخرطوم، فى يوم 2011/7/28، الساعة 20:00؛ ومقابلات عبر البريد الإليكترونى، كان آخرها بتاريخ 27 يناير 2013.

عمر هوارى، مقابلات عديدة خلال الأعوام 2010-2013، تمت عبر الهاتف والبريد الإليكترونى، كان آخرها فى يوم 6 مايو 2013، الساعة 15:30.

عواطف عبدالقادر، تمت المقابلة فى الخرطوم، فى يوم 2011/7/28، الساعة 20:00.

عوض الكريم موسى، مقابلات عديدة، منها مقابلتان فى الخرطوم، فى يوم 23 يوليو 2012، الساعة 19:30، وفى يوم 24 يوليو الساعة 20:00؛ ومقابلات بالهاتف، عوض الكريم بمدينة الخرطوم فى السودان، والمؤلف بمدينة الدوحة بدولة قطر، كان آخرها بتاريخ 203/1/5، الساعة: 11:10.

عوض لطفى عبدالله، تمت المقابلة بالهاتف، عوض فى مدينة أمدرمان، والمؤلف بمدينة الدوحة، قطر، بتاريخ 2011/10/4، الساعة 11:30.

عوض محمد مصطفى فقيدة، تمت المقابلات عبر الهاتف وفى الخرطوم والجميعابى وفى الدوحة، فى أوقات مختلفة أكثرها خلال الأعوام: 2006، 2007، و2008.

عيسى إبراهيم، تمت المقابلة عبر الهاتف، عيسى فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 10:30، ومقابلة فى يوم 4 مايو 2013، عبر الإسكايب،

الساعة 21:16.

فاطمة عباس سليمان (1937-2011)، الجنيد البيارة، ولاية الجزيرة، يوم 21 يوليو 2011، الساعة: 16:00.

كمال الجزولى، تمت المقابلة فى الخرطوم، فى يوم 4 يونيو 2013، الساعة 16:30.

متوكل مصطفى الحسين (1958-2012)، تمت مقابلات عبر الهاتف متوكل فى واشنطن، والمؤلف فى الدوحة، فى يوم السبت 17ديمسبر 2011، الساعة 22:30؛ الأحد 8 يناير 2012، الساعة 23:30.

مجذوب محمد مجذوب، الجنيد البيارة، ولاية الجزيرة، يوم 21 يوليو 2011، الساعة: 16:00.

محرم عوض السيد حسن، مقابلة بالهاتف، المؤلف فى الدوحة، قطر، ومحرم عوض السيد حسن فى مدينة بورتسودان، السودان، بتاريخ 17 يناير 2013، الساعة 16:25؛ 17 يناير 2013، الساعة 21:45.

محمد صادق جعفر، مقابلات عديدة عبر الهاتف والبريد الإليكتروني خلال الفترة ما بين 2012/11/14 - 14 مارس 2013.

محمود شعرانى، تمت المقابلة عبر الهاتف، محمود فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، 5 أبريل 2013، الساعة 20:00.

مصطفى محمد صالح، تمت المقابلة عبر الهاتف، مصطفى بمدينة عطبرة فى السودان والمؤلف فى القاهرة، 26 يوليو 2013، الساعة 21:30.

النور حمد، تمت مقابلات فى الدوحة، 22 نوفمبر 2009، الساعة 20:00؛ ومقابلة بتاريخ 2009/10/26، الساعة 20:30؛ ومقابلة بتاريخ 10 أغسطس 2010، الساعة 20:30؛ ومقابلة تمت فى الخرطوم، يوم 2011/7/14، الساعة 10:20.

الهادى نصر الدين فضل الجليل، أمدرمان، بتاريخ 28 يوليو 2012، الساعة 13:40.

هدى عثمان سليمان القبانى، الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 12:30.

ياسر الشريف المليح، تمت مقابلات عبر الهاتف ياسر فى ألمانيا، والمؤلف فى الدوحة، فى يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 20:30؛ وبتاريخ 23 مايو 2013، الساعة 19:30.

المواقع على شبكة الإنترنت Websites

http:// www.alustadhcenter.org

http://www. mediaschool.ohio.edu

http://www.abusaleem.net

http://www.african.ohio.edu

http://www.ahewar.org

http://www.ahl-alquran.com

http://www.alfikra.org

http://www.al-jazirah.com.sa

http://www.almuharrir.com.sd

http://www.alrakoba.net

http://www.alrased.net

http://www.ancientsudan.org

http://www.bbc.co.uk

http://www.d-a.org.uk

http://www.dohainstitute.org

http://www.goutaliezzedine.maktoobblog.com

http://www.hurriyatsudan.com

http://www.islamweb.net

http://www.law.emory.edu/aannaim

http://www.malaf.info

http://www.meshkat.net

http://www.mohe.gov.sd

http://www.naqdy.org

http://www.naqdy.org

http://www.parliament.gov.sd

http://www.sacdo.com

http://www.sacdo.com

http://www.sjsudan.org

http://www.sudaneseonline.com

http://www.sudan-forall.org

http://www.sudanile.com

http://www.tanweer.sd

http://www.umma.org

http://www.uqu.edu.sa

http://www.wamy.org

فهـرس الأعـلام

(لقد ورد اسم محمود محمد طه / الأستاذ محمود في معظم فقرات وصفحات هذا الكتاب، لهذا لم أصنفه ضمن فهرس الأعلام)

(أ)